المختار

من ريدرز دايجست

في كل مقالة لذة دائمة

يناير ١٩٤٦

بعض ما تقرأ في عددنا القادم

هل نحن في طريق الموت جوعاً ؟ : ينذر طبيب من أطباء التربة النابهين بأن الأرض التي استنفدت موادها تهددنا بجوع خفي خطير. فما تفصيل هذا الخطر؛ وما هي الأساليب التي ينبغي اتباعها لكي نتقيه ؟

القضية الكاملة : هذه قضية يتخذها فريق من أساطين القانون مثالا يحتذى لمثابرة نائب عمومي على إحقاق الحق ، ورد التهمة عن متهم برئ ، اصطلحت جميع أقوال الشهود على أنه هو المجرم .

لنواجه الحقيقة في شئون القنبلة الذرية : « صنع سلاح يحوي من القدرة على التدمير ما يفوق أفظع كابوس يقض مضجع النائم . وهو سلاح شديد الملاءمة للهجوم المفاجئ دون إنذار فتستطيع الدولة أن تدمر بين عشية وضحاها ، أعظم المدن في دولة تربطها بها في الظاهر أواصر الصداقة » [من التقرير الرسمي]

سر جمال المرأة ... ...

آسيا يجب أن تستقل ... ...

READER'S DIGEST

(Reg. U.S. Pat. Off. Marca Registrata)

AL MUKHTAR min Reader's Digest — Vol. 5, No. 29, JANUARY 1946

تصدر شهرياً في بليزانتفيل ، نيويورك ، بالولايات المتحدة الأمريكية — وتصدر طبعات إنجليزية ، وأسبانية ، وبرتغالية ، وسويدية ، وفنلاندية ، وعربية — وتصدر دار الطباعة الأمريكية للعميان بلويزفيل كنتكي طبعتين للعميان إحداها طبعة « برايل » وأخرى على « أقراص مسجلة » .

قسم التحرير : رؤساء التحرير — ده ويت ولاس ، ليلى أتشيسون ولاس

سكرتير التحرير : كنيث و . باين ، مدير التحرير : ألفرد س . داشيل

قسم الإدارة : المدير العام — ا . ل . كول ، المدير المساعد — فرد د . طمسون

الطبعة العربية : — التحرير والإدارة : ١٦ — شارع شامبليون بالقاهرة . تليفون : ٥٧٨٩٣

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف

مصر والسودان — ثمن النسخة ٣ قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوي ٣٠ قرشاً صاغاً

فلسطين وشرق الأردن ٣٥ ملا — العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً

الاشتراك السنوي ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً

الطبعات الدولية — المدير العام : باركلي أتشيسون

السنة الثالثة

المختار

من ريدرز دايجست

كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الايجاز باقية الأثر

المجلد ٥
العدد ٢٩

يناير ١٩٤٦

[الأزمة التي تواجه الإنسانية فجأة ، كما يراها صحفي بريطاني مشهور]

حكومة عالمية أو خراب عالمي ؟

ستيفن كنج هول • مختصرة من مجلة "ناشونال نيوزليتر"

« ناشونال نيوزليتر » مجلة أخبار وآراء واسعة الانتشار ، يصدرها في لندن كل أسبوع ستيفن كنج هول مؤلف « النصر الجامع » و « تاريخ الحرب » و « الفرصة الثالثة لبريطانيا » الخ

كان إلقاء القنابل الذرية على هيروشيما وناجازاكي عملا مروعا ، ولكنه قد يتبين أنه في تاريخ المذابح البشرية الطويل ، لم تزهق الأرواح في سبيل غاية أعظم من هذه الغاية . فإن من الجلي الآن أن لكل إنسان مصلحة لا في إدارة الشئون القومية فحسب ، بل في إدارة الشئون العالمية أيضاً .

وأنت وحدة من وحدات البشرية ، بغض النظر عن الجنس أو العقيدة أو اللون ، تربطك بغيرك من بني الإنسان أواصر صهرت ولحمت إلى الأبد في الأتون الشيطاني الذي أحدثته هذه الانفجارات . وقد صارت القومية السياسية والاقتصادية لا معنى لها من جراء القنبلة الذرية التي ألغت تبعاً لذلك ، الحرب القومية الواسعة النطاق .



غير أن الناس إلى يومنا هذا لا يدركون تمام الإدراك هذه الحقيقة وهي : أن الحرب

القومية أو « الجامعة » الواسعة النطاق ، قد أصبحت عتيقة . ويقال إن من الممكن إيجاد دفاع لكل وسيلة من وسائل الهجوم . وما زال هذا صحيحاً ، غير أن الذى ينبغى أن يكون مفهوماً هو أن الدفاع ضد القنبلة الذرية لا يحتمل الاهتداء إليه من الناحية المادية ، فما ثم فائدة فى أن تكون هناك قنابل أشد فتكا أو أكثر عدداً ، ولا فائدة من الدخول فى جوف الأرض والتفكير بعقلية الحرب العتيقة التى دارت بين سنتى ١٩٣٩ و ١٩٤٥ ، فقد عفى على عهدها الزمن ، كما عفى على عهد معركة هيستنجز . والدفاع الوحيد ضد القنبلة الذرية هو خلق عالم لا يكون فيه لأى إنسان أدنى رغبة فى إلقاء القنابل الذرية على أى إنسان آخر .

ونحن البريطانيين نعرف اليوم ، مثلا ، أن لدى الولايات المتحدة قنابل ذرية ، وأن عندها الطائرات التى تحملها إلى لندن بين المغرب والفجر ، ولكننا لا نباشر أعمالنا وكأننا فى ظل وادى الموت ، ونكاد لا ندرك أننا من الوجهة النظرية تحت رحمة الأمريكيين . فهل نستطيع أن نقول بإخلاص أننا يمكن أن نشعر بمثل هذا الاطمئنان إذا سمعنا أن الجنرال فرانكو عنده ملء حقيبة من القنابل الذرية ؟

وانظر إلى الأمر من ناحية أخرى ؟

إن من المعقول أن نفرض أن ثلاث دو كبرى على الأقل (الولايات المتحدة وبريطا العظمى وروسيا) ستكون قريباً قادر على صنع القنابل الذرية ، وسيلحق بها سواها ، وسيصبح إنتاج القنابل الذري أسهل . فماذا إذن ؟ إن من المستحيل أ نتصور أن الجماهير ستحتمل موقفاً تتساءل فيه ، كلما روت الصحف خبر اضطراب فى مياه السياسة الدولية : « لنفرض أنه أرسلوا علينا الليلة مئة قنبلة ذرية ؟ » .

ما من دولة ستجرؤ مرة أخرى أن ترسل إنذاراً دولياً إلى دولة أخرى وفيه مهلة ست ساعات مثلا ، لأن الرد عليه فى خمس ساعات قد يجىء فى صورة وابل من القنابل الذرية . ومن البديهى أن الدولة الوطنية ذات السيادة فى مجاليها السياسية والاقتصادية (باعتبارها مناقضة لوجودها الثقافى النافع الضرورى جداً)، ستلقى نفسها فى مأزق . والمخرج الوحيد هو إنشاء دولة عالمية بأسرع ما يستطاع . وليس ثم مخرج آخر ، إلا الخروج من هذا العالم عن طريق سلسلة من الانفجارات المروعة .

ولعل قيام دولة عالمية يكون نتيجة للنشوء والتطور الطبيعيين ، كان خليقاً أن يتأخر قرنا آخر أو قرنين . وقد كانت عصبة الأمم خلفاً لعدة محاولات مماثلة ، غير أن الأمم

لم تستطع أن تحمل نفسها على إحناء رءوسها الشامخة لنير ميثاق العصبة الهين نسبياً .

وبعد خمسة وعشرين عاماً ، أقرّت الأمم على شك وارتياب ، فى سان فرنسسكو ، مشروعاً أضعف من مشروع العصبة ، لجعل السيادة القومية أرشد وأهدى سبيلا لخير الناس جميعاً . وقد عصفت بكل هذا العبث والتكالف ، فى لحظة واحدة قنبلتان ، وبضعة شبان فى طائرتين من طراز القلاع الطائرة الضخمة !

نعم أو لا ؟ الحياة أو الموت ؟ التعاون والتكافل أو القذف بالجميع إلى الجحيم ؟ هـذه هى الأسئلة القاسية التى تلقيها الذرة الجبارة التى تعجز عن رؤيتها أقوى المجاهر، والتى أطلقها عقل الإنسان وحررها من القيود الطبيعية التى جعلتها متوازنة القوى .

وتأمل المسألة بتفصيل أوفى . ما الفائدة الآن من البوارج وحاملات الطائرات ، والطرادات ، والغواصات ؟ إن الدبابات وقاذفات اللهب تلحق فى كوم « الخردة » ما لا يحصى من بطاريات المدافع كبيرها وصغيرها . والمعدات الهائلة الثقيلة التى استدعت العمليات المشتركة تهيئتها لغزو اليابان أصبحت « خردة » أيضاً . ولا معنى اليوم للحجج التى تساق لتسويغ التجنيد الإجبارى أو العدول عنه ، لأن القنبلة الذرية تمكن من يستعملها من توجيه ضربة مفاجئة ذات أثر ماحق للأهالى المدنيين فى بلاد العدو . وليس من الضرورى أن يكسب الحرب من يكون أسبق إلى استعمالها ، لأن قاذفى القنابل من أبناء الأمة « ا » قد يكونون فى طريقهم لضرب الأمة «ب» ، على حين تكون بلادهم تضرب وتحوّل إلى محرقة .

إن ساسة الدول العظمى يلفون أنفسهم الآن مضطرين إلى معالجة مسائل ما بعد الحرب فى أوربا والشرق الأوسط والشرق الأقصى ، فى الوقت الذى فيه عصفت القنبلة الذرية بالمقاييس الطبيعية لسياسة الدول .

فإذا حاولنا أن نعالج هـذه الشئون الضخمة ، وفى ظننا أنها ليست إلا صوراً أشد تعقيداً من المسائل التى دوختنا منذ سنة ١٩١٤ ،فإننا خليقون أن نخفق . وإذا بلغ بنا الوهم أن نتصور أن فى وسعنا التغلب على متاعب العالم بالوسائل التى هيأها ميثاق الأمم المتحدة ومؤتمر بريتون وودز ، ومؤتمر وزراء الخارجية بلندن ، فإننا سنخدع أنفسنا . وأنا أقول هذا لسببين :

الأول : إن مسائلنا الحاضرة ليست صورة طبق الأصل من المسائل القديمة ، فإنها من حيث المبدأ ضرب جديد من المسائل ، ثم إنها ليست مجرد مسائل

قومية ذات اعتبارات عالمية ، وإنما هى بلا مراء مسائل عالميـــة ومسائل إنسانية .

والثانى : أن الهيئات والوسائل المذكورة آنفاً قائمة على افتراض أن حقوق السيادة القومية هى القواعد التى يجب أن تبنى عليها. وما مثل هذه الهيئات إلا كمثل القرود ، تدلى رءوسها وتلف ذيولها « القومية » على شىء تتعلق به . ويجب أن تكون لنا هيئات مثلها مثل الرجال تقعـد وذيولها تحتها ، ورءوسها متدانية بعضها إلى بعض .

وإذا أردنا أن نحل هـذه المسائل فإن علينا أن لا نخشى الاعتراف بأن الحكومة العالمية لم تعد مجرد حلم يتشبث به بعض المثاليين ، فقـد صارت الحكومة العالمية ضرورة عملية ملحّة .

وإذا أريد إيجادها بسرعة كافية لاجتناب الكارثة ، فإن على الذين فى أيديهم أزمة الحكومات أن يجترئوا على العمل . فليس يكفى الآن التشاور فى فترات غير منتظمة ، بل على رؤساء الدول أن يجتمعوا بانتظام ، وأن يصبحوا فى الواقع لجنة تنفيذية عالمية مستخدمين مجلس الأمن للأمم المتحدة إذا لم يتيسر إيجاد ما هو خير منه . وقد صار للأمن ما بين عشية وضحاها معنى أكثر شمولا مما كان له لما تقرر تأليف مجلس الأمن فى سان فرنسسكو . وعلى مجلس الأمن الآن أن يصدر القرارات وأن يحرص على تنفيذها .

ولا داعى لأن نيأس من قدرة الإنسانية على الخروج بسلم حقيقية وعالم جديد ، من هذه المصاعب الفائرة . فإن مجرد كون حوادث قد حدثت ، بفضـل ما أنتجته العقول ، وجعلت العالم وجهاً لوجه أمام أعظم أزمة فى تاريخـه ، يدل أيضاً على أننا قادرون على الاهتداء إلى الجواب ، وعلى اتخاذ العمل اللائم . وإنه لممكن ، وإنه لواجب محتم .



إذا أردنا أن نبنى عالماً جديداً ، فلا بدّ من أن يقل عـدد المهندسين ، وتكثر أيدى البنّائين



المسئول حُرٌّ حتى يَعِدَ [على بن أبى طالب]

عيون ترتد إليها البصر

أول مصرف للعيون في العالم — تقرير عن عمله في عام

بقلم ماكس سيد

في كل يوم يخرج إلى النور شخص عاش سنين في ظلام دامس ، ففي كل يوم تتم على يد جراح معجزة ردّ البصر إلى أعمى . وهذا قول لا مغالاة فيه ، فالجراحة المعروفة بترقيع القرنية ، والتي كانت نادرة يوما ما ، تراها اليوم تردّ البصر على ٥٠٠ أعمى كل سنة في مدينة نيويورك وحدها .

والقرنية هي الغلالة الشفافة التي تكسو حدقة العين وإنسانها كأنها زجاجة الساعة ، والتي ينفذ فيها النور . وقد أدرك الجراحون منذ سنين أن من الممكن أن تفتح كوة دقيقة في القرنية التي مسّها كَدَر من حادث أو مرض ، ثم تركب على هذه الكوة رقعة صافية مستعارة من قرنيــة سليمة ، فيرتد إليها البصر* . على أن الأطبـــاء قلما يوفقون إلى عين سليمة الأنسجة يقطعون منها هذه الرقعة الصافية ، فإن مثل هــذا النسيج يجب أن يؤخذ من شخص استؤصلت عينه لأذى أصابها ولم يؤثر في القرنية ، أو من ميت كان قد أباح لهم أن يأخذوا من عينيه ما يرد البصر على العميان . فكان العميان الذين قيدوا أسماءهم في دفاتر الجراحين ، يقضون شهوراً مضنية وهم يترقبون يوما يأتيهم بعين تنقذهم من العمى .

على أن هــذا كله قد تغير الآن ، فقد أسست طائفة من مستشفيات نيويورك أول مصرف للعيون في العالم ، واتفقت هــذه المستشفيات أن تتصل بأولياء الموتى ساعة الموت ، أو بمن تدهمهم الحوادث بين الحين والحين ، فيقتضي علاجهم استئصال العين ، فقبلوا أن يرسلوا هذه البضاعة النفيسة إلى مكان بعينه ، حتى تكون قريبة المنال إلى كل جراح تخصص في ترقيع القرنية .

ومنذ سنة واحدة أعلنت هذه الخطة* فاستجاب لها الجمهور بشغف عجيب ، وأقبل عليها لفيف عظيم من الناس ليبذلوا معونتهم ، وتطوع كثيرون فأوصوا أن تودع عيونهم بعد موتهم في هذا المصرف ، ووهب له آباء كثيرون أعين أبنائهم الذين يولدون موتى ، فإن أعين المواليد تغني غناء أعين الكبار

* « عين لعين لعل العمى يبصرون » المختار مارس ١٩٤٤ ص ١٣

* « مصارف لقطع الغيار البشرية » : المختار مارس ٩٤٥ ص ٢٥

لأن الرقع المستعملة فى هذه الجراحة متناهية فى الصغر .

وفى الولايات المتحدة اليوم ٣٣ مستشفى تتعاون لبلوغ هذه الغاية فى طول البلاد وعرضها . وقلما يضطر اليوم طبيب العيون لتأجيل ترقيع القرنية ، وكادت تنقرض سجلات المرضى المنتظرين ، وأصبح البصر يرد إلى عشرات ومئات من العمى ، فقد تم تنفيذ أضخم برنامج لرد البصر كان حتى الآن .

إن قصص ما حدث لأولئك العمى الذين ردت إليهم أبصارهم ، لتتنوع تنوع الطبيعة البشرية نفسها ، ولكنها كلها مؤثرة .

فهذا شاب عمى منذ ١٧ عاما فرقعت قرنيته ، وقد عاد إلى طبيبه مزهواً يقول : إنه بعد أن برم بانتظار دوره فى التجنيد تطوع فى الجيش ، ونجح فى الكشف الطبى ، دون أن يشتبه أحد فى سلامة عينيه .

وهذا شاب آخر فقد البصر منذ ٢٢ عاما أصاب عينيه وهو رضيع ، رشاشُ سمن يغلى وتعلم فى مدرسة عميان بطريقة برايل ، وعاش عيشة موفقة بعض التوفيق . ثم قرأت أمه عن ترقيع القرنية وعن مصرف العيون ، فذهبت به إلى أحد مستشفيات العيون .

وقد قالت أمه : « إنه اليوم رجل سعيد . ومرجع الفضل لعينى رجل مجهول من الواهبين ، ووددت لو يرى هذا المنعم المجهول ابنى وهو يسوق سيارة حمولتها عشرة أطنان فى شوارع نيويورك المزدحمة ! »

وهذه فتاة دفعتها الوطنية إلى ترك وظيفتها ، لتعمل فى مصنع حربى ، حيث عميت كلتا عينيها فى حادث ، فكتبت أختها تقول : لقد قرأنا عن ترقيع القرنية ، فكدنا لا نصدق ، ولكن الجراحة أجريت لها ، والفضل لمصرف العيون ، فقد أصبح فى استطاعتها اليوم أن تعود إلى عملها الأول إذا شاءت ، ولكنها انصرفت عنه . وسوف تتزوج من أحد الجنود العائدين .

وقد وقع حديثاً على عاتق طبيب فى قسم الولادة بأحد مستشفيات نيويورك أن يحمل النبأ المحزن لأب شاب ، وهو أن وليده لم يعش إلا ساعة أو بعض ساعة ، فواساه ما استطاع ، وكان على أن يتركه لولا أن استوقفه الوالد الشاب وسأله :

« لقد قرأت الساعة يا دكتور أن العيون البشرية لازمة لترقيع القرنية ، فهل يمكن أن تستعمل عيون ولدى فى ردّ البصر إلى أحد من الناس ؟ »

ووقع الأب الشاب الأوراق المطلوبة ، وأسرع رجال الصليب الأحمر بسيارتهم إلى المستشفى ، فأخذت عينا الوليد المتوفى ووُضعتا فى سائل معقم فى إناء مختوم ، وحملتا إلى مصرف العيون . وفى اليوم التالى نقل الصليب الأحمر كل عين منهما إلى مستشفى ، فردت رقعة من أولاهما البصر إلى عامل يعول أسرة كبيرة ، وقد عمى فى حادث وقع له فى المصنع منذ بضعة شهور ، وأعادت الثانية البصر إلى أم شابة أعماها انفجار موقد فى المطبخ . فكذلك سعد شخصان اثنان بفطنة أب شاب ، وبهبة غير مقصودة من طفل وليد لم يتمتع بالحياة سوى ساعة أو بعض ساعة .

ولربما جاء العون من الكبار إلى الصغار ، فقد أصيب كهل فى الخمسين من عمره حديثاً بحادث اقتضى استئصال إحدى عينيه ، وشاءت المقادير أن تسلم من الأذى قرنية العين المستأصلة ، فردّت رقعة منها البصر على رضيع لم يَحُلْ عليه الحوْل ، وكان مقدوراً عليه أن يقضى حياته فى ظلام دامس .

ولقد ألف مصرف العيون بين قلبين متحابين ، يوم أصيبت طالبة فاتنة من طالبات التمريض بسَبَل فى العين ، وهو مرض تتكاثف فيه القرنية تكاثفاً يفضى إلى العمى ، فذهبت إلى نيويورك لترى أتصلح جراحة ترقيع القرنية فى مثل حالتها ؟ فكانت صالحة ، فلما برئت صارت ممرضة عند الطبيب الذى رد إليها البصر .

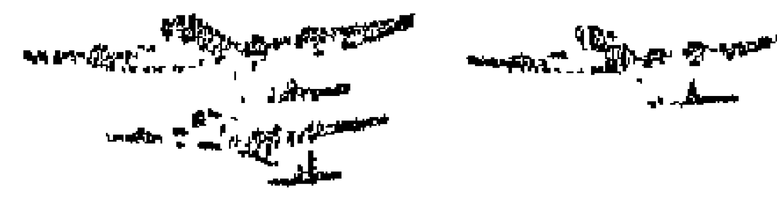
ثم وفد على نيويورك طبيب كندى شاب يبتغى ترقيع قرنيته ، وكان مرضه شبيهاً بمرض هذه الممرضة ، ولعل ذلك هو الذى جعلها تعنى بالطبيب الشاب وتمرضه مخلصة متفانية . أو لعله سبب آخر ، فقد تزوجا فى الصيف الماضى ، وهما اليوم فى كندا ؛ حيث يحاول الطبيب الشاب أن يقيم من بناء حياته ما قوّضته كوارث الأيام .

إن أمثال هذه القصص سوف تصبح شيئاً مألوفاً بعد أن استحال مصرف العيون بنيويورك من مؤسسة محلية إلى مؤسسة قومية . ويتألف مجلس إدارة هذا المصرف من كبار أطباء العيون وعظماء القوم . ويجدّ المصرف اليوم فى توسيع نطاق خدماته للمستشفيات ، ولكن مجلس إدارته لا ينى يعمل فى تيسير سبل الدراسة ، لتخريج عدد كبير من الأطباء القادرين على ترقيع القرنية . وهذه الجراحة وإن لم تكن خطرة إلا أنها

من الدقة بمكان . وليس بين أطباء الولايات المتحدة جميعا ، أكثر من ٢٠ طبيبا لديهم ما يؤهلهم لإجرائها .

وترمى هذه المؤسسة إلى غرض آخر ، هو تشجيع البحث عن خير طريقة لحفظ نسيج القرنية أمداً طويلا ، إذ ليس فى الإمكان اليوم أن تحفظ العيون الموهوبة أكثر من بضعة أيام .

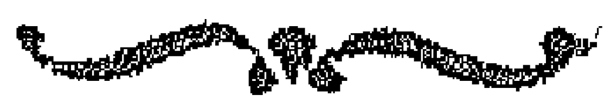
إن أولئك الأجواد الذين يهبون أعينهم للمصرف بعد الوفاة لكى يستعان بها فى جراحات رد البصر ، إنما يهبون السعادة والنورلبيوت لا يدركها الإحصاء . والمرء إذا مات خلف للناس أشياء قليلٌ منها ما ينفع الأحياء كما تنفعهم عيناه .



استأجر صاحب مزرعة عاملا ليعينه فى تقطيع الخشب . وذهب فى الظهيرة ايراه ، فدهش حين رأى الخشب كله قد قطع . فعهد إليه فى اليوم التالى أن يرص الخشب فى الحظيرة ، ظاناً أن ذلك يشغله طول النهار . فما وافى الظهرّ حتى كان العامل قد أنجز العمل .

وفى اليوم الثالث رأى صاحب المزرعة أن يعهد إليه بعمل خفيف ، فطلب منه أن يفرز كوماً من البطاطس . قال : « ضع الجيد منها فى كومة ، والتى بين بين فى كومة ثانية ، وانبذ الفاسد » وعاد إليه بعد ساعة أو نحوها ، فوجده مغمى عليه ولم ينجز من العمل إلا أيسره . فرش الماء على وجهه حتى أفاق ثم سأله : « ماذا حدث ؟ » .

فقال العامل : « كاد والله بتّ الرأى فى التميز بينهما يقتلنى » .



علق صاحب دكان يبيع أدوات صيد السمك ، لوحاً على باب دكانه كتب عليه : « طعم للسمك » ولاحظ أحد زبائنه الخطأ فسأله : « ألم ينبهك أحد إلى هذا الخطأ » . فقال التاجر : « نعم،فقد دخل علىّ كثيرون لينبهونى ، فلم يخرج منهم أحد إلا وقد ابتاع شيئاً » .

[سام هولت فى صحيفة البيع « الحديث بالتجزئة »]

سباق عنيف بين علماء التغذية ، لإعداد أطعمة أوفر قدراً وغذاء

كل الطعام الذي يصلح للأكل

جيمز رورتي و فيليب نورمان

مختصرة من مجلة "هاربرز"

على الرغم مما لحق العالم اليوم من نقص في مواد الطعام ، ينتظر أن تتوفر هذه المواد توفراً عجيباً خلال خمس سنوات . فالخبراء متفقون على أن المنتجات الزراعية سوف تفيض عن الحاجة في سنة ١٩٥٠ ، وأن الزيادة ستتضخم بما يتم من تقدم عظيم في كل فرع من فروع العلم والصناعة التي لها صلة بالطعام . ولربة البيت أن تتوقع جهاداً عظيما يتولاه علماء التغذية ، والذين يربون النبات ويجففون الطعام ويعبئونه ، ويصنعون الأجهزة للتبريد والتجميد السريع ، وشركات نقل الطعام بالطائرات .

وقد أخذت البيوتات التي توزع الطعام بالبريد ، تظفر منذ الآن بأثمان عالية لدقيق يطحن من حبوب القمح الذي يزرع في أرض بولاية تكساس تكثر المعادن في تربتها ، فهناك لا تصاب أسنان السكان بالتوادح (سوس الأسنان) — وإن كان من المحتمل أن مرد ذلك إلى كثرة عنصر الفلور في مياه الشرب . وقد عمد صغار المتعهدين إلى إعداد منتجات حدائقهم التي تكثر فيها المعادن ، ثم بيعها . وعمد غيرهم إلى بيع خضرهم وفاكهتهم وحبوبهم التي تنتجها مزارعهم التي سمدت بخليط من الأسمدة — وهو عمل بلغ شأواً بعيداً في أوربا قبل نشوب الحرب .

ويشير معمل بحث النبات والتربة والغذاء في جامعة كورنيل ، إلى أن طائفة من المناطق الرئيسية التي تنتج الخضر والفاكهة في شرق أمريكا وترسلها إلى المدن ، يعوز تربتها كثير من المعادن التي لا غنى عنها ، فمن أجل ذلك كان من المشكوك فيه أن يكون في هذه الأطعمة « الواقية من المرض » مقدار كاف من الغذاء الصالح . وقد كشف هذا المعمل أيضاً أن الطماطم التي تزرع شتاء في بيوت من زجاج ، ليس فيها من فيتامين ج إلا نصف

ما فى نفس الطماطم إذا ما زرعت صيفاً فى العراء . وبعض أصناف الطماطم فيه من فيتامين ج ضعفا ما فى أصناف أخرى . والفيتامين تختلف مقاديره فى طائفة من الخضر والفواكه اختلافاً أكبر مما تقدم ، فثمة صنف من التفاح فيه من فيتامين ج خمسة أضعاف ما فى صنف آخر . فإذا ماثبت أمر هذا الاختلاف كان فى الوسع تحسين طعام الأمة عند مصدره ، بحصر الجهد فى إنتاج الضروب التى يكثر فيها الفيتامين ، وزرعها فى الأقاليم الملائمة لها ، وفى التربة التى جعلتها الطبيعة خصبة، أو أصارت كذلك بالتسميد المحكم . وقد أثبت الرجال الذين توفروا على تربية النبات ، أنه من السهل أن تنمى فى النبات خاصة الفيتامين الكثير، كما تنمى فيه خاصة الإنتاج الوافر أو المقاومة للمرض . والحق أن علماء التغذية يرون أن تحسين الغذاء ، هو فى المقام الأول عمل يضطلع به كيميائى التربة ، ومربى النبات والفلاح، لا عمل الرجل الذى يصنع الفيتامين بالتركيب الكيميائى .

والقمح هو المثل . فالقمح الشائع فى الغرب الأمريكى ، هو صنف مقاوم لمرض الصدأ الذى يعرف باسم « ماركى »، ولكن هناك ضربان آخران من القمح الذى يقاوم الصدأ ، فيهما من فيتامين ب أكثر مما فى الأول بنحو ٢٥ فى المئة . ثم إن مقدار البروتين فى القمح ، يزداد ازدياداً مطرداً فى ولاية تكساس وفقاً لسمك الطبقة الجيرية تحت التربة ، ولقربها من سطح التربة . وإذن فلنا أن نتوقع تحسينا فى أفضل أصناف القمح المعروفة ، وحصر زراعته فى أفضل المناطق التى تلائمها .

ولنا أن نتطلع أيضا إلى اتساع عظيم فى أساليب تبريد الطعام على أنواعها ، فيفضى ذلك إلى تحسين كبير فى عاداتنا فى الطعام ، ويغنى ربات البيوت فى الريف والمدن عن كثير مما يرهقهن . أما الأجهزة التى ستحقق هذا الغرض ، فهى ثلاجات التجميد السريع ، والثلاجات المركزية ، وخزانتان للتبريد تحت الصفر ، إحداهما كبيرة للمزرعة فى الريف ، والأخرى صغيرة للمنزل فى المدينة.

أما صناعة التجميد السريع فقد تضاعفت خلال الحرب ، وبها تجمد الأطعمة وتخزن، ثم ينفض عنها الجمد وتسخن ، فيكون مذاقها كأنما طبخت لساعتها (*) . وقد مضى البحث والتقدم الصناعى قدما ، فتبين القائمون على هذه الصناعة أفضل الطرق لمعالجة كل طعام تقريباً ، من نبات وحيوان.

وعسى أن تصبح ثلاجات التجميد

(*) « ألوان الطعام فى الغد » ، المختار مايو ١٩٤٤ ص ٦٧

السريع شائعة فى آخر الأمر كشيوع الثلاجات الكهربائية المألوفة والأفران الكهربائية .

وأما أصحاب الثلاجات المركزية ، ومخازن الطعام المجمد بالتبريد السريع ، فينوون أن يوزعوا الطعام المجمد على المستهلك مرة فى الأسبوع .. فتستطيع ربة البيت أن تحتفظ بثلاجتها ملآنة بالطعام المجمد . وقد يتناهى الرأى ببعضهم فيزعم أن الجزار سوف ينقرض ، وأن اللحم سيسلم لمن يطلبه قطعاً مجمدة ملفوفة .

وأما ربة المنزل فى مزرعة بالريف ، فيكون لها فى منزلها خزانة تبريد درجتها تحت الصفر ، وخزانة خاصة بها فى أقرب ثلاجة مركزية إليها ، فتحفظ فيهما ما يغنيها عن مشقة إعداد المأكولات لكى تحفظ فى العلب ، ومشقة تمليح اللحوم ، ويوفر طعاماً طازجاً كان خليقاً أن يفسد لو لم يجمد.

ويسأل بعضهم : أيكون الكساد هو مآل بيع الخضر الغضة فى غير موسمها ، إذا ما انتشرت أساليب التبريد ؟ وخير جواب عن هذا السؤال هو قول كبار المزارعين الذين ينقلون منتجاتهم بالطائرات . فثمار الشليك التى تجنى فى تكساس عصر الاثنين تباع فى شيكاغو صباح الثلاثاء وتكون ثماراً تامة النضج . وقد جرت العادة من قبل ، أن تجنى الفواكه والخضر وهى لا تزال خضراء حتى لا تفسد فى أثناء النقل البطىء ، فالمسافة بين تكساس وشيكاغو تستغرق ثلاثة أيام فى القطار ، ولا تستغرق إلا ساعات فى الطائرة .

وقد مضى قرن والرجال المتوفرون على تربية النبات يجهدون فى تربية فواكه وخضر تستطيع أن تحتمل النقل مسافة طويلة . وقد انصرفوا عن إنتاج الأصناف الغضة التى يسرع فيها العطب . ولكن النقل بالطائرة سيقلب هذا الاتجاه ، ويضيف إلى طعامك أصنافاً تنقلها الطائرات إليك من أقالم أخرى .

أما تجفيف الطعام فقد اتسع نطاقه فى أثناء الحرب ، ولكن الجنود لم يقبلوا على الطعام المجفف . وأصحاب هذه الصناعة لم يظفروا بعد بحل مشكلاتهم الأساسية ، وهى الاحتفاظ بالفيتامينات والرائحة الطيبة فيما يحفظونه . ولكنهم أرصدوا مالا وفيراً للبحث ، وأخذوا يسيرون قدما نحو حل مشكلة واحدة : كيف يحتفظون بفيتامين ج فى الطعام المجفف ؟

وفيتامين ج يعزز قدرة الجسم على مقاومة المرض ، فلذلك يرى فريق كبير من علماء التغذية أن الناس يجنون فائدة عظيمة إذا زادوا ما يتناولونه منه . ولكن الفواكه والخضر الطازجة ، مصادر غير رخيصة لهذا

الفيتامين ، ومعظم أساليب تحضيرها للحفظ يهلك ما فيها من الفيتامين . وقد ظفر رجال التجفيف بحفظه عليها فيما أجروه من تجارب، وقد أقبلوا الآن على تجربة تحضيرها بالصناعة. وفي الوسع استعمال هذه الطريقة لتجفيف جميع ضروب عصارات الخضر والفواكه ، ومنها عصير قصب السكر، التي تحوي في حالتها الطبيعية كثيراً من الفيتامينات والمعادن . وقد ذقنا السكر الجديد ، فوجدناه يضاهي السكر المعتاد . وأبعث من هذا على العجب أن المهندسين يصرون على أن تحضيره سيكون أرخص من تحضير السكر الشائع الآن ، والذي يخلو من الفيتامين .

ولما قل بروتين الحيوان في الحرب ، بحث الباحثون عن مورد جديد لهذا العنصر المهم في الطعام . وأحد هذه الموارد هو بذور زهرة عباد الشمس التي يعتمد عليها الروس منذ زمن بعيد ، ففيها ٥٢ في المئة من بروتين صالح لاستعمال البشر ، على حين لا يزيد البروتين في حب فول الصويا على ٤٠ في المئة . ونبات عباد الشمس سريع النمو شديد التكاثف في أنواع كثيرة من التربة ، وقد اخترعت منذ عهد قريب آلة لحصده تفوق حصّادة الذرة .

ومن أعظم المكتشفات الحديثة شأناً ، ما يتعلق بسمك من نوع الرنجة ، لذيذ الطعم ولكنه كثير الشوك ، فكان من السمك المنبوذ . وقد كشفت طريقة في سنة ١٩٤٣ لإذابة شوكه بطبخه مدة طويلة تحت ضغط شديد، ثم أضيفت إليه قليّة الطماطم (صلصة) وعبىء في علب . والرجاء معقود على أن يكون رخيصاً وأن يعم الإقبال عليه .

والمعلنون يحثوننا على أن نبتاع أقراص الخميرة الغالية ، ولكن إذا ظفرنا باستنقاذها من بقايا مصانع الجعة ، وجففناها ونزعنا ما فيها من مذاق مر ، قل ثمنها قلة كبيرة . والخميرة ليست أرخص مصدر نعرفه لفيتامين ب وحسب ، بل هي أيضاً أرخص بروتين كامل . والحصول على خير بروتين نباتي كبروتين فول الصويا والفول السوداني وبذور عباد الشمس ، يستغرق أشهراً من رعاية النبات ، أما تربية البقر فتستغرق سنوات .

وليس طعم الخميرة عقبة كأداء ، فقد أجريت تجارب في دار الصنعة في بروكلين ، ثبت منها أنه إذا أضيف قدر مناسب من خميرة الطعام إلى بعض ضروب الطعام ، زاد مقدار ما يتناوله العمال من فيتامين وبروتين وهم لا يعلمون .

وقد يكون ذوق الناس أو مصاعب العمل عقبة تعوق السير بهذه التطورات النافعة إلى غايتها . ولكن احتمال الظفر بطعام وافر طيب ، من خير ما يبعث على رضى ربة البيت .

كان مكتبه الأول جذع شجرة من الصنوبر ، ورأس ماله الأول ٤٠ قرشاً .
أما اليوم فمدرسته قائمة على ١٧٠٠ فدان وقيمتها ربع مليون ريال .



أستاذ غاب الصنوبر

نلسون أنتريم كروفورد
مختصرة من مجلة " ذى روتيريان "

دلف صبي زنجي وثيق التركيب في الثالثة عشرة من عمره ، إلى منصة الأستاذ وألقى عليها بكيس من الخيش ، فرفع الأستاذ الزنجي القصير ناظره إليه من وراء المنصة وسأله متبسما : « ما وراءك يا بني ؟ »

فأجابه الصبي : « بطاطا — وهي كل ما أملك . إن أبي يقول : ينبغي أن لا أحضر الدروس إلا إذا دفعت لك مالا ، ولكن القسيس يقول إنك تقبلني بلا مال ، وسأبذل قصارى جهدي لأتعلم » وجعل يلوي أصابع قدميه الحافيتين من شاك ألم يخامره .

فقال المعلم : « لا ريب سأقبلك . فإني لا أرد أحداً قط عن مدرسة غابة الصنوبر من أجل أنه لا يملك مالا » .

وهذا الصبي الذي بلغ اليوم مبلغ الرجال هو ر . ب . ماجي رئيس قسم الأعمال اليدوية في مدرسة مسيسبي الثانوية للزنوج ويقول ماجي : « لولا أستاذ غاب الصنوبر لكنت اليوم عاملا جاهلا في مزرعه ، وبقي كثير ممن علمتهم جهلة مثلي . لقد علمني كيف أعمل ، وأعظم من ذلك أنه أوحى إلي بأن أساعد الناس على أن يعملوا . »

وهذا الأستاذ هو لورنس كلفتون جونز ، وهو زنجي من الجنوب تعلم في ولاية في الشمال ، فأعرض عن الأعمال الرابحة أو العيشة الرغدة ، ليتيح لأبناء جنسه أن يتعلموا علماً نافعاً في أشد البقاع تأخراً . ففي سنة ١٩٠٩ أسس مدرسة غاب الصنوبر الريفية بالقرب من جاكسون بولاية مسيسبي ، وكان قوامها : جذع شجرة صنوبر ، وثلاثة من التلامذة الأميين ، وأربعين قرشاً .

وللمدرسة اليوم مبان بلغت قيمتها ٢٥٠,٠٠٠ ريال في مساحة قدرها ١٧٠٠ فدان من الأرض الجيدة ، وعدد تلاميذها ٤٤٠ تلميذاً تتفاوت أعمارهم ما بين السادسة إلى الأربعين ، وقد وفدوا عليها من ١٥ ولاية

مختلفة، وجاءها أحدهم من بلد أجنبي . ولقد درّبت آلافاً من الميكانيكيين والزراع ومدبرات المنازل ومئات من المدرسين المقتدرين ، فتفرقوا في نواحي الريف . وعلاوة على ذلك ، نشرت بين الزنوج الذين يعيشون على أميال منها ، طرائق الزراعة الصحيحة والمعيشة المنزلية الصحية ، والدين القويم ، والإرشاد الاجتماعي .

كان لورنس جونز الزنجي الوحيد في فصله بجامعة أيوا ، وكان حبيباً إلى الأساتذة والطلبة لمواهبه الموسيقية والتمثيلية ، وبراعته العلمية وأخلاقه الكريمة . ولما تخرج في سنة ١٩٠٧ عرض عليه صاحب الفندق الذي كان يعمل فيه بالليل كاتباً ، أن يؤسس له عملا . كما عرض عليه آباء زملائه من الطلبة الأثرياء وظائف عدة ، وأراد أحدهم أن يزوّده بمال حتى ينشىء لنفسه عملا في التمثيل والموسيقى .

بيد أن الفتى كان قد حزم أمره : « أريد أن أصنع شيئاً لأبناء جلدتي » .

وولى وجهه شطر أقصى الجنوب ، ولم يكن قد نزله قط ، واشتغل عاملا في الحقول وراعيا للماشية وحمّالا . ووجد في قلب غابات الصنوبر ، التي تقع على مسيرة ٢٥ ميلا من مدينة جاكسون ، مئات من الزنوج يفلحون الأرض مقابل نصيب من محصول القطن ، ويرعون الخنازير ، ويفرطون في شرب المِزْر (نبيذ الذرة) ، وكان ٨٠ في المئة منهم أميين .

ففي هذه البقعة بدأ جونز يعلم الزنوج ، وكان تلاميذه ثلاثة من الصغار الأميين ، وكان يكسب معاشه من جني القطن والبسلة وحصد الدريس . فلما حاول أن يستميل الزنوج في تلك البقعة إلى التعليم ، لم يلق منهم سوى الريبة وإساءة فهم ما يريد . فقد كانوا يأبون أن يتعلموا ، ولا سيما من رجل « غريب » عنهم . على أنه لم تمض ثلاثة شهور حتى تبين على تلاميذه أثر ما اكتسبوه من معرفة ، فزاد عددهم وبلغ ٢٩ طالباً ، ومنحه أحد أثرياء الزنوج في الناحية كوخا متداعياً وأربعين فدانا من الأرض الفضاء ، ورمم جونز وتلاميذه الكوخ واتخذوه مدرسة وسكنا له . وخصص له مجلس تعليم الناحية ١٨ ريالا في كل شهر .

ولما اتسع نطاق المدرسة احتاجوا إلى بناء آخر ، فتقدم جونز إلى رجل ثرى من البيض يملك مصنع خشب وقص عليه قصته ، فاستمع لها وقال : « كنت أقول إنه من الجنون المطبق أن يجهد إنسان في تعليم هؤلاء الزنوج ، ولكني أرى فيك أيها الشاب جرأة وإقداما ، وفكرتك فكرة عملية ، وسأعطيك ١٠٫٠٠٠ قدم من الخشب

وتستطيع أن تأخذ بعد ذلك ما تريد على الحساب » .

وتبرع آخرون من البيض ، وجاء الزنوج بالزهيد الذى يملكون . وأقام جونز وتلاميذه بناء كبيراً ، وزاد عدد تلاميذه إلى ٨٥ . وزرعت الأربعون فدانا ذرة وخضراً وفواكه ، وأهدى أحد الزراع البيض للمدرسة بعض الماشية ، وأقام الأستاذ وتلاميذه سوراً يمنعها من الشرود .

وسرعان ما أخذ جونز فى تخصيص دروس الحساب لتقدير ربح المحاصيل الجيدة والماشية التى يعتنى بتربيتها ، وتخصيص دروس الإنشاء لمعالجة أساليب الزراعة الصحيحة .

وذات يوم جاءه فجأة شقيقان كانا من أعضاء نادى الكلية حيث كان جونز يعمل نُدُلا . ويقول جونز فى هذا الصدد : «أجمعت أمرى على أن أطلب منهما مئة ريال ، ولكن قبل أن أهم بالكلام قال أحدهما : إن لنا ٨٠٠ فدان بالقرب من مدرستك ، فإذا كنت فى حاجة إلى هذه الأرض فهى لك » .

وأهدت أسرة من الناحية إلى المدرسة قطيعا من ماشية حلوب من سلالة خالصة ، كما أهدى تاجر ولع بزراعة الفاكهة ٥٠٠ شجرة من أشجارها . وجعلت الهدايا تتوالى كل يوم : من ملابس للتلاميذ إلى فرش للأسرّة وأثاث قديم ومحاريث .

وجاءتهم النقود أيضاً ولكن شيئاً بعد شىء . ونظم جونز فرقة من المغنين من بين التلاميذ ، وصنع حافلة كبيرة على هيكل سيارة قديم ، وجعل يخرج بهم إلى الريف ويحيى حفلات غنائية . وحلت فرقته يوما بمارشالتون بولاية أيوا حيث نشأ ، فشمل نادى الروتارى الحفلة برعايته ، وربح للمدرسة ١٠٠٠ ريال ربحاً صافيا . وكتب جونز أغنية جمع بها من المال ما يكفى لتعليم ٤٠ ولداً وبنتاً من الفقراء . وكان يلقى المحاضرات وينظم فرق الألعاب الرياضية ، ومنها فرقة الكرة الأمريكية التى جنت مالا كثيراً لمدرسة غابة الصنوبر بألعابها فى جهات كثيرة .

وللمدرسة اليوم علاوة على المزرعة الجميلة التى تغل ٦٠ فى المئة من الطعام الذى يستهلكه الطلبة — خمسة مبان عظيمة من الآجرّ ، وعشرون منشأة من الخشب . وقد صنع التلاميذ الآجر ، وقطعوا الخشب الذى أقاموا به تلك المبانى والمنشآت .

وكان شعار جونز منذ أول أمره هو : علم الأولاد والبنات كيف يعملون بأيديهم ، حتى يستطيعوا أن يكسبوا معاشهم من صنعة من الصناعات . وعلمهم العلوم المدرسية ليستبينوا قيمة الثقافة ويستطيعوا مسايرتها . ودربهم على الخلق والدين القويم بدل

المخاوف والخرافات . وفى المدرسة اليوم ٣٠ مدرسا معظمهم من الزنوج يتولون تعليم الطلبة تعلما عالياً فى فروع الزراعة ، والنجارة ، والسباكة ، وتركيب الآلات ، وميكانيكا السيارات ، والطباعة ، والبناء ، والطهى ، والخياطة ، والغسيل ، ومسك الدفاتر ، والاختزال ، والكتابة على الآلة الكاتبة . وعلى كل تلميذ أن يتعلم صنعتين ، حتى إذا قل العمل فى إحداهما استطاع أن يتحول إلى الأخرى .

وتلاميذه يتعاونون بمزاولة العمل ، فيحلبون ٥٠ بقرة كل يوم ، ويتدربون على طرق الزراعة الحديثة ، ويقومون بتجارب فى زراعة شجر زيت التنج ونبات الكودزو ، ويجنون من حدائق المدرسة ١٥٠٠ قنطار من الفاكهة والخضر فى السنة ، وتقوم البنات بتحضير قوائم الأكل والطهى وتقديم الطعام .

ويصدر طلبة الطباعة صحيفتين : إحداهما للطلبة ، والأخرى لتوزيعها على أصدقاء المدرسة ، وتطبعان على مطبعة أهداها إلى المدرسة ناشر جريدة « براندون نيوز » . وليس ثمة فى المدرسة قطعة من الآلات يعجز طلبة الميكانيكا عن إصلاحها ، ويستطيع طلبة مدرسة غاب الصنوبر أن يسقفوا بناء ، أو يصنعوا صماما ، أو يلحموا قضيباً مكسوراً من حديد ، أو يصنعوا خزانة للمطبخ .

وفى هذه المدرسة تعلمت زنجية كفيفة كانت تستجدى ، صناعة كراسى الخيزران . ونسج على منوالها غيرها من الأطفال الذين كف بصرهم . ودرّس أحد المدرسين طريقة برايل للعميان . وفى المدرسة الآن ٣٦ طالبا كفيفا ، وكل من تخرج من المدرسة من العميان ولداً كان أو بنتا ، يجد عملا يقيم أوده .

ويدرب ذوو العاهات من الأطفال فى المدرسة أيضا ، فقد أصبحت فتاة أقعدها شلل الأطفال ، خياطة ماهرة . وأصبح فتى مقطوع الرجلين مراقب تلفونات بمصنع كبير .

وحفلات التخرج فى مدرسة غاب الصنوبر لا تماثلها حفلات التخرج فى أية مدرسة أخرى فى أمريكا . ولقد تحدث مائتون وذرسي المتخرج بدرجة الشرف سنة ١٩٤٥ ثلاث دقائق عن الفرص المتاحة للزنوج ، ثم نزع قلنسوته ولباسه الجامعى ، ووقف فى ملابس العمل وصاح : « هاتوا البقرة » ، فجاء صبيان من الزنوج ببقرة صغيرة ووضعاها على المائدة فقال . « سأعرض عليكم كيف ألقحها ضد الطاعون » وبدأ يشرح وفى يده الحقنة ، ثم غرس إبرتها بمهارة فائقة فى جلد البقرة فلم يندّ عنها صوت .

وتلته لينورا كولنز وغسلت وكوت مئزراً يعجز عن كيه المتخصصون. وعبأت أخرى خضراً بطريقة حديثة، وعرضت جماعة من البنات مفارش وفوطا لمائدة الغذاء مصنوعة من أكياس الدقيق، وملاءات بيضاً مصنوعة من أكياس العلف. وعرض كل واحد من المتخرجين، وكانت عدتهم سبعة وعشرين، شيئاً يمكن استخدامه لتحسين حياة أهالي الناحية من الزنوج.

ولم تحد مدرسة غاب الصنوبر عن شعارها الأول، وهو تعليم الفقراء من الأطفال ونفقة الدراسة للقادرين هي ٢٠ ريالا في الشهر، تشمل الأكل والسكنى. ويدفع أغلب الطلبة ما يكون في وسعهم دفعه، ويعملون في المدرسة بالباقي.

وقد كان من أثر المحاضرات العامة التي تتولاها المدرسة، ويحضرها ١٥٫٠٠٠ من الزنوج في السنة، ومن أثر نشاط الخريجين، أن أصبح ثلاثة أرباع الزراع الزنوج في مقاطعتين متجاورتين، يملكون أرضاً، وكانت نسبتهم قبل إنشاء المدرسة لا تزيد على خمسة في المئة. وأصبحت عشرون فتاة من المتخرجات في الاقتصاد المنزلي، مدبرات منازل في أسر غنية تتقاضى إحداهن من ٧٥ إلى ١٧٥ ريالا في الشهر. واشتغل غيرهن بالتعليم في ٢٦ ولاية.

وافتتحت جورجي مايرز، وهي إحدى المتخرجات الأول، مدرسة ريفية في غرفة واحدة وأخذت هي وتلميذاتها يقمن حفلات، ويصنعن الحلوى ويبعنها، ويجمعن حبوب البسلة، ويسألن الناس أن يتبرعوا لهن، حتى استطعن أن يبنين مدرسة ذات ثلاث غرف بلغت تكاليفها ٢٥٠٠ ريال. وكررت هذه التجربة الناجحة في جهتين أخريين. ولما علمت مجالس المقاطعات بما تبذل من جهد، أرصدت لها من الأموال ما يكفي للقيام بنفقات هذه المدارس.

ومنهن فتاة تخرجت في جامعة شيكاغو أيضاً، وظلت ثمانية أعوام مشرفة على ثلاث مدارس ثانوية للزنوج، و ٤٦ مدرسة ابتدائية في مقاطعة سكوت بولاية مسيسبي.

فلا عجب أن نالت مدرسة غاب الصنوبر ثقة البيض والزنوج وعونهم على السواء، ولا عجب أيضاً أن يوصف لورنس كلفتون جونز بأنه: «أحد أقطاب الناس في مسيسبي» كما وصفه مراقب التعليم العام في الولاية.

ولقد سألت الأستاذ كلفتون: كيف استطاع أن يثابر ويصبر في السنين الأولى الطويلة من كفاحه، فابتسم وقال:

« توكلت على الله داعياً لا أفتر، واعتمدت على نفسي عاملا لا أكل. ومن فعل ذلك لم يجد اليأس إلى نفسه سبيلا ».

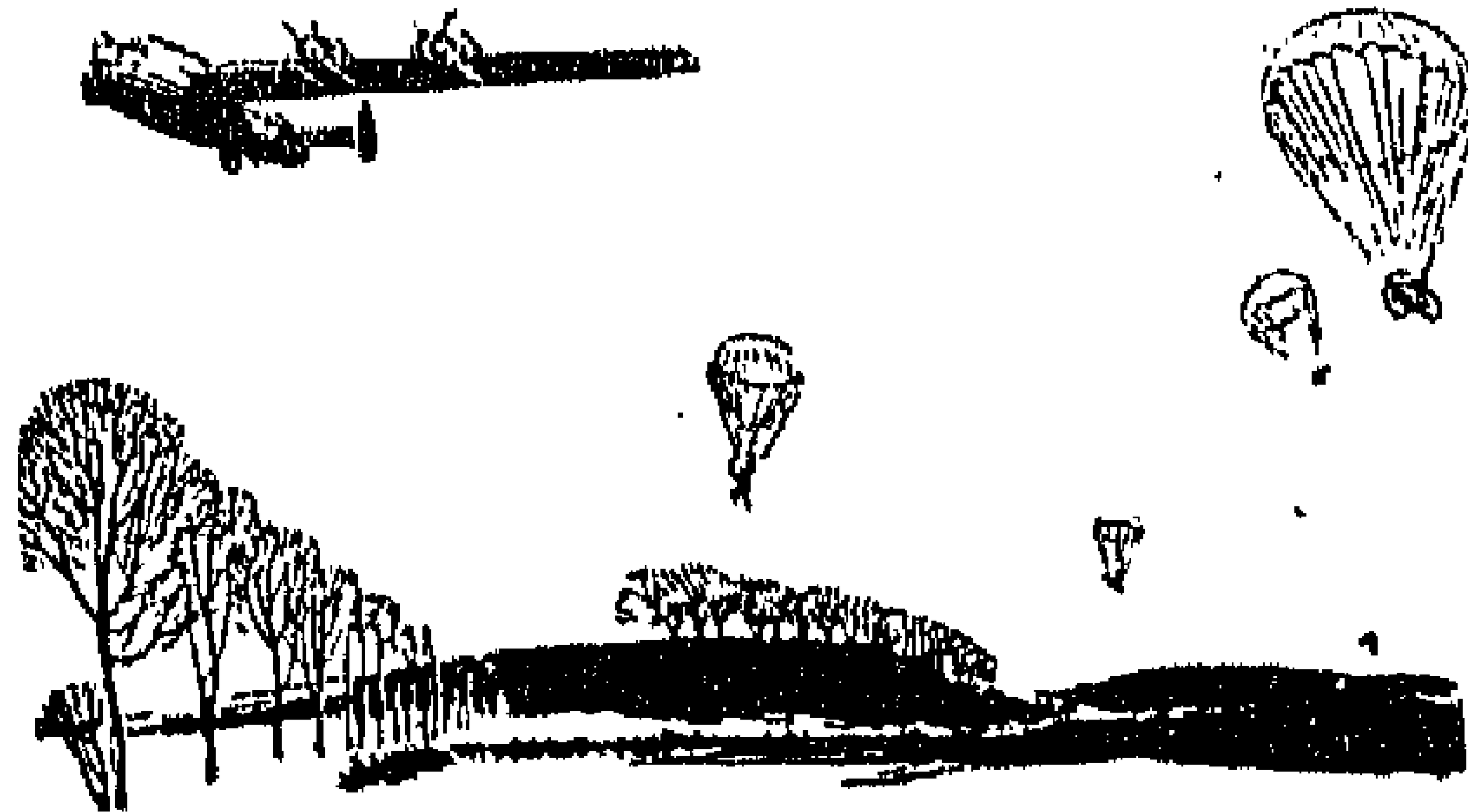
حقائق لم تنشر حتى الآن عن أسراب الطائرات التي كانت تنقل الجواسيس وتلقى المؤن لرجال المقاومة فى فرنسا .



شياطين الجوّ

آلن ميكى

مختصرة من مجلة "سكاى ويز"



كان المستمعون إلى إذاعات راديو لندن الموجهة إلى أوربا المحتلة ، فى خلال الأشهر الطويلة التى سبقت نصر الحلفاء فى أوربا ، يدهشهم أن يسمعوا المذيع يقول : « فى جيب العم جان شلنان » . أو : « قولوا لمارى أن تلبس حذاء المطر » ، أو ما أشبه ذلك من أقوال، ظاهرها هراء وباطنها موجه إلى أحد عمال راديو المقاومة السرية فى فرنسا ، لتنبهه إلى أن طائرة ستحلق فوق أحد مطارات المقاومة فى تلك الليلة ، لتلقى أسلحة وعتاداً ، أو لتنزل بعض عمال التخريب .

إن كثيراً من المتاعب التى كان هتلر يعانيها فى أوربا المحتلة كان مردّها إلى قوة جوية إنجليزية أمريكية تعمل فى الخفاء . وكان فى بلدة تمبسفورد ، بمقاطعة بدفورد شير فى إنجلترا، شارع قد علق فى أوله هذا الإعلان: « المرور ممنوع » . وكان أهل البلدة يعلمون أن ذلك الشارع يؤدى إلى أحد المطارات ، أما رجال الطيران الذين كانوا يترددون على حانة البلدة فقد أنذروا بالمحاكمة فى مجلس عسكرى، إذا تحدثوا عن أعمالهم. وكان على مسافة بضعة أميال من ذلك المكان قرية تدعى هرنجتون فيها نحو ٣٠٠٠ جندى أمريكى من سلاح الطيران، يعملون فى مطار سرى آخر ، ولم يكن أحد يعلم ما يجرى فيه حتى ضباط الإدارة وعمال المطار . ولما تساءلوا : «لم دهنت طائرات الليبريتور باللون الأسود ؟ » قيل لهم : « لكشف طريق القاذفات فى الليل » .

ومن هذين المطارين كان سربان إنجليزيان وجماعة القاذفات الأمريكية ٤٩٢ تنقل السلاح والذخائر وآلات الراديو والطعام ومعدات التدمير ، وألوفا من حمام

الزواجل ، وتلقى بها إلى عمال المقاومة الخفية في أوربا . فكانت تلقى للنرويجيين مثلا أدوات الانزلاق على الجليد ومركبات خفيفة تجرى على الجمد . وتلقى لرجال المقاومة الخفية في فرنسا سيارات « جيب » وبنادق « البازوكا » ومدافع الهاون ، والدراجات وإطارات المطاط ، وكانت جميعها مصنوعة في إنجلترا، ولكنها موسومة بعلامات تجارية فرنسية . وقد نقل هؤلاء الطيارون مئات من جواسيس الحلفاء والعمال السريين ورجال التدمير وزعماء المقاومة إلى بلاد أوربا ، أو أخرجوهم منها بين سمع رجال الجستابو وبصرهم

أما الجماعة الأمريكية فقد ألقت ، منذ إنشائها في شهر يناير سنة ١٩٤٤ إلى نهاية الحرب في أوربا ، ما زنته ٤٥٠٠ طن من العتاد ، وأنزلت في فرنسا وبلجيكا وهولندا والدنمرك ، مئات من الجواسيس . وقد شرع السربان الإنجليزيان في العمل من مطار تمبسفورد في شهر فبراير سنة ١٩٤٢ ، فألقيا مختلف المواد والعتاد في تسعة عشر قطراً ، تمتد من المحيط المتجمد الشمالي إلى إفريقية .

وقبل يوم الغزو وبعده بقليل ، أنزلت هذه الأسراب السرية في فرنسا طوائف من الضباط الإنجليز والأمريكيين والفرنسيين الذين دربوا تدريباً خاصاً ، ومع كل طائفة عامل راديو لتنظيم رجال المقاومة ، وحثهم على الإغارة على المواصلات ومستودعات الذخائر(*) في مؤخرة الألمان .

وكنت ترى في غرف العمليات الحربية ، في مطار تمبسفورد وهرنجتون ، خرائط كبيرة معلقة على الجدران وقد غرزت فيها أعلام صغيرة تدل على الأماكن التي تصلح لهبوط الطائرات في مختلف أنحاء أوربا ، وكان على تلك الخرائط ألوف من الأعلام الصغيرة منتشرة من أقصى النرويج إلى أبعد أطراف النمسا . وكان مئات منها حول باريس وأوسلو وكوبنهاجن وبريست وبروكسل . بل لقد كان ثمة أعلام تدل على وجود مهابط في ضواحي برلين وهمبورج ، وفي جبال بافاريا نفسها . وكان رجال الحلفاء يهبطون بالمظلات في تلك المطارات في سنوات الحرب كلها .

وفي سنة ١٩٤٢ ، يوم اغتيل رينهارد هيدريش رئيس الجستابو بتشيكوسلوفاكيا (الملقب بالجلاد) وهو يطوف بسيارته على مقربة من قرية « ليديس » التي دمرها النازيون انتقاماً ، وقف العالم مبهوتاً يتساءل : من أين جاء الذين اغتالوه ؟ والحقيقة هي أنهم كانوا جماعة من جنود المظلات

(*) « قادحات الشرر في جيش فرنسا السرى » المختار يونيو ١٩٤٥ ص ٧٢

التشيكوسلوفاكيين طاروا من مطار تمبسفورد فى الليلة السابقة .

وفى خلال الأسابيع الأخيرة من الحرب فى ألمانيا ، كانت جيوش الحلفاء تزحف فى بلاد الريخ زحفاً تبدو عليه سمات الرعونة والتهور ، ولكن قواد الحلفاء كانوا يعلمون ما يفعلون ، فإن رجال المخابرات الذين أنزلتهم أسراب الطائرات كانوا يدلون أولئك القواد على مواقع الألمان دلالة دقيقة . وحين كان الراديو الألمانى يباهى بأن الجيش الألمانى سيقف وقفته الأخيرة فى معقل جبال بافاريا ، كان قواد الحلفاء يعلمون أن حديث ذلك المعقل كان حديث خرافة ، لأن عشرات من جواسيس الحلفاء نزلوا فى تلك الجهات فلم يجدوا معقلا .

وقد عزمت قيادة الحلفاء العليا استعداداً ليوم الغزو أن تحشد فى « القلعة الأوربية » أكواما كثيرة من أدوات التخريب والتدمير ، فعهدت بهذه المهمة إلى طائرات الليبريتور الأمريكية ، فرجالها قد مارسوا الطيران الطويل المدى ، لطول عهدهم بمكافحة الغواصات فى البحار . وطليت هذه الطائرات بالسواد ، وأزيلت مدافعها المتوسطة لينتسنى أن توضع فى مكانها رزم العتاد ، ثم فتحت فيها ثقوب مستديرة لتلقى منها هذه الرزم .

وكان ثمة نظام معقد يصل ما بين ميادين الطيران ومقر القيادة فى لنـدن ، ومخابىء المقاومة السرية فى جميع أنحاء أوربا . وكان زعماء المقاومة فى كل منطقة يختارون الميادين التى يريدون أن يتلقوا فيها ما تلقيه إليهم الطائرات ، وهى فى الغالب حقول أو ميادين للألعاب ، ثم ينبئون الحلفاء بمواقعها ، إما بإشارات لاسلكية سرية ، وإما برسائل سرية يحملها حمام الزاجل إلى بيت متوار فى أحد أزقة لندن المهجورة . وفى هـذا البيت كانت تطلق على تلك الميادين أسماء مستعارة — « بوب » أو « برسى » أو « لوك » أو ما أشبه ذلك . وكثيراً ما كانت طائرات الاستكشاف تحلق فوق تلك الميادين وتصورها هى والمعالم التى حولها تصويراً دقيقاً . فإذا تمت الموافقة عليها ، رمز إليها على الخرائط الكبيرة فى تمبسفورد وهر نجتون بأعلام ملونة ، وكتب تحت كل منها تاريخ اليوم الذى يكون فيه رجال المقاومة السرية متأهبين لتسلم ما يلقى إليهم .

فإذا طلب مثلا زعيم من زعماء المقاومة السرية الفرنسية أسلحة أو عتاداً ، أرسلت إليه طائرة موسوقة سلاحاً موضوعا فى صناديق من معدن وسلال من خيزران ، وقد ربطت بها مظلات حتى تهبط سالمة . وفى تلك الليلة يقول أحد مذيعى راديو لندن : « لقـد عثر هنرى على فرنكين »

ومعناها أن شيئاً سيلقى فى الساعة الثانيـة صباحاً فى المهبط المسمى « هنرى » .

وكان فى بعض تلك الميادين آلات راديو خفية لإرشاد الطائرات ، وكانت المواد تلقى غالباً من الطائرات فى وسط مربع تحف به مصابيح يضيئها رجال المقاومة ويوجهونها إلى السماء . وكثيراً ما احتال الألمان فأقاموا مهابط ليخدعوا الحلفاء بها ، ولكنهم لم يتلقوا شيئاً ، لأنهم عجزوا عن إعطاء الإشارة السرية المتفق عليها بالمصابيح الكهربائيـة . وكثيراً ما كان الألمان ايكتشفون بواسطة مراقب « الرادار » طائرة الحلفاء ، فيطلقون عليها الطائرات المقاتلة الليلية . وقد هجمت مرة طائرتان ألمانيتان على طائرة ليبريتور ، فأشعلتا فيها النار وجرحتا المدفعى وعامل الراديو كليهما ، إلا أن الطائرة تمكنت من العودة إلى هرنجتون ، فظهر أن فيهـا أكثر من ألف ثقب من رصاص الألمـان .

أما الجواسيس الذين كانت الطائرات تنزلهم فى أوربا ، فكانوا خليطاً من الضباط الإنجليز والأمريكيين وغيرهم من الفرنسيين الكنديين والألمان المعـادين للنازية بين شبان وفتيات وشيوخ ، وفى عصر اليوم السابق لطيرانهم ، كان يؤتى بهم بالسيارات إلى الميادين السرية فيفتشهم ضباط المخابرات تفتيشاً دقيقاً ، فلو وقع بعضهم فى قبضة العدو ، ووجد معه تذكرة سيارة عامة من سيارات لندن أو سيجارة أمريكية لافتضح أمرهم فى الحال . ثم يتولاهم بعد ذلك رجال الملابس ، فيلبس أحدهم ثوبا فضفاضاً يسهل القفز به ، وله جيوب كثيرة يخفى فيها سكينا كالخنجر ، وطعاما مركزاً ، ومصباحا كهربائياً ، ومجموعة من مواد الإسعاف الأولى ، وأدوات الراديو وأوراقاً وخرائط سرية .

وإذا ما اقتربت الطائرة من منطقة الهبوط ، دنا الرجال المكلفون من فتحة كبيرة فى الطائرة وهم يترقبون إشارة معينة من الضوء ، فإذا رأوها قفزوا فى الظلام . وقد هبط ألمانى خمس مرات ، وكان يلبس فى المرة الأولى ثياب ضابط ألمانى برتبـة قائمقام وفى المرة الثانية ثياب ضابط برتبـة ملازم ، وفى المرة الثالثة ثياب أونباشى ، وفى المرتين الأخيرتين ثيابا مدنية .

ولما كان عمال المقاومة يحتـاجون إلى أكثر مما يتسنى إلقاؤه إليهم بالمظلات ، فقد استقر الرأى على أن تنزل الطائرات الكبيرة التى تحمل أحمالا ثقيلة وراء خطوط الألمـان . نعم إن بعض طيارى البريطانيين كانوا يطيرون بطائرات عتيقة من ذوات المحرك الواحـد التى تستطيع الهبوط على مكان وعر لا يزيد طوله على مئة وخمسين

ياردة ، فينزلون فى فرنسا ويعودون منها ويحملون فى كل رحلة جاسوسين ، ولكن نزول الطائرات الكبيرة كان مشكلة كبيرة أيضاً . وقد تدرب البريطانيون على الطيران بطائرات هدسون حتى صاروا قادرين على أن يهبطوا بها فى ميدان طوله ٤٥٠ ياردة ، أما الأمريكيون فكانوا يستعملون طائرات النقل من طراز « س — ٤٧ » . ولم يكد ينقضى شهر على بدء الغزو ، حتى هبط الكولونيل هفلين بطائرة من هذا الطراز فى حقل قمح فى جنوب فرنسا ، كان قد تم حصاد نصفه . فعمد رجال المقاومة فى الحال إلى اقتلاع عدد من الأشجار وغرسوها حول الطائرة لكى لا يهتدى إليها الألمان . وقد أقام الكولونيل يومين ولقى أحسن الحفاوة ، ثم عاد ومعه رجال من الأمريكيين والبريطانيين وفتاة فرنسية وفتى فرنسى أيضا ، ليتعلموا أساليب التدمير .

وقد ارتطمت مرة إحدى طائرات هدسون فى وحل أحد الحقول الفرنسية ، فاجتمع حولها فى الحال نحو مئتين من رجال المقاومة ومعهم عشرة ثيران وأربعة جياد . ولم تمض أربع ساعات حتى كانت الطائرة مستقرة على أرض صلبة . وحدث مرة أخرى أن انقلبت طائرة أمريكية من طراز « س — ٤٧ » حين هبطت على مدرج مضاء بالمشاعل ، فأرسلت طائرة من هرنجتون تحمل عمالا ميكانيكيين ، وما هى إلا بضعة أيام حتى أصلحت الطائرة وعادت .

وقد قال زعيم حركة المقاومة الدنمركية للطيارين ببلدة تمبسفورد ، إن تسعين فى المئة من الأسلحة والذخائر التى كانت تلقى لأنصار المقاومة كانت تصل إلى أيديهم ، فكانوا يستعملونها لساعتهم . وقد جىء مرة بجاسوس منطقة ليون إلى هرنجتون فروى للأمريكيين أن أتباعه من رجال المقاومة قتلوا فى الشهر السابق ألفا من الألمان بالأسلحة التى ألقيت إليهم من الجو .

وقد نقشت العبارة الآتية على نصب بقرب قرية « سان سير دى فالورج » الفرنسية وهى : « لذكرى خمسة طيارين أمريكيين وجدوا موتى تحت أنقاض طائرتهم التى أسقطت محترقة فى هذا المكان ، فى ٢٨ أبريل سنة ١٩٤٤ ، وكان قد عهد إليها أن تلقى أسلحة إلى جيشنا السرى لتحرير فرنسا وبعث مثلنا العليا » . وسيظل النصب البسيط الذى أقيم لخمسة أبطال مجهولين من أبطال الطيران ، رمزاً دائماً يدل على شكر شعوب أوربا المحررة للمعونة التى أسدوها إليهم .



قطعة من الذهب

تشانج بولوك

مختصرة من مجلة "ستراى رشيو الأدبية"



بعد الحرب العالمية الأولى عاد لفيف من المحاربين إلى قريتهم فى فرنسا، وظفر معظمهم بعيشة راضية ، سوى واحد هو فرنسوا ليبو ، الذى أضرّ به غاز خانق، فلم يستطع أن يستعيد قواه ، وأصبح عاجزاً عن مزاولة عمل منتظم، ونزل به بعد حين فقر مدقع ، على أن عزة نفسه جعلته يتعفّف عن أخذ الصدقة من أبناء قريته .

وكان من عادة الجنود القدماء أن يولموا وليمة عشاء فى كل سنة ، وفى إحدى هذه الولائم اجتمعوا فى دار جول جراندان ، وكان ذا حظ وافر من المال ، بديناً مزهوّاً بنفسه ، فعرض على أصحابه تحفة نادرة هى قطعة كبيرة من نقود الذهب ، ثم أطنب بعض الإطناب فى الحديث عن عصرها وندرتها وقيمتها . فطفق كل رجل يفحصها باهتمام ، وجعلوا يتداولونها بينهم وهم حول المائدة الطويلة . وكانوا قد أفرطوا فى الشراب ، فتجاوبت أرجاء الغرفة بأحاديثهم الصاخبة ، حتى أسدل النسيان ستوره على قطعة الذهب ، فلما تذكرها جراندان طلبها ، غير أنها كانت قد ضاعت .

ولم يلبث المدعوون أن ضجوا متسائلين مستنكرين ، ثم اقترح وكيل نيابة القرية أن يفتش الحاضرون ، فوافقوا جميعاً على ذلك إلا ليبو ،فنظر إليه زملاؤه متعجبين، وقال له جراندان وهو لا يكاد يصدق : « أترفض إذن؟ »

فاحمر وجه ليبو وقال : « أجل ! أنا لا أسمح بذلك » .

فسأله صاحب القطعة : « وهل تدرك ما ينطوى عليه رفضك ؟ »

فأجابه ليبو : « لم أسرق قطعة الذهب ، ولن أسمح بأن أفتش » . ولكن سائر المدعوين قلبوا جيوبهم واحداً بعد آخر ، ولما لم تظهر القطعة انحصرت الشبهة فى ليبو المسكين ، فقال له وكيل النيابة : « لا شك أنك لن تتشبث برفضك ! » فلم يحر ليبو جواباً . فخرج جراندان من الغرفة حانقاً مغضباً ، ولم يوجه أحد كلمة إلى ليبو ، وأخذ أصدقاؤه يشيعونه بنظرات تفيض بالشفقة ، وهو يغادر الغرفة ذليلا ناكس الرأس كأنه مجرم آثم ، ثم مضى راجعاً إلى داره .

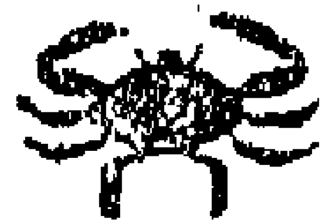
ومن يومئذ صار ليبو رجلاً عليه وصمة عار ، وكان إخوانه أبناء القرية يشيحون عنه بأبصارهم حين يلاقونه في الطريق ، ثم استبد به الفقر ، ولم يمض على ذلك زمن طويل حتى ماتت زوجته ، ولم يعبأ أحد بأن يعرف أكانت وفاتها من الفاقة أم من الخجل ؟

ومضت بضعة أعوام وأصبح الحادث قصة تروى ، فأدخل جراندان بعض التغيير على أثاث بيته ، فعثر عامل على قطعة الذهب مطمورة في تراب بين لوحين من أرض الغرفة التي كانت فيها وليمة العشاء .

وقد كان جراندان ، على غطرسته وقلة احتفاله ، رجلا منصفاً ، فلما عثر على الدليل الذي يشهد ببراءة ليبو ، أسرع إليه يطلب منه الصفح ، فهرع إلى داره وأخبره بما راعه من العثور على قطعة الذهب المفقودة ، واعتذر له ضارعاً لما كان من اتهامه إياه .

ثم أردف قائلا : « ولكن لم لم تسمح بأن نفتش ما دمت تعلم أن قطعة الذهب لم تكن في حوزتك ؟ »

فنظر إليه ليبو الهزيل الرث الذي تعجله الهرم ، بعينين خبا نورهما ، ثم قال له وفي صوته ذلة : « لأنني يومئذ كنت لصاً ، فقد مكثت أنا وأسرتي أسابيع لا نجد ما يمسك رمقنا ، وكانت جيوبي ممتلئة بالطعام الذي سرقته من على المائدة لأحمله إلى بيتي لزوجتي وأولادي الذين يتضورون جوعاً » .



أمدام ينظام !

خرج رجل من ناديه عند منتصف الليل ، بعد أن شرب عدة كؤوس . وكان المطر قد انهمر في أوائل الليل وترك في أرض الشارع بركا من الماء . وفي أثناء عبوره من رصيف إلى رصيف ، وقف أمام صورة القمر وقد انعكست انعكاساً لامعاً على سطح إحدى هذه البرك فانحنى حتى دنا من سطح الماء وهو يحدق غير عابىء أو غير منتبه لحركة السيارات فاقترب منه الشرطي ، وقال « تعال يا صاح ، خير لك أن تمضي إلى بيتك » .

فصعد الرجل نظره إلى الشرطي ، وصوبه إلى البركة وقال : « هذه ... مسألة تحتاج ... إلى بحث ، ألا تراها » .

فقال الشرطي : « طبعاً أرى ... هذا هو القمر » .

فقال السكران وهو يشير بيد مضطربة إلى البركة : « القمر ! أهذا هو القمر ؟ إذن ماذا جئت أفعل أنا في هذه السموات » .
[جريس بركنز أورسلر]

كانت ثورة بركان «مونت بيليه» الهائلة في سنة ١٩٠٢ من أشد الكوارث في العصور الحديثة

صيحة بركان

فرفاكس داولي

مختصرة من كتاب "مكافحي الكوارث"

مُزارع: واتى الحظ «فرناند كليرك»، فأصبح وهو في الأربعين من عمره سنة ١٩٠٢، رأس المزارعين في جزيرة المارتنيك من جزر الهند الغربية، فترى أعواد القصب قد نمت طويلة غليظة في حقله بسفوح «مونت بيليه».

وقد سمى «مونت بيليه» أي الجبل العارى، لأن الحمم التي كان يقذفها من جوفه منذ زمن بعيد، قد جردت جوانبه من النبات، أما الآن فالبركان خامد، وأصبحت فوهته بحيرة جميلة، وصار الناس يقصدونها من مدينتي «سان بيير» و «فورت دفرانس» للنزهة. فكيف يخشون هذا الجبل الشامخ وقد همد جوفه؟

فلما جاء الربيع فوجىء أهل الجزيرة، فقد ظهر أن الجبل لم يكن هامداً. لقد دمدم، وقذف دخاناً أسود تضيئه في الليل شقائق اللهب ووميض البروق. وفي الخامس من مايو انحدر سيل من اللابة الداخنة على جانبيه، فغمر مصنع سكر، ودفن تحته ٢٨ نفساً.

هالت الفاجعة كليرك وكثيرين غيره، فنزحوا من السفوح إلى «سانت بيير». فازدحمت المدينة وزاد سكانها ٤٠٫٠٠٠. وزخرت الأسواق والمقاهي بجموع لاهية. أين الخطر المحدق! لعله عند السفوح، لا في سانت بيير على شاطىء البحر.

وفي ليل السابع من مايو قذف البركان حمما متوهجة فتنت أعين البيض والزنوج. وأخذ الرعب بعضهم إلا أن أكثرهم استحمه المشهد الرائع، كأن البركان القديم يحتفل بحلول العيد.

وفي فجر اليوم التالي نظر كليرك في البارومتر، فرأى الإبرة تهتز، فأمر بعربته وحشد فيها أسرته، غير أن مضيفه وأصدقاءه أبوا أن يرحلوا معه، ووقفوا يلوحون له مودعين ضاحكين، وقد مضت عربته خارجة من «سانت بيير»

الحاكم: أما حاكم المارتنيك، فقد رمى ببصره إلى الجبل الثائر. فهذا البركان الخبيث قد قلب الجزيرة رأساً

على عقب ، والناس يفرون إلى «سانت بيير» ثم يهجرونها إلى « فورت دفرانس » يريدون أن يفارقوا الجزيرة . « ينبغى أن أقف هذا وأن أمنع الذعر الذى يخلى المستعمرة الفرنسية من سكانها » .

فأرسل جنده إلى سانت بيير ليحفظوا النظام ويمنعوا الهجرة . فبدأ بنفسه وخرج إلى المدينة هو وزوجته وأقاما بها ، فإن وجوده فيها يلطف من حدة المخاوف التى استبدت بالناس . وجعل يسير بين الجماهير ويحدثهم ويلاطفهم قائلا : « يا أبنائى ، إن ما تسمعونه من هدير البركان ، إن هو إلاّ غطيط النائم . فاطمئنوا » .

الضابط : أقبلت السفينة «روريما» على المارتنيك ووقف ضابطها فى المرقب فرأى فى الأفق عموداً من الدخان آتياً من قمة البركان الشامخة . إذن فقد أخذ البركان يثور . واستبد بهم الفضول حين ألقت الباخرة مراسيها فى المرفأ فى صباح ٨ مايو ، ولكن الأحوال فى البركان كانت على ما يرام ، والشوارع تزخر بالناس وهم فى ملابس العيد الزاهية .

وسرعان ما تسلق ظهر الباخرة ستون نفسا يستعجلون الرحيل من سانت بيير . أفتستطيع الباخرة أن تقلع من فورها إلى جزيرة « سانت لوتشيا » ثم تعود إلى « سانت بيير » لتفرغ حمولتها ؟

فنزل الضابط يفحص الحمولة ، فوجد أن البضائع المرسلة إلى المارتنيك موضوعة فوق بضائع سانت لوتشيا ، فمن العسير إفراغ حمولة الثانية قبل الأولى ، فلا مناص من أن ينتظر الركاب قليلا حتى تفرغ حمولة المارتنيك .

وأخذت الأجراس تدق مؤذنة بمرور الزمن ، على حين كان البركان يزمجر وينفث دخانه الأسود . وقبيل الساعة الثامنة سدّد الضابط منظاره إلى قمة الجبل وقد لفه الذعر .

السجين : كان قبو السجن فى سانت بيير مظلما ، ولكن نفذت إليه خيوط من الضوء من بين القضبان ، جعلت شابا زنجيا سجينا يميز الليل من النهار .

وفى فجر اليوم الثامن من مايو ، استبد بالسجين حزن شديد ، فالسجن يومَ العيد شديد الوطأة على النفس ، حين يتذكر أصحابه أحراراً يلهون ويمرحون ، وما كان حريا أن ينعم به من نظرات الغوانى إليه .

ثم استحال الضوء ظلاما ، وانقلب النهار ليلا .

فى الساعة السابعة والدقيقة الخمسين من صباح ٨ مايو سنة ١٩٠٢ دوّت أصوات كهدير المدافع الضخمة آتية من مونت بيليه، ثم انفجر البركان فطاحت فوهته، وتقاذفت فى الجو ألسنة من اللهب وكرات من النار، وارتفع الدخان آلافا من الأقدام، فأظلمت السماء، وطوق الجبل وهج أحمر، وجعلت الكتل اللزجة الملتهبة تتطاير فى الجو ثم تتساقط على البر والبحر رماداً متوهجا.

وعلى حين فجأة انشق الجبل تجاه سانت بيير، وانقذفت من جوفه سحابة من البخار والتراب، فاندفعت بسرعة لا تكاد تصدق ميممة شطر المدينة التى دنا أجلها.

وما هو إلا ثلاث دقائق حتى قضت هذه السحابة المحرقة الخانقة على ٤٠٫٠٠٠ نسمة.

أما المزارع كليرك فقد وقف يراقب هذا المشهد وهو فى منبارناس على بعد ميل. لقد نجا هو وأسرته، وأما أصحابه الذين خلفهم منذ قليل فلن يراهم بعد اليوم.

وأما الحاكم فلعله عاش فى هذا الأتون المتوقد لحظة كفته أن يدرك أن البركان النائم قد هب من سباته، وأن السبات السرمدىّ كان نصيبه هو وزوجته وجميع من ثناهم عن الفرار بأنفسهم.

وأما السجين فقد ولجت عليه حجرته ريح ساخنة كوت جلده، فقفز يتلوى من الألم ويصيح، ولا مجيب.

ومضت سحب الموت فوق المدينة المشتعلة إلى أحواض السفن، وإذا ماء البحر يفور ويغلى، فاختطف ضابط الباخرة قطعة من المشمع ولف جسده بها. ومالت الباخرة يمنة ثم يسرة، أما مداخنها وزوارقها فقد اكتسحتها هبة الانفجار. فخرج الضابط من مخبئه وقد بلغت منه الحروق، فلمح الباخرة « رودام » تشق الماء إلى عرض البحر، وكل ما على سطحها يحترق. ولم ير أثراً للسفن الست عشرة التى كانت راسية فى الميناء.

ومشى الضابط يترنح إلى حطام مرقبه، فرأى شبح زميله وقد استحال وجهه قناعا أسود، ثم سمع صوته الأجش يدعو البحارة إلى رفع المرساة، فلم يستجب له سوى الضابط ومهندسين والعمال الزنوج فى غرفة الآلات. فقد مات ٢٨ نفسا من ٤٧، ولم ينج من الركاب سوى طفلة ومربيتها.

ونزلت سانت بيير جماعة الإنقاذ آتية من فورت دفرانس، فلم يجدوا أحداً ينقذونه، فقد صارت سانت بيير كأنها مدينة عتيقة دمرتها كارثة نسى ذكرها ثم كشف حديثا عن جزء منها، كأنها بومباى التى دمرها بركان فيزوف، فقد تراكم الجمر فى شوارعها وبلغ ست أقدام.

ولكن قتلى فيزوف فى سنة ٧٩ ميلادية ثم فى سنة ١٦٣٢ لم يبلغ عددهم إلا نصف من قضى عليهم مو نت بيليه . فلم تزحف حمم هذا البركان زحفا وئيداً ، بل انقضت كإعصار من النار سوت المدينة عاليها بسافلها، ودك جدرانها على سكانها . وقد بلغ من سرعته أنه لم يحرق الملابس الخفيفة ، ولكن الناس لم يكادوا ينسمون سموم ناره حتى هلكوا . وجرى بعضهم خطوات ثم سقطوا وأيديهم على أنوفهم وأفواههم . وغطت الجثث طبقة من رماد كالإسمنت ، فلما كشف عن بعضها ، كانت على الصورة التى اتخذتها وهى فى العذاب الأخير . وكان أشد المناظر هولا منظر الجثث التى انفجرت جماجمها وبطونها من شدة الحرارة .

أما الذين كانوا فى بيوتهم حين انقضت السحابة فقد هلكوا حيث كانوا واقفين أو جالسين ، ولكن يد الموت لم تقس عليهم قسوتها على سواهم . فقد بدا بعضهم كأنه لا يزال حيا . هذا رجل قد مال برأسه فوق طست قد تبخر ماؤه ، وهذه أسرة جالسة حول مائدة فى مطعم ، وهذه طفلة ضمت دميتها بين ذراعيها ، فلما مست الدمية تهافتت ترابا إلا عيناها المصنوعتان من الخزف ، وهذا كاتب قد جلس إلى مكتبه معتمداً بذقنه على إحدى راحتيه وفى يده الأخرى قلم .

ولقد تطاير رماد البركان وسقط على سفن تبعد مئات من الأميال ، وتراكم على جزيرة باربادوس ، التى تبعد مئتى ميل إلى الجنوب ، مليونا طن من ترابه .

وظلت جماعات الإنقاذ أربعة أيام تبحث سدى عن حى فى هذه المدينة المدمرة . ثم سمع زنجيان يسيران بين الأطلال نأمة صادرة من أعماق الأرض ، فحفرا وأنقذا الزنجى السجين . وقد تبين أنه حين نفذ الهواء الساخن إلى حجرته أصيب بحروق بالغة ، ولكنه ضبط تنفسه ما استطاع خلال فترة الحرارة الشديدة . وكان يجهل ما وقع وأنه قد دفن حيا ، وبقى أربعة أيام يعانى الجوع فى قبره . وجعل يستغيث ولا مجيب إلا صداه ، حتى جاءه الغوث وقد أشرف على الموت .

رجل فرد نجا حيث هلك أربعون ألف نسمة ، وما سجل التاريخ نجاة أعجب من هذه .



إذا أردت أن تعرف طبقتك من الناس ، فانظر إلى من تحبه لغير علة .

[ابن هندو عن أفلاطون]

« عقار مستخلص من بكتريا التربة ، يسمونه (الإستربتوميسين) ينفع حيث لا تنفع عقاقير السلفا والبنسلين ، وستسمع عنه كثيراً فى الشهور المقبلة »

أحدث أعجوبة بين العقاقير الطبية

ج . د . راتكليف
مختصرة من مجلة "هايچيا"

لاح فى الأفق عقار جديد سوف يكون ظهوره بدء فصل جديد فى تاريخ الطب، واسمه الإستربتوميسين . وعلى أنه لا يزال فى أوله ، فإن له فى إنقاذ الناس من الموت بريقاً يخطف الأبصار . وهو ينجع حيث لا تنجع عقاقير السلفا والبنسلين ، فيفعل ما لا يستطيعه هذان العقاران . وإنه ليبدو اليوم سلاحاً قوياً يمكن أن يقهر طائفة من الأمراض : كالحمى التيفودية ، والحميات المتموجة ثم الكوليرا ، والتعفن الجراحى ، وربما كان السل منها أيضاً .

لقد اكتشف البنسلين اتفاقاً ، ولكن اكتشاف الإستربتوميسين جاء عن قصد وتدبير ، فقد عزم الدكتور واكسمان ، أحد رجال قسم التجارب الزراعية بجامعة رتجرس بنيوجرسى ، أن يجد عقاراً يفعل ما لا تستطيعه السلفا والبنسلين . وواكسمان عالم من علماء الأحياء الدقيقة يتخذ الثرى مجالا لبحثه وفتوحه .

كان علماء الأبحاث يتهمون الأرض — وأرض المقابر خاصة — بأنها مصدر الأوبئة . ولكن التجارب أثبتت أن مثل هذه التربة خاو من ميكروبات الأمراض ، وأن ميكروبات الأرض هى التى تهلكها وتفنيها . ومن يومئذ حاولت فئة قليلة من الباحثين أن تفصل هذه الجراثيم النافعة التى تهلك ميكروبات الأمراض . فاكتشف الدكتور رينيه ج . دوبو ، أحد تلامذة واكسمان السابقين ، وأحد علماء معهد روكفلر للأبحاث الطبية ، ميكروباً من ميكروبات الأرض ، يفتك بميكروب الالتهاب الرئوى ، والميكروبات السبحية التى تحدث التهاب الحلق وغيره ، واستخلص منه عقار التيروتريسين .

فحفز هذا الكشف طائفة من الباحثين فى جامعة أكسفورد إلى تقصّى ميكروب آخر من ميكروبات التربة ، هو عفن أخضر مهمل ، فانتهى بهم التقصى إلى اكتشاف قدرة البنسلين على إنقاذ الحياة .

وبدأ واكسمان يبحث فى الثرى عن سلاح يناضل به بعض أمراض الأمعاء كالحمى التيفودية والزُّحار (الدوسنتاريا) والهيضة

(الكوليرا) . وهذه الفصيلة من البكتريا يغزو بعض أنواعها أحياناً مجارى البول فى الشيوخ ، فيلقى بهم فى بحر من الشقاء .

على أن اكتشاف مثل هذا الميكروب النافع الذى يردّ عن البشر غائلة هذه الأمراض ، قامت دونه عقبات صعاب ، فإن ما يستطيع أن يضعه المرء على ظفر إبهامه من تراب الأرض،قد يحوى نحو ٨٠٠٠٠٠٠٠ ميكروب . فكيف يتأتى استخلاص الميكروب المنشود .

مضى واكسمان فى سبيله قدما ، واستنبط وسائل تسهل له العمل ، فأخذ يمزج التراب بالماء ، ثم يضع على لوح من زجاج خطوطاً من هذا الطين ، يعج كل منها بجماعة كبيرة من ميكروبات الأمراض ، ثم يعود بعد حين يبحث فى اللوح عن البقع الشفافة ، حيث هلكت ميكروبات الأمراض ، فإذا وجدها طفق يحاول أن يتبين ميكروب الأرض الذى فتك بها . ثم لا بد له ، حتى بعد أن يتبين هذا الميكروب، من أن يستخلص عصارته الكيميائية التى تكمن فيها هذه القوة القاهرة ، وكثيراً ما كان يجد هذه العصارات المستخلصة تفتك بالكائنات الحية أيضاً ، بل إن منها ما يقتل الإنسان فى بضع ثوان . فالعمل هائل يثبط العزم ، ولا ثمرة له .

ثم جاء يوم من خريف سنة ١٩٤٣ فأسفر الصبح ولاحَ الطريق ، إذ عزل واكسمان ومساعده الشاب الدكتور ألبرت شاتز ، نماذج من ميكروب أرض يسمى الفطر الشعاعى الأرمد (اكتينو مايسيز جريسيوس) وبدا لهما منذ أول الأمر أن لهذا الميكروب أثراً باهراً ، فقد غالب عشرات من ميكروبات الأمراض وأهلكها، ومنها ميكروبات التولريميا (حمى من حميات القوارض والأرانب تنتقل عدواها إلى الإنسان) والحمى التيفودية . واستخلصت عصارته الكيميائية فسميت إستربتوميسين.

لم يكن واكسمان مزوّداً بالدربة ولا بالوسائل التى تيسر له الاختبار الشاق الطويل الذى يتطلبه بحث عقار جديد ، فجاء إلى معامل شركة مرك بنيوجرسى حيث يعمل كثير من تلاميذه السابقين . وكان أول ما ينبغى البت فيه،اختبار الإستربتوميسين : أيبلغ هذا العقار من قوة السم مبلغاً لا تقوى الكائنات الحية على احتماله ؟ وقد جاز الاختبار ، وبلغ غاية النجاح ، واحتملت فيران التجربة مقادير ضخمة منه دون أن يصيبها سوء . فبادر مديرو البحث فى شركة مرك إلى اختيار خمسين باحثاً ، وقصروا عملهم على درس العقار الجديد .

وأخذ هؤلاء الباحثون يختبرون تأثير

الإستربتوميسين فى البكتريا التى تكون فى أمعاء البشر ، وهى التى تنساب فى البطن إذا ما انفجرت زائدة دودية ، فتؤدى إلى التهاب مستطير يعقبه الموت ، أو تنسلّ إلى مجارى البول فتحدث فيها التهاباً قلماً يفلح فى شفائه عقار .

كان أثر الإستربتوميسين فى تجارب لعمل أثراً باهراً فى كفاح هذا الموت الزؤام ، ففتحت له أبواب اختباره فى المستشفى ، وأعطى لستة وستين جندياً مريضاً فى مستشفى تورنتو بكندا ، كانوا يعانون التهابات فى مجارى البول ، فلم تمض ٢٤ ساعة حتى اختفت من بولهم الميكروبات المؤذية .

فإذا كان لهذا العقار فى معظم الميكروبات التى تكون فى أمعاء الإنسان مثل ما بدا له من أثر فى أنابيب الاختبار وتجارب الحيوان ، فليس خليقاً أن يكون أمضى سلاح فى كفاح حمى التيفود ؟ هذا سؤال صدر من ثلاثة من أطباء فيلادلفيا : هوبرت ريمان ، ووليم إلياس ، وأليسون برايس ، فاختبروا العقار الجديد فى رجل مصاب بحمى التيفود أدنفته ثلاثة أسابيع ، وحقنوه تحت الجلد بثلاث جرع صغيرة ، بين الحقنة والحقنة ثلاث ساعات ، فأسرع إليه البرء . وجرّب فى مرضى آخرين فكان له نفس الأثر .

وتساءل أطباء آخرون : أيكون لهذا العقار مثل هذا الأثر فى الميكروبات التى تحدث تسمم الطعام ؟ كان بين أيديهم حالة من حالات هذه العلة — وهى ممرضة أصابتها السالمونلا (وهى الميكروب الذى يحدث تسمم الطعام ويسبب أعراضاً فى المعدة والأمعاء قد تنتهى بالوفاة) ثم برئت منها ، ولكنها ظلت تحمل الميكروب . فسقوها العقار ، وهو على نقيض البنسلين شديد المقاومة للعصارة الحمضية التى تفرزها المعدة ، فلم تمض أربعة أيام حتى قطع الإستربتوميسين دابر هذه الميكروبات من أمعائها .

وتدل تقارير جديدة على أن الإستربتوميسين أخذ يحقق ما عقد عليه من رجاء . ففى معمل عيادة مايو مثلا أعدى الباحثون ٦٠ فأرة بميكروب التولريميا (حمى الأرانب) وتركوا نصفها فى مخالب الموت ، فما هو إلا ٩٦ ساعة حتى تخطفها ، وأعطى النصف الآخر عقار الإستربتوميسين فبرئت .

وسمع الأطباء فى مدن كثيرة بهذه الأنباء المبشرة بالخير والرجاء ، فأتاحوا للإستربتوميسين فرصة حتى يختبر فى المصابين من الناس بالتولريميا ، فشفاهم فى نحو ١٢ ساعة ، وأبلّ فى بضعة أيام مصابون كان مقدوراً عليهم أن يلازموا فراش المرض شهوراً .

وكانت نتائج اختباره مبشرة بالخير فى حالات الحمى المتموجة — وهى مرض تنشأ عدواه من شرب اللبن الملوّث غير المغلى . ويكافئ الحمى المتموجة فى عالم الحيوان مرض بانج الذى كان استئصاله من الماشية الحلوب يكلف وزارة الزراعة الأمريكية هلاك ١٥٠,٠٠٠ بقرة مصابة به كل عام . وتدل الدلائل الحاضرة على أن الإستربتوميسين سيضع حداً لهذا الهلاك المجتاح ، بل إنه قد يصبح ترياقاً نافعاً فى كثير من علل الحيوان ، ومن بينها علة معدية شائعة تفتك بعدة ملايين من الخنازير كل عام ، و « حمى الشحن » التى تفتك بعشرات الألوف من الثيران حين تشحن فى السفن .

وما من كاتب إلا وتراه يأنف لنفسه أن يقول للناس أن ثمة عقاراً جديداً له أثر ناجع فى علاج السل ، لأن عشرات من مثل هذه العقاقير بدت فى أول عهدها مبشرة بالخير والأمل ، ثم باءت كلها بالخيبة ، ولكن لا مناص من أن نذكر نفع الإستربتوميسين فى علاج السل .

فقد لاحظ واكسمان وباحثو شركة مرك أثناء اختبارهم فعل الإستربتوميسين فى ميكروب السل وهى فى أنابيب الاختبار ، أن هذا الميكروب شديد التأثر بهذا العقار ، فأرسلت مقادير منه إلى مؤسسة مايو ، فحقن رجال البحث فيها ١٢ أرنباً هندياً بميكروب السل الذى يقضى عليها قضاء مبرماً . وترك ثمانية منها دون علاج ، وأعطيت الأربعة الباقية الإستربتوميسين . وبعد ٥٤ يوماً كان المرض قد فشا فى الثمانية ، ومضى حثيث الخطى نحو النهاية ، على حين أن المرض فى الأربعة المحقونة كف عن السريان أو انحسمت مادّته .

على أن ما يبدو من نجاح الإستربتوميسين فى علاج سل الحيوان لا يقتضى أن يكون نجاحه فى علاج سل الإنسان ضربة لازم . ولقد ينقضى عام أو أكثر قبل أن تصنع مقادير من العقار تكفى لتجربته فى هذا الغرض على نطاق واسع . فمن الحق أن يهجر مريض علاجه المألوف فى انتظار هذا العلاج المتوقع .

وينبغى أن يكون الإستربتوميسين شافياً من السعال الديكى من الوجهة النظرية ، ولعله يصبح هبة من الله لاستئصال أوبئة الزحار (الدوسنتاريا) .

إن الإستربتوميسين يتم عمل البنسلين . ولما كان البنسلين حمضاً والإستربتوميسين قلوياً ، فقد يركب من العقارين ملح يدعى « إستربتوميسينات البنسلين » — فتصبح الحبة منه سلاحاً فتاكا يهلك الأمراض ، فيكافح جزء البنسلين أنواعاً معينة من الميكروبات ، ويكافح الإستربتوميسين

أنواعاً أخرى . ويبدو من كل ما تيسر لنا من الأدلة أن لمنافع الإستربتوميسين مدى هو إلى الخيال أقرب منه إلى الحقيقة . وحين كان البنسلين فى أوائله كان يبشر بآمال عظام فتحققت على الزمن . وليس أدل على الإيمان الشائع بقوة الإستربتوميسين من أن ترى شركة مرك تبنى مصنعاً يكلف ٣٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال لإنتاج هذا العقار ، وأن ترى ٢٠ مصنعاً من مصانع الكيمياء أو العقاقير تتأهب كى تتولى صنعه .

على أن إنتاج العقار الجديد يلقى من الصعاب ما لقيه البنسلين فى كثير من الوجوه ، فالميكروبات تستنبت فى أوان ضخمة ، أو قوارير من زجاج ، وتتغذى فيها بطبقة رقيقة من الحساء ، وهى فى أثناء تكاثرها تفرز الإستربتوميسين فى السائل ، ثم يستخلص العقار من هذا السائل بأساليب كيميائية معقدة .

وسوف ينصرم عام على الأقل قبل أن يتاح العقار للناس ، ولما كان الميكروب شحيحاً فيما يفرزه من عقار ، فلا ريبة فى أن يكون غالى الثمن .



تعليقات لاذعة

كانت دار السينما مزدحمة ، وجاء أحد ضباط الأسطول فهمّ بالجلوس فى أحد مقعدين متجاورين خاليين ، فدفعته سيدة كانت سائرة وراءه ومعها زوجها ، فكاد يسقط على الأرض ، وقبل أن يستردّ اتزانه كان الزوجان قد جلسا وقال الرجل : آسف يا صاحبى فقد سبقناك .

فقال الضابط : « لا بأس . وأرجو يا سيدى أن تستمتع بالفلم أنت وأمك ! »

[اللازم لسلى بافرات]

⊰⊰ ✲✲✲✲ ⊱⊱

كان بول كروجر ، زعيم البوير فى جنوب أفريقية ، يستنكر الخروج على الحشمة فى ملابس النساء ، فسئل ذات يوم عن مأدبة عشاء ، حضرتها المدعوات فى ثياب السهرة ، هل كانت النساء ترتدى ملابس جميلة ؟ فقال « لا أدرى ، فإنى لم أنظر إلى ما تحت المائدة » . [ستيوارت كاوبت



تعنى الأسرة المالكة فى إنجلترا ، المشهورة بحسن مطابقتها لتغير الأحوال ، بإعداد ملكة قد تتولى عرش دولة اشتراكية:

الأميرة إليزابث

وليم و. هوايت ● مختصرة من مجلة "لايف"

منذ أشهر شهدت الأميرة إليزابث التى سيمتد ظل حكمها يوما ما على ٤٨٩ مليونا من البشر ، ما طرأ على بلادها من انقلاب سياسى . فلما علمت أن صديقها الكريم ونستون تشرشل قد سقط تحت طوفان من أصوات أحزاب اليسار ، لم تفه إلا بكلمة واحدة : « شىء يضايق » ولم تزد .

وهذا لايعنى أنها لم تدرك مغزى ما حدث، بل يعنى أنها نُشئت على أن تديم التفكير فيما يعرض لها، وأن تتوخى القصد فى الكلام .

وهى الآن فى التاسعة عشرة من عمرها قد أدبت أحسن تأديب، فتراها مدركة أصدق إدراك جميع واجبات العرش وأسباب هيبته وحدود سلطانه — والحدود أهمها. فلم يزل الشعب البريطانى يحد من سلطان الملك ، منذ قالت الملكة إليزابث الأولى لوزير متغطرس : « لا سيد هنا سواى » ، حتى لم يبق من ذلك السلطان سوى القليل .

وهذا القليل ينحصر فى الإنعام برتب النبل، وحقه الذى لا يمارسه قط فى نقض قرار الوزارة ، والفخر الأجوف الذى يخوله أن يعيِّن رئيساً للوزراء ، فرغ الشعب من اختياره فى الانتخابات .

والأميرة هى ولية للعهد ، إلا أن يرزق والدها بولد ذكر ، ولكن ليس لها سلطة ولا يقع على كاهلها واجب من واجبات الملك ، ولا يقرر لها الدستور وظيفة ما . فإذا ما صارت ملكة ، كان أهم أعمالها أن تكون رمزاً لاستمرار الملك، فقد تسقط الحكومات وتنحل الأحزاب ، ولكن التاج باق إلى الأبد . والشعب البريطانى يدرك هذه الحقائق ويجد فيها سروراً غامضاً، ويعد التاج أحد التكاليف التى يرتضيها غير متبرم بها .

وقد بدا على الأميرة حتى الآن ، ما يدل على أنها ستحقق قول أحد كبار الساسة البريطانيين فيها ، قال : « إنها ذكية ، فاتنة

قوية الشخصية ، وسوف تكون ملكة فاضلة وقد تكون ملكة عظيمة » . ولكن سواء أكانت فاضلة أم عظيمة ، فإنها ولا ريب ستكون ملكة تفتن الناس ، فهي ممشوقة القوام ، وقد ورثت عن أسلافها قدًّا فارعاً وبشرة بضّة متوردة ، وثنايا بيضاً مليحة وبنية قوية ، إلا أن حسنها لا يتجلى في الصور لأن سرّ حسنها في لون بشرتها . وأما هيئتها وشمائلها ، فتذكر الشيوخ بجدتها الملكة ماري يوم كانت في مثل عمرها .

وهي أقل مرحاً من شقيقتها الحسناء مرجريت روز التي بلغت الخامسة عشرة من عمرها . فقد أتقنت أصغر الأميرتين محاكاة كبار زوار القصر في حركاتهم ، فيثير تقليدها عاصفة من الضحك على مائدة الطعام في القصر . أما الأميرة إليزابث فلا تجاريها في ما يشبه هذا ، وقد بدا منها ما يدل على أنها مستقلة الرأي ، فمنذ سنة بلغت السن التي تفرض عليها الخدمة الوطنية كما تفرضها على سائر أبناء شعبها ، فرأى الملك بعد أن استشار وزراءه ، أن تدريب الأميرة على واجبات الإمارة ، أخطر شأناً من حاجة الأمة إلى الأيدي العاملة ، فقضى بمنع الأميرة من الالتحاق بإحدى طوائف المجندات . ولكن الأميرة كان لها رأي آخر ، فما لبث أن أعلن القصر ، أن الملك يسره أن يمنح حضرة صاحبة السمو الأميرة إليزابث رتبة فخرية من درجة ملازم ثان في فرقة المجندات الملحقة بالجيش .

وقد اجتازت الأميرة امتحانها في قيادة السيارات قبل انتهاء المدة المقررة بيومين ، بعد أن واظبت على سماع المحاضرات ، ولوثت يديها بالشحم في تفكيك المحركات . والمجندات يختمن عادة مدة التدريب بقيادة السيارات إلى لندن ، فصدر قرار بأن الأميرة إليزابث يجب أن لا تفعل ، لأن ذلك يعرض ولية العهد لخطر ينبغي أن لا تتعرض له . وبينما كان أولو الأمر يقلبون الرأي في هذا الأمر الخطير ، أخذت الأميرة سيارة حربية منكّرة وساقتها من الريف إلى العاصمة ، ووصلت إلى القصر بعد أن دارت دورتين في ميدان بيكادلي في ساعة الزحام ، وقد فعلت ذلك ، كما قالت ، لكي تسير بين أكبر عدد ممكن من السيارات .

والأميرة إذا أقبلت على عمل ، استأثر العمل بكل عنايتها . فلما كانت تتدرب في مدرسة قيادة السيارات كان الحديث وهم على المائدة يدور على محركات السيارات ، وشموع الاحتراق . أما الآن فموضوع الجياد هو الموضوع ، كلما استطاعت أن توجه الحديث إليه . وهي ترجو أن تنشىء إصطبلا خاصا

فى عمر سنة أو نحوها ، وأن تنافس جيادها جياد والدها فى حلبات السباق .

وكثيراً ما تذهب الأمــيرة ، إلى بعض الحفلات الراقصة الخاصة ، تصحبها وصيفتها الوحيــدة ، ولا تعود أحيانا قبل الثالثــة صباحا . وهى تراقص كثيراً من الشباب ، ولكنها لا تخص أحداً منهم بعطفها. ومع ذلك ترى أسماء فريق من النبــلاء الشبان تتردد على الألســنة ، فثمة لورد ويفولد الأشـقر الوسيم ، وإرل يوســتون ، ودوق رتلاند البهى الطلعة، إلا أن الأميرة مقيدة بنصوص قانون وراثة العــرش ، بأن لا تتزوج إلا بموافقة أبيها باعتباره رئيس مجلس البلاط ، وأن لا تتزوج أحداً من غير مذهب البروتستانت . وحين تعتلى العرش لا يكون زوجها ملكا، بل «زوج الملكة » وحسب، كما كان الأمير ألبرت ساكس كوبرج زوج الملكة فيكتوريا . وقليل من الشباب الذين يكونون أهلا لهــذا الزواج ، من يرضى بالمقام الثانى فى بيته .

كانت الرحلة الرسمية الأولى التى خرجت فيها الأميرة ، بعد أن اعتلى والدها العرش رحلة إلى ويلز . وبدلا من أن تظهر أولا فى حملة فخمة يقيمها بلاط الملك فى القصر ، آثرت أن يكون ذلك أمام وهج النــار فى مصنع لرقائق الصفيح فى ويلز. وقد حضرت منذ ذلك اليوم حفــلات عامة كثيرة ، إما مع والديهــا وإما وحدها . وقد أذاعت حديثين ، وألقت عشر خطب أو أكثر .

وكانت أهم حفلة حضرتهـا حتى اليوم ، حفــلة إنزال البارجة فانجارد إلى البحر ، وهى أحدث البوارج البريطانية وأقواها . ومع أن الجو كان بارداً ملبداً ، وعلى الرغم من اعترافهــا لرجل كان قريباً منهــا بأن « اضطرابى يحول دون إحساسى بالبرد » فقد أتمت مراسم الحفلة دون خطأ أو تعثر. فلما انتهت الحفلة تبين أن طبيعة الأنثى غالبة على أخلاق الأميرات ، فقد أهديت إليها حلية رائعة مرصعة بالماس ، ثم مضى رئيس الشركة التى صنعت البارجة يلقى خطبة طويلة مملة ، فجعلت الأميرة تقلب بين يديها تلك الحلية ، معجبة بها أيما إعجاب .

وقد كانت تنشئة إليزابث ، عملا شاقاً . ويلوح أن جدتهـا الملكة مارى كانت أول من تولى تربية الأميرة الصغيرة ، فظفرت منها بتوقير لم تظفر بمثله من أحد حفدتها .

وقد دربت الملكة حفيدتهـا على فنون اللباقة فى الحديث مع زوّار البلاط، وتلقنت منذ نعومة أظفارها أشق الدروس — أن تتظاهر بأنهـا تستمتع بالحــديث مهما كان ثقيلا مملا . وقد صحبتها جدتهـا إلى متحف فيكتوريا وألبرت ، ودار سكّ النقــود ،

وبنك إنجلترا ، ومتحف العلوم بسوث كنسنجتون ، ودير وستمنستر ، ومعرض الفن ، لكي توسع مداركها وتبث في نفسها حب الاستطلاع .

وقد تولت تربيتها منذ كانت في السادسة سيدة أسكتلندية بارعة ، تدعى ماريون كروفورد . وكانت معلمتها هذه لا تنهى إليزابث الصغيرة ، إذا وجدتها تستسهل مذاكرة التاريخ وهي مستلقية على صدرها في غرفة معلمتها . فلما أوفت على الثانية عشرة حتى حذقت التاريخ واللغات حذقا عظيما ، ونفرت نفوراً شديداً من الرياضيات . ويومئذ صارت مسألة تربيتها أمراً ينبغي أن يستشار فيه مجلس الوزراء .

وأرادت أمها أن تبعث بها إلى مدرسة بنات ، حتى يتسنى لها أن تختلط بأترابها ، ولكن حال دون ذلك صعوبة اختيار المدرسة وضرورة وضع جدول خاص من الدروس تقتضيه تربية أميرة . فاستقر الرأى على تعيين هيئة تدريس خاصة بها ، كما تم للملكة فيكتوريا . ويشمل ما درسته من التاريخ ،دراسة الأطوار التي مر بها الدستور من عهد السكسون إلى العهد الحاضر ، وكذلك تاريخ الزراعة في بريطانيا وقوانين ملكية الأراضى . وهي مطلعة اطلاعا دقيقا على تاريخ أمريكا ، وتجيد الحديث بالفرنسية وهي تعزف على البيان وتغنى غناء عذبا ، ولها مشاركة في فنون القرن العشرين ، وتحسن السباحة وقيادة السيارات وركوب الجياد والصيد ، وتحب موسيقى الرقص الأمريكية

وقد سئلت إليزابث في طفولتها : ماذا تريد أن تكون حين تكبر ، فأجابت بغير تردد « أود أن أكون جواداً » . ولا شك في أن الزمن قد عدّل هذه الأمنية . وقد يتردد كثيرون في أن يعيشوا تلك العيشة المبرّأة التي تكاد تكون فارغة ،والتي تفرض على ملكة في هذا العصر . ولكن هذه الحياة فرض واجب على إليزابث ، وما دام الأمر كذلك فهي تطمح أن تكون ملكة فاضلة . فإذا استطاعت ـ كإليزابث السابقة ـ أن تكون مظهراً تتجلى فيه روح شعبها ، وأن تقوّى هذه الروح ، فقد تتبوأ في التاريخ منزلة كمثل منزلتها . فإليزابث الأولى أنشأت الإمبراطورية البريطانية ، وقد تستطيع هذه الثانية — بأساليب أخرى أدنى إلى التؤدة واللطف — أن تحفظ عليها تماسكها .



كل كلمة تتعلمها تزيدك قدرة على التعبير!

٦

هـذه كلمات مستخرجة مما ورد فى أعداد من المختار ، وأمام كل كلمة أربعة معان ، أحدها الصحيح ، فاختبر قدرتك ، وانظر أيها الصحيح . فإذا فرغت من الاختبار فراجع الصواب فى ص

١ — الصُّبَابة : (ا) الهُيام (ب) القليل (ج) الماء المصبوب (د) بقيّة الماء .

٢ — الزُّلْفَى : (ا) التملّق (ب) التقرُّب (ج) الإيثار (د) الوشاية .

٣ — الصُّوَان : (ا) الخيمة (ب) المائدة (ج) خِزانة الملابس (د) خزانة الطعام .

٤ — القوادح : (ا) سوس الأسنان (ب) العثّ (ج) آثار النار (د) الشرر المتطاير .

٥ — السُّلاَبة : (ا) طين الأنهار (ب) ما يسيل من البركان (ج) النبات المتسلّق (د) الأرض المستوية .

٦ — الغَلَس : (ا) الغَبَش (ب) أوّل الليل (ج) شدة الظلام (د) ظلام آخر الليل .

٧ — الرَّعِيل : (ا) طليعة القوم (ب) الممتدّ (ج) قطيع الماشية (د) جماعة الرعاة .

٨ — تنفَّطت يده : (ا) دَمِيت (ب) تشققت (ج) ظهرت فيها بثور الماء (د) شلّت .

٩ — نأمة (ا) صيحة (ب) حركة (ج) صوت خفىّ (د) فزع .

١٠ — أحْفَى شاربه . (ا) أرسله (ب) بالغ فى قصّه (ج) فتل طرفيه (د) أخذ من أطرافه .

١١ — الإمْلاقُ : (ا) المداهنة (ب) الجوع (ج) الخوف (د) شدة الفقر .

١٢ — الدُّوَام : (ا) دُوار البحر (ب) صداع الخمر (ج) المداومة (د) الاضطراب .

١٣ — قَنْواء الأنف : (ا) قصيرته (ب) واسعة المنخرين مع الطول (ج) ناتئة وسط القصبة ضيقة المنخرين (د) مرتفع طرفه إلى أعلى .

١٤ — المَجازة : (ا) الطريق بين الجبلين (ب) الجسر (ج) الدرب الملتوى (د) الطريق فى الأرض الموحلة .

١٥ — الرِّجْلُ : (ا) سرب الحمام (ب) سرب الجراد (ج) سرب النحل (د) سرب البطّ .

١٦ — المَشِيقُ : (ا) النحيل (ب) الرشيق (ج) الطويل اللطيف الجسم (د) الخفيف الحركة .

١٧ — الحُمَم : (ا) قطع الفحم الملتهبة (ب) ألسنة النار (ج) بقايا النار (د) أعمدة الدخان .

١٨ — تخثّر الدم : (ا) سال (ب) فسَد (ج) تعفّن (د) تجمّد .

١٩ — العَظَاءة : (ا) البُرْص (ب) الحرباء (ج) العقرب (د) السحليّة .

٢٠ — الشَّبَه : (ا) حديد الزهر (ب) البلاتين (ج) البُرنْز (د) النحاس الخام .

درس في معالجة الصعاب

كارل براندت

ظللت سنوات ودأبي التهرب من المهمات المستثقلة ، فإذا كان موعد يؤذن بجدال عنيف ، أو بالحاجة إلى حسن السياسة ولباقتها ، أجّلته. وإذا مرّ بي في بريد الصباح كتاب ساخط ، أو كان الرد عليه لا بد أن يكون مخيبا لأمل الكاتب ، وضعته في أسفل الكوم على مكتبي وفي مرجوى أن يحدث ما يعفيني من الحاجة إلى الرد عليه. فكان مثلى كمثل الملك الذي تقول الأسطورة إنه كان يعاقب كل من يحمل إليه خبراً سيئاً . فكثيراً ما كان يسوء خلقي مع الزائرين الذين يلفتون نظري إلى الأمور المعقدة .

وكنت أعرف أن هذا التهرب صبياني ، وأنه ينطوي على الجبن ، وقد كنت في البداية أتألم لهذا الجبن ، ولكنه صار عادة على الأيام حتى كدت أفقد الشعور بتحكم هذه العادة .

ثم اتفق ذات صباح أن زرت أهدأ وأكفأ رجل أعرفه ، وكنت أحمل إليه أخباراً سارة ، ولا أكاد أطيق الصبر على عدم الإفضاء بها ، وكان هو يستطيع أن يتبين ذلك من اللهفة التي في عيني ، ومع ذلك رجا مني أن أنتظر حتى يعنى ببعض الأمور. وبينما كنت جالساً وأنا نافد الصبر ، أملى هو كتابين كان من الجلي أنهما يعالجان مسائل محيرة ، واتصل بالتلفون في شكوى صعبة ، ثم ابتسم لي لما انتهى .

وقال : « شكراً لك على السماح لي بالتخلص من هذه الأمور . والآن هات أخبارك السارة » .

ولكن لم يسعني إلا أن أسأله وأنا في دهشة : « هل تحب فعلا أن تعالج الأشواك على هذا النحو ؟ »

فضحك وقال : « إن وخزها لا يكون أليما إذا تناولتها بقوة وسرعة . وقد تبينت منذ زمان طويل أني إذا بدأت بالطيب المريح من الأمور وأرجأت المتعبة ، فإني أقضي بقية اليوم وأنا سيء الخلق — لأن المتعبات تظل دائماً معلقة فوق رأسي . ولكني إذا حللت الأمور المعقدة والشائكة قبل غيرها ، ثم انتقلت إلى ما هو أسهل ، فإني أشعر بطيب العيش . وشبيه بذلك أن تأكل حلواء بعد دواء مر — فتنسى الطعم الثقيل »

كانت هذه نقطة تحول فى حياتى ، فعدت إلى مكتبى بعزم جديد .

وكان فى انتظارى زبون محنق منتفخ الأوداج من شكوى له أطلت إهمالها، فتركت الإرجاء الذى اعتدته وأكببت على العمل، وكانت العاصفة شديدة ، ولكنها استنفدت قوتها بعد خمس دقائق ، فخلصت انفاسى وعكفت على كوم من المسائل الشائكة — رسائل تحتوى على طلبات مستحيلة ، وحسابات تأبى أن تتوازن ، ومكالمات تلفونية كنت أتقيها ، وقرارات مهمة من كل نوع . وفى تلك الليلة وللمرة الأولى منذ سنوات عديدة ، عدت إلى بيتى وأنا أشعر أنى رجل حر ، وأنى سعيد لأن عمل اليوم انتهى حقا — وأنى أحسنت العمل .

وقد أصبحت مولعاً بمعالجة الصعاب منذ ذلك الحين ، وكان الدرس الذى لقننى إياه ذلك الصديق أثمن من أن يقدر ، فإن الأشواك لاتؤذى إذا تناولتها بقوة، وتخلصت منها بسرعة .

يضيع أكثرنا شطر حياته وهو يتمنى أشياء كان خليقاً أن ينالها لو لم يضع شطر حياته فى الأمانى . [ألكسندر ولكوت]

العقاب المطابق للجريمة

كانت مدرسة فى مدينة ديترويت تسوق سيارتها فتجاهلت إشارة المرور ، فجاءها بلاغ يطلبها أن تحضر إلى محكمة المرور يوم الاثنين التالى . فذهبت من فورها إلى القاضى وبينت له أن جدول التدريس يقتضى منها أن تكون فى فصلها صباح يوم الاثنين ، وطلبت منه أن يفصل فى قضيتها حالا . فالتفت القاضى إليها وقال : « إذن أنت مدرسة ! إن وجودك هنا يا سيدتى ، يحقق رغبة ما زالت تساورنى منذ زمن بعيد . فاجلسى هنا الآن واكتبى خمسمئة مرة الجملة التالية . « يؤسفنى أنى تجاهلت إشارة المرور » .

قماش غير منسوج ، فوط تستطيع أن تلقيها بعد استعمالها ، جوارب نيلون لا ينسل خيطها ، ملابس لا يضرها العث ولا تتثنى ، ولا يخترقها المطر — هذه بعض الأشياء التي سيدنيها إليك العلم قريباً .

منسوجات جديدة رائعة

لويد ستوفر • مختصرة من مجلة " فوربز "

أقدم نسيج معروف ، هو قطعة من الكتان أخرجت من قبر مصري مجهول ، كفن بها يوم دفن منذ نحو أربعة آلاف سنة ، وقد صنعت كما يصنع نسيج منديلك اليوم . فقد مشطت الألياف وغزلت ، ثم نسج الغزل على نول ، فلم تتغير الطريقة التي تصنع بها الأقمشة إلا منذ عهد قريب .

وقد وقفتُ منذ أسبوع في مصنع شيكوبي في بلدة ميلتاون بولاية نيوجرسي ، فرأيت آلات تتناول القطن في أحد طرفيها وتخرجه قماشاً من الطرف الآخر — دون غزل أو نسج ، وسيخرج هذا المصنع وغيره خلال هذه السنة أكثر من مليوني ذراع من هذا القماش .

وهذه طريقة أصيلة جديدة كل الجدة . هي الأولى من نوعها منذ ستين قرناً من زمن ، بل هي تعد انقلاباً في صناعة نسيج أعظم خطراً من اختراع النول الميكانيكي الذي كان بدء الثورة الصناعية في القرن الثامن عشر . ففي الولايات المتحدة وحدها نجد ٦١٩٣ مصنع نسيج ، تضم ٢٦,٥٠٠,٠٠٠ مغزل و ٤٧٠٠٠٠ نول ميكانيكي . ويغلب أن يكون معظم هذه الآلات قد أصبح عتيقاً بالياً ، لأن الأساليب الجديدة تحل محله على وجه أوفى ، وبنفقة أقل .

كان أمتن المنسوجات يعتمد في تماسك أليافه على احتكاك الخيوط المنسوجة بعضها ببعض ، أما الطريقة الجديدة فتتخذ مادة من العجائن الكيميائية تمسك الألياف ، فتقوم مقام التماسك القديم .

ففي الآلة التي في مصنع شيكوبي ، ترى القطن الخام يمشط بحيث يصبح ملاءة متصلة ، تشبه القطن المندوف المستعمل في حشو اللحاف ، ويكون سمك الملاءة بوصة وعرضها أربعين بوصة . ثم تمر بين أسطوانتين دوارتين . فتضغط حتى يصير

سمكها كسمك النسيج العادى ، ثم تصب على سطحها مادة عجينية سائلة تربط الألياف بعضها ببعض وتثبتها فى مكانها . ومن الممكن أن تجعل هذه المادة بغير لون، ولا عمل لها سوى أن تمسك الألياف — فتكون خطوطاً متموجة أو متقاطعة يبعد أحدها عن الآخر ربع بوصة — أو أن تجعل فى أى قالب تريده للزخرف ، وتلوّن بأى لون تشاء .

والقماش الذى يصنع على هـذا الوجه ، يجفف على أسطوانات ساخنة ، ثم يلف — ولا شىء أكثر من هذا . ففى دفعة واحدة ترى القطن الخام قد حوّل نسيجاً تام الصنع . ويجرى مجرى القطن أى نوع من الألياف تريد . أما الطريقة التى كانت متبعة حتى الآن ، فقد كانت تقتضى أن تعالج الألياف عشر مرات أو أكثر فى آلات كثيرة شديدة التعقيد .

وسيكون القماش الجديد ، الذى لم تغزل خيوطه ولم تنسج ، أرخص ثمناً من المغزول المنسوج . وليس سبب ذلك اختصار العمل وحسب ، بل سببه أيضاً قلة ما يستعمل من الألياف فى إعداد مساحة معلومة من القماش ، فرطل القطن الذى تصنع منه ثمانى ياردات من الشاش الطبى الهفهاف المغزول المنسوج ، يكفى الآن لصنع ٢٤ ياردة من قماش الفوط غير المنسوج ، ومع ذلك فإن قماش الفوط يكون أماس ناعماً إذا قيس بالشاش الهفهاف الكثير المسام .

وقد فحصت قطعة من قماش الفوط — ماسلين — حين خرجت من الآلة فى مصنع شيكوبى ، فإذا مظهرها وملمسها كقطعة من الفانلا القطنية البيضاء الرقيقة . ولكنها كانت مرنة لا تتثنى كالقماش المنسوج ، وكانت كالحرير فى لينها . وإذا غمست فى الماء امتصته على الفور كنسيج الكتان ، بغير أن تفقد من متانتها شيئاً تستطيع العين أن تتبينه .

وقد زاد ما يصنع من هذا القماش زيادة سريعة ، ولكنه لم يف بالطلب . وترى الآن القماش غير المنسوج يستعمل فى صنع فوط لعيادات طب الأسنان ، وأخرى للأطفال ، ومرشحات اللبن الحليب ، وقطع تبطن بها الأحذية أو الأكفان . ومعظم هذه الأشياء مما ينبذ بعد استعماله ، وقد كان بعضها من قبل يصنع من الورق ، ولكن القماش أنعم ملمساً من الورق ، وأمتن منه حين يبتل . ويدانيه فى رخص ثمنه إذا ما صنع بالطريقة الجديدة . وسوف نظفر عما قريب بفوط للسفرة ، ومفارش للموائد ، وستائر للنوافذ ، تبلغ من رخص الثمن مبلغاً يسهل نبذها حين تتسخ . وقد صنع فى شيكوبى ألوف من فوط الأطفال ثمنها أقل مما يتكلفه غسل الفوط المألوفة وكيها .

ولكن القماش الجديد لم يبلغ بعد من المتانة مبلغاً يجعله صالحاً للقمصان وأغطية الأسرّة، فقوته مقتصرة على جهة واحدة ، فأنت إذا شددته عرضاً وجدته متيناً ، وأما إذا شددته طولا كان سهل التمزيق . وقد صنعت طريقة لمد الألياف طولا وعرضاً ، فتكون كاللحمة والسدى ، فيكسب القماش بذلك متانة فى الطول والعرض . ولم يبق إلا صنع الآلات التى تفى بإنتاج هـذا الضرب من القماش . والتجارب جارية الآن فى معامل كثيرة للبحث .

وقد شاهدت فى مصانع كندل بولاية ماسشوستس ، صنع ضربٍ آخر من القماش غير المنسوج ، يمكن وصل قطعه بعضها ببعض بغير أن تخاط .

فهناك تمزج ألياف مصنوعة من العجائن بألياف القطن ، ثم تتماسك الألياف جميعاً حين تضغط بأسطوانات ساخنة ،وإذا القماش رقيق كورق الأرز ، ويكاد يكون شفافاً مثله . ولما كان هـذا القماش يحتوى على ألياف مصنوعة من العجائن ، ففى وسعك أن تصل قطعتين منه بأن تضع طرف إحداها على طرف الأخرى ثم تستعمل الضغط والحرارة . وقد تتمكن ربة البيت فى المستقبل من أن تنجز ما تخيطه من هذا القماش باستعمال المكواة القديمة المستعملة فى تجعيد الشعر . وقد أطلق على هذا القماش اسم « وريل »،واستعمل أول ما استعمل فى صنع أكياس يوضع فيها ورق الشاى داخل الإناء فيكون الكيس كالمصفاة . والولايات المتحـدة تستهلك كل سـنة ١٫٦٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ كيس منها .

هذه الأقمشة غير المنسوجة ، هى دليل واحد وحسب على التقـدم الكيميائى الحديث فى صناعة النسج . وثمة أدلة أخرى كثيرة .

ففى أحد المعامل رأيت جوربين من الصوف من حجم واحد . وكان منظرهما وملمسهما واحداً ، ولكن أحدهما كان قد عولج بمادة راتنجية تدعى ملامين . وقد غسلنا الجوربين مدة ساعتين فى مغسلة ميكانيكيـة يستعملها الجيش ، فانكمش الجورب المعالج بالملامين مقدار ١٠ فى المئة ، وظل ناعماً مرناً . وأما الآخر فقد انكمش ٣٧ فى المئة وتكثفت خيوطه وتلبّدت . فالعلاج بالملامين — وهو امتيـاز لشركة سياناميد الأمريكيـة — يقلل انكماش منسوجات الصوف بمقدار ٧٥ فى المئة . وقد ينتهى الأمر إلى أن يصير العلاج بالعجائن مانعاً يمنع انكماش المنسوجات ، فيغـدو

فى الوسع أن تغسل ثياب الرجال المصنوعة من الصوف مع سائر ما يغسل فى المنزل .

والمواد الراتنجيـة المانعة للانكماش ، تصنعها وتبيعها اليـوم شركتا سياناميد الأمريكية ، ومونسانتو الكيميائية ، ولها منافع أخرى سوى ما تقدم . فإذا ما عولج بها القماش ، سواء كان من الصوف أو القطن أو الحرير الصناعى (الريون) صار أجود تفصيلا وأشد مقاومة للتثنى ، وأطول بقاء .

وإذا ما عولج ثوب مصنوع من الصوف بالمادة التى تصنعها شركة مونسانتو ـ وهى تغشى كل ليف بغشاء رقيق خفى دائم من العجائن الكيميائية ، صار غسله وتجفيفه سهلا كأنه جوارب النيلون .

وفى معامل دوبونت فى ولاية ديلاوار رأيت قطعة من نسيج أسمر مصنوع من القطن ، وكان قد عـولج بملح الأمونيا الرباعى . فلما وضع تحت رذاذ من الماء ، جعلت القطرات ترتد عنـه ، أو تتحول قطرات تتدحرج عليه كأنها زئبق .

وقد عولجت ملايين من معاطف الميدان للجنود على هذا النحو . وليس ثمة من يزعم أن المعطف الذى عولج كذلك لا ينفذ فيه الماء ، بل إذا ضغط الماء نفذ من بين الخيوط المنسوجة ، ولـكنه لاينفـذ فى الخيوط نفسها ، وكذلك لا يبتل الثوب ، ولا يبتل صاحبه أيضاً إلا إذا انهمر المطر مدراراً .

وهذه الخاصة الكيميائية التى ترد ماء المطر ، تمنع أيضاً اتساخ هذه المنسوجات وتلطيخها . فقد أخـذ الدكتور جورج سلوينسكى ، أحد علماء معمل دوبونت ، قلم حبر وضغطه فانبجس منه الحبر على قطعة من هذا النسيج ، ثم أجرى الماء عليها من حنفية ، فزال الحبر ولم يخلف أثراً . وقد صنع علماء مونسانتو من مركب « ڤينيل بوتيرال » مادة عجينية كالمطاط لا ترى بالعين ، وعالجوا بهـا مفارش الموائد المصنوعة من الكتان ، فإذا وقع عليها أثناء الأكل شىء من قليّة اللحم (صاصة) لم تترك فيها بقعاً . وصنعت مادة أخرى تدعى « مرلون » تسبغ على القماش القطنى لمعاناً لا يزيله الغسل والاستعمال . ومتى عولجت ملاءات الأسرّة بها ، طال عمرها وصار ضعفين ـ ولايكلف علاج الملاءة الواحـدة أكثر من قرش وربع قرش .

وثمة مادة كيميائيـة جـديدة تدعى « سيتون » تقى سراويلات الرجال من أن تتكوّر وتنتفخ عند الركب . ويرى الذين صنعوها أنهم يستطيعون أن يتخذوها فى صناعة الجوخ ، فيصنعون جوخاً لا يلمع . وهناك مواد كيميائية أخرى جديدة ، إذا

طليت بها الألياف الطبيعية وقتها التعفن ، والعثّ ، والنار .

وقد ابتكرت أساليب شتى ، لتغشية خيط الجورب بغشاء خفي يمنع الجورب أن تنسل خيوطه . وقد عرض عليّ في معمل دوبونت جورب نيلون لم يعالج بهذا الأسلوب ، فوجدت ١٥٠ خدشاً فيما مساحته عشر بوصات مربعة منه . ثم رأيت جورباً آخر قد عولج بالحمض الأكريليك ، ثم عرض لكل ما عرض له الأول من ضغط وشدّ ومط ، فلم أر فيه إلا خمسة خدوش في نفس المساحة . ولا يكلفك أن تزيد بقاء زوج من الجوارب من ٣٥ إلى ٥٠ في المئة من عمره ، أكثر من مليم واحد .

وفي أثناء الحرب صنعت مواد جديدة بالتركيب الكيميائي ، يحتمل أن تنافس النيلون والريون ، فقد كشفت شركة فايرستون طريقة تمكنها من صنع أرقّ الجوارب من مادة « ڤيلون » الكيمائية التي ركبها علماؤها . وهناك مادة أخرى اسمها « ڤينيون » صنعتها شركة كاربون وكاربيد قد تصلح لصنع الجوارب أيضاً ، وهي متينة حتى في أرق المنسوجات وأشفّها ، ولا تتأثر بالماء . فإذا نسجت خيوطها مع خيوط القطن أو الصوف أو الريون ، ظل النسيج محتفظاً بالشكل الذي يفرغ فيه ، أو بالثنايا التي يقتضيها التفصيل .

وقد كشف العلماء أن تركيب الجزيئات في معظم المواد البروتينية ، يجعلها ملائمة لصنع ألياف منها تصلح للمنسوجات . وقد صنعت ألياف تصلح لذلك من مواد شتى كالبيض ، والفول السوداني ، وحشائش البحر ، ودهن الحوت ، وبزر القرع ، وريش الدجاج ، ولبن البقر ، ولحاء الشجر .

أما والمستقبل القريب يطوي في ثناياه هذه الأساليب الجديدة ، فإن الألياف الطبيعية من قطن وصوف ، ستجد لها منافساً شديد المنافسة .



توقف خطيب في وسط خطبة طويلة ، وحدّق في الجمهور وقال : « لا يزعجني أن أراكم تخرجون ساعاتكم لتعرفوا الوقت ، ولكن الذي يزعجني هو أن تضعوها على آذانكم لتعلموا ألا تزال سائرة أم وقفت » . [ذخيرة النوادر]



هذه طبائع

كان بيتر جارفس رجلا كسولاً لا يطيق عملا، ولا فضيلة له إلا أنه حارب مدة قصيرة فى الحرب الأمريكية الإسبانية . وكان يشير مزهوًّا إلى تلك الحرب بقوله : « المعركة » ثم يتوسل بهذا إلى الاستجداء. وذات يوم مر أمام دار جدتى صباحاً ، حين كانت تنظف درجها ، فبدأ حديثه متوسلا: « لقد خضت المعركة ياجدتاه » فنظرت إليه من وراء نظارتها وقالت : « نعم ، وأنا خضتها أيضاً » .

فقال : « أية معركة يا جدتاه ؟ »

فردت عليه رداً جافياً وهى لا تزال تمسح الدرج : « معركة الحياة » .

فحدق بيتر فى جسمها المنحنى ويديها المتغضنتين وانصرف . ولم نره فى هذا الحى إلا بعد بضعة أسابيع ، يوم كانت جدتى تغسل الدرج كعادتها كل أسبوع ، وقد جاء مرتديا رداء الكناسين ، ودنا من دارها وهو يكنس ، فلما بلغها وقف قليلا وقال : « ها أنا أخوض المعركة أيضاً يا جدتاه » . فلما حدقت فيه صامتة لا تنطق ، فسّر لها مايريد مزهوًّا فقال : « معركة الحياة » .

[كاترين سميث]

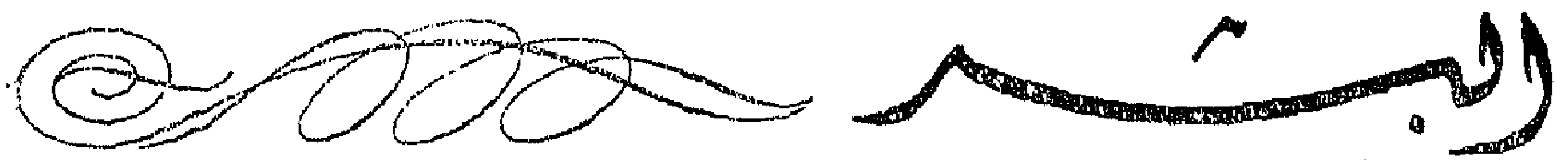
لما كنت فى السابعة من عمرى دخلت دكان الحلوانى ورأيت صاحبه مكنتوش واقفاً وراء منصة البيع فتمتمت قائلة : « من فضلك ياسيدى . إن كعكة الزواج التى فى الواجهة قد بلغت أقصى حدود الجمال ، فأريد أن أدفع الآن ٥ قروش مقدماً على حساب كعكة مثلها » . فضحك الزبائن ضحكا عاليا ، ولكن مكنتوش انحنى لى وقال جادًّا : « ومتى تريدين أن تتسلمى هذه الكعكة ؟ » فقلت : « لن أتسلمها قبل مضى سنين ، ولكننى أريد أن أستوثق منذ الآن أن تكون كهذه تماما » . فقبل الرجل القروش وأعطانى بها وصلا .

ومرت السنون، وأخذت أستحى مما صنعت فأبتعد عن الدكان كلما سرت فى ذلك الشارع .

ثم دعيت ليلة زواجى لأتسلم علبة كبيرة ، فلما فتحتها رأيت فى داخلها كعكة كتلك التى رأيتها فى حداثتى ومعها قائمة الحساب ، فإذا هى كما يلى :

كعكة زواج واحدة
٥ قروش على الحساب
بقية الثمن تحية من شركة مكنتوش
لقاء أصدق تقدير ظفرت به .

[مسز جورج أورد]



عدت إلى سيارتي التي تركتها في شارع صغير بمدينة بتسبرج، فوجدت صبيا في نحو الثامنة قد نظف سطحها بخرقة فصار لامعاً، على حين ظلت جوانبها يعلوها الغبار فقال: « أستطيع ياسيدي أن أنجز العمل إذا أعطيتني نصف ريال » ، فوافقت . فظل ربع ساعة يصقل جوانب السيارة بخرقته ، ثم تنحى فأعطيته ريالا . وقلت له : « لا ترد لي الباقي » . ثم سألته عن سير العمل .

فقال : « لا بأس به . يا سيدي » .

وأخرج من جيبه رزمة من الريالات وقال: « إنك سابع مغفل لقيته اليوم » .

[جورج شلايت]

زرت منذ عهد قريب مدينة صغيرة من المدن القائمة على ضفاف نهر المسيسبي، فوجدت مصلحة التلفون تخدم مشتركيها خدمة صادقة . فقد أرادت أم شابة أن تستعير شيئاً من جارة لها ، ولكنها لم تجد أحداً يعنى بطفلها وهو ابن أربعة أشهر . فأدنت سريره من التلفون ، ووضعت السماعة بجواره . ثم كلمت عاملة التلفون فقالت : « سأترك سماعة التلفون بجانب الطفل ، وسأذهب إلى صديقتي ليديا ، ولن يطول غيابي أكثر من دقائق . فإذا بكى الطفل فأرجو أن تكلميني بالتلفون في دارها » .

[مسز ر . م . ردهيد]

علمت أن جارة لنا عجوزاً ، مرضت مرضاً شديداً على أثر ما أكلته من المحار . فذهبت في المساء لأعودها وأسأل عنها، فقالت ابنتها : « ادخلي . وانظري بعينيك » .

فقلت : « لا . لا أريد أن أرهقها بزيارتي » . فأصرت وما كدت أدخل حتى رأيت العجوز جالسة إلى المائدة ، وفوطتها على صدرها ، وهي تأكل طبقا من المحار .

فصحت دهشة : « ولكنني ظننت أن المحار هو سبب مرضها ؟ »

فحدقت العجوز في عيني وقالت : « هو سبب مرضي ، ولكنني لا أنوي أن أسمح لمعدتي أن تملي عليّ ما ينبغي أن آكل وما ينبغي أن أدع » .

[نورا بروفي]



كثيرون منا لا يجيدون القراءة . وهـذا المقـال يريك كيف تختبر قدرتك على القراءة وكيف تحسنها

هـل تحسن القـراءة ؟

روث ماك كوى هاريس • مختصرة من مجلة "ليبرتى"

أتحب أن تعرف مبلغ سرعتك فى القراءة ؟ إذن هات قلماً وساعة ، ومتى بلغت آخر هذه الفقرة فدون الوقت بالضبط، وامض فى القراءة بسرعتك المعتادة . وفى آخر هذا المقال أسئلة لامتحان فهمك لما قرأت . فهل أنت مستعد ؟

يقول نورمان لويس فى كتابه « كيف تحسن القراءة بسرعة ؟ » : إن القارئ البطيء قارئ ردئ . والمرء يقرأ بسرعة لأنه يفكر بسرعة ولأن نظره قوى ، ومحصوله اللغوى واف ، ومعلوماته واسعة . ومعظم الذين يقرأون بسرعة تبلغ عشرة أمثال السرعة التى يقرأ بها المتثاقل، يستوعبون أكثر مما يستوعب » .

ولويس هذا يدرس القراءة للبالغين ، ويعالج إصلاحها بكلية مدينة نيويورك ، ويقول : إن القراءة أهم ما نتعلم ونحذق ، فما يكاد يوجد عمل إلا وهو يحتاج إليها . وفى بعض البلدان يقل عدد البالغين الأميين

ولكن ستين فى المئة على الأقل ممن يعرفون القراءة فيها ، لا يحسنونها .

وهنالك ملايين ممن لا يقرأون إلا النشرات المنزلية ، ولكنهم خليقون أن يفيدوا متعة ونشاطاً فى المجلات والكتب إذا أجادوا القراءة . والطفل الذى لا يحسن القراءة مقضى عليه بالخيبة فى المدرسة . ومعظم المقصرين تطول خيبتهم فى المدارس ، وهى تبدأ بسوء القراءة .

والتدريب جزء مهم فى السعى لتحسين القراءة ، فعليك أن تفرد وقتاً فى كل يوم تبذل فيه مجهوداً تحاول به أن تكون أسرع فى القراءة ، وأن تأخذ عيناك بنظرة واحدة مقداراً أكبر من الكلام. إن عينك لا ترى شيئاً وهى تتحرك على السطر المطبوع ، وإنما تقرأ العين فى أثناء الوقفات الوجيزة ، والذى يجيد القراءة لا يقف سوى مرتين أو ثلاث فى سطر عادى . أما القارئ الردئ فيقف عند كل لفظ تقريباً . والقارئ البارع يرى سطراً كاملا بنظرة واحدة ، حتى ليستطيع أن يقرأ عموداً ضيقاً مطبوعا

دون أن يحرك عينه من اليسار إلى اليمين. وقد اشتهر ثيودور روزفلت بأنه يستطيع أن يقرأ صفحة كاملة بنظرة واحدة — وهى استحالة بديهية — وإنما كان يقرأ بسرعة ، وكان يعرف ماذا يتخطى ، وكثيراً ما كان يكتفى بقراءة الألفاظ الرئيسية .

وتذهب الدكتورة ستيلا سنتر ، رئيسة « عيادة » المطالعة بجامعة نيويورك ، إلى أن أهم الأخطاء فى القراءة أن تقرأ كلمة كلمة ثم تكر راجعا لتعيد القراءة ، وكثيرون ممن يقرأون ببطء ينطقون بكل كلمة ، بصوت مسموع أو دون صوت ، وإذا أردت أن تعرف هل تقرأ بصوت أو لا ، فالمس شفتيك بخفة وأنت تقرأ . فإذا كانتا لاتتحركان فالمس عنقك عند أوتار الصوت ، فإذا وجدتها تختلج قليلا فأنت تقرأ بصوت . وينبغى إذا أردت اجتناب ذلك أن تقرأ مادة سهلة بسرعة حتى لايتسع الوقت للنطق . وأهم من ذلك أن تجعل بالك إلى فكرة الكاتب ، وهذه هى أيضا خير طريقة لاجتناب إعادة القراءة . وإنما نجيد القراءة حين يستولى ما نقرأ على عقولنا وخيالنا .

ويتفق الخبيرون بالقراءة على أن قلة المحصول اللغوى من عوائق القراءة السريعة ، ولكن هذا لا يستوجب أن يتوقف المرء ليراجع كل كلمة جديدة فى المعجم ، بل عليه أن يمضى فى القراءة على الأقل إلى آخر الفقرة ، وكثيراً ما يتضح معنى الكلمة من طريقة استعمالها ، فإذا لم يتفق هذا ، فقد يوضحها أن تحاول تخمين معناها قبل مراجعتها ، ويقول نورمان لويس : « إن المحصول اللغوى الوفير لايستفاد من مراجعة جدول طويل من الألفاظ فى معجم ، بل من الاطلاع الواسع ، ومن التنبه واليقظة والرغبة فى المعرفة » .

وتبدو الكتب التى يشير لويس على تلاميذه بقراءتها خارج المدرسة ، ثقيلة على القارئ البطئ ، : وهى تشمل التاريخ والسِّيَر ، وعلم النفس ، وعلم وظائف الأعضاء والرياضيات ، وعلم الاجتماع : « وإذا كان الطلبة يقرأون أيضا قصص الحب والمغامرات فذلك من الخير ، فإنه يساعدهم على التدرب . ولكن من آفات القارئ البطئ أن يكون ضيق المعرفة . ولما كان لم يستمتع قط بالقراءة ، فلعله لم يفتح كتابا منذ أيام الدراسة . وقد فاته كثير من الحقائق التى يعرفها غيره . فقراءة طائفة من الكتب النفيسة تكسبهم قاعدة يبنون عليها ، وكلما زاد علمك زدت سرعة فى القراءة » .

ومن المهم التوفيق بين سرعة قراءتك وبين مادتك ، فإذا كنت تدرس كيف تصنع كعكة أو تقيم رفًّا ، فإن عليك أن

تتأنى ليكون كل شئ جليا فى ذهنك . أما إذا كنت تقرأ قصة من قصص المغامرات ، فمن الإثم أن تتخطى الوصف الدقيق لمناظر الجبال وتمضى مع حوادث القصة ، وليس عبور الكلام كتجاوزه وتخطيه ، فأنت تعبر الكلام إذا مررت عليه بلحظك مراً سريعا ، والتقطت الألفاظ الرئيسية ، وهذا هو السر فى أن كثيرين من أصحاب الصناعات يستطيعون أن يطلعوا على كل ما ينشر فى بابهم .

وماذا ينبغى أن يبلغ من سرعتك فى القراءة ؟ إذا كنت تقرأ ٢٢٥ كلمـــة فى الدقيقة ، فأنت تقرأ بمتوسط السرعة العامة فى الولايات المتحدة ، وكما ينتظر من طفل فى العاشرة من عمره أن يقرأ كتبه المدرسية . وهـذه سرعة غير كافية للاستمتاع بقراءة الصحف والمجلات ، وطلبة المدارس الثانوية يتعبون إذ لم يستطيعوا أن يقرأوا ٣٠٠ كلمة فى الدقيقة . أما طلبة المدارس العالية فإن الأمر يشق عليهم إذا كانوا يقرأون أقل من ٣٥٠ كلمـة فى الدقيقة . وفى بعض الأعمال تستقل ٦٠٠ كلمة فى الدقيقة ، وقد تتلمذ رجال على الدكتورة سنتر فى عيادتها لزيادة هذه السرعة ، ونجحوا . ويقرأ لويس أكثر من ٨٠٠ كلمـة فى الدقيقة ولا يزال يتقدم . والظاهر أن فى وسعك أن تزداد دائما سرعة فى القراءة وإجادة لها ، مهما بلغ من جودة قراءتك . ومن التحدى لكثيرين منا أن يعلموا أن معظم البالغين يستطيعون أن يزيدوا سرعة القراءة بنسبة ٣٥ فى المئة — بمجهودهم الخاص .

والآن انظر إلى الوقت ، واقسم عدد الألفاظ (٧٥٠) التى قرأتها على عدد الدقائق ، وبذلك تعرف سرعتك فى الدقيقة .

ولكى تختبر مبلغ استيعابك لما قرأت أجب عن الأسئلة الآتية دون أن ترجع إلى المقال ، وأعط نفسك عشرة درجات لكل جواب صحيح ، فإذا نلت ٨٠ أو أكثر ، فإنك تكون قد استوعبت النقط الرئيسية .

١ — القارئ المسرع يفوته كثير مما يقرأ . أصحيح هذا أم خطأ ؟

٢ — المحصول اللغوى الضعيف يجعل القراءة بطيئة . أصحيح أم خطأ ؟

٣ — إذا نطقت بكل كلمة فإن فهمك لما تقرأ يكون أحسن ، ويزداد محصولك اللغوى . أصحيح أم خطأ ؟

٤ — كان ثيودور روزفلت يقرأ صفحا كاملة دفعة واحدة . أصحيح أم خطأ ؟

٥ — القراءة أهم من أى مادة مدرسية أخرى . أصحيح أم خطأ ؟

٦ — عـدد الذين يلاقون متاعب فى القراءة يبلغ نحـو (١) ٥ فى المئـة

(ب) ٢٥ فى المئة . (ج) ٦٠ فى المئـة.

٧ — معظم البـالغين يستطيعون أن يزيدوا سرعتهم فى القراءة على الأقل بنسبة (ا) ١٠ فى المئة (ب) ٣٥ فى المئة. (ج) مئة فى المئة .

٨ — (جوابان كلاهما خطـأ فاضرب عليهما) إن الأخطاء الشائعة فى القراءة هى: (ا) القراءة كلمة كلمة (ب) قراءة المادة الهزلية (ج) إعادة القراءة (د) النطق بالكلمات (هـ) الذهاب إلى السينما .

٩ — كل من يقرأ بسرعة عظيمـة يستطيع أن يزيد سرعته . أصحيح أم خطأ؟

١٠ — استعمال معجم لمراجعة كل كلمة جديدة على الفور يزيد سرعتك فى القراءة. أصحيح أم خطأ ؟

أجوبة الأسئلة

١ — خطـأ ، ٢ — صحيح ، ٣ — خطـأ ، ٤ — خطـأ ، ٥ — صحيح ، ٦ — ٦٠ ٪ ، ٧ — ٣٥ ٪ ، ٨ — الجوابان المخطئان هما ب و هـ ، ٩ صحيح ، ١٠ — خطأ .



« من لم يجبر الصبر أهلكه الجزع »

قال الموت : كان فى بغداد تاجر بعث بخادمه إلى السوق لـكى يشترى له مؤونته ، فما لبث حتى عاد شاحبا يرتجف وقال : صـدمنى رجل فى السوق ياسيدى ، فالتفتُّ لأرى من هو فإذا هو الموت، فحدّق فى ثم أشار لى مهدّداً، فأرجو أن تعطينى جوادك فأمتطيه إلى مدينة سرّ من رأى حيث لا يلحقنى الموت .

فأعطاه التاجر جواده ، وامتطاه الخادم ومضى ينهب الأرض . أما التاجر فجاء إلى السوق ورآنى واقفا بين الناس ، فأقبل على وقال : « لم هدّدت خادمى حين رأيته فى الصباح ؟ »

فقلت : « لم تـكن إشارتى إشارة تهديد ، وإنما كانت إشارة دهشة ، فقد أدهشنى أن رأيته فى بغداد ، فنحن الليلة على ميعاد فى سرّ من رأى » .

[سومرست موم]

سويسرا
الرخاء عن طريق الحرية

يعتمد السويسريون على أنفسهم أكثر من اعتمادهم على الحكومة ... فيغنمون بذلك المال والحرية



إدوين مولر

مختصرة من مجلة "ذى امريكان ميركيورى"

ليس عند السويسريين شيء من الأشياء التي تعد من مقوّمات الرخاء ، فبلادهم صغيرة الرقعة ، وغاصة بالسكان ، وليس عندهم من أرض الزراعة ما يكفي لإطعام نصف سكانها ، وليس لديهم فحم ولا زيت ، ولا شيء من الحديد أو غيره من المعادن ، بل ليس عندهم من المواد الخام إلا النزر اليسير ، ولا منفذ لهم إلى البحر .

وبرغم ذلك فقد ظفر السويسريون بقسط من الرخاء يماثل غاية ما بلغه غيرهم إن لم يزد عليه . ففي سنة ١٩٢٨ ، وهي من سنوات الرخاء في أمريكا ، بلغ معدل ثروة الفرد ٢٠٩٨ ريالا ، أما في سويسرا فقد بلغ ٣١٢٦ ريالا . وكانت الفاقة فيها نادرة .

وفي أثناء الأزمة الاقتصادية العالمية ، استهدفت سويسرا لما استهدف له سائر العالم ، ولكن نسبة العاطلين من سكانها كانت أقل من ربع نسبتهم في أمريكا ، فلم يعم الإملاق البلاد . وسويسرا اليوم من الوجهة الاقتصادية تعد جنة في صحراء أوربا .

ومع هذا الرخاء النسبي احتفظ السويسريون بشيء أجلّ منه — هو الحرية الشخصية ، ولعلهم إنما صاروا في رخاء لأنهم قوم أحرار .

والرأي الشائع في هذه الأيام ، هو أن حرية الفرد والرخاء القومي لا يجتمعان ، وأن علينا أن نقايض بالحرية لننال الرخاء ، وأن يزداد سلطان الدولة وتوحيدها لخطط الصناعات . ولكن السويسريين لم يهجروا السياسة الاقتصادية القائمة على الحرية والتنافس ، فلم توحد حكومتهم خطط الحياة الاقتصادية ، حتى اضطرتهم ضرورات الحرب .

وذلك لأن مذهب السويسريين في الحياة يقوم على أساس واحد ، هو حرية الفرد في السعي . فكل إنسان يتولى بنفسه علاج مشكلاته ، ويكون مسؤولا عن نفسه ، ويجاهد جهاداً متصلا في طلب العيش ، ويكون حراً في اختيار السبيل . وفضلا عن ذلك ترى تنافسهم لا يمنعهم من التعاون وكل فرد يعلم أن رخاءه رهن برخاء جاره .

إليك مثلا أحد المزارعين من منتجى اللبن فى أعالى جبال الألب ، ومزرعته قائمة على رأس وادٍ ضيق ، وخلفها مهاوٍ تغطيها الثلوج — وتبلغ مساحتها سبعة فدادين أو ثمانية وهى صخرية التربة وبعض نواحيها شديد الانحدار ، فلو زلت به قدمه لهوى من مزرعته ودق عنقه .

ولو كانت هناك هيئة مشرفة على توحيد الخطط، لقررت أن مثل هذه المزرعة لا يجدى الإنفاق عليها ، وهى قليلة الشأن فى الاقتصاد القومى ، فتخرج المزارع منها وتكلفه العمل فى إحدى المزارع المشتركة التى تكون فى السهول . أما وقد تركت لأسرة هذا الفلاح حريتها فى وضع خططها ، فتراها آثرت أن تبقى حيث هى ، وأن تدبر أمر حياتها فى أرضها ، فوفقت خير توفيق .

وتراهم يربون الخنازير والبقر والدجاج ، وينقلون الطين إلى بقعة مسوّرة ليجعلوها حديقة للخضر . ومزرعتهم فى غنى عن استجلاب المؤونة من الخارج ، ومحصولهم الذى يأتيهم بالمال هو اللبن ، وإنتاج اللبن لا بدّ له من الدريس ، فمن أجل ذلك يزيلون الأحجار ويبذلون جهداً مضنياً فى تسميد الأرض خير تسميد . وقد وضع المزارع نفسه نظاماً بارعاً لرى أرضه ، فحوّل إليها جدولا صغيراً يجرى من ماء الثلوج ، وذلك باتخاذ جذع مجوف كالأنبوب ينقل الماء إلى شبكة من الترع فى تلك المراعى المنحدرة ، وبذلك استطاع أن يظفر ببرسيم كثير ناضر ، كأنه قد زرع فى بطن وادٍ خصيب .

فإذا جاء الشتاء ذهب المزارع هو وأسرته ليعملوا فى مصنع القرية ، أو يكوّنون هم أنفسهم وحدة صناعية مستقلة ، فيصنعون قطع الساعات ، والسيجار ، وأوعية من الخشب ، ويشتغل النساء بالتطريز وضفر القش . وتأتيهم المواد الخام كل أسبوع من المصنع فى الوادى الأسفل ، وتردّ إليه ما تم صنعه . ولديهم مخرطة يديرها الماء المتدفق الذى يروى الحقول ، وهم يباشرون عملهم هذا بنفس الهمة والبراعة التى يتولون بها زراعتهم . ولما كان عملهم حسن الإتقان ، كان حسن الأجر أيضاً .

ويميل السويسريون إلى العمل الذى يجعل الأسرة جماعة واحدة لا تتفرق . ومع ذلك فالأسرة ليست وحدة منعزلة ، فبينها وبين سائر أسر الوادى تعاون يتم بأساليب شتى . ففى فصل الصيف يشترك المزارعون جميعاً ، فيستأجرون رعاة يحشدون قطعان البقر ويخرجون بها إلى المنحدرات التى تكثر فيها الحشائش عند السفح ، وهى ملك مشاع بينهم . ومصنع الجبن فى القرية ملك الجمعية التعاونية ، ولكل نصيب فى الإيرادات والنفقات



من الأرباح على قدر ما يعطيهم من اللبن .

والمزارع مخير فى أن يشترك فى هـذه الأعمال التعاونيـة ، فليس لزاما عليه أن يضم قطيعه إلى سائر القطعان عند الرعى ، ولا أن يحمل ألبانه إلى مصنع الجبن . بل فى وسعه ، وذلك هو الغالب ، أن يستقل بنفسه ويبيعها للفندق الذى يغشاه السائحون فى أسفل الوادى .

فبالعمـل المستقل تارة وبالتعاون تارة أخرى ، تسير أمور المزارع ، ويجد فى آخر العـام زيادة فى ماله المدخر . وهذه حيـاة قاسية ولـكنها مرضية . وإذا انقضى اليوم جلس رب الأسرة على رأس المائدة وحوله جميع أهله ، وأمامهم طعام وافر قد تولوا صنعه بأيديهم .

وما يصدق على المزارع يصدق على العمال ، فهم يجنون ربحاً وافياً ، على فقر بلادهم ، وذلك بفضل براعتهم وطول كدّهم .

وساعات عملهم أطول وأيام عطلتهم أقل مما ألفته أكثر الأمم ، ولعلهم أكثر الناس اهتماما بإتقان ما يعمـلون . فهم قوم قوام معيشتهم التصدير ، ولا مندوحة لهم عن استيراد المواد الخام من جيرانهم ليصنعوا منها منتجات أجود كل الجودة مما يصنعه جيرانهم فى بلادهم ، حتى يكونوا فى شرائها أرغب . وهذا هو الأساس الذى تقوم عليه صناعات سويسرا ، كالساعات ، والآلات الدقيقة ، وآلات توليد الكهرباء من الماء ، والمركبات الكيميائية ، والمنسوجات .

ولا بد للسويسريين أن يكونوا أبداً أعظم حذقاً من جيرانهم ، وأن لا يكفوا عن اختراع أشياء جديدة وأساليب مستحدثة تفضل القديم ، فترى الولايات المتحدة تسجل من الاختراعات فى كل سـنة بنسبة ٣٣٠ اختراع لكل مليون من السكان ، على حين أنها فى سويسرا تبلغ ٩٣٠ لكل مليون . وكل صاحب معمل يظل يبحث بحثاً مستمراً عن اختراعات جديدة . وهذا الحذق ليس مقصوراً على معامل بعض الشركات الكبيرة ، بل هو شائع فى الأعمال الصغيرة ، وفى الأعمال التى يتولاها الأفراد .

وفى سويسرا أعمـال تجارية واسعة ، ولا سيما فى الصناعات الكبيرة ، ولـكن المصانع صغيرة على وجه العموم ، فثلاثون فى المئة وحسب من العمال السويسريين يعملون فى شركات يبلغ عدد موظفيها ١٠٠ أو أكثر . أما معظم الأعمـال فعدد موظفيها أقل من عشرين . وفى أعظم الصناعات السويسرية ، وهى صناعة الساعات ، يتراوح عدد موظفى المصنع بين عشرة أشخاص وخمسة عشر . وصاحب العمل فى الغالب هو نفسـه مدير العمل .

وليس فى سويسرا هوة واسعة بين صاحب العمل والأجير ، وإذا طفت بإحدى المدن السويسرية لم تستطع أن تميز حى العمال من سواه ، بل ليس لهم فى العادة حى . وصاحب العمل وبعض عماله يعيشون جميعاً فى بناء واحد ، ويركبون تراماً واحداً .

ولقد قال ماركس وغيره من الاشتراكيين : إن من دأب النظام الرأسمالى أن يزيد الغنى غنى والفقير فقراً ، ولكن التفاوت بين أجور المديرين وأجور العمال فى روسيا الشيوعية ، أعظم منه فى سويسرا الرأسمالية ، وليس فى سويسرا كثير من أصحاب الدخل الكبير ، وسياستها الاقتصادية لا تتيح للثروة أن تكون محصورة فى قوم بعينهم . وهذا فضلا عن أن العامل من أوساط العمال ينال أجراً لا بأس به ، فالحاذق من صناع الساعات قد يتقاضى أجراً يومياً يتراوح بين ١٠ ريالات و ٢٠ ريالا . ومن دأب العامل السويسرى أن يحرص على ماله ، ففى سنة ١٩٣٧ بلغ عدد من كان له مال مدخر من أهل سويسرا ، نساء ورجالا وأطفالا ، ٧٥ فى المئة من سكانها .

وسويسرا على ذلك ليست بلاداً خالية من مشكلات العمل والعمال ، ففيها الإضراب والاعتصاب والشدة والعنف ، ولكنها أحسن حالا من معظم الأمم الصناعية .

ونقابات العمال فيها قوية ، وكذلك اتحادات أصحاب المصانع ، ولا ترى أحد الفريقين يملى إرادته على صاحبه ، لأن أداة التفاهم بينهما منظمة تنظيما حسناً ، ففى كل صناعة تتم المفاوضة بين النقابة والاتحاد ، ويتفقان على عقد يشمل الأجور وساعات العمل وأحواله وشروطه ، وينص على تدبير صارم سريع للتحكيم فى المنازعات .

وفى كل شركة نظام يكفل الاتصال القريب المستمر بين صاحب العمل والموظفين . وهناك فى الغالب لجنة مشتركة يمثل فيها الفريقان على التساوى ، وهى تجتمع كل أسبوع لسماع الشكاوى وللنظر فى الأمور التى تهم الفريقين . وقلما يقتصر صاحب العمل على عرض المسائل التى تخص إدارة العمل ، بل قد يتحدث عن سياسته المالية ومتاعبه وآماله .

أما تدخل الحكومة فى شئون العمال ، فأكثر ما يكون فى تشريعها للضمان الاجتماعى . وهى تسترشد فى ذلك بثلاثة مبادىء ، الأول : أن مثل هذا التشريع يجب أن لا يضعف اعتماد الفرد على نفسه ، والثانى : أن الضمان ينبغى أن يكون مما يناله الفرد باختياره وإرادته ، والثالث : أنه يجب أن يراعى فى التشريع الأحوال المحلية .

والنظرية السويسرية هى أن الدولة يجب أن تتولى شئون الذين لا يستطيعون أن

يدبروا شئونهم بأنفسهم ، وهم الأطفال والشيوخ والمرضى والعجزة . ولم يزل السويسريون ينفرون من التشريع الذى يحاول أن يمنح الضمان الاجتماعى كل بالغ « من المهد إلى اللحد » . ومعاشات الشيخوخة وتأمين البطالة وإعانة المرضى (مع استثناء تأمين الحوادث فى الصناعات) تعتمد فى الغالب على مال يجمعه المصنع اختياراً ، ويشارك فيه صاحب العمل والموظفون والحكومة . وكل من لم يرد هذا الضمان ، لم يجبر على قبوله ، أو على دفع شىء فى سبيله .

وهم يتحرون ما استطاعوا أن يجعلوا تشريعهم الاجتماعى مطابقاً لأحوالهم المحلية ، فكل مقاطعة تشعر بأنها تستطيع أن تواجه مشكلاتها ، وأن ذلك خير لها من أن ترفعها إلى حكومة الاتحاد . ولكن حينما تتجاوز الصناعات حدود المقاطعة ، فالقاعدة عندئذ أن الحكومة المركزية هى التى تتولى تنفيذ التشريع الذى يخصها .

والسويسريون يؤمنون بالصناعة الحرة القائمة على التنافس ، وهم يكرهون الاحتكار . فإذا كانت طبيعة إحدى الصناعات تقتضى الاحتكار ، استولت عليها الحكومة أو أشرفت على إدارتها . فسويسرا مثلا أضيق من أن تتسع لأكثر من سكة حديدية واحدة ، فهى من أجل ذلك ملك للحكومة ، وكذلك سائر المواصلات . والمرافق العامة جميعها تقريباً تملكها الحكومات المحلية أو تشرف عليها .

ولكن الحكومة لا تحاول توحيد خطط الصناعات الخاصة . والرأى عندهم هو ان على الدولة أن تضع للناس قوانين المنافسة المشروعة . وهى تؤثر أن يكون كلامها نهياً لا أمراً ، وأن يكون ما تنهى الناس عنه قليلا .

ولما كان نحو ٩٠ فى المئة من البضائع الرئيسية التى تنتجها سويسرا ، ينبغى أن يصدر ، فترى السويسريين يريدون أن يعيشوا فى عالم مستقر العملة ، والتجارة فيه حرة ، وأهله أحرار فيما يبيعونه أو يشترونه. وهم بلا ريب لا يعلمون ما سيكون عليه العالم فى المستقبل ، ولكن السويسريين قوم لا تعوقهم قيود الماضى دون السعى إلى المستقبل ، فقد نشأوا وطبعوا على أن يسيروا فى طريقهم قُدُماً . وهم يريدون التقدم ولكن التقدم فى نظرهم لا يكون بأن يهجر الناس حرية الفرد واعتماده على نفسه . وليس من رأيهم أن الحرية والرخاء شيئان أحدهما بدل من الآخر يغنى غناءه ، بل هما متلازمان لا ينفصلان .



أدخل « چين كاسل » أفلام السينما إلى البيت ، فأنشأ فى ثمانى سنوات . عملا جديداً فتح باب الرزق لثلاثمئة وعشرين موظفا .

رائد سينما المنزل

دون وارتون

مختصرة من مجلة "پوپيولار فوتوجرافى"

يشاهد الأمريكيون اليوم ، فلماً ما فى منازلهم ، فالغالب أن يكون ذلك الفلم من صنع « چين كاسل » — إذا استثنيت الأفلام التى يصنعها والد لولده ، أو هاوٍ من الهواة . وقد بدأ كاسل عمله ، بفكرةٍ خطرت له ، ومثابرة لا تكاد تصدق ، فأنشأ صناعة جديدة تتيح عملا لثلاثمئة وعشرين موظفاً ، ولمئات أخر يعرضون الأفلام ، ولأكثر من ألف من عمال البيع . وتراه الآن ، ولم تكد تمضى ثمانى سنوات على صنع فلمه المنزلى الأول ، يبيع فى كل سنة أفلاماً يبلغ طولها ١٠٥ ملايين قدم ، وثمنها ثلاثة ملايين ريال .

ولد أوجين كاسل فى سان فرنسسكو سنة ١٨٩٧ ، وكان فى صباه يعرض فى منزله مشاهد بالفانوس السحرى يصاحبها شرح مستفيض كتبه بخطه الردىء . فلما كان فى السادسة عشرة ، ورث خمسمئة ريال من جدته ، فبددها فى شراء آلة تصوير سينمائى فرنسية مستعملة قديمة العهد ، فتبين أنه لا يستطيع أن يصور صوراً كثيرة بأفلام يبلغ ثمن كلٍّ منها عشرة ريالات .

فلما بلغ الثامنة عشرة ظفر بعمل فى أفلام الأخبار التى تصنعها شركة جومون . وكانت شركة باتيه أكبر منافس لجومون يومئذ ، وكان من رجالها مصور ممتاز . فعمد كاسل إلى إتقان استعمال مصورة السينما ، لكى يجارى منافسه . وما لبث حتى عهد إليه بتصوير الحوادث من كندا إلى المكسيك — كسباق المناطيد ، وغارات بانشو ڤيّا المكسيكى على الحدود الأمريكية ، وأول اتصال بالتلفون بين شرق القارة وغربها .

وفى خريف سنة ١٩١٦ صوّر أول تجربة جربت ، لإلقاء رجل وموتوسيكل من طائرة بالمظلة . وقد هبط الرجل على بعد ٣٠٠ ياردة من الموتوسيكل ، فركبه ومضى يطوى الأرض بسرعة ٦٠ ميلا فى الساعة . ونقلت صور كاسل إلى وشنطن ، قبل

أن ينزل جنود المظلات من الألمان فى جزيرة كريت بخمس وعشرين سنة ، ولكن وزارة الحربية الأمريكية ، لم تتبين فى تلك الصور يومئذ ، بما يوحى بأن مثل هذا العمل نافع فى الحرب .

والتحق كاسل فى سنة ١٩١٧ بالمشاة البحرية ، ولكن عمله اقتصر على استعمال مصورته للحض على التطوع فى الجيش ، وزاول بعد عقد الهدنة أعمالا شتى فى أفلام الأخبار ، ثم استقلّ فى سنة ١٩٢٦ بعمله . ولم يكن يملك يومئذ سوى ٥٥٠ ريالا وجرأة عجيبة ، فجعل يصنع أفلاماً قصيرة للإعلان ، وأقنع أحد تجار السيارات فى كاليفورنيا بأن يتيح له الطواف فى أقطار الأرض ليصور أصحاب سيارات كاديلاك . وكان الفلم القصير الذى صنعه حافزاً عظيما لبيع السيارات ، فاشترته شركة جنرال موترز، ثم عرضته أسبوعين فى أحد مسارح نيويورك .

ويقول كاسل ، إذا أردت أن تبدأ عملا جديداً : « فلا بد لك من جرأة تدك بها باب كل من يريد أن يصدّك أو يعوقك » ، وكذلك كان كاسل ، فقد قصد رجلا يدعى سمبسون ، وهو أحد موظفى سكة حديد سانتا فى ، والذى وجه أنظار الناس إلى روعة الطبيعة فى منطقة « جراند كانيون » فى ولاية كولورادو ، فلم يزل يلح عليه ويضيّق حتى أقنعه بأن يصنع فلماً ملوناً لذلك المشهد الطبيعى الرائع . ولم يكن كاسل قد صنع فلماً ملوناً من قبل ، ولكنه خرج من مكتب سمبسون بعقد قدره ٦٤ ألف ريال ، فصنع فلماً عرض فى ٤٠٠٠ دار للسنما .

وأرادت إحدى شركات التأمين مرة ، أن تصنع فلماً فيه تحذير لأصحاب السيارات المتهورين ، فابتاع كاسل ثلاث سيارات ، مستعملة ، واستأجر طائفة من السواقين المتعطلين ليسوقوها فحطموها ، وصنع فلماً بلغ من شدة مطابقته للواقع أن عرض على مخالفى لوائح المرور فى محاكم نيويورك . ولكن الأفلام القصيرة التى من هذا القبيل تظل صالحة للعرض زمناً طويلا ، فلم تكن تدر على كاسل ربحا كبيراً . ورأى أن لا مفر له من أن يضيف إلى هذا العمل عملا آخر ، فعثر اتفاقا على فكرة الأفلام التى تعرض فى المنازل . فقد رأى إعلانا يملأ صفحة كاملة عن آلة لعرض السنما فى المنزل ، فحدثته نفسه : « إذا كانت شركة إيستمان كوداك ترضى أن تنفق ألوفا من الريالات فى إعلان كهذا ، فليس ثمة شك فى أن هناك من يشتريها ؟ »

وعزم كاسل أن يتخذ حفلة تتويج الملك جورج السادس موضوعا لأول فلم

يصنعه للمنزل . فعقد العقود مع شركات أفلام الأخبار ، على أن يستعمل أفلامها. وأعدّ رجاله لصنع فلم يستغرق عرضه عشر دقائق ، وشرع فى الإعلان عنه . وكان أول من أقبل عليه متجر كبير فى نيويورك ، فطلب منه لزبائنه نسخاً من هذا الفلم بلغت قيمتها ٣٢ ألف ريال ، قبل عرضه للبيع .

وقبل حفلة التتويج بستة أيام رأى كاسل فى فترة الاستراحة بمسرح ، رجلا يبيع صحيفة كتب على صفحتها الأولى بحروف ضخمة « هندنبرج ينفجر » . فلم تكد تنقضى عشر دقائق حتى كان فى مكتبه يبحث عن صور تصور تلك الكارثة . فلما انتصف الليل جلس يشاهد أفلام الأخبار التى أعدّت على عجل ، فما انقضت ٤٨ ساعة ، حتى كان قد أتمّ مع رجاله صنع فلم للمنزل عن انفجار المنطاد هندنبرج . فباع ٣٥ ألف نسخة منه ، و ٦٠ ألف نسخة من فلم التتويج .

وتجد الآن ثلاثة آلاف من مخازن أدوات التصوير والمتاجر الكبيرة ، تبيع ما يصنعه كاسل من أفلام للمنازل . وثمة ٥٠٠ متجر تؤجر هذه الأفلام لزبائنها — ولا يكلف بعضها أكثر من ٨ قروش فى الليلة الواحدة . وقد صار ظهور فلم جديد من أفلام كاسل لا يقلّ شأناً فى نظر الألوف الذين يوزعونه ويعرضونها ، عن ظهور فلم جديد من أفلام هوليوود فى نظر الجمهور .

وقد صنع كاسل حتى اليوم ٢٠٨ أفلام للعرض فى المنازل ، ولكنه لا يعرض منها للبيع إلاّ نحو عشرين فلماً فى السنة ، ويحتوى كشف أفلامه على مئة منها لا تزال تباع . وثلث أفلامه مخصص للأخبار ، وثلث للرياضة والرحلة والمغامرة ، والبقية رسوم متحركة. وربع هذه الأفلام يصوّرها مصوّرو شركة كاسل ، وأما الأخرى فتلفّق من صور أفلام الأخبار ، أو من صور يعود بها المرتادون وصيادو الوحوش وغيرهم . وأروج أفلامه الفلم الذى يختصر لك فيه أهمّ حوادث السنة .

وأيّاً كان المصدر الذى يعتمد عليه كاسل فى إعداد فلمه ، فانك ترى رجاله يبدأون عملهم بأفلام طولها ألوف من الأقدام ، وعرضها ٣٥ مليمتراً ، (هو العرض الذى يصلح لدور السنما) ، ثم يقطعونها ويختارون منها ما يشاءون ، ويكتبون عنواناتها ويجعلون منها فلماً للمنزل ، ثم يصغّرونه حتى يصير عرضه ١٦ مليمتراً أو ٨ مليمترات . وخمسة فى المئة مما يباع من هذه الأفلام أفلام ناطقة ، والبقية أفلام صامتة .

وقد ظلّ مصوّرو كاسل مرة يتنقلون

مع سيرك أسبوعين كاملين ، ويصورون كل ليلة صوراً كثيرة ، صنعوا منها فلماً يستغرق عرضه عشرة دقائق وحسب . وقد أنفقوا فى ذلك ٢٠ ألف ريال ثمناً لما استهلكوه من طاقة الضـوء ، وصوروا صورهم على أفلام طولها ٢٠ ألف قدم. وقد صنع كاسل فلماً عن الدببة طوله ٣٦٠ قدماً وحسب ، من بين أفلام طولها ١٠٠٠٠ قدم ، قضى أحد المتخصصين فى حياة الحيوان أشهراً فى تصويرها .

ويشترى الهواة أفلامه ويقتبسون قطعاً منها فى أفلامهم الخاصة ، ومنهم من يشترى فلمه الذى يلخص حوادث السنة ، فيقطعون قطعاً منه ويدمجونها فى الفلم الذى يسجلون فيه أطوار أبنائهم فى تلك السنة .

ومع أن كاسل كان رائداً فى صنع الأفلام للمنازل ، فقـد ظل يخرج افلاماً قصيرة للصناعات ، وأنشأ فرعاً صار أكبر موزع لأفلام الإعلان التى عرضها ١٦ مليمتراً ، وهو يوزع ٣٠٠٠ نسخة منها كل أسبوع على المدارس مجانا .

ويوم كفت المصانع فى سنة ١٩٤٢ عن صنع آلات عرض الأفلام المخصصة لاستعمال الناس، كان فى بيوت أمريكا نحو ٤٠٠ ألف آلة منها ، ما بين صغيرة تعرض فلما سعته ٨ مليمترات ولا يزيد ثمنها على ٣٦ ريالا ، وكبيرة تعرض فلما سعته ١٦ مليمتراً وثمنها ٤٧٥ ريالا . أما وقد انتهت الحرب ، فإن كاسل يترقب أن يقبل الجمهور على استعمال آلات عرض الأفلام فى المنازل إقبالا عظيما .



قصارى التخصص

عاد طبيب شاب إلى مسقط رأسه وذهب يزور الطبيب الشيخ الذى يعود أسرته .

فقال الشيخ : « أحسبك تنوى أن تتخصّص ؟ »

فقال الشـاب : « طبعا ، سأتخصص فى أمراض الأنف وحسب ، لأن الأذنين والحلق ، تبلغ من تعقيد التركيب مبلغاً عظيما يحول دون الجمع بينها وبين الأنف لأغراض الدرس والعلاج » .

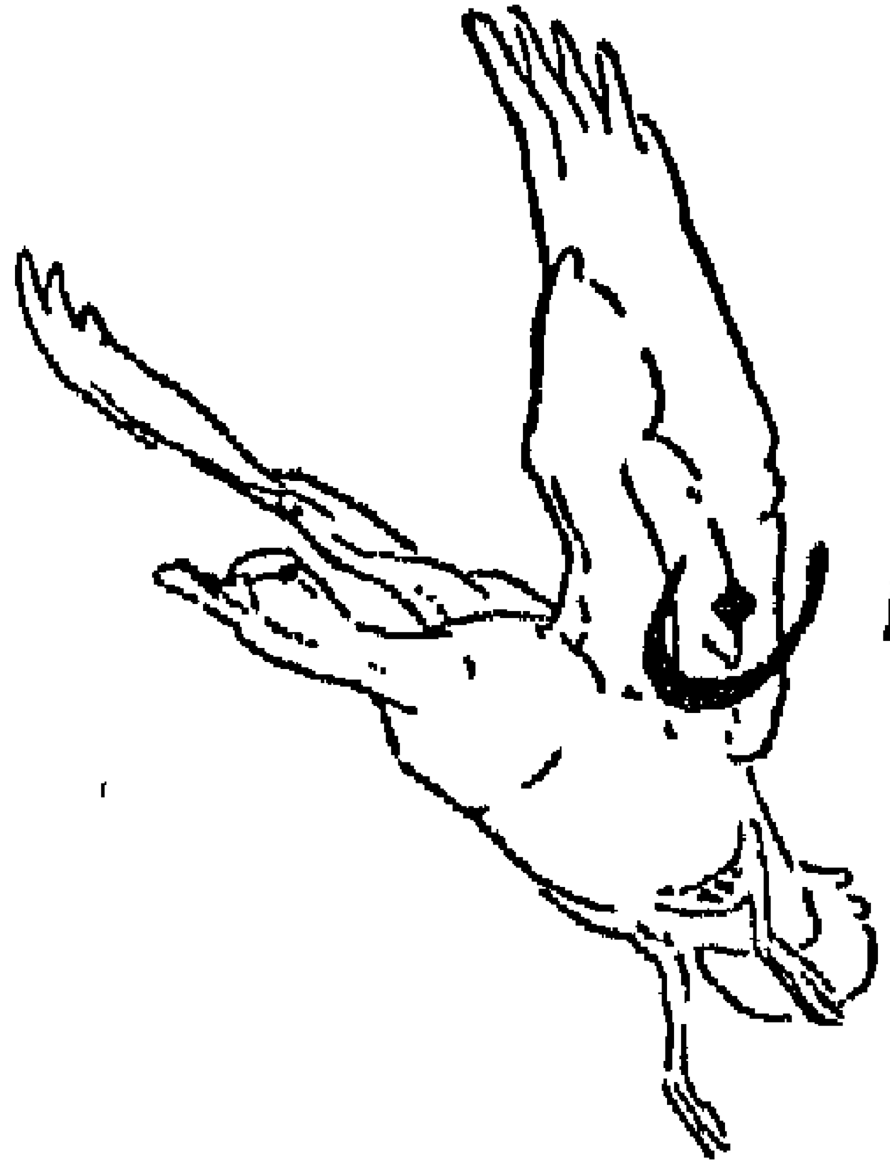
فما كان من الشيخ إلا أن سأل : « وفى أى المنخرين تنوى أن تختص؟ »

[تشالز بيرد فى مجلة « تربية الكبار »]

حقائق مدهشة وآراء عجيبة عن إحدى ظواهر الطبيعة التى تخلب الألباب :



هجرة الحيوان



إيفان ساندرسن

مختصرة من مجلة "ستردای إيفننج پوست"

لقد تنبّه البشر لهجرة الحيوان منذ آلاف من السنين حتى جاء فى الآثار الهيروغليفية القديمة خبر وصول الكراكىّ إلى أرض مصر فى ميعادها من السنة ، وحتى أكثر الإغريق فى الأودسة من التغنى بذكر عصافير السنونو التى تأتيهم فجأة وترحل عنهم فجأة . ولم تزل هذه الهجرة إحدى غرائب الطبيعة التى تخلب الألباب . وليس فى وسعنا أن نطمئن إلى أن ما اجتمع لدينا حتى اليوم ، من الحقائق التى لا تكاد تصدق عن هذه الظاهرة العجيبة ، يجدى شيئاً فى تفسير غامضها .

فلم تكد الأبحاث الحديثة تدلنا على أن الهجرة عادة شائعة فى طائفة كبيرة من عالم الحيوان ، وأنها أمر لا غنى عنه فى بقاء الجنس ، حتى نجمت مشكلة أخرى . فما زال البشر فى جميع أرجاء الدنيا يرون بين الحين والحين جيوشاً جرارة من الحيوان زاحفة على وجه الأرض ، فيها ملايين لا يحصيها العدّ ، وقد نفرت من أوطانها لغير علة ظاهرة على الأكثر .

وأظهر مثل هو الجراد ، تلك النقمة المصبوبة على كثير من البلاد الحارة . فقد ظهر فى منطقة البحر الأحمر رَجْل واحد من الجراد يغطى ما مساحته ٢٠٠٠ ميل مربع ، فلما قدر وزن الرَّجْل جميعاً (على معدل أن يكون وزن الجرادة الواحدة $\frac{١}{١٦}$ من الأوقية) بلغ ٤٢٫٨٥٠٫٠٠٠ طن ثم لم يلبث أن جاء على أثره فى اليوم التالى رجل آخر أعظم منه . وفى شمال كندا وفى النرويج ترى آلافاً مؤلفة من حيوان على صورة الفأر ، ينحدر من أعالى البلاد بين الحين والحين ، فإذا عبرت السهول الممتدة إلى الساحل ألقت بنفسها فى اليمّ وغابت فى جوفه . وأما فى جنوب إفريقية فتظهر

(*) من علماء التاريخ الطبيعى ومؤلف كتاب « ذخائر الحيوان » وكتاب « كنوز البحر الكريبى » .

فجأة على الشاطئ قطعان كثيفة من المَهَا ، وهى ضرب لطيف رقيق من الغزلان ، تُرَى على مدّ البصر آتيــة من كل فج عميق ، ثم تقــذف هى أيضاً بنفسها فى اليم حيث تلقى حتفها .

وهذه الموجات الطارئة فى حياة الحيوان ترى فى جميع بلاد العالم تقريباً . ولقد ظللت يوماً أسير ساعة كاملة على بساط من ضفادع صغيرة فى مراعى إفريقية الغربيــة . وقلما ينقضى صيف فى نيويورك دون أن تظهر فيها طائفة من الحشرات ، فقد ظهر فيها فى سنة ١٩٤٣ نوعان من ذباب أخضر جاء من حيث لا ندرى ، وضرب ضخم من الصراصير خرج من جوف البلاليع .

ومثل هذه الظاهرة التى تفضى إلى ظهور طائفة من الحيوان خليقة أن تسمى مهاجَرَة ، فى مقابل ما يعرف بالهجرة التى تكون فى فصل بعينه من الســنة . فالهجرة تجعل استمرار بقاء النوع أمراً ممكناً ، على حين أن المهاجَرة تنتهى دائماً بانتحار المهاجرين جملة واحــدة . ولكن مع تباين هاتين العجيبتين ترى بينهما وجوها من الشبه .

وقد استطاع العلماء الذين تقصَّوا أمر مهاجرة الفــئران النرويجية ، أن يميطوا اللثام عن أشياء كثيرة لم تكن متوقعة . فهى تستوطن النجود المرتفعــة حيث لا ينبت الشجر ، وحيث لا نبــات إلا العشب والحشــائش ، وبين الحين والحين تتكاثر هذه الفئران فى أوطانها تكاثراً هائلا ، فلا تلبث هذه المخلوقات الضئيلة التى فطرت على الجبن ، أن تنقلب جريئة لا تهاب . ثم تبدأ يومئذ تلد ، فتكون صغارها أكبر أجساماً ، وتكون الفــترة بين الولادتين أقل أياماً .

وترى الحيوانات التى تفترس هذه الفئران — كالبوم والصقور وبنات عرس — تتكاثر أيضاً ، وتصير هى أيضاً أجرأ قلوباً وأشد ضراوة ونهماً ، ويســتمر ذلك حتى تضيق الأرض الفضــاء بالحيوان جميعاً . فإذا بلغ ازدحامها منتهاه حتى صار لا يطاق ، انحدرت أفواج من الفئران عن ظهر الجبل إلى الغابات ، وهى أرض لا تلائمها البتة ، وتأتى فى أثرها أسراب من أعدائهــا تطاردها . وتظل ماضية فى طريقها كأنها بساط يمشى على وجه الأرض ، وهى لا تفتأ تلد وتنســل .

وتمضى السنتان أو الثلاث ، وكأن الفئران قد عقدت عزمها على أن تبلغ الســاحل ، فترى آلافاً مؤلفــة منها تهلك ، أو تموت غرقاً وهى تعبر الأنهار والخلجان ، أو يضنيها الجوع . فإذا بلغت الشاطئ استمرت ماضية تسبح فى ماء المحيط على غير هدى لتلقى فيه

حتفها . إنه خبل شامل : لقد أضاعت هذه الحيوانات كل ما فطرت عليه من رشاد وحكمة .

ولقد تبين أن بعض هذه الفئران قد انتهت فى مهاجرتها إلى هضاب ثانية تصلح أن تكون لها موطناً ، فسكنتها وأقامت فيها ، ولكن من العجيب أن هذه الأوطان خلت من ساكنيها بعد أعوام قليلة .

فجعل الباحثون يتساءلون : لم أخذت هذه الفئران تتناسل فجأة تناسلا طائشاً ؟ ولم تنتحر طوائفها جملة واحدة ؟ ولم تهلك جموعها التى استوطنت هضاباً تصلح لمعيشتها على حين ترى تلك البقية القليلة التى لم تبرح موطنها الأول تعيش وتلد خلفاً لسلفها الهالك ؟ فجاء الجواب لهتك أهم ستر مسدل على الهجرة الغامضة التى تخرج فيها الحيوانات جماعات جماعات .

فقد دل فحص هذه الفئران فى جميع أطوار احتشادها على أن أعضاء تناسلها قد لحقتها تغيرات عجيبة شاذة . وأكثر من ذلك ، أن أبدانها قد تغيرت تبعاً لازدياد قوتها — وهذا التغير ، فيما يظن العلماء ، مرده إلى شىء كان فى طعامها .

وقد ظلت هذه المادة عاملا مجهولا بعض الزمن . ثم اكتشفت الفيتامينات ، فتبين على الفور أن هذه المادة ضرب من الفيتامينات ولا بد ، ثم لم يلبث أن ظهر أحدها فى العشب الذى ترعاه الفئران بعد طول اكتنانها فى جحورها زمن الشتاء .

فلما خرجت الفئران مهاجرة ، خلفت وراء ظهورها منبع تلك المادة المنشطة إلى التناسل ، وإن كانت قد ادخرت فى أبدانها بعض هذا الفيتامين . فإذا تدبرت أمر تلك الطائفة التى اهتدت إلى ملجأ لاذت به فى بيئة تلائمها ، رأيتها قد تكاثرت من جراء إفراطها فى شهوة التناسل ، وأنها لما حرمت مدد الفيتامين الذى ينشطها ، فقدت قدرتها على اللقاح والإنتاج ، فبادت جميعاً .

وهذا خليق أن يكون مثلا جامعاً لضروب المهاجرة المختلفة . وعلى أن قلة الكلأ وندرة الماء ، هى التى تستحث طوائف الحيوان على الخروج من مواطنها مهاجرة ، فغالباً ما تجد أن الأفواج التى خرجت مهاجرة قد استبدت بها شهوة التناسل ، ولحقها ضرب من الخبل الشامل ، والأرجح أن مرد ذلك إلى نشوة يحدثها مثل هذا النوع من الفيتامين .

أما الهجرة فى فصل بعينه من السنه فهى شىء مختلف كل الاختلاف . نعم ربما كان السبب الحافز واحداً فى كلتيهما ، ولكن

إذا عرفت أن الحيوانات المهاجرة تنتهى إلى الاختفاء جملة ، فاعلم أن قواطع الحيوان (أى التى خرجت فى هجرة) تعود دائماً هى أو نسلها إلى موطنها الأول من حيث بدأت رحلتها . ورحلة قواطع الحيوان تختلف اختلافاً كبيراً فى مداها ومدتها . فالفيلة قد تسير قاطعة أحياناً نحو عشر سنوات حتى تفرغ من هجرتها . وفى جنوب أمريكا ضروب من النسانيس تغدو وتروح أفواجاً أفواجاً كل بضعة أسابيع ، قاطعة من بقعة فى الغابة إلى بقعة أخرى .

وأعجب ما تقع عليه العين هو هجرة سرطان البر فى جزيرة جمايكا . فهذه المخلوقات التى تتخذ شقوق الصخور سكناً ، تنحدر من شقوقها مرة فى السنة إلى شواطىء بعينها لتتناسل . ومن دأبها الذى لا يتبدل أن تخرج سائرة فى خطوط مستقيمة كل الاستقامة ، فمن أجل ذلك تتسلق كل عقبة تعترضها ، حتى المنازل القائمة فى طريقها .

وثمة نوع من الأرق (وهو آفة من آفات الزرع) يقضى نصف سنته على شجر التفاح ، والنصف الآخر على سوق الحشائش . فتجد ضرباً من النمل يقتنى هذه الحشرة لحاجته كما نقتنى نحن البقر ، فهو يجعلها قطعاناً ترعى ، ويحوطها ويحتلبها ، وطعامه سائل كالعسل يتنصد من بدنها . فلما عرفت النمل أن لا بد للأرق من الهجرة ، كانت هى التى تخرج إليها فتنحدر بها من شجر التفاح إلى سوق الحشائش ، أو تحملها صاعدة من سوق الحشائش إلى شجر التفاح ، طبقاً لما يتطلبه ذلك الفصل من السنة .

أما شيخ الرحالة فهو الخطاف القطبى على الأرجح . فهذا الطائر الصغير الجثة النحيل البدن ، يخرج قاطعاً من منطقة القطب الشمالى فى أمريكا عابراً شمال المحيط الأطلسى إلى أوربا ، ثم ينحدر مساحلاً حتى يجتاز إفريقية إلى المحيط فى منطقة القطب الجنوبى ، ثم يعود أدراجه إلى حيث بدأ إذا حل الربيع — وهذه مسافة يبلغ طولها ٢٤٫٠٠٠ ميل .

فلماذا يتجشم الطير كل هذا العناء الهائل ؟ والجواب الذى يبدو مقبولا معقولا ، هو أن المنشط الداعى إلى التناسل ، والذى اتضح أنه السبب فى زيادة شهوة اللقاح فى الفئران النرويجية ، موجود فى النباتات الناشئة (وفى الحشرات التى تأكلها) ، وذلك حين تشرق شمس الربيع الدافئة على أرض الشمال ، فتذيب بساط الثلج الذى كان يغطى هذه النباتات شتاء . والطيور تلتمس هذه الفيتامينات على أنها دواء أو عقار .

أما العجب العاجب فذلك ما تفعله ثعابين الماء (الأنكليس) . فهي وإن كانت تخرج من موطنها طلباً للتناسل ، إلا أنها لا تفعل شيئاً فذاً تنفرد به . فهي تقضى سنوات قانعة أو كالقانعة بحياتها متنقلة بين الغدران والجداول فى أوربا وفى شمال أمريكا ، ثم إذا هى تهجر مواطنها فجأة ، وترمى بنفسها فى ماء الأنهار ميممة شطر المحيط الأطلسى ، وتظل سابحة على وجهها حتى تنتهى إلى هوة عميقة فى المحيط جنوب برمودة ، حيث تغرق وتختفى إلى الأبد .

ثم يمضى زمن فتظهر أفواج من مخلوقات ضئيلة شفافة كأنها خيوط ، ولها عيون جاحظة ، وتطفو على سطح الماء متجمعة . ثم تفترق فرقتين : فتنفصل إحداها سابحة شرقاً فتبلغ شواطئ أوربا بعد ثلاث سنوات ، وتنفصل الأخرى سابحة غرباً فتبلغ شاطئ أمريكا قبل ذلك بزمن ، ويومئذ تكون قد نمت وصارت ثعابين صغيرة ، فتعمد كل فرقة منهما إلى الأنهار ، فتدخل ماءها حتى تبلغ المواطن التى خرج منها آباؤها .

ولهذه الظاهرة تفسير رائع يقوم على الرأى المعروف باسم نظرية فجنر فى «انفصال القارات» . وألفريد لوثر فجنر هذا ، عالم ألمانى من علماء الجيولوجيا الطبيعية ، وقد أثبت أن أديم الأرض مكون من طبقتين ، وأن الطبقة الظاهرة منهما أخف وزناً وأقل عمقاً من المحيطات . وهو يرى أن الأرض كانت رتقاً واحداً وعليها غشاء من هذه الطبقة الظاهرة ، ولكن نحو نصف هذه الطبقة قد انفصل عنها وتقاذف فى الفضاء . فتشقق النصف الباقى وصار قطعاً ضخمة هى التى نسميها القارات ، ثم أخذت تنفصل وتتباعد لتحفظ توازن الأرض التى جعلت تترنح وتميد . وقد استدل على صحة ذلك بأن قطع خرائط القارات ، وبين كيف ينطبق بعضها على بعض ، وذلك أن خط الساحل الممتد على طول أمريكا الشمالية والجنوبية ، يكاد ينطبق كل الانطباق على خط الساحل الممتد على طول أوربا وإفريقية .

فإذا صح أن الثعابين قد نشأت فى الفجوة التى غمرها الماء بين الدنيا القديمة والدنيا الحديثة ، يوم كانت الشقة بين الأرضين مسافة قليلة ، وأنها كانت يومئذ تقضى الفترة بين الولادتين فى غدران الأرض المجاورة وأنهارها على جانبى هذه الفجوة الحادثة ، فهى خليقة إذن أن ترحل فى أسفار متطاولة إلى مواطن نشأتها التى باعدت بينها القارات . حتى جاء وقت فاستحال عليها أن تقطع هذه المرحلة كل سنة ، فمن أجل ذلك صارت تقضى زمناً أطول حتى تصيب شيئاً من

الراحة فى ميـاه الأنهار العذبة ، وبذلك قلت هجرتها فى طلب التناسل . فإذا مضيت تقيس على هـذا المنوال إلى غايته ، أفضى بك إلى ما تراه اليوم من فعل ثعابين الماء ، إذ تقضى كل أيام حيـاتها تستمتع بالراحة وتدخر قواها للمغامرة العظيمة ، ثم تنفـر نفرة واحدة إلى أرض الآباء والأجداد ، التى أصبحت اليوم على بعـد آلاف من الأميال ، كيما تضع هنالك بيضها . وقد أصبح هذا الجهد يضنيها اليوم ضنًى لا تنجو من غوائله ناجية .

فالهجرة هى أعظم أعمال الحيـاة فى عالم الحيوان ، وضروبها الكثيرة المختلفة إنما تأتلف فى نشأتها وغايتها : ألا وهو طلب البقاء . فلولا الهجرة لانقرض ، منذ زمن طويل على الأرجح ، شطر كبير من الحيوان الذى يعيش على ظهر هذه الأرض .



أهدى طريق وأقصره يكفل لك أن تعيش فى هذه الدنيا موفور الكرامة والشرف ، هو أن يكون ما تبطنه فى نفسك كالذى يظهر منك للناس . [سقراط]



الأستاذ والزمن الدائر

أخذ محرّرو دائرة المعارف البريطانية ، مقالة تاريخية كانوا قد نشروها منذ سنوات ، وأرسلوها إلى رئيس قسم التاريخ فى إحدى الجامعات الأمريكية وطلبوا منه أن ينقحها ، فأعادها إليهم وقد كتب عليها : « إنها مضطربة حافلة بالأخطاء » . فدفعهم الفضول إلى البحث عن اسم الكاتب الذى كتب مثل هذا الفصل المضطرب ، فنقبوا فى سجلاتهم فدهشوا حين تبينوا أن هـذا الأستاذ نفسه هو الذى كتبها — ثم نسى . [وارنر أوليفر «ستردای إيفنج بوست»



لقاء ...

ماك كنلي كانتور

مؤلف " الأرض السعيدة " وروايات أخرى

حدث هذا فى مساء ابتهج فيه العالم ابتهاجاً لم يبتهج قط مثله ، وكل امرئ يعرف اليوم الذى أعنيه ، ولشد ما كنت أود أن أشهد هذا الحادث ، ولكنى لم أشهده ، وإنما حدثنى به صديقى دونالد فريد الذى رآه .

بدأ الأمر حيث يتقاطع الشارع التاسع والخمسون والشارع الخامس فى عصر ذلك اليوم الذى لن يُنسى أبداً ، وكان الناس يطوفون بشوارع نيويورك وسككها ، وكان غيرهم لا يزالون يلقون الأوراق من النوافذ العالية ، وكانت مئة سفينة تطلق صفاراتها فى الأنهار .

وقال دونالد إنه حين رأى الحادثة كان واقفاً يرقب الجمهور الذى استخفه الجذل ، وكانت حادثة حب من النظرة الأولى . ومع أنهما التقيا فى ضجة المدينة التى جُنّت من الفرح وفى زحامها ، إلا أن الأمر كان فيه بساطة ورقة وعذوبة . ويقول دونالد إن الدمع كاد يطفر من عينيه حين رآهما يلتقيان على هذا النحو .

وكان الفتى من رجال البحرية — أحد هؤلاء الشبان الذين لوحتهم الشمس والذين رأينا مئات منهم فى السنوات التى انقضت . ولا شك أنه مكين ركين حين يزاول عمله ، ولكنه كان متردداً الآن ومستوحشاً بين كل هذا الابتهاج فى مدينة غير مألوفة .

وكانت له ثلاثة أشرطة من أشرطة مسارح الحرب ، وهى منقطة بالمعدن دلالة على أنه عرف ما هى المعارك والأخطار . ويقول دونالد إن الفتاة ذكية ورشيقة ، وكانت ترتدى ثوباً مورّداً مطبوعاً ، وعلى كفيها قفازان أسودان ، وعلى رأسها قبعة سوداء .

وهكذا كان — تلاقيا ومرّا ، ثم وقفا وتلفتا فى وقت واحد ، وابتسما . وكان فى وسع من يراهما أن يتبين أن كلا منهما أحب الآخر من النظرة الأولى . وكان جلياً أن الفتى يريد ولا شك أن يطوقها بذراعيه

ويهصرها ، وأن الفتاة كانت تشتهى أن تطوّق وتهصر . وهكذا وقفا يضحكان . وارتد الفتى خطوة أو خطوتين وقال شيئاً ، وقالت الفتاة شيئاً ، وتظاهرت بأنها ستمضى فى طريقها ، ولكنها لم تفعل .

وخطا الفتى خطوة أخرى وتناول ذراعها ، وتحادثا ، وضحكا مرة أخرى ، وتركته الفتاة يلصق ذراعها بجسمه ، وانصرفا معاً على هذا النحو . ولمع الشريط الذهبي والنجمة على كتف الفتى مرة أخرى ، وسمع حفيف ثوب الفتاة ووقع نعلها العالى للمرة الأخيرة ، واختفيا وابتلعتهما الجموع فى الشارع الخامس والجماهير المبتهجة بالنصر . وخطر لدونالد أنهما سيفوزان بما ينشدان من الروْح والسرور .

وسيشقان طريقهما إلى مقهى ، ويشربان شيئاً ثم يشتركان فى الغناء ، وقد يحتسيان شراباً آخر ثم يجلسان إلى الطعام فى مطعم مزدحم . ويقول دونالد إنه فكر فيما يكون من أمرهما فى تلك الليلة — فكر فى الغبطة التى ستنيلهما إياها هذه الساعات ، وفى أصواتهما التى ستخفت وتزداد بطئاً وهما يشربان القهوة أو يرشفان شيئاً بعد العشاء ، وفى سيرهما فى الشوارع حيث يرقص الناس ويصخبون فى الغسق احتفالا بالنصر ، وفى المصعد وهو يرتقى بهما إلى حيث يقيم أو حيث تقيم ، ثم يتدانيان ويتعانقان على نحو ما يفعل الشبان فى زمن الحرب ، بل كما يفعلون فى زمن السلم أيضاً ، سوى أن الأمر يكون ألح وأسرع ، حين يكون صدى طلقات المدافع فى الآذان .

وسيحصل الإلحاح والتوسل ، يقابلهما التمنع ثم الرضى — عاطفة هينة تبدو فى تلك اللحظة عظيمة الشأن ، ولا تلبث أن تتبدد فى جو النصر ، وتنسى بسرعة ، وتختلط بعفاتن أخرى ستنسى هى أيضاً .

هكذا كان دونالد يفكر فيهما ثم نفاهما من ذهنه .

ويقول دونالد إنه انطلق يمشى ، وكان يفكر فى الحرب والذين ماتوا فيها ، والذين حماهم النصر أن يموتوا الآن . وبعد ساعة أو ساعتين ألفى نفسه أمام كتدرائية سنت باتريك الضخمة الغبراء ، فصعد درجاتها . كان كل شيء ساكناً فيها ، والناس يصلون ، والشموع موقدة أمام المذابح ، فدار لينظر إلى الجموع الصاخبة فى الشارع والوجوه الضاحكة المغتبطة .

وفى تلك اللحظة أبصرهما — أبصرهما يخرجان من الجمع — الفتى بأشرطته ، والفتاة بحذائها العالى وساقيها الجميلتين وثوبها المطبوع . ووقفا ، وتبادلا نظرة ، فى سكون ، ثم دخلا ، وركعا جنباً إلى جنب ، ورآهما دونالد يصليان معاً .

ما ينبغى أن تعرفه عن
مبيد الحشرات د . د . ت

لويس ماتوكس ميلر
نقلا عن صحيفة
بلتيمور سنداى سن

أصبح مبيد الحشرات العجيب د . د . ت ، الذى ظهر فى الحرب العالمية الثانية ، فى متناول المدنيين بعد أن قلت حاجة الجيش إليه . وقلما اهتم الناس بمادة جديدة كاهتمامهم بهذه المادة ، وذلك لكثرة ما روى عما تم من عجائبها فى الجيش والأسطول ، إذ قضت ، فى جزائر كثيرة فى المحيط الهادى ، على ما فيها من ذباب وبعوض . وأحالت جزيرة وادى الكنار من بقعة وبيئة إلى مصحة للجنود ، وقضت على وباء التيفوس فى نابولى ، ومنعته أن يتفشى حين تدفقت فى أرجاء أوربا جيوش المشردين الذين لا مأوى لهم .

وصحب هذه الأنباء الصحيحة أساطير ملفقة عن قوة تأثير د . د . ت ، وفتكه بالرجال والنساء والأطفال ودواجن البيوت . وقد كثر ما تناقلته الألسنة فى شأنه ، وكثر ما كتب عنه ، ولكن أكثره خطأ .

وهذه هى الحقائق الصحيحة مستقاة وممحصة بمعرفة الخبراء فى وزارة الزراعة الأمريكية والجيش الأمريكى وفى المصنع الذى ينتجه .

ما هو د . د . ت ؟

هو مادة صلبة متبلورة لا لون لها ولا رائحة ، وفى وسعك أن تجعلها مسحوقا أو مزيجاً سائلا .

هل هو كشف جديد ؟

لا ، فقد ركب لأول مرة سنة ١٨٧٤ ، إلا أن شركة سويسرية للمستحضرات الكيميائية كشفت ، منذ ست سنوات فحسب ، أثره العظيم فى إبادة الحشرات .

ما فعله وأثره ؟

إنه يؤثر فى جهاز أعصاب الحشرة ، فإذا لامسته ذبابة أو بعوضة جعلت تترنح ، ثم لا تلبث أن يأخذها الشلل . والذباب والبعوض يدركها الموت فى خلال نصف ساعة ، أما البق فيموت بعد ساعات قليلة ، وأما الصراصير فتهلك فى بحر أسبوع .

كيف يستعمل د . د . ت . فى المنزل ؟

يكفى للقضاء على الذباب والبعوض أن يذاب د . د . ت . فى الماء بنسبة خمسة فى المئة ، ثم يرش حتى تبتل الجدران والسقوف والأثاث ، وفى كل مكان تحط

عليه الحشرات . ويمكن أن يستعاض من الماء ببترول نقي لا رائحة له ، وبنفس النسبة. ويجب عندئذ أن تتجنب مواقد النار أو أي لهب مكشوف . وهـذا المزيج الأخير يبيد البراغيث والبق ، وخير منه وأشد أثراً في القضاء على البراغيث والصراصير ، محلول تكون نسبته عشرة في المئة .

هل يؤذي د . د . ت . البشر ؟

اتفقت آراء الخبراء في الجيش وفي مصلحة الصحة ووزارة الزراعة الأمريكية بعد الخبرة الدقيقة ، وبعد استخدام آلاف الأطنان من د . د . ت ، أنْ لا ضير على الإنسان منه ، إذا حرص الناس على اتباع التعليمات . وليس من شك في أن د.د.ت. مادة سامة لو ابتلعها الإنسان . ومن أجل ذلك ينبغي أن لا يذرّ أو يرشّ على مقربة من طعام أو شراب مكشوف ، وأن لا يوضع على أي جزء يؤكل من الخضر وغيرها .

هل يضر الأثاث والملابس ؟

كلا ، اللهم إلا إذا أذيب في سائل يضر بها . أما البترول النقي ومحلولات النفط فلك أن تستعملها كما تشاء . وقد يترك مزيجه بالماء أثراً على كل شيء مصقول أو أدكن اللون ، ولكن إزالته بالمسح أمر يسير .

أمن الضروري إحكام سد المنافذ كما يفعل عند التبخير ؟

لا . فإذا كانت الأبواب والنوافذ مفتوحة رشت به الستائر والأبواب أيضاً . ومحلول البترول النقي يبقي ذرات من د . د . ت . عالقة على السطوح التي رشت به ، وبذلك يطول أمد تأثيره .

هل يؤثر د . د . ت . في العث ؟

نعم . يمكن أن يذرّ منه على ملابس الصوف والفراء مسحوق يحتوي على خمسة في المئة منه ، أو يرش عليها رذاذ من مزيجه بالبترول بنسبة خمسة في المئة أيضا ، فيهلك يرقات العث في الحال . وهو لا يؤثر في بيض العث ، ولكن اليرقات حين تخرج من بيضها تلامس المسحوق فتهلك . والفراء والأصواف التي ترش بمحلول د . د . ت . في النفط ، يمكن أن تخزن ستة أشهر فلا يصيبها العث بضرر . ويقضي د . د . ت . أيضاً على عث السجاد وعث الكتب المعروف بالسمك .

هل يمكن أن يمزج د . د . ت . بطلاء الجدران ؟

أثبت بالتجربة أن د . د . ت يظل باقي الأثر أشهراً على الأرجح ، إذا هو خلط بمواد الطلاء الخفيفة المذابة في الماء ، وهو قليل الأثر في طلاء الزيت .

هل يمكن أن يستعمل د . د . ت للكلاب والقطط ؟

نعم . فمسحوق من د . د . ت . مخلوط بالطلق (بودرة التلك) بنسبة خمسة فى المئة يخلصها من البراغيث والقمل والقراد . ولما كانت الكلاب كثيراً ما تغسل أو تخرج تحت المطر، فلذلك ينبغي تكرار ذرّها به . أما القطط فلا يذر سوى قليل منه على رؤوسها ورقابها فحسب ، فهى مولعة بلحس فرائها .

ما قيمة د . د . ت . فى تخيير الحدائق؟

إنه يقضى على كثير من آفات الزرع ، ولكنه لا يؤثر فى بعض منها ، وقد يخلف بقايا سامة . وقد أعدت وزارة الزراعة الأمريكية بياناً مفصلا عن منافع د.د.ت. لأصحاب المزارع والبساتين ، وتستطيع أن تكتب إليها فى الربيع القادم طالباً نسخة من هذا البيان .

هل يقتل د . د . ت . الأرضة؟

نعم . فمحلوله فى البترول إذا رش على الأرضَ (النمل الأبيض) ، يظل باقى الأثر أكثر من فصلين كاملين .

هل يقضى د . د . ت . على القمل ؟

نعم ، فمسحوق منه بنسبة عشرة فى المئة يمكن أن يذرّ على الجسم وعلى الملابس ، فإذا ذرّ فى الشعر قتل قمل الرأس ، ولكنه لا يؤثر فى بيض القمل ولا فى الصئبان (السبان) وإذا لم يزله غسل الشعر ، قتل الصئبان حين تخرج من البيض .

هل يصلح د . د . ت . أن يكون طارداً للبعوض ؟

كلا ! فالمرء إذا ذرّ مسحوق د. د. ت . على جسمه أو رشه به ، عضته البعوضة قبل أن يؤثر فيها ، ولكنها تهلك بعد ذلك .

هل يقتل د . د . ت . النحل والطير والسمك ؟

إنه يقتل النحل ، وكذلك يفعل كل مبيد للحشرات . فزرنيخات الرصاص الشائعة الاستعمال كثيراً ما يحمل النحل آثاراً منها إلى بطون الخلايا ، فتكون سبباً فى القضاء على سرب بأسره . وتجرى الآن أبحاث واسعة للكشف عن مدى آثار د. د. ت . فى حياة النبات والحيوان ، فقد اتضح أن مسحوق د. د. ت . حين استعمل بمعدل خمسة أرطال لكل فدان ، بغية القضاء على حشرات الغابات ، أهلك ما فيها من الطير والسمك .



كيف يتعلم القراءة والكتابة شعب نصفه من الأميين، بجهود إخوانهم في الوطن.



شعب يكافح الأمية

ميشيل سكالى

مختصرة من مجلة "ذي يان أميريكان"

منذ ثورة ١٩١٠ والمكسيك تكافح في سبيل الظفر بالديمقراطية والنهوض بشعبها إلى حياة أرغد. غير أن سبيل التقدم لم يكن ممهداً، إذ كانت تعوزهم أشياء، فقد كان الدستور الجديد يمشي ظالعا متعثراً، ومنى مشروع تقسيم الأرض الزراعية بالخيبة فلم ينتج قدراً كافياً من الغذاء، وجاءت المذاهب السياسية الطارئة كالاشتراكية فعلمت العمال كيف يضربون، لكنها لم تعلمهم كيف يعملون، وألف رجال السياسة الجلوس في المقاهي، وأضاعوا الساعات في جدل لا يثمر ولا ينتهي عن « ما يحتاج إليه هذا الشعب ».

ثم جاءت سنة ١٩٤٤ فوضع رئيس الجمهورية أفيلا كاماشو يده على موطن الداء فأعلن متحمساً: « أن ما يحتاج إليه هذا الشعب حقا، هو أن يتعلم كيف يقرأ ويكتب ».

ففي المكسيك، ١٠٫٥٠٠٫٠٠٠ نسمة كلهم أميون، وهم نصف السكان تقريبا، وقد أنشئت آلاف من المدارس في السنوات الأخيرة، ولكنها لم تكن تتسع إلا لنصف تعداد الأطفال، فترى مليوني طفل يصيرون شبانا دون أن ينالوا حظهم من التعليم. وكان بين الأميين ثلاثة ملايين من الهنود الحمر، لا يتكلمون اللغة الإسبانية. فكيف يظفر هذا الشعب برجال صالحين أو عمال نافعين ؟

وبدأ أفيلا كاماشو يعمل في يسر كما تكلم، فقد اتخذ السلطة التي خولته إياها الأحكام العسكرية سلاحا، فأصدر أمراً يقضي بأن يتعلم القراءة والكتابة جميع الأميين الذين تتراوح أعمارهم بين ٦ سنوات و ٤٠ سنة: وألقى تبعة تعليمهم على عاتق المتعلمين.

ثم أعلنت الحرب على الأمية في أول مارس سنة ١٩٤٥. وقد اجتمع في سبتمبر

امام مبنى الاستقلال فى مدينة المكسيك جمهور يمثل جميع الولايات ، فيه ٩٠٠ شخص من أهل القرى وهنود الغابات والمشردين والعمال . ومنذ ستة أشهر وحسب ، كان قليل منهم من يستطيع أن يميز اسمه مكتوبا ، وهم الآن يقرأون مواد الدستور ، ويلقون خطبا حماسية موجزة من إنشائهم .

وقد كانت هذه الجماعة مفطورة على حظ عظيم من الذكاء ، فلما سنحت لهم الفرصة ليتعلموا ، اجتازوا مرحلة تعليمهم الأولى فى نصف سنة ، وهم يمثلون ٤٠٠ر٣٠٠ر٤ من التلاميذ يحضرون خمسة دروس كل أسبوع ، فى أكثر من ٨٠ ألف مركز لمكافحة الأمية ، ليميطوا اللثام عن أسرار الكلمة المكتوبة . وتتوقع الحكومة أن يرتفع هذا العدد إلى سبعة ملايين فى مارس المقبل .

إن مرسوم أفيلا كاماشو قد هتك الستر عن داء عضال ، وألقى تبعة علاجه على كل وطنى ، وشن أكبر حملة للدعاية عرفتها البلاد . ومساحة المكسيك خمسة أضعاف مساحة العراق ، ومعظم الأميين متفرقون فى سفوح الجبال وفى الهضاب وفى الغابات والبوادى . وقد كان نشر فكرة واحدة بين هؤلاء الملايين عملا لم يسبق له مثيل .

ولكن كان يؤازر الرئيس رجل قد اختمرت فى ذهنه خطة للعمل ، هو جيم توريس بوديت ، وزير المعارف ، وهو رجل ضئيل الجسم دؤوب يقضى ١٢ ساعة من يومه فى عمله ، وهو كالرياضى فى نشاطه ، ووجهه كوجوه الشعراء ، وهو منهم . وقد قضى عشرة أعوام خارج بلاده يدرس نظم التعليم فى جميع معاهد أوربا ، ويدخر لنفسه الأفكار التى تصلح للمكسيك . فلما أمكنته الفرصة التى طالما تمناها ، شرع يعمل لتحرير نصف شعب من ربقة الجهل .

جند بادئ ذى بدء جميع الصحف ومحطات الإذاعة ، فأرسل على النصف المتعلم من الشعب دعاية واسعة ، وأهاب بكل ما يختلج فى صدورهم — من حب الوطن إلى أقل المآرب الخاصة . فبين لهم أن مساعدة الأمى على التعليم خليقة أن تتيح للوطن عُدّة صالحة من رجال ومجد ، ولصاحب العمل عمالا أقدر على العمل ، وللتاجر زبائن أوفر ربحا وأقوى على الشراء ، وللصحف ذيوعا وانتشاراً . أما جدواها على حماة القانون ، فهو أن يقل عدد المجرمين ، إذ كان ٩٠ فى المئة من نزلاء السجون من الأميين .

ثم نظم القائمون بالدعاية « سلسلة من التبعات » جعلت كل حاكم مسئولا عن

ولايته ، وكل عمدة مسئولا عن بلدته ، ثم يليهم المدرسون فى المدارس ، ورؤساء الجمعيات الريفية ، وضباط الوحدات النائية ، وكل من كان له سلطان شرعى أو أدبى . فتم بذلك إنشاء ٦٠٠٠ مركز للاتصال بالشعب ، تذيع التعليمات من العاصمة إلى سكان الأودية .

ثم أعد كتاب لمبادئ القراءة ، يصور بادئ ذى بدء كل حرف برسم يسهل تصوره ، مثال ذلك : (و ، و ، و) جعلوها صورة كلب ينبح . ثم ينتقل بعد ذلك إلى أبسط الألفاظ التى تدور على الألسنة ، فيصور كل درس حادثة فى حياة أسرة ريفية ، فإذا بلغت منتصف الكتاب رأيته يرشد التلميذ حتى يدرك أمور وطنه ، فيفسر له معنى الدستور ، ويعرض له أبطاله الوطنيين وأعمالهم . والكتاب معد بمهارة فيجمع بين تعليم القراءة وتهذيب أبناء الشعب بمثل هذه النصائح : « إن إلقاء القاذورات فى الماء ، أو تمزيق الكتب ، أو الكتابة على الجدار ، دليل على الجلافة والجفاء » . ويشرح له معنى الحرية بقوله : « ما دمنا شعبا حراً فخير طريق نضمن به حقوقنا هو أن نؤدى واجباتنا » .

ولما أراد توريس بوديت أن يطبع كتاب مبادئ القراءة من ميزانيته الضئيلة ، أقنع صحف العاصمة بأن تعيره آلاتها فى وقت فراغها ، وكان يدفع أجوراً للطباعين وحسب . وبهذه الطريقة المبتدعة أنجز أعظم مشروع لنشر كتاب فى أمريكا اللاتينية . ثم بقيت بعد ذلك مشكلة توزيعه ، فحملت أطنان من هذا الكتاب إلى الجبال على ظهور الدواب ، وأقلعت بها القوارب فى الأنهر ، حتى إنها ألقيت أيضا من الطائرات فى القرى النائية فى الغابات .

وكان وضع الأميين تحت إشراف مدرسين متخصصين عقبة أخرى . وقد قال توريس بوديت : « لم يكن مشروعنا كمشروع « ليعلم كل امرئ منكم أخاه »* ، ففى عاصمة المكسيك أكثر من أربعة من المتعلمين مقابل كل أمى ، على حين ترى أن العكس فى بعض الولايات هو الواقع . فكان من الواجب علينا أن نجمع بين اللين والشدة فى تطبيق الرأى القائل بأن كل متعلم مسئول عن أمى ، سواء أكانت ربة البيت التى تراقب خدمها حتى يحضروا الدروس ، أم صاحب المصنع الذى ينفق من ماله على مدرسة » .

وقد كانت استجابة الناس لمكافحة الأمية دليلا واضحا على وحدة الأمة ،

* « ليعلم كل امرئ منكم أخاه » المختار ، نوفمبر ١٩٤٤ ، ص ٣١

فنظمت الكنائس والأندية وجمعيات العمال والمستخدمين كتائب من المتطوعين للتدريس ، وقررت نقابة بائعي الصحف في عاصمة البلاد ، فصل كل عضو لا يتعلم قراءة صحفه في بحر تلك السنة . وتطوع شبان الجامعة لتعليم ٩٠٠ أمي من المساجين.

ومجلس الأولياء هو مركز النشاط في المدن ، وهو يؤلف من الرجال الذين يشعرون بواجبهم الوطني . وفي مدينة المكسيك وجد مجلس الأولياء بين يديه ٣٢٦٩٧٨٥ أميا ، فتولى دفع مرتبات ٨٠٠ مدرس من المدربين ليتولوا التدريس ليلا في المدارس ، وقد جاوز المتطوعون غاية ما يفرض عليهم القانون . فهذه امرأة في التسعين من عمرها يبلغها أمر رئيس الجمهورية ، فتخرج من فورها باحثة عن الخادمات الأميات عند جيرانها . فكنت ترى بين يديها لفيفا من الفتيات قد جلسن ليكشفن ألغاز كتاب مبادئ القراءة ، ترشدهن هذه المدرسة التي نالت إجازة التعليم في سنة ١٨٧٣

وفي مدينة توريون ، رجل من كبار رجال المال والصناعة ، هو جوزي أورتيز ، فاتفق هو وألف رجل من أهل بلدته ، أن يدفع كل منهم ريالين كل شهر حتى يتسنى لهم أن يدفعوا ريالين للمدرسين المدربين عن كل أمي يتم تعليمه . ويمنح أورتيز تذاكر مجانية لمشاهدة مباريات الكرة لمن يواظبوا مواظبة تامة على حضور الدروس ، كما أن مجلس الأولياء يحجز كل أسبوع مقاعد في السينما لأوائل الفصول . أما التجار فيقدمون لمن فرغوا من الدراسة وتفوقوا ، هدايا نافعة ، من ملابس وأثاث وراديو وغيرها .

وقد ساعد على سرعة نجاح المشروع ، رغبة المكسيكي في الظفر بالمكافأة مع ولعه بالمهرجانات . وقد وعد توريس بوديت قرية سان مازارينو إلتا بإنشاء مدرسة جديدة وإقامة مهرجان للاحتفال بها ، حين يحرر آخر أمي من أغلال الأمية ، فلم تمض ستة أشهر حتى أصبح لزاما عليه أن يفي لهم بما وعد . وفي سان بارتولو ، وهي مدينة لصناعة النسيج ، قطع أصحاب المصنع على أنفسهم عهداً أن يقدموا بعد الدروس قهوة وحلوى لكل فصل يواظب على الحضور ، فكانت عاقبة ذلك حفلة تقام كل ليلة ، وتعليم أكثر من ألف أمي في الأشهر الأربعة الأولى .

وقد سن المجلس التشريعي بولاية ميشوكان قانونا يقضي بتخفيف الحكم عن المسجونين الأميين الذين يجيدون درس كتاب مبادئ القراءة ، وعن المتعلمين منهم

الذين يعلمون زملاءهم . وقد خرّجَ هذا التوجيـه عشرات من الرجال الأحرار العقلاء . أما جيش المكسيك الذى كانت نسبة الأمية فيه تبلغ ٨٠ فى المئة ، فقد صار قبلة أنظار المدرسين . وقد اتفق القواد أن يرقوا المجتهدين وأن يحدّوا من امتيازات المقصّرين . وفى بلدة مونتيرى ، حيث يحضر الدروس ١١٠٠ رجل كل يوم ، ألمّ ٦٠ فى المئة منهم إلماما لابأس به بمبادىء القراءة .

أما أمر الملايين الثلاثة من الهنود الحمر الذين لا يتكلمون الإسبانية ، فظل مشكلة لم تحل ، فهم يتفاهمون فيما بينهم بما يقرب من خمسين لهجةمتباينة ، وهم لا يستطيعون أن ينتقلوا طفرة واحدة من اللغـة التى التى يتحدثون بهـا إلى الكتابة بالإسـبانية وقراءتها . وقد افتتح توريس بوديت معهداً لتعليم مدرسين من الهنـود ، وسيبدأون بعد ذلك أول مجهود لإغراء الرجل الهندى حتى يشارك فى الحياة المكسيكية

وقد أعدّ بوديت خططا أخرى لرعاية غرسه الذى غرسه ، وقد وجد حين تقلد الوزارة منـذ سنتين ، أن أماكن بيع الصحف والكتب ، تعرض على عيـون الناس روايات مثيرة وكتباً خليعة وقصصا من الحب السخيف ، فأدرك أن جمهور القراء فى حاجة إلى كتب قيّمة رخيصـة الثمن ، فأخذ ينشر « سلسلة من الكتب القديمة » على ورق الجرائد ، ومنها كتب مبسطة مختصرة فى سير الرجال ، وتاريخ شعوب أمريكا ، ودواوين الشعر ورسائل علمية ، وجعل ثمن النسخة خمسة مليمات . وقد بيع حتى اليوم من ٧٠ كتابا مما نشر أكثر من مليونى نسخة . وهو يضع الآن مشروعا لنشر سلسلة من الكتب المصورة تبـاع بنفس السعر ، تتناول مثل هـذه الموضوعات : « كيف تصير فلاحا ناجحا ؟ » « كيف تربىّ طفلك ؟ » و « كيف تتقى المرض ؟ » ، وفيها إرشادات من أعظم المتخصصين، مبسطة كل التبسيط، حتى يكون لما يكتب أثر يتغلغل فى أقل بيوت الشعب درجة .

ويلوح أن الأمر الذى أصـدره أفيلا كاماشو وقام على تنفيذه توريس بوديت ، سـيصير أعظم قانون صـدر فى تاريخ بلاد المكسيك منذ فتحها الإسبان .



إمــرأة
فى الوادى الخفى

مرجريت هاستنجز • مختصرة من فصل لشركة الأنبــاء الدولية



أشرقت شمس يوم الأحد ١٣ مايو سنة ١٩٤٥ على مقر قيادة السلاح الجوى لشرق الأقصى فى غينية الجديدة الهولندية، وقد أذن لثمانٍ منا، نحن الفتيات المجندات، أن يخرجن فيلقين نظرة على الوادى الخفى، وهو وادٍ قصىّ فى قلب الجزيرة، محاط بالصخور، وتفصله عن العــالم سلسلة من جبال شاهقة، ولم يحلق فوقه طيار إلا عاد يبالغ فى حديثه عنه. فكل سكانه عمالقة من أكلة البشر وصيادى الرءوس، وأرضه مزروعة تشقها جداول للرىّ، ونساؤه — على سوادهن — آية فى الجمال.

كنت أول من ركب الطائرة، فاتخذت مكانى فى أول مقعد خلف مقرّ الطيار، ولكنى تبينت أن نافذته لا تيسر لى الرؤية كما أحب. فعدت وجلست فى آخر مقعد بجانب الباب. فكانت هــذه الخطوة التى أملتها نزوة من نزواتى، سبب إنقاذ حياتى ولا ريب.

وغمزت بعينى لزميلتى لورا بزلى وكانت جالسة أمامى، وهى فتاة سمراء جميلة، وكنا نخرج مع أصدقائنا معاً. وسارعت إليانور أنّة وجلست بجوارها وهى تصرخ، فيعلو صوتها هدير المحرك: « ما أجمل هذا ».

لم أكن أعرف أغلب الرجال الذين بدأوا يملأون مقاعد الطائرة، ولكنى تبينت من بينهم كينيث ديكر، وكنت قد رفضت دعوته إلى سهرة منذ بضعة أسابيع وكان آخر الداخلين هما التوأمان جون وروبرت ماك كلوم.

وكانت الطائرة عندئذ قد حملت حمولتها كلها، وهى: ثمانٍ من الفتيات المجندات، وستة عشر رجلا، سوى الطيارين. وسار روبرت ماك كلوم بين المقاعد حتى وجد له مكاناً، أما أخوه جون فلم يجد مكاناً خالياً، فسألنى: « أيضايقك أن أشاركك هــذه النافذة؟ » فقلت: « كلا ولا ريب ».

وهكذا أتاح له الله سبباً من رحمتــه كما أتاح لى.

وسرعان ما حلقنا فوق جبال أورانجى التى تغطيها غابات بدت لنا فى ذلك اليوم الجميـل الشامس خضراء ملســاء كأنها الريش، وأخذت أقول لنفسى: لو أن إنساناً

سقط عليها من عل لما أصابه مكروه . وبلغنا الوادى الخفىّ بعدَ خمس وخمسين دقيقة ، فهبطت بنا الطائرة مسرعة حتى أصبحنا على ارتفاع ٣٠٠ قدم فوق حقول خصبة زرعت خير زراعة . ثم لمحنا أكواخ السكان ، ثم مضت الطائرة مصعدة لتجتاز الجبال .

وفجأة شعرت بجون ماك كلوم ، وهو ينتفض انتفاضة عنيفة ، فصوّبت نظرى ، فإذا بالطائرة الضخمة تشق شقاً بين فروع الأشجار الباسقة. وصاح ماك كلوم : «دعوها تتحطم ، وسارعوا بالخروج منها » .

حسبته يمزح، فما خطر ببالى أنها تهوى بنا إلى الأرض حتى ارتطمت بسفح الجبل .

لم أغب قط عن وعي ، ولكنى أجد مشقة فى تذكر ما حدث، إذ وجدت نفسى فجأة كأنى كرة تنزّى ثم تنزى، وملأ الجوّ دوىٌّ كقصف المدافع . وأخيراً تبينت أن إنساناً قدلفّ ذراعيه حول خصرى، وكانت النار قد لفحت وجهى وشعرى . وطالما سمعت أن الذين يقعون فى مثل هذه المآزق نواتيهم قوة خارقة، فتبينت صدق هذا القول، فإن وزنى لا يزيد عن مئة رطل ومع ذلك استطعت أن أتخلص من قبضة هاتين الذراعين. وبدأت أزحف على يدىّ وركبتىّ طلباً للنجاة من اللهيب المستعر .

ومن العجب أنه لم تمض سوى ثلاثين ثانية فحسب على ارتطام الطائرة بسفح الجبل.

وسمعت إنساناً يهتف بى وأنا أهم بالوقوف: « رباه ! أهــذه هاستنجز ؟ » ، فإذا هو جون ماك كلوم ، ورأيته سليماً لا خدش به. والفضل فى نجاتنا كلينا يرجع إلى أن مقعدنا كان فى مؤخرة الطـائرة ، وأن الصــدمة قصفت ذيلها وفصلته عنها .

وقبل أن نتمكن من النطق سمعنا الصرخة الوحيدة التى لم ينبعث غيرها من الطائرة ، صرخة امرأة تطلب النجدة . فأسرع إليها ماك كلوم وجرّها من الأتون المستعر . وبعد هنيهة ارتد إلى الطائرة وعاد بأخرى ، هما زميلتاه اللتان كانتا أمامى .

ثم أقبل علينا من جانب الطائرة الأيمن رجل يترنح ، فى جبهته شَجَّة بليغة كشفت عظامها، وتلبد شعره . إنه ديكر . فلو كان الذى فاجأنا شبحاً من الأشباح لما كان فزعنا منه أشــد . وظل واقفاً يتمايل ويتمتم : «ما أتعسه من احتفال بعيد ميلادك يا فتى! » وقد علمنا فيما بعد أن يومنا هذا هو عيــد ميلاده السادس والثلاثون .

وظللت جامدة مكانى من هول الصدمة، فإذا ماك كلوم ينهنى وهو يصيح بى : « ألا تفعلين شيئاً لهاتين الفتاتين ؟ » ، وكانتا ترقدان جنباً إلى جنب . ومع أننى لم آلف

مشهد الموت ، إلا أننى أدركت أن إليانور أنـّة قد دخلت فى النزع الأخير ، أما لورا فقد ألفيتها مهتاجة تهذى ، ولكنها ، فيما يبدو ، لم تصب بأذى .

وأخذت النيران تنتشر ، فاضطررنا أن نسرع مبتعدين عنها . فحملنا إليانور ، وسرنا نحو نَجْد يبعد نحو ٢٠ متراً، وهى فى الغابة تعدُّ مسافة شاسعة . وكان علينا أن نجاهد فى التخلص من حطام كثير قد خلفته الطائرة حينما قصفت الأشجار فى سقوطها، وسوّت ما عداها من الشجيرات بالأرض . ولاحظت أننى أسير حافية ، وأن بقدمى اليمنى جرحاً بليغاً دامياً ، ثم تبينت أن ساقىّ أصيبتا بحروق ، وأن شعرى قد احترق أغلبه ، وأن خدى الأيسر قد تنفّط . ومع ذلك لم نشعر ، أنا وديكر ، بآلام حروقنا إلا فيما بعد حين تقيحت .

وسفح الجبل حيث ارتطمنا يرتفع ٩ آلاف قدم ، فلم يلبث البرد أن هرأنا . وأخذ المطر يتساقط كدأبه كل يوم فى غينية الجديدة . فابتلت ثيابنا وزاد كربنا . وتردد ماك كلوم على الطائرة ليرى ماذا عساه يستطيع أن يستنقذ منها . ولم يفصح لنا قط عما يجيش فى صدره من شجن ، فقد ثوى فى ذلك النعش المستعر جثمان روبرت أخيه التوأم .

ووجد ماك كلوم فى الطائرة الأطواف التى أعدت لإنقاذ ركابها إذا ما سقطت بهم فى البحر . فلم تترك فيها شيئاً صالحاً إلا جردناها منه : أغطية من المشمع الاصفر ، وصفائح صغيرة ملأى بالماء وقطع من الحلوى الجامدة ، وجراب به أجهزة الإشارة . ووضع ماك كلوم غطاءً على الفتاتين الراقدتين ، وحقن إليانور بقليل من المورفين ، ثم زحف وقد غلبه الإعياء ، واندس تحت غطاء آخر ، ورقدت أنا وديكر بجانبه . ويخيل إلىّ أنه لا بد للمرء من أن يجرب ما جربنا نحن من نازلة تذهل العقل ، حتى يدرك كيف نسينا أننا رجلان وامرأة . فما كنا سوى ثلاثة من البشر ، يجمعهم رباط واحد ، هو حب الحياة .

ولما طلع الفجر ركع ماك كلوم هنيهة بجانب إحدى الفتاتين ثم قال : « لقد ماتت إليانور » ، لم نتكلم ، ولم نقو على ذرف الدموع . ولفها ماك كلوم بعناية فى غطاء ، وحملها إلى جذع شجرة وتركها . وهذا غاية ما وسعنا أن نفعله .

واقتصر فطورنا على رشفة من الماء من الصفائح ، وقرص من الفيتامين ، وقليل من قطع الحلوى الجامدة . وأخذتنا ، أنا ولورا وديكر رجفة لا تقاوم ، واتفقنا على

أن نقضى بقية النهار والليل فوق قمة الجبل، لنحاول أن نفيق من هول الصدمة ، حتى إذا طلع علينا الصباح انحدرنا من الجبل . وأخذت أسائل نفسى : هل أقوى على أن أقطع كل هذا الشوط حافية فى قلب الغابة ؟

كنا نعلم أن الجيش سيبحث عنا ، ولم نلبث طويلا حتى أقبلت صباحاً أول طائرة، فاختطف ماك كلوم المرآة من جراب الإشارات ، وأخذ يعكس بها أشعة الشمس مهتاجاً، فلم يرونا . ومع ذلك غمرتنا الراحة الكبرى حين عرفنا أنهم يبحثون عنا .

وأقبل العصر فأخذ المطر يهطل وأطبق الضباب — كشأنهما كل يوم — فزحفت أنا ولورا واختبأنا تحت الغطاء . وجدتها لا يقر لها قرار ، ولم ينجع فى تسكينها ما تناولته من المورفين. وأغفيتُ إغفاءةً ، فلما انتبهت وجدتها ساكنة سكوناً أفزعنى. فصرخت أنادى ماك كلوم ، فجاء وجسّ يديها ونبضها ، ثم لم ينبس ببنت شفة . وكان كل ما فعله هو أن جاء بغطاء آخر ولفها فيه وحملها إلى جانب إليانور . وما كان أحرانى أن أتمزّق من الحزن على هذه الصديقة الغالية ، ولكن ذهنى لم تشغله إلا فكرة واحدة هى : « هذا حذاؤها قد أصبح ملكا لى ». وأشعل ماك كلوم سيجارة وناولنى أخرى ، ومكث معى إلى أن أشرقت الشمس ، ولن تمرّ علىّ بعد اليوم ليلة كتلك الليلة فى طولها .

ولما طلع النهار انحدرنا من الجبل، ولف ماك كلوم مؤونتنا وصفائح الماء ومصباحين وجعلها حزمة حملها ، وربط لديكر حزمة أصغر منها . وناولنى دلواً فيه جراية اليوم : صفيحتان فيهما ماء وبعض قطع الحلوى الجامدة. وسار ماك كلوم فى المقدمة وديكر فى المؤخرة، وسرت أنا بينهما. ولم يبق فى الغابة شىء إلا وكأنه مدّ إلينا مخالبه وأنشبها فينا. فكان زميلاى يضطران إلى التريث لتخليص شعرى المنسدل على كتفىّ من أغصان الشجر، وأخيراً غلبنى اليأس فقلت لماك كلوم : «بالله خلصنى منه » فأخرج ماك كلوم مديته من جيبه ، ووضع يده على رأسى وجزّ شعرى، فلم يبق منه إلا أقله .

ووقعنا فى أخدود فسرنا فيه ، ولم نلبث طويلا حتى صرنا نجاهد فى تثبيت أقدامنا وسط ماء جارف يتكسر على منحدرات كأنما يثب على السفح وثباً . وانتهينا إلى منحدر يهوى ١٢ قدماً ، فتعلق ماك كلوم بعود كرمة من الكرم الذى يملأ الغابة، ثم ترجح وهو ممسك به وألقى بنفسه فى منحدر الماء ونادانى: « تعالى يا مرجريت » .

وقبل أن أفكر وجدتنى أتعلق أنا الأخرى بعود الكرمة، ورميت بنفسى. ثم جاء ديكر

وألقى بنفسه ثم ابتسم قائلا: « ما كان يدور بخلدى أن أفعل كما يفعل طرزان » .

فلما جاء الظهر غلبنا الإعياء واشتكت أجسادنا البرد والخدر، وسمعنا فوق رؤوسنا هدير الطائرات وهى تبحث عنا . ولكننا كنا نعلم أنه يستحيل عليها أن ترانا ونحن فى منحدر السيل ، وقد عرّشت فوقه أشجار الغابة ، فلا بد من أن نصل إلى سهل خال حتى تستطيع الطائرات أن تهتدى إلينا .

وكان فطورنا فى الصباح التالى شيئاً يسيراً من الماء والحلوى ، وما كنت لأبخل بشىء فى سبيل قدح من القهوة الساخنة . وكانت جروح قدمىّ وساقىّ قد بدأت تتقيح . وبذلت قصارى جهدى حتى أستمر ، وملأ الدمع عينىّ ، وجعلت أستره عن رفيقىّ . وحدث أن تقدمنا ماك كلوم فصحت يأساً : « لقد فرّ بزادنا وتركنا نموت جوعاً ! »

وعندئذ رأيت ديكر ينقلب جندياً شديد البأس ، وكان قد لحقه من الجهد فوق ما لحقنى ، ومع ذلك أدرك ما يجب عليه ليحثنى على متابعة السير ، فأخذ يعيرنى ويعنف بى ، فجن جنونى حتى وددت أن أقتله ، ولكنى قمت على قدمى وسرت فى منحدر السيل . وأنا أعلم الناس بأن لماك كلوم ديناً فى عنقى ، فهو الذى أحيانى بعد موت . ولا يزال الخزى يغمرنى كلما فكرت فيما خامرنى من الشك فى إخلاصه .

وفى الساعة الحادية عشرة ، وبعد أن سرنا خمس ساعات فى الماء ، وصلنا إلى أرض خالية ، وتسلق ماك كلوم جانب الأخدود ، وصرخ بنا : « تعالوا ! لقد وصلنا » . فتقدمنى ديكر وصعد ، ثم جذبنى إليه فارتميت ووجهى إلى الأرض ، وأنا لا أطيق حراكا . وظللنا مكاننا راقدين نلهث ونتأوه ونحاول أن نلتمس لأجسادنا المقرورة بعض الدفء .

وعند الظهر سمعنا هدير طائرة كبيرة ، وكدت أيأس من قدرتنا على بسط الغطاء الأصفر فوق الأرض . ومن العجب أن الطائرة عادت تحلق فوقنا ، ثم بعد بضع دقائق وقف الطيار محركها وبدأ يميل ويهبط . فإذا بنا ، نحن الذين كنا منذ قليل لا نستطيع من إعيائنا أن نقف على أقدامنا عشر دقائق ، ننسى تعبنا ونقفز ونلوّح بأيدينا .

فأخذتنا النشوة حتى بدأنا نمزح ، وقال ديكر وهو يتصنع الوجوم : « أظن أن لا بد لأحدنا أن يتزوج مرجريت حتى يجعل لهذه المغامرة خاتمة سعيدة ، كخواتيم القصص » .

وأخذ ماك كلوم يوجه إلىّ نظرات فاحصة وقال : « عليها أن تسمن قليلا ، إذا أرادت أن تحرك اهتمامى بها » .

فصرخت فيه : « محال أن أتزوجك

ولو كنت آخر من بقى على ظهر الأرض . سأتزوج ديكر » .

فما كان من ديكر المسكين إلا أن نظر إلىّ وقد أخذه رعب شديد وقال : « ما أخبثك ! »

وكان يومنا مشرقاً على ما لقيت من إعراض الرجلين عنى . وجلسنا نتحدث عن الوقت الذى يلزم للجيش ، فى تقديرنا حتى يتمكن من إرسال الإمدادات إلينا بالطائرة . واستغرقنا فى المرح ، فإذا بديكر يسألنا : « ألا تسمعون أصواتاً عجيبة ؟ » فأصغينا فسمعت أصواتاً كأنها عواء سرب من الكلاب ، ولكننا أدركنا لساعتنا أنهم سكان الوادى .

وسرعان ما تمثلنا بوضوح ورهبة كل ما سمعناه عنهم : قوم من العمالقة ، طول أحدهم سبع أقدام ، وهم من أكلة البشر يذبحون الأحياء قرباناً لأربابهم ، وهم ألو بأس شديد فى القتال . وليس معنا ثلاثتنا من سلاح سوى مدية جيب . فقال ماك كلوم : « لم يبق لنا إلا أن نتألف قلوبهم » . وأمرنا أن نمد لهم أيدينا بكل ما لدينا من زاد ، أى بالحلوى ، ووضع مديته بجانب هـذه الهدية التافهة . وصرخ ماك كلوم : « قفوا وابتسموا ! »

وأخذت رؤوس سود تطل من وراء أشجار الغابة ، فابتسمنا ونحن نعلم أن حياتنا رهن بهذه الابتسامة . ومددنا أيدينا بالحلوى والمدية ، ووقفنا ننتظر .

كانوا نحو مئة رجل يحملون على أكتافهم فؤوساً من الصخر بشعة المنظر ، فأقبلوا وعلى رأسهم شيخهم . وجمدت الابتسامة على شفاهنا كأنما قدّت على صخر . فلما أصبح بيننا وبينهم ١٥ قدماً ، وقف الرجال وتجمعوا وأخذ الرئيس يتحدث إليهم حديثاً سريعاً . وإذا أسارير وجهـه الدميم تنبسط ويشرق محياه . إنه العفو ! بل الصداقة ! بل الحياة !

وتقدم الرئيس ووقف حيال ماك كلوم ومدّ يده ، فأخذها ماك كلوم وشدّ عليها . وإن كانت فرحة النجاة قد ضعضعت قواه . وتفاهم الرجلان : الأسود الذى لم يقابل قط رجلا أبيض ، والأبيض الذى لم يقابل قط رجلا أسود وحشياً فى موطنه . إنها البسمات يسرت التفاهم . وأخذ ماك كلوم يردّد : « كيف حالك ؟ لقد سرتنى رؤيتك . هذه هاستنجز ، وهذا ديكر » . وفجأة تبين لنا أنهم يخافوننا أكثر مما نخافهم . وليس بصحيح أنهم يبلغون فى الطول سبع أقدام ، بل متوسط طولهم خمس أقدام ونصف قدم ، وليست عليهم سمة التوحش ، وليس على أبدانهم سوى نطاق من الجلد حول خصورهم ، تتدلى منه قرعة كبيرة من أمام ، وورقة شجر عريضة كأنها ذيل من خلف . وعلى رؤوسهم جميعاً ، إلا الرئيس ، شبكة مجدولة من خيوط غليظة تتدلى على ظهورهم . وقد رشقوا فى

تلك الشبكة كل ما أرادوا حمله ، حتى الطباق وهو ينمو فى بلادهم وله ورق خشن يلفونه لفافات قصيرة خضراء اللون . ولم نر قط أقداماً كبيرة مفرطحة كأقدامهم، وكان فيهم من طلى جسده بدهن أسود كريه الرائحة ليزداد سواداً على سواد . وحينئذ حاولنا حملهم على قبول هدايانا ، وتذكرت مرآتى لجنوا بها سروراً ، ولما رأوا وجوههم فيها تعالى لغطهم كأنهم سرب من البط .

وكان الإعياء وقتئذ قد غلبنى وأصبحت قدماى تنتفضان انتفاضاً فلا تقويان على حملى، فقعدت من فورى ، فإذا بالقوم يحيطون بى وينظرون إلىّ مشدوهين ، ولا عجب فقد كان حالى يلفت النظر . فخدى الأيسر قد كساه سواد القروح ، واختفى حاجباى وأهداب عينىّ ، وبدأ أنفى يتورم ، ولم يبق على رأسى شعر نابت . نعم . هو مشهد خليق بأن يروّع الوحشيين أو الأطباء .

وأشار ماك كلوم إلى الرئيس يريه الجروح التى أصابتنى أنا وديكر ، فهز رأسه هزة يتجلى فيها الجدّ وبدأ يتمتم : « أون . أون . أون » ، وتلك هى الكلمة الوحيدة التى أمكننا أن نتعلمها من لغتهم . فإذا خاطبونا أصغينا كل الإصغاء وأجبناهم بين الحين والحين بكلمة « أون . أون . أون » فترى منهم بشاشة ورضى . وقبل أن يغادرونا فى ذلك اليوم أعادوا إلينا المدية ، والحلوى، والمرآة ، فهم لا يقبلون هدية البتة .

وفى الصباح التالى ألقت علينا الطائرات إمدادات فى مظلات ، فى أولاها جهاز راديو صغير ، فسرعان ما صاح ماك كلوم فى بوقه قائلا : « هنا ماك كلوم . أجيبونى . أتسمعوننى ؟ » ولم نلبث أن جاءنا الرد واضحاً : « هنا ٣١١ (وهو رقم الطائرة التى تحلق فوقنا) تنادى ٩٢٥ (وهو رقم طائرتنا التى تحطمت) إننا نصغى إليكم » .

فأخذ ماك كلوم يشرح بالتفصيل كيف سقطت الطائرة وذكر أسماءنا ، فأجابه من الطائرة طبيب من أطباء الجيش وقال له إن رجال الفرقة الصحية سيهبطون علينا بالمظلات . فشدّ من أزرنا هذا الغوث وإن كان وعداً . وابتعدت الطائرة وظل الرئيس وأصدقاؤه على أكمة تقابلنا ، وقد جلسوا القرفصاء ، يحملقون فينا مبتسمين كالنظارة فى ملعب من الملاعب . ثم أوقدوا ناراً وأخذوا يدخنون لفافاتهم ، وكدنا نموت نحن الثلاثة لهفة على سيجارة ، وكان لدينا منها كثير ، ولكن يعوزنا الثقاب . فقال ماك كلوم : « سآتيكم بقبس من نار جيراننا » وعاد بها فجلسنا جميعاً ندخن : هم فوق أكمتهم، ونحن بإزائهم فوق أكمتنا .

وكانت الطـائرة قد ألقت إلينا بعض الإمدادات ، ولـكنها هبطت فى الغابة غير بعيد منا . وأخذ لعابنا يسيل ونحن ندخن ونفـكر فى الطعام الشهى ينتظرنا على مرمى حجر منا . وقلت وأنا مستسلمة للأمانى : «لست أعاف طعاماً سوى شيئين . الطماطم المحفوظ والزبيب» فقال ماك كلوم متحمساً : « لو وجـدت طماطم لأكلتها هى والصفيحة معاً » . ثم قام ليبحث عن ذلك الطعام .

نعمَ الرجـلان ماك كلوم وديكر فى كرم معدنهما وصدق عزمهما فى كل ما يفعلانه . فلم نعلم إلا بعد أن فارقنا الوادى الخفىّ أن ماك كلوم قد كسر ضلعه ، وكذلك ديكر ، فهو وإن لم تخف علينا شدة ما أصابه ، إلا أننا لم نعلم إلا فيما بعد أن الإصابة كانت بالغة الخطر . وقام ديكر لايتململ ليتبع ماك كلوم عاقداً عزمه على أن يؤدى قسطه من العمل . فلما عادا رأيت على شفاههما ابتسامة عريضة ، وفى أيديهما كل ما وجـداه من طعام ، فإذا به طماطم محفوظ !

ثم بعد قليل ذهبا مرة أخرى وعثرا على عدة أجربة بها أدوية وضمادات وسكاكين غابات . وأخذ ماك كلوم يعنى بجروحنا أنا وديكر . ولا شك أن مرأى ساقى قد كربه كما كان يكربنى ، فقد عمتها حروق انقلبت قروحاً متقيحة دامية خبيثة الرائحة ، ودبت الأكلة فى قدمىّ وفى يدى ، وامتلأ قلبى رعباً أن أصير إلى بتر ساقى ، ولـكنى رددت نفسى عن الإسترسال فى مثل هذا الخبل ، فليس هـذا وقته . وعاونت ماك كلوم فى دهن ساقى بالمرهم وتضميدها . ونظر إلىّ الرجلان وأنا شعثاء غبراء . وقال ديكر : « أنت فى حال يرثى لها ولا ريب » فأجبتهما محتدة : « كلا ، فلستما أحسن منى حالا » .

فـكلاهما صار أشعث أغبر مثـلى ، وعلى وجهه لحية بنت أربعة أيام . وقال ماك كلوم : « هذا دورك الآن ياديكر » .

لم نحـاول أن نمد يداً إلى جبهته لمعالجة جرحها البليغ ، وقد فغر واتسع ، وخلع ديكر سرواله ورقد على بطنه ، فرأينا مشهداً ملأنا نحن الاثنين رعباً ، وجعلنا ندرك مبلغ الآلام التى يتحملها ديكر وهو صامت . فقد تفشت الحروق فى ظهره ودبت الأكلة فى جروحه ، ولا شك أن اللمسة وحدها كانت تحـدث له أقسى الآلام ، ولـكنى نظفت الجروح كأحسن ما أمكننى ، ودهنتها بالمرهم .

ولما غربت الشمس ألفينا ديكر عاجزاً عن الحركة ، وإن كتم آلامه فلم يئنّ قط ، وكذلك أصبحت أنا منهوكة لا أطيق المسير . ومضت ٧٢ سـاعة وماك كلوم الكريم الصـبور يعنى بى كأنى طفلة صغيرة ، وإن

كان هو أيضا على وشك الإغماء من الجهد. ووضح لنـا ، وإن لم نجهر به ، أن ديكر قد يموت وأننى قدأفقد ساقىّ ، إذا لم يهبط علينا رجال الخدمةالصحية ويسرعوا إلى إسعافنا.

وجاءت الطائرة فى الصباح وألقت علينا إمدادات أخرى ، فأبلغناها أن لا يلقوا الأطبـاء على مقربة منا، فإن الأرض حولنا وعرة شديدة الخطر . وكنا جميعا نخشى أن يتعرض أجد للهلاك فى سبيل إنقاذنا .

وجرّ مالك كلوم الإمدادات إلى الأكمة ، وأخرج منها ربطةفيها السراويل والقمصان. ووجد فيها أغطية حاول أن يهيئ لنا منها فراشاوثيراً، وأخيراً عثروهو يجرى ويصيح: « ها هو الطعام وسنأكل» وكان يحمل ربطة فيها خير ما لدى الجيش من طعام . ولو دعينا لمأدبة فى أفخر المطاعم لما وجدنا من السعادة كالذى وجدناه الساعة. ومددنا جميعا أيدينا نبحث عن شئ واحد ، لحم وبيض . ولشد ما كانت دهشتى حين رأيتنى عاجزة عن أن آتى على ما فى علبة واحدة صغيرة. والظاهر أن معدتى كانت قد تقلصت .

وفى عصر ذلك اليوم جاء الرئيس يزورنا، ومعه زوجه ، وكانت تحمل الشبكة المعهودة وملحقاتهـا فوق رأسها ، ولكنها كسائر نساء القوم لا تتزين بالحلىّ ، فكل ما ترتديه نطاق من فروع لينة مجدولة ، وهن رشيقات خفيفات الحركة، ذوات خَـفَـر كأنهن ظباء .

وكان الإعياء قد بلغ منا كل مبلغ حين هيأ لنا مالك كلوم مكان النوم . ثم لم تمض علينا فى الفراش ساعة حتى انتبهنا، فإذا الرئيس وأتباعه من حولنا، يحملون خنزيراً وبطاطة وبعض أصابع خضر من الموز فقال مالك كلوم : « إنهم يدعوننا إلى مأدبة ! »

وحاولنا أن نفهمهم أننا مرضى وقد هدّنا التعب. ولا شك أن هذا الأسود الغليظ الألواح ، يطوى جوانحـه على قلب رقيق رائع. فقد فهم لساعته وابتسم لنا . وانقلب راجعاً هو وأتباعه من حيث أتوا .

فلما انتصف الليل ثارت الزوابع وتساقط علينا المطر مدراراً ، وكان زميلاى يرقدان على مرتفع من الأرض . حقاً لقـد ابتل فراشهما ولـكن لم يجرفه المـاء كما جرف فراشى، ولذلك لم يسعهما إلا أن يفسحا لى مكاناً بينهما ، وتأوه مالك كلوم وهو يقول : « رباه ! ألا خلاص من هذه المرأة ! »

وفى ظهر اليوم التـالى حلقت فوقنـا الطائرة ثانيـة . وألقت علينـا إمدادات أخرى ، وأخبرتنا أن سهبط إلينا طبيبان على مسافة ميلين منا فى منحدر الوادى .

ولم أستطع حبس دموعى حينما تبينت الطبيبين وهما فى طريقهما إلينا . وكان فى

المقدمة «رامى راميرز» وقد انبسطت أسارير وجهه وعلى شفتيه ابتسامة عريضة كلها ود وإخلاص. وقد ابتهجنا لرؤيته ابتهاجنا بكنز عظيم، وسار فى إثره «بين بولاتاو» وهو رجل من أطيب خلق الله. وكلا الرجلين من أبناء الفيلبين، وكذلك بقية الرجال الذين هبطوا علينا بالمظلات. وشمر الرجـلان عن سواعدهما وبدآ يعملان. وكان راميرز قد التوت قدمه عند هبوطه، فأخذ يحجل بيننا كأنه عصفور مرح. وأخذ الدكتور يتردد على الغـابة ويعود منها بالإمدادات. ولما أقبل الليـل أوقدوا لنا أول نار نعمنا بها، وأعدوا لنا شرابآساخنا من الكاكاو، فحسبنا أنفسنا فى الجنة.

وشرع الدكتور يعنى بجروح ديكر وجروحى. فأنفق ساعتين حتى فرغ من تطهير جبهة ديكر وتضميدها، ثم ساعتين أخريين — وهو يعمل فى ضوء المشاعل، ليضمد حروقه التى تمشت فيها الأكلة. ثم تحول إلىّ وبدأ يعنى بساقى، وكان الضماد لاصقاً بهـا، وحاول أن ينزعه عنها دون أشعر بألم كبير، وكان يتململ مثل تمللى. فقال له ماك كلوم مشجعا: «ليتك رأيتنى وأنا أنتزع ضمادها». ولكنى كنت فى حال لا ألتى فيهـا بالا إلى آلامى. فقد انصرف همى كله إلى التفكير فى إنقاذ ساقى.

واستيقظت فى الصباح التالى على شـذآ لا تجود بمثله الدنيا، من رائحة القهوة الساخنة واللحم المقلىّ. وأعدّ لنا الدكتور أول وجبة ساخنة نعمنا بها منذ أسبوع. ثم ظل ساعات يقشر عن حروق ديكر المتعفنـة أجزاءها التى أتلفتها الأكلة فتصلبت. وكتم الرجل ما يجد ولم يتأوه من عذاب فلم يتململ. وقد تبين أنه قد أصابه، سـوى الجروح، كسر فى ذراعه عند المرفق، ولم يكن لدينا مخدر ولا خمر ينفع فى تخفيف آلامه.

وجاء يوم الأحـد فحلقت فوقنا الطائرة تحمل ثمانية جنود وضابطاً هو سيسل والترز، وسمعنا عامل الراديو يهتف: «سنقصـد الوادى على مسافة ١٠ أميـال منكم وننزل الجنود وسيصلون إليـكم قبل الغروب».

ولكنهم وصلوا إلينا يوم الجمعة التالى، فقد هبطوا على مسافة ٤٥ ميلا لا ١٠ أميال. غير أن علمنا أن المعونة سوف تأتى لإنقاذنا من براثن هذا الوادى، كانت تثلج صدورنا.

وكنت كلما شرع الدكتور يفك الضماد عن جروحى، تذكرت أنى مجندة وأطبقت فكىّ، وعقدت العزم على احتمال الآلام كما يحتملهـا ديكر. وأخذ الدكتور يعالج ساقى أربع ساعات بدت لى كأنهـا لا تنتهى، فلم تنفرج شفتاى عن نأمة واحدة، وإن كدت أنفجر من الألم. وشعرت بالراحة

الكبرى حين عرفت أن ديكر سيشفى ، وأننى لن أفقد ساقى .

وفى يوم الاثنين تماثلت وقويت نفسى فأردت أن أستحم . فأقام لى راحى ، على الجانب الآخر من الأكمة ، وبمنأى من الأبصار ، ذلك الحوض الذى لا يعوزا لجندى أبداً ، ألا وهو الخوذة . وأتانى بالصابون والمناشف والملابس ، ثم حملنى الرجال وأنزلونى من على الأكمة وتركونى وشأنى .

خلعت سراويلى وقميصى وتهيأت للاستحمام وفجأة أحسست كأنى لست وحدى . فتلفتُّ ، فإذا أبناء البلد على أكمة قريبة ، ولا أدرى أكانوا يحملقون فى عجباً مما أفعل ، أم عجباً من بشرة بيضاء شدّ ما تختلف عن بشرتهم .

وفى عصر يوم الجمعة ٢٥ مايو طلع علينا الضابط والترز ، وقد بدا كالعملاق لطول قامته ، وهو يسير فى الدرب على رأس جمع من فتيان الفيلبين وحاشية من أبناء البلد تحوطه بإجلال ، فأخذتنا لمجيئه نشوة أى نشوة ، فقد قدم علينا وهو يرفع عقيرته بالغناء ، وجاء ومعه أربعة من الجنود ، وتخلف ثلاثة آخرون فى الوادى الكبير ليهيئوا للطائرة مدرجاً تدرج عليه .

كان والترز فتىً ملء العين والنفس ، وكثيراً ما كان يتولى وحده تسليتنا ، فبينا هو يقلد مشاهير المغنين ، إذا به يتحول ويغنى لنا أغانى شعبية . ونحن — وأبناء البلد معنا — نراقبه مأخوذين من قدرته ، فهو خير معين على تقوية العزائم .

وكانت قيادة الجيش تدرس إمكان إنقاذنا بإحدى السابحات ، فالطائرة لاتستطيع أن تهبط فى الوادى الكبير لوعورة أرضه ، على حين يتسنى للسابحة أن تفعل . فإذا ما ركبناها شدتها طائرة أخرى تمر فوقها ورفعتها إلى الجو . ولم ندرك مشقة الاتصال بنا إلا حين أخبرنا والترز أن الخرائط كلها تشير إلى منطقتنا بكلمة « أرض مجهولة » .

وكانت أواصر الصداقة بيننا وبين الرئيس ورجاله ، قد قويت يومئذ ، وخصوا الدكتور بحبهم ، فكان يخرج كل يوم يجول فى الغابة ويزور مرضاهم ، كأنه طبيب القرية . وفعلت أدويتنا فعل السحر فى علاج أمراض الجلد وقروحه المتفشية فى المناطق الحارة .

ولما أعلن الدكتور يوم ١٥ يونيو أننى وديكر أصبحنا قادرين على تحمل عناء السفر ، ودعنا الزعيم ورجاله . واسم (الوحشيين) لا ينطبق قط على أمثال هؤلاء ، فهم أهل عطف وصداقة وكرم . ولعل أكبر خارقة رأيناها ، إذا ما استثنينا نجاتنا عند تحطم الطائرة ، هى أننا ألفينا هؤلاء القوم ذوى

كرم ووداعة ، ولما غادرناهم ساروا فى اثرنا رغم يبكون .

ودخلنا الدرب الذى سنسير فيه ٤٥ ميلا قبل أن نصل إلى مدرج السابحة ، وبدأت والثقة تملأ نفسى ، ثم سرعان ما اضمحلت بعد ثلاثين دقيقة . فإن الجنود ساروا سير مشاة الجيش، وهو فوق طاقتى . وكثيراً ما كنا نتعثر بالأشجار الهاوية أو بما بقى من جذوعها ، أو نغوص فى الأوحال . فلم يأت الظهر حتى أصبت بالعرج وتكاثرت علىّ الآلام ، حتى كدت أصرخ من الغيظ . ولم يكن ديكر أحسن منى حالا . ولكن كلانا أبى الهزيمة ، إذ كنا لانجهل أنه من المستحيل أن يحملنا رفقاؤنا فى هذا الدرب الوعر .

ولما وصلنا إلى آخر ربوة تطل على الوادى الكبير امتلأت قلوبنا سروراً وبشراً . فأمامنا أرض خصبة مونقة ، تحوطها جبال أورانجى الشاهقة ، ويشق الوادى نهر ماؤه كلون العسجد ، ورأينا تحت أقدامنا بوضوح ذلك المدرج الذى أعد للسابحة ، وبجانبه معسكر أنيق من معسكرات الجيش الأمريكى . ولا جرم فإن الجنود الثلاث الذين تخلفوا ليعدّوه ، د دأبو على عملهم ولم يتراخوا فيه .

ودخل والترز المعسكر دخول الظافر ، وكان عامل الراديو فى الطائرة التى تحلق فوقنا قد أعد جهازه لهذا الحدث العظيم وأداره ترحيباً حين يدخل المعسكر .

وأسرع بقية الضباط وأرونى حجرة النوم التى أعدوها لى ، فإنهم وضعوا حاجزاً يفصل قسما من خيمتهم وخصصوه لرقادى ، ومهدوا لى فراشاً وثيراً من الحشائش ، وغطوها بقماش المظلات وهو من الحرير الناعم ، ولونه أصفر فاقع جميل ، ووضعوا أمام الفراش بساطاً اتخذوه من حقائب المظلات فاهتز قلبى عرفاناً بجميل صنيعهم .

وتجلت فى المعسكر مظاهر تعدّ ترفاً لمن كان فى مثل حالنا . فقد وجدت حماماً فيه حوض من ورق مقوى يقاوم الماء ، فكأننى نزلت بأحد الفنادق الفخمة . فلم انقطع عن إظهار شكرى وتقديرى لكل ما لقيته .

وكان الجيش قد ألقى علينا ودعات لنتخذها وسيلة للتعامل مع أبناء البلاد ، ففعلت فيهم فعل السحر .

وغداة وصولنا ذهبنا نزور قرية أبناء البلد ، فاستوقفنا شيخ عليه دلائل المهابة والرياسة قائلا إنه لا يعدّنا أعداء ، ولكنه لا يريد أن نتقاطر على قريته ونغزوها ، فقلت فى نفسى إن الرجال — فى الولايات المتحدة أو فى جوف هذه الأدغال — يستل

غضبَ قلوبهم دلالُ المرأة ، وأنا أعلم كيف يجب أن يكون ، فأومأت له بما بقى لى من أهداب عينى ، وقلت له بدلال : « حاشاك أن تكون بنا عنيفا » .

فإذا بهذا الزعيم الشيخ يذوب أمام أعيننا ويخضع ويقول : إنه يأذن لى أن أزور القرية على أن لا يكون معى غير ثلاثة نفر ، وفى ذلك اليوم قابلت زوجة الزعيم . وقد أحبتنى الملكة وأحببتها منذ أول نظرة ، وهذا مثل آخر على تفاهم القلوب ، فلم تكن تفهم لغتى ولا أنا أفهم لغتها .

وجعلت أكثر من زيارة الملكة بعد ذلك ، فكنا نجلس فى الردهة العامة حيث تجتمع النساء وهن يطبخن الطعام أو يمضغن البطاطة الساخنة . ولم ترق ملابس المجندات جلالة الملكة ، وأرادت أن أستبدل بها نطاقاً من الفروع اللينة كما تفعل هى وسائر نساء الحاشية .

وكنت ذات يوم أزور الملكة ، فنسيت وسرحت شعرى أمامها بمشطى ، فسحرها ما رأته وتجمع نساء القرية حولى وظللت أسرح أمامهن شعرى حتى تخدر ذراعى ، وأخيراً أخذت الملكة المشط فسرحت به شعرى وأسدلته على وجهى ، فسرحته أنا ورددته إلى خلف ، وحينئذ بدا للزعيم أن يشترك فى هذا اللعب ، وأخذ يغلغل أصابعه فى شعرى ، ولم أرد أن أهينه فتركته يفعل ما يشاء وسكنت بين يديه وقلت : « أون . أون . أون » ولم أدرك معنى ما أجابنى به إلا حينما لمحت وجه رفيقى الجاويش فالاسكو . وكان قد تعلم بعض ألفاظ من لغة القوم ، فتبينت فى وجهه الغضب مما قاله الزعيم ، بل إن الملكة كانت هى أيضا أشد منه غضبا . وهنا صاح بى فالاسكو قائلا : « اغربى عنا ! » ففعلت .

وإذا استثنينا هذه الحادثة كانت علاقاتنا بأبناء البلد طيبة ، وقد سحرهم كل ما فى معسكرنا من متاع ، ومع ذلك لم يسألوننا



شيئا منه . ووجدناهم يألفون ما لدى جيشنا من سكاكين الغابات وفؤوسها ، فكانوا يستخدمونها حين يعملون لنا ، وإذا أرادوا أن يعملوا لأنفسهم عدلوا عنها إلى فؤوسهم الحجرية، فهم لا يسمحون للغرباء الهابطين عليهم من المريخ ، أن يغيروا عاداتهم التى ألفوها منذ قرون .

لم نجد فى الوادى ما يدلّ على أن لسكانه ديناً يتبعونه ، فلا أصنام ولا معابد . وقال والترز ميرة : « إن دينهم هو الإيمان ببنى الإنسان ! » ولعلّ هـذا القول هو خير ما يمتدح به هؤلاء القوم الكرام .

وأخيراً علمنا أن طائرة كبيرة ستأتى لتجر السابحة التى ستنقلنا من الوادى . وفى يوم الخميس ٢٨ يونيو هبطت السابحة برشاقة فى الوادى واستقرت على المدرج ، فتألبنا جميعاحولها قبل أن يخرج منها قائدها الطيار هنرى بيفر ، وقال لنا :

« هذه الطائرة كالقطارات السريعة ، لا تنتظر فى المحطات طويلا وستعود إلى الجو بعد ٣٠ دقيقة » . فصرخت : « ثلاثون دقيقة فحسب ! ما هـذا ؟ إننى لم أعد حقائبى بعد » وطرنا إلى الخيام لنجمع الفؤوس الحجرية والقسى والنبال التى اشتريناها لتكون تذكاراً لزيارة الوادى الخفى . وأخذت الطائرة الكبيرة تحوّم فوقنا حتى يتاح لها أن تجر السابحة .

وأدرك أبناء البلد أننا مرتحلون عنهم ، فجرت دموعهم . وكنت أحدث نفسى أننى سأفارق خير من لقيت من الأصدقاء الأوفياء . وكدت أشرق بالدمع ، وجعلت أكفكف دمعى بمنديلى فأستره ، ولاحظت أن ماك كلوم وديكر يفعلان ما أفعل .

وقال لنا بيفر كالذى يهدئ من روعنا : « لا تجزعوا إذا ما انقطع حبل السابحة فى أول محاولة » فسأله ماك كلوم : « وماذا يحدث لو وقع ذلك ؟ » فقال بيفر :

« اعلم يا سيدى أن الجيش قد أمّن على حياتى بمبلغ ١٠ آلاف ريال » .

فجعلت اتساءل : أترانا سلمنا من الهلاك حين تحطمت بنا الطائرة ، وصبرنا على المرض والآلام لا لشئ إلا لنقتل حين تكون النجاة قاب قوسين أو أدنى ؟

وهبطت علينا الطائرة الكبيرة وهى تزمجر، فجمدتُ مكانى ، وانتفضت السابحة انتفاضة، وبدأت تنساب على المدرج. غادرنا الأرض وبدأنا نرتفع وكدنا نلمس فروع الأشجار ، فملت بوحى الغريزة إلى الوراء من الرعب ، ولم أدرك إلا فيما بعد أننا كنا على وشك أن نسقط فى الغابة مرة أخرى ، فإن الحبل الذى يربط الطائرتين علق

بالأشجار فقال من سرعة الطائرة الكبيرة إلى ١٠٥ أميال فى الساعة ، وهى سرعة ضئيلة لا تكفى لتوازن مثل هذه الطائرة الكبيرة . وبذل قائدها جهده وأنقذها ، ولكنه أخبرنا فيما بعد أنها كانت على وشك السقوط . ولما شهد له رؤساؤه لكى يمنح وسام الشجاعة قال : « لئن أقدم على مثل هذه المخاطرة مرة أخرى ولو منحونى عشرين وساما » .

وفجأة شعرنا بشىء يلطم قعر الطائرة لطمات متتابعة . . لقد علقت بالطائرة مظلة هابطة من تلك المظلات الكبيرة التى تلقى بها الإمدادات الثقيلة ، وكان رجال المعسكر قد وضعوها على جانب المدرج للدلالة على حدوده ، وانشق بنيان الطائرة الهشّ فى حيث لطمتها المظلة ، وسرعان ما امتد الشق بعرض الطائرة ،وأصبح اتساعه قدر قدمين ، فكان حسبنا أن نصوب أنظارنا فنرى ما تحتنا ، فاضطربت لذلك أعصابنا .

وبعد تسعين دقيقة منذ فارقنا الوادى الخفى ، كنا نحلق فوق هولانديا ، وإن كانت هذه المدة قدمرت كأنهادهر طويل . وسرعان ما هبط بيفر بالطائرة الجريحة على أحسن صورة . وها أنذا أعود إلى المطار بعد ٤٧ يوما من فراقى له فى رحلة كان مقدراً لها أن تستغرق ٤ ساعات فحسب .

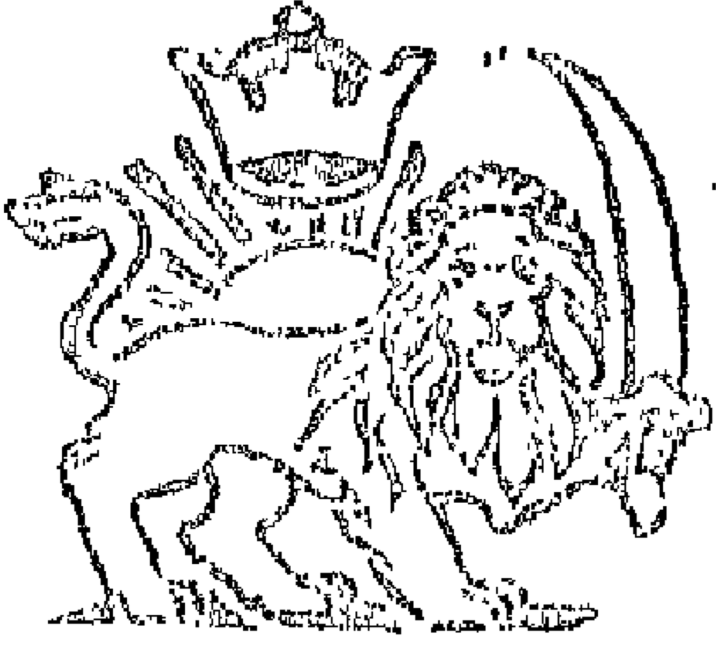
ولما سرنا نحو المصورين دفعتنى الغريزة فتشبثت بذراع ماك كلوم ، وأدركت أن سعادة جَدّى هى التى أخرجتنى سالمة من طائرة تحطمت ، وهى التى أكرمتنى برفقة هذين الرجلين ، فكلاهما تحمل من الآلام فوق ما تحملت أنا . . . وقد خلف أحدهما وراءه فى سفح ذلك الجبل شاهداً يدل على قبر أخيه التوأم .

وامتلأ قلبى شكراً للضابط والترز وجنوده من أبناء الفلبين الذين خلفناهم وراءنا فى الوادى الخفى . ولما خرجت من السابحة إلى الحياة التى ألفتها من قبل ، ذكرت الرفاق الذين توسّدوا التراب ، ولم يسعفنى البكاء إلا عندئذ



فوجئت الممثلة آن جفريز ذات يوم بخادمتها تطلب أن تزيد لها أجرها الأسبوعى عشرة ريالات . فقالت لها : ألا تعلمين أن الظفر بالخدم أصبح ميسوراً منذ انتهت الحرب ؟ فردت الخادمة : « طبعاً ، وكذلك الظفر بزوج » .
[إرسكين جونسون]

هذا مقال فيه تفسير للأحداث التي تموج
في جنبات أرض عريقة في التاريخ



النزاع على إيران

أندريه فيسون

مختصرة من مجلة "ذي ستيد بيبر"

إيران اليوم تغلي بالاضطراب ، ففي هذه الدولة التي تقع في الشرق الأوسط والتي تخترقها طرق مهمة للتجارة والتي يكثر فيها البترول والمعادن ، تتصادم المصالح البريطانية والروسية. والناس في جميع أنحاء العالم قد شعروا بعواقب هذا التصادم .

فبريطانيا تريد أن تستمر في تحسين آبار البترول التي يملكها البريطانيون في المقاطعات الإيرانية الجنوبية ، وأن تحافظ على طرق المواصلات التي تخترق إيران إلى الهند . وروسيا تريد أن تنال قسطاً من بترول إيران ومعادنها الخام ، وأن تظفر بمرفأ لا تتجمد مياهه في الخليج الفارسي ، وأن تستخدم المواصلات الإيرانية في تجاراتها مع آسيا الوسطى .

إن إيران التي كانت تعرف ببلاد فارس ، أرض مساحتها أكثر من ٦٢٨ ألف ميل مربع ، معظمها رمال وصخور ، ويبلغ عدد سكانها ١٥ مليون نسمة ، من بينهم ٣ ملايين من البدو الرحل ، ومستوى معيشة أكثر السكان ضئيل جداً ، لا يتيح لهم أن يستهلكوا شيئاً يذكر من تجارة العالم ، كما أن صادرات إيران كالسجاجيد وفراء الخراف وصوف الماعز الكشميري والبطارخ ، ليست مما لا غنى عنه لسائر بلاد العالم .

غير أن العالم مهتم كل الاهتمام بما يدور في هذه البقعة النائية المجدبة . فهناك تتلاقى مناطق الأمن البريطانية والسوفيتية ، وضغط الروس اليوم شديد ، وهناك حد للامتيازات التي يرضى البريطانيون أن يتنازلوا عنها ، فإذا حاول الروس أن يجتازوا هذا الحد ، فسيتعذر اتقاء تصادمهما — ومثل هذا التصادم لا يمكن أن يتجاهله أحد .

ولد أندريه فيسون في روسيا وتعلم في بلجيكا وقضى سنوات في البلقان وأوربا الوسطى ، حيث كان يبعث برسائل عن السياسة الدولية إلى الصحف الفرنسية . ثم انتقل إلى الولايات المتحدة وأصبح مراسل مجلة تايم في وشنطون ، وجعل يكتب كل أسبوع مقالات لصحيفة وشنطون بوست وصحيفة نيويورك هيرالد تريبون وصحف أخرى . وبعد أن تتبع سير الحوادث الدولية عدة سنوات في العاصمة الأمريكية أصبح مطلعاً على المصادر الموثوق بها .

والإيرانيون يخشون منذ زمن بعيد نشوب حرب بين هاتين الدولتين العظيمتين، لأنهم يعلمون أن المنتصر سيلتهم إيران. وهم يخشون كذلك أن يتفق الروس والبريطانيون ، خوفا من أن يكون عاقبة هذا الاتفاق تقسيم بلادهم .

ويقول شاعر فارسىّ عاش فى القرن التاسع عشر : « يوم يزحف الدب الروسى والأسد البريطانى للنزال ، فقد هلكت بلاد فارس » .

وقد زحف الأسد والدب معا سنة ١٩٠٧ وصرحا بأنهما «متفقان على احترام استقلال إيران وسلامة أراضيها» ، ولكنهما فى الواقع قسما البلاد إلى ثلاث مناطق : المنطقة الشمالية خاضعة للنفوذ الروسى ، والمنطقة الجنوبية الغنيّة بآبار البترول تحت إشراف بريطانيا ، واتفق الطرفان على أن تظل المنطقة الوسطى حرة .

وقد اختل هذا الاتفاق سنة ١٩١٧ من جراء الثورة الروسية . فاصطدمت الدولتان مباشرة فى فارس ، فخرجت بلاد فارس من هذا النزاع مرة ثانية باسمها القديم وهو إيران ، تحت لواء رضا خان الجندى الذى انتزع السلطان وتربع على العرش .

وقد أوقع رضا خان بدهائه ومكره بين بريطانيا وروسيا ، فاستطاع فى سنة ١٩٣٠ أن يسير بشعبه نحو الاستقلال السياسى والاقتصادى .

وجاء هجوم هتلر على روسيا فأغرى الدب والأسد كليهما بأن يزحفا معا مرة أخرى ، فغزت إيران الجيوش البريطانية والروسية فى سنة ١٩٤١ ، واكتسحت الجيوش الإيرانية فى ثلاثة أيام ، ونفى رضا خان إلى جزيرة سان موريس ، وخلفه على العرش ابنه محمد رضا إمبراطوراً على بلاد محتلة قد اقتسمتها روسيا وبريطانيا . وكان غرض الروس أن يسدّوا ، فى وجه أى هجوم ألمانى محتمل ، المنفذ الذى يؤدى



إلى آبار البترول فى باكو ، وأن يشقوا للامدادات الأمريكية طريقاً يقطع أرض إيران . أما البريطانيون فكانوا يريدون أن يطمئنوا إلى أن وجود القوات السوفيتية فى شمال إيران لا يهدد مصالحهم فى الخليج الفارسى .

وقد أخذ البريطانيون والروس على أنفسهم عهداً بأن يسحبوا قواتهم بعد ستة أشهر ، من يوم تنتهى الحرب بينهم وبين ألمانيا وأعوانها ، ثم جدد هذا العهد الذى قطعوه على أنفسهم سنة ١٩٤١ بناء على اقتراح أمريكا، فى خاتمة مؤتمر طهران سنة ١٩٤٣. وكان توقيع الرئيس روزفلت مع توقيع ستالين وتوقيع تشرشل، تعبيراً صريحاً عن الرغبة الصادقة فى أن تظل إيران دولة مستقلة ، وقد عادوا فأكدوا انسحاب القوات الروسية والبريطانية المحتلة من طهران فى مؤتمر بوتسدام.

نعم لا شك فى أن استقلال إيران كان مهدداً ، فإن المقاطعات الخمس التى يتولاها الروس هى أنبار الغلال ومخازنها فى إيران، وقد عزلتها روسيا، وأغلقت حدودها فى وجه المسافرين ، حتى جباة الضرائب الإيرانيين، وحرمت تصدير الأغذية إلى المقاطعات الجنوبية التى يشرف عليها البريطانيون. وقد أنتج هذا رخاء خداعاً فى الشمال ، فلو ذهبت توازن بين الشمال والجنوب فى حالتهما الاقتصادية ، وجدت الجنوب أسوأ حالا .

والبريطانيون فوق ذلك لا يسعهم أن يتغلبوا على عادتهم، من النظر إلى الإيرانيين على أنهم « أهالى حمراء » ، فى حين أن الروس يعاملونهم معاملة الأنداد . ومن أجل ذلك أسرفوا فى استخدام الدعاية الأدبية كبرامج الإذاعة والتمثيل المسرحى المتنقل ، ليرسخوا هذه الفكرة فى أذهان الإيرانيين ، وأعظم غاية بلغوها فى دعايتهم هى تأييدهم لحزب طوده « الجماهير » ، وهو حزب إيرانى جديد موال للسياسة السوفيتية ، ويتألف من الشيوعيين وأحزاب اليسار .

ويصر حزب طود على توزيع الأملاك الكبيرة على الفلاحين ، ويؤيد مطالبة الروس بامتيازات آبار البترول . وقد دبر فى الخريف الماضى مظاهرات فى الطرق كانت تعززها حملات الصحافة والإذاعة الروسية على الحكومة الإيرانية، حتى اضطرت الحكومة إلى أن تستقيل .

ولما كان الإيرانيون يشعرون بشدة قبضة الروس، وكانوا لا يثقون فى البريطانيين، فإنهم يتوجهون إلى الأمريكيين طالبين منهم المعونة ، كما فعلوا فى الماضى، فأصابوا بعض التوفيق .

وهم يتوجهون إلى هذا الصديق الجديد يطلبون منه العون فى تنظيم شؤونهم المالية ، فقد أرسلت الحكومة الأمريكية فى سنة ١٩١١ ، بناء على طلب الحكومة الإيرانية بعثة مالية كان على رأسها مورجان شوستر ، ولكن روسيا وبريطانيا أدركتا أن بعثة شوستر إذا نجحت ، عرقلت مشروعاتهما فى إيران . فمن أجل ذلك وجهت بريطانيا بموافقة روسيا إنذاراً إلى الحكومة الإيرانية ، تطلب منها إبعاد البعثة الأمريكية، واجتازت القوات الروسية تخوم إيران ، فعادت بعثة شوستر على أعقابها إلى أمريكا .

ثم أرسلت الحكومة الأمريكية بعثة برياسة الدكتور آرثر ميلزبو فى سنة ١٩٢٢ بناء على طلب الحكومة الإيرانية أيضاً ، فمكثت فى إيران خمسة أعوام ، وأعادت تنظيم شؤون إيران المالية .

وقد طلب الإيرانيون من وشنطن أن ترسل إليهم بعض بعثات ، حين دهمهم الاحتلال السوفيتى البريطانى ، فعاد إليها الدكتور ميلزبو مزوداً بسلطة الإشراف التام على شؤون إيران المالية والاقتصادية ، وكان الماجور جنرال كلارنس ريدلى على رأس الخبراء الأمريكيين الذين دعوا لتنظيم الجيش ، ثم جاء الكولونيل نورمان شوارتز كوف لتنظيم الشرطة . وقد أشرف أمريكيون آخرون على إدارة البترول وشؤون الزراعة والرى والصحة العامة .

وكذلك ذهب بعض الأمريكيين إلى إيران بغير دعوة ، كالقوات التابعة لقيادة الخليج الفارسى التى جاءت لتضمن نقل إمدادات الإعارة والتأجير إلى روسيا، على جناح السرعة .

فلما انتهت الحرب فى أوربا طالبت إيران بريطانيا وروسيا وأمريكا، أن يفوا بعهودهم ويسحبوا قواتهم فى بحر ستة أشهر ، وقد بدأ الأمريكيون فى الانسحاب . ولكن موسكو أشارت إلى أن العهد ينص على أن ذلك يكون « بعد هزيمة ألمانيا وأعوانها » . وقالت إن القوات الروسية لن تغادر إيران قبل أن تهزم اليابان ، وقال البريطانيون إن جيوشهم لن تجلو ما دامت الجيوش الروسية باقية .

وفى خلال ذلك أخذ الضعف والفساد يسرع فى موقف إيران السياسى ، وأخذت الحكومة تفقد سلطانها . ولا يمكن أن تستمر هذه الحالة إلى الأبد ، فإنها وبال على جميع الدول التى يعنيها الأمر .

وهناك حل عسير ولكنه ممكن ، وله فائدة مزدوجة، لأنه حل صالح من الوجهتين

الأدبية والعملية ، وقد يحقق جميع المطالب المشروعة لبريطانيا وروسيا :

١ — دعوة روسيا للاشتراك هى والولايات المتحدة وبريطانيا فى عقد اتفاق يحقق لهم جميعاً امتيازات ترضيهم فى بترول الشرق الأوسط ، وقد استطاع البريطانيون أن يستغلوا آبار البترول التى يملكونها فى إيران المستقلة ، وليس ثمة ما يمنع الروس من أن يفعلوا مثلهم ، دون أن يتدخلوا فى مصالح بريطانيا القديمة . وقد كان من الخطأ أن لا تدعى روسيا من قبل .

٢ — إنشاء ميناء فى الخليج الفارسى حر لا ضريبة على وارده وصادره ، وأن يكون لروسيا الحق فى استخدام سكة حديد إيران الممتدة إلى هذا الميناء ، وهذا يحقق مطالب السوفيت المشروعة ، ولا يهدد الطرق التجارية البريطانية .

٣ — يجب أن تتفق الدول الثلاث على استقلال إيران ، لأن إيران المستقلة المتحررة من القوات الأجنبية والتدخل الأجنبى ، أى من العلل الأولى التى تحمل الدولتين على الريبة وسوء الظن ، لن تكون يومئذ بلاداً تهدد روسيا أو بريطانيا .

إن كل اتفاق يعقد يجب أن يعتمد على شرط أساسى هو استقلال إيران ، وإلا نشب فى إيران صراع وبيل العواقب .



دلال الغراب

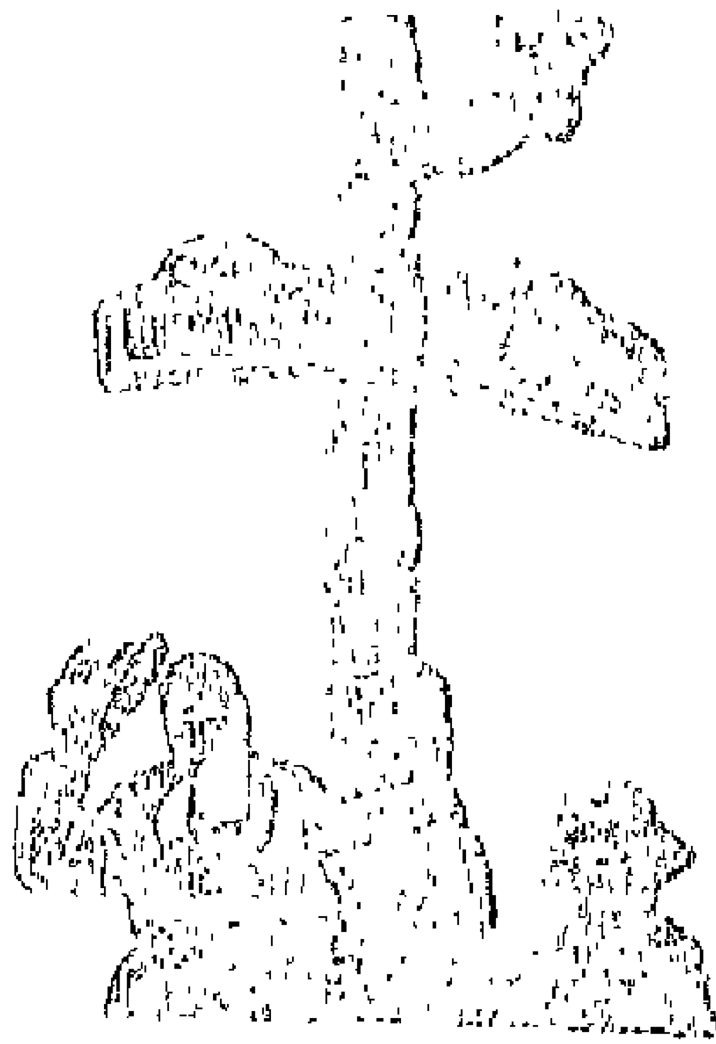
حين كنت صبياً كان لجيراننا غراب مدلل يستطيع أن يتكلم ، ففتنت به . ولكن والدتى كانت تكرهه ، وكثيراً ما كانت تطرده وتطارده بمكنستها . فترصّد لها ، وذات يوم ، كان الغسيل منشوراً ، فهبت ريح قوية ، وإذا الغراب قد أقبل على حبل الغسيل ، وحل جميع المشابك التى تمسك الغسيل من أول الحبل إلى آخره ، حتى وقعت آخر قطعة على الأرض الموحلة . ثم جعل يصيح حتى أطلت والدتى من النافذة ، فطار وذهب على وجهه .

[مارك ا. روز]

قصة طريفة

فريدريك فان رين

كنت فى الخامسة والعشرين من عمرى ، وكنت مفلسا وجائعا ، وقد أفلست وجعت من قبل فى إسطنبول وباريس وروما ، ولكن من المذلة الأليمة أن يكون المرء بغير عمل فى نيويورك ، حيث الهواء نفسه مشبع بالنجاح والفتح .



وكنت لا أدرى ماذا عسى أن أصنع ، ولم يكن ثم شىء كثير أستطيع عمله ، وقد خطر لى أن أكتب ، ولكنى لم أكن أدرى كيف أكتب بالإنجليزية ، فكنت أمضى أيامى فى التمشى ، لا على سبيل الرياضة بل اجتنابا لربة البيت .

واتفق ذات يوم أن كنت أمشى فى الشارع الثانى والأربعين ، فالتقيت برجل أشقر عملاق ، تذكرته على الفور ، فإنه فيودور شاليابين المغنى الروسى العظيم . وكنت وأنا غلام أقف ساعات فى الصف أمام دار الأوبرا الملكية بموسكو حتى أحصل على تذكرة لمقعد فى أعلى شرفة لأسمع غناءه ، ثم عملت بعد ذلك فى صحيفة بباريس فأخذت منه حديثا لها ، وكنت لا أتوقع أن يتذكرنى ، ولكنه تذكر .

وسألنى : «مشغول جداً ؟» فتمتمت شيئا ، ولا بد أن يكون قد أدرك ما أنا فيه من الحالة النفسية فقد قال : « تعال نمشى إلى فندقى فى الشارع ١٠٣ » .

أمشى ! لقد كان الوقت ظهراً وكنت قد واصلت السير خمس ساعات !

« ولكن يامستر شاليابين ، إن بين هنا وهناك ستين عمارة » .

فقاطعنى وقال : « إنك مجنون — ليس بيننا وبينه سوى خمس عمارات » .

فقلت وأنا أفهق : « خمس عمارات ؟ »

قال : «نعم ، لا إلى مسكنى ، طبعا لا ، بل إلى محل الرماية القريب » .

ولم يكن لهذا الكلام معنى ولكنى سايرته

---

(١) فريدريك فان رين هو الاسم المستعار للكاتب فولديمار فتاوجين أحد محررى مجلة « ردبوك » ، المشهور بما يكتبه من القصص والأقاصيص والمقالات ، وقد اشترك مع الغراندوق اسكندر الروسى فى تأليف كتاب « كنت غراندوقا » وكتاب « لا أزال غراندوقا » فظفر الكتابان بشهرة واسعة .

وادعاً ، وما لبثنا أن وقفنا أمام محل للرماية، وجعلنا نلاحظ بحارين وهما يخطئان إصابة الهدف فى الصميم مرات عديدة، ثم استأنفنا السير.

وقال شاليابين : « والآن بقيت إحدى عشرة عمارة » .

فهززت رأسى ، ولم يمض غير قليل حتى بلغنا قاعة كارينجى . وقال شاليابين إنه يحب أن يدرس وجوه الذين يشترون التذاكر لحفلة العصر الموسيقية ، وبعد دقائق قليلة واصلنا السير .

وقال شاليابين وهو مبتهج : : « الآن صار بيننا وبين حديقة الحيوان فى سنترال بارك ثمانى عمارات ، وفيها غوريلا تشبه مغنيا أعرفه » .

وقدمنا تحياتنا إلى الغوريلا ، وبعد نحو اثنتى عشرة عمارة أخرى وقفنا أمام دكان بدال ، وفى واجهته بعض أصناف المخلل ، وكان طبيب شاليابين يحظر عليه أكل المخلل فاكتفى بالنظر إليه ثم قال : « منظر جميل! يذكرنى بشبابى » .

وكان ينبغى أن أسقط من الإعياء ، ولكن العجيب أنى أحسست أنى خير مما كنت فى الأيام السالفة . ولما بلغنا أخيراً فندق شاليابين (بعد أن وقفنا لنعجب بالمعروض من الفواكه فى الشارع التسعين وبمحطة ترام حديثة الدهان فى الشارع السادس والتسعين) ضحك شاليابين وهو مغتبط وقال : « لم يستغرق السير وقتا طويلا ، هه ؟ والآن هيا بنا لنتغدى » .

واعترف مضيفى ونحن نتناول غداء طيبا بالباعث على المشى كل هذه المسافة التى تقوم فيها ستون عمارة وقال : « لن ننسى أبداً هذا المشوار ، فقد كان درسا لك فى فن الحياة . فلا تعذب نفسك أبداً بطول المسافة بينك وبين غايتك ، ووجه فكرك كله إلى ما هو على مسافة خمس عمارات منك ، ولا تدع المستقبل البعيد يقلقك ، وفكر دائما فى المسرات التى تنتظرك فى الساعات الأربع والعشرين التالية ، مهما بلغ من ضآلة شأنها » .

وقد انقضت تسعة وعشرون عاما ، وذهب شاليابين فى سبيل من غبر ، وغاب كثير من المعالم التى كانت قائمة فى ذلك الطريق الذى لا يمحى ذكره ، ولكن فلسفة شاليابين العملية قد خفت إلى نجدتى فى هذه السنين عدة مرات .

وساعدتنى حين اعتزمت أن أملك زمام اللغة الإنجليزية، فما قلت لنفسى قط: «ستمضى سنوات قبل أن أستطيع الكتابة بهذه اللغة الغريبة » بل كنت أقول بدلا من ذلك « وجدت اليوم ٣٨ كلمة فى صفحة المقالات الافتتاحية بجريدة نيويورك تيمس لا أعرفها،

ولكنها غداً لن تزيد على عشرين » .

وقد نفعتنى هذه الفلسفة حين ارتكب بعض الشركاء خطأ ، فاضطررت أن أتعهد للدائنين بنصف ما أتوقع أن أربحه فى السنوات الأربع التالية . ولو أنى قلت لنفسى أنى سأعيش مئتى أسبوع وثمانية أسابيع محروما من كل المرفهات ، لكان الأرجح أن أفقد الشجاعة وأن لا أربح مليما ، ولكنى اكتفيت بأن أقول : « فى أيام الاثنين والأربعاء والجمعة أعمل لدائنى ، وفى الأيام الأخرى أعمل لنفسى » . وقد أحدث هذا فرقا عظيما ، فأديت للدائنين ما لهم على التمام ، وربحت ما يكفى للفوز ببعض المرفهات .

وكل امرىء يستطيع أن ينتفع بقاعدة « ليس دون ما أبغى سوى قليل » ، وقد يستغرق الوصول إلى غايتك وقتا طويلا ، ولكنه ليس ثم سوى خمس عمارات إلى ما يقوم مقام محل الرماية — على طريقة شاليابين . وبمثل هذه المراحل الهينة ، تبلغ غايتك ، وتستمتع أيضا بكثير مما هو فى طريقك .



ختم خطيب زنجى خطبته بالعبارة التالية : « ليست الأمور التى تجهلها هى التى ترمى بك فى المآزق ، بل هى الأمور التى لا يخامرك شك فى صحتها ، ولكنها ليست صحيحة » .

[تشارلز كيترنج فى مجلة « سنتفيك أميريكان »]



أجوبة

« كل كلمة تتعلمها تزيدك قدرة على التعبير »

١ — د	٨ — ج	١٥ — ب
٢ — ب	٩ — ج	١٦ — ج
٣ — ج	١٠ — ب	١٧ — ا
٤ — ا	١١ — د	١٨ — د
٥ — ب	١٢ — ا	١٩ — ب
٦ — د	١٣ — ج	٢٠ — ج
٧ — ا	١٤ — د	... ...

مراتب

١٧ — ٢٠ صواب :	نادر
١٤ — ١٦ صواب :	ممتاز
١١ — ١٣ صواب :	جيد
١٠ — ٨ صواب :	متوسط

كثيراً ما خابت آماله ، ولكنه لم يسلم قط أن تحقيق أهدافه مستحيل — وقد حققها . سيرة تلهمنا جميعا



مخترع عظيم يتخذ الإخفاق سبيلا إلى النجاح

پول دى كروف

يذكرك كيترنج فى التاسعة والستين من عمره ، بفتى متوقد ، تراه ماضياً فى طريقه إلى المدرسة أول يوم فى السنة .

فكيترنج ، مدير معامل البحث فى شركة جنرال موترز ، لا يرى فى خمسين سنة قضاها فى الاختراع والبحث ، إلا بداية وحسب ، وليست المخترعات المختلفة التى وفر بها للناس أسباب العيش الرغيد ، سوى خطوات نحو مستقبل لا حدود له . فقد صنع الجهاز الذى يحرك السيارات بضغط زر صغير ، فأتاح للعالم استعمال السيارات أوسع استعمال . وركب بنزين الأثيل الذى مهد لصنع ضروب من البنزين القوى السريع التفجر ، التى لولاها لعجز الحلفاء عن بلوغ النصر . وصنع نوعاً من قاطرات ديزل ، أخذ يحدث انقلاباً فى النقل بالسكك الحديدية . أما آلته التى تولد الحرارة فى الجسم فأداة يستعين بها الأطباء فى كفاح الزهرى وغيره من الأمراض الفادحة .

وكل هذا يحمل كيترنج على أن يضحك ساخراً من قلة ما يعرف وكثرة ما يجهل فيقول : « يوم ترضى بما بين يديك ، فقد بدأ عقلك يتحجر » .

وعدم رضاه الدائم هو سر شبابه الدائم . أيقنع بأن يكون بنزين الأثيل قد أضاف ألف مليون حصان من القوة المحركة إلى سيارات العالم وطائراته ؟ كلا ، فالبترول لن يدوم إلى الأبد ، فلذلك تراه يحض العلماء على استعمال البنزين المركب بالكيمياء ، — التربتين — فيزيد ذلك موارد وقود المحركات فى العالم ، بما يقدر بنحو خمسين فى المئة . ولكن المواد التى يصنع منها التربتين صائرة إلى النفاد يوماً ، فلذلك تجد كيترنج وزملاءه من علماء الكيمياء وعلماء الأحياء ، يستقصون سر طاقة الشمس التى لا حد لها ، عسى أن ينتفعوا بها .

وأشد ما يبعث كيترنج على التبرم وعدم الرضى ، هو هذا العالم العجيب الذى ساعد هو على إنشائه ، فقد سبق حتى بعدت المسافة بينه وبين الإنسانية المريضة القصيرة العمر

التى تعيش فيه . فهو يدرب نفسه اليوم على أن يكون عالماً من ضرب جديد — يجمع بين المهندس والطبيب . وقد عقد رجاءه على أن يحشد مبادىء البحث العلمى وأساليبهما ويوجههما إلى كفاح السرطان* .

اشتهر كيترنج فى عالم الصناعة بأنه وكيل شركة جنرال موترز ومدير البحث العلمى فيها ، أما بين الأساتذة فهو الدكتور كيترنج ، رئيس مجمع تقدم العلوم الأمريكى ، وأما مئات الرجال الذى اشتغلوا معه فيعرفونه بأنه « هو أشد من عرفوا من الناس حباً للناس الذين يكره بعضهم بعضاً » ، وأما أنا — وقد عرفته منذ زمن طويل — فأرى فيه كلية جامعة قوامها رجل واحد ، تعلم الناس ما يعانيه الرواد من الشدائد فى التمهيد والعمل لصنع أشياء جديدة .

وهذا الرجل الفرد كيترنج يعلمك أن لا ارتقاء بغير عناء ، فقد كان ينتابه فى صباه ألم حاد فى عينيه ، وذلك من جراء إكبابه الدائم على كتبه فى الليل ، بعد أن يفرغ من عمله فى المزرعة . وأشرف على العمى ، فاضطر أن يكف عن الدراسة فى جامعة ولاية أوهيو ، حيث كان يقوم بعمل ميكانيكى ، لكى يكسب نفقة دراسته. وقد تغلب كيترنج على هذا العناء الكبير الذى يصغر فى جنبه كل عناء لقيه فيما بعد ، بالانقطاع عن القراءة زمناً ما ، والقيام بعمل فى الخلاء فى حفر حُفَر لأعمدة التلفون ومد الأسلاك بينها .

وجاءه يوماً أفّاق يستجدى قليلا من المال أو الطعام ، وكان كيترنج رئيس جماعة العمال ، فأخذه إلى مطعم وأجزل فى قِرَاه ، ثم أعطاه فأساً ومجرفة . وكانت الأرض صلبة ، فضحك العمال حين رأوا ذلك الأفاق يحاول أن ينطلق هاربا قبل أن ينجز حفر حفرة واحدة ، وإذا كيترنج يقول له : « دعنى أبين لك كيف تبدو الحفرة إذا أجدت حفرها » فوقف الأفاق يراقب كيترنج يحفر حفرة تامة الاستدارة . ثم التفت إليه كيترنج وقال : « إنها لرياضة ممتازة أن تحفر حفرة كهذه — إذا أحسنت حفرها . وعلى قدر ما تتوخى الإجادة تظفر بالرضى » .

وقد صار الأفاق فيما بعد خير حفار فى هذه الجماعة . وهذه هى الروح التى ينفثها كيترنج الآن فى مئات من معاونيه الفنيين المكبين على عشرات من مشروعاته فى معامل

* فى أغسطس الماضى منح معهد ألفريد ب. سلون مليون جنيه لإنشاء معهد سلون كيترنج لبحث السرطان فى نيويورك .

البحث . وقد تكون أعمالهم رتيبة مملة فى بعض الأحيان ، ولكن كيترنج يستطيع أن ينفخ فيهم شعور الاعتزاز بأنهم إنما يميطون اللثام عن شىء من أسرار الطبيعة .

وقد تعلم كيترنج فى كليته الخاصة ، أن جميع المتاعب الميكانيكية أمر لا يعبأ به إذا قيست بما ركب فى طبيعة البشر من الغفلة عن كل جديد وغريب . فحين كان فى جامعة أوهيو ركب فى بلدة أشلاند ، أول سنترال تلفونى أتوماتيكى للخطوط الريفية فى تلك المنطقة ، فقضى على النظام القديم وضرورة طلب الرقم من السنترال . وكان خليقاً أن يصيب هذا النظام نجاحاً باهراً . ولكن كيترنج تلقى ذات يوم نبأ بأن الشركة تنوى أن تنبذ النظام الجديد ، لأن خطوط التلفون تتعطل كل يوم ساعتين بعد الظهر . فهرع إلى أشلاند ، وزار المزارع مزرعة مزرعة ، وفحص الخطوط دون أن يوفق إلى كشف سر التعطيل ، حتى بلغ آخر دار ، فألقى نظرة ثم انفجر ضاحكا . فقد جرت عادة الشيخ فى تلك الدار أن ينزع نظارته قبل قيلولته ، ثم يضعها على صندوق التلفون حيث أطراف الأسلاك مكشوفة ، فتكمل النظارة الدورة الكهربائية ، وينقطع التيار عن سائر الخطوط .

قال كيترنج : « كان رجال الشركة قد عزموا على أن ينبذوا أعظم تحسين تمّ لهم ، لأنهم كانوا لا يبالون بشىء لم يجربوه من قبل » .

هذه الحادثة وأمثالها كانت هى الأصول فى تربية كيترنج .

وقد تعلم كيترنج فى الثمانى والعشرين سنة الأولى من حياته ثلاثة دروس عظيمة . فقد روض نفسه على قهر اليأس ، بما وجده من أن النجاح كل النجاح متوقف على طريقتك فى معالجة متاعبك . ثم وجد أنه يستطيع أن يضاعف قدرة عقله ويديه بأن ينفث فى نفس كل من يعمل معه شعوراً بأن العمل الذى بين أيديهم هو الساعة أهم عمل فى العالم . ثم كثيراً ما أدهش أصحاب العمل بما أقامه من دليل على أن شيئاً يسيراً سخيفاً — كنظارة الشيخ فى المزرعة — هو ما يتوسلون به ليسوغوا عدم مبالاتهم وانصرافهم عن كل جديد .

وبعد أن تسلح كيترنج بهذه العبر الثلاث انضم مخترعا كهربائياً إلى « شركة ناشونال كاش رجستر » التى تضع صناديق النقد التى تسجل دخل المتاجر . وكانت أصابعه طويلة قوية ثابتة ، وقد دربها منذ أول عهده فى المزرعة ، على فك كل شىء يرتج أو يتحرك أو يدور ، ثم أن يعيد تركيبه . وقد كان

ألوف من الميكانيكيين يجارونه فى هذه القدرة ، ولكنه فاقهم فيما أضافه إليها من صفة خاصة تميزه عن غيره .

فقد كان منفرداً فى قدرته على تبين سر المشكلة التى بين يديه . وهو يقول : « إذا ما أحسنت وصف المشكلة فقد حلت نصفها » وكان أكبر المهندسين الكهربائيين فى أمريكا قد أعربوا عن رأيهم فى أن تسيير صندوق النقد بالكهربائية يقتضى محركا فى حجم الصندوق نفسه . فقال كيترنج : « ولكننا نستطيع طبعاً أن نسيره بمحرك صغير ، وكل ما نحتاج إليه هو قدر يسير من قوة سريعة تدير العجلة » .

لم يعقه عن المحاولة أن محركا كهذا المحرك لم يصنع من قبل ، بل قال : « ليس ثمة شىء مستحيل ما دام فى نطاق نواميس الطبيعة »

وأقدم على صنع هذا المحرك ، وكان الجو خانقاً ، حرارة ورطوبة . وكان فى المصنع إضراب ، فليس فيه قوة كهربائية يستطيع أن يستعملها . فكيف استطاع هو وصاحبه « تشارلى » ، أن يصنعا أجزاء ذلك المحرك الذى أجمع الخبراء على أنه مستحيل ؟ لقد وقف كيترنج ، ساعة بعد ساعة ، ويوما بعد يوم ، فى ذلك المصنع الساكن الحار ، يشد سير المخرطة حتى يتيح لصاحبه البارع أن يصنع الأجزاء . وكذلك حقق كيترنج المستحيل ، فصنع صندوق النقد الكهربائى ، ثم أضاف إليه آلة للبنوك جعلت إمساك الدفاتر أمراً يسيراً .

وعلى أنه أصبح المخترع الأول فى صناعة صناديق النقد ، فقد ترك عمله ليغامر مغامرة جديدة . فقد أراد أن ينشىء « عملا صغيراً يكون فيه المقام الأول للبحث العلمى الأصيل » . وقد كان عجيباً أن يظن أحد يومئذ أن عملا كهذا يكفى للارتزاق ، بَلْهَ الثروة الطائلة التى أسفر عنها آخر الأمر . وكان حديث عهد بالزواج وله طفل ، ولكنه مع ذلك أقدم ، وبدأ عمله وحده فى علية مخزن للدريس فى مدينة ديتون بولاية أوهيو .

خطرت له فكرة هوجاء ، هى أن يضع فى السيارات التى تسير بالبنزين ، بطاريات لجهاز الإشعال ، ومصابيح كهربائية ، وأجهزة تحرك السيارة بضغط زر وحسب ، فلقى إعراضاً ومقاومة من صفوة العلماء . وكان ساحرا الكهربائية إديسون وستاينمتز قد حكما بالموت على سيارة البنزين ، وأن السيارات التى تتحرك بالقوة الكهربائية ستكتسحها من الطرق . ولكن كيترنج لم يعبأ بشهرة هذين العظيمين وقال ساخراً : « إنك لا تبلغ منزلة العالم الثقة إلا حين تهزأ بالحقائق » !

وأنت لا تظفر بالحقائق إلا إذا جربت، ولذلك عمد كيترنج — على ما يقول زميله بل كريست — إلى تجربة التجارب فى كل مكان . وفى الفينة بعد الفينة كانت زوجته تجره جراً إلى حفلة فى المسرح ، إذا ماضاق صدرها بالوحدة فى البيت . فإذا عاد من الحفلة رأيت ورقة البرنامج بين يديه تغطيها رسوم رسمها لتجارب ينوى أن يجربها . ولا يكاد يعود إلى داره حتى تراه قد أقام الدنيا وأقعدها فى غرفة الحمام بتجاربه الكيميائية .

ويذكر كيترنج وفرة ما تعلمه عن أسلاك الشرارة . حين ركب أول راديو فى حجرة الطعام خلال غياب زوجته . قال : « وقد استعملت فى ذلك وعاء سلق البيض فأفضى عملى إلى جدل يسير بيننا » . ما كان أطيبها حياة لمسز كيترنج !

كان قيام السيارات فى سنة ١٩٠٠ يقتضى تحريك المحرك بإدارة ذراع معقوفة ، وفيها خطر عظيم لمن يديرها . فأغرى كيترنج ، أصحاب مصنع كاديلاك ، بجهاز القيام الذاتى الذى يحرك المحرك بالضغط على زر وحسب ، ولكن المهندسين الكهربائيين أثبتوا لكبار مديرى كاديلاك ، أن هذا الجهاز يقتضى قوة ثمانية أحصنة ، وأن كل جهاز يولد هذه القوة ، لابد أن يبلغ وزنه نصف وزن السيارة ، فلا يبقى فيها مكان للركاب .

وقد جاء الجواب على اعتراض الثقات ، من مخزن الدريس فى مدينة ديتون . فقد كان بل كريست ، يشتغل خمسة أيام ونصف كل أسبوع فى شركة ناشونال كاش رجستر ، ثم يقضى بعد ظهر السبت وكل يوم الأحد ، وكل ليلة من ليالى الأسبوع تقريباً ، بلف الأسلاك لكيترنج بغير أجر . فقد كان كيترنج يومئذ فقيراً لا يستطيع أن يدفع أجراً لمن يعاونه .

وقد كان يقول : « أريد عملا ، يغرى العامل ، لا عاملا يتصيّد عملا » فهذا القول كان ولم يزل شعار كيترنج . وفى سنة ١٩١٠ بث كيترنج فى نفوس معاونيه فى ذلك المخزن ، شعوراً متلظياً بأن جهاز القيام الذاتى فى السيارة ، سيمكن من يشاء ، لأول مرة فى التاريخ ، أن يرحل حيث يشاء دون مشقة أو عناء . وإذا هم جميعاً يشعرون أن العمل الذى بين أيديهم هو « الرئيس » لا كيترنج نفسه .

ولكن لم يكد كيترنج يسلم الجهاز الأول لشركة كاديلاك حتى بدأت متاعبه ، وحين جرب الجهاز فى سيارة ، تحطمت السيارة وكسر كعب رجله ، فوضعت ساقه فى جبيرة وأمر أن يلزم السرير أسبوعين . ولكنه شوهد فى اليوم التالى منبطحاً تحت السيارة

وجبيرته بارزة من جانبها، ثم جاء صوته يرن: « لقد تم إصلاحها فيما أظن . دوسوا على جهاز القيام وامضوا بها » .

ولكن لم تزل في الجهاز عيوب كثيرة ، وقد روى هرمان شوارتز، كبير الكهربائيين في شركة كاديلاك ، لم امتنعت الشركة عن نبذه قبل الشروع في إنتاجه . قال : « رباه لم يكن بد من أن ترى كيترنج يغوص في جوف السيارة ويكشف ما سبب تعطلها ، بعد أن نيأس . وكان يجيء من ديتون إلى ديترويت حسن البزة، ويعود كأنه أفاق رث الهيئة . كنا نلقى تعباً كثيراً من الجهاز ولكننا لم نيأس من صلاحه — لأننا كنا جميعاً نحب كيترنج » .

ويقول كيترنج : « إن البحث العلمى ، عشره تجريب ، وتسعة أعشاره حسن معاشرة الزملاء » .

وكان كيترنج رئيس شركة « ديلكو » التي أنشأها في مخزن الدريس في ديتون يوم كان فقيراً ، فصارت الآن صناعة كبيرة تتجر في ملايين الريالات . ولعل كيترنج كان أغرب رئيس شركة في تاريخ أمريكا ، فكان إذا جاءه المحاسب بنبأ الربح الصافى يقول : « تباً لك أنت وأرقامك . اذهب عنى، فوقتى لا يتسع إلا للمشاكل » .

وعلى ما أصابته الشركة من نجاح ، كانت متاعبها كثيرة . فقد بدأت محركات السيارات تدق دقا عنيفاً ، في الوقت الذى بدأت بطاريات الإشعال التى صنعها كيترنج ، تقضى على الطراز القديم من المولدات الكهربائية المغنطيسية في السيارة . فأنحى صانعوها باللائمة على البطاريات ، وقالوا إن شررها هو سبب الدق العنيف . ولكن كيترنج لم يجادل في الأمر ، بل جرب وامتحن ، فلم يجد للشرارة — مهما كانت — أثراً في دق المحرك أو القوة التى يولدها . فعسى أن يكون الوقود نفسه هو المسئول عنه . فحمله هذا الخاطر على أن يقضى أربع عشرة سنة في البحث ، لتركيب وقود يفوق الوقود المستعمل يومئذ .

فاستأجر حجرة في مستودع طباق ، وأقام محركا ذا أسطوانة واحدة ، ليمتحن أصناف الوقود ، واستعان بمهندس ميكانيكى شاب يدعى توماس مدجلى ، كان يجهل الكيمياء جهلا تاماً ، ثم أضافا قليلا من اليود إلى البنزين ، وإذا دقُّ المحرك قد زال . ولكن التجربة لم تفض إلى نتيجة نافعة ، لأنك تحتاج إلى يود ثمنه ريال لتزيل سبب الدق في ملء جالون من البنزين .

وتوالت سنوات من البحث والتجريب بألوف من المواد الكيميائية ، فما راعهم بعد خمس سنوات إلا أن يروا أن صبغ

الأنيلين هو خير ما يمنع هذا الدق ، ولكن التجربة دلت على أنه يؤذى المحرك . وبعد ثلاث سنوات أخرى عظم أملهم حين وجدوا أن عنصر التلوريوم يصلح لما يريدون ، ولكن رائحة التلوريوم كرائحة الثوم، وهى كفيلة بنفور الناس ممن تعلق به هذه الرائحة . على أن التلوريوم أفضى بهم إلى امتحان مركب من الرصاص يدعى « تترا أثيل » فهو قريب فى التلوريوم فى جدول الذرات .

كان هذا المركّب عجيباً . فقد كان أقوى من كل مركب جربوه لمنع الدق خمسين ضعفاً ، ولا تحتاج إلا إلى ملء ملعقة شاى منه تصب فى جالون من البنزين، وإذا سيارة شفرولية الصغيرة المستعملة للامتحان ، قد أصبحت ذات قدرة عجيبة فى تسلق الآكام ، وكان ذلك فى سنة ١٩٢١.

أما ما تم بعد ذلك فى مغامرة بنزين الأثيل ، فكان شيئاً هينا . فإتقان الوقود الجديد لم يستغرق أكثر من خمس سنوات أخَر من الجهد الجاهد ! فقد ظهر أن بنزين الأثيل يدمر فى آخر الأمر صمامات العادم ، وشموع الاحتراق ، فوجدوا أن مركبا من البزومين لا يفعل ذلك. والبرومين مادة نادرة ، ولكنها كثيرة الوجود فى ماء البحر — إن استطعت أن تستخرجها منه ، واستخراجها ليس إلا مشقة أخرى لا بد من قهرها . فظل كيترنج وعمال شركة « داو » يبحثون ثلاث سنوات قبل أن يتمكنوا من تدبير طريقة يستخرجون بها من ماء البحر ، ألوف الأطنان من البرومين ، ويكون فوق ذلك رخيص الثمن .

وقد أقام كيترنج خلال ذلك كله ، كالجبل لا تزعزعه الرياح ، وظل يحض معاونيه وغيرهم على الإكباب على التجريب ، وأن يتخذوا من كل إخفاق سبيلا إلى النجاح ، حتى صارت محركات السيارات تولد ضعف القوة التى كانت تولدها من قبل محركات من نفس حجمها ، وحتى وفرت ملايين الجنيهات مما ينفقه الناس على الوقود ، وحتى غدا بنزين الأثيل عنصراً لا غنى عنه فى وقود الطائرات أثناء الحرب .

وكل هذا ينيله طرفاً من الرضى — إلى حين ، فيقول : « ألا ترى ، هكذا كان دأبنا فى كل مخترع من مخترعاتنا — إخفاق بعد إخفاق ، ولا نصيب من النجاح إلا قدراً يسيراً ، يكفى لإحياء الأمل والمضى فى البحث » .

ثم تلمع عيناه السوداوان من وراء نظارته ، ببريق قلة الرضى ، فليس يرضيه إلا أن يجد مليون فتًى قد درّب كل

منهم تدريباً يجعله باحثاً علمياً ، ويومئذ ترى كيف يكون هذا العالم .

ويقول : « انظر إلى هؤلاء الفتيان المساكين، فمنذ يبدأ أحدهم دراسته، لايزال يمتحن في السنة ثلاث مرات أو أربع ، فإذا رسب لحقه العار، وقضى على مستقبله. يقابل ذلك أن الإخفاق يبلغ ٩٩٫٩ فى المئة فى كل بحث علمى، فإذا نجحت مرة فقد أشرفت على الغاية »

ثم يبتسم ويقول : « وهذا هو ماينبغى أن نعلمهم : الإخفاق قرين التجربة ، فمن أراد تجربة بغير إخفاق ، فقد أراد مايحول بينه وبين التجربة» .



الناس فى مرآة الطير

أخذ أبو الحناء (طائر أحمر الصدر) كسرة من الخبز ألقيت إليه ووضعها على الأرض ثم كسرها كسرتين ، ثم نبش دودة وصنع شطيرة (ساندوتش) وجعل يأكلها متلذذاً، ثم صنع أخرى مثلها ، وطار بها إلى رفيقته فى عش قريب .

[مسز هـ. ن. بائل فى صحيفة « شيكاغو تريبون »]



كان أمين قسم الطير فى حديقة الحيوان بنيويورك ، يلقى نظرة على قفص من الطير وهبه أحدهم للحديقة ، فرأى فيه طائراً من نوع الأنيس قد كسر منقاره .

ومنقار الطائر هو سكينه وكوبه وأصابعه وبغيره يموت الطائر جوعاً . غير أن هذه الأنثى كانت سمينة ، وبعد الفحص ظهر أن المنقار لم يكسر منذ عهد قريب ، فقد كان غشاؤه ملتئماً أملس .

وما لبث أمين القسم حتى رأى طائراً ذكراً يحمل بمنقاره قليلا من فتات البيض إلى الأنثى ويزقه فى ثقب منقارها ، وكانت الأنثى تصوّت وتصفق بجناحيها كما تفعل أنثى الطير حين تتوسل إلى صاحبها أن يطعمها زمن التناسل ، وكان الذكر يعود ليأتيها بقدر آخر من فتات الثمر .

وظلّ الذكر مقيماً على إطعام الأنثى العاجزة ، فلما مات بعد ثلاث سنوات، عنى حفظة قسم الطير بأن يفعلوا لها ما كان يفعل ، ولكن هيهات أن يكونوا لها كما كان صاحبها ، فلم يمض أسبوع حتى ماتت الأنثى .

[وليم بردجز مدير حدائق الحيوان فى نيويورك]

"فدادين التسعون"

مختصرة من كتاب "بلزانت ڤاللى"



لويس برومفيلد

كان لى صديق شيخ يعيش فى وادى «بوسام ران»، فى ضيعة تعرف باسم « فدادينى التسعين » . ومنذ سنين عديدة لما كان ولتر آوكس شابا ، كان كل امرىء يتكلم عن « فدادينى التسعين » بابتسامة تنطوى على شىء من الحب وشىء من التهكم، لأن ولتر أوكس كان يتكلم عنها كأنها ضيعة ذات آلاف عديدة من الأفدنة ، أو إمبراطورية بأسرها ، ولكن التهكم ذهب مع الزمن ، وصارت عبارة « فدادينى التسعين » مجرد اسم للضيعة .

وكان ولتر الهرم على حق حين يتكلم عنها بلهجة الزهو ، نعم إنها لم تكن مكاناً جديداً وضيئاً ، ولكن البيت الأبيض الصغير بنوافذه الخضر كان يبدو عليه الرخاء والنعمة ، والمخزن الأحمر القانى كان بديعاً ، ولم يكن فى الإقليم كله خير من ماشيته .

وكان للضيعة جمال طبيعى ساذج ، وكانت مروجه تتعهد بعناية ، ويحيط بها مثل الغابة من الأزهار والشجيرات ، وكان البساط المشعث من النبات النامى يمتد إلى ما وراء الحديقة المنظمة . وكانت الأسلاك الممتدة على الحاجز تحجبها الشجيرات البرية . وكان المكان أشعث، لا لأن ولتر كان به كسل أو كان لا يحسن الفلاحة — فما كان فى الوادى كله من هو أكثر منه كداً واجتهاداً — بل لأن ولتر أراد أن يجعله كذلك ، وهو وزوجته نيللى .

ولم أر نيللى أوكس قط ، ولكن أبى حدثنى أنها كانت أجمل فتاة فى هذا الوادى، وكانت تزاول التعليم حتى بلغت الثانية والعشرين، فتزوجت ولتر . وقد تعجب الناس لإيثارها إياه ، فما كان له سوى تسعين فداناً من أرض ضعيفة اشتراها فى ذلك الحين ، ولو شاءت لفازت بأى رجل آخر فى الوادى . غير أنى أعرف من القصة

الطويلة أن الباعث لها كان الحب .

وتوجد فى ردهة البيت الصغير القائم وسط « فدادينى التسعين » صورة شمسية مكبرة وملونة باليد لولتر ونيللى ، أخذت لهما عند زواجهما ، وهما يبدوان فيها جامدين كأنهما تمثالان . وقد وقف ولتر ، وهو ضليع إلا أنه وسيم عطوف ، ويده الكبيرة القوية على كتف نيللى ، وجلست نيللى على كرسى أمامه فى ثوب أبيض منتفخ الكمين واسع الذيل — وهى سمراء واسعة العينين ، وفى يدها منديل مخرم وطاقة من الزنبق ، وهى تبدو فى جلستها جميلة ذكية . ولا يزال الكبار من أهل ذلك الوادى يقولون : « نيللى أوكس هى المرأة الوحيدة التى كان ذكاؤها كفاء جمالها » .

وقد ماتت نيللى بعد أن وضعت ابنها الثانى روبرت ، ولكنى كنت أشعر أحياناً وأنا أتمشى فى حقول « الفدادين التسعين » مع ولتر وولديه ، أنها ما زالت هناك تنعم بهذا الجمال والخصب كما ينعم به ولتر . وكان هو يقول : « كانت نيللى ترى أن نجعل هذه الرقعة مرعى ، ولكنا لم نستطع أن نستغنى عن زرع المحاصيل » ، أو يقول : « غريب أن يكون لامرأة آراء كثيرة سديدة فى الزراعة ... لقد كانت نيللى دائماً تقول .. » .

وكنت أحياناً أرجع إلى البيت وأنا واثق أنى سأجد فيه نيللى التى ماتت قبل أن أولد ، تنتظر عودتنا وقد أعدت لنا عشاء طيبا .

ولم يتزوج ولتر ثانية ، وإن كان كثير من الأرامل والعوانس قد حاولن أن يفزن به ، ولم يغادر « فدادينى التسعين » قط إلا ليذهب إلى البلدة أو الكنيسة فى أيام الأحد مع ولديه جون وروبرت .

وقد اعتدت أن أصيد السمك وأسبح مع ولديه ، فعرفتهما حق المعرفة ، ولكنى رحلت عن الإقليم وأنا فى السابعة عشرة من عمرى ، وغبت خمسة وعشرين عاما . وجاءت الحرب العالمية الأولى وقتل فيها جون فى معركة سنت مهيل ، وعاد روبرت من الحرب ، ولكنه لم يقم فى الضيعة ، وكان طموحا فصار رئيساً لشركة وربح ملايين . وظل سنوات يحاول أن يقنع أباه بترك الضيعة والعيش فى المدينة أو فى فلوريدا ، ولكن ولتر كان يأبى ذلك دائماً .

وفى الأسبوع الأول بعد عودتى لم يخطر لى ولتر أوكس على ذكر ، ثم اتفق أن ذكر بعضهم « فدادينى التسعين » .

فسألت : « ألا يزال ولتر حياً ؟ »

فكان الجواب : « حى ! إنه أنشط رجل هرم فى هذا الوادى . ويجب أن ترى أرضه ، فإنه يخرج منها مثل ما يخرج معظم الناس من خمسة أضعاف أرضه » .

فلما كان الأحد التالى ذهبت إلى « فدادينى التسعين »،وخطر لى وأنا أهبط من فوق الهضبة الطويلة المشرفة على الضيعة أن « هذه أجمل ضيعة فى أمريكا » .

وكنا فى يونيـه ، وقد وقفت الأبقار السمان تنظر إلى ، وقد ارتفعت أعواد البرسيم إلى ركبها ، أما الذرة فكان ارتفاعها إلى الخصر، وهى خضراء قوية ، وكان الشعير غليظا ، والقمح قد بدأ يكتسب اللون الأصفر الذهبى .

وبينما كنت أهبـط ، رأيت ولتر يمشى على محاذاة حاجز ومعه كلبان ، فوقفت لحظة أرقبه . فكان يمشى مسافة قصيرة ، ثم يقف ويباعد بيديه بين أغصان الشجيرات ويحدق فيما وراءها . وقد ركع مرة واختفى فترة طويلة .

وأخيراً لفت نظره نباح الكلبين وهما مقبلان على ، فوقف ووضع يده على جبينه مستشرفاً .

وقال وهو يمد يده : « أعرفك . . أنت ابن شارلى برومفيلد » .

فقلت له إنى كنت أريد أن أغتنم فرصة لأحضر وأراه ، فسألنى : « وأبوك ؟ كيف حاله ؟ »

فأخبرته أن أبى مات فقال : « آسف » بلهجة من لا يرى الموت شيئاً . « لم أسمع بموته . فإنى لا أخرج من هنـا كثيراً » ثم كأنما أدرك فجأة أنى لا بد أن أكون قد رأيته يدخل ويخرج بين شجيرات الحاجز ، فاحمرّ وجهه قليلا وقال : « لقد كنت أقوم بدورة فى الضيعة ، فقد كانت نيللى دائماً تقول إن الضيعة تستطيع أن تفيدك أكثرمما تفيدها إذا فتحت عينيك . . نيللى كانت زوجتى ... »

قلت : « نعم ، أتذكر » .

ثم قال : « تعال لأريك شيئاً » .

فسرت خلفه على محاذاة شجيرات السور ، ثم ركع وفرقها وقال وقد تحمس فجأة : « انظر ! انظر إلى الشياطين الصغار ! »

ولم أر شيئاً سوى أوراق جافة صفراء ، وبضع سيقان صغيرة من السرخس ، فضحك ولتر وقال: « ألا تستطيع أن تراها ؟ انظر بجانب هذا الثقب الذى فى الساق »

كانت جاثية فى دائرة صغيرة فى عش ، وليس بينها ما هو أكبر كثيراً من إبهام ولتر — سبع سمانات صغيرة . لم تتحرك ونحن ننظر .

ونهض ولتر واقفا وقال: «كانوا يسخرون منى لأنى تركت الشجيرات تنمو فى السور» وضحك : « وفى العام الماضى خسر هنرى تالبوت محصول عشرة فدادين من الذرة ، أتت عليـه حشرة البق الدقيق . وهنرى

لا يدع ستراً على سوره يكفي لصرصور ، ويحسب أن هذا خير . » وضحك مرة أخرى « متى جاءت هذه الحشرة لتأكل زرعي ، فإن هذه الشياطين الصغيرة تتولى أمرها »

وكنا سائرين إلى البيت فقال : « كانت نيللي هي التي فكرت في ترك الشجيرات تنمو إلى جانب السور ، فلم أعتقد في أول الأمر أن رأيها صواب ، ولكني وجدت دائماً أن آراءها سديدة في الزراعة » .

ولما صرنا في البيت قال ولتر : « تعال نشرب كوبا من اللبن . الجو رطب هنا في غرفة الجلوس » وكان اللبن مما لم أذق مثله في ثلاثين سنة — دسما وبارداً كالثلج ، وفيه قطع صغار رقاق من الزبد .

وسألته : « أتعيش وحدك هنا ؟ »

« نعم » .

فهممت أن أقول شيئا ثم رددت نفسي ، ولكن ولتر فطن إلى ما أردت أن أسأل عنه فقال : « كلا ، لا وحشة هنا . لقد كانت نيللي تقول إنها لا تفهم كلام النسوة اللواتي يزعمن أن الحياة موحشة في مزرعة . وكانت نيللي تقول أيضاً إن هناك العجول والخيل والكلاب ، والخراف والخنازير ، وإن المرء لا يقل ائتناسه بها عن أنسه بمعظم هؤلاء النسوة اللائي يتكلمن هذا الكلام »

وصارت زيارتي « لفداديني التسعين » عصر الأحد ، عادة . فقد تبينت أن ولتر يعرف عن الأرض والحيوان والمحاصيل أكثر مما يعرف أي رجل آخر أعرفه . ولم نكن دائماً وحدنا في طوافنا بالضيعة في أيام الآحاد ، لأن بعض الجيران ، بل بعض الزراع ، كانوا يحضرون أحياناً من مسافات بعيدة ليروا ضيعة ولتر وليسمعوه يتحدث عنها ، وكان إذا روى تاريخ هذا الحقل أو ذاك ، وحدثنا بما تعلمه من كل منها ، تلتمع عيناه الزرقاوان .

وأقبل روبرت ذات يوم ليؤدي زيارته السنوية ، ومر بي ليرى هل في وسعي أن أعاونه على إقناع أبيه باعتزال العمل : « إنه في الخامسة والسبعين ، وأنا أخشى أن يحدث له شيء وهو وحده في البيت أو في الغيط ، ولكنه عنيد كالبغل ، ويأبى أن يعتزل . وقد استيقظ اليوم في الفجر وكان يدرس القمح في الحقل الجنوبي في الساعة السابعة »

وجلسنا صامتين برهة على الشرفة المطلة على الوادي ، وكانت أعواد الزرع الخضراء تموج بالحياة . وراء المرعى الذي تنتقل فيه الأبقار على مهل فوق الحشيش الأخضر . ثم قلت : « أقول لك الحق يا بوب ، إني لا أرى داعياً لعمل شيء ما ، فإنه سعيد ، وهو قوي متين ، ويحب الضيعة كأنها امرأة . »

وترددت قليلا ثم قلت : « ثم إن نيللي

هناك دائما معه تتعهده وتسهر عليـه »

فظهرت فى عينيه الدهشة وقال : « أتراك تحس هذا الإحساس أيضا ؟ » .

فقلت : « نيللى فى كل مكان فى هذه المزرعة ، وهى الآن تدرس القمح معه »

فقال روبرت : « هذا أغرب شيء . وإنه ليخيل إلى ، أحيانا ، أن أبى يخلط أحيانا نيللى بالضيعة ولا يفرق بينهما » .

واتفقنا أخيراً على أنه ما من شيء يمكن أن نفعله ، ووعدت أن ألاحظ ولتر . وهكذا ظللت سنتين أذهب إليه كل يوم أو أبعث إليه برجل من عندنا .

وفى عصر يوم من أيام الآحاد . فى أوائل شهر سبتمبر ، كنت أسير معه فى أحد حقول الذرة ، وكان الزرع جيـداً ، وبلغنا آخر سف طويل ، فوقف أمام عود طويل فيه كوزان ضخمان قاربا النضج وثالث أصغر منهما . وقف ولتر ينظر وفى عينيه الزرقاوين وميض .

وقال : « انظر إلى هذا . أليس جميلا ؟ هذا نوع مولد . » وتحسس العود والورق والكوز وقال : « ليت نيللى تستطيع أن ترى هـذا النوع . لو فعلت لما صدقت عينيها » .

وإنى لأنظر إلى يده الكبيرة المكدودة على العود ، وإذا بى أفهم فجأة قصة ولتر ونيللى و « الفدادين التسعين » . لقد كانت هذه اليد الخشنة التى تتحسس الذرة ، يد محب . هى يد داعبت امرأة محبوبة لم تفز امرأة أخرى بمثل ما فازت به هذه من الحب العميق ، حتى لقد استحال أن تحل محلها امرأة أخرى . وعرفت الآن معنى قول روبرت : إن نيللى والضيعة يختلطان فى ذهن ولتر .

وأخيراً كان ما لا بد منه . ذهبت إلى الضيعة عصر يوم ، فلما لم أجـد ولتر ولا الكلاب فى أى مكان ، قصدت إلى البيت . فسمعت وهوهة وحركة نبش فى غرفة النوم بالطبقة الأرضية ، فلما فتحت الباب أقبل على أحد الكلبين ، وكان الآخر على السجادة بجانب السرير ورأسه بين ذراعيه وعلى السرير ولتر . وقد لفظ أنفاسه الأخيرة فى سلام وهو نائم .

ودفن ولتر إلى جانب نيللى فى مقبرة الكنيسة .

وأبى روبرت أن يبيع « فدادين التسعين » فتوليت زراعتها له ، وذهب أحد رجالنا إليها ليقيم فيها ، ولكنها لن تزرع أبدا كما كان ولتر يزرعها ، فما من رجل آخر يستطيع أن يزرع هذه الأرض كأنها هى المرأة الوحيدة التى أحبها فى حياته

بوليڤار

المحرّر الأعظم



مختصرة من كتاب
"رجل المجد: سيمون بوليڤار"

تأليف توماس رورك

« هجر عيشة الشاب الغنى العابث ، ووقف همه وحياته على قضية الحرية البشرية وتحرير شعوب قارة من الحكم الإسبانى »

بوليفار ، المحرّر الأعظم

أشعل على إسبانيا نار الثورة التى يسرت لخمس أمم أن تولد ، وقاد الجيوش التى أكسبتها حريتها ، ووضع المبادئ التى قامت عليها الجمهوريات ، وألف حكوماتها وكتب دساتيرها .

وكثيرون من الناس لم يسمعوا قط باسمه ، ولا يكاد أحد ينطق اسمه صحيحاً — سيموان بإليفار .

ويكاد سيمون بوليفار يكون اليوم ، بعد أكثر من قرن من وفاته ، بطلا مقدساً فى نظر الملايين من أهل أمريكا الجنوبية . ويتمثل هذا المحرر العظيم فى وعى أمته كياناً حياً ، لا يضارعه أى رجل آخر فى التاريخ الإنجليزى أو الأمريكى . وفى قرى جبال الأندس القصية ، وفى قلب الأدغال ، وحول النيران فى المراعى الواسعة ، يلهج الهنود الأميون والعمال بكلماته كأنما قيلت أمس فقط ، وفى مدن أمريكا الجنوبية يرفع الساسة قبعاتهم إذا ذكر اسمه .

فى عصر يوم من أيام الصيف ، سنة ١٨٠٥ صعد رجلان فى الجبل المقدس أحد جبال روما وقعدا يستريحان على قمته . واستلقى أحدهما على الأرض ، وكان شاباً نحيفاً وسيما ، وعيناه العميقتان السوداوان البراقتان تحدقان مفتونتين ، فى المدينة المقدسة الممتدة فى السهل . وكان الآخر أسنّ منه ، وأقل عناية بهيئته ، وشعره الطويل يعبث به النسيم ، وقد وقف إلى جانبه يتكلم . وكان من حين إلى حين يقرأ فى صفحات ممزقة من كتاب « إميل » لروسو ، أو كتاب « حقوق الإنسان » لتوم بين ، أو مؤلفات فولتير . وكان يتحدث عن مجد روما الغابر ، وتجارب الحكم الجمهورى النبيلة التى جربت فيها .

ولما نشر الغروب وهجه حولهما نهض الفتى راكعاً على ركبتيه ، « وعيناه مغرورقتان ووجهه مضطرم كالمحموم من الحماسة » وقال هذه الكلمات : « أقسم بإله آبائى وبوطنى أن لا تفتر كفاى أو تهدأ روحى ، حتى أصدع السلاسل التى تقيدنا إلى إسبانيا » .

وقد قضى كل ما بقى من حياته للبر بهذا القسم .

كان سيمون جوزى أنطونيو ده سانتسيما ترنيداد بوليفار بالاسيو ، من أهالى كاراكاس فى فنزويلا ، وكان نجيباً مرفهاً ، وأصغر أبناء أسرة من أغنى الأسر فى البلاد ، وكان رفيقه فى ذلك اليوم ، هو سيمون

رودريجويز معلمه مذ كان حَـدَثاً . وكان بوليفار في ذلك الوقت يناهز الثالثة والعشرين، وكان وهو في السابعة عشرة من عمره قد أرسل إلى إسبانيا ليتلقى «التربية» المعهودة في أبناء طبقته ، فقضى ثلاثة أعوام في البذخ والعربدة في مدريد وباريس ولندن ،وصار ذا حظوة في البلاط والمجالس والمحافل بفضل ظرفه وبراعة لسانه ،وكان أستاذاً في الضرب بالسيف ، وراقصاً ماهراً ، وفارساً عظيما ، وذا مال كثير يبعثره ، فصار معروفاً باسم « البرنس بوليفار » ، وجعل خياطو لندن يأخذون عنه طراز ثيابه ، ودكاكين باريس تعرض « قبعة بوليفار » .

ولـكن هذا الطور من حيـاته انتهى فجأة ، فقد قابل ، وأحب ، وتزوج ماريا تريزا ديل تورو ، وكانت جميلة رقيقة . وقال عنها بوليفار فيما بعد إنهـا « لم تخلق لهذا العالم » . وبعد بضعة شهور ماتت بالحمى ، فتفطر قلبـه من الحزن ، ورأى في رزئه بوفاة زوجته آية : «رفعتنى من عالم الماديات، وأدارت خـواطرى على شـئون بلادى المستعبدة » .

فالتمس أستاذه في صباه رودريجويز ، واهتدى إليه ، وراحا يطيلان المشى معاً ، فاستوعب بوليفار بحماسة جـديدة مبادئ أستاذه . وفي سنة ١٨٠٤ وقف في كتدرائية نوتردام وشـاهد نابليون يتوّج نفسه إمبراطوراً . قال : « وقد بدا لى أن هذا العمل كجلجلة الجحيم . وهذا التـاج الذى وضعه على رأسـه أثر متخلف من العصور المظلمة » .

وما لبث أن نطق وهو على الجبل المقدس بالـكلمات التى وقف بها حياته على الجهـاد والتى قررت مصير نصف قارة .

وكان ما اعتزم بوليفار اجتراء رائعاً . فما كان هذا الشاب الذى يناهز الثالثة والعشرين يتمتع بنفوذ خاص في البلاد التى أراد أن يحررها ، وكانت تجربته الحربية مقصورة على بضع سنوات قضاها في مليشيا فنزويلا ، ولـكنه أوتى منـذ طفولته ثقة هائلة بنفسه ، وقدرة لا حد لها على الأحلام العظيمة ، وكانت الأحلام تدفعه دائماً إلى بذل الجهود على الفور لتحقيقهـا . فأبحر إلى فنزويلا ماراً ببوسـطن ، ومتمهلا في نيويورك ، وفيلادلفيا ، ووشـنطن ، وهنا درس سير الديمقراطية الأمريكية .

ومع أن إسبانيا ظلت تستغل وتستعبد مستعمراتها في الدنيا الجديدة بلا حياء مدة ثلاثة قرون ، إلا أنه لم تحدث قط أية حركة منظمة في سبيل الاستقلال ، بل الواقع أنه لما حاول الجنرال فرنسسكو ميراندا (من

فنزويلا) ، وكان قد حارب تحت قيادة وشنطن فى الثورة الأمريكية ، أن يحرر المستعمرة ، قوبل بمقاومة مسلحة من مواطنيه . وقد قضى على جيشه الصغير ، واضطر هو أن يفر إلى إنجلترا .

ولما عاد بوليفار إلى فنزويلا ، شرع يعمل خفية ، ويستعين بجماعة من الأشراف الشبان ، ويبث فكرة الثورة بين الشعب . ثم أدرك نقص معلوماته الحربية ، فأقنع ميراندا بالعودة .

وفى الثالث من يوليه سنة ١٨١١ نطق بوليفار بكلمة « الحرية » للمرة الأولى علناً فى البلاد . وطلب الاستقلال التام عن إسبانيا ، فغمرت كاراكاس موجة قوية من العاطفة الوطنية ، وأعلن مؤتمر من الوطنيين أن فنزويلا حرة .

وهكذا وقعت الواقعة ، وحاول ميراندا أن يجمع جيشاً من خليط من العمال والشبان الأشراف الأنيقين الذين أعجبهم أن يكونوا ضباطاً ، وكانت مهمة مثبطة ، وقد أخفقت فى النهاية . ومما ساعد على هزيمته حدوث زلزال فظيع قضى على كثيرين من جنوده وجانب كبير من مستودعاته . وسعى بوليفار وهو محنق أن يقوى قلوب الأمة التى ضعفت ، فصاح بين تراب العاصمة وخرائبها: « إذا كانت الطبيعة نفسها قد تألبت علينا مع قوات الاستبداد ، فإنا سنحاربها هى أيضاً ونثنيها لإرادتنا » .

ولكن الجيوش الإسبانية المحنكة سحقت المتطوعين من أهل فنزويلا واستولت على كاراكاس . وما لبثت الجمهورية الأولى أن ماتت ، وأركب ميراندا سفينة إسبانية ليقضى نحبه فى السجن فى قادس ، وصار بوليفار منفياً مفلساً فى جزيرة كوراساو . وكانت فى ذلك الحين تابعة لإنجلترا .

ولو كان بوليفار دون ذلك حماسة وإلهاماً لما بدا ثم أضأل بريق من الأمل ، فقد ضاع كل ما كان يملك — ضياعه العظيمة ، وقطعان الماشية التى لا تحصى ، ومبانيه الكثيرة فى المدينة ، وصادرها الإسبانيون . وكان يستكف من الأغراب ليعيش ، غير أنه بعد أسابيع قليلة ليس إلا فر إلى مستعمرة غرناطة الجديدة (كولمبيا) حيث كانت حامية من الجنود الوطنيين محتفظة برقعة من الشاطئ ، وهناك تولى قيادة مئتى رجل — من الزنوج والهنود والهجناء الحفاة المهلهلى الثياب .

وكان بوليفار قد تعلم فى الطور الأول من الصراع شيئاً كثيراً عن الحرب ، وكيف ينبغى أن تدار رحاها على الإسبانيين ، فقد خاض المعارك وأبلى فيها بلاء حسناً . والآن

وفى ليـلة ٢١ من ديسمبر ١٨١٢ باغت الحامية الإسبانية فى تنريف وقضى عليها ، واستولى على دار الصنعة . وفى الليلة التالية انقض على مومبوكس ، وشـتت القوات الإسبانية . وظل الحال يجرى على هذا المنوال ستة أيام — ست معارك ، وستة انتصارات ، وست مدن محررة . وفى أسبوعين أجلى العدو عن المنطقة كلها .

وقوبل بوليفار فى كل قرية بالهتاف من الأهالى ، وانضوى تحت لوائه مئات من المتطوعين ، فتشجع فانتوى أن يزحف على مدينته كاراكاس . وكانت تلك مهمة كبرى فإن دونها ٦٠٠٠ جندى إسبانى وخمسمئة ميل من أرض جبلية .

وفى أوائل فبراير ١٨١٣ خرج بوليفار فى ٥٠٠ رجل مثقلين بالسلاح والأحمال ، فشقوا طريقهم فى هضاب متجمدة وأودية عميقة صخرية ، وجاهدوا فى أدغال ألغاز قائظة ، وهم ينزفون من الأشواك والحشرات الكثيرة . وبوليفار لا يكل ، ولا يزال يستحثهم ويلهبهم بكلامه ، وعينه تومض ، ولسانه يجرى بالنكات ، وعقيرته مرفوعة بأغان فرنسية خليعة .

وامتازت معارك الحملة بصبغة البطولة نفسها ، واستخدم بوليفار حينئذ كما فعل دائماً ، مزايا الجرأة والسرعة والمباغتة — مجتنباً الهجوم المواجه ، ملتفاً بجناح العدو ، وشاطراً لقواته ومبيداً لها . وانهزمت القوات الإسبانية أمامه واحدة بعد واحدة ، وكثر جنوده هو بعد كل ظفر حتى صاروا جيشاً حقيقياً له مدفعية وفرسان وفرقة طبية . وفى خلال تسعين يوماً من بدء زحفه خاض ست معارك كبرى وكسبها ، واسترد الجانب الغربى كله من فنزويلا ، فلما زحف على كاراكاس فزع القائد الإسبانى فسلم بدون قتال .

وكانت المظاهرة التى حيته عند دخوله فى كاراكاس كأنها منتزعة من سجلات روما القديمة ، فعند أبواب المدينة ، استقل بوليفار مركبة مزدانة بالغار وسعف النخل ، وكان عارى الرأس ، وعليه بزة بيضاء وزرقاء موشاة بالذهب ، وفى قدميه حذاءان ثقيلان ، وتناولت اثنتا عشرة من العذارى فى ثياب بيض وحول أجيادهن عقود من الزهر ، حبلا من الحرير وقدنه ببطء فى الشوارع ، وأجراس الكنائس تقرع وتدوى ، وغلائل الورد والدفل والكاميلية تنثر عليه من الشرفات .

وتألف على عجل مؤتمر أعلن الجمهورية مرة أخرى وخلع على بوليفار لقب « المحرر » — وهو اللقب الوحيد الذى استعمله طول حياته .

السفن الإسبانية الضخمة مالبثت ولكنه أن عبرت الأطلسى ، فتـدفق الأبطال الإسبانيون الذين خاضوا حروب نابليون ، من مدن السواحل . وكان على بوليفار أن يلاقيهم بما عنـده مما يستطيع انتزاعه من أرض ساذجة فقيرة غير مستقرة .

وظلت الحرب دائرة ١٤ عاماً وامتدت على وجه القارة كلها ، وشملت آخر الأمر منطقة فى سعة الولايات المتحدة كلها . وكان بوليفار يقود جيوشه الضئيلة فى هذه الساحة المترامية ، وكان رجاله أبداً أقل عدداً وأسوأ ثياباً وطعاماً ، وليس معهم الكفاية من السلاح . وكثيراً ما كانوا يدخلون المعركة ومع كل رجل طلقة واحـدة ليس إلا . وخلت مرة جعبتهم من الطلقات فاعتمدوا على الرماح المصنوعة من الخيزران والأقواس والسهام . وكان إذا أخذ عليه الطريق هنا ، يضرب هنـاك ، وإذا فقد جيشاً فى مكان يظهر بأعجوبة ومعه جيش غيره فى مكان آخر . وقد كتب القائد الإسبانى إلى ملكه يقول : « لا شىء يدانى نشاط هذا الزعيم الذى لا يكل أو يفتر ، وقد عجزت اثنتا عشرة معركة متوالية سـقط فى حوماتها صفوة جنوده وضباطه ، عن نقض عزيمته التى يشن بها الحرب علينا » .

وحدث مرة أن كان الإسبانيون ومعهم وحدات قوية من المدفعية والفرسان معسكرة لقضاء الليل وقد حشدت ٣٠٠٠ من الخيل فى سياج تحيط به الجبال ، فربط أحد قواد الخيل فى جيش بوليفار جلود العجول الجافة إلى ذيول ٥٠ من خيله وساقها على القطيع الإسبانى ، ففزعت خيل العدو من الضجة ، وانطلقت على وجهها تدوس الجنود الإسبانيين النائمين ، وفى هذا الاضـطراب فى الظلام أعمل فيهم الوطنيون السيوف والرماح .

وفى مرة أخرى ، فى جوف جبـال الأندس وقع بوليفار فى فخ مع جيشه فى شِعْب ضيق ، وكانت النجود تذهب فى الجوّ حوله ، وكان جدول من الماء المزبد يتحدر إلى الوادى على جناحه ، والإسبانيون يصبون من المرتفعات ناراً حامية على صفوفه ، فلما مالت الشمس للمغيب تجمع الضباب فى الوادى وانقطعت النـار ، وساد السكون أكثر من ساعتين ، ثم لمع فجأة شعاع أخير من الشمس الغاربة وانقشع الضباب . والتفت الإسبانيون فإذا بهم يواجهون هجوماً بالنار والرماح يأتيهم من فوقهم . وكان الذى حدث أن جنود بوليفار اغتنموا فرصـة الضباب فتوقّلوا فى الجبل كالذباب ، مسافة ألف قدم ، فإذا صادفوا فى مرتقاهم صخرة عمودية غرزوا رماحهم فى شقوقها وصعدوا عليها كما يصعد المرء على حبال السلم .

وكثيراً ما انهزمت جيوش بوليفار ، ولـكن ثقته بالنصر آخر الأمر لم تضعف قط . وحدث مرة فى مأدبة أقامها ضباطه أن وثب إلى سطح المائدة الطويلة ومشى إلى آخرها وهو يصيح « كما قطعت هذه المائدة من طرف إلى طرف ، سأزحف من الأطلسى إلى الهادى ، ومن بناما إلى رأس هورن ، حتى يطرد آخر إسبانى » ثم دار وعاد وهو يقول : « وهكذا سأعود وما آذيت إنساناً إلا الذين يقاومون إتمام مهمتى المقدسة » وكان يعنى ما يقول ، فقد كان هذا على وجه الدقة تقريباً هو ما صنع .

وأعظم أعمال بوليفار — ويعترف رجال الحرب فى كل مكان أن ذلك فى عظم ما سجل التاريخ — زحفه من أنجوستورا على نهر أرينوكو الأسفل ، مجتازاً قارة بأسرها ، وقاطعاً السلسلة الرئيسية لجبال أندس ، وليس ثم على طول المسافة طريق أو مجاز حتى اليوم .

وكان جيشه مؤلفاً من ١٦٠٠ من المشاة و ٨٠٠ من الفرسان ، ومعهم عدة مئات من النساء ، وهم جميعاً من أهل الأودية الذين يروا قط جبلا ولا شعروا بقرس البرد .

وكانت المرحلة الأولى عبور السهول المحرقة والأدغال الخانقة فى موسم الأمطار ، وهو أشد فصول السنة حراً ، وتمتد هذه الشقة ٢٨٠ ميلا ، ثم تليها سهول كازانارى — ولا آخر لها ، وقد غمرها الماء وبدت كأنها مرآة قائمة تحت المطر الذى لا ينقطع .

وظلت الطوابير يوماً بعد يوم تتقدم فى المخاضات ببطء مدة ثلاثة أسابيع ، وقد ارتفع الماء إلى الخصـور ، ورفع الجنود أيديهم ببنادقهم وأحمالهم ، والطين يبتلع أرجلهم فيقتلعونها فى كل خطوة ، والتماسيح تتقلب فى الوحل حولهم . فإذا دخل الليل تجمع الرجال والنساء والحيوان فوق ما يعلو الماء من أرض معشبة هنـا وهناك ، وقد رثت الثياب على أبدانهم ، وتفتحت القروح على أبدانهم العارية ، وتعثر كثيرون وغرقوا فى الماء الموحل .

ثم ظهرت أخيراً جبال الأندس ، فصعّد إليها أهل السهول المنهوكون أبصارهم دهشين وتأملوا قممها السامقة التى يلتمع عليها الثلج .

وكان بوليفار ، لحرصه على ترك العـدو جاهلا بمكانه ، قد سلك طريقاً قلما يسير فيه أحد ، وهو من أعلى الشعاب فى الجبل ، وتبعه جنوده فى ثنيات الجبال وقد أرمضتهم الحمى ، ونال منهم الجوع ، وتعرّوا .

وكانت الصخور ترتفع فى الجو عمودية تقريباً ، فتسلقها الجنود متشبثين بأطرافها الناتئة ، وقد دميت أيديهم وأقدامهم العارية .

وكان الضباب البارد ينتشر ، والمهاوى تنتهى إلى فراغ مظلم ، والذين يسقطون لا يصدر عنهم صوت حين يتحطمون .

وكان الهواء تقل كثافته كلما ارتقوا ، فأسرعت خفقات قلوبهم ، ودبّ فى أجسامهم الخدر من دوار الجبل ، وكانت العواصف تثور بهم بين الصخور وتحصبهم بالثلج ، فيخدر أجسامهم ، وتعمى عيونهم مما يغشاهم منه .

ولبثوا ستة أيام يتوقلون حتى بلغوا جبل بارامو دى بيسبا الأجرد وهو يرتفع فوق مستوى البحر مقدار ١٣٫٠٠٠ قدم ، فقضوا الليل هناك ، فكانت شر ليلة عانوها . ولما شرع الجيش يهبط فى اليوم التالى ، كان كثيرون قد سكنوا — وصاروا كتلا متجمدة فى الثلج .

وقد بدأ الزحف بثلاثة آلاف ، قاد بوليفار منهم ١٢٠٠ فى انحداره عن جوانب الأندس الغربية . ومع ذلك ، وبعد استراحة أيام ثلاثة ، هزم جيشاً من الإسبانيين أحلاس الحروب الذين سبق أن قاتلوا بقيادة الدوق أوف ولنجتون . وكانت هذه المعركة هى نقطة التحول فى الحرب كلها .

هذا الزحف فى جبال الأندس
وبعد علا نجم بوليفار ، وعظمت جيوشه

ونمت موارده ، على حين تضاءلت قوات إسبانيا . ولما كان يرى أن الحرية مستحيلة فى أى بلد من بلاد أمريكا الجنوبية ما دام لإسبانيا مستعمرة واحدة تستطيع أن تستخدمها للهجوم منها ، فقد جعل ينتقل من إقليم إلى إقليم متجاهلا حدود المستعمرات مقاتلا الإسبانيين حيثما وجدهم . وقد أحرز أربعة انتصارات كبيرة مدوية ، حرر كل منها إقليما بأسره ، وكل منها شهير فى أمريكا الجنوبية شهرة أية معركة من معارك التاريخ الكبرى — بوياكا ، كارابوبو ، بتشنشا ، أياكوشو .

وكانت هناك ثلاثة عوامل ساعدت على إحرازه النصر النهائى ، فضلا عما كان له من صفات الزعامة . فقد استطاع رسله إلى لندن أن يجمعوا عدة آلاف من الضباط الإنجليز والإرلنديين الشبان ، فتألفت منهم فرقة بريطانية رائعة . وكان هناك تاجر يهودى من كوراسا واسمه لويس بريون ، فبنى أسطولا صغيراً من ماله الخاص وقاده بنفسه ، وأقصى به الإسبانيين عن الأرينوكو ، فحرس بذلك مؤخرة بوليفار . ثم إن جوزى أنطونيو بايز ، وهو فارس فظيع ماكر من أهل السهول ، أمد بوليفار بآلاف من أشداء الفرسان ، وبقطعان عظيمة من الماشية للطعام ، وكان يواصل الغارات

باستمرار على الإسبانيين . وكان الجزء الجنوبى من القارة — شيلى وبوينوس إيرس (الأرجنتين الآن) تد حررها من الإسبانيين محرر عظيم آخر ، هو جوزى دى سان مارتن ، فلما سلم القائد الإسبانى فى كالاو فى بيرو لبوليفار فى ٢٢ من يناير سنة ١٨٢٦ أنزل آخر علم إسبانى عن القارة ، وصارت أمريكا الجنوبية كلها حرة .

وقد حارب بوليفار ١٥ سنة ، وأدار نحو ٥٠٠ معركة ، وحرر بلاداً تشمل الآن جمهوريات معروفة اليوم بأسماء فنزويلا ، وكولمبيا ، وإكوادور ، وبوليفيا ، وبيرو . ولكن أعماله الحربية ليست هى وحدها التى أنزلته منازل الأبطال فى عيون أمته ، فقد كانت كلماته وحياً لهم كذلك .

ذلك أنه كان من أعلى رجال التاريخ بياناً ، ولما مات كانت هناك عشر حقائب ملأى بمخطوطاته . وإحدى هذه المجموعات من كتاباته تملأ ٣٢ مجلداً كبيراً ، ولكنها لا تمثل إلا جانباً يسيراً من جملة ما خلف . فقد كان يكتب دائماً — فى إبان المعارك ، وعلى ضوء نار المعسكر ، وفى الاجتماعات . وكان يصدر البيانات ، ويلقى الخطب ، ويكتب الرسائل السياسية ، ويبعث بالرسائل إلى الناس فى أقطار العالم كافة . وقد قال :

« إن هناك من لابد لهم من الوحدة والبعد من كل اضطراب وضجة ليفكروا . وأما أقدر ما أكون على التفكير حين أكون فى جماعة من الناس ، وفى ضوضاء المعركة » . وكان يملى على ثلاثة من الكتاب فى وقت واحد ويصيح : « هاتوا لى كتاباً أسرع ! كتاباً أسرع ! ما من أحد يستطيع أن يسابق سرعة خواطرى ! »

وقد وضع لكل بلد محرر دستوراً ، ونظم حكومة بأدق تفصيل ، ودعا مؤتمراً ، ورتب شئون المال ، وألف الوزارات ، وعين الممثلين السياسيين ، ورسم السياسة الداخلية والخارجية .

وكانت له بصيرة نافذة كأنما ترى من ستور الغيب ، كما تدل على ذلك حوادث التاريخ التالية . فقد تكهن بمستقبل كل بلد فى العالم الغربى لمئة سنة . وحث على شق قناة بناما ، وتنبأ بقيام اتحاد كبير من جمهوريات أمريكا تقف كالحصن فى وجه فلسفات العالم القديمة المنحطة ، بل لقد خطا خطوات لإقامة مثل هذا الاتحاد ، ودعا الأمم الأمريكية إلى إرسال مندوبين إلى مؤتمر فى بناما ، واجتمع المؤتمر فعلا وأخفق ، وكان بوليفار قد توقع له ذلك ، وقال : « ولكن البذرة غرست . وستثمر يوماً ما » .

وكان لبوليفار الرجل من الشخصية ، والجاذبية ، والظرف مالابد منه فى زعيم شعبى . فكان أثناء المعارك يشاطر رجاله كل ما يعانونه ، وكانوا يسمونه « الذيل الحديدى القديم » ويعبدونه ، ولكنه كان أيضاً مولعاً بالموسيقى والرقص ، ولم تفته قط فرصة لإقامة حفلة .

ووصفه رفيق له بهذه الكلمات : « إنه دائم الحركة ، فهو إذ يسير فى دروب الغابات يمشى بسرعة ، ويعدو ، ويحاول أن يخلف رفقاءه وراءه ، ويتحداهم أن يواثبوه ، وإذا استلقى على شبكة النوم راح يتأرجح بعنف ، ويغنى ، ويتكلم بسرعة ، وينشد أشعاراً فرنسية . وقد يكون أحياناً عالى الصوت بذيئاً بين أصدقائه ، فإذا أقبل غريب ، صار هادئاً ، مجاملا ، مسيطراً بجلاله » .

والصفة التى كانت أقوى ما تكون فى بوليفار هى مايسميه الإسبانيون «هومبريا» أى القدرة على التغلب بفضل الرجولة وبقوة الشخصية وحدها . وكانت هذه القوة تشع منه كأنها تيار كهربائى يؤثر فى كل من يكون فى حضرته . وقد قابل مرة أثناء هدنة القائد الإسبانى موريللو ، وكان اللقاء عبارة عن معركة ذكاء ، أو منازلة نفسانية (سيكولوجية) ففاز بوليفار بسهولة ، وظفر بما يريد ، واعتزل موريللو القيادة وعاد إلى إسبانيا .

وقد قال فى وصفه الجنرال فرنسسكو سانتاندر ، وهو رجل قوى مثقف بارع : « إن للرجل قوة سحرية تعمى ، وكثيراً ماواجهته وأنا مغضب ، فأنصرف وقد ألقيت سلاحى وامتلأت إعجاباً . إنه ما من رجل يستطيع أن يقاوم بوليفار وجهاً لوجه » .

وكانت لبوليفار مواطن ضعف . فقد كان مزهواً ، وكان غيوراً على مجده ، وعيوفاً معتدلا فى معظم الأمور إلا فى علاقاته مع النساء ، فقد كان من طينة الأرض وحمئها . ولم يكن يعجزن عن مقاومته ، ويلقين بأنفسهن عليه ، فى حيث يجدنه . ويوجد أكثر من ألفى رسالة غرامية كتبت إليه ، وكانت هناك فى حياته دائماً امرأة مندصباه ، غير أن علاقاته كانت فى الأغلب قصيرة العمر ، وكانت حوادث يبدو أنه كان يشعر أنها لا تنال من ولائه لذكرى ماريا تريزا ، وكان حبه العظيم الحقيقى بعد ماريا تريزا ، لغايته الكبرى ، ولم ينسها قط لا فى المعركة ، ولا بين ذراعى امرأة .

وقد حقق كل ما أقسم أن يفعله ، ولكن أحلامه الآن اتسعت حتى صارت تشمل اتحاداً سياسياً من كل الدول الجديدة

فى ظل حكومة مركزية قوية على نحو يشبه الولايات المتحـدة . ولـكن قوات الوطنية والأحزاب السياسـية الضنينة بنفوذها فى الدول المختلفة ، قاومته مقاوة مرة ، وصار الأصدقاء القدماء وزملاؤه فى القتال أعداء سياسيين له ، وأصبحت البلاد التى وقفت صفاً واحداً ضـد الإسبانيين مستعدة أن يحارب بعضها بعضاً .

وقام بوليفار وهو مستيئس برحلات طويلة مرة أخرى ، وفى مأموله أن يوجد الوحدة . وكان سلطانه القديم ما زال باقياً فاستقبل فى كل مكان بحماسة ، ولـكنه ما كان يستطيع أن يكون فى كل مـكان فى وقت واحد ، فـكان إذا ترك بلاداً تجمعت بعـد رحيـله أمواج الخلاف ، فصاح وقد ضجر وبه من اليأس هاتف : « لقـد حرثت فى البحر » .

ولم يكن ينصح بديمقراطية صرف ، فإن أمم أمريكا الجنوبية ، فيما كان يحس ، لم تـكن قد تهيأت لهذا : « إن عيونهـا حديثة عهد جداً بظلام الاستعباد ، فهى لا تقوى على هذا النور الساطع المقـدس » . وكان الذى يقترحه لشتى الجمهوريات أن تقوم فيها حكومات أشـبه بالإنجليزية منها بحكومة أمريكا الشمالية ، وفيها مجلس نيابى منتخب ، ومجلس أعيان وراثى ، ولها رئيس ينتخب مدى الحياة .

وكان فى وسعه فى أى وقت أن يصبح حاكماً بأمره (دكتاتوراً) وأن يفرض حكومته على كل البلاد التى حررها ، ولـكنه كان يمقت الدكتاتورية . ولما اقترحت جماعة أن يتوّج نفسه إمبراطوراً كان رده : « إن لقب المحرر أسمى من كل لقب يخطره على البال كبرياء الإنسان ، وليس مما يقبله العقل أن أحقره » .

وبدأت أعـوام المتـاعب تحـدث أثرها ، فصار مريضاً مضنى وشيخاً هرماً فى السابعة والأربعين . ولما سمع أخيراً فى بوجوتا أن حكومات دكتاتورية قامت فى فنزويلا وبيرو ، وبوليفيا ، وكولمبيا ، أدرك أن هـذه هى النهاية وكتب يقول : « أظلنى المـوت ، وانتهت دورتى ، ودعانى الله إليه » .

وأصر على الرحيل ليموت ، لاعتقاده أن مجرد وجوده فى الجمهوريات التى أوجدها يثير



بوليفــــار

شـقاقاً أشد . وألح عليه أصدقاؤه أن يبقى وأن يفرض إرادته بقوة السلاح ، وقالوا إن آلافاً يسارعون إليه إذا دعاهم ، ولكنه أبى أن يستخدم مثل هذه الوسائل مع مواطنيه .

ولما ركب ليخرج من بوجوتا اصطف الشعب كله في الشوارع يبكون إذ يمر بهم، وخرج معه الوزراء المفوضون وموظفو الحكومة ومئات من الأهالي إلى مشارف المدينة ، وهناك ترجلوا وعانقوه ، ثم امتطى جواده بجهد عظيم ومضى فاختفى في الطريق إلى الشاطئ .

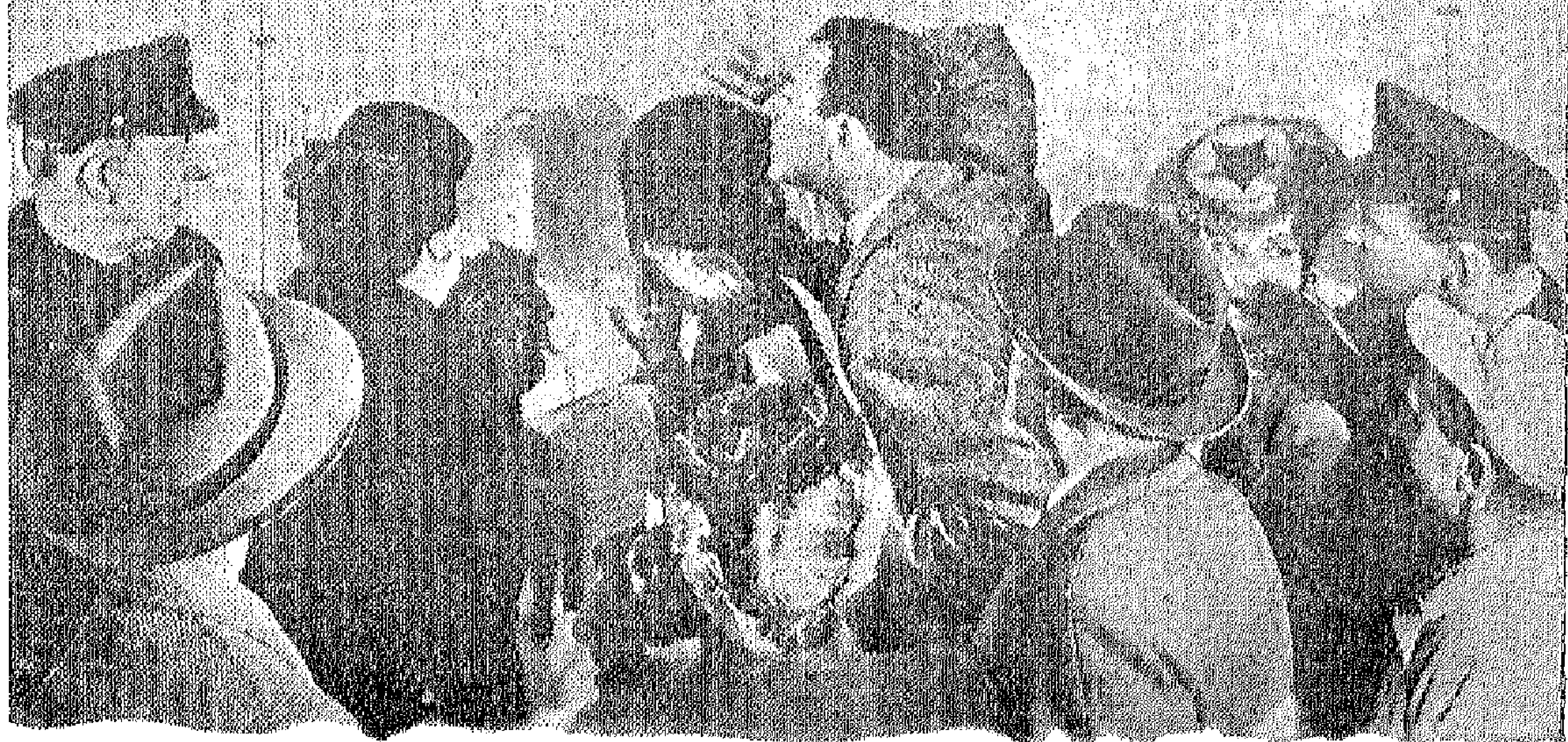
ومرض على سفينة حربية قديمة ذاهبة إلى جاميكا ، فعرج الربان على ساحل كولمبيا وأنزله في سانتا مارتا ، وحملوه إلى الشاطئ على محفة ، وما بقي منه إلا طائفة من العظام كانت أعظم رجل في أمريكا الجنوبية . وأدركه الحين في ١٧ من ديسمبر سنة ١٨٣٠ وهو مفلس ولا رفيق له ، وكان يحمل حول عنقه قلادة عليها صورة جورج وشنطن ، كان أهداها إليه لافاييت .

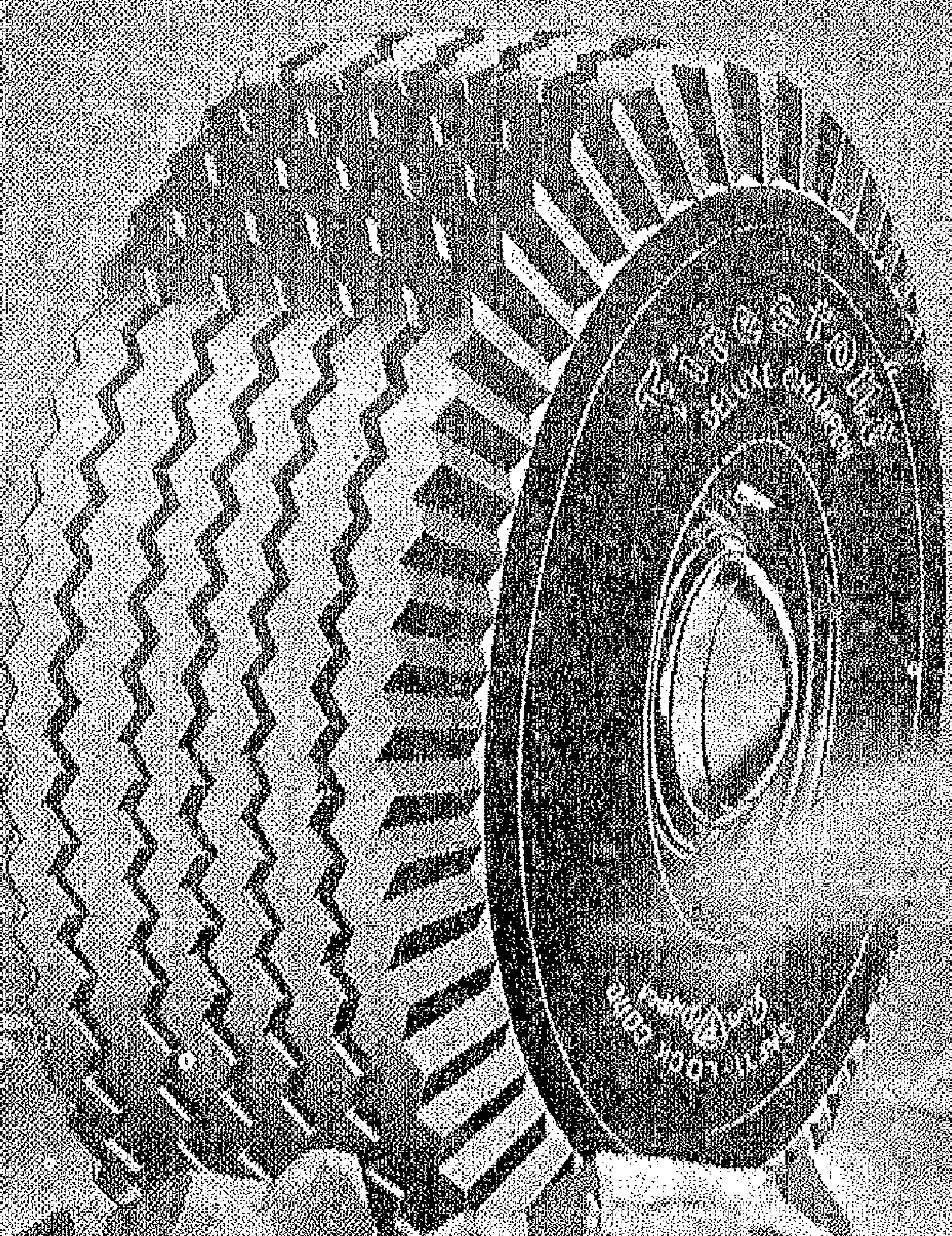
وكان أهل كاراكاس قد أرادوا مرة أن يقيموا له تمثالا فقال لهم : « انتظروا حتى أموت ، لتحكموا علىّ بغير هوى . إن التماثيل لا ينبغي أبداً أن تقام للرجل في حياته . فقد يتغير ، وقد يخون العهد . ولن تحتاجوا أبداً أن تتهموني بذلك ، ولكني أكرر قولي لكم : انتظروا ، انتظروا ! »

وقد قدروه تقديراً تاماً الآن . فبعد اثنى عشر عاماً من وفاته ، احتشد أسطول عظيم من السفن الحربية في ميناء سانتا مارتا ، وكانت أعلام إنجلترا وفرنسا وهولندة ، فضلا عن أعلام الأمم التي حررها منكسة ، وغصت المدينة بممثلي الدول الأجنبية ، وحمل جثمان بوليفار على صندل، على أصوات المدافع ودقات الطبول البطيئة ، إلى سفينة منتظرة . ومالبث الأسطول كله أن رفع مراسيه ، ونشر شُرُعه وأبحر مشرّقاً .

وهكذا عاد جثمان بوليفار إلى موطنه . وأحدّت كاراكاس عليه ، وأقيمت الأقواس في الشوارع ، وسار تحتها موكب طويل من عظماء الرجال من أمم عديدة ، تتبعهم خيل مجللة بالسواد تجر مركبة ضخمة تحمل تابوتاً مجللا بالحرير الأسود ومغطى بالأكاليل وطاقات الزهر . ووقف الناس صامتين ، والركب يمر بهم على أنغام الموسيقى البطيئة . لقد بلغ بوليفار أخيراً المحل الذي كان يبغيه في قلوب أمته ، وفي التاريخ .



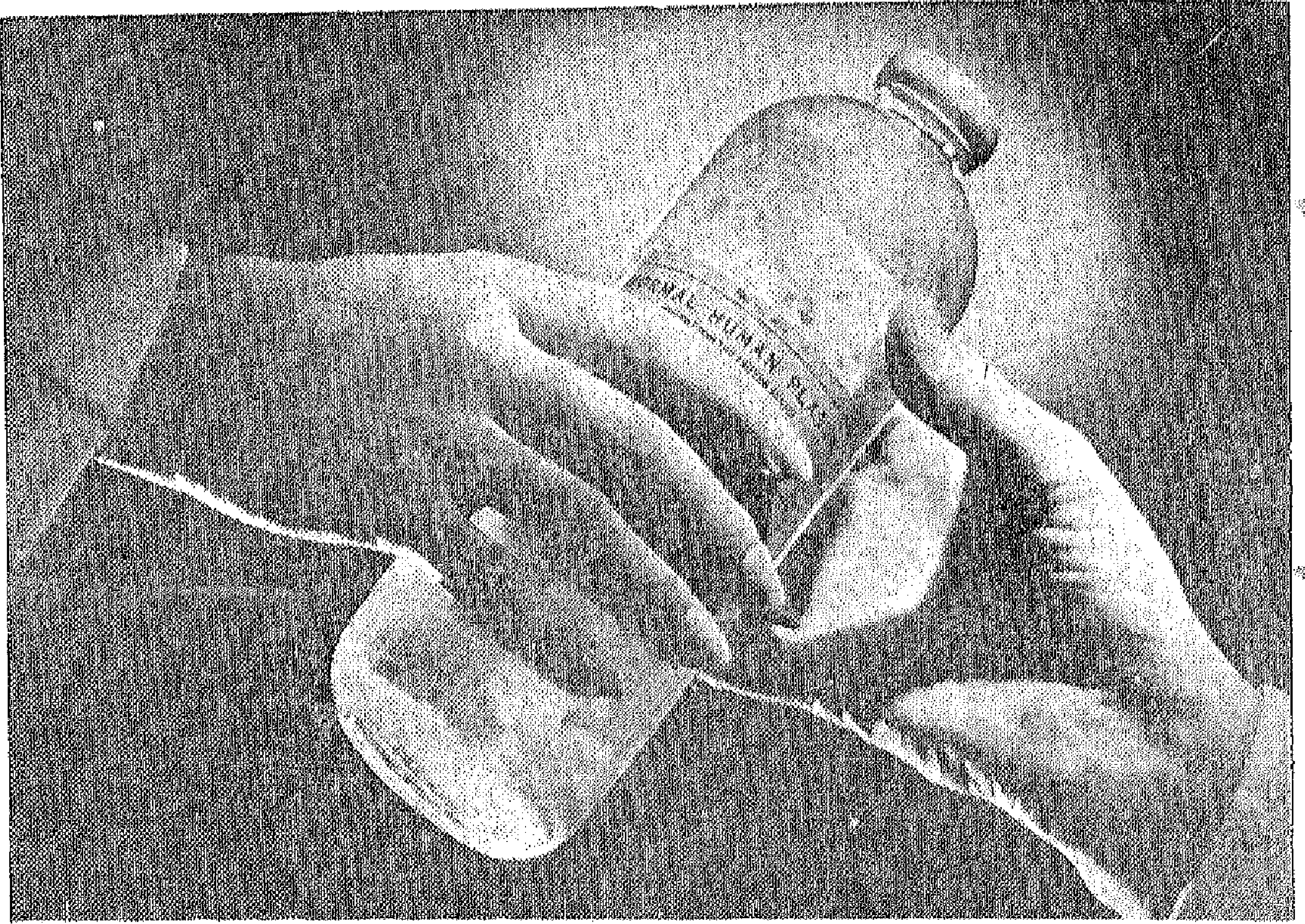

• أجهزة راديو • ثلاجات • صنع فيلكو
تأتي قريباً!



فايرستون

Firestone





حياة بشرية ... معبأة فى زجاجة !

كانت هـذه البلاسمة يوماً ما تجرى فى وريد بشرى حىّ .

أما الآن ، وقد تحولت مسحوقاً . فقد أعدّت لتصير مرة ثانية بلاسمة نافعة فى الدم ، تنقذ أرواحاً بشرية عديدة .

لا يكاد الدم يخرج من عروق المتبرع به ، حتى يقوم التبريد بدور خطير فى إعداده . فسحر البرد يحفظ الدم بأجمعه ، خلال نقله إلى المعامل ، ثم يعين على فصل البلاسمة ... وهو عنصر أصيل فى التجفيف بالتفريغ العالى ، الذى يحوّل البلاسمة إلى مسحوق مستقر ، هو هذا الذى تراه فى هذه الزجاجة .

للمستقبل — مستودعات دائمة للدم

من الممكن حفظ بلاسمة الدم المجففة ، زمناً لا حد له . وقد شرعت المراكز الطبية فى إنشاء سلسلة من المستودعات الدائمة ، حيث يمكن أن تحفظ بلاسمة الدم وأجزاؤه الأخرى ، حتى تحين الحاجة إليها . فالتقدم الذى تمّ زمن الحرب ، فى علوم الطب وفى حفظ الدم بالتبريد ، يعنى أن الإنسانية لن تعانى منذ اليوم نقصاً فى هـذا السائل الذى تمنح الحياة .

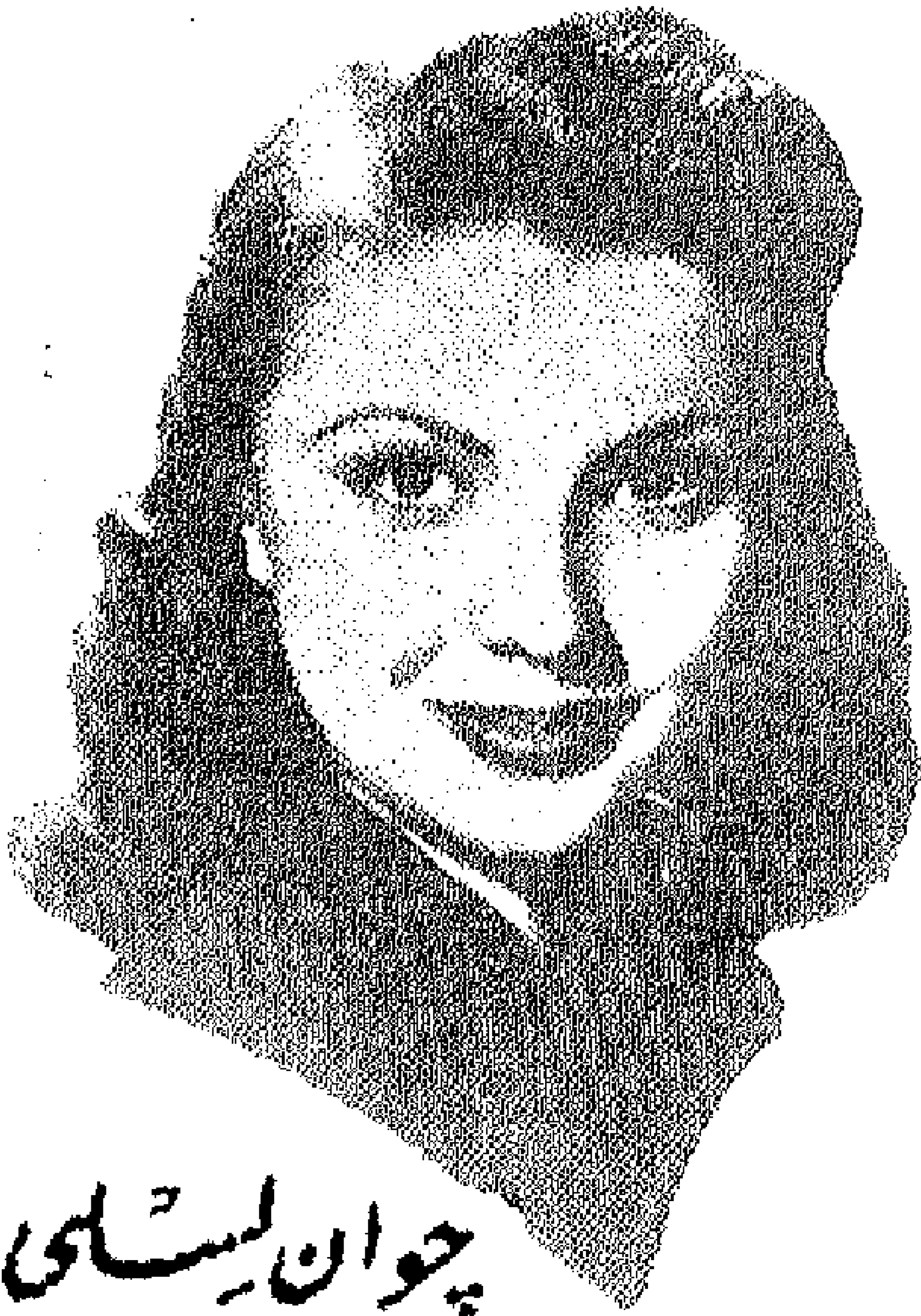


York Corporation, York, Penna. U. S. A.

يورك للتبريد وتكييف الهواء

المقر الرئيسى لأجهزة التبريد الميكانيكى منذ عام ١٨٨٥

خليقة بأن تنتظرها...



جوان ليسلى

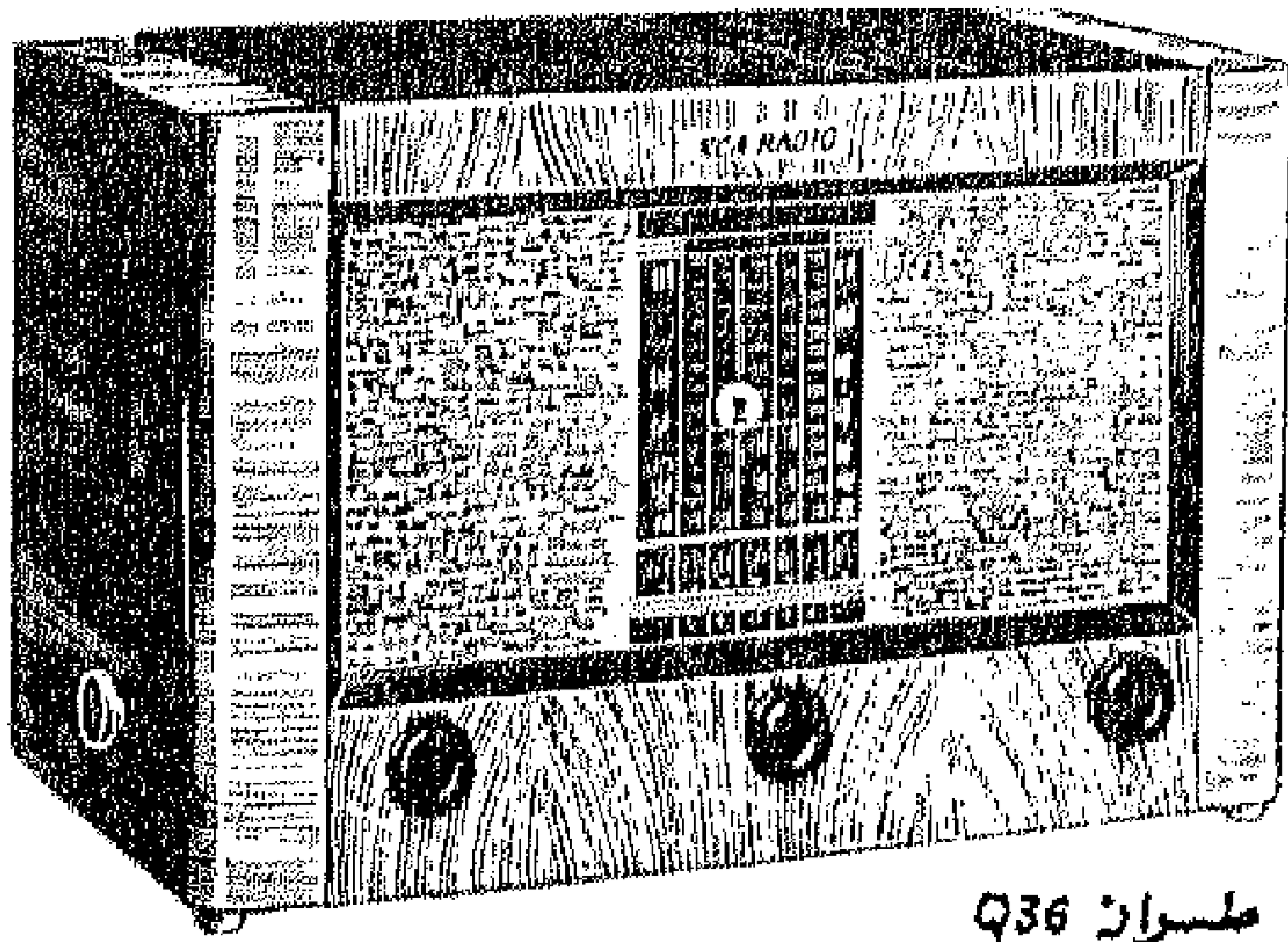
كوكب شركة وارنر فى الفلم العظيم "الموسيقى فى النور الأزرق"

رائع .... يتقمص حياة ... سوف تعجب أعظم إعجاب بجمال النغم وسحر الأداء ، فى جهاز راديو RCA الجديد « رقم واحد — وزيادة »

إن جهاز « رقم واحد » هو أول راديو صنع بعد الحرب ، أخرجته شركة RCA — شركة الراديو « رقم واحد » فى العالم قاطبة . أما « الزيادة » — فهى المنافع الإضافية التى تستطيع RCA أن تقدمها لك . وأجهزة RCA « رقم واحد — وزيادة » خرجت لساعتها من المصنع — وكل أجزائها وصناديقها جديدة كل الجدة صنعت بعد الحرب .

تخير ما تشاء من ثمانية نماذج — منها نموذجان يستيران بالبطرية — وبأثمان تلائم كل جيب . وأى نموذج من نماذج RCA يقع اختيارك عليه ، تظفر فيه بأعظم قيمة تنالها من نقودك

إنها خليقة بأن تنتظرها .



طراز Q36

جهاز يدور بك العالم وأنت فى مقعدك ، ويلتقط الأمواج من أبعد مكان ، سبع مناطق أمواج للضبط الدقيق ، على طول ٣١ ، ٢٥ ، ١٩ ، ١٦ ، ١٣ متراً . بوقان لتكبير الكلام بنغم رفيق ، قياس ٨ بوصات ، قوة إخراج ١٢ وات بكبتاس . ١١ صماماً . وصلة كهربائية لإدارة الأسطوانات . صندوق أنيق أشقر من خشب الجوز .

RCA

أجهزة راديو ١ — وزيادة



RCA RADIO

RADIO CORPORATION OF AMERICA

أدوات الإبصار
التي يصنعها
بوش ولومب

إن مجهر (ميكروسكوب) بوش ولومب د. د. ي (D D E) يفسح السبيل لرؤية الأجسام المبصرة ، والمنصّة والعدسات العينية وما تحت المنصة والمرآة — وهذه مزية يرحّب بها جميع الباحثين . وقد أتيح لهذا المجهر أقصى حد من الاستقرار بصنع الذراع والقوائم من قطعة واحدة .

وبهذا المجهر تصميم خاص يخفف الضغط الدقيق به ، بيسر وبغير تعب ويضمن عند العمل للتكبير العالي ، الوصول إلى نتيجة نافعة ومرضية . ويلحق هذا المجهر أنابيب للنظر المزدوج والتصوير المجهري (الميكروسكوبي) الدقيق . وهو يمتاز بإمكان التحول السهل السريع من استعمال المجهر ذي المنظرين إلى منظر واحد ، وبالعكس . وفي الوسع تثبيت العينات في مكانها على أتم وجه .

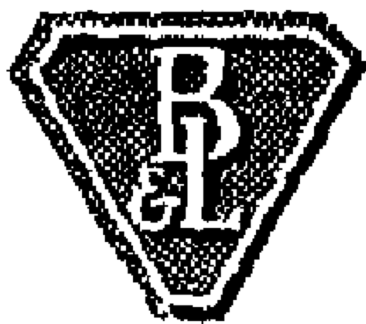
وثمة مزايا أخرى في هذه الآلة ممتازة ، التي سوف تكون في متناول طالبيها خلال أشهر

بوش ولومب

BAUSCH & LOMB

OPTICAL COMPANY

روتشستر
الولايات المتحدة الأمريكية



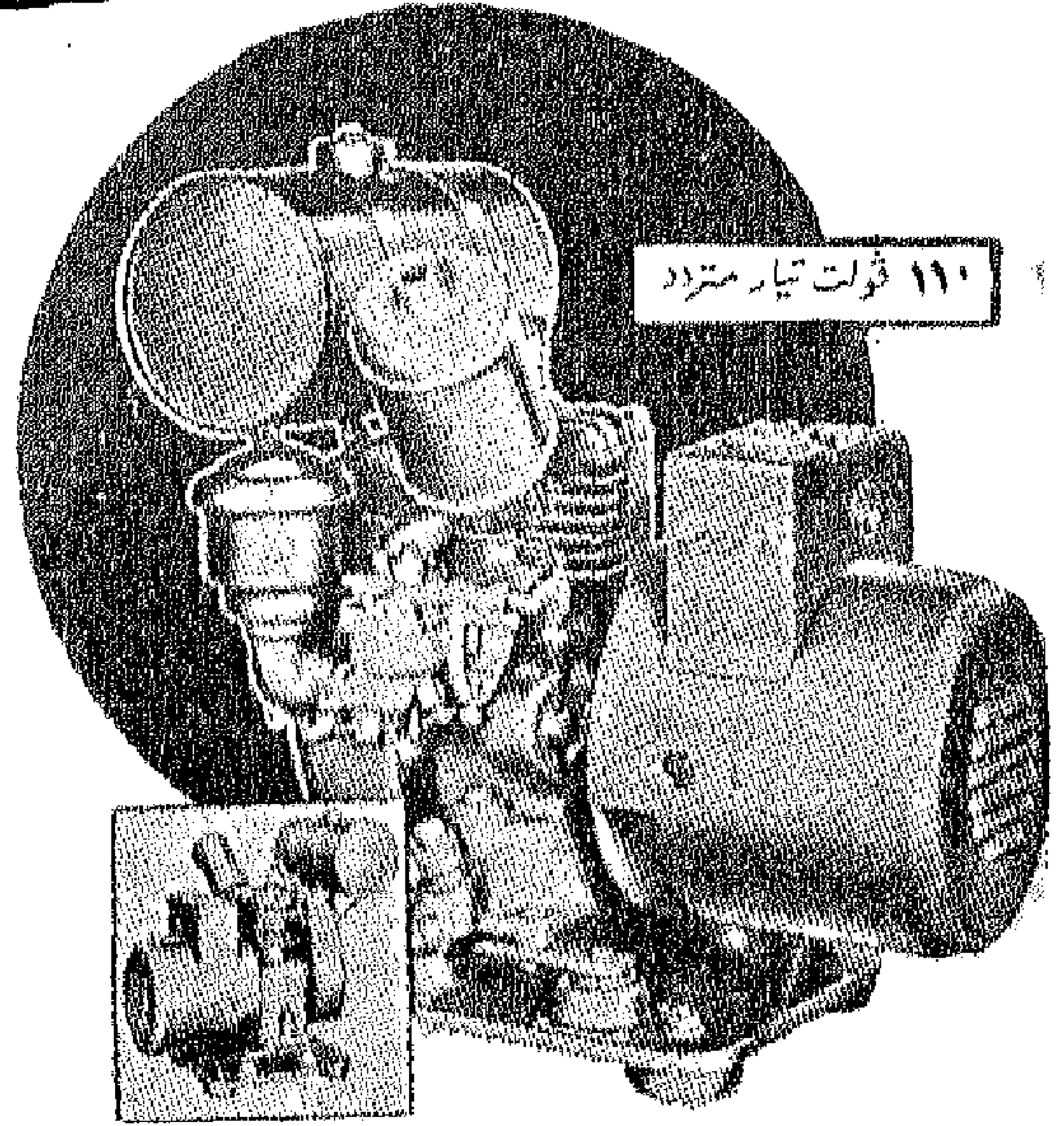
تأسست سنة
١٨٥٣

شركة بوش ولومب : تصنع زجاجا للابصار ومجموعة كاملة من أدوات الإبصار للاستعمال في الحرب والتربية والبحث العلمي والصناعة ولتصحيح بصر العيون وحفظه

أطلب الآن ! تسليم على الفور

هذه المعدات متاحة لك الآن
فاطلب ما تريد فى الحال

أجهزة توليد ... ... بالبنزين أو بالهواء (بالتيار الهوائى)
مضخات الماء ... ... للبيت وللاستعمال الصناعى والزراعى
جرارات ... ... نماذج مجددة . متاحة الآن
آلات خلط الأسمنت ـ مجموعة كاملة من معدات المقاولين
آلات لنشر الخشب ـ جميع أنواع المعدات لأشغال الخشب
ضوابط للتيار الكهربائى ـ تصلح كذلك للانذار ضد السرقة
آلات للغسل ... ... جميع الأجهزة المستخدمة فى البيوت
أقفال ... ... جميع حدايد المعمار
آلات لتسوية الحشائش ـ جميع أدوات المزارع الصغير
مسالف الطرق ... ... مكاو نماذج مفرغة
عربات تقطرها سيارات ـ عجلاتها من مطاط لجميع الأغراض
أثاث ... ... قسم كامل لتأثيث البيت
معدات التسقيف ... ... مواد البناء
مكاو للحام ... ... قسم للورش المنزلية
أفران التدفئة ... ... معدات التدفئة وتكييف الهواء
آلات عصر الفواكه ـ أدوات الطبخ والتدبير المنزلى



آلة لتوليد الكهرباء

تمتع فى دارك بجميع المنافع الكهربائية الحديثة ، التى تتاح لك بتركيب هذا الجهاز المولد للقوة الكهربائية . تصور ما هنالك ! أضواء كهربائية ، وأدوات للغسل والكى ، وأفران أجهزة لتحمير الخبز ، ومكانس ، وآلات خياطة . تدور جميعها بالكهرباء . كلها ممكنة فتخفف أعباء تدبير المنزل ، وتجعله خليق بالعيش فيه حين تقتنى جهازاً يولد الكهرباء .

٦٠٠ وات ، ٦٠ دورة ، ١١٠ فولت تيار متردد . والمحرك اسطوانة واحدة ، ذات ٤ دورات ، تبرد بالهواء . وتستطيع الآلة أن تولد قوة حصان ونصف حصان فى ٣٦٠٠ دورة فى الدقيقة . ويمكن أن تبدأ حركة المحرك ببطرية تخزين قوتها ٦ فولت (كبطرية سيارتك) أو بذراع تحركها بيدك .

وعلى لوحة الأجهزة . جهاز لقياس الفولتات . والأمبيرات . و جهاز الابتداء ، ووعاء لسلك يحمل ١١٠ فولتات . و غلف جهاز الإشعال تغليفاً تاماً فى هذه الآلة ، لمنع تأثيره فى عمل الراديو . وخزان الوقود يكفى لتشغيل الآلة ست ساعات أو سبع ساعات . والآلة كلها مركبة على مطاط على قاعدة من الصلب ومجهزة بأربعة حواجز واقية من المطاط . ولك أن تضعها وأنت آمن ، إما على الأرض وإما على رف .

هذه الآلة لتوليد الكهرباء متاحة أيضاً فى قوة ١٠٠٠ وات و ١١٠ فولت من التيار المتردد .

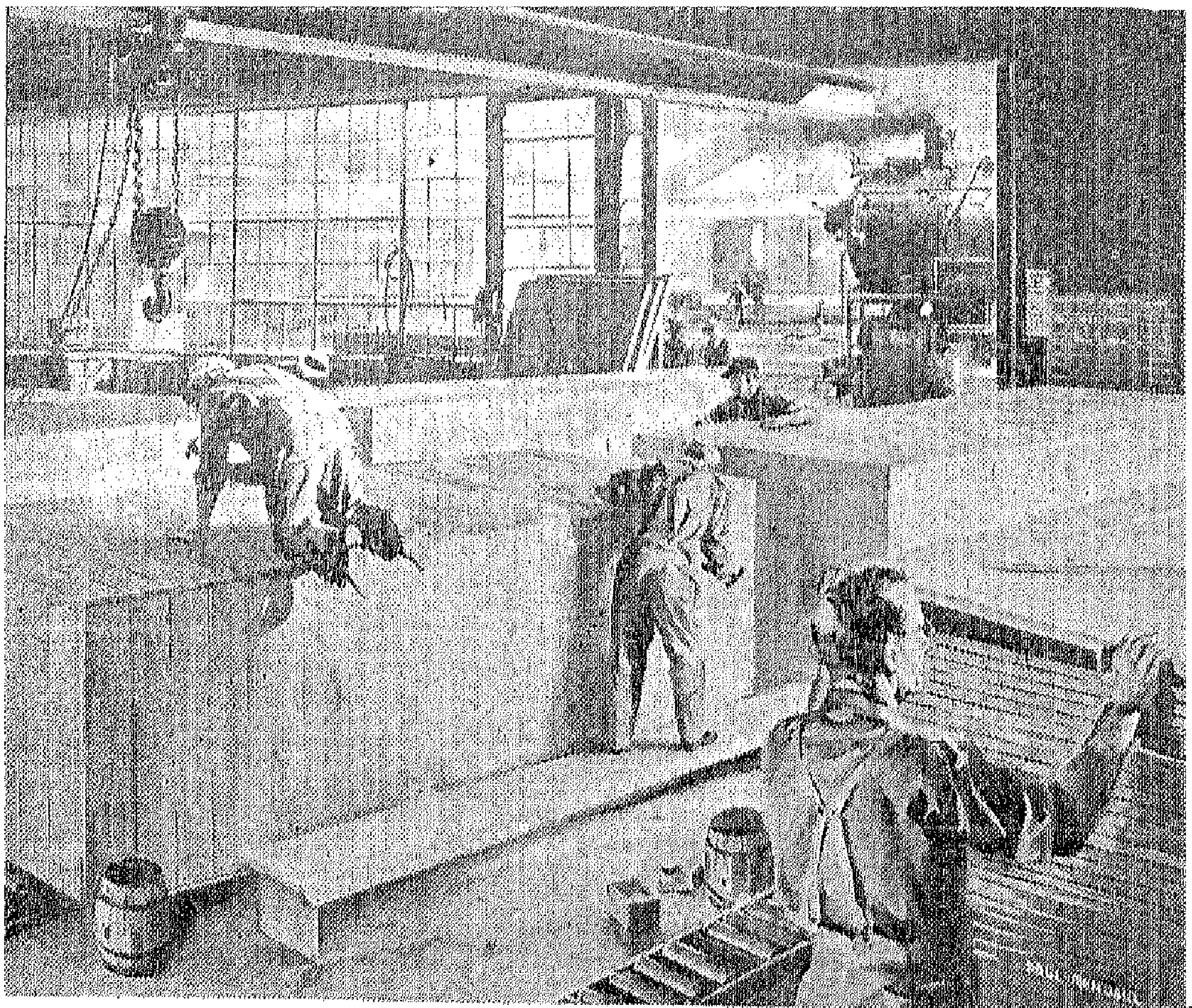
لشركة « جاى ر جونز إنترنشونال » مئات من الأصدقاء فى كل مكان لأنه يمكن الاعتماد على خدمتها فى الإصدار والاستيراد ، ولا تدخر وسعاً لتمدك بما تحتاج إليه فى الحال . فإنك تستطيع أن تعتمد على شركة « جاى ر جونز إنترنشونال » .

أسعار مخفضة
أنواع ممتازة

يرسل كشف الأسعار لمن يطلبه
فتفضلوا بطلب ما يلزمكم ، من الوكلاء والموزعين

JAY R. JONES INTERNATIONAL

Continental-Illinois National Bank Building — Chicago 4, Illinois



إن ما يعدّونه من سيارات ستوديبيكر للشحن إلى جميع أنحاء العالم يزداد عدده على الأيام

من المحتمل وأنت تقرأ هذا ، أن تكون بعض سيارات ستوديبيكر الجديدة قد وصلت إلى بلدك .

إن مؤسسة ستوديبيكر تبادر إلى إرسال السيارات الجديدة إليك وإلى سائر عملائها فى العالم أجمع ، ما توفر المكان فى البواخر وما سمحت لوائح الولايات المتحدة للتصدير .

وحسبك النظرة الأولى إلى سيارات ستوديبيكر الجديدة الرشيقة لتعرف أنها أرشق سيارات صنعت فى نطاق سعرها الرخيص . وهذه السيارات التى يطلق عليها اسم « ستوديبيكر شامبيون سكاى واى » تمتاز بالشكل المشيق (الإنسيابى) المعروف فى الطائرات ذات السرعة الكبيرة . وناهيك بما فيها من ذوق ولون ورياش .

ولن تعجبك أية سيارة أخرى تكون أقل منها جمالا أو أقل منها اقتصاداً — ولذا فمن الخير لك حقاً أن تنتظر حتى تظفر بسيارة من سيارات ستوديبيكر شامبيون الجديدة الفخمة . وستكون أعداد وافرة من سيارات ستوديبيكر متاحة للناس فى القريب العاجل .

THE STUDEBAKER EXPORT CORPORATION

South Bend, Ind, U.S.A. - Cables: Studebaker

Studebaker

مشهور فى جميع أرجاء العالم كرمز الامتياز فى السيارات ومركبات النقل

الامتياز هو

الاقتصاد

جودة الطعام ليست ضرباً من الترف بل هى ضرورة لا غنى عنها — بل هى أيضاً ضرب من الإقتصاد — لا يمكن أن يغفله المستهلك ولا المنتج .

ولكى يتاح لك الحصول على طعام لا مثيل له فى جودته ، أنشأت مؤسسة « سويفت » مصانع حديثة مزودة بجميع الوسائل المبتكرة لتهيئة الطعام وتبريده وتعبئته مما يضمن لمنتجات « سويفت » طيب الرائحة والنقاء . وجميع موارد « سويفت » العظيمة ترمى إلى هدف واحد : هو تزويدك بأجود الطعام . وهذا هو السبب فى أن اسم سويفت — فى أى بلد كنت — هو دليلك إلى أجود الطعام .



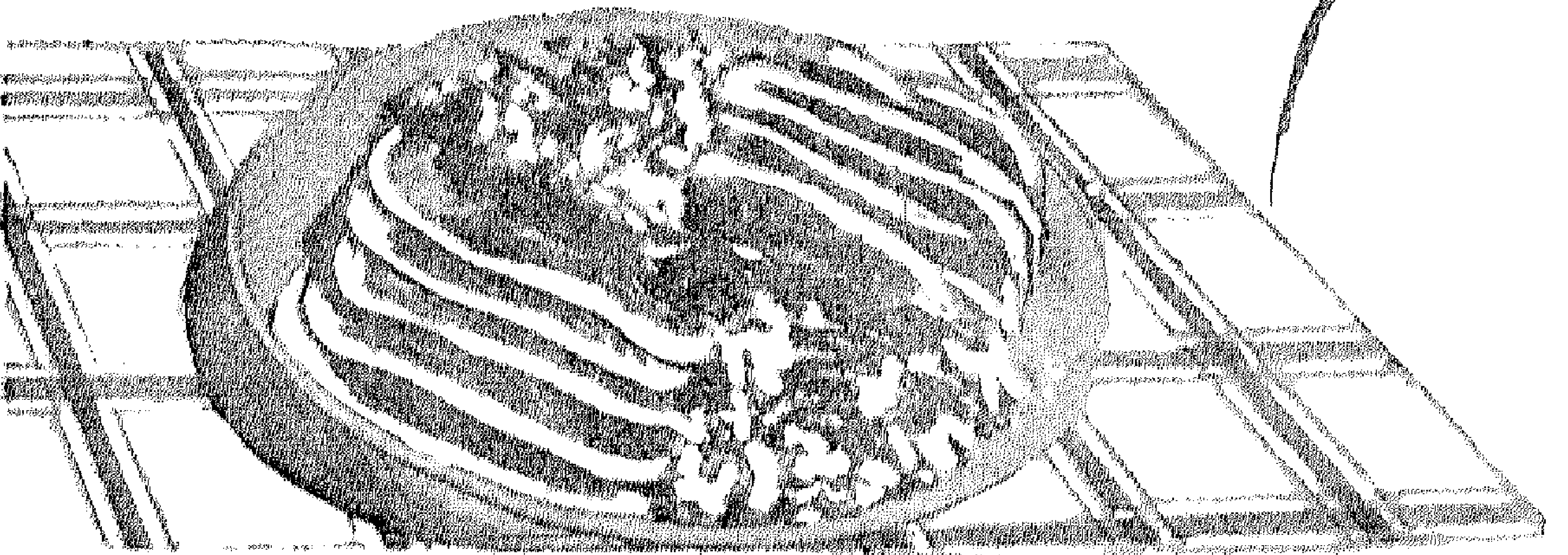
Swift

شركة "سويفت" الدولية

مصانع فى الأرجنتين واستراليا والبرازيل ، ونيوزيلندا وأوروجواى توزع منتجات ممتازة منذ أكثر من ٣٥ عاماً

INTERNATIONAL SWIFT COMPANY

Av. Corrientes 389, Buenos Aires, Rep. Argentina



شموع الاحتراق
شامپيون
CHAMPION
فن هندسى مُبين

CHAMPION

ان ما تمتاز به شموع الاحتراق، صنع « شامپيون » لم يكتسبه دون جهد وعناء. فمنذ جيل أو أكثر، لم ينقطع الخبراء المهرة عن البحث فتيسر لهم بفضل ما لديهم من وسائل هندسية لا حد لها، أن يرتقوا بشموع شامپيون إلى مرتبة التفوق في التصميم والصنعة على حد سواء. فشموع شامپيون التي بين أيدينا اليوم قد بلغت من التحسين ودقة الصنع ما يجعلها أعظم ما أنجزه هؤلاء الخبراء.

وإذا كنت قد استعملت من قبل شموع شامپيون، فقد عرفت متانتها وكفايتها وطول بقائها. أما إذا كنت لم تجربها بعد، فسيدهشك يوم تركيبها في سيارتك ما تهيؤه لها من سرعة أزيد، وقوة أكثر واستهلاك أقل.



CHAMPION SPARK PLUG COMPANY Toledo, U.S.A. • Windsor, Can. • Feltham, Eng.

أثبت الزمن أن
راديو فيليبس هو خير ما يعتمد عليه

كم من جهاز من أجهزة الراديو التى صنعت قبل الحرب قد أصبح اليوم مهجوراً تسكنه العنكبوت . ولم يثبت على الزمن إلا أصلحها، وإنك تجد دائماً بينها أجهزة الاستقبال التى صنعها فيليبس !

وهذا ليس بالأمر الغريب فقد روعى فى تصميم اجهزة فيليبس هذه أن تؤدى عملها فى أشد الأجواء حرًّا وبرداً . وعنى فى صنعها أن تكون طويلة البقاء . وفضلا عن ذلك فهى تستند إلى خمسين عاماً قضاها علماء فيليبس فى الأبحاث والتحسينات الكهربائية .

وسوف تأتيك قريباً أجهزة جديدة صنعها فيليبس تفوق ما تقدمها ، فكن على صلة دائماً بوكيل فيليبس للظفر بأحدث المبتكرات فى عالم الراديو .



قريبًا تأتى — أحسن أجهزة

راديو فيليبس

تصميم يزيد من راحة السائق ويوسع مدى بصره

إن جرارات «مينيا پوليس ــ مولين» صممت بحيث تزيد من راحة السائق وتوسع له مدى البصر، وهذا يتيح لها أداء مأموناً، ميسوراً، مهما كان نوع العمل الذى تؤديه فى المزرعة، وفى أى وقت من السنة. إن هذا التصميم الجديد يكفل عملاً أفضل لأن السائق يمكنه دائماً أن يرى ما يعمل، ولأن مقعده يقع خلف العجلتين الأماميتين مباشرة وهو منخفض انخفاضاً مريحاً يزيد الجرارة أمناً فى عملها فى كل وقت.

وقد ابتكرت مؤسسة « مينياپوليس ــ مولين » هذا التصميم منذ أعوام لجعل لجراراتها ميزة تنفرد بها، فتوفر على السائق كثيراً من العناء فتضمن بذلك عملاً أفضل وإنتاجاً أوفر مهما اختلفت الأحوال.

مؤسسة « مينياپوليس ــ مولين » تتيح مجموعات كاملة من جرارات يونيفرسال وستاندرد مختلفة الحجم والطراز كما تنتج الآلات الحديثة التى تسد كل حاجات المزارع تقريباً.



MINNEAPOLIS-MOLINE
POWER EQUIPMENT COMPANY
MINNEAPOLIS 1, MINNESOTA, U. S. A.



قضية السلام

مختصر كتاب : إمرى ريفز

— قالت النيويورك تيمس :

« قد يكون من الخير للعالم أن يقرأ عشرة ملايين أو عشرون مليوناً من الناس كتاب « قضية السلام » ويناقشوه . فإنه بارع بليغ يعالج الواقع كما هو » .

— وتقول الأسوشييتد بريس

« قلّ بين الكتب عن أخطار الحرب ما هو أشد تحريكا للنفس من هذا الكتاب عن احتمالات السلام » .

— وقد نشرت الصحف حديثاً كتابا مفتوحا الغرض منه حث أكبر عدد من الناس على قراءة الكتاب ، بناء على اقتراح المستر أوين ج . روبرتس القاضي السابق بالمحكمة العليا بالولايات المتحدة والمؤلفين المشهورين كارك ومارك فان دورين، وبتوقيع فولبرايت ، وبيبر ، وألبرت توماس أعضاء مجلس الشيوخ ، وألبرت أينشتين ، وتوماس مان ، وممثلى هيئات الصناعة ، والعمال ، والمحاربين القدماء .

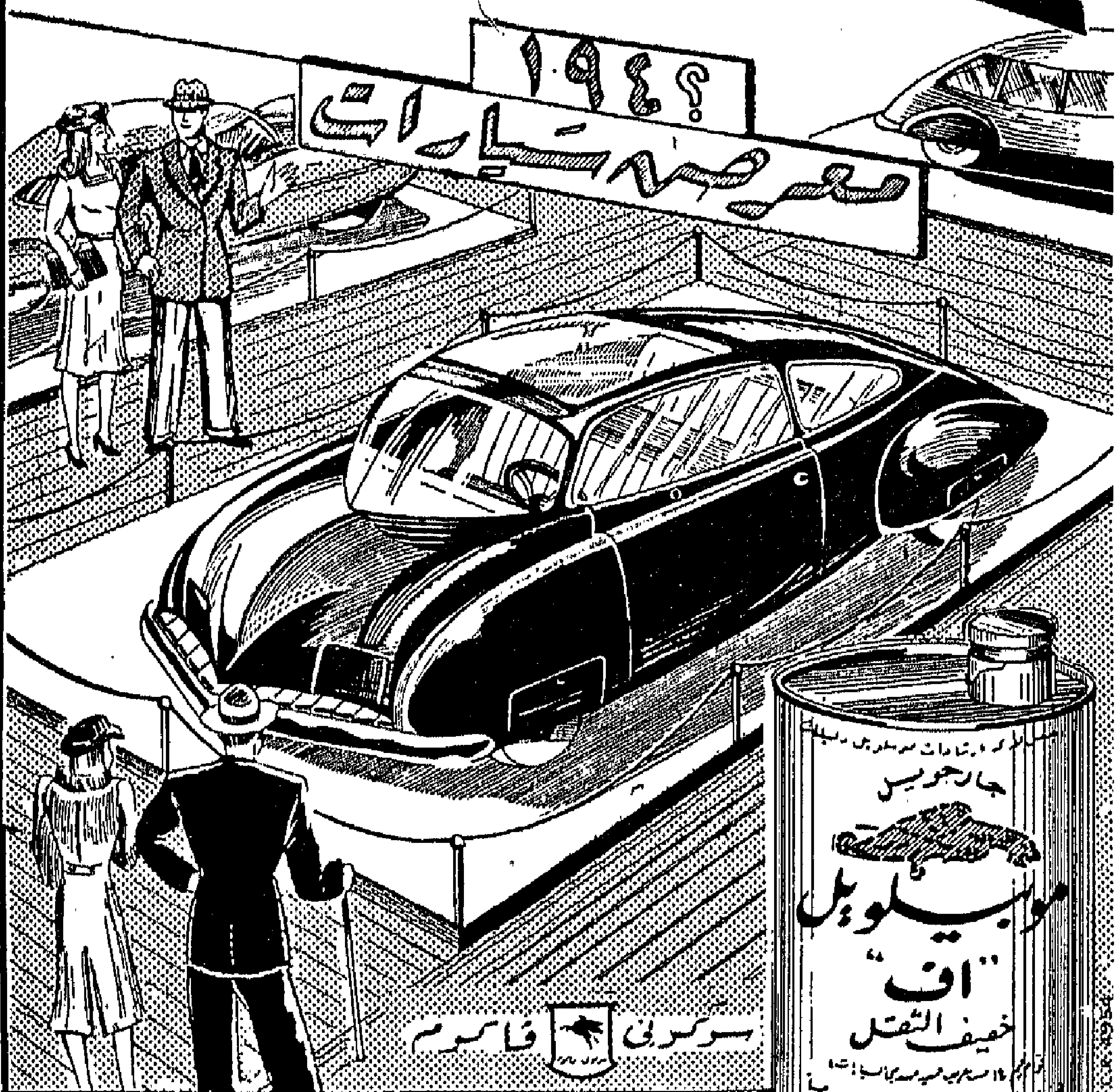
— ومما جاء فى هذا الكتاب :

« ونحن نحث كل امرىء على قراءة هذا الكتاب وتدبر آرائه ، ومناقشته مع الأصدقاء فى المجالس الخاصة وفى المحافل العامة . فإن ما فيه من آراء ، إذا اعتبرنا حقيقة الحرب الذرية ، ذو قيمة عاجلة ملحة ، إلا إذا كانت الحضارة مصممة على الانتحار » .

اقرأ هذا الكتاب " قضية السلام "

فى عدد فبراير سنة ١٩٤٦ من المختار

لحين ظهور السيارات الحديثة



زيوت موبيلويل
تطيل عمر المحركات

البتّ في هذه الشئون الخطيرة، إلى رجل فرد أو إلى جماعة من الرجال مهما بلغت .

وفن الحكم الديمقراطي، كسائر الفنون ، يقوم على أساس واحد هو الاختيار الحر غير المقيد . فالشيء الذي نختاره ونرتضيه ، بعد أن نطلع على الحقائق الصحيحة ، هو الذي يدل على جوهر أخلاق الأمة . وقد ازداد ، فيما أرى ، عدد من يحسن الاختيار ، ثم يوازن بين الشئون المتناقضة، ليحكم حكماً حرّاً . ولا يزال، ثمة مجال فسيح للتحسين، فينبغي أن نبذل كل جهد كيما نزيد ما ينشر من الأنباء والمعلومات الممحصة ، وكيما نزيد ما يعرض من وجوه المسائل على اختلافها وتباينها ، وكيما نحث الناس على أن يبنوا أحكامهم على المنفعة العامة ، دون المنفعة الخاصة .

وهناك مجلة واحدة لا أنقطع عن قراءتها ، هي «ريدرز دايجست» أراها قد أوتيت براعة فائقة في اختيار ما تنشره اختياراً لا تفسده الأهواء ، وفي تقديمه إليّ مختصراً مشوّقاً . وهذا الذي تفعله لا يقتصر على الشئون الدولية وحدها ، بل يشمل أيضاً كل ما يهم الناس . فهي عندي حافز يحبب إلى قرائها فضائل الحياة الديمقراطية ويهديهم إليها .



حسن الاختيار

رأى ستانزد بيكر
مؤرخ وثقة في الشئون الدولية

إن ازدياد عناية الناس ببحث مشكلات العالم بحثاً فيه روية وتدبر ، هو فيما أرى من أبعث البواعث على الرجاء ، فى عالم يخيل إلى أنه قد جنّ جنونه وغلب شرّه على خيره . ففى سنة ١٩١٤ كان علم الناس بالمشكلات العظيمة القائمة فى بلاد غير بلادهم قليلا ، وكان اهتمامهم بها أقلّ . أما اليوم فقد صارت شعوب الدول الديمقراطية أوفر علماً بما يجرى فى بلاد العالم. وقد نشأ فيها رجال يتتبعون شئون الأمم، ومراسلون يشدّون الرحال إلى حواضر العالم ليوافوا قراءهم بأخبارها . وقامت طائفة من الكتاب يعلقون على حوادث الدنيا ويفسرون غوامضها ، وترى ملايين من الناس يصغون إلى نشرات الأنباء المذاعة بالراديو وآراء الخبراء فيها . وقد كتب عدد عظيم من الكتب فى الشئون الدولية، بلغ بعضها أعظم مبلغ من الرواج فى السنوات الأخيرة .

وهذا ، فيما أرى ، أبلغ مثل يدل على نفع الأسلوب الديمقراطى فى الحياة . فترى الحقائق تعرض على الناس ، وترى الحجة تقرع الحجة . وبنيان النظام السياسى الذى نعيش فى ظلاله ، قائم على ركن متين من إيمان شديد بأن الشعب إذا ما اطلع اطلاعاً وافياً على الحقائق ، تيسر له على مرّ الأيام أن يحكم حكما صحيحاً فيما يكون خيراً على المجتمع ، وما يكون شراً ووبيلاً وبلاءً مستطيراً . والشعوب الديمقراطية لا تسلم أمر

[التتمة على الصفحة السابقة]

وطبعته مصر كمقتطف امة مصرية

المختار من ريدرز دايجست

في كل مقالة لذة دائمة

فبراير ١٩٤٦

بعض ما تقرأ في عدد مارس سنة ١٩٤٦

عين واحدة تساوي عينين : طبيبة عيون إنجليزية من الثقات تسرد حقائق تطمئن كلّ من فقد إحدى عينيه.

كن أنت القاضي : كيف تفصل في هذه القضايا القانونية؟ اختبر منطقك ثم قارن بين حكمك وحكم القضاة .

الرجل الذي عامل هتلر : قصة عجيبة عن رجل سويدي ولد في أمريكا ، وكان رئيس الجستابو يثق به ، ووضع الحلفاء اسمه في القائمة السوداء ، ولكن . . .

قف ... وتأمل : ترياق لتوتر الأعصاب لم يزل مهملا ، ومقوٍّ نفسيّ يمهّد لمتع الحياة المتزنة الوافرة .

كنتُ سكيراً : قصة رسالة أنقذت حياة المؤلف ، وعمل الجماعة التي من وراء هذه الرسالة .

قضية السلام : الجزء الثاني من كتاب ، يُعَدُّ مرحلة خطيرة في طريق التفكير الدولي السديد . وقد قال فيه الأديب المفكر « كريستوفر مورلي » : لو أمكن تعطيل الصحف والإذاعة يوما واحداً لكانت مطالعة هذا الكتاب أجدى عمل يعمله الناس .

READER'S DIGEST

(Reg. U.S. Pat. Off. Marca Registrata)

AL MUKHTAR min Reader's Digest — Vol. 5, No. 30, FEBRUARY 1946

تصدر شهرياً في بليزانتفيل ، نيويورك ، بالولايات المتحدة الأمريكية — وتصدر طبعات إنجليزيه ، وأسبانية ، وبرتغالية ، وسويدية ، وفنلاندية ، وعربية — وتصدر دار الطباعة الأمريكية للعميان باوزفيل كنتكي طبعتين للعميان إحداهما طبعة « برايل » وأخرى على « أقراص مسجلة » .

قسم التحرير : رؤساء التحرير — ده ويت ولاس ، ليلى أتشيسون ولاس

سكرتير التحرير : كنيث و . باين ، مدير التحرير : الفريد س . داشيل

قسم الإدارة : المدير العــــام — ا . ل . كول ، المدير المساعد — فرد د . طمسون ،

الطبعة العربية : — التحرير والإدارة : ١٦ — شارع شامبليون بالقاهرة . تليفون : ٥٧٨٩٣

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف

مصر والسودان — ثمن النسخة ٣ قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً صاغاً

فلسطين وشرق الأردن ٣٥ ملاً — العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً

الاشتراك السنوى ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً

الطبعات الدولية — المدير العــام : باركلى أتشيسون

السنة الثالثة
المختار
من ريدرز دايجست
المجلد ٥
العدد ٣٠
كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الايجاز باقية الأثر
فبراير ١٩٤٦

القنبلة الذرية

أينشتين يحدث ريموند سوينج عن رأيه فيها

مختصرة عن مجلة "أتلانتيك منثلي"



إن إطلاق الطاقة الذرية لم يخلق مسألة جديدة ، وإنما جعل الحاجة أمس إلى حل مسألة قائمة. فما دامت هناك أمم ذات سيادة تملك قوة عظيمة ، فإن الحرب لا مفر منها عاجلا أو آجلا . وقد كان هذا صحيحا قبل أن تصنع القنبلة الذرية ، فالذى تغير هو مبلغ التخريب الذى تحدثه الحرب .

وقد يقتل ثلثا سكان الأرض فى حرب تستخدم فيها القنبلة الذرية، ولكن لن تمحى المدنية لأنه سيبقى من القادرين على التفكير، ومن الكتب ، ما يكفى للابتداء مرة أخرى، فيستطاع إعادة المدنية . ولكن الضرورة التى تقضى بمنع هذه الحرب ، واضحة .

ولست أرى أن يباح لروسيا بسر القنبلة ، بل لست أرى أن يباح به لأية دولة ، أو جماعة من الدول ، لأن هذا ، مع ما نحن فيه من فوضى ، ومع خطر الاحتكاك بين الأمم المتنافسة ، لا يؤدى إلا إلى زيادة السرعة فى سباق التسلح ، وهو ما ينبغى أن نقفه إذا أردنا أن نحول دون حرب عالمية أخرى .

إن سر القنبلة ينبغى أن يوكل إلى حكومة عالمية ، وعلى الولايات المتحدة أن تعلن على الفور استعدادها لأن تسلمه إلى حكومة عالمية . وهذه الحكومة تؤسسها الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وبريطانيا العظمى، وهى الدول الثلاث الوحيدة التى لها قوة عسكرية كبيرة . وعلى الدول الثلاث جميعا أن تسلم هذه الحكومة كل ما لها من قوة

عسكرية . وإن اقتصار الأمر على ثلاث أمم ذات قوة عسكرية كبيرة ، جدير بأن يسهل إقامة مثل هذه الحكومة لا أن يصعبها .

ولما كانت أمريكا وبريطانيا تملكان سر القنبلة الذرية دون روسيا ، فإن عليهما أن تدعوا روسيا إلى أن تعد وتقدم المشروع الأول لدستور الحكومة العالمية المقترحة ، وهذا خليق أن يمحو ما يساور الروس من أن سر القنبلة إنما كتم لئلا يقفوا هم عليه . وبديهي أن المشروع الأول لن يكون هو الأخير ، ولكن الواجب هو أن يشعر الروس أن الحكومة العالمية ستكفل لهم الأمن .

وإنه ليكون من الحكمة أن يدور البحث في دستور الحكومة العالمية بين أمريكي واحد ، وبريطاني واحد ، وروسي واحد . وسيحتاجون إلى مستشارين ، ولكن هؤلاء المستشارين يبدون رأيهم حين يسألون . وأنا أعتقد أن ثلاثة رجال يستطيعون أن يضعوا دستوراً يمكن العمل به ، ويقبلونه جميعاً . والأرجح أن ستة رجال أو سبعة أو أكثر يخفقون في مثل هذه المهمة .

وبعد أن تقرر الدول الكبرى دستوراً ، تدعى الأمم الصغيرة إلى الانضمام إلى الحكومة العالمية ، ويجب أن تكون حرة في البقاء خارجها ، وينبغي أن تشعر بأنها آمنة إذا فعلت ، ولكني واثق أنها ستؤثر الانضمام .

وطبيعي أن تخوّل الحق في اقتراح تعديل الدستور ، ولكن الدول الثلاث هي التي يجب أن تنظم الحكومة العالمية سواء انضمت إليها الأمم الصغيرة أم لم تنضم .

وينبغي أن تكون لهذه الحكومة العالمية السلطة في كل الشئون العسكرية ، وسلطة أخرى واحدة ليس إلا هي التدخل في البلاد التي تضطهد الأقلية فيها الأكثرية . وبذلك تخلق ذلك النوع من الاضطراب الذي يفضي إلى الحرب . وينبغي أن تعالج أحوالا كالموجودة في الأرجنتين وإسبانيا ، ويجب أن يكون هناك آخر لفكرة عدم التدخل ، لأن هذا جزء من المحافظة على السلام .

ويجب أن لا تتأخر إقامة هذه الحكومة العالمية إلى أن يتماثل مبلغ الحرية في كل الدول الثلاث الكبرى ، فإنه وإن كان صحيحاً أن الأقلية هي التي تتولى الحكم في روسيا إلا أني لا أرى أن الأحوال الداخلية فيها تهدد سلام العالم . ويجب أن نذكر أن الشعب في روسيا لم يفز بتربية سياسية طويلة ، وأن التغيير اللازم لتحسين الأحوال الروسية كان لابد من أن تقوم به أقلية ، لأنه لم تكن هناك أكثرية قادرة على الاضطلاع بذلك .

وليس من الضروري عند إقامة حكومة عالمية تنفرد بالسلطة العسكرية أن يحدث تغيير في الكيان الداخلي للدول الكبرى

الثلاث . وعلى الثلاثة الذين يضعون مشروع الدستور أن يبتكروا الوسائل التي تجعل النظم الثلاثة المختلفة تلتئم في سبيل التعاون .

وهل تراني أخشى استبداد حكومة عالمية؟ بالطبع أخشى ذلك ، ولكني أشد خوفا من نشوب حرب أو حروب أخرى . وكل حكومة لابد أن تكون سيئة إلى حد ما ، ولكن قيام حكومة عالمية أفضل من ذلك الشر الأعظم الذي تنطوي عليه الحروب الذرية . وإذا لم تقم حكومة عالمية كهذه بالاتفاق ، فإني أعتقد أنها ستقوم على أي حال وفي صورة أشد خطراً ، فإن الحروب ستنتهي بسيادة دولة واحدة وسيطرتها على بقية العالم بقوتها العسكرية الساحقة .

والآن يملك الأمريكيون والبريطانيون سر الذرة ، وعليهم أن يوضحوا بأسرع ما يمكن أنهم لا يحتفظون بسر القنبلة التماسا للقوة ، بل رجاء توطيد السلام بواسطة حكومة عالمية يبذلون أقصى ما في وسعهم لإيجادها .

وأنا أدرك أن هناك قوما يوافقون على أن الحكومة العالمية هي الهدف الأخير ، ولكنهم يؤثرون الوصول إليها تدريجا . ولكن آفة الخطو الوئيد هو أن الأمم التي تملك القنبلة تظل في أثناء ذلك محتفظة بسريتها ، دون أن تقنع من لا يملكونها بما سوّغ كتمان السر . وهذا وحده يخلق المخاوف والشكوك ، وتكون العاقبة أن تسوء العلاقات بين الدول المتنافسة إلى حد خطر . فبينما يظن الذين لا يخطون إلا خطواً وئيداً أنهم يدنون من السلام العالمي ، يكون الواقع أنهم يساعدون على إثارة الحرب التالية . وليس هناك وقت نضيعه في هذه الطريق ، فإذا أريد منع الحرب فإن العمل ينبغي أن يكون سريعا .

وليس من الميسور أن يطول الاحتفاظ بسر القنبلة الذرية . وقد قيل إن دولاً قليلة فقط هي التي تملك المال الكافي لصنع القنبلة ، ولكن جميع الدول التي تملك الموارد والرجال تستطيع أن تصنعها إذا شاءت ، لأن الأمر يتطلب الرجال والموارد والعزم على استخدام ذلك ، لا المال .

ولست أعد نفسي صاحب الفضل في إطلاق الطاقة الذرية ، فقد كان جهدي في ذلك غير مباشر ، بل أنا في الواقع لم أكن أتوقع أن أشهدها في حياتي ، وإنما كنت أعتقد أن هذا ممكن من الناحية النظرية . وإنما أمكن ذلك عملياً بفضل اكتشاف وصل إليه مصادفة « هان » في برلين وهو التفاعل الذرّي المسلسل ، وقد أساء هو فهم ما اكتشف ، وكانت ليز مايتنر هي التي اهتدت إلى التفسير الصحيح وفرت من ألمانيا لتضع ما اهتدت إليه تحت تصرف العالم

الدانمركى نيلز بوهر الذى حمله إلى الولايات المتحـدة .

ولست أعتقد أن عصراً مجيداً للعلم الذرى يمكن تهيئته « بتنظيم » العلم على نحو تنظيم الشركات الكبيرة . فإننا نستطيع أن ننظم تطبيق اكتشاف حدث ، ولكنا لا نستطيع أن ننظم عمل كشف ، وإنما يستطيع الكشف فرد حر . وهل يسعك أن تتصور هيئة من العلماء منظمة تصل إلى الاستكشافات التى وفق إليها داروين ؟

ولست أعتقد كذلك أن شركات حرة كبيرة تصلح أن تكون أمينة على التطور الذرى . ويجب أن تحتفظ الحكومة بالسيطرة على الطاقة الذرية ، لا لأن الاشتراكية مرغوب فيها بالضرورة ، بل لأن الطاقة الذرية حصلت عليها الحكومة . وليس مما يتصور أن يعطى هذا الذى هو ملك للأمة إلى أفراد أو جماعة من الأفراد . أما من حيث الاشتراكية فإنها إذا لم تصبح دولية بحيث تستطيع أن تثمر قيام حكومة عالمية لها السيطرة على كل قوة عسكرية ، فإنها قد تكون أشد استثارة للحروب من الرأسمالية ، لأن تركيز القوة فى ظلها أعظم .

ومن المستحيل أن نتكهن متى يتيسر استخدام الطاقة الذرية فى الأغراض النافعة . والمعروف الآن هو كيف نستخدم قدراً كبيراً إلى حد ما ، من اليورانيوم . وليس فى الوسع أن يتكهن المرء متى يستطاع الوصول إلى استخدام مقادير صغيرة تكفى مثلا لتسيير سيارة أو طيارة . وما من أحد يستطيع أن يتكهن بإمكان الاهتداء إلى مواد أكثر شيوعا من اليورانيوم لاستخدامها فى الحصول على الطاقة . والمفروض أن مثل هذه المواد ستكون عناصر ذات ثقل ذرى عظيم ، وهى قليلة نوعاً ما . فمع أن إطلاق الطاقة الذرية سيكون نعمة كبيرة على البشر ، إلا أن هذا لن يتحقق إلا بعد زمن ما .

وليست لى موهبة البيان الذى يقنع عدداً كبيراً من الناس بإلحاح المسائل التى تواجه الجنس الإنسانى الآن ، والحاجة الماسة إلى حكومة عالمية . ولهذا أنوه بكتاب « قضية السلام » وهو كتاب يمتاز صاحبه بالبصر والوضوح والإيجاز والقوة * .

وليست الطاقة الذرية فى الوقت الحاضر نعمة على البشر ، بل هى نقمة . ولعل هذا من الخير ، فقد تروع البشر وتكرههم على تنظيم شئونهم الدولية ، وهو ما لن يفعلوه إلا بالترهيب والخوف .

(*) باب الكتب فى هذا الجزء من المختار ، صفحة ١٠٥

قصة تشوق الصغار والكبار

أقمارٌ متعدِّدة

جيمس ترېر

مختصرة عن كتاب بهذا العنوان

يحكى أن أميرة صغيرة اسمها لينور كانت تعيش فى مملكة تتاخم البحر، وكانت فى العاشرة من عمرها، وتخطو إلى الحادية عشرة، فأكلت ذات يوم فطيرة محشوة بالفراولة، فبَشِمت، وألزمتها التخمة الفراش.

وجاء طبيب القصر ليراها، فقاس حرارتها وجس نبضها وفحص لسانها، فأدركه عليها القلق، وبعث يطلب أباها الملك ليراها.

قال الملك لابنته: « سآتيك بما يشتهيه قلبك أيا ما كان، فماذا تشتهين؟ »

قالت الأميرة: « نعم، أريد القمر، فإن نلت القمر عوفيت ».

وذهب الملك إلى مقصورة العرش فجذب حبل الجرس ثلاثاً طوالا وأخرى قصيرة، فدخل عليه كبير الأمناء، وكان رجلا ضخما بديناً يلبس نظارات سميكة، جعلت عينيه تبدوان أوسع مما هما فى الحقيقة مرتين، وأضفى هذا على كبير الأمناء مظهراً جعله يبدو أعقل مما هو فى الحقيقة مرتين.

قال الملك: « أريد أن تأتى للأميرة لينور بالقمر، فإنها إن نالته عوفيت، أحضره لها الليلة أو غداً على الأكثر ».

فمسح كبير الأمناء جبينه بمنديل، ثم نثر أنفه فيه بصوت مرتفع ثم قال: « لقد جلبت لك يامولاى طوال عهدى عدداً عديداً من الأشياء، ومن المصادفة أن تكون معى قائمة بهذه الأشياء ». وأخرج من جيبه رَقًّا طويلا، نظر فيه وقال وهو عابس: « دعنى أحصها الآن. لقد أتيتك بالعاج والنسانيس والطواويس واليواقيت وحجارة عين الهرّ والزمرد، وخصى الذئب السود (من زهور الأوركيد) والفيلة الحمر، والكلاب الزرق، وألسنة الطيور الطنانة، وريش الملائكة وقرون الكركدنّ، والمردة والأقزام، وحور البحار، واللبان الذكر والعنبر والمر، ثم برطل من الزبد، وأربع وعشرين بيضة، وغِرارة من السكر

كلا يا مولاى وأنا آسف ، فإن زوجتى هى التى كتبت هذا هنا » .

قال الملك : « لا بأس ، فما أبتغيه الآن هو القمر » .

فقال كبير الأمناء : « القمر محال لا ينال ، إنه يبعد عنا ٣٠٠ر٠٠٠ ميل ، وهو أكبر من مخدع الأميرة ، وفضلا عن ذلك فهو مصنوع من ذوب النحاس ، وليس فى طاقتى أن آتيك به . إن شئت الكلاب الزرق فنعم ، أما القمر فهيهات ! »

واستشاط الملك غضباً فأمر كبير أمنائه أن يخرج من المقصورة ويبعث إليه بساحر القصر . وكان الساحر رجلا ضئيلا نحيلا طويل الوجه ، وعلى رأسه قلنسوة عالية لها عذبة حمراء محلاة بنجوم من فضة ، وعليه طيلسان طويل أزرق موشى بالبوم المذهب ، فلما أخبره الملك أنه يريد القمر لبنته ، وأنه قد اصطفاه ليأتيه به ،انتقع لونه.

قال الساحر : « لقد صنعت لك كثيراً من السحر طوال عهدى يا مولاى ، ومن المصادفة أن يكون فى جيبى سجل لما أتاك به سحرى ، فدعنا نلق عليه الآن نظرة . لقد عصرت لك الدم من اللفت وجعلت الدم لفتاً . وأخرجت الأرانب من قبعات الحرير وقبعات الحرير من الأرانب . وصنعت لك الزهر والدفوف واليمام من العدم برقاى ، وصنعت لك العدم من الزهر والدفوف واليمام. وقد آتيتك باليراع الغوّاص ، والعصى المسحورة ، وأكر البلور تستشف فيها المستقبل ، وحبوتك بالمزيج الذى صنعته بيدى من خانق الذئب (نبت سام) وعنب الثعلب (نبت سام) ودمع النسور ، ليذود عنك الشياطين والنفاثات فى العقد ، وما هب أو دب فى الظلام . وقد منحتك بساط الريح واللمسة التى تحيل ما مست إلى ذهب ، والطيلسان الذى يخفى لابسه عن الأبصار ».

قال الملك : « إن هذا الطيلسان المسحور لم ينفع فتيلا . فقد كنت أتعثر بكل شيء . كما كنت قبل أن أرتديه » .

فقال ساحر القصر : « إنما أردت بالطيلسان أن يخفيك عن الأبصار ، لا أن يقيك العثار » ثم عاد ينظر فى السجل ويقول : « وقد جلبت لك الأبواق من أرض العفاريت ، والرماد المنوم من بلاد النوم ، وجئتك بالذهب من قوس قزح . وفضلا عن ذلك جئت ببكرة خيط وورقة إبر ، وقطعة من شموم العسل . كلا وأنا آسف يا مولاى ، فهذه أشياء كتبتها زوجتى كى آتيها بها » .

قال الملك : « إن ما أبتغيه منك الآن هو أن تجيئنى بالقمر ، فإن الأميرة لينور تريد القمر ، فإن نالته تماثلت للشفاء » .

فقال ساحر القصر : « ليس فى مقدور أحـد أن يأتى بالقمر ، فإنه يبعد عنا ١٥٠,٠٠٠ ميل ، وهو مصنوع من الجبن الأخضر ، وهو أكبر من هـذا القصر ضعفين » .

وعاد الملك فاشتعل غضباً ، وأمر الساحر أن يعود إلى كهفه، واستدعى حاسب الملك، وكان أصلع قصير النظر ، على رأسه قلنسوة وعلى أذنه قلم .

قال له الملك : « لا أحب أن تتلو على من سجلك الطويل كل ما حسبت لى منذ سنة ١٩٠٧ ، لكنى أريد أن تقدر لى الساعة كيف تأتى بالقمر للأميرة لينور » .

قال حاسب الملك : « سرنى ذكرك يا مولاى لما حسبت لك منذ سنة ١٩٠٧ ، فمن المصادفة أن يكون سجله معى . إنى حسبت لك بعد ما بين الحيص والبيص ، والليل والنهار ، والألف والياء ، وعلمتك مدى « فوق » وغاية « هنـاك » ومصير ما مضى ، واكتشفت لك طول غول البحر وثمن مالا ثمن له ، ومسطح فرس النهر ، وإنى لأعلم أين تكون حين تضرب الأخماس بالأسداس ، وأعرف كم مفرداً فى الجمع ، وكم من الطيور تستطيع أن تصيده بما فى البحر من أملاح ، وعددها إن كنت تحب أن تعرف ١٨٧,٧٩٦,١٣٢ » .

قال الملك : « ليس فى الدنيا هذا العدد من الطيور . وأيا ما كان الأمر، فإن القمر هو بغيتى الآن » .

قال الحاسب : « إن القمر يبعد عنا ٣٠٠,٠٠٠ ميل ، وهو مستدير ومسطح كقطعة النقد ، ولكنه مصنوع من الحرير الصخرى ، وجرمه كنصف هذه المملكة . وفضلا عن ذلك فهو لاصق بالسماء ، وما من أحد يستطيع أن يأتيك به » .

وتلظى الملك غضباً من جديد وطرد حاسب القصر ، واستدعى مضحك البلاط ، فجاء يحجل إلى مقصورة العرش بطرطوره وجلاجله ، وجلس تحت قوائم الكرسى .

« ماذا أستطيع أن أصنع فى مرضاتك يا مولاى ؟ »

قال الملك وهو محزون : « إن الأميرة لينور تريد القمر ولن تبرأ حتى تناله ، ولكن ما من أحد يستطيع أن يأتيها به . وما سألت أحداً أن يأتينى بالقمر إلا رأيته يزيده ضخامة وبعداً . أما أنت فما تستطيع أن تصنع لى إلا أن تعزف لى لحناً محزناً على قيثارك » .

فسأله مضحك البلاط : « وما الذى قالوه عن حجم القمر وعن بعده ؟ »

قال الملك : « يقول كبير الأمناء إنه يبعد ٣٥,٠٠٠ ميل، وإنه أكبر من مخدع الأميرة.

ويقول ساحر القصر إنه يبعد ٠٠٠ر١٥٠ ميل ، وإنه أكبر من هذا القصر ضعفين . ويقول حاسب القصر إن بعده ٠٠٠ر٣٠٠ ميل وإن حجمه نصف حجم هذه المملكة» .

وعزف مضحك البلاط على قيثاره لحظة ثم قال : « كلهم ذوو حكمة وعقل ، وإذن فينبغى أن يكونوا على حق ، وإذا كانوا على حق فيجب أن يكون القمر من حيث جرمه وبعده على مقدار ما يقدر كل إنسان . فعلينا أن نعرف كيف تقدر الأميرة حجمه وبعده » .

قال الملك : « لم يخطر لى ذلك قط على بال » .

« سأذهب فأسألها يا مولاى » .

وفرحت الأميرة لينور لرؤية مضحك البلاط ، ولكن وجهها كان شديد الشحوب وكان صوتها بالغ الضعف .

سألته : « أجئتنى بالقمر ؟ »

قال مضحك البلاط : « لم أفعل بعد ، ولكنى سآتيك به الساعة . ما حجم القمر فيما ترين أنت ؟ »

قالت : « هو أصغر من ظفر إبهامى بقليل ، فهو يكاد يستره حين أرفعه فيكون بينى وبينه » .

فسألها مضحك البلاط : « وما بعده هناك فيما تقدرين ؟ »

قالت الأميرة : « إنه ليس أبعد من تلك الشجرة الضخمة التى تجاور نافذتى ، فهو يعلق بأغصانها العليا فى بعض الأحيان » .

قال مضحك البلاط : «سأتسلق الشجرة الليلة عندما يعلق القمر بأغصانها العليا وآتيك به » ثم ذهب فكره إلى شىء آخر فقال : «ومن أى شىء صنع القمر يامولاتى؟»

قالت : « أف لك ، إنه من الذهب أيها الأبله » .

وذهب مضحك البلاط إلى صائغ القصر فأمره أن يصنع قمراً صغيراً من الذهب أصغر من ظفر إبهام الأميرة لينور بقليل ، وأن يعلقه فى سلسلة من الذهب تستطيع الأميرة أن تقلد بها جيدها .

وقال صائغ القصر : « ترى ما هذا الذى صنعته ؟ »

قال مضحك البلاط : « لقد صنعت القمر ، وإنه هو بعينه » .

قال صائغ القصر : « ولكن القمر يبعد ٠٠٠ر٥٠٠ ميل وهو مصنوع من الشَّبَه على هيئة كرة من الزجاج » .

فقال مضحك البلاط : « ذلك ما تتصور » وتركه وانصرف وهو يحمل القمر .

وذهب بالقمر إلى الأميرة فاستخفها الفرح ، وأبلّت فى اليوم التالى ، واستطاعت أن تخرج إلى حدائق القصر لتلعب .

ولكن الملك رأى أن القمر سيعود

الليلة فيتلألأ فى السماء ، ولو رأته الأميرة لأدركت أن القمر المعلق فى قلادة جيدها قمر مزيف . فقال لكبير الأمناء : « يجب أن نحول بين الأميرة وبين رؤية القمر الليلة ، فانظر ماذا ترى ؟ »

ونقر كبير الأمناء على جبينه بأنامله ثم قال : « نصنع لها نظارة زجاجها أسود ؟ »

فتميز الملك غضباً وقال له : « لو لبست الأميرة نظارة سوداء لما أمنت العثار ، ثم تعاودها العلة » . فاستدعى ساحر القصر فركع له وسجد ثم استوى قائماً وقال :

« إنى أعرف ما يجب أن نصنع . لننشر ستاراً من المخمل الأسود على عمد ، تغطى حدائق القصر كلها كأنها خيمة » .

وبلغ الغضب بالملك حتى حرك ذراعيه وقال : « إن الأستار السود تمنع الهواء فتعاودها العلة » ، ونادى حاسب القصر .

وجاء حاسب القصر فجعل يمشى ويدور ثم يمشى مستقيما ثم يعوج ، ثم وقف لا يتحرك وقال : « لقد وجدتها ، فلنطلق الصواريخ فى حديقة القصر كل ليلة ، ولنجعل فيها عدداً من النوافير تمج من أفواهها الفضة ، وأسهما من نار ترمى بالذهب ، فإذا انطلقت كلها ملأت السماء لهبا وجعلت الليل كضوء النهار ، فلا تستطيع الأميرة أن ترى القمر » .

واشتد الحنق بالملك حتى أخذ يقوم ويقعد ثم قال : « إن الصواريخ سترد النوم عن الأميرة فتمرض ثانية » ثم طرد الحاسب .

فلما صعد بصره فى جو السماء رأى الليل قد أرخى سدوله ، وبدا حاجب القمر يطل من الأفق فوثب من مجلسه مذعوراً ، ونادى مضحك البلاط فقال له « اعزف لى لحناً شجياً مبكياً ، فهذه الأميرة سوف تعود مريضة حين ترى القمر » .

وأخذ مضحك البلاط يعزف على قيثاره ، ثم سأله : « ما الذى قال حكماؤك يامولاى ؟ »

قال الملك : « لقد أعياهم أن يجدوا حيلة تحجب القمر حتى لا ينتاب الأميرة المرض » .

فعزف مضحك البلاط أغنية أخرى رخيمة ، ثم قال : « مادام حكماؤك يامولاى قد عجزوا عن أن يحجبوا القمر ، فتلك آية على أن القمر لا يمكن أن يحجب . ومع ذلك فمن ذا الذى علمنا كيف نأتى بالقمر ؟ إنها الأميرة لينور ، فالأميرة إذن أعلى رأياً من كل رجالك الحكماء ، وهى تعرف من أمر القمر ما لا يعرفون ، فدعنى أسألها يا مولاى » وقبل أن يحبسه الملك عن الخروج تسلل من مقصورة العرش ، وارتقى السلم الواسع المصنوع من المرمر ، الذى يؤدى إلى مخدع الأميرة لينور .

كانت الأميرة راقدة فى فراشها يقظى ، وهى ترمق القمر المضىء فى السماء ثم ترد

بصرها إلى القمر المضيء في يدها والذي جاء بها به مضحك البلاط ، وكان على وجهه مسحة الحزن والأسى ، وفي عينيه دمع يترقرق .

وقال بصوت حزين : « نبئيني يامولاتي : كيف يكون القمر في السماء يتلألأ وها أنذا أراه يتدلى من قلادة في جيدك ؟ » .

فنظرت إليه الأميرة ضاحكة ثم قالت : « ما أيسر هذا أيها الأبله ! إني إذا ماخلعت سناً نبتت لي مكانها سن جديدة ، أليس كذلك ؟ وإذا قطف البستاني زهراً من البستان ، أليس يحل محله زهر جديد ؟ »

قال مضحك البلاط : « لقد كنت خليقاً أن أدرك هذا ، فهو نفس ما يحدث لضوء النهار » .

قالت الأميرة : « وهو نفس ما يحدث للقمر ، بل إني لأحسبه نفس ما يحدث لكل مخلوق » وأخذ صوتها يخفت حتى خفي ، فعرف مضحك البلاط أنها نامت ، فلفها في غطائها مترفقاً .

ولكنه قبل أن يغادر المخدع يمم شطر النافذة فغمز للقمر بعينه ، إذ خيل لمضحك البلاط أن القمر يغمز له بعين وحاجب !



غازل كلَّ امرأة تلقاها ، فإن لم تصب إلاَّ في خمس مرَّات من مئة ، فحسبك بما نلت ربحا .

[يوميات أرنولد بنيت]



الجزع قتال

يروي العرب أن « الوباء » لقي قافلة في طريقها إلى بغداد ، فسأله شيخ القافلة : وفيم أنت مسرع إلى بغداد ؟

فقال الوباء : لأحصد ٥٠٠٠ نسمة .

فلما قفل الوباء راجعاً من المدينة ، لقي القافلة مرة ثانية ، فقال الشيخ ساخطا : إنك خدعتني ، فقد حصدت خمسين ألفا بدلا من خمسة آلاف !

فقال : كلا . لم أحصد سوى خمسة آلاف ، أما الجزع فهو الذي قتل البقية .

[موريس دوهامل في كتابه « إننا لا نخاف »]

« لماذا تكون فريسة لاختلاف شعورك؟
إليك طريقة لتحويله إلى خيرك »

علة الابتهاج والاكتئاب

ميرون ستيرنز • مختصرة من مجلة "رد بوك"

يعرف علماء النفس من سنين، كما تعلم أنت، أن الناس تختلف استجابتهم فى الأيام المختلفة للأمر الواحد. ففى يوم يكون الرئيس منشرح الصدر، فلا تثقل عليه الأخطاء الصغيرة التى تقع فيها سكرتيرته، وفى أيام أخرى يجب أن يكون عملها بالغاً غاية الإحكام وإلا صب عليها حام غضبه. وكل أم تعرف أن ابنها يكون فى بعض الأيام عطوفاً مطيعاً، وفى بعض الأيام الأخرى يبدو كأنما ركبه عفريت. ويكون زوجك ذات صباح مرحاً يغنى فى الحمام، وأحياناً يكون متجهماً.

وانتقال الحال بالإنسان من الابتهاج إلى الكآبة أمر مألوف. وأنت تسلم بأنه إذا ساء حظك، ساءت حالتك النفسية، وأن النبأ السار يرفعك إلى الذروة. وأنت على يقين من هذا.

ولكن العلم يجيء الآن فيقول لك إنك مخطىء، فإن الدكتور ريكسفورد ب. هيرسى بجامعة بنسلفانيا، وقد ظل يدرس الارتفاع والهبوط فى المشاعر الإنسانية أكثر من سبعة عشر عاماً، قد وجد أن ارتفاع الحالة النفسية وهبوطها يتواليان بانتظام يكاد يكون كانتظام المد والجزر. وأن الظروف الخارجية إنما تقدم أو تؤخر قليلا هذه الفترات المنتظمة للابتهاج أو الكآبة. فالخبر الطيب لا يرفعك من وهدة الكآبة، وإنما يتيح لك نشوة وجيزة. وعلى العكس من ذلك يكون النبأ السيء أقل ابتعاثاً لك على الكآبة، إذا كانت حالتك الشعورية « عالية ». وبعد نحو ٣٣ يوماً من ارتفاع حالتك النفسية الخاصة أو هبوطها، تلفى نفسك على الأرجح فى مثل هذه الحالة، لأن هذا هو الطول الطبيعى « للدورة الشعورية » الإنسانية.

وقد أدى بحث الدكتور هيرسى فى خير أحوال العمل فى مصانع الإصلاح للسكك الحديدية، إلى الاهتداء إلى الدورات الشعورية فى سنة ١٩٢٧، فقد جعل يختبر أحوال ٢٥ من العمال فى هذه المصانع أربع

مرات فى اليوم ، وظل على هذا أكثر من عام ، ووضع رسوماً بيانية اعتمد فيها على ما يقولون وكيف يعملون ، وأحوالهم الصحية ، والنفسية .

وسرعان ما أدهشه أن يجد أن الرسوم صارت متشابهة . ففى أسبوع من كل فترة ، يكون كل عامل أسوأ من حيث الحالة النفسية منه فى بقيتها . ووجد أن الفترات مطردة على نحو عجيب . وبين نقط الهبوط يوجد ارتفاع إلى حالة نفسية عالية نسبياً .

وقد فقد رجل ذراعه فى حادثة سيارة ، ووافق ذلك فترة الابتهاج عنده ، فكان فى الأسابيع الأولى فى المستشفى مرحاً . وكان يقول : « ليس فى الوسع أن تبقى رجلا كفؤاً فى الحضيض ، وربما استطعتُ الحصول على عمل يكون خيراً مما كنت فيه » .

وقد جرى الأمر على هذا النحو تماماً ، فلما عاد إلى العمل أسندت إليه وظيفة مشرف وزادت سلطته وأجره عما كان له من قبل ، ولكن نفسه كانت قد تحولت إلى الهبوط ، فبدلاً من أن يسره ما فاز به ، بلغ من انكسار نفسه أن فارق خطيبته ، وهى فتاة جذابة كانت تحبه حباً صادقاً وقال : « إنها ستندم ، فما زادت على أن كانت تعطف علىّ » .

وقد زعم عامل ميكانيكى كهل أنه ليس عرضة لتغير الحالة النفسية ، وكان يقول : « إنى مرح دائماً » ، ولكن رسم الدكتور هيرسى دل على أنه فى كل أسبوع خامس تقريباً يكون أكثر نقداً لرؤسائه ، ويأبى أن يمازح رفقاءه ، وينفر من الكلام مع أى إنسان .

وكان العمال ، بلا استثناء تقريباً ، لا يفطنون إلى أى تغيير خاص فى أنفسهم ، وكانوا يظنون أن الأحوال الخارجية هى التى يرجع إليها ما يعروهم . وكان السبب فيما يحسون من سوء حالتهم النفسية يبدو لهم دائماً قريباً ومعقولا ، فهو مثلا كان سيء النوم فى ليلة ، أو حدث بينه وبين زوجته خلاف ، أو كان الجو رديئاً .

وأراد هيرسى أن يتوسع فى فهم الأسباب التى تدعو إلى تغيير حالتنا النفسية ، وكيف نحسن استخدام هذا المد والجزر الدائمين ، فأقبل على نفسه يدرس فترات ابتهاجه وانكسارها بتفصيل وافٍ .

فما لبث أن وجد أنه فى فترات الانكسار يكون أكثر تدقيقاً وأسرع انفعالا ، وأشد زهداً فى الكلام مع الناس . وقد رتب أمره بحيث ينصرف فى فترات الاكتئاب إلى البحث ، ويجتنب كل ما يحتاج إلى الثقة بالنفس . أما فترات الابتهاج فجعلها للاستشارات والمحاضرات .

ثم أجرى فحصاً طويلا عن حالته الجسمية ،

ليقف على القواعد الطبيعية لما يعتريه من التغير الشعورى . واستعان بالدكتور ميشيل . ج . بنيت ، الإخصائى فى الغدد الصم بمستشفاه فى فيلادلفيا ، فجعله يفحص عنه فحصاً دقيقاً كل أسبوع مدة عام .

فوجد أن العمل والإفراز فى غدته الدرقية وغدته النخامية وكبده وغيرها يختلفان اختلافاً بيناً بين أسبوع وأسبوع ، وأن عدد كريات دمه الحمر ومادة الكولسترول فى الدم ، لها دورات نشاط خاصة بها ، وأن إفراز الغدة الدرقية ، وهى التى يرجع إليها أكثر مما يرجع إلى سواها نظام « الدورة الشعورية » ، يتحول من الانخفاض إلى الارتفاع ، ثم يكر راجعاً فى مدة تتراوح بين أربعة أسابيع وخمسة أسابيع . وقد استقر رأى هيرسى وبنيت على أن كل العوامل المختلفة توجد دورة « طبيعية » يختلف طولها من ٣٣ إلى ٣٦ يوماً .

وهذه الدورة الشعورية فى أساسها ، عبارة عن إنتاج عام للنشاط واستخدامه ، ولكن إنتاج النشاط واستخدامه لا يسيران متحاذيين تماماً . فنحن أولا ننتج تدريجاً من النشاط أكثر مما نستنفد ، فنزداد ابتهاجاً ونصبح أكثر نشاطاً وأقوى روحاً . ومن هنا نروح نستهلك من النشاط أكثر مما ينتج كياننا ، ويظل الحال كذلك إلى أن يحدث استنفاد النشاط الزائد عن الحاجة ، رد فعل . فنهبط هبوطاً حاداً فى الأغلب ، ونشعر بالتعب والاكتئاب وضعف الأمل .

ونحن نشعر مدة ما بأننا على خير حال . وفى الذروة ، بعد أن تأخذ فى النقصان ذخيرتنا من النشاط الذى أنتج لخير الأحوال . وعلى العكس نشعر بالانكسار مدة ما ، بعد أن تكون عملية الإنتاج قد استؤنفت . فحين يكون كل شىء داعياً إلى اليأس ، نكون فى الواقع قد درنا وأخذنا بأسباب النشاط .

وتوسع الدكتوران هيرسى وبنيت فى درس الناس وملاحظتهم ، فانتهيا إلى أن الاختلافات التى تطرأ على دورة الثلاثة والثلاثين يوماً راجعة على الأكثر إلى نشاط غير مألوف فى الغدة الدرقية . فإذا كانت غدتك الدرقية بالغة النشاط ، فإن دورتك قد تقصر إلى ثلاثة أسابيع ، وإذا كانت غدتك الدرقية قليلة الإفراز ، فإن دورتك قد تكون أطول من المتوسط بعدة أسابيع . وقد لاحظ هيرسى أن دوراته الشعورية تميل إلى الطول مع ارتفاع سنه . وهو يقول إنها الآن أطول بثلاثة أيام مما كانت قبل عشرة أعوام .

ولا يبدو أن هناك فرقاً فى طول الدورة

بين الرجال والنساء ، ولكن النتائج فيما يتعلق بالمرأة تضطرب من جراء دورة الحيض التي تحدث هي أيضاً تغيراً في الحالة النفسية. فإذا اتفق وقت الهبوط الناتج عن دورة الحيض ووقت الهبوط الناتج عن الدورة الشعورية الأساسية، فقد تنشأ حالة سيئة من الاضطراب العصبي أو القلق. ويعتقد هيرسى وبنيت أن كثيراً من حوادث الطلاق التي لم تكن تدعو إليها ضرورة ، وقعت في مثل هذا الوقت .

وفي وسعك أن تدرك مبلغ خطر هذه الحقائق فيما يتعلق بك شخصياً ، فأنت تستطيع أولا أن تلطف من سوء الوقع الذي تحسه لأية صدمة وقتية ، أو أي قلق تحسه من ناحية المستقبل، حين تكون مكتئباً أو منكسراً، وذلك بأن تدرك أن اكتئابك قد يكون طوراً طبيعياً جداً لا يلبث أن تتلوه أيام أو أسابيع أكثر طولا من الاستبشار والثقة . فإنه مهما يبلغ من سوء الحالة في نظرك ،فإنه لا مفر لك من أن تحس أنك أصبحت أحسن حالا وأطيب نفساً .

ثم أنك تستطيع أن تجعل بالك إلى دوراتك الشعورية، لتعرف متى تكون فترات الابتهاج والانكسار ، وما عليك إلا أن تضع على التقويم علامة على الأيام التي تشعر فيها بالابتهاج أو الاكتئاب غير العادي . وأيام الاكتئاب أدق دلالة من فترات الابتهاج، لأن فترات « السعادة » أطول في العادة ، أما فترات الانكسار فينـدر أن تزيد على بضعة أيام أو أسبوع ، وهي في العادة تجيء بانتظام .

وبعد أن تعرف متى تنتظر أن تعروك فترات المد والجزر في شعورك ، يسعك أن تنتفع بذلك فترتب عمالك بعقل وحكمة . ففي فترات الابتهاج يرجح أن تنشطك الأعمال الصعبة ، أما في فترات الانكسار فيرجح أن تنهزم أمامها وتتضعضع، وقد تجد نفسك قادراً ، بعد شيء من التجريب ، على إفراد فترات النشاط للأعمال العسيرة الإنشائية ، أما عند هبوط الدورة ، فإن قدرتك على الملاحظة والتنسيق والتذكر تكون أقل ، وتكون أنت أكثر تعرضاً للخطأ أو الحوادث . وهذا هو الوقت الذي تحتفظ به للعمل السهل المملّ .

وثم خطر عظيم هو أنه في فترة الهبوط تبدو الأزمات الصغيرة ذات شأن ليس لها ، وفي هذا يقول الدكتور هيرسى: « احرص على أن لا تدع الهموم الهينة تتجسم، لا لسبب سوى أنك تشعر بانكسار » .



« ظل النفوذ الروسى يمتد غرباً ، ويمثله هذا الداهية المتوقد الذى يحكم اليوم يوغوسلافيا »

تيتو :
صورة من صميم الحياة

تمبل فيلدنج

مختصرة من مجلة "هاربرز"

كتب عن تيتو لغو كثير وهراء ، وأغلبه من تلفيق صحافة أحزاب اليسار التى تريد بدهاء أن تستغل هوى النفوس إلى قصص الفروسية الرائعة، فتروى لقرائها أساطير عن ثوار شجعان ، يتدفقون من قمم الجبال ، ثيابهم رثة ، تبرق من بين أسنانهم الخناجر، يجاهدون فى سبيل تحرير وطنهم العزيز يوغسلافيا . وأكثر هذا باطل وتدليس .

ولدينا ثلاث حقائق واضحة كل الوضوح هى : الرجل ، وماضيه ، وبرنامجه .

أما الرجل فهو جوزيب بروز تيتو مارشال يوغسلافيا ، والقائد الأعلى لجيش تحرير الوطن ، والسكرتير العام للحزب الشيوعى ، وهو يتلهب همة ونوقداً ، ولا يضاهيه فى نشاطه سياسى آخر فى البلقان ، وله شخصية ساحرة جذابة ، فهو يبتسم ، ويروى لك نادرة مضحكة ثم يصافحك ، ثم يسحرك حديثه فإذا بك ترى الأحمر قد انقلب أمام عينيك بياضاً . ولقد قضيت فى مقر قيادته بضعة أسابيع ، وراقبته وهو يتحدث إلى كبار زواره من الإنجليز والروس والأمريكيين ، فلم أر سحره يخيب مرة واحدة .

ولما ذهبت إلى الجبال توقعت أن أقابل جلفاً جافياً من قطاع الطريق أو من عصابات الثوار ، فإذا بى أرى رجلا نبيلا من هيئة أساتذة الجامعات لا تنقصه نظاراتهم الكبيرة . وهو فى الثالثة والخمسين من عمره ، ربعة مفتول العضل ، رخيم الصوت أنيق الحركة ، مهذب الإشارة — يتضرم فى عينيه الزرقاوين حب الاستطلاع ، وتتهافت حلقات من شعره الأشهب على أذنيه ، يعده أمثالنا فى حاجة دائمة إلى الحلاق .

وأغلب صوره التى نشرت دعاية له ،

فتى الصائغ تمبل ه . فيلدنج ، أشهراً كثيرة فى يوغسلافيا عضواً فى البعثة الأمريكية الحربية المستقلة ، فعرف تيتو وشعبه معرفة وثيقة .

تظهره فى سحنة الرجل الفعّـال فى جدّه وتجهمه وقسوته ، والواقع أن ابتسامه أكثر من عبوسه ، وله سحر يسرى ويسبى القلوب ، وهو يحب أن يمزح ولكنه خشن الدعابة . ودعيت مرة إلى مأدبة رسمية ، فلما ذهبت أجلس خرّ الكرسى من تحتى ، وإذا بى أهوى وأنحط على الأرض . فأخذ تيتو يقهقه بملء فيه ، كأنه يشهد أحد أفلام ميكى ماوس .

وهو أبعد ما يكون عن التقشف والزهد ، فهو يحب الطعام حب النهم ، ويغرم بالخمر غرام المدمن ، فتراه فى الظهر كما فى نصف الليل يعب عباً فى نبيذ قوى شائع فى يوغسلافيا ولا يؤثر فيه ، وهو إذا شرب تحية الجليس رفع كأسه وقال : «على جرعتين» فلا يكون لصحبه مفرّ من أن يجاروه . وهو يسرف فى مآدبه ، ويحسن اختيار ألوان الطعام ، وترى مائدته وهو فى أغوار الجبال تضارع مآدب كبار أغنياء المدن ، فصحونها الصينية الفاخرة قد نقش عليها اسمه ، وهو لم يشترها بلا ريب ، بل صادرها .

أما ملابسه الرسمية فأنيقة ولكنها بغير أبهة ، وعلى جانب صدره الأيسر وسام يلمع أنعم به تيتو على تيتو وعلى الجانب الأيمن النجمة الفضية لوسام سوفوروف السوفيتى .

ويمشى فى ركابه دائماً ضباط حرسه الخاص ، وأولجا . أما هؤلاء الضباط ففتيان من الثوار شفاههم رقيقة ، يذكرونك بالأشرار فى الأفلام البوليسية . أما (أولجا نينشتش هومو) فهى مترجمته الخاصة ، وكيفى . وهى امرأة وهنانة غيداء شامخة الأنف ، لا تخفى ازدراءها للإنجليز والأمريكيين ، فهى لا تترجم إلا ما تراه هى جديراً بأن يسمعه تيتو . أما زوجة تيتو الثانية واسمها هيرتا فهى قروية من سلوفينيا ، ولا تعيش معه فى مقر قيادته .

ويحاول تيتو أن يتصنع الجهل باللغة الإنجليزية ، وهو طلق اللسان إذا تحدث بأى لغة من اللغات الأربع أو الخمس الأخرى التى يحسنها أكثر من الإنجليزية ، ولكن يفهم من الإنجليزية أكثر مما يقرّ به . وحدث ذات مرة ، بعد أن أفرغنا فى أجوافنا ثلاث كؤوس من ذاك النبيذ ، أن همس ضابط أمريكى باللهجة الدارجة فى بلاده ، ينتدر بهذا الشراب القوى ، فما كان من تيتو الذى لم نكن نظن أنه يعرف تلك اللهجة الدارجة ، إلا أن اندفع يضحك مقهقها .

فإذا سمعته يخطب أنكرت خطابته ، فصوته رفيع أغن ، ولكن حماسته الفياضة تتغلب على هذه العيوب ، فهو إذا خطب فتن الجماهير حتى يجن جنونها .

وتيتو يحيط نفسه وحياته الأولى بالكتمان ،

وهــذه نبذ تصور لك صورة عامة لحقيقة أمره :

ولد جوزيب بروز في مقاطعة كرواتيا التابعة اليوم ليوغسلافيا ، وأبوه حــداد ، وأمه قروية ، وكلاهما أميان . وفي سنة ١٩١٤ جنــد في جيش النمسا والمجر ، ولكنه ما لبث أن فر إلى الروس ، فلما أبى أن يحارب في سبيل قيصر روســيا أرسل إلى معتقل في سيبريا ، ثم أطلق البلاشفة سراحه في سنة ١٩١٧ ، فانضم إليهم ، ومكث ثلاث سنوات يتدرب على حرفة خطيرة — هي حرفة الثورة .

وبرهن تيتو على حسن استعداده لهذه الحرفة ، وفطن الروس من فورهم إلى مقدرته ، فأرسلوه فيما بين ســنة ١٩٢٠ و ١٩٢٣ إلى المدرسة السرية في موسكو حيث يتلقى الطالب الأجنبي (وقوميسار المستقبل) أصول التخريب والثورة على الحكومات الرأسمالية . ولما بلغ الثانيــة والعشرين كان قد وعى دروسه واشتدت قناته ، فعاد إلى كرواتيا وصار زعيم اتحاد عمال المعادن ، وأثار الهيــاج بين رجال السكك الحديدية ، فأدخــلوه السجن في بلغراد . ثم أطلق سراحه بعد خمس سنوات وهو أصلب عوداً وأشــد حقداً ، وأرسخ إيماناً بأن أعداء الشيوعية يجب أن يهلكوا .

وأخذ يبث الدعاية سراً للشيوعية ، وأصبح معروفا باسم تيتو ، وهو الاسم المقابل في اللغة الصربية الكرواتية لاسم الإمبراطور الروماني تيتوس .

ثم تمضي بعد ذلك ١٣ سنة لا نعلم عنه فيها شيئا . وتقول بعض الروايات إنه كان عضواً بارزاً في الكومنترن ، وأكبر رسول لستالين في البلقان . وهم يكذبون الآن هذه الرواية ، وهذا التكذيب له دلالته عند من يتدبرون الحقائق ، فإن الجواسيس التابعين للجيش الروسي تشرف عليهم هيئة سرية بلغ من تكتمها أن الكومنترن ذاته لا يعلم عن أمورها شيئا . ومن الثابت أن « بروز » كان من كبار دعاة الشيوعية ، ومن الثابت أيضا أنه لم يكن معروفا في الأوساط الشيوعية المعروفة . ومعنى هذا أنه كان جاسوساً لروسيا السوفيتية . ويعترف تيتو بأنه سافر إلى روسيا السوفيتية سراً مراراً كثيرة فيما بين سنة ١٩٢٩ و ١٩٣٩ .

وهاجم هتــلر يوغسلافيا في ٦ إبريل ســنة ١٩٤١ ، فهبت إلى السلاح مئات الألوف من أنصار حركة المقاومة لصد الغزاة ، أما تيتو وأنصاره من الشيوعيين فلم يحركوا ساكنا ، ولــكن هؤلاء الأنصار هبوا إلى القتال بعد ذلك بشهرين يوم هجمت ألمانيا على روسيا . ويفسر تيتو هــذا التوافق

العجيب بأنه من قبيل المصادفات البحتة، ويعلل التأخير بأنه من الضرورات الحربية، لأنه فيما يزعم لم يكن حتى يومئذ قد استكمل عدته.

وتمزقت يوغسلافيا شيعاً وأحزابا، فهناك أشياع الجنرال ميخائيلوفتش، وحكومة خائنة موالية للألمان يرأسها الجنرال نيدتش، فجمع الأنصار كل قوتهم وسعوا إلى التغلب على بقية الشيع والأحزاب.

وجاس دعاتهم خلال الديار فى أنحاء المملكة كلها وهم يتخفون فى زى الوكلاء التجاريين، والقساوسة وأبناء القرى وربات الدور، واستعانوا بالنداءات والمنشورات والإعلانات، وبمختلف طرق الدعاية التى ثبت نجاحها بالتجربة، فكانوا يقولون: « لسنا من الشيوعيين بل من الوطنيين المحاربين » فانضم إليهم آلاف من أصحاب المتاجر وصغار المستخدمين والمزارعين، بدافع من وطنيتهم، واستجابة لأمثال هذا الشعار: « الحرية للشعب ! » ، وفى أكتوبر سنة ١٩٤١ حاول زعماء الحركة أن يجربوا تجربة جديدة، فأقاموا ثلاث حكومات جمهورية سوفيتية فى الصرب والبوسنة والجبل الأسود، ولكن الغرس لم يكن قد أثمر بعد، فإن جموع الأتباع رفضوا مبدأ تحويل المزارع إلى ملكيات مشتركة، وأبى الفلاحون أن تنتزع الأرض من أيديهم.

وسرعان ما نشب القتال بين تيتو وميخائيلوفتش، واتهم تيتو ميخائيلوفتش بأنه يعاون الألمان. وهذه تهمة لم أر عليها دليلا واحداً.

وأخذت روسيا تظاهر تيتو وتؤازره، فاشتد ساعده وأصبح أنصاره يشبهون فى مظهرهم جنود الروس، فتحيتهم هى رفع جُمْع اليد (ولكنها ألغيت فى ديسمبر سنة ١٩٤٣ أى بعد وصول البعثة البريطانية) وبعث الجيش بقوميساريين إلى كافة النواحى « لتهذيب الشعب سياسيا » . والعلم الذى ارتضاه تيتو هو علم عليه رسم النجمة الحمراء، وأصبحت كلمة « الرفيق » هى اللقب الوحيد، وعلقت صورة تيتو وستالين جنباً إلى جنب. وما لبث تيتو أن أنشأ هيئة بوليس سرى (أوزنا) على غرار هيئة البوليس الروسى المخيفة (أوجيبو).

ورأى البريطانيون النذر سافرة واضحة، وكانوا يدركون أنه لا مناص من تجنب مجافاة روسيا حليفتهم، فتخلوا فى سبتمبر سنة ١٩٤٣ عن ميخائيلوفتش، ووجهوا معونتهم إلى تيتو. وبعد ذلك بتسعة أشهر حذت الولايات المتحدة حذو بريطانيا. وسرعان ما نضا الأنصار عنهم ثيابهم الرثة، وارتدوا بدلها ثياباً أنيقة من صنع الولايات المتحدة، وأكلوا بدل لحم الخيول مختلف

الأطعمة المحفوظـة ، وجاءهم مدد من المدافع الأمريكية والبريطانيـة ، وأجهزة رادار ، ومن الدبابات والقنابل ، وأرسل ذلك كله إلى جبهة القتال . لقد وقع الأنصار المدفعون فجأة على كنز ثمين ...

أما الشيوخ أهل الفكر من اليوغسلافيين فقد راقبوا تيتو مرتابين ، ولكن الشباب خف إليه فتيات وفتيانا ، حتى صار ربع جند تيتو من النساء ، فتجد فتيات فارعات من القرويات يقاتلن ويأكلن وينمن مع الرجال جنباً إلى جنب . والغريب أن السفاح نادر بين الفريقين ، فقد عمل تيتو على أن يرسخ فى الأذهان أن الفتاة إذا ضبطت وهى متلبسة بالزنا كان نصيبها الضرب بالرصاص .

وربما كانت سن ثلاثة أرباع جنوده لا تزيد عن الخامسة والعشرين ، فقد قابلت ضابط كتيبة فى التاسعة عشرة . وأغلب كبار القواد فى الحلقة الثالثـة من العمر . وقد أنشـأ تيتو للفتيان الصغار هيئة على غرار جمعيات الفتيان فى روسيا ، وجمعيات فتيان هتلر فى ألمانيا ، فإذا جاوز الفتى منتصف الحلقة الثانية من عمره التحق بالجيش العامل . ولعل اندفاع الشباب هو مرجع ما يتصف به أنصار تيتو من تأجج الحماسة إلى حد الهوس . ولا غذاء لعقولهم يوما بعـد يوم إلا كلمات نابضة بالحماسة من قبيل (الحرية) و (الخلاص من نير الفاشية) . وإذا أرادوا الهتاف تعالت أصواتهم بكلمة واحـدة يكررونها هى (تيتو . تيتو . تيتو) . وهم قلما يفكرون لأنفسهم ، فهم يؤمنون بأنهم يحاربون لنصرة الديمقراطية ، لأن المارشال قد قال لهم ذلك .

وقد وعد حزب تيتو (المسمى جبهة التحرير الوطنى) بتنفيذ برنامج قوامه هذه النقط الأربع . فلنفحصها واحدة واحدة :

١ — تقوم فى يوغسلافيا حكومة تضم ولايات متحدة على قدم المساواة ، بحيث تتمتع كل ولاية بحقوقها الوطنية .

ولكن وزارة يوغسلافيا مؤلفـة على النحو الآتى : تيتو للرياسة والدفاع والقائد الأعلى لجيش تحرير الوطن ، و ٢١ وزيراً من أتباع تيتو و ٤ وزراء من المعارضين المعتدلين . وقد قسمت يوغسلافيا إلى ست ولايات تتمتع كل منها باستقلال داخلى ، وحكوماتها مسئولة أمام وزارة تيتو . وفى خمس من هـذه الولايات تجد أهم مناصب الحكم فى يد فتيان من الشيوعيين ، أما الولاية السادسة — وهى الصرب — فإن تيتو يلاقى فيها أشد ما عهد من معارضة . وأهل الصرب — وهم يمثلون ٥١ ٪ من سكان يوغسلافيا — يأخذون على تيتو أنه

لم يدخل فى جبهة التحرير الوطنى أحداً من زعمائهم فيما قبل الحرب ، وهم يتهمونه بأنه يقتل آلافاً من الناس ويسجن مئات الألوف ، وفى يدهم أدلة تدل على صدق قولهم ويأخذون عليه أيضاً أنه أهدر حقوقهم الأساسية . والصرب هى أشد المشاكل التى يعانيها تيتو تعقداً .

أما الذين يظاهرون تيتو فلا يزيدون عن ثلث سكان يوغسلافيا ، وهذا دليل يثبت حقيقة أصبحت مضرب المثل ، وهى أن القلة العاملة المسلحة تستطيع أن تضم يدها على زمام الحكم زمناً طويلا .

٢ — اتباع المبادىء الديمقراطية الحقة فى الحريات والحقوق .

ولكن ما من جهة فى يوغسلافيا تخلو من قوميسار أو بوليس سرى ، ويلقى القبض على كل شخص يرى فى صحبة من لا تنظر إليه الحكومة بعين الرضى ، والإعدام هو عقوبة كل من ينتقد تيتو أو روسيا السوفيتية . وقد أعيد تشكيل المحاكم على غرار مثيلاتها فى روسيا . وقد بلغ عدد من سيق إلى هذه المحاكم فى بلغراد وحدها ٥٠٠٠ نفس .

ولا تأذن يوغسلافيا لرجال الجيش الأمريكى أن يدخلوها ، إلا من تعلم أنه يؤيد سياستها ، وقد يستغرق الظفر بالإذن شهراً كاملا . فإذا دخل الأمريكى يوغسلافيا حرم عليه أن يتصل بالمدنيين فيها وإلا طرد منها فوراً ، وحرم عليه أيضاً أن يبتعد عن مقره أكثر من ٣ أميال إلا بإذن خاص ، ويصحبه دليل من الأنصار ، ليتولى فيما يقولون حمايته ، إذ يجب أن لا يطيل الأمريكيون النظر إلى «الديمقراطية» كيف تنفذ فى يوغسلافيا على يد الأنصار .

٣ — حرمة الملكية الفردية .

ويفخر رجال تيتو بأنهم لا ينتزعون شيئاً من أرض الفلاحين ، ويؤكدون أن كل ما يصل إليهم من إمدادات تأتيهم على سبيل التبرع . وهذا حق فيما يتعلق بأتباع الأنصار ، ولكنه باطل فيما يتعلق ببقية اليوغسلافيين ، وهم ثلثا السكان . وقد رأيت الأنصار يستولون غصباً على ما يريدون من الدور والمصانع والمخازن ، وما عند الناس من متاع وثياب ، فإذا كان المرء غير موالٍ لجبهة التحرير ، جردوه من كافة ما يملكه ولم يتركوا له شيئا .

وهذا المبدأ نفسه متبع فى توزيع الطعام ، فإذا كنت من الأنصار أكلت وإلا هلكت جوعا . وقد رأيت أثناء مقامى فى يوغسلافيا كثيراً من الناس يسقطون على الأرض من نهش الجوع . وقد رفض تيتو أن يأذن

بقدوم بواخر الإسعاف الراسية فى موانىء إيطاليا ، وشحنتها على وشك أن تفسد . وقد أصرّ على أن تطلق يده فى توزيع الإمدادات ، فرفضت أمريكا هذا الطلب .

٤ — لا ثورة ولا تغيير فى سياستها الاقتصادية أو الاجتماعية .

فى نوفمبر سنة ١٩٤٤ رأيت فى مدينـة دوبرفنيك أول انتخاب «حر» يجرى فى يوغسلافيا ، وامتلأ أحد المسارح بالناخبين ، ولم يكن به ما يعيبه سوى أمرين : (١) كان جميع الحاضرين مفروزين فرزاً ، فقد وقف الحراس على الأبواب يصدون غير المرغوب فيهم (٢) جرى الانتخاب برفع الأيدى ، ووقف البوليس السرى يراقب الناخبين بعيون فاحصة خبيرة بمهمتها ، فتم انتخاب مرشحى تيتو بالإجماع . فهـذا مصداق ما يفتخرون به من قولهم « لا ثورة ولا تغيير » .

وتجرى إعادة تنظيم كيان يوغسـلافيا الاقتصادى والاجتماعى طبقا للتعاليم الروسية ، فبناء على أوامر صادرة رأساً من تيتو ، يصب فى عقول الناس صباحا وظهراً ومساء سيل من مناقب روسيا السوفيتية . وقد سمعت بعض الأنصار يتدحون سيارة جيب الأمريكية على ظنهم أنها من صنع روسيا . كما رأيت قوميسارا فى إحدى البواخر على شط الدانوب يجمع فوجا من المهاجرين ويشير إلى الطائرات الأمريكيـة المحلقة فى السماء فوق رؤوسهم ويقول لهم مختالا فخوراً : « إنها طائرات روسية » .

ربما كانت يوغسلافيا مثار الحرب أو مهد السلم فى المستقبل ، فعلى حـدودها الغربية ساحل طويل عليـه موانىء تتسع لإيواء كافة أساطيل العالم ، وتتاخمها شرقاً روســيا السوفيتية وهى حبيسة فى أرضها ولا منفذ لهـا إلى البحار ، وبين الاثنين يربض تيتو — ذلك الرجل الهمام الفعال الفاتن الخلاب ، الذى كان من شيعة النظام السوفيتى وأعوانه العاملين .

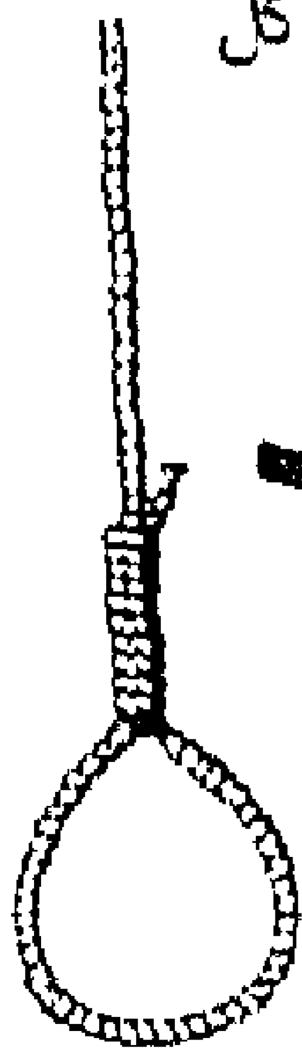


أدنى الأشياء فى الدنيا إلى الخلود ،
ديوان من دواوين الحكومة .

[الجنرال هيو جنسن]

« إن صروف الحياة أغرب غرابة لا حد لها من كل شيء في وسع العقل أن يلفقه » [شرلوك هولمز]

نهايات غريبة من صميم الحياة



أنتوني أبوت
مختصرة من مجلة " ترو "

في ربيع مضى كنت أتناول طعام الغداء في دار أحد مديري السجون ، فتناول حديثنا وباء تزييف أوراق النقد الذي انتشر فجأة . وكان هذا التزييف فناً متقناً من فنون الإجرام ، وكان المصدر الذي يخرج من هذه الأوراق المزيفة لغزاً يحير العقول .

وظل الأمر كذلك سنتين ، إلى أن تبين أن تزييف هذه الأوراق كان يجرى في السجن تحت سمع مضيفي المشدوه وبصره ، وهو لا يدرى ولا يشعر .

وهذا هو حال الجريمة ، فكأن ميدان الشر والإثم مستشفى للمجاذيب يحدث فيه ما لا يقبله العقل أو يأبى أن يصدقه ، ومن أجل ذلك يختلق كتاب القصص البوليسية وقائع قصصهم ، فلو نقلوها عن الحياة كما هي لما صدقهم أحد .

أنْ تعرف يوماً ما حقيقة القصة التالية معرفة تامة ، أمر مشكوك فيه . ففي سنة ١٩٢٠ كان في شيكاغو رجل معروف باسم « إل ديافلو » على رأس عصابة من اللصوص الشبان ، يرسم لهم الخطط للسطو على الناس في الطرق . وكان يورع الأسلاب بينهم بالعدل ، ثم يلاعب هؤلاء الأغرار القمار فيسلبهم معظم تلك النقود ، غير أنهم ظلوا يعملون تحت إمرته ، لأنهم كان يخشون بأسه ، حتى إنهم ليقتلون مرضاة له ، وذلك هو سر كربهم لما تورطوا فيه .

وقد فضح أمرهم شاب منهم يدعى فيانا ، قبيل أن يذهب ليلقى حتفه على المشنقة ، فأفضى ذلك إلى القبض على إل ديافلو نفسه وحكم عليه بالشنق . فلما حل إل ديافلو (واسمه الحقيقي كاردينالا) في السجن ، أضرب عن الطعام حتى نقص وزنه ٥٠ رطلا ، ولم يخطر على بال أحد أن إضرابه كان حيلة من حيله ، إلى أن حانت ليلة شنقه فتحدث رجل مجهول بالتلفون إلى مركز البوليس وقال بصوت أجش :

« إن أعوان إل ديافلو سيخطفون جثته بعد شنقه مباشرة ، ثم يستحيونه من جديد ، وهم يعلمون أن في وسعهم أن

يفعلوا ذلك ، لأنهم أحيوا فيانا من قبل »

فانتشر الحراس فوراً ، وبخاصة فى الزقاق المظلم الواقع خلف بيت الشنق . وقبل منتصف الليل بثلاث دقائق ، وهو الموعد المحدد لشنق إل ديافلو ، دخلت الزقاق سيارة الموتى لنقل الجثة ، فقبض الحراس على السائق ، وفتحوا السيارة ، فوجدوا فى جوفها رجلا يرتدى معطف طبيب وامرأة فى زى ممرضة ، وسريراً عليه حشية من المطاط مملوءة ماءساخنا يغلى،ووسائد ساخنة متصلة ببطارية كهربائية ، ووعاء فيه أوكسجين ، ورفاً عليه مجموعة من الحقن ، وسلة كبيرة مملوءة بزجاجات فيها ماء ساخن .

إذن فالخبر صحيح ، وكان صيام إل ديافلو حيلة حتى لا يكون وزنه ثقيلا عند شنقه ، فيخفف ذلك من خطر كسر عنقه .

ولا يزال مجرمو شيكاغو يصرحون حتى اليوم أن فيانا قد ردّت إليه الحياة حقاً ، ليبرهنوا على أن الحيلة قد تنجح ، ولكنه لما كان قد غدر بزملائه وخانهم ، فإنهم قتلوه رمياً بالرصاص ثم ألقوه فى البحيرة .

نعم لا ريب فى أن كتاب القصص لا يأتوننا بمثل هذه القصص ، ولو فعلوا فمن ذا الذى يصدقهم ؟

وقد نشر المختار منذ زمن ليس ببعيد(*) قصة رجل شنق ، ولكنه لم يمت . وقد وقع فى إنجلترا مثل هذا الحادث الذى لا يصدقه العقل، حيث بطل تنفيذ حكم مماثل.

اتهم جون لى بقتل مسز كيز ، إذ وجدت مقطعة إرْباً إرْبا فى فراشها ، وكانت الأدلة تثبت إدانة جون لى ، غير أنه كان لا يفتأ يقول لحراسه: « أنا لم أقتلها ، ولن يستطيع أحد أن يشنقنى بها قِصاصاً » .

فلما صدر عليه الحكم بالشنق ، قال جون لى : « الله يعلم أنى برىء ولن يرضى أن أشنق ، وقد رمى فى قلبى أن لا أهاب شيئاً » .

وفى يوم شنقه ، ازدحمت الجماهير حول السور الذى يكتنف المشنقة ، ثم علقت فى الحبل دمية لاختباره . وقد روى القاضى الأمريكى ماركوس كافانا ، الذى نشر بحثه عن هذه القضية ، أن الشهود أكدوا له أن المشنقة كانت تؤدى عملها على أتم وجه حين علقت الدمية فيها ، ولكن الباب استعصى فلم ينفتح حين وضع الحراس القناع على وجه جون لى وشدوا ذراع المشنقة . فلما وقف أحد الحراس فى مكان المحكوم

(*) المختار : « معجزة على المشنقة » مارس ١٩٤٥ ص ٧٦

عليه ، لم يلبث أن هوى الحارس وكسرت ساقه حين شد ذراع المشنقة .

فأعيد جون لى إلى سجنه ، وعلقوا الدمية مرة أخرى ، فهوت من الباب بلا عناء ، ثم أعيــد جون لى مرة ثانية كى يعاد شنقه فلم ينفتح الباب أيضاً .

فأرسل العمدة المرتاع برقية إلى وزارة الداخلية يسألها ماذا يفعل ، فوصله الرد قائلا : « لا تتوان فى تنفيذ الحــكم » .

وقفت الجماهير هذه المرة خارج السجن حانقة صاخبة ،فقد كانوا يعتقدون ان القضية ينبغى أن تلغى جملة ، ولـكن أوامر الوزارة يجب أن تطاع . فأجريت أربع تجارب على الدمية فنجحت ، ووضع جون لى بعد ذلك على الباب مرة أخرى ، وأدار العمدة ذراع المشنقة بنفسه مرة وثانية وثالثة — فأغمى على جون وحمل إلى سجنه — ولـكنه لم يشنق .

فى اليوم التالى وصلت برقية من الوزارة هذا نصها : « إن الحكم على جون لى بالشنق قد عدل » .

وقدعدل هذا الحـكم على جون لى بالسجن مدى الحياة ، ثم أطلق سراحه وتزوج ، وصار واعظاً يدعو الناس إلى آخر حياته أن يعتصموا بحبل الله مؤمنين به .

فيجب علينا نحن الذين نكتب القصص البوليسية أن نجعل قصصنا التى نلفقها أقرب إلى العقل ، وعسى أن يكون أدب القصة نقداً لتصاريف الحياة الغريبة الشاذة ، وكأنه هو الذى يعلم المقادير كيف ينبغى أن تكون سيرتها فى الحياة .

المسألة « نسبية »

منذ سنين كان « إرنى پايل » الصحفى الأمريكى المشهور الذى قتل فى هذه الحرب ، مصحح تجارب فى صحيفة « النيوز » بمدينة وشنطن ، وكان أجره ٣٠ ريالا فى الأسبوع ، فوضع لإحدى المقالات العنوان التالى : « رجل يرث ثروة عظيمة — ١٥ ألف ريال » .

فاستدعاه مدير التحرير وقال ساخطاً : من قال لك أن ١٥ ألف ريال ، ثروة عظيمة ؟

فقال إرنى : لو كان مرتبك كمثل مرتبى لكان رأيك كمثل رأيى .

نفق يؤدى إلى الحرية

كما رواها ضابط الطيران الأسترالى ، پول بركهل للكاتب :

آلن ميكى

فى ربيع سنة ١٩٤٣ احتشد فى معسكر اعتقال ، فى مدينة ساجان بألمانيا ، ١٠ آلاف من الطيارين الأسرى ، وأغلبهم من البريطانيين ، وإن كان قد بدأ يفد عليه أيضاً أفواج من الطيارين الأمريكيين .

وفى شهر إبريل ضاق المعسكر ، فأقيم فى شماله ملحق جديد ، نقل إليه ٧٠٠ فرد منا ، ولما تم كان الأسرى الذين ساعدوا فى بنائه قد درسوا أطرافه وقاسوا بالخطوات أبعاده — وفكرة شق الأنفاق تجول فى أذهانهم ، إذ كان الفرار هو أملنا الوحيد الذى شدّ من أزرنا ونحن فى قيد الأسر طوال شهور الشتاء المضنية .

وكان بعض الضباط منا قد حاولوا من قبل شقّ الأنفاق فى معسكرات أخرى ، فجعلناهم « هيئة تنظيم الفرار » واتخذنا لها رمزاً هو (س) ، وتولى رياستها قائد السرب روجر بوشل ، وهو رجل مديد القامة من أبناء جنوب إفريقية ، وكان محامياً فى لندن ثم التحق بالسلاح الجوّى البريطانى ، وظلّ يقاتل إلى أن أسقط الألمان طائرته فى دنكرك وقد فرّ



كنا نحفر الأنفاق بمجارف الفحم أو بمجارف نصنعها من حديد مواقد الطبخ . .

من قبل مرتين بحيلة بارعة ، بلغ فى إحداها حدود سويسرا حين قبض عليه .

أقيم الملحق على مربع مساحته ألف قدم ، يطوّقه سور مرتفع من الأسلاك الشائكة ، ومن ورائه على بعد خمس أقدام ، سور آخر كالأول ومحاذ له ، وملىء ما بين السورين بلفائف من الأسلاك الشائكة . وفى داخل المعسكر وعلى مسافة ١٠ ياردات من هذا السور ، مدّ الألمان سلك الإنذار ، لو لمسه إنسان بقدمه لانهال عليه رصاص الحرّاس . وتناثرت فى المعسكر « قلاع الرقابة » ويبلغ ارتفاعها ١٥ قدما ، وهى

مزودة بالمصابيح الكشافة والمدافع الرشاشة، ويتناوب غلها الحرّاس ليلا ونهاراً وتكتنف المعسكر من جميع نواحيه على مسافة ٢٥ ياردة ، غابة كثيفة من أشجار الصنوبر ، وهي وإن حجبت عنه العالم، إلا أنها خير ستر لمن يلوذ بالفرار .

ولم نكد نستقر في الملحق حتى عُلِّق إعلان يدعو الراغبين في لعب الكرة إلى الاجتماع معاً. وكان عليه توقيع (س)، فأدرك الجميع مغزاه ، وتطوّع ٥٠٠ منا للعمل في شق الأنفاق ، واستقر الرأي على أن نشق ثلاثة أنفاق طويلة ، واصطلحنا على أن نسمي الأول (توم) والثاني (ديك) والثالث (هاري) ، رجاء أن ينجو أحدها من افتضاح أمره . ولم تجر على لسان أحدنا قط كلمة « نفق » ، فإن كثيراً من الحرّاس الذين يسترقون السمع يفهمون الإنجليزية .

واتفقنا على أن نشق (توم) من المسكن رقم ١٢٣ إلى الأسلاك ، على بعد ١٥٠ قدما ، ثم يمتد منها إلى الغابة ، وأن نشق (ديك) من المسكن رقم ١٢٢ متجهاً إلى نفق توم ، فإما يلاقيه ، وإما أن نفضي به إلى الغابة . أما (هاري) فيبدأ من المسكن رقم ١٠٤ مفضياً إلى الغابة في شمال المعسكر .

وكان لا مُفرّ من أن نبدأ الأنفاق من داخل مساكننا ، ويبلغ طول كل مسكن ١٠٠ قدم ، وأفرد فيه جانب لنومنا ، وجانب لمغسل ومطبخ صغير ، وقد بنيت كلها على قوائم ترفعها عن الأرض مقدار قدم واحدة ، ليتسنى للحرّاس إذاما مدوا أبصارهم تحتها ، أن يطمئنوا على أننا لا نلتمس خديعتهم وغفلتهم . وظلت جماعاتهم ، وقد سميناهم « الجرذان » تجوس خلال المساكن فتفضحهم معاطفهم الزرق ، وفي أيديهم المصابيح ، ويتحسسون بمسابر من الحديد طويلة ما عساه يكون من أبواب مستترة ، أو رمال تنبئ بشق نفق .

وانقسمنا ثلاث جماعات لكل منها رئيس خبير بشق الأنفاق . أما مستشارنا الأول فهو والي فلودي ، وهو مهندس مناجم كندي . وتولى رئيس شعبة (س) في كل مسكن فحص متطوّعيه ، واختار منهم المهندسين وعمال المناجم والنجارين للعمل في شق الأنفاق . أما الخياطون فقد عهدنا إليهم بإعداد ملابس نتخفى بها عند فرارنا . وأعدّ المصورون عدتهم لتزوير وثائق إثبات الشخصية ، وكلف كل من يتكلم الألمانية منا بطلاقة ، أن يصادق جرذاً من الجرذان ، وأن يلازمه ملازمة الظل ، ويليّن لنا جانبه ولو بالرشوة ، ليمدنا بما نحتاج إليه من مختلف الأشياء والأدوات .

وذات يوم جاءنا جرذ جديد كان نشيطاً فى أداء واجبه ، فلقبناه (المتحمس) . ولكن فى غضون شهر واحد ، نجح زميلنا المكلف به فى استمالته حتى فترت حماسته فى مراقبة منافذ الفرار ، وكان يدخل مسكننا ، ويقصد من فوره حجرة صديقه ويقول : « جاءك صاحبك المتحمس فهل تأذن بالدخول ؟ » ثم يجلس ضاحكا ويستمتع بشرب الشاى والبسكويت .

أما الأسرى الذين لا يجيدون شيئاً يلزمنا فقد سميناهم البطاريق ، وعهدنا إليهم ان يخلصونا من الرمال المتخلفة عن شق الأنفاق ، أو كانوا مثل العيون فى مراقبة الجرذان . وقد بلغ عددهم فى السنة التالية ٣٠٠ عين يتناوبون كل يوم ، ويرفعون تقريرهم إلى (ص) وهو ضابط أمريكى أقمناه مشرفاً على أمننا وسلامتنا .

ولما اطمأنت قلوبنا بدأنا نشق الأنفاق ، وكان الألمان قد غفلوا عن أمر واحد ، إذ أنهم جعلوا أرض المغسل والمطبخ والمدفأة فى كل مسكن من الأبرق ، وقاعدتها جميعاً مبنية بالآجر والأبرق أيضاً ، وليس فيها منفذ لنظرات الحراس المتجسسين ، فوقع اختيارنا على هذه المواضع لنبدأ العمل منها .

ومهمتنا الأولى هى فتح أبواب خفية ، وكان الألمان يدخلون علينا فجأة ليلا أونهاراً وهم يصيحون : « تفتيش ، تفتيش » ثم يقلبون الفراش ، وينقبون فى خزائن المطبخ ، ويخلعون عن الأرض والجدران ألواح الخشب ، باحثين عن الأدوات ، والملابس المدنية ، والأزرار والمسامير ، وبالجملة كل ما قد يستعين به مَنْ يحاول الفرار ، ومع ذلك أمكننا أن نحتال عليهم ونفتح أبواباً خفية لم يروها ، وذلك بفضل دهاء مكين تظاهره خبرة ثلاث سنين احتملناها على مضض .

وأسعفنا حسن الحظ فظفرنا بمقدار من الأبرق تخلف من بناء المعسكر ، فصبه زملاء لنا من البولونيين كتلة تصلح لسد ثقب اتساعه قدمان مربعتان أحدثناه فى أرض المسكن ١٢٣ ، ولما وضعنا الكتلة مكان الثقب ودعكنا أطرافها بالرمل والتراب ، أضحت خفية لا تتبينها العيون أبداً ، وكان هذا الثقب هو مدخل نفق « توم » .

وتمثلت الحيلة على أتمها فى فتح الباب الخفى لنفق ديك فى المسكن **١٢٢** ، حيث كانت أرض المغسل على هيئة شبكة من الحديد لتذهب منها مياهه إلى بئر بنيت من الأبرق ، عمقها ثلاث أقدام ، وقد ركبت الأنبوبة التى تنساب منها المياه بحيث يتخلف فى البئر قدر قليل من الماء دائما . وبينما وقف العيون خارج المسكن يحرسونه ، عمد البولونيون إلى الشبكة فنزعوها ونزحوا

البئر ، واستعانوا بإزميل من الحديد نالوه برشوة أحد الحراس ، وخلعوا لوح الإسمنت الذى هو أحد جوانب البئر ، بحيث يتسنى لهم أن يعيدوه إلى مكانه متى أرادوه ، فإذا أعيد ثانية وسويت شقوق حافاته بالصابون لم يلبث المـاء أن يتجمع كما كان ، فلا تقع العين منه على ما يريب .

وكذلك ظهرت براعة الحيـلة فى فتح باب نفق هارى فالمدفأة الكبيرة بالحجرة ٢٣ فى المسكن ١٠٤ تقوم على قطع من الآجر مثبتة فى قاعدة من الأبرق مساحتها أربع أقدام مربعة . فزحزحنا المدفأة إلى الوراء وخلعنا الآجر وأعدنا رصفها على باب خفى مصنوع من الأبرق لا يختلف قطع عن القاعدة القديمة . وقد تفتتت أثناء العمل خمس قطع من الآجر ، فاستبدلنا بها قطعا أخرى سرقت من مطبخ المسكن الشرقى وهُرّبت إلينا .

وكان عملنا هذا عملا تحفه المخاطر ، فقد ظل مدخل نفق هارى مفتوحا عشرة أيام لا يستره عن أعين الجرذان إلا حشيّة تحسبها ألقيت حيث هى تهاوناً وإهمالا ، ولكننا ثابرنا وأنجزنا العمل .

ثم جاءت أشد الساعات خطراً فى عملنا ، ألا وهى شق الأنفاق . وقد رسمنا على قدر الطاقة طريق الانفاق الثلاثة ، بأبعادها واتجاهاتها وزواياها ، وكنا نعلم أن ما عند الألمان من أجهزة الاستماع يعجز عن التقاط الأصوات المنبعثة من باطن الأرض إذا كانت على عمق يزيد على ٢٥ قدما . فصح عزمنا على أن نحفر حفراً عمقها ٣٠ قدما ، قبل أن نبدأ فى شق الأنفاق إلى الغابة .

ولم نجد مشقة فى حفر الأرض إذ كانت من الرمل اللين ، ولكننا وجدنا جوانب النفق فى حاجة إلى أن تسندها دعامات صلبة ، فعهدنا فى أول الأمر إلى كل رجل منا أن يمدنا بلوح من ألواح فراشه . ثم لم نجد ضيراً بعد ذلك فى نزع لوح ثان وثالث ، ولكننا أصبحنا بعد الخامس والسادس نرقد على فراش ليس بالوثير ، وشق علينا النوم .

وفرغنا فى أوائل مايو من حفر أولى طبقات الرمل ، وكنا نعمل جماعات ، ونبدأ بعد عرضنا صباحاً حتى يجىء وقت عرضنا ليلا ، لا نتريث إلا للغداء .

وعهد إلى البطارقة بمهمة شاقة ألا وهى التخلص مما يتجمع من الرمال الصفر البراقة ، والتى لو ألقى بها على سطح الأرض الغبراء لتوهج لونها وانكشف أمرها ، وبعض هذه الرمال يمكن نثرها وخلطها فى ثرى حديقتنا الصغيرة ، ولكن هذا وحده لا يكفى لحل المشكلة . ولذلك جئنا بمناشف الوجه ، وخطنا بعضها إلى بعض على هيئة

جراب دقيق طويل ، يملأه بالرمل ويعلقه البطريق داخل سراويله ، ثم يخرج يجول متسكعاً فى ملعب المعسكر ، هذا والعيون يتلاكمون أو يلعبون أو يتصنعون أن بعضهم يشاجر بعضاً ، فإذا انضم البطريق إليهم عمد ، ويداه فى جيبه إلى خيط داخل سراويله وشدّه وفكّ ما يمسك أسفل الجراب ، فيتساقط الرمل قليلا قليلا ، ولا تلبث أقدام المتشاجرين أن تدوسه وتسوّيه بالأرض . وكنا إذا سارت الأمور سيراً حسناً ، نستخدم ١٥٠ بطريقاً يعملون فى تصريف الرمال ، فكنا نتخلص منها تحت سمع الجرذان وبصرهم .

وكنا نحفر بمجارف الفحم أو بمجارف نصنعها من حديد مواقد الطبخ ، وجعلنا مساحة فتحة النفق قدمين مربعتين نسندها بدعامة مربعة كالصندوق ، نتخذها من ألواح فراشنا ، وتطابق الفتحة فى سعتها ، وذلك لأننا أردنا أن ندخر ما لدينا من مسامير قليلة لنصنع سلماً لمساقط الانفاق .

وقد حفرنا فى قاعدة كل مسقط حجرة متسعة ليأوى إليها النجارون المكلفون بتركيب الدعائم ، ولنضع فيها أيضاً أجهزة التهوية . وحدث ذات يوم ، إذ كان ثلاثة من الحفارين يوسعون قاعدة مسقط هارى ، أن بدأ الرمل يتسرب من إحدى الدعامات المربعة ، ولم تمض لحظات حتى انهال الرمل كالسيل المتدفق ، ولكن السلم بقى مكانه وتمكن رجلان منهم من تسلقه ونجوا ، أما الثالث ، وهو والى فلودى ، فكاد يختنق تحت الرمال ، فمدّ إليه زميلاه أيديهما وخلصاه . وكذلك انهار الرمل فى مسقط ديك حتى ملأه إلى فوهته ، فكانت نكسة مؤلمة ، ولكننا أعدنا حفره من جديد .

وسرعان ما تبين الحفارون أنهم لا يستطيعون المضىّ فى شق النفق طويلا إذا أعوزهم الهواء النقى ، وأنه لا يكفى إحداث ثقوب فى سقف النفق تبلغ سطح الأرض ولحسن الحظ وصلت إلى المعسكر مجلة هندسية فيها مقال يصف كيف تصنع مضخة هوائية ، فعمد السباكون إلى علب اللبن ، وخلعوا غطاءها وقاعدتها وضموا بعضها إلى بعض ، فظفروا بالأنبوبة التى يريدونها ، ولفوا مواضع اتصالها بقصاصات من صحف الدعاية الألمانية ، ومدوها فى حفرة على طول أرض النفق مغطاة بالرمال ، وفى نهايتها من بعيد فتحة يدخل منها الهواء ، فيُدفع فى الأنبوبة بمنفاخ اتخذناه من قماش غليظ ، يقوم على إدارته رجلان بالتناوب . ولما صح نجاح هذا الجهاز الأول ، أسرعنا فى صنع اثنين غيره ، وأصبحنا نستطيع إغلاق باب النفق ، فنعمل ونحن لا نخاف مفاجأة الجرذان .

أما الكهربائيون فقد جمعوا أشتاتاً من بقايا الأسلاك التى تخلفت من بناء المعسكر ، ثم عمدوا إلى أسلاكه المثبتة وفكوها وأعادوا تركيبها خلسة فاستخلصوا منها ما طوله عدة أقدام ، ووضعوها فى الأنفاق وأوصلوها خفية بأسلاك المعسكر . ثم سرقنا المصابيح من الردهات وبذلك توفّر النور للحفارين. وكنا إذا أهمل الألمان إنارة المعسكر نهاراً نستعين بمسارج صنعناها بأيدينا ، وعاؤها من العلب وفتيلتها من خيط مجدول، ووقودها من الزبدة الصناعية. وكانت كريهة الرائحة .

والتزم الحفارون فى عملهم نظاماً دقيقا. فكان من يجىء فى المقدمة يرقد بطوله على جنبه متكئاً على أحد مرفقيه، ويأخذ فى نبش الأرض ، ويجرف الرمل ويلقيه عند قدميه. والحافر الثانى يرقد بحيث تلمس قدماه قدمى زميله ، ويجمع الرمل فى صناديق أعدت لذلك خاصة ، توضع على عربات صغيرة تسير على قضبان ، ثم ترفع الصناديق إلى فتحة المسقط بحبال صنعناها بأيدينا .

وقد تمثل فننا كله فى صنع هذه العربات التى كانت تقوى على حمل رجل أو صندوقين من الرمال ، إذ جعلنا لها عجلات من الخشب حافتها مفرغة وبطّنّاها بإطارات من صفيح العلب ، وجعلناها تدور على كرات مغدنيـة ظفرنا بها برشوة أحد أصدقائنا الجرذان. أما القضبان فقد سرقناها من أسوار المعسكر . ولما طالت الأنفاق أخذ العمال يرقدون على هذه العربات ويحركونها فتبلغ بهم الوضع الذى يبدأون الحفر منه .

وكان الحر يشتد أحياناً فى باطن النفق فتضيق الأنفاس ، فاضطر رجالنا أن يعملوا عراة ، أو وهم لا يرتدون إلا هذه السراويل الطويلة البغيضة التى يعطيها الألمان للأسرى ؛ لأنهم لو احتفظوا بملابسهم لتلوثت ووشت بهم . وكنا قد علقنا فى المساكن أوانى يتصبب منها الماء ليبادر إليها العمال فيغتسلوا ويزيلوا ما علق بأجسادهم من الرمال ، قبل أن يعرضنا الألمان صباحاً أو مساء .

ولقد مرن الحفارون على مقاومة انهيار الرمال عليهم . والإنذار الوحيد الذى ينبههم إلى اقترابه هو سماعهم خشخشة ضئيلة ، ثم إذا بالحفار الذى فى المقدمة قد دفن فى رمال تكتم أنفاسه ، وتطفىء المسرجة ، وتسد أنبوبة الهواء . فإذا حدث ذلك كان على الثانى أن يسرع إلى نجدة زميله .

وفى نهاية مايو ، أى بعد ٣٠ يوما منذ بدأ الحفر ، بلغ طول كل نفق ٧٠ قدما ، وقد أقبل الصيف وهو أحسن الأوقات للفرار ، إذ نستطيع أن ننام ونعيش فى العراء .

فقرر الرؤساء أن نحصر جهدنا فى شق توم لأنه أقصر الأنفاق ، وبعد أسبوع أنشأنا

أول حجرة صغيرة للاستراحة فى منتصف الطريق، حيث بلغ طول النفق ١٠٠ قدم، فتيسر للعمال أن ينالوا الراحة بالتناوب وهم فى النفق، ودون أن يضطر العامل إلى انتظار زميله المنصرف عند مسقط النفق. ودل حسابنا على أن هذه الحجرة تقع تحت « سلك الإنذار » فكان لا يزال أمامنا ١٠٠ قدم أخرى حتى نبلغ حافة الغابة.

وعهدت هيئة (س) إلى جماعات أخرى أن تعدّ كل ما ينبغى لفرارنا. فعكفت « إدارة التزوير » على تجهيزنا ببطاقات شخصية وجوازات سفر مزورة.

وكنا نستميل قلوب الحراس بالقهوة والحلوى، فإذا اهرّبوا لنا شيئاً لم يسعهم بعد ذلك أن يرفضوا لنا طلباً خشية أن نشى بهم عند قائد المعسكر. فكذلك أمكننا أن نظفر بالحبر الملون والاقلام والفرش والورق، وبمغناطيس لصنع البوصلة، وبأجزاء من جهاز الراديو لصنع جهاز نستمع به سراً إلى الأخبار، وقدهربوا إلينا آلة تصوير ومعداتها لاستخراج صور لجوازاتنا المزورة. وكذلك أمدونا بمطارق ومناشير وكماشات ومسامير وخرائط، بل نجح رجالنا ممن يحسنون الألمانية فى استمالة بعض الحراس، وظفروا بمستنداتهم الرسمية الدالة على شخصيتهم، والمبينة لمرتباتهم وأوقات دفعها، وعكفت إدارة التزوير على تقليد صور منها.

والتزوير عمل شاق يحتاج إلى براعة خارقة، فهذه صفحات بأكملها كتبت بالآلة الكاتبة، تستنسخ منها صور بخط اليد تضاهى الأصل بحروفه الناقصة وحروفه المتآكلة، وما بين الجمل من مسافات غير متساوية، وهناك مستندات أخرى يقتضى تزويرها كتابة سطور كثيرة بخط دقيق، أو رسم ما حول الصحيفة من إطارات مزخرفة. وعمد المزورون إلى ما فى يدنا من نسخ الكتاب المقدس فنزعوا صفحاتها البيض، وهى من الورق الرفيع، ونزعوا من الكتب غلافها المبطن بالقماش ليتخذوا منه غلاف جوازاتنا المزورة، وكان لابد لإعداد جواز فرد مزور يخول لنا اجتياز الحدود، أنّ يعكف عليه العامل الماهر خمس ساعات كل يوم، ثم لا يتمه إلا بعد شهر كامل. واستعان العمال بمقابض فرش الأسنان فحفروا عليها الكلمات الأولى التى يفتتح بها كل جواز. أما العقاب الألمانية وعلامة الصليب المعقوف، فقد حفرت على قطع من المطاط نزعناها من كعوب الأحذية. وهكذا ظفرنا بأكثر من ٤٠٠ جواز مزوّر.

وصنع لنا طيار أسترالى ما نحتاج إليه من البوصلات. أما وعاؤها فقد اتخذه من عجينة أسطوانات الحاكى بعد إذابتها وصبها،

وأما غطاؤها فمن زجاج النوافذ ، والإبرة إبرة خياطة حكت على حجر المغناطيس .

وأنشأنا أيضاً إدارة الخياطين حيث يعمل ٦٠ رجلا فى قلب زى سلاح الطيران البريطانى إلى ملابس مدنية، وكذلك صنعوا لنا ملابس تطابق زى سلاح الطيران الألمانى. ولقد جرى العرف المتبع على إعدام الأسرى الهاربين إذا قبض عليهم وهم يتخفون فى ملابس أعدائهم ، ولكن ميثاق جنيف لا يحرم عليهم أن يقلدوا زى الأعداء . وعكف نفر آخر من العمال على رسم الخرائط واستخراج الصور منها، أما المادة الهلامية التى طبعت عليها فقد اتخذوها من هلام الفواكه، كما حصلوا على الحبر بدق أقلام الكوبيا .

وبلغنا أن زملاءنا الأمريكيين سينقلون بعد ستة أسابيع إلى مسكن بعيد ، وكانوا يعملون معنا بهمة ، فقررنا أن نوالى العمل طول الليل حتى ننجز الحفر سريعاً. وزادت مخاطراتنا فى تصريف الرمال ، فكنا نخلط بعضها بثرى الحديقة، وننثر بعضها على أكوام من التراب متخلفة من بناء مسرح جديد للمعسكر .

وذات يوم عثر أحد الجرذان على بعض الرمال الصفر ، فهب الألمان يفتشون ولكن بغير جدوى . وحفروا أخدوداً بين المسكن ١٢٣ وبين أسوار المعسكر، ولكن الأخدود كان غير عميق فلم يكشف عن نفق توم .

وفى أواخر يونيو دل حسابنا على أن توم قد بلغ طرف الغابة ، وهممنا أن نحفر مصعداً فى نهايته ينتهى بنا إلى سطح الأرض. فرأينا فجأة جماعات من الألمان تقبل وتأخذ فى قطع الأشجار ، ولم يكن ما حدث سوى مصادفة، فقد قرروا أن يبنوا ملحقاً جديداً للمعسكر فى ذلك الموضع ، فأزالوا من الأشجار ما يبلغ امتداده ٥٠ ياردة . وكان نقل الأمريكيين قد أزف ، فقررنا أن نشق مصعد توم مهما كانت الأحوال . وعلى الفارين أن يزحفوا منه حتى يبلغوا الغابة .

وتكاثرت الرمال حتى أدركنا اليأس ، وحرنا كيف نصرفها . فاقترح أحدنا أن نخزنها مؤقتاً فى ديك ، وأخذ البطارقة يحملونها فى صناديق من الورق المقوى عليها علامة الصليب الأحمر ، ويسيرون بها فى صف متصل ، ثم يفرغونها فى مسقط ديك ، ولم يكن هذا كافياً . وحينئذ قرر الرؤساء أن يجازفوا بخزنها فى صناديق الصليب الأحمر تحت فرشنا ، وهم يرجون أن يغفل الألمان عنها إلى أن يتسنى لنا تصريفها .

وكان طول توم قد بلغ ٢٠٠ قدم ، ولم يبق على إتمامه إلا بضع أقدام ، فقرر بوشل أن نكف ونهدأ بضعة أيام ذراً للرماد فى العيون .

ولكن الألمان عثروا على الصناديق تحت فرشنا . فما أسرع ما جاءوا بسيارات ثقيلة وأخذوا يديرونها فى المعسكر ، رجاء أن يتهدم على ثقل وطأتها ما عسى أن نكون قد حفرناه من الأنفاق ، فكان الشيء الوحيد الذى دمروه هو حدائقنا .

وحدث بعد ذلك بيوم أو نحوه أن جاء الجرذان لينقبوا فى المسكن ١٢٣ ، والريبة فينا ما تزال تخامرهم ، فمدّ أحدهم مسباره فى طرف الباب الخفى الذى جعلناه لتوم ، فكانت هذه نهاية توم . ولم يفلح الجرذان فى فتح الباب فكسروه ، وهدموا النفق بالديناميت، فطارت أجزاء من سقف المسكن ١٢٣ . ولما اهتدى الألمان إلى توم بلغ من سرورهم أنهم لم يفكروا فى توقيع عقاب علينا أو فى زيادة أسباب حيطتهم .

وعقدنا اجتماعاً فقررنا أن نوالى العمل فى ديك و هارى ، وإن كنا رأينا أن من الحكمة أن لا نبدأ حتى يأتى الشتاء ، مقدّرين أن الرقابة سوف تخف يومئذ قليلا ، لأن الفرار لا يتسنى فى مثل هذا الفصل .

وفى آخر أغسطس ١٩٤٣ نقل الأمريكيون إلى مأواهم الجديد ، فأقمنا لهم حفلة تكريم .

ورأينا ، ونحن ننتظر مقدم الشتاء ، أن يحاول بعضنا الفرار ، لا من باطن الأرض ، بل من فوقها . وقد صنع النجارون لأحد هؤلاء المتأهبين للفرار بندقية من الخشب تشبه بنادق الألمان ، وقد عرفوا قياسها وأبعادها بالكمون خفية وراء ظهور الحراس يقيسون أبعاد البندقية ، ثم لونوا طرفاً منها بأقلام الرصاص حتى أصبح يضاهى الجزء المصنوع من المعدن ، ثم صقلوها فلمعت حتى صارت العين لا تفرق بين الأصل والتقليد . وكان من عادة الألمان أن يسوقوا جماعات منا إلى باب المعسكر لنفلى عنده ما علق بثيابنا من القمل ، فقررأينا على أن نسوق نحن بأنفسنا جماعة منا إلى باب المعسكر لهذا الغرض ، فارتدى ثلاثة ثياب سلاح الطيران الألمانى واقتادوا ٢٤ أسيراً من زملائهم ومرّوا بهم أمام حراس الباب ، ثم تسلل الثلاثة واختفوا فى الغابة ، وبعد دقائق تبعهم ستة من ضباطنا ، ولكن الحراس تنبهوا لهؤلاء وانكشف أمرهم .

عندئذ أمرنا الألمان أن نقف صفاً واحداً ، ولبثنا سبع ساعات إلى أن عرفوا أسماء الثلاثة الفارين ، وقد قبض عليهم جميعا فيما بعد . وقد وصل أحدهم ، وهو يجيد الألمانية إلى تشيكوسلوفاكيا ، ثم ركب منها القطار حتى بلغ حدود سويسرا ، فنزل منه وسار قليلا فإذا به وهو لا يدرى يدخل رقعة من الأرض السويسرية ثم كرّ على عقبيه فقبض عليه جندى ألمانى من حرس الحدود . وبلغ

الآخران مطاراً ألمانيا وأدارا محرك طائرة يريدان الفرار بها فإذا بطيار ألمانى يقبل مصادفة ليستقل تلك الطائرة نفسها فيقبض عليهما .

وفى مستهل ١٩٤٤ كنا قد أعددنا عدتنا لشق الأنفاق من جديد ، وكان ديك مملوءاً برمال توم ، وزاد الطين بلة أن الألمان بدأوا ينشئون ملحقاً للمعسكر حيث قدر لنفق ديك أن ينتهى . فلم يبق أمامنـا إلا هارى . وأخذت الثلوج تغطى الأرض ، وشق علينا تصريف الرمال ، واقترح أحدنا أن نكومها تحت المسرح ، إذ لاحظ أن الألمان لا ينقبون هناك .

وكنا نحن أنفسنا قد تولينا بناء المسرح ، وحرصنا على أن لا نترك فى قاعدته فتحات يمد منها الجرذان أبصارهم ، وبقيت تحته حفر تسع أطنانا من الرمال ، واحتال مهندس منا فصنع أحد مقاعده بحيث يتحرك على مفصّلة وفتح تحته بابا خفيًّا . وأخذ البطارقة كل ليلة يصبون فيه الرمال من أكياسهم المخبأة فى سراويلهم .

وعمل فى شق هارى ثلاث جماعات ، فى كلٍّ عشرة عمال مدربين ، وأخذوا يمدون النفق ١٢ قدما كل يوم ، فلم يكد يشرف يناير على نهايته حتى كنا قد أنشأنا فيه حجرة الاستراحة فى منتصف الطريق على بعد ١٠٠ قدم . ودل حسابنا على أن النفق لو امتد ٣٠٠ قدم لبلغ بنا مأمن الغابة .

وهذا طريق طويل ، والأحوال تسوء يوما بعد يوم ، فالأرض باردة ندية ، ولم يبق عامل إلا واشتكى البرد آناء الليل وأطراف النهار ، واذا بصق رأيت بصقته سوداء من استنشاق دخان المسارج ، اذ لم يكن قد بقى عندنا شىء من الأسلاك الكهربائية وعلاوة على ذلك أخذت حوادث انهيار الرمال تلاحقنا كل يوم . ولكننا لم يكد فبراير ينتصف حتى كنا قد حفرنا ١٠٠ قدم أخرى ، وأنشأنا حجرة استراحة ثانية . ودل حسابنا على أن هذه الحجرة واقعة تحت سور المعسكر ولم يبق إلا حفر ١٠٠ قدم أخرى .

ثم أتيحت لنا فرصة لا بأس بها ، وذلك أن عمالا من الألمان جاءوا وشرعوا ينصبون مكبرات للصوت ، وأتوا بلفتين من الأسلاك وتركوها ، قاصدين أن يعودوا بعد قليل لمد أسلاكهما . فسارع أحدنا إلى إحداهما وحملها بهدوء وجاءنا بها . ثم تصنعنا على بغتة قيام عراك بيننا ، وفى ستار الزحام والضجيج اختفت اللفة الثانية . وقد خشى العمال الألمان أن يبلغوا رؤساءهم ضياع اللفتين ، ولكن ثلاثة منهم طاحت رؤوسهم بعد ذلك ، حينما عثر الألمان على الأسلاك فى جوف هارى . وأمدتنا غنيمتنا بستمئة قدم من الأسلاك استعنا بها فى إنارة النفق إلى نهايته .

ولكن رئيس الجرذان استيقظت ريبته وإذا بالأمر يصدر فجأة بنقل والى فلودى ورئيس البطارقة ورئيس إدارة الأمن وعدد من العمال ذوى الخبرة فى الحفر، إلى مسكن بعيد، فكانت ضربة قاصمة. وليس البلاء أن نفقد زملاءنا الخبراء، بل البلاء أيضا أن الألمان أدركوا أننا نعتزم أمراً.

ولم يحل ٨ مارس ١٩٤٤ حتى أتممنا حفر المئة قدم الباقية، وأنشأنا حجرة فى نهايتها، وعكف أربعة من رجالنا المقتدرين أربعة أيام يشقون مصعداً للنفق، وهم يثبتون على جوانب المصعد سلما يمدونه كلما علوا فى الحفر، حتى بلغوا جذور أشجار الصنوبر. وكانوا يقدرون أنهم على عمق مترين من سطح الأرض فى قلب الغابة، فأسندوا بالدعائم سقف المصعد، وتركوا ما بقى منه ليحفر ليلة الفرار. وفى ١٤ مارس تم النفق، وسددنا بابه الخفى، وقويت جوانبه، ولبثنا ننتظر اعتدال الجو، وليلة داجية تصلح لستر فرارنا.

وأصبحنا فإذا برئيس الجرذان يرسل رجاله ليفتش المسكن ١٠٤، ومد أحدهم مسباره يتحسس جوانب الباب الخفى، ولكن الباب لم يتزحزح عن مكانه.

وبلغ عدد الذين حفروا النفق ٥٠٠ نفس، ولكننا قدرنا أن عدد من يستطيع الفرار فى بهمة الليل لا يزيد على مئتين، فعهد إلى بوشل أن يصطفى ٦٠ منهم، وانتخب ٢٠ آخرون بالاقتراع السرى، وكتبت أسماء الباقين فى وريقات، وأخرجنا منها بالقرعة ١٤٠ اسما.

وبدأ السعداء المجدودون يستعدون للفرار، وكان ما عندنا من النقود يكفى لشراء تذاكر السفر لأربعين نفراً فحسب، فلم يبق للباقين إلا أن يسيروا على أقدامهم. وشرع بوشل وغيره ممن فروا من قبل وعرفوا ألمانيا، يلقون محاضرات يسدون فيها النصح والإرشاد للفارين.

وبعد أن عرضنا الألمان صباح الجمعة ٢٤ مارس أعلن بوشل أن الفرار سيكون فى الليلة القادمة. وكان على الأرض طبقة من الثلج سمكها ٦ بوصات، وهو أمر يفضح الفارين، ولكن الليلة كانت داجية لا قمر فيها، وقد نبأنا الخبراء بالأحوال الجوية من رجالنا أن ريحاً شديدة تنذر بالهبوب، وأنها كفيلة بستر الأصوات المريبة.

وأعدت الوثائق والجوازات وعليها الأسماء والتاريخ، ورأينا أن ندعى بعض الفارين أنهم من العمال الأجانب، والبعض الآخر أنهم من رعايا الدول المحايدة، أو أن يتخذ نفر آخر زى الألمان، من المحاربين أو المدنيين، وأعطى كل فرد وثيقة توافق دعواه.

وسار أحد العمال إلى نهاية النفق ليتبين

ما بقى حتى ينفذوا إلى أرض الغابة . ولشد ما دهش حين دفع بعصاه فى سقف مصعد النفق فنفذ إليـه ضوء الشمس .

وفرشت أرض النفق بالأغطية لـكتم وقع أقدامنا ، وثبتنـا فى العربات ألواحا من الخشب ليرقد عليها الفارون ثم تجر . ولما جن الليل ارتدى كل فار" زيه، ووزعت علينا مؤونة حدد مقدارها بتقتير شديد ، وهى طعام صنعناه خاصة لفرارنا ، يغـذى الأجساد وإن مجّت طعمه النفوس .

وانتصفت الساعة التاسعة فإذا كل شىء قد أعـد ، ولم تمض عشر دقائق حتى نزل أول فار فى ثياب مدنية وتحت إبطه محفظة، وتبعه ثان فى ثياب العمال ، ونزل بين الخمسة الأول بوشل يحمل حقيبة صغيرة كرجل الأعمال الأنيق ، ببذلته الرمادية ومعطفه الأسود وقبعته الغبراء .

وتململ الرجال ونفد صبرهم حين لم يفلح أولهم فى نزع دعامات مخرج النفق ، ومضت ساعة احتملها الرجال على مضض وهم رقود فى جوف النفق ، ثم نُزعت فأبصروا فوقهم نجوماً تتلألأ فى السماء ، وأنعشتهم نفحة من نسيم عليل — نسيم الحرية والخلاص .

وكاد أول الرجال يصعق حين أطل من الفتحة على حذر ، وإذا النفق لا يفضى إلى قلب الغابة ، بل بينه وبينهـا ١٠ أقدام ، وإذا فتحتـه الفاغرة لا تبعد إلا ١٥ قدما عن إحـدى قلاع الحراسة . فلما أنبأ بهذا النبأ أسقط فى يدنا . أيكون الإخفاق غاية مجهود سنة كاملة بذله ٥٠٠ رجل ؟ ولـكن هيهات أن يطيع رجالنا من يحاول صد"هم عن الفرار ، فالخروج أصبح محفوفا بالمخاطر ، ولـكن من المخاطرة أيضاً أن ننتظر شهراً آخر حتى يعود القمر إلى المحاق ، وأن نعكف على مد النفق ٣٠ قدما أخرى ، هذا والمستندات المزو"رة قد أرّخت ، فإذا ما أجل الفرار كان لا بد من تعديلهـا ، وكذلك صـار الفرار حتما مقضياً .

وزحف أول الفـارين حتى بلغ طرف الغابة وفى يده حبل ممدود بينه وبين زملائه ليشير به إلى من سيتبعه أن الطريق آمن ، وكان الحارس فى قلعته لا يلقى بالا إلى الغابة، يصرف أنواره الـكشافة إلى الأسلاك الشائكة ومبانى المعسكر . وثمة جنديان يدوران مع الأسلاك ذهاباً وجيئة ، فلما غابا عن الأنظار شـد" الحبل وتسلل الثانى إلى جوف الغابة.

واستغرق فرار أول عشرين رجلا ساعة كاملة ، وكانوا قد عزموا أن يسافروا ، فيمموا شطر محطة ساجان وهى على بعد ربع ميل ، وكنا نعلم موعد القطار من دليل هربه إلينا أحد الحراس .

أما الفارون الذين بقوا فى المسكن ١٠٤ فقد ضاقوا ذرعاً بإبطاء أول الفارّين فى الخروج ، وقد شعروا بأن هناك عائقاً يعوقه، ولكن ما هو ؟ لقد كانوا يخشون أن يفاجأهم أحد من الجرذان، وما كادت الساعة العاشرة تنتصف حتى شعر القائمون عند مسقط النفق بنفحة من الهواء البارد ، وهى تعنى ولا شك أن الفرار قد بدأ فتجاوبت فى أنحاء المسكن صيحة تهليل مكتومة .

وصادفتنا عوائق أخرى ، فقد انهار الرمل فى جوف النفق فى موضعين، فأخرنا ساعة ونصف ساعة، وخرجت بعض العربات عن قضبانها فأخرتنا هى أيضاً . أما الرجال الذين حملوا معهم حقائبهم أو تدثروا بأغطيتهم ، فقد وجدوا النفق فى بعض المواضع لا يتسع لمرورهم وأبوا أن يمروا عَنْوَةً خشية أن ينهار الرمل ، ولذلك اختل تدبيرنا عن مواعيده المضروبة .

وعند منتصف الليل دوت صفارات الإنذار بغارة جوية وأطفئت الأنوار كلها ، ومنها أنوار النفق ، ووضح لنا أن الفرار لن يتيسر إلا لمئة رجل قبل أن يطلع النهار ، فأوقدنا المسارج وتناقلناها من يد إلى يد داخل النفق . أما نحن فقد سمعنا ، خارج النفق ، القنابل على بعد ، وجعلت مبانى المعسكر تهتز كلما دكت الطائرات البريطانية برلين بقنابلها ، هذا والعاصمة تبعدعنا ١٠٠ ميل . ولو حدثت هذه الغارة فى وقت آخر لتعالت أصواتنا بالهتاف ، ولكن أصواتنا الليلة كانت تعبر عن الحنق والغيظ . ولما أضيئت الأنوار كانت الساعة قد بلغت الثانية صباحاً ، وظلّ الفارون يتسللون ويزحفون خفية إلى بطن الغابة .

وكانت الساعة الرابعة صباحاً أشد الساعات هولاً وأحرجها، فقد هتف الحارس من قلعته ينادى إليه زميلا من العسس الطواف ، فصعد زميله سلم القلعة وهبط الحارس وسار من فوره إلى فتحة النفق . ولم يكن من العسير عليه أن يتبينها ، فقد كان هواء النفق الساخن يتصاعد كالبخار المتكاثف ، وبدا على الثلج من الفتحة إلى طرف الغابة خط أسود من أثر زحف الفارين، ولعل إدمانه النظر فى ضوء مصباحه الكشاف قد أعشى عينيه ، فلما صار بينه وبين الفتحة أربع أقدام تريث واستدار وقعد ، ومكث مكانه خمس دقائق ، والرجال عند المخرج يكتمون أنفاسهم . وأخيراً عاد إلى قلعته وتسلل فوج آخر وابتلعتهم الغابة .

ولما حانت الساعة الخامسة صباحاً رأى المكلف بتنظيم الفرار أن ضوء الشمس أوشك أن ينتشر ، بحيث أصبح الخروج أمراً لا تؤمن مغبته . وقال : « لينزل ثلاثة

آخرون ثم نكف » ، فإذا أمكنهم جميعاً أن يفروا ، فإن الألمان لن يعلموا شيئاً قبل عرض الصباح . وهذا يفسح لرجالنا أربع ساعات أخرى قبل أن تبدأ مطاردتهم » .

فنزل الثلاثة مسرعين ، ولم يكد ثالثهم يستقل العربة صغيرة ويغيب في جوف النفق حتى سمعنا صوت مقذوف ناري

كان اثنان من الفارين قد بلغا شجرة الموعد في الغابة ، وأخذ ثالث يزحف نحوها وقطع نصف طريقه إليها ، وما كاد الرابع يخرج من النفق حتى رأى صاحبُ الحبل حارساً يقترب ، ولو سار في طريقه لأدته قدماه إلى فتحة النفق . وشعر الواقفون عند المخرج بهزّ الحبل مرتين ، فانبطحوا وجمدوا في أماكنهم ، وتابع الألماني سيره ، ولم يبق بينه وبين الفتحة سوى سبع ياردات ، ومع ذلك لم تقع عيناه عليها .

استمر الألماني يذهب ويجيء يمنة ويسرة وهو بين النائم واليقظان ، حتى اقترب من الفتحة وبينه وبينها ١٢ بوصة ، فلو خطا خطوة أخرى لعثر بالراقد المتماوت عند مخرج النفق ، وخطا الألماني خطوة واحدة فإذا به يصحو من غفوته فجأة وينتبه ، وكأني به لم ير الراقد تحت قدميه ، ولكنه بلا ريب رأى ذلك الخط الأسود البادي في الثلج ، ورأى زميلنا الذي كان قد قطع نصف الطريق إلى الغابة ، فرفع الألماني بندقيته وأطلقها . وعندئذ برز رجل من بين الواقفين عند الشجرة وصاح به بالألمانية : « لا تطلق الرصاص . لا تطلق الرصاص » .

وأخذت الحارس دهشة ، فجعل يطلق الرصاص جزافا وهو مرتاع . فأقبل عليه الرجلان الواقفان عند طرف الغابة ، والرجل الذي كان يزحف ، رافعي أيديهم ، وإذا بالرجل الذي كان تحت قدمي الألماني بحيث لا يراه ، ينهض رويداً رويداً . فقفز الحارس وارتد مسافة ياردة وصوّب نظره فرأى فتحة هاري ، فابتدر مصباحه الكشاف وصوبه إلى الفتحة ، فإذا بنوره يقع على وجه زميلنا الحادي والثمانين ، وهو متشبث بالسلم تكاد تزل به قدمه ، فنفخ صفارته . فما لبث أن أسرع إليه الحراس من كل ناحية . وهكذا قضى على هاري بعد حياة مديدة .

هب أهل المسكن ١٠٤ يحرقون في فزع أوراقنا ويتلفون أدواتنا ويخلعون أزياءهم . وارتد من بقي في النفق على أعقابهم وهم يتوقعون أن يطلق الرصاص على ظهورهم . ولما خرج إلينا آخرهم أغلقنا الباب وأعيدت المدفأة مكانها . وبعد قليل سمعنا حكا تحت الباب ، ذلك أن أحد الجرذان دخل النفق وتعسر عليه الخروج . فتركناه حيث هو .

وما حانت الساعة السادسة حتى امتلأ

مسكننا بالحراس وأقاموا المدافع الرشاشة على الأبواب والنوافذ ، وشرعوا يفتشون مسكننا فكلما خرج منا رجل قبض عليه جرذ وأرغمه ، وهو واقف على الثلج ، أن يخلع ما عليه من ثياب ليفحصوها قطعة قطعة .

وما هى إلا ساعات حتى هبت المنطقة المجاورة كلها تطارد الفارين ، فكانت مطاردة مشهودة ، وبدأ الراديو يذيع على السكان أن يرقبوا الفارين ، وحشد للمطاردة آلاف من فرق الهجوم والجستابو ومن سلاح الطيران ، بل حشد لها أيضاً رجال البحرية من موانئ شتيتين ودانزيج .

ومكثنا فى مسكننا ننتظر ما قد ينزل بنا من عقاب ، فلم يحدث أن فرّ من قبل عدد من الأسرى كالذى فرّ من نفق هارى ، وكنا نتوقع أن ينتقم الألمان منا ، وجاء رجال الجستابو ليباشروا التحقيق . ولما كان رجال الجيش يمقتونهم كل المقت ، لم يجدوا عوناً من الجرذان ، وكان الإخفاق نصيبهم ، بل استطعنا أن نسرق مصباحين من مصابيحهم الكشافة . وكان كل توفيقهم أنهم كشفوا أسرار السوق السوداء التى أقامها قائد المعسكر وأعوانه ، وسرعان ما أحيل القائد المسكين على المحكمة العسكرية .

وقبض على أغلب الفارين ، وعددهم ٧٦ فى يوم أو يومين ، وبعضهم أوغل فى الفرار حتى بلغ دانزيج أو ميونيخ ، وقادهم الجستابو إلى سجن قذر فى جورلتز على مسافة ٤٠ ميلا منا ، وأعيد إلينا ١٥ رجلا ، ولم نعلم شيئاً عن الباقين .

وبعد أسبوعين من يوم الفرار دعى ضابطنا الأكبر إلى مكتب قائد المعسكر ، وقرأ عليه وهو متجهم الوجه البلاغ الرسمى عن حادثة الفرار ، فإذا فيه أن ٤١ ضابطا من الفارين قد أعدموا رمياً بالرصاص .

جمعنا ضابطنا الأكبر وأبلغنا هذه الأنباء المفزعة ، وقد حرم ميثاق جنيف توقيع عقاب صارم على الأسرى إذا ما حاولوا الفرار ، ولم يفعل الألمان هذه الفعلة قط ، فظننا أن هذا البلاغ حيلة يقصد بها تثبيطنا عن محاولة الفرار مرة أخرى . ومع ذلك فقد أقمنا فى مسكننا الصلاة على زملائنا القتلى ، ووضع كل رجل منا ، وهو غير حافل بالألمان شارة الحداد على كمه .

ولما علّق الألمان قائمة أسماء القتلى تبين أنها لا تحوى ٤١ اسماً بل ٤٧

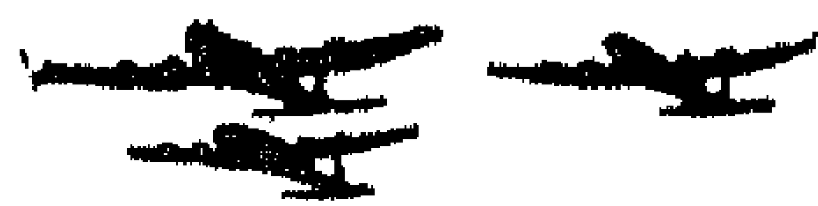
وبعد أيام أضافوا إليها ثلاثة أسماء ، وبعد أسبوعين جاؤونا بالقوارير التى تحوى ما تخلف من حرق جثث زملائنا فدفناها فى مقبرة المعسكر .

وفى شهر يونيو وصلنا كتاب بالإسبانية

موقع عليه باسم مستعار ، فعرفنا ان أحد زملائنا الفارين قد وصل إلى انجلترا . ثم جاءتنـا بطاقة من السويد موقع عليها أيضاً باسم مستعار ، فعلمنا أن زميلين لنامن أبناء النرويج قدبلغا مأمنهما . فإذا جمعنا من عاد إلينـا (وعددهم ١٥) إلى من أعدموا (وعددهم ٥٠) بقى ثمانيـة من الزملاء لا ندرى عنهم شيئاً .

ولم نعـلم إلا بعد زمن أنهم كانوا قد أرسلوا إلى معسكر الاعتقال السياسي الشهير فى مدينـة أورانين بورج ، والذى يفخر الجستابو بأن الفرار من أمثاله أمر مستحيل. ومع ذلك فلم يمض على مقام زملائنا فيه بضعة شهور ، حتى كانوا قد حفروا لهم نفقاً وفروا ، ثم قبض عليهم. ولكن ألمانيا كانت قد بدأت تنهار وتعمها الفوضى ، فلم يقتلوا .

وإذا كان الألمـان قد قتـلوا زملاءنا الخمسين ليرهبونا ، فقد أخطأوا ولا شك خطأً كبيراً . فقد أعاد زميلان لنا من الخبراء فى شق الأنفاق، تأليف (هيئة س)، وبدأنا من فورنا نشق نفقاً سميناه «جورج» يبدأ من تحت المسرح ويضاهى هارى فى اتساعه وطـوله ، فلما شارفنا سـاعة الهرب إذا بالألمـان يجلوننا عن معسـكرنا . وكنا فى مدينة لوبيك فى ٢ مايو ١٩٤٥ حين أقبلت علينا دبابات الجيش البريطانى الثـانى مندفعة بسرعة فى زحفها وأطلقت سراحنا .



نـــوادر

مقاضاة : تجرد رجـل فى سانت لويس من ملابسه لكى يفحصه الطبيب ، فإذا على بطنه وشم مؤداه : مرحباً يا دكتور .

هيام : تحير بوليس باريس فى حدوث عشرة ثقوب فى أنبوب الغاز فى شقة واحدة خلال بضعة أسابيع. فقبض على الخادمة، فاعترفت بأنها هى التى أحدثت تسعة منها ، لأنها هامت بالسباك الذى أصلح الأول .

دليل : طلب القاضى إلياس مايرز فى فلادلفيا دليلا على أن ثوب راقصة المسرح هفهاف لا يستر ، فطوى البوليس الثوب ووضعه كله فى علبة كبريت .

كناس : حبس رجل فى شيكاغو على ذمة التحقيق متهماً بسرقة ، فالتقط مكنسة وجعـل يكنس أرض السجن ماراً بالحراس ، وخرج من البـاب دون أن يستوقفه أحد .

حيث يستمتع الصغار بما يتعلمون، لأنهم يلمسون نفعاً فيما يتعلمون — ويتخرجون متأهبين لخوض معركة الحياة

أهذه مدرسة المستقبل؟

جلاديس دنى شولتس

مختصرة من مجلة "بيترهومز آند جاردنز"

يستطيع « هال أوينز » أن يجعل سيارة عتيقة زرية تجرى كما تجرى سيارة لم يمض عليها عامان ، وقد صنع أجهزة لاسلكية ذات موجة قصيرة ، وأقام مكبراً للصوت فى فناء البيت يستطيع به والده وهو جالس فى مكانه أن ينهر الكلب عن العواء . كان هال طفلا سعيداً ما وجد مشكلة ميكانيكية يشتغل بها ، ولكن المدرسة الثانوية كانت شيئاً غير ما يريد. وقد دلت اختبارات الذكاء أنه كان على جانب من الذكاء يكفى لاستيعاب دروس الطبيعة والنحو واللاتينية إذا هو لم يضيع وقته فى الاهتمام بأمور السيارات والراديو والكهرباء ، ولكنه ضاق ذرعا بالمدرسة ، فأخذ يتوسل إلى أهله أن يدعوه يخرج منها.

وأخيراً أرسله أهله إلى مدرسة ثانوية من نوع جديد تم افتتاحها . وكانوا يدعونها مدرسة « التعلم الجامع » ، إذ تجمع بين العلوم الفنية والثقافية على شكل يختلف عن المدارس الصناعية المعروفة . ودخل المدرسة الجديدة من زملائه فى المدرسة القديمة « أليكس » ، وكان يعد من الغباء بحيث لا يستطيع استيعاب الرياضة ، و « ستيف » الذى كان نمو جسمه أعظم من نمو عقله، وكان لاينى يشعر بتخلفه ونقصه وقلة تأهبه للتعلم .

وقضى هال وأليكس وستيف الشهور الثلاثة الأولى فى الفصل التوجيهى ، وهو معمل كبير معدّ لأنواع كثيرة من الفنون والهوايات . وفى هذا المعمل تمرسوا على فن النجارة وصناعة المعادن والكهرباء، ومرنوا على محركات الطائرات .

ولما كان هذا الضرب من المدارس يتيح لهال ما يشتهى من فن الميكانيكا ، كان فى رأيه شيئاً ترضى عنه النفس . وبدأ ينال أعلى الدرجات فى علم الطبيعة والنحو . وأظهر أليكس ميلا عظيما إلى الرسم والتصميم، وأصبح يستطيع استيعاب الرياضة ويرى فيها أداة لا بد منها حتى يصير مهندساً . وكانت قوة ستيف البدنية ذات فائدة كبيرة فى غرفة الآلات، وكف عن الشعور بضخامة جسمه وتخلفه عن زملائه ، وأكب على دراسته الجديدة إكبابا عظيما . واليوم صار

هؤلاء الأولاد الثلاثة الذين أعانهم على النجاح استخدام أيديهم وعقولهم على السواء، يتهيأون منذ اليوم لدخول الجامعة .

وثمة عدد من مدارس «التعليم الجامع» هذه منتشرة فى أنحاء الولايات المتحدة . ولا يصدنّك عن هذه المدارس أنها تدعى مدارس صناعية ، فإنها تعد البنين والبنات للحاق مباشرة بالصناعات أو الأعمال التجارية، وترسل من خريجيها إلى الجامعة وإلى الحرف العلمية عدداً كعدد من ترسل المدرسة الثانوية سواء بسواء .

إن « التعليم الجامع » هو طراز عملى من التعليم محبّب إلى الشبان من الطلبة . فإن المهارة اليدوية التى ليس لها موضع فى المدرسة الثانوية التقليدية، كثيراً ماتقضى على المساوىء الخلقية ، وتدلنا على ما يصلح له الطالب من الصناعات فى المستقبل .

ويقول والترج . سكيبل ناظر مدرسة كروزير فى دالاس : « إننا نرحب بالطلبة « المعقدين » إذ أننا لا نجد فى أمرهم تعقيداً كبيراً . وغاية الأمر أنهم قوم أهل واقع وحقائق، يريدون أن يروا أن التعليم قمين بشىء من الجهد » .

وقد دل نظام « التعليم الجامع » على نجاحه وصلاحه منذ سنة ١٩١٢ فى مدرسة دار الصناعة بإنديانابوليس ، حيث اتخذ ميلو ستيوارت من دار الصناعة القديمة مكاناً أقام فيه مدرسة ثانوية على أساس استعداد بعض الطلبة والطالبات وهواياتهم. وبدأت هذه المدرسة بأقل من مئتى طالب، وبها الآن ٥٤٠٠ طالب ، وهو ضعف عدد الطلبة فى أية مدرسة ثانوية بإنديانابوليس.

هذه هى مدرسة المستقبل تعمل بكل قوتها على تعليم النظريات عن طريق التدريب العملى . ولا تظنن أن هذه المدرسة تخرج ميكانيكيين وصناعاً فقط ، فإن ١٨ فى المئة من خريجيها وقت السلم التحقوا بالجامعات . (والمعدل فى الولايات المتحدة ١٥ فى المئة).

تصور مدرسة مساحتها ٧٦ فداناً ، عليها من المبانى ما يعدل مبانى جامعة كبيرة ، حيث يتولى طلبة فى السادسة عشرة والسابعة عشرة من أعمارهم فك محركات الطائرات وتركيبها ، وحيث يتفرغ أربعة من المدرسين إلى تدريس اللغة اللاتينية ، وحيث يقوم الطلبة ببناء بيت كبير كل عام ، ويركبون فيه الأسلاك وأدوات المرافق، وحيث ينال الطلبة جوائز فى مسابقات الكتابة المبتكرة ، وحيث يستطيع الطالب أن يدرس إصلاح الأحذية وعلم الكهيربات (الإلكترونات) ، وفى الوقت نفسه يدرس الموسيقى والنحت والتصوير أو صناعة آنية الفخار والخزف .

وتقوم الفصول العالية بأعمال لها سوق تجارية ، فى أشغال المعادن والخياطة وإصلاح الأثاث وإصلاح أجهزة الراديو والسيارات والزراعة وغيرها . ويستخدم الدخل الناتج من هذه الأعمال فى شراء الخامات ، ويستطيع صاحب سيارة أن يطلى سيارته طلاء فنياً فى ورشة إصلاح السيارات بهذه المدرسة ، مقابل ٢٥ ريالا بدل ١٢٥ ريالا فى أية جهة أخرى . على أن أصحاب ورش السيارات لا يعارضون فى ذلك ، إذ أن المدرسة توفر لهم الميكانيكيين المهرة المدربين. ويشرف على مثل هذه الفصول صناع فنيون من طراز ممتاز ، تأتى بهم المدرسة من أهل الصناعات نفسها .

وتدرس فى المدرسة كل مادة تسدحاجة مطلوبة . فإذا أراد طالب أن يتعلم صناعة تصفيف الشعر أو رسم الأزياء ، أو التقاط الصور ، فما عليه إلا أن يجد عدداً كافياً من الطلبة الذين يريدون هذه الدراسة نفسها ، وعندئذ تقوم المدرسة بتدبير أمر الدرس ومنح الشهادات .

ومن فصول الموسيقى الشعبية — هى دراسة أضيفت إلى دراسات المدرسة فى فن الانغام والتأليف الموسيقى — يتخرج الموسيقيون الذين يعزفون فى كثير من فرق موسيقى الرقص الشهيرة ، كما يتخرج من فصول الطهى بالمدرسة الطهاة الفنيون . أما فصل الكيمياء فى التحليل النوعى والكمى فإنك تجد فى كل شركة كيميائية فى مدينة إنديانابوليس خريجاً من خريجيه .

وإنه لفتى يصعب إرضاؤه ذلك الذى لا يجد بين ١٤٢ فصلا من فصول الفنون وورشها و ١١٩ مجموعة من مجموعات المواد الثقافية ، ما يوافق ذوقه وميوله . والذى يساعد الطلبة على اختيار ما يحبونه ويصلحون له أكثر من غيره ، هو نظام التوجيه والإرشاد المبنى على نتائج المدرسة الابتدائية، والاختبارات الشخصية ، وميول الطالب .

وقد تمت محاولة أريد بها أن تربط جميع المواد بطريقة ما بالحياة اليومية . فالأدب القديم يدرس على أنه أصل أدب العصر الحاضر . ويربط قسم اللغة اللاتينية تاريخ الحملة الإيطالية (فى الحرب العالمية الثانية) بعصر القياصرة . ومما هو جدير بالذكر أن اللاتينية حافظت على منزلتها فى القسم الفنى بالرغم من شدة ضغط المواد العملية وكثرتها .

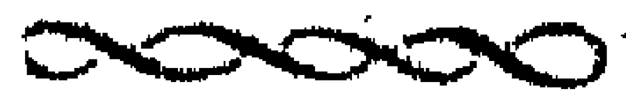
وكان من نتائج هذا الاتجاه العملى فى التعليم ، أن بلغ إقبال الطلبة على عملهم والتفاتهم إليه مبلغاً كبيراً . فإذا بدا على الطلبة قلة الالتفات أو علت ضوضاؤهم ، فإن برنامج المادة يعاد النظر فيه من جديد،

حتى تربط المادة ربطاً أوثق بحياة الطلبــة وميولهم .

ويعمل مئات من الطلبة فى صناعات إنديانا بوليس أثناء دراستهم بهذه المدرسة ، فإذا ما تخرجوا اشتغلوا بالأعمال التى هيأوا أنفسهم لها . وترســل بعض مؤســسات الأعمال المتفوقين من خريجى المدرسة إلى الجامعة لإعدادهم للوظائف الإدارية فى هذه المؤسسات .

أما جاكوب جونز الذى كان رئيس قسم صناعة البناء فى المدرسة، فهو اليوم يصرف همّه فى تدبير عمل للمتخرجين وتنسيق الصلات بين المدرســة ونقابات العمال بإنديانابوليس ، وبينها وبين نيف وألف صناعة من صناعات هذه المدينة .

ومدرسة دار الصــناعة الفنية مثل حىّ لما يحدث، إذا بدأ المعــلمون بأولاد وبنات من نوع خاص ، بدلا من أن يبدأوا بمنهج دراسى خاص . وتمنح الحكومة إعانة من المال لدراسة الحرف بالمدرســة ، وتقوم مدينة إنديانابوليس بدفع الباقى . ولن تجد بين دافعى الضرائب من يشكو من التكاليف، فإن مدرسة دار الصناعة الفنية ترد الجميل بجميل أعظم ، بتدريبها العمال المهــــرة المسؤولين ، وتحبيبها العلم إلى قلوب الطلبة من فتيان وفتيات .



لم أزل احترم المثل الفلبينى القائل : « الفم المطبق لا يدخله الذباب » .

[تيودور روزفلت]



هو الرأى الصواب

أقام ملك القبائل فى جزيرة ساموى حفلة تكريم للطبيب والمؤلف المشهور الدكتور فيكتور هايزر ، فلما انتهت المأدبة وجاء دور الخطب ، قام خطيب محترف وألقى خطبــة فياضة بالثناء على الدكتور ، على حين ظلّ الملك قاعداً متربعاً . فلما انتهى الخطيب ، وهمّ الدكتور بالوقوف للردّ على الثناء بالشكر ، ردّه الملك قائلا : « لا تفعل ، فقد دبّرت لك خطيباً ينطق بلسانك ، فنحن فى هذه الجزائر لا نحبّ أن نلقى بزمام الخطابة إلى الهواة ! »

[مجلة « ذى كومنتيتور »]

رجل اشتهر باختيار الفتيات لبيوت الأزياء ونماذج المصورين، يحدثك كيف تستطيع المرأة أن تكون فاتنة .

سر جمال المرأة

جون روبرت پاورز • مختصرة من مجلة " ذى أمريكان مجازين "

تقول اللغة فى تعريف الإنسان الجميل انه هو «الذى يحرك قلبك حسنه» ولكن قلب من ؟ من أجل هذا كان من العسير تعريف جمال الأنثى ، فإن «الجمال» يتوقف على نظرة الناظر إليه .

ووجهة نظر النساء فى هذا الشأن أدق وأصنع ، فإنهن يحببن الأناقة والرشاقة ، ويعجبن بالشعر المصفف تصفيفاً بديعاً ، وينظرن من المرأة إلى التفاصيل مفردة ، على حين ترى الرجل يفتنه من المرأة أو يرده عنها ، ذلك الأثر الذى تتركه فى نفسه جملة واحدة . فالرجال أكثر فتنة برقة المرأة ومفاتن جسدها وخفتها ، ويحبون المظهر الطبيعى غير المتصنع فيها .

وثمة نوعان من النساء يثنين إليهن أنظار الرجال : الأول المرأة ذات المظهر والأبهة التى تأنقت فيها يد الصناع هذه يعجب بها الرجال، ولكنهم لا يرتاحون إليها إذا ضمهم مجلس فى خلوة أو سامر. والأخرى هى المرأة التى حباها الله بالحسن وفيها حنان وعطف، وهى التى تفيض على صاحبها المتعة والسعادة فى البيت أو النزهة .

وتناسق قسمات الوجه أمر لابد منه للجمال ، ولكنه أول المرحلة فحسب ، فإن كثيرات من الفتيات اللواتى يدخلن مكتبى هن — إذا نحن حكمنا مقاييس الجمال — من أروع النساء جمالا ، ولكنى لا أكاد أراهن حتى أعجل بصرفهن ، فإنهن يمشين مشية الشوق العجال، وأصواتهن منكرة لا عذوبة فيها ، وعقولهن قاع ضحضاح لا غور لها .

إن للمرأة الجميلة بهاء يشع من ذات نفسها، فإن الجمال الحق يفيض من داخل النفس . وقد يبدو هذا مبتذلاً ولكنه حق ، وإلا فلماذا تكون المرأة أفتن ما تكون يوم عرسها ؟

وعندى أن المرأة لا يمكن أن تكون جميلة إلا إذا هى استمتعت بحياتها كل

الاستمتاع، وتمّت جميع مواهبها على السواء، ووثقت بنفسها، واستطاعت أن تجعل بين عقلها وجسمها انسجاما لا كلفة فيه . وقد تكون المرأة جميلة القسمات قبل أن تبلغ الثامنة والعشرين من عمرها ، ولكنها لا تكون يومئذ قد تملّت من الحياة حتى يشفّ وجهها عما يعتلج فى أعماق نفسها من الشعور .

إنى لشديد النقمة على رجال التزيين فى هوليوود ، فإنهم يدمرون الجمال الذى فطرت عليه الفتاة ، ليختلقوا مكانه جمالا يسحر روّاد السينما ، بما يبرزون من مفاتن الجسد ، فهم كمن يأخذ الثمرة الغضة فيحيلها ثمرة محفوظة فى علبة . وإنى لأوثر الغضّ . وفى هوليوود نساء لا يزال جمالهن غضاً كما خلق ، ولكن جلهن ممثلات ناشئات لا يتقاضين أكثر من ١٥ جنيهاً فى الأسبوع ، وهن يُتخذن زينة فى الأفلام ، وهن اللواتى يجعلن هوليوود كعبة الجمال فى العالم .

ومعظم من أعرفهن من نماذج التصوير نساء غير متصنعات ، ولا بد من أن يكن لذلك ، حتى تروق طلعتهن عين الرائى حين يصوّرن وهن ينظرن متهللات إلى سرير أو ثلاجة ، فيغرينه بالإقبال على شرائه .

ولا بد للفتاة التى تعرض الأزياء من أن تكون رائعة الشخصية ، حتى يتسنى لها أن تجعل الثوب الذى قيمته جنيهان ، يبدو فى عين الرائى حين ترتديه ، ثوباً قيمته عشرون جنيهاً .

أما الفتيات اللواتى تتخذهن محلات الأزياء نماذج لعرض الأزياء الجديدة ، فلهن شأن آخر . وعلى النساء أن يفهمن ذلك قبل أن يجهدن فى تقليد ما تنمّ عنه وجوههن من خبرة بالحياة وتجربة ، فإن عملهنّ يقتضيهن أن يجرّدن وجوههن من آثار شخصيتهن ، ويجهدن فى أن يبدون برمات بالحياة ، فتراهن يرمين الأفق البعيد بطرف شارد ، ويحتلن حتى تبدو خدودهن ضامرة دقيقة ، فإن دقة القسمات ونتوءها تجعل الصورة أشد وقعاً فى النفس . وهن يفعلن ذلك كله حتى لا ترى النساء سوى ما يرتدينه من معطف ثمين أو ثوب فاخر . فينبغى للنساء أن يعلمن أن هذه الهيئة التى تتخذها نماذج الأزياء تصلح للغرض الذى اتخذت من أجله ، ولكنها هيئة غير صالحة فى الحياة ، إذ هى تبطل سحر النساء وتنفّر عنهن قلوب الرجال .

ولعل أفظع خطأ ترتكبه النساء هو تقليدهن ما يرينه فى اللواتى يعدّونهن جميلات ، من أزياء تصفيف الشعر وزينة الوجه وتصنيعه ، دون أن يفكرن كيف تبدو هذه الأزياء عليهن . فإنه لا ينبغى مثلا أن

تعمد فتاة لا تنفكّ تخرج لعمل أو رياضة ، إلى زى رائع من أزياء تصفيف الشعر ، فإن ذلك لا يناسبها البتة .

وأسباب الجمال مشاع بين النساء جميعاً ، فهى ميسورة لكل فتاة تقريباً إلا إذا كانت دميمة الخلقة . وإذا كانت الفتاة ذات شخصية فاتنة ، استطاعت أن تكون جميلة وإن اخطأها كمال القسمات جميعاً . وحسبها أن يكون بعض قسماتها جميلا حتى تحيطه بما يبرز هذا الجمال من زينة وملبس .

وأول شيء ينبغى للمرأة أن تفعله هو أن تعرف أى نوع من أنواع النساء هى ، حتى تتخذ لنفسها زياً يلائمها . وأن تعرف أى زى من أزياء التزيين وتصفيف الشعر ترتاح إليه وتشعر فيه بالثقة فى نفسها ؟ فإذا عرفته ، فذلك هو الزى الذى يناسبها ويظهرها فى أحسن رونق ، وينبغى أن لا تحاول غيره تقليداً لسواها من الجميلات .

وأنا أعرف فتاة يعدّها كثيرون من أجمل فتيات هوليوود ، وكانت تعمل نموذج أزياء وهى الآن ممثلة مشهورة . وهذه الفتاة عريضة المنكبين غائرة الثديين غليظة الساقين ، ولكن ما من أحد يلحظ ذلك ، فقد عمدت إلى زينة لا تدعك ترى غير وجهها ، وهو ولا شك آية فى الجمال ، أما كل شيء سواه فقد خفى حتى لا يكاد يستوقف أحداً . وقد استطاعت بذلك أن تخلق صورة من الجمال النادر .

وهاك بعض السمات المشتركة بين النساء الجميلات : بهاء الصحة ، والشعر اللامع البراق ، والصوت الخافت العذب ، والمشية المطمئنة ، والقد المعتدل ، والشخصية التى تفيض بالمرح والسعادة ، والشوق إلى المعرفة ، وقوة الأخلاق وثباتها ، والثقة بالنفس وإرسالها على السجية .



إذا حسن من المرأة خفيّاها حسن سائرها : صوتها ومشيتها

[كلمة عربية قديمة]



دخل النخّارُ العُذرىّ على معاوية بن أبى سفيان فى عباءة فاحتقره ، فرأى ذلك النخّارُ فى وجهه فقال له : يا أمير المؤمنين ليست العباءة تكلمك إنما يكلمك من فيها . ثم تكلم فملأ سمعه ، ثم نهض ولم يسأله شيئاً . فقال معاوية : ما رأيت رجلا أحقر أوّلا ، ولا أجلّ آخراً منه .

امتحن ذكاءك وفطنتك

هذه أسئلة لامتحان الذكاء ، ولكنها تختلف عما ألفته ولست فى حاجة إلى دائرة معارف لتعرف الأجوبة الصحيحة ، ولكن حذار من المزالق ! وتجد الأجوبة الصحيحة فى ص ٩٢

١ — أنتِ يا سعاد ، واقفة على أرض مصنوعة من الخشب الصلب ، فكيف تستطيعين أن تتركى بيضة نيئة تسقط من يدك ، فتقطع مسافة ثلاث أقدام دون أن تتحطم قشرتها ؟

٢ — وأنتَ يافائق كيف تستطيع أن تقذف كرة بكل قوتك ، بحيث تنطلق ثم تقف ، ثم ترتدّ إليك . . . دون أن تصدم جداراً أولوحاً أو أى حائل ترتدّ عنه إليك ؟

٣ — وأنت ياسالم إذا وجهت سيارتك إلى الجنوب فى طريق عادى ، فكيف تستطيع أن تسير بها مسافة ميل ، ثم تلفى نفسك ، دون أن تغير اتجاه السيارة ، فى مكان يبعد ميلا إلى الشمال من الموضع الذى بدأت منه سيرك ؟

٤ — وأنتِ ياسميرة كيف تستطيعين أن تفسرى ما يلى : والدان وابنان ذهبوا إلى الصيد فاصطادوا ثلاثة أرانب وحسب ، فعاد كل منهم بأرنب من الصيد .

٥ — وأنت ياعبد المنعم قائدُ طائرة تطير من القاهرة إلى بغداد مسافة ألف ميل ، وتسير الطائرة بسرعة ٢٠٠ ميل فى الساعة ، وتقف مرة واحدة مدة نصف ساعة . فما اسم القائد ؟

٦ — وأنت يا وحيد ، تنص قوانين بعض الأمم على عقاب من يحاول أن يرتكب جريمة بعينها ، ولا تعاقب من ينجح فى ارتكاب تلك الجريمة . فما هى الجريمة ؟

٧ — وأنتِ ياسهير ، هذا رجل عُصبت عيناه ، ثم علق أحد الحاضرين طربوشه ، ثم مشى الرجل المعصوب العينين مئة متر واستدار ، وأطلق رصاصة من مسدس فاخترقت الطربوش . فكيف يمكن ذلك ؟

٨ — وأنت ياحميد ، أردت أن تقطع جذع شجرة ، فاستأجرت فلاحاً ليقطعه ، فطلب خمسة قروش ليقطعه قطعتين . وأنت تريد أن يُقطّع الجذع أربع قطع ، فكم يتقاضاك الفلاح ؟

٩ — وأنتِ ياشهيرة ، فى سنة ١٩٣٩ زار امبراطور الهند ، الولايات المتحدة الأمريكية . فما كان اسمه ؟

١٠ — وأنت يامصطفى ، كيف تستطيع أن تضع فى وقت معاً ، يسراك فى الجيب الأيمن من بنطلونك ، ويمناك فى جيبه الأيسر ؟ جرّب .

كيف نتقى الفواجع التى يعقبها تلوث الجروح التافهة »

لم يكن سوى خدش . . . !

لويس ماتوكس ميلر

مختصرة من مجلة " هايجيا "

أخذ شاب يصلح شبكة من السلك ، فأصاب يده خدش فلم يكترث له . وبعد اثنتى عشرة ساعة ورمت يده ورما مؤلماً فاستدعى الطبيب ، واستفحل الالتهاب بسرعة . وفى اليوم التالى مات المريض من سريان الميكروب السبحى .

ووخزت امرأة إبهامها وهى تشذب بستان أزهارها ، وكانت الوخزة من التفاهة بحيث ظلت المرأة بضع ساعات لا تحس شيئاً . ثم أفزعها ما وجدته فجأة من ألم ممض وحمى ، فحقنها طبيب بمصل مضاد ، وأرسلها على عجل إلى المستشفى ، فلم تغادره إلا بعد أسابيع قضتها تكافح عن حياتها ، وقد خرجت بيد واحدة . وكان السبب : هو الأكلة الغارية .

وهذا صبى فى التاسعة من عمره كان يصلح لعبة على صورة قطار فجرح ساقه بإزميل الثلج ، وكان ألم الخدش ضئيلا وكان نزفه أضأل ، فتجلد له تجلد الجندى ، ولم يخبر به أحداً . وبعد بضع ليال هده التشنج والحمى ، وعاده الطبيب ولكن بعد أن قضى الأمر ، وجاء فى شهادة الوفاة : « إصابة بالكزاز (التيتانوس) من جرح صغير » .

فى كل عام يموت مئات من الناس ، ويفقد ألوف منهم أيديهم أو أرجلهم أو أذرعهم أو أصابعهم من جراء إهمال الجروح التافهة والخدوش ، وترى المصابين وأهلهم يقولون وقد هالتهم ضراوة الالتهاب وفتكه الفظيع الذريع : « ولكنه لم يكن سوى خدش ، ولم تخرج منه قطرة دم » . ومع ذلك فإن الأطباء ومديرى المستشفيات الذين تزخر سجلاتهم بمثل هذه المآسى التافهة الأسباب ، يدركون أن الجرح التافه هو أخطر الجروح ، لأن تفاهته تصرف عن الحذر . وتسعة أعشار حالات الالتهاب الخطيرة تنشأ من أذى هو من التفاهة بحيث لا يعبأ المرء به .

هذا تلميذ كان يلعب الكرة فتنفطت عقبه ثم تفقأت ، ودفعه حرصه على الاستمرار فى التدريب أن يضمدها بقطعة من الضماد اللصاق ، واستمر يلعب عدة أيام بقدمه

المصابة ، ولم يكن ماجر" عليه دخول المستشفى فالوفاة ، تلك النقطة في عقبه ، بل سريان الميكروب السبحى في ساقه . وما أشبه هذه الحالة بأختها التى قضت على الفتى كالفن كولدج ابن رئيس الولايات المتحدة الأسبق .

يقرر الأطباء أن كل خدش مهما صغر يتطلب العلاج السريع ، ولما لم يكن من المعقول أن نستشيرهم فى كل وخزة فى أصبع أو سلخ فى قصبة الساق ، فماذا ينبغى أن نفعل ؟ يقول لك الطبيب : « تعلم ما سر الالتهاب ، ثم اتق شره بالاحتياط » .

هـذا رجل فى السبعين من عمره كان يفخر بأنه لم يمرض قط ، وبينما كان ذات يوم يشق خشبة ، دخلت شـظية فى ساقه فانتزعها ، ولـكنه لم يطهر الجرح ، فالتهب ووجع ، وتوفى الرجل قبل أن يتاح نقله إلى المستشفى .

فما علة الوفاة ؟ أكانت شظية مسمومة أم هى جراثيم تجمعت على رأس قطعة من الخشب المتعفن ؟ قد يكون وقد لا يكون ، فكثيراً ما يكون المرء هو الجانى على نفسه فى حالات الالتهاب . ومهما بالغنا فى نظافة أبداننا ، فإن عدداً عديداً من الميكروبات يظل عالقاً بجلدنا على الدوام ، وربما بلغ نصيب البوصة المربعة منها ملايين . ومادامت هذه الميكروبات على البشرة فلا ضرر منها، ولـكن ما هو إلا أن يتمزق الجلد ، سواء أكان جرحا فاغراً أو خدشاً سخيفاً ، حتى يصبح فى قدرة هذه الميكروبات أن تغزو الجسم ، وتفرخ فيه وتتكاثر وتعيث فساداً . ومن حسن الحظ أن هـذه الميكروبات تتطلب حوالى ست ساعات حتى تثبت أقدامها فى الجسم ، وفى خلال هـذه الفترة يمكن توقى شرها بالغسل الجيـد أو التطهير فى أغلب الأحيان .

ولما كان أكثر الناس يفرط فى الإهمال ، فما الذى منع حوادث الموت والبتر المفزعة أن تكون أضعاف ما هى الآن ؟ ذلك أن الجسم يعلن على الميكروبات الغازية حربا شعواء مادام سليما ، فما هو إلا أن يتمزق الجلد حتى ينشط سائر البدن للدفاع ، فتندفع كريات الدم البيض إلى ما حول الجرح ، وتحاصر الميكروبات ، وتحاول أن تحول بينها وبين الانتشـار ، ثم تلفظها قيحاً . ولكنها لا تنتصر عليها فى جميع المعارك .

ومن الخـير أن يشتد نزف الجروح ، فإنها عندئذ تستصرخنا فى طلب الإسعاف فنسرع إلى الطبيب . وفضلا عن ذلك فإن الدم نفسه يعمـل عمل المطهر ، ويساعد بجريانه على غسل الجرح ، ومن أجل ذلك فإن المبالغة فى الحرص على وقف الدم الجارى يمكن أن يستغنى عنها . ففى الجسم ذخيرة

عظيمة من الدم. فينبغي ألا يلهينا النزف عن أخطار أعظم من خطر النزف .

إن شر المآسي كامنــة في الجراح التي تبدو من التفاهة بحيث لا تلجئنا إلى الحرص على الإسعاف الأوّلي . فقد تشك إبرة أصبع ربة البيت ، أو قد يدخل مسمار صدئ في قدم فلاح ، أو تخدش آلة يد موظف ، فيشغل أحدهم عمله عن استعمال اليود . فكثيراً ما يفضي ذلك بأحدهم إلى القبر أو إلى عكازتين ، أو يضطر عائل الأسرة أن يتعلم كيف يعمل بيسراه .

وأخبث الجروح هو الوخز الدقيق الذي لا يلبث أن ينطبق بعضه على بعض عقب حــدوثه ، فإن ما تحدثه المسامير الصدئة والدبابيس ولعب الأطفال أو سواها من الأدوات التي توجد بين أكوام الرجيع ، والقــديم من اللبن والملاط ، قد تولج في الجرح جراثيم الكُزاز القاتلة ، فتستقر حيث تريد بمنجاة من الهواء ، وإذا لم يحقن المصاب بالمصل الواقي فإن ما يعقبه الكزاز الختال القاتل في أغلب الأحيان من شلل وتشنجات ، قد لا يظهر إلا بعد أسابيع ، يوم يكون الجرح الذي أحدثها قد طواه النسيان .

لقد دلت التجارب في الشركات الصناعية على أن أكثر عدوى الميكروبات يمكن توقيها . وكثير من الشركات الآن تعاقب موظفيها الذين يهمــلون إسعاف أي جرح مهما كان من التفاهة ، والفضل في ذلك لعمال التأمين ومهندسي الأمن . وفي بعض المصانع الكبيرة التي تطبق فيها القوانين تطبيقاً دقيقاً ، هبط معــدل الالتهابات الناشئة من الحوادث إلى جزء من واحد في المئة . ويقول الأطباء إن مثل هذه العناية لو بذلت في البيت والمدرسة ، لأمكن توقي ٩٠ في المئة من الفجائع الناشئة من الالتهابات ، وحبذا لو استمعنا إلى هذه النصيحة .

ينبغي أن تهتم بكل تهتك في الجــلد ، فاغسله من فورك بالماء والصابون ، فإن هذا الغسل ناجع في أغلب الأحيان ، وبالغ في الحيطة واستعمل مطهراً ، ولعل من خير المطهرات صبغة اليود ، ويكفي منها محلول قوته ٣ في المئة لتطهير الجراح الصغيرة .

ولا تتبع تلك العادة الشائعة أن تمص الجرح بفمك ، فإن فمك موطن دائم لكثير من أنواع الميكروبات الخطيرة ، تستطيع من ثم أن تقتحم الجرح وتلوثه . وتذكر عندما تنزع شظية منغرسة في الجلد بإبرة ، أن الإبرة قد يكون لها من الخطر ما للشظية ، ما لم تعقمها على لهب .

وليس طلاء الوخزة بصبغة اليود كافياً ، فإن الميكروبات قد تكون تغلغلت إلى حيث

لا يمكن أن تبلغها صبغة اليود ، فإذا كان مثل هذا الجرح قد نشأ من مسمار صدئ أو أية آلة قذرة ، فيجب عندئذ عرضه على الطبيب، ولا تخش أن يعدك الطبيب موسوساً كثير الشكوى ، فهو قد رأى من حوادث الموت والبتر ما يردّه عن ذلك ، واستشره من فورك إذا وجدت من الخدش ألماً أو أحسست التهاباً .

نعم إن كثيراً من الناس قد نزعوا شظايا كبيرة غرزت فى أبدانهم ، أو جرحوا أنفسهم بإزميل ولم يتخـذوا أى احتياط ، وقد نجوا من شر العدوى . لقـد خاطر هؤلاء المجدودون ثقة منهم بما للجسم من كيمياء عجيبة ، ومن الحـكمة أن نؤمن بمثل هذه الخوارق ، ولـكن ينبغى لنا أن نقدّم الحذر .



صلات متوترة

— طلبت امرأة فى هوليوود الطلاق من زوجها ، لأنه ألف أن يذهب بها إلى دار سينما رخيصة الأجر، فيتركها فيها ثم يذهب إلى دار سينما غالية الأجر.

— وطلبت أخرى الطلاق لأن زوجها يضع قطناً فى أذنيه كلما جاءتها والدتها زائرة .

— وطلبت ثالثة الطلاق متهمة زوجها بأنه باع فرن المطبخ ليشترى بثمنه خمراً . فاعترف الزوج بما فعل ، ولـكنه طلب تخفيف العقوبة لأن زوجته ظلت أسبوعين لا تفتقد الفرن ، لجهلها الطبخ وعدم اهتمامها بالمطبخ .



التحية البارعة

فى مأدبة كبيرة أقيمت فى وشـنطن كانت أرملة تحدّث شاباً فسألته أن يقدّر عمرها . فلما تردّد ، قالت : «هيا بنا لابد أن تكون قد قدّرته تقديراً ما» .

فقال مبتسما : « لقد قدرته على غير وجه واحد . وإننى لحائر ، بين أن أخفضه عشر سنوات لما أرى من شبابك ، وأن أزيده عشر سنوات لما أرى من ذكائك » .

كيف غير جواد عربي وجه قارة

سنابك الجياد تطأ البراري

هربرت رافينال ساس

مختصرة من مجلة "كنتري جنتلمان"

عد بخيالك إلى ثلاثة آلاف سنة قبل يومنا هذا . فهذه سفن الفينيقيين تشق البحر إلى إسبانيا وهى مُوقَرة بالحديد والأصباغ والأفاويه والثمار . وهى تحمل أيضاً جياداً رائعة متوقدة من بلاد العرب وسواحل إفريقية الشمالية . ثم تمر القرون ، وإذا الجواد العربى البربرى المطهم المفتول العضل ، قد صار جواد الإسبان .

ثم انظر إلى أمريكا ، إلى سهوب أمريكا الغربية ، وهى كيفما قلبت فيها الطرف ، سهوب تغنى بها الشعراء ، وتحدث عن عجائبها الروّاد ، سهوب الثور الأمريكى ، والغزال ، والدب الأغبر ، والهنود الحمر . ولكنك لا تجد فى طول هذه السهوب وعرضها جواداً واحداً ، وترى الهنود الحمر يقطعون المسافات البعيدة سيراً على أقدامهم ، بطاءً يتعثرون . وعلى هذا بقيت أمريكا إلى عهد غير بعيد — قارة لا خيل فيها .

ثم أسدل الستار حيناً ثم ارفعه ، وانظر إلى الغرب الأمريكى حين أطلّ الروّاد والمستعمرون عليه . لقد حدثت معجزة ! فالسهوب تمور بأسراب الخيل البرية ، ويكاد عددها فى بعض المناطق يضاهى عدد الثيران . وهذه أعراف مليون من الخيل تموج فى السهوب والصحارى . والقبائل الهندية التى كانت رَجْلاً مقيداً بالأرض ، قد صارت قبائل من المحاربين يمتطون صهوات الجياد . فكيف تمت هذه المعجزة ؟ إنها انقلاب من أروع وأخطر ما تم فى أرض تشرق عليها الشمس .

فى سنة ١٥١٩ نزل بلاد المكسيك الفاتح الإسبانى هرناندو كورتيز ، وقد نقل معه أول جياد وطئت أرض قارة أمريكا الشمالية . وفى سنة ١٥٤٠ مضى فرنسسكو فاسكيز كورونادو ، على صهوة جواده ، فعبر نهر ريو جراندى فى الشمال ، ومعه نحو مئتين وستين من الفرسان ، وجعل يرتاد مجاهل الغرب الأمريكى . فتخلفت فى تلك البلاد خيول من خيول هذه الرحلات ، والأغلب أن تكون هذه الخيول الشاردة ، هى التى صارت الخيل البرية الأولى فى أمريكا الشمالية .

. ولو لم تنزل الخيول فى الغرب الأمريكى وتستوطنها قبل وصول الروّاد والمستعمرين، لما صار الغرب إلى ما صار إليـه . فمعظم ما كان له من شأن اقتصادى ، ومما صار له من شأن فى الآداب والفنون — مرجعه إلى الجواد ، الجواد الذى جاء مع الإسبان، وفتح إمبراطورية عجز الإسبان عن فتحها.

كان هـذا الجواد جوادَ الصحراء ، جوادَ الفينيقيين والعرب ، ولم يتغـير إلا قليلا . وقد تحدر من أصل عربى بربرى عتيق، فلما ترك هذا الحيوان الشديد المراس الظامئ الفصوص وحيداً يلتمس لنفسه الحياة فى سهوب الغرب الأمريكى المتلظية الجافة التى لا ماء فيها ، لم يلبث أن صار أجمـل جياد العالم طراً وأصبرها على الشدة ، وتكاثر تكاثراً عجيباً حيث تهلك الجيـاد المتحدرة من السلالات الشماليـة الضخمة التى ألفت الإقليم البـارد . وكذلك ازداد عـدد طوائف الجياد البرية ازدياداً سريعاً رائعاً.

وقد صحب هـذا التكاثر انتشار يقظة جديدة فى الغرب ، فصارت أمة بعد أمة من الهنود الحمر الذين ألفوا المشى المرهق منذ مئات القرون ، تفضّ جوامع الأغلال التى كبلتها إلى الأرض . وليس هناك ما هو أدل على هذا الانقلاب الرائع من قصة قبيلة « السيوكس » التى كانت منذ قرنين تقطن الغابات قرب منابع نهر المسيسبى ، وكانت عاجزة عن أن تحمى حماها وتردّ عدوان القبـائل الأخرى ، فهجرت موطنهـا إلى السهول الفسيحة حيث تكثر الثيران ، ثم لم تلبث أنْ جاءتها الخيـل البرية الأولى ، حين أخـذت تنتشر شمالا ، وكانت قبيلة السيوكس لا تعلم من أمر هذه المخلوقات شيئاً فسمتها « الكلاب المقدسة » .

وإذا قبيلة السيوكس قد تحولت أمة تمتطى صهوات الجياد ، وإذا رجالهـا قد صـاروا فرساناً تخشى صولتهم فى البرارى الشمالية ، بعد أن كانوا مشاة عجزة يفرون من وجه أعدائهم وهم كُثُـر.فانطلقوا غرباً وجنوباً يكتسحون كل من يقاومهم ، حتى صاروا سادة تلك المنطقة الغربية الواسعة . وكانوا يعتمدون فى طعامهم على الثيران ، وفى انتقالهم وحربهم على الخيـل ، فغدوا أقوى الأمم وأعزها فى تلك السهول .

والأرجح أن تكاثر الخيل فى السهل لم يكن أقل سرعة من تكاثر أبناء عمومتها البرية فى أمريكا الجنوبية ، وهى التى تحدرت من خمسة جياد وسبع أفراس أطلقت فى بوينس إيرس فى سـنة ١٥٣٧ ، فانبثّت عوازبها فى أقل من نصف قرن منتشرة مسافة ألفين من الأميال . ويقول أحـد الثقـات إنه لولا مجىء المستعمرين البيض

إلى السهول الغربية الأمريكية ، لبلغ عدد الخيل مبلغاً يضارع عدد الثيران ، وأقل تقدير لعدد الثيران هو خمسون مليوناً أما الروّاد الأول فقد رأوا فى تكساس وولايات المكسيك الشمالية ، قطعاناً عظيمة من الجياد ، على حين يذكر المؤرخ ڤيكتور شو أن بين نهر كولمبيا والنجود الصحراوية جماعات كبيرة من الخيل . وقد « استغرقت جماعة واحدة منها من الفجر إلى الغسق وهى تجتاز مكاناً بعينه » .

ومرت الأجيال يتلو بعضها بعضاً فى السهول الغربية ، وأخذ الجواد يفقد شيئاً من جماله وحجمه ورشاقته ، حتى صار إلى خيل الرعاة المعهودة الآن .

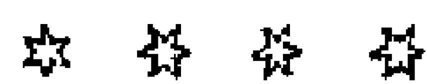
ولكن كان يظهر فى الحين بعد الحين ، جياد « مرتدّة » إلى أصولها العريقة ، فإذا هى أكبر وأسرع وأجمل ، فطبقت شهرتها الخافقين . وكان معظم هذه الخيول جياداً عتاقاً متحدرة من الجياد العربية البربرية ، دون أن يختلط دمها بدماء سلالات أخرى كجياد البرارى الآن .

ويغلب على الظن الآن أن عشرة آلاف من الخيول البرية لا تزال تروح وتعدو قطعاناً تختلف عدتها من ستة جياد إلى ستين . وهى تطوّف فى السهول ، كما كانت أسلافها تفعل فى صحارى شبه الجزيرة العربية وبلاد البربر ، فتعيد إلى الذهن تلك الأيام التى كان الجواد فيها ملك البرّ .

أما الجواد البرى الذى غير وجه قارة ، فقد انقرض مع الثور الأمريكى الذى كان الجواد من أسباب القضاء عليه . ولكن من العدل أن لا ننسى الجواد ، فقد مهد لاستعمار الغرب الأمريكى وإحيائه ، ولكل ما للغرب الأمريكى من أثر فى حياة الناس وفكرهم وحضارتهم .



السرُّ فى رأى المرأة سرّان : سرٌّ هو عندها أتفه من أن تكتمه ، وسرٌّ هو أعظم من أن تكتمه .



الحمقى رجلان : أحدهما يقول : هذا قديم فهو خير كله .
وثانيهما يقول : هذا جديد فهو إذن خير من القديم .
[الأسقف إ ج]

« عالم من علماء التربة النابهين ينذرنا بأن الأرض التى استنفدت معادنها تهددنا بجوع خفى خطير » .

أنحن صائرون إلى الموت جوعاً ؟

سيل م . كلارك • مختصرة من مجلة "ستردای ايفننج پوست"

لقد حل بيننا خلسة عدوّ جديد يختلنا فى الخفاء ، ويضربنا ضربات لانحس بها ، ويكاد يشق على الناس أن يؤمنوا بوجوده كما شق عليهم أن يؤمنوا بالجراثيم ، يوم أحدث باستير انقلاباً فى علم الطب بإماطة اللثام عن عملها فى إحداث المرض . وهذا العدو الجديد عدو لا يروعك بمظهره ، فما هو إلا نقص فى معادن التربة ليس إلا ، ثم لا يخلف آثاراً تدل عليه ، فإن الحقول التى كانت أبداً خضراء تظل كما كانت ، إلا أن نباتها ينقصه سر الحياة ، فهو لا يستطيع أن يمد الناس بطعام مغذّ نافع .

سمعت هذه القصة الشائقة التى رواها الدكتور وليام ا . ألبرخت بجامعة ميسورى وهو رائد من رواد كيمياء التربة ، وزعيم من زعماء بحوث التغذية قال : « بدأت أبحاث التغذية تشق طريقها فى نهاية القرن الماضى ، وبدأ الأطباء يدركون من تجاربهم ومشاهداتهم أن كثيراً من الأمراض يمكن أن يردّ إلى نقص فى عناصر الغذاء ، وأن كثيراً من صرعى المرض إنما هم صرعى جوع ، وقد سمى جوعهم « الجوع الخفى » لأن المرء قد يأكل ثلاث وجبات مشبعة فى اليوم ، ويظل مع ذلك مصاباً بهذا الجوع . فمنه الجوع إلى الكلس (الجير) الذى يورث الكساح . وتقترن النَّوْطة (تضخم الغدة الدرقية فى العنق) بنقص فى اليود ، والعَشَى (سوء البصر ليلا) بنقص فى الكاروتين (مادة ملونة فى الجزر والخضر والدهون الحيوانية تمد الجسم بفيتامين ا) ، وفقر الدم بنقص فى الحديد أو فى النحاس ، واضطرابات الغدة الدرقية بنقص فى الزنك ، والتهاب اللوزتين بنقص فى الفضة ، ونخر الأسنان (تسوسها) بنقص فى الكلس والفوسفور والفلور » .

ثم مضى البرخت يقول : « إن النبات هو رأس مصانع الطعام فى الأرض ، وهو مستودع الغذاء ، ونحن نأكله أو نأكل الحيوان الذى يغتذى به . فإذا نقص من طعامنا شىء لا بد منه لسلامة أبداننا . فلا بد أن يكون معدوماً أو قليلا فى النبات ، فلماذا يكون معدوماً ؟ » .

لقد جعل الدكتور ألبرخت ما بين صحة الإنسان وبين الأرض من صلة، هدف أبحاثه الأكبر، فاستطاع بسلسلة من الأبحاث أن يضع نظرية وافية لما يجرى فى تربة الأرض، وكيف يتم التعاون بين الأرض والنبات، وكيف تسقم التربة فتسقم النبات، ومن ثم تسقم الرجال والنساء.

إن النبات، على ما يقول، لا يستمد فى نمائه إلا جزءاً يسيراً من مادة الأرض، فأكثر نمائه مستمد من الهواء والماء وضوء الشمس. وهو مولع بأن يقص على تلاميذه قصة التجربة العلمية التى جربها فان هيلمونت الكيميائى فى القرن السابع عشر، يوم زرع صفصافة زنتها خمسة أرطال فى مئتى رطل من التراب، ولم يضف إليه شيئاً سوى الماء، فوجد بعد خمسة أعوام أن وزن الصفصافة قد بلغ ١٦٦ رطلا، وظلت زنة التراب ٢٠٠ رطل لم تنقص سوى أوقيتين.

يقول ألبرخت: «إن مساهمة التربة فى نمو النبات لا تزيد على خمسة فى المئة، ولكن هذا الجزء اليسير لا غنى عنه لصحة النبات والإنسان، فإن ما فى طعامنا من مواد الأرض هو «سر نماء» أبداننا — أى المعادن التى تبنى العظام والأسنان فى الحيوان وتمد أجسامنا بقوة البنيان. أما الهواء والماء وضوء الشمس فهى فى طعامنا «سر الحركة» — أى الوقود والطاقة اللذين لا بد منهما لنشاط البدن. وليس ثمة دليل على أن العناصر المستمدة من الهواء فى أطعمتنا ستعوزنا يوماً من الأيام. ولكنا نعانى الآن نقصاً فى عناصر الغذاء المستمدة من التربة. وإذا أعوزتنا معادن الأرض، أعوزنا جوهر الصحة، وأعوزتنا الفيتامينات أيضاً، فالمعروف أن المعادن إذا كانت وافرة فى التربة كانت الفيتامينات وافرة فى نباتها أيضاً.

والحقيقة الثانية التى ينبغى أن نعرفها — كما يقول ألبرخت — هى أن النبات قد يزكو زكاء عجيباً، ولو عدم بعض المعادن اللازمة له، ولكن كيانه مع ذلك يكون مختلفاً كل الاختلاف. فمقدار الكلس فى ورقة الخس مثلا يمكن أن يضاعف أو يختزل إلى النصف، ويمكن أن يضاعف فى ورق السبانخ ثلاثة أضعاف أو يختزل إلى الثلث، تبعاً لمقدار الجير فى التربة. وتتغير أيضاً مقادير المعادن فى الحشائش والأعشاب التى تأكلها البهائم، وما تأكله هى له أثر فى ما نأكل نحن من لحوم البقر والضأن والبيض.

يقول ألبرخت: «وأجسامنا نحن — أمماً أو أفراداً، بشراً أو بهائم — تكون كما نأكل. ففى الولايات المتحدة ينتج مربو الأنعام فى ميسورى بغالا ضخمة قوية،

لأن التربة هناك غنيـة بالكلس الذى يشد العظام والأجسام . وتنجب ولاية كنتكى نوعاً كريماً من الجياد خيراً مما تنجبه فلوريداء ومرجع ذلك إلى التربة . ومعــدل المرض والوفاة فى اليابان عالٍ ، لأن أكثر أرض اليابان فقير فى المعادن، بحيث يضطر اليابانيون إلى أكل السمك التماساً لسد حاجاتهم من المعادن والفيتامينات .

« وعند ما أطعمنا طوائف معينــة من الأرانب طعاماً يحتـوى على دريس تنقصه المعادن ، ضعفت ذكورها فى بضعة أسابيع ، بحيث أصبحت لا تبالى الإناث ، أما الأرانب الأخرى التى كانت تتغذى بغذاء مماثل ولكنه غنى بالمعادن، لما فيه من دريس نما فى تربة مسمدة ، فقد أصبحت ذكورها ذئاباً مغتلمة إلى إناثها. فلما تبادلت الفئتان الطعام صارت الذئاب تستحى من الأناث، وصارت الذكور الحيـــة ذئاباً مغتلمة . وكذلك الضأن التى ظلت مدة بعينها تأكل دريساً غنياً بالمعادن نابتاً فى تربة مسمدة ، أصبح وزنها ثلاثة أضعاف وزن نظائرها من نفس القطيع ، والتى أطعمت فى نفس المدة نفس القـــدار من دريس نما فى تربة فقيرة فى معادنها. إن الغذاء الغنى بالمعادن يدنى المرء من الصحة ويعينه على أن يؤدى عمله خير أداء . وكلما صحت

وأراد ألبرخت أن يرينى هذه الظاهرة فى النبـات ، فسار بى إلى مستنبت زرعت فيه عدة أنواع من السبانخ تغــذى بأنواع مختلفة من الغذاء ، يتسلسل فيها مقدار المعادن من الوفر إلى القلة ، فكادت حشرة صغيرة تقضى على نبات السبانخ الذى ساءت تغذيته. وأما الذى حسنت تغذيتــه فلم تبد عليه أى الآثار التى تخلفها الآفة، فقد كمن فيها شىء يعينها على المقاومة . والبشر، كما قال ألبرخت، كالنبات ، فمن توفرت له فى طعامه عناصر الغذاء اللازمة كان أقدر على مقاومة بعض الأمراض .

وثمة حقيقة أخرى ينبغى أن لا ننساها — كما يقول ألبرخت — وهى أن التربة تفقد فى بعض الأحوال جزءاً كبيــراً من معادنها بسهولة ، فالمطر الغزير يجعل معادن الأرض تذوب ثم تغور مع المـاء فى جوف الأرض .

وكذلك إجهاد الأرض بالزرع يفقدها مقــداراً عظيما من معادنها ، وقد حسب ألبرخت ذات مرة مقدار المعادن التى فقدتها فى عام واحد مزرعة مساحتها ٢٠٠ فدان تنتج الشـوفان والذرة والقمح والبرسيم والحشائش، فإذا قيمته بسعر السوق الراهن ١٦٣٠ ريالا .

أو ثلاث خليقة أن تستنفد معادنها ، ولكن التربة لحسن الحظ يجدّ عليها شيئان : الأول أن الزراع يردون عليها معادنها بما يضيفونه إليها من سباخ أو سماد ، أو بما يطمره المحراث فيها من الحشائش. والثاني أن للتربة نفسها أسلوباً يجعلها تطلق سراح المعادن الكامنة عادة فى كثير منها ، فتجعلها صالحة لتغذية النبات . ومع ذلك فإن الفلاح يستطيع أن يستنفد معادن أرضه إذا أجهدها بالزراعة إجهاداً تعجز معه عن تجديد معادنها المفقودة .

وثمة مزرعة فى ولاية ميسورى ، صحبنى إليها ألبرخت لكى أراها . فمنذ سنة ١٨٨٦ اتخذت هذه المزرعة حقلاً للأبحاث الزراعية، وحصصت رقعة منها لزراعة القمح فى كل عام ، فكان يزال منها الخشب والتبن ولا يرد عليها شىء قط من سماد أو سباخ أو معادن . وكانت غلة هذه الرقعة وافرة فى أول الأمر ، ولكنها أخذت تتضاءل وتسوء على مر الأعوام . وقد أصبحت تربتها اليوم من الضعف بحيث لا تستطيع أن تجدد معادنها بين الموسم والموسم حتى يتيسر أن تغل القمح كل عام، وصارت لا تستطيع أن تغل القمح إلا العام بعد العام .

تلك هى طبيعة ذلك العدو الخفى الذى يهاجم الأرض والنبات والأنعام والإنسان .

لقد استنفد الناس من رصيدهم فى مصرف التربة أكثر مما استودعوه ، وها هو ذا الإفلاس العاجل على الأبواب . إن الأمراض تتكاثر ، وعلل اسلب التى يمكن ردها إلى الغذاء تزداد ازدياداً مخيفاً ، واصبح السكر والرثية (التهاب المفاصل) وفقر الدم ونخر الأسنان وكثير من الأمراض الخفية الأسباب ، تتلظى بغياً وعدواناً . ويحاول الملايين من البشر أن يستعيضوا بالأدوية العقاقير عما يشعرون شعوراً مبهماً أنهم يحتاجون إليه . وإذا لم يكن المرض قد بلغ منا حتى ألجأنا إلى الطبيب ، فقد نكون بمنزلة بين الصحة والسقام . وقد ظهر من بحث أجرى فى أحد مصانع الطائرات فى كاليفورنيا، أن ثمة علاقة بين التعب ونقص الإنتاج والتغيب عن العمل من ناحية ، وبين نقص فيتامين ا و ج فى طعام العمال من ناحية أخرى. وثمة اكتشاف طبى خطير الشأن، هو أن كل مرض على وجه التقريب يمكن أن تحدثه إحداثاً بالغذاء الناقص . ويزداد اليوم عدد الأطباء الذين يؤمنون بأن العلاج وحده لا يكفى ، وأن الوقاية أمر لا بد منه ، وأنه ينبغى أن تبدأ الوقاية فى تربة الأرض .

لقد كان تغلغل هذا الفساد فى بعض مناطق الولايات المتحدة أكثر منه فى سواها.

ويقرر ألبرخت هذه الحقيقة ، وهى أن معادن المناطق الجنوبية قد أسرع فيها النقص وذلك لغزارة أمطارها ، وذوبان معادنها ، وتوالى الزراعات عليها ، فمن أجل ذلك صار حتما على زراع الجنوب أن يستعملوا أكبر مقدار من السماد . ومع ذلك فالذى تفقده من المعادن أكثر مما يضاف إليها بالتسميد. ويقول ألبرخت إن ٧٠ فى المئة من المجندين فى إحدى الولايات الجنوبية، قد ردّوا لعدم اللياقة الصحية، أما فى ولاية كولورادو حيث كان استنزاف المعادن من التربة أقل ، فقد قبل الجيش ٧٠ فى المئة من المجندين. وقصارى القول هو أن أهل الجنوب لا ينالون كفايتهم من القوت الصالح .

ويقول ألبرخت إن المشكلة تسير سيراً حثيثاً حتى أوشكت أن تصبح كارثة ، ولو تركناها تمضى فى طريقها قدماً لأدت إلى هلاك الشعب . وهذا هو مبلغ سلامة التربة من خطر الشأن .

أوَ فى وسعنا أن نتقى غائلة هذا الجوع الخفى ؟ فإن كان ممكناً ، فكيف؟ إن مراحل الطريق لم تتبين كلها بعد ، ولكن اتجاهه واضح . فالتربة كالإنسان يجب أن تغذى حتى تسترد صحتها ، والنبات يحتاج فى نمائه إلى ١٤ عنصراً على الأقل، ويحتاج الحيوان فى نمائه إلى ١٦ . والقليل القليل من أكثر هذه العناصر يسد الحاجة ، ولكنها على قلتها إذا انعدمت من التربة دب السقام دبيباً ظاهراً فيها ، وفى النبات ، وفى كل الكائنات التى تتغذى بالنبات .

زار ألبرخت مزرعة هيرفورد المشهورة بتربية الأنعام فى ميسورى ، فألفى قطيعاً من البقر بأكمله مصاباً إصابة خطيرة بأمراض يعجز الطب علاجها ، ووجد فى مزرعة قريبة منها قطيعاً آخر ، أتم عافية . ومن الغريب أن هذا القطيع الثانى كان من سلالة القطيع الأول ، وكان الفرق بين صحة القطيعين فرقاً مردّه إلى تربة المزرعتين، فقد كان صاحب المزرعة الأولى يستغلها منذ خمسين عاماً لا يبالى بصيانة معادن التربة، أما صاحب الثانية فقد اتبع النصيحة، فتعهد تربته بالرعاية والتقوية .

وقد تمت أعمال باهرة فى علاج التربة السقيمة. فقد تكفى قبضة واحدة من المنجنيز فى حقل مزروع بالطماطم فتضاعف مقدار ما فيه من فيتامين ج ثلاثة أضعاف . ويكفى أن يوضع قليل من البورون حول شجر التفاح فيضاعف مقدار ما فيه من فيتامين ا ضعفين. وقد قام ألبرت كارتر سافيدج بكنتكى منذ سنين بتجارب على الخضر المسمدة بالمعادن ، وكان يطعم فى مزرعته عدداً من المرضى ، فشفوا شفاء يوشك أن يكون من

الأعاجيب. وفى فلوريدا ترش حقول الليمون بالنحاس والزنك اللذين لا يتوافران فى تربتها، فيمتص ورق الأشجار هذه المعادن. وقد ضوعف مقدار الحديد فى اللبن أكثر من ضعفين، بالتسميد المناسب للتربة التى يرعى فيها البقر الحلوب.

على أن ألبرخت ينذرنا بأنْ ليس للتربة دواء واحد يشفيها من جميع أسقامها، فالكلس مثلا يصلحها ولكنك قد تسرف فى استعماله فيضرها، والبورون ينفع البرتقال ولكن الإفراط فيه قد يضره. وكل هذه الأشياء لم تزل قيد البحث، ولكن الدكتور جوناثان فورمان محرر مجلة « ولاية أوهيو الطبية » وأحد الباحثين فى التربة والتغذية يقول: « إنه ليس ثمة ما يمنع أمرءًا من أن أوساط الناس، إذا حسنت تنشئته وتغذيته، أن يعيش مئة عام فى صحة وعافية ».

إن هذه الحقائق تهم أكثر ما تهمُّ ساكن المدينة، لأنه يعتمد على الفلاح كل الاعتماد فى أمر طعامه ووفرة معادنه.

ويظن ألبرخت أن الصناعات الكيميائية التى وسعت الحرب نطاقها، ستتاح لها فى السلم فرصة عظيمة، لكى تصنع مواد ترد إلى التربة قواها، وإلى الأبدان سلامتها. وهو يقول إن البحث وحده هو المطية التى تبلغنا هذه الغاية.



صور لفظية

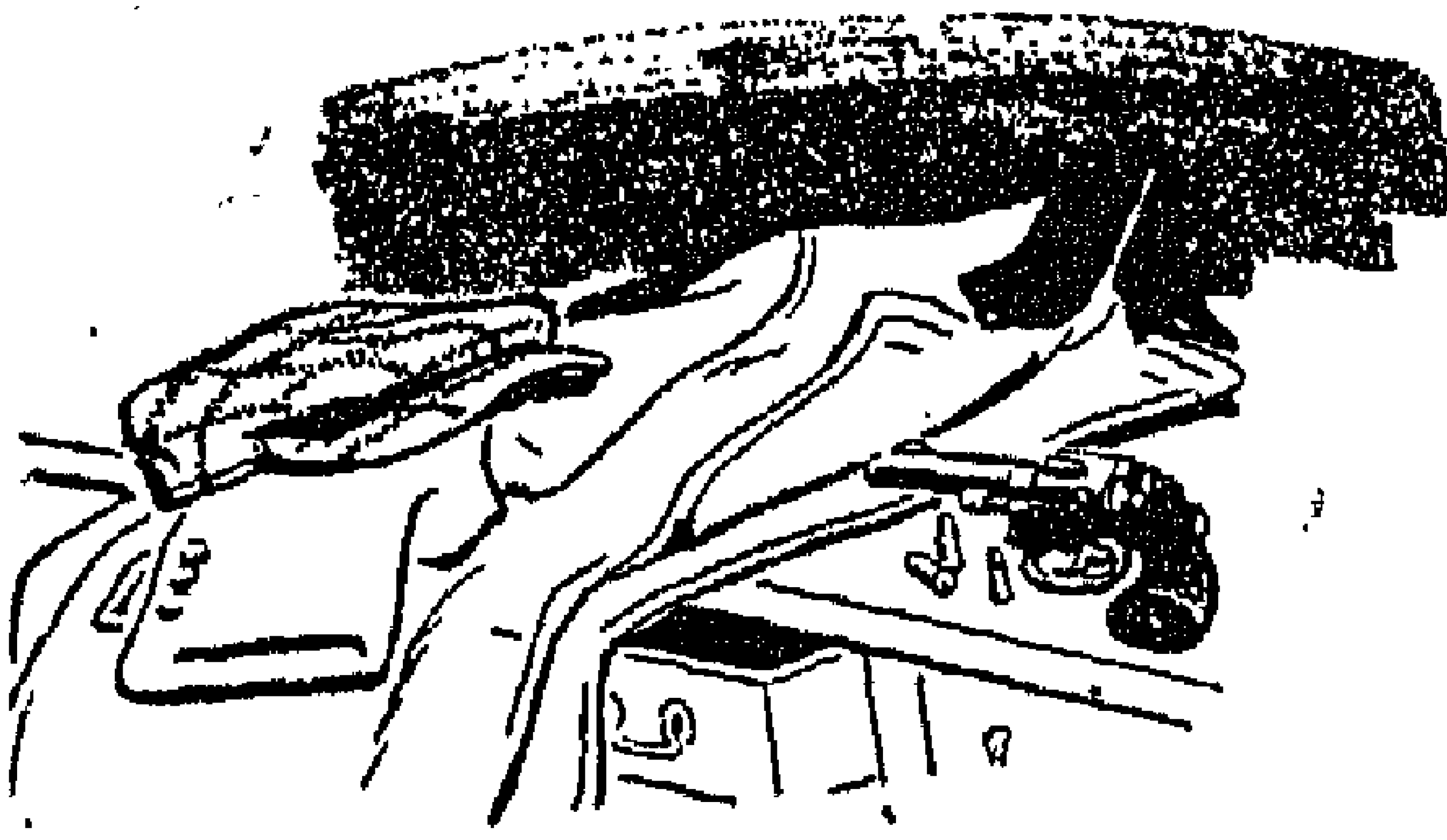
كشَّر الليل الحالك عن أنيابه فى وميض بَرْقه. [طاغور]... أطبق الصمت حتى تكاد تسمع حسّ العنكبوت وهو ينسج بيته. [كاترين مانسفيلد]

التقى عقربا الساعة على منتصف الليل التقاءَ شِقّى المِقراض، ليُجْهِزا على يوم آخر من أيام الحياة. [جورج بروكس]... دبّ الفجر فى السماءِ يسارِق الخَطْوَ، كيما يطفىء مصابيح النجوم. [أليس جرانت رسمان]

لم يكد يعبأ بى إلا كما يعبأ بنصيحة غالية. [ك. ر. براون]... هو رجل يستمدّ الدّعاية مما يحفظ ويستمدّ الحقائق مما يتخيّل. [رتشرد شريدان]

القضية الكاملة

هذه قصة يتخذها بعض أساطين القانون مثالا لمثابرة نائب عمومى على إحقاق الحق وتوزيع العدل



أنتونى أبوت

مختصرة من مجلة "ذى روتيريان"

إنه مقتل قسيس بردجبورت منذ ٢١ عاماً، يعد مثالا لمطاردة المجرمين وكيف ينبغى أن تكون. وأوراق تحقيق هذه القضية يقرؤها اليوم وكلاء النيابة فى الولايات المتحدة، ويلقن أساتذة الجامعة طلبة القانون ما تضمنته القضية من مبادىء. وهى تعد مثلا فذاً على أن حقائق الحياة قد تكون أغرب من الخيال.

عادة ألفها القسيس روبرت داهم منذ ربع قرن، أنْ يسير بعد تناول العشاء فى أحد أحياء مدينة بردجبورت. وفى الساعة ٧ : ٤٠ من ليلة ٤ فبراير ١٩٢٤ سار فى شارع مين وقد أحنى رأسه لرياح الشتاء العاصفة، ودسّ يديه فى جيوب معطفه. ثم ظهر فجأة رجل خلف القسيس حيث يلتقى شارع هاى بشارع مين، ثم رفع يده اليمنى وفيها مسدس، وسدده إلى القسيس ثم أطلق الرصاص. فدوى الصوت فى ظلام الليل القارس. وانفتل القاتل راجعاً ولاذ بالفرار، وقد ترك جثة فريسته لتقضى منبوذاً على الأرض. وأعقب الحادث ضجة واتفقت أقوال سبعة من الشهود على أن القاتل الهارب شاب مربوع القامة، على رأسه قبعة، ويرتدى معطفاً أسود قصيراً له بنيقة من المخمل، وأنهم لمحوا بريق مسدس فى يده وهو يعدو. ولم يبد أن هناك باعثاً على ارتكاب الجريمة، فإن الناس من جميع الملل كانوا يحبون الأب داهم، ولقد مرّ ١٢٠٠ شخص أمام تابوته ليودعوه، ووقف الشهود وراء ستار يتوسمون وجوه المعزين، ولكنهم لم يهتدوا إلى القاتل.

ومضت الأيام ولم يعثر على دليل له قيمة، على رغم ما عرضوا من مكافآت سخية. وكان الجمهور ناقماً، والصحف على وشك أن تثور ساخطة، حين أعلن البوليس فجأة أن اللغز قد حلّ، وأن القاتل رهين السجن. فقد قبض رجال الشرطة فى مكان قريب من نورووك على أفاق مفلس، قال إنه يدعى هارولد إسرائيل. وقد كان شاباً مربوعاً على رأسه قبعة ويرتدى معطفاً قصيراً له بنيقة من

المخمل، وفى جيبه مسدس صغير من عيار ٣٢
وقد ظهر من التشريح أن الأب داهم قتل برصاصة من عيار ٣٢

وقد روى السجين أنه بعد أن قضى أيام خدمته العسكرية فى بناما، اقتفى أثر صديقين حميمين، إلى بردجبورت. ولما أخفق فى العثور على عمل هناك، ولى وجهه شطر بنسيلفانيا، وأنه كان فى وقت ارتكاب الجريمة يشاهد فلماً اسمه « الملاكون ».

ثم أقبل الشهود لينظروا إليه، وقارن خبراء الأسلحة أثر الرصاصة فى جمجمة القتيل بالذخيرة التى فى قناة مسدسه. وقد أفضت صديقة للقاتل، وهى عاملة فى مطعم، بحديث طويل إلى رجال السلطة. وقد بلغ هياج الجمهور أقصى مداه حين اعترف هارولد إسرائيل بجأة اعترافه الشنيع، فقد ذكر أنه كان يومئذ عاطلا جائعاً يائساً، وأحس كأن شيئاً ينهش عقله نهشاً، فاحتمله الجنون حتى قتل أول إنسان وقعت عليه عينه.

وفى ٢٧ مايو كانت محكمة الجنايات العليا غاصة بالناس، ثم وقف النائب العمومى هومير كامنجز، ليوجه الاتهام إلى هارولد إسرائيل. وقف بجوار خريطة كبيرة لأحياء بردجبورت، وكان على المنضدة أمام المحكمة مسدس ورصاص وذخيرة وقبعة ومعطف قصير — وهى قرائن تنذر بالوبال.

وكان الناس خارج قاعة المحكمة يتراهنون على أن المحلفين سيحكمون بإدانة إسرائيل قبل أن تخلو هيئتهم للمداولة، وكان السجين نفسه يدعو الله أن يلهمه الصبر وهو على المقصلة.

وقد لخص النائب العمومى عشر قرائن ماحقة تدين المدعى عليه:

١ — أن المتهم أقر كتابة أنه ارتكب الجريمة.

٢ — أنه قاد الشرطى فى طريق فراره، معيناً المواضع المختلفة التى ذكرها الشهود.

٣ — أنه كانت على رأسه قبعة، وكان يرتدى معطفاً قصيراً له بنيقة من المخمل.

٤ — أن شاهدين رأيا رجلا على رأسه قبعة ويرتدى معطفاً قصيراً له بنيقة من المخمل، يطلق الرصاص فعلا.

٥ — بعد قليل رأى شاهدان القاتل الهارب، وعلى رأسه قبعة ويرتدى معطفا.

٦ — أن الشهود الأربعة تحققوا من أن إسرائيل هو الشخص الذى شاهدوه يعدو هارباً عن الجثة الملقاة.

٧ — أن شاهداً آخر كان بعيداً عن مكان الحادثة، رأى بعد عشر دقائق من ارتكاب الجريمة رجلا أعياه العدو، على رأسه قبعة ويرتدى معطفاً له بنيقة من المخمل

٨ — أن عاملة المطعم التى تعرف إسرائيل خير معرفة، لوحت له بيدها من نافذة.

المطعم القريب من مكان الحادثة ، وذلك قبيل ارتكاب الجريمة ببضع لحظات ، وبذلك قضت على حجة وجوده في السينما وقت ارتكاب الجريمة .

٩ — ذكر السجين للشرطة أنه قد خبأ في غرفته ظرف الرصاصة الفاضية وقد عثر البوليس على هذا الظرف في غرفته

١٠ — ذكر أحد الخبراء أن مسدس السجين هو السلاح الذى أطلقت منه الرصاصة التي قضت على القتيل .

ثم شرع النائب العمومي يتكلم برزانة وهدوء فقال :

لا دليل على أن هذا السجين قد لقى شيئاً من التعذيب والتنكيل . ولو أثبت التحقيق أن هذه الحقائق كلها صحيحة ، لقلت إن هذا المتهم مذنب مجرم ولا ريب ، ولكن من الجلى أنه خليق بالنائب العمومي أن يستخدم ما خول من السلطان العظيم في حماية البرىء ، كما يجب عليه أن يثبت الجريمة على الجانى

فنظر إليه الرجل الشاحب من قفص الاتهام جافلاً لا يصدق أذنيه ، ووجفت قلوب السامعين لمعركة بدأت تحتدم ، فكأن هذا النائب الطويل الفارع الأجش الصوت، يرى أن هذه القضية ليست محاكمة متهم وحسب ، بل هي صراع قائم بين القانون والحقيقة الناصعة في ناحية ، والجهل والجشع وكل أنواع الشرور التي يعرفها المرء ويقترفها في ناحية أخرى .

واحتدم صوت كامنجز وجلجل ، وإنك لتجد أقواله الرائعة مدونة في مجلات القانون ولقد سمعت كامنجز يروى القصة برمتها في مجالس خاصة ، ولكنه كان أحسن سرداً وأعلى بياناً في صباح ذلك اليوم من شهر مايو ، حين وقف في المحكمة التي أطبق عليها الصمت ، وجعل يلقيها برزانة من أعماق قلبه مرتجلا دون إعداد أو مذكرات .

محص النائب العام اعتراف السجين . وإليك الحقائق التي قررها :

قرر ثلاثة من الأطباء عينتهم النيابة ، أن إسرائيل وقع على اعترافه وهو في هلع شديد ، كانت أعصابه مرهقة وقد استبد به الفزع من شهادة الشهود . وقد انخلع قلبه وتقوض عزمه ، حين رأى أن القرائن كلها عدوّ له ، فما كاد يعترف حتى استغرق في سبات عميق . وقد أخبر كامنجز أنه كان على استعداد لأن يعترف بأى شىء حتى يظفر بشىء من الراحة . فلما قضى ليلة نائماً عاد يردد أنه برىء . وكذلك كان ما يتلوه كامنجز الساعة من تقرير الأطباء الذين

اختارهم هو ، دليلا على أن الاعتراف باطل ولا قيمة له :

وقد انتقل المتهم مع الشرطة سالكا بهم طريق فراره ، ولكن هذا عمل لا خطر له ، إذ ليس فى اعترافه بأكمله ولا فيما دل الشرطة عليه وهم فى الطريق ، حقيقة جديدة . فهو لم يكن مختاراً فيما يفعل . ولما كان إسرائيل عندئذ فى حالة إعياء وانهيار لم يكن يملك إلا أن يستجيب لكل شيء .

وأما القبعة والمعطف ذو البنيقة من المخمل ، فقد بين كامنجز أن بعض الشهود لم يتذكروها على الإطلاق إلا بعد أن قرأوا الصحف . وقال بعضهم إن القبعة كانت خضراء ، وقال بعضهم إنها رمادية . ولم تكن قبعة إسرائيل ، لا خضراء ولا رمادية بل كانت بنية ، وكان كثير من الناس ، وبعضهم فى قاعة المحكمة نفسها ، يرتدون المعاطف القصيرة ، وكانت بنائق المخمل على المعاطف زياً متفشياً .

ثم قال كامنجز متعجباً : « إنه لمن السهل أن تكون المشابهة فى المظهر ، وبخاصة فى الملبس ، مدعاة للوقوع فى الخطأ » .

وقد قال الشهود إنهم رأوا هذا الرجل بعينه يعدو مبتعداً عن القتيل ، وقد قام كامنجز بتمثيل هذا المشهد عند شارعى هاى ومين لكى يمحص الوقائع بنفسه ، فمثل أحد مساعدى النيابة القتيل ، ومثل آخر القاتل ، ووقف غيرهما حيث كان الشهود ، على بعد ست أقدام و ٢٠ قدماً و ١٠٠ قدم . ثم قال كامنجز للمحكمة :

« إن هناك مصباحاً كهربائياً على بعد ٥٠ قدماً من مكان الحادثة ، وليس يتسع للشاهد سوى ثلاث ثوان أو أربع ، وفى نور خافت ، حتى يتبين ملامح الجانى ويتذكرها . وإنه ليعرونى الذهول حين أتصور أن فى وسع أى إنسان أن يتحقق بعد مضى أسبوعين ، من شخص لم تقع عليه عينه من قبل ، وفى مثل هذه الأحوال التى ذكرتها » .

ولكن ما خبر فتاة المطعم ! إنها تعرف إسرائيل كل المعرفة ، وقد لوحت له قبل وقوع الجريمة بزمن يسير . من أجل ذلك عاين كامنجز أولا دار السينما ، وقد زعم إسرائيل أنه كان فى السينما وقت ارتكاب الجريمة . وفى تلك الليلة ، وقف النائب مع الفتاة فى مكان توزيع الطعام ، ونظر إلى الناس يمرون واحداً بعد واحد ، فلم يستطع هو ولا الفتاة أن يتبينا أحداً من المارة . ولما كان زجاج النافذة مزدوجاً ، ولا يزال أبداً داخناً من بخار المطعم ، وكان النور ينعكس عليه ، فإن ذلك كان يطمس منظر الرصيف . وقد سار عليه أحد مساعدى كامنجز ولوّح

بيديه فكان شبحاً لا يميز . ولم تستطع الفتاة أن تتبين أصدقاءها الذين كانوا يعبرون فى الطريق ، ثم اعترفت فى النهاية أنها شهدت شهادتها طمعاً فى المكافأة .

ولم يبق سوى أمر المسدس ، وكان هو أقوى الأدلة ، فقد عثر على الظرف الفارغ المعروض على المحكمة فى حمام الدار التى كان يقطنها إسرائيل مع صديقيه ، ولكن المعاينة كشفت عدداً كبيراً من الظروف أيضاً . ولقد ذكرت صاحبة الدار أن الجنود الثلاثة السابقين كانوا يطلقون مسدساتهم إلى هدف فى فناء دارها من نافذة الحمام ، ثم يلقون فوارغ مقذوفاتهم وراء الحوض.

ولما تسرب الشك إلى الأدلة استدعى كامنجز طائفة من خبراء مصنعى ريمنجتون وونشستر ، وقد أظهر ستة منهم الأخطاء الخافية فى الفحص الأول للمسدس. حقاً إن قرينة المقذوفات الفارغة جاسمة الدلالة كبصمات الأصابع، ولكن التجويف الذى كان فى جمجمة القتيل، قدّر تقديراً خطأً. وقد أثبت كامنجز ذلك للمحكمة بما عرضه من مقذوفات وبنادق وصور مكبرة .

وبقيت مسألة أخرى غفلوا عنها جميعاً قبل ذلك ، فقد أقسم جميع الشهود أنهم لمحوا مسدساً يلمع فى يد القاتل ، غير أن مسدس إسرائيل كان أسود غير مصقول، فهو لا يلمع.

وبعد هذه القصة العجيبة من البحث والتفتيش قال كامنجز للمحكمة : « أظن أنه لم تبق بعد ذلك شبهة فى براءة إسرائيل ، ولذلك فإنى سألغى الدعوى إن وافقتم على ذلك ، وسأدع هذا الرجل البرىء يخرج حراً طليقاً » .

فقال القاضى : « حكمنا بذلك » .

لا يزال مقتل داهم لغزاً لم يحل حتى اليوم ، وقد تلقى كامنجز بعد سنوات رسالة من هارولد إسرائيل . إنه لم يعد شريداً ، بل هو الآن صاحب عمل ، وقد تزوج ، وولد له طفل ، وهو يملك بيتاً وسيارة . وذلك هو الرجل الذى اعترضت سبيله الأدلة التى تسوق إلى المشنقة ، ولولا حسن تطبيق القانون لكان اليوم جثة فى قبر لا يعرفه أحد

وإن سجلات محاكم الجنايات لتزخر بأمثال هذه القضية ، ولكنها فى الغالب لا تنتهى إلى مثل هذه النهاية السعيدة . إن أعظم ضمان للبرىء ينجيه من النّكال هو ما يتحلى به رجال النيابة من ضمير حى، ولذلك ستظل قضية إسرائيل مثلا يحذر رجال النيابة الذين يحرّكهم الطمع أو الطموح .



لنواجه الحقائق في شئون القنبلة الذرّية

فرنسيس ڤيڤيان دريك

صنع سلاح له من القدره على التدمير ، ما يفوق أعظم هول يلفقه الخيال . وهو سلاح شديد الملاءمة للهجوم المفاجىء بلا إنذار ، فتستطيع دولة أن تدمر بين عشية وضحاها أعظم المدن في دولة تربطها بها في الظاهر أواصر الصداقة .
[التقرير الرسمي عن الطاقة الذرية]

كان ذلك الوميض الساحر الذي تألق فوق اليابان ، وهو آخر ما رآه سكان هيروشيما الهالكون، أن يضلل الأفهام. فنجمت آراء كثيرة عجيبة من ذلك الانفجار الذرّي ، منها توهم حرب تدور رحاها بضغط الأزرار ، وأنه صار في وسعنا اليوم أن ننسف العالم كله نسفاً . وأشنع من ذلك رأي المستمسكين بالقديم من رجال الحرب، فإنهم يصرون على أن القوة الذرية ليست سوى « سلاح آخر » وحسب ، فلا نلبث حتى نستحدث له أسلوباً من أساليب الدفاع .

على أن القوة الذرية ، تعرّض مستقبلنا جميعاً لخطر عظيم ، فخليق بنا أن نصغي إلى ما يقوله العلماء الذين ولدوها ، فعندهم أقوال تبعث على الاطمئنان

إنهم يقولون إن الحرب التي تدار رحاها بالضغط على أزرار، لم تزل فكرة وحسب، وأن القول بأننا نستطيع أن ندمر الأرض والبحر والجو ، خال من الصحة .

أما فيما عدا ذلك فليس عند العلماء ما يبعث على الاطمئنان . وأما المحافظون من رجال الحرب فيتوقعون أن يجعلوا الدفاع في المستقبل على أصول ألفوها في الماضي ، فيقول العلماء إن الأسلحة كانت حتى اليوم طبعات منقحة من الأسلحة القديمة — فالمدفع مستحدث من القوس ، والدبابة مستحدثة من الجواد ، والطائرة مستحدثة من المدفع البعيد المدى ، والبارجة مستحدثة من السفينة الحربية ذات الشراع . وقد جرت الحرب حتى اليوم وفقاً لنمط معروف لم ينله التغيير. والنصر في الحرب ، إنما كان للمحارب الذي يستطيع أن يفوق عدوّه صبراً وقدرة على الإنتاج . أما اليوم فهذا السلاح الجديد مبتوت الصلة بالماضي، والقوة

الذرية ليست تطوراً طبيعياً للبارود . إنها سلاح جديد مخيف ، هى تجربة فى ترويض قوة الكون ، وليس فى وسع أحـد أن يتكهن بما تسفر عنه . فهى تنقلنا إلى عالم لا يكفينا فيه أن نعتمد على الثروة ونتذرع بالجـلد .

وينذرنا العلماء بأن كتمان سر القوة الذرية لن يدوم إلا قليلا . فالسر الأول فى شـطر الذرة معروف فى جميع أقطار الأرض ، وقد حشد جميع العلماء من أمريكيين وبريطانيين وألمانيين وإيطاليين وفرنسيين وسويديين ، لصنع القنبلة الذرية الأولى . فالقوة الذرية لم تخترع فى هـذه الحرب ، ولكن ضرورات الحرب الملحة هى التى أطلقت القنبلة الأولى قبل ميعادها بمجهود صناعى هو إلى الخرافة أقرب . فاستطاع عدد لا يحصى من العقول ، ومبالغ لا تحصى من المال ، أن تنجح فى إنجاز العمل فى ثلاث سنوات ، بدلا من ثلاثين سنة .

وفى إعداد الأساليب العمليـة لصناعة القنبلة الذرية ، استنبط العلماء والمهندسون نحو ألف نوع من الصيغ والأساليب والطرائق الجديدة . وطائفة كبيرة منهـا تعد مكتشفات نافعة فى الصناعة زمن السلم ، وليس لها صلة بالبحث فى الذرة . وسوف تحل أمم كثيرة على الزمن هذه المشكلات الفنية ، فالدكتور إرفنج لانجميور يقول : إن علماء روسيا قد قطعوا شوطاً بعيداً فى بحث القوة الذرية .

فنحن نستدبر اليوم عالماً قديماً حرص فيه رجال الحرب على كتمان الأسرار الخاصة بمناظير القذف ومستحدثات البوارج ، عن الغوانى الحسان والمهرة من الجواسيس . فعلماء الطبقة الأولى فى العـالم جماعة تتبادل المعرفة ولا تكتمها ، وقد أجدى ذلك على العالم خيراً عمما ، ولا ينبغى أن يترك .

أيكون الهجوم ممكناً

إن العالم ليواجه خطراً عظيما . وقنبلة هيروشيما قد صارت اليوم عتيقة ، وفى وسع مهشمى الذرة اليوم أن ينسفوا نسفاً أية مدينة كبيرة أو صـغيرة بقنبلة واحدة يتفجر منها ملء ملعقة واحدة من الشحنة الذرية . وتستطيع هذه القنبلة أن تحرق فى لحظة كل حى ، وأن تصهر المبانى المشيدة بالفولاذ ، وأن تهشم الأبرق وتجعله شظايا متطايرة . وهـذا القول قائم على حساب رياضى دقيق محكم . وقد روى أن قنبلة هيروشيما ، كانت تحتوى على عشرين رطلا من الشـحنة الذرية ، فلم يستنفد منها فى التفاعل الذرى سوى عشر واحد فى المئة . وإذن فمدينة يبلغ عدد سكانها ٥٠٠ ألف

نسمة ، هلكت وبادت بتفجير قدر من الشحنة الذرية، يقل عن عشر أوقية! والشحنة الذرية كانت جزءاً صغيراً من القنبلة ، ولكن العلماء يستطيعون اليوم أن يزيدوا من قوة التفجر ، وأن ينقصوا من حجم القنبلة . وقد نقلت القنبلة الذرية إلى اليابان طائرة واحدة من القلاع الطائرة الضخمة ، أما اليوم فإن الطائرة الواحدة تستطيع أن تحمل قنبلة واحدة أقوى جداً من قنبلة هيروشيما ، أو قنابل كثيرة مثلها ، وذلك كاف فى دك عدة مدن فى وقت واحد .

ولسنا نملك اليوم سوى وسيلة واحدة لنقل مثل هذه القنبلة إلى الهدف — هى الطائرة . والقاذفات تطير الآن بسرعة ٣٥٠ ميلا فى الساعة ، ولكن الحكومة الأمريكية أعلنت نبأ صنع قاذفات تتحرك بقوة المحرك النفاث ، فتستطيع أن تسير بسرعة ٦٠٠ ميل فى الساعة ، وأضافت إلى بيانها: « لقد صار فى الوسع صنع قاذفات أضخم من القلاع الطائرة الضخمة ... وتسير بسرعة تفوق سرعة الصوت (٧٥٠ ميل فى الساعة) ... وتحمل ما زنته ١٠٠ ألف رطل من القنابل ... وهى بعيدة المدى ، تستطيع أن تقوم من أمريكا وتقذف أى موقع تريده على سطح الأرض » . فمن اليسير إذن أن تبلغ قنبلة ذرية أى بلد وراء المحيطات فى بضع ساعات . ولسنا نملك حيال مثل هذه الأساليب فى الهجوم ، غير قليل من حيل الدفاع .

فجهاز رادار وما يلحق به من المعدات — وهو آلة شيطانية ترصد هدفها فى السماء وتنطلق من تلقاء ذاتها حين تجد الهدف — جعل سلامة الطائرات المعادية فى أطباق الجو العليا أمراً شاقاً ، فخليق أن يقل استعمالها أو تزول . أما الطائرات التى تطير على ارتفاع قليل فوق سطح الأرض فتبينها بجهاز رادار أمر عسير ، لأن أمواج رادار تتحرك فى خطوط مستقيمة ، ولا تستطيع أن تلاحق طائرة تتبع فى طيرانها انحناء سطح الأرض . أما الطائرات التى تطير بسرعة الصوت ، فيتعذر تسديد المدافع إليها حين تسفّ فى طيرانها حتى تدنو من سطوح المنازل .

والاعتماد على الطائرات فى مدافعة ناقلات القنابل الذرية ، لم يزل خير وسيلة للدفاع فيما يبلغ التقدير ، اللهم إلا إذا أنشئت ملايين من المخابئ تحت الأرض يبلغ سمك سقوفها ٥٠ قدماً من الأبرق ، تتسع للناس والمصانع جميعاً . ولكن تطارُد الطائرات المندفعة بسرعة الصوت ، فى سواد الليل البهيم ، ومحاولة كل طيار من طياريها أن يتبين خصمه فى جهاز كهربائى دقيق ،

أدعى إلى ارتياح المهاجم وأكفل لنجاحه منه إلى ارتياح المدافع . فالهجوم في المستقبل سيشن في وقت واحد ، من جهات مختلفة على مناطق شتى متباعدة . فإذا أضفت إلى كل ذلك عنصر المفاجأة ، علمت أن احتمال نجاح الدفاع يسير جداً .

وأدعى من ذلك إلى المخافة إرسال مقذوفات كالصواريخ الألمانية ف ٢ ترشدها إلى الهدف أجهزة قائمة في مقر خفي . وهذه القذائف البعيدة المدى ، تسير بسرعة ٤٠٠٠ ميل في الساعة . وقد أعلن رسمياً ، أننا « نستطيع أن نوجه الصواريخ إلى الأهداف بأجهزة جديدة ، ترشد إرشاداً دقيقاً إلى مصادر الحرارة ، أو الضوء ، أو المغنطيس . وهذه الصواريخ الجديدة ، تنطلق كالسهم إلى قلب المصانع الكبيرة ولا تخطئ ، يجتذبها إليها ما في المواقد من حرارة » . أما توجيهها إلى قلب مدينة فأسهل وأيسر .

هل من دفاع ؟

إن الذين صنعوا القنبلة الذرية ، قد وجهوا عنايتهم بلا ريب إلى ابتكار أسلوب لاتقاء شرها، فلم يظفروا حتى اليوم بما يفرج كربهم ، وذلك لأن القذائف تبلغ من السرعة مبلغاً عظيما . وقد روى أن هناك شعاعة تفجر القنبلة في الفضاء . ولكن العلماء يقولون أنْ لا شعاعة من هذا القبيل ولا أمل في العثور عليها . ومدينة لندن لم تجد دفاعاً ضد الصواريخ ف٢ . وصواريخ ف ٢ التي تعد صغيرة إذا قيست بالصواريخ الجديدة ، كانت ترتفع إلى ٦٠ ميلا ثم تهبط هبوطاً عمودياً بسرعة تكاد تبلغ ميلا في الثانية . فبطاريات مدافع الدفاع لم يتسع أمامها من الزمن إلا بضع ثوان ، لكي تتبين بجهاز رادار موقع هذا الهباء المنطلق في الفضاء ، ثم تسدد إليه المدافع وتطلقها ، فكان عملها كعمل من يقذف ابرة في فضاء حجرة ، عسى أن يصيب بها إبرة أخرى . وكذلك لم يستطع الإنجليز أن يقطعوا الطريق على قذيفة ما من قذائف ف ٢

وكل هذا لا يدع لدولة مهددة إلا سبيلا واحداً — الرد على الهجوم بمثله . فالدولة التي تستطيع أن تحتفظ بتفوقها في الأسلحة الذرية ، تملك قدرة مخيفة ، حتى لتعود الحرب الذرية أعظم خطراً على الدولة المهاجمة منها على الدولة المدافعة . وفي هذه الحقيقة المخيفة نتبين شعاعاً من الرجاء : أنْ لا تعمد دولة ما إلى قذف دولة أخرى بالقنابل الذرية . ولنا في حرب الغازات سابقة ، حتى إن هتلر لم يجرؤ على الالتجاء إليها ، مع أننا نعلم حق العلم أنه أعد وخزن ١٠ آلاف

جالون من غاز جديد فتاك . لقد أدرك خطر الردّ على عمله بمثله .

الحاجة إلى ضرب آخر من الدفاع

أما وقد يفضى الخوف من الجانبين إلى تحريم الحرب الذرية ، فإن ذلك لا يعنى أن الحرب نفسها قد تحرّم . كلا ، فقد نخوض حروباً يشترك فيها جنود وبحارة وطيارون ، وتستعمل فيها الطائرات النفاثة والصواريخ وغيرها من الأسلحة غير الذرية ، فعندئذ يكون من الحمق أن تنبذ أمة ما أساليب الدفاع القائمة . وليس فى وسع صاروخ ، أو طائرة ، أو رادار ، أو مدفع أو دبابة ، أو سفينة ، أو قاعدة أن تفكر ، أو أن تكسب المعركة . فقيام الأمم وسقوطها رهن بقدرة أبنائها على البحث والتأهب .

وسيبلغ بدء الحرب القادمة — سواء أذرية كانت أم غير ذرية — مبلغاً من السرعة والعنف ، حتى لا يمضى النهار الأول إلا وتكون طائفة من أكبر مصانع الحرب قد دكت إلى الأرض ، فلا يجد المدافع بين أيديه إلا الأسلحة المصنوعة المخزونة . وقد قال الدكتور آرثر كومتون : « لا تكاد تنقضى الساعات الأولى من الحرب حتى تكون كل مدينة يزيد سكانها على مئة ألف قد فقدت قدرتها على الإنتاج الحربى » .

فمن الخطأ أن يقصر التأهب الحربى فى أمة ما على وسائل الحرب الذرية ، دون الوسائل الفتاكة الأخرى — وإن كانت غير ذرية .

إن الأمم المتحدة قد ظفرت فى هذه الحرب ولما تكد ، فظفرها لم يكن حتما ولا سهلا . وبرغم تفوقها فى الرجال والموارد ، فإن علماء الأمم المتحدة سابقوا علماء الألمان فسبقوهم بمقدار شعرة وحسب . ولو سبقهم الألمان فى سباق السلاح الذرى ، كما سبقوهم إلى استعمال الصاروخ ، لكان همّ الأمم المظفرة الآن ، أن تفكر فى كيف تجتنب الهزيمة . وفى هذا دليل على ما للعلم فى الحرب من شأن خطير .



فى أثناء الحرب الأهلية الأمريكية برم الجنرال ماكيلان بالأمر الذى أصدره الرئيس لنكولن ، والذى يوجب إرسال تقارير مفصلة من الميدان إلى البيت الأبيض كل يوم . وفى أحد الأيام أرسل الجنرال برقية إلى البيت الأبيض جاء فيها : « أسرنا الساعة ست بقرات ، فماذا نصنع بها ؟ » فجاءه الرد من لنكولن : « احلبها » .

[مجلة « كورونت]

ألف مليون من أهل آسيا قد أخذوا يدركون ما هى الحرية ، وقد شاقهم ما أدركوه ، فهواليوم لن يحجموا عن الجهاد فى سبيل إدراكه .



آسيا : ينبغى أن تعيش حرة

الجنرال كارلوس ب . روميلو

مختصرة من مجلة "كوليرز"

فى بلاد المحيط الهادى هو أسمى السلام غاية تسعى إليها الدول والشعوب ، فإذا بلغناها فقد وضعنا أساس السلام العالمى وإذا وقفنا دونها ارتطمنا فى الفوضى من جديد .

فمن البين إذن أنه لابد من نظام جديد تعيش بلاد المحيط الهادى تحت ظلاله . ولقد قضينا أربع سنوات نكافح الظلم والطغيان، فليس من العقل أن نتوقع بعد ذلك أن يظل ألف مليون نسمة من أهل آسيا خَوَلاً لسائر أهل الدنيا ، يقومون فى خدمتهم راضين بصقل الأخشاب وسقاية الماء . لقد أطفئت جمرة العدوان اليابانى ، ولكن الفكرة التى حملها اليابانيون إلى تلك البلاد وحاطوها وتعهدوها فى كل أرض تصلح لنمائها ، بقيت حية لم تطفأ جمرتها . وهذه الفكرة ترمى إلى تحقيق « منطقة الرخاء المشترك » بحيث تستطيع هذه المنطقة التى تتشابه أساليب أهلها فى الحياة وألوانهم وعقائدهم المتوارثة ، أن تصير أمة واحدة ذات كيان سياسى .

نعم ، إن هذه الدعوة الفاتنة لم تحقق من هذا كله شيئاً ، بل صار هدفها : آسيا لليابانيين . غير أن الفكرة نفسها لا تزال ثابتة لاتتزعزع ، ومنيعة لا تقهر ، وستبقى فى آسيا إلى الأبد ، ولا يمكن أن تسمَّى شغباً أو تمرداً ، فهى يقظة الشرق الأقصى ونهضته . وفى وسع أهل الغرب أن يتعهدوها حتى تصير قوة هائلة فى حفظ سلام العالم .

كانت خطة اليابان ترمى إلى أن تصير شعوب آسيا وأجناسها جماعة واحدة . وهذا مطلب جائر بعيد المنال ، وأقرب منه إلى

كان الجنرال روميلو الفلبينى آخر من برح شبه جزيرة باتان قبل سقوطها فى يد اليابان . وقد وصف فى كتابه « رأيت سقوط الفلبين » قتال الأبطال فى معركة لا يرجى فيها نصر . وهو الآن الممثل الفلبينى المقيم فى الولايات المتحدة .

العقل أن تنقسم شعوب آسيا، تبعاً لاختلاف أجناسها ، إلى ثلاث طوائف متحـدة ، هى : أهل الملايو ، وأهل الصين ، وأهل الهند . والذى أريده الآن هو أن أعرض قضية أهـل الملايو واتحادهم ، وهى مسألة سياسية واقتصادية تشمل مئتى مليون من البشر ، يتكلمون لغة الملايو ، ويسكنون أرض الفلبين ، وجاوة ، وجزيرة سليبس ، وجزائر ملقة ، وسومطرة ، وشبه جزيرة الملايو ، وسيام ، وبرما ، والهند الصينية .

لقد وُلدتُ أنا فى آسـيا ونشأت بها . وقد سافرت قبيل هـذه الحرب فطوّفتُ بين أهل الملايو فى سـيام وبرما وجاوة ومستعمرة جنوب الملايو ، فوجدت حيثما سرت ظمأً طاغياً إلى الحرية ، وشـعوراً عاماً بأن البيض قد غدروا بهم . .

ففى جاوة زعماء يعملون فى الخفاء ، وهم يتناون ملايين من الفلاحين ، يجتمعون فى بطون الغابات ليلا ، ليعدّوا عدتهم وليتهيأوا لطلب الحرية . أما فى برما فلا تزال تسمع حيثما سرت عجيج الجماهير باسم الحرية — بين الكناسين وعمال المناجم والطلبة والتجار والموظفين .

ولقد رأيت حيثما نزلت ضروباً عجيبة من التفرقة بين الأجناس تزرى بكرامة البشر . رأيت كرائم النساء من أهل برما يتنحّين جانبا فتغوص أقدامهن فى قذر المجارى ليفسحن الطريق للرحال البيض . ورأيت أشراف الملايو يحال بينهم وبين المطاعم والأندية البريطانية فى سنغافورة . ورأيت أساتذة نالوا شهاداتهم من كمبردج وأكسفورد يذادون وهم فى بلادهم عن وظائف التدريس ، حتى فى المدارس الابتدائية، لأنهم أبوا أن يركعوا خشوعاً لمقدم المفتش الهولندى" .

وفى كل مكان ترى أجساداً سمراً مهزولة عليها مآزر بالية ، ووجوها ضارعة شفّها البؤس، لاترى عينك فيها طفلا يرتع ويلعب، فهذه المخلوقات البائسة الممسوخة التى باعها آباؤها الجياع فى سوق الرق الاقتصادى ، لا يمكن أن تسمى أطفالا ، وكيف وليس فيهم طفل يعرف كيف يلهو ؟ ولا عجب فما فى جسمه رائحة من نشاط أو قوة .

فلما غلا المرجل وقذف بما فى جوفه من البغضاء بين الأجناس ، صار من اليسير أن تعرف لم كتب على البيض فى كل مكان ، إلا فى الفلبين ، أن يجاهدوا فى سبيل حياتهم ، لا ليتقوا شر اليابان فحسب ، بل شر أهل الملايو الذين لبثوا سـنين طوالا يلقون الأمرّين من عسفهم واحتقارهم . ولما كان الاستعمار اليابانى وسيلة للتخلص من الاستعمار الغربى ، فقد رضى عنه هؤلاء الأسـيويون ، وأخذوا أهبتهم للخطوة

التاليــــة التى تفضى بهم إلى الحرية .

فلما جاء « ميثاق الأطلسى » كان الظن به أن يحقق هذه الخطوة ، بما تعهد به من ردّ السيادة على الشعوب المستعبدة ، ولكن خاب الظن ، ووجدت بلاد الشرق الأقصى أن الميثاق لم يكفل الحرية إلا لشعوب البيض الذين كانوا فى قبضة النازيين ، لا للسمر الوجوه ، ولا لأهل آسيا .

وليس فى لغة أهل الملايو ، سوى الفلبين ، لفظة للدلالة على الديمقراطية ، فتراهم يطلبون نظاما يجدون تحت ظلاله نعيم الحرية وحسن العشرة والمنافع المتبادلة بين البيض والسمر . وما فعلته أمريكا فى بلاد الفلبين ينمّى عندهم الأمل ، وهو أيضا حجة بالغة تدل على صلاح المبادئ التى يزعم أنصار الاستعمار أنها خيال لا ينفع ولا يجدى .

يدعى أنصار الاستعمار أن اتحاداً يؤلف بين أمم الملايو ، اتحاد لا ينفع ولا يعيش .

وأعظم حججهم : أنْ ليس ثمة أساس يقوم عليه اتحاد الشعوب المتباينة من أهل الملايو ، فإن لغاتهم وإن اتفقت فى اشتقاقها إلا أنها متباينة الألسنة واللهجات ، ولم تطفأ قط نار الحرب بين قبائلهم حتى جاء أهل الغرب فأطفأوها ، وأن أديانهم مختلفة متعادية .

أما الحجة الثانية : فهى أن سير الحوادث يدل على أن أهل الشرق إذا ولى عليهم أهل جلدتهم يلقون من استغلالهم الجائر أشد مما يلقون من أهل الغرب . فالضرائب تجبى بالعسف ، وهى فساد مستطير ، ولا تلبث أن تنصبّ فى خزائن الأحداث من الأمراء فينفقونها فى الإسراف والبذخ . ومحاكمهم لا تبالى بالمظلوم من عامة الشعب ، وشرطتهم أيضا لا تحفل به ولا تحميه .

وأما الحجة الثالثة : فهى أن هــــذه الشعوب المتـأخرة لم تتهيأ بعد للاضطلاع بتلك المهمة المعقدة ، وهى أن تحكم نفسها بنفسها .

فلننظر الآن فى قضية اتحاد شعوب الملايو . فأول ذلك ، كيف يستبيح أحد لنفسه أن يقول : « الحرية حق حلال لأهل الفلبين وأهل هولندة ، ولكنه حرام على أهل جاوة . وهى حق حلال لأهل الصين ولكنه حرام على أهل الهنــد » . لقد كان جوهر الصراع العالمى هو أن البشر جميعا سيظفرون بالحرية .

إنه لحق أن بين شعوب الملايو فروقا ظاهرة ، ولكنها فى جوهرها شعب واحد . واختلاف لهجاتهم وألسنتهم لا يعدّ عقبــة لا تذلل ، فلأهل الفلبين خمس لهجات أو ست ، ولكن تؤلف بينهم مصلحة واحدة .

وإنه لحق أيضاً أن أهل الفلبين قد لقوا من عســف الحكام من بنى جلدتهم عنتاً

واستغلالا شنيعاً ، ولكن دليلهم على وجود هذا العسف يرجع إلى ٣٠٠ سنة مضت .

ولكن شاع فى الشرق ضرب آخر من الاستغلال ، وهو الذى يبيح لشهوة المنافع التجارية الواسعة ، أن تتدخل فى شئون البلاد السياسية ، وتتخذ قوة المال الباغية أداة لقمع كل نهضة يرومها الشعب .

إن نهضة الشعوب تقاس بما فيها من معرفة القراءة والكتابة ، فالتمسها فى الشعوب المستعمرة فى الشرق الأقصى ، وانظر ماذا ترى ؟ لقد أقام الهولنديون فى جزر الهند الغربية أكثر من ٣٠٠ سنة ، يحملون إلى بلادهم المطاط والكينا والصفيح والزيت والأرز والشاى والبن والتوابل والمعادن وجوز الهند ، وبلغ معدل معرفة القراءة والكتابة فى جاوة فى هذا الزمن كله سبعة فى المئة . وقد أنفقت هولندة ، على حملة واحدة ظلت تقاتل ثلاثين عاماً ، أكثر من ٢٥٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال ، لكى تخضع مقاطعة الآشين فى شمال سومطرة ، والتى لا تزيد مساحتها عن ٢٤٫٠٠٠ ميل مربع . أما ميزانية التعليم فى ثلاثين عاماً أيضاً فلم تزد عن عشر هذا المبلغ .

وقبل أن تغزو اليابان الملايو ، أذن الهولنديون لثلاثين نائباً من أهل الملايو أن يجالسوا ٢٤ نائباً هولندياً فى مجلس نواب جزر الهند الشرقية، ومن هؤلاء الثلاثين، عشرون عيّنهم الحاكم الهولندى . وبعبارة أخرى ، هؤلاء هم ٧٥ مليون نسمة من أهل الملايو يمثلهم عشرة نواب انتخبوهم بأنفسهم ، على حين ترى ٧٠٫٠٠٠ هولندى يعايشونهم ، لهم ٢٤ نائباً ومعهم ٢٠ نائباً معيناً من أهل البلاد . زد على ذلك أن أهل البلاد لا نصيب لهم من السلطان فى حكومة بلادهم ، وأن ليس فى الجزائر كلها مدارس صالحة لتعليم القانون ، حيث يتعلمون كيف تكون أساليب الحكم .

فقارن هذا بما كان من أمر الفلبين ، حيث تم للشعب أن ينتخب انتخاباً عاماً لمجلس نوابه منذ سنة ١٩٠٧ ، ونوابه المئة والعشرون جميعاً من أهل الفلبين ، ورئيس المجلس من أنفسهم . وقد استقل أهل الفلبين بنظامهم فى القضاء منذ سنة ١٩١٦ ، ومن خالف القانون ، من البيض أو السمر على السواء ، قبض عليه رجال الشرطة من أهل الفلبين ، وحوكم أمام محاكم الفلبين ، وحكم عليه قاض من أهل الفلبين . وهؤلاء القضاة قد درسوا القضاء وأساليب الحكم فى جامعة الفلبين ، وفى خمس جامعات أخرى تدرس القانون .

وفى الستين أو السبعين عاماً التى تولى فيها الفرنسيون المهذبون حكم الهند الصينية،

ظل الفلاحون غـير المهذبين يعيشون في مثل ما كانوا فيه من البؤس والشقاء . ولم يزل الجذام وسوء التغذية والملاريا تغتالهم كما كانت ، إذ ليس فيها إلا قليل من العيادات ووسائل التمريض ، ولم يفرض التطعيم على الناس . وشق على أهل البـلاد أن يتعلموا القراءة والـكتابة ، لأن المدارس الفخمة الحديثة لم تنشأ إلا في المدن الـكبيرة وحسب . وإذا حدثت المعجزة ويسر الله لأحد الفلاحين أن يرسل ولده إلى المدرسة ، لم يكن له أمل إلا أن يصير كاتباً خاملا ، إذ ليس في بلادهم هيئة ثابتـة من الموظفين . أما الوظائف العليا في المصـارف والسكة الحديد وبيوت التجارة ، فهي وقف على الفرنسيين .

ومستوى القراءة والـكتابة في مقاطعات الملايو المتحدة أقل منـه في جاوة . ففي سنة ١٩٤٠ كان دخل الحـكومة في تلك البلاد الغنية عظيما وافراً ، حتى أنها أرسلت عشرة ملايين ريال (من ريالات تلك البلاد) هدية إلى حكومة لنـدن ، وبقي احتيـاطي قدره ٢٠٫٥٠٠٫٠٠٠ ريال . هـذا وقد أنفق في نفس السنة على التعليم أقل من ٢٫٠٠٠٫٠٠٠ ريال ، أي نحو ٣/٤ ٤ في المئة من الدخل كله . وكان يدرس في مدرسة الزراعة ٥٨ تلميذاً على التحديد في سنة ١٩٣٨ ، وفي هـذه السنة نفسها كان في مـدارس الفلبين الزراعية ٩٠٠٠ طـالب .

ولا تزال قبـائل برما تعيش اليوم على الفطرة كما كانت منذ ستين سنة ، يوم ضمتها بريطانيا إلى الإمبراطورية . وهذه البلاد غنية بمعادنها ، ولـكنها ثروة لم تـكد تمس حتى اليوم . ومع أن ٨٥ في المئة من سكانها يعملون في زراعة الأرض ، فليس فيها سوى مدرسة عالية واحدة للزراعة على الأصـول العلمية . ولما قام حزب وطني سياسي في سنة ١٩٤٠ ، مطالباً بشيء من الإصلاح الدستوري ، ووضع مشروعاً يرمي إلى أن يكون « لـكل امرئ فدان من الأرض وبقرة » قبض على زعمائه وألقى بهم في غيابة السجن .

ومن الطبيعي أن يقارن أهل الملايو ما كتب عليهم أن يكونوا فيه ، بما في الفلبين . وهم يعلمون أن أكثر من مليونين من الأطفال يذهبون إلى المدارس في الفلبين ، وأن معدل القراءة والـكتابة هنـاك يبلغ اليوم ٥١ في المئة . ويعـلمون أيضاً أن أول ما فعله الأمريكيون يوم تولوا أمر الفلبين هو أن أرسلوا إليهم ألف مدرس ليفتتحوا المدارس ، ويدربوا طائفةً من أهل البلاد على أساليب التعليم .

أما الشيء الذي يجهلونه فيما أقدّر ، فهو أن هذه الطائفة قدمت في اثنتين وأربعين

سنة حتى صارت جيشاً قوامه ٤٠٫٠٠٠ مدرس فى ١١٫٠٠٠ مدرسة ، وأن فيها ٥٫٠٠٠ مكتبة عامة، تضم أربعة ملايين كتاب متاحة لكل من يريد أن يقرأ . وقبيل الحرب بثلاث سنوات . كانت مخصصات التعليم تتراوح بين ٣٣ فى المئة و ٣٧ من الميزانية العامة .

وقد أنشئت عشرات المراكز لمكافحة الملاريا وللتطعيم الإجبارى ، وفيها أكثر من ١٥٠٠ مستوصف ونحو ٤٥ مستشفى تابعة للحكومة ، هذا سوى عيادات الولادة والأطفال، وكلها تعلم الناس قواعد الصحة العامة والتغذية الوافية . وتنشر المراكز الزراعية فى كل شهر نشرات عن كل تحسين يهتدى إليه فى زراعة قصب السكر والأرز وجوز الهند والأناناس .

كلا ثم كلا ، إن برما والملايو والهند الصينية وجاوة وسومطرة لم تتأهب بعد للاضطلاع بحكم نفسها بنفسها ! ولكن هل يمكن أن تصير يوماً إلى شئ من ذلك تحت مثل هذا الأسلوب الاستعمارى الجائر ؟ وإلا فأين إذن المدارس والوظائف والمدربون على أسلوب الحكم ، حتى يتهيأ لهم ذلك يوماً ما ؟

وأنا لا أتوقع أن تأتى من ذات نفسها موجة من التحرير ، فتطلق ملايين البشر ليلتمسوا كيف يحكمون أنفسهم بأنفسهم، بل لابدّ بادئ ذى بدء أن يتعلموا كيف يديرون أمر مدنهم وقراهم ، ثم أمر محافظاتهم ، ثم يأتى أخيراً أمر حكوماتهم الشعبية — وكل ذلك فى مواقيت معينة يتفق عليها من قبل . وفى هذه الفترة يتولى الإشراف على الشئون الخارجية هيأة من المراقبين ، كما فعل الأمريكيون فى الفلبين .

ولكن ينبغى أن لا تكون هذه الرقابة انتداباً تتولاه دولة أوربية واحدة ، فلو تولتها دولة بمفردها كفرنسا أو بريطانيا أو هولندة، للقيت فى وجهها ناراً متضرمة من البغضاء فى الشرق الأقصى ، ولكن إذا صار للولايات المتحدة وروسيا والصين منزلة كمنزلة هؤلاء فى الرقابة خمدت جمرة البغضاء جملة . وهذه المنزلة نتيجة طبيعية عادلة أفضت إليها الحرب الأخيرة .

إن مشكلة المحيط الهادى مثل جامع لمشكلة اختلاف الأجناس فى العالم . فإذا تجاهلناها أو تخطيناها أو أهملناها كانت الحرب القادمة حرباً بين الأجناس . وإذا أردنا أن نضع نظاماً عادلاً لبلاد المحيط الهادى ، وجب علينا أن لا نسلك سبيل الهولنديين ، أو سبيل البريطانيين ، بل السبيل الذى توحى به الفطرة الإنسانية الخالصة .

امرأة في سجن

جانيت هويتني

مختصرة من مجلة "أتلانتيك منثلي"

« يرفع رجل أو امرأة لواء فتتبعه الألوف. والحركات كلها تبدأ صغيرة محصورة ثم تعم العالم » — هـذا القول لم يصدق قط على حركة كما صدق على حركة إصلاح سجون النساء فى أوائل القرن التاسع عشر التى تولتها « إليزابث فراى » زوجة تاجر كبير من تجار لندن. وهـذا مقال يصف النجاح الذى أصابته. وقد زارت فيما بعد طائفة من سجون الجزر البريطانية وفرنسا والبلجيك وهولندة وسويسرا، وأنفقت فى ذلك ربع قرن، فوفقت إلى إصلاحات كثيرة، وأصبحت أكبر داعية الى إصلاح السجون فى أوربا كلها.

فى يوم قارس من يناير سنة ١٨١٧ وقف حارسان من حرّاس سجن « نيوجيت » فى دهليز مظلم خارج سجن النساء يناقشان سيدة زائرة، وكان الشجار داخل فناء السجن عنيفاً كالعادة. وبينما هما يناقشان السيدة، إندفعت امرأة من الباب تصيح وتضحك كالمجنونة، واختطفت خمار كل امرأة وصلت يدها إليه.

وقال الحارسان للزائرة: « إن هـذه الهائجة لن تحجم عن أن تفعل بك مثل ذلك، فقد تمزق ثيابك وتخمشك أو تنشب أظافرها فيك. وهذا دأبهن ». وحراس السجن أنفسهم أعلم بهن، حتى ما يجرؤ أحدهم أن يدخل عليهن وحده، إلا أن السيدة كانت عنيدة، فقالت وهى تبتسم: « شكراً لكما، ولكننى سأدخل — وسأدخل وحدى ». فلما أصرت توسلا إليها أن تترك ساعتها على الأقل، فالسجينات ولابد سيلحظن سلسلتها تلمع من فوق ثوبها الفاخر، ولكن السيدة المتهورة أبت أن تصغى لنصحهما.

ففتح الحارسان لها الباب على الحشد الهائج المتوسّل، فدخلت وسمع للباب صرير ثم أغلق عليها. فاستولى على النسوة سكون الدهشة كأن على رؤوسهن الطير. ثم اندفعت نحوها كل امرأة فى الفناء، وتألبن عليها حتى أصبح الحارسان لا يبصران إلا قمة قبعتها، ولكن لم تحاول واحدة منهن أن تختطف منها شيئاً أو تمسها بأذى. ولم تجد النساء فى ثوبها ما يستفزهن، ومع ذلك فقد كانت إليزابث فى خطر داهم، فلو بدا منها الآن ما يدل على الخوف، أو أخطأت فيما تقول أو تفعل ... ... إلا أنها لم تكن فى حياتها أقل جزعا وأثبت جناناً مما هى الآن. فحملت بين ذراعيها طفلة قذرة،

فأخذت الطفلة تداعب سلسلتها اللامعة ، ثم رفعت إليزابث ذراعها تشير إلى النسوة أن ينصتن وقالت :

« صديقاتى .. كثيرات منكن أمهات ، وأنا أيضاً أم مثلكن . إن حال أولادكن يورثنى حسرة عظيمة . أفليس فى وسعنا أن نصنع شيئاً من أجل هؤلاء الصغار الأبرياء ؟ هل قضى عليهم أن يشبّوا رهن السجن مثلكن ؟ هل قضى عليهم أن يصبحوا لصوصاً أو شراً من اللصوص ؟

فنفذت كلماتها إلى قلوبهن ، فقدمن لها كرسياً وجئنها بأولادهن ، وأخذن يقصصن عليها قصصا تشف عن الإثم أو تبكيت الضمير أو الشكوى من الظلم أو اليأس . وقضت معهن ساعات وهى تشاورهن فيما ينبغى أن يفعلن . ولما ودعتهن تركت وراءها فى سجن نيوجيت ما لا عهد للسجن به — نفحة من الأمل .

ترى ما هو المشروع العجيب الذى اقترحته إليزابث ؟ لم يكن سوى إنشاء مدرسة فى السجن لتعليم أولاد السجينات ، ولإصلاح المجرمين من الأحداث . وقد استعانت على تنفيذ مشروعها بالسجينات أنفسهن ، وبذلك سبقت طلائع المفكرين من أهل جيلها بمئة عام .

ولما زارت السجن ثانية قوبلت بحفاوة ومودة . فردت رقتها على السجينات شيئاً مما فقدنه من الأدب ، وقدمن لها مفاخرات امرأة اخترنها من بينهن لتتولى المدرسة ، وهى شابة تسمى « مارى كونور » وقد حكم عليها بالسجن منذ عهد قريب ، لأنها سرقت ساعة ، إلا أنها كانت ذات كفاية للنهوض بتعليم الأولاد .

وأثنت إليزابث على ما رأته من تبدل حالهن ، وأخذت تبحث معهن بالتفصيل فى الأصول التى يجب أن تتبع فى المدرسة . ولما ضمنت معاونتهن الكاملة ، تقدمت إلى المسئولين — أى إلى قاضي لندن ومدير سجن نيوجيت . وما يستطيع أحد أن يحرك اهتمام أولئك العظماء ، سوى سيدة كريمة ذات ثروة كاليزابث فراى . وقد أصغوا إلى حديثها كل الإصغاء ، ولكنهم وقفوا من مشروعها موقف المثبط كدأب رجال الحكم . فقالوا إن خطتها بديعة تدل على النبل وسمو الخلق ، إلا أنها مع الأسف لا تعرف سجينات نيوجيت كما يعرفونهن ، فهن نسوة لن يرجى لهن صلاح . فلما عادت إليهم قالوا لها أن ليس فى الحبس غرفة يستغنى عنها لتكون مدرسة .

وكان من دهاء إليزابث أن أخذتهم بما قالوا من أن كل اعتراضهم هو عدم وجود غرفة يستغنى عنها . فذهبت إلى

حليفاتها السجينات، فما كادت تعرض عليهن الأمر حتى أصبن حلاً . وكانت ثمة غرفة صغيرة أجمعن على أنهن لا يحتجن إليها . فوافق المسئولون ، وأذنوا لها أن تجرب « هذا العمل الطيب الذى لا يكاد يرجى له نجاح » .

وكانت إليزابث شديدة الشوق كالسجينات إلى الشروع فى العمل ، فأسرعت فى اليوم التالى وجمعت طائفة من الكتب المدرسية القديمة ، وعينت مارى كونور معلمة ، واحتفلت بفتح المدرسة . وبلغ عدد التلاميذ ثلاثين طفلا معظمهم فى السابعة أو دونها. وحال ضيق المكان دون قبول آخرين ، ولكن تألب عند الباب عدد كبير من البنات والنساء فى العقدين الثانى والثالث من العمر ، يتوسلن والدموع تترقرق فى عيونهن ، أن يؤذن لهن فى أن يتعلمن .

فوعدتهن أن تبذل لهن كل ما فى وسعها، إذا هن صبرن قليلا . وصارت تزورهن كل يوم فترى مشاهد السجن المؤلمة ، فسمعت ورأت وعلمت ما فى السجن من بذاءة وعربدة وحطة. وعلمت أن الرجال المسجونين كانوا يغشون غرف السجينات فى الليل . واتصلت بها أنباء مساوىء يعف المرء عن روايتها ، فمن أجل ذلك كانت تستنكف أن تصحب معها فتاة شابة إلى ذلك المكان . ومع ذلك لم تزدر أحداً ، ولم تيأس أبداً ، بل أدركت أن ما تقتضيه حياة السجن من فراغ وضجر ، كان هو نفسه حافزاً ملحاً يغرى بالفساد .

ومنذ اليوم الأول قالت الذكيات من السجينات إنهن يردن أن يتعلمن القراءة والخياطة . فثلث السجينات السبعين يجهل القراءة والكتابة ، والثلث الآخر يقرأ شيئاً قليلا ، أما الخياطة فتساعدهن على صنع الثياب لهن ولأولاهن . ولكن ماذا يصنعن بعد ذلك ؟ فرأت إليزابث أن يخطن الثياب ليبعنها . ولكن لمن ؟ ومن أين يأتين بالمال ليشترين المواد اللازمة ؟

واستشارت من يعنون بإصلاح السجون، فلم يشجعها أحد منهم ، إذ قالوا أن السجينات سيسرقن كل ما تصل إليه أيديهن ، ولن يلبثن أن يسأمن، لأن أكثرهن حثالة المدينة نشأن لصوصاً وعاهرات منذ نعومة أظفارهن . وكل رغبة يبدينها فى تحسين حالهن إنما هى رغبة طارئة عابرة ، وستجد بعد حين أنها قد أضاعت الوقت والمال عبثا، وأنها قد لقيت فى نفسها أذى كثيراً .

ولكنها ثابرت ، فألفت لجنة من عشر سيدات من صديقاتها ، وسميت « لجنة سيدات نيوجيت » ، وقطع النساء عهداً على أنفسهن أن يتناوبن العمل كل يوم ، فيذهبن إلى السجن ليعلمن السجينات ،

ويجمعن المال ، ويسعين فى بيع ما تخيطه السجينات ، ويدفعن أجر امرأة تشرف على العمل ليل نهار .

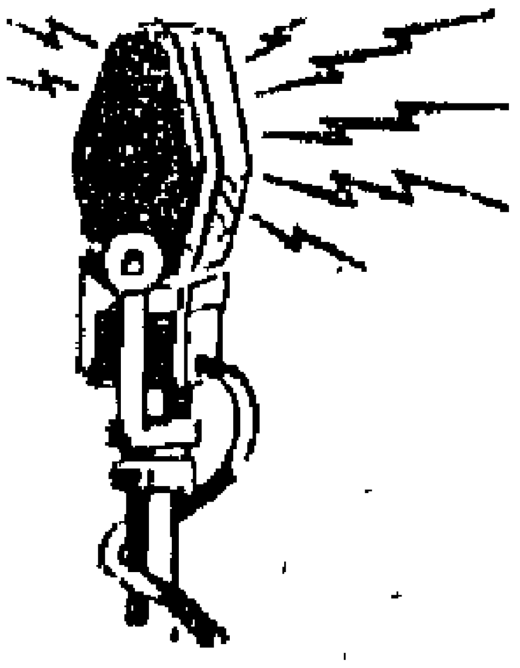
ويومئذ هب زوج إليزابث إلى نصرتها ، فقد كان يعلم أن قلب هذه المرأة النصف الجميلة لم يزل كقلب فتاة تخفرة ، وأنها تهاب أن ترجو مرة أخرى الرجال المسئولين ، ومدير سجن « نيوجيت » . فعمد هو إلى دعوتهم لتقابلهم فى منزله الفخم ، وتحت إشرافه ورعايته حضروا وتناقشوا فى الأمر ، وحاولوا أن يثنوها ، ولكنهم عادوا فوافقوا . لقد ورطوا أنفسهم حين وافقوا على إنشاء « مدرسة » لأولاد السجينات ، فكانت تلك الموافقة أول الزلزلة التى دمرت الأساس الفاسد الذى قام عليه هذا السجن .

وأمر مدير السجن بتنظيف غرفة الغسيل وتبييضها وإعدادها للعمل . وفى هذه الغرفة شرعت إليزابث فيما كانت تصر على تسميته « مدرسة » . وأقامت على كل اثنتى عشرة سجينة مراقبة من السجينات أنفسهن ، إلا أنها لم تعين « مراقبة » ، ولا وضعت « قانونا » إلا بإجماع السجينات . وبعد قليل وضعت نظاما لمنح الجوائز عن حسن الخلق ، ولكنها لم تفرض عقوبة غير عقوبة الحرمان من الجوائز .

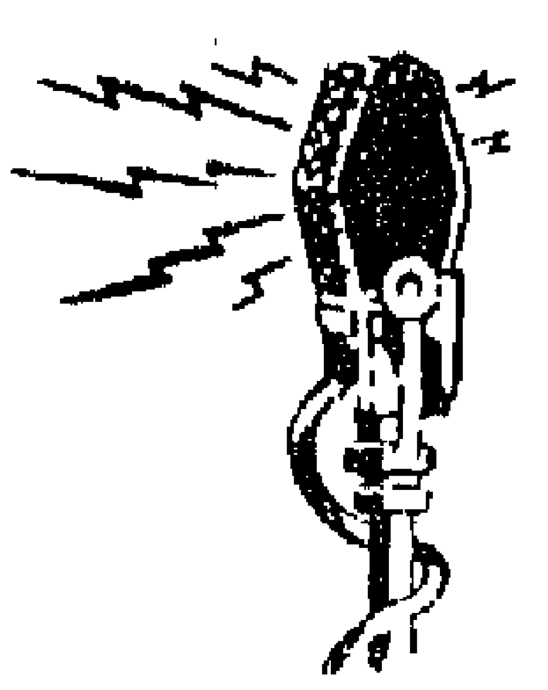
ولم يكد ينقضى شهر على بدء هذه التجربة حتى انطلق محافظ لندن والقاضيان وعدد كبير من كبار المدينة يزورون نيوجيت . وقد وصف أحد الكتاب هذه الزيارة بقوله : كان كثير من الزائرين يعرف سجن نيوجيت ومنهم من كان قد زار ذلك السجن منذ بضعة أشهر ، فرأوا الآن ما يصح أن يسمى انقلابا ، فلم يروا ما عهدوا من نساء منبوذات خليعات بين العرى والعربدة . بل رأوا المكان الذى كان يسمى « جحيم الأرض » قد انقلب مشغلا لا يهدأ أو أسرة منظمة . فوافقوا من فورهم على جعل المشروع كله جزءاً من نظام سجن نيوجيت ، وأخذوا على عاتقهم تدبير بعض المال للمديرة ، وأثنوا على إليزابث ومساعداتها ثناء حسنا .

وكذلك بدأ ذلك العمل الذى لم يحل عليه الحول حتى اتسع نطاقه ، فذاع صيت إليزابث فى جميع أنحاء البلاد . ولم تنقض ثلاثة أعوام حتى أصبحت تراسل معظم أصحاب التيجان فى أوربا ، باعتبارها مستشارة فى شئون السجون . وقد خلد اسمها بعد موتها بين أعظم نساء التاريخ .





لواذع هوليوود



يختارها ويحررها : أندرو ب . هشت

١ — دنا أحدهم من « بيت سميث » الكاتب السينمائي ، ومنتج الأفلام القصيرة التي يقوم فيها بدور الراوي ، ورجاه أن يعطيه سبعة قروش لفنجان قهوة . ويقسم سميث أنه لما سأل الرجل لماذا يريد سبعة قروش أجاب أنه يحتاج إلى قرشين ثمناً للقهوة ، وإلى خمسة قروش ثمناً لحبوب منومة، لأن القهوة تؤرقه .

٢ — كثيراً ماتتهم صناعة السينما بالمحسوبية، وقد كان موظفان يبحثان في ذلك ، فعرض ذكر عم أحد المنتجين ، فسأل أحد الموظفين « ماذا يعمل ؟ » فقال الآخر :

إنه يجلس في مكتبه فإذا هبت ريح باردة من الشرق أسرع إلى الرئيس يحذره . وأما الغرب فيتولى حمايته ابن أخيه .

٣ — كان آرثر مرى وجروشو ماركس الممثل الهزلي ، يتحدثان عن ممثلة بعينها ، فقال مرى : « إن نفسها هي أعدى أعدائها » فرد جروشو ببرود وقال: « لا ، مادمت أنا حياً » .

٤ — أصبحت الجياد في هوليوود أغلى من الغواني الحسان ، فالنجمة الناشئة تبدأ بمرتب قدره ٧٥ ريالا في الأسبوع ، وأما شركة فوكس فقد عقدت منذ عهد قريب ، عقداً طويل المدى لاستخدام جواد عمره أربع سنوات ، بمرتب يكون في أول الأمر ٣٠٠ ريال في الأسبوع .

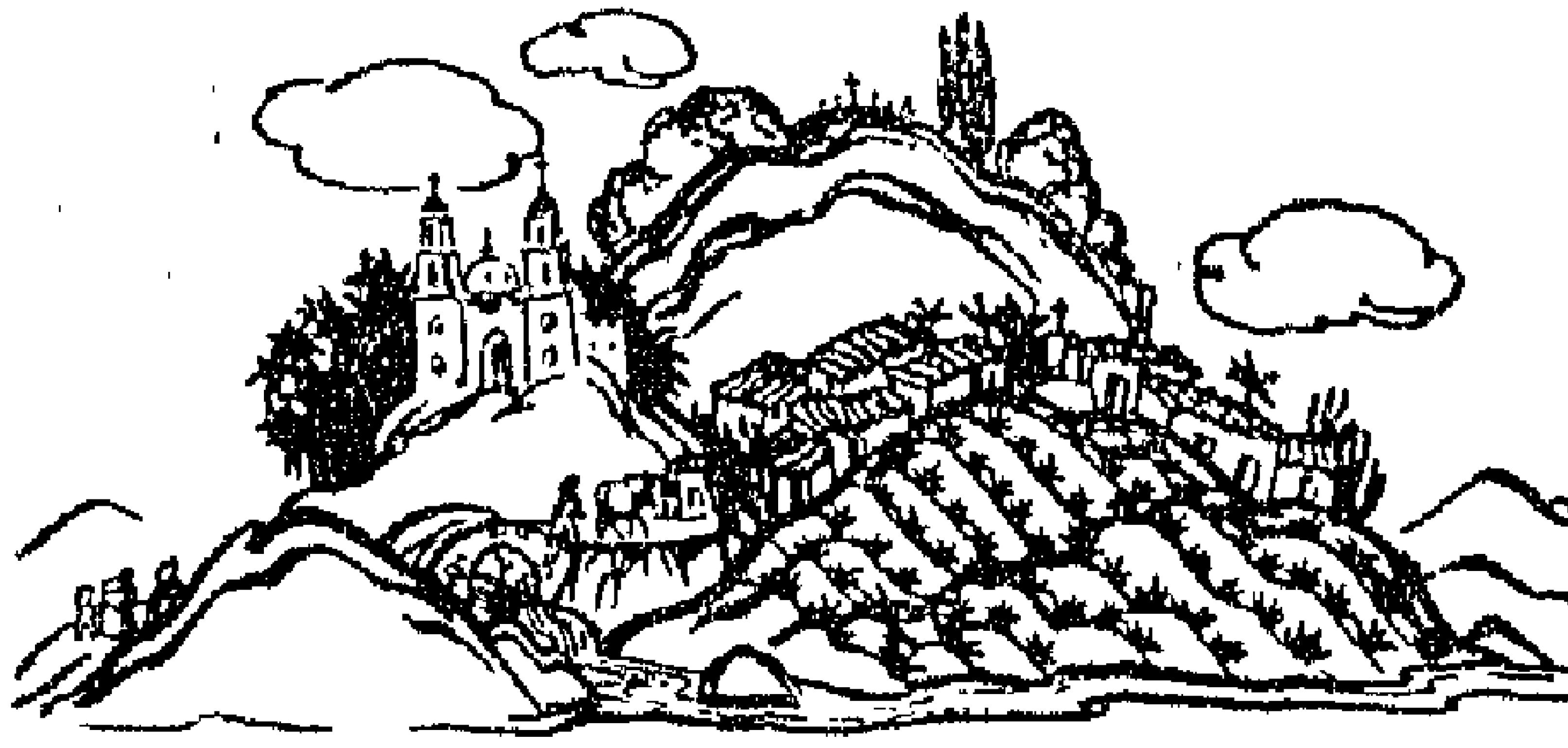
٥ — للمخرج جون كرومويل رأى مؤداه أن الرجال الذين يوفقون في الحياة تبدو عليهم في صغرهم أمارات الفطنة وسعة الحيلة . وهو يروى أن أحد كبار الأغنياء ، دخل وهو صبي مزرعة بطيخ وسأل الفلاح عن ثمن بطيخة كبيرة ، فقال الفلاح هو عشرة قروش . فقال الصبي : ولكن ليس معي سوى قرش واحد . فابتسم الفلاح وغمز مساعده ، وأشار إلى بطيخة صغيرة فجة وقال: هذه بقرش . فقال الصبي على الفور: اتفقنا ولكن لا تقطفها الآن ، فسأعود وآخذها بعد أسبوع .

٦ — يروى توم جنك أن رجلا استشار صديقاً له في مشكلة عرضت له فقال : « لقد فرت زوجتي مع أعز أصدقائي — ولشد ما افتقدته صديق ! » .

٧ — شبت النار في مطعم بهوليوود ليلة افتتاحه، فلما رمم أقيمت حفلة الافتتاح الثانية ، فدعا صاحب المطعم أعضاء فرقة المطافىء في هوليوود ليكونوا ضيوف الشرف .

٨ — جاء في صحيفة من صحف هوليوود أن مارلين ديتريش ستحل ضيفاً في منزل زوجها سيبر .

كانت حياته ملؤها الرؤى والأحلام
فصارت نفعاً وخيراً على مدينة بأسرها



"رجلٌ فنّان"

جعل أحلامه عملاً نافعاً

بقلم ج. پ. ماك ايفوى

لست أعرف بين رجال الأعمال رجلا أوفر نجاحاً من « بل سپراتلنج » الذى يقطن مدينة تاسكو القديمة الجميلة فى المكسيك، فقد اتخذ من عمله فناً رائعاً، وجعل فنه عملا رابحاً. وهو يعيش حياة ملؤها الرؤى والأحلام، كأنما هى صفحة منتزعة من رواية لفقها الخيال. ومعظم رجال الأعمال يرهقون أنفسهم فى مزاولة أعمال لا تروقهم، فى أماكن يمقتونها، ويحاولون أن يوفروا مالا لا يسعهم أن يدخروه، لكى يتاح لهم أن ينفقوا بتسع سنوات من شيخوختهم متمتعين بالحياة فى مدينة كمدينة تاسكو.

أما « بل » فهو من أولئك الرجال الفنانين الذين يَصِمهم المحافظون من رجال الأعمال، بأنهم أهل خيال لا أهل أعمال. وقد كان « بل » أحد الأساتذة الخياليين فى جامعة تولين بمدينة نيوأورليانز يدرس فنون المعمار. ولعل أساتذة المعمار ليسوا قوما يستسلمون إلى الخيال، أو لعل « بل » نفسه يختلف عنهم. ومهما يكن من شىء، فهذه القصة تبين أن بل سپراتلنج كان رجلا خيالياً ينطوى على قدرة تحسن تنمية المال والقيام عليه.

منذ نحو عشرين سنة دعى « بل » إلى جامعة المكسيك ليلقى سلسلة من المحاضرات فى فن المعمار الإسبانى القديم فى أمريكا، فطوف فى أرجاء البلاد منقباً عن المبانى التى تعد نماذج من ذلك الفن. وفى أحد الأيام، كان يطوف على بعد ٧٥ ميلا من مدينة المكسيك، فعاج بأكمة، حتى أطلّ على مجموعة من سقوف مبنية بالآجر الأحمر الذى نَصَل لونه، وشوارع متحدرة مرصوفة بالحصى الذى صقلته أجيال متوالية من حمير تحمل ركاز الفضة على متونها. كانت هذه المدينة مدينة تاسكو القديمة الجميلة، التى يرجع تاريخها إلى إمبراطورية الأزتيك التى أنشأها مونتيزوما فى أواخر القرن الخامس

عشر وأوائل السادس عشر ، يوم كانت هذه الآكام مَعْدِناً لذلك الكنز من الفضة الذى فتن الفاتح هرناندو كورتيز .

فهام « بل » بمدينة تاسكو هياماً جارفاً لا يكبح جماحه ، ولكن عمله كان فى مدينة نيو أورليانز ، فأشرف على الإفلاس . فلو كان « عملياً » لعاد إلى عمله ، ولكنه كان رجلا خيالياً ، فتمثل له خيال كتاب عن المكسيك ، ثم خيال ناشر فى نيويورك يقدم له المال على حساب الكتاب ، لكى يتمكن من البقاء فى تاسكو .

وكان فى حاجة إلى كتب عن أمريكا الجنوبية ليطلع عليها قبل تأليف كتابه ، ولكنه لم يسعه أن يشتريها لضيق ذات يده ، فتحول ناقداً للكتب فى صحيفة نيويورك هيرالد تربيون ، على أن يتقاضى ٥٠ ريالا فى الشهر ، ويحتفظ بالكتب التى ينقدها دون مقابل . فعاش ثلاث سنوات عيشاً رخياً رضياً ، على حين مضى يدأب دؤوب دودة القز ، فى تأليف كتابه عن المكسيك ، فجاء آية فى وصف الحياة فى تلك البلاد .

وحدث « بل » نفسه فقال : إذا كنت قد استطعت أن أدبر أمر حياتى فى تاسكو ثلاث سنوات ، فماذا يمنعنى عن تدبير أمرها ما حييت ؟ ولكن ذلك يقتضى منه أن يكون له دار يملكها ، وثمن الدار ألفا ريال — فقد كان يعرف ما يريد ، بل كان قد صنع له صورة فى خياله .

فلما نشر كتابه ذاع صيته بين جيرانه ، فصار كل سائح يؤم المكسيك يذهب إلى تاسكو ، ويطلب أن يقابل « بل سپراتلنج » .

ولما ذهب دوايت مورو . سفير الولايات المتحدة فى المكسيك ، إلى تاسكو ، لم يجد « بل » بداً من أن يكون له دليلا إلى مناجم الفضة المهجورة ، وإلى الكاتدرائية العظيمة التى شيدها دون جوزى ده لابوردا شكراً لنعمة الله عليه بالثروة التى أخرجها من جوف هذه الآكام . فحين رآها مورو ، اعترف بأنه من الخير أن يفرغ الشكران فى مثل هذا البناء الجميل الباقى على الزمن . وكان مورو قد قضى فى المكسيك سنين ملأت قلبه سعادة ورضى ، وقد دنا موعد فراقها ، فأراد أن يعرب عن شكره للأمة بإهداء هدية فنية ، يؤثر أن تكون بمدينة كرنافاكا حيث كان يقيم .

فتبرع له « بل » بالرأى — أى شىء أجمل من صورة كبيرة على جدار يصورها المصور المكسيكى المشهور « ديجو ريفيرا » ؟ وأى جدار فى كرنافاكا أجدر بهذه الصورة من قصر كورتيز التاريخى ؟ ففتن مورو بهذا الرأى ، وفتن به ريفيرا أيضاً . فقد كان ذلك سنة ١٩٣٠ قبل أن تذيع شهرته

ويكثر ماله . وقد ازداد ديجو فتنة حين رأى الجدران الثلاثة فى القصر ، وتبين الفرصة المتاحة له ، ليرسم عليها صور الفتح الإسبانى ، ولكنه تحير فى الأمر : كم يتقاضى من مورو الثرى ؟ هل يستطيع « بل » أن يشير عليه ؟

كان « بل » مهندساً ، فالجدار فى نظره هو رقعة مساحتها كذا من الأقدام المربعة ، سواء أصورت عليه صورة ، أم طليته بالجير . فسأل ديجو ماتقاضاه على آخر صورة صورها . « ثمانمئة ريال » . وكم كانت مساحتها ؟ إن ديجو لا يذكر فقدرها « بل » . ثم قال : لنعمد الآن إلى قياس الجدران ، ثم نقرر جُعْلك على أساس المتر المربع . ولكن ينبغى أن يخفض ديجو جعله إلى النصف ، لأن الصورة ستكون على جدار ثابت ولا يمكن أن تباع . وحسب « بل » مجموع الجعل على هذا الأساس ، وديجو يراقبه ، فإذا المبلغ ١٢ ألف ريال .

فشهق ديجو وقال : « يسرنى أن أصنع الصورة لقاء ألف ريال وحسب » . فقال صاحبنا وفى عينيه رؤى وأحلام : « لكن الحساب يقول ١٢ ألف ريال » فقال ديجو مستريبا : « إذا استطعت أن تظفر باثنى عشر ألف ريال فلك ألفان منها » . وكذلك ظفرت مدينة كرنافاكا بصورة نخمة على جدران القصر ، وظفر مورو السفير الثرى بتحقيق رغبته ، وريفيرا بعشرة آلاف ريال والخيالى بل سبراتلنج بالدار التى كان يتمناها .

و « بل » أجل شكراً لدوايت مورو ، من أجل ذلك الخاطر الذى حوله إلى عمل تجارى موفق . ففى ذات يوم كان « بل » والسفير فى الكاتدرائية ، فقال السفير : « أليس من بواعث الأسف ، أن تهجر المناجم التى أخرجت كل هذه الكنوز ، وأن ينقرض صاغة الفضة الذين صنعوا مثل هذه الروائع ؟ »

يقول بل : « وظلت كلمات مورو تتردد فى ذهنى . أينقرض فن جميل كهذا الفن فى بضعة أجيال قصيرة ؟ أنستطيع إحياءه ؟ فبحثت عبثاً فى تاسكو عن صائغ فضة ، ثم فى البلاد المجاورة فيما حولها ، وبعد أشهر عثرت على صائغ متوار فى قرية هندية صغيرة ، وحتى هذا الصائغ لم يكن يذكر سوى القليل من الفن الضائع ، فلم يكن بد من تدريبه حتى يتمكن من صنع الحلى البسيطة التى رسمتها له » .

كان ذلك منذ إحدى عشرة سنة ، أحيى بل سبراتلنج خلالها فى تاسكو صناعة منقرضة ، وأنشأ تجارة أصدرت فى السنة الماضية إلى بلاد القارتين الأمريكيتين ماقيمته ١٫٣٠٠٫٠٠٠ ريال من المجوهرات وآنية الشاى والزهريات

والأباريق ، وكان كلها جميلا رائعاً ، وكان كلها مرقوما برقم « فضة سپراتلنج » .

ولا يزال سپراتلنج يرسم كل قطعة يصوغها رجاله . ولو كان أحد غيره لسمى رجاله عمالا ولفاخر بصنعه ، ولكنه لا يفعل ، فرجاله يعملون فى « أستديو » لا فى « مصنع » ، وهو مكان محتشد بأكوار ومقاعد قائمة فى خرائب قصر قديم مشيد على سفح جبل ، حيث تجد أربعمئة رجل من الصاغة كأنهم جنّ سمر الوجوه ، يصهرون الفضة ويصبونها ويطرقونها ويصقلونها ، ويتنقلون من قسم إلى قسم يضمون أذرعهم على حجر اليشم وغيره من الجواهر وروائع آنية الفضة .

فى هذه البقعة نفسها كان رجال الأزتيك يستخرجون الفضة من المناجم ، وفيها استغل الفاتح كورتيز هؤلاء القوم . وبعد قرون جعل ده لابوردا فى هذه البقعة أيضاً يحمّل بغاله بالفضة ويرسلها إلى مدينة المكسيك . وفى السنة الماضية ، اشترى سپراتلنج هذه الخربة المهجورة بثلاثة آلاف ريال ، وبذل جهداً عظيما فى ترميمها ، وأنشأ فيها مطعما ومقهى وبركة للسباحة ، ثم نقل إليها رجاله وأبناءهم .

وهذا « الأستديو » العجيب ، هو أيضاً مدرسة ونادٍ ومركز لنشاط الجماعة ، و« عيادة » تعالج فيها وتحل مشكلات الصد بين رجال العمل ورجال الإدارة . هنا تجلة رجلا فناناً مهندساً خيالياً ينشىء بذكاء رجال الأعمال وصدق حدسهم ، صناعة وطنية تتيح عملا للأهلين وتوفر رخاء للجماعة ، وتجعل حسن الحوار عملا لا قولا وحسب .

وقد ألف « بل » لجنة من كبار الصاغة ، عهد إليها بإدارة العمل . وهذه اللجنة تنتخب كل ستة أشهر لجنة تتولى التنفيذ . فتقرر ما يلزم من زيادة المرتبات ، وتعين أيام العطلة ، وتضع جدولا للإجازات ، وتدبر أمر الطباخ ، وتشرف على الطعام ، والمطعم يقدم للصانع إحدى عشرة وجبة كل أسبوع مقابل ريال ونصف ريال ، فثمن وجبة من الطعام الجيد ثلاثة قروش ونصف قرش ، وهو أقل من ثمن وجبة من الطعام الردىء فى مطاعم المدينة .

والعمال سبع طبقات متدرجة ، على رأسهم الأساتذة أو « المعلمون » وأجر كل منهم يبلغ أربعين ريالا فى الأسبوع — وأدناهم الصبيان الذين يتدربون . ومعدل دخل العامل يبلغ عشرة ريالات أو أكثر قليلا فى الأسبوع ، وهو مبلغ ضخم فى مدينة تاسكو الصغيرة . ولا يرقى العامل من طبقة إلى طبقة ، ولا يزاد أجره وفقاً لطبقته ،

إلا إذا رضى « المعلمون » عن عمله . واللجنة تشرف أيضاً على حفظ النظام ، فالفرص التى تغرى العامل بالسرقة ، تكثر حيث تتداول الأيدى طول النهار أدوات ثمينة ، وقد نفض سپراتلنج يديه من عمل المراقبة المقيت ، فألقى المهمة على العمال أنفسهم .

ويقول سپراتلنج : « لقد وجدت أنه إذا ألقيت على العمال تبعة إدارة المصنع أحسنوا العمل أكثر مما يحسنه صاحبه . وتكاد قوانين العمل فى المكسيك تحظر طرد عامل بعد أن يعمل أربعة أسابيع ، حتى إذا ضبط متلبساً بجريمة السرقة ، ولكن إذا ضبطه زملاؤه ، فلهم أساليبهم فى التخلص منه فى الحال » .

يأخذ سپراتلنج صبياناً لا عهد لهم بالعمل من القرى والمزارع ، ويدفع لهم أجراً خلال فترة تعليمهم ، ويرد منهم من لا يصلح ، ويوجه عنايته إلى كل صبى يرجى له النجاح . وهو يشترى قطعاً من الأرض ، ويصمم دوراً تبنى عليها لكبار رجاله ، ويعينهم على شرائها بأن يقدم لهم مالا على حساب دخلهم فى المستقبل . وفى كل سنة يتيح لكل عامل فرصة ليصير رساما يبتكر رسوما للآنية والمجوهرات ، ويمنح جائزة لأجمل قطعة ، وهو يقدم لهم المواد اللازمة لما يصنعون ، ويفسح لهم ثلاثة أيام بأجر كامل ، لصنع ما يريدون .

وقد تخرج فى مدرسة « بل » هذه طائفة من كبار صناع سپراتلنج ، وآخرون استقلوا بالعمل . وترى الآن مئات من المصانع الصغيرة ، وألوفاً من الصاغة ، يصنعون أوانى الفضة والمجوهرات فى تاسكو ، ولم يكن فيها منذ إحدى عشرة سنة سوى مصنع واحد — مصنع « بل » ، ولا يزال المستوى العالى الذى بلغه « بل » فى التصميم وإتقان الصناعة وأحوال العمل ، مثالا يحتذى .

لم تقتصر يقظة « بل » الفنية على مصنعه بل تعدته إلى المدينة نفسها . ذلك أنه حين تدفق الخير على أهل المدينة وجعلوا يتطلعون إلى تشييد أبنية على الطراز الحديث ، وتزيينها بأعمدة من « الكروم » وأضواء النيون ، عمد إلى تأليف لجنة من القوم لحماية المدينة ، فانتهى بها الأمر إلى عد مدينة تاسكو أثراً تاريخياً ، واشتركت فى سن قانون ينفذ الآن تنفيذاً دقيقاً . فكل تصميم لبناء جديد ، يجب أن ينسق مع هندسة الأبنية القديمة . ولا يباح هدم بناء قديم بغير إذن ، ويحظر تعليق ألواح الإعلان فى الشوارع ، وكذلك إقامة الأرصفة المصنوعة من الإسمنت على جانبى الشارع ، وصنع السقوف من ألواح القصدير . أما الألوان فيجب أن يراعى فى مجموعها

الاتساق والتوافق . وكذلك صارت مدينة تاسكو درة بين المدن القديمة ، تحدى إليها ركائب السياح من ألوف الأميال .

وحين يحبك الناس في المكسيك يقيمون لك احتفالا ، فيعزف العازفون ، وتطلق الأسهم النارية ، وتقبلك الغوانى الحسان وترميك بالزهر ، ويرقص الناس في الشوارع . ومدينة تاسكو تقيم مثل هـذا الاحتفال لصاحبنا « بل » كل سنة . وقد كان احتفال السنة الماضية بالغ الفخامة والروعة ، لأنه كان احتفاء بالعيد العاشر . وقد تنافس كبار الصاغة فى صنع تاج من الفضة للغانية التى انتخبت « ملكة الفضة » ، وتولى « بل » وضع التاج على رأسها فى حفلة راقصة ختم بها عيد دام ثلاثة أيام . وقد لبس الناس زينة من الفضة ، وهتفوا حين أقبل من مدينة المكسيك رجال على رؤوسهم قبعات من الفضة لتحية « صاحبنا الأمريكى » الذى جاء يقطن فى هذه المدينة المكسيكية الصغيرة لأنه أحبها ، ثم أقام فيها ليحمى حمى جمالها وينشر فى أرجائها السعادة والرخاء .



أتريد أن نعرف موطن الضعف فى خلق أمرىء ما ؟ إذن فلاحظ ما يسرع إلى ملاحظته من مواطن الضعف فى سائر الناس . [مجلة « ذى پاثفايندر »]



وليم كنودسن من كبار رجال الأعمال فى أمريكا ، وأحد الذين اعتمد روزفلت عليهم فى تنظيم الإنتاج الحربى . وقد جاءه ذات يوم معاون من معاونيه وهو يضطرب ، وقال له إن أحـد التقارير قد ضاع ، ففتش عنه فلم يجده ، فكيف يستطيع أن يمضى فى عمله .

فقال كنودسن متمهلا مترفقاً : « هناك نوعان من التقارير : أحدهما يقول إنه يستحيل إنجاز عمل بعينه ، والنوع الآخر يقول إن العمل قد أنجز . أما الأول فلا خير فيه ، وأما الثانى فلا حاجة إليه » .

[أديسون بليرتى بمجلة « بارون »]

أبقى الأحياء على الزمن :

بواسق كاليفورنيا

دونالد كلروس بيتي . مختصرة من مجلة " فوريستيرز "



حين تخطو مخلِّفاً وراءك شمس كاليفورنيا المشرقة ، إلى القتام المتغلغل فى إحدى غابات السيكويا(1) والسكون المخيِّم عليها ، فكأنك قد دخلت غرفة شاهقة السقف ثم أوصدت عليك بابها . فهذه البواسق الذاهبة فى جو السماء إلى ارتفاع ثلاثمئة قدم، وما فيها من قوة طاغية ، وما تبثه فى قلبك من روح البراءة والقدس ، هى كالأنامل تهدهد من حواسنا المتفززة ، وتدعونا إلى السكون والراحة .

فليس من العجيب أن يختار مؤتمر الأمم المتحدة غابة ميور ، القائمة على الضفة المقابلة لمدينة سان فرنسسكو من الخليج ، مكاناً لإقامة حفل تذكارى للرجل الذى دعا إلى المؤتمر ولم يتح له القدر أن يشهده.

وبواسق السيكويا توحى إلى كل ناظر بمعانى القوة والنماء والقدم ، فهى من أقدم الأحياء على سطح الأرض ، ولكنها تجدد حياتها على الدهر . وهى لا تتكاثر من بذور تتفلَّق عنها قشورها ، بل تراها ترتد إلى الحياة شجراً كاملا إذا قطع ما ظهر منها أو حُرق — اللهم إلا إذا أتلفت جذورها إتلافاً . وليس بين الفصيلة الصنوبرية شجر متصف على الدهر بهذه القدرة العجيبة على أن يبعث بعثاً جديداً .

وشجرة السيكويا تستطيع أن تنبت مئة غصن جديد من براعم مستكنة فى جذع شجرة قديمة . وقد تسطو ستة من هذه الأغصان على الأخرى فتبيدها ، ثم تترعرع هذه الستة وتنمو فتصير كل منها على الزمن شجرة ضخمة باسقة كالشجرة الأصلية ، وتراها قائمة كأنها أعمدة مردة . وهذه الأشجار لا تعدّ بنات الشجرة الأمّ، كما تعد النوابت الرقيقة التى تنمو من بذرة . إنها حياة متجددة فى جيلها . ولو قطعت جميع الأشجار، لكانت خليقة أن تبعث ، فلذلك يشق علينا أن نصدق أن تيار الحياة فى بواسق السيكويا ليس فى تقدير الناس

(1) شجر كبار من الفصيلة الصنوبرية تستوطن كاليفورنيا .

وأغراضهم العـابرة ، تيـاراً خالداً .

وقد يكون مدى حيـاة جذع من هذه الجذوع أربعمئة سـنة ، إلى ألف وثلاثمئة سـنة . ولـكن غابات البواسق ما زالت قائمة منذ مليون سنة على الأقل ، فهى بقايا عصر جيولوجى خلا . وحين تسير بين هذه الأعمدة الحمر ، حيث ترسل الشمس أشعة دُخْناً من ضـوءٍ علوىّ ، وحيـن تطأ بأقدامك بساطاً من ورق الشـجر ما زال يترا كم منذ قرون ، تحس كأنك قد رميتَ خطاك إلى مشهد عصر غَـبَر . وأدعى من ذلك إلى الدعة ، أن هذه الأشجار ستظل قائمة فى وجه الشمس ، بعد أن تتحول أنت وأبناؤك وحفدتك وأبنـاؤهم إلى تراب . ويومئذ يجىء أغراب يطأون حيث تطأ الساعة ، ويصعدون أبصارهم فى رهبة إلى هذه السـوق الباسقة ، ثم ينصتون لـكى يسمعوا الحنين المتردد بين رؤوسها حين يهب نسـيم البحر بين الأغصان . وحتى الرجل الذى يتيـه إدلالا بقوته ، لا يستطيع أن يصعّـد بصره إلى إحدى هـذه البواسق ويقول : « أنا أعظم منك أيتها الشجرة » .

ولا يعرف عمر الشـجرة مـن هذه البواسق إلا حين تقطع ، فتعد الحلقات التى تبدو فى مقطع جذعها ، فلـكل سنة حلقة . وقد قطعت شجرة منذ عهد قريب ابتغاء خشبها ، فوجـد أن عمرها يقل قليلا عن ألفى سنة . وليس فى وسع أحد أن يعرف كم تراها تعمَّـر لو تركت ولم تقطع . وهذه الحلقات تقص قصة عجيبة — فالرقيقة منهـا تدل على السـنوات العِـجاف التى قل فيهـا نموها ، والعريضة تدل على سنوات الخصب التى بلغ فيها نموها مبلغاً عظيما . والحلقات تدل أيضاً على ما لحق الشجرة من مس النار منذ قرون كثيرة . فحين كانت هذه الشجرة طفلة فى عشيرتها ، كان الرومان يومئذ فى بلاد الشرق . ولقد كانت سنوات نمو سريع ، فليس بين الشجر الذى يطلب لخشبه ، شجرة تبلغ مبلغ السيكويا من سرعة النمو فى المئـة الأولى من عمرها .

وما انتصف القرن الميلادى الأول ، حتى صارت هـذه الشجرة مارداً جباراً ، يزيد ارتفاعها على ستين قدماً . فلما سقطت روما فى أوائل القرن الخامس ، كانت قد بلغت من الارتفاع ١٥٠ قدماً ، وبلغ قطر جذعها على متر من سطح الأرض عشر أقدام .

وفى أواسط القرن الحـادى عشر — الخامس الهجرى — كانت قد صارت ملـكا بين شجر الغاب ، وفى القرن الثالث عشر الميلادى ، يوم وقع الإنجليز الوثيقة الـكبرى كان الجزء الأسفل من جذعها يبلغ مئـة قدم ، وكان رأسها يعبث بضـباب البحر ،

على ارتفاع ٢٥٠ قدما فوق سطح الأرض . وكانت لا تزال آخذة بأسباب النمو ، وإن كان نمواً بطيئاً ، يوم نزل الروس على شاطئ كاليفورنيا فى سنة ١٨٠٢ ، وبنوا بخشب السيكويا حصناً لا يزال قائماً على مسافة ٩٠ ميلا إلى الشمال من مدينة سان فرنسسكو .

فلما دعا داعى الذهب فى كاليفورنيا سنة ١٨٤٩ ، وجاء الناس يهوون بفؤوسهم الضعيفة على جذوع يبلغ قطرها ١٠ أقدام أو ١٢ قدماً ، كان ارتفاع هذه الشجرة قد صار ٣٠٠ قدم على الأرجح . وقد ذهب فريق من المتشككين الإنجليز إلى أن ارتفاع الشجرة منها لا يمكن أن يزيد على ٣٠٠ قدم دون أن تهوى ، وأنه إذا زعم الأمريكيون غير ذلك ، فزعمهم باطل ، ودأبهم المبالغة . إن نواميس الطبيعة نفسها تجعل ذلك مستحيلا ، ولكن صاحبتنا لم تعبأ بما يقوله العلماء فمضت صُعُداً تسامى النجوم إلى أن جاءها بعضهم فى أحد الأيام بمنشار تحركه آلة تدور بالبنزين ، فنشرتها من قاعدتها . وفى ساعة من الزمان ، هوت إلى الأرض شجرة استغرق نموها تسعة عشر قرناً ، فأحدث سقوطها رجّة كالزلزال ، فتطايرت صحاف فى أكواخ تقع على أربعة أميال من مكان سقوطها .

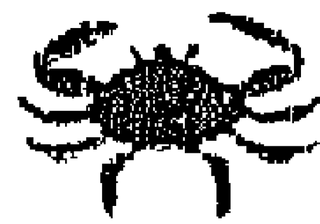
وقد تقتطع من شجرة واحدة أكواماً من الخشب مجموع مساحتها ٣٠٠ ألف قدم مربعة ، فتكفى لبناء خمسة وعشرين كوخا فى كل كوخ منها خمس حجرات . وغابات السيكويا ، هى أكثف غابات الأشجار التى تطلب لخشبها . وهى منطقة ممتدة مسافة نحو ٥٠٠ مئة ميل ، من خليج سان فرنسسكو شمالا إلى حدود ولاية أوريجون ، ولا يزيد عرضها على عشرين ميلا ، فتخرج من الخشب أكثر مما تخرجه الجزائر البريطانية مجتمعة . وليس بين الأشجار شجر آخر يصنع منه ألواح طويلة من الخشب الخالى من الأُبَن والعيوب . وليس بينها خشب كخشب السيكويا يعنو لفارة النجار ، أو يصقل صقله ، وهو خفيف متين إذا قيس إلى وزنه . وفيه مادة التنين التى تقيه الفساد ، فلا يكاد يبليه غرزه فى التراب أو نصبه فى الماء ، فهو لذلك أصلح ما يكون للأعمدة التى تقام سياجا على البر ، أو لبناء رصيف يقوم فى الماء . ويكاد يكون ممتنعاً على نخر الأرَض والسوس .

وقد مدت الخطوط الحديدية الأولى فى كاليفورنيا على عوارض من خشب السيكويا ، وهُدْهد أطفال المستعمرين الأول فى مهود مصنوعة منه ، وترى أنبذة كاليفورنيا تعتق اليوم فى دنان اتخذت منه ، لأن هذا

الخشب لا يَنْفَث رائحته فى النبيذ . وقد بُنيت مدن كثيرة فى هـذه الولاية بخشب السيكويا ، وها أنا أجيل نظرى فى الحجرة التى أكتب فيها هـذه الكلمات ، فأرى السقف والجدران مكسوة بألواح من خشب السيكويا لم تزل على لونها الطبيعى .

أما وهذه منافع خشب السيكويا المتعددة ، فلا عجب أن تجد مصانع الخشب تتوق إليه ويتغلغل رجالها بمناشيرهم فى الغابات البكر . وشعب أمريكا لا يكاد يملك عشر هـذه الغابات، وأما التسعة الأعشار الباقية فيملكها أفراد ، وفريق كبير منهم باع نصيبه إلى شركات الخشب .

ولم يتنبـه الشعب إلى الخطر الذى كاد يحيق بهذه الغابات ، إلا منذ أربعين سنة ، فأنشئت هيئة همها دعوة الناس إلى أن ينقذوا هذه الغابات من أن تنقرض ، وتلتها جماعات أخرى كثيرة، تسترد الغابات بشرائها فداناً فدانا ، أو تزرع غابات قد تمضى آلاف من السنين قبل أن تعود إلى ما كانت عليه من روعة وجبروت .



الأجوبة الصحيحة

١ — ألق البيضة من ارتفاع أربع أقدام ، فتسقط مسافة الأقدام الثلاث الأولى دون أن تنكسر ، أما بعد ذلك فويل لخادمة البيت مما ينزل بخشب أرض الغرفة من القذارة .

٢ — تقف الكرة وتعود إليك إذا قذفتها إلى فوق .

٣ — بأن تسير بسيارتك القهقرى (مارش آرير) .

٤ — كان الأبوان والابنـان ثلاثة أشخاص — ابن وأبوه وجده .

٥ — أنت القائد .

٦ — الانتحار .

٧ — عُلِّق الطربوش على ماسـورة مسدس الرجل المعصوب العينين .

٨ — ١٥ قرشا : خمسة للقطع الأول ، وخمسة لقطع كلٍّ من القطعتين .

٩ — الملك جورج السادس ، فمن ألقابه « إمبراطور الهند » .

١٠ — بأن تلبس البنطلون مقلوباً .

أسرار الإذاعات التى كان يذيعها ضابط فى بحرية الولايات المتحدة ، وكان لها دور مهم فى تسليم اليابان .



ثمانى عشرة كلمة أوقعت اليابان

كابتن إى. م. زخارياس من ضباط الأسطول الأمريكى

مختصرة من مجلة "ستردای إيفننج بوست"

يعلم اليابانيون الآن بأن اثنى عشرة كلمة يابانيــة التى أذاعها متحدث أمريكى ، كان لها شأن عظيم ، ولعله حاسم ، فى إنهاء الحرب . ففى ٢١ يوليه سنة ١٩٤٥ قلت فى أحد أحاديثى الأسبوعية المذاعة للمحيط الهادى من مكتب الأنباء الحربية ، ما ترجمته الرسمية : « إن ميثاق الأطلسى وتصريح القاهرة هما ، كما تعلمون ، قاعدة السياسة الأمريكية » .

وقد حملت هــذه الألفاظ الرسالة التى كانت الحكومة اليابانية تنتظرها بلهفة . وكنا فى وشنطون قد تلقينا أخباراً دقيقة من داخل اليابان بأنه منذ أوائل سنة ١٩٤٥ ، قامت جماعة قوية من الزعماء اليابانيين تبحث فى اجتماعاتها اليومية تقريباً ، الوسائل التى تستطيع بها اليابان أن تخرج من حرب يرون جميعاً أنها لا محالة قد خسرتها . وكان الذى يمنعهم من طلب الصلح هو شكهم فى أمرين : الأول أنهم يريدون أن يعرفوا معنى « التسليم بلا قيد أو شرط » ومصير اليابان بعد الهزيمة . والثانى أنهم حاولوا أن يحصلوا منا على تأكيدات بأن الإمبراطور سيبقى على العرش . وقد قرروا أن يؤيدوا مجهودات رئيس الوزارة كويسو لإطالة الحرب ما بقى الشك فى هذين الأمرين .

فما الذى جعل اليــابانيين إذن يدركون أولا أنهم مهزومون لا محالة ، ثم يدركون أن عليهم أن يستسلموا ؟

منذ وقعت حادثة بيرل هاربر شرعتُ أتساءل : ألا توجد ثم وسيلة يمكن بها إنهاء القتال دون حاجة إلى غزو الجزر اليابانيــة نفسها ؟ وفى سنة ١٩٤٢ كنت نائباً لمدير الاستعلامات البحرية فى وشنطون ، فأنشأت فرعاً خاصاً فى وزارة البحرية لدرس وسائل الحرب النفسانيــة التى يمكن أن نصل بها آخر الأمر إلى تسليم اليابان .

والحرب النفسانية لا يمكن أن تكسب الحروب ، ولكن مما لا ريب فيه أنه كان لها أثر بالغ في حمل اليابان على الاستسلام بعد أن هزمت .

وقد بدا لنا أن اللحظة الملائمة للشروع في حملتنا جاءت يوم غزو الفلبين في شهر أكتوبر سنة ١٩٤٤ . فوضعت جماعات عديدة ، تعمل كل منها مستقلة ، الخطط لإذكاء نار الحرب السياسية في نفس الوقت الذي يجرى فيه الهجوم الحربي والبحري . ولم يكن هناك جهد منسق، وكانت الأصوات ترتفع عالية في الولايات المتحدة بأن اليابان لن تستسلم . وقدرت نشرة رسمية أن هزيمة اليابان تتطلب على الأقل ثمانية عشر شهراً بعد الانتصار في أوربا .

وكانت هذه التقديرات قائمة على قاعدة العوامل العسكرية ، ولكن خبرتي الطويلة باليابانيين أقنعتني بأن العوامل النفسانية ترجح الاعتبارات الأخرى جميعاً . وتذكرت اليوم الأول من سبتمبر سنة ١٩٢٣ ، وهو اليوم الذي أتيح لي فيه أن ألم للمرة الأولى إلماماً حقيقياً بالنفسية اليابانية في وقت الشدة . وفي ذلك اليوم شاهدت في يوكوهاما الزلزال الياباني الكبير ، فأدركت فجأة أن آفة اليابانيين هي قصورهم وعجزهم الأصيل عن مواجهة الكارثة، وكانت الوزارة قد سقطت قبل ذلك بيومين ، والحكومة راكدة ، ولا سلطة هناك تستطيع أن تعمل عملا أو تصدر أمراً، وبغير أمر من السلطات العليا، لا يمكن أن يعمل شيء في اليابان . فاقتنعت وأنا أراقب الذهول الذي استولى على كل فرد ياباني ، بأن هذا خليق بأن يكون سلوك اليابانيين إذا أصيبوا بنكبة في حرب .

وبعد الاستيلاء على جزيرتي سايبان وأيوو دلت الأنباء التي جاءتنا من اليابان على أن وزارة الجنرال كويسو على وشك السقوط ، وأنه سيتولى رياسة الوزارة رجل من المقربين إلى الإمبراطور . وقد تحقق هذا في إبريل سنة ١٩٤٥ ، بتعيين الأميرال سوزوكو رئيساً للوزارة . وكان سوزوكو في السنوات العشر الماضية دائباً في مقاومة غلاة العسكريين ، وصار من أقوى الناس نفوذاً وراء العرش . فكان من الجلي أن حزب السلم صارت له اليد العليا ، وأنه في حاجة إلى التأييد .

ولما كنا على بينة من الأمر فقد كانت لدينا خطة معدة لتزويد سوزوكو بالحجج والهداية ، وكان يساعدني في الحملة ويعمل معي في رقعة ضيقة في بناء صغير بوشنطون ، جماعة قليلة من رجال الأسطول الأمريكي ، مؤلفة من ستة من الخبراء كل منهم متخصص

فى بابه . وكان أحدهم عالماً نفسانياً ، والثانى عالماً اجتماعياً ، والثالث اقتصادياً وعسكرياً ومؤرخاً ، والرابع لغوياً بارعاً ، والخامس خبيراً بالحرب النفسانية ، والسادس صحفياً .

وكانت مهمتنا أن نضعضع إرادة القيادة العليا اليابانية ، وأن نصل بها إلى الاستسلام بغير قيد عوضاً عن السحق التام ، وأن نفسر أيضاً معنى الاستسلام بغير قيد . وكانت الحملة تدور على سلسلة من الإذاعات أوجهها إلى الحكومة اليابانية والقيادة العليا ، ولم يحتج الأمر إلا إلى أربع عشرة إذاعة فى مدة لا تزيد إلا قليلا على ثلاثة أشهر لتحقيق هذه المهمة الأساسية .

وكانت أول إذاعة لى فى اليوم الذى انتهت فيه الحرب فى أوربا — ٨ مايو سنة ١٩٤٥ — وكان مدارها على تعريف الرئيس ترومان الحكم للتسليم بغير شرط . وقد وجهت حديثى إلى « اليابانيين المسئولين المفكرين » ، وذكرت عدداً من كبار الوظفين اليابانيين — من بينهم رئيس الوزارة سوزوكو نفسه — بالصلات الوثيقة التى كانت لى بهم أيام السلم . وذكرت أيضاً الأمير والأميرة تاكاماتسو ، وكيف أنى صحبتهما فى رحلتهما فى الولايات المتحدة سنة ١٩٣١

وبعد ذلك بأربع وعشرين ساعة تلقينا أدلة عديدة على تلقى الإذاعة فى اليابان . فقد أذيع خبر مستعجل فى طوكيو يقول : « إن الأمير تاكاماتسو أنيب عن الإمبراطور فى زيارة هيكل أسلافه الإمبراطوريين فى إيز » . وكان هذا البروز المفاجىء لأصغر إخوة الإمبراطور من ظلمة الغموض ، هو الأسلوب اليابانى فى تعريفى أن رسالتى قد فهمت . وجاءت بعد ذلك أنباء مستعجلة من الصين ومنشوريا تتضمن إشارات عوجاء إلى أحاديثى غايتها الاستيضاح ، أو محاولة تشويه مقاصدى .

وفى اليوم التاسع عشر من حملتنا جاء أول رد مباشر من طوكيو ، وكان ذلك جواباً عن إذاعتى الرابعة التى تناولت فيها طائفة من الزعماء وقفوا باليابان على حافة الكارثة . وقد سميت فيها بعضهم وقلت : « والآن يستطيع اليابانيون أن يقدروا تماماً الزعامة السياسية التى جرت بلادهم إلى المحالفة المشئومة مع ألمانيا » .

وكان الذى ألقى الرد هو الدكتور إسامو إنويى ، نائب رئيس قسم الاستعلامات فى وزارة الداخلية اليابانية ، وكان قد اختير « لمباحثتى » عن طريق الجو فى الاستسلام بغير قيد ، لأنه زعم أنه يعرفنى معرفة شخصية . فلما تلقينا فى مكتبى رده الذى صاغه بمهارة وتهرب ، أقبلنا عليه نحلله لنعرف الغاية منه . وحصلنا من محطة حكومية على

في جزيرة أوكيناوا ، قبل استسلام اليابان ، طلب إلى نفر من الأسرى اليابانيين أن يصغوا إلى حديث مسجل بلغتهم . ثم سئلوا عن رأيهم في المتحدث فقالوا إنه ياباني عالي التربية . وكان الصوت هو صوت الكبتن إليس م . زخارياس ، الذي كان إلى عهد قريب من أشهر قواد البوارج والطرادات في الأسطول الأمريكي . وقد التحق بالسفارة الأمريكية في طوكيو بعد الحرب العالمية الأولى ، فأتقن درس اللغة اليابانية وصادق كثيرين من ضباط اليابان . وقد قال عنه ضابط ياباني أسير في أوكنياوا بعد أن سمع حديثه : « كأن صوته صوت ضميرنا » .

النص الياباني لحديث إسامو إنويي . ولما درسنا النص الأصلي والترجمة ، وجدنا أن رسالة إنويي حافلة بالبيانات الواضحة . فقد قال : « إن اليابان مستعدة لبحث شروط الصلح ، بشرط إدخال تعديلات معينة في قاعدة التسليم بغير قيد . ونحن نود أن نشارك في إنشاء أداة عالمية تعمل للسلم العالمي ولخير الإنسانية » . وقد فسرنا هذا القول بأنه هو « الرسالة » التي ينطوي عليها الحديث كله ، وقد اقترح الشروع في « مفاوضات الصلح » على قاعدتنا ، فقد قال في الختام : « إني أود أن أعرف رأي زخارياس في هذه الكلمات من اليابان » .

وقد كشف النص الياباني لإذاعة إنويي عن وجوه ذات دلالة كانت خافية في الترجمة الإنجليزية . فقد خاطبني وسماني زخارياس « كون » ، وكانت الإشارات إليّ قبل ذلك باسم زخارياس « تايسا » ، أو الكبتن ، ومعنى « كون » إذا ترجمت حرفيا هو « صديقي العزيز » ، وهي لا تستعمل إلا بين الصديقين الحميمين ، فوضعها هنا يجعلها نداء حافلا بالمغزى .

واقتبس مذيعون يابانيون آخرون فقرات من أحاديثي ، ومعنى ذلك أن كلماتي تبث وتنشر في اليابان . وكنا نعرف أن كل إذاعة أمريكية مهمة ، تطبع مختصرة لنحو خمسمئة من الزعماء السياسيين والصناعيين والعسكريين الذين بأيديهم الأمر ، وترسل نسخ منها إلى القصر الإمبراطوري . وهكذا توقعنا أن نصل إلى دائرة الإمبراطور الخاصة .

ولم نسقط من حسابنا اليابانيّ من أوساط الناس ، فقد كنا نعيد الإرسال من جزيرة سايبان على موجة راديو طوكيو فيتسنى بذلك لليابانيين أن يسترقوا السمع ونحن نتحدث .

وكنا أيضاً نعيد طبع فقرات من أحاديثى فى صورة نشرات نلقيها بالملايين على اليابان ، وكانت الأحاديث تعنون بعنوان جريدة الجنرال ماك أرثر «راكاسان نيوز» ، وهى جريدة تطبع باللغة اليابانية وتلقيها الطائرات على الأرض اليابانية . وبهذا رجونا أن ندفع الجمهور إلى إيقاع الضغط على حكومة سوزوكو .

وتكاثفت المؤامرة حول السلم أو الحرب داخل اليابان . وكان الأميرال سوزوكو هو العقل المحرك لجماعة السلم ، ولكن رجالا أصغر منه مثل وزير البحرية الأميرال يوناى هم الذين قاموا بالتآمر وبرز الأسطول اليابانى قوة دافعة وراء حركة السلم ، وبذلنا نحن كل ما يسعنا لتعميق الهوة بين فرعى القوات المسلحة ، وكان يقاوم البحرية جماعة من غلاة الضباط فى الجيش يقودهم رئيس الوزارة السابق هيديكى توجو نفسه، من بيته الذى اعتزل فيه العمل ادّعاء . وكنا نعرف أن جماعة الجيش تدبر انقلاباً ، ولكنا كنا ندرى كذلك أن الأحوال فى اليابان لا تسمح بمثل هذا الانقلاب

وفى اليوم الذى أعلن فيه أن قواتنا استولت على أوكيناوا ، أصيبت وزارة سوزوكى بصدمة قوية ، ولم أعد أستطيع أن أخفى عن الشعب أن غزو الجزر اليابانية الأصلية سيكون العمل التالى للحلفاء . وبذل سوزوكى مجهوداً يائساً أخيراً فطلب من الحكومة السوفيتية أن تتوسط فى الأمر، فأبلغ السوفيت وشنطون التماس سوزوكى، ولكنهم لم يردوا على رئيس الوزارة اليابانية.

ولم يعد المانع لسوزوكى من قبول شروطنا راجعاً إلى اعتبار مادى مثل الاحتفاظ بمنشوريا ، فقد كان الأمر الوحيد الذى يحول دون اتخاذ قرار هو الشك فيما سيؤول إليه مركز الإمبراطور فى المستقبل، فدعا سوزوكى المجلس النيابى إلى اجتماع فوق العادة يعقد فى ٨ يونيه ، ألقى فيه خطبة كانت موجهة إلينا أكثر مما هى موجهة إلى المجلس ، للحصول على إيضاح لهذه النقطة الأخيرة .

وصارت المسألة التى تواجهنا الآن هى أن نطمئن سوزوكى إلى أنه ليس ثم عزم على القضاء على ما وصفه فى عبارة غامضة بأنه « الكيان القومى » لليابان . ولم يقتصر ردنا فى هذه المرة على الإذاعة ، بل اخترنا وسيلة ملتوية كالتى يتبعها اليابانيون. فقررنا أن نبعث برسالة غفل من التوقيع الصريح إلى جريدة أمريكية حسنة السمعة ، وأن نلفت نظر سوزوكى إلى هذه الرسالة بأسرع ما يستطاع . ووقع الاختيار على جريدة



« وشنطون بوست » فنشرت الرسالة فى ٢١ يوليه بفضل التعاون التام من جانب محرريها معنا . وكانت العبارة الأخيرة فيها كما يأتى :

« إذا كان أكبر همّ لليابانيين ، كما بين الأميرال سوزوكى فى البرلمان ، هو الكيان القومى لليابان فى المستقبل (كوكوتاى) وفى جملته مركز الإمبراطور بعد الاستسلام ، فإن طريق المعرفة هو السؤال . ومثل هذا السؤال ، على خلاف الاعتقاد الشائع ، تمكن الإجابة عنه بسرعة وعلى وجه مرضى ، لكل من يعنيهم مستقبل السلم فى الشرق والعالم » .

وأعيد نشر الرسالة فى عدة صحف أمريكية ، فأثارت اهتماما عظيما ، وكنا على يقين أن مراكز استراق السمع اليابانية فى وشنطون ستلتقطها وتنقلها إلى اليابان عن طريق البلاد المحايدة . وقد كان .

وفى الوقت نفسه أعدت إذاعة أخرى على أعلى مستوى دبلوماسى ، وكانت تحوم حول مسائل السياسة ولا تمسها ، وقد ظللنا عاكفين على نصها نحو أسبوع ، نصوغها ونعيد صوغها ونزن كل لفظ بأدق عناية . ولما ذهبت أخيراً إلى حجرة الإذاعة التى كنت أسجل فيها الأحاديث ، كان النص الرابع عشر فى جيبى .

وقد قدمنى المذيع فى إذاعتى هذه ، وهى الثانية عشرة ، فوصفنى بأنى « ناطق رسمى بلسان حكومة الولايات المتحدة » ، ولكن اليابانيين أظهروا شكا فى حقيقة السلطة المخولة لى ، فهل ثم تأييد من مقامات عالية لكلامى ؟ أذعنا النص على الصحف ورجونا بذلك أن نبدد شكوكهم . وقد أذيع الحديث فى ٢١ يوليه ، وكانت صحف المساء أول من تكلم عنه ونوه به ، وعنونته جريدة وشنطون بوست بهذه العبارة « الولايات المتحدة تنصح اليابان بالخروج من الحرب الآن ، والنجاة من الدمار المحقق » وفى صباح اليوم التالى نشرت النيويورك تيمس الحديث بنصه الكامل .

والحديث تكرار لما اشتملت عليه رسالتى إلى جريدة وشنطون بوست : « إن زعماء اليابان يواجهون أحد أمرين . الأول هو التدمير التام لليابان ، يتلوه إملاء شروط الصلح . والثانى هو الاستسلام بغير قيد وما يتبعه من المزايا على نحو ما هو مبين فى ميثاق الأطلسى »

ولم يطل انتظارنا للرد اليابانى فقد أذاعه فى الساعة ١٢ والدقيقة ١٥ صباحا من يوم ٢٤ يوليه إنويى آخر — الدكتور كيوشى إنويى — وهو من أبرز الثقات اليابانيين فى العلاقات الدولية ، وكان أستاذاً فى جامعة كاليفورنيا الجنوبية .

وكانت الرسالة التى عهد فيها إليه ذات خطر عظيم ، وكان فحواها فى الواقع أن يعرب عن استعداد اليابان للاستسلام بغير قيد ، إذا استوثقت من أن ميثاق الاطلسى سيسرى عليها . وقد قال : « إذا أظهرت أمريكا إخلاصاً فى إتباع القول بالفعل ، كتطبيق ميثاق الإطلسى مثلا فيما عدا الشرط التأديبى ، فإن العسكرية اليابانية تقف الصراع مضطرة إذا لم تقفه عن رغبة . وحينئذ — وحينئذ فقط — تغمد السيوف فى الشرق والغرب » .

ويجب — ونحن نكرر الطرف فيما حدث — ان نعد إذاعة إنوبى فى ٢٤ يوليه ذات دلالة تاريخية عظيمة ، فإن ههنا دليلا قاطعاً على أن اليابانيين قرروا إنهاء الحرب على قاعدة الشروط التى بينتها فى سلسلة أحاديثى . وقد جاء الرد اليابانى قبل تصريح بوتسدام بيومين ، وقبل أن تلقى أول قنبلة ذرية على اليابان بثلاثة عشر يوماً ، وقبل دخول السوفيت فى الحرب بأكثر من أسبوعين . إذن فقد تهيأت اليابان للاستسلام ، ولم يبق علينا لكى نحصد مازرعنا إلا أن نهزها ونرجها كما تهز الشجرة المثقلة بالتفاح الناضج .

وقد كرر تصريح بوتسدام القواعد التى أذعتها فى أحاديثى ، فلما أذيع آخر حديث لى فى ٥ أغسطس لم تبق هناك حاجة إلى الحرب النفسانية . وكانت طائرة الكولونيل تيبتس ومعها حمولتها الذرية الغالية متجهة إلى هيروشيما ، على حين كان الكتاب اليابانيون فى طوكيو يدونون كلماتى . وكانت طوابير الجيش الأحمر قد زحفت لتعبر حدود منشوريا ، وصارت حياة اليابان كدولة محاربة تعد بالأيام لا بالأسابيع ، وانتهى عملنا ، وأصبح على اليابان أن تخطو الخطوة التالية .

وقد جاءت هذه الخطوة فى صورة إذاعة من طوكيو فى ١١ أغسطس تضمنت الرسالة التى بعثت بها الحكومة الإمبراطورية إلى حكومتى السويد وسويسرا . وهذه الرسالة تعرب عن قبول شروط تصريح بوتسدام : مع تحفظ ذى دلالة هو أن تصريح بوتسدام « لا ينطوى على أى طلب يتحيف من امتيازات جلالته بصفته الحاكم الأعلى » . وكان هذا رداً ضمنياً على اقتراحى الذى نشرته بجريدة وشنطون بوست ، بدون توقيع صريح ، وهو أن خير وسيلة لمعرفة مركز الإمبراطور فى المستقبل هو الاستفسار .

والباقى من التاريخ . وقد أدت الحرب النفسانية مهمتها فى حرب المحيط الهادى ، ومن شأن نجاحها أن يفتح ميادين جديدة لهذا الضرب من الحرب ، فعلى العالم أن يأخذ حذره .

قصة مدرسة تقوم بمهمة فريدة في تربية شخصية الصغار وتقويمهم



خمسون ولداً خائفاً

فولتون أورسلر — مختصرة من مجلة «كريستيان هيرالد»



على المسرح صبي يغني، وطفلة ترقص، وطائفة من الشخوص (القراقوز) تتعارك وتتصايح، وصغار يعزفون. وهم خمسون من أحداث المدرسة يمثلون أمام آبائهم الذين يعرفون القصة، فهم يشاهدونهم بعيون تغشاها الدمع. ويبدو لهم هذا التمثيل معجزة.

وكل هؤلاء الخمسين يؤدون ما كان يظن أنه مستحيل عليهم قبل ثلاثة شهور ليس إلا، وقد كانوا من قبل صبياناً وبنات شديدي الحياء، وهم يؤدون الآن أدواراً صاخبة في روايات صغيرة. والذين كانت تنقصهم الخفة واللباقة صاروا يرقصون، والذين كانت أصابعهم ثقيلة أصبحوا قادرين على تحريك الخيوط المعقدة المتصلة بالشخوص. وكل مشترك قد أتقن شيئاً، وهذا هو السبب في تسمية الفرقة «جماعة أستطيع».

وقد اختير هؤلاء الصغار لأنهم كانوا متهيبين جزعين، وكان كل منهم يهدده أبشع ما يساور الأطفال وأخطره — أي الخوف من الإخفاق. وكان كل منهم يوشك أن يصبح ذا مركب نقص مزمن.

وهذا المظهر من مظاهر التغلب على النفس وقهرها ليس إلا مثالا عادياً لإنماء الشخصية في مشروع للشباب لا يزال منذ أحد عشر عاما يؤتي ثماراً رائعة.

وقد كان من فضل علم النفس الحديث في أعمال المدرسة أن تعلم التلاميذ الخمسون الخائفون أن كل إنسان يستطيع أن يصنع شيئاً مهما، وأن لكل امرىء استعداداً خاصاً، وأنه ما من أحد يخلو من موهبة.

ومذ بدأ المشروع أرسل آلاف من أطفال مدارس ولاية نيويورك لاختبارهم في معهد قريب وضع نهجاً خاصاً قائماً على ما يهتدي إليه علماء النفس، لإنماء شخصية كل طفل. وكانت القاعدة التي يسرت النجاح أنك لا تجد إنسانين متماثلين، وأن كل طفل يجب أن يعالج بحسب حالته. والمعلمون يعملون بالتعاون مع الآباء والعلماء للتغلب على ضعف الشخصية، ولإنماء المواهب والملكات.

ويقول الذين يرعون المشروع إنه ليس إلا بداية ، ويصرح المدير أرنست م . ليجون أستاذ علم النفس في المعهد بأنك « تجد في كل مدينة كبيرة عدداً من الأطفال خلقوا للعظمة ، كعدد من أنجبتهم الأمة في تاريخها من العظماء والعظيمات . وهذه العظمة يمكن إدراكها إذا أحسنت تربية الشخصية . ونحن نحتاج إلى إعداد معلمين لتربية الشخصية ، كما أن عندنا الآن معلمين لتدريس العلوم والمعارف »

وهذا التدريب للشخصية هو الذي أثمر « جماعة أستطيع » . خذ تيد ذلك الصبي الذي رحب بالآباء عند الباب . فقد سأل عن أسمائهم ، ثم بعد ساعتين صافحهم مودّعاً وسماهم بأسمائهم ، وهو واثق . ويقول ليجون : « ليتك رأيت هذا الغلام قبل ثلاثة شهور ! »

كان يومئذ لا ينفك يقول : « لا أستطيع هذا » ، « ليس لي بهذا يدان » . وكان يواجه كل لعبة أو هواية جديدة ، وكل الأفكار الطريفة أو غير المعهودة ، مواجهة من ينحّيها عنه ، لأنه عبث مطلق وباطل لا يجدي . وكان لا يفتأ ينتقد إخوته وأخواته ، ولكنه يمتعض امتعاضاً شديداً من أن ينتقد أو يعاب . وكان يتجهم أحياناً ، وأحياناً تعروه نوبات عنيفة من الغضب ، وكان خجولا إذا لقي غير أهله ، فيضطرم وجهه بسرعة ، ويرتبك بسهولة ، ويزداد نفوراً من الناس واجتنابا لهم ، وقد دُلل كثيراً في صدر حداثته ، وكثر تنبيهه إلى وجوب التحرز ، وقلما كان يسمح له بأن يحل مشاكله بنفسه ، فاعتاد أن يعتمد على أبويه .

واتفق ذات يوم أن دل معلم تيد أمه على مدرسة ليجون ، وقال لها إنها مدرسة من نوع مختلف ، وأن لها نهجاً فريداً في بابه للتغلب على الخوف والبغضاء وسائر ما يعترض النمو العقلي . والغرض من التربية فيها إنضاج الطفل وإكسابه الثقة بالنفس وإعداده من الوجهة الوجدانية لعمل يفيده معاشاً حسناً ، وينيله الرضى ، وأهم شيء أنه يهيؤه لخدمة الإنسانية ، ولا شك أن هذا يتطلب صحة العقل والنفس .

ولكي يلتحق تيد بالمدرسة ينبغي أن يختبر كل سنة اختباراً نفسانياً دقيقاً ، وهو أمر يشقّ على الطالب ، ومع ذلك كان بمدرسة ليجون قبل اثنتي عشرة سنة أقل من ثلاثين تلميذاً ، أما الآن فإن فيها ثلاثمئة ، وهناك عدد آخر ينتظر الدخول . ويمضون بتيد إلى غرف الامتحان التي يديرها طلبة المعهد الذين يتخصصون في درس علم النفس ، فيختبر في الألعاب الرياضية ، وتقاس قوته وقدرته على التنسيق ، ونظره وسمعه وسائر حواسه ، ثم يختبر ذكاؤه واستجاباته الوجدانية .

على أن أنفع الاستكشافات كثيراً ما يجيء في أثناء اختبار المواهب . فماذا يحسن هذا الغلام ؟ يؤخذ تيد ويكلف وضع أوتاد في سلسلة معقدة من الجحور ، ويعالج مزاليج ومسامير وكلابات ، ويفحص في احد الاختبارات بطاقة رسم عليها ثلاثون وجها وتحت ذقن كل واحد اسمه ، فيدرس ثلاثين وجها وثلاثين اسما في مدة معينة ، ثم تؤخذ البطاقة ، ويمضي إلى اختبارات أخرى . وبعد قليل تعرض عليه بطاقة فيها ثلاثون وجها، بعضها كان في البطاقة الأولى والآخر جديد ، ولا أسماء تحت الذقون .

فكم إسما يستطيع أن يتذكر ؟ ويتعجب الجميع لقوة ذاكرته ، فإنه يتذكر جميع من رآهم تقريبا . فهو ذو قدرة نادرة على تذكر الأسماء والوجوه ، وتلك مزية لها قيمتها .

على أن نفع هذه الملكة في كسب الرزق لا تبيّن لتيد في الوقت الحاضر ، بل يبدأ ليجون بأن يبين له مبلغ السعادة التي يجلبها للغير بفضل هذه الملكة، وفي وسعه أن يبدأ بعد قليل. وما أكثر ما يشعر الناس بالوحشة والخجل ، ففي وسع تيد أن يستقبل الزوار في حفلات المدرسة ، ولما كان يتذكر الأسماء فإنه يستطيع أن يذهب عنهم الوحشة.

ويقول ليجون لأبوي تيد : «إن ابنكما خجول، لأنه يخشى أن لا يكون شيئا ذا قيمة، وهذا هو أوان تخلصه من هذا الوهم قبل أن يثبت ، وليس في الأمر شيء غير عادي ، فإن هناك مئات الآلاف من الصبيان مثله ، وعلى أن الأمر ليس من السوء كما يبدو ، فإن الخوف من الإخفاق يمكن أن يكون ذا فائدة إذا عالجته علاجا صحيحا » .

ويرى الأستاذ أن يكفّ الوالدان فترة عن توجيه نقد إلى الغلام ، ويقترح أن يحاولا أن يجعلا الخيبة تبدو كأنها هي الطريق إلى النجاح، فيروي الأب على العشاء كيف حدث مراراً أن جرّت عليه أغلاطه زيادة في العمل والتعب في المدرسة ، قبل أن يصبح تلميذاً من الطراز الأول . وتروي الأم كيف شقّ عليها أن تتعلم الطبخ . وهكذا يتحدثان عن عيوبهما ومصاعبهما، كأنها كانت مواثب إلى التوفيق، على أن يجيء الحديث عرضاً واتفاقاً .

وبعد أيام سأل ليجون الغلام ، هل يودّ أن يكون هو الذي يستقبل الزوار في احتفال المدرسة ؟ وقبل أن يتمتم الغلام باعتذاره ، يمضي الأستاذ في سبيله ، ثم يبدأ الدرس فيلفي تيد نفسه مسحوراً بما يقص المعلم عن ستيف . ذلك أن ستيف كان سباحاً بارعاً في التاسعة من عمره، فلما بلغ الخامسة عشرة داسته سيارة ، فانكسرت سبع من ضلوعه وساقه اليمنى وأصيبت رئته بجرح . وما أقسى ذلك على فتى كان يحلم بأن يكون بطلا !

على أن القدر ادخر له ما هو شر ، فإن الأطباء بعد أسابيع أنبأوه أنه لن يعيش أكثر من عامين وأن الشفاء مستحيل .

وفي عصر اليوم الذي سمع فيه ستيف هذا الحكم عليه، جعل يصلي ويبتهل، ثم لبس ونزل البركة ليعوم، وأبى أن يتقبل الحكم بالموت عليه ! وإذا هو بعد عامين يدخل في مباراة السباحة ، ثم فاز بعد ذلك ببطولة السباحة لمسافة خمسة أميال .

والتمعت عينا تيد من العجب لقصة هذا السباح ، وأحس غمزة في ذراعه ، وإذا بالدكتور ليجون ينظر إليه متبسما : « أتحب الآن أن تتولى الترحيب بالزوار يا تيد ؟ »

« نعم يا سيدى ! »

ولكن تيد يحتاج إلى كثير من المساعدة على الرغم من استعداده المتجدد لأن يحاول، فإن التغيير في اتجاه الشخصية ليس بسهل ، ولذلك يدربونه أولا بعناية على الترحيب بغلام واحد فقط ، فيتمتم ويحمر وجهه ويشعر بالارتباك ، ولكن لا أحد يضحك أو يعبأ شيئاً ، فإن الأطفال الآخرين مشغولون بأعمال أخرى . فهوّن عليك الأمر يا تيد ! تعال ! جرب مرة أخرى .

وبعد قليل أصبح تيد يستطيع وهو مطمئن أن يستقبل أى واحد من هؤلاء الخمسين الصغار ، ويحفظ أسماءهم ، ويمضى بهم إلى مقاعدهم ، وهو أتم ما يكون رباطة جأش . وهو يعد نفسه الآن متخصصاً فى الاستقبال والترحيب .

وكان طبيعياً فى يوم الاحتفال أن يشعر تيد بمثل اضطراب الممثل على المسرح . ولكن الاحتفال لا بدّ أن يجرى والناس يفدون، ولا أحد هناك يقودهم إلى مقاعدهم. آه يا تيد ! إن الأمر رهن بك حقاً ! فيتشدد، وإذا هو قبلة الأنظار، ويجعل كل قادم يشعر بالراحة والأنس . فلا عجب إذا ترقرقت عيون أبويه وهما يلاحظانه .

وكل طفل آخر فى هذا المعهد له قصة نجاح .فهذا فرانك الذى فقد شجاعته وثقته لأنه قصير، ويعرف أنه لن يكون إلا كذلك. وبعض القصار يتغلبون على الشعور بالنقص، بأن ينقلبوا شرسين معتدين، ولكنه كان ضعيفاً فاستسلم لليأس ، وقد أصبح سريع التأثر قليل الالتفات دون أن يدرى لذلك سبباً .

وقد وجد ليجون حلا لمشكلة فرانك فى الألعاب ، فقبل حفلة التمثيل بقليل جرت مباراة فى كرة القدم بين المعهد ومدرسة أخرى ، وكان أحد المهاجمين من فرقة المعهد غلاماً دقيق الجسم إلا أنه لاعب ماهر ، وقد اتفق أن ارتفع نجمه فى المباراة . وفى اليوم التالى دخل ليجون المعهد متأبطاً دراع المدرب ، وتحدث المدرب عن اللاعبين ،

ولم يكن يعلم أن المقصود بهذا الحديث هو فرانك سوى قليل من الكبار . فقد كان ذلك اللاعب الدقيق الجسم يحب الكرة ، غير أن إخوانه نصحوه بترك اللعب لشدة قصره ، إلا أنه احتمل المتاعب والسخرية وواظب على التدرب ، فصار أسرع وأمهر من معظم التلاميذ الذين هم أكبر منه جسما .

وسمع فرانك الحديث فتجدد أمله ، وكان ينقصه التدريب والتربية ، ولكنه سرعان ما صار رئيس من يقدمون فصول التمثيل فى حفلة المعهد التالية .

والفتاة مارى ذكية ولكنها متكلفة وسريعة الغضب ، ولا تحسن معاشرة أحد . وتدل الاختبارات على أن لها خيالا قوياً ، ولها أيضاً مقدرة آلية وإنشائية ، ولهذا وجهها العلماء النفسانيون إلى العمل .

وتقول المعلمة لمارى : «يامارى ، أنا أريد منك أن تضعى السناريو للشخوص، ولنجعل الرواية تدور على مشكلة نفسية . فالبطل من ذلك الطراز الذى يستاء طول الوقت، ويظن دائماً أنه هو المصيب، وأن كل امرىء آخر ، مخطىء فهو متكلف سيىء الخلق ، وذكى ولكنه يضايق . والآن فلنحول هذا المخلوق ، ولنجعله إنساناً ينزع إلى المعاونة ويستطيع دائماً أن يرى وجهة نظر الغير . أليست هذه فكرة يا مارى ؟ »

وتقبل مارى على وضع القصة غير منتبهة إلى شخصيتها فيها، ولكن أخلاقها تبدأ تتغير. ولا يقتصر الأمر على أن يتعلم البطل الخشبي التعاون ، بل تتعلمه المؤلفة الصغيرة أيضا .

بمثل هذه الوسائل يحل الأستاذ ليجون ومعاونوه فى المدرسة والآباء أيضاً، مشاكل الأطفال . والآفة الأولى فى نحو ٧٥ فى المئة من هؤلاء الأطفال هى الشعور بالقصور وعدم الثقة بأنفسهم .

وبتوسيع نطاق تربية الشخصية يمكن إخراج أجيال من الرجال والنساء لم يستسلموا قط للخوف ولا تغلب عليهم الغضب ، بل هم يقهرون الشكوك والضعف ، ويعرفون مواهبهم الطبيعية ، ويستخدمونها مغتبطين فى خدمة إخوانهم .



يعلمنا التاريخ أننا لا نتعلم شيئاً من التاريخ [فريدريخ هيجل]

كان ترك التدخين أسهل ما فعلت ، وإنى بذلك لخبير ، فقد فعلته ألف مرة .
[مارك توين]

قضية السلام

مختصرة من كتاب إمرى ريفز



قالت النيويورك تيمس : « قد يكون من الخير للعالم أن يقرأ عشرة ملايين أو عشرون مليوناً من الناس كتاب « قضية السلام » ويناقشوه ، فإنه بارع بليغ يعالج الواقع كما هو » .

وتقول الأسوشيتد بريس « قل بين الكتب عن أخطار الحرب ما هو أشد تحريكا للنفس من هذا الكتاب عن احتمالات السلام » .

وقد نشرت الصحف حديثاً كتاباً مفتوحاً ، الغرض منه حمل أكبر عدد ممكن من الناس على قراءة الكتاب ، باقتراح المستر أوين ج . روبرتس القاضى السابق بالمحكمة العليا بالولايات المتحدة ، والمؤلفين المشهورين كارل وماك فان دورين ، وبتوقيع فولبرايت ، وبيبر ، وألبرت د . توماس أعضاء مجلس الشيوخ ، وألبرت أينشتين ، وتوماس مان ، وممثلى الصناعة ، والعمال ، وهيئات المحاربين القدماء .

ومما جاء فى هذا الكتاب : « ونحن نحث كل امرىء على قراءة هذا الكتاب وتدبر آرائه ، ومناقشته مع الأصدقاء فى المجالس الخاصة والمحافل العامة . فإن ما فيه من آراء ، إذا اعتبرنا حقيقة الحرب الذرية ، له قيمة عاجلة ملحة ، إلا إذا كانت الحضارة مصممة على الانتحار » .

والفكرة التى يدور عليها الكتاب بسيطة : وهى أنه ما من وسيلة من الوسائل التى استخدمت لتحقيق السلام إلى الآن ، تصلح . فقد جربت جميعاً مرة وأخرى وأخفقت بغير استثناء واحد فى منع الحرب . ويعتقد المستر ريفز أن السلام سيجىء ، متى تخلت السيادة القومية المطلقة التى تحدث الفوضى فى العلاقات الدولية ، عن مكانها لنظام قانون عالمى ، ومتى صارت العلاقات بين الأمم منظمة لا بالمعاهدات بل بالقانون .

وفى القسم الأول من الكتاب ، وهو المختصر هنا ، يتتبع المستر ريفز الاتجاه المفضى بكل الأمم نحو النظام الجامع فى ظل النظام الحالى القائم على السيادة القومية .

قضية السلام

يمر تفكيرنا السياسي والاجتماعي اليوم بعصر انقلاب شبيه جداً بالعهد الذي مر به علم الفلك والعلوم النظرية في أثناء عصر النهضة.

وقد ظل العلماء أكثر من أربعة عشر قرناً يعتقدون أن الأرض مركز الكون، وأن حولها تدور الشمس والقمر وسائر النجوم والكواكب.

ومع أن هذا التصور يبدو لنا اليوم بدائياً إلا أنه ظل سائداً لا ينقض إلى سنة ١٥٠٠ تقريباً. ثم أدى اتباع أساليب جديدة في الملاحظة إلى خطوة من أعظم خطوات التقدم العلمي في تاريخ الإنسان، وهي تقرير نظام كوبرنيكس. ولقد فتح كوبرنيكس عالماً جديداً، وأرشد الناس إلى الطريق الذي أفضى في النهاية إلى قبول النظرة الصحيحة إلى الكون، وهي أن الأرض، كغيرها من الكواكب السيارة، تدور في الفضاء حول الشمس.

واليوم ينبغي أن نشك في تفكيرنا السياسي، كما شك كوبرنيكس في الآراء العلمية في زمنه. ونحن نعيش في عالم من الدول القومية، ومركز عالمنا السياسي هو أمتنا الخاصة، وهي بمثابة النقطة الثابتة التي نعتقد أن بقية العالم تدور حولها.

ونحن نستطيع أن نحل المسائل السياسية والاقتصادية والاجتماعية داخل كياننا القومي، أي في الأمة بواسطة القانون والحكومة. ولكننا في علاقاتنا بالأمم الأخرى نشعر أن هذه المسائل ذاتها ينبغي أن تعالج «بالسياسة» و «الدبلوماسية». وهذه هي قاعدتنا الأساسية وهي اليوم عتيقة جداً ولا خير فيها.

لقد ظلت هذه الطريقة عدة قرون قائمة لا يشك في صوابها أحد، وحلت المسائل الجارية على نحو مرضى، ولكن التطور العلمي والفني أحدث تغييرات بلغ من عمق صبغتها الثورية، أن صارت الحاجة تحتم الاهتداء إلى طريقة جديدة. ففي قرن واحد زاد عدد سكان الأرض أكثر من ثلاثة أضعاف، وظلت وسيلة المواصلات آلافاً من السنين، هي قوة الحيوان — ثم حدث في قرن واحد أن تغير النقل فصار بالسكة الحديدية والسيارة والطائرات التي تدفع بالنفث. ولا مثيل في تاريخ الإنسان للتغيير الذي أحدثه التطور الصناعي.

وليس في نظرياتنا المعتمدة ما يصلح لأن تعالج به مسائل اليوم المعقدة المقلقة. فإنا نلفي أنفسنا عاجزين كل العجز لأنا لسنا

مزودين إلا بآراء غير صالحة ، موروثة من العالم قبل أن يدخل فى عصر التطور الصناعى .

وعلى رغم الاتساع الهائل فى نطاق النقل، نعجز عن منع المجاعات فى كثير من البلاد ، على حين توجد الوفرة فى غيرها من جهات الأرض . وهناك مئات من الملايين فى أمس الحاجة إلى المنتجات الصناعية ، ولكننا لا نستطيع أن نمنع البطالة بالجملة . ومع أننا استثمرنا من مناجم الذهب أكثر مما استثمرنا من قبل ، إلا أننا لا نستطيع أن نثبت العملة . وبينما نرى كل دولة حديثة تحتاج إلى خامات عند دول أخرى ، وتنتج سلعاً تحتاج إليها بلاد غيرها ، نرانا عاجزين عن تنظيم وسيلة مرضية للتبادل . وأخيراً مقت معظم الناس العنف ، ويشتاقون أن يعيشوا فى سلام ، ولكننا لا نستطيع أن نمنع تكرر الحرب التى تزداد قوة تدميرها باطراد .

ولا نزال نعتقد فى كل واحدة من الدول الثمانين ذات السيادة ، أن « أمتنا » هى المركز الثابت الذى يدور حوله العالم كله . والحوادث الغريبة الرائعة التى وقعت بين الحربين العالميتين ، تحيرنا حيرة لا أمل فى انجلائها ، إذا تأملناها من الناحية التى تنظر إليها منها أية أمة مفردة . فمن طوكيو إلى وارسو ، ومن ريجا إلى رومية ، ومن براغ إلى بودابست ، تفسر كل أمة الحوادث تبعاً لوجهة نظرها القومية الثابتة . وترى أبناء كل أمة فى كل وقت مقتنعين بأن آراءهم لا يتطرق إليها الخطأ ، وأنها خالصة من الهوى .

ونتيجة هذا أنه ما دامت هذه الأمم ذات السيادة تحتفظ بسيادتها — أى تظل حرة فى أن تفعل ما تشاء — فلا مفر من النزاع العنيف بينها ، وليس فى وسعنا أبداً أن نرجو تحقيق الأمن العالمى .

وقد آن أن ندرك أن طريقتنا الموروثة فى تناول المسائل السياسية بدائية صبيانية ، وغير صالحة على الإطلاق ، وخطأ فى خطأ . فإذا أردنا أن نوجد على الأقل بداية للعلاقات المنتظمة بين الأمم ، فإن علينا أن نسعى للاهتداء إلى طريقة علمية . ويجب أن نغير وجهة نظرنا ، وأن ننظر إلى الأمم جميعاً وإلى علاقاتها الصحيحة فيما بينها ، وأن نعتبرها دائرة على مقتضى قوانين واحدة ، بدون أن تكون هناك نقط ثابتة يخلقها لنا خيالنا لراحتنا .

وبعبارة أخرى يجب أن ندرك أن من الضرورى أن نقيد سيادة الأمم ، وأن نقيم حكومة عالمية تنظم العلاقات بين الشعوب على مقتضى القانون كما تنظم الولايات المتحدة الآن ، مثلا ، العلاقات بين الولايات ،

وإذ فليس ثمة أدنى أمل فى أن يستطاع حل أى مسألة حيوية يعانيها جيلنا، ولا فى أن يتسنى لنا اجتناب حروب أخرى أشد تدميراً .

وفى هــذا الاضطراب الحالى للعلاقات الدولية ، نسمع الأمم يتهم بعضها بعضاً على نحو ليس أغرب منه ، وقد رفعت كل منها عقيرتها بالإنحاء على الأخرى .

فالدول الفاشــية تقول إن الديمقراطية والشيوعية شىء واحد ، وأن نظام الحكم الديمقراطى يؤدى لا محالة إلى البلشفية .

ويصر الشيوعيون على أن الديمقراطية والفاشية رأسماليتان ، وأن رأس المال فى ظل النظامين يستغل العمال ، وأن الفاشية وســيلة يتخذها الرجعيون للقضاء على الاشتراكية .

وتقــول الدول الديمقراطيــة بلهجة التأكيد : إن الفاشــية والشيوعية أمرهما واحد لا يختلف ، وأن الديكتاتوريتين الجامعتين تعصفان على السواء بالحرية ، وتسترقان الفرد وتستعبدانه .

على أن الواقع أن كل واحدة من هذه التهم المتقاذفة تعبر عن وجهة نظر سطحية ، ولما كان الجنس الإنسانى لا يزال يخوض حرباً أهلية حول هذه الآراء تشمل العالم كله ، فإن النتائج الحيــوية يجب أن تعرّف تعريفاً خالصاً من الهوى .

إخفاق الرأسمالية

كانت الرأسمالية هى الفلسفة الاقتصادية السائدة عند مولد النهضة الصناعية ، وكانت ثورات التحرير السياســية التى قامت فى أخريات القرن الثامن عشر قد اســتقرت وحققت غاياتها فى بداية القرن التاسع عشر ، وتوطدت دعائم الدول الديمقراطية — من جمهوريات وملكيات دستورية — فى العالم الغربى ، وكان من الطبيعى أن تصبح المثل العليا السياسية التى انتصرت ، هى المبادىء الأساســـية السائدة فى ميادين الاقتصاد والصناعة والتجارة فى فاتحة العصر الصناعى .

وهكذا سارت حرية الاجتهاد ، وحرية التجارة ، وحرية المنافسة ، جنبــاً إلى جنب مع الحرية السياسية . غير أن الحرية فى الجمــاعة الإنسانية نسبية ، والحرية التى ظل الإنسان خمسة آلاف ســنة يجاهد فى سبيلها ، معناها فى الواقع التنظيم الصالح للأفراد فى الجماعة . ولا سبيل إلى الحرية الإنسانيــة إلا بتقييد النوازع والحوافز الإنسانية بالكبح العام — أى بالقانون . وهى — أى الحرية — لا تمنح إلا فى نطاق يمنع أن تجور حرية فرد من الأفراد على حرية الآخرين أو تعطلها .

على أن الاقتصاديين من دعاة الحرية

المطلقة للاجتهاد ، عجزوا عن أن يدركوا أن الحرية فى الشئون الاقتصادية لا يمكن أن تكون مطلقة ، فإن حرية العمل التى لا حد لها ولا قيد عليها لا يمكن أن تثمر « الحرية » فى هذا العالم ، إلا إذا كانت المساواة التامة المطلقة قائمة بين الأفراد ، وإلا إذا ألغى الميراث ، وصار على كل إنسان أن يبدأ من البداية . ولما كان مثل هذا لا يحتمل أن يكون ، فإن حرية الاجتهاد وتكافؤ الفرص لا يمكن أن يكونا على أحسن تقدير إلا بقدر نسبى . ومن الجلى أن النظام الموجود الآن فى الدول الرأسمالية لا يمكن أن يسمى « اجتهاداً حراً » مع احتكار كثير من الصناعات احتكاراً يمنع أن توجد محاولات جديدة ، أو يحول دون منافسة هذه الصناعات .

ومن أجل ذلك خلقت الحالة الصناعية الحديثة ثروات لا تتطاول إليها الأحلام للأقوياء من الوجهة الاقتصادية ، وفقراً ونقصاً فى الحرية للملايين الذين صار عملهم مجرد سلعة .

وقد أحدث هذا الموقف بطبيعة الحال رد فعل ، وكانت ثمرته الاشتراكية الحديثة . وتقول الاشتراكية إن الرأسمالية الخاصة تفضى إلى الاحتكار — أى إلى حصر رأس المال فى أيدى الأقلين وإفقار جماهير العمال .

وقد ظلت هذه الحرب بين الطبقات دائرة منذ نحو قرن إلى الآن ، على الرغم من أن النزاع قائم على سوء فهم . فليس السبب فى فشل النظام الرأسمالى ، أن رأس المال يسيطر عليه الأفراد والشركات الخاصة ، وإنما فشل لأن « الحرية » عُدت مثلا أعلى مطلقاً ، بدلا من مثل أعلى إنسانى يحتاج دائماً إلى التنظيم والتكييف بالقانون .

وبعد فترة من الغنى الخيالى لحفنة من الناس ، وفقر متزايد للأكثرين ، شرعت أمم شتى تجتاز الهاوية بين طبقات الرأسماليين والفقراء بتجربة اتحادات العمال ، والأمن الاجتماعى ، وضرائب التركات وغير ذلك من التدابير . وتدل التجربة دلالة لا شك فيها على أن حل المسألة ميسور من هذه الناحية ، على نحو ما كادت تحل فى السويد والدانمرك والنرويج . فإن كون النشوء يتطلب تحويل بعض وجوه النشاط الإنسانى من الفرد إلى الدولة ، ليس معناه نهاية الفردية ، وإنما معناه أن مصلحة الجماعة وحرية أعضائها ، تقتضيان لخيرها أن تكون بعض وجوه النشاط الحيوية للجميع تحت سيطرة الجماعة . فإن حياتنا المدنية قائمة على مبدأ أساسى هو أن الحرية الفردية فى أوسع نطاق ، هى ثمرة الحظر المضروب على الأعمال الإنسانية التى تفتات على أعمال الغير .

وهـــذا هو معنى الحرية السياسـية وهو أيضـاً معنى الحرية الاقتصـادية . ولا شك فى أن التوازن الناقص الذى لم تحقق سواه إلى الآن بين الحرية والـكبح قد عاق تقدمنا الاقتصادى .

غير أن هناك عقبة أخرى كبرى فى سبيل التقدم الصناعى ، وهى النزاع بين الحركة الصناعية والقومية السياسـية . وقد خلق هذا النزاع نزاعاً آخر أعنف ، يوشك أن يقضى على ما جنيناه فى القرنين الماضيين .

إن الصناعة الحديثة تتطلب حرية التبادل والنقل أكثر مما تتطلب الاجتهاد الفردى والمنافسة . وغايتها هى إنتاج أعظم ما يمكن إنتاجه من سلع الاستهلاك . وهـذا يقتضى اسـتخدام الخامات المجلوبة من كل أنحاء الأرض ، والتوزيع الحر على جميع أسواق العالم . وقد كانت هـذه الأحوال الجوهرية للتقدم الصناعى مفهومة ومدركة فى بداية عصر النهضة الصناعيـة ، فصارت حرية التجارة هى السيـاسة الطبيعية لأول دولة صناعية كبرى ، وهى إنجلترا .

فلما تقررت زعامة إنجلترا بفضل حرية التجارة ، بدأ الناس فى العالم الغربى يفكرون تفكيراً قومياً ، ويقدمون الولاء للدولة على كل شىء آخر . وبدا للحكومات الوطنية — وللسواد الأكبر من الشعوب — ان إقامة صناعات وطنية ، ولو قامت على غير أساس اقتصادى ، أهم من السماح للشعب بأن يحصل على خير السلع وأرخصها فى الأسواق . ولهذا قامت الحواجز الجمركية ، وفى ظلها ظهرت الصناعات القومية فى الولايات المتحدة ، وفى ألمانيا ، وفى بلاد شتى أخرى

وقد استطاعت الحواجز الجمركية زمناً ما ، أن تمكن بعض الأمم من زيادة ثروتها ورفع مستوى المعيشة فيها ، ولـكن فى خلال بضع عشرات من السنين ، لم تـكد تبقى دولة تستطيع أن تزيد ترقية اقتصادياتها . فإن الدول الصناعية نقصتها الخامات التى اضطرت إلى ابتياعهـا من الخارج ، وعجزت عن استهلاك إنتاجها كله فى الداخل . وما كادت الدول تبلغ هـذه الدرجة من التشبع ، وصار لا معدى عن التبادل مع الدول الأخرى التى لجأت إلى الحماية الجمركية ، حتى قام النزاع فاضطربت الأحوال الاقتصـادية فى العالم كله .

ومنذ اللحظة الأولى التى فرضت فيها الحواجز الجمركية ، استحال أن نتكلم عن نظام الاجتهاد الحر . ومنـذ ذلك الوقت راحت المبـادىء الاقتصادية والضرورات تصادم العقائد السياسية ، وتخوض معركة خاسرة . وصـارت نظريات الاقتصـاديين الأحرار ، مهما بلغ من قوة الحجة فيها ،

عاجزة عن مغالبة العواطف القومية الجامحة . ولما لم تكن ثم بلاد جديدة تستكشف ، أو أرض عذراء تضم ، فإن الأمم المنقسمة لم يكن لها محيص عن التصادم العنيف .

وهـذا الذى اعتدنا أن نسميه التجارة العالمية ، ليس فى شىء من التجارة ، وإنما هو فى الواقع حرب اقتصادية . وليس الباعث عليه هو التبادل التجارى والإنتاج والاستهلاك ، أو حتى الربح ، بل تدعيم القوة الاقتصادية للدول القومية بكل وسيلة .

وأصبح لا يسع الاقتصاد القومى أن يعمل فى ظل القيود السياسية التى تفرضها الدولة إلا بالتشجيع المصطنع . وبدأت الرأسمالية تقضى على المنافسة التى هى أساس النظام الرأسمالى ، وأنشئت الاتحادات لتفادى قانون العرض والطلب الصارم ، وظن الأقوام أنهم ينجون بالتوجيه الاقتصادى لاتقاء إرباء الإنتاج على الحاجة ، ولإبقاء الأسعار مرتفعة .

وحدث فى الناحية الأخرى أن أنشأ العمال اتحادات الحرف ، وأن ألفوا الأحزاب السياسية ، ليوجهوا التشريع وجهتهم وليسيطروا على الحكومات .

وفى كل مكان فى العالم الغربى ترتفع الأصوات اليوم باتهام مديرى الشركات وزعماء أحزاب العمال واتحادات الحرف ، بالقضاء على الحرية الفردية . وخلاصة الصيحة هى أن الاقتصاد الموجَّه يؤدى إلى الدكتاتورية وسحق الديمقراطية .

ولا شك فى أن هذا صحيح .

فإن اتحادات الشركات واتحادات العمال ، تدفع الديمقراطيات إلى زيادة السيطرة الحكومية وتضييق الحرية الفردية ، ولكن الغريب هو أن أبطال الحرية ودعاتها الذين يتسخطون على هذا الاتجاه ، لم يعنوا بأن يدرسوا ويحللوا الأزمة التى يجتازها العالم .

إن المصالح القومية فى كل دولة تكره الحكومات والشعوب على نشدان الاستكفاء الذاتى الاقتصادى ، والاستعداد للحرب ، وزيادة التوجيه الاقتصادى . والكيان السياسى لكل دولة قومية يتعارض تعارضاً عنيفاً مطلقاً مع الحاجات التى لابد منها لنظام اقتصادى قائم على الاجتهاد الحر . ومن العبث فى الوقت الحاضر أن يبحث المرء عن قوانين الحياة الاقتصادية ، فإن المدفع فى عالم الصناعة القومية ، هو الذى ينظم الإنتاج والتجارة والاستهلاك . وليس ثم قانون أسمى من هـذا ، لتسيير الاقتصاد فى عالم مكون من أمم قومية ذات سيادة تامة . ولهذا ينحط الناس فى كل أمة إلى دَرَك الرق باطراد.

وإنه لينبغى أن يكون من الجلى لكل امرىء أن القومية عبارة عن حواجز

لا سبيل إلى تخطيها أمام الاجتهاد الحر ، فإن الرسوم الجمركية العالية وإعانات التصدير ، وإتلاف بعض الإنتاج رغبة في رفع الأسعار ، واتحادات الشركات، قد عطلت تأثير العوامل والقوى الاقتصادية ، واضطر شعب كل دولة حيـال التهديدات المســتمرة من الدول الأخرى ، أن يجعـل القوة في حكومتـه القومية مركزية .

وأصبحت حقوق الفرد التي كسبها بثمن باهظ في آخر القرن الثـامن عشر ، على وشك الضياع التام والانتقال إلى طاغية جديد هو الدولة القومية . وصارت مزايا النظام الإقتصادى الحر ، وارتفاع مستوى المعيشة ، وزيادة الثروة ، وطيب المسكن ، وصلاح التربية ، واتساع وقت الفراغ ، أقل قيمة في نظر الذين أعمتهم وأشرقتهم الدولة القوميـة من عواطفهم الوطنية . فإنا نرى الشعوب تنزل باختيارها وفي حماسة عن حق الاستمتاع بالحرية والغنى، إذا هي أتيح لها أن تعكف على عبادتها الذليلة لقوميتهـا ولرموزها .

وهكذا ، فيما عدا فترة محدودة بعد ابتداء النهضة الصناعية ، لم تقم للاقتصاد الحر قائمة في الحقيقة ، لأن مبدأ القومية السياسـية قضى عليه قبل أن يشـتد ساعده . ولهذا حدث في كل دولة جربت ذلك ، أن أدى سوء السيرة في الانتفاع بالاجتهاد الحر إلى زيادة سلطة الدولة ، وإلى نظام الحكم الجامع ، وإلى القضاء على الحرية الفردية .

على أن الاتجاه في الدول الاشتراكية كان على المنوال نفسه وللأسـباب عينها ، فإن الاشتراكية والنظام الجامع ليسا مجرد رد فعل لمحاولة علاج الأعراض البارزة الملحة ، لأزمة خلقها التصادم بين القومية والحركة الصناعيـة . وقد سار التطور في كل دولة قومية في نفس الطريق ، في ظل الفوضى العالمية التي اضطرت كل دولة أن تنشد من أسباب القوة أقصى ما يدخل في وسعها ، وقد اتجهت كل دولة إلى السيطرة على الفرد والتحكم فيه .

إخفاق الاشتراكية

في سـنة ١٩١٧ صارت دولة كبيرة هي روسيا مسرحاً لتجربة اشتراكية واسـعة النطاق ، فقلبت الشـيوعية النظام القديم — القيصرية والرأسمالية معاً — غـير أن الثورة لم توجد المساواة الاقتصادية والعدالة الاجتماعية

وقد كان المثاليون الذين يؤمنون بإخلاص بالمجتمع الجامع ، مقتنعين بأنه متى تم تحويل « ملكية » الأرض ووسائل الإنتاج من الأفراد إلى الدولة ، فإن المساواة الاجتماعية

تتحقق ، فيوجد مجتمع جديد سعيد يعيش في رغد .

على أنه تبين بعد سنوات قليلة من قيام الثورة أن المساواة الاجتماعية والاقتصادية المطلقة لا تتفق مع طبيعة الإنسان ، فإن الاجتهاد الخاص لازم للتقدم ، ولا معدى عن مقدار من الملكية كنتيجة للحرية الإنسانية ، فأدخلت سلسلة من الإصلاحات أدت إلى إيجاد درجات فى الغنى والسلطة ليست أقل بروزاً منها فى أية دولة رأسمالية .

وقد ظلت الأمة الروسية عشرين عاماً تعمل بهمة وإخلاص فى وضع أساس قوة صناعية عظيمة وإنتاج الأسلحة اللازمة للدفاع عن بلادها إذا هوجمت ، ولكن مستوى المعيشة ظل منخفضاً جداً على الرغم من أرقام الإنتاج الضخمة . ويعيش العمال فى أحوال هى أقل ملاءمة من الأحوال فى الديمقراطيات الغربية ، ولا وجود للحرية الفردية . ومع أن كل الموارد الطبيعية والأدوات ملك للجميع ، إلا أن العلاقة بين الإدارة والعامل هى مثل ما فى إنجلترا أو أمريكا — بل هى شر فى الواقع . ومعظم العمال مقيدون بالمصنع أو الأرض أو المنجم ، وليس لهم حرية الانتقال إذا لم يرضوا عن حالهم . وبعد عشرين سنة من استئصال شأفة الطبقتين العليا والوسطى ، تكونت طبقة جديدة حاكمة . فالقائد أو الموظف الكبير أو المهندس الناجح أو الكاتب أو المصور أو قائد الفرقة الموسيقية ، يتبوأ منزلة أسمى بكثير من منزلة الجمهور ، كما هو الحال فى أعرق البلاد الرأسمالية .

وليس مما يغض من توفيق الشعب الروسى أن يقال إن المبادئ العليا الاجتماعية لماركس ولينين ، لم يكد يتحقق منها شئ فى الاتحاد السوفيتى ، فقد كانت الشعوب السوفيتية فى خوف دائم من العدوان الأجنبى ، فكان أكبر مسعى لها أن تقوى سلطة الدولة السوفيتية المركزية ، ومن هنا صار بقاء اتحاد الجمهوريات السوفيتية هو المبدأ الأعلى فى نظام ستالين . ولم يحتج الأمر إلى زمن طويل لتحوّل الدولية الأصيلة فى الفلسفة الشيوعية ، إلى شيوعية قومية وتسربها فيها .

وبعد أن تغلب ستالين على تروتسكى ، أخذت الحكومة السوفيتية تبنى القوة العسكرية والصناعية لاتحاد الجمهوريات ، وتصب العناصر غير المؤتلفة فى هذه البلاد الواسعة فى قالب قومى واحد عظيم ، وتستثير غرائز الجماعة القومية إلى حد يسّر للحكومة السوفيتية أن تطالب الشعب بأية تضحية للدفاع عن الدولة السوفيتية وتقويتها .

وقد استثيرت العواطف القومية لهذه الشعوب غير المتجانسة ، التى يتألف منها

الاتحاد السوفيتى بنفس الأساليب الخطابية ، ونفس الصيغ والقوالب ، ونفس الأعلام والموسيقى والأردية العسكرية التى تستخدم فى البلاد الرأسمالية . وقد اضطرت الأمة أن تنزل عن كل أمل فى حياة مادية أرغد إلى زمن طويل، لتبنى قوة الدولة القومية ، وأن تخفض إنتاج سلع الاستهلاك إلى الحد الأدنى ليتسنى قصر هم الأمة كله على صناعة مواد الحرب .

وقد أثبت الهجوم الألمانى فى يونيو من سنة ١٩٤١ أن هذا كان لابد منه . وجاء الانتصار فى ستالنجراد دليلا على مبلغ نجاح هذه الخطة .

وقد أخمدت الأدارةُ المركزية المعارضةَ التى كانت كامنة بين جماهير العمال فى هذا التغيير فى السياسة ، بلا رحمة ، وصارت هذه الإدارة أكثر ديكتاتورية وأشد استبداداً ، يوماً بعد يوم ، من جراء المعارضة الداخلية المتزايدة ، والضغط الخارجى المتزايد الناشئ عن سوء الحالة الدولية ، وخنقت تدريجاً آمال الشعب الروسى فى الحرية ، وصار من الجلى فى أخريات سنة ١٩٣٠ أن الدولة السوفيتية صائرة إلى التحكم الجامع التام فى الأمة بواسطة إدارة أوتقراطية .

فبعد خمسة وعشرين عاماً من إقامة أول دولة شيوعية على مبادئ ماركس ولينين ، صار الاتحاد السوفيتى أعظم دولة قومية على ظهر الأرض ، وصارت له بيروقراطية تامة السلطة، وأكبر جيش فى العالم، وقوة بوليس معدومة النظير تسيطر على نشاط كل مواطن، وطبقات اجتماعية جديدة، وامتيازات خاصة لمن يتولون مراكز رئيسية .

وقد تقول الأمة السوفيتية أنه ليس من العدل أن يعاب النظام الشيوعى بأنه تحول إلى دولة مركزية قوية ، فقد كان هـــذا ضروريا لأن الاتحاد السوفيتى كانت تحيط به دول رأسمالية معادية له،فاضطر إلى اتباع سياسة الدفاع القومى .

وهذا صحيح .

ولكن كون اتحاد الجمهوريات السوفيتية كان شيوعياً ،على حين كانت الدول الأخرى رأسمالية ، لا قيمة له على الإطلاق . والسبب الوحيد الأكبر فى تحول الاتحاد السوفيتى إلى دولة قوية،هو أنه كانت هناك دول قوية أخرى قائمة . وما دام هناك عدة دول قوية ذات سيادة يحتك بعضها ببعض ، فلا مهرب لها من التصادم ، بغض النظر عن نظمها الاقتصادية الداخلية .

ومن الجلى أن هــذه الحقيقة هى التى وجهت السياسة السوفيتية . ففى أثناء الحرب العالمية الثانية ، وفى كل الاجتماعات الدولية

التى عقدت للبحث فى صورة التنظيم العالمى الجديد، كان ممثلو الاتحاد السوفيتى يدافعون عن نظرية واحدة لا تتغير — هى السيادة القومية بغير شرط أو قيد، كما فعل الشيوخ لودج، وجونسون، وبورا، فى مجلس شيوخ الولايات المتحدة فى آخر الحرب العالمية الأولى. وما من شك فى أن أشد الشيوخ الأمريكيين تمسكا بعزلة بلادهم فى سنة ١٩١٩، خليقون أن يوافقوا من أعماق قلوبهم على الآراء التى يدعو إليها بعد ربع قرن، أبناء دولة تزعم أنها أعظم الدول ثورة وأوضحها « دولية ».

وقد سارت السياسة السوفيتية الخارجية على نهج أية دولة كبرى غيرها تماماً — المحالفات، ومناطق النفوذ، والتساهل بالتوفيق فى المواقف الضعيفة، والتوسع بعد الانتصار الحربى. فالشيوعية فى الاتحاد السوفيتى ليست إلا وسيلة لغاية، وهذه الغاية الكبرى هى القومية.

وقد كان النظام السوفيتى فى عهد لينين وبعد موته بعدة سنوات، أخلى جداً من الاستبداد، منه اليوم. وكان هناك حظ كبير من الحرية الفردية، وكانت هناك مناقشات علنية حرة، وانتقاد للحكومة وللحزب فى الصحف وفى المحافل، وإنما جاء تحول النظام أخيراً إلى دولة جامعة ذات قوة بوليسية تامة السلطة، مع قمع حرية الكلام وحرية النقد، وكل حرية فردية، وقد جاء تحول الاتحاد السوفيتى إلى دكتاتورية جامعة مسايراً ومحاذياً ليقظة القومية ونموها، ولاشتداد ساعد الدولة القومية.

فمنذ سنة ١٩٢٠ أخذت الشيوعية تتضاءل أهميتها، والقومية تنمو وثبا. وفى هذه الأعوام الخمسة والعشرين الأولى عجزت الدولية الشيوعية على الرغم من محاولات ومساع لا تحصى، عن نشر مبادئ موسكو فى الخارج، ولكن الدولة السوفيتية الجامعة القومية نجحت. حتى الأحزاب الشيوعية فى البلاد الأجنبية — وهى تستوحى موسكو بلا شك — نفضت يدها من السعى لصبغ بلادها بالصبغة الاشتراكية، وصارت أداة ليس إلا لسياسة روسيا السوفيتية القومية، واتخذت فى كل دولة موقفا لم تمله الحاجة إلى بث الشيوعية، وإنما أملته الحاجة إلى تقوية المركز الدولى للاتحاد السوفيتى.

ولا محل هناك للجزم بشئ فيما يتعلق بالنزاع بين الرأسمالية والشيوعية، فإن كلتيهما تدعى أن غايتها رفع المستوى المادى والثقافى للجماهير، أما أن هذا النظام أو ذاك أقدر على إدراك هذه الغاية، فأمر يجب أن يتقرر بعد التجربة، لا بأن يحطم كل واحد رأس الآخر فى حرب طبقات

سخيفة . وإذا كان شعب معين ، كالشعب السلافى ، تميل به تقاليده التى مضى عليها قرن إلى الملكية العامة ، وإذا كانت شعوب أخرى ــ كاللاتينية والأنجلو السكسونية ــ تؤثر مدفوعة بتقاليدها الملكية الخاصة ، فإنه ليس ثم أدنى سبب يمنع هذه النظم المختلفة أن تكون قادرة على الوجود معاً ، والتعاون معاً .

ومن الممكن أن تمضى فى حرب الطبقات عشرات من السنين ، وقد تهزم إحدى الطبقتين الأخرى ، ولكن حل مسألة القرن العشرين لن يتقدم خطوة واحدة .

إن دعاة الرأسمالية والشيوعية يجب أن يدركوا أنهم يحتربون فى مركبة موحدة . فالنزاع على مقعد أوثر ، أو فى سبيل راحة أوفر ، لا معنى له ، لأنهم جميعاً محمولون لا محالة إلى نهاية واحدة . فأما المركبة فهى القومية ، وأما النهاية فهى النظام الجامع .

الطريق إلى الفاشية

دفعت الحوادث فى العقود الماضية ، بما تمخضت عنه وأدت إليه مما لا حيلة فيه ، بكل الدول الصناعية من رأسمالية وشيوعية إلى نظام الدولة القوميــة التى ليس فوقها سلطة ما . وفى بعض الدول التى كان الضغط فيها أعظم ، أدى الأمر إلى الرفض العلنى للمبادئ الديمقراطية ، وإلى إقامة مذهب جديد هو الفاشية، التى أعلنت أن الدولة هى الغاية القصوى السامية للجماعة الإنسانيـة .

وقد انتشرت هــذه الحركة الفاشيــة الجديدة المناقضة لجميع المبادئ الأساسيــة لصريح الأديان وللاشتراكية والديمقراطية ، انتشار النار فى الهشيم اليابس حول الكرة الأرضية كلها .

فما معنى الفاشية ؟

لا نستطيع أن نجيب عن هذا السؤال إلا إذا تحررنا من الأهواء ، فلن نبلغ شيئاً إذا كنا نسمى من يشك فى حكمة السياسات الرأسمالية شيوعياً ، أو بأن نسمى من يجترئ على أن يقول إن روسيا السوفيتية ليست بجنة عدن ، فاشياً . وينبغى أن نكف عن الاعتقاد بأن الفاشية أداة سياسية فى أيدى عصابة صغيرة تشتهى السلطة .

وتوجد فى الفاشية عناصر من كل من الرأسمالية والاشتراكية ، ولكنها تبقى مع ذلك أقرب إلى أن تكون فكرة صوفية ، ولا يزال خير تعريف للفاشيـة هو المقال الذى كتبه بنيتو موسولينى عنها فى دائرة المعارف الإيطالية .

والفاشيـة رد فعل لتطورات القرنين الأخيرين . فقد حير الإنسان وخيب أمله عدم الاطمئنان وإفلاس الفردية الديمقراطية

فى عصر تنازع بين القوميات . وقد أحاط موسولينى فكرة الفاشية بالصوفية ، ليغرى الإنسان بنبذ الفردية وتقبل الخضوع التام للدولة فى مقابلة الأمن والاطمئنان .

وكتب يقول : « يرى الفاشى أن كل شىء يوجد فى الدولة، وأنه ما من شىء إنسانى أو روحى أو أى شىء له قيمة ، يوجد خارج الدولة ، فالفاشية بهذا المعنى : جامعة . . والدولة ، فى الواقع ، هى الموجدة للحق باعتبارها الإرادة الأدبية الشاملة . . . » .

وهذه الأقوال تبين بجلاء أن الفاشية ليست فكرة اقتصادية ، وأنها فى جوهرها مبدأ اجتماعى سياسى ، وغايتها التنظيم التام للحياة الفردية ، والهبوط بالفرد إلى الرق .

فيما بين عامى ١٩١٧ و ١٩٤٢ لم يحدث أن دولة واحدة رأسمالية ديمقراطية تحولت إلى شيوعية ، ولكن نحو عشرين منها انقلبت فاشية . ثم أن روسيا التى أقامت الشيوعية من طريق الثورة ، لم تكن قط دولة رأسمالية ديمقراطية وإنما كانت دائماً زراعية إقطاعية ، وجماعة متأخرة من الشعوب تحكمها أسرة أوتقراطية . ولكن الظاهرة نفسها بدت فى روسيا من اللحظة التى قامت فيها الثورة الشيوعية ، كما بدت فى الدول الرأسمالية ، وحدث نفس الاندفاع الذى لا يقاوم نحو الإدارة البيروقراطية المركزية . ومن الجلى إذن فى الأحوال السائدة الآن أن الشيوعية ماضية فى نفس الاتجاه الذى تمضى إليه الرأسمالية ، أى نحو النظام الجامع .

وقد رأينا فى حياتنا أن كلاً من الرأسمالية والاشتراكية تؤدى إلى تحكم الدولة — أى الفاشية . ولا مفر من أن نستخلص من هذا أن الفاشية لا شأن لها « بنوع » النظام الاقتصادى، رأسماليا كان أو اشتراكيا، وإنما شأنها بجوهره ، وهو التوجيه الصناعى .

إن النزاع الحقيقى فى عصرنا ليس دائراً بين الفردية والكلية ، ولا بين الرأسمالية والشيوعية ، بل بين التوجيه الصناعى والقومية .

ولأى غاية يثور كل هذا الشك ، وتلك البغضاء والحرب بين الاشتراكيين والرأسماليين؟ إن الحقيقة هى أن كليهما ينقلب فاشيا آخذاً بالنظام الجامع . وقد آن أن ندرك هذا ، وأن نسرع فى الجهاد المشترك فى سبيل الحرية الإنسانية والخير الإنسانى، ضد العدو الحقيقى المشترك وهو الدولة القومية .

قد انخدع المعسكران جميعاً بمنطق الفاشية القائل بأنه لا سبيل إلى الحرية الفردية إلا « بحرية » الدولة ، بل الواقع أن النظرية الفاشية تذهب إلى أن سلطة الدولة هى المقياس الوحيد للسيادة القومية . وهذه النظرية تجعل

حاجات الصناعة الحديثة خاضعة تمام الخضوع لأوامر القومية ذات السلطة العليا.

والناس في الديمقراطيات يحاولون أن يتبينوا أيهما الخطر : ألشيوعية أم الفاشية ؟ وهم في هذا يحلمون بحرية تقرير لا يملكونها ، إذ لا اختيار هناك . ونحن الآن متجهون رأساً إلى الفاشية ، وقد بلغناها إلى حد كبير ، وحتى لو نجحت ثورة شيوعية هنا أو هناك ، فإن هذا لا يغير شيئا من الاتجاه إلى النظام الجامع . وأخلق بالبلاد الشيوعية إذا زاد عددها أن تنضم بسرعة إلى الحشد الذى تقوده الدولة القومية .

فلا الرأسمالية الفردية ، ولا الاشتراكية الجامعة ، تستطيع أن تعمل داخل كيان الدولة القومية ، فإن كلتيهما تخلق الفاشية في ظروف معينة خاصة ، ظروف تتحكم فيها وتهيؤها القومية . ولا قيمة لأيهما نختار ، لأنه إذا كانت الدولة « قومية » ، فإنها تصير لا محالة فاشية .

تشويه الدين

بلغت عبادة الدولة القومية ذروتها في البلاد الفاشية ، ولكن تشويه الدين وتسخيره للغايات القومية لوحظا في كل أمة .

إن العنصر المقدس والمهذّب في المسيحية هو أنها عالمية — وأن مبدأها أن الناس خلقوا متساوين أمام الله ، وهم يعنون لإله واحد قانونه واحد يسرى على الناس جميعا .

ولقد كانت هذه فكرة ثورية في التاريخ البشرى ، ولكن ظهور الدولة القومية منع هذه الفكرة أن يكون لها أثر مهذّب .

ففي اللحظة التي بدأت فيها الأمم الحديثة تتبلور ، بدأ الشعور القومى في العالم الغربى يتغلب على الشعور المسيحى . وكانت الكنيسة منقسمة ، فازدادت انقساما إلى مذاهب أخرى يؤيد كل منها المثل الأعلى الناشىء للأمة . وصار من المعترف به في كل بلد أن السياسة القومية سياسة مسيحية ، وتحولت الكنائس المسيحية إلى هيئات قومية تؤيد الغرائز القَبَلية للروح القومية .

ففي آلاف من الكنائس يسأل الله القسُ الكاثوليك والواعظ البروتستانت المجد لمواطنيهم والوبال لغيرهم ، وإن كان هذا يناقض مناقضة شديدة أسمى المثل العليا الدينية التي أوتيها الإنسان .

إن المبدأ الأخلاقى الكونى لا يكون كونيا ولا أخلاقيا إذا كان لا يصح إلا داخل جماعات منفصلة من الناس ، فـ « لا تقتل » لا يمكن أن يكون معناها أن من الإجرام أن تقتل رجلا من مواطنيك ، ولكن من الفضيلة أن تقتل رجلا يعد مواطنا في دولة أخرى .

ومثل هــذا التطور يلاحظ فى جميع أديان التوحيد الثلاثة ، فالوحدة التى احتفظ بها القرآن قرونا بين الشعوب الإسلامية المختلفة الأصول ، قد ذهبت وصار الشعب الإسلامى قوميات شتى ، فدعاة الجامعة التركية يرمون إلى توحيد فروع معينة من الجنس التركى ، ودعاة الجامعة العربية يشيرون باتحاد الشعوب العربيــة ، ويقول المسلمون فى الهند : « إننا هنود أولا ومسلمون بعــد ذلك » ، وقد نسى الجميع الصبغة العالمية التى كانت أساس دين الإسلام العظيم .

والأمر لا يقتصر على المسيحية والإسلام ، فإن أقدم الموحدين ، وهم اليهود ، قد نسوا التعاليم الأساسية لدينهم ، وهى أنه عالمى ، ويبــدو أنهم عادوا لا يتذكرون أن الله الواحد الأحد تعالى ، قد اختارهم لينشروا دعوة التوحيد بين أهل العالم . فهم يبغون أن يعبدوا بعواطف مشبوبة ، إلههم القومى الخاص ، وأن تكون لهم دولتهم القومية . وما من اضطهاد أو عذاب مهما بلغ من أمره ، يمكن أن يسوغ نبذ هذه الرسالة العالمية من أجل القومية — وهى اسم آخر للقبلية التى هى أصل مصائبهم جميعا .

وإنه لعلى أعظم جانب من الخطر لمستقبل الإنسانية أن تدرك مبلغ التشويه الذى أصاب عقيدة التوحيد العالمية ، فما كان من الممكن قط بدون تأثيرها ، أن تقوم الحرية الإنسانية فى الجماعة — الديمقراطية — ولا أن تبقى . وما من سبيل إلى إنقاذ الجماعة الإنسانية إلا بالعالمية . فإذا لم تعد الكنائس المسيحية إلى مبدئهــا المركزى ، ولم تجعله مبدأها المركزى فيما تعمل ، فإنها ستزول أمام عقيدة جديدة عالمية لابد أن تبرز من بين الخراب والآلام التى يسببها تهافت القوميــة الآتى لا محالة .

وما استطاعت سوى وسيلة واحدة فى تاريخ الإنسان المعروف كله ، أن تنجح فى إيجاد نظام اجتماعى يكفل للإنسان الأمن من القتل والسرقة وغيرها من الجرائم ، ويضمن له حرية التفكير والقول والعبادة . هذه الوسيلة هى القانون .

وما تيسرت العلاقات الاجتماعية المنظمة بالقانون — وهى السلام — إلا فى نطاق وحدات اجتماعية ذات مصدر مفرد للقانون ، بغض النظر عن حجم هــذه الوحدات الاجتماعية أو أرضها أو سكانها أو جنسها أو دينها . ولم يكن هذا قط ميسوراً فيما بين وحدات اجتماعية كهذه ذات سيادة منفصلة ، حتى ولو كان أقوامهــا من جنس واحد ، ودين واحد ، ولغة واحدة ، وثقافة واحدة ، ودرجة واحدة من الحضارة . فإن النزاع والحروب بين الوحدات الاجتماعية لا مهرب

منها كلما احتكت طوائف من الناس متعادلة فى الاستقلال والسيادة .

فالنتيجة إذن واضحة . وهى أن مسألة السلم فى زماننـا رهن بإقامة نظام قانونى يستعلى على الدول القومية . وهذا يستدعى تحويل جانب من سلطات السيادة فى الدول القوميـة الموجودة إلى هيئات عالمية ، أو بعبارة أخرى إقامة حكومة عالمية قادرة على إيجاد قانون عالمى للشئون العالمية .

إن عهد الحروب بين الأمم سينتهى ، كما ينتهى كل ما هو إنسانى ، وقد ينتهى على الأرجح فى خلال هذا القرن ، بإقامة قانون عالمى لتنظيم العلاقات الإنسانيـة . وسيتقرر هـذا القانون العالمى بالوسائل الرشيدة أو بالعنف أو بالفتح .

وللمرة الأولى فى تاريخ البشرية أصبح فى وسع دولة واحدة أن تفتح العالم وتحكمه، وقد كاد هتلر يفعل ذلك . ومثل هـذا التوحيد للعالم بالفتح، يعد من الوجهة السياسية احتمالا ممكناً، إذا لم يوجد نظام قانونى يرضى الرغبة الغريزية للشعوب فى الأمن .

وإذا آثرنا الصراحة قلنا إن أزمة القرن العشرين ، هى أن هذا الكوكب يجب أن يكون تحت إشراف موحد بالقانون . ومهمتنا وواجبنا أن نسعى لإيجاد هـذا الإشراف الموحد بوسيلة ديمقراطية بأن نعلن أولا مبادئها ، وبأن نحقق الغاية بالإقناع ، وبأقل ما يمكن من إراقة الدماء . فإذا أخفقنا فى تحقيق هذه الغاية ، فإنه يجب أن نكون على يقين من أن سنة التاريخ التى لا تتبدّل ستكرهنا على شن حروب أخرى عديدة ، بأسلحة أقوى ، على جماعات أعظم قوة ، إلى أن ينتهى آخر الأمر الوصول إلى الإشراف الموحد عن طريق الفتح .



[ستظهر خلاصة الجزء الثانى من كتاب إمرى ريفز « قضية السلام » — وهو يعالج المسائل الأساسـية للسيادة ، وعقم الدبلوماسـية ، والحاجة إلى حكومة عالمية تقوم على القانون بدلا من المعاهدات — فى عدد مارس ١٩٤٦ من المختار .

إن الكفاح فى سبيل السلام هو المهمة التالية العظمى للمدنية . والخلاصة الآتيـة هى عبارة عن تحليل عميق جلى للمسألة . ويتوقع محررو المختـار أن تكون خلاصة هـذا الكتاب أعظم ما تدور عليه المناقشة مما نشره المختار فى هاتين السنتين] .

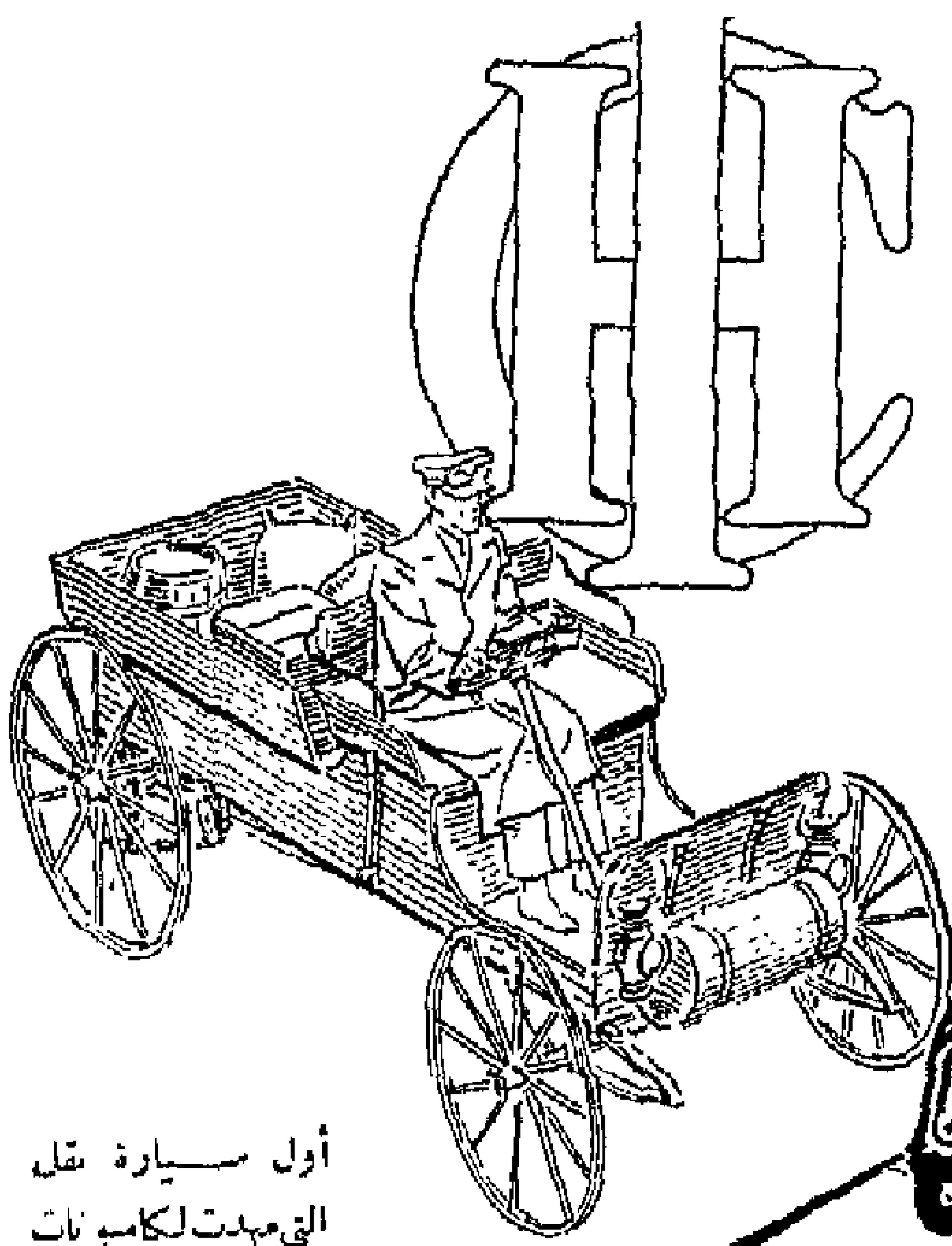
فهرس المختار

المجلد (٥)

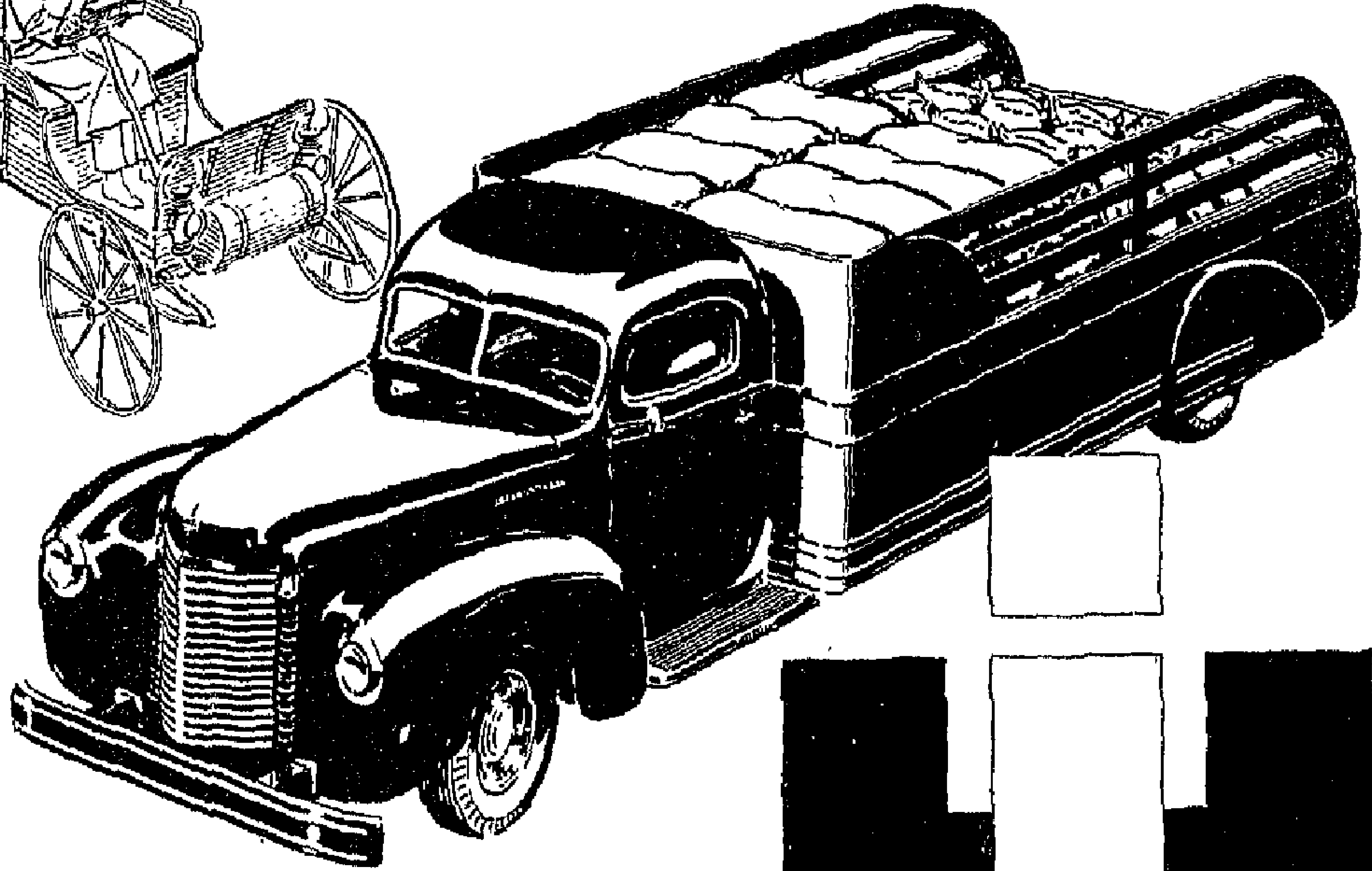
العدد ٢٥-٣٠ | سبتمبر ١٩٤٥ – فبراير ١٩٤٦ | السنة الثالثة



هذه المؤسسة مافتئت تخدم الصناعة والزراعة منذ ١١٠ أعوام . وقد بدأت بإنتاج آلة ماك كورميك الحاصدة وما لبثت منتجاتها أن تزايدت وتنوعت حتى أصبحت اليوم تؤلف مجموعات كاملة من الجرارات وآلات المزارع وآلات القوى الصناعية . وثمة الآن رمز جديد لجميع هذه المنتجات ... وهو رمز الخبرة والخدمة .



أول سيارة نقل التي مهدت لكاميونات إنترنشونال الحديثة



هذا الرمز الجديد دليل إلى منتجات إنترنشونال هارفستر إنه رمز الخبرة والخدمة



مرت سنون عديدة منذ أن اتخذ رمز «IHC» دليلا على كل آلة تنتجها شركة «إنترنشونال هارفستر». ومنذ ذلك الوقت اتسع إنتاج شركة «إنترنشونال هارفستر» وأصبح يشمل مجموعات كاملة من جرارات «إنترنشونال» وآلات القوى الصناعية «إنترنشونال» وجرارات «ماك كورميك ديرنج» ومعدات المزارع «انترنشونال ...» وهذه الآلات تخدم الصناعة والزراعة في جميع نواحيها.

وإن ما تمتاز به منتجات «إنترنشونال هارفستر» من متانة البناء، وكمال الأداء، والاقتصاد، تبرهن عليه الخدمات الفائقة التي تؤديها لمستعمليها في جميع أنحاء العالم. فابحث إذن عن هذا الرمز الجديد حينما تحتاج إلى مثل الآلات التي تنتجها مؤسسة «إنترنشونال هارفستر» إن هذا الرمز عنوان الشهرة المرموقة والتقدير العظيم في العالم أجمع ... كما أنه عنوان على الخدمة الفائقة للصناعة والزراعة.

INTERNATIONAL HARVESTER EXPORT COMPANY
Harvester Building — Chicago 1, U. S. A.

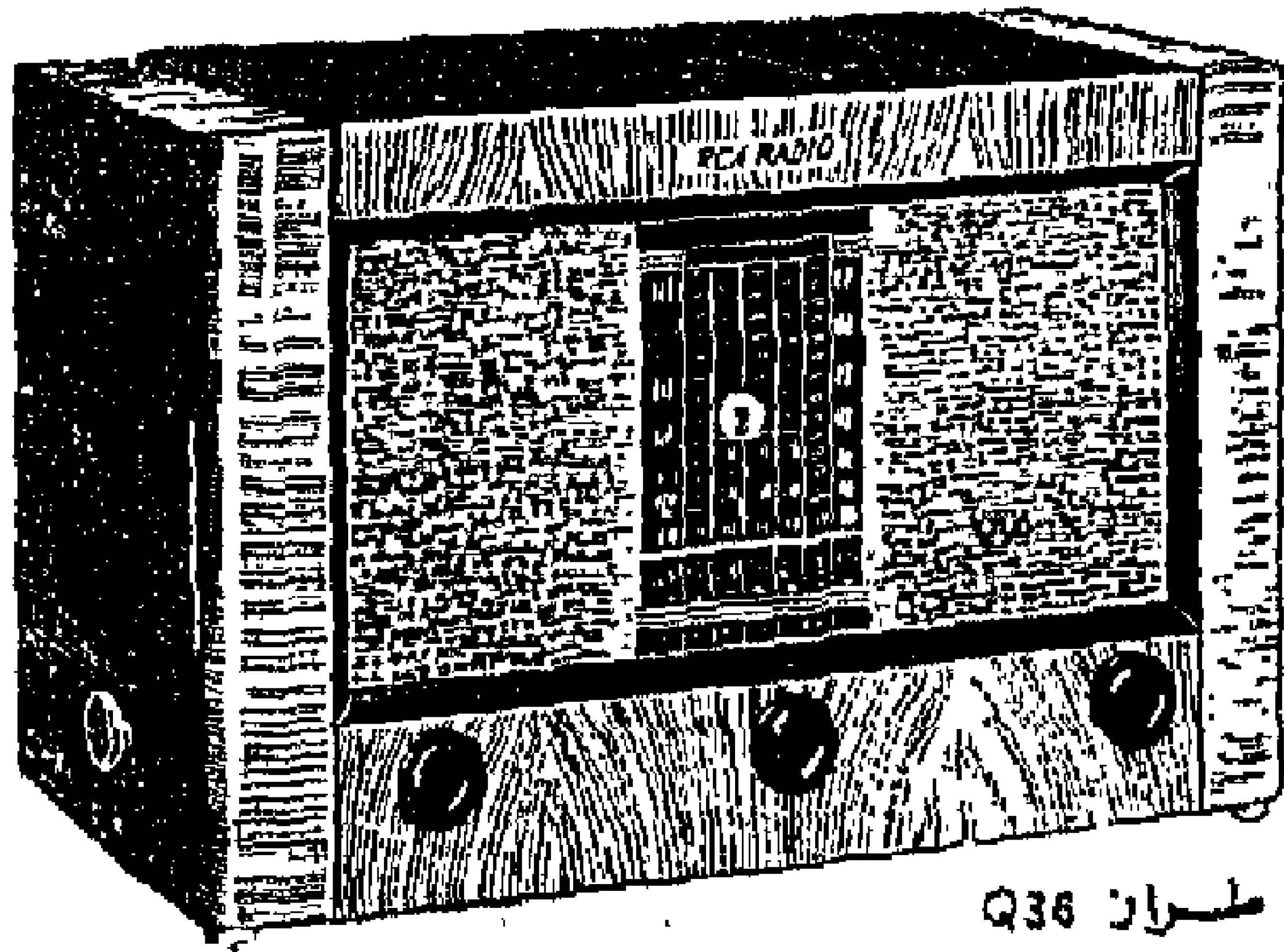
سيارات النقل إنترنشونال – آلات القوى الصناعية إنترنشونال
جرارات ماك كورميك ديرنج ومعدات الزراعة إنترنشونال

INTERNATIONAL HARVESTER

RCA

تنجز ما تعهدت به فى الحرب

بفضل الأجهزة الراديو الجديدة التى أنتجتها للسلم



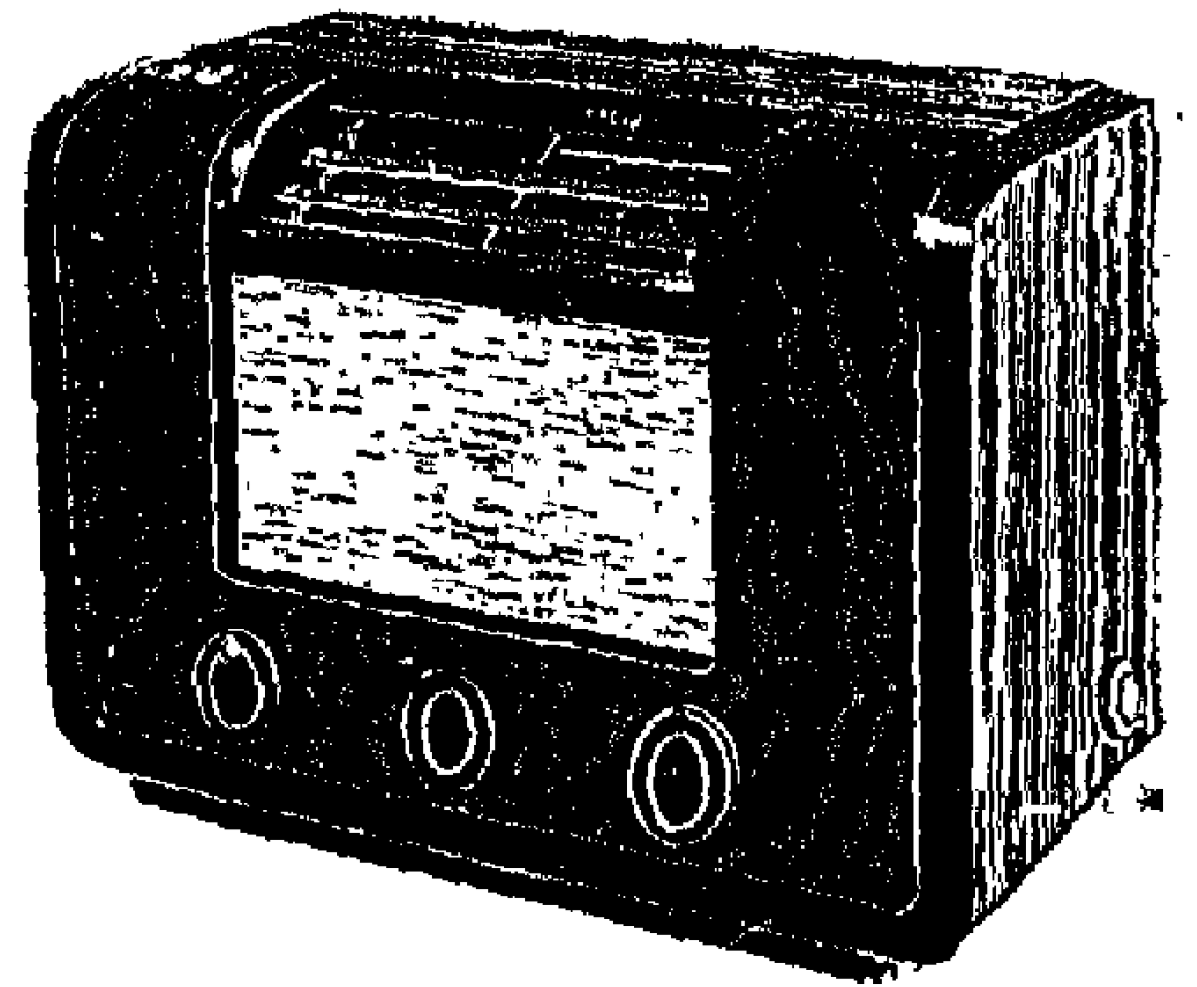
طراز Q36

هذه هى أجهزة الراديو الجديدة RCA التى كنت تترقبها . إنها أجهزة عهد السلام خرجت لساعتها من المصنع ، كل ما فيها جديد حتى الكابينه والاجزاء الإضافية صنعت بعد الحرب

وسيكون من دواعى إعجابك ما تجده فى راديو RCA من نغم جميل واداء فاتن ومميزات عديدة لا يمكن لغير RCA أن يقدمها

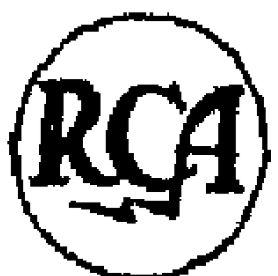
انتخب ما يعجبك من النماذج العديدة التى تعرضها RCA — ومن بينها أجهزة تعمل على بطاريتين أما السعر فيناسب كل طالب اشترراديو RCA لتظفر بأجود راديو !

أحدث طراز — ١١ صماماً . سبع مناطق أمواج للضبط الدقيق ، على أطوال ٣١ ، ٢٥ ، ١٩ ، ١٦ ، ١٣ متراً . قوة إخراج ١٢ وات . وصلة كهربائية لإدارة الاسطوانات . مصنوع بحيث لا تؤثر فيه الأحوال الجوية الإستوائية . عين سحرية اليكترونيه تبين ضبط المحطة المذيعة . صندوق أنيق «فلفيتون» مصنوع من خشب الجوز.



طراز QB 11

يسير بالبطارية ، وله خمس مناطق أمواج للضبط الدقيق . ووصلة بكوبس كهربائى للاسطوانات . مصنوع بحيث لا تؤثرفيه الأحوال الجوية الاستوائية



RCA RADIO

RADIO CORPORATION OF AMERICA

حياة سعيدة ، مديدة

يستعين العلماء اليوم بمعدات « بوش ولومب » البصرية فيهيئون لك حياة أرغد ، وأطول ، وأصح . والأطفال الذين يولدون اليوم يمتازون عن أطفال عام ١٩٠٠ بأن حظهم من فسحة العيش أوفر .

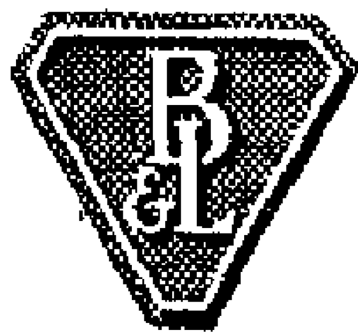
والبكتريولوجيا علم من العلوم التى تقوم عليها حياة الأفراد ، أتاحت ميكروسكوبات « بوش ولومب » الدقيقة لآلاف الكيميائيين فى المعامل اكتشاف أدوية جديدة للتغلب على المرض ووسائل جديدة لوقاية الصحة وثمة أجهزة بصرية أخرى من إنتاج « بوش ولومب » تساعد على تحضير مواد كيميائية جديدة لتأمين الحياة ، وأساليب حديثة لحفظ الطعام .

وسلامة البصر ، لك ولأسرتك ، وقف على إخصائي العيون . وهؤلاء يستخدمون معدات « بوش ولومب » البصرية ونظارات « بوش ولومب » لحماية عينيك الغاليتين .

بوش ولومب

BAUSCH & LOMB

OPTICAL COMPANY

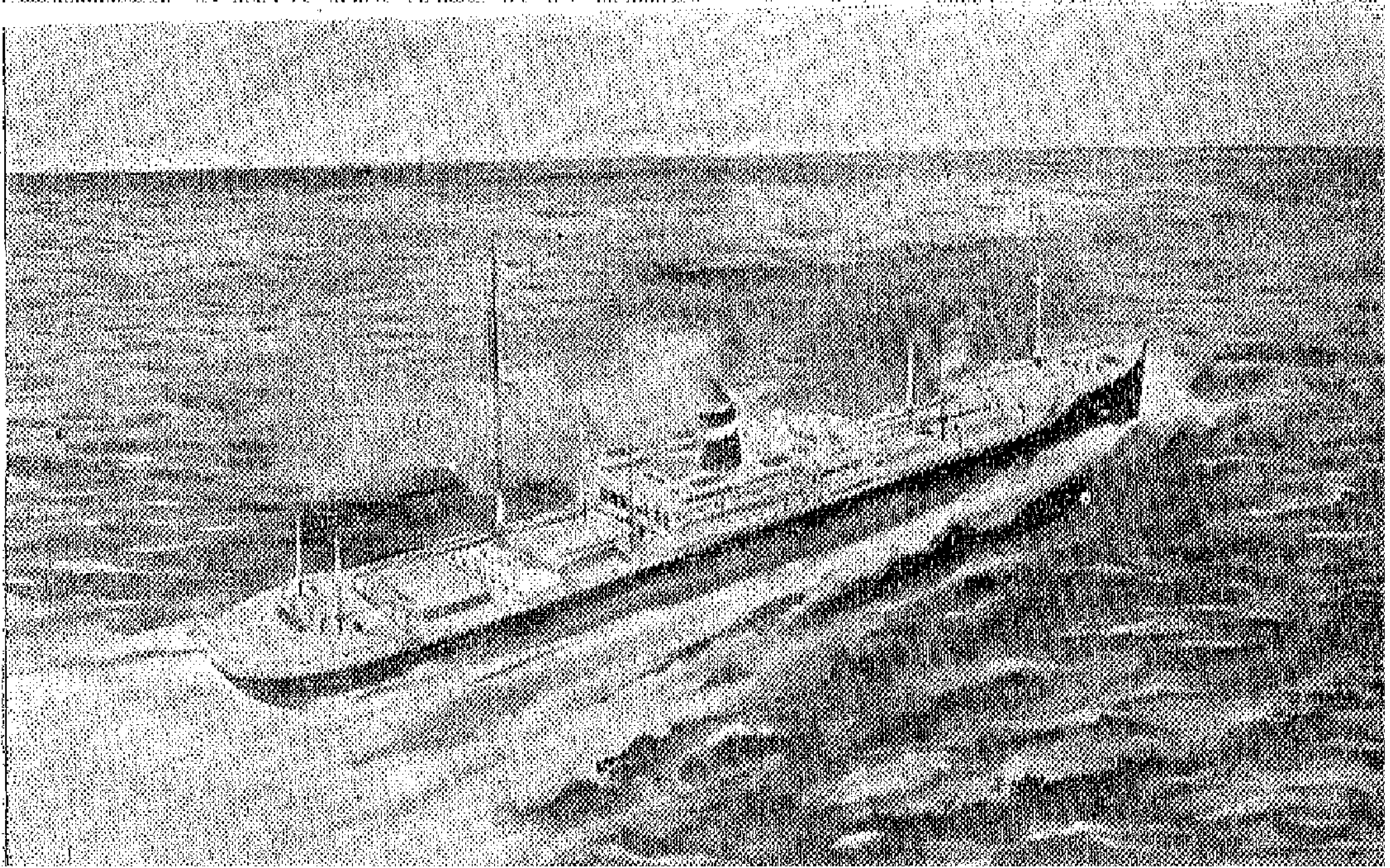


روشستر
الولايات المتحدة الامريكية

تأسست سنة
١٨٥٣

شركة بوش ولومب : تصنع زجاجا للابصار ومجموعة كاملة من أدوات الإبصار للاستعمال فى الحرب والتربية والبحث العلمى والصناعة ولتصحيح بصر العيون وحفظه

غـذاء أفضـل لعـالم أفضـل



عبـر البحـار الشـاسعة ...

إن طرق العالم مهمتها أن تجمع شمل الأمم وتربطها بعضها ببعض . . والآن وقد دبت الحياة من جديد فى الطرق التجارية فستتمكن ملايين الأسر من الحصول على الأصناف الكفيلة بأن تهيئ لها حياة أرغد وعيشاً أهنأ

وشركة سويفت مؤسسة عالمية جرت منذ خمسة وثلاثين عاماً على إنتاج الأطعمة المغذية وتوزيعها ، على الطرق العالمية ، فى جميع أسواق العالم . ومؤسسة سويفت تعنى بحماية طعامها بفضل أرقى . الأساليب الفنية وأفضل وسائط الوقاية العلمية . ولذا تجد مستهلكى منتجات سويفت على ثقة من أن هذه المنتجات قد توافرت فى صنعها أدق شروط الصحة والسلامة ... ألوان من الطعام ، قام الدليل على أنها مضمونة الجودة ، عالية القيمة الغذائية .

Swift

شركة "سويفت" الدولية

مصانع فى الأرجنتين واستراليا والبرازيل ، ونيوزيلندا وأوروجواى توزع منتجات ممتازة منذ أكثر من ٣٥ عاماً

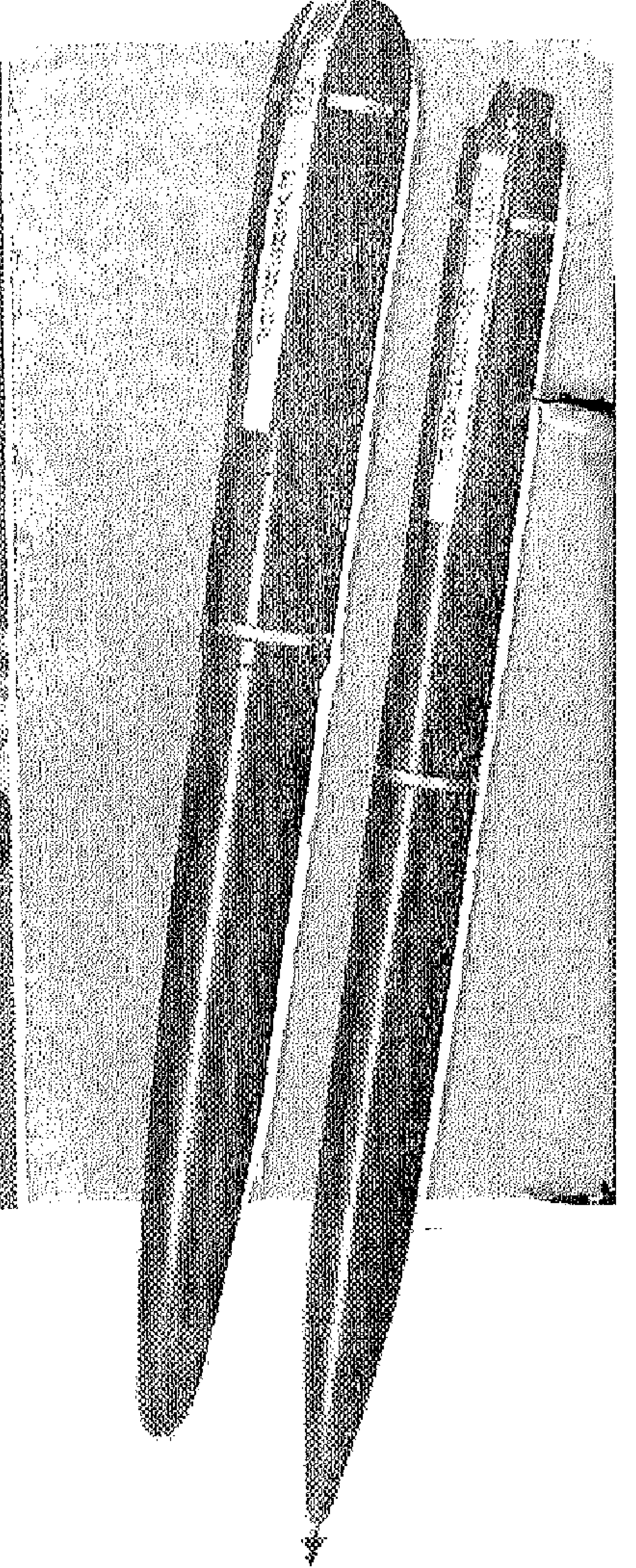
INTERNATIONAL SWIFT COMPANY

Av Corrientes 389, Buenos Aires. Rep. Argentina

تصوّر قلماً يستطيع أن يطير !

إنه قلم ايڤرشارب الذى يعتز به
طيارو الخطوط العالمية "پان أميريكان"





لا عجب أن يكون قلم ايڤرشارب هو الوحيد المفضل عند كل من يمتطى جناح الجو ! فخزانه العجيب الفريد يمنع رشح الحبر وتسربه فى الطبقات العليا — وعلى اليابسة أيضاً بالطبع . فلا مضايقة ولا أصابع ملطخة ! وفى الطبقات العليا تنضح الأقلام الأخرى ويسيل حبرها — أما قلم ايڤرشارب فيستمر فى كتابته — على أكمل وجه !

والخزان السحرى علاوة على ذلك يهيىء اقلم ايفرشارب كتابة عدد أكبر من الكلمات ، بسهولة أوفر ، وحاجة أقل إلى التعبئة .

أما قلم الرصاص ايڤرشارب ، ذو الطلقات ، المعروف بـ « وزن الريشة » فيكفى ضغط بسيط على زره السحرى ليظهر الرصاص — تماما على طريقة المدفع الرشاش !

ايڤرشارب

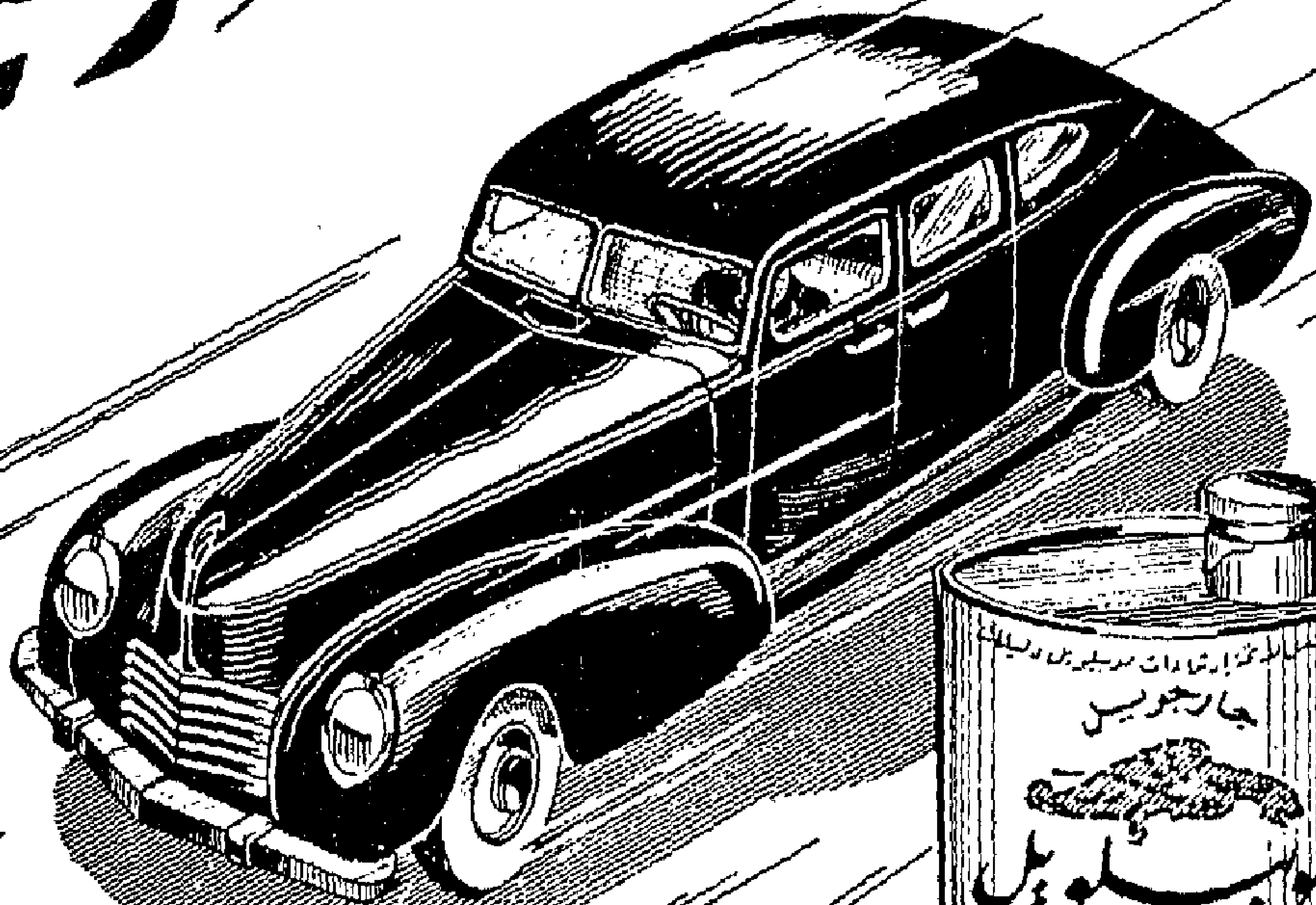
ضمان مستمر

[illegible] أقلام الحبر ايڤرشارب وأقلام الرصاص ايڤرشارب مضمونة — ولا يقتصر هذا الضمان على عدد معين من السنين ولا حتى على الحياة بل هو ضمان للأبد .

قدم ايڤرشارب ... تكون قدمت أبدع هدية !

سير منتظم
وحياة طويلة







سوكوني فاكوم

C.R 4954

زيوت موبيلويل
تطيل عمر المحركات

الزمن قد أثبت أن راديو فيليپس هو أحسن ما يعتمد عليه

إن صفة الاحتمال التي اشتهرت عن راديو «فيليپس» ليست بنت المصادفة . إذ أن كل جهاز من أجهزة راديو «فيليپس» روعى في تصميمه أن يؤدى خدمته في أقسى الأحوال الجوية وأشدها تقلباً ... ويكفى أنه من إنتاج مؤسسة لها في مضمار الكهرباء خبرة نيف وخمسين عاما .

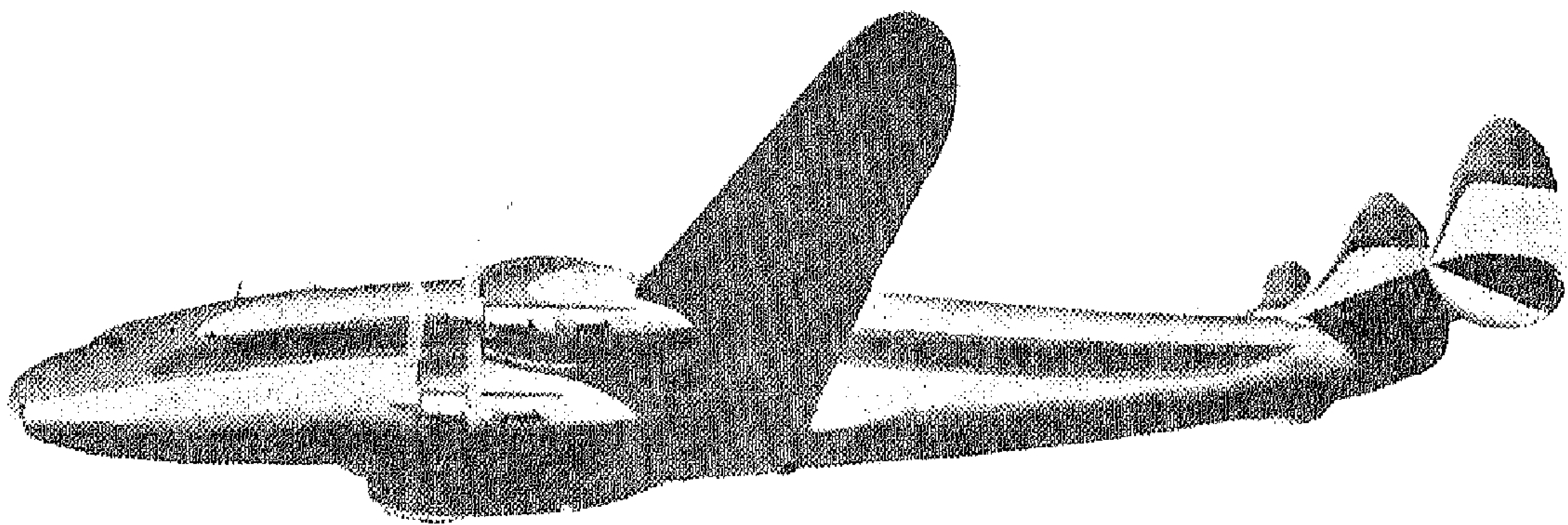
وجميع أجهزة راديو «فيليپس» الجديدة ستكون موسومة بهذا الطابع بالذات : إمكان الاعتماد عليها اعتماداً مطلقاً . وستأتيك هذه الأجهزة الجديدة في تصميم سباق ، وستكون مشتملة على جميع ابتكارات اللاسلكى الجديدة التي توصل إليها علماء «فيليپس» خلال سنى الحرب .

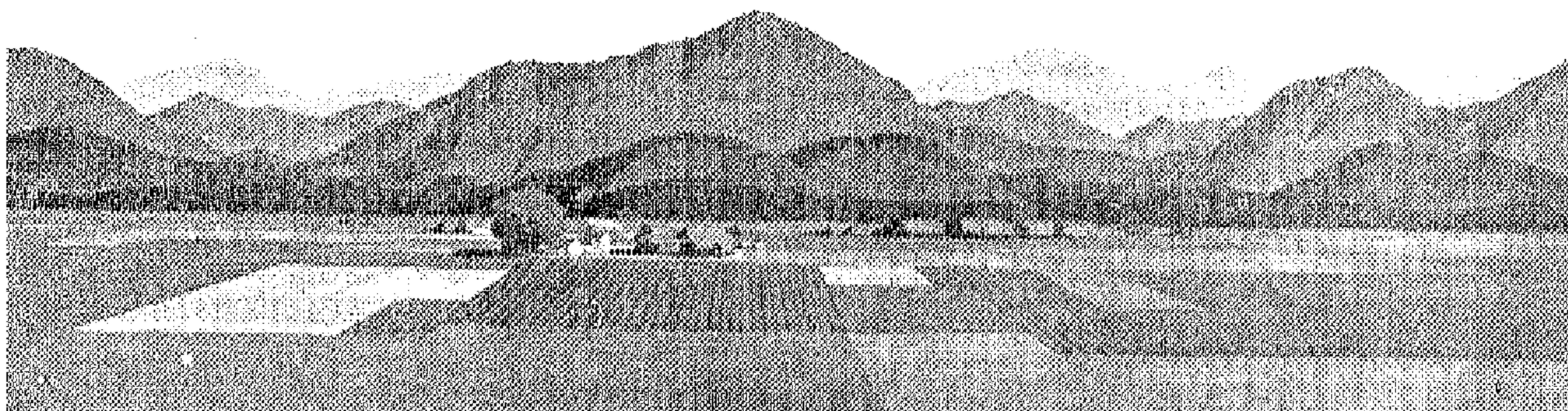
فكن على صلة دائماً بأقرب وكيل «فيليپس» إليك فهو أول من يظفر بأفضل ما في عالم الراديو .



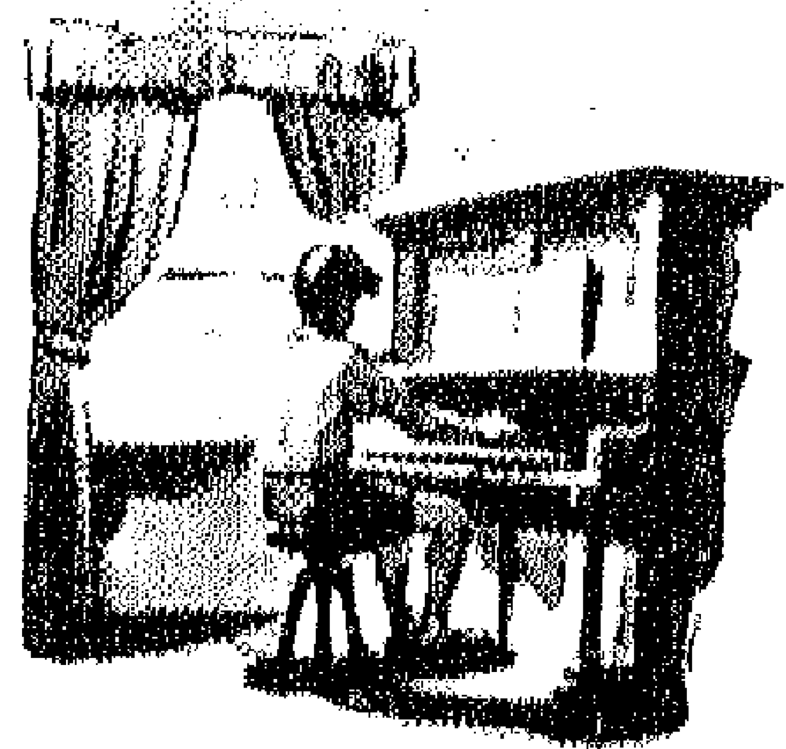
قريباً تأتى — أحسن أجهزة

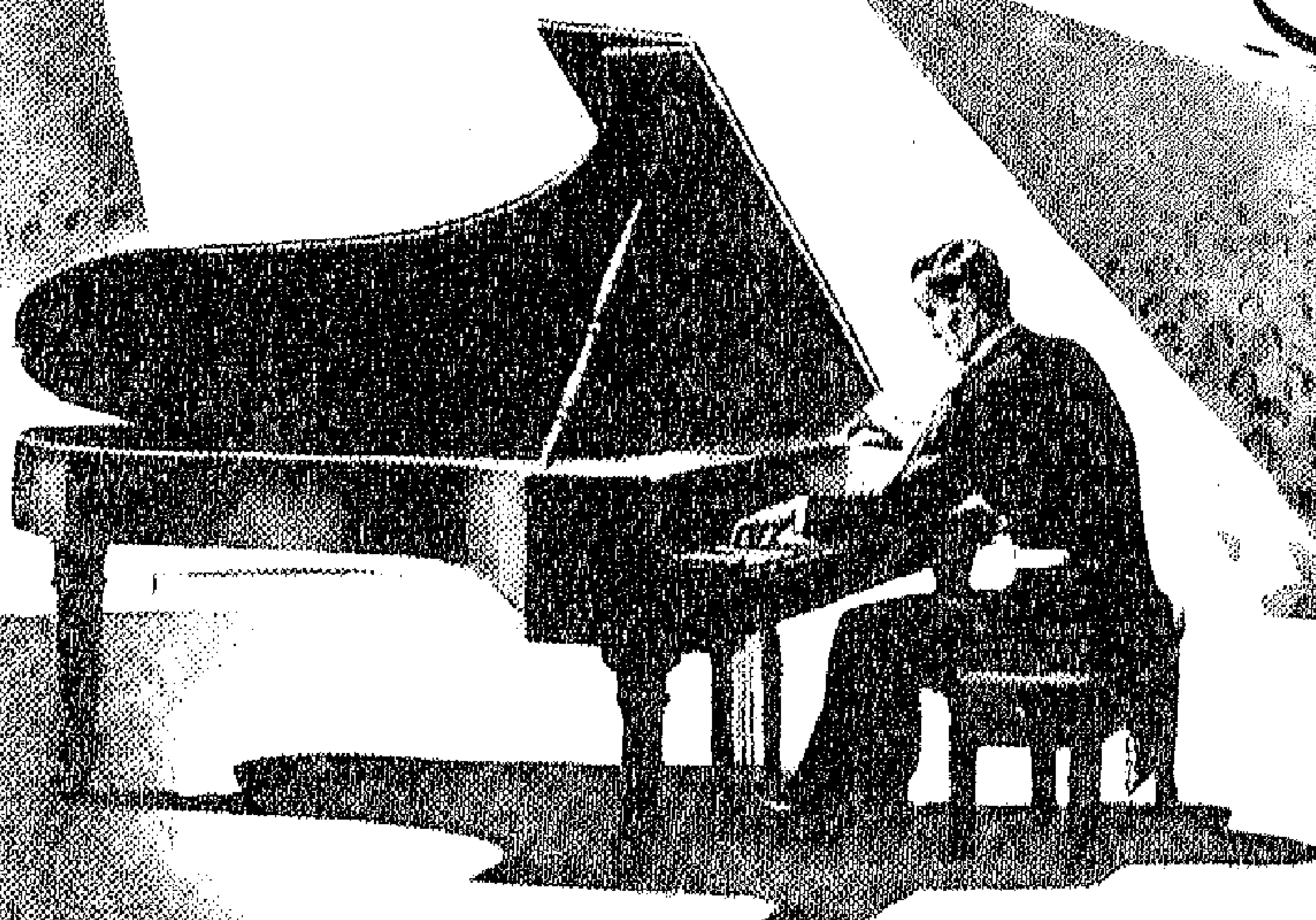
راديو فيليپس





المران سبيل الكمال ...

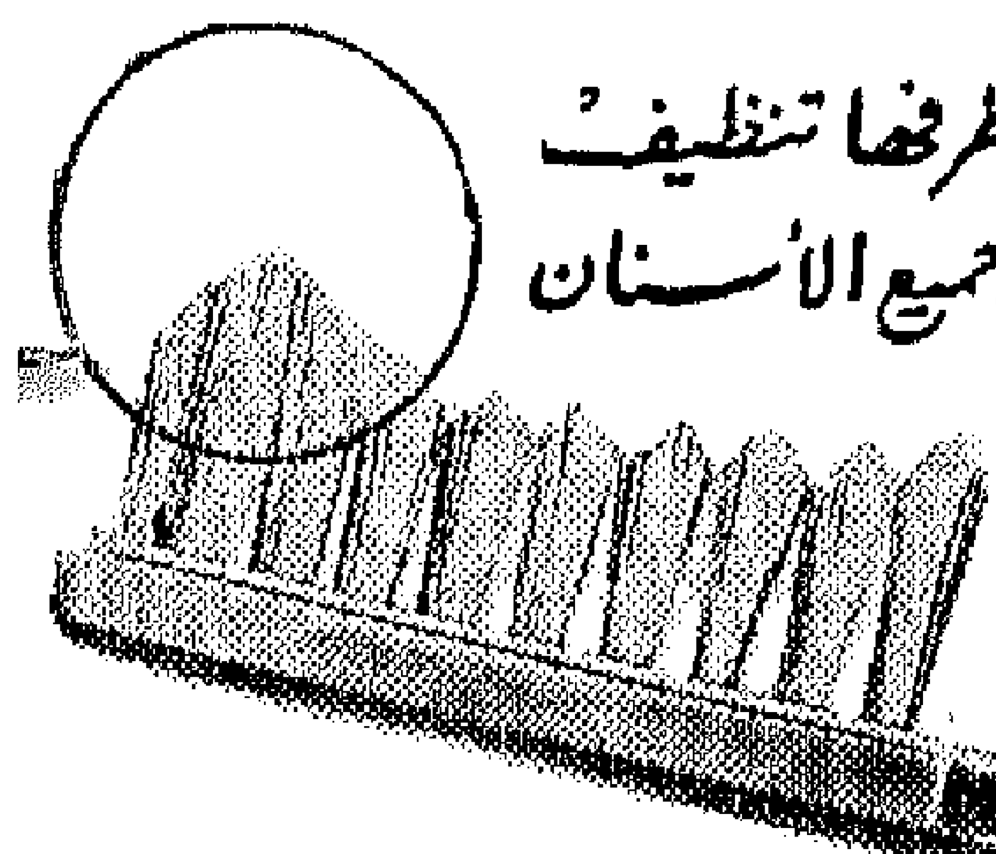






إن الإنتاج الفنى العالى لا ينال إلا نتيجة للعمل المرهق المتواصل . والمران والنظام والخبرة عوامل لا بد منها للوصول إلى درجة الكمال . وهذا ينطبق على كل إنتاج ممتاز فى أى ميدان من ميادين النشاط .

فمنتجو فرشة الأسنان Pro-phy-lac-tic ظلوا ٥٥ عاما منقطعين لإنتاج فرش الأسنان دون غيرها فأسفر ذلك عن أن اسم Pro-phy-lac-tic أصبح رمزاً للامتياز فى العالم أجمع . وحين تشترى فرشة أسنان Pro-phy-lac-tic تعلم علم اليقين أنك تحصل على أجود ما أخرجته سنون طويلة من الخبرة والمهارة ، وأفضل المواد .



على طرفها تنظيف جميع الأسنان

فرشة أسنان "برو-فى-لاك-تيك"

Pro-phy-lac-tic

أوجه إطار
في أوجه الأماكن
إطار چنرال

أجود إطار لأطول مسافة

شركة چنرال تير أند رابر إكسپورت

أكرون، أوهايو، الولايات المتحدة

تلغرافيا: چنتيروكو اوكرونوهايو

مصانع في الولايات المتحدة، وكندا
ومكسيكو، وفنزويلا، وشيلي،
والبرتغال.

The
GENERAL
TIRE

The General Tire & Rubber Co.
AKRON, OHIO

[تتمة مقالة الغلاف]

وكل امرئ راجح العقل يشعر أنه فى حاجة إلى الفرار من هذه الفوضى التى لا هدف لها ، وإلى أن يحطم أغلال تلك العادة المفسدة ؛ وهى قراءة مالا جدوى منه ولا قيمة له . هـذا على أنه يشعر أيضاً أنه فى حاجة إلى معرفة ما يجرى حوله من أحداث الدنيا ، ويحب أن يقف على رأى أهل المعرفة والعقل فى هـذه الأحداث . وهو شديد الظمأ إلى كل شىء مُعَاصر ، ولـكنه يخشى فى الوقت نفسه ، أن يطغى عليه طوفان الـكلام ، فيغرق فى أمواجه أفـكاره وآراءه .

فهـذا الرجل وأمثـاله من الناس هُمُ الذين يرحّبون بمجلة « ريدرز دايجست » ويحرصون على قراءتها ، فهى تضرب حول هذا الطوفان سدوداً وتجعل له مصارف حتى توجهه إلى خير غاية . وكأنى بصفحاتها تصفّى كَدَر هذا الطوفان ، وتحد من ارتفاعه وطغيانه حتى يصير إلى قَدْر تجد فيه ضالتك من المعرفة، ولا تخشى معه غرقاً ولاضياعاً . فإذا نظرت وأنصفت ، عرفت أن المحاولة قد بلغت غاية النجاح .

وأنا نفسى مدين بالشكر كل شهر للذين يتولون للناس هـذا العمل النافع .



أخطار القراءة

ألدوس هكسلى
الكاتب والناقد والروائى المشهور، ومؤلف "الوسائل والغايات"

كل شىء تجد النفس فيه لذة ومتاعاً عُرضة للإفراط والإغراق — حتى القراءة . وأنت إذا أفرطت فى القراءة انقلبت من فضيلة إلى رذيلة — رذيلة يتفاقم خطرها ، لأنك لا تجد أحداً يعُدّها رذيلة . ومع ذلك فالإفراط فى القراءة هو الضرب الوحيد من ضروب الإدمان الذى نجا من المذمّة التى يستحقها . وهذه حقيقة عجيبة ، وكل امرئ منصفٍ يراقب الناسَ ويراقب نفسه ، يتجلّى لَهُ أن الإفراط فى القراءة خليق أن يكون مَهلكةً للوقت ، ومَضيعةً للنشاط، ومَفسدة للفكر ، وصَرفاً للنظر عن حقائق الحياةِ .

وأعظم قسطٍ من الإفراط فى القراءة مبذول فى مطالعة الأنباء والأخبار وتفسيرها والتعليق عليها . وأكثر هذه التعليقات سخيف مبتذل ، أو مشوب تمليه الأهواء . وإذا أنت نظرت إلى خير القارئ من أىّ الناس كان ، رأيت أن معظم هذه الأنباء والأخبار لا جدوى منه ولا قيمة له ، فنحن لا نقتصر على أن نفرط فى القراءة وحسبُ ، بل شرٌّ من ذلك أننا نفرط فى قراءة أشياء لا خير فيها .

[التتمة على الصفحة السابقة]

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

٣ قروش

المختار
من ريدرز دايجست

فى كل مقالة لذة دائمة

مارس ١٩٤٦

اقرأ في عدد إبريل سنة ١٩٤٦

قد تصبح غداً أنضر شباباً : قد تعيش غداً حتى تبلغ ١٢٠ سنة أو ١٥٠ سنة ، بفضل مصل جديد رائع صنعهُ عالم روسي . اقرأ عن هذا الاكتشاف الذي وصفهُ كاتب المقال بأنهُ : « عند الناس أجلّ شأناً من القنبلة الذرية » .

تعليم المسائل الجنسية في المدارس : جامعة أراد طلبتها أن يعرفوا الحقيقة سافرةً ، فظلوا ست سنوات يدرسون شئون الحياة والحب في فصل ، « الشباب والزواج اليوم » . كيف تمت هذه الدراسة العجيبة لجمهرة من الفتيان والفتيات ، وبعض ما أسفرت عنه دراستهم ؟

حقائق عن طعامك قد تجهلها : إذا أكلت لحماً أو شواء بدمه ، فهل يقوى ذلك دمك ؟ أفي السمك غذاء للمخ ؟ هل الأطعمة غير المطبوخة ثقيلة على المعدة ؟ جواب هذه الأسئلة ، وكثير غيرها مما يشغل الناس ، تراهُ في هذا المقال ، وقد يدهشك بعض حقائقه .

حكومة عالمية : ليست الحكومة العالمية هي هدفنا الأخير ، بل ينبغي أن تكون خطوتنا الأولى : هكذا يقول مؤلف كتاب « قضية السلام » الذي ظفر باهتمام الناس جميعاً . وهو يبين في هذا المقال لِمَ ينبغي أن يكون إنشاء حكومة عالمية هو الخطوة الأولى ، وكيف يمكن تحقيق آرائه التي أبداها .

AL MUKHTAR min Reader's Digest Vol. 6, No. 31, MARCH 1946

تصدر شهرياً في بليزانتفيل ، نيويورك ، بالولايات المتحدة الأمريكية — وتصدر طبعات إنجليزية ، وأسبانية ، وبرتغالية ، وسويدية ، وعربيــة — وتصدر دار الطباعة الأمريكية للعميان باويزفيل كنتكي طبعتين للعميان إحداهما طبعة « برايل » وأخرى على « أقراص مسجلة » .

قسم التحرير : رؤساء التحرير — ده ويت ولاس ، ليلى أتشيسون ولاس

سكرتير التحرير : كنيث و . باين ، مدير التحرير : الفريد س . داشيل

قسم الإدارة : المدير العــام — ا . ل . كول ، المدير المساعد — فرد د . طمسون

الطبعة العربية : — التحرير والإدارة : ١٦ — شارع شامپليون بالقاهرة . تليفون : ٥٧٨٩٣

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف

مصر والسودان — ثمن النسخة ٣ قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوي ٣٠ قرشاً صاغاً

فلسطين وشرق الأردن ٣٥ ملاً — العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً

الاشتراك السنوي ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً

الطبعات الدولية — المدير العــام : باركلي أتشيسون

السنة الثالثة

المختار

من ريدرز دايجست

كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الإيجاز باقية الأثر

المجلد ٦
العدد ٣١

مارس ١٩٤٦

كل خطوة تيسر تبادل المنافع بين بلاد أوربا، خليقة أن تفضى إلى خير الناس جميعاً. [ونستون تشرشل]

الولايات المتحدة الأوربية: أهذا ممكن؟

جورج كريل

مختصرة من مجلة "كوليرز"

يلوح أن أمريكا شارعة في تحديد سياسة تتبعها حيال أوربا، تكون أعظم نفعاً. وقد أخذ الرئيس ترومان يقلب وجوه الرأى فى تحويل أوربا إلى ولايات متحدة، وجعل هذا الأمر مدار حديثه مع بطانته المقربين ولم يأمرهم بكتمانه.

وأساس هذا المشروع بيّن واضح، فلو قام اتحاد بين الدول الأوربية، واتخذت عملة واحدة، وارتضت نظاماً جمركياً يسرى عليها كافّة، وجعلت مواردها الطبيعية شركة بينها، وأباحت للجميع مسالك الماء، لصار من المأمول أن تظفر بالاستقرار والرخاء.

وقد لمح الرئيس ترومان إلى ما يرى بجلاء، حين حث أوربا فى مؤتمر بوتسدام على « تقرير حرية الملاحة المطلقة » فى نهر الرين والدانوب ومضايق البحر الأسود وقناة كييل، وفى كل الأنهار التى تشق أرض دولة أو أكثر. وأكد فى تقريره الذى وضعه عن ذلك المؤتمر، أن الولايات المتحدة ستبذل كل جهدها فى تحقيق هذه الغاية.

وليس من العسير إدراك الدوافع التى حملت رئيس الولايات المتحدة على تعديل وجهة نظره فى سياسة أوربا، فإن كبار معاونيه لم يحاولوا إخفاء قلقهم وتشاؤمهم، إذ كيف يتسنى لدولة، مهما صدقت نيتها، أن تعين على تعمير أوربا، وأوربا ذاتها غير

قادرة على أن تحسن الانتفاع بهـذه الإعانة التى تأتيها من خارج ؟ وكيف تأمل أوربا انتعاشا صادقا والرسـوم الجمركية وقيود التجارة ، وفوضى النقـــد ، تحول دون تبادل المنتجات ، وتقيم الحواجز بين المراكز الصناعية والمناطق الزراعية ؟

فها هى النرويج بعوزها الملح لتقـديد أسماكها ، وإيطاليا جائعة تتلهف على هذه الأسماك ، ومع ذلك فلا سبيل للبـلدين أن يتّـجرا بينهما . وكذلك اليونان ، وعداوة جيرانها لها تعزلها عن العالم ، لا تستطيع بيع طباقها ، على حين ترى سـكان البلاد الأخرى ينقبون بأيدٍ متلهفة فى أكوام القمامة علهم يظفرون بعقب لفافة . وهاهو الروهروالسار وسيليزيا تزخرأرضهابالفحم ، ولـكنه لا يغنى من مأكل أو ملبس ، على حين ترى فى الدنمرك والمجر وهولنـدة طعاما وافراً تود لو تقايضها به فحما ، ومع ذلك فليس فى الإمكان إتمام هذا التبادل فى الظروف الحاضرة . ولذلك فستصطك أسنان أهالى الدنمرك والمجر وهولندة برداً فى هـذا الشتاء ، وسيبيت أهالى مناطق الفحم على الطّـوَى .

وهناك أمر آخر : إذا لم تطرح الدول الأوربية أضغانها ومخاوفها ، وتؤمن بأنها اعضاء أسرة واحدة ، فحتم عليها أن تتسابق فى التسلح ، وإذا صرفت هـذه الدول مواردها فى التسلح ، فلا مفرّ من هبوط مستوى المعيشة فيها ، أو من نشوب حرب أخرى أشد هولاً .

واتحاد أوربا ليس بدعة جديدة ، فقد كان قادة الفـكر فى القرن التاسع عشر ، كمازينى وغاريبالدى وفيكتورهوغووغيرهم ، ينظرون إلى الشعوب الأوربية نظرتهم إلى أفراد أسرة واحدة ، ووَرَثة لثقافة مشتركة وتقاليد مشـتركة ، ونددوا بتنافرهم الذى يدفعهم إلى حرب تلو حرب ، المنتصر فيها من الخاسرين . ولـكن هذه الفكرة تبددت حينما تعاظم جبروت بروسيا واستعرت نيران الحرب العالمية الأولى .

ومع ذلك فقد نهض رجل فى سنة ١٩٢٢ ليرفع هـذه الفكرة من الحضيض الذى هوت إليه ، ذلك هو إريستيد بريان الذى نظر فرأى أوربا فقيرة قانطة ، فرفع عقيرته : « اتحدوا تحيوا ويطب عيشكم » ، وعضده الـكونت كودنهوف كاليرجى ، وهو سليل أسرة نمسـوية شريفة ، وأمه يابانية ، إذ وقف حياته وأمواله على تحقيق اتحاد اوربا . فما جاءت سنة ١٩٢٦ حتى عظم أمر هـذه الفكرة وأقيم فى فينا مؤتمر لبحثها . وكان النداء الذى لباه ٢٠٠٠ مندوب من كافة ممالك أوربا هو :

«أصبح الأمر فوضى، هذا هو أصدق وصف للمجتمع الأوربى الذى يضم ٣٤ دولة لا يربطها قانون ولا نظام شامل، ولا تقوم فيها محكمة تعدل بينهم، ولا قوة شرطة تؤمنهم، بل كل دولة تدبر شؤونها كما تهوى. هذا مجتمع تستبد فيه القوة بالحق، ووسائل المفاوضات المشروعة هى عنده التهديد والغدر».

وأسفرت مداولات المؤتمر عن وضع أسس اتحاد أوربا طبقاً للمبادئ الآتية :

— تضامن أوربى عملته واحدة، ونظامه الجمركى متحد، وحرية الملاحة فى مسالك مائه حرة وسياسته الخارجية والعسكرية واحدة.

— ضمان وثيق لكافة دول أوربا المتحدة يكفل استقلالها وسلامتها ومعاملتها معاملة الأنداد.

— عهد مقدس يقضى باحترام حقوق الأقليات الدينية والجنسية.

— فض كافة المنازعات أمام محكمة عدل، تيسر لها كل الوسائل الأدبية والمادية لتنفيذ أحكامها.

— تعاون كامل مع الأمم الأخرى فى حدود نظام يطبق على الدول جميعها.

واشتد ساعد هذه الحركة بفضل إسناد رياسة الاتحاد الفخرية إلى بريان، (وتدتولى تأليف الوزارة فى فرنسا مرات) فاجتمع مؤتمران فى برلين سنة ١٩٣٠ وثالث فى بال سنة ١٩٣٢. ولم يكن الوافدون إلى هذه المؤتمرات أخلاطاً من رجال خياليين يحكمون بالمثل العليا، بل كانوا رجالا لهم مكانتهم ونفوذهم، وتلقت الوفود كلمات كلها تشجيع من ونستون تشرشل إذ قال : «إن تصور قيام ولايات متحدة فى أوربا فكرة صائبة، فتيسير تبادل المنافع بين بلاد أوربا خليق أن تفضى إلى خير الناس جميعاً».

وارتفعت أصوات قوية أيضاً تعارض الفكرة، فإن اتحاد أوربا يبغضه بغض السم كل من ينتفع بتفرق كلمتها، وفى مقدمة هؤلاء أصحاب مصانع السلاح، والساسة المتهوسون فى كل بلد، والماليون الدوليون الذين يربحون الآلاف المؤلفة من التلاعب بتخفيض الرسوم الجمركية أو رفعها. ومع ذلك فإن من الدلالات التى لها مغزاها أن الفكرة فى ذاتها لم يطعن فيها أحد، بل تلقاها الناس بالترحيب، وإن اثنوا بعد ذلك يرمونها بأنها فكرة خيالية. فكيف يمكن لمثل هذه الرقعة المترامية الأطراف المختلفة السكان المتباينة الألسنة، أن تندمج دولها بعضها فى بعض، وتصبح جماعة واحدة قادرة على الحياة والعمل ؟

ورد عليهم أنصار الاتحاد يحاجونهم

بالحقائق والإحصاءات ، وقالوا : ألا ينطق التاريخ بأن كل دولة فى أوربا قد سلكت طريقاً وعراً من قبل أن تنعم بوحدتها ؟ فهذه مدن إيطاليا ومقاطعاتها ظلت طويلا تتقاتل تقاتل الكلاب على العظام ، فلما قام مازينى ينادى بفكرته، وهى عندالناس فكرة خيالية ، إذا بإيطاليا تصبح دولة موحدة . وكذلك ظل ملوك ألمانيا وأمراؤها ينزف بعضهم دماء بعض تكالباً على المكسب والسلطان .

أما مسألة اتساع رقعة أوربا فالرد عليها يكون بمقارنتها بالولايات المتحدة الأخرى ، فمساحة أوربا لا تزيد على ثلثى مساحة الولايات المتحدة الأمريكية ، ومساحة الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ضعف مساحة أوربا .

وهاهى سويسرا تصلح لأن تكون صورة مصغرة لأوربا المتحدة ، فأهل سويسرا يتباينون فى الدين والجنس والعقيدة السياسية واللغة ، ومع ذلك فإن مقاطعاتها الاثنتين والعشرين مندمجة فى اتحاد واحد ، يسرى عليها جميعاً نظام اقتصادى واحد ، وتشترك معاً فى السياسة الخارجية والعسكرية ، دون أن تفقد كل مقاطعة ما يجب لها من سلطان أو تضحى بثقافتها وتقاليدها . ولغاتها الأربع ، الفرنسية والألمانية والإيطالية ولهجة رومانية قديمة ، معترف بها جميعاً . وتعيش فريبورغ الشديدة الإيمان بالكاثوليكية وبرن وفو الشديدة الإيمان بالبروتستانتية فى سلام جنباً إلى جنب ، ولا تخلو مقاطعة منها من بيعة لليهود .

وقد كان مشروع ولايات أوربا المتحدة ، الذى أيدته ٢٦ حكومة ، خليقاً أن يتم له النجاح ، ولكن بريان مات سنة ١٩٣٢ ، وأعلن هتلر فى سنة ١٩٣٣ تأسيس دولة الريخ الثالث . وبعد ذلك بخمس سنوات ، حاول تنفيذ فكرته الضالة عن الاتحاد بالمناداة بمبدأ (الشعب السيد المختار) فانطفأت الفكرة ، واختفى كل مايدل على أنها ستعود حية من جديد ، إلى أن حان يوم ٢٢ مارس سنة ١٩٤٣ إذ نفض تشرشل عنها الرماد وأكد إيمانه بضرورة إقامة إتحاد فى أوربا تشترك فيه كافة الفروع العظيمة من الأسرة الأوربية ، ونادى بإنشاء مجمع لأوربا ، له محكمة عليا لتسوية المنازعات ، على أن يكفل لها من السلطان ما ييسر لها إنفاذ أحكامها .

وقد عادت فكرة اتحاد أوربا تنهض على قدميها من جديد ، وإن لم يؤازرها رجل كأريستيد بريان ليوجهها إلى غايتها، ولكن الرأى العام فى كل مملكة يزداد مناصرة لها يوماً بعد يوم . وهزيمة الريخ الثالث وتفككه يفتح باباً فسيحاً للرجاء لم تلق

الفكرة مثله من قبل ، فإن النزعة البروسية التى ظلت طويلا تحول دون الاتحاد ، وتدأب على تهديد السلم ، قد هزمت وتحطمت .

والمشروع الحاضر للاتحاد، كما يصفه قادة الرأى ، لا يشمل بريطانيا وروسيا ، فإن لبريطانيا العظمى اتحادها الخاص بها ، (الكومون ولث) ، وإذا انضمت إليه روسيا امتدت أوربا إلى المحيط الهادى، واختل ما يجب للاتحاد من الاتزان ، إذ أن روسيا تنفرد دون أعضائه بالمساحة الرحبة والقوة الفائقة .

ومع ذلك فيجب على هاتين الدولتين أن تقلعا عن إقامة دول تحركها كالدمى من وراء ستار ، وعن الاستبداد بمناطق نفوذ فى أوربا ، فإن الاتحاد لا يتحقق إلا إذا كفلت لأعضائه حريتهم، وكانت حكوماتهم معبرة عن رأى شعوبها . واتحاد أوربا لا غنى له عن صداقة روسيا وبريطانيا العظمى ، ولكنها يجب أن تكون صداقة لا يرجى من ورائها غنم ، اللهم إلا حسن النية من جيران منصرفين إلى العمل محبين للسلم .

وماذا تبتغيان أكثر من ذلك ؟ فمن المستبعد أن يكون لاتحاد أوربا — كما يقول أنصاره — مطامع فى الاستعمار ، أو رغبة فى أن يشن حرباً هجومية ، ومعداته الحربية ستقصر على ضرورات الدفاع ، وستنجاب عن روسيا مخاوفها من تأليف كتلة من الدول الغربية تناصبها العداء ، وتتوفر على استثمار مواردها الوفيرة . وكذلك بريطانيا ، إذا لم يبق لها ما يدعوها إلى الحذر الدائم من أوربا الخاضعة لألمانيا أو لروسيا ، استطاعت أن تتفرغ لمشاكل إمبراطوريتها المعقدة .

واليوم تزداد صورة اتحاد أوربا وضوحاً ، إذ يتحدث أنصاره مستبشرين عن اقتراح تشرشل إنشاء مجمع لأوربا يتألف من وزراء خارجية الدول أعضائه ، ومن كبار رجالاتها البارزين ، ويجب الإسراع فى اتخاذ عملة واحدة وإقرار حرية الملاحة فى مسالك الماء ، والاشتراك فى الموارد الطبيعية، ليتم إنفاذ المشاريع الكبرى الهامة. ويجب كذلك الإسراع فى توحيد النظام الجمركى لهدم الحواجز التى تعوق التجارة ، ويجب وضع حد للعوائق التى تحول دون حرية السياحة والتنقل .

وإذا تدفق الفحم والحديد والطعام ومنتجات المصانع فوق قضبان السكك الحديدية ، وسيارات النقل وسفن الأنهار ، وتوفر النقل دون عائق ، كان لأوربا أن ترجو أن تنهض من الوهدة العميقة التى حفرتها سنوات طويلة من المنازعات والحروب .

[علاج يسير يشفي من توتر الأعصاب ، ويعين على العيشة المطمئنة — إلا أنه علاج مهمل]

اهدأ — وتفكر

الدكتور أوستن فوكس ريجز
مختصرة من كتاب "التعب"

إن العيش على وتيرة واحدة من التوتر الشديد، ضار بصحة الجسم والعقل معاً، ومع ذلك يُعيي معظمنا أن يهتدي إلا إلى إحدى طريقتين لقضاء وقت الفراغ الذي نظفر به جميعاً. فإما العمل، وإما اللعب. وفي الحالتين نشق على أنفسنا، ويندر أن يخطر لأي واحد منا أن هناك فائدة أخرى نفيسة لتلك الوقفات التي تعرض في الحياة اليومية — أي التفكر.

وماذا عسى أن يظن معظمنا إذا رأينا رجلا جالساً في هدوء في ردهة فندق أو في غرفة الجلوس ببيته — وهو لا يقرأ، ولا يكتب، ولا يعمل شيئاً، ولا يلعب، بل جالس دون أن يصنع شيئاً على ما يظهر؟ إن أول ما يخطر لنا أنه ينتظر أحداً، وقد نشعر بشيء من الأسف للسآمة التي لابد أنه يعانيها. ولا يدور بنفوسنا، على رغم ما يبدو من أنه لا يعمل شيئاً، أنه يعمل في الواقع شيئاً مهما وممتعاً أيضاً — يدع عقله يسبح ويطوف، ويتجرد تجرداً تاما عما يحيط به، وينشر أجنحته متأملا متفكراً.

إن التأمل ينعش ويريح، ويدخر النشاط لمطالب المستقبل، ويعين المرء على الاحتفاظ باتزانه ومرونته في صروف الحياة. وكثيراً ما نستطيع بفضله أن نعيد تقدير القيم والمعاني، فيساعد ذلك نفوسنا على النماء.

ولا يحتاج التفكر إلى أداة خاصة أو وسيلة معينة، وكل ما في الأمر أن نطلق العنان للعقل وندعه يجوب آمناً، فيما وراء المقاصد والأغراض، وما يسمى الأشياء «العملية» في حاضرنا. وهو ليس أكثر من أن نتعمد أن نمنح خواطرنا إجازة، وأن نجعلها تتغافل عن الحقائق الصغرى في الحياة اليومية، وبذلك نخلق عامدين نفس الحالة الذهنية التي تغشى المرء حين يستمع إلى موسيقى جميلة، أو يتأمل غروب الشمس، أو ينظر إلى الجبال الشاهقة. فهي حالة غبطة خالية من توقع شيء ما، وتأمل بدون تدبير أو سعي.

ولا حاجة بالإنسان إلى ما يعينه على ذلك سوى مكان مريح يجلس فيه، ولا قيمة

لما يحيط به ، لأنه متى اكتسب الإنسان العادة فإنه يذهل عما حوله ، على أن للوسط الجميل الهادىء مزيته ، وقد يساعد أحياناً على إيجاد الحالة الذهنية الملائمة .

وقد نصح العالم النفسانى العظيم ، وليم جيمز ، تلاميذه فى الفلسفة أن يكثروا من الاختلاف إلى العبادة . وقال لنا إن اعتياد الذهاب إلى مكان هادىء يوحى بالتفكير والتأمل ، من شأنه أن يعين على صحة النظر واستقامته . وقال إن العبادة تشبه أن يلقى المرء نفسه فى زحام ، فيعمد إلى عتبة باب قريب ويقف عليها ، وينظر من فوق رءوس الناس ، ويشاهد ما يصنع الجمع فى جملته ، وحينئذ يستطيع أن ينزل مرة أخرى إلى الزحام ، ويمضى فى الاتجاه الصحيح . وقد كان يسعه أن يستعمل نفس التشبيه فى الكلام على التفكر ، فإنه يرفعنا إلى ما فوق الاعتبارات التافهة ، فيتسنى لنا أن نميز المهم من غير المهم ، فيتبدى لنا ما يكون فى تجارب الحياة من معانٍ سامية .

ولا يحتاج المرء للشروع فى التفكر إلا إلى دفع العقل فى الطريق القويم ، وهذا التوجيه الأول ينبغى أن يمضى بالعقل صُعُداً وأن يوسع نطاق سَبْحه فى النواحى العامة وغير الشخصية ، لا أن يهبط به

> قد تكون فكرة حسنة ، وإن كانت تبدو خيالية ، أن نخرس صوت كل تليفون ، ونقف كل سيارة ، ونمنع كل حركة مسافة ساعة كل يوم ، لنتيح فرصة للتفكر فى أسرار ما يحيط بنا بضع دقائق ، ولماذا يحيي الناس وماذا يبغون حقاً فى حياتهم .
>
> [جيمز تراسلو آدمز]

ويطويه على نفسه ، ويغريه بما هو خاص وشخصى .

ويمل العقل التدبير العملى ، ويضجره التفكير المحدود ، فينصرف عن كل هذه الخواطر الضيقة بسهولة مدهشة . وخير وسيلة لاعتياد ذلك هو أن يفرد المرء فترات قصيرة يحصر ذهنه فى خلالها فى فكرة عامة مجردة ، مثل طبيعة الجمال ، أو معنى الحق ، أو روح الشجاعة ، أو مصير الجنس الإنسانى ، أو صفة الخلود ، أو أى حقيقة من حقائق الدين الأبدية ، أو أن يتناول جملة ملهمة ، ويدع الجملة نفسها أو الفكرة المستمدة منها تدور فى نفسه وتستقر ، فربما خطر له تفسير جديد . فقد قيل إن كل عبارة صوفية لها سبعة وسبعون معنى . ومتى وجهت عباب الفكر وجهته ، فامض مع

التيار ، ودعه يحملك إلى حيث يشاء ، وكن متفرجا ليس إلا .

ولن تجد في أوقات الشدة ، حين يزعجك القلق ، أو تثقل عليك وطأة عاطفة ما ، وسيلةً أجدى من التفكير ، حتى تفوز بشيء من السكينة . ولست أعرف وسيلة أجمع منها لاقتصاد الوقت والنشاط والجهد ، وأكفل باستعادة سيطرة العقل . والتفكير، باعتباره طريقــة لقضاء لحظات الفراغ ، ميسور لكل إنسان ، بغض النظر عن السن والتجربة ، وهو جزء مهم من الحياة الرشيدة التي تلهم القلب الرضى والسكينة .

نوادر

من كتاب « مضحكة »
لمؤلفه « بنيت سيرف »

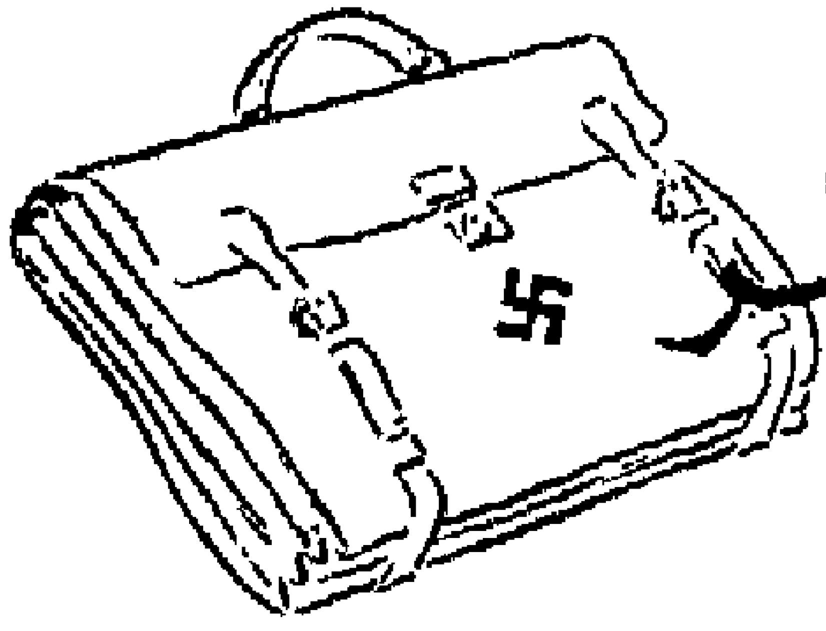
عنى أحد كبار التجار في المدينـــة بمزاولة الزراعة في ساعات فراغه . فلما انقضت سنتان على ذلك سأله أحد أصدقائه عن حاله ، فقال : « ربحت في السنة الماضية عشرة آلاف ريال ! » . فقال صديقه دهشاً : « عشرة آلاف ريال ! » فقال التاجر : « نعم والله . فقد خسرت ٢٢ ألف ريال وحسب ، أما في السنة الأولى فقد خسرت ٣٢ ألف ريال » .

سرى اللغط بين أهل الطبقة الراقية من الإنجليز حين تزوج دوق عريق حسـناء شقراء كانت راقصـة في ملهى . وازداد اللغط حين عرضت في أحد معارض الصـــور ، صورة كبيرة للدوقة عارية كما ولدتها أمها . فاشـتد غضب الدوق ، فقالت له زوجـته : « لست أدرى ماذا ينهش قلبك . صدّقني ليس في الأمر ما يريب ، فقد اعتمد المصور في تصويرها على ذاكرته ! »

ما تدخره لنفسك تخسره ، وما تجود به لغـيرك
تدخره إلى الأبد ، فما جدوى اختزان المـال ،
وفي يد الموت مفتاح آخر يفض أغلاق خزائنك ؟
[أكسيل مونتي في قصة سان ميشيل]

قصة عجيبة : رجل سويدى ولد فى أمريكا وكان رئيس الجستابو يثق به ، ووضع الحلفاء اسمه فى القائمة السوداء

التاجر الذى كان يعامل هملر



إدوين مولر

فى مستهل الحرب وضع الحلفاء فى القائمة السوداء اسم المستر إريك إريكسون من سكان استكهلم، متهماً بالتجارة مع الأعداء وشد أزر ألمانيا فى مجهودها الحربى ، وجاء فى تقارير قلم المخابرات السرية للحلفاء أن إريكسون يتاجر فى النفط الألمانى ، وأنه لا يكف عن زيارة ألمانيا ، وأن بينه وبين كبار رجال الجستابو مودّة وصداقة .

ولما ذاع ذلك الأمر كان صاعقة نزلت بأسرة إريكسون، فأخذ أصدقاؤه القدماء ، وكانوا جميعاً من غُلاة أنصار الحلفاء ، يتجنبونه ويتحاشون لقاءه حتى هجروا زوجته. كان إريكسون من رعايا السويد ، وإن كان قد ولد ونشأ فى بروكلين بأمريكا وتخرج فى جامعة كورنل ، فأخذت تنهال عليه من أسرته بالولايات المتحدة رسائل اللوم والتأنيب ، ولكنه لم يقلع عن غيّه .

وكان إريكسون من طراز التجار الذين يحسنون التودد إلى الناس واكتساب صداقتهم ، فينال عندهم حظوة تنفعه فى تجارته . وقد أقبل على تجارة النفط لأنها مثيرة حافزة ، تتيح له أن يرحل ويلتقى عظماء الناس . وقد قضى سنوات فى الشرق ثم فى أوربا ، يتولى عملا لشركة ستاندارد ثم لشركة تكساس .

وكانت جماعة تجارة النفط فيما بين سنة ١٩٢٠ وسنة ١٩٣٩ زُمْرة مختلطة الأجناس . كنت ترى الرجل منهم فى شنغهاى وفى العام التالى تراه فى لندن أو طهران ، وقد تأتى سنة فتنافسه منافسة لا هوادة فيها ، وفى السنة التالية تقفان معاً جنباً إلى جنب للدفاع عن مصلحة مشتركة . وهذا الخليط من الأمريكيين والإنجليز والهولنديين والألمان ، يعيشون فى جو من المقامرات والمغامرات والصفقات الجريئة ، غير مبالين بسوى مصالحهم لا مصالح دولهم التى ينتمون إليها . وقد صار إريكسون مديراً لشركة تكساس فى السويد ، ثم أصبح من رعايا السويد ، وأنشأ شركة باسمه لتوريد النفط الأمريكى وبيعه .

فما نشبت الحرب حتى رأى الفرصة سانحة للتجارة مع النازيين ، وكان عند ألمانيا يومئذ نفط للتصدير ، وكان من السخف أن نفرض أن الحلفاء سيكون فى وسعهم يوماً ما أن يؤثروا فى إنتاج النفط تأثيراً كبيراً بإلقاء القنابل ، فأخذ إريكسون يتودد إلى رجال الأعمال الألمان ، وانضم إلى غرفة التجارة الألمانية فى استكهلم ، ونأى بجانبه عن معظم أصدقائه القدماء ، ولكنه ظل على مودته للبرنس كارل برنادوت ابن أخى ملك السويد ، وكان الأمير أيضاً يتودد إلى النازيين حتى أثار سخط معظم أهل السويد . (والأمير برنادوت هو الذى اشتهر فى أواخر أبريل وأوائل مايو ١٩٤٥ بمفاوضته مع هملر لعقد هدنة مع القوات الحليفة فى الغرب) .

وعلم إريكسون أن هملر رئيس الجستابو هو الذى سيتولى الفصل فى صفقات تجارة النفط ، فطفق إريكسون يحوك حبائله حول الهرفنك أكبر ممثلى هملر فى السويد وأحد النازيين المتعصبين . وكان موطن الضعف فى فنك فرط إجلاله لسلالات الملوك ، فشرع الأمير كارل يعقد بينهما أواصر المودة ، وتولى إريكسون توثيقها ، وسرعان ما أصبح الهرفنك ينزل عليه فى داره ضيفاً مكرما .

وخاب مسعاه عند آخرين ، ولا سيما الهر لودفج الملحق التجارى فى المفوضية الألمانية ، فهو لم يحب إريكسون قط ، غير أن إريكسون ظفر بإذن يبيح له زيارة ألمانيا فى ربيع ١٩٤١ ، وبرسائل توصية من فنك وغيره ، على رغم لودفج وازوراره عنه.

وفى مطار برومّا خارج استكهلم ، حبست الطائرة عن الذهاب إلى برلين ، واستدعى البوليس السويدى إريكسون ، وفتشه هو وحقائبه تفتيشاً دقيقاً فيه بعض الجفاء ، فلم يجد معه شيئاً يستوجب التهمة ، فأذن له أن يواصل سفره .

فلما بلغ برلين جاءت فى صباح اليوم التالى سيارة وحملته إلى مقر رئاسة الجستابو حيث لقى رجلين كانا معه فى الطائرة ، وكانا من عيون الجستابو ، فشهدا بأن الحادثة التى وقعت فى مطار بروما كانت من عمل ممثلى الحلفاء .

اتصل إريكسون برجال النفط الألمانيين وبخاصة فى همبرج ، وزار هناك مصانع التقطير وحادث مديريها ، وبحث شروط الاتفاقات التى يريدها ، وأخذ يبحث عمن كان يعرفهم من تجار النفط ، فوجد فى بادئ الأمر الضابط فون ونش وهو من طبقة الأشراف الألمان الذين تلقوا جانباً من تعليمهم فى إنجلترا ، وكان حيناً ما يعمل

فى شركة شل للنفط . كان إريكسون يؤمل أن تظل معاملاته سراً ، فكان حديثه مع ونش سِراراً مكتّماً . وفى أحد الأيام أعطى إريكسون صاحبه فون ونش وثيقة فوضعها ونش فى علبة من الصفيح ودفنها فى فناء داره. وقد اتصل أيضاً بالهر فون ستوركر أحد ممولى الزيت ، وهو من أسرة قديمة فى همبرج ، وأخذ الهر ستوركر أيضاً وثيقة أخرى كمثل وثيقة فون ونش ، وحرص إريكسون على أن لا يراه أحد الرجلين مع الآخر .

ولم يلبث إريكسون أن عاد إلى السويد ، وبدأت تأتيه الرسالات الأولى من النفط الألمانى . ويومئذ سجل الحلفاء اسمه فى القائمة السوداء ، وقاطعه أصدقاؤه القدماء مقاطعة تامة ، وكان بعضهم إذا رآه داخلا أحد المطاعم يهب قائماً ويفارق له المطعم . ولقيت زوجته السويدية الأمرّين ، وكانت لاتزال عدواً للنازية ، ولكن كان عليها أن تحتفى بأصدقاء زوجها الجدد .

فى الأشهر التى تلت ذلك زار إريكسون ألمانيا ، وظل ينمى صداقته للذين عرفهم من الجستابو ، فكان يدعى إلى منازلهم فيحمل إلى زوجاتهم الزبدة والثياب المصنوعة من الجلد وغيرها من الهدايا السويدية .

واستمر يعامل رجالا آخرين أمثال فون ونش وفون ستوركر ، وإن كان الحصول على النفط قد ازداد مشقة من جراء تفاقم غارات الحلفاء . واتفق مرة بعد زيارته لمعمل تقطير كبير ، أن دعاه المدير لطعام العشاء ، فتردد ولكنه لم يجد مناصاً من قبول الدعوة . وأعد الطعام فى مكتب المدير ولم تتفرق الجماعة إلا قرب منتصف الليل ، وما انتصف الليل حتى جاءت قاذفات قنابل الحلفاء ، وأصبح المصنع أثراً بعد عين ، ويومئذ كاد الحلفاء أن يقضوا على تجارته مع الألمان .

وكان هجوم الحلفاء على النفط الألمانى قد أخذ يتعاظم خطره ويتفاقم أثره ، ومع ذلك ظل جانب عظيم من هذه الصناعة قائماً حتى النصف الأخير من سنة ١٩٤٤ . وكان إصلاح ما يفسده الحلفاء يتم فى زمن أسرع مما قدر الحلفاء ، وفضلا عن ذلك فإن عدداً كبيراً من المعامل الألمانية كان قد أحكم إخفاؤه بحيث ظل سليما لم يمسه سوء .

وفى خريف ١٩٤٤ كان هم الحلفاء مصروفا إلى معركة الرين الجوية وهى فى أعنف مراحلها ، وكان لا بد لإريكسون من أن يعمل فى سرعة إذا كان يريد مقادير من النفط أكبر ، وكان يود منذ زمن أن يقوم برحلة شاملة لزور معامل النفط

الألمانية، فكان هذا أوان الزيارة . وأدرك أن هـذا الموقف من المواقف التي تقتضى التاجر أن يتصل بالرجل الذى فى يده مقاليد الأمور — ألا وهو هنريك هملر .

ووضع إريسكون خطة لصفقة كبيرة من الضرب الذى يحبه التجار المغامرون ، فاقترح أن ينشىء معملا ضخما لتقطير النفط الصناعى فى السويد تبلغ نفقات إنشائه ٠٠٠ر٠٠٠ر٥ ريال ، وأن يقام هذا المعمل بأموال سويدية وألمانية .

وكان هـذا الاقتراح خليقاً أن يرضى الألمان لسببين : الأول أنه يكفل للألمان مورد نفط فى بلاد محايدة بعيدة عن منال قاذفات الحلفاء . والثانى أنه يتيح للألمان طريقاً لكى يستثمروا أموالهم فى بلاد محايدة إذا حاقت الهزيمة بألمانيا .

وأعد إريكسون مشروعا وحمله إلى فنك الذى سر به ، وأظهر أقطاب النازيين فى ألمانيا اهتماما عظيما بالمشروع ، ولم يكن هناك من يعارضه سوى الهر لودفج ، فقد زعم أن إريكسون رجل محتال ، وكان لودفج من رجال وزارة الخارجية وأحد شيعة ريبنتروب ، وكلما تطاولت الحرب اشتد التصادم بين هذا الحزب وبين الجستابو ، أى ازداد التصادم بينه وبين هملر ، وكانت الغلبة لهملر فى أكثر الأحيان . وكذلك كان يومئذ ، فقد غُلب لودفج على أمره وكان إريكسون قد نال رضى الجستابو فمهدوا له طريقاً إلى هملر .

وجاء أكتوبر ١٩٤٤ واستقل إريكسون الطائرة من مطار بروما واجتاز مياه البلطيق وسهول ألمانيا الشمالية إلى مطار تمبلهوف ، وحجز له مكان فى أفخم فنادق برلين التى لم تدمرها قاذفات الحلفـاء . وفى الصباح جاءته سيارة سوداء كبيرة وفيها نفر من حرس الجستابو .

وفى مقر قيادة هملر تلقاه رئيس الجستابو بالترحيب وقال له : « لقد سمعت أنباء عظيمة عنك من الهر فنك » ، وتحدثا عن مشروع معمل التقطير ، وعن حاجة إريكسون إلى أن يرى بادئ ذى بدء عمل المعامل الألمانية ، ثم أخذا يبحثان أموراً أخرى .

وسأله هملر فجأة : « ماذا يحدث إذا غزت الجيوش الألمانية السويد ؟ »

فأجابه إريكسون : « يومئذ يقاتلهم أهل السويد قتالا مرًّا » .

وقد رأى أن الطريق إلى التأثير فى هملر لا يكون بالخنوع والمسايرة، وكان على حق، فكانت عاقبة هـذه المقابلة أن نال إذناً لا مثيل له يبيح له أن يذهب حيث يشاء ويرى كل شىء فى معامل النفط ، وأعطى سيارة وقدراً عظيما من البنزين .

وتنقل إريكسون فى أوربا الوسطى من كولونيا إلى براغ ، وزار معامل لوينا وأننددورف وهال — أى جميع المصانع الكبيرة ، وحادث المديرين وعرف ما يصنعون وما ينوون أن يصنعوا ، وفعل ما يفعل التاجر حين يلج سوقاً جديدة ، فألمّ بأطرافها ونواحيها . وخرج بما عرف وعلم إلى بلاده السويد .

فلما وضعت الحرب أوزارها أقامت السفارة الأمريكية فى استكهلم حفلة غداء كبيرة لإريكسون ، دعى إليها جميع أصدقائه القدماء ، فتم الصلح بينه وبينهم .

ذكر إريكسون يومئذ كيف زاره فى أول الحرب أحد ممثلى قلم المخابرات السرية للحلفاء ، وكيف رضىَ أن يكون جاسوساً وأبى أن ينال على عمله أجراً ، وكيف أوحى إليهم أن يضعوا اسمه فى القائمة السوداء ، وكيف كان زميله الأمير كارل برنادوت أيضاً فى خدمة الحلفاء ، وكيف حولت رسالة النفط التى أرسلت من ألمانيا على شركة فاكوم وشركة النفط البريطانية فكانت عوناً على قتال الألمان ، وكيف كان عليه أن يعطى فون ونش وفون ستوركروغيره ممن اتصل بهم رسائل عليها توقيعه ، وفيها اعتراف بما يؤدّون سراً من معونة للحلفاء لكى يقدموها بعد انتصارهم ، وكيف كانت كل ورقة من هذه الأوراق سيفاً مصلتاً على عنقه ، فما يكاد يغمض له جفن يوم يكون فى ألمانيا ، فهو يقضى الليالى الطوال يترقب أن يسمع قرعاً على بابه معناه الجستابو والموت.

وقد أثمرت تلك الأنباء التى نقلها هو وغيره ممن شارك فى هذا العمل المحفوف بالخطر . ففى الأشهر التى سبقت معركة الرين بلغ الهجوم على النفط الألمانى ذروته ، وكان الطيارون من الحلفاء يعرفون بدقة مواقع تكرير النفط كبيرها وصغيرها ، فما يكاد يتم بناء مصنع جديد حتى يكون لديهم موقعه على الخريطة ، ويكون فى وسعهم أن يطيروا إليه مباشرة مهما أتقن إخفاؤه وتنكيره . وكانوا يعرفون مدارج الطائرات المقاتلة ، ومواقع المدافع المصادة للطائرات ، والمنشآت التى نطاق الدخان لإخفاء المصانع . وكانوا إذا دكوا معملا من معامل التقطير علموا أيضاً كم يستغرق ترميمه ، فما يكاد يأتى يوم يواصل المعمل عمله ، حتى يعودوا إليه بطائراتهم .

وخفض النفط الذى يتطلبه الجيش وسلاح الطيران الألمانى إلى أقل قدر ، فلما بدأ هجوم الحلفاء الأخير ، كنت ترى دبابات ألمانية كثيرة واقفة فى ساحات الحرب عاجزة ، وترى طائرات ألمانية كثيرة جاثمة فى الأرض ، وكلها خالية من البنزين .

وقد وفى الحلفاء لفون ونش وفون ستور كر وغيرهما بما وعدهم إريكسون . أما الهر لودفج فهو اليوم فى الأسر ، وقد اتسع وقته حتى يفكر فى صدق حكمه على إريكسون . وقد ألقى القبض على الهر فنك فى الداعرك بعد أشهر قضاها متنكراً يحمل اسماً مزيفاً .

وقد عاد إريكسون مسروراً جذلا إلى غرامه القديم وهو شؤون النفط ، يتنقل مع المشتغلين بتجارته بين طهران ولندن — عاد إلى نشوة العمل الضخم ، إلى المغامرة الحقة.

نهايات غريبة

ازدحمت السيارات عند مخارج الملعب على إثر مباراة فى الكرة ، وتلاحقت خطاً واحداً يسير سيراً بطيئاً ، وقرب نهاية الخط ، كانت سيارة ليس فيها سوى صاحبها ، فهرعت إليه حسناء شقراء ، وسألته : أذاهب أنت إلى المدينة ؟ فأجابها ملهوفاً : « نعم . نعم » وفتح بابها . وعندئذ التفتت ونادت الجنود الخمسة الواقفين على مقربة منها ، وقالت : « أرأيتم ، ألم أقل لكم أننى أستطيع أن أدبر أمر عودتكم بسيارة ؟ هيّا ادخلوها شاكرين » . ثم انصرفت عن صاحب السيارة المغيظ ، وعدت نحو صاحبها الذى ينتظرها . [بيجى شاكلفورد]

رأيت ذات صباح ، طفلين يسيران فى الشارع ، وكانت البنت فى نحو الثامنة ، تترفق فى إرشاد أخيها الصغير وكان الولد قد أغمض عينيه ، فسألها أحد المارة : ما أمره ؟ أأصاب عينيه أذى ؟ فردت غير آبهة : لا . لا ! إننا نفعل هذا كل يوم سبت حين يكون ضياء الشمس باهراً . فيغمض عينيه وأنا أقوده إلى دار السينما ، فلا يفتحهما إلا متى دخلناها ، وحينئذ يسهل عليه أن يلتمس لنا مقعدين فى ظلام الدار . [مسز دونالد جنتر]

إهداء

أهدى أحد مديرى شركة ر . ك . و . كتابه الأول : « إلى زوجتى التى لولا غيابها عن البيت لما أنجزت هذا الكتاب » . [صحيفة «سان فرنسسكو كرونيكيا »]

[قبل أن تحاول أنت معالجة ما يصيبك من صداع ينبغي أن تعلم أولا . . .]

ما هو الصداع؟

روبرت ﻫ . فيلدت

مختصرة من مجلة "ذي أميريكان سيركيوري"

كثرت شكوى الناس من الصداع حتى صارت آفة غالبة على عشر من يدخل عيادات الأطباء . وما دام للصداع أكثر من ثلاثين سبباً ، فإن إصابة الطبيب في تشخيص سببه ذات شأن عظيم . وقد يمضي المصدوع يجرب هذه الحبة أو ذلك المسحوق ، على حين تمضي العلة الكامنة وراء الصداع تستشري حتى تبلغ مبلغاً يستعصي على العلاج . ثم إن الجرع الكبيرة من الأدوية التي تستعمل لعلاج الصداع قد تورث هي نفسها صداعاً .

وإذا استثنينا الصداع الناشيء عن أسباب محصورة كإجهاد العين ، والتهاب كهوف عظم الرأس ، فإن أكثر حالات الصداع يمكن تقسيمها إلى قسمين جوهريين : قسم ينشأ من باطن الدماغ ، وقسم ينشأ من خارج الدماغ . فالصداع الناشيء من باطن الدماغ يكون عادة غائراً في الرأس ، مصحوباً بضربان ، ومن هذا النوع صداع الشقيقة (صداع ينتاب شِق الرأس والوجه) ، وضروب الصداع الناجمة عن ارتفاع ضغط الدم ، أو الحمى أو أورام المخ أو الزهري أو السل أو الملاريا أو التسمم الناشيء من الحمل أو من إدمان الخمور .

أما الصداع الناشيء من خارج الدماغ ، فيكون الشعور به أقرب إلى السطح ، فيحس المصاب بضغط كضغط الكلاّبة ، وألم لابث مديد ، ويرده الأطباء إلى أسباب نفسانية أو عصبية ، لأن هياج العواطف يذكيه . ومن أبرز أسبابه الغضب والخوف والهم ، وخيبة الأمل واضطراب النفس والشعور بالخطر المهدد أو بالعجز عن نيل الأوطار ، أو بالندم على الآثام .

وتورث الشقيقة — وهي صداع سببه في باطن الدماغ — احتقاناً مؤقتاً في شرايين باطن الجمجمة ، يؤدي إلى صداع متردد مصحوب بغثيان . ويستطيع المصاب عادة أن يتنبأ بموعد النوبة ، بما يسبقها من نذير يراه كأنه شرارة من ضوء تومض وتمض

* الكاتب دكتور في الطب وعضو عيادة أمراض القلب بمستشفى الأطفال في ميلواكي ومدرس بمدرسة الطب في جامعة ويسكونسن

البرق، ويضيق معه مسرح البصر بالتدريج.

وبعد هذا النذير بنحو عشرين دقيقة يبدأ الصداع ضرباته العنيف، وأكثر ما يكون في شق واحد من الرأس — ومن أجل ذلك سمى الشقيقة. والغثيان يضاعف كرب المصاب. وفي الإصابة الشديدة تهيج الضوضاء التافهة والنور الساطع في المصاب نوبات من الألم الفظيع. وقد يستمر هذا الصداع ٢٤ ساعة إذا ترك بغير علاج.

وأكثر الذين يعانون الشقيقة ذوو طراز خاص من الأخلاق، فهم عادة طلاب كمال، شديدو الحساسية مستوفزو الأعصاب، وكثيراً ما يكونون من أهل الفنون، ويغلب أن تنتابهم النوبة بعقب عاصفة تعصف بعواطفهم.

فإذا ما استبد اليأس بصريع الشقيقة، أخذ يتنقل من دواء مجهز إلى آخر دون جدوى، وهو لا يعلم أن ثمة علاجاً ناجعاً للشقيقة قد أصبح الآن في متناول الناس. فعقار «طرطيرات الأرجوتامين» يشفي ٨٠ إلى ٩٠ في المئة من نوبات الشقيقة، إذا حقن به في مستهلها. ولكن ينبغي أن لا يستعمل هذا العقار إلا تحت إشراف طبي دقيق، إذ قد يفضي استعماله إلى أضرار. ويتردد الأطباء في استعماله إذا زاد معدل حدوث نوبات الشقيقة على مرتين أو ثلاث مرات في الأسبوع. وقد اكتشف الدكتور والترس. ألفارز من أطباء مؤسسة مايو، طريقة لعلاج الشقيقة أقل خطراً من هذا، وإن كانت أعسر منه في التطبيق. فقد وجد أن استنشاق غاز الأكسجين النقي من كمامة خاصة يشفي من النوبة.

وقد تكون الشقيقة حالة استهداف في بعض الأحيان (الاستهداف أن يشتد فيه تأثر المصاب بطعام معين أو مادة معينة). ومما اتفق لرجل من رجال الأعمال أنه كان يلقى أذى من الشقيقة كلما نزل بشاطئ البحر، وقد ثبت من الاختبار أنه كان مرهف الحساسية بالأطعمة المستخرجة من البحر. ومع أن سائر حالات الاستهداف يصعب تشخيصها عادة، فإن سببها لا يلبث أن يكتشف، فتصبح الوقاية التامة من الشقيقة ممكنة، وذلك بتجنب الطعام المؤذى.

وقد وقعوا على نوع جديد من الشقيقة فعُدّ منذ سنة ١٩٣٩ مرضاً قائماً بذاته، وكان الدكتور بايارد ﻫ. هورتون، من أطباء مؤسسة مايو، أول من وصفه واكتشف له علاجا ناجعاً في ٩٥ في المئة مما يصابون به.

وهذا المرض الجديد ينشأ من الزيادة العارضة في إفراز مادة الهستامين، وهي إحدى المواد التي تدخل في تركيب الجسم،

فإذا زخر الدم بالهستامين تمددت الشرايين فى أحد شق الرأس . وقد يجد المرضى أنفسهم أنهم يستطيعون تفريج كربهم بالضغط على شريان العنق فى الجانب المصاب ، وبهذه الوسيلة يعوقون جريان الدم ، فيقللون من احتقان شرايين الدماغ .

وثمة جندى كان يقاسى العذاب من اختلاف صداع الهستامين عليه عدة مرات فى الأسبوع طوال أربع سنوات ، قبل أن يتم تشخيص حالته تشخيصاً صحيحاً ، وكانت النوبة تبدأ فى الليل ألماً مبرحاً لاذعاً فى شق الرأس الأيمن، فإذا كان راقداً نهض بغتة من رقاده فجلس ، لأن الاضطجاع يجعل الألم لا يطاق . ثم لا يمضى سوى بضع دقائق حتى يحتقن منخره الأيمن وعينه اليمنى ، ويسرى فيهما الوجع . ثم يختفى الألم بغتة كما بدأ ، بعد ساعتين .

وقد حقنه أطباء مستشفى والتر ريد ، على سبيل الاختبار ، بحقنة من الهستامين المحضر ، فلم تنقض بضع ثوان حتى أعقبت الحقنة صداع يشبه تمام الشبه ذلك الصداع الذى ما فتىء يعانيه هذا الزمن الطويل

وعولج الجندى المصاب بطريقة الدكتور هورتون وهى طريقة تبلد الحساسة ، فكان يحقن بمقادير ضئيلة من الهستامين مرتين فى اليوم مدة ستة أسابيع ، وكانت الجرع تزاد تدريجاً ، دون أن تصل البتة إلى الحد الذى يحدث الصداع ، فانتهى إلى مناعة على أذى الهستامين وبرىء من الصداع.

ويعانى جميع المصابين بضغط الدم عادية الصداع عاجلا أو آجلا ، ولكن هذا الصداع لا يرتبط ضربة لازب بما يطرأ على ارتفاع ضغط الدم من اختلاف ، فإن كثيراً من هذا الصداع منشؤه إما توتر الأعصاب الزمن وإما الكلال الزمن ، وما يعقبهما من تمدد أوعية الدم فى المخ .

وقد ضرب الدكتور إدوارد وايس ، من كلية الطب بجامعة تمبل فى آخر اجتماع للجمعية الطبية الأمريكية ، مثلا لهذا : امرأة كانت بين طائفة من المرضى عددهم نحو مئة جاءوا لتُبحث حالاتهم النفسانية . وكانت هذه المرأة تعانى صداعا فى الجبهة منذ سنوات ، وكان ضغط دمها مرتفعاً (٢٠٠ / ١٢٠) ، وكانت متورطة فى نزاع بين أسرتها ترى أن لا سبيل إلى الخلاص منه . فلما انطلقت عواطفها من أغلالها برواية قصة هذا النزاع للدكتور وايس ، تحسنت حالتها تحسناً ظاهراً ، واختفى الصداع فى زمن قصير ، مع أن ضغط الدم ظل فى مستواه القديم .

وأكثر الناس عرضة للصداع النفسانى هم أهل الورع من رجال الأعمال وأصحاب

المهن ، وأكثر ما يصيبهم الصداع فى أواخر الأيام التى ينهكهم فيها التعب . وإلى هـذا الصداع العصبى ينتمى عدد كبير من جميع حالات الصداع ، لعله هو سوادها الأعظم .

ويعلل الدكتور هارولد ج . وولف ، من كلية الطب فى جامعة كورنل ، هذا الصداع النفسانى بالانقباض الدائم فى عضلات جلدة الرأس والعنق ، وهذا الانقباض ينشأ من هياج العواطف . ويصفه المصابون به بأنه ألم خفى لاذع ، يمتاز بأنه لابث مديد أو ضاغط . ومع ما يحدثه هـذا الصداع العصبى من ضيق ، فمن النادر أن يقتضى ترك العمل ، وقلما يؤرّق صاحبـه ، وكثيراً ما يزول بالأسبرين أو بغفوة قصيرة .

ويعتقد الأطباء أن بعض المرضى بهذا الصداع أقرب إلى البرء بالإيحاء من برئهم بالعقاقير ، إذ أن طول إصغائهم يوما بعد يوم وعاما بعد عام إلى تلك القصص الباهرة التى يرويها المعلنون عن نوع من أنواع الحبوب الشافية من الصداع ، يجعل المرضى يعلقون عليها آمالاً كباراً ، ومهما يبلغ العقار بعد ذلك من ضعف الأثر ، فللإيحاء قدرة عظيمة على الشفاء .

وممن يتعرضون كذلك لمثل هـذا الاستغلال التجارى ، أولئك المصابون بالصداع الناشىء من الإمساك . فقد ثبت من التجارب العلمية منذ عهد طويل ، أن نظرية التسمم الباطن والصداع الناشئين من كسل الأمعاء ، نظرية فاسدة . ولـكن تجـار المسهلات وغَسول الأمعاء مازالوا يربحون من تجارتها أرباحا عظيمة ، ولا يبالون بما ينشأ عن هذا العلاج من تعويق عمل الأمعاء الطبيعية .

إن دقة التشخيص هى قطب الرحى فى علاج الصداع . فإذا كان الصداع صداع الشقيقة أو صداع الهستامين أو التهاب كهوف العظم أو إجهاد العيون ، وأمثالهـا من الأمراض التى لهـا علاج ناجع ، فإن كثيراً من الآلام التى لا داعى لهـا يمكن تفاديه .

والمصابون بالصداع الذين ظلوا أعواما يعالجون أنفسهم بأنفسهم بأدوية لا تجدى فتيلا ، يصيبون برءاً غـير متوقع ، إذا ما استعمل العلاج الملائم للداء الكامن .

ومن العسير أن تبالغ فى وصف الأضرار الناشئة من أدوية الصداع المجهزة ، ولـكن الإحصاءات التى يوثق بها تدل على أن نحو ٢٠٠ دواء من هذه الأدوية تحتوى أملاح البرومين (البرومورات) ، وقد يعقب استعمال مثل هـذه الأدوية دون إشراف الطبيب ، تسمما مزمناً بالبرومور مصحوباً بلوثة أو هذيان .

وكثير من حبوب الصداع فيـه مادة

« الأسيتوفينيتدين » المعروفة بالفيناستين، وقد يؤدى تعاطى هذا العقار زمنا طويلا إلى اضطراب شديد فى الدم ، يتغير فيه التركيب الكيميائى لمادة الدم الحمراء .

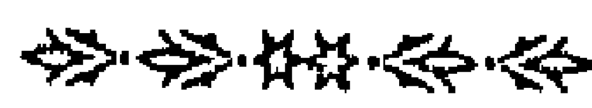
وقد أدرجت إدارة مراقبة الطعام والأدوية فى الولايات المتحدة مادة الفيناستين فى كشف المواد الخطرة التى لا يمكن ابتياعها إلا بوصفة من طبيب ، إذا زاد ما يؤخذ منها طول النهار على جرام واحد . وتعلن هذه الإدارة أيضاً أن المقادير الصغيرة نفسها قد تؤذى إذا أخذت بغير احتياط .

وثمة كثير من أدوية الصداع يرجع خطره إلى ما قد ينشأ عنه من إدمان المخدرات . ومن أكثر هذه الأدوية شيوعا عقار « الأسيتانيلايد » ، وهو العنصر الأول فى عدد لا يحصى من الأدوية .

والصداع عَرَض من أعراض التسمم المزمن بالأسيتانيلايد ، ومن أمثلة ذلك ما حدث لسيدة كانت تستعمل هذا العقار لعلاج الصداع، وكان يريحها فى أول الأمر ، فلما أخذ جسمها يتشبع بالأسيتانيلايد بدأ العقار يحدث صداعه ، وكذلك أصبحت فريسة لما يتعاقب عليها من صداع تعالجه بعقار وعقار يحدث صداعا . وقد اقتضى شفاؤها من صداع الأسيتانيلايد أن تبقى فى المستشفى زمنا .

وقد وجد منذ عشرة أعوام أن الأمينوبيرين (وهو دواء آخر من أدوية الصداع يباع فى السوق تحت أسماء تجارية كثيرة) قد يؤدى إلى نقص خطير قاتل أحياناً ، فى عدد كرات الدم البيض . وقد أدت يقظة الأطباء والجمهور إلى سحب الأمينوبيرين كله تقريباً من السوق . وقد كان ينبغى منذ زمن طويل أن ينتبهوا إلى أمثاله من العقاقير الضارة .

إن أنواع الصداع التى جاء ذكرها فى هذا المقال هى أكثر أنواعه شيوعا ، وفى طليعتها تلك الأنواع الناشئة من أسباب نفسانية والتى تدوم أعواما دون أن يلحق بنشاط المصاب أو عافيته أذى كبير . وعلى نقيض ذلك كل صداع طارىء ، إذ ينبغى أن يمحص عن أسبابه فى الحال ، فقد يكون نذيراً بمرض خطير . وأيًّا ما كان سبب الصداع ، فمن الحكمة تجنب استعمال أدوية الصداع المجهزة ، فالدواء ربما انقلب فصار شرًّا على المريض من الداء .



النسمة التى تطفىء الشمعة هى نفسها النسمة التى تذكى النار ، وكذلك الفراق يقتل الحبَّ التافه ويحيي الحب العظيم . [لاروشفوكول]

شيء جديد في التعليم الريفي

ساعة للآباء والأمهات في مدارس الريف

آرثر بارتلت • مختصرة من مجلة "كنتري جنتلمان"

خرج الصغار زرافات من بناء المدرسة الكبير، واحتشدوا في السيارات، فقد انتهى يوم الدراسة. ولكن كان ثمة في بناء آخر في فناء المدرسة، ٢٥ زوجة أو ٣٠ من زوجات المزارعين يتلقين درساً في أحد الفصول، وكان مدرس الزراعة يعدّ ورشة الأدوات الزراعية لجماعة من المزارعين يتلقون دروسهم ليلا.

أيذهب الكبار من رجال ونساء إلى المدارس؟

نعم هو ذلك، بيد أنك ترى النساء هناك يعبئن الفاصوليا وعصير التفاح وعصير الطماطم في العلب. وفي المساء ترى الرجال يتدربون على تركيب الأدوات الزراعية وإصلاحها. وهذا المعمل الحديث لتعبئة المأكولات المحفوظة وورشة الأدوات الزراعية المجهزة تجهيزاً كاملا، يقدمان لهم خير الوسائل التي تنفع في هذه الأعمال التي لا غنى للمزارع عنها.

تقوم هذه المدرسة في أبوماتوكس بولاية فرجينيا، وهي مركز منطقة زراعية تكثر فيها زراعة الطباق وسائر المحاصيل، ويتبعون الطريقة نفسها في آلاف من المناطق الزراعية الأخرى. ويسمى رجال التعليم هذا الضرب: تعليم الكبار، ولا شك في أنه كذلك. ويتولى الإشراف على معامل تعبئة المأكولات المحفوظة وورش الأدوات الزراعية متخصصون، فإذا جاءهم مزارع وزوجته ألحقوهما بفصول التعليم. وكان كل الكبار الذين رأيتهم في الورش ومعامل التعبئة أثناء تجوالي بين هذه المدارس، يؤدون أعمالا يهمهم أن يقوموا بها.

وقد كانت هذه الحركة مشروعا يراد به تعليم الكبار، وبدأت سنة ١٩٤٠، يوم أرصد الكونجرس أموالا لوزارة المعارف في الولايات المتحدة لتدريب الكبار في بلاد الريف، بغية العمل في مصانع الحرب ومعاملها. على أن هذا البرنامج قد لحقه التغيير نظراً لما عانته المزارع من نقص في الرجال وفي الآلات الزراعية، حتى يتيسر للزراع أن يصونوا ما لديهم من الأدوات الزراعية فلا يلحقها تلف.

ولكل المدارس الثانوية التي تتضمن

مناهجها دراسات زراعية عملية ، وورش للأدوات الزراعية . وقد أنشئت مراكز لتدريب فى الجهات التى لم يكن فى مدارسها ورش . وقد صرفت الحكومة ما يقرب من ١٠ ملايين ريال لشراء أدوات زراعية أخرى . وقد ساعدت الأموال المخصصة للحرب على تجهيز كثير من معامل تعبئة المأكولات المحفوظة ، حين ألحق بها قسم لدراسة حفظ المأكولات .

والآن وقد وضعت الحرب أوزارها ، فقد نضب ذلك المعين من الأموال ، بيد أن الزراع وزوجاتهم لا يفتأون يستخدمون هذه الورش والمعامل بانتظام . ويؤيد القائمون على مدارس الحكومة والمدارس المحلية ، حركة التعليم فى الريف . ويتولى الزراع أنفسهم فى بعض الجهات الدعوة إلى هذه الحركة وتزويدها بالمال ، حتى تظل هذه الورش والمعامل قائمة تعمل .

وقامت جماعة مكونة من مئة زارع بولاية تكساس ، فجمعوا عشرة ريالات من كل منهم لإنشاء صندوق لضمان إدارة الورش ، ووضعوا قواعد تستطيع بها الورشة أن تسدد نفقاتها . ويتألف مجلس الإدارة ، من ثلاثة من المشرفين على التعليم وثلاثة من المزارعين ، وقد عين مدرساً أجره عشرة ريالات فى اليوم ، وحدد فئات الأجور للانتفاع بالورشة ، فجعلها للمساهمين فى الصندوق ٦ قروش فى الساعة يضاف إليها ثمن المواد الخام ، وجعلها لغير المساهمين ١٢ قرشاً فى الساعة يضاف إليها ثمن المواد الخام .

وتجمع الأموال اللازمة فى فرجينيا من الاعتمادات العامة الحكومية والمحلية . وقد زاد عدد معامل التعبئة فى المدارس فى سنة ١٩٤٥ من ٢٢ إلى ١٥١ ، وزاد عدد الورش المفتوحة فى المدارس للكبار من ١٩٤ ورشة إلى أكثر من مئتى ورشة .

ولعل ما شهدته فى أبوماتوكس يمثل ما يحدث فى غيرها ، فقد وقفت فى الورشة الكبيرة مع مدرس الزراعة أنظر إلى قسم مخصص لآلات صناعة الخشب ، وما فيه من مخارط ومثاقب وآلات الصقل ، فقال لى الأستاذ : « كانت هذه ورشتنا منذ بضع سنين ، ولكنها صارت الآن ضعف ما كانت عليه . لقد وسعناها مرة بيد أنها ظلت تضيق بالوافدين ، فوسعناها مرة أخرى » وفى الورشة الآن علاوة على آلات صناعة الخشب ، مخرطة معادن كبيرة ، وفرن ، وأجهزة للحام المعادن بالكهرباء أو شعلة الأسيتلين ، وغيرها من الآلات .

ولما دخلت فصل الكبار فى مدينة رستبرج بفرجينيا رأيتهم ماضين فى العمل .

كان الزراع يقومون بكل أنواع الأعمال : من شحذ الفؤوس إلى إصلاح آلة رش الجير. وكان عندهم سوى مدرس الزراعة ، رجل ميكانيكى يدرّبهم عند الحاجة ، ورأيته ساعتئذ يعاونهم فى إصلاح رشاشة الجير .

وقد قال لى مدرس الزراعة : « إن أكثر من ٨٠ زارعا ينتفعون بهذه الورشة ، وقد جاءوا فى السنة الماضية بمئتى آلة زراعية مختلفة ليصلحوها ، فأصلح بعضها إصلاحاً تاما ، ولم يتطلب البعض سوى إصلاح قليل » . ويصنع الزراع فى الورشة صناديق العربات والمعالف وما إلى ذلك .

ولعل الجانب الاجتماعى من هذا النشاط هو مما يغرى الناس بالإقبال عليه ، فهم يقضون وقتاً سعيداً ، يتمازحون ويبحثون معا ما يعترض كلا منهم من المسائل ، ويساعدون جيرانهم فيما يعملون .

ورأيت النساء فى معمل تعبئة المأكولات فى إحدى هذه المدارس ، جالسات يتحدثن ويضحكن جميعاً وهن يشتغلن . وقد قال لى المدير : « إن الأمر على ما ترى كل يوم ، فهن يصبن كل يوم متعة وسعادة » .

ولهذه الأيام الممتعة جدواها عليهن . وهذا المعمل الذى أنفق على بنائه ٥٠٠٠ ريال فى السنة الماضية أتاح لنحو ٥٠٠ زوجة من زوجات الزراع أن يعبئن ٥٠,٠٠٠ علبة من الخضر والفاكهة واللحم . وقد مرت أيام ضاق فيها المعمل بالراغبات فى الانتفاع به ، فوسعه القائمون عليه فى هذه السنة .

وقد قام الصغار من طلاب فصل الزراعة ببناء مامست الحاجة إلى إضافته ، وبتركيب الآلات الميكانيكية الجديدة . وفى فصول ذبح الماشية يبذل الصغار معونتهم فى تقطيع اللحم وإخلائه من العظم لتعبئته فى العلب . وتتاقى البنات اللاتى يدرسن التدبير المنزلى دروساً فى حفظ المأكولات ، فإذا رأى هؤلاء الصغار كيف يفيد الكبار من الفرص التى تتيحها لهم المدرسة ، شعروا بما لدراستهم من شأن عظيم .

وقال لى أحد القائمين على مدرسة محلية : « لقد أقمت فى هذه الجهة ١٥ سنة ، ولم تتلق مدارسنا أبداً مثل هذا التأييد الذى ظفرت به منذ إنشاء معمل التعبئة ، وافتتاح الورشة الزراعية للكبار ، فقد صارت المدرسة مركزاً لحياة الجماعة . وقد وجد الآباء والأمهات أن ثمة أشياء كثيرة يمكن أن يتعلموها من مدرس المدرسة — أشياء عملية تتصل بصميم أعمالهم ، وبذلك يعظم تقديرهم لما تقدمه لهم المدرسة . ويظهر شعور الأهلين هذا ، فى مواظبة الطلبة على الحضور ، فإن الآباء والأمهات يودّون

لصغارهم أن يفيدوا كل الفائدة من الفرص التى تتيحها المدرسة » .

ثم مضى يقول : « وثمة فائدة أخرى ، هى ازدياد عدد من يؤيدون المشروعات النافعة لإصلاح المدرسة . كان فى مجلس المراقبين رجل يجفل إجفالا شديداً كلما طلبنا مالاً لعمل جديد . ولم يدخل المدرسة قط ، ولكنه كان دائم الحديث عن « التوافه الغالية » و « سخافات التعليم » ، ولم يكن يعرف فرقاً بين المدرسة الحديثة كما نريدها والمدرسة القديمة ذات الغرفة الواحدة والمدرّس المغبون — سوى هذا الفرق الذى سماه : « توافه غالية » و « سخافات تعليم » . ولكنك تراه الآن لا يزال ينتفع بالمدرسة الزراعية التابعة للمدرسة ، وقد فتح ذلك عينيه وصار من أشد مؤيدى المدرسة فى المجلس ، حتى أنه ليقترح أشياء ينبغى أن تكون فى المدرسة قبل أن نفكر فيها نحن » .

وقد عبر أحد عقلاء الأعضاء عن ذلك فقال : « لقد قرأت كثيراً عن عيوب مدارس الريف ، وكنت أشعر بالخزى وأنا أقرؤها ، ولكن إذا آزر الناس فكرة جديدة فى التعليم النافع ، كما آزروا هذه الفكرة ، كان ذلك دليلا على أننا نسير فى حياتنا قدُماً إلى الأمام » .

·oO·oOOo·Oo·

الشرطى الحكيم

فى ساعة الظهر حين يشتد ازدحام السيارات المرابطة فى الطريق ، تسابق اثنان من أصحاب السيارات ، إلى آخر محل عند المنعطف ليقف فيه سيارته ، فتصادمت السيارتان وانفتح البابان ، وخرج كل منها يسبُّ صاحبه.

فمشى إليهما الشرطى متئداً واضعاً يديه على جانبى خصره ، ووقف يصغى إلى الجدال . فلما همَّ أحدهما أن يضرب صاحبه بجمع يده ، تدخل الشرطى وقال : « كلاكما يريد هذا المكان ؟ » فأشارا برأسهما أن نعم .

فأخرج الشرطى قطعة نقد من جيبه وقال لأحدهما : ماذا تختار ، وجه القطعة أو ظهرها ؟ فقال أحدهما « الوجه » . فقذف الشرطى القطعة فى الهواء ، فسقطت فإذا هو وجهها . فابتسم الرجل الذى خسر ، وحيا الشرطى بيده وانصرف بسيارته .

[جفرى لانديسمان]

شاهد عيان يصف التجربة الشاقة فى التعاون الدولى ، ويذكر بعض ملاحظاته عن أسلوب التفكير الروسى

كيف نساير الروس

ج . ب . ماك ايفوى

مختصرة من مجلة " كوزموبوليتان "

ليس فى العالم مكان سوى برلين تتعلم فيه ثلاث أمم « كيف تساير الروس » ، لأنها كل يوم مضطرة إلى أن تساير الروس . طريق شاقة ، ولكنها الطريق الوحيدة ، وهى تجعل الأمريكيين والإنجليز والفرنسيين فى شغل شاغل ، وتبغتهم بمفاجئات لا حصر لها .

صوّر ، لنفسك إن استطعت ، مدينة يبلغ عدد سكانها بضعة ملايين ، اكتسحتها الزلازل والأعاصير والحرائق والسيول ، ويجثم فوقها اليوم شبح المجاعة والطاعون ، ثم اجعلها أقساماً موزعة بين أمم أربع كبيرة ، تتعارض سياستها فى شأن اليوم والغد والمستقبل البعيد ، واطلب من هذه الأمم أن تقرر بالإجماع كل شأن من شئون إدارة البلد . هذا هو حال برلين اليوم وفى المستقبل المنظور .

ولو اضطلعت أمة وحدها بشئون برلين لأدارتها خيراً مما تديرها الأمم الأربع معاً .

ويجتمع مجلس المحافظة (كومنداتور) مرة كل أسبوع فى برلين ، وأعضاؤه هم الحاكم العسكرى الأمريكى والإنجليزى والروسى والفرنسى ، ويتناوبون بينهم منصب المحافظ شهراً بعد شهر ، ولكن على المحافظ أن يستشير زملاءه ويقنعهم بأن إصلاح بعض المجارى المسدودة — مثلا — لا يكمن فى أطوائه خطر يهدد الحالة الاقتصادية فى الإمبراطورية البريطانية ، أو لا يجر على خزانة الولايات المتحدة عبئاً جديداً ، أو لا ينتقص من هيبة فرنسا التى تحرص عليها فى غرب أوربا بعد الحرب ، أو أنه لا ينطوى على مؤامرة أخرى رأسمالية .

ويجلس القادة أعضاء المجلس مع مندوبيهم ومعاونيهم حول مائدة المجلس الكبيرة ، وتزدحم الحجرة الفسيحة بالخبراء فى الفحم والكوليرا ، وفيما لا يعلمه إلا الله وحده . ومن وراء القادة يجلس المترجمون ، فمسألة اللغة هى أولى المشاكل التى يجب التغلب عليها ، فلن تأمل أن تساير الروس إلا إذا فهمتهم وفهموك . وإن العقل ليرتاع إذا فكر فى أن مصير العالم مرتبط بمقدرة هؤلاء المترجمين فى إفهام بعضهم بعضاً .

فإن آذان الرؤساء تسمع ولا تعى ، وكل رجائهم أن يدركوا معنى ما يدور من الأحاديث . ويحدث أحياناً أن يستقلّ المترجمون بتبادل حديث طويل بينهم وحدهم، تثور فيه المناقشات العنيفة حول بعض الألفاظ ومعانيها البعيدة .

فالظاهر ، مثلا ، أن كلمة (تقريباً) المألوفة لدينا ليس لها مقابل فى اللغة الروسية، وقد تبين من محادثة الروس فى المجلس أنهم حريصون جداً على تحديد الألفاظ والمعانى، فمن القصص التى تروى عن طبعهم هذا أنهم سألوا مرة عن عدد السيارات والجنود فى الوحدة الأمامية التى عزم الأمريكيون على إرسالها إلى برلين ، حين هموا باحتلال المنطقة المخصصة لهم . فقال الأمريكيون : «قولوا ٥٠ سيارة و١٧٥ جندياً وضابطاً».

ولما وصلت الوحدة إلى حدود المنطقة الروسية فى برلين صدّها الحرس ، وأخذوا يراجعون عدد السيارات والجنود على البيان الذى جاءهم من هيئة قيادتهم العليا ، ثم قالوا إن السيارات والجنود والضباط أكثر بكثير من البيان الذى لديهم ، إذ لم يرد فيه ذكر إلا لخمسين سيارة و ١٧٥ ضابطاً وجندياً فحسب . وظل الضابط الأمريكى رئيس الوحدة يرغى ويزبد ساعات طويلة ، وقد رُفع الأمر إلى برلين ولعله رُفع أيضاً إلى موسكو ، ولكن الروس لم يتزحزحوا قيد أنملة عن موقفهم . لقد قال الأمريكيون إن الوحدة مؤلفة من ٥٠ سيارة و ١٧٥ جندياً وضابطاً ، وليس لهذه الألفاظ سوى معنى واحد، فلم يبق للسيارات والرجال ، مما زاد عن التقدير الأول الذى لم يقصد فيه التحديد ، إلا أن ينقلبوا راجعين من حيث أتوا .

وقد صارت مسايرة الروس أسهل على القوات الأمريكية ، حينما أدركوا أن كل جندى أو ضابط روسى لا يستطيع التصرف إلا فى حدود دائرة ضيقة جداً رسمت له ولا تتسع أبداً . فإذا سألته عن أمر يخرج عن حدود هذه الدائرة ، أحالك على جهة أخرى » ، إذ لا يعرض أحد من الروس نفسه للهلاك مرضاة أو محبة لك ، فهو عليم بما يصيب كل من تعجبه نفسه حتى يفتى برأيه .

وأدواء الأعمال الإدارية وبطؤها عند الروس تختلف عن مثيلاتها عند الأمريكيين. فهذا ضابط أمريكى راجع قرينه الروسى فى مسألة من المسائل ، فقيل له إنها رهن بأمر يصدره المارشال زوكوف ، وأن السائل يجب عليه أن يرفع مسألته بالطرق المرسومة إلى رؤسائه ليتولوا بأنفسهم مراجعة المارشال زوكوف . فيصدر المارشال زوكوف أمراً يتنقل من رئيس إلى مرؤوس حتى

يبلغ الضابط الروسى . وإذا قيل للضابط الروسى أليس الأسهل أن يرفع هو المسألة بالطرق المرسومة إلى المارشال زوكوف أجابك : « إننا لا نستطيع أن نرفع أمراً إلى زوكوف ، بل نحن نتلقى الأمر منه » .

والتجارة غريزة أصيلة فى الروس ، فإذا اجتمع بهم الأمريكيون فى لجنة من اللجان وأدركوا طبعهم هذا ، تحوّلت المناقشات إلى ميدان يألفه الأمريكيون ، فإن الروس يساومون مساومة صغار التجار ، ويطلبون أكثر مما يتوقعون الظفر به ، فإذا سارعت ودفعت إليهم ما يطلبونه بادئ ذى بدء ، ركبتهم الحيرة واحتقروك فى دخيلة أنفسهم للينك وقلة حيلتك . فالروسى تاجر ليس كل غايته أن يبيعك بضاعة ما فحسب ، بل هو شغوف أيضاً بأن يقضى الوقت متمتعاً بلذة المساومة والمجادلة ، ولا يدرك معنى لسرعة الاتفاق حتى لا يضيّع الوقت . فيجب أن تقبله على علاته كما هو : أى على أنه مساوم لجوج .

وإذا كان الروس لغزاً فى نظر الأمريكيين — وهم كذلك — فإن الأمريكيين لغز فى نظر الروس . وقد أفضى إلىّ أحدهم برأيه فقال : « إننا لا نفهمكم يا معشر الأمريكيين . تأتون هنا بعد سفر ٤٠٠٠ ميل وتقتلون الألمان وتهدمون مدنهم ، ثم ترعون اليوم فى إطعامهم وتوفير الوقود لهم ، ومعونتهم على تشييد مملكتهم مرة أخرى . فلماذا ؟ هل نسى الأمريكيون أن الألمان قتلوا آلافا مؤلفة من الروس جوعا وضربا وإرهاقا . أما الروس فلم ينسوا ، وهم عاملون على أن لا ينسى الألمان ذلك أيضاً . تريدون لهم المزيد من الطعام والوقود والمسكن ؟ تباً لهم ! » . وطبيعىّ أن لا يقول الروس هذا الكلام بمثل هذه الصراحة فى اجتماعات الدول الأربع ، ولكن ليس من العسير استدراجهم إليه .

وقد جاء فى تصريح بوتسدام هذا القرار النبيل: «الإشراف على نظم التعليم فى ألمانيا إشرافاً تاماً لتطهيرها من المبادئ النازية والعسكرية ، وإحلال المبادئ الديمقراطية محلها ، ورعايتها إلى أن تنمو وتتحقق لها الغلبة » . ففكر قليلا ، واسأل كيف يمكن الإشراف على نظم التعليم فى ألمانيا ؟ ومن الذى سيتولاه ؟ وكيف يكون التطهير من المبادئ النازية والعسكرية ورعاية المبادئ الديمقراطية إلى أن تتحقق لها الغلبة ؟ ومن الذى يقرر ديمقراطية هذه المبادئ ؟

فلننظر الآن فى الطريقة التى يتبعها الأمريكيون والطريقة التى يتبعها الروس فى تنفيذ هذا الإشراف . لما دخل الروس برلين عطلوا المدارس كلها ، أما الأمريكيون فقد كانت سياستهم حينما احتلوا منطقتهم

أن لا تفتح مدرسة إلا بعد استبعاد المدرسين النازيين ووضع برامج التعليم بالتفصيل لتطهيرها من تعاليم هتلر، وإعادة طبع كتب الدراسة التي ألفت قبل هتلر، وتوزيعها مجاناً على التلاميذ، فكانت النتيجة أن لم تفتح مدرسة واحدة إلى اليوم في منطقة الأمريكيين أما في المنطقة الروسية فالتعليم في المدارس قائم على قدم وساق. وسياسة الروس حيال هذه المسألة هي: « أيها الألمان، كانت عندكم مدارس من قبل فافتحوها إن استطعتم.. وإذا وجدتم بناءها أنقاضاً فأقيموه، وإذا أعوزتكم الكتب فتداركوها ولتلقنوا طلبتها ما تشاءون من الدروس ما لم يكن فيها شيء لا نحبه. وهذا الذي لا نحبه سنقرره بعد الخبرة والمراقبة، وسنتعهدكم بعين ساهرة لئلا يشب على يديكم جيل آخر من الغزاة، فإذا كان في دروسكم بعد ذلك ما لا نحب فجزاؤكم القتل ».

ولست أدعى أنني قادر على أن أحكم أي الطريقتين أفضل، ولكن الطريقة الروسية — فيما يبدو — طريقة صالحة قد تؤتي ثمارها، لأن الألمان سيحرصون جد الحرص على إنجاحها، في حين أنني لست كبير الأمل في الطريقة التي يتبعها الأمريكيون، فإن أصول التعليم المطلوب أبعد من أن يتفق عليها الأمريكيون كافة، وليس عندهم مدرسون لهم تلك الخبرة الواسعة التي يتطلبها الإشراف على تعليم المعلمين الألمان. والإخفاق من مبدأ الأمر محقق، فإن مطلب الأمريكيين هو العثور على مدرسين لم يلتحقوا من قبل بالحزب النازي، وتوكل إليهم المدارس تحت إشراف نظار المدارس أو أساتذة الجامعات الأمريكية، وأكثر هؤلاء في الغالب لا يعرف الألمانية ولا يؤثر البقاء في ألمانيا وهناك آلاف من غلاة النازية لم يلتحقوا بحزبها، وآلاف مثلهم في صفوف الجيش لم يكن يسمح لهم أن ينضموا إلى الحزب حتى لو أرادوا ذلك. وما دام هتاف « ألمانيا فوق الجميع » حياً في عقول المدرسين الألمان، فالمدارس ستخرج أجيالاً تؤمن بأن القدر قد اختارهم لغزو جيرانهم.

والروس والفرنسيون والإنجليز يفهمون الألمان. ولكن الأمريكيين لا يفهمونهم. فالروس عمليون لا يعنيهم إلا الواقع. أما الأمريكيون فخياليون يجرون وراء الأحلام. لقد اجتاح الغزاة الألمان من أرض روسيا رقعة يبلغ عدد سكانها ٨٨ مليوناً، وخربت فيها ما يزيد على ١٧٠٠ مدينة، و٧٠ ألف قرية، وشرد من أهلها ٢٥ مليوناً من ديارهم. فالجندي في الجيش الأحمر ليس في حاجة لمن يلقنه معنى هذه الحرب، أو معنى

السلام كيف يجب أن يكون ، أما الضباط الأمريكيون فقد يشق عليهم إقناع الجنود الأمريكيين بأسـباب مجيئهم إلى ألمـانيا أو بقائهم فيها .

وبينا يتحـدث الأمريكيون والإنجليز وبعض الفرنسـيين — لا كلهم — عن تعمـير ألمانيا ، ينهمك الروس فى انتزاع المؤسسات والمصانع الألمـانية ليعمروا بها وطنهم . ولما وصل القطار الذى يقل خبراء الأمريكيين فى شئون النقل إلى حـدود المنطقة الروسية ، وجدوا الخط الحديدى المزدوج قد أصبح خطاً مفرداً . وهـذا هو الشأن فى المنطقة الروسية كلها ، فأين ذهبت القضبان ؟ إلى روسيا . وكانت ألمانيا تفوق العالم كله بما تملكه من أسلاك التلفون الممتدة فى جوف الأرض ، فترى المهندسين الأمريكيين الذين يعاونون الألمان على إعادة المواصلات التلفونية ، يتتبعون السلك إلى حـدود المنطقة الروسية فيجدون أنفـاق الأسـلاك خالية منها . فأين ذهبت هذه الأسلاك ؟ إلى روسيا . ومع ذلك يقول لك الخبراء فى التعويضات إن الروس لو استولوا على كل ما تحتويه منطقتهم فى ألمانيـا من خيرات ولم يتركوا فيها شيئاً ، لما بلغ ما يستولون عليه نصف ما خربه الألمان أو نهبوه من الرقعة المترامية التى غزوها فى روسيا .

وتشتكى صحيفة الأوبزرفر الإنجليزية من الفوضى والجمود فى عمل الحلفـاء الذين لم يتفقوا قط على مستقبل ألمـانيا الاقتصادى كيف يجب أن يكون . وقد وجهت إلى الروس تهم كثيرة ، ولـكن ليس فيها تهمة تنسب إليهم الفوضى والجمود . والإنجليز والفرنسيون والأمريكيون لم يتفقوا على المدى الذى يفسح لألمانيا الإنتاج دون أن تقوى على شن الحرب مرة أخرى ، ولـكن الألمـان يبصرون بأعينهم فى اليوم خمسين مرة كيف يعالج الروس هـذه المشكلة ، ومختصر الأمر : أن شعار الألمان « ألمانيا فوق الجميع » قد انتهى ولن يعود .

والروس يدركون حق الإدراك أن العلاج لا يكون بقتل بعض النازيين ، أو بعزل البعض الآخر ، فإن العـلم والحذق الذى جعل ألمانيا قوة حربية شيطانية ذات خطـر ، لم يقض عليـه خط أقلام على وثيقة الاستسلام — إنهم يخافون الألمان لأنهم خـير الناس معرفة بأن الألمـان إذا وجدوا فى همة الحلفاء فترةً أو ضعفاً ، فلن يدعوا عندئذ همة إلا بذلوها . ومن أجل هذا تجد الروس لا يفترون ولا يتلوّمون فى عمل . فالألمان يحترمون قسوتهم ويهابونها ، وفى منطقة الأمريكيين لا يتعمدون كتمان احتقارهم لما يرونه من لين جانبهم .

لا يزال المختلس ينوى أن يسدد ما اختلس — حتى يفوت الأوان .

"الاختلاس : أسهل جريمة .."

ميرون ستيرنز — مختصرة من مجلة "بانكنج"

الاختلاس أسهل الجرائم وأخفاها سَتْراً ، ولا يساق بجريرته إلى السجن إلا قوم من أهل الثقة والاحترام. والاختلاس أن يتصرّف المرء بغير حقّ فيما اؤتمن عليه من سلعة أو مال . والأغلب أن يكون المختلس إنساناً محترماً حسن السمعة ، طيب الجيرة ، متكفل الرزق ، ساعياً فيما ينفع عشيرته ، قد أكسبته نفسه ثقة الناس به.

وفى السنة الماضية اضطرت شركة واحدة من خمسين شركة أمريكية كبيرة لضمان عهدة الموظفين ، أن تسدّد ما اختلسه ٢٫٢٠٠ من رجال ونساء كانوا فيما يبدو أهلا للثقة ، أما ألوف الاختلاسات التى تحدث كل عام فيرجع نحو ١٤ فى المئة منها إلى الاختلاس .

وقلما يكون المختلس عامداً ، بل تحدثه نفسه أن « يقترض » بضعة ريالات من مال الشركة ، وفى نيته أن يسددها فى أقرب وقت. هذه هى الخطوة الأولى ، ثم لا يلبث أن ينزلق ماضياً فى طريقه ، فما هو إلا قليل حتى يروعه أن يجد نفسه مختلساً — أى مجرماً.

هذه سيدة حسناء حميدة السيرة تعيش هى ووالدها وأختها فى مدينة بولاية أوهيو ، حيث تعمل فى شركة كهربائية ، فاصطلحت عليها النكبات ، فمرض والدها ، وتعطلت أختها ، وركبتها الديون . فلما استنفدت مالها المدخر ، استعانت ببعض مال الشركة على نفقات العلاج ، وكانت تنوى — ولا ريب — أن تردّ ما أخذته .

ولكن قبل أن يتسنى لها ذلك ، جاء مراقبو الحسابات ، فاضطرت أن تقترض من أصدقائها كى تغطى العجز ، ولما انصرف المراقبون ردّت المال إلى أصدقائها مما « اقترضته » ثانية من مال الشركة . وظل هذا دأبها سنوات — تأخذ من مال الشركة قليلا قليلا يربو على مرّ الأيام ، حتى جاء اليوم المحتوم ، يوم لم تستطع أن تقترض من معارفها مالاً يكفى لسدّ العجز فى دفاترها ، ويومئذ وقف المراقب على عجز قدره ٦٧١ ريالا — وكذلك ألقى بها فى غيابة السجن .

وهذا كاتب فى خزانة إحدى شركات الملاحة خرج ليودع فى المصرف ٢٥٥ ريالا ،

الموقف حيث يتناول غداءه ، فسرق منه المال . فلما خشى أن يطرد من عمله ، حاول إخفاء العجز بالتزوير فى دفاتره ، وقد عقد نيته على أن يسدد المال المسروق من ماله هو على مرّ الأيام . فلما رأى أن فَعْلته ظلت خافيـة ، اختلس مبلغاً آخر ، وظل هذا دأبه ثمانى سـنوات ، فلما اكتشف أمره كان قد اختلس ٦٧،٠٠٠ ريال .

هذا هو الخطر الكامن فى هذه الجريمة الخبيثة المنكرة ، وهذا هو منوالها . وتقول شركة الضمان الأهليـة الأمريكية أن ٦٩ مختلساً من كل ٧٠ لم يكن يدور بخلدهم فى أول الأمر إلا أن «يقترضوا» ثم يسددوا المال فى أسرع وقت .

ونجد فى سجلات شركات الضمان ما يذهلك من ضروب الاختلاس المختلفة ، فمن عجائب ذلك أن تجد رجلا كهلا كان مديراً لأحد المصارف ، وكان دائماً يحب أن يكون معدوداً كبير المحسنين فى مدينته الصغيرة ، فوهب لأحـد المعاهد بناء كبيراً ، وتبرع بأموال للمدارس والمعابد ، فكان اسمه يرى دائماً فى رأس قوائم الإحسان . فلما تبين مراقبو الحسابات أمره ، أبت الشرطة أن تقبض عليه ، فما كان أحد يصـدق أنه مختلس . وأخيراً قبض عليه فى مدينة مجاورة ، وقد تأهب للفرار .

والمرء مفطور على الإسراف أو التدبير قلّ ماله أو كثر ، فقد كان دخل مدير شركة بترول ٧٥،٠٠٠ ريال فى السنة ، ولـكن نفقاته كانت تربى على دخله ، فخاف أن يفلس فأخذ ٢٠٠،٠٠٠ ريال من أموال شركته ليجعلها مدداً لبعض أمواله المثمرة .

وكثيراً ما يكون حضور المال وقرب مناله هو الذى يغرى الرجل الشريف حتى يعدل به عن الصراط المستقيم . فهذا صراف مؤتمن فى إحدى وكالات التأمين الكبيرة ، كان رجلا عزباً فى الخامسة والأربعين من عمره ، فكلما احتاج إلى طوابع بريد للشركة كتب شـيكا باسم « نقـدية للطوابع » والأغلب أن يكون المبلغ كبيراً . وذات مرة غفل فترك فى جيبه قيمة الشيك المصروف ، فلم يفتقد هذا أحد . ولما رأى أن المسألة هينة ، كررها . وكان يستبقى هذه المبالغ جانباً ليعيدها إذا انكشف العجز ، وظل ذلك دأبه ست سـنوات ، حتى بلغ المـال المختلس ٢٠٠،٩١٠ ريالات ، ولم يوجـد منها فى الخزانة سوى ٨،٥٠٠ ريال .

وإذا أراد المرء أن يظلّ بمنجاة مما يجرّ عليه المتاعب ، فينبغى أن يحرص على أن يدخر من دخله شيئاً بعد شىء . فشركات الضمان تقول: «إن المدّخرين قلما يختلسون» وهى تحذر الناس من الاقتراض ، فهو :

« خادم نافع ، ولكنه سيد مستبد » .

والشراء بالتقسيط قد يفضي بالمرء أحياناً إلى التورط في الديون ، وإلى ضيق ذات يده . فهذه سيدة في التاسعة والثلاثين ، ظلت ١٢ سنة كاتبة حسابات أمينة ، ولكنها كانت لاتنفك تشتري بالتقسيط كل ماتحتاج إليه ، من موقد ، أو ثلاجة ، أو مغسلة ، أو راديو . وكاد تراكم الأقساط عليها يفقدها رشادها ، فذهبت مع صديقة لها إلى حلبة السباق أول مرة في حياتها ، فراهنت بريالين فلما ربحت عشرة عقدت في اليوم التالي صفقة رهان مع سمسار سباق . فلما خسرتها ولم يبق لها مال تراهن به « اقترضت » بعض مال الشركة ، إلى حين ولا شك ، وخالت الربح مضموناً . فأخذت تقامر فتربح قليلا وتخسر كثيراً . وظلت هكذا يوماً بعد يوم ، وفي كل يوم تزيد قيمة الرهان . وقبل أن يعرف أمرها ، كان المال المختلس قد بلغ ٤٣٫٠٠٠ ريال .

وأحق منها بالرثاء والإشفاق وكيل إحدى شركات الزيوت ، كان مرتبه السنوي ٣٫٩٠٠ ريال ، وكان رقيقاً هادئاً لا يضن بشيء على زوجته التي تحب الترف . فلما ظهر في حسابه عجز قدره ١٫٠٩٣ ريالا قتل نفسه .

إن سجلات شركات الضمان زاخرة بالأمثلة من شبان لم يستطيعوا أن يقاوموا فرصة تسوّل لهم الإثراء بين عشية وضحاها . فمن ذلك أن صرافاً في شركة سمسرة ، انتهى إليه نبأ إنشاء نفق في مكان ما ، فعزم على أن يشتري « ببعض مال الشركة » عقاراً في ذلك المكان . إنها فرصة سانحة ، فارتفاع ثمن العقار سوف يضاعف ماله أو يجعله ثلاثة أضعاف ، ولسوف يصبح غنياً ، ويرد المال إلى الشركة . فأخذ ٣٠٠٫٠٠٠ ريال في ثماني سنوات ، واشترى العقار ، ولكن مشروع النفق لم يتم ، وهبطت قيمة الأرض ، فإذا هو سجين منبوذ لا غنىّ مرموق . وماذا يكون أمره متى خرج من السجن ؟ قليل من الناس من يعلم أن المال المختلس يبقى ديناً ينوء به كاهل المختلس ، ومدة السجن لا تعفيه من هذا الدين الذي لا يسقط إلا بالسداد .

فإذا لم تحدث معجزة يسوّي بها المختلس ديونه ، بقي الدين سيفاً مصلتاً على رأسه طول حياته .



الإنسانُ كتابٌ مسطورٌ — لو عرفتَ كيف تقرأ ما فيه .

[مارجريت فوللر]

انتفع بتجاربي

جزاء الرحمة

ا. ج. كرونن

نشأت منذ صغري على أن الآثم مجازى بإثمه ، وأن هذا هو العدل .

وفي سنة ١٩٢١ كنت طبيباً ناشئاً في مستشفى للحميات في بقعة نائية . وذات ليلة دخل المستشفى ، بعيد وصولي ، مصاب بالدفتريا : صبي في السادسة كاد يخنقه الداء ، فما من شيء أرجو أن ينقذه إلا شق قصبة الهواء على الفور .

كنت قليل التجربة ، ولم أجر قبلُ هذه الجراحة البسيطة الخطيرة الشأن . وحين وقفت في حجرة الجراحة الخالية في ضوء مصباح خافت ، ونظرت إلى الممرضة القديمة والممرضة الجديدة غير المرّسة وهما تضعان الصبي اللاهث على المائدة ، أحسست رعدة وبرداً وسقاماً يدبّ في أوصالي .

وبدأت الجراحة ، فشققت الحلق الرقيق المحتقن بيد ترتجف ، ومضيت أعمل حائراً عالما بعجزي ، فامتلأ قلبي عزما على أن أنجح في إنقاذ هذا الفتى الذي يكاد يختنق . وأخيراً بان بياض القصبة لعيني اللتين غشاها العرق ، فشققتها فاندفع الهواء من الشق وملأ رئته المجهودة . فلما دبت القوة الجديدة في ذلك البدن الصغير المنهوك ، كدت أبكي فرحا ، ثم دسست الأنبوب بسرعة في الشق وخطت الجرح . فلما رأيت الصبي نائما مستريحاً في سريره عدت إلى حجرتي تتوهج في جوانحي فرحة الظفر .

وبعد أربع ساعات — في الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، أيقظتني دقّة مذعورة على بابي ، فكانت الممرضة الجديدة . فقد أغفت قرب سرير الصبي ، فلما استيقظت رأت الأنبوب مسدوداً فجعلت تتمتم شاحبة الوجه مرتعشة اللفظ : « يا دكتور يا دكتور عجّل » . كان ينبغي أن تنظف الأنبوب من المخاط كدأب الممرضات . ولكنها أضلّت صوابها واقترفت إثماً — فرّت مذعورة . فلما أدركت الفتى كان قد مات .

فذهبت نفسي حسرات على حياة أضاعها الاهمال هدراً . وأشنع من ذلك ما ساورني

من غيظ لغفلة ممرضة مذعورة أحبطت كل ما عملت يداى . تضرّم الغضب فى قلبى ، فعزمت على أن أرسل تقريراً إلى مجلس الصحة ليمنع هـذه الممرضة من مزاولة التمريض .

فما هو إلا أن كتبت تقريراً بمداد من نار ، ثم دعوتها وقرأته عليهـا بصوت ينتفض غضباً .

فأصغت إلى فى صمت يورث الإشفاق . وقد كانت فتاة قروية هزيلة ترتعش وجنتها رعشة عصبية ، فكاد يغمى عليها من الخزى والألم .

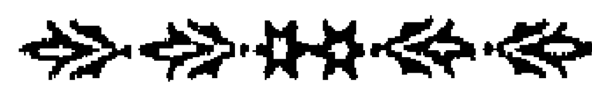
وقد أبت أن تنطق بكلمة واحدة ، وكان فى وسعها أن تعتـذر بأنها كانت مجهدة ، فغاظنى صمتها حتى صحت فيها : « أليس عندك ما تقولين ؟ »

فهزت رأسها ، ثم تمتمت على حين فجأة : « أتح لى فرصة أخرى » .

فدهشت ، لأن هذا الخاطر لم يخطر لى ، وكان كل همى أن أحمّلها وِزْر ما فعلت . فحدقت فيها ثم صرفتها بجفاء ، ووقعت التقرير وختمته .

وفى تلك الليلة أقضّ مضجعى ما قالت : « أتح لى فرصة أخرى » . وظل صدًى واحد يتردد فى ذهنى ، مؤداه أن ما أراه عدلا ، وكل ما يراه الناس عدلا ، ليس سوى شهوة فطرية للأخذ بالثأر ، فقلت لنفسى : هذا رأى أحمق . ولكننى ذهبت إلى مكتبى فى الصباح التالى ومزقت التقرير .

كان ذلك منذ عشرين سنة ، أما اليوم فهـذه الممرضة التى ارتكبت ذلك الخطأ المميت قد صارت كبيرة الممرضات فى أكبر مستشفى للصغار فى ويلز ، وقد كانت سيرتها مثالا يحتذى فى دقة العمل والإخلاص فيه . ومنذ عهد قريب تلقيت صورة تتراءى فيها سيدة نَصَف فى ثياب كبيرة الممرضات ، يحيط بها الصغار فى مخبأ يقى من الغارات . وهى تُرَى فى الصورة مجهدة مهمومة ، وأما عيون الصغار فكانت شاخصة إليها ، يتألق فيها نور الطمأنينة والمحبة .



سمع لنكولن مرة رجلا يغتاب آخر ، فأشار عليه أن يكتب إليه رسالة يودعها كل ما فى نفسه من هجاء ، فكتب الرجل الرسالة وقرأها على لنكولن ، فأثنى على قوارصها . فسر الكاتب بما سمع ، ثم سأل لنكولن : « وما خير طريقة لإرسالها ؟ »

فقال لنكولن : « لإرسالها ! لو كنت مكانك لما أرسلتها . فكثيراً ما أكتب رسالة من هذا القبيل فتنفعنى كتابتها ، ولكننى لا أرسلها مطلقاً » .

[مجلة « ذى أميريكان مجازين »]

إذا أريد مساعدة الصين على أن تصبح أمة صناعية ،
فلا بد عن فهم تقاليدها أولا .

نشر الصناعات في الصين

جون إيرل بيكر • مختصرة من مجلة "فورتشن"



جعل الصين أمة صناعية مشكلة إذا أنت تأملتها راعتك بما ترى من عوائقها الجمة . فالصين ليست أمة مدن ، بل هي أمة قرى ومزارع يعيش فيها ٨٥ في المئة من شعبها ، ويخضع الفرد فيها لحكم رؤساء عشيرته . فكلمة رب الأسرة حكم نافذ ، ويلقن صغيرهم منذ حداثته أن يوقر الكبير ويطيعه ، وما القرية عندهم إلا أسرة واحدة .

ولا يقوم بين الصينيين نزاع إلا أسرع إلى فضه والقضاء فيه أقران المتنازعين ، فإذا

قليل من الغربيين من يفوق جون إيرل بيكر في خبرته وطول معاشرته للصينيين . وكان أول دخوله الصين سنة ١٩١٢ ، حين أسند إليه منصب مستشار السكك الحديدية وطرق النقل . ومنذ ذلك الحين والحكومة الصينية تستدعيه لهذا المنصب مرة بعد أخرى . وقد تولى رياسة أغلب مشروعات التخفيف من ويلات الفيضانات والمجاعة ، فساعد على إنقاذ أرواح الآلاف المؤلفة من أهل الصين ، وتولى أيضاً منصب المستشار المالي والمفتش العام لطريق برما ، وهو اليوم يعمل هيئة الإغاثة والتعمير .

ثار النزاع وتعالت الأصوات ، وقف المارة وأنصتوا . وسرعان ما يدلي أحدهم برأي في الصلح ، وربما اقترح سواه آراء أخرى مختلفة ، حتى ينتهي الرأي إلى حل يرتضيه المتنازعون . والصينيون بطبعهم يخضعون لقضاء أمثال هذه المحاكم التي تجتمع لساعتها. والطريق إذا أصبح ساحة للتقاضي أغنى عن سن القوانين للمحاكم . ولم يكن في الصين قبل تأسيس الجمهورية شيء من القوانين المسطورة ، بل هو العرف الموروث والأوامر الإمبراطورية . فلم يكن مما يقبله العقل عند أهل الصين أن يجتمع رجال من البشر فيكتبوا بأيديهم شريعة تلزم كل إنسان طاعتها في كل الأحوال . فلما أعلنت الجمهورية سنت القوانين ، ولكن القضاة لا يجدون إلى اليوم مندوحة من إيثار العرف على القانون.

وعلى هذا النمط من الرأي تسير معاملاتهم كلها . ففي الدول الغربية — مثلا — تجري الأعمال المالية الواسعة النطاق طبقاً لشروط ينص عليها في عقود مكتوبة ، والرجل المالي ذو الدهاء والمكر يتقيد بألفاظ العقد

ولكنه يلتمس الحيل للخروج من فحواه ، إذا رأى فى ذلك منفعة له . أما الصينيون فلا يعدون العقد إلا مذكرة مكتوبة ، ولا يتم الاتفاق عندهم حين يوقعه الطرفان ، بل حين تقع العين على العين ، ويومئان بهزة من رأسهما بأن الموافقة متبادلة . فإذا ما تغيرت الأحوال وأصبح الاتفاق عبئاً ثقيلا يبهظ كاهل أحد الطرفين بلا مسوغ ، فمن الطبيعى أن يرجو أحدهما تعديله على صورة جديدة ترضى الطرفين . فإذا أبى أحدهما ، انقلب فصار عند الآخر عدواً ضارياً مستبداً ، فأهل الصين يؤثرون أن تقوم معاملاتهم على الإنصاف والعرف لا على القانون .

والصين وإن تكن خالية من المحاكم العاملة النافذة السلطان ، إلا أن لأهلها آدابا متبعة ، لها ما للقانون من الطاعة . ولقد استطعت مرة أن أنجو بسيارتى ومتاعى من قبضة عصابة من قطاع الطرق ، بأن اتبعت آدابهم فقدمت لهم بطاقتى ، ودعوتهم لشرب الشاى معى . فلما رآنى رئيس العصابة أعامله معاملة الرجل الشريف ، لم يجد بداً من أن يلقانى بمثل ما لقيته به .

ولكن المشاكل التى تكتنف إدارة المؤسسات المالية الكبيرة لايتأتى علاجها باتباع أمثال هذه الآداب ، أو باللجوء إلى التحكيم فى عرض الطريق . وقد تكون مسألة القوانين الموضوعة من حيث هى أصلح وسيلة لضمان العدالة ، مثار جدال عند رجال الأخلاق ، ولكنها عند رجال المؤسسات المالية مسألة لا جدال فيها .

ولا تزال طاعة الأوامر شيئاً لا يكاد الصينى يحفل به ، فهو لم يألف بعد تلك القواعد التى استقرت فى الغرب ، حيث يفرض فى الأوامر أن يفهمها من توجه إليه ، فيعمل على تنفيذها بلا إبطاء ، وفى الوقت المحدد ، ويدرك أنه خاضع للرقابة ، وملاق جزاءه إذا ما أهمل فى أداء واجبه . والصينى لا يفهم بطبعه معنى التعاون الذى تقوم عليه الصناعة الحديثة ، ولا فكرة الولاء لمؤسسة باعتبارها كائنا مستقلا عن أشخاص أصحابها ، مع أنه لا قيام للتعاون إلا بمثل هذا الولاء .

فإذا انقلبت قاطرة ودعى العمال لإعادة إقامتها ، فهل تحسب أنك واجد كلا منهم قد وقف فى موضعه المحدد له ، ثم إذا أمرهم رئيسهم سارعوا إلى العمل ونصب الرافعة ؟ كلا ! بل يحدث بادئ ذى بدء أن ينشب جدال طويل بين الرئيس وأغلب العمال . وبعد نصف ساعة من الجلبة والصياح ينكبون على العمل وقد يأتون فيه بالمعجزات .

فانتظام قطار السكة الحديدية مثلا فى سيره طبقا للمواعيد ، أمر لا تعرفه الصين . فتجد سائقى القطارات يسيرونها حسب هواهم ،

حتى كثر تقابل القطارين على خط مفرد . ولقد شهدت مصادمة وقعت ، لأن السائق ترك مكانه وأوى إلى عربة البضائع لينام ، وترك قيادة القطار للوقاد الأول . وفى تلك الليلة كان الوقاد الأول قد انتدب أخاه ليحل محله — وانتداب الرجل من يحل محله شائع فى الصين — وكان هذا البديل يجهل نظام الإشارات كل الجهل . نعم إن السكك الحديدية آخذة فى الانتظام ، ولكن الصناعة عامة لا تشكو من قلة الخبرة شكواها من التهاون وقلة المبالاة .

ويذكر الصينيون دائماً حاجتهم إلى الخبراء الفنيين الأجانب لكى تجدى صناعتهم جدواها . وهذه كلمة مجاملة لا كلمة حق ، فإن عدد المهندسين الخبراء بين الصينيين يزداد يوما بعد يوم ، ومع ذلك فالتعليم فى الصين يجرّ فى آثاره أفكاراً لا تلائم التقدم الصناعى . فهم يرون أن اليد التى تجيد تحبير اللغة الصينية المكتوبة ينبغى أن تكون رقيقة رَخْصة الأنامل، فمن أجل ذلك أعفى المتعلمون عندهم من مزاولة كل عمل شاق. وأكثر من ذلك أن الشعب الصينى ينقسم إلى طبقتين : طبقة المثقفين ، وطبقة الجهال، ولا ثالث لهما إلا قليل بين بين . فالمجتمع الصينى اليوم خالٍ من أنصاف المتعلمين الذين تتطلبهم الصناعة . وسيظل التقدم الصناعى مكبّلا بقيود ثقيلة ، ما دام العرف يأبى على المتعلمين أن يزاولوا عملا بأيديهم ، وما دام العمال لا يصيبون شيئاً من التربية والتثقيف .

وألوف العادات أيضا تعوق استتباب الرقابة ، فنظام الرقابة فى الغرب يقتضى إشرافا دقيقاً ، لا على درجة إتقان العمل فحسب ، بل على الوسائل المتبعة فى أدائه أيضاً . فى حين أن الصينى لا يرى هذه الرقابة إلا اتهاما مقنَّعاً لذكائه، أو لمقدرته، أو لأمانته . ولذلك يكره الرقباء هذه الرقابة لما يرونه من نفور مرؤسيهم وضيقهم بها .

والعامل الصينى إذا جُعِل أجره باليوم، فهو عندئذ أكثر عمال الدنيا تهاوناً وتراخياً . أما إذا دفع له الأجر لقاء ما ينتجه، فإنه يعكف على عمله ، وهو يغنى ، ساعات طويلة ، ويتقنه ، ويستحدث فيه طرائق مختصرة مُجْزِئة تدل على براعته .

فلزام إذن على الصناعة الصينية أن تتخلى عن تقاليد صناعة الغرب فى معاملة العمال ، بحيث يبقى عرف أهل الصين نافذاً حتى فى الصناعة الحديثة .

•

وأهل الدنيا جميعاً فى قلوبهم شىء يحملهم على البرّ بذوى رَحِمهم الأدنَيْن ، غير أن أسرة الرجل فى الصين كبيرة ، فالتبعة من

جراء ذلك عظيمة . ولا تخلو أسرة من أفراد قعد بهم العجز أو الرزق ، فهم أولى وأحق ببعض المال من غريب شريك لك فى العمل ، فما ظنك بأصحاب الأسهم الذين لا تعرفهم ولا يعرفونك . ولا يرى الصينى فى حشد أقربائه فى الوظائف خيانة لأمانة ، ولا يعدّها جريمة أن يستبقى مديراً غير صالح فى قسم من الأقسام لا يربح شيئاً ، بل هو عنده واجب نبيل .

فنشر الصناعة فى الصين كما ترى تحول دونه عوائق جمة ، ولكن الصينيين يمتازون باللين وقدرتهم على التطبُّع ، ويبتدعون حلولا مختصرة مجزئة قد تعمى عنها عين الأوربى . ولا تنس أن الصناعة الغربية تشكو هى الأخرى كثيراً من عقبات تعوقها ، وقيودٍ تكبّل حريتها .

ولقد بدأ نشر الصناعة فى الصين ، وأخذت بعض مصانع الحديد فى الازدهار من قبل الحرب اليابانية ، وتم للصين امتلاك بعض مناجم الفحم الغنية ، وتبين أن مصانع النسيج التى يملكها ويديرها الصينيون ، قادرة على مضارعة مثيلاتها فى إنجلترا واليابان. وأما الطواحين فيملكها ويديرها ناس من أهل الصين . وأما المصانع الكيميائية ، ومصانع الطلاء ، ودبغ الجلود وكثير غيرها فيدير أعمالها ويتولاها رجال من أنفسهم.

وقد بلغ كثير من هذه المصانع مبلغا يعجز فرداً بل أسرة أن تتولاه وتقوم بشأنه، فهى شركة بين جماعة من الأصدقاء أو من الأسر المتحابّة . وقد احتالوا حتى وفقوا بين الآداب الصينية وبين ما يجب لهذه المصانع من كفاية ، بحيث تسنى اشتراك جمع كثير فى امتلاك مؤسسة وسط . حقا إن المصانع الصينية لن تقوى على بلوغ الضخامة التى بلغتها مثيلاتها فى الغرب ، ولكن الضخامة ليست شرطا أساسيا لنجاح المصنع .

ويجب أن تكون الصين هى السوق التى تستهلك منتجات المصانع الصينية ، فمجموع الشعب تستهلك قدراً عظيما من المنسوجات القطنية والسجائر وأدوات الصناعة ، وكل هذه البضائع من منتجات المصانع . ومع ذلك فأسباب الترف (الكماليات) كثيرة الطلب . وهذا الاستهلاك والطلب خليقان أن يقيما صناعة الصين على أساس ثابت ، ولكن جعل الصين بلاداً صناعية وقف على ازدياد هذا الطلب ازدياداً كبيراً . ويجب أن يبدأ ازدياد الطلب بين سكان القرى ، حيث يعيش أغلب أهل الصين .

وليس بين المزارعين الصينيين من يملك أكثر من أربعة أفدنة فى المتوسط ، ولذلك كانت مقدرتهم على الشراء محدودة ،

والدخل الآتى من هذا القدر الضئيل من الأرض لا يكفى إلا لتوفير الطعام ، ولا يتيح لأحدهم أن يشترى شيئا من المنتجات الكثيرة التى تخرجها المصانع ، فلا بدّ إذن من زيادة دخل المزرعة ، بتوزيع البذور الجيدة ، ومقاومة الحشرات وأمراض النبات ، ونشر استخدام الأسمدة ، ودرء أخطار الفيضان وتحسين طرق الرى .

وتكثير المحاصيل لا يكفى ، إذ لا بدّ من نقل الباقى عن حاجة المزرعة الى الأسواق ، فلا مفر من تعميم وسائل النقل كلها ، لا السكك الحديدية وحدها ، وذلك بإنشاء الطرق وشق القنوات ، والمبادرة إلى تأسيس خطوط جوية .

والسكة الحديدية لا تزال فى نظر الصينيين بدعة مستحدثة ، ولا يدعى أحد منهم أنها جيدة النظام ، ومع ذلك فأجور النقل بالسكة الحديدية تبلغ أربعين ضعفاً من أجور النقل بالحمل أو بالجرّ . فكلما امتدت السكك الحديدية زادت مقدرة الناس على الشراء .

وكنتَ قبل وصول السكة الحديدية إلى « شانج هى » تشترى ٢٠ خوخة كبيرة ناضجة بنصف قرش ، ومن « شانج هى » ينقلها الحمالون عدوًا إلى « تانت سن » ويطلبون فيها ثمنا مرتفعا لا يقدر عليه إلا ذوو اليسار . فقلّ محصول الخوخ ، واقتصر أهل « شانج هى » على تربية الأغنام يلتمسون منها رزقا يسيراً . فلما مدّت السكة الحديدية إلى « تانت سن » هبط ثمن الخوخ وزاد الطلب على العرض . وزرعت أشجاره زراعة وافرة وزاد عدد المكتسبين من زراعة الفاكهة أضعافا مضاعفة ، وتدفق الخوخ على « تانت سن » وأصبح يباع بالأكوام .

وكذلك الفحم فى شانسى ، فهو مبذول للناس يصيبون منه ما يشاؤون ، ولا يزيد ثمن الطن الواحد عند المنجم على ريال ونصف . أما فى شنغهاى فلا يقف ارتفاع سعره عند حد . فلما وصلت السكة الحديدية إلى شنغهاى هبط سعر الطن إلى ٢٥ ريالا . ونفقت سوقه فيها ، فازداد عدد سكان مناطق الفحم وعمرت نواحيها .

وإذا أريد للصناعة الحديثة فى الصين أن تقوم على أسس ثابتة ، فلا مفر لها من استغلال أهم عنصر فى الثروة الصينية — وهو وفرة سكانها . وإذا تدبرت وجدت فى وسع الصين أن يعمل جميع رجالها فى المصانع نصف النهار ، أو أن يعمل فيها نصف رجالها النهار كله . والرأى الأول خير من الثانى ، لأن زمن البذر أو زمن الحصاد يتطلب جهد جميع الصينيين رجالا ونساء وأطفالا .

فإذا أقيمت المصانع على مقربة من القرى، أمكن تزويدها من كل مزرعة بنصف رجالها، فيمكثون فيها أكثر الأيام، حتى إذا جاء أوان البذر أو الحصاد عادوا إلى المزرعة. ولكن المصانع الكبرى بعيدة عن المزارع، فإذا أريد تقريبها فلا مفر من توظيف رؤوس أموال كبيرة فى مد السكك الحديدية وغيرها من طرق النقل. وإذا اعتبرت الصين بحالها التى هى على اليوم، رأيت أن إنشاء وحدات من المصانع الصغيرة فى القرى أجدى فى الانتفاع بقوتها العاملة، من إنشائها فى المدن الكبيرة.

ومن المرجح أن المشاكل التى يثيرها تحويل الصين بلاداً صناعية، لا تحل إلا بممارسة العمل ما بين خطأ وإصابة. وقد وضعت المصانع اليوم خطتها لمد رقعة الصناعة فى الصين، والحكومة غير عاجزة عن نشر الصناعة فى القرى وتحسين الزراعة، وهذا أمر لا يشق عليها، حتى إن أرادت شق الترع، وضبط مياه النهر الأصفر، ومد السكك الحديدية، وتمهيد الطرق وشق القنوات للملاحة. فلو عدلت الحكومة عن تحصيل الضرائب نقداً، واستوفتها من المزارعين عملا فى الفترات بين مواسم المحاصيل، فإن الحشود الوافرة من الأيدى العاملة كفيلة بتحقيق مشروعات هائلة.

ولا ينبغى لأحد أن يظن أن جعل الصين أمة صناعية يبلغ مبلغا يحمل على اليأس حتى ما يجدى فى إدراكه مجهود يبذل، كلا بل الذى ينبغى أن يتم هو نشر الصناعة فى الصين رويداً رويدا، فالعجلة قد توجد من المشاكل ما يستعصى على الحل، فلا يبقى مناص عندئذ من العودة إلى أصل المشكلة وعلاجها من جديد، وهكذا دواليك، فلا يبوء العمل إلا بالخيبة والجهد المضاع.

ـــــــــــــــ

تعريفات

الغنى: هو الرجل الذى لا يستنكف أن يطلب إلى التاجر أن يأتيه بسلعة أرخص.

الشتاء: هو الفصل الذى نحاول فيه أن نجعل حرارة المنزل كمثل حرارته فى الصيف، حين كنا نجأر إلى الله من شدة الحر.

الضمير: هو ذلك الصوت الرقيق الخافت، الذى يجعلنا نُخافِتْ من كبرياء نفوسنا.

ينبوع الشباب الدائم

مختصرة من مجلة " ذس ويك "

زار المكاتب الحربي الشهير الكولونيل فردريك بامر ، الجنرال ماك آرثر في مقر قيادته فى مانيلا ، فرأى قبالة رأى الرسالة التى ستقرأها فيما يلى ، موضوعة فى إطار على مكتبه ، وهى مبنية على قصيدة نظمها صمويل أولمان :

ليس الشباب زمناً من أزمنة الحياة ، وإنما هو شعور فى النفس ، وإرهاف فى العزيمة ، وتوقد فى الخيال ، ونشاط فى العواطف ، وإرباء الشجاعة على التهيب وغلبة شهوة المغامرة على حب الراحة .

وما من أحد يهرم لأنه عاش عدداً من السنين ، وإنما يهرم الناس حين يهجرون مثلهم العليا جانباً . وكرُّ السنين يترك الجلد مغضناً ، ولكن ترك الحماسة يغضّن الروح . والقلق ، والشك ، وعجز المرء عن الإيمان بقدرته ، والخوف والقنوط ، هذه هى السنوات الطويلات المدد التى تحنى الرأس ، وتردّ الروح الناطق تراباً فى تراب .

وسواء أكان الحى فى السبعين أم فى السادسة عشرة من عمره ، لم يخل قلبه من حبٍّ للعجيب الرائع ، ومن دهشة حلوة تساور النفس حين ترى النجوم وما يشبهها من الأشياء والأفكار ، ومن جرأة ماضية تتحدّى خطوب الدهر ، ومن شوق كالذى يملأ قلوب الصغار رغبة فى معرفة الغيوب ، ومن بشاشة للحياة الزاخرة بالمرح والنضال .

وأنت شاب بقدر ما أوتيت من إيمان ، وهَرِم بقدر ما منيت به من شك ، وصغير بمقدار ثقتك بنفسك ، وكهْل بمقدار وَجَلك ، وفتى بحسب أملك ، وشيخٌ بحسب يأسك .

وما دام قلبك يتلقى رسالات الجمال ، والبشر ، والشجاعة ، والجلال ، والقوة ، من الأرض ، ومن الإنسان ، ومن الآباد ، فأنت شاب .

ومتى وهنت الأسباب التى بينك وبين الحياة ، وطمرت حبة قلبك ثلوج التشاؤم والشك وقلة المبالاة ، فقد شيّختَ حقاً ، وعليك رحمة الله .

[منذ عهد أشور إلى عصرنا هذا كانت العقاب شعاراً لمجد الأمم وسلطانها] .

ملك الجوّ

دونالد كلروس بيتي • مختصرة من "شيلتشر مجازين"

إذا نزلت أرض أمريكا فوقع بصرك على العُقاب الشهباء أول مرة لم تنسها ما حييت ، ولن تعدم أن تراها فى جلالها ووقارها ساكنة لا تتحرك وهى جاثمة على أعلى فنن فى أطول شجرة من شجر الغابة ، تحرس أنثاها أو ذكرها ، وترقب الغاب والماء.

ولن تجد فى الطير أشد منها إلفاً لوطنها . والعُقاب الأمريكية لا تفارق مملكتها البتة إلا أن تطير باحثة عن أنثاها ، أو أن تضطرها إلى الهجرة قلة الطعام حيث تكون. وأكثر الطيور تهجر أوكارها فى آخر كل فصل من فصول السنة ، فهى لا تعُدّها وطناً بل مهداً لأطفالها . أما العقاب فتبنى كل سنة وكراً فوق الوكر القديم ، وعمرها كعمر الإنسان من بنى آدم ، فمن أجل ذلك لا يزال وكرها يَعْظم على الزمن ، ويكون لها سكنا دائماً صيفا وشتاءً . وقد سقط وكر كان على شجرة بقرب بحيرة إيرى ، فبلغ وزنه نحو طنين ، وتبين أنه كان سكناً لها نحو قرن من الزمان . وقد عُثر على وكر آخر كان على صخرة فى ساحل كاليفورنيا ، فكان فيه حمولة بضع عربات من الأعواد وأوراق الشجر . وربما كان طول بعض الأعواد التى بنيت بها هذه القلعة الحصينة ست أقدام من فروع غير مشذّبة ، أما جوف الوكر فمبطّن بناعم الأعشاب والحشائش والطحلب والريش . وهى تتخذ وكرها فى مكان يطل على أروع مشهد من مشاهد الطبيعة التى تحيط بها .

وذكر العِقْبان يعاشر أنثاه طول عمره. وقد زعموا أن بعض الطير يفعل ذلك ، ولكنه باطل، أما الذكر والأنثى من العقبان فيتلازمان فى فصل السِّفاد (التزاوج) وفى سواه ، حتى يفرق بينهما الموت . ويومئذ فحسب تهجر العقاب الثكلى مأواها لتهيم فى جو السماء حتى تجد رفيقاً أو رفيقة وتعود بها إلى مثواها . وفصل سِفادها ومغازلاتها يبدأ من نوفمبر وينتهى فى يونية، فيظل الذكر والأنثى فى وكرها الذى يكون عادة على قمة شجرة غير بعيدة عن الماء ، وبينهما عشق طاغ ووَجْد لا تطفأ ناره . وثمة سبب يحملنا على أن نظن أن السفاد بينهما يتكرر كل يوم عند مطلع الفجر ومغيب الشمس ، وذلك دأبهما حتى تضع

الأنثى بيضها ، وبعد أن تضع أيضاً ـــ كأن تلك المواقعة لم تكن من أجل النسل وحده. ويروى أحد علماء الطير أنه كان يسمع صيحات العقبان وهى تتسافد ، مرسلة من قمم الأشجار الكثيفة المغمورة فى رهبة الظل والسكون .

وتضع أنثى العقاب بيضتين أو ثلاثاً لونها أبيض ، وهى ضئيلة الحجم بعض الشىء ، لا يزيد طولها عن ثلاث بوصات ، فهى أصغر من بيضة الأوز الكندى ، ونصف بيضة الأوز العراقى . فمن مثل هذه الكرة الضئيلة يخرج ملك الجو .

ويتناوب الأبوان على حضانة البيض نحو ٣٥ يوما ، فيظل أحدهما جاثما على البيض صابراً لا يتحرك نحو ٧٢ ساعة ، فإذا بلغ منه الجهد نبّه أليفه بصفير يفهمه أحدهما عن صاحبه ، وسرعان ما يحل محله فى الحضانة . وإذا اضطرت العقاب أن تترك وكرها ليس فيه من يحرسه ، كان من دهائها وحكمتها أن تشعّث رأس الوكر بأوراق حائلة اللون من أوراق الشجر ، حتى يخيل لمن يراه أنه وكر مهجور .

أما الناهض ، وهو فَرْخ العقاب ، فيطول عهد طفولته ، لأنه يولد كما علمت ضئيل الجرم . والأسلوب الذى ينشأ عليه أشد تعقيداً من أساليب سائر الطير ، ولذلك يطول زمن تعليمه ، ويبذل الأبوان لصغيرها من العناية والتعهد ما ليس تفعل مثله سائر طيور الجو . فأول ذلك أن تزقّ الأفراخ زمنا ، حتى إذا آن أوان كَسْبها لنفسها طعامها ، عمد الأبوان إلى سمكة فجعلا ينهشانها على أعين الصغار ، لتتعلم منهما كيف تفعل ذلك . ثم يأتيان بسمكة ويقفان جانبا ريثما يتدرب الصغار على تقطيعها .

والنواهض (فِراخ العقبان) فى زمن طفولتها تلعب بالأعواد كما تلعب أطفالنا بالدمى ، فتتعلم كيف تقبض على الأشياء بمخالبها . ولا تستطيع الطيران حتى تنتف زغَبها أولا ، ثم ينبت لها ريش أبيض جامد صلب المكْسِر . ولا تزال كل يوم تتدرب على الطيران ، ويعلمها الأبوان كيف تثب ثم تحط على حافة الوكر الواسعة ، ضاربة بأجنحتها . وتظل تفعل ذلك ساعة وهى تمرح وتتصايح كما يفعل الأطفال فى ساعة لهوهم . وكل هذا تأهب للطيران ، فإن أحدها فيما يبدو لا يستطيع أن يطير كما تطير العقاب حتى يقضى أسابيع فى الرياضة والتدريب .

وأخيراً تستقل العقبان الصغار من وكرها لتطير وهى تصفق بأجنحتها خائفة هيابة ، ولكنها لا تلبث عادة أن ترتد على أعقابها بأسرع ما تستطيع . فإذا طال إحجامها

عن معاودة الطيران، أدبها الأبوان بحرمانها من الطعام ، وجعلا أمام أعينها قطعا مشتهاة من اللحم تتدلى على مقربة منهـا . فإذا تم لأحد النواهض أن يطير مسـتقلا بنفسه ، كوفئ بقدر وافٍ من الطعام .

والعقبان الصغار، إذا بدأت تطير ، كانت كالإناث والولدان إذا بلغوا سن الرشـد ، فيأخذ طوافها قريبا من مأواها يقل شيئاً فشيئا ، حتى إذا حال عليها الحـول الأول من عمرها انطلقت تبحث عن رزقها المخبوء في نواحى الأرض . وهذه الصغار لا تشتهى السِّفاد حتى يمضى عليها أربعة فصول أو خمسة من فصول السفاد ، وتتوج هاماتها بإكليـل أبيض ناصع من الريش الناعم ، وحتى يتم ريش ذيلها الأبيض ، وهو علامة البـلوغ . ولـكنها قبل ذلك بزمان طويل تكون قد صارت لها السيادة والسلطان على مدّ ما يتناهى إليه بصرها . وهذه العقبان إذا نشرت أجنحتها كان بعد ما بين طرفيها سبع أقدام أو ثمان ، فهذه الأجنحة المنشورة الهائلة تظاهرها القوة الكامنة فى خَوافى ريشها الضخمة . ويبلغ طول أطول ريش قوادمها ٢٠ بوصة . وريش هذه القوادم متباعد الأطراف ، حتى تستطيع العقاب أن تنشر قوادمها متباعدة كأنها أصابع فى كف . وهـذا الضرب من الأجنحة المتفرقة القوادم من خواص جميع الطيور التى تحلق فى جو السماء غير مصفّقة بالجناح ، وكأنها هى التى تقيها من السقوط ، وتمامها فى العقبان هو الذى جعلها سلاطين الجو . وقد رآها بعض الطيارين محلقة على ارتفاع ٩٧٥٠ قدما من سطح الأرض . ويبلغ من حدّة بصرها ونفاذه أن ترى السمكة على بعد ثلاثة أميال من حيث تحلق، فتنقض عليها دفعة فتختطفها من فورها . وهـذه القوة هى التى تجعلها فزعاً يرعب الصـقر السمّاك ، فكثيرا ما يضطره ملك الجو إلى أن يُلـْقى ما اصطاد من سمك ، فلا تلبث العقاب أن تلقف السمكة وهى هاوية بمهارة عجيبة .

وإذا بلغت بك سعادة الجَدّ أن ترى العقاب وهى تهوى هُـوِيّـا من جو السماء ، ترسل صيحتها وصريرها وهى تنقضّ على الأشباح السابحة تحت الماء ، علمت عندئذ لم صـارت العقبان بحق ملوك الجو . وإذا قدر لك أن ترى سرباً من العقبان تحلق فى السماء وتحوّم وتدوّم صاعدة ثم صاعدة حتى تصـير بقعاً بيضاً فى زرقة السماء . علمت عندئذ لم اتخذت الشـعوب صورة العقاب رمزاً لمجدها وسلطانها ، منذ كانت دولة أشور ، إلى أن كانت الإمبراطوريات فى عهد الرومان وعهـد نابليون ، ثم إلى يوم الناس هذا .

[illegible]

فيبي رادكليف • مختصرة من مجلة « وماتز هوم كومبانيون »

العجيب أن ما نعرفه عن قوامنا لا يعدو التافه اليسير . وكثير مما نعرفه عن هيئتنا ، ونمونا ، وازدياد وزننا ، ووقفتنا ، ومشيتنا ، وسلوكنا ، باطل . ولكننا نجد عند أهل العلم الأجوبة الصحيحة . فهذه أسئلة تتيح لك أن تتبين الصواب فيما تعرفه عن هذه الشئون .

[illegible]

باطل . فقد نظلُّ آخذين بأسباب النمو حتى بعد الخامسة والعشرين ، فنبلغ أقصى طولنا في الخامسة والثلاثين أو الأربعين . ثم يأخذ الجسم في الانكماش مقدار ربع بوصة كل عشر سنوات ، وبعض السبب في ذلك ضمور غضاريف المفاصل والعمود الفقرى .

[illegible]

باطل . فقد زاد معدل طول الناس مقدار بوصتين تقريباً منذ العصر الحجرى . وللبيئة أثر عظيم في حجم الجسم . فحيث تتيسر وسائل العيش ويتوفر الطعام يزداد طول الرجال والنساء .

[illegible]

حق على الأغلب ، فالرجل الرَّبْعة العريض الألواح ، يكون في العادة مرحاً ، متفائلا ، حسن المعاشرة ، يأخذ الأمور كما هي . أما الطويل النحيف الضيق الصدر فيغلب أن يكون كئيباً برماً ، تطيب له العزلة ، وينزع إلى المثل العليا .

يستطيع الرجل أن يتنبأ بما يؤول إليه قوام خطيبته بأن ينظر إلى قوام أمها

حق على الأغلب . يرث معظم الأبناء عن آبائهم نمط القوام . ولهذه القاعدة العامة شواذ ، ولكن إذا كانت والدة حبيبتك أو خطيبتك ، هيفاء القوام رشيقة القدّ ، فلك أن تتوقع أن يكون لزوجتك مثل فتنة أمها بعد انقضاء خمس وعشرين سنة على زواجكما .

[illegible]

حق . إن شركات التأمين على الحياة ، تتردد في التأمين على حياة الذين تتجاوز بدانتهم حدود الاعتدال . ووزنك السوىّ ،

فى الخامسة والعشرين من عمرك ، ينبغى أن يظل وزنك ما حييت .

[illegible]

باطل . فالسمين المكتنز عرضة لأمراض القلب والكليتين ، وارتفاع ضغط الدم ، ومرض السكر . أما الطويل النحيف فعرضة للسل ، واضطرابات الهضم ، والإمساك ، والالتهابات المزمنة .

[illegible]

حق . حتى القوام القبيح يحسن منظره إذا حسنت مشية صاحبه وخفّ وَطْؤه على الأرض . والواقع أن حسن المشية يغير من هيئة الجسم . فاللُّغد ، وهو تلك الكتلة من الدهن عند أسفل الذقن ، والكرش ، والعجيزة البارزة ، لا تكاد تبين إذا مشى المرء منتصب القامة ، وأتيح للعضلات أن تؤدى عملها على خير وجه .

[illegible]

حق . إن النساء اللواتى يحملن السلال والجرار على رءوسهن ، لهن على الدوام قدّ أهيف مشيق ، إذْ لا بدّ لهن من التوازن التام والاتساق الكامل بين أعضاء الجسم ، لكى يقين ما يحملنه من السقوط .

[illegible]

باطل . ليس هذا وضعاً طبيعياً ، فهو يرهق الجسم ، وقد يؤدى إلى تقوس الظهر . والوضع الصحيح هو أن تقيم صدرك ، وأن ترفع رأسك غير متكلف ، وأن تدع منكبيك على راحتهما .

وأكثر الناس يسير منحنياً شيئاً ما إذ يعتقد خطأ أن فى هذا راحة لجسمه . ولكن هذا الوضع الفاسد هو السبب الشائع الذى يورث التعب .

فالعضلات عندئذ تعمل على خلاف ما ينبغى أن تعمل .

[illegible]

باطل . إذا أعقبت الولادة راحة وافية ، ورياضة ملائمة ، لم يضرّا قوام المرأة . وقد ولد كثيرات من ممثلات السينما مراراً ، ولكنهن لم يزلن كما كن صِباً ورشاقة . أما اللواتى يتخذن نماذج للمصورين وبيوت الأزياء ، فقلتهن أمهات ، ويزعم المصورون أنهن صرن بعد الولادة أشد فتنة ونضارة .

المسحوق الذى منع الماء أن يتسرب إلى خط ماجينو ، متاح لك تستعمله فى دارك :

جنبنى هذا الماء !

كرت ستيل • مختصرة من مجلة "فوربز"

سوف يظل خط ماجينو رمزاً لإخماق عظيم، ولكنه أسدى إلى أصحاب الدور خيراً عمياً .

لقد كان الماء المتسرب فى جوف الأرض أعقد مشكلة واجهها بناة حصونه . وقد أنشئت الدهاليز ، وحجر الذخيرة والثكنات على مئات من الأقدام تحت أرض كثيرة الأودية ، تنفجر فيها الينابيع ، وتجرى الجداول ، بل بنيت أجزاء منه تحت المستنقعات .

وكان الماء يتسرب من جدرانه المبنية بالأبرق، ويسيل إلى بعض حجراته فيملؤها، فلا تجدى المضخات فتيلا فى نزحها . أما الأماكن التى كفت فيها المضخات لنزح الماء فقد ظلت رطبة ، وخشى ضباط السلاح الطبى أن تتفشى أوبئة الأنفلونزا وذات الرئة، وخشى ضباط غيرهم أن يبتل البارود، وأن يعلو الصدأ الآلات الدقيقة .

وقد جربت جميع الوسائل المعروفة للوقاية من تسرب الماء فلم تجد شيئاً ، فقلقت الحكومة الفرنسية ، وعرضت جزاء كبيراً لمن يبتكر أسلوباً يجنب الخط أضرار الماء . فوفقت إلى الحل « مصانع هاجناور » . وهى شركة حسنة النظام عتيقة الأساليب ، تعنى بصنع ضروب الدهان للسفن والجسور ، فصنعت مادة « أكويلا » وهى مسحوق ناصع البياض كالدقيق ، يعدُّ فذًّا بين المواد التى تقى من الماء .

فإذا خلط هذا المسحوق بالماء ودُلِك وجه الأبرق أو الآجر بهذا الخليط، نفذت دقائقه إلى ما تحت الوجه ، ثم تتمدد بعد أن تجف ، فتجعل الوجه طبقة لا ينفذها الماء ، وتمضى فى تحجرها على الزمن .. وثمة مزية أخرى ، هى أن الجدار يصبح أبيض كالثلج .

فلما ثبت نفع « أكويلا » ، جعلت الحكومة الفرنسية تستعملها فى المصانع المبنية فى جوف الأرض ، وفى برك السباحة فى باريس، وجدران سدود الماء، وفى الدور لمنع تسرب الماء إلى جوفها ، وذلك فى البلاد الفرنسية الاستوائية ، حيث الرطوبة تملأ قلوب البنائين يأساً وقنوطاً .

فلما دخل الألمان باريس ، دمرت القنابل مصنع هاجناور ، ولكن صاحبهُ رحل إلى الولايات المتحدة، ومعه سرُّ مادة «أكويلا».

كان مريضاً كسير القلب ، فسعى مرة أو مرتين ليقيم لها صناعة فى أمريكا ثم نفض يده من الأمر ، ولكنه لقى بعد سنة ونصف سنة، فرنسياً من رجال الصناعة ، كان قد صار مديراً لإحدى الشركات الأمريكية ، فأطلعه على نبأ «أكويلا» ، ولمح شعاعاً من الرجاء .

فعرضت نماذج من هذا المسحوق الأبيض على علماء مصلحة المقاييس الأمريكية ، وكانت هذه المصلحة قد جربت منذ عهد يسير ثلاثين تجربة بالمواد الواقيـة من الماء ، فلم تجد إلا مادتين «ممتازتين» تصلحان لهذا الغرض، غير أنهما لا تصلحان إلا إذا بنيت الجدران على نحـو خاص . فأثبت امتحان مادة « أكويلا » أنها « ممتازة » ، وأنها تصلح للآبرق والآجر، سواء أطلى بها وجه الجدار من الداخل أو من الخارج .

وأقبل المقاولون الذين كادوا يقطنون من التغلب على الماء المتسرب ، فجربوا نماذج من هذه المادة ، وراقبوا نتائجها دهشين . فقـد كانت ثمة دار لغسل الملابس قائمة على شاطىء البحر، وكان الماء ينفذ من جدارها، فلما دهن بطبقتين من هـذا الطلاء صارت الدار جافة دافئة ، وصارت أجمل منظراً ، ولم يكلف كل ذلك أكثر من مئـة ريال .

وطليت به جدران مستشفى لم يتم ، قبل هبوب عاصفة ١٩٤٤ ، فلما هبت انهمر المطر مدراراً على البناء ، تدفعه ريح سرعتها ٨٠ ميلا فى الساعة، فظل جوف البناء جافاً لم تتسرب إليه قطرة من المطر .

وكان فريق من المهنـدسين تساوره الريب، فوضعوا مقداراً من طلاء «أكويلا» فى شقوق سعتها بوصتان ، كانت فى جدران الدور الأرضى من محطة لنزح المـاء . وكانت الشقوق تحت مستوى ماء المد ، وكان الماء يسيل منها، وأخفق كل مسعى بذل لمنعه . فجف الطلاء فى الشقوق، وكف ماء المد عن النفاذ، وبعد سنة لم يتبين المهندسون أثراً لتسربه .

وبعد أن تمت هذه الامتحانات ، عرضت شركة «بريما برودكتس» فى الربيع الماضى هذه المـادة للبيع . وقد استعملت فى منع الرطوبة عن مبان كثيرة ، بعمل كمثل عمل تبييض الجدران فى بساطته ، وأقبل مئات من الناس عليها فطلوا بها الأدوار الأرضية فى منازلهم ، فحولوها من حجر قاتمة باردة رطبة ، إلى حجر جافة بيض كالثلج . وقد تم كل هذا لأن خط ماجينو أنشىء تحت مستنقعات فرنسا ، ولأن وصول الألمان إلى فرنسا دفع أحد أبنائهـا أن يهجرها إلى سواحل العالم الجديد .

مختصرة من مجلة " جريب فاين "
لكاتب مستنكر

كنت قبل عام سكيراً ميؤوساً منه ، وقد حاولت أن أكف عن الشراب ولكنى كنت أزداد شرباً كلما كانت المحاولة أكبر ، وكنت أشرب لأسكر ، وأشرب لأظل محتفظاً بعقلى .

وقد ردتنى جمعية إرشاد المدمنين إلى الحقيقة .

ولم يكن لى سوى معرفة طفيفة غامضة بهذه الجماعة النافعة ، غير أنى استطعت أن أشق الضباب الذى فى رأسى وقتاً كافياً لأتذكر أن مقرها بمدينة نيويورك ، وكتبت إليها ، وكتبت على الظرف : « إلى مدير بريد نيويورك — أرجو أن تجد لى هؤلاء الناس ، وأنا محارب قديم اشتركت فى الحربين العالميتين الأولى والثانية ، وبى حاجة إلى معونتهم» . وعلمت فيما بعد أن ساعى البريد حين سلم رسالتى إلى مكتب الجمعية قال : « لقد وجدنا لكم للجندى ، وعليكم الآن أن تعالجوا أمره » .

وبهذا بدأت رسائل الجمعية . وكان أقيم فى مكان ناءٍ لا يتيح لى أن أتصل بها أو بأحد فروعها . وأقبلت الرسائل تترى بلا انقطاع ، وكثيراً ما كانت ترد كل يوم ، ومعظمها بالبريد الجوى . وكانت مكتوبة بعبارة أستطيع أن أفهمها ، وليس فيها تكتم فى موضع الصراحة .

ولست أومن بالاعتذار ، فلم أقدم عذراً ، ولكن هناك أسباباً معينة لعكوفى على الخمر . كنت قد سرحت تسريحاً مشرفاً من فيلق المشاة البحرى التابع للولايات المتحدة ، وكنت أزاول عملى ليلا ، وبنتى تعمل نهاراً ، وكان ابنى يعمل مع القوة الجوية التابعة للجيش فى الصين ، وانقطعت عنا أخباره شهوراً ، ومرضت زوجتى مرضاً شديداً ، وليس عندنا من يساعدنا ، وأرهقنى العمل . فرحت أشرب لأكتسب قوة ونشاطاً ، وصارت الخمر عصاً أزداد كل يوم اتكاء عليها .

وبعد أن ماتت زوجتى واظبت على الشراب للتعزى ، وفى ليلة ممطرة داستنى سيارة وتركتنى راقداً على الطريق .

وقضيت أسابيع فى المستشفى استطعت

بعدها أن أمشي متوكئاً على عصا ، وخرجت أنشد الشراب ، وهو مع إصابات رأسي يجعل المشي صعباً ، وكانت الدنيا تغيم وتذوب بعد مئة ياردة ، ولم أكن أشعر بالوقوع ، بل كأنما كانت الأرض ترتفع وتضربني . ولا بد أني وقعت أكثر من عشر مرات قبل أن يعثر عليّ قسيس منطرحاً على الأرض ورأسي مشقوق والدم يقطر منه .

ولم يكد يفوتني شيء من شرّ ما يلقاه المدمنون ، وقد حاولت أن أتطوع في الجيش مرة أخرى ، ولكن صحتي كانت دون حد القبول من جراء الإدمان . ولما أخفقت ، صرت أتورط في مشاجرات الشوارع ، وكثيراً ما كنت أستيقظ فألفي نفسي في محبس ، أتلوى من الآلام المبرحة التي يحدثها التهاب الأعصاب بسبب الإدمان . وهذه المعاملة التي يلقاها السكيرون عادة — كالحبس الانفرادي ثلاثين ساعة — تقوي الإدمان ، فقد كان كل ما أفكر فيه هو أن أظفر بكأس تمحو هوان ما مرّ بي .

وقصدت ذات ليلة إلى المطبخ لأجيء بزجاجة خبأتها فيه ، فأخطأت وتوهمت أن باب القبو هو باب الخزانة ، وهويت على درج السلم . وبعد ساعات أفقت ورأيت قطتنا الثلاث واقفة أمام باب الموقد المفتوح تنظر إليّ ، فخجلت ، وأحسست أن نظرتها

جمعية إرشاد المدمنين هيئة لها عشر سنوات ، وأعضاؤها ١٢٠٠٠ ، وفروعها خمسون . وكل الأعضاء سكيرون تائبون . وهي لا تتقاضى رسوماً أو أجوراً ، وليس لها موظفون ، وبين رجالها كثيرون من طراز الزعماء . والمدمن التائب أقدر على إصلاح المدمن المعاقر .

الساكنة المستفسرة أفعل في نفسي من تأنيب أي إنسان .

وأظلتني الأزمة الآن ، ولم يكن الطبيب يحتاج أن يقول : « إن الشراب سيقتلك » ، فقد كنت أعرف ذلك ، فكنت أكف عن الخمر يوماً لأعود فأعبّ فيها في اليوم التالي . وأصبحت أحيا في عالم غائم أغبر . وتحركت في موضع ما من أعماق خاطري ذكرى بعيدة لجمعية إرشاد المدمنين ، فتعلقت بهذه القشة ، وكتبت إليها تلك الرسالة الأولى . ولما جاء الرد منها ، كان وجيزاً ومشجعاً : « إن الجمعية ستعمل إذا أنت أردت منها أن تعمل » . وقد ألقى هذا القول عبئاً من التبعة على عاتقي ، ومضى الرد يقول : « إن كل ما يشترط للعضوية في الجمعية هو الرغبة المخلصة في الكف عن الخمر ، ويبدو

من المحقق أن لك هذه الرغبـة . وسنفعل كل ما نستطيع لمساعدتك ، ولن تطالَب بطبيعة الحال بأى نفقة» وتمنى الرد لى الخير، ورجا أن أعاود الكتابة ، ففعلت .

وقد تبينت من النشرات التى بعثت إلىّ بها الجمعية أن هناك نقطة هى محور الخطة كلها ، « قم فى الصباح وأنت مصمم على أن لا تشرب خمراً طول اليوم . لا تقل إنك لن تشرب الخمر أبداً ، واكتف بأن تجعل همك الامتناع فى هذا اليوم» وهذا معقول .

ومرت الأيام وأنا ثابت فى موقفى ، ولكن الأمر كان أكثر من مجرد حالة نفسية ، وهذا هو الذى أحوج إلى الطبيب ، فاستخدم المسكنات وهيدروكلوريد الثيامين (فيتامين ب ١) لتثبيت أعصابى وتقوية الرغبة فى الطعام .

على أنه بقى هنـاك وحش متربص بى — ذكريات مُرَّة من الماضى لا يمحوها سوى الشراب . وقد طلبت منى الجمعيـة ، بحكمتها المعهودة ، أن أفكر هكذا : « اللهم هبنى سكينة أتقبل بها ما لا يسعنى تغييره ، وشجاعة لأغير ما أستطيع تغييره ، وحكمة أميز بها بين الأمرين» فوقع هذا من نفسى موقعاً عميقاً .

وصارت الرسائل بعد ذلك ترد كل يوم وفيها شىء كهذا : « إذا عذبك إحساسك بالحاجة إلى الشراب فكل حلواء ، فإنها دواء حسن ، لأن المدمنين تعتاد أبدانهم أن يكون فيها مقادير كبيرة من السكر ، ومتى انقطعت عن الشراب ، انقطع المدد من السكر » .

ولم أكسب المعركة على الفور ، فقد زللت زَلَّتين ، ولكن الجمعية والطبيب اتفقا على أن الزلة ليست نادرة فى البـدء ، فشجعنى هذا . وقد بينا لى أن الزلة قد يعجل بها حدوث أزمة عاطفيـة ، فتعلمت أن أجتنب الجدل والتحمس ، ووجدت أيضـاً أن الإسراف فى الثقة بالنفس خطر ، وكتبت الجمعية إلىّ تقـول : إنى قد أكون أقرب ما يمكن إلى الارتداد إلى السكر ، حين أكون على يقين جازم من أنى ربحت المعركة .

وقد عثرت حديثاً على إحدى الزجاجات التى كنت خبأتهـا فى البيت ، فرددتها إلى مكانها بسرعة ، ولكن فتنتها أعادتنى إليها ، فدرت بالزجاجة ورفعتها إلى النور ، وشممت ما فيها ، وتساءلت هل ترى أستطيع أن أشرب كأساً واحدة ؟ وتصورت أنى صببت الشراب فى الكوب إلى نصفه ، وشعشعته بالماء ، وحسوت منه على مهل لأنعم بريّاه ولذعته المحببـة ، فصارت أعصابى مشدودة كأوتار القيثارة . ولكن ساعى البريد جاء عندئذ برسالة طويلة من الجمعية ، وفى آخرها هذه الفقرة المدهشة :

«بعض أعضاء الجمعية بعد أن يرتفع عنهم

ضغط الإحساس بالحاجة إلى الخمر، يخطر لهم هذا الخاطر: « ربما أمكن الآن أن أشرب كأساً أو كأسين وأقف عند هذا الحد » فإذا قدر لك أن تبلغ هذه المرحلة، فقبل أن تشرب هذه الكأس الأولى، اجلس وتذكر! هذا كل ما يمكنك أن تفعل! أن تتذكر! فإن كأساً واحدة أكثر مما ينبغي، وألف كأس لا تكفي ».

فعرتني انتفاضة فقد كنت مشفياً على كارثة. وتعجبت لهذه الهداية التي جاءت عفواً، فحملت إلىّ تلك الرسالة الخاصة فى اللحظة الحرجة.

وكانت الرسائل ترد دائماً فى أوانها بحذق، وكانت دائماً مشرقة، وفى كثير من الأحيان مرحة. ومنذ وقت وجيز، وبعد أيام سيئة كثيرة، فزعت فكتبت إلى الجمعية فجاء الرد: « أرجو من فضلك أن تهدأ أولا! إنى بعد أن أقرأ رسالة منك تكتبها وأنت مهتاج النفس، أحس أنى أصبحت أهلاً لأن أوضع فى محبس مبطن الجدران ».

وفى مرة أخرى وقفت على الحافة متردداً، ففطنت الجمعية إلى ذلك، وجاءتنى رسالة بالبريد الجوى الخاص: «لا تتكلم بهذه اللهجة اليائسة، ولا تقل إن الأمر يكلفك فوق ما فى طاقتك، فقد كنت أظن أن مشاة البحرية لا يكفون أبداً عن القتال ». فأنقذتنى هذه العبارة فإنى فخور بأنى كنت من مشاة البحرية

وقد أثمرت الرسائل حيث أخفق كل ما عداها، لأن الجمعية كانت تتكلم اللغة التى أفهمها، فقد كان أعضاؤها سكيرين مدمنين، وقد سبق أن أخجلنى وأثارنى على نفسى ما قاله لىّ ابنى وبناتى فى رفق، ولكنى يومئذ لم أجد مخرجاً، فأقبلت على الخمر أكرع منها وأنا أجاهد مستيئساً أن أنسى كل شىء. وحثنى الأصدقاء والمعارف أن أقسم على الإقلاع، وأن « أكون رجلا ». ويظهر أنهم كانوا عاجزين عن أن يدركوا أن الإدمان مرض، وأنه لا وجه لتأنيب مدمن، كما أنه لا وجه لتأنيب إنسان إذا كسرت ساقه، أو إذا أصيب بالقُلاب (مرض القلب).

وقد وجدت أن الوسيلة التى تلجأ إليها الجمعية هى أنها لا تدفعك أو تقودك، وإنما تسايرك وتقدم إليك ما تحتاج إليه — إذا كنت تريد أن تتقبله. فلا محاجّة ولا جدال ولا اهتمام أيضاً بالجماعات التى تكافح السكر. فإن أعضاءها ليسوا مصلحين، وهم لا يعنون بالجنس أو الدين، ولكنهم يشعرون أن مما له شأن عظيم أن يكون لك إيمان بقوة أكبر منك، لأن وجود هذا الإيمان، أو وجود شىء تعتمد عليه، يجعل الكفاح أسهل.

وقد تساءلت فى رسالة منى إلى الجمعية:

« ما خير كل هذا ؟ » . فأجابتني بقولها : « سيجيئك الجواب يوماً ما ، فإن أمامك سنين عديدة باقية ، فلماذا لا تجعلها جديرة بأن تحياها ؟ وهنـاك أناس آخرون مثلك تستطيع أن تساعدهم ، وليس أعون على نسيان نفسك ، من أن تعين غيرك » .

وخطر لى ذات يوم أن أذهب إلى نيويورك وشجعتنى مراسلتى للجمعية على ذلك ، وكان القوم فى مكتب الجمعيـة يشتهون أن يرونى كما أشتهى أن أراهم .

وقد قالوا لى فى خلال الحديث أنى سأظل دائماً نزّاعاً إلى الشراب . وأكثر النـاس يفقدون الرغبـة فى الشراب يوماً ما ، ولا يغريهم به أن يجـدوه حاضراً ، ولـكنى أنا أحدهؤلاء القليلين المساكين الذين لا يزول الخطر عنهم أبداً ، فلست أستطيع أن أنظر إلى الخمر ، أو أشمها أو حتى أن أفـكر فيها ، وأنا آمن ، لأنها تحرك تلك النزعة الباطنة ، فلو أنى زللت الآن ، لـكان من المحقق أن لا أقوى على خوض هذه المعركة مرة أخرى ، فالشراب فيما يتعلق بى ، معناه الموت .

وفى مقر الجمعية إحصاءات تدل على أن ٥٠ فى المئة ممن يتقدمون إليها برغبة صادقة فى الـكف عن الشراب ، يقلعون على الفور وأن ٢٥ فى المئـة ينقطعون عن الخمر بعـد زلـّة وزلتين ، أما البـاقون فبعضهم يخفق كل الإخفاق ، والبعض لا يبقون على اتصال بالجمعية ، وغيرهم يجـدد الاتصال ويكفّ . وهناك فريقان لا تستطيع الجمعية معاونتهما : ضعاف القلوب الذين يلهون بفكرة الـكف عن الشراب وأولئك المصابون بمرض عقلى ، أو بآفة فى الدماغ .

وقد قوّى عزيمتى اتصالى بالقـوم فى نيويورك ، وأفادنى بصراً أنفذ بخطر العلاج الروحىّ . ولست رجلا متديناً ولـكنى فى خلال خروجى من عالم الإدمان بدأت أفطن إلى وجود قوة خارجية تعمل لخيرى ، وقد أدركت هـذا ببطء أثناء سيرى الطويل وحدى فى الريف . وبدأت أشعر أنه لا بد للحياة من نهج مرسوم ، فحاولت أن أبتهل إلى تلك القوة التى لا تدركهـا الأبصار .

وهذا التغيير الذى تساعد الجمعية عليه ، قريب الشبه بالهـداية الدينية ، بل الأمر واحد إذا كان صادقا ودائماً . وإنى لأرى الآن أن معظم الخيبات راجع إلى عدم التسليم بقوة أعظم من الإنسان . وقد لقيت تشجيعاً آخر لا من الجمعية وحدها ، بل من أصدقائى أيضاً . ومتى استعاد الإنسان قدرته على أن يكون فى الحياة حياً نافعاً ، واسترد الثقة بالنفس والإيمان بالمستقبل . فإن شيطان الإدمان يمكن أن يقهر . وأنا أعتقد ، وكذلك يؤكد لى أصدقائى ، أنى قهرته .

« طبيبة عيون إنجليزية تسرد حقائق تبعث الاطمئنان فى قلب كل من فقد إحدى عينيه » .

[illegible]

فيليس ديوك إلدر[1] • مختصرة من مجلة " هايجيا "

ليس العَوَر نقمة كما نتوهم ، فإن الأعور يحسن البصر كما كان يحسنه قبل فقدان عينه ، وسرعان ما يتعلم كيف يقدّر الأبعاد ، ويعمل ما يتطلب دقة البصر ، كذى العينين سواء بسواء .

ولهـذا من الخطر ما له عند كثير من الناس حتى فى زمن السلم ، ففى إحدى السـنوات مثلا فقد ٥٠٠٠ شخص فى الولايات المتحدة إحدى العينين أو كلتيهما وذلك فى المصانع ليس إلا . أما فى الحرب ففقد العين مشكلة عظيمة ، وقد بلغت إصابات العيون فى الحرب العالمية الأولى اثنين فى المئة من مجموع الإصابات . وفى الحرب العالمية الثانية أدّت كثرة اسـتعمال الألغام والقذائف المنكـّرة والقنابل اليدوية التى تحدث جروحاً متعددة ، إلى مضاعفة هذا المعدّل تقريباً .

لقد عالجنا فى مستشفانا ألوفاً من الجنود الذين فقدوا عيناً واحدة ، وأصبح لزاماً أن يدرّبوا حتى يعودوا إلى الحياة العسكرية أو الحياة المدنية غير عابئين بما يلحّ عليهم من شـعور بالنقص يسحق قلوبهم . وأهم ما يحتاجون إليـه فى هـذا التدريب هو معرفة الحقيقة البسيطة مفرغةً فى تعبير بسيط ، وإليكم ما نقوله لهم :

كل من فقد إحدى عينيه توهّم أنه فقد نصف مجال البصر ، وليس هذا حقا ، فإن الخسارة لا تتعدى الخمس من مجال البصر على التقريب ، وهى خسارة ليست بذات بال . فنحْن جميعاً إنما نمدّ البصر إلى الأشياء الخارجة عن نطاق هذا المجال ، بتحريك العينين والرأس على الدوام بغير وعْى منا . ولا يلبث الأعور غير قليل حتى ينمّى هذه العادة ، فيصبح بَرَمه بالعجز من التفاهة بحيث لا يشعر به .

نعم قد يلحق بعض الضعف حاسة تقدير الأبعاد ، غير أن المرء لا يدرك هذا الضعف إلا فى تقـدير المسافات القريبة التى تبلغ قدمين أو نحو ذلك .

(١) الليدى ديوك إلدر طبيبة عيون ، كانت طوال سنوات الحرب كبيرة الأطباء فى مستشفى السنترال بإنجلترا ، حيث عولج عشرات الألوف من المصابين فى عيونهم .

أما تقدير ما فوق ذلك من الأبعاد ، فيتم أكثره بأعمال يتولاها المخ سواء أكانت للمرء عين أم عينان . ففي أول الأمر يصب الأعور القهوة في الطبق لا في القدح ، ويعسر عليه أن يولج الخيط في الإبرة ، ويرتبك في تأدية أي عمل ميكانيكي يتطلب الدقة والإحكام . ولكن هذا الارتباك سرعان ما يزول بشيء من العناية والمثابرة ، ثم يتعود المخ بالتدريج أن يبني حسابه في تقدير الأبعاد على أشياء غير الرؤية وحدها.

وقد ينشأ طفل إحدى عينيه ضعيفة البصر أو عمياء ، فإذا كبر رأيته يعمل كما يعمل السليم العينين من لداته ، فإن مخه يعتمد منذ البدء على عين واحدة ، فيؤدي عمله أكمل أداء . والأغلب أن يشب الطفل وهو لا يكاد يدرك أنه مصاب بعاهة ، وإذا قيل له إن له عيناً لا تبصر ، لم يصدق ما يسمع .

ولكن الرجل إذا أصيبت عينه ففقد بصرها ، صار لزاماً عليه أن يتعود الرؤية بالعين الباقية دفعة واحدة . ومن أجل ذلك يحس في البدء بالحيرة والارتباك والقلق والكلال ، وإن كان أكثر من يصاب في إحدى عينيه يتغلب على هذا الشعور في بضعة أشهر .

على أن الآثار النفسانية التي يورثها العور تكون أعصى على العلاج في أغلب الأحيان. وهي مبعث تلك المخاوف المتطاولة الأكالة التي تنخر في الحياة ثم تقوضها .

وأشيع هذه المخاوف وأدعاها إلى الكرب والضيق هو الخوف على العين الباقية أن يعييها القيام بعمل العينين جميعاً ، فتغيض قواها هي الأخرى على مر الزمن .

وليس هذا بحق ، فإن العين كمصورة السنما تلتقط الصور باستمرار ، غير حافلة شيئاً بأختها تعاونها أو لا تعاونها . نعم إن أولئك الذين يفقدون إحدى العينين قد يشعرون في بدء الأمر بالتعب وبالصداع . ولكنها متاعب لا تلبث أن تزول ، وهي تختلف كل الاختلاف عن كلال البصر . وليس علاجها في الإقلال من عمل العين. بل في الإكثار منه ، مع فترات للراحة طوال الأسابيع القلائل الأولى ، إلى أن يألف المخ عمله الجديد ، فتكون العاقبة أن يقوى الأعور على تأدية أي عمل يتطلب الغاية في حصر البصر ويجيد ذلك ، وبرغم المخاوف الشائعة بين الناس ، لا تصاب عينه بضرر .

ومما يهول الأعور على الدوام أن تكون عاهته قد شوهت مرآه تشويها لا يستر . ولكن الجراحة قد ارتقت رقياً عظيماً ، وأصبحت الأعين الصناعية في فن التجميل

الحديث من الكمال بحيث صار التشويه عند الناس وهماً غالباً لا حقيقة واقعة .

وعجيب أن يفقد الرجل ذراعاً أو ساقاً فلا يخشى فقدان ذراعه أو ساقه الأخرى ، فإذا فقد عينه انتابه الخوف على أختها، فأخذ يشيح عن الضوء حتى لا يؤذيها ، ويتجنب عمل المصانع كي لا تضار عينه ، بل يتحاشى كل ما ألف الناس من شئون الحياة ونشاطها مخافة أن يلحقه أذى . وتدل الإحصاءات على فساد هذه المخاوف، والواقع أن الأعور لا يتعرض إلا لنصف ما يتعرض له ذو العينين من المخاطر . وقد ظهر من بحث شامل حديث في الصناعات الخطرة في إنجلترا ، كصناعات التعدين ، ومصانع الصلب والحديد ، والمصانع الكيميائية وما شابهها ، أن معدل الحوادث بين العور ضئيل جداً .

لقد كان نلسون أشهر أمراء البحر الإنجليز أعور، ومثله قائد من أكبر القواد هو الفيلد مارشال اللورد ويفل نائب الملك في الهند الآن . ومع ما يبدو من حاجة الطيران إلى البصر الحديد ، فإن الطيار الذي بلغ الغاية في الطيران حول العالم هو الطيار الأمريكي الأعور ، وايلي بوست . وثمة رجل كان يقوم بعمل فريد من أشق الأعمال يتطلب الدقة والإحكام ، هو طبيب العيون الأمريكي الشهير في الجيل الماضي الدكتور جون هويلر الذي فقد إحدى عينيه في منتصف حياته الطبية، فراض نفسه على جراحة العين كأدق ما كان يفعل وأحسنه .

وكان في مستشفانا مريض لاعب جولف محترف ، وأصيب بجرح في عينه اقتضى استئصالها ، وذات يوم تبرع فجأة للمستشفى بثلاثين جنيها ، واعترف بأنه أراد أن يبرئ ذمته. وذلك أنه تسلل من المستشفى خفية ليختبر كفايته القديمة في لعب الجولف في مباراة ففاز بالجائزة الأولى، وعاد فتسلسل إلى المستشفى كما فارقه لا يراه أحد . وثمة أعور آخر فاز في مباراة الرماية وعاد إلى الخدمة العسكرية ، وانتهت الحرب وهو في فرقة من فرق المدافع المضادة للطائرات ضربت رقماً قياسيا فيما أسقطته من القنابل الطائرة . وهذا ثالث كان محاميا فقد إحدى عينيه وأصاب الأخرى بعض الأذى ، ومع ذلك فلم تمض ثلاثة أشهر حتى صار يقود سيارة في شوارع لندن المزدحمة .

لقد دلت التجارب أن العَوَر ليس عاهة تعوق المرء عن العودة إلى العمل النافع ، فإن الأعور يستطيع ، إما بفطرته وإما بشيء من الإرشاد ، أن يزاول أعماله على خير وجه وهو مطمئن النفس سعيد .

« جن جنون الطبيعة ، وانطلق الإعصار المدمر ، »
السونجبت فينة من غوائله بشىء مستحيل قد تم ،

سفينة في إعصار

روبرت إسون رو

ربان السفينة الأمريكية "بيجل"

كنا بعض قافلة كبيرة أخذت تدنو من أوكيناوا فى فجر يوم الأحد ١٦ سبتمبر ١٩٤٥ . وقد بدأ البحر يصطخب ، والمطر يزداد انهماراً ، والرؤية تشقّ على البصر . فلم يكن بدٌّ للسفن من أن تبدِّل مواقعها ، وهى تحاول أن تدخل خليج بكنر ، حتى تظل كلٌّ منها بمنأى عن الأخرى .

وفى الساعة الثامنة تبينتُ مدخل الخليج ، وقد تبينته حين رأيت كل السفن بدأت تخرج منه ، كأنها هجـــرة عامة . وحوالى الثامنة والدقيقة الثلاثين ، التقطت رسالة فحواها أن جميع السفن فى الخليج تلقت أمراً بأن تغادره ، وأن تمضى جنوباً حول الجزيرة ، ثم تيمِّم شطر الغرب لتنجو من شرّ الإعصار . وقد كانوا يتوقعون الإعصار ، ولكنه هبَّ قبل موعده بيوم كامل ، وعلى مئتى ميل غرباً من حيث توقعوا أن يكون .

فحثثتُ رجالى على إنزال الظُّلل المنشورة على متن السفينة ، وعلى ربط الأشياء غير الثابتة ربطا محكما ، وفى الوقت نفسه أدرت السفينة نحو البحر واتجهت قليلا جنوبا إلى الشرق ، لأجتنب التورّط فى زحمة القافلة ، ونحن فى جوّ تشقُّ الرؤية فيه . وآنستْ نفسى أن الإعصار أدنى كثيراً إلينا مما ينبغى أن يكون ، وكنت قد عزمت أن أتجـه جنوبا فى الساعة الأولى بعد الظهر ثم غربا فى الساعة الخامسة ، وهذا مسيرٌ يجنبنى طرف الجزيرة الجنوبى ، فقد كرهت أن تلطم السفينة حواشى الإعصار ، فتقذف بنا على صخور الساحل .

كتب الضابط روبرت إسون رو ، رسالتين إلى أبويه وصف فيهما ما لقيه هو وسفينته بيجل من هول الإعصـــار ، واختصرت الرســالتان فى هذا المقال .

فلم تكد تبلغ الساعة العاشرة والدقيقة الثلاثين ، حتى كانت « حاشية الإعصار » شيئاً مخوفاً . فقد جعلت الأمواج تتعالى والرياح تشتد ، والعلم عند الله ، أين كانت سائر سفن القافلة فى تلك الساعة ، فلم يكن على مرأى منا سوى سفينة واحدة — سفينة المستشفى « كومفرت » ، ولم أرها إلا لماماً.

وأخذ اتجاه الريح وموج البحر يتغير فى تلك الساعة ، فإذا لبثنا فى مكاننا نجونا من دفع الريح وتكسر الأمواج علينا . وكذلك بدأت فى الساعة الواحدة بعد الظهر أحوّل اتجاه السفينة ، فكان جهاداً شاقا ، ولكننا تمكننا بعد ثلث ساعة من الدوران بها نصف دائرة ، حتى صار مقدمها إلى الغرب الجنوبى ، وإذا بنا نتبين السفينة « كومفرت » تومىء إلينا بأضوائها وتسألنا عن وجهتنا ، فقلت إن وجهتنا درجة ١٩٠ ، فجاء الجواب المحيّر بعض الحيرة ، أن وجهتها ١٥٠ (إلى جنوب الجنوب الشرقى) وأنها عاجزة عن أن تستدير فى البحر أكثر مما استدارت. وأطبق الجو علينا فلم نر بقية رسالتها ، والواقع أننا لم نرها مرة أخرى .

ولكننى أظن أن ربّانها كان يحاول أن يقول لنا إنه من الخير أن نلازمه ، وكان الموج آخذاً فى الارتفاع ، وكان فى وسعى أن أرى من مرقب السفينة ذروة الموجة المقبلة . وكذلك جاهدت حتى اتجهت يساراً ، فصارت وجهتنا درجة ١٥٠ ، أى صرنا محاذين للسفينة كومفرت . وهذا جعل الريح تهب على جنب السفينة الأيسر ، وهو وضع يهوّن عليها أن تركب متن الماء المائج.

وقد تعذر الدوران على السفينة كومفرت أكثر مما تعذر على ، لأنها عالية الجنبين كسفن الركاب ، ولها برج عال معرض للريح . وأما سفينتنا « بيجل » فكانت مثقلة بشحنها ، فلم يكن ارتفاع وسطها عن سطح الماء يزيد على ست أقدام ، وأما مقدمها ومؤخرها فكانا أعلى قليلا ، ولم يكن لها برج مرتفع . واطرد سوء حالة الجو بعد الظهر ، وقد أخذ التعب يدب فى أوصالى ، فقد مضى على ثلاثون ساعة لم أبرح مرقب السفينة . وفى نحو الساعة الثالثة ظننت أن الإعصار قد بلغ أوجه ، وأننا فى قلبه ، فأمرت الرجال أن يتجمعوا فى وسط السفينة ويبقوا هناك . ولم تنقض ساعة حتى عجزوا جميعاً عن البقاء على متن السفينة ، لأن الأمواج كانت تكتسحه ، ولو أقام بعضهم عند مؤخرها لحال طغيان الموج بينهم وبين رفاقهم .

وقد خيل إلى أن العاصفة قد بلغت أفظع شدتها ، لأنى أبيت أن أصدق أن ثمة ماهو

أقطع . وقد بلغت الريح من الشدة مبلغا يشق على الواصف ، وكان الموج المتلاطم يسامى رؤوس الصوارى . وقد خيل إلى وأنا فى المرقب ، أننى فى زورق صغير لا فى سفينة حمولتها ١٤ ألف طن ، ولكنها كانت سفينة صالحة لركوب الموج ، فهى تسمو على متون الأمواج ولا تنفذ فى جوفها إلا قليلا ، غير أن الرياح القوية كانت تكسر ذرى هذه الجبال ، فإذا تكسرت لطمت مقدم السفينة لطما شديداً . وكانت كل موجة تتكسر تدفع مئات الأطنان من الماء على البرج الأمامى ، ثم تتدفق هادرة فتصدم البرج الأوسط .

وخلال ذلك كان يلحقنا بعض الأذى ، فقد طار مصباح الجنب الأيسر ، ثم انفلت خمسة عشر برميلا من زيوت التشحيم والبنزين ، وجعلت تتدحرج على مؤخر السطح ، وعجزنا عن أن نربطها ثانية أو أن نلقها فى البحر ، فلم يكن فى وسع أحد أن يدنو منها . وما لبث معظمها حتى تشقق وإذا الزيت والبنزين يسيلان فى كل مكان ، ومن حسن حظنا أن الماء كان يجرفهما ساعة خروجهما من البراميل

وجاءتنى أنباء المصائب تترى — هذا زورق نجاة جرفه الماء ، وهذا زورق آخر قد تحطم ، وهذه حبال قد تقطعت . وقد عجب البحارة لأنى لم أحفل بهذه الأشياء . وسبب ذلك أن حالة الجو ، وعجلة القيادة ، ومحركات السفينة كانت تثير مخاوفى . ولو ذهبت المداخن لما باليت ما سلمت السفينة.

ولم يقوّ ثقتنا المتداعية ما كان يذيعه مكبّر السفينة ، فجميع السفن من حولنا تستغيث ولن نستطيع أن نغيثها حتى تسكن العاصفة . ومن ربابينها من يقول : « إنى هائم على وجهى ، وقد فقدت سيطرتى على سفينتى . أقدر موقفى ... » أو « سفينتى على الصخور وقد بدأت تتحطم ، سأصدر الأمر بمغادرتها » أو « نتوسل إليكم أن تغيثونا إن كان ذلك مستطاعا » ، حالة تورث الحسرة والإشفاق ، وكان أكثرها سفنا صغيرة — كمثل كاسحات الألغام . ولست أدرى كيف استطاع بعضها أن ينجو .

وحاولت جاهداً أن أتذكر ما تعلمته عن خواصّ الأعاصير ، ولبثت أترقب انحراف اتجاه الريح من الشرق إلى الشمال الشرقى ، وما استطعت أن أنسى أن جزيرة أوكيناوا كانت ورائى إلى الغرب ، وأن العاصفة تتقاذفنى فى هبوبها على الجزيرة . فمضيت فى اتجاه جنوبى شرقى ما استطعت ، مع أن ذلك كان اتجاه مركز الإعصار ، ولكننى كنت أرجو أن أعبر إلى الجنوب من الجزيرة . فإذا ما انحرفت الريح إلى اتجاه

شمالى ، تبعتها لكى تبقى وجهة سفينتى إلى عرض البحر .

وفى نحو الساعة الرابعة بدأت الريح تنحرف رويداً رويداً كما توقعنا ، ولكنها كانت أشد هبوباً، لو كان فى شدتها مزيد. وفى نحو السادسة ، كانت الريح تهب من الشمال وكنا قد تبعناها ، فإذا نحن نتجه شمالا، ولكن الموقف كان مذهلا .فلم يكن فى وسعى أن أرى الماء ، وكان كثير منه يطير رذاذاً فى الهواء فلا أرى سطح البحر، ولا سطح السفينة حيث قام البرج الأمامى . ولم أر من البرج إلا قمته وجنبيه أحيانا ، فأدرك أن مقدم السفينة لم يغمره الماء وكان الصارى الأول أمام المرقب ويبعد عنه أربعين قدما، فلم أتبينه فى الظلام إلا نادراً .

وأظن أنها كانت بعد السادسة قليلا ، حين قال لى مدير الدفة : « إن عجلة القيادة تضطرب يا كبتن — ولا أستطيع أن أحفظ السفينة فى مسارها » فجزعت ، وكان الملازم أوجدن معى فى المرقب ، فمضى من فوره إلى غرفة المحركات ليأتى بمساعد الميكانيكى ، فيزحفان حتى يبلغا سلما يصعدان عليه إلى حجرة توجيه السفينة .

فاعتصمت بعارضة خشب وابتهلت إلى الله، ولست ممن يثرثرون عما يكون من استجابة الدعاء و« المعجزات» ، ولكن تقع أحيانا حوادث تكاد تكون مستحيلة .

وبعد انقضاء عشر دقائق أو نحوها على ذهاب أوجدن قال مدير الدفة : « حين أمسك العجلة حتى لا تتحرك ، تنحرف السفينة أولا إلى اليمين مقدار ١٥ فى الألف من الدرجة ، ثم إلى اليسار مقدار ٢٥ فى الألف» . وكان معنى هذا أننا نستطيع أو نبقى متجهين إلى الشمال الشرقى ، مع انحراف يبلغ ٢٠ فى الألف على المعدل . فحمدت الله.

وبعد فترة طويلة عاد أوجدن . فقال : إن حجرة آلات التوجيه قد غمرها الماء إلى الوركين، فقد زال غطاء أحد المنافس، وصار الماء يتدفق بعد كل موجة تكتسح السطح . وكان محرك الدفة معطلا ، والماء قد ارتفع إلى مستوى الأسطوانات ، وصار تزييت الكباسات مستحيلا ، وتروس العجلة لا تتحرك لما داخلها من الخشب وسائر الأنقاض التى حملها الماء ، وكانت الدفة مستعصية لا تتحرك. فقلت له : لا ريب فى إنها تتحرك قليلا ، لأننا نستطيع أن نوجه السفينة بعض التوجيه . وليس ثمة شك فى أنها تحركت مراراً حين كان فى حجرة آلات التوجيه ، ولكنه أصر على أنها لم تتحرك ، ولعله حسبنى مخبولا أهذى — ولم يقتنع حتى راقب البوصلة بنفسه .

فأرسلنا فريقاً من الرجال إلى حجرة التوجيه ليسدوا المنفذ فيقف تدفق الماء — أو يقل . وقد استطاع هؤلاء الأبطال أن يفعلوا ذلك .

ولا أرى كيف أصف حال الجو ، فالأمواج كانت كالمردة تبلغ ستين قدماً أو ثمانين فى ارتفاعها . وقد أخذ الرعب بعض الرجال لما رأوا فى الساعة السادسة ليلا ، وما وافت الثامنة حتى تضاعفت شدة الريح ، ولم يكن فى يدى وسيلة أقيس بها سرعتها سوى زمجرة الريح ، فقد كانت ضجتها بين حبال السفينة كعزيف الجن .

وكان البارومتر آخذاً فى الهبوط ، فما وافى الأصيل حتى جعل يهبط هبوطاً سريعاً — ١٢ درجة إلى ١٤ درجة فى الساعة ، فجحظت عيناى وأنا أقرأ الأرقام .

ويغلب على ظنى أن الساعة كانت نحو الثامنة ، حين دمّر الماء والريح زوارق النجاة على جنب السفينة الأيسر ، أما كيف استطاعا أن يلويا قضبان الحديد كأنها قشّ هشّ ، فمن العجب الذى لا يتصوره عقل.

وفى نحو الساعة التاسعة والدقيقة الثلاثين حل أوجـدن محلى ، وقد كدت أعجز عن الوقوف ، فتهالكت على سريرى وأغفيت غفوة ، ولكنه أيقظنى فى الساعة العاشرة والدقيقة الثلاثين لأن حالة الجو ساءت . وظللت بعد ذلك قائماً ، ولكن الغفوة جددت قواى ، إلا أننى أحسست ألماً شديداً فى ساقى فقد توترت عضلاتهما من كثرة ما جعلت أميد مع السفينة ساعات عديدة لكى أظل منتصباً لا أقع . وكانت حالة الجو قد ساءت حقاً ، وظلت شدة الريح فى ذروتها سبع ساعات — من الثامنة مساء إلى الثالثة صباحا — ولكننى لا أذكر أننى باليتها كثيراً ، ولعل بالغ اهتمامى بحال الدقة حال دون ذلك .

ومضت الريح تنحرف وتدور ، ولكننا استطعنا بشِقّ الأنفس أن ندير السفينة حتى تبقى الريح تهبُّ عليها من اليسار ، وفى كل مرة استطعنا أن نقف انحراف السفينة قبل أن يستفحل . فلما وافت الساعة الحادية عشرة ليلا حتى كانت متجهة شمالا إلى غرب ، وإذا بنا نرى على حين فجأة وهجاً إلى يمين مقدمها ، فوجب قلبى وجيبا شديداً ، فإذا كان الوهج دليلا على سفينة ، فنحن بخير ، أما إذا كان دليلا على جزيرة أوكيناوا ، فنحن فى مأزق ، لأن الريح تدفعنا إليه دفعا . فبعثنا إشارة ، فلما لم نتلق جوابا قلنا إنه ضوء على الشاطىء . وكنا نعلم أن فى منطقتنا شاطئا ، ولكن قلوبنا تحطمت جزعا حين أدركنا أنه قريب

كل هـذا القرب . فلجأت مرة أخرى إلى الدعاء ، ثم أعلنت أننا سنستدير ونتجه جنوبا، ولو كانت الريح على يميننا . وظن أوجدن أنى أهذى. وعلى كل حال أمرت أن تدار عجلة القيادة ، وأقسم بالله أنها استجابت ليدى البحار ، وغيرت السفينة اتجاهها . فلما دخلنا حجرة الخرائط لـكى نحتفل بنجاتنا بتدخين سيجارة ، كان لون أوجدن ممتقعا ، فأمرته أن يذهب فينال قسطا من الراحة، فمضى . ثم وجهنا السفينة إلى الجنوب فى اتجاه غربى يسير كما نشاء . وقبل أن تدق السـاعة الواحدة بعد منتصف الليل ، اختفى ضوء الشاطىء ، فكان ذلك دليلا على أننا وفقنا إلى السير جنوبا .

وكان كل رجل قد ارتدى منطقة النجاة منـذ الزوال ، ولم يكن بى حاجة أن آمر أحداً بارتدائها . وكنت أنا الرجل الوحيد الذى لم يرتدها . وقد كنت شـديد الرغبة فى ارتدائها ، ولـكننى لم أتعود لبسها من قبل ، فإذا لبستها الآن . ذاع بين الرجال أن الربان قد استبد به الخوف كما تذيع النار فى الهشيم . وكيف يستطيع ربان سفينة أن يبدو رابط الجأش مطمئن النفس ، إذا أقبل على عمله وهو يرتدى ما يدل على تأهبه لهجر سفينته ؟ وكذلك وقفت بين الرأيين ، فأخرجت منطقة النجاة من مكانها ، ووضعتها على الـكرسى فى مكتبى .

وفى نحو الساعة الثالثة من صباح الاثنين ١٧ سبتمبر خفّت سَوْرة العاصفة ، ثم صرنا بعـد الساعة الثامنة قادرين على أن نروح ونغدو فى السفينة . وكان التلف بادياً فى كل سطح من سطوحها ، سوى سطح المرقب ، فقد حطمت الريح مثلا باباً من خشب البـلوط سمكه بوصتان ، إذ نسفت الباب وإطاره .

وشرعنا لساعتنا ننزح الماء من حجرة التوجيه ، فاستطعنا أن ننزل إليها عند الظهر ونلقى عليها نظرة . ومنذ خفت شدة العاصفة لم نحاول أن نوجه السفينة .

أثبت الفحص أن تروس العجلة مستعصية، وأن وسائل التحريك عن بعد معطلة أيضاً ، فكان مستحيلا أن تحرك الدفة بتحريك عجلة القيادة فى المرقب ! ومع ذلك فقـد ظلت السفينة خاضعة لسيطرتنا طوال أفظع ليلة مرت بنا . وليس بيننا من يستطيع أن يعلل ذلك تعليلا مقبولا ، فليس له تعليل. وكلما ذكرته اعترتنى قشعريرة تدب فى أعضائى .

وفى الساعة الثانية بعـد الظهر ، كانت حجرة التوجيه على ما يرام ، ولـكن المـاء قد جرف أجهزة التوجيه عن بعـد ، فاضطررنا أن نسير السفينة بالعجلة القائمة

فى مؤخرها . فلما تبينا موقعنا ، اعتماداً على الشمس ، اتجهنا إلى أوكيناوا ، فبلغنا خليج بكنر فى صباح الثلاثاء ١٨ سبتمبر .

لقد سلمت السفينة وشحنتها ، ولم نفقد أحداً من الرجال ، ولم يصب أحدهم بإصابة خطيرة ، ولكن السفينة لا تستطيع أن تركب متن البحر ثانية حتى يجرى فيها إصلاح كثير .

وأنا الآن متعب منهوك القوى ، وفى كل مفصل من مفاصلى ألم ، من جراء مَيَدانى واستمساكى بكل ما تطوله يداى حتى لا أقع ، إلا أنى لم أجد بداً من كتابة هذه القصة .

بعد عشرة أيام تعذر على أن أدوّن فى سجل السفينة ما حدث فى تلك الليلة العصيبة . فإذا كتبت : « فى الساعة ٣٨ : ١١ تعطلت آلة التوجيه » عجز القارئ عن أن يوفق بين ذلك وبين قولنا إننا وجهنا السفينة وجهة جديدة . وقد بحثت الأمر بحثاً وافياً عسى أن أظفر بتعليل معقول ، فأيد البحث جميع الوقائع . ولذلك لا أجد مناصاً من أن أسجل الحقائق المتعارضة ، متحفظاً فى تدوينها ما استطعت . وإذا حدث المستحيل كان خليقاً بأن يسجل . ومن حسن الحظ أن سجل السفينة « بيجال » لن يقرأه أحد على الأرجح بعد أن يطوى فى الخزائن الرسمية ، ولن يدعى أحد منا تفسير ما حدث .

وقبل أن ألقى القلم ، أريد أن أقول : إن الذين عرفوا ما حدث يحمدون الله حمداً لا يبلغ اللسان غايته ، فنحن مدينون بحياتنا لذلك المستحيل الذى تمّ .

صورة لفظية

لقد مرنت على أن تقول بعينيها ما يضيّع الناس أوقاتهم فى التماس العبارة عنه بالألفاظ .

[كورى فورد]

OO··OOOO··OO

أعرب فردريك الكبير مرة عن إزدرائه لأحد الضباط ، فاعترض أحد القواد وقال : « لقد خاض هذا الضابط معارك عشر حملات » . فقال فردريك : « هذا البغل أيضا قد خاض معارك عشر حملات ، ولكنه لا يدرى اليوم من أمر الحرب أكثر مما كان يدرى قبل المعركة الأولى .

[هوفان نكرسون ، مجلة « ذى أميريكان مركيورى »]

آن للناس أن يجددوا إيمانهم

نورمان ڤنسنت پيل
مختصرة من مجلة "ومانزهوم كومپانسيون"

في خلال الأعوام الستة الأخيرة ، حذقنا القتل والتدمير ، وعلمتنا الضرورة أن نطرح جانباً ذلك الدرس القديم الذى يدعو المرء إلى حب جاره كما يحب نفسه .

أما الآن ، إذ لاح فجر يوم جديد ، فقد أخذ أمل جديد يختلج فى ملايين من الصدور ، وجعل عامة البشر يحنون إلى الإيمان بشىء أعمق وأخلد من أنفسنا .

ومن الدلائل على أننا تنبهنا مرة أخرى إلى قدرة الإيمان على إحياء النفوس ، هو أن الناس قد زاد إقبالهم على بيوت الله ، وأن المربين يزدادون عناية بالدين فى مدارسهم حتى رجال العلم الذين أطلقوا قوة الذرة المدمرة ، دعوا الله أن يهديهم وهم يعملون . والآن وقد أطللنا من فوق رأس المنحدر على مجهول الطبيعة ، فإنهم يحضوننا على نشدان النجاة من عند الله القوى العزيز .

إن هذا الظمأ العام إلى سلام حقيقى ، لا يمكن أن يطفأ إلا إذا قام عامة الناس من نساء ورجال ، فى كل مكان ، بالدعوة إلى دينهم والعمل به كائنا ما كان هذا الدين . وقد انتهينا إلى زمن صار فيه لزاماً على

> إن صورة العالم بعد الحرب خليقة أن تكون سخرية ، ما لم يتبوأ الدين من نفوس الناس مكانه ، ولو أننا استمعنا جميعاً إلى ما يهيب بنا من أعمق أعماق روحنا ، إذن لما ذهبت تضحياتنا عبثا .
> [لويل توماس]

أهل الأديان جميعاً أن ينتبهوا إلى حقيقة طال إغفال بعضهم لها ، وهى أنه ينبغى لكل امرىء من ذكر أو أنثى أن يحمل دينه معه حيث سار ، متبعاً لأوامره ومتجنباً لنواهيه فى كل شأن من شئون الحياة اليومية . وبذلك تصير حياتهم أرغد وأحفل بالخير والسلام . فإذا آمن بهذا الرأى نفر قليل وعملوا به ، كان خليقاً أن يمتد ويشمل الدنيا كلها ، وعندئذ يتيسر للبشر أن يعيدوا بناء هذا العالم الذى دمرته الشرور .

وكانت قد جاءتنى سيدة شابة أنيقة الثياب تنشد الهداية ، وكان لها زوج مخلص ، وأطفال حسان وبيت جميل ، غير أنها كانت تشعر بالإخفاق والهزيمة ، وتحس أن حياتها عبث ولا معنى لها .

فنصحتها أن تلتمس العـون من قوة أعظم منها ، واقترحت عليهـا أن تسأل الله المعـونة ثلاث مرات فى اليوم على الأقل ، لا لنفسها وأسرتها وأصدقائها فحسب ، بل لمن لا تحب أيضاً .

وبعد أسابيع قليلة زارتنى مرة أخرى، وكان فى محياها من السكينة وعليـه من الوضاءة ما لم يكن هناك من قبل ، وقالت إن متاعبها زالت واحدة بعد واحدة ، منذ توجهت بهـا إلى الله ، وأنها تحس كأنها إنسان آخر ، وسألتنى ماذا تصنع بعد ذلك.

فقلت لها : « إن الدين ، كـكل خـير آخر ، ينبغى أن نشرك فيـه الآخرين » واقترحتُ أن تتصل بامرأة أخرى أعرفها، كانت قد جددت فى المدة الأخيرة إيمانها بالله.

والتقت المرأتان وصـارتا صديقتين على الفور ، وبدأتا تعملان فى هدوء وبحكمة بين معارفهما، وسرت عدوى اغتباطهما الجديد وسكينتهما ، وهما اليـوم نواة جماعة فيها أكثر من مئتين من الشباب وقفوا جهدهم على الحياة الصالحة — وهى حياة لا تقوم على التقوى الكئيبة بل على الغبطة العميقة .

وهكذا الدين ، يسرى وينتشر ، أو هو كما قال كارليل مرة : « يطير كالنار المباركة من قلب إلى قلب». والآن، وفى هذا العصر الذى أورثتـه الحرب الإعيـاء والكلال والشك الرخيص والوثنية الجديدة ، يجب على الناس أن يبثوا هـذه التعاليم الشافية للروح ، بالقول والفعل ، بين زملائهم .

أعرف فتاة تستقبل المرضى فى عيادة طبيب أسنان ، وهى ، على طريقتها الخاصة، تحسن العمل فى سبيل البر والخير والدين ، وهى لا تحـاول أبداً أن تلقى حديثاً دينياً على المرضى الذين يفدون على العيادة ، وإنما تدعو الله لهم فى سرها حين يدخلون ، وهذا فى العادة يلهمها أشياء صغيرة تستطيع أن تقولها أو تعملهـا للتسرية عنهم . وفى صباح اليوم التالى تدق التلفون لمن غادروا العيادة وهم فى ألم مبرّح، وتسألهم عن حالهم.

وقد اكتسبت مئـات من الأصدقاء ، وهؤلاء الأصدقاء لا يلبثون أن يتبينوا أن سر شخصيتها الجميـلة البريئة من الأثرة ، راجع إلى إيمانها البسيط ، فلا يتعذر عليها أن تغريهم بمشاطرتها هذا الإيمان . فلو أن هناك مليوناً من أمثالها لشهد العالم نهضـة دينية بين مساء وصباح .

وحتى فى أحط مراتب المساعى الإنسانية، تتاح الفرص لتحقيق ما أمرنا الله به، فى كل ناحية . وهذا يذكرنى بسائق سيارة مغرم بالغناء لقيته حديثاً .

كنت قد عدت لساعتى إلى نيـويورك بعد أن قضيت ليلتى فى القطار مسهداً ، فلما

عثرت على سيارة أجرة لم يسعني إلا أن أعجب ببشاشة السائق الوضيئة . ثم أدهشني أن أسمعه يسألني إذا كان يطيب لي أن يغنيني .

ولم أكن متحمساً للاقتراح ، ولكني أذنت له أن يفعل ما يشاء . فلما انطلقت السيارة تطوي الشارع ارتفع صوته بدعاء مأثور تغنى به ، وكان صوته قوياً حسناً ، فأنساني التعب في أوجز وقت . ولما بلغت غايتي سألته عن هذا الدعاء ولماذا اختاره ؟

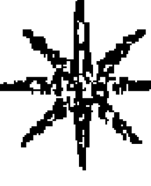
فقال لي إنه في كل صباح حين يهم بأن يخرج بسيارته من الجراج ، يحني رأسه فوق العجلة ويقول : « رب ، إني سأحمل وأنا أخترق شوارع المدينة ، كل صنوف الناس ، وسيكون بعضهم سعداء ، وبعضهم مهموماً ، والبعض متحطماً ، فكن معي يا رب في سيارتي ، وأعنّي على بث السكينة الشافية في نفس كل من ألقى »

وهذا هو الذي يقوي حاجتنا إلى الدين إذا أريد إنقاذ مدنيتنا المهيضة — في السيارات وفي المصانع والمكاتب ، وفي البيوت وعلى قارعة الطريق .

إن خيبة الأمل والحيرة الروحية هما سمة زماننا . وقد طرح كثيرون منا مثلهم العليا القديمة دون أن يعتاضوا منها سواها . حدثني ذات يوم طبيب نفساني مشهور قال : إن ملايين من الرجال والنساء يزحفون في الحياة على أيديهم وركبهم — مجازاً — لا لسبب سوى أنهم يأبون أن يعتمدوا على أية قوة سوى أنفسهم ، وهم يتوهمون أنهم شجعان مستقلون ، ولكن الحقيقة أنهم يسعون إلى التهلكة . وقال: إن الهم والشعور بالنقص قد صارا أعظم الأوبئة الحديثة . والحياة الدينية الصحيحة ، هي من وجهة نظر العلماء والنفسانيين ، هي المثل الأعلى للحياة .

وقد أدرك بعض جيراني مبلغ إلحاح الحاجة إلى الإحياء الديني ، فكونوا حديثاً جماعة ، وشرعوا يوزعون عدة آلاف من الرسائل الدينية كل شهر ، ولا تتعرض هذه الرسائل للمناقشات الدينية وإنما تعنى بأن تشرح « كيف » يكون التدين ، كيف يساعدك الإيمان على مغالبة الخوف والهم ، وكيف يعينك على حسن معاشرة الناس ، وكيف يمكنك من التحليق فوق الآلام والأحزان ، وهذه سبيل تستطيع جماعات أخرى أن تسلكها . وليس في الوسع أن ترسم طريقاً واحداً للنفس الإنسانية ، أو أن تضع خططاً محدودة لتجديد الإيمان . ولكننا جميعاً نستطيع أن نحاول أن نجدد إيماننا نحن ، وأن ننشره بين أصدقائنا وجيراننا . ولنذكر أن الإيمان دائماً قريب منا ينتظر من يصغي إلى نبض الروح .

هــذه طبــائع البشــر



خرجت أتنزه مع صاحب لي فمررنا بملجأ الأيتام في المدينة ، وإذا صبي في الرابعة ، أحمر الشعر ينادي : « بابا ، بابا » . فخيرنا نداؤه ، ونظر كل منا إلى صاحبه ، ثم نظرنا إلى الصبي ، فقال دون أن يسأل : « أعليّ ضير إذا أنا جربت مثل هذا النداء ؟ » فضحكنا ومضينا ، ولكنني لم أستطع أن أنسى ذلك الصبي . وبعد أسابيع ذهبت أزور صاحبي وزوجته ، فوجدت أني لم أنفرد بما ترك نداؤه من أثر في نفسي . فقد وجدت أولاد صاحبي يلعبون في الفناء ، وقد زاد عددهم واحداً ، هو ذلك الصبي الذي ثبت له الآن أن لا ضير عليه إذا هو جرب .

كنا جماعة من الجند قد سرحنا لساعتنا من الجيش ، وكنا في قطار عائدين إلى أهلنا ، فذهبت بعيد قيام القطار إلى عربة الأكل لأحمل إلى أصحابي بعض أقداح من المرطبات . فلما عدت بها وقف أحد أصحابي فجأة فصدم ذراعي ، فاندلق الشراب على ثوب عجوز أنيقة كانت جالسة بقربنا . فجمد لساني خزياً ، ولكنني تمكنت بعد لأي من أن أتمتم : « معذرة ياسيدتي . عسى أن لا يكون الشراب قد أتلف ثوبك » .

فقالت وهي تبتسم ابتسامة لطيفة : « لا تبال يا فتى . وعليّ غن هذا الشراب » .

كان بحار يتردد على مقصف الجنود في نيويورك ، فجاءنا يوماً في ملابسه المدنية ، فأعجبنا جميعاً بجمالها وإتقانها . فروى لنا ما يلي :

« كنت لا أزال في ثوب الجند وعليه شارة التسريح من الجيش ، ووقفت أحدق في واجهة مخزن فيه ملابس الرجال . فإذا أنا أسمع نشيجاً مكتوماً ورائي ، فالتفت فوقع نظري على سيدة نصف حسناء ، ورجل طويل أشيب ، يحاول أن يكفكف دمعها . فهممت أن أسير . فاستوقفني الرجل وقال : معذرة « يا بني . أترضى أن تكلم زوجتي ؟ » فترددت ثم تمتمت : « أهلا وسهلا » . فقالت : « كان ابننا ديف يشبهك شبهاً كبيراً ، وكان بحاراً وقتل في أوكيناوا وكنا قد أعددنا لعودته ... » ثم تهدج صوتها .

« فقال الأب : ترى ... أترضى أن نصنع لك بعض ما كنا ننوي أن نصنعه له ؟ »

لم يسألاه عن اسمه ، ولا باحا له باسمهما ، فكان يناديهما : بابا ، ماما ، وكان كلاهما يناديه يابني . وذهبا به إلى خياط ، وتولت الأم الكلام فقالت : « نريد أن نرى حلة من الجوخ الرمادي ، سترتها مزدوجة الأزرار . فقد كان ديف يحب هذا النمط » . ثم اشتروا له قمصاناً وأربطة وأحذية وجوارب وقبعة . فلما ارتدى حلته ذهبا به إلى مطعم ، فجلس بينهما وطلب ألوان الطعام التي يشتهيها . فلما حانت ساعة الفراق ، ضمته الأم إلى صدرها ضمة الأم الحنون ، واغرورقت عينا الأب بالدمع حين صافحه . فقد تخيل الأبوان لحظة قصيرة ، أن « ديف » قد عاد إليهما .

من اهم ما تم صنعه فى الحرب ، جهاز كراحة اليد ، له شأن عظيم زمن السلام .

الأمواج الدقيقة آتية فى الطريق

شارلس ماشستر

مختصرة من مجلة "سينتفيك أميريكان"

تمكن مئات من علماء أمريكا وبريطانيا وهم وراء ستار الرقابة فى زمن الحرب ، من أن ينتهوا بالراديو إلى نطاق الأشعة المتناهية فى القصر ، المعروفة بالأمواج الدقيقة . وهذه الذبذبات القصيرة الحثيثة الاهتزاز ، أتاحت للعلماء أن يصنعوا طائفة من أجهزة رادار العجيبة ، التى لا يزال عملها أدنى إلى الخوارق . فقد استطاعوا أن يتبينوا بها تبيناً واضحاً طائرات الأعداء على مسافة مئتى ميل ، وكشفوا صواريخ الألمان وأسقطوها بمدافع ترشدها أجهزة رادار وتوجهها ، وحددت القاذفات مواقع المصانع من خلال أطباق الضباب والسحاب ، وأغرقت السفن الحربية فى الليل البهيم سفناً معادية تبعد عنها أميالا . وأعجب من ذلك كله أن هذه الأجهزة استطاعت أن تستكشف البوارق قبل سقوط المطر بساعات .

أما فى زمن السلم ، فسيكون للأمواج الدقيقة نفع أعظم وأعجب . وقد تمّ إنشاء شبكات لتوليد هذه الأمواج وإطلاقها ، وهى تبشر بقرب حدوث هذه العجائب التالية : فهذه مئات الألوف من المكالمات التليفونية الخاصة ترسل فى وقت معاً ، محمولة على منطقة واحدة من الأمواج ، بغير أسلاك ولا أعمدة ولا حبال من الأسلاك ممدودة فى جوف البحار . وهذه مدن يكون فيها لكل امرىء موجة راديو خاصة به ، يستطيع أن يتلقى بها الصوت أو الموسيقى أو صور الأشياء ، وأن يطلب رقم أى تلفون فى البلد بإدارة جهازه المرقوم وحسب . وسوف يقضى قضاء تاماً على ما يكون فى الراديو من لغط ناشىء من الأجهزة الكهربائية أو محطات الإذاعة . وسوف يتسع مجال الإذاعة مئة ضعف ، إذا قيس إلى مجال أمواجه المخصصة اليوم للراديو . وهذه شبكة لإذاعة الصور الملوّنة إذاعة واضحة تشمل البلد . وعسى أن يكون أهم من هذا كله ، إنشاء شبكة عامة من أمواج رادار ، تضبط حركة طائرات النقل ، وتتيح لرجال المطارات فى طول البلاد وعرضها

أن يتبينوا حالة الجو بنظرة واحدة تلقى على الجهاز الخاص بها .

ولن تتم جميع هذه الأشياء معاً ، ولكن البحث العلمى فى زمن الحرب قد جعلها جميعاً ممكنة ، وسيتم لنا بعضها ما بين طرفة عين وانتباهتها .

إن مركز بحث الأمواج الدقيقـــة فى أمريكا ، قائم فى مختبر الإشـعاع فى معهد ماساشوستس التكنولوجى . وقد أنشىء هذا المختبر سنة ١٩٤٠ ، وكان عدد علمائه ومهندسيه ومساعديهم زمن الحرب ٣٨٠٠ نفس ، منهم فريق من أكبر علماء الطبيعة .

وكان رادار يومئـذ فى مهده ، وكان العلماء يعرفون أن الأمواج القصيرة فى طيف الشمس ، قرب منطقة الضوء المرئى ، لها خواص غريبـة ، فهى لا تتبع فى سيرها تكور سطح الأرض ، وإذن فالتقاطها فى مكان ما وراء الأفق كما تلتقط أمواج الإذاعة الطويلة ، أمر متعذر . ولما كانت هذه الأمواج قريبة من منطقة الضوء المرئى فى الطيف ، فإن لها خواص كمثل خواصه ، فالأجسام الصلبة تصـدّ الأمواج الدقيقـة وتعكسها ، فإذا اعترض مسارها بناء أو جبل ، تكوّن للبناء أو للجبل « ظل » فى الناحية الأخرى . ثم إن أمواج الإذاعة العادية تنتشر فى كل جهة من السلك الهوائى الذى تنطلق منـه ، ولا يستطاع توجيهها وجهـة خاصة إلا بقدَر ، ولكن الأمواج الدقيقة ترسل فى شعاعة واضحة المعالم ، كأنها الضوء المنبعث من مصباح كشاف .

وكان العلماء يعلمون ما للأمواج الدقيقة من منافع عظيمة ، ولكن لم يكن بد من صنع المعدات اللازمة للانتفاع بها . وقد كان أحد هذه المعـدات جهاز « المـاجنترون » وهو أنبوب يخدعك ببساطتـه ، ولكن لا معدى لك من أن تعدّه أحد المخترعات العظيمة التى أسفرت عنها الحرب .

هو جهاز مصنوع من فلز ، وحجم بعض الأجهزة يبلغ صُـغره بحيث تضع الجهاز كله فى راحة يدك . وقد صنعه فى أوائل الحرب علماء الطبيعة فى جامعـة برمنجهام الإنجليزية ، فلما تولاه علمـاء مختبر الإشعاع ومهنـدسو شركة بل للتلفون — صار المـاجنترون قلب جهاز رادار الحديث .

وأهم ما تراه فى المـاجنترون سلسلة من فجوات نخرم المفتاح ، محفورة فى قطعة من فلز كطوق الكلب ، وهى تحيط بمصـدر الطاقة . وينطلق تيّار من الكهيربات من خلال هـذه الفجوات ، فينشىء ذبذبات حثيثة الاهتزاز ، كما ينشأ الصفير العالى من اندفاع الهواء فى ثقب صفّـارة ، فتولد هذه

الأنابيب أمواجاً قصيرة لا يزيد طولها على بوصة واحدة ، وفى الوسع توجيهها توجيهاً محكما على مسافات بعيدة ، كأنها خط دقيق من الضوء . وتكاد جميع أجهزة رادار التى قصّرت أمد الحرب وأنقذت ألوفاً من الناس ، تعتمد فى عملها على هذه الأمواج الدقيقة الموجهة .

ولم يلبث العلماء أن تبينوا أن هذا الجهاز المرهف الإحساس متعدد المنافع أيضاً . ففى مارس من سنة ١٩٤٢ كان العالم الدكتور دونالد كار يمتحن جهاز رادار على سطح المختبر ، فتبين « أصداء مزعجة » تمثلت على اللوحة أمامه أشباحاً شعثاً غامضة المعالم ، لا يمكن أن يكون مردّها إلى الطائرات ، أو أى جسم صلب آخر . فخطر له أن سبب الأشباح غيوم مثقلة بماء المطر ، فأنبأ سلاح الطيران ، فهبّ رجاله فطاروا إلى المواقع التى قدرت لهذه الغيوم ، فصدّق الخاطر ، وصار الجيش منذ ذلك اليوم يعتمد على أمواج رادار الدقيقة فى استكشاف العواصف فى المحيط الهادى قبل هبوبها وانهمار مطرها .

وقبل أن تضع الحرب أوزارها ، طلبت الشركات التى تصنع أجهزة المخاطبات والكهرباء ، أن تصرح لها الحكومة بمد الشبكات الكهربائية اللازمة للتلفزة والراديو والتلفون ونقل الصور . وقد شرعوا فى إنشاء طائفة منها ، واستولوا على القمم التى تصلح لرفع العمد العالية التى تلتقط الأمواج ، ثم تعيد إذاعتها إلى المحطة التالية .

وقد خطت شركة « ريثيون » الخطوة الأولى فى إنشاء شبكة من الأمواج الدقيقة تعم البلاد كلها . وهى اليوم معنية بأن تصل مدينة نيويورك بمدينة بوسطن ، ورجالها يشيدون ستة أبراج على ست آكام بين المدينتين ، يبعد كل منها عن الآخر ٣٥ ميلا ، فينقل الأمواج التى يتلقاها إلى البرج الذى يليه . وهمّ الشركة متجه إلى أن تربط فى آخر الأمر بين المدن الكبيرة وكثير من مناطق الريف ، بأسباب من الأمواج الدقيقة .

وإذا طلبت دليلا آخر على هذا الانقلاب فى المخاطبات ، فإنك تصيبه فما أعلنته شركة « وسترن يونيون » ، من الاستغناء عن أعمدة التلغراف متى تم استعمال الأمواج الدقيقة . وقد أنشأت هذه الشركة حلقة لتجربة التجارب تصل مدينة نيويورك بمدينة فلادلفيا ، وهى تستعمل أمواجاً طولها ثلاث بوصات ، تستطيع أن تنقل بها ١٢٨٠ رسالة برقية فى وقت معاً . وهى تنوى أن تعمم هذه الطريقة حتى تشمل البلاد الأمريكية ، فيكون ذلك قضاء على أسلاك طولها ٢٫٣٠٠٫٠٠٠ ميل ، تراها اليوم محمولة على الأعمدة أو ممدودة تحت الأرض

لنقل الرسائل البرقية . فإذا تم هذا العمل ، كفل للناس وفراً كبيراً فى مراسلاتهم .

وإذا لم يزد طول الأمواج الدقيقة عن قدر بعينه، أمكن إرسال تيارها فى «أنابيب» تمد فى جوف الأرض . وقد مضى زمن على شركة التلغراف والتلفون الأمريكية ، وهى تتعهد نظاماً يمكنها من أن تمد تحت الأرض أسلاكا بعيدة المدى تحمل رسائل كثيرة فى وقت واحد ، ثم توجه عليها أمواجاً تبلغ من القصر مبلغاً يجعلها غير صالحة للانتقال فى أسلاك البرق المكشوفة الممدودة بين أعمدة التلغراف . وفى الوسع أن ترسل على هذه الأسلاك الممدودة تحت الأرض ، مئات من المحادثات التلفونية فى وقت معاً ، وأيضاً برامج التلفزة المعهودة الآن والراديو وغيرها . وقد بدأت هذه الشركة توسع من نطاق هذا النظام حتى يعم القارة ، ولكن الأمواج البالغة الدقة لا يمكن أن ترسل إرسالا صالحاً على هذه الأسلاك . ولما كانت هذه الأسلاك غالية الثمن وعرضة للتلف ، عمدت الشركة إلى الآكام تبنى عليها المحطات لتتخذها أسباباً تحمل الأمواج الدقيقة بين نيويورك وبوسطن ، ثم تقارن نتائجها بنتائج الأسلاك الممدودة تحت الأرض.

وقد تقدمت شركتا وستنجهوس الكهربائية وجلين مارتن للطائرات، بأعجب مشروع فى هذا الشأن . فهما تقترحان أن تركبا محطات للتلفزة فى طائرات تحلق فى الجو ، فتلتقط هذه المحطات المحلقة أمواج البرامج المذاعة من محطات على سطح الأرض، ثم تعيد إذاعتها على الناس، كأنها تنثرها عليهم نثراً من جو السماء . ومعظم محطات الإذاعة التى تعتمد على الأمواج الدقيقة فى إرسال برامجها، يستطيع أن يوصل برامجه إلى أجهزة لاقطة قائمة فى نطاق لا يتعدى خمسين ميلا . ولكن البرامج المذاعة من طائرات محومة على ارتفاع ستة أميال فوق مدينة كبيرة ، يمكن أن تصل إلى الأجهزة اللاقطة فى منطقة أوسع كثيراً . وإذا أذيعت هذه البرامج من طائرات محلقة فى الفضاء ، لم يجد الناس الذين يقطنون الأودية أو قرب المبانى الضخمة ، أى عناء فى التقاطها خالية من كل لغط .

وثمة شركات أخرى — كشركة الآلات التجارية الدولية ، وشركة جنرال إيليكتريك وشركة جوديير — تجرب التجارب بدفع مناطيد ليس فيها طيار إلى طبقات الجو العليا فوق المحيط الأطلسى، ثم تسيطر عليها بأمواج رادار فتتخذها محطات تذاع منها البرامج بالأمواج الدقيقة ، إلى ما وراء المحيط .

ويرى بعضهم أن انتشار استعمال الأمواج الدقيقة ييسر كثيراً من مهام رجال المال

والأعمال . فهؤلاء الرجال يرحلون اليوم رحلات مملة كثيرة إلى مدن بعيدة ، ليحضر أحدهم اجتماعاً خطيراً قد لا يزيد على ساعة . أما فى غد القريب ، فإن التلفزة والتخاطب بوساطة الأمواج الدقيقة، يمكنانهم من شهود الاجتماع والتحادث ورؤية بعضهم بعضاً ، وبين كل منهم ألوف من الأميال .

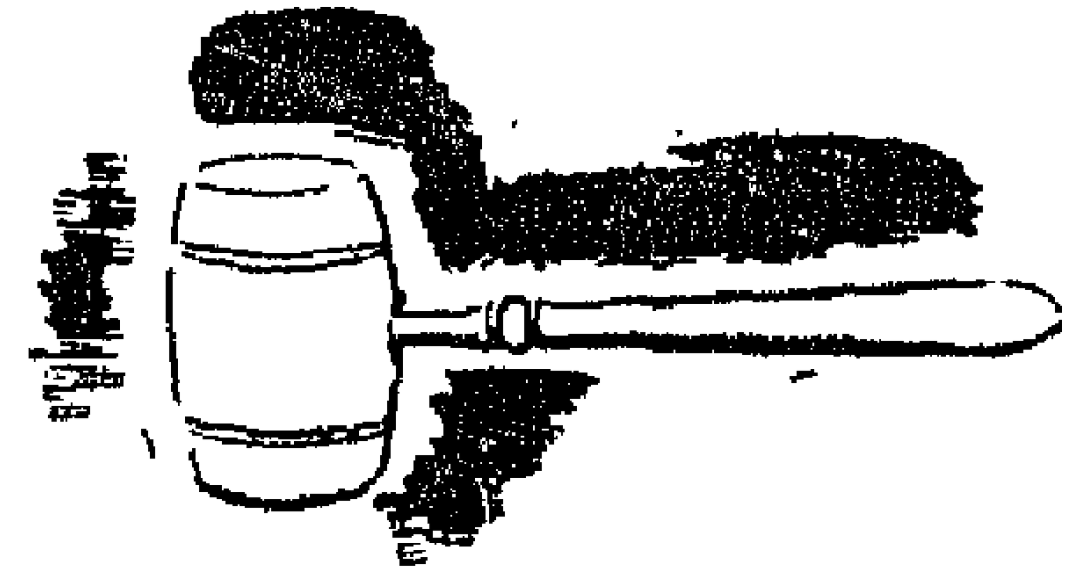
وهناك طريقة جديدة أخرى لاستعمال الأمواج الدقيقة ، سموها « التحكم فى نبرات الصوت » . وحين عرضت أول مرة دخل أربعة وعشرون صحفياً أربعة وعشرين كشكا من أكشاك التلفون ، وبدأ كل منهم يتحدث ، فطارت أحاديثهم فى الهواء خليطاً واحداً من الذبذبات الكهربائية الدقيقة مسافة ثمانين ميلا ، ثم ردت إلى أربعة وعشرين كشكا مجاوراً ، كان فيها أربعة وعشرون آخرون من الناس ، فدار بينهم حديث واضح كل الوضوح أخذاً ورداً . ولولا أنبوب جديد يدعى « سيكلوفون » لما كان هذا العمل العجيب مستطاعاً . ففى هذا الأنبوب جهاز كهربى يدور حول طرف كل من التلفونات الأربعة والعشرين، فيلتقط أطراف الأحاديث بسرعة ٨٠٠٠ مرة فى الثانية ، ثم يرقمها ويرسلها فى الهواء . فإذا بلغت سماعات التلفون فى الطرف الآخر فصلت هذه القطع المختلطة بعضها عن بعض بحسب رقمها وترتيبها ، فيسمع كل رجل حديث صاحبه دون حديث الآخرين . وأما فاصل الزمن بين قطع الأحاديث ، فأقصر من أن تتبينه أذن البشر ، فيجرى الحديث على ما ألفناه بين الناس .

وهذا النظام يمكنك من أن تذيع خليطاً من ٢٥٠ حديثاً تلفونياً ، وإذا تعددت المحطات التى تعيد إذاعة الأمواج التى تلتقطها، استطعت أن تجرى هذه الأحاديث على مسافة ٣٠٠٠ ميل دون مشقة .

وهذا الجهاز يمكن أصحاب محطة إذاعة ، أن يذيعوا عشرة برامج موسيقية أو أكثر فى خليط واحد من الأمواج ، أما الجهاز اللاقط الذى ضبط على طول موجة بعينها ، فيركب فيه ما يمكن صاحبه من أن يختار البرنامج الموسيقى الذى يؤثره من هذا الخليط . ثم إن السيكلوفون يمكن محطة التلفزة أن ترسل الصور والأصوات التى تصحبها على موجة واحدة .

وقد أرادت الحكومة الأمريكية أن يطلق اسم « التجربة » على جميع هذه المشروعات . ولكن نجاحها ، يبدو الآن أمراً لا ريب فيه ، ولن تنقضى بضع سنوات حتى يكون للأمواج الدقيقة أثر عظيم فى حياة الناس وأسباب معيشتهم .

« كيف تفصل فى هذه القضايا المعقدة ؟ قارن منطقك بمنطق القضاة »



كن أنت قاضياً

عندما يواجه القضاة قضايا تنطوى على مشاكل تستعصى على الحل، فكثيراً ما يضطرون إلى الفصل فيها دون استعانة بسوابق القضاء المألوفة . وإليك عدداً من هذه القضايا اختارها هنتنجتون كيرنز المستشار القضائى لدار الفنون الوطنية بوشنطن ، وينج ب . سميث عميد مدرسة الحقوق بجامعة كولومبيا . وكان من الممكن عقلا أن يكون الحكم فيها براءة أو إدانة ، فهل توافق القضاة على ما قضوا به ؟

١ — اصطدمت السفينة وليام براون بجبل من الثلج وغرقت، ونجا معاون الربان وثمانية من البحارة و٣٢ من ركب السفينة فى زورق النجاة . وكانوا على شفا الهلاك ، فإن حافة الزورق لم يكن بينها وبين سطح الماء إلا قليل ، وكان من المحتمل أن يبتلعهم اليم بين لحظة وأخرى . وبذلوا الجهد فى نزح الماء منه فلم يغن ذلك فتيلا ، ولم يبق سوى التخفيف من حمولة الزورق . فأمر معاون الربان بحارته أن يؤدوا واجبهم، على أن لا يفرقوا بين المرء وزوجه ، أو أن يقذفوا بامرأة إلى الماء . فتولى البحار هولمز قذف اثنى عشر رجلا فى البحر ، بغير قرعة . ولم يمض على قذف هؤلاء النفر إلا قليل حتى جُنّ معاون الربان وذهب عقله ، وخلفه هولمز على قيادة الزورق ، ونجا بما بذله من جهود ركب الزورق الباقون .

اتهم هولمز بالقتل ، فهل تدينه أنت أم تبرئه ؟

٢ — كانت أفراخ الدجاج التى خرجت من بيضها منذ يوم واحد تباع فى مدينة سيتل بسعر الفرخ الواحد عشرة مليمات . وعلم رئيس جماعة مفرّخى الدجاج أن اليابانيين قد اكتشفوا طريقة للتفريق بين الذكر والأنثى من الأفراخ . وكان الفرخ الذكر يساوى سبعة مليمات ونصفاً، والأنثى تساوى ٢٠ مليما . فاستقدم اثنين من الخبراء اليابانيين إلى مدينة سيتل ، ولكن حيل بينهما وبين دخول الولايات المتحدة طبقاً لقانون الهجرة ، فأنزلهما بكندا ، وأخذ يرسل إليهما الأفراخ بالقطار السريع ، ثم يعيدها بعد تعيين جنسها .

وفرض عمال الجمارك رسما على الأفراخ المعادة ، محتجين بأن قيمتها قد ارتفعت ،

أو أن حالتها قد تحسنت . وزعم المفرخون أن الأفراخ لم يزد عليها شيء ، وما هو إلا خصيها . فذلك أشبه ما يكون بشراء صورة من بائع أدوات مستعملة بأربعة جنيهات ، ثم إرسالها إلى خبير بلندن لتثمينها ، فيجدها من تصوير رمبراندت ، فيقومها باثنى عشر ألفاً من الجنيهات .

فأيهما على حق ؟

٣ — بينما كانت هيلين بالسجراف واقفة على رصيف محطة سكة حديدية تنتظر القطار ، جاء رجل يحمل حقيبة ويركض ليلحق قطاراً آخر قد بدأ يتحرك فى هذه اللحظة ققفز إلى إحدى العربات ، ولكنه مال كمن يوشك أن يسقط ، فأدركه حارس العربة بعينه ، وأخذ حارس آخر على الرصيف يدفعه فى العربة غير محتفل . وبين ذلك أفلتت منه الحقيبة فوقعت بين القضبان ، وكانت على براءة مظهرها تحوى مفرقعات ، فلم تكد تصطدم بالقضبان حتى انفجرت وتناثرت بعض شظاياها إلى نهاية الرصيف الآخر على بعد ثمانية أمتار ، فأصابت إحداها ميزاناً فوقع على هيلين بالسجراف ، فرفعت على شركة السكة الحديدية دعوى تطالبها بتعويض عمّا أصابها .

ترى أيحكم لها بهذا التعويض ؟

٤ — دخلت حامل قد دنا وضعها مستشفى تعاقدت معه على أن يعنى بها وبطفلها بعد أن يولد . وأجلست المرأة فى كرسى ، ثم وضعت فى مصعد يحملها إلى طابق عال لتفحص فيه . وأدى إهمال قيم المصعد إلى وقوع المرأة من الكرسى على الأرض ، فعلقت قدمها بين أرض المصعد وجدار البئر التى يتحرك فيها ، فأصيبت بأضرار فى قدمها اليسرى وحوضها وجانبها الأيسر ، فرضّ الجنين فى بطنها رضّاً شديداً أدّى إلى ولادته مشلولا . فهب أن المستشفى مسئول عما أصاب الأم ، فهل تحسبه مسئولا عما أصاب الجنين من أذى قبل أن يولد ؟

٥ — حوكمت بغىّ على جريمة قتل فبرئت منها ، وأقلعت عن سيرتها الأولى وتزوجت وعاشت عيشة كريمة ، واستقرت فى بيئة محترمة ، واستصفت بعض أصدقاء كانوا يجهلون ماضيها . ثم ظهرت فى السنما رواية دار موضوعها على ماضيها كما كانت ، وذكر فيها اسمها وهى عذراء بغير إذن منها أو علم . فعرف أصدقاؤها ماضيها الوضيع ، وجعلوها عرضة للتعيير والاستهزاء . فهل تستحق تعويضاً ؟

٦ — هجر جون دو زوجته مارى ؛

وأقنعها أخوه بأنه هلك في سفينة قد غرقت. وبعد ستة أعوام من غيبته لم يسمع عنه شيء فيها، تزوجت ماري من رتشرد رو، وهي تعتقد اعتقاداً صادقاً أنها أرملة. ثم ظهر بعد ذلك أن جون لا يزال حياً، فحوكمت ماري بتهمة تعدد الأزواج بمقتضى قانون ينص على ان من كان متزوجا ثم عاد فتزوج شخصاً آخر في حياة الزوج الأول، رجلا كان أو امرأة، عدّ مذنباً وحوكم لتعدد الأزواج، ما لم يثبت أنه حين تم الزواج الثاني، كان الزوج الأول متغيباً غيبة دائمة منذ سبعة أعوام، وأن الآخر لم يبلغه طول هذه السنين أنه لا يزال حياً. وذكر القاضي للمحلفين أثناء المحاكمة أن اعتقاد ماري وفاة زوجها اعتقاداً صادقاً قائماً على أسباب معقولة، لا ينفي عنها تهمة التعدد بمقتضى نص القانون المذكور، ما دامت قد تزوجت قبل انقضاء سبعة أعوام على غيبة زوجها، فأدان المحلفون ماري، فاستأنفت.

فهل تدان ماري بتهمة تعدد الأزواج؟



الأجوبة

١ — أدان المحلفون هولمز، ولكنهم طلبوا الرأفة به. وكان القاضي الذي نظر الدعوى قد قرر في تلخيص القضية للمحلفين أن اختيار الضحايا بالقرعة كان هو الوسيلة الوحيدة الملائمة في الكارثة التي واجهت هولمز «ولا ريب في أن الانتخاب بالقرعة يوجب الطاعة على المنتخَب، فإذا أبى أن يطيع جاز إخضاعه بالقوة».

٢ — حكم مجلس إدارة الجمارك بأن الأفراخ يجب أن تعاد دون رسم، لأنه لم يطرأ أي تغيير على خصائص البضاعة المستوردة.

٣ — قضى المحلفون بغلبة أربعة أصوات على ثلاثة، برفض دعوى هيلين بالسجراف، إذ ليس من المعقول أن يتوهم حارس السكة الحديدية أن في الحقيبة مفرقعات. ولو كان الراكب الذي دُفع دون عناية هو الذي أصابه الضر من جراء هذا الحادث، لكان له مسوّغ لطلب التعويض، ولكن الحارس لم يكن مهملا فيما يخص هيلين بالسجراف.

٤ — رأت محكمة إلينوى العليا أن المستشفى ليس مسئولا عما أصاب الجنين ، ما دام الجنين الذى لم يولد ليس له وجود قائم مستقل عن أمه . وقد رأت مثل هذا الرأى ثمانى ولايات أخرى ، ولكن أكثر الفقهاء الذين بحثوا الموضوع خالفوا هذه الآراء .

٥ — لقد أيدتها المحكمة، وكان تأييدها منصبّاً على ذكر اسمها لا على استغلال قصة حياتها . وبنت المحكمة رأيها على أن حماية الأسرار حق ممنوح من دستور ولاية كاليفورنيا الذى ينص على أن كل الناس « لهم حقوق معينة لا تقبل الجدل، من بينها الدفاع عن النفس والحرية . . . ، والسعى فى طلب الأمن والسعادة » .

٦ — قررت المحكمة أنها بريئة من تهمة تعدد الأزواج ما دامت نية الإجرام لم تتوفر .

وفى بعض الولايات الأمريكية يبرّأ أحد الزوجين الذى يتزوّج ثانية من تهمة التعدد ، إذا توفر حسن النية ، وبلغت الغيبة الدائمة خمس سنوات . ومع أن الزوج الذى يتزوج قبل انصرام هذا الأجل قد لا يدان بتهمة التعدد نزولا على آراء بعض الفقهاء ، فإن الزواج الثانى فى هذه الحالة يعدّ باطلا . أما إذا انصرم الأجل المضروب ، فإن بعض الولايات تبيح رفع دعوى لفسخ الزواج فسخاً شرعياً ، فيمكن عقد زواج جديد يظل قائماً وشرعياً ، حتى ولو كان الزوج القديم لا يزال على قيد الحياة .



هذه هى الحقيقة !

لقيت مرة هنرى إرفنج الممثل الإنجليزى المشهور فى مأدبة ، فمال علىّ وسألنى : « أسمعت القصة التى يتندر بها الناس عن فلان ؟ » فشقّ علىّ أن أقول لا ، ولكننى قلتها . فبدأ يروى القصة ، ثم كفّ ، وسألنى مرة ثانية ، فتمالكت نفسى وقلت : « لا لم أسمعها » . فمضى يقص ، ولكنه لم يلبث أن التفت إلىّ وسألنى ثالثة : « أواثق أنت ؟ » فقلت : « فى سعى أن أكذب من أجل المجاملة مرة أو مرتين ، ولكننى لا أستطيع أن أكذب ثلاثاً كائناً ما كان السبب ، فقد سمعت هذه القصة يا صاحبى ، لأننى أنا الذى لفقتها » . وهذه هى الحقيقة .

[مذكرات ماك توين]

... إذا نشبت حرب أخرى ...

روبرت تراوت
مختصرة من مجلة "ستردای ريفيو" الأدبية

[كان ملايين من الناس يستمعون إلى ما يذيعه روبرت تراوت من تعليق متصل على الأنباء خلال الحرب من محطة كولومبيا . ومنذ عهد قريب عمد تراوت إلى شيء من التكهن . فإذا لم يكن من المستطاع منع حدوث حرب أخرى ، فإنه يتصور تعليقاً كمثل التعليق التالى يذاع ارتجالا فى الساعة العصيبة .]

١٢ إبريل سنة ١٩٥٠ ، الساعة ٢ والدقيقة ٧ بعد منتصف الليل ، هنا محطة إذاعة كولومبيا فى نيويورك ، محدثكم « بوب تراوت » . مضت ساعتان وبضع دقائق على انتصاف الليل ، ولا نزال نحن فى نيويورك ليس عندنا أنباء جلية عن الانفجار فى مدينة بتسبرج ، ولكن — هاأنذا واقف هنا أمام الآلات الكاتبة التى تسجل مايصل إلينا من أنباء بالتلفون، وبيدى ميكروفون متحرك ، أتنقل به من آلة إلى أخرى ــ فلأختصر الأنباء التى بين أيدينا . منذ ٣٦ دقيقة تماماً ــ لا بل منذ ٤٦ دقيقة تماما ، أبرقت شركتا الأسوشييتدبرس ، واليونايتد برس إلينا ، أن بتسبرج الجبارة مدينة الحديد والصلب ، قد رجّها انفجار عظيم . ومن الغريب أننا لم نتلق من بتسبرج نفسها تفصيلا ما ــ عسى ألا يكون ذلك نذير سوء . أما ما تلقيناه فهو سيل من الأنباء ، صادر من أماكن يبعد بعضها ١٨٠ ميلا عن بتسبرج ، وفحواها أن الناس شاهدوا أضواء باهرة فى الفضاء ، وسمعوا دمدمة انفجار .

بعد دقائق أنتقل بكم إلى الرسائل الواردة، ولكننى أرى من خلال الزجاج الفاصل فى حجرة الأنباء، أننا اتصلنا بعد جهد بمراسلنا فى وشنطن ، فنحولكم الآن إلى وشنطن ، « بل هنرى » يحدثكم ...

لقد عدنا إلى نيويورك ، ولقد سمعتم أننا لم نزل عاجزين عن أن نجيئكم برسالة من وشنطن ، وقد روت شركة الأنباء الدولية منذ نصف ساعة ، أن المصابيح مضاءة فى البيت الأبيض ووزارة الخارجية، ومع ذلك لابد من ... لحظة واحدة ، هذه نشرة جديدة (جرس يقرع) أتلوها عليكم .

ديترويت ، ١٢ إبريل ، يونايتدبرس . زلزل ديترويت انفجار كبير فى الساعة ١٢ والدقيقة ٥٨ هذا الصباح . ولا يعلم مقدار

الضرر ، ولكن الدلائل تدل على أنه ضرر بالغ ، وقد قتل عدد من الناس . وعلى أن حقيقة ما حدث لا تزال مكتومة ، فموظفو المدينة يقولون إن البحث قد بدأ ، عسى أن يتبين لهم أهناك صلة بين هذا الانفجار ، والانفجار الذى قيل إنه حدث فى بتسبرج . للنشرة تتمة .

للخبر تتمة ، ولكن جهاز اليونايتد برس ارتد الآن إلى إذاعة حديث عن أزياء النساء ... والقبعات أيضاً ستتجه اتجاهاً شديداً إلى الفتنة ... حسبنا هذا الآن ، فى هذه اللحظة العصيبة .

وخليق بنا أن نعيد الآن أننا لا نعلم عن ثقة ما وقع ، مع أنه يبدو لنا أن كارثة كبيرة قد نزلت ، فلا نرى خيراً فى أن نستبق الحوادث بالذعر .

وقد بدأنا نحشد رجال المحطة بأسرع ما نستطيع . فالماجور جورج فيلدنج إليوت الذى طار صيته خبيراً حربياً فى الأيام الغابرة ، حين كان الناس يشنون الحروب ، لن يتأخر فى الوصول إلى حجرة الأنباء ، ولعل العاصفة العاتية التى تهب الآن قد أخرته .

أما ونحن لا نزال عاجزين — مغفرة وعذراً . نعم ؟ لقد أنبئت الساعة أن الأسوشييتد برس روت أن دعوة ملحة صدرت إلى جميع رجال المطافىء وفرق نقل المصابين فى جميع المدن إلى حدود فلادلفيا شمالا ... ولست أدرى عن ثقة ما معنى هذا ، ولكن الأسوشييتد برس فى نيويورك تلقت هذا النبأ بالتلفون ... إن فى أسلاك هذه الشركة اضطراباً . أين ؟ جنوب ترنتون . نعم ، إن الأسوشييتد برس أرسلت هذا النبأ بالتلفون لأن أسلاك البرق العادية معطلة جنوب فلادلفيا . ليس فى هذه الجملة إيضاح ما ، ولكننا سنوافيكم بالأخبار ساعة تتلقاها الشركة ، ولست أعلم بأية طريقة تتلقاها . وقد كانت الآلة التلفونية الكاتبة المتصلة بمكتب الشركة ، تثبت الأنباء على الورق إلى حين قريب ، ولكنها توقفت الآن . والواقع أن جميع الآلات الأخرى قد توقفت أيضاً . ومثل هذا السكون أمر نادر فى مكتبنا

ولعله من الخير أن أتلو عليكم الرسائل السابقة التى وردت من أماكن خارج بتسبرج ، ومعظمها غامض ، وليس فى رسالة منها أى تلميح — أى تلميح إلى قيام قتال . كدت أقول « قيام حرب » ، ولكن حتى لفظ « القتال » يبدو وهماً عجيباً لا يصدق فى هذا الزمن .

على أننى أرى فى سكون المكتب شيئاً يزعج ، ولكن لا تعجلوا فتفزعوا ، فكل أداة

من أدوات الأخبار لا تزال صامتة . وإنما أروى هذا على أنه حقيقة واقعة — دون أن أقصد إلى بث ... الذعر . والذعر كلمة مفزعة ، ولكن لا غلوّ فيها ، إذا ذكرنا أن لوحة التلفون فى مكتبنا قد صمتت منذ تلقينا الإشارة الأولى — فى الساعة الواحدة والدقيقة الواحدة والعشرين تماما بحسب توقيت نيويورك . أكرر أننا لم نتلق نبأ رسمياً ما ولا تلميحاً غير رسمى ، بأن الحرب نشبت.

وقد انتهت الحرب العالمية الثانية ، منذ سنين تقدم فيها الناس فى ميادين كثيرة ... (تنقطع الإذاعة) ... والنوافذ تحطمت والدخان يتدفق الآن . ومتى سكن ضوء المصابيح وعاد لا يضطرب ... ...



تصفية الحساب

يتندر رجال وزارة الحربية البريطانية بقصة تعد من القصص الرائعة التى رويت عن هذه الحرب :

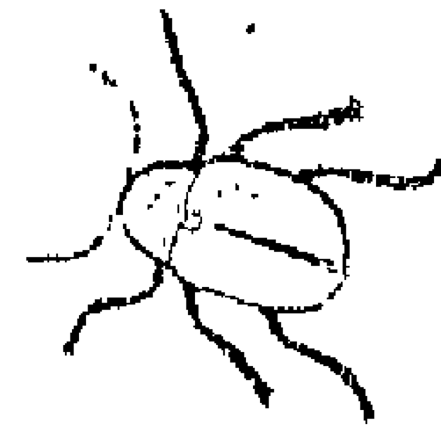
رقى ملازم شاب إلى رتبة كبتن ، فلما نشر خبر الترقية فى الجريدة الرسمية ، وقع خطأ فى التاريخ ، فلم يكتب : أول أبريل ١٩٤١ ، بل كتب أول أبريل ١٠٤١ . وبعد أن قضى فترة ممتعة مع زملائه فى نادى الضباط ، أقنعوه بأن يطالب بمرتباته التى لم تدفع منذ سنة ١٠٤١ . فقدم الطلب على الورق الرسمى وفقاً للقواعد المتبعة ، واستشهد بما يلزم من فقرات القانون المالى ، ثم أوى إلى فراشه . وفى الصباح أدرك الضابط الشاب هول ما فعل ، فملأ قلبه الخوف وخشى أن يحاكم أمام محكمة عسكرية .

وبعد أسابيع جاءه الرد : « ثبت أن مطالبتك بمرتباتك منذ أول أبريل ١٠٤١ مطالبة صحيحة ، فلذلك قيدنا لحسابك مبلغ ٣٩٩٩٩ر٣٩ جنيهاً . ولكن يلوح أنك أغفلت فقرة أخرى فى القانون المالى ، تجعل الضابط الذى يقود فصيلة ما مسئولا عن المدافع والجياد التى تضيع فى القتال من جراء إهماله . وإذا قتل الضابط القائد ، وقعت التبعة على الضابط الذى يليه فى الرتبة .

« وكتابك يثبت دون ريب أنك الرجل الوحيد الباقى على قيد الحياة ، من الذين خاضوا معركة هاستجز (سنة ١٠٦٦ ميلادية) ، والتى أضعنا فيها إهمالا ٢٠ ألف جواد ثمن كل منها جنيهان ، فتبعة توفية ثمنها واقعة عليك . وقد روجع حسابك ، فظهر أنك مدين لنا بمبلغ جنيه واحد » .

[مارسيا ون فى صحيفة « شيكاغو تريبون »]

إذا رأيت حشرة فكرهتها فلا تقتلها
فإن لها منفعة وإن كنت لا تدرى



معرض الحشرات



ت . ا . مرفى

مختصرة من مجلة « بلتيمور سنداى سن »

فى الربيع الماضى ، انتخب برايتون إدى ، مديراً لقسم الحشرات فى حديقة الحيوان بنيويورك ، فشرع فى إنشاء معرض عجيب للحشرات الحية ، فى بناء مستقل . وقد كانت معارضه الأولى التى أقامها إلى حين فى أبنية مختلفة ، مما أثار إعجاب الناس كافة .

وقد خامرته فكرة إنشاء حديقة مستقلة للحشرات منذ اثنى عشر عاما مضت ، يوم أقيم فى شيكاغو ذلك المعرض الذى جمع وجوه التقدم العلمى والصناعى فى القرن الماضى ، فلقى هنالك أحد وكلاء العارضين ، فأفضى إليه بفكرته ، فقال له الوكيل : « اسمع يابنى ، لقد اتفقت منذ قليل على أن أتولى عرض بعض عجائب المخلوقات ، وهذا أنت تريدنى أن أتولى لك عرض حشراتك . اذهب عنى قبل أن يطير عقلى » .

عاد إدى إلى مسقط رأسه فى ولاية رود أيلاند . فوجد قسم الحدائق قد أنشأ حديقة جديدة وأنفق مالا كثيراً حتى زودها بأسباب الترفيه واللهو ، ولكن الجمهور ظل معرضا عنها كل الإعراض ، فاقترح إدى أن ينشئ فيها « حديقة للحشرات » تستجلب طوائف الناس إليها .

فقال له مدير القسم : « لو فعلنا لصرنا مضحكة ، وشر من ذلك أن الناس ينفرون من هذه الحشرات »

جعل إدى يلحّ ذاكراً أنه سيبذل الجهود متبرعا ، راجيا بذلك أن يبدأ تحقيق فكرته ، وأخيراً أعطوه ١٠٠ ريال ، ومنزلا خاليا كان فى أرض الحديقة ليفعل فيه ما يشاء .

ولم يلبث إدى وزوجته أن شرعا فى العمل ، وجعلا يتسلقان الأشجار ، ويحفران فى الأوحال ، ويقلبان كتل الأخشاب بحثا عن الحشرات .

فابتكرا فى ذلك وسائل عجيبة دقيقة ، فيجيئان مثلا بشمسية مفتوحة ويضعانها مقلوبة تحت أيكة كثيفة الأغصان ، ثم يهزّان الأيكة ، فيتساقط منها قدر كبير من المخلوقات الزاحفة . أما بعض الحشرات فتستنزلانها شهواتها ، فتراهما يطوقان جذع شجرة بخليط من العسل الأسود والجعة والخمر ، فما هى

إلا ساعات قلائل حتى تراه قد اصطاد طائفة من الحشرات .

فلما جاء موعد افتتاح « حديقة الحشرات » كان لديهما ١٦٥ نوعا مختلفا من الحشرات معدة للعرض ، فكان نجاحا باهراً . وزاد عدد زوار الحديقة العامة ٤٠٠٠٠ نسمة فوق معدل الزوار فى كل شهر ، وعرف الناس أشياء كثيرة عن الحشرات ، وعرف إدى أشياء كثيرة عن طبائع البشر ، وتبين له صدق ظنه أن الناس إذا رأوا الحشرات من قريب رأى العين ، فتنوا بما يرونه منها.

يقول إدى : « ينبغى أن تكون حديقة الحشرات مكانا لا تزال تجد فيه شيئا لم تألفه يحدث أمام عينك » . وهو يقص قصة إحدى زائرات الحديقة ، فقد جعلت تناديه ثم أومأت إلى شرنقة قد أخذت تخرج منها فراشة جميلة الألوان ، ثم قالت : « لقد طوفت فى جنبات الأرض فلم أر منظراً أروع من هذا » . ومثل هذه اللحظات تملأ قلب إدى رضى وغبطة ، فقد فطر على حب الروعة.

وترى إدى يفحص عما فى الحشرات من طبائعها الغريبة، ثم يهتدى بهديها حتى يجعلها تؤدى أعمالها على أعين الناس . فتراه مثلا يضع الخنافس التى تألف الأماكن الرطبة فى قفص جاف فيه خشبة ندية ، فمن الطبيعى أن تتخذ الخنافس هذه الخشبة موقفا بحيث يراها الناس . وأما الجُعَل (الجعران) فمن دأبه أن يصنع كرة صغيرة ثم يُدَهْدِهها ويدفنها فى الرمل ، ولكن إدى لايدع عنده من الرمل ما يكفيه ، فترى الجعل يجهد جهده لكى يخفى تلك الكرة ، فلا يزال ينقلها على أعين الناس من مكان إلى مكان ليظفر بما يريد .

ومن أحب الحشرات إلى الناس ، حشرة يقال لها « أم عويف » تفترس النمل ، من دأبها أن تحفر للنمل مصيدة ثم تقيم فيها ، فإذا هوى فيها النمل انقضت عليه فأكلته أكلا ذريعا . وتنفث من خرطومها فى النمل عصارة هاضمة ، فإذا النمل قد صار طعاما مهضوما وهو لا يزال فى قشرته ، ثم تعود فتمتص هذا الطعام المهضوم كما يمتص الصغير شراب الليمون بالقصبة .

والطعام الذى تتطلبه حديقة الحشرات مختلف ألوانه كل الاختلاف ، فالنمل ذو المظلة مثلا ، يبنى لنفسه أكواما من الدِّمَن ينبت فيها الفطر (عش الغراب) ، ولكن إدى يزودها بأوراق الورد ، فترى النملة تروح وتغدو حاملة ورقة أكبر منها أضعافا مضاعفة مرفوعة على رأسها كالمظلة ، ومن أجل ذلك سمى النمل ذا المظلة .

وعثّ الكتب الذى يأكل كعوب جلدها غذاؤه الغراء . ودود الطماطم مولع بنبات

سام من فصيلة الطماطم هو (البلادونا) ، أما العث والأساريع (دودبعض الحشرات) فيطعمها شيئا من الفرو والريش. وأما بعض العناكب فتأكل الأنثى منها الذكر ، فلما كان إدى لا يستطيع أن يقدم لها هـذا الطعام الغالى ، صار لزاما عليها أن تقنع بالذباب .

ومن الحشرات المفترسة، الحشرة المعروفة باسم (فرس النبي) ، وهى على فظاعة منظرها صديق للبشر ، وطعامها البعوض والأساريع والأَرَق (حشرة الندوة العسلية) . وذكر هذه الحشرة يخشى أنثاه ، لأنها حين تجوع تمد خرطومها فتقضم رأسه ، فيرى الزائر مشهداً مهولا . ولما كانت هـذه الحشرة قد خلقت ومركز حركتها فى غير رأسها ، فإن الذكر الذى تقضم رأسه يظل يتحرك على غير هدى حتى يموت جوعا كما يقولون.

ويضيق إدى درعا بالذين يقتلون الحشرات أولا ثم يتساءلون عن أمرها . وقد تبين أن الناس يسرعون إلى قتل اليعاسيب الجميلة التى تظل ناشرة الجناحين ، كإسراعهم إلى قتل الصراصير ، ولكن اليعاسيب حشرات نافعة تفتك بالبعوض وأشباهه. أما أبو العيد ، الحشرة المرقطة الظهر ، فهى تفتك بالأَرَق ، ويزعم إدى أن الحشرات الضارة من مليون نوع من الحشرات ، لا تزيد على نصف واحد فى المئة .

وقد جاءته امرأة تشكو كثرة الذباب حول بيتها ، ففحص عن أمره ، فوجدها قد أبادت وكراً للزنابير ، فقال لها : « إن الزنابير تهلك فى اليوم الواحد أكثر من ٢٠٠٠ ذبابة ، وقد أهلكت بفعلتك أعدى أعداء الذباب . فلا عجب إذا كثر الذباب » .

وقد أراد إدى أن يحرك اهتمام النـاس بالحشرات ، فلجأ إلى أساليب الإغراء حتى كادت تكون مَذَمّة له . ولقد دبَّر عرض « معركة عظيمة » تدور رحاها بين عنكبوت سامة وعقرب وأبى شبث ، فاهتمت الصحف بإذاعة خبرها لشذوذها ، فما وافت ليـلة العرض حتى تدفقت عليه أفواج الناس .

كانت سـاحة المعركة قفصا من زجاج يتدلى من السـقف ، يسهل على النظـارة المفتونين أن يروا ما فيه من أيّ جانب شاءوا . فـلم تلبث العقرب أن أطبقت على أبى شبث ، فكر هو عليها وعضها عضـة بليغة ، فما كان من العقرب إلا أن تظاهرت بالتقهقر ، ثم أسرعت فلدغته بإبرتها لدغتين متواليتين ، فتهالك أبو شبث تحت ضرباتها ، وانقلب إلى زاوية القفص وهو يترنح .

أما العنكبوت فظلت خلال ذلك متنحّية عن ميدان المعركة ، فلما تخاذل أبو شبث وهجمت عليه العقرب لتضربه الضربة القاضية ، وثبت العنكبوت على ظهرها . وذهبت

العقرب تقضم فى قائمة من قوائم أبى شبث متلذذة بما تأكل ، ولكن العقرب لم تهنأ بهذا الطعام ، فقد عضها أبو شبث وهو فى سياق الموت عضة مهلكة ففاضت روحها ، ولم ينج سالما سوى العنكبوت وحدها .

وإدى رجل قد أشرب قلبه حب التمثيل الرائع ، حتى إنه لما كان فى جامعة براون ألف أو اشترك فى تمثيل ٣٧ رواية ، فلما تخرج عاون أحد علماء التاريخ الطبيعى فى تأليف كتابين هما : «شخصية الحشرات» و « شخصية حيوان الماء » ، ثم بدأ يحاضر الناس عن الحشرات لكى يروّج لهذين الكتابين . فلما تزوج حملته زوجته على أن يعود إلى طلب العلم ، وقالت له مؤنبة : «إنى أراك حتى اليوم لا تستطيع أن تخاطب العلماء بلسانهم » .

فقضى سنة فى معمل لعلوم الأحياء ، ثم درس علم الحشرات فى جامعة كورنل ، حيث أذاع أول مرة فى التاريخ إذاعة لحشرة — فقد وضع أمام المذياع جُنْدُباً وأذاع على الناس صريره .

وأخوف ما يخافه إدى اليوم ما سوف يدخله د . د . ت من اختلال فى موازين الطبيعة وهو يقول : إن لكل حشرة فى موطنها منفعة ، حتى الأرَضَ ، قارض الخشب البغيض ، له نفع فى الغابات . فتراه هناك يكدح كدحا فى قرض الحطب الساقط على الأرض ، فيعرضه لفعل البكتريا حتى يسرع إلى التحلل ، ويصير للغاب سماداً . ويعلم إدى عامة الناس أن الحشرات التى تأكل غيرها من الحشرات ، إما أن تكون سريعة الطيران أو سريعة الزحف ، وأسرعها أنفعها للناس .

ومن رأيه أن جهل الناس بالحشرات النافعة يفضى كل سنة إلى ضرر يحيق بالمحاصيل ويبلغ تقديره ملايين من الريالات . وهو يرجو أن يكون معرض حشراته منبراً يتيح له أن يذيع على الناس رسالته هذه .



« لمَا يُدَهْدِه الجُعَل بأنفه خيرٌ من آبائكم الذين كانوا فى الجاهلية » .

« قال رسول الله : إياكم وخضراء الدِّمَن . قالوا : وما خضراء الدِّمَن يا رسول الله ؟ قال : المرأةُ الحسناء فى المَنْبِت السوء » [حديث نبوى]

أينبغى أن تتبع هذه الوسيلة العتيقة فى مراقبة ألمانيا حتى تظل مسالمة ؟

الاحتلال العسكرى لن يجدى

مختصرة من مجلة "هاربرز"
بقلم رجل من سلاح الطيران البريطانى

كل خطة تتبع زمنا طويلا وتقلّ مناقشة الناس فى سدادها ، كثيراً ما تؤدى شيئاً فشيئاً إلى أوخم العواقب . ويرى كثيرون أن احتلال ألمانيا الراهن هو أحد هذه الخطط ، وأنه سيجر إلى خطأ جسيم يؤثر فى حياة جيل بأسره ، أو هو خليق أن يدمر حياته .

ويحيط الحلفاء نياتهم بستار من الكتمان ولكن يبدو أن بريطانيا والولايات المتحدة تنويان أن تحتلا المناطق التى عهد إليهما بها فى ألمانيا ، حتى يمحى على أيديهما كل أثر للنازية ، وتوجَّه تربية الشعب وجهة جديدة ، وتعمر البلاد وتردّ الأمور فيها إلى نصابها ، ويثبت أن الألمان قد تم تجريدهم من السلاح وأصبحوا عاجزين عن خوض غمار حرب أخرى ، وبعدئذ تجلو الجيوش مخلفة وراءها قوماً قد لانت أخلاقهم ، وأخذوا بأساليب الإنجليز والأمريكيين فى الحياة ، وتعلقوا بأهداب السلام ، فيعيشون عيشاً رغيداً إلى ما شاء الله . والزمن الذى يستغرقه هذا التحول يتفاوت فى تقديرهم بين عشر سنوات وخمسين سنة .

وقد قيل إن الحلفاء لن يتولوا بأنفسهم شئون الاقتصاد والاجتماع فى ألمانيا ، وإنما يحتفظون بالإشراف عليها إلى أن تقوم حكومة ترضى عنها الديمقراطية .

ولكن حذار من الخطأ . فمهما تعلن الحكومتان البريطانية والأمريكية أنهما نزلتا عن قسط من التبعة للألمان ، فإن جيوش الاحتلال هى صاحبة السلطان الأعلى ، ولن يدخل فى وسع أحد أن يقنع الألمان بأن صاحب السلطان الأعلى يمكن أن يعفَى من حمل التبعة العليا .

وكثيراً ما يقال إن إحجام الحلفاء عن احتلال ألمانيا بأسرها كان سرّ العجز عن صون السلام بين الحربين العالميتين . وقد قيل إنه ينبغى للحلفاء « أن يستخرجوا العبرة من التاريخ » ، و « أن لا يقعوا فى الخطأ نفسه مرة أخرى » .

وأية عبرة يستخرجها الحلفاء من التاريخ ؟ إننى لا أعرف للاحتلال العسكرى فى التاريخ مثلا واحداً يدل على أنه كان احتلالا مجدياً . فهذا احتلال الرومان لبريطانيا ، واحتلال

البريطانيين الدامى الطويل لفرنسا، واحتلال الأسبان لهولندا وبلجيكا ، والفرنسيين لأسبانيا وألمانيا، والروس لبولندة، واحتلال الألمان لمعظم دول أوربا ، وقد بدأ كل منها وشعار أصحابه : « سيكون هـذا الاحتلال مختلفاً عما سبق » ، ولكن كل احتـلال منها أخفق .

فخليق بنا أن ندرك أن فكرة الاحتلال الخرقاء المنحدرة إلينا من القرون الوسطى لا توافق منهج التفكير الحديث ، وأنها اليوم فكرة خطرة عصيّة على التطبيق ، ولا داعى لها . وليس ثمة وسيلة لبعث الروح العسكرى فى الألمان ، وجمع كلمتهم علينا ، أفضل من هذه الوسيلة .

واحتلال دولة مغلوبة من شأنه أن يفسد الغالب ، فكل ما يضعف احترام الجنـدى المحتلّ لنفسه ، ويؤثر فى سعادته وثقته وشجاعته ، إنما هو جزء من هزيمة منكرة ينتهى إليها الغـالب . فشعور العار الذى يلحقه حين تردّ عليه فتاة ألمانية نظرة الإعجاب بنظرة احتقار ، وإحساسه الفطرى بالإثم عنـد رؤية سيدة ألمانية عجوز وهى تنكت بيديها أنقاض غارة جوية باحثة عن قطعة خشب ، وكل سخرية يسيرة يلقاها ، وكل سخط خفى يساور قلبه ، وكل أكذوبة وكل إعراض ، وكل لسان يمدّ له ، إنما هو خطوة فى طريق الفساد والانهيار . وليس بين هؤلاء المغـلوبين من هو خليق بأن يعتقل ، إلا إذا أراد المنتصر أن يصير مضحكة بين الناس .

وأنت ترى فى ألمانيا اليوم جميع هـذه الصغائر التى تهدم الكرامة وقوة النفس ، ثم يلى ذلك ، عاجلا أو آجـلا ، الحوادث المألوفة فى زمن الاحتلال : مكر خفى خسيس تعـدّه القوة المحتـلة تخريباً ، وتعـدّه الأمة المغـلوبة بطولة وجهاداً فى سبيل الحرية .

وقد تغمد فتاة ألمانية خنجرها فى قلب جندى فيقضى نحبه ، فتقول : « أراد أن يهتك عرضى » ، ولعله قد فعل ، أو لعلها أقسمت لتقتلن إنجليزياً أو أمريكياً قبل أن تموت . فأنّى لك أن تعرف ؟ فما من الشهود الألمان من يبوح بالسر . وإذن فماذا تستطيع أن تفعل ؟

ويطلق الرصاص على جندى فى الشارع فى ليلة ظلماء ، فيقول الشرطة الألمان إنهم لا يسعهم أن يفعلوا شـيئاً . أو قد يوضع رمل فى خزان السيارة ، أو تشق إطاراتها بالمدى ، أو تصنع قنابل فى البيت ثم تنفجر هنا أو هنـاك ، وتكتب الأقوال المثيرة على الجدران ، ويزداد عدد الألمان الذين تنتابهم نوبة من البصق كلما مر بهم إنجليزى أو أمريكى ،

وتسمع فى الليل صياحاً وصفيراً لا تتبين سرّه . فماذا تفعل ؟

إن الجواب الوحيد الذى يطالعك به التاريخ هو : « اقتل كبير الشرطة ، اقتل محافظ المدينة ، اقتل الرهائن ، أقم معسكرات للاعتقال » . بيد أن الإنجليز والأمريكيين ينفرون من كل هذا ، ومهما يكن من شىء فإن كتب التاريخ تقول لنا إن هذه الأعمال لم تجد قط فتيلا .

وليس فى التاريخ ذكر بلد انتهى به الأمر إلى أن يطيق رؤية المحتل ، فضلا عن أن يحبه . والجندى الذى يحتل ألمانيا يعيش فى بغضاء تحف به من كل من يقابله أو يراه تقريباً ، حتى ولو نسى هو ما كان يضمر للألمان من حقد . والعيش فى جو من البغضاء مهلكة للنفوس .

وهناك طريقة واضحة سهلة يسيرة ناجعة لمراقبة ألمانيا حتى تظل مسالمة :

أولا — أن يتم تجريدها من السلاح كله ، من البندقية الصغيرة إلى الطرادة ، وقد تم من ذلك شىء ليس باليسير .

ثانياً — يجب أن تقرر لجنة من الخبراء أى الصناعات ينبغى أن تكف ألمانيا عن مزاولتها حتى تعجز عن شن حرب أخرى . ومهما تكن حجة رجال الصناعة الألمان فى ضرورة بقاء هذه الصناعات لحفظ الكيان الاقتصادى ، ففى الوسع أن تسحق قدرة أمة على شن الحرب دون أن يفضى ذلك إلى هدم كيانها الاقتصادى . فمن الضرورى لأوربا أن تكون لألمانيا صناعات عظيمة ، ولكنها تستطيع أن تحتفظ بمصانع الحديد دون مصانع المدافع الضخمة ، وبمصانع الراديو دون مصانع رادار ، ويسمح لمصانع الفلزات الخفيفة بأن تصنع الأوانى ، دون الطائرات .

ثالثاً — ينبغى أن تذاع هذه القواعد أوسع إذاعة ، وأن تذاع العقوبات الشديدة التى يعاقب بها من يخالفها .

رابعاً — يجب أن يسيطر الحلفاء عند حدود ألمانيا على واردها وصادرها ، ولا يفرض قيد ما إلا على السلع التى يمكن أن تستخدم فى أغراض الحرب ، أو السلع التى يتضح أنها تستخدم لغرض سياسى ، كما كان النازى يفعلون قبل الحرب .

خامساً — ينبغى أن يحتفظ الحلفاء بسيطرتهم على مطارات ألمانيا ، ولن يجدوا فى هذا عناء يذكر ما دام امتلاك الطائرات فى ألمانيا قد منع إلى الأبد .

هذه هى القواعد التى ينبغى أن تكون أساس الاتفاق مع ألمانيا ، فإذا ما أذيع وتمكنت من النفوس مبادئه انسحبت جيوش الحلفاء . أما قوتهم فلا ينبغى أن يتقلص

ظلها ، فالألمان لا يفهمون إلا القـوة ، فلنستعمل هذه المرة ضرباً جديداً من القوة.

وللقوة ثلاثة أصول : أن تستعمل فى المكان المناسب ، والزمن المناسب ، وبالقدر المناسب . وأول ما ينبغى لاستخدام القوة استخداماً صحيحاً فى ألمانيا ، هو معرفة ما يحدث فيها ، وذلك لا يقتضى ضرورةً أن تجد فى فرانكفورت مثلا جندياً أمريكياً يتجول ، أو أن ترى على أبواب الأحواض فى همبورج جندياً إنجليزياً يتسكع .

بل الحاجة إلى جماعة من العلماء ، ورجال الصناعة، والخبراء فى الأسلحة وفنون الحرب، وأن يسهل عليها الانتقال السريع ، وأن يحق لها أن تقتحم على الفور ما تشاء من المصانع أو مخازن البضائع أو حجر المهندسين أو معامل البحث ، أو دور المحفوظات فى ألمانيا ، وأن تفتشها ، وأن لا يوصد دونها باب . فتطوف جماعات المصورين فى طول البلاد وعرضها، فتمد الحلفاء بخبر كل جديد من الأعمال والمشروعات . وقد تعترض على هذا بأن سلطة هذه الجماعة سلطة ساحقة ، ولكن أليست أيسر محملا من جيش محتل ، وأجدى ؟

تنتقل هـذه الجماعة سراً بالطائرات ، أو بسيارات أو قطرات سريعة ، وقد يهبط رجالها من السماء ليفتشوا مصنعاً من المصانع قبل أن يتاح لمديره أن يرفع سماعة تلفونه . وتمكنهم استعانتهم بوسائل العلم الحديث ، من أن يكونوا أمضى إلى الغرض وأقدر على تحقيقه . وما دامت هذه القوة قائمة ، فلا يعقل أن يستطيع الألمان أن يبدأوا حركة حربية دون أن يقف الحلفاء على خبرها ، ولا أن يستعملوا السلطان السياسى استعمالا لا يقرّونه .

غير أن هذه الجماعة لن يكون غرضها إلا الاستطلاع والرقابة الدائمة، على أن تؤيدها قوة كبيرة مرابطة خارج ألمانيا .

وعلى طول الحدود الألمانية ، ترى فى هولندة والدنمارك وفرنسا وبلجيكا ، قوة حربية حديثة سريعة ، تطوف أبداً ، ولا يكون سلاحها البنادق وحسب ، بل أجهزة الراديو ورادار والدبابات والسيارات السريعة المدرعة والطائرات . وفى الحين بعد الحين تعرض قوتها على الألمان ، بأن تقتحم البلاد بسرعة ثم تنسحب منها بسرعة، دون أن تقول كلمة واحدة لأهلها ، فلا تؤاخيهم ولا تناقشهم، وحسبها أن تذكّرهم .

ثم تصور أن شنك الألمانى وجد وهو يجرب مفرقعاً جديداً فى مصنع أسمدة ، فترسل رسالة بالراديو من مقر جماعة الاستطلاع والرقابة ، فلا تمضى أربع ساعات

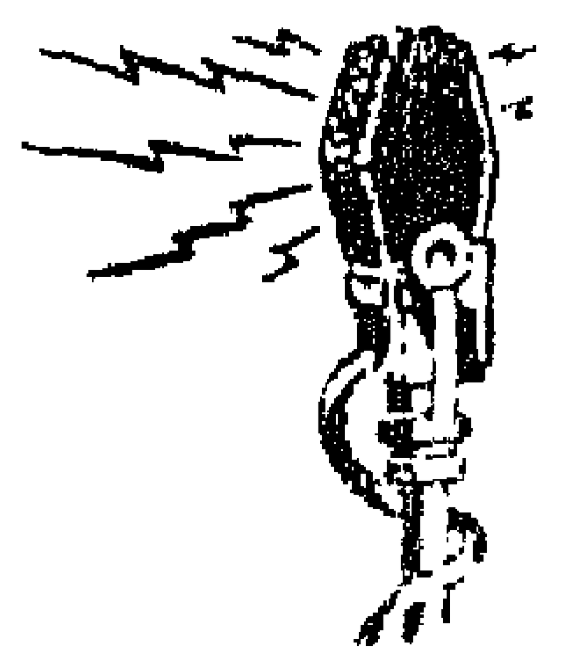
حتى ترى جنود المظلات قد أقبلوا من فرنسا وتولوا حراسة المصنع، واعتقلوا جميع رجاله، وها هى ذى الدبابات تدبّ مرة أخرى فى الطرق العامة، وطائرات القتال والاستكشاف تهدر فوقها . فهذه مظاهر القوة المدرعة تتجلى ثانية ، ويتم التفتيش لساعته ، فإذا ثبتت الجريمة دمر المصنع وأعدم شنك ومعاونوه ، وسجن من هم دونهم شأناً ، وعزل موظفو المدينة .

والألمان يفهمون هذا الضرب من المعاملة، ولا يفهمون ما يبدو من ضعف وتردد فى العتيق البالى من أساليب الاحتلال . وبذلك لن يستطيع الألمان أن يصبّوا دعايتهم الماكرة فى جيوشنا عن طريق « المؤاخاة » ، ولن يتاح لجماعات منهم أن يقولوا : « إننا أخيار الأمة الألمانية ، وأن النازيين هم الذين اقترفوا تلك المآثم . لم تكن تلك جريرتنا نحن » .

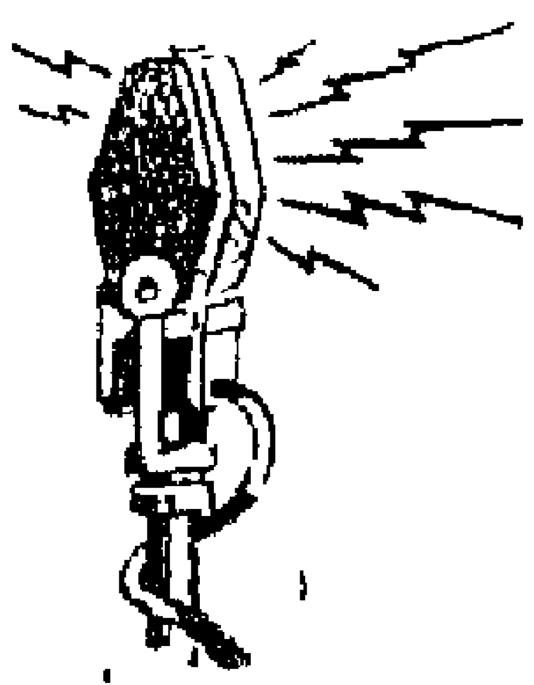
وقد بدأوا يفعلون ذلك ، والإنجليز والأمريكيون يصدقونهم ، وسوف يصدقهم الجند جميعاً على مر الأيام . وسرعان ما يصطلح حقد الألمان وعدم مبالاة الحلفاء ، على الأمم المنتصرة ، حتى تصير مكرهة على الاعتراف بخيبة الاحتلال، كما فعلوا فى احتلال الرين بعد الحرب العالمية الأولى ، ومن ثم تعود سَوْرة الجنون طاغية كما كانت .

ولهذا الضرب من الرقابة الذى رسمناه هنا حسنات الاحتلال جميعاً ، مع خلوه من عيوبه ، فهو يمهد لعودة معظم الجند إلى أوطانهم ، أما من يبقى منهم فسيكون فى بلد تربطه بأهله أواصر الصداقة ، ويصيب ضروباً من التدرب الحديث الذى يلذ له وينفعه ، ولا يتعرض لشيء من مساخط الاحتلال ومخاطره ، وتقع تبعة الفوضى والمجاعة اللتين لا مفر منهما ، على أكتاف الذين ينبغى لهم أن يحملوها . وقد بدأ الألمان يوجهون النقد إلى الحلفاء، فيحملونهم تبعة مصانع لم تستأنف عملها ، وجسور لم ترمم أو لم يعد بناؤها ، وجرايات تصل متأخرة عن موعدها .

وكل ما فى هذه الخطة من ميل إلى الإنصاف، ورفع لأعباء الاحتلال ومساخطه، كفيل بأن يحببها بعض الشيء إلى الألمان. فإذا قرّ الرأى على وسيلة أخرى غير هذه ، كان انقياد الألمان لعواطفهم ، وتساهل الحلفاء ، ونفور كل أبى النفس من البقاء حيث يُكره بقاؤه ، مُفضياً إلى إخفاق الاحتلال وجعل السلام أقصر أمداً من أمده فى المرة السابقة .



لــــواذع هــولــيوود



يختارها ويحررها · آندرو ب . هشت

قال الممثل الهزلى بوب هوب : سخط بنج كروسبي سخطاً شديداً منذ عهد قريب ، حين لازمت الهزيمة جياده فى حلبة السباق ، فأخذ الجياد وجعلها صفاً واحداً قرب خط السكة الحديدية ، ولبث ينتظر القطار السريع . فلما مر القطار منطلقاً بسرعة مئة ميل فى الساعة ، التفت بنج إلى جياده وقال: «أرأيتم ما أريد ؟ »

كان أحد مديرى شركات السنما فى هوليوود يبدى إعجابه بممثلة شابة جالسة إلى مائدة قريبة منه فى ملهى ، وكانت معه زوجته التى تأكل قلبها الغيرة . فقال لها : «انظرى إليها فإن ثوبها غاية فى الحشمة ، ووجهها غير مصنع ، وأظافرها غير مطرفة» . فردت زوجته بصوت كفحيح الأفعى قائلة : « من النساء من تتكلف أى شىء حتى تستوقف عيون الناس ! »

ذهب الممثل الهزلى بوب هوب إلى أحد المستشفيات ليعرض على نزلائه بعض ما يسليهم ، فجاء أحد المرضى وهو فى منامته (بيجامته) وجعلايتجاذبان أطراف الحديث وهما على المسرح، وبيناهما كذلك وقد حمى الحديث بينهما ، جاء ممرض من رجال المستشفى وأخذ بيد المريض لينطلق به إلى جناح الأمراض العقلية . فقال بوب : « أخوف ما أخافه على نفسى أن الحديث الذى دار بيننا كان فيما خيل إلى حديث عقلاء » .

اشتهر المخرج دافيد سلزنك بأنه يكثر من كتابة المذكرات إلى رجاله مهما هان السبب ، ومنذ عهد قريب تبين أحد معاونيه أنه قدم إلى رئيسه كشفاً خطأ عن الأفلام المرتقبة ومواعيد إعدادها ، وأنه أيضاً أرسل إليه بياناً غير تام عن المرتبات التى دفعت . فلما أدرك خطأه وضع رأسه المصدوع بين راحتيه ، وتنهد حائراً ماذا يفعل ، ثم جلس إلى مكتبه وكتب رسالة إلى رئيسه بدأها بما يلى : عزيزى المستر سلزنك ... رداً على المذكرة التى سترسلها إلى غداً ...

ليس سراً أن نقول إن القصار من كبار ممثلى السنما يستعينون بوسائل شتى لكى يوهموا من يراهم أنهم أطول قامة مما هم . ولكن قلما يعرف الناس أن مديراً قصيراً من مديرى شركات السنما فى هوليوود ، جعل مكتبه وبيته وكل ما يحيط به ، مناسباً لقامته فالسقوف والأبواب منخفضة ، وحجم الموائد والكراسى ورفوف الكتب والآنية أصغر من الحجم المألوف — وقد بالغ فى الأمر حتى اتخذ له سكرتيرة قصيرة !

[أكبر صانعي الطائرات الخفيفة ، يود أن يرى كل امرىء يركب متن الهواء . وبلاد الشرق الأوسط أصلح ما تكون لهذا الضرب من الطيران]

كل إنسان يستطيع أن يطير

لنكلن بارنيت • مختصرة من مجلة "لايف"

همه أن يقنع رجل الناس بأن كل إنسان يستطيع أن يطير ، فيضرب لهم مثلا بما كان من أمره. فهو طيار قليل الاحتفال بما تواضعوا عليه من قواعد الطيران ، ومع ذلك فالطيران معه مأمون المغبة . وقد تعلم أن يطير في الخمسين من عمره ، أما اليوم فتراه وقد بلغ الرابعة والستين ، يجد متعة عظيمة في أن يبين لزوّار مصنعه أنّ في وسع الطيار أن يغالى في مخالفة أصول الطيران، ثم يبقى مع ذلك بمنجاة من غوائل الموت .

هـذا هو « وليم توماس بايبر » صانع الطائرات الخفيفة « بايبر كب » .

وكثيراً ما يستفتح بيانه بمحاضرة عن قدرة الطيار على « التنسيق » وتحريك ذراع الطائرة ودفتها تحريكا دقيقاً محكما ثم يقول : « إن كلمة التنسيق يجب أن تحذف من معاجم الطيارين » . ثم ينظر بعين كئيبة إلى «دليل الانحراف» في الطائرة، وهو أنبوب من زجاج في جوفه كرة صغيرة سوداء . فإذا كانت دورة الطائرة محكمة ، ظلت الكرة في وسط الأنبوب . ولكن حين يحلق « بايبر » بأحد ضيوفه ، يتعمد أن يخرج على القواعد في حركات الطائرة ، ولا ينفك يسخر من تذبذب الكرة في جوف الأنبوب .

ثم يقول ساخراً : «أرأيت؟ هذا دليل لا قيمة له . لقد أدرنا الطائرة كما نشتهي، أليس كذلك ؟ حسبي أن تبقى الكرة في جوف أنبوبها » .

أما ازدراء بايبر بالتزام القواعد الدقيقة في الطيران ، فيرجع إلى أنه يستنكر كل شيء يثني الناس عن تعلم الطيران ، وعن شراء الطائرات . ولما كان يصنع طائرات صغيرة رخيصة، فهمّه منصرف إلى بيع عدد وافر منها . وقد كان قبل الحرب يصنع نصف الطائرات التي تستعمل في أمريكا لأغراض غير حربية . وثلاثة أرباع الطيارين المدنيين وفريق كبير من الطيارين الحربيين ، تعلموا الطيران أول ما تعلموه في طائرته ـ طراز « كب » . وجميع الطائرات التي استعملها

الجيش الأمريكي للاستطلاع والاتصال ونقل المصابين في ميادين القتال ، تكاد تكون من هذا الطراز .

ولكن « بايبر » لا يرى دليلا على أن عصر الطيران قد حان حينه ، وهو مقتنع بأن الرجل من أوساط الناس لن يشترى طائرة حتى يتزود براديو وثلاجة ومغسلة ميكانيكية أو كهربائية ، وبسيارة أو سيارتين أو بيخت بخارى . وستظل الحال على هذا المنوال ، ما دام معلمو الطيران لا يكفون عن التشدّق بالكلام عن « التنسيق » ، وما دامت القوانين المعقدة تعطل حركة المرور في الجو . إلا أنه يرى أن أكبر عقبة دون شيوع الطيران هي قلة المهابط ، فلست تجد في ١٥ ألف مدينة وبلدة في أمريكا ، سوى ٢٢٠٨ من المطارات . ويزعجه أن تنفق جماعة مبلغ ٥٠ ألف ريال على كل ميل من الطرق العامة ، ثم لا تهتم بإعداد مهبط للطائرات الصغيرة، وهو يقول : « إن معظم المدن لا يحتاج إلى مطارات كبيرة . ولست تجد في طائفة من أجمل الحقول سوى عشب ، فتمهيد أحدها وإقامة جهاز يدل على اتجاه الهـواء . عمل قد لا يكلف أكثر من ألف ريال » .

وعلى أن دعوته إلى حمل الناس على مزاولة الطيران قد تستغرق زمناً قبل أن تلقى نجاحا ، فإنه قد أصاب بعض النجاح في أسرته ومصنعه . فأولاده الثلاثة طيارون . ويبلغ عدد عماله ١٥٣٨ من رجال ونساء ، فتجد ٤٠٠ منهم أعضاء في نادى الطيران . ويحق لكل منهم أن يستأجر إحدى طائرات الشركة بأجر قدره ريال ونصف ريال في الساعة ، وهو مبلغ يكفى لتغطية ثمن البنزين والزيت وحسب . ولكل موظف في الشركة أن يطير متى شاء في أثناء العمل ، ولكن عليه أن يقضى مثل هـذا الوقت في عمل للشركة . وقد أعد بايبر لهؤلاء العمال والموظفين ، اثنتى عشرة طائرة وأربعة معلمين ، ويكلفه هذا السخاء ٤٠ ألف ريال في السنة ، ولكنه يرى أن إنفاقه يعود عليه بمنافع كثيرة .

ويرى بايبر أن الريح والسحاب والمطر جزء من دسيسة عامة مدبرة لكى تثنى الناس عن الطيران . وقد ظفر في الخريف بما عجز عنه غيره ، فقد استقل طائرته الصغيرة وانطلق بها في عاصفة شـديدة إلى حفلة افتتاح مطار جديد . أما سائر المدعوين فلم يستطيعوا أن يفعلوا ما فعل ، وكان بينهم فريق من طيارى الجيش ، وطائفة من رجال الكونجرس في طائرة نقل كبيرة ، وطيار مشهور بألعابه البهلوانية . وقد اضطر بايبر أن ينزل على سفح أكمـة حين اشتدت وطأة البَرَد ، فلما كف سقوط البرد ،

وارتفع الضباب قليلا ، استقل طائرته ثانية ، ومضى بها طائراً فوق سطوح البيوت حتى بلغ غايته .

وقد ظل بايبر زمناً طويلا ، بعد أن تخرج من جامعة هارفرد سنة ١٩٠٣ ، بعيداً عن شئون الطيران . فقد اشتغل فى آبار البترول فى مدينة برادفورد بولاية بنسلفانيا ، وفى سنة ١٩٢٩ جاء هذه المدينة صانع طائرات يدعى « تيلور » وبدأ يصنع طائرة صغيرة تباع بأربعة آلاف ريال . فاشترى بايبر حصة فى الشركة ، وصار أحد مديريها . فلما أفلست لم يجزع بايبر بل أنفق قدراً آخر من ماله ، وأعاد تنظيمها ، وصار أمين صندوقها ، ووضع خطة لصنع طائرة جديدة ذات سطح واحد ، رخيصة الثمن ، ولا يقتضى طيرانها وصيانتها سوى قليل من المال . وهذه هى طائرة « كب » الخفيفة التى قوتها ٣٧ حصاناً ، ومنها نشأت طائرات « كب » الحاضرة .

إلا أن الطائرة ماتت وهى لا تزال فى مهدها تقريباً . ففى السنوات الثلاث الأولى صنع بايبر أقل من ستين طائرة وباعها . وكثيراً ما كان يوفى أجور عماله مما يكسبه فى آبار البترول . وحدث مرة أن أبى مصرف أن يقبل صكا من صكوكه ، فاتفق مع بدال على توفية أجور عماله مما يبيعه البدال . ولكن حاله أخذت تتحسن فى سنة ١٩٣٤ ، فزاد ما باعه منها إلى سبعين طائرة ، وفى السنة التالية باع ٢٢٨ طائرة . وأخرج فى سنة ١٩٣٦ طائرة فيها بعض التحسين ، فارتفع ما بيع منها إلى ٥٤١ . ففتنه هذا النجاح ، فاشترى حصة شريكه وصار رئيس « شركة بايبر للطائرات » ومديرها العام .

ولم يكد يتولى الرئاسة حتى شبت النار فى مصنع قيمته ٢٠٠ ألف ريال فالتهمته . وكانت أقساط التأمين عالية ، فلم يؤمن إلا على خمسة فى المئة من المصنع ، فلما جاءه خبر النار بالتلفون قال هادئاً : « سنظفر بشىء من الشهرة على الأقل » . ووجد مصنعاً مهجوراً للحرير فى بلدة « لوك هايفن » وكان قريباً من مطار المجلس البلدى ، فبذل فيه كل ماله ونشاطه ، ليعيد إنشاء المعمل الذى أكلته النار .

ومن ثم أربى ما يبيعه بايبر من الطائرات كل سنة على كل ما يبيعه منافسوه جميعاً . فلما أخذت الحكومة الأمريكية بخطة تدريب الطيارين المدنيين سنة ١٩٤٠ ، زاد ما يصنعه بايبر زيادة كبيرة حتى بلغ ٣٠٠٠ طائرة أو أكثر .

ولم يتبين رجال الجيش فى أول الأمر منافع هذه الطائرة الخفيفة ، فأشاروا عليه

بأن يكف عن صنعها . وأن يبذل المعونة لأصحاب المصانع التى تصنع الطائرات الحربية؛ فكان رده أن قدم للجيش اثنتى عشرة طائرة من طراز « كب » فاستعملت فى مناورات سنة ١٩٤٠ ، لاستطلاع حسن رماية المدافع ، فشهد لها كبار الضباط ، وكان أيزنهاور أحدهم . فلم تنقض أسابيع حتى اشترى الجيش اربع طائرات ، ثم أربعين طائرة ، ثم بضع مئات . وقد بلغ عدد الطائرات التى صنعها بايبر للجيش أثناء الحرب ، ٧٠٠٠ طائرة .

وقد كانت طائرات بايبر خلال الحرب عيونَ المدفعية ، تحوم فوق خطوط الأعداء فتكشف الاستحكامات المستورة ، وتوجه نيران المدافع بوساطة الراديو . وكان رمزها الرسمى حرف « ل — ٤ » ولكن الجند كانوا يسمونها « الجرادة » أو « النطاطة » أو « سيارة جيب الطائرة » . وكان أيزنهاور يطير بواحدة منها حين يخرج للتفتيش فى ساحة الوغى . أما فى ميدان المحيط الهادى ، فقد كانت تستعمل لنقل مصل الدم والبريد والمؤونة ، إلى جماعات الجند التى فى جوف الأدغال . وكانت تحوّم ثم تحط فى مهابط صغيرة لتنقل الجرحى . وقد استعملت أيضاً لنقل الرسائل من السفن إلى الساحل ، ومن سفينة إلى أخرى حين كانت الأعمال الحربية تقضى بالكف عن التخاطب بالراديو .

ولما كانت هذه الطائرات تستطيع أن تحط على الأرض بسرعة لا تزيد على ٣٨ ميلا فى الساعة ، ففى وسعها أن تطير فى أماكن لا يتسنى للطائرات السريعة أن تبلغها . وقد كانت « مطاراتها » رقعاً صغيرة فى أرض موحلة، أو فى سفوح تلال جُرْدٍ ، أو فى بقعة كثيرة الحجارة . وحين نزل الحلفاء فى ساليرنو حلقت طائرتان منها من مدرج طوله ٧٣ قدماً ، أقيم على سطح سفينة من سفن إنزال الجند . وفى كازيرتا ركب لطائرات نقل الرسائل عوامات، فاستطاعت أن تقوم من سطح برك الماء فى حدائق القصر ، ثم تحط عليه . ولما كانت بطيئة رقيقة الحواشى مجردة من كل سلاح ، فقد كانت أشد الطائرات تعرضاً لخطر المطاردات ، ومع ذلك لم يسقط الأعداء إلا قليلا منها . وكان قوادها يهبطون بها ويتوارون عن مطارديهم بالطيران بين الأشجار وفى مخارم الأودية . وقد تمكن أحدهم من التفلّت من تسع مطاردات ألمانية كانت تطارده . وتمكن آخر من تدمير طائرة كانت تطارده، فقد اتجه إلى واد ضيق ثم دار نصف دائرة فى مساحة صغيرة ، ولما كانت الطائرة المطاردة لا تستطيع

أن تدور مثل هـذه الدورة ، اصطدمت بسفح الأكمة وشبت فيها النار .

ومع ما ظفرت به طائرات « كب » من مجد في ميادين القتال ، فإنك ترى بايبر كالواله المدلـّه، ينتظر اليوم الذى تخلع فيه طائرته ثوب الحرب الزيتونى القاتم ، وتعود إلى ثوبها الأصفر الذى ترتديه زمن السلم . وهو يكره العمـل فى المكتب ، ويهمل أكداس الرسائل التى يتلقاها ، ويمضى إلى المصنع ، فتراه رثَّ الملبس، مشعّث الشعر حتى ما يكاد يعرفه الموظفون الذين لم يطل عهـدهم به . وقد دخل ذات يوم قسم « الشحن » فرأى كومة من صناديق فيها أجزاء الطائرات وقد أعدت للشحن، فقال: « خـير لكم أن تنقلوا هذه الصناديق من هنا» ، وكان على مقربة منه عامل يراجع كشف الصناديق ، فقال : « خـذ هذا الكشف وراجعه، وأصعد أنا إلى قمة الكومة ثم أناولك الصناديق واحداً واحداً » فأجاب بايبر : « طيب » فأنجزا العمل معاً .

أما وقد أخذت مصانع الطيران الأمريكية تتحول من إنتاج الحرب إلى إنتاج السلم، فإنك ترى بايبر يواجه أشد منافسة واجهها فى حيـاته . فطائفة كبيرة من أعظم شركات الطيران فى أمريكا ، معنية اليوم بصنع طائرات صغيرة رخيصة الثمن ، أو بإعداد الخطط لصنعها ، ومنها طائرة من طراز هليكوبتر، وأخرى تستطيع أن تحط على المـاء والأرض ثمنها ٣٩٩٥ ريالا ، وثالثـة تطوى جناحيها إذا ما نزلت على الأرض فتصير سيارة .

فلكى يذبّ بايبر عن منزلته فى مقدمة صانعى الطائرات الصغيرة فى أمريكا ، تراه يصنع اليوم طائرة ذات مقعدين ثمنها ٢٠١٠ ريالات ، وأخرى ذات ثلاث مقاعد ثمنهـا ٢٠٩٠ ريالا ، وهما صورتان منقحتان من طائرة « كب » التى استعملت لتدريب الطيارين . ورجاله يجربون التجارب لصنع ثلاث طائرات إحداها ذات سطح واحد ومقعد واحد، وثانية ذات مقعدين ، وثالثة ذات أربعة مقاعد ، ويرجو أن تباع الأخيرة بأقل من ٣٠٠٠ ريال .

ولا تزال تسمع عمـاله يرددون قوله : « إنك لن تصاب بأذى فى طائرة كب بايبر» وعلى أنه من الممكن أن يقتل طيار فى طائرة « كب » كما يقتل فى أخرى ، فإن لهـذا القول ما يسوّغه . وقد أقسم بايبر أن لا يصنع طائرة من غير هذا الطراز .

حكمة الحيوان

ألن ديفو

هذا طرف مما يدور فى خلد الحيوان وما يعتلج فى صدره . ولقد بلغت الأبحاث العلمية كل مبلغ ، ولكن لا يزال ثمة شيء يعجز عقل الإنسان عن تفسيره . وإذا أسقطنا من هذه العجائب القصص التى يبالغ الصيادون فى تهويلها ، بقى لدينا قدر عظيم من ملاحظات لا سبيل إلى الشك فى صحتها . تدع المرء مبهوتاً حائراً .

ذكاء النمل

لست أحبُّ النمل ، وأكره منها خاصة ذلك النوع الذى يجتاح مطبخ كوخنا الصيفى . وقد أخذ صديق لى من علماء الطبيعة يطنب يوما فى الحديث عن ذكاء النمل فتحدّيته بقولى : « أراهنك بمئة ريال أنى أستطيع أن أضع طعاما فى إناء مفتوح فيظل كذلك أسبوعا دون أن يستطيع النمل أن يصل إليه » . ففكر هنيهة فى الأمر ثم قبل الرهان ، بعد أن اشترط على أن لا أستعمل أى نوع من أنواع السم .

وضعت طست غسل على أرض المطبخ وصببت فيه الماء حتى بلغ نصفه ، ثم وضعت فى وسط الطست مصباح زيت قديم ، ثم أخذت فطيرة حلوة موضوعة فى طبق عسل ورفعتها فوق المصباح ، ثم جئت بغراء لا يجف فطليت به جزءاً مما ظهر من المصباح فوق الماء ، وجعلت الطلاء خطاً عريضاً يدور بالمصباح ، وكذلك فعلت بظاهر الطست ، وقلت لنفسى : لن تصل نملة إلى ذلك الطعام !

ودخلنا مطبخ الكوخ بعد أسبوع فوجدنا الطعام يعج بالنمل ، وفرك صاحبى يديه سروراً بالمئة ريال ، وبين لى وهو يبتسم مرتاحاً كيف فعل النمل حتى بلغ الطعام . فقد اقتحم النمل شريط الغراء صفوفا صفوفا . ورقد فيه واحدة تتلوها أخرى من طرف إلى طرف ، وجعلت أجسامها جسراً يعبر عليه غيرها إلى الطست . وجمعت النمل عند الماء قطعاً من القش (ألصقت بعضها ببعض بمادة خاصة تفرزها) . وأقامت جسراً عظيما يمتد من حافة الماء إلى المصباح .

واعترفت له بخيبتى وإخفاقى ، ولكن صاحبى العالم لم يكتف بذلك وأشار فى سرور إلى فوق وقال : « لقد كان للنمل طرق أخرى ، إنها لا تحب أن تسير مقلوبة على السقوف ، ولا تحب أن ترمى بنفسها من عل .

ولكنها تفعل ذلك إذا كان الطعام مغرياً . فنظرت إلى السقف ورأيت النمل تسير مقلوبة عليه ، ثم تقف فوق الطعام بالضبط ، ثم ترمى بنفسها على الطعام واحدة بعد أخرى بدقة لا مثيل لها ! [ا . باتيستا]

صائد السمك

خرجت يوما فى فصل الربيع ، والجمد لا يزال يغشى البحيرة ، وأدليت بخيوط الصيد من ثغرات فتحتها فى الجمد ، وقد جعلت الصراصير وصغار السمك طعما لصيدى ، فرزقت صيداً كثيراً من السمك . وعدت يوما إلى خيوطى أتفقد الصنانير ، فألفيت عدداً كبيراً منها قد أخرج ونزع منها الطعم . كان أول ما خطر ببالى أن هذا من عمل بعض صغار الصبية ، فاختفيت على شاطئ البحيرة أريد مراقبة هؤلاء الأولاد وتأنيبهم على فعلتهم .

ولشد ما كانت دهشتى حين تبينت أن أولئك المتطفلين لم يكونوا سوى غربان ، جعلت أرقبها فى ذهول ولا أكاد أصدق ما ترى عيناى .

رأيت أحد الغربان يأخذ خيط الصيد بمنقاره ويجذب منه جزءاً ويتراجع به خطوات إلى الوراء وهو يمعن فى جذبه ، ثم يضع قدمه على الخيط حتى لا ينزلق ثانية إلى الماء . ويهرع الغراب الثانى إلى حافة الثغرة ، ويقوم هو الآخر بجذب جزء آخر من خيط الصيد ثم يضع عليه قدمه ، وهكذا دواليك حتى تخرج الصِّنَّارة وما عليها من طعم إلى سطح الجمد ، فيصيب الغرابان فيها طعاما شهياً . [كارل لورنتزون]

بالتجزئة

نزل رذاذ من مطر على أرض الحديقة فأحال أرضها المعشبة التى جففتها حرارة الصيف ، ندية رخوة ، وشاهدت أنثى طير تهرع إلى العشب لتفيد من الفرصة السانحة ، وراقبتها وهى تستخرج دود الأرض . ولشد ما كانت دهشتى إذ رأيتها بعد أن أخرجت الدودة من الأرض لم تعمد إلى أكلها بل شطرتها شطرين وخلفتهما على العشب . ثم إذا بها تبتعد بضع أقدام وتستخرج من باطن الأرض دودة أخرى فعلت بها مثل ما فعلت بالأولى . وكانت بعملها هذا تريد أن تجعل فرائسها من الدود عاجزة عن أن تعود فتنسرب فى جوف الأرض ، وتستفيد هى من تلك الفرصة النادرة للصيد .

وبعد أن أخرجت سبع دودات وقطعتها بتلك الطريقة العجيبة ، جمعت فى منقارها ستة أنصاف أو سبعة منها على مهل ، وطارت إلى

عشها . وبعد هنيهة جاء ذكر الطير فجمع في منقاره ما بقي من الدود ، وعاد إلى العش ليطعما صغارهما ولاريب . [بول لوروه]

كمين

بينما كنت في إجازة في مخيم الاستراحة لجيش الولايات المتحدة برانيخت عند سفح جبال الهملايا بالهند ، دبرت أنا وبعض صحبي حفلة صيد . وتبعتنا يوم خرجنا إلى الصيد جماعة من قردة برية كبيرة الأجسام ، لم تكف عن الصخب والضجيج وهي تنتقل وراءنا من شجرة إلى شجرة . وسرعان ما أدركنا أن تلك القردة الصاخبة ستنذر كل صيد باقترابنا .

فقررنا — دون أن نأبه لرجاء أدلاّئنا الهنود — أن نتخلص من هذه القردة الملعونة بقتل واحد منها . فسدد أحد أصحابي بندقيته وأصاب منها قرداً كبيراً ، فلم نلبث حتى خيم على الغاب صمت مخيف ، وشاهدنا أشباح القردة المربدّة ترتدّ عنا في سرعة وسكون . على أن أربعة من القردة نزلت على عجل إلى حيث سقط رفيقها ، وقبض كل واحد منها على ذراع القرد الميت أو ساقه وولوا به مدبرين ، وقد رأيناها شديدة الشبه بالإنسان ، وهي تنظر إلينا بعيون شفّها الحزن والألم .

وفي عصر اليوم التالي ، وقد مررنا في عودتنا بتلك الطريق ، شاهدنا ثلاثة قردة وقد جلست على شجرة فوق البقعة حيث قتل صاحبي القرد العجوز . ولما اقتربنا جعلت القردة الثلاثة تصرخ وتعوي كأنها تنادي عشيرتها أن تنفر إليها . فتقدم صاحبي ببندقيته نحوها وجثا على الأرض على ركبة واحدة ، واستعد لإطلاق النار عليها . وفي تلك اللحظة ضجت الغاب فجأة بكرات من الفرو الأربد تنقضّ من عل متكاثرة على صاحبي من كل حدب . وأوقعت طلائع القردة صاحبي إلى الأرض ، وعدت البقية خلفها لتقضي عليه ، ولم ينقذه من النكبة البالغة أو الموت ، سوى إسراعنا لنصرته بالبنادق والهراوات .

كان هذا الكمين فيما أرى من أبرع ما شهدت في هذه الحرب فكرة وتنفيذاً .

[الجاويش وودى ساليس]

روث وإدوارد برتشر – مختصرة من مجلة « ترو »

عام ١٨٨١ : ثلاثة وعشرون
٢٥ ديسمبر جنديا من الفتيان تبرق وجوههم بين لحى أنيقة ، قد جلسوا حول مائدة من خشب غير مصقول ، عليها من ألوان الطعام : حساء سلحفاة البحر وسمك وطيور، ولسان ثور المسك المطيّب بالأفاويه، وبط البحر وأنواع الخضر والفطائر المسقيّة بالنبيذ، والفواكه والمثلجات والنقل، وشيء من الحلواء والقهوة . ثم بدأوا يغنون ويمرحون، مع أن درجة الحرارة في الخارج كانت ٤٢ تحت الصفر . وكانت الجماعة قد توغلت شمالا إلى أقصى ما بلغه إنسان في الشتاء ، فقد كانت على أقل من ستمئة ميل من القطب الشمالي .

كان الملازم الشاب الباسل أدولفوس وشنطن جريلي قد نقل هذه النخبة من الرواد منذ خمسة شهور من جرينلند إلى خليج ليدى فرانكلين بجزيرة إليسمير ، فعبر بهم مضيق روبيسون الذى عرضه ٢٥ ميلا . وكان الغرض من هذه البعثة كتابة تقرير عن الأحوال الجوية . وكانت الأرقام التى سجلها جريلي ساعة فساعة عن الرياح والمد والجزر ودرجة الحرارة والضغط الجوى والمغناطيسية والجاذبية ، هى أول وصف كامل عن الأحوال الجوية فى منطقة القطب الشمالى، وعن أثرها البليغ فى تحديد جو المنطقة المعتدلة . وقد وضع بذلك الأساس الأول لدراسة الظواهر الجوية فى منطقة القطب ، فكان لهذه الدراسة شأن عظيم فى الحرب العالمية الثانية .

كانت الخطة تقتضى أن تأتى سفينة تموين فى صيف عام ١٨٨٢ فتمدهم بالزاد والأخبار، وأن تأتى سفينة أخرى فى صيف عام ١٨٨٣ لتحمل رجال البعثة إلى بلادهم .

أما سفينة الزاد المحدد لها عام ١٨٨٢ فلم تصل ، بيد أن هذا لم يفتّ فى عضد رجال البعثة ، فقد خرجوا على زحافات الثلج وهم يفيضون قوة وبشراً ، وقطعوا أكثر من ٣٠٠٠ ميل فى جولاتهم العلميــة .. وعبر جماعة منهم المضايق المتجمدة إلى جرينلند ، وبلغوا شمالا أقصى ما بلغــه إنسان قط . وكشفت جماعة أخرى وادى هازن ، وهو وادٍ معشب مخضلّ ، ازدانت حواشيه بزهور شقائق النعمان الصفراء ، ورفّت الفراش على جنباته ، ورعت ثيران المسك ناعمة فى مرابعه ، واصطفق البط فى مياهه الصافية . وأثبتت البعثة للناس أن المنطقة المتجمدة بقعة يستطيع أن يعيش الإنسان فيها فى راحة ويسر ، إذا عرف كيف يعيش .

ومضت ســنة ثانية ولم تأت أية ســفينة إلى خليج ليدى فرانكلين . وكان جريلى قد أمر ، إذا ما وقع هذا الحدث، أن يرتد جنوباً ٢٦٠ ميــلا إلى رأس سابين حيث تنتظره سفن الإنقاذ . وإذا اضطر الجمد السفينة ان ترتد جنوباً قبل أن تتصل به ، فإنهــا تدبر له مقاماً مريحــاً يقضى فيه الشتــاء ، ومؤونة تكفيه سنة أخرى .

وفى ٩ أغسطس عام ١٨٨٣ ، شخص الأمريكيون الثلاثة والعشرون ومعهم اثنان من الإسكيمو فى قارب بخارى طوله ٢٧ قدماً اسمه ليدى جريلى ، وقد شدت إلى مؤخرته ثلاثة قوارب تجديف كبيرة ، وكان طريقهم يقع فى المضيق الضـيق الذى يفصل بين جرينلند وبين الجزر الكبيرة فى شمال القارة الأمريكية .

كان المضيق فى ســنة ١٨٨١ مفتوحاً تسهل فيه الملاحة ، وفى ســنة ١٨٨٢ كان متجمداً يمكن الانزلاق عليــه ، أما فى عام ١٨٨٣ فلم يكن هــذا ولا ذاك ، بل كان قطعاً من الجمد السابح وذَوْب الثلوج القطبيــة تتقاذفها الرياح والتيار . وظل القارب ليدى جريلى ثلاثين يوماً يتسلل فى المياه تارة، ويشق طريقه بين الثلج الرجراج تارة أخرى، وكثيراً ما أوشك أن يُسحق سحقاً بين قطعتين كبيرتين من الجمد السابح . وقد اعترض طريقه مرة جبل هائل من الجمد السابح ارتفاعه خمسون قدماً، وغَوْره فى فى المساء أكثر من ذلك ، وإذا بمعجزة كمعجزة انفلاق البحر ، وإذا بهذا السدّ الهائل ينشق وتمر قافلة القوارب الصُغيرة الرقيقة دون أن يمسها أذى ! ولكن فى

٩ سبتمبر، حين كادت البعثة أن تبلغ غايتها، ووقف القارب عند جمد لا يمكن اجتيازه .

ولم تعوز الحيلة رجال البعثة ، فقد صنع الرجال مراكب للجليد من مقاعد القارب ، وأحاطوها بأطواق الحـديد من مراجل القارب، وشدوها إلى القواعد الخشبية بسيور من جلد الفقمة . وحملوا على هذه المراكب المؤن والآلات العلمية وقاربين من القوارب الصغيرة. وخرجت هذه الزُمْرة تسير على الثلج الخؤون ، تريد رأس سابين . وكانوا يسيرون بحملهم ، وتبلغ زنته ثلاثة أطنان ، ويجرّونه نحو ميل واحد فى اليوم .

وكتب جريلى فى مذكراته يوم ١٤ سبتمبر: « لقد ساء حظنا فوجدنا أن حقل الثلج الذى نسير عليه يتحرك حركة ظاهرة ساقتنا شمالا فى ثلاث ساعات أكثر مما سرنا جنوباً فى ثلاثة أيام ». وواجهتهم بعد ذلك قطعة من الجمد السابح كانوا قد قضوا أياماً فى الالتفاف حولها، ولكنها جعلت تدور، فألفوا أنفسهم حيث كانوا ، وصار لزاماً عليهم أن يقطعوا ذلك الطريق الشاق مرة أخرى .

وهبت زوبعة، واستحالت الريح صرصراً عاتيـة تهب بسرعة ٥٠ ميلا فى الساعة ، وجعل حقل الثلج يتحرك سريعاً نحو الجنوب، وظهرت على سطحه شقوق كبيرة ، فإذا لم يتمكن الرجال المجاهدون من بلوغ الشاطئ قبل أن يجرفهم التيار إلى عرض خليج بافن. فلا محيص من أن يتفتت الجمد تحت أقدامهم. فألقى الرجال كل مالا حاجة لهم به من العتاد . وكتب جريلى فى مذكراته يقول : « لقد بذلنا ما وسعته طاقتنا ، وعلينا الآن أن نكل الأمر لعناية الله » .

وأدركتهم عناية الله ، فإذا جبل ضخم من الجمد السابح قد أخذ يبدو من خلال الضباب بين حقل الثلج والأرض . فإذا استطاعوا أن ينتقلوا إليه انفسح أمامهم طريق إلى الشاطئ . ودنا جبـل الجمد حتى صار على خمسين قدماً منهم، وحال ذَوْب الثلج وفتات الجمد المتراكم دون دنوّه أكثر من ذلك . وكتب جريلى فى مذكراته يقول : « إن حركةً من أىّ الجمدين تشق قطع الثلج الطافية ، وتجعل البحر يبتلع كل من وقف عليه ، ولكنه مع ذلك هو طريق النجاة الأوحـد . نخفوا سراعاً إلى نقل قارب وزحافة ومؤونة فوق تلك الهوة ، ولم يكد آخر رجل من الجماعة يعبر الهـوة حتى تحرك الجمدان وكاد اليمّ يبتلعه .

وبعد ذلك بيومين بلغت البعثةُ اليابسةَ بالقرب من رأس سابين ، وقد نهك البرد والجوع رجالها . وقد كانوا يتوقعون أن يجدوا بها أصدقاء ، ونيراناً تتأجج، وكساء وطعاماً ، ولكنهم لم يجدوا سوى رسالة

تحمل نذير سوء ، فإن جماعة الإنقاذ التى نهدت إليهم ،قد عادت أدراجهامنذ شهرين إلى بلادها، وخلفت وراءها خبيئة مطمورة، هى بضع ملابس وقدر من الزاد لا يسمن ولا يغنى من جوع .

لقد تألب الجهل وقلة الكفاية والحظ العاثر على إحباط مسعى البعثة ، فقدأرسلت سفينة للمؤن إلى الشمال سنة ١٨٨٢ ، فاعترضتها الجمد بالقرب من رأس سابين . وكان من جهل الربان وطاعته العمياء للأوامر البلهاء، أنْ خبأ لهم زاد عشرة أيام فقط ، وعاد إلى بلاده يحمل ثمانية أطنان من المؤن .

وفى عام ١٨٨٣ سحقت الثلوج السفينة « بروتيوس » بالقرب من رأس سابين ، وكان يخفرها المركب البحرى « يانتك »، وترك رجالها لجريلى زاد شهر أو أقل . واستنقذ ربان اليانتك الناجين ، ثم استدار بمركبه وآثر الفرار . وكان يعلم ، كما يقول جريلى ، ان خمسة وعشرين من مواطنيه يعـوّلون التعويل كله على معونته لهم فى تلك السنة ، ولكن الأوامر التى تلقاها لم تلزمه بمساعدتهم ، وعادت سفينته أدراجها إلى الجنوب موقّرة بزاد كثير .

وقال أحد أعضاء الوزارة فى وشنطن أنه لا يرى حاجة إلى صرف مال آخر فوق المال الضائع فى سبيل إنقاذ خمسة وعشرين رجلا من الهالكين، ولكن جهود زوجة جريلى أدت إلى قيام حملة صحفية واسعة النطاق تطالب الحكومة بعمل فى هذا الصدد.

وفى ٢٢ يناير سنة ١٨٨٤ أقر مجلس النواب الأمريكى إرسال بعثة إنقاذ أخرى، بيد أن القرار لم يقدم إلى مجلس الشيوخ على الطريقة البرلمانية الصحيحة ، من جراء خطأ فى الإجراءات . وقد قال فى ذلك أحد أعضاء مجلس الشيوخ: « أرجو إذا ترك جريلى ورفاقه للهلاك أن يموتوا بطريقة برلمانية » ، فإن سفن الإنقاذ لم تبحر إلى رأس سابين إلا فى ٢٤ إبريل ١٨٨٤ .

٢٥ ديسمبر عام ١٨٨٣ : خمسة وعشرون رجلا أضناهم الهزال وعضهم الجوع ، قد انطرحوا على الأرض فى ظلام وبرد وقذر ، ولم يتسع كوخهم الحجرى الخشن فى رأس سابين لرقودهم متمدّدين ، وكان سقفه منخفضاً بحيث أنهم إذا أرادوا الجلوس معتدلين فى غرائر نومهم المتجمدة ، مست رؤوسهم الثلج الذى يغطى سقف الكوخ. ولن تطلع شمس المنطقة المتجمدة التى غابت منذ أمد طويل إلا بعد أسابيع كثيرة ، ولن يكفى زادهم إلى آخر مارس، حتى إذا قتّروا على انفسهم فى جرايتهم من الطعام .

وانطرح فى أحد أركان الكوخ جوزيف أليسون ، وكان أسوأهم حالا ، فقد تطوع هو وثلاثة آخرون للبحث عن مخبأ لحم على مسافة ٣٥ ميلا إلى الجنوب ، وقدوجدوا الخبيئة،ولكن أطراف إليسون جمدت كالحجر ، فتوسل إلى رفقائه أن يتركوه ، ولكنهم تركوا اللحم وعادوا به إلى الكوخ ، وقد هُرِئت يداه وقدماه من البرد حتى سقطت مبتورة . وكتب جريلى يقول : « لقد كان إليسون فى الأسبوع الأول يتمنى الموت ضارعاً، ولكن لم ينقض شهر حتى عادت إليه بشاشته » .

وكان جريلى يقرأ بصوت جهير على ضوء مصباح زيت الفقمة الخابى فى بعض ما لديه من كتب ، وقد كتب فى مذكراته يقول : « إن بعضهم يستكثر تبديد الزيت فى هذا الغرض ، ولكنى أرى أنه صُرِف فى خير الوجوه ، فقد زوّد عقولنا بمادة للتفكير، فلو كنا تركنا عقولنا تنطوى على أنفسها خلال الشهور المقبلة، كان خليقاً بنا أن ننتهى إلى الجنون . »

١٨ يناير ١٨٨٤ : مات كروس جوعاً وكان أول من هلك من الجماعة ، فكُفِّن فى غِرارة ، ولفّ فى العلم الأمريكى ، ووسّده رفقاؤه فى الثلج فى موضع سرعان ما عرف بينهم باسم « رَبْوَة المقبرة » .

وفى ٢ فبراير خرج الجاويش جورج رايس والإسكيمو جنز إدوارد، وعبروا الثلج إلى جرينلند فى طلب المعونة من إسكيمو إيتاه، وقد عادا بعد أربعة أيام وقد خارت قواهما وملأ اليأس قلوبهما، فقد ألفيا المضايق لا يمكن عبورها .

وأراد جريلى أن يزيل ما اعترى رجاله من خيبة الأمل ، فزاد جراية الخبز نصف أوقية فى اليوم، وكتب فى مذكراته : « كل هذا ضرب من اللهو الفارغ ، وسأضطر إلى إنقاص جراية كل شىء فى الأسبوع القابل » .

ولم يبق من الزيت ما يمكن الاستغناء عنه للقراءة ، وأخذ جريلى يحاضر رفاقه فى الظلام فى تاريخ الولايات المتحدة وجغرافيتها، وكان جريلى صارماً محباً للنظام ، فأصر على أن يستيقظوا مبكرين كالجنود ، وعلى أن تكون الأوامر والتقارير مكتوبة ، إلى غير ذلك ، وذلك لعلمه أنّ مثل هذا خليق أن يحفظ على رجاله صحتهم وقوة عزائمهم .

وكان أكثر حديثهم عن الطعام ، وقد كتب جيمس لوكوود نائب جريلى فى القيادة يقول : « سيحضر برينارد إلى منزلى للعشاء عند وصولنا وشنطن ، وقد وعدت أن أقدم له محاراً مطهياً ومربى الفراولة والكعك . »

٢٦ مارس : وأخيراً ارتفعت الشمس بحيث تسربت من خرق ثقبناه فى سقف الكوخ . وكتب جريلى يقول : « لقد كشفت أشعة الشمس البازغة عن منظر تناهى فى القذارة والبؤس . وفى تلك اللحظة رأيت ما اعترانا من الضجر والألم والبرد والجوع والضنى والهياج، والأسى الناجم عن خيبة الآمال، وغضبنا العاجز من قلة حيلتنا، كل ذلك رأيته ماثلا لعينى، بيد أن أفكاراً أخرى جالت بخاطرى : تلك الشجاعة الصابرة وهذا الجلد الذى يطاول الشقاء ، وذلك الوفاء الذى لايتزعزع، والإيثار العظيم الذى أبداه كل رجل خلال تلك الشهور المتطاولة . لعمرى إن تلك البلية ستجعلنى دائماً أحسن الظن بالجنس البشرى » .

٦ إبريل : لم نستطع أن نظفر بشىء من صيد البر، وجعل الرجال يأكلون « براغيث الرمل » أو كما يسمونها «جمبرى» ، وهى من صغر الحجم بحيث تزن كل ٧٠٠ منها أوقية واحدة . وخرج رايس وجوليوس فردريك يحاولان ثانية أن يعثروا على خبيئة اللحم ، فبحثا عنها على غير جدوى . وبدأت أطراف رايس تجمد من البرد ، فخلع فردريك بعض ملابسه ودثـّر بها صاحبه وهو فى غمرة الموت يريد تدفئته ، واحتضنه بين ذراعيه حتى أسلم الروح، فقبل جبينه، ثم عاد أدراجه على الجمد جاهداً متوحّداً . ولقد ضرب فردريك مثلا لا نظير له فى انتصار الإرادة البشرية ، بأن أضاف عند عودته نصيب رايس من الزاد الذى لم يأكله ، إلى بيت الزاد العام .

٩ إبريل : مات لوكوود جوعا ، وقد استمر إلى ما قبل موته بيومين يسجل درجات الحرارة .

٢٦ مايو : كتب جريلى فى مذكراته عن إدوارد إسرائيل فلكىّ البعثة : «أصبح إسرائيل الآن فى ضعف شديد ، لا يستطيع حتى أن يجلس . وتراه يكثر الحديث عن أهله وأيام صباه . ولقد أعطيته جرعة من الروم هذا الصباح ، ولم يك ذلك منى عدلاً بينه وبين الباقين ، إذ كان من الجلى الواضح أنها لن تفيده شيئاً ، بيد أنه وجد فيها راحة وعوناً ، ولقد عاملته كما أحب أن أعامَل فى مثل هذه الساعات . »

ولقد بدا فى النهاية أن بلوانا الفاجعة كانت أكثر مما يتسع لها طوق تشارلس هنرى ، فقد جعل يسرق الزاد من رفاقه الجياع ، وصار بذلك أشد الجميع قوة . كنا نخاف أن تسوّل له نفسه أن يقتل الآخرين ليستأثر بالزاد كله لنفسه ، أو ليأكل لحمهم بعد موتهم . وفى النهاية اضطر جريلى إلى أن يكون شديداً فى معاملته، ووافقه الجميع،

بأمر بإعدامه ، وأعدم رمياً بالرصاص يوم ٦ يونيو .

قامت بالقرب من المخيم مركبة الجليد القديمة التى اصطنعوها من القارب ، ففكوا عنها سيور جلد الفقمة وجعلوا يأكلونه ، وآثر البعض الجلد مسلوقاً ، وشواه الآخرون على ما بقى لديهم من خشب قطعوه فى طول عود الثقاب ليستوثقوا من احتراقه . واشتدت الحال فتبلّغ الرجال بجلد أحذيتهم وقفازاتهم ، وزودهم جريلى بعد ذلك بدِثاره وهو من جلد الفقمة ، ثم بغطاء غِرارة نومه ، وجعلها أنصبة متساوية بين الجميع ليأكلوها .

ويذكر دافيد برينارد احتياطاً غريباً اتخذوه فى ١٩ يونيو ، فقد ربطوا ملعقة إلى ذراع إليسون المقطوعة ، حتى يستطيع إذا مات الجميع وبقى هو ، أن يجد وسيلة يحمل بها ما قد يبقى من زاد إلى فمه .

ولم يتوان الرجال حتى ذلك اليوم عن أداء العمل الذى قامت البعثة العلمية من أجله كأحسن ما يستطيعون ، إلا أن البارومتر كان قد كسر ، وكتب جريلى يقول : « لقد كان هذا من الجدّ العاثر ، إذ كنت آمل أن نواصل عملنا حتى يموت آخر رجل منا » ، ولكنهم لم ينقطعوا عن تسجيل أحوال الرياح ودرجات الحرارة . وقد وجد برينارد فى رحلاته حين خرج يلتمس لهم طعاماً من بقايا الطحلب ، بعض آثار الإسكيمو ليضمها إلى مجموعته الأثرية . ووجد لونج ١٢ نوعاً غريباً من المحار .

وعلى الرغم من أن الجوع قد برّح بهؤلاء الرجال ، حتى كانوا يأكلون الحشرات إذا هم عثروا عليها ، فإنهم رفعوا ذلك المحار الذى بُضْرِى شهوة الجائع ووضعوه فى آخر ما تبقى لديهم من الخمر ، وذلك رجاء أن يدرسوه من الوجهة العلمية فيما بعد .

٢٠ يونيو : كتب جريلى فى مذكراته يقول : « تزوجت فى مثل هذا اليوم منذ ستة أعوام مضت ، وقد تركت زوجتى منذ ثلاث سنين لأخرج فى هذه الرحلة . متى ينتهى عيشنا هذا تحت ظلال الموت ؟ »

٢٢ يونيو : هبت على « مخيم الجوع » رياح وثلوج أحاطت به من كل جانب ، وتهيأ كل من السبعة الباقين للموت كل على طريقته . فتناول جريلى مذكراته مرة أخرى وكتب فيها : « فتح مضيق بيوكانان ظهر اليوم على مسافة طويلة من الشاطئ » ، وكان هذا آخر ما خطه جريلى فى مذكراته .

وقارب الليل أن ينتصف ، وخيل إليه أنه يسمع صوت صفير طويل خافت يعلو على زمجرة العاصفة . ومضت الدقائق متثاقلة

كأنها أجيـال ، ثم طرقت سمعه أصوات غريبـة كانت أول أصوات يسمعها بعد ثلاث سنين فى البقاع المتجمدة ، فإن جماعة الإنقاذ التى خرجت بقيادة القومندان ونفيلد سكوت شلى عام ١٨٨٤ كانت على خلاف سابقاتهـا ، إذ كان لهـا من نفاذ البصيرة والإقدام ما يتطلبه الشمال المتجمد ، وقد شقت طريقها قُدُماً فى الضباب والثلج حتى بلغت رأس سابين فى اللحظة الأخيرة .

كان إليسون ، ولا حول له ولا قوة ، يلعق الملعقة التى ربطت إلى ذراعه ، وكان موريس كونل ملقى على الأرض كأنه ميت . واعتدل برينارد فى شجاعة يريد أن يحيي التحية العسكرية، ولم يكن بين تلك الجماعة من يستطيع المشى غير فردريك ولونج . أما بيدربك، وهو ممرض الجماعة من قديم، فلم يزل يبذل كل مساعدة لرفاقه ، فجرّ بدنه جراً، زاحفاً على يديه ورجليه ، وجرّع كونل ، وقدغاب عن وعيه ، آخر جرعتين من الكونياك .

وإذا بصوت عال يسأل : « أهذا أنت ياجريلى ؟ »

وسمع جريلى هذه الكلمات كأنها آتية من فجّ عميق ، فثبت نظارتيه بأصابع ترتجف على عينين غشّـاها الإظلام .

وقال : « نعم » ثم قال وهو يجهـد أن لا يرتجف صوته: « إنى لسعيد بلقياك » .

مات إليسون فى طريقه إلى بلاده ،وقد ظل ستةأشهر أوتزيد بلا قدمين وبلا يدين. وعلى الرغم من أن جروحه لم تتقيّح فإنها لم تندمل . وقد ظن فى بادئ الأمر أن جريلى لن يعيش أيضاً ، ولكن لم تكد مسز جريلى تصل إلى السفينة فى بورتسموث حتى كانت العنـاية والطعام والدفء ، قد مهدت للستة الناجين طريقاً إلى العافية .

وعاش جريلى نصف قرن آخر يدير مكتب الأرصـاد الجوية الأمريكية وفرقة الإشارات، وبلغ رتبة القيادةفىعام ١٩١٦، وفى عيد ميلاده الواحد والتسعين فى مارس سـنة ١٩٣٥ ، وهى السـنة التى توفى فيها ، منحه الكونجرس وسام الشرف لما أسدى إلى بلاده من أيادٍ كثيرة . أما الجاويش برينارد، الذى صارجنرالا فى الحرب العالمية الأولى ، فقد اعتزل الخدمة ولا يزال حياً يرزق إلى يومنا هذا .

وإذا العنايةُ لاحظتك عيونُها نمْ ، فالمخـاوف كلهنّ أمانُ

« تقاس الديمقراطية بما تمنح من حرية لأقل الناس شأناً فى الحياة »
[جون جالزوردثى]

حاربت، ولا أزال أحارب

الشاويش بين كيروكى

اليابان هى أرض أسلافى ، ولكننى ما أحببت قط أن أزورها . لقد جئت من بلدة تدعى هيرشى بولاية نبراسكا فى الولايات المتحدة . ولى أنا ووالدى ووالدتى وأخى الأصغر مزرعة هناك نزرع فيها البنجر والبطاطس .

لم أغادر بلدتى إلا قليلا ، وذلك حين كنت أخرج لصيد السمك ، أو أسافر إلى شيكاغو لأزور أختى . ولقد نويت أن أزور نيويورك يوماً ما ، ولكننى لم أفكر فى زيارة طوكيو .

فى اليوم التالى للإغارة على برل هاربور، قطعت أنا وأخى ١٥٠ ميلا ، وتطوعنا فى الجيش ، وجعل بعض الناس يحدقون فى وأنا فى القطار إلى المعسكر، وسمعتهم يقولون: « ما يصنع هذا اليابانى فى الجيش ؟ » فصدمنى ذلك صدمة أذهلتنى ، ولم ألبث أن أدركت ، بعد انتقالى من بلدة أعرف كل أهلها، أنه مهما تكن البلدة التى ولدت فيها، ومهما تكن العواطف التى أكنها لهؤلاء الناس ، فأنا عندهم غريب أجنبىّ ، وظل الناس يحدقون فى وجهى فى طريقنا إلى المعسكر ، ولن أنس سفرتى هذه فى القطار.

تقدمت لقيادة الطيران أريد التطوع فى سلاح الطيران ، فكانوا يزعمون لى مرة بعد أخرى أن أوراقى قد ضاعت ، أو أنها محجوزة فى جهة ما، فلما سافرت وراء البحار كنت فى وظيفة كاتب فى جماعة قاذفات القنابل الثالثة والتسعين .

وكان ذلك فى أوائل نزولنا فى إنجلترا ، وكانت الأحوال تسير على غير ما يرام، وكانت قاذفات القنابل تهوى كالفراش، حتى قلّ عدد رجال المدفعية المدربين للطيران . ثم قرأت ذات يوم عن جماعة تدعى أبناء وبنات «جولدين ويست» الوطنية، وكانت دعوتهم ترمى إلى عزل الأمريكيين الذين من أصل يابانى فى بقعة تغمرها المستنقعات ، فكدت أجنّ حين قرأت هذا المقال ، فتطوعت لأكون مدفعيا ، ودرست خمسة أيام ، ثم انتقلت وحدتنا إلى إفريقية .

مختصرة من خطبة ألقيت فى اجتماع عام عقدته صحيفة « ذى نيويورك هيرالد تريبون » . وكيروكى هو أول أمريكى من أصل يابانى ظفر بوسام صليب الطيران الممتاز فى الحرب ضد اليابان .

وقمت بأول غارة لقذف القنابل على بنزرت، وفي هذه الغارة قتل مدفعي ذيل الطائرة ، فاتجهت نحو برج الذيل لأحل محله ، ثم قمنا في تلك الأيام ببضع غارات عنيفة على نابلي، وفينار نويشتات ، وروما . وكنا نردد هذا القول : «إنك تطير في سبيل أمريكا وأنت في طريقك إلى الهدف،أما وأنت في طريقك إلى قاعدتك، فإنك تطير في سبيل نفسك».

وأما غارتي الرابعة والعشرون فكانت على بلويستي، وهي أول غارة منخفضة على هذا الهدف ، فكانت مقتلة عظيمة ، ولم يعد من سربنا سوى طائرتين من تسع طائرات.

ثم أتممت الغارات التي كلفتها، واستعدت وحدتنا لتعود إلى الوطن،غير أنني تطوعت كي أظل في الخدمة وأقوم بخمس غارات أخرى . فقد كان أخي الأصغر لا يزال في أمريكا،ولم يخرج للخدمة فيما وراء البحار ، فأحببت أن أقوم بهذه الغارات نيابة عنه .

وكانت آخر غاراتي على مونستر،فأصابت طائرتي قذيفة فحطمت جوانب البرج وتطاير الزجاج فمزق وجهي، وعصف الهواء فأطار قناع التنفس، فوضع مدفعي قناعاً آخر على وجهي ، فسار كل شيء على ما يرام .

عدت بعد ذلك إلى مسـقط رأسي في الولايات المتحدة ، وشعرت بما يشعر به صبي غداة إجازته ، وأخذ النـاس ينظرون إلى أوسمتي ويصافحونني ، ولقد راعني أن أشعر بتقدير الناس لما قمت به وباحترامهم لي من أجله .

ولما تقدمت للجيش ثانية في كاليفورنيا رشحوني للإذاعة في الراديو ، فأحسست حقاً بأنني رجل ذو شأن ، ثم دعوت بعض زملائي ليستمعوا إلى إذاعتي ، ولكنني قبل أن أبدأ بساعة واحدة أمرت بأن أكف وأتنحى عن العمل ، ولم يحفل أحد بأوسمة الطيران الممتازة التي نلتها ، ولاح لي أنهم يعدونني أمريكيا من أصل ياباني ، ولذلك كان أمري مثاراً للجدل .

ولعل هذه هي المرة الأولى التي خطر لي فيها أنني لم أنته من هذه الحرب بعد ، وقد جعلني على يقين من ذلك ما وقع لي في اليوم التالي ، إذ هممت بالركوب في سيارة أجرة مع رجل ، فبادرني بقـوله إنه يأنف أن يركب مع ياباني قذر ، وكان على صـدري أجنحة سـلاح الطيران وأوسمتي ، ولـكنه لم يحفل بها ، فكدت أبكي وجن جنوني .

فلما لقيت كل ذلك قلت لنفسي : « إما الإغارة على طوكيو وإما الموت».وقد وددت لو أستقل قاذفة قنابل ، فمكثت ثلاثة أشهر وأنا أسمع قول من يقول : « لا ، هذا مستحيل إن اللوائح لا تسـمح » ولكنني لجأت إلى من يحبون معاونتي ، وهم نفر

من الأمريكيين يعتقدون أن ماقمت به خليق بأن يجعلنى أهلا للثقة ، فأيدونى . وعلمت بعد ذلك أننى سأدرب على قاذفة القنابل ، فشجعنى بعض التشجيع أن ألقى نفراً من الناس لا يأخذون المرء البرئ بما كان من جنسية أسلافه أو لون بشرته .

انطلقنا من مطار فى جزيرة تنيان ، واشتركت فى ثمان وعشرين غارة فى منطقة المحيط الهادى على كوبى وأوزاكا ، وعلى طوكيو فى النهاية . بل أتيح لى أن أشترك فى غارة على يوكوهاما مسقط رأس والدتى.

ولما علم زملائى أننى قد شننت غارات كثيرة فى الميدان الأوربى ، ظنوا أن بى مسّاً من الجنون ، لأننى عدت فتطوعت مرة أخرى ، فجعلت أمزح معهم بقولى : «إن المواصلات بيننا وبين اليابان قد قطعت، وأن هذا هو السبيل الوحيد الذى يكفل لى زيارة ناجازاكى » ، ولم أقل شيئاً عن السر الذى دعانى إلى الإغارة على اليابان .

لم أفعل ذلك لكى أحارب المبادئ الفاشية التى تسود ألمانيا واليابان وحسب ، بل لأحارب أيضاً بعض الأمريكيين الذين لم يحسنوا فهم مبادئ الحرية والمساواة .

إننى امرؤ لا سلطان له ، ولست أعلم شيئاً لا يعلمه أى شاب فى أمريكا ، غير أننى أعلم أنى حاربت مع طائفة من الرجال من جميع الأجناس ، منهم المدفعى البولندى . وقاذف القنابل الألمانى، والهندى الأمريكى، ورأيت رجالا تسيل دماؤهم ، فكان لون دمائهم جميعاً لوناً واحداً على تباين مطارح الأرض ، ثم سمعت صرخات ألمهم فتشابهت صرخاتهم على اختلاف أديانهم .

لقد اشتركت حتى اليوم فى ٥٨ غارة جوية ، فأورثتنى رعشة لا أزال أجدها فى يدى ، وسهاداً لا يزال يقضّ مضجعى ، وإنى لأتمنى أن أعود إلى مسقط رأسى وأنسى الحرب ، وحسبى أن أستلقى فى ظل شجرة راضياً بالحياة غير حافل . وإنه لمن العسير أن تدركوا أنى أجد الحرب لم تنته بعد، لم تنته فى رأى كثير منا نحن الأمريكيين الذين من أصل إيطالى أو زنجى أو يابانى .

وما دمنا نعيش فى عالم يسوده التحامل والضغائن ، فإن حربنا لن تخمد .

وإننى لأعود بذاكرتى إلى عهد دراستى فأذكر أن من الأشياء التى تعلمتها أن أمريكا بلد من البلدان التى لا يعترض الجنس أو الدين حرية أفرادها. وهذا هو سر إغارتى على طوكيو ، فقد خرجت لكى أحارب فى سبيل عالم ليست الحرية فيه عَرَضاً ظاهراً بل هى جوهر الحياة ، عالم أهله فيه سواسية كما برأهم الله ، حتى يثبت أنهم ليسوا أهلا لهذه المساواة .

هذا بدء موسم الذبابة التي تولد وتنشأ في الأقذار وقد أعدت إعداداً فذاً لنقل الأقذار من مكان إلى مكان .



عدونا ... الذباب

ألن دبيڤو • مختصرة من مجلة " يور لايف "

في بعض الأمثال : شيئان لا مفر منهما : الموت والضرائب ، فأضف إليهما شيئاً ثالثاً هو : الذباب . فالذباب الذي يطن في الشمس عند النوافذ ، ويحوم بشراهة على موائد الطعام ، أصبح شيئاً لامناص منه في الأقاليم الحارة ، فترى أكثرنا يألف وجوده حتى ما يكترث له .

وهذا الإهمال يجر علينا من الأذى أكثر مما نتصور : من أوبئة الكوليرا ، والجمرة الخبيثة والتيفود والرمد الصديدي والسل ، وكثير مما يصعب تعليله من إسهال يصيب الأطفال الرضع في زمن الصيف . فذباب البيوت هو ألد أعدائنا وأفتكهم بنا .

تبدأ ذبابة البيت حياتها وهي بيضة أصغر من رأس الدبوس ، تضعها الأنثى على كومة من الروث أو أي قمامة متعفنة ، وفي ٢٤ ساعة تنفلق البيضة عن دودة شفافة لا سيقان لها ، فما يمضي يوم حتى تكبر فيضيق عنها جلدها ، فينشق وتخرج منه وتكتسي جلداً آخر . ثم يتكرر انشقاق الجلد وخروجها منه ثلاث مرات في ثلاثة أيام ، وفي اليوم الرابع يضرب لونها اللبني إلى السمرة ، ثم تنسل من مكمنها حيث كانت تصيب طعامها ، وتغور في الأرض .

وفي الأيام الثلاثة التي تقضيها دفينة في جوف الأرض يشف غشاؤها العذري(*) عن بدنها المجزع وسيقانها الست ، وجناحيها المعرقين ، وعيونها المركبة ذات العدسات المتعددة . وياله من تناسخ هائل في مثل هذا الزمن القصير ! ثم ينشق الغشاء فتخرج منه الذبابة البالغة ، تشق طريقها في الأرض صعداً حتى ترى نور الشمس ، متأهبة أن تعيش عيشة الذبابة البالغة ثمانية أسابيع أو عشرة ، متى جف جناحاها واشتدا .

ويستغرق هذا التطور من بيضة إلى ذبابة بالغة سبعة أيام ، فإذا هي مهيأة للتناسل . فإذا كانت أنثى باضت في أقل من أسبوع أول دفعة مئة بيضة أو أكثر ، ثم تبيض مثلها

---

* العذراء (اصطلاحاً) هي المرتبة الثانية في حياة الحشرة ، فيما بين اليرقة والحشرة التامة

كل عشرة أيام . وتكاثر الذباب هذا التكاثر العجيب، يدلك على طرف مما تبلغه كثرة نسله إذا مضى ينسل دون أن يعوقه عائق . ولما كان موسمه يمتد من منتصف مارس إلى آخر نوفمبر ، فالذبابة الواحدة تنسل تسعة أجيال في المتوسط . فإذا أحصيت سلالة ذبابتين ، ذكر وأنثى ، فربما بلغ تعدادها في هذه الفترة مبلغاً هائلاً هو ٣٣٥ر٩٢٣ر٢٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ لو قُدّر للذرية كلها أن تعيش .

وصاحب النفس العَيوف إذا تقزّز من حياة الذبابة في أول نشأتها ، فهو منها أشد تقززاً حين ينظر إلى حياتها بعد بلوغها . فالشهوة الطاغية تجعلها تستطيب القمامة المتعفنة وسواها من الأقذار كما تستطيب قطع السكر على مائدتنا ، وتراها تطير رأساً من طعام لتحط على آخر . ويالها من حقيقة مفزعة حين تذكر ما ركب فيها من أعضاء فذة ، وما لهذه الأعضاء من وظائف .

فبدنها كله يكسوه زغب متراكب دقيق ، وكذلك الأجنحة والسيقان والأقدام ، فهي مزودة بخير أداة لاقطة من كل ما تحط عليه . ثم انظر إلى أقدامها ، فهي شاذة التكوين ، لكل منها خُفٌ لصّاق من الشعر اللزج ، وبهذه الأخفاف تستطيع أن تسير برشاقة على السطح الأملس ، وتمشي مقلوبة على السقف ، ولكنها تلتقط عشرات الألوف من الجراثيم فتنقلها من مكان إلى مكان .

يضاف إلى هذا أن فم الذبابة مكون من خرطوم ينتهي بحلمتين رخوتين من اللحم ، وليس لها مواضغ . ومن أجل ذلك لا تأكل السكر حتى تذيبه ، ولكي تفعل ذلك تفرز على قطعة السكر قطرة سائلة من آخر طعام أكلته ، وهذا هو العمل المفزع الخبيث الذي تأتيه الذبابة على مائدة طعامنا حين نراها في وعاء السكر . وهذه القطرات التي تفرزها مضافاً إليها وَنيم الذبابة (كلمة مخصصة لبراز الحشرات) هي أصل الهنات التي تتركها على النوافذ فتشق بها ربات البيوت .

هكذا حياة الذبابة التي تولد في القذر وتنشأ فيه ، والتي أعدت إعداداً فذاً لنقل هذا القذر حيثما حلت ، ومهما قيل في خطره على الإنسان فهيهات أن نبلغ مداه . يقول الدكتور هوارد عالم الحشرات المشهور : « تدل التجارب على أن الذبابة تنقل أكثر من ثلاثين نوعاً من جراثيم الأمراض » . وطالما بيّن الأطباء والمؤلفون خطرها العظيم على الصحة العامة . وقد ظهر من التجارب الدقيقة أن الجراثيم العالقة ببدن ذبابة واحدة قد تبلغ خمسة ملايين ، وأن ذبابة واحدة قد تعدى سكان بيت بأسره .

ترى كيف نستطيع أن نكافحها ؟ في وسع الأفراد أن يعملوا عملا نافعاً في مكافحتها،

ولكن عمل الجماعة المتعاونة أجدى وأعظم. إن الذباب لا يستقر فى مكان ، وقد ظهر من التجارب الحديثة أن طيران الذبابة ١٣ ميلا ليس مما يخرج عن طاقتها ، فليس يجدى إذن أن يكافح الذباب فى أحياء السكنى فى مدينة بعينها ، إذا كان على بعد أميال قلائل من المدينة وَهْدة للزبالة لا تراعى فيها القواعد الصحية ، أو كومة مكشوفة من روث البهائم يتوالد فيها الذباب بالملايين .

وينبغى أن تغطى منافذ المراحيض القديمة الطراز بشباك من السلك ، وأن يستعمل فيها البورق سماً للذباب ، وينبغى أيضاً أن لا ينفذ شىء من مجارى الخَبَث إلى سطح الأرض .

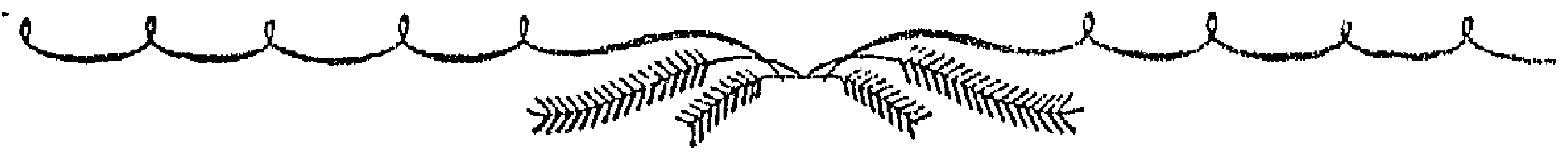
فالواجب على سكان المدن أن يتعاونوا على دَرْء هذا الخطر ، وعلى كل منا أن يستوثق من أن وعاء الزبالة فى بيته مصنوع من المعدن ومغطى بغطاء محكم ، وأن زبالة مدينته تحرق حرقاً أو تعالج بوسيلة من الوسائل الصحية ، ولا يكتفى بطرحها أو طمرها . وينبغى أيضاً أن نكافح الذباب الذى يقتحم بيوتنا كفاحا مستديماً ، باستعمال المذبات ، والرشاش القاتل له ، والدّابُوق (الورق اللزج) .

ويجب أن تبلغ هذه الجهود أقصاها فى أوائل الربيع وفى أواخر الخريف ، إذ يبدأ الذباب موسمه الأول فى التناسل ، فإذا جاء الموسم الثانى كمن بيض الذباب فى الأرض طول الشتاء ، فهيىء لفصيلة الذباب أن تستأنف الحياة عاما بعد عام .

إن لذبابة البيت ، كما لكل مخلوق سواها على وجه البسيطة ، أعداء من الأحياء . وينبغى أن ينصبّ بعض كفاحنا للذباب على تكثير أولئك الأعداء ، فيجب مثلا أن نبقى على العناكب ، ولعلها أعدى أعداء الذباب على الرغم من أذاها للحبوب — والضفادع والعَظاء (السحالى) والسمادل (دويبات من فصيلة الضفادع) . وأهم من ذلك كله أن نستكثر من الطيور ، فلست تستطيع أن تحصى الذباب الذى تلتهمه طيور كالعصافير والخطاطيف والبط وما شاكلها ، ولا أن تحصى بيض الذباب ويرقاته التى تقضى عليها ضروب أخرى من الطير . فمن أجل ذلك كان إلقاء بقايا الخبز والزبد للطيور فى الشتاء ، وتهيئة أمكنة تبنى فيها أوكارها فى الربيع ، خطوات هامة فى مكافحة الذباب .

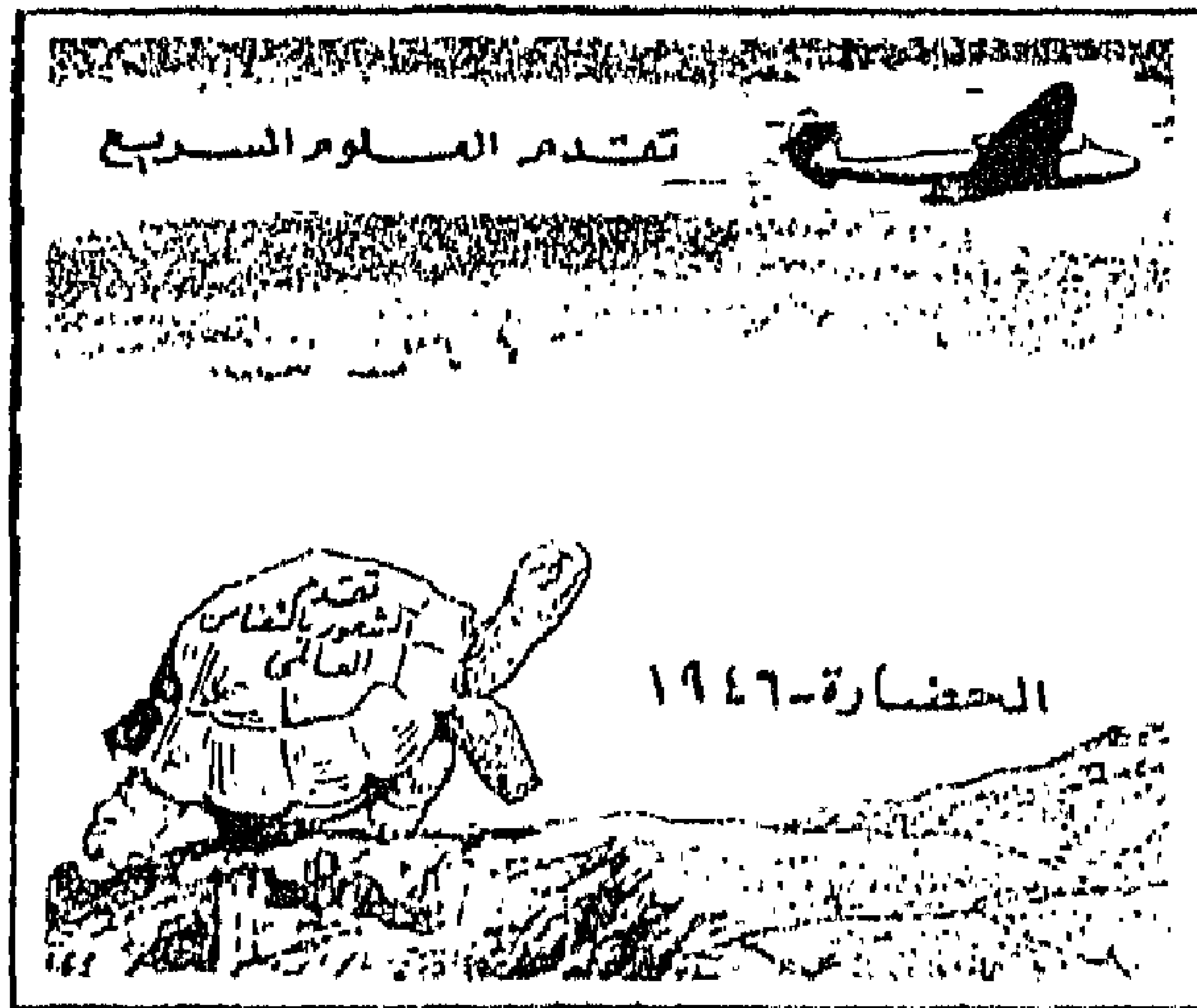
كان الإغريق يضحون للذبابة بثور كل عام فى أكتيوم . وكان السوريون الأقدمون يتزلّفون لها بمثل هذه القرابين . لكننا نأمل أملا عظيما . على رغم الدهور المتطاولة التى قضاها الذباب بين ظهرانينا قاتلا فتاكا ، أن نقرب بجهودنا ذلك اليوم المبارك الذى ينقرض فيه الذباب من كل مكان على ظهر البسيطة .

باب الكتب



قضية السلام

امري ريفز



آراء في هذا الكتاب المثير

الأسوشييتدبريس : قلّ بين الكتب عن أخطار الحرب ما هو أشدّ تحريكا للنفس من هذا الكتاب عن احتمالات السلام .

النيويورك تيمس : إنه بارع بليغ يعالج الواقع كما هو .

سان فرنسسكو كرونيكل : جدير بالكتاب أن يعنى به ويفكر فيه كل إنسان .

نيويورك هيرالد تريبيون : القضية من حيث خطوطها الرئيسية لا تنقض .

توليدو بليد : هذا الكتاب هو كتاب المبادىء والقواعد لجميع الذين يريدون أن يبنوا عالماً منظماً يسوده السلام .

منيا بوليس سندى تريبيون: ربما استطاع

بعضهم أن يثبت أن ريفز مخطيء ، ولكننى أشك فى هذا .

روبرتس القاضى السابق فى المحكمة العليا للولايات المتحدة : إنه دعوة مدوية إلى التفكير الرشيد فى سلام العالم . ونحن جميعاً مدينون بالشكر لإمرى ريفز .

مارك فان دورين المؤرخ : « إن القضية التى يعرضها ريفز تبدو مقنعة كل الإقناع ، وهى مقنعة بقدر ما هى ملحة . وكل ما أرجو ، هو أن يطلع على كتابه الملايين من القراء » .

كريستوفر مورلى الروائى : لو أمكن وقف كل الصحف والراديو مسافة يوم واحد ، لكان خير ما يقضى الناس فيه الوقت أن يقرأوا كتاب « قضية السلام » .

ستردى ريفيو الأدبية : من أحكم الكتب التى كتبت إلى الآن على القواعد الحقيقية التى لا بد منها لجعل السلام حقيقة واقعة .

قضية السلام

نظام الإقطاع فى القرن العشرين

إن الأحوال السائدة اليوم فى المجتمع الإنسانى ، فيها مشابه تلفت النظر من أحوال المدة الواقعة بين القرنين العاشر والثالث عشر ، حين ازدهر فى أوربا نظام الإقطاع .

لما تداعى الحكم المركزى فى العالم الغربى المعروف يومئذ ، وذلك حين سقطت الدولة الرومانية ، فقدت أرواح الناس وأموالهم ما يحميها من اللصوص فى الداخل ، ومن الغزاة فى الخارج . وفى هذه المرحلة المضطربة من مراحل التطور الغربى برز نظام الإقطاع ، وهو نظام سياسى أوحدته رغبة الجماهير فى الأمن ، فقصد الرجل الحر الذى لا أرض له ، والمالك الصغير أيضاً ، إلى أقوى سيد فى المنطقة ينشدان الملاذ والمعونة ، ويعرضان خدمتهما فى مقابلة ذلك.

وجعل الرعايا أنفسهم وأرضهم — إذا كان لهم أرض — رهن مشيئة الأمير ، وتلقوا منه الطعام والمأوى فى السلم ، والسلاح فى الحرب ، وفى مقابلة ذلك زرعوا الأرض وأدوا الضرائب وخاضوا المعارك . وكانت السلطة العليا فى الواقع فى أيدى الأمراء كل على حدته .

وقد تقررت العلاقات بين الأشراف

ورعاياهم بالعرف، ونظمت بالقانون، ولـكن العلاقات بين الأشراف المتجاورين لم يكن ينظمها سوى أواصر الأسرة ، والصداقات والاتفاقات فيما بينهم . وكان من الطبيعى أن تلهب الغـيرة والتنافس بين الأشراف الذين صاروا يكثرون دعوة رعاياهم مرة بعد أخرى إلى قتال الأمير المجاور

ولما كثرت المواصلات الداخلية وازداد عدد السكان ، ازدادت الحروب بين هذه الوحدات فى العـدد والعنف . وكان كل أمير إقطاعى ينظر إلى قوة جيرانه ونفوذهم نظرة الخوف والارتياب . ولم تكن ثم وسيلة للأمن من الهجوم إلا أن يهزم الواحد منهم جاره، ويفتتح أرضه، ويستلحق رعاياه ، وبذلك يوسع مجال نفوذه .

وقد أفضى هـذا التطور إلى الفوضى التامة والحروب الدائمـة تقريباً . وقد احتاج الرعايا إلى وقت طويل حتى يدركوا أن الاتفاقات التى عقدوها مع الأشراف الإقطاعيين للحصول على الأمن والحمـاية ، لم تجنهم إلا بالحروب الدائمة، وانعدام الأمن، والشقاء ، والموت .

على أنهم وجـدوا أخيراً أن خلاصهم لا يمكن أن يتحقق إلا بإقامة حكومة تكون فوق منازعات الأشراف المتحاربين . وكان من الضرورى لإدراك هذا الغرض أن يتم القضاء على قوة سادة الأرض الإقطاعيين ، وإقامة علاقات مباشرة بين الرعايا والحكومة المركزية . وهكذا التف الناس حول الملوك الذين بلغوا من القوة مبلغاً يسمح لهم بأن يفرضوا نظاماً شرعيا أقوى، وتفكك النظام الإقطاعى الذى سيطر على العالم خمسة قرون طويلة ، بعد أن تحسنت وسائل المواصلات، ونمت الآراء المشتركة ، فتيسر بهذا وذاك قيام حكومة أوسع نطاقاً .

ما علاقة هـذا التاريخ الطويل الأليم للإنسـانية فى القرون الوسطى بقضيتنا فى القرن العشرين ؟ لقد ظل الجنس البشرى يجاهد على الدوام فى سـبيل صور أرقى ووسائل أجود، لإيجاد نظام اجتماعى يستطيع الإنسان أن يفوز فى ظـله بالحرية والأمن جميعا . ويثبت التطور التاريخى للمجتمع أن هذه المثل الإنسانية العليـا إنما تتحقق على خير وجه ، إذا كان الفرد من الناس متصلا اتصالا مباشراً بسـلطة عليا مركزية تسنّ القانون للنـاس كافة . وقد وجدت هـذه الحقيقة معبراً عنها مرتين فى تاريخ الحضارة الغربية : فى أديان التوحيد وفى الديمقراطية .

إن المبدأ الأوّل ، فى اليهودية والمسيحية والإسلام هو التوحيد ، أى وحدانية الله ، وأن الناس سـواء عند الله . وهو عندهم المصـدر الأعلى للشريعة . وهـذا المبدأ هو

الصـخرة التى تقوم على قاعدتها الحضارة الغربية الحديثة . وذلك أن عقيدة التوحيد حين استقرت وتمكنت أصـولها ، على أن الله واحد، ليس فوقه شىء ، وأنه هو رب الناس جميعاً ، وأنه هو وحـــده صاحب السلطان على البشر — كانت هى أول شىء كشف للناس عن النظام الوحيد للتشريع الذى يمكن أن يقام عليـه مجتمع إنسانى يعيش فى ظلال السلم .

وفى الوقت الذى أعلنت فيه هذه النظرية الخاصة بالمجتمع ، كانت الأحوال بدائية إلى حد لا يسمح بتطبيقها كمبدأ سياسى. ولهذا ظلت فكرة المساواة فى ظل قانون عام زمناً طويلا غير شائعـة إلا من حيث هى عقيدة دينية . على أنه فى القرن الثامن عشر دفعت الأحوال آباء الديمقراطية الحديثة إلى شن حرب شعواء للقضاء على سلطان الملوك والحكام الكثيرين الذين ظلموا الشعب واسترقّوه ، وأدى ذلك إلى إعلان المبدأ الأساسى القائل بأن السلطة مصدرها الجماعة أى الأمة .

وهذا المبدأ الذى هو أساس الديمقراطية يعد تفرّعا سياسيا على عقيدة التوحيد . والنظرية التى يقوم عليها هى أن إرادة الجماعة هى المصدر الوحيد للقانون ، وأنه فى ظل القانون يتساوى الناس جميعا . وإنها لمن مآسى التاريخ الكبرى أن إدراك هذا المبدأ وإعلانه جاء قبل اوانه بقرن .

فإنه لما صار هو المبدأ السائد ، كان من غير الممكن عمليا أن يكون القانون عالميا . فقد كان العالم لا يزال كبيراً جداً ، ولم يكن من الميسور أن تكون هناك سيطرة مركزية عليه ، وكان لا يزال كوكبا زراعيا محضا ، لا تكاد أحواله الاقتصادية تختلف عن أحواله فى الأزمنة الموغلة فى القدم. وهكذا ظهر بديل من الوحدة العالمية يسّر لمبدأ السيادة الديمقراطية أن يتخذ على الفور صورة جديدة يتجلى فيها .

وهـذا البديل هو الأمة . ففى القرن الثامن عشر ، لم يكن من الممكن أن تنظم الجماعة الإنسانية تنظيما عالميا . ولهذا لم يكن فى الوسع تنظيم الديمقراطية وفق مبادئها العالمية الأساسية. ولم يكن ثم بدٌ من تنظيمها تنظيما قومياً .

وظلت المسألة زمنا طويلا وكأنها حلت حلا مرضياً ، ونعم مواطنو الدول القومية الديمقراطية الحديثة ورعاياها بقدر لم يكن معروفا من قبل فى الحرية والأمن والرغد .

ولكن الوحدات القومية المختلفة ، ذات السيادة ، ما لبثت بفضل التقدم العظيم فى المواصلات فيما بينها، أن اتصل بعضها ببعض اتصالا وثيقاً . فكان هـذا الاتصال بين

الدول المستقلة سبباً فى الاحتكاك والاصطدام، على نحو ما حدث فى العصور الوسطى .

واليوم صار المواطنون معرّضين للظلم والعنف ، وأبعد ما يكونون عن الفوز بالأمن والحماية المنشودين من دولهم ، وأصبح تعدد الوحدات المستقلة المتصادمة فى الجماعة الإنسانية يعفّى على كل أثر للحرية والحماية والأمن التى منحتها الدول القومية لشعوبها فى الأصل .

ونحن فى منتصف القرن العشرين نعيش فى عهد من النظم الإقطاعية السياسية المطلقة، حلت فيه الدول القومية محل أمراء الإقطاع. فإن التقسيم العرفى المصطنع للجماعة الإنسانية يضطر الدول القومية أن تسلك نحو رعاياها وجيرانها نفس سلوك الأمراء الإقطاعيين .

ونحن فى ظل نظام الدول القومية ، لا نستطيع أن نشترك فى سن القوانين فى أية رقعة من رقع الجماعة الإنسانية تجاوز حدود بلادنا ، فمن مغالطة النفس إذن أن يقال إن الأمريكيين والبريطانيين أو الفرنسيين « أمة حرة » ، فإن أمما أخرى تستطيع أن تهاجمهم وتكرههم على الحرب فى أى وقت، وهم يعيشون فى خوف وقلق عظيمين ، كما كان يمكن أن يعيشوا تحت حكم ظلمة غاشمين يعتدون على حرياتهم حين يشاءون .

وقد طوح نظام الإقطاع القومى بالعالم إلى وحشية لم يسبق لها نظير ، وكاد يقضى على جميع الحقوق الفردية والحريات الإنسانية التى اكتسبها أجدادنا بالكدّ والدم .

ولا يوجد أقل أمل فى أن نستطيع تغيير النهج الذى تدفعنا إليه الدول القومية المتنازعة بسرعة ، ما دمنا نعدها المظهر الأسمى والنهائى لسيادة الشعوب. وسيقذف بنا بسرعة يطرد ازديادها ، على قلق أشد ، وتخريب أعظم ، وبغضاء أشد تسعراً ، ووحشية أفظع ، إلى أن يصحّ منا العزم على محو النظام السياسى القائم على الدول القومية، وإقامة نظام اجتماعى قاعدته سيادة الجماعة الإنسانية ، كما تصورها مؤسسو الديمقراطية، وعلى النحو الذى تنطبق به على حقائق اليوم .

السبب الوحيد الحقيقى للحرب

من المسلم به عادة أن للحرب أسبابا يخطئها الحصر، وأن محاولة إزالة كل هذه الأسباب مهمة ميئوس منها .

ويجب علينا أن نرفض أن نتقبل مثل هذا القول الخادع فى أساسه ، وإن كان يبدو صحيحا ، إذا أردنا أن نتجنب أن نصبح ضحايا للخرافة ، لا حول لها ولا حيلة .

ويبدو لكل من لا يتعمق فى التدبر ، كأن الحروب قامت لأسباب شتى عديدة . فبين الشعوب البدائية ، كانت الأسر والعشائر

والقبائل تحترب ، ويستعبد بعضها بعضا أو يستأصل شأفته فى سبيل الطعام والمأوى والنساء وأرض الصيد . ثم فيما بعد ، وفى مستوى من المدنية أعلى من هذا ، نرى جماعات أكبر، ومدناً تقتتل ويحارب بعضها بعضاً — نينوى ، وبابل ، وطراودة ، وأثينا ، وإسبرطة ، وروميـة ، وقرطاجنة . وعلى أثر انهيار النظام الإقطاعى تغيّر ميـدان الصراع مرة أخرى ، وخاضت الحروب مراكز تجارية عظيمة : البندقية، وفلورنسة وهامبورج ، ودانتزج ، وغيرها من المدن التى كانت وحدات قائمة بذاتها. ثم تلت ذلك سلسلة أخرى من الحروب شنها الملوك المطلقو السلطة لمصلحة أسَرهم ، ثم سلسلة أخرى أضرمت نارها الأديان المنظمة ، وأخـيراً جرّ قيام الدول القومية سلسلة من الحروب الماثلة بين أم مجندة على بكرة أبيها .

فإذا كررنا الطرف إلى التاريخ فإن الحرب تبدو كأنهـا وحش له مئة رأس ، فلا يكاد بُنَاة الصلح يقطعون رأساً حتى تنمو رءوس أخرى بين كتفى الوحش . غير أننا إذا حللنا ما يبدو أنه الأسـباب المتعددة للحروب السالفة ، لا يسعنا إلا أن نلاحظ أن هناك خيطا واحداً متصلا ينتظمها جميعاً ، وأن السبب الحقيقى للحروب كلها كان واحداً دائماً :

● إن الحروب بين جمـاعات من النـاس تؤلف وحدات اجتماعية ، تنشب دائما ، حين تمارس هذه الوحـدات سلطاناً غير محدود من السـيادة — سواء أ كانت هـذه الوحدات قبائل أم أسراً ملكية ، أم كنائس ، أم مدناً أم أمماً .

● والحروب بين هـذه الوحدات الاجتماعية تنقطع عندما تنتقل سلطة السيادة منها إلى وحدة أكبر وأعلى.

إن الأسباب التى يعزو إليها التاريخ هذه الحروب ، لا اعتداد بها ، لأنها ظلت باقية مستمرة بعد أن انقطعت الحروب بزمان طويل . وما تزال المدن والأقاليم تتنافس ، وما انفكت العقائد الدينية مختلفة اليوم كما كانت فى أيام الحروب الدينية .

ومتى أدرك الناس السبب الأساسى للحروب — لكل الحروب — فإن العبث والصبيانية اللذين تنطـوى عليهما المناقشات الحاميـة فى التسلح ونزع السلاح لا بد أن يظهرا .

ولو أن الجماعة الإنسانية كانت منظمة بحيث تكون العلاقات بين الوحدات قائمة على مقتضى منشآت قانونيـة تسيطر عليها الروح الديمقراطية ، إذن لاستطاع العـلم الحديث أن يبتكر أشـد الأسلحة تدميراً

وسحقا دون أن تنشب حرب . ولكنا إذا تركنا حقوق السيادة للوحدات المنفصلة ، دون أن تنظم علاقاتها بالقانون ، فقد نستطيع أن نحظر كل سلاح ، حتى ولو كان مبراة ، ومع ذلك تتقاتل الشعوب ويهشم بعضها رءوس بعض بالعصى .

ومن المآسى أن يرى الإنسان عمى حكوماتنا وجهلها، وعمى الزعماء السياسيين أيضا، فيما يتعلق بهذه المسألة الحيوية البالغة الخطر .

بعد سنة ١٩١٩ تسلطت على بناة السلام فكرة مؤداها أن التسلح يؤدى إلى الحرب، وأن الشرط الأساسى لسلام العالم هو التحديد العام للتسلح وخفضه ، وظل نزع السلاح يسيطر أتم سيطرة على الآراء الدولية خمسة عشر عاماً ، وصبت دعاية هائلة فى آذان الجماهير ، فحواها أنه لا ينبغى لأمة أن تبنى بوارج حمولتها أكثر من ٣٥٫٠٠٠ طن، وأن عيار المدافع ينبغى أن ينقص ، وأن تحظر الغواصات وحرب الغازات إلى آخر ذلك .

والآن يدعو زعماؤنا إلى نقيض ذلك على خط مستقيم ، واليوم يقال لنا : إن التسليح القوى هو وحده الذى يصون السلام ، وإن كل أمة ديمقراطية يجب أن تحتفظ بأساطيل وقوات جوية وجيوش ميكانيكية ، قوية لا تقهر ، وإن علينا أن نسيطر على قواعد حربية منتشرة حول الكرة الأرضية .

وهذه الفكرة — فكرة الاحتفاظ بالسلام بواسطة التسلح — ليست أقل خطأ من فكرة صون السلام بنزع السلاح . وللأسلحة من الشأن فى استتباب السلام ، مثل ما للضفادع فى تعيين حالة الجو ، والتجنيد والجيوش الجرارة عاجزة عن صون السلام كعدم التجنيد ونزع السلاح .

إن قضية السلام قضية اجتماعية وسياسية، وليست بقضية فنية .

المعنى الحقيقى للسيادة

أما مسألة السلام الأساسية فهى مسألة السيادة ، ويتوقف الرخاء والسعادة بل مجرد الوجود، للمعدن فى بنسلفانيا ، وويلز واللورين ، أو حوض الدون ، وللفلاح فى أوكرانيا ، والأرجنتين ، ووسط أمريكا ، أو فى حقول الأرز الصينية — على التفسير الصحيح لمعنى السيادة . وليست هذه مناقشة نظرية ، وإنما هى مسألة حيوية أعظم من مسائل الأجور والأسعار والضرائب ، لأن حل المسائل اليومية جميعاً لألفى مليون من البشر ، رهن بحل مسألة الحرب التى هى قطب الرحى .

وإن فى كثرة الحديث اليوم عن

السيادة — وهى لفظة كانت لا تكاد ترد فى المناقشات السياسية قبل عقد أو عقدين — لدليلا على وجود قُرْحة فى الكيان السياسى، لا يدع شكا فى أن ثم شيئاً غير مرضى فيما يتعلق بالسيادة، وأن تفسيرنا اليوم لهذه الفكرة يجتاز أزمة، وأن الإيضاح لازم.

فما معنى « السيادة ؟ »

تبين فى مرحلة مبكرة جداً من حياة الإنسان، أنه قبل أن نستطيع العيش معاً فى أسرة أو قبيلة، ينبغى أن نفرض بعض القيود على نزعاتنا الطبيعية، وأن نحظر أشياء نحب أن نصنعها، وأن نرغم على فعل أشياء لا نحب أن نصنعها.

والطبيعة الإنسانية من خصائصها أنها تجعل الإنسان لا يتقبل القواعد إلا إذا فرضتها عليه سلطة مقررة، وقد كان الإله هو أول سلطة مطلقة.

وهكذا صار من الضرورى أن يحمل الناس على الاعتقاد أن القواعد والنظم المطلوبة هى من أمر الله. وكان الكهنة يذيعونها ويحيطونها بكل ما يملكون من السحر، وكانوا هم المتصلين مباشرة بالإله، والذين يعرفون كيف يعلنون إلى الناس إرادته بين الرعد والبرق، فيذعن الناس ويقبلونها.

وهذه هى السلطة الأولى المطلقة — المصدر الأول للقانون — ورمز لقوة من وراء الطبيعة. وقد احتاج الملوك والأمراء الأوربيون للاحتفاظ بسلطتهم وبما يخولهم سن القوانين وحمل الناس على الإقرار لهم بأنهم المصدر الأعلى للقانون — احتاجوا أن يجعلوا علاقتهم أوثق ما يمكن بالدين، وزعموا أنهم استمدوا سلطتهم من الله.

وفيما بين عصر النهضة والقرن الثامن عشر ظهر مبدأ اجتماعى أحدث انقلابا — هذا المبدأ هو أنه ما من فرد أو أسرة ملكية أو غير ملكية، يمكن أن تعد مصدر للسلطات، وأن الشعب هو مصدر السلطات والتشريع. وقد أدى هذا المبدأ الانقلابى إلى إقامة الجمهورية فى أمريكا وفرنسا وإلى النظام البرلمانى القائم، فى إنجلترا وبلاد أخرى كثيرة، على أن « الملك يتولى ولكنه لا يحكم ».

إن المبدأ المثالى القائل بسيادة الأمة كان فى بدايته خطوة عظيمة فى سبيل التقدم وحافزا إلى رقىّ الإنسانية. وجاء إعلان الاستقلال الأمريكى، والثورة الفرنسية، على أثر قيام النظم النيابية فى إنجلترا، مشجعاً قوياً للشعوب الأخرى على الجهاد فى سبيل سيادتها واستقلالها. وبلغ هذا التطور ذروته فى معاهدات الصلح التى عقدت فى عام ١٩١٩، حين كثرت الأمم التى صارت

تامة الاستقلال والسيادة كثرة لم يسبق لها نظير . وبعد عشرين عاما ديست هذه الأمم العزيزة ذات السيادة فى التراب ، وكثرت اليوم الأمم التى أصبحت مسترقة شقية كثرة لم يسبق لها أيضاً نظير .

فلماذا حدث هذا ؟

حدث لأن النظام السياسى الذى أقيم فى سنة ١٩١٩ وقدس المثل العليا للقرن الثامن عشر ، كان عتيقاً ، وبعد أوانه ، ومناقضاً مناقضة تامة للأحوال كما هى فى القرن العشرين . فقد كانت المثل العظيمة الخاصة بسيادة الأمة ، والاستقلال ، والقومية ، باعتبارها أساساً للدول ـ كانت نجاحاً معجبا فى القرن الثامن عشر ، فى عالم كان واسعاً جداً قبل أن تبدأ الثورة الصناعية .

أما تصورنا الحالى للسيادة القومية فيرينا كيف أن مثلا أعلى متى حصل إدراكه ، يمكن أن يشوه فى مسافة قرن واحد . إن التصور الديمقراطى للسيادة مؤداه أن تنتقل حقوق السيادة من يد رجل واحد ، ملك مثلا ، إلى الناس جميعا أى الأمة ، فالسيادة بالمعنى الديمقراطى هى للجماعة . ويجب أن نحاول أن نتمثل صورة العالم كما كان فى القرن الثامن عشر ، ففى ذلك القرن لم تكن الثورة الصناعية قد بدأت ، وكانت مركبة الخيل أسرع أداة للمواصلات . ففى هذه الأحوال كانت الأمة أوسع الآفاق فى نظر آباء الديمقراطية ، وهم إنما عنوا سيادة الجماعة حين أعلنوا سيادة الأمة ، وأرادوا أن تكون للسيادة أوسع قاعدة ممكنة .

أما فى النظام الحالى للعالم فإن السيادة ليست للجماعة ، وإنما تستعملها على صورة مطلقة طوائف نسميها الأمم ، وهذا مناقض على خط مستقيم لمعنى الديمقراطية الأصلى للسيادة . فقاعدة السيادة اليوم أضيق ما تكون ، وليست لها السلطة التى أريدت لها . وما زال اللفظ كما كان ، وما انفك ما يؤديه من المعنى واحداً ، ولكن ما يحيط به تغير ، لأن أحوال العالم تغيرت .

لقد بدأت بذور أزمة القرن العشرين تنبت على الفور تقريبا بعد قيام الدول القومية الديمقراطية الحديثة ، وحدث بمعزل عن هذا شىء آخر ، قسم له أن يكون حركة قوية أخرى وعاملا فعالا آخر فى التقدم الإنسانى ، وهذا الشىء هو الحركة الصناعية

وهذان التياران المسيطران على عصرنا وهما القومية والحركة الصناعية ، فى صراع دائم لا مفر منه .

فالحركة الصناعية تحاول أن تدخل الكرة الأرضية كلها فى نطاق نشاطها ، والإنتاج الصناعى الحديث بالجملة يحتاج إلى

خامات من كل أقطار العـــالم ، ويتطلب أسواقا في كل ركن من الأرض وهو يسعى لتحقيق أغراضه بغض النظر عن الحوائل السياسية والجغرافيـــة والدينية والعصرية واللغوية والقومية .

أما القوميـــة ، فإنها على نقيض ذلك ، تحاول أن تقسم هذا العـــالم إلى جماعات صغيرة مستقلة .

وقد أمكن مدّة قرن أن يتحدّر هذان التياران معاً جنباً إلى جنب ، فقد كان في عالم الدول القوميـــة ، بعض جهات سعتها كافية للتطور الصناعى داخلها . ولـكن هاتين القوتين تصادمتا بعنف هائل منذ بداية هذا القرن . وهذا التصادم بين حياتنا السياسية وحياتنا الاقتصادية والصناعية ، هو السبب في أزمة القرن العشرين التي مازلنا نعانيها منذ سنة ١٩١٤ وليس لنا من الحول أكثر مما للأرانب في التجارب العلمية .

ومعنى هـــذه الانتفاضة واضح ، فإن الإطار السياسى لعالمنا ، بما فيه من الدول القومية التى تبلغ نحو ثمانين . عقبة كؤود في سبيل التقدم الصناعى الحر ، والحرية الفردية ، والأمن الاجتماعى .

فإذا نحن أبينا أن ندرك هذه المسألة ، وأن نعترف بأن التطور الصناعى قد جعل كياننا السياسى عتيقا ، فإننا لا نستطيع ان نرجو أن نخلق إطاراً سياسياً في هذا العالم يتسنى أن يوجد فيه التطور الصناعى والحريات الفردية والعلاقات الإنسانية السلمية .

إن الخطوة الأولى للقضاء على هـــذه الفوضى هى التغلب على العقبة العاطفية الهائلة التى تمنع أن ندرك ونسلم أن مبدأ الدول القوميـــة ، بكل ما سجل له من نجاح في القرن التاسع عشر ، هو اليوم علة ما يعانيه هذا العالم من شقاء وآلام لا تقدر . ونحن نعيش في فوضى تامة ، لأننا في عالم صغير متصل بعضه ببعض من كل وجه آخر ، ولـكن فيه نحو ثمانين مصدراً منفصلا للقانون، وثمانين دولة ذات سيادة .

والأمر الذى له دلالة فيما يتعلق بالأزمة الحاضرة هو أن الدول القوميـــة ، حتى أقواهن ، وحتى الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى والاتحاد السوفيتى ، ليس لها من القوة ولا من « السيادة » ما يكفى لتحقيق الغرض الذى أنشئت له . فهى لا تستطيع أن تحول دون كوارث كالحربين العالميتين الأولى والثانية ، ولا تستطيع أن تحمى شعوبها من الخراب الذى تؤدى إليه حرب دولية . وإذا كانت سيادة هذه الأمم العظيمة لا تكفى لحماية مواطنيها ، فلا حاجة بنا حتى

إلى الكلام على السيادة الوهمية لبلد مثل لاتفيا أو رومانيا.

وإذا آثرنا الصراحة قلنا إن فكرة الدولة القومية قد منيت بالإفلاس، فإن الدولة القومية عاجزة عن منع العدوان الأجنبي، ولم يعد لها غناء باعتبارها النظام الاسمى القادر على حماية شعبها من الويلات والبلايا التي تجرها الحرب. وجاءت الحرب العالمية الثانية فأثبتت على وجه حاسم أنه ما من أمة بمفردها، ولو كانت أقوى مثيلاتها، تكفي نفسها اقتصادياً.

ومن شأن الحقائق الاقتصادية والفنية التي لا مهرب منها في عصرنا، أن تحتم علينا إعادة النظر في فكرة السيادة، وأن نوجد منشآت ذات سيادة قائمة على الجماعة، طبقاً للتصور الأصلي للديمقراطية. فسيادة الشعب العالمي يجب أن تكون « فوق » الأمم بحيث تكون الأمم أمامها متساوية، كما يتساوى الأفراد أمام القانون في دولة متحضرة.

● وليست المسألة مسألة « نزول » عن السيادة القومية، فإنها لا تستوجب أن نتخلى عن شيء هو في أيدينا الآن، وإنما المسألة أن نوجد شيئاً لم يكن عندنا قط، ولكن حاجتنا إليه بالغة.

وليس إيجاد منشآت ذات سيادة وسلطة عالميتين إلا طوراً آخر في التاريخ الإنساني، مؤداه امتداد القانون والنظام إلى ميدان ظل إلى الآن بغير تنظيم وغارقا في الفوضى.

منذ بضعة قرون كان لكثير من المدن حقوق سيادة تامة، ثم بعد ذلك انتقلت أجزاء من السيادة المحلية إلى الولايات، ثم إلى وحدات أكبر وأخيراً إلى الدول القومية.

وفي الولايات المتحدة الأمريكية اليوم تخضع الأمور الخاصة بمكافحة الحريق، وتزويد الأهالي بالماء، وتنظيف الشوارع وما أشبه ذلك، للسلطة المحلية. أما إنشاء الطرق، والتربية، والتشريع فيما يتعلق بالأعمال الصناعية والتجارية ومسائل أخرى لا آخر لها، فخاضعة لسيادة الولاية. وأما المسائل المتعلقة بجيش الولايات المتحدة وأسطولها وسياستها الخارجية وغير ذلك من الشئون، فمن اختصاص السلطة الاتحادية.

وكلما استمر التقدم الإنساني تطلبت الأحوال قاعدة للسيادة تزداد اتساعا، ولوجود سلطة مطلقة تحقق الغاية منها: وهي حماية الناس.

وأهالي نيويورك هم مواطنون في مدينة نيويورك، وفي ولاية نيويورك، وفي الولايات المتحدة الأمريكية، ولكنهم أيضاً مواطنون في العالم. وحياتهم، وأمنهم، وحرياتهم، تحميها في نطاق واسع جداً،

السلطة العليا المستقرة فى الشعب الذى أناب عنه فى استعمالها مدينة نيويورك إلى حد ما، وولاية نيويورك إلى حد آخر ، والحكومة الاتحادية للولايات المتحدة الأمريكية .

فإذا حدث أن وضعت ولاية نيويورك تشريعاً اقتصادياً أو اجتماعياً كان له أثر سيء فى أحوال العمل والاقتصاد فى ولاية أخرى ، ولم تكن هناك سلطة أعلى ، فإن هذا العمل من جانب ولاية نيويورك لا يمكن أن تمنعه الولاية الأخرى ، بمقتضى سلطتها ، إلا بالحرب . ولكن هناك سلطة عليا قائمة هى السلطة الاتحادية . وجميع ولايات ، الولايات المتحدة الأمريكية متساوية أمامها، وهذه السلطة العليا هى وحدها التى تحمى الناس من مثل هذا الخطر .

إن السلطة الديمقراطية للشعب لا يمكن أن تظفر بالإعراب الصحيح عنها والتنفيذ الفعال لها ، إلا إذا تولت الحكومة المحلية الشئون المحلية. والحكومة القومية الشئون القومية، والحكومة العالمية الشئون الدولية العالمية . وبهذا الفصل وحده بين السلطات نستطيع أن يكون لنا نظام اجتماعى يعيش الناس فى ظله فى سلام فيما بينهم ، ولهم حقوق متساوية وواجبات متعادلة أمام القانون. ولا يمكن أن تكون الحرية الفردية حقيقية ، إلا فى نظام عالمى قائم على مثل هذا الفصل بين السلطات .

إن السيادة تجد التعبير عنها فى المنشئات، ولكنها ليست متطابقة، ولا يمكن أن تكون متطابقة مع أى منشأة، فافتراض أن حقوق السيادة لا بد أن تكون مستقرة أبداً فى أية منشأة معينة ، كالدولة القومية فى هذه الأيام ، والاعتقاد بأن الدولة القومية هى المظهر المعبر عن السلطة والسيادة ، ليس إلا مظهر نزعة جامعة بحت ، وتلك ألد أعداء الديمقراطية .

لقد تلقت الدول القومية سلطتها من شعوبها للقيام بمهمات معينة . وفى اللحظة التى تعجز فيها المنشئات المقررة عن مسايرة الأحوال فى الجماعة، وعن الاحتفاظ بالسلام، فى هذه اللحظة ، تصبح مصدر خطر عظيم ويجب إصلاحها إذا أريد اجتناب الحروب والاضطرابات الاجتماعية العنيفة .

ولا يتطلب الإصلاح اللازم فى هذا الميدان إلغاء الأمم والحدود القومية . ففى داخل كل دولة قومية لا تزال عندنا حدود للولايات والأقاليم والمدن والبيوت والمساكن، وللأسر أسماؤها الخاصة المتميزة من أسماء الأسر الأخرى . ونحن نحب ونحمى أسرنا وندافع عنها أكثر مما نحب أو نحمى الأسر الأخرى ، ونحب بيوتنا ونبدى ولاءنا

لجماعاتنا الخاصة ولأرضنا وإقليمنا ، ولكن السلطات العليا ليست مستقرة فى هذه الوحدات التى تقسمنا وتفصلنا ، وإنما هى مستقرة فى الدولة التى تجمعنا وتضم متفرقنا .

فإذا رأى الشعب، الذى هو المصدر الحقيقى للسلطات ، أنه فى الميدان الدولى يستطيع أن يفوز بحماية أوفى إذا هو وكل جانباً من سلطته إلى هيئات غير الدول القومية ، فإنه فى هذه الحالة « لاينزل » أو « يتخلى » عن شىء ، بل لعله يربح شيئاً ، أعنى القانون والنظام فى ميدان لم يكن فيه قط مثل هذا القانون ، وحماية الأرواح والحريات للأمم جميعاً . وياله من ربح إذا نحن حولنا بعض وجوه سلطاتنا من الهيئات التشريعية القومية والهيئات التنفيذية والقضائية ، إلى هيئات عالمية منتخبة انتخاباً ديمقراطياً ، ومسيرة على نهج ديمقراطى . وذلك لنوجد ونطبق وننفذ قانوناً لتنظيم العلاقات الإنسانية فى المجال الدولى !

أكذوبة معاهدات الصلح

إذا كانت البلبلة قد سادت هذا العالم فى أى وقت منذ برج بابل فإنها تسوده اليوم ، وقد نشرت آلاف من الكتب والمقالات عن المسألة الكبرى التى تواجهنا : كيف نقيم نظاماً عالمياً يحول دون حرب عالمية ؟ وكل أصحاب مشروعات السلام الدائم يعتقدون أن اقتراحهم هو الدواء الناجع ، وأن فى وسعهم أن ينجحوا ما لم ينجح قط ، وأنهم بعد أن أخفقت آلاف من معاهدات الصلح يستطيعون أن يصوغوا معاهدة تمنع الحروب .

إن السلام فى جماعة معناه أن العلاقات بين أعضاء الجماعة ينظمها القانون ، وأن هناك أداة ديمقراطية النهج للتشريع وللسلطة القضائية ، وأنه يحق للجماعة أن تستخدم القوة لتنفيذ هذه القوانين، وهو حق محظور على أعضاء الجماعة الأفراد .

إن السلام هو النظام على أساس القانون . وليس ثم تعريف آخر يمكن أن نتصوره ، وكل تصور آخر لمعنى السلام ليس إلا خيالا محضاً .

وفى كل مرة تنشب فيها حرب ، يتلو ذلك جدال لا ينتهى فى نوع المعاهدة التى توضع ، فتعرض مئات من المقترحات ، ولكنه مهما يكن نوع المعاهدة التى توقع ، فإن الحرب التالية لا مفر منها .

فلماذا ؟

لأن محتويات المعاهدة لا تقدم ولا تؤخر — إذ كانت فكرة المعاهدة نفسها خطأ . وقد جربنا آلافاً وآلافاً من معاهدات

الصلح فى تاريخ الإنسانيـة ، فلم يطل عمر واحدة منها أكثر من أعوام قليـلة ، ولم تستطع واحدة منها أن تمنع الحرب ، لسبب بسيط هو أن الطبيعة الإنسانية التى لا يمكن تغييرها، تجعل الحروب حتما لا مهرب منه ، ما دامت السلطة العليا فى أيدى طوائف أفراد فى الجماعة لا فى الجماعة نفسها .

وإذا نحن نشـدنا سلاماً بين عدد من الوحدات المستقلة ذات السـيادة ، قائماً على اتفـاقات بمقتضى معاهدات ، فإن السـلام يكون مستحيلا ، ويكون عملا صبيانيا منا حتى أن نفكر فى ذلك . غير أنا إذا تصورنا السلام على نحو قويم ، باعتباره نظاماً قوامه القانون، فإن السلام حينئذ يصبح مشروعاً عملياً يمكن تحقيقه بين الدول القومية ، كما أمكن تحقيقه كثيراً فى الماضى بين الولايات والمدن والوحدات الأخرى ، بعد أن صارت جزءاً من حكومة أكبر منها جميعاً .

ويتوقف فوزنا بالسـلام ، أو تعرضنا باستمرار لحرب متكررة على مسألة فى غاية البساطة . يتوقف على هـذا : أنبغى إقامة العلاقات الدولية على المعاهدات ، وهى فى جوهرها أداة جامدة ، أم على القانون وهو فى جوهره أداة حية ؟

ولا سبيل إلى ضبط أمر الجماعة الإنسانية بأداة جامدة ، لأنها هى ظاهرة مفعمة بالحياة إلى أقصى حد ، وجوهر الحياة هو التغـير الدائم والتطور المستمر . وقد كان السلام بين الأمم إلى الآن فكرة جامدة ، وكنا نحـاول دائماً أن نعين حالة راهنـة ما ، ونصها بعناية فى معاهدة . ونجعل أى تغيير فى هذه الحالة الراهنة مستحيلا إلا بالحرب ، وهذا تصور سخيف للسلام .

فإذا أدركنا أن السلام ليس حالة راهنة ، وأنه لا يمكن أن يكون فكرة غير مجدية أو جامدة، وإنما هو نهج ووسيلة لتناول الشئون الإنسانية ، فإن مسألة السلاح فى هذه الحالة تكون واضحـة التعريف وقابلة للحل قبولا تاماً ، بل إنهـا قد حلت مرات عديدة فى ميـادين كثيرة ، ولكن بأداة القانون دائماً لا بالمعاهـدات . والطريقتان مختلفتان من حيث الكيف ، ولا يمكن أن يلتقيا ، إذ ليس فى وسعنا أن نصل إلى نظام قانونى بالمعـاهدات . وإذا كانت غايتنـا أن يكون المجتمع قائماً على القانون ، فإن من المحتم أن نبدأ من جديد

ومن النقائض العجيبة المغروسة فى عقول ساسـتنا ومفكرينا السياسيين الجـامدة ، ذلك الاعتقاد التقليدى الموروث من الماضى والذى يتحكم تحـكما تاماً فى آرائهم وعملهم ، وهو أن هناك طريقتين مختلفتين للاحتفاظ بالسلام بين الناس .

الأولى — التي اعترف بها العالم وطبّقها داخل الوحدات القومية ذات السيادة : هي القانون ، والنظام ، والحكومة .

والثانية — التي استخدمت إلى الآن فيما بين الوحدات القومية ذات السيادة، وهي: السياسة والدبلوماسية والمعاهدات .

وهذا خطل وفيه تشويه تام لوجه المسألة .

فإن السلام لا يمكن تحقيقه بوسيلتين كهاتين متناقضتين تماماً ، لسبب بسيط هو أن السلام متطابق في معناه مع إحدى هاتين الوسيلتين دون الأخرى .

والسلام هو القانون ، وهو النظام ، وهو الحكومة .

أما « السياسة » و « الدبلوماسية » فإنهما لا تفضيان فقط إلى الحرب ، بل لا سبيل إلا أن تفضيا إليها ، لأنهما في الواقع متطابقتان مع الحرب

وقد صقلت عدة آلاف من السنين من التطور الاجتماعي هذه البديهية فيما يتعلق بأية جماعة إنسانية ، وهي :

أن السلام بين الناس إنما يتحقق بنظام قانوني ، وبمصدر أعلى للقانون ، وبحكومة ديمقراطية ذات هيئات تنفيذية ، وتشريعية وقضائية مستقلة . وهذه هي الطريقة الوحيدة التي أثبتت أنها قادرة على إحداث التغيير وإنفاذه في العلاقات الإنسانية بغير عنف . أما الطريقة الأخرى ، طريقة الدبلوماسية ، تلك الطريقة التي جُربت مرة بعد مرة لصون السلام بين وحدات مستقلة ذات سيادة ، من أي نوع ، وأي حجم ، تلك الطريقة التي أبت ، حكوماتنا القومية ، إلا أن تجري عليها بعناد وتحكم ، فقد أخفقت في كل وقت بلا استثناء ، وفي كل مكان ، وفي كل الأحوال . وإنه لحلم ليس إلا ، أن نعتقد أن في وسعنا أن نحتفظ بالسلام بين أقوام يعيشون في وحدات منفصلة مستقلة ذات سيادة ، بوساطة الدبلوماسية والسياسة ، وبدون حكومة ، ومن غير أن توجد منشئات للتشريع .

إن محاولة منع الحرب باستخدام السياسة تُشبه محاولة إخماد نار بقاذفة لهب .

إن الاتفاقات والمعاهدات بين الحكومات القومية المتكافئة في السيادة والاستقلال ، لا يمكن أن تدوم ، لأن مثل هذه الاتفاقات والحكومات ليست إلا ثمرة سوء الظن والخوف ، وليست في أية حال من الأحوال ثمرة المبادىء والقانون هو الأساس الوحيد الذي يمكن أن تقوم عليه الحياة الاجتماعية ، وليس يسعنا أن نعتمد على وعود الناس أن لا يقتلوا ، ولا على عهودهم أن لا يسرقوا ، ولا على مواثيقهم أن لا يغشّوا . وهذا هو

الذى يحوجنا إلى القوانين والمحاكم والشرطة ، وإلى تحديد المهمات والواجبات سلفاً على وجه جلى .

وما زلنا نتكلم فى العلاقات الدولية عن « استقلال » الأمم فى صورة مطلقة ، معتقدين أن الأمة إنما تكون مستقلة إذا كان لها حق مطلق فى أن تصنع ما تشاء ، وأن توقع المعاهدات مع الدول المستقلة الأخرى ، وأن « تقرر » ما تريد فى أمر الحرب والسلم . ونحن نرفض رفضاً باتاً أى تنظيم لهذه السيادة القومية بحجة أن هذا التنظيم يهدم الاستقلال القومى ، غير أن مثل هذا الاستقلال وهم . مثال ذلك أن الولايات المتحدة الأمريكية التى لا تقبل أن تنزل عن ذرة من سيادتها القومية ، والتى ترفض رفضاً باتاً أن تخول أية هيئة عالمية أن تتدخل فى حق الكونجرس أن يقرر أمر الحرب أو السلم ، قد أكرهت فى سنة ١٩٤١ على الدخول فى الحرب بقرار وضعه بمفرده مجلس الحرب الإمبراطورى فى طوكيو . فهل هذا استقلال ؟

إن استقلال أمة ، مثل استقلال الفرد ، ليس رهناً بحريتها فى العمل فحسب ، بل هو كذلك رهن بالمدى الذى يمكن أن تذهب إليه فى حرية العمل أمم أخرى للافتئات على استقلالها . فلا سبيل إلى الأمل فى أن يحدث التطور المستمر الذى لا بدّ منه ، والذى هو جوهرى للحياة ، بالوسائل السلمية ، إلا إذا أقمنا العلاقات الدولية على القانون، كما نقيم على القانون علاقات الأفراد والهيئات داخل الجماعة المنظمة .

ولا قيمة فى هذا الشأن لمبدأ « السيادة القومية » التى تروعنا ، فإن السيادة فى كلتا الحالتين — سواء أبقينا على قاعدة المعاهدات أم أقمنا نظاماً قانونياً — مستقرة فى الشعب . وكل ما هنالك من الفرق ، هو أنه فى حالة الأخذ بنظام المعاهدات ، لا تستعمل سيادة الشعب فى صورة فعالة إلى حد كافٍ ، لأن كل دولة قومية لها سلطة على رقعة محدودة ليس إلا ، وليس لها سيطرة على الأمم القومية الأخرى التى تبغى إحداث تغيير فى الحالة الراهنة القائمة . أما فى عالم يقوم على القانون ، فإن التغيير فى العلاقات الدولية يمكن للمرة الأولى أن يحدث بدون عنف — بإجراءات قانونية .

الدولة العليا والفرد

فى هذا العهد الوافر الإنتاج للكلمات والقوالب السياسية ، ابتكر أعداء التقدم كلمة جديدة ستكون موضوع جدال حادّ ، والكلمة هى : « الدولة العليا » . وهى فى السمع مفزعة ، والمفروض أن كل الأصحاء

الغرائز سيكون رد الفعل عندهم واحداً فيقولون جميعاً : لن نرضى بها ! وكل محاولة لتقرير نظام يتجاوز حدود الدول القومية الحالية ، سيشوّه ، ويحبط بهذا السؤال الخطابى : « هل تريد أن تعيش فى دولة عليا ؟ » .

على أن إقامة نظام قانونى فى منطقة أوسع ، ليس مؤداه خلق دولة عليا ، ومحك الدولة العليا هو مبلغ تدخلها فى حريات الفرد . وقد كانت إيطاليا على عهد موسولينى أشبه بالدولة العليا من الولايات المتحدة ، وإن كانت هذه أكبر منها خمساً وعشرين مرة .

إن مثالنا الأعلى هو الدولة الديمقراطية ، والدولة التى نبغى أن نحيى فيها دولة تستطيع أن تضمن لنا أقصى حد من الحرية الفردية . ولكن لما بدأ التقدم الصناعى فى هذا القرن يقوّض فكرة الدولة القومية القديمة ، لجأت كل من الدول القومية إلى وسائل مصطنعة لتقوية كيانها ، فنتج عن ذلك أن قضى على الحرية الفردية قضاء تاماً فى معظم العالم . وقد حدث هذا التغير فى بعض البلاد مثل ألمانيا وإيطاليا وإسبانيا ، علناً وعمداً بخنق الحرية الفردية ، وإعلان المبدأ القائل إن الخلاص رهن بالدولة القومية الجامعة ، وهى فوق كل شىء ، ومن حقها أن تتصرف حتى فى أرواح مواطنيها . أما فى بلاد أخرى كالولايات المتحدة وبريطانيا العظمى وفرنسا ، فإن التطور كان بطيئاً وتدريجاً وعلى خلاف إرادتنا ، فقد ظللنا نؤيد المبادئ الديمقراطية ، ولكننا تخلينا شيئاً فشيئاً عن حريتنا الفردية لنشد أزر دولنا القومية الخاصة .

ومن الشطط أن يلام أى فريق أو حزب سياسى معين ، فقد كان الاتجاه مما لا سبيل إلى مقاومته . فخيال التهديد المزدوج بحرب موشكة الوقوع ولا مهرب منها ، وهو ضغط من الخارج ، وخيال الأزمات الاقتصادية والبطالة ، وذاك ضغط من الداخل ، كان من المحتم على كل أمة أن تعزز دولتها بإنشاء الخدمة العسكرية أو توسيعها ، وبقبول ضرائب تزداد ارتفاعاً ، وبالسماح بازدياد التدخل من جانب الدولة فى الحياة اليومية للفرد .

ومن النقائض العجيبة أنه كلما عرض أى اقتراح لإقامة نظام قانونى عالمى يضمن للبشر التحرر من الحرب خلال أجيال كثيرة ، ويكفل الحرية الفردية ، صاح عباد الدول القومية الحاضرة : « الدولة العليا » !

ذلك أن الحقيقة أن الدولة القومية الحاضرة قد أصبحت دولة عليا ، فهى ليست كابوساً نخشى مجيئه ، أو اقتراحاً نستطيع أن نقبله أو نرفضه بحرية ، لأننا نحيى فيها الآن فعلا ، وسنزداد خضوعاً لهذه الدولة العليا ذات السلطة الكبرى إذا كانت غايتنا القصوى

هى الاحتفاظ بالكيان العالمى القائم على الدولة القومية . ونحن مضطرون أن نتخلى عن حرياتنا واحدة بعد واحدة تحت التهديد الدائم بالحرب الأجنبية، وتحت الضغط الشديد للمسائل الاقتصـادية التى لا يمكن أن تحل على قاعدة قومية . وفى المرحلة الحاضرة للحركة الصناعية، لا تستطيع الدول القومية أن تحتفظ بكيانها إلا بطريقة واحدة : هى أن تصبح دولا عليا .

ولاسبيل إلى الحرية فى ظل نظام كهذا ، إذ من المحقق أننا لا نستطيع أن نزعم أن حريتنا الفردية مكفولة، إذا كنا كل عشرين سنة نضطر أن نكف عن إنتاج سلع الاستهلاك ، ونبدد كل نشاطنا ومواردنا فى صنع آلات الحرب .

ولا يسعنا أن نزعم أننا ننعم بحرية الرأى والصحافة ، إذا كانت الأحوال كل عشرين سنة تفرض الرقابة علينا .

ولا نستطيع أن نقول إن الملكية الخاصة مكفولة محترمة ، إذا كانت الديون العامة الهائلة والتضخم تأتى كل عشرين سـنة على ما ادخرنا .

وسيقول المدافعون عن السيادة القومية: إن كل هذا الحظر والتقييد للحرية الفردية ليس إلا من تدابير الطوارىء التى استلزمتها ضرورات الحرب ، ولا يمكن أن تعدّ عادية.

ولا شك أنهـا من تدابير الطوارئ ، ولكن لما كان كيان الدولة القومية ، وهو أعجز ما يكون عن منع الحروب ، هو السبب الوحيـد والأخير للحروب الدولية المتكررة ، ولما كان ما يتلو كل حرب من هـذه الحروب الدولية هو فى الوقت نفسه تمهيـد للصراع التالى العنيف بين الأمم ، فإن ٨٠ أو ٩٠ فى المئة من حياتنا تقضى فى أوقات « الطوارىء » .

ومما يجعل الاعتراف بالحاجة الملحّة إلى نظام قانونى وسياسى عالمى على أعظم جانب من خطر الشأن، أنه ليس ثم أقل احتمال لقدرتنا على حل أية مسألة من مسائلنـا الاجتماعية او الاقتصادية فى عالم منقسم إلى عشرات من الأقسام القومية التامة الانفصال .

وإنه لما يدعو إلى المرثية أن يرى المرء الجماعات العاملة من أوساط الناس يتطلعون إلى أحوال أحسن من أحوالهم ، وأجور أعلى ، وتربيـة أقوم ، وفراغ أكثر ، ومساكن أصلح ، وعناية طبية أوفى ، وأمن اجتماعى أوفر ، غـير أن كل هذه الآمال الاجتماعية للشعب ، ترجأ إلى أجل غـير مسمى من جراء التهديد الذى لا شك فيه بالحروب المتكررة . وحتى إذا سن تشريع

لهذه الغاية فى دولة من الدول ، فإنه يقضى عليه ويدفن فى الحرب العالمية التالية ، كما يجرف السيل الدافق الأكواخ .

إن العمل للتجميع فى نطاق الكيان السياسى المقسّم دولاً قومية ذات سيادة، لا يكون إلا أسطورة أو ثمرة نظام فاشى . ذلك أن الحياة الاقتصادية لا تستطيع أن تنمو على نطاق يكفل العمل والمواد للجميع، إلا فى ظل نظام عالمى امتنع بفضله التهديد الدائم بالحرب بين الدول القومية ، وحل الأمن المستفاد من قيام نظام قانونى محل الخوف المستمر من العدوان والمحق ، وهو الذى يدفع إلى تعزيز كيان الدول القومية .

ومهما يبلغ من ألمنا للتخلى عن آرائنا التى كنا نحرص عليها ونعتز بها ، فإن علينا أن ندرك أن أعظم خطر على الحرية الفردية فى عالمنا الذى اصطبغ بالصبغة الصناعية ، هو هذه القوة المتزايدة للدولة القومية العليا، وأن حقوق الفرد والحرية الإنسانية التى ظفرنا بها بتضحية جسيمة فى آخر القرن الثامن عشر بفضل القضاء على الحكم الفردى المطلق ، يوشك أن ينتزعها منا الطاغية الجديد ، أى الدولة القومية .

أما القول بأن الاختلافات العديدة الموجودة بين الجنس الإنسانى، تحول دون قيام قانون عالمى ونظام دولى ، فمناقض على خط مستقيم للواقع .

فإن البولنديين والروسيين ، والمجريين والرومانيين ، والصربيين والبلغاريين ، قد تباغضوا واستراب بعضهم ببعض، وتقاتلوا فى أوربا قروناً عديدة ،ولكن جميع هؤلاء بعد أن رحلوا عن بلادهم واستقروا فى الولايات المتحدة الأمريكية ، كفوا عن الاحتراب، وأصبحوا على أتم ما يكونون قدرة على الحياة جنباً إلى جنب دون أن يقتتلوا .

فلماذا كان هذا ؟ إن التغيير الذى طرأ على عامل واحد هو الذى أثمر المعجزة .

ففى أوربا ، تستقر السلطة العليا فى هذه القوميات ودولها القومية . وأما فى الولايات المتحدة فإن السلطة العليا غير مستقرة فى أية قومية من هذه القوميات ، بل هى فوقها جميعاً ، أى فى الاتحاد . والأفراد فى ظله ، بغض النظر عما بينهم من الاختلافات ، متساوون أمام القانون .

وقد تباغض الألمانيون والفرنسيون وأساء بعضهم الظن ببعض ، وتحاربوا عدة قرون ، ولكن فى سويسرا ، القائمة بين هاتين الدولتين المتعاديتين ـ ألمانيا وفرنسا ـ يوجد نحو مليون من الفرنسيين الغالبين كأبناء الجمهورية الفرنسية نفسها ، ونحو ثلاثة ملايين من الألمانيين الذين لا يقلون

« ألمانية » عن أى واحد فى الريخ ، وقد عاشوا جميعاً فى ســـلام قروناً طويلة . والاختلافات البيولوجية والعنصرية والدينية والثقافية والعقلية ، هى نفس الاختـلافات الموجودة بين أقوامهم الذين لا ينفـكون يتحاربون فى بلادهم، ولم يتغير إلا عامل واحد.

فالأمة الفرنسية فى فرنسا، والأمة الألمانية فى ألمانيا ، تعيشان فى دولتـين قوميتين اسـتقرت السلطة فيهما فى الأمة الفرنسية والأمة الألمانية . أما فى سويسرا فالسلطة ليست مستقرة فى القوميـة الفرنسية ، أو القومية الألمانية ، بل فى الاتحـاد الذى يجمع بينهما .

فمن الجلى إذن أن الاحتكاك والصراع والحروب بين الشـعوب ليست مما تجره الاختلافات القومية أو العنصرية أو الدينية أو الاجتماعية أو الثقافية ، وإنما سببها أمر واحد، هو أن هذه الاختلافات قد تجمّعت فى دول مستقلة منفصلة ، لا تعرف وسيلة لتسوية المنازعات الناتجة عن هذه الاختلافات غير المصادمات العنيفة .

ويتفق التفكير المنطقى وعبرة التـاريخ على أنه توجد وسيلة لمنع الحروب بين الأمم منعاً نهائياً ، ولـكنهما يبينان أيضاً بوضوح تام أنه ليس ثم سوى وسـيلة واحدة ليس إلا ، لإدراك هذه الغاية : وهى إدماج هذه القوميات المستقلة المبعثرة المتنازعة فى وحدة عليا قادرة على إيجـاد نظام قانونى تنعم فى ظله كل الشـعوب بالتساوى فى الأمن والواجبات والحقوق أمام القانون .



من هنا وهناك

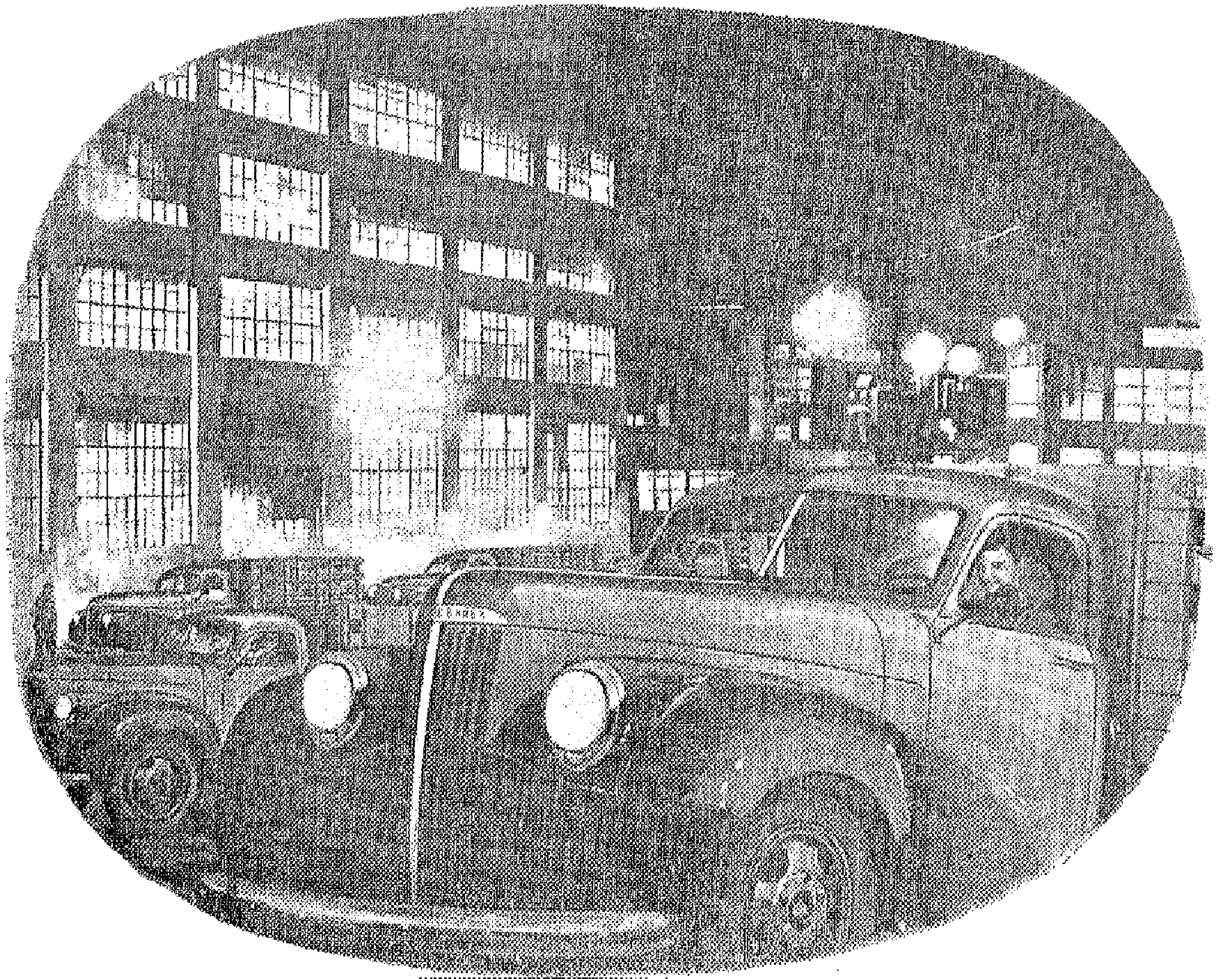
طراد : دخلت شابة حسناء مركز الشرطة فى مدينة بتسبرج ، وذكرت للضابط الموكل وصفاً مفصلا لرجل زعمت أنه أخذها بشعرها وجرها على سلالم ثلاثة أدوار، وهددها بأن يخنقها ، ثم ضربها ضرباً مبرحاً .

فقال الضابط : أما وقد أتيتنا بهذا الوصف المفصل الدقيق ، فإننـا سنلقى القبض عليه حالا ، ونرمى به فى غيابة السجن .

فقالت الفتـاة : ولـكننى لا أريد أن تقبضوا عليه ، وحسبكم أن تجدوه، فقد وعد أن يتزوجنى.

شهادة : عينت لجنة « الإصلاح والتجميل » فى مدينـة « سولت ليك » هيئة من الخـبراء وجعلت أجر كل عضو ٢٥٠٠ ريال ، وطلبت منها أن تقترح على الحكومة ما تراه من وجوه إصلاح المدينة ، فـكان فى رأس مقترحات الخبراء « إلغاء اللجنة » !

غذاء : فى كليـة ولاية كولورادو ، قضى علمـاء التجارب على طائفة من الأرانب البيض بإعطائها الطعام الذى يعطى للطالبات .



ما أجمل الحياة
مع جهاز
راديو RCA الجديد



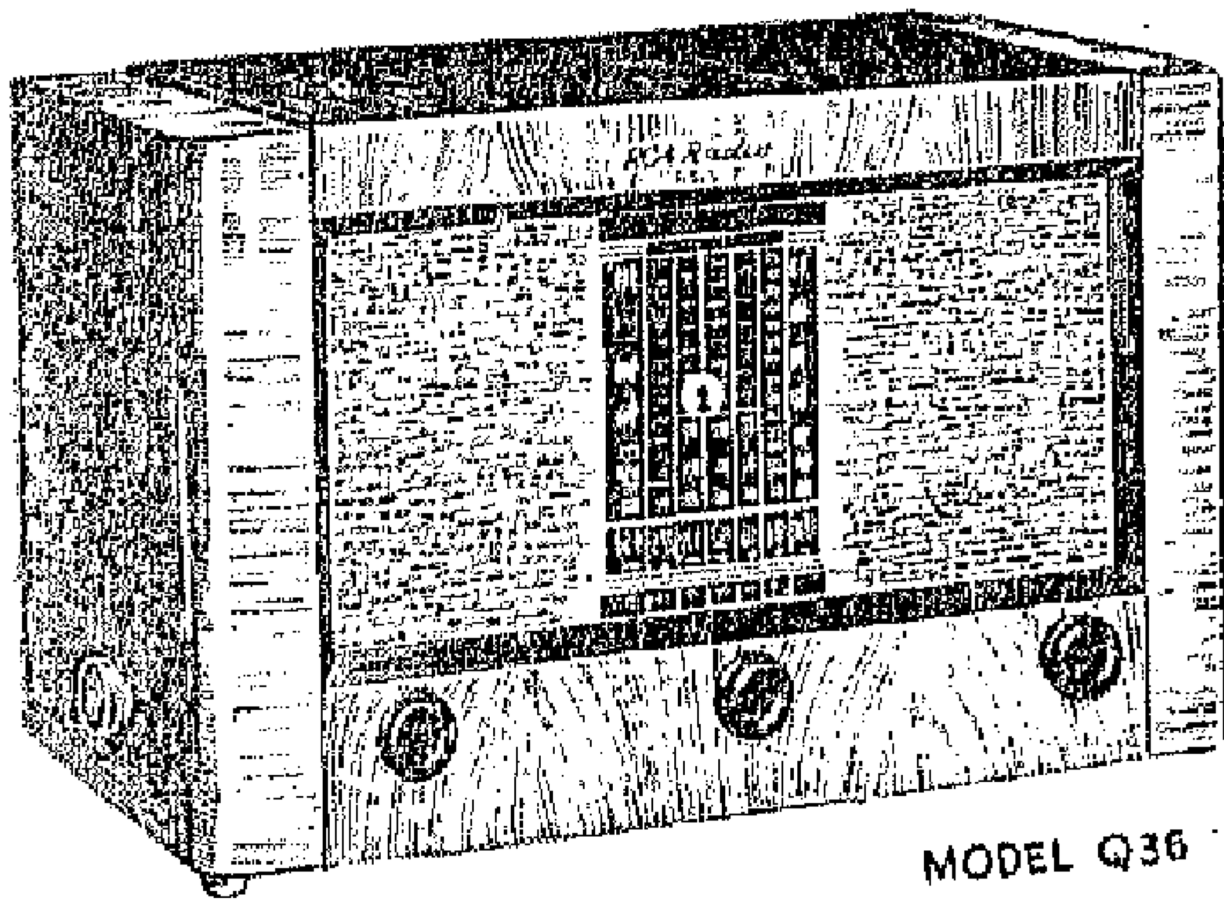
جوان كولفيلد
نجمة بارامونت الفاتنة

راديو RCA الجديد سيحمل إلى أسرتك وأصدقائك التسلية والمتعة والمسرة ففيه أشياء كثيرة تستحق الإعجاب ناهيك بما يقدمه من جمال النغم وكمال الأداء — فضلا عن المزايا الإضافية التي يستطيع RCA وحده أن يزودك بها.

وهذه هي أجهزة راديو RCA الجديدة التي كنت تترقبها — إنها ستحمل إلى بيتك متعة جديدة — فتجعل حياتك أجمل وأرغد !

وستكون الكميات الأولية من أجهزة RCA الجديدة محدودة بالطبع ، ولكن كن على صلة مستمرة بوكيل RCA فثمة نماذج جديدة أخرى في الطريق .

اشتر RCA لتحصل على أحسن راديو .



MODEL Q36

جهاز يدور بك العالم وأنت في مقعدك ويلتقط الأمواج من أبعد مكان ، سبع مناطق أمواج للضبط الدقيق ، على موجات ٣١ ، ٢٥ ، ١٩ ، ١٦ ، ١٣ متراً . بوقان لتكبير الكلام بنغم رقيق ، قياس ٨ بوصات ، قوة إخراج ١٢ وات بكباس ، ١١ صماما ، وصلة كهربائية لإدارة الأسطوانات ، صندوق أنيق رخيم النبرات مصنوع من خشب الجوز.



مجهز تجهيز تام بأنابيب RCA
المفضلة التي تتيح لك أحسن أداء وأتمه



RCA RADIO

RADIO CORPORATION OF AMERICA

شهرة شامبيون
CHAMPION
أساسها ما تؤديه من عمل
إنها الأولى
على الأرض
وفى البحر
وفى الجو

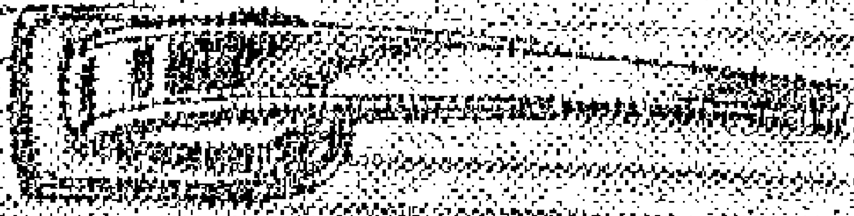


ضمان عمل المحرك — أقصى حد فى القوة — اقتصاد فى العمل، هذا ما يجده أصحاب السيارات ، ومركبات النقل ، والجرارات ، فى جميع أنحاء العالم ، عندما يعتمدون على شموع الاحتراق شامبيون. ركب شموعاً جديدة من شموع شامبيون فى محركك — وأبدلها فى فترات منتظمة — لتنعم بالقدرة العالية والاقتصاد فى الأداء .



CHAMPION SPARK PLUG COMPANY Toledo, U.S.A. • Windsor, Can. • Feltham, Eng.

تأتي قريباً !



ثلاجتك الجديدة لعام ١٩٤٦
طراز فيلكو
قد بدأ إنتاجها

سيمدك وكيل فيلكو
عاجلا
بجميع البيانات التي تطلبها

PHILCO
فيلكو
المشهور بالجودة في جميع أنحاء العالم

PHILCO INTERNATIONAL CORP. 230 Park Ave., New-York, U.S.A.

أدوات الإبصار
التى يصنعها
بوش ولومب

آلة عرض لقياس أشكال الأجسام

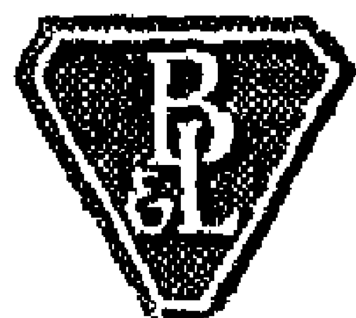
بفضل هذه الآلة الضوئية يتسنى للمفتشين الأمريكيين المشرفين على الصناعة أن يتحققوا من إحكام الأجزاء الدقيقة فى الإنتاج الذى يقتضى دقة وإحكاماً . فالتروس الدقيقة وغيرها من الأجزاء المعقدة تكبّر على لوحة للعرض من ٥٠ مرة إلى ١٠٠ مرة فتفحص بسرعة . وأغلب هذه الأجزاء لا يمكن فحصه والاستيثاق من دقته إلا بهذه الوسيلة

ومثل هذه الآلات الضوئية التى ينتجها بوش ولومب هى جزء من مجموعات هائلة من منتجات دقيقة ممتازة قامت عليها شهرة الصناع الأمريكيين فى جميع أنحاء العالم .

بوش ولومب

BAUSCH & LOMB

OPTICAL COMPANY



روشستر
الولايات المتحدة الأمريكية

تأسست سنة
١٨٥٣

شركة بوش ولومب : تصنع زجاجا للابصار ومجموعة كاملة من أدوات الإبصار للاستعمال فى الحرب والتربية والبحث العلمى والصناعة ولتصحيح بصر العيون وحفظه

الزمن قد أثبت أن راديو فيليبس هو أحسن ما يعتمد عليه

كثير من الأسر تعرف اليوم صفات الاحتمال التي تميز راديو فيليبس . ذلك أن راديو فيليبس قد أثبت خلال سنى الحرب التي تعذر فيها شراء أجهزة استقبال جديدة ، أنه حقاً أحسن ما يستطيع الإنسان أن يعتمد عليه .

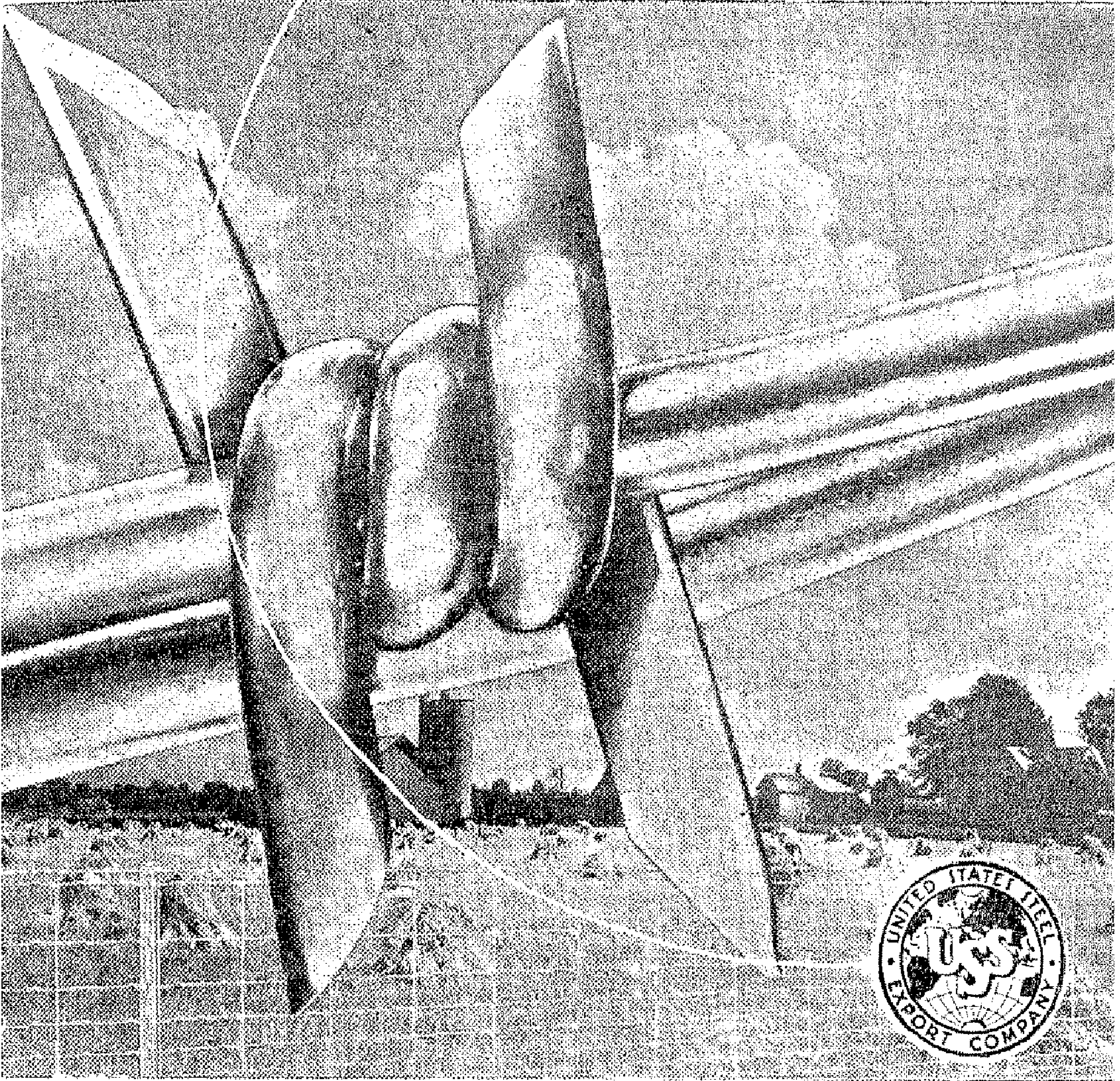
أما السر فهو أن أجهزة فيليبس روعى في تصميمها وبنائها أن تكون ملائمة لكل بلد تباع فيه ، وفضلا عن ذلك فهي تضم جماع المعارف التي أسفر عنها البحث والتحسين في مضمار الكهرباء ، خلال خمسين عاماً أو تزيد .

فاتصل بأقرب وكيل فيليبس إليك فستصله قريباً مجموعة أجهزة راديو فيليبس الجديدة لعام ١٩٤٦

قريباً تأتى — أحسن أجهزة

راديو فيليبس





صلب لعالم الغد

إن أعاجيب الصناعة الحديثة تحمل اليوم للمزارع فى مختلف أرجاء العالم أسلوباً جديداً للحياة وقدرة أعظم على الإنتاج ، وضماناً أوفى من تقلبات الجو والإقليم . فالآلات التى تغذى المحاصيل وتحصدها والأبنية التى تحمى هذه المحاصيل من الأذى ، مصنوعة من الصلب . وآلاف من معدات المزارع تصنع اليوم من أنواع الصلب التى تنتجها شركة « يونيتد ستيتس ستيل » — أنواع من الصلب ممتازة ، ولا تفتأ تتحسن بفضل الأبحاث والمهارة والموارد منقطعة النظير التى تملكها « يونيتد ستيتس ستيل » ، أكبر شركة لإنتاج الصلب فى العالم . وأينما كنت تعيش فإن جميع هذه الأنواع متاحة لك بفضل التسهيلات العالمية التى تملكها شركة « يونيتد ستيتس ستيل » للإصدار .

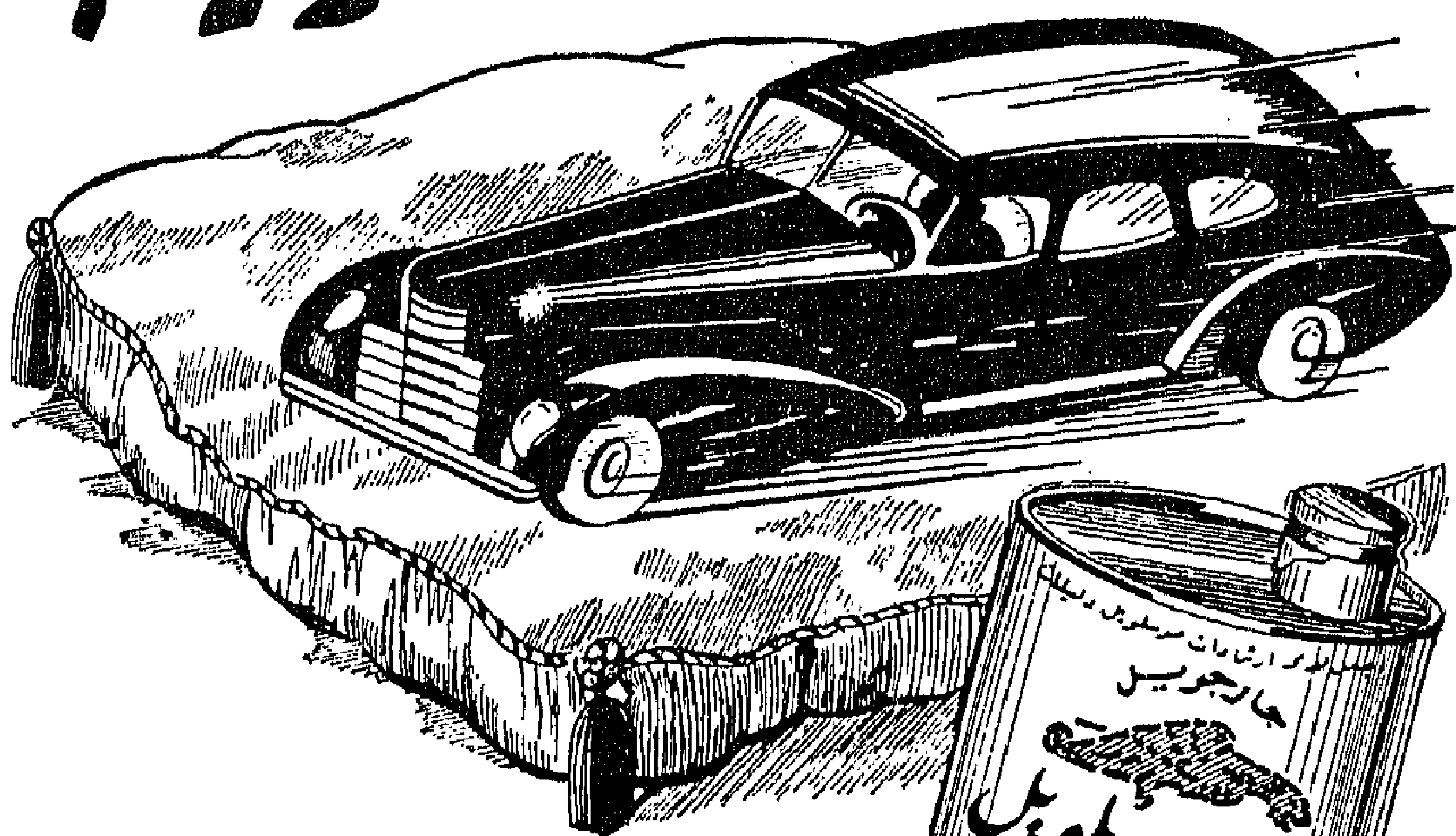
شركة يونيتد ستيتس ستيل

UNITED STATES STEEL EXPORT COMPANY

★ ★ 30 CHURCH STREET, NEW YORK 8, U. S. A. ★ ★

نحن فى خدمة العالم بأنواع الصلب الممتازة من منتجات أكبر مصانع العالم

تسير سيارتك على وسادة من الزيت!





سوكوني فاكوم

زيوت موبيلويل

تطيل عمر المحركات

أوجست لندبرج

رئيس اتحاد العمال فى أستوكهلم ، السويد

يصبو العمال فى السويد إلى تفاهم صادق بين الأمم ، ولكن التفاهم رهن بمعرفة طبائع سائر الناس . ولما كانت مجلة « دت باستا » (الطبعة السويدية من ريدرز دايجست) تقرب منال هذه المعرفة فإن مقالاتها توسع آفاق الفكر وتعزز قضية التآخى بين شعوب الأرض .

السيدة ماريا مارتنز

زوجة سفير البرازيل فى الولايات المتحدة

إنى أجد دائماً ما يحفزنى ويلهمنى فى مقالات ريدرز دايجست ، فهى تمكننى من أن أدرك أن الناس ، رجالا ونساء ، يثابرون فى جميع أرجاء الأرض ، على البحث عن حلول للمشكلات الخطيرة التى يواجهها كل منا كل يوم ، سواء أكنا نعد أنفسنا أفراداً مستقلين أم أعضاء متعاونين فى هيئة عالمية واحدة .

لورد هاليفاكس

سفير بريطانيا فى الولايات المتحدة

أجد الطبعات الدولية لمجلة ريدرز دايجست تسدى يداً عظيمة كل شهر ، لتعزيز « رغبة التعاون » بين الأمم ، فقد ولدت هذه الرغبة فى زمن الحرب . وإنى لأدعو الله أن يشتدّ أزرها ويتسع نطاقها فى زمن السلم .

أ . ج . أهولا

المدير العام لمصلحة البريد والبرق فى فنلندة

إن الطبعة الفنلندية من ريدرز دايجست ، قد فتحت لنا نافذة على معالم الديمقراطية الغربية التى نعجب بها أعظم إعجاب . وإن ما ظفرت به من إقبال القراء الفنلنديين المتشددين ، فى مثل هذا الزمن القصير ، لدليل على المستوى العالى الذى تسمو إليه مقالاتها وتستمسك به .

وسيلة عالمية لتبادل الأفكار

تطبع « ريدرز دايجست » اليوم في ست لغات — العربية والإسبانية، والإنجليزية، والبرتغالية، والسويدية، والفنلندية. وهي تصدر في أحد عشر بلداً — مصر والأرجنتين وإنجلترا والسويد والصين وفرنسا وفنلندة والفلبين وكندا وكوبا والولايات المتحدة، ويقرؤها ملايين من الناس خارج الولايات المتحدة الأمريكية.

وإنك لترى ما ظفرت به هذه المجلة، التي تعد بحق أولى المجلات الدولية، من تقدير القراء واهتمامهم، متجلية في الأقوال التالية المقتطفة من رسائل قرائها في جميع أرجاء الأرض:

فخامة السيد شكري القوتلي

رئيس الجمهورية السورية

... ولا شك أنه في هذه الحالة التي وصلت إليها طبيعة العمران، لا يستطيع شعب أن يعيش بعزلة فكرية، عما سواه. وأن يحيا وحده في آرائه وأساليبه. فيسرنا أن تكون مجلة « المختار » التي تنشر بلغة عربية مبينة، من رسل التفاهم بين أبناء هذه الأقطار العربية، بل بينهم وبين تلك الأقطار النائية التي طوت الحضارة مراحلها البعيدة ومسافاتها العظيمة فجعلتها قريبة دانية.

معالي الدكتور محمد حسين هيكل باشا

رئيس مجلس الشيوخ المصري

... لن يستقر السلام إلا إذا عرف الناس في مختلف الأمم بعضهم بعضا، وفهم بعضهم عقلية بعض، وأدركوا جميعاً أنهم قادرون عن طريق هذا الفهم وهذه المعرفة على التعاون المثمر لخيرهم جميعاً ... ومجلة « المختار » من ريدرز دايجست تؤدي هذا الغرض خير أداء، فهي من الوسائل القوية للمعرفة والتفاهم، فتحل التضامن محل التنافس، وتنعى القوي للاستعلاء على الضعيف واستغلاله.

[التتمة على الصفحة السابقة]

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

المختار من ريدرز دايجست

فى كل مقالة لذة دائمة

أبريل ١٩٤٦

بعض ما تقرأ في عددنا القادم ، مايو ١٩٤٦

الحرب السرية بين رجال المراقبة والجواسيس : نستطيع الآن أن نروى ما تمّ وراء ستار المراقبة ، من صراع شديد مديد بين الذين تولوا مراقبة الرسائل والبرقيات و بين الجواسيس. وهذه طائفة من الحوادث الرائعة يرويها المؤرخ الرسمي لمكتب المراقبة.

يوم تفجرت جزيرة كراكتوا : حدّث عن انفجار القنابل الذرّية ما شئت ، ولكن الطبيعة لم تزل مصدر أعظم الانفجارات في الأرض ، ولا يكاد انفجار القنبلة الذرية ، على هوله ، أن يزيد على نفحة خفيفة إذا ما قيس بها . وهذا وصف انفجار مروّع ، سجلت آثاره على ٨٠٠٠ ميل من مكانه .

عالم واحد — شعوب مختلفة : ليس يسعك أن تفض مشكلات الأمم بأن تزيل ما بينها من فروق ، ولا بأن تفرغها جميعاً في قالب واحد من الآراء والعادات ، ولا بأن تدمج طوائفها في بضع دول كبيرة .

إذا ما تعبت فكُل : هل أنت كثير الشعور بالتعب ؟ أتشعر أنك مرهف مستوفز العصب في الضحى والأصيل ؟ أتخطىء كثيراً في عملك ؟ فاعلم — من بحث علمي نافع — أن الراحة لا تنقذك ، وأن فيك جوعاً خفياً ، فالذى تحتاج إليه هو الطعام لا الراحة .

AL MUKHTAR min Reader's Digest — Vol. 6, No. 32, APRIL 1946

تصدر شهرياً في بليزانتفيل ، نيويورك ، بالولايات المتحدة الأمريكية — وتصدر طبعات انجليزية ، وأسبانية ، وبرتغالية ، وسويدية ، وعربية — وتصدر دار الطباعة الأمريكية للعميان باويزفيل كنتكي طبعتين للعميان إحداهما طبعة « برايل » وأخرى على « أقراص مسجلة » .

قسم التحرير : رؤساء التحرير — ده ويت ولاس ، ليلى أتشيسون ولاس

سكرتير التحرير : كنيث و . باين ، مدير التحرير : الفريد س . داشيل

قسم الإدارة : المدير العام — ا . ل . كول ، المدير المساعد — فرد د . طمسون

الطبعة العربية : — التحرير والإدارة : ١٦ — شارع شامپليون بالقاهرة . تليفون : ٥٧٨٩٣

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف

مصر والسودان — ثمن النسخة ٣ قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً صاغاً

فلسطين وشرق الأردن ٣٥ ملاً — العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً

الاشتراك السنوى ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً

الطبعات الدولية — المدير العام : باركلى أتشيسون

السنة الثالثة

المختار
من
ريدرز دايجست

المجلد ٦
العدد ٣٢

كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الايجاز باقية الأثر

ابريل ١٩٤٦

قد تصبح غداً أنضر شباباً

وليم ل . لورنس

مختصرة من مجلة "ليديز هوم جورنال"

ظل وليم لورنس خمسة عشر عاماً محرراً علمياً لصحيفة نيويورك تيمس ، فبسط لعامة الناس كثيراً من عجائب الكيمياء والطبيعة ، فمنح جائزة بوليتزر المرموقة . وهو يؤمن بأن الاكتشاف الذى بسطه فى هذا المقال « أجل شأناً عند الناس من القنبلة الذرية » .

طلع على الدنيا من دوائر البحوث الطبية الزاخرة فى روسيا نبأ مصل جديد رائع ، أطلقوا عليه اسم « المصل المضاد لتسمم الخلايا الشبكية » .

ومنذ كشف البنسلين فى سنة ١٩٤١ ، لم تصنع مادة طبية أثارت من الاهتمام ما أثاره هذا المصل . وقد صنعه الأستاذ ألكسندر بوجومولتس ، الذى وقف ثلاثين سنة أو أكثر من حياته على دراسة الشيخوخة . وهذا المصل أول مادة يرجى أن تتغلب على فساد الأنسجة ، وما يصاحبه من الأمراض المزمنة التى تبدأ تظهر فى أعقاب الكهولة . ومثل هذه الغلبة خليقة أن تحفظ على المرء نشاط بدنه وعقله عشرين سنة أو ثلاثين سنة ، تضاف إلى معدل عمره . غير أن هذا المصل لا يطيل الحياة وحسب ، بل يجعلها أحفل وأزخر بالقوة والبهجة . فهذه آية أخرى من آيات الطب توشك أن تظهر على مسرح الحياة ، وقد استعمل المصل استعمالا موفقاً فى علاج ألوف من المرضى المعذبين .

ما هو معدل عمر المرء ؟ ينتهى المرء

إن الشيخوخة بأسرع مما ينبغي، لأنه يجرى على عادات ضارّة — من طعام غير صالح، وإجهادٍ للجهاز العصبي، وحيلولة بين الجسم وبين قسطٍ وافٍ من الراحة، وغير ذلك من أمور مردُّها إلى البيئة لا إلى طبيعة الجسم. وقد وجد بوفون العالم الفرنسى العظيم، أن أجل الحيوان أطول من فترة نموه بستة أضعاف على المعدل. فقال بوجولومتس: «لو طبقنا هذه القاعدة على الإنسان لوجدنا أن عمره يجب أن يكون بين ١٢٠ سنة و ١٥٠ سنة، لأن فترة نمو عظامه تمتدّ منذ ساعة يولد إلى أن يبلغ عشرين سنة، أو خمساً وعشرين سنة».

وقد درست طوائف من العلماء نفس الموضوع من نواح أخرى، فخلصت إلى النتيجة نفسها. ويرى ر. و. جيرارد أستاذ وظائف الأعضاء فى جامعة شيكاغو: «أن عمر الإنسان ينبغى أن يكون ضعف السنوات الستين أو السبعين من العمر المذكورة فى التوراة».

وقد وقف بوجومولتس حياته على بحث الأسباب التى تفضى إلى انهيار مقاومة المرء للمرض انهياراً مطرداً، وعلى وسائل وقفها. وقصة هذا البحث من أروع قصص البحث العلمى فى العصور الحديثة، فقد استعان بستين باحثاً على فحص نحو ٣٠ ألفاً ممن عُمِّروا أكثر من مئة عام. فأيّةُ مزية خاصة يتمتع بها هؤلاء الناس؟ لقد وجد أن فريقاً منهم تتجدّد حياتهم، فيردُّ إليهم البصر بعد ضعفه أو ذهابه، ويعود لون شعرهم كما كان، وتشتدُّ مقاومتهم للمرض.

وقد عثر على جماعة ممن عمّروا أكثر من مئة عام، فى أبخاسيا على ساحل البحر الأسود، منهم ٣٥ رجلا وامرأة، تتفاوت أعمارهم بين ١١٣ سنة و ١٣٦ سنة، وكانوا جميعاً ممتعين بالقوة والنشاط.

مضى بوجومولتس فى بحثه، فازداد اهتمامه على مرّ الزمن بتلك الشبكة من النسيج المطاط فى البدن، المعروف باسم «النسيج الضامّ»، فهذا النسيج يكسو ظاهر أعضاء الجسم جميعاً وباطنها. ولما كانت وظيفة هذا النسيج غير بينة الأثر، لم يحفل به علماء الأحياء إلا قليلا.

وقد وجد بوجومولتس أن خلايا النسيج الضامّ فى الذين أدركوا الشيخوخة، تبلغ مبلغاً عجيباً من السلامة والصحة. فمضى فى البحث قدما، فخلص إلى رأى لا عهد للطب به، وهو أن بناء خلايا النسيج الضام وحالتها هى التى تحدد قدرة الجسم على مقاومة العدوى، وكذلك ما تحدثه الشيخوخة من تحول فى الجسم، كمثل تصلب

الشرايين ، والرَّثْيَة (التهاب المفاصل) ، وضعف الكلى ، وارتفاع ضغط الدم — والسرطان أيضاً. وهذا الرأى يصدق خاصة على الخلايا التى تؤلف مجموعة الخلايا الشبكية ، كالتى تجدها فى الطحال والنِّقْى (نخاع العظم) وغيرها من الأحشاء .

وقد أيدت رأيه هذا حقائق تبينها فى بحوثه السابقة . فالدم يمد الخلايا بالغذاء وينقل منها فضلاتها ، ولكن الخلايا فى الأعضاء المختلفة لا تتصل بالدم اتصالا مباشراً ، فالتفاعل بين الدم والخلايا يتم خلال جدران أوعية الدم الدقيقة التى تحيط بهذه الخلايا . والنسيج الضام يربط هذه الجدران بعضها ببعض ، فيقوم مقام الوسيط ، فهو طريق لما تأخذه الخلايا من الدم ، وأيضاً لما تنفضه من فضولها فى تياره . فإذا ازدحم الطريق بالذاهب والآتى ، وانسدّ ، ضعفت قدرة الخلايا عن الظفر بالغذاء الوافى ، وعن إفراز فضولها .

وقد تم لبوجومولتس مكتشفات أخرى باهرة . فقد وجد أن هذا الجدار المؤلف من النسيج الضام ، والذى يفصل بين الدم والخلايا ، هو المركز الذى تتولد فيه الطاقة اللازمة للحياة ، فمنه تنبع جميع وجوه النشاط الكيميائى الحيوى التى تحفظ على الجسم شبابه ، وترد عنه عادية المرض . فهو فى رأيه « ينبوع الشباب » الحق ، الذى ينظم أفعال الهدم والبناء الأصلية فى الكائن الحى . ومقاومة المرض ليست سوى فعل كيميائى على الأكثر .

وقد جاء فى المثل السائر : «يقاس عمر المرء بعمر شرايينه » . أما بوجومولتس فقد صاغ قولا آخر هو : « يقاس عمر المرء بعمر نسيجه الضامّ » . وقد عمّر القوم الذين وجدهم فى القوقاز ما عُمّروا ، لأنهم استطاعوا بطريقة ما أن يحفظوا الشباب على هذا النسيج فى أبدانهم . وعلى نقيض ذلك ترى معظم الذين يبلغون الشيخوخة قبل أوانها ، إنما يدركونها لما يطرأ من فساد بطىء على الأجهزة التى تنفض ما يتراكم من السموم شيئاً فشيئاً فى خلايا النسيج الضامّ .

فقدر بوجومولتس أنه إذا ما وجدت وسيلة لحفز النسيج الضامّ إلى النشاط ، تحقق غرضان كبيران فى وقت واحد . ذلك بأن النسيج الذى حُفِز إلى النشاط يتجدّد شبابه ، فيقوى على نفض السموم المتراكمة فيه ، ثم تراه يستأنف القيام بوظيفته الخاصة التى كان يقوم بها يوم كان هو والجسم جميعاً فى عنفوان الشباب . وكذلك يعود كرة أخرى ينقل الغذاء اللازم إلى الخلايا ، ويردّ عنها عادية العدوى .

وأهم من ذلك أنه يحلُّ الخلايا الجـديدة الزاخرة بالقوة محل الخلايا الهالـكة ، أى أن حفز النسيج الضامّ يجدد شباب البدن كله .

وقدر بوجومولتس أن الأمر لا يقتضى منـه سوى إعداد مصل ينبـه أشد أجزاء النسيـج الضام نشاطاً — أى الخلايا الشبكية نفسها . وبعد أن قضى سنين مكباً على العمل فى معهد علوم الأحياء والأمراض فى كييف يعاونه سـتون من الباحثين ، صنع المصل المضاد لتسمم الخلايا الشبكية .

وقد بدأت تجارب هذا المصل فى سنة ١٩٣٧ فأجريت على الحيوان أولاً ثم على البشر ، وأنشئت عيادة خاصة لا تعنى إلا بعلاج الذين تخطوا الخمسين من العمر . وكان العـلاج حقناً قليلة من المصل ، ونظاماً خاصاً فى الأكل ، فتحسنت صحة المرضى وقدرتهم على العمل ، وسرعان ما زال الصداع والروماتزم والأرق. فلما أُتقنت أساليب استعمال المصـل ، صار درعاً قوية تردُّ عن الجسم عادية أمراض تجيئه فى ركاب الشيخوخة فتفسد أنسجته .

وفى ٢٣ يونيو سـنة ١٩٤١ أذاع بوجومولتس أن مصله الذى يطيل الحياة قد بلغ غاية الـكمال. وكان هو قد بلغ الستين من عمره فى ذلك اليـوم ، ولـكنه أصر على أنه أبعد ما يكون عن الشيخوخة وقال :

« قد ترى تناقضاً فيما أقول ، ولـكن الرجل فى الستين أو السبعين لا يزال شاباً ، فهو لم يقض فى الحياة سوى نصف عمره الطبيعى. وفى الوسع أن نداوى الشيخوخة كما نداوى سائر العلل ، لأن الشيخوخة التى نعـدها اليـوم أمراً طبيعياً ، ليست فى الحقيقـة إلا ظاهرة غير طبيعية جاءت قبل أوانها » .

وأتيح المصل لمستشفيات كثيرة ، فوردت تقارير الأطباء منبئة بأنه سلاح يرجى منه نفع كبير فى منع حدوث السرطان بعد أن يستأصله الجراح ، وأيضاً فى تحسين حالات الشرايين المتصلبـة ، وضغط الدم العـالى ، واضطراب الأعصاب والعقل ، وغيرها من الأمراض .

وهو يحذر الناس أن يحسبوا هذا المصل دواء عاماً لـكل داء ، أو عـلاجاً لمرض بعينه ، ولـكنه ينشط خلايا النسيـج الضامّ ويجددها ، فيعيد إلى البـدن قسطاً عظيما من قدرته الأصلية على مقاومة المرض ، كما كان فى أيام شبابه .

وقد سلـكت طائفة كبيرة من معامل البحث هـذا الطريق الذى مهده بوجومولتس ، وقد تم لها تحسين الوسائل المتبعـة للظفر بالمواد اللازمة لتحضيره . فالطريقـة المتبعة الآن تقتضى أن تؤخذ الخلايا الشبكية من الطحال والنِّقْى فى شباب أصحاء ماتوا

فى حوادث مفاجئة ، أو بمرض غير معدٍ ، وينبغى أن تستعمل هذه الخلايا خلال ست ساعات أو عشر ساعات بعد الوفاة على الأكثر .

وهذه طريقة شاقة المسالك ، ولكن من حسن الطالع أن نجد أساليب زرع الأنسجة الحية المنتزعة من الحيوان والبشر فى مواد خاصة ، قد تقدمت تقدماً عظيما . فإذا عدلت هذه الأساليب بعض التعديل ، كانت خليقة أن تمكن العلماء من أن يستنبتوا من « بذرة » صغيرة ، عدداً لا يحصى من الخلايا الشبكية .

ومتى أتيح مصل بوجومولتس للناس (بعد سنتين أو ثلاث سنوات) فقد نجد فيه أول ما يبطل قول الحكيم الذى سئل عن أسباب التعمير فقال بين الهزل والجد : « توخّ أن يكون أبواك قد انحدرا من أصلاب قوم معمَّرين » .



طرائف القبل

يقتصر العناق والتقبيل فى اليابان على الأمهات وصغارهنّ ، دليلا على الحب الأبوى الخالص . فإذا اجتاز الصغار مرحلة الطفولة عدّ التقبيل ضرباً من قلة الحياء . وحينئذ ترى الأب منهم لا يقبل ولده ، وقد يجتمع الزوج والزوجة بعد فراق طويل ، فيجثوان ويتبادلان التحية ويبتسمان ، وقد يهمى دمعهما اغتباطاً وفرحاً ، ولكنهما لا يتعانقان ، ولا يعبّران بالكلام عما فى قلبهما ، وحسبهما أن يفصحا عن حبهما بأفعال غاية فى الرقة واللطف .

[لافكاديو هيرن فى كتابه « من الشرق »]

التقبيل حيلة محكمة لوقف الكلام حين يصير الكلام فضولا ولغواً .

[دائرة معارف كيوبيد]

قد تغتفر المرأة للرجل قبلة لا حق له فيها ، ولكنها لن تغتفر له إحجامه عن قبلة لم يجرؤ على أخذها .

[آرثر مورتيمر]

نوادر مستطرفة

من كتاب "مضحكة" تأليف "بنيت سيرف"

حضر لورد هاليفاكس مأدبة في وشنطن، فروى حكاية ضج لها المدعوون بالضحك . وكانت عن سفينة تجمع ركبها من كل ملة ونحلة ، وقد أصيبت بما عطابها فأرست في مياه جزيرة صغيرة مأهولة في المحيط الهادى ، أضفت عليها الطبيعة جميع ضروب الفتنة والحسن .

وما هي إلا ساعات ، حتى غدت الجزيرة كأنها خلية النحل نشاطاً وعملا . فهاهم الألمان من ركب السفينة قد عمدوا إلى تدريب أهل الجزيرة على الأعمال الحربية ، وفتح الأمريكيون متجراً عاماً ووكالة سيارات ، ونظم الأستراليون حلبة لسباق الخيل ، وأنشأ الفرنسيون مطعما ، وعنى الأسكتلنديان من رجال الركب بتقديم المال لجميع هذه الأعمال . وأما الإنجليز فقد ظلوا وحدهم بمعزل عن الجماعة ، لأن أحداً لم يتقدم فيعرفهم بسائر الركاب .

تروى رواية ممتعة عن آرون سمان المشهور بين كبار المعلنين ، تلقى ضوءاً على أمره في مستهل حياته . فقد روى أن سمان كان يتغدى ذات يوم في مطعم مع صاحبه، فرأى على مقربة منه رجلا كريماً تبدو عليه سيما العناية بضروب الرياضة ، وسمعه يقول : « إن التدمري الأثير عند زوجتي قد مات أمس، وهذه مئتا ريال أدفعها طيب النفس لو وجدت تدمرياً أصيلا يحل محله » .

فوثب سمان إلى قدميه ، وربت على كتف الرجل وقال : « عندى أنا تدمري أصيل ، ولكنني لا أبيعه بأقل من مئتين وخمسين ريال » .

فقال الرجل بعد تفكر : « إنك مغال فيما تطلب ، ولكنني أود أن أسر زوجتي . لقد اتفقنا » .

وعاد سمان إلى مائدته يبتسم راضياً ، ثم التفت إلى صاحبه وقال : « لم يبق على إلا أن أعرف ما هو هذا التدمري » .

قضى داريل سلزنيك ، المخرج السينمائي ، ست سنوات لم يقع فيها على قصة ظفرت بإعجابه، حتى نال منه اليأس ، فصار لا يأبى

أن يقابل كل قادم من الكتاب ويستمع إليه . وفى أحد الأيام دخل عليه كاتب غريب فرحب به كل ترحيب وقال : « بلغنى أنك قد ألفت مسرحيــة . فتفضل بالجلوس واقرأها على » .

كان الكاتب فأفاء تماماً ، فجاء هـذا الترحيب غير المنتظر ضغثاً على إبّالة، ولـكنها فرصة عظيمة قد سنحت له ، فينبغى أن ينتهزها . فجلس وتلا المسرحية على سلزنيك من ألفها إلى يائها ، فلما أتم تلاوتها دعا سلزنيك كاتم سره وقال :

«اتفق مع هذا الرجل فى الحال، وأبرم معه العقد. ففى روايته ظاهرة لطيفة ستضجّ لها جماهير النظارة بالضحك، فكل شخص من أشخاصها سيكون فأفاء تماماً ملوىّ اللسان.

ظنت مسز مولى أن أربعة ريالات ثمن يسير جداً لكلب بوليسى أصيل . فقصت الإعلان من الصحيفة ، وأعلنت لكل من حولها أن شراء هذا الكلب صفقة رابحة، ثم كتبت شيكا بالمبلغ ، ورسالة طلبت فيها أن يرسل الكلب إليها فى دارها . وبعد بضعة أيام ألقى أحد السعاة أمام عتبة دارها كلباً لم تر فى حياتها كلباً أقذر منه ولا أوضع أصلا . فأخذ منها الحنق كل مأخذ ، وهرعت إلى التلفون وخاطبت صاحب الإعلان : « كيف تجرؤ على أن تصف هذا الكلب الوضيع فتقول إنه كلب بوليسى أصيل ؟ » .

فترفق الرجل فى الرد عليها وقال : « هو ما قلت ، لا يغرّنك ما يبدو عليه من بذاذة المظهر ، فإنه كلب فى البوليس السرى ! »

جلست وحدها إلى مائدة فى المطعم . وكانت فى زينتها غلوٌّ وتبرج ، ثم أجالت طرفها فى جنباته ودعت رئيس النُّدُل إليها وقالت : « أليس هذا الواقف هناك يحتسى كأساً من الشراب ، هو كلارك جيبل ؟ »

فقال لها : « إنه هو بعينه » .

فقالت : « إنه يضايقنى » .

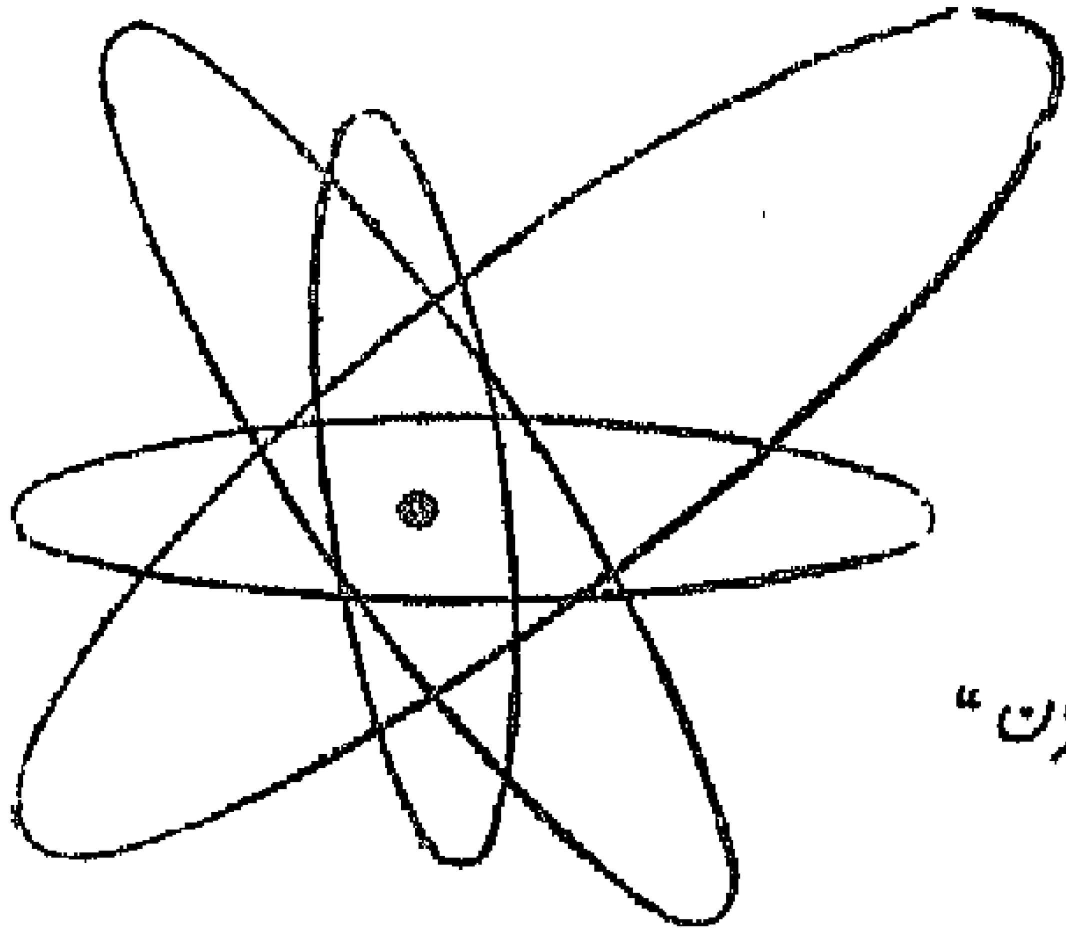
فرفع رئيس الندل حاجبه تعجباً وقال : «ولكنه ياسيدتى لم يرم ببصره إلى ناحيتك»

فقالت : « هذا هو الذى يضايقنى منه » .



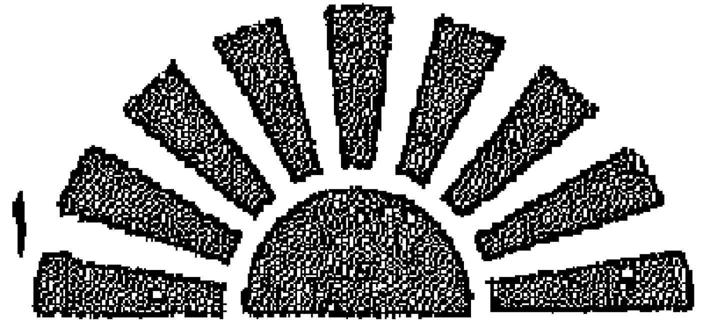
طلب الخير للجماعة هو أنبل الدوافع . [فرجيل]

لقد جمح الخيال واحتدم الجدال !



تهاويل القنبلة الذرية

الماجور الكسندر ب. دى سفرسكى
مؤلف كتاب " النصر عن طريق الطيران "



انتدبنى وزير الحربية الأمريكية ، روبرت باترسون ، مستشاراً خاصاً ، فقضيت ثمانية أشهر أبحث بحثاً دقيقاً ما حل بأوربا وآسيا من دمار الحرب . فاطلعت اطلاعا وافياً على كل ضرب من ضروب الدمار أحدثته المتفجرات الشديدة ، أو القنابل المحرقة ، أو قنابل المدافع ، أو الديناميت ، أو مجموعة مؤلفة منها .

من أجل ذلك جست خلال هيروشيما ونجازاكى ، وهما هدف القنبلتين الذريتين ، وفحصت الأنقاض والخرائب ، ووجهت الأسئلة إلى شهود العيان ، وصورت مئات الصور .

وقد خلصت إلى رأى مؤداه أن ماروى عن أثر القنبلتين الذريتين — لا القنابل الذرية فى المستقبل ، بل هاتين القنبلتين الذريتين — كان فيه غلو عظيم .

بدأت بحثى فى اليابان ، بالطيران فوق يوكوهاما ، وناجويا ، وأوزاكا ، وكوبى ، وعشرات من المواقع الأخرى ، ثم زرتها راجلا . وقد رأيتها جميعاً متشابهة الأثر فجميع المناطق التى خربتها النار وردية اللون ، وهو أثر أكوام من الرماد والأنقاض مختلطة بالمعادن الصدئة ، أما المبانى الحديثة والمصانع فلم تزل قائمة . ولم يبد لى من الجو أن النار قد أكلت من المبانى طائفة كبيرة ، فلما ألقيت بصرى من الطائرة على قلب يوكوهاما حسبته سليما لم يمسسه أذى . وقد خربت النار المنطقة الصناعية الطويلة الممتدة من أوزاكا إلى كوبى ، ولكن المصانع والمبانى المشيدة بالأبرق لم تزل قائمة . وهذه صورة تختلف كل الاختلاف عما شاهدته فى المدن الألمانية التى عصفت بها القنابل التى تقوض المبانى وتدكها . والفرق بينهما أن معظم الخراب فى اليابان مردود إلى النار ، وقلما لحق الأهداف التى لا تحترق تصدع فى بنيانها .

وقد كنت أتوقع أن أرى فى هيروشيما صورة أخرى ، فدهشت ساعة رأيت هيروشيما لا تختلف عن المدن اليابانية التى اكتسحتها النار .

فثمة الرقعة المألوفة الوردية اللون ، التي يبلغ قطرها نحو ميلين ، وفيها بقايا أشجار وأعمدة تلغراف عضّتها النيران. وفي المدينة عشرون جسراً لم يهدم منها سوى جسر واحد ، وأما جماعات المباني الحديثة في المدينة فلا تزال قائمة .

فمن الواضح أن قوة نسف القنبلة الذرية لم يبلغ المبلغ الذي روى عنها ، ولأن يوصف بأنه نسف متسع النطاق ، أولى من أن يوصف بأنه شديد الفتاك .

كنت قد سمعت عن مبانٍ أكلتها على الفور حرارة لم يسبق لشدتها مثيل ، ولكنني رأيت هنا مباني لم تتصدع . وأعظم من ذلك دلالة أني رأيت في أعاليها أعمدة الأعلام لم يمسسها أذى ، وكذلك قضبان الصواعق ، وحواجز الحديد على الشرفات ، وصفارات الإنذار وغيرها من الأشياء الخرعة والهشّة .

وحين بلغت جسر « ت » ، هدف القنبلة الذرية ، بحثت عن « البقعة » التي يزعمون أن كل شيء فيها يتبخر في مثل لمح البصر ، فلم أجدها هناك ، ولا وجدتها في أي مكان آخر ، ولم أعثر على أي أثر لهذه الظاهرة الغريبة .

وما شاهدته كان في جمله كمثل ما شاهدته في يوكوهاما وأوزاكا ، أو في ضواحي طوكيو — بقايا منطقة شيدت مبانيها بالخشب والآجر ، فالتهمتها نيران حاصدة . وقد رأيت في كل مكان جذوع أشجار محترقة ، وأشجاراً جردت من ورقها ، وقطعاً من الخشب محترقة وغير محترقة . وقد بلغت النار من الشدة مبلغاً كفى لثني قضبان الصلب ولتيها ، ولصهر الزجاج حتى يسيل كاللابة — كما حدث في سائر المدن اليابانية سواء بسواء .

أما المباني المشيدة بالأبرق ، والتي كانت أقرب ما تكون إلى مركز الانفجار الذري ، فلم يبدُ فيها شيء من التصدع ، مع أن بعضها لم يبعد عنها أكثر من بضع مئات من الأمتار ، وحتى الزخارف الخارجية على جدرانها كانت سليمة . نعم كان زجاج النوافذ قد تحطم ، ولكن إطارات النوافذ التي صنعت للوح واحد من الزجاج ظلت على حالها ، ولم يلتو أو ينثنِ إلا الإطارات التي صنعت للوحين

---

* الصاغ ألكسندر ده سفرسكي ثقة في شئون الحرب الجوية ، وأحد المبرزين في هندسة الطائرات . وقد قاد أسراباً من الطائرات الروسية في الحرب العالمية الأولى ، وفقد إحدى ساقيه في سنة ١٩١٥ حين تحطمت به طائرته ، ولكن القيصر أذن له خاصة أن يعود إلى قيادته . وبعد الحرب رحل إلى الولايات المتحدة وعين مستشاراً هندسياً في شئون الطيران ، واخترع أول منظار أوتوماتيكي لتسديد القنابل ، وأدخل وجوهاً كثيرة من التحسين على أدوات الملاحة الجوية . ولم يزل منذ عشر سنوات يصمم الطائرات لسلاح الطيران الأمريكي ويصنعها .

من الزجاج أو أكثر . فقوة النسف فى الانفجار الذرى لم تكن شيئاً غير مألوف .

ثم وجهت الأسئلة إلى عدد وافر من الناس كانوا فى مثل هـذه المبانى حين انفجرت القنبلة . وقد وافقت أجوبتهم روايات الذين كانوا فى مبانى الأبرق فى مناطق قذفت بناسفات الربوع . فبناء الصحافة فى هيروشيما ذو عشرة أدوار ، ولا يبعد عن مركز الانفجار أكثر من بضع مئات من الأمتار ، وقد أكلته النيران التى أعقبت الانفجار ، ولكنه لم يزل سليما لم يتصدع ، وأما الناس الذين كانوا فيـه ، فلم يصابوا بأذى غير مألوف .

وقد بلغ الموت والخراب والهول فى هيروشيما مبلغاً عظيما كما روى فى الصحف والإذاعة ، ولكنَّ نوع الدمار ليس فذًّا لم يسبق له مثيل . ولم تبلغ قوة النسف وشدة الحرارة المبلغ الذى تناقلته الألسنة .

أما فى نجازاكى فقد احترقت المبـانى المشيدة بالأبرق ، ولكنها ظلت قائمة . وقد نجا حىٌّ الأعمال من الأذى ، مع أن مبانيه من الخشب على الأكثر . فقيل فى تفسير ذلك أن الآكام القائمـة بينهُ وبين موقع القنبلة حمتهُ أن يحترق أو ينهدم ، ولكنَّ حيًّا آخر من أحياء المدينة ، يقع على خط مستقيم من مركز الانفجار ولا تفصلهُ عنهُ آكام ، نجا أيضاً من كل أذى بليغ . فقوة القنبلة كانت قد تبدَّدت قبل أن يبلغ أثرها هذه المنطقة ، فلم يتقوض إلا بضعة منازل ، ولم يحترق منزل البتة .

وقد أذيعت أقوال نسب فيها كل الخراب الذى حل بنجازاكى إلى القنبلة الذرية . والواقع هو أن الطائرات كانت قد قذفت المدينة بقنابلها ستة أيام تباعاً ، فأصيبت مصانع ميتسوبيشى الشهيرة بأذى جسيم من جراء ثمانى قنابل متفجرة أصابتها فى المقتل .

فماذا حدث حقاً فى هيروشيما ونجازاكى؟ ليس ثمة إلا دليل ضعيف على أنهما أصيبتا بنار أشعلتها حرارة التفجر الذرّى ، ولعلَّ القنبلة انفجرت على ارتفاع حال دون اشتعال النار . وإذا كانت الحرارة بالغـة الارتفاع فى نطاق انفجار القنبلة الذرية (وتجربة نيومكسيكو تؤيد ذلك) ، فلا مناص من القول بأن الحرارة قد تبدَّدت فى الفضاء ، ولم تصب هيروشيما إلا بقوة النسف التى ولدها الانفجار .

كانت قوة الانفجار كأنها مِذَبَّة كبيرة سعتها ميلان ، لطمت مدينة مؤلفة من مبان واهيـة ، فسوّتها بالأرض ، ودفنت فى أنقاضها مئتى ألف نسمة من الأحياء . وقد زاد من أثرها أن مبانى اليابان الواهية

مشيدة بخشب نخره الأرض، وأثقلتها سطوح متخذة من الآجر السميك، ثم شبت ألوف من النيران فى وقت معاً من تماس الأسلاك الكهربائية ، وانقلاب الأفران ، ومصابيح الجاز ، وتحطم أنابيب الغاز ، فإذا المنطقة كلها نار مسعورة حاصدة .

وحين تغير الطائرات وتقذف القنابل المحرقة ، تتاح للناس فرصة للنجاة فيفرون من بيوتهم إلى الشوارع أو الميادين أو الأنهار . أما هيروشيما فلم تتح فرصة ما لمعظم سكانها ، فقتل ألوف منهم لساعتهم من انهيار الجدران والسقوف ، وسدت المنافذ على البقية فى جحيم مستعر . وقد قدر عدد الذين ماتوا حرقاً بستين ألف نسمة .

إنها النار ، ولا شيء غير النار الطاغيـة الحاصدة الآكلة ، فهى وحدها التى دمرت ما دمرت من الأنفس والعمران فى هيروشيما ونجازا كى .

والذين هلكوا لم يموتوا لساعتهم ، ولا انحلت أبدانهم بفعل الانفجار الذرى ، بل ماتوا كما يموت الناس حرقاً .

ولعل بعضهم أهلكه الإشعاع ، فقد لقيت قوماً سمعوا بأن هناك من أصيب بحروق الإشعاع وتسمم الإشعاع ، ولكننى لم أظفر بشهادة من شاهد عيان . فالأطباء والممرضات فى المستشفيات التى زرتها لم يعالجوا إصابات من هذا القبيل ، مع أن بعضهم سمع بها . وقد سألت الذين كافحوا النيران ، وعمال الصليب الأحمر الذين هرعوا إلى إغاثة المصابين فى الدقائق الأولى التى تلت الانفجار ، فأنكروا جميعاً أنهم شاهدوا إشعاعا لابثاً مديداً .

هذه هى الحقائق كما وجدتها ، وهى مروعة لا تحتاج إلى مغالاة وتهويل . ولست منفرداً بهذا الرأى ، فالعلماء الذين حادثتهم وكانت مهمتهم أن يفحصوا ما تحدثه القنبلة من تدمير فى المكان الذى تلقى فيه ، يشاطروننى هذا الرأى بوجه عام . وليس فى الأنباء الوثيقة التى تذيعها وزارة الحربية شيئاً يؤيد صحة هذه الأهوال . فليس صحيحاً ما يقال من أن المادة تبخرت بتأثير الحرارة الشديدة ، ولو تبخر الصلب لكان الخشب خليقاً أن يجرى مجراه ، وقد وجدت خشباً كثيراً سليما فى الأنقاض . ولم أجد فى إحدى المدينتين تلك « البقعة » التى يزعمون أن كل شيء فيها يتبخر لساعته ، بل وجدت فى المنطقتين اللتين أصابتهما القنبلة جذوعاً كثيرة وجدراناً عليها عرائش . وهذا ينفى مزاعم الحرارة الطاغية .

وكلما بالغت فى فحص مشاهداتى فحصاً دقيقاً ازددت اقتناعاً بأنه لو ألقيت نفس القنبلة على نيويورك أو لندن أو برلين ،

لما زاد عدد من يهلك بها على عدد الذين تهلكهم قنبلة متفجرة من ناسفات الربوع، وعسى أن يقتصر أذاها المادى على تحطيم زجاج النوافذ فى منطقة واسعة .

وقد عاب علىّ ثلاثة من علماء جامعة شيكاغو قولى : « إن مئتى قاذفة ضخمة محملة بالقنابل المحرقة، كانت خليقة أن تفعل فعل القنبلة الذرية » . وقالوا : « إذا كانت مئتا قاذفة ضخمة تستطيع أن تمحو هيروشيما كما فعلت قنبلة ذرية واحــدة ، فإن هذه القاذفات نفسها تستطيع أن تمحو مئتى مدينة إذا حملت قنابل ذرية » .

إلا أن هؤلاء الخبراء أغفلوا شيئاً واحداً، هو أن المدن المئتين ينبغى أن تكون واهية البنيان كمثل هيروشيما . فإذا كانت مبانى المدينة مشيدة بالآجر والصلب ، كان ضربة لازم أن تضاف القنابل الشديدة التفجر إلى القنبلة الذرية حتى يتم الأثر المطلوب . نعم إن قنبلة ذرية واحدة ألقيت على هيروشيما عدلت مئتى قاذفة ضخمة ، ولكن إذا شئت أن تفعل بنيويورك أو لندن ما فعلته بهيروشيما ، وجب أن تظفر بضرب آخر من القنابل الذرية ، وبلون آخر من التفجر ، قبل أن يزيد فعل القنبــلة الذرية على فعل قاذفة ضخمة واحدة محملة بقنابل شديدة التفجر.

ويبدو لى أنه من باب التضليل أن يقال إن القنبلة الذرية التى ألقيت على اليابان كانت أقوى من قنبلة ت . ن . ت ناسفة الربوع « عشرين ألف ضعف » . وقد يكون هذا القول صحيحاً إذا اتخذنا مقدار الطاقة الذى يتولد فى الحالين معياراً للمقابلة ، ولكن الأمر الذى يهمنا هو ذلك الجزء من الطاقة الذى يدمر : فإذا اتخذناه مقياساً للمقابلة ، وجدنا أن القنبلة الذرية تزيد على ناسفة الربوع « مئتى ضعف » فقط ، إذا كان الهــدف هيروشيما أو مثلها ، وتصير كأنهــا « قنبلة واحدة » إذا كان الهدف مدينة مثل برلين.

وكل ما يسـعنا أن نقوله اليوم ونحن واثقون ، هو أن القنبلة الذرية كانت بالغة الأثر فى تدمير مدينة واهية قابلة للالتهاب . فاستعمالها فى هيروشيما ، مثل على استعمال القوة المناسبة ، على الهدف المناسب ، فى الوقت المناسب ، حتى تحدث أبلغ أثر مطلوب .

فالذين قرروا استعمال القنبلة هناك جديرون — من الناحية الحربية — بأعظم الثناء .

وليس ثمة ريب فى أن التجربة ستسفر عن وسائل لاستعمال القذائف الذرية أنفع استعمال حربى ، فيقل ما يتبدد من طاقتها فى الفضاء ، ويزداد ما يوجه منها إلى التدمير .

وقد ذكر علماء شيكاغو فى بيانهم « أن القنبلتين اللتين ألقيتا على اليابان ، كانتا

أول القنـابل الذرية التى صنعت ، وأنهما كالألعاب النارية ، إذا قورنتا بما تصير إليه القنبلة الذرية بعـــد عشر سنوات أو عشرين سنة » .

وهذا هو عين ما أقول ، فالقنبلة الذرية لا تزال فى مهدها . وقد استبد بالناس ذعر مفزع حين قرأوا ما قيـل لهم عن أثرها الأول ، فجمح الخيـال واشتد التهويل ، وصار الناس يتحدثون عن نفر قليل من الفدائيين ، يحملون فى حقائبهم قنابل ذرية مُدْمجَة التركيب، وينسفون بها هذا البلد أو ذاك . وهذا كله باطل ولغو .

وما أكثر ما قيل من الهراء عن حجم القنبلة ! وكيف يعلم الناس أن زنتها « بضع أواق » أو « بضعة أرطال » ؟ ألم يعهد بنقلها إلى قاذفة ضخمة لا إلى مطاردة صغيرة؟

وأنا آخر من ينكر أن الطاقة الذرية قد أحدثت أمراً عظيم الخطر ربما أدى إلى انقلاب عظيم فى فنون الحرب وصلات الأمم بعضها ببعض ، ولكننى لا أظن أن هذا الانقلاب قد تمّ ، وأنه ينبغى أن نستسلم لذعر التهويل . ومهما يكن القرار الذى ننتهى إليـه ، فينبغى أن نبتّ الرأى بمنطق سليم ونفوس هادئة ، وأعظم منهما أن نتجنب العسف والمكابرة فى الحقائق التى قامت على صحتها الأدلة .

·oOOo··oOOo·

لعبة الأرقام

نعرف زوجين مضى عليهما سنوات منذ تزوجا ، ولكنهما لا يستغرقان فى صمت مطبق حين يجلسان إلى الطعام وحدهما فى مطعم ، كما يفعل معظم الأزواج . فجعل الناس يتساءلون كيف يكون ذلك . وأخيراً أقدمت إحداهن على سؤال الزوجة : « ما سر هذا الحديث الذى يتصل دائماً بينهما بعد هذه السنين الطويلة ؟ »

فقالت الزوجة : « حقيقة الأمر أننا عزمنا منذ زمن بعيد أن نتكلف الظهور كأن بيننا أمراً ذا بال كلما جلسنا فى مكان عام. فإذا ما شعرت أن السكون سينشر ظله بيننا ، أقول لزوجى متصنعة اللهفة والاهتمام : « واحد ، اثنان ، ثلاثة ، أربعة ، خمسة » ، فيجيبنى : « ستة ، سبعة ، ثمانية ، تسعة ، عشرة » . وهذا يحملنا على أن نغرب فى الضحك على الأثر ، ولا نلبث حتى نجد موضوعاً يسرنا ويهمنا أن نتحدث فيه .

[صحيفة « نيويورك صن »]

قد يكون الشجار فى الحين بعد الحين وسيلة تفضى إلى حسن المعاشرة بين الأزواج .

روّح عن قلبك بمشاجرة بينك وبين زوجك

اڤلين ميليس دوڤال و روبين هل

محتصرة من كتاب "حين تتزوج"

قال جيم لنفسه : « آل مارتن يتشاجرون مرة أخرى ! »

وكان بيته يلى بيتهم ، وكان يحب الرجل وامرأته ، وكان خلافهما يقلقه ، ولكنه وجد أنهما بعد أن يتنازعا يبدوان أسعد مما كانا من قبل .

وكان مارتن وامرأته يعلمان أن الخلاف ينتهى دون أن يهدد علاقتهما الزوجية ، فقبل أن يتفاقم الأمر تشرع « سادى » فى البكاء ، ثم لا يلبث كلاهما أن يشعر أنه أحسن حالا . وكانا لم يخضعا قط لمذهب الذين يدعون إلى « الرقة والبشاشة » بين الزوجين ، ولم يتدربا قط على أن يتريّثا قليلا قبل أن ينطقا بالكلمة النابية .

ولعل صراحتهما فى الاندفاع للتنفيس عن عواطفهما المحبوسة ، أقل صور النزاع خطراً ، لأنه لا يُبقى بين الزوجين سبباً يذكر لسوء تفاهم طويل العهد ، إذ كانت المتاعب والخلافات تعالج بانتظام وتسوّى فى وقتها .

وثم صورة للنزاع أخطر من هذه ، وهى ذلك الضرب من الهدم المتبادل الذى لا يبين عنه اى واحد من الزوجين ليعالجه أو يفهمه بوضوح . ذلك أن كلا منهما يؤثر خطأً أن يحرص على الوفاق فيكظم غضبه ، ولكنه قلما يعفى قرينه من الألم فى النهاية ، لأنه ، وهو يكبت عواطفه ، يكدس النقمة فى نفسه ، فلا تلبث أن تفيض فى صورة عمل مشوب بالعداوة لا يستطيع كلا الزوجين أن يفهمه . والزوج الذى لا ينطق بكلمة حين تنحى عليه زوجته باللائمة لأنه لم يطلب علاوة ، لا يفيد شيئاً من الفهم أو الراحة حين يركل قطته الأثيرة وهو يغادر البيت فراراً بنفسه .

وكثيرون منا يشعرون بتأنيب الضمير بعد شجار بينه وبين زوجه ، لأننا لا نزال ننظر إلى الزواج على اعتبار أنه نظام أبوى يتمثل فى مئات من الحكم والأمثال التى تمجد السعادة الزوجية والسلام والسكينة فى البيت : « اصبر وصابر » ، « الرد اللين يفلّ حد الغضب » . وفى ظل هذا النظام كان المفروض أن ينشأ الأطفال ولا يسمع لهم صوت ، وأن تكون الأم الزوجة

مستسلمة تصبر ولا تشكو ، وكان الشجار من أى نوع دليلا على تقوض السلطة الأبوية، فينبغى قمعه بلا تلكؤ ، ولكنه كان هناك صراع خفى كثير ، ونقمة كثيرة مكتومة غير مأمونة .

ومما يدل على أننا ما زلنا اليوم مثقلين بآثار هذا الأسلوب من أساليب التفكير الذى يحض على البر والرقة والبشاشة ، أن مئات من الأزواج يأتون إلى « مراكز إرشاد الأزواج » ليطرحوا عنهم وقر الإحساس بالإثم والضعة ، لأنهم تشاجروا فى بيوتهم . غير أنا بدأنا نعيد النظر فى المثل القائل : « لا شجار إلا بين اثنين ، ولن أتشاجر » لنعدله فيكون « إذا كان بيننا شىء فلنتصارح به » ، وبهذا يمكن أن يزول بعض الإثم والضعة .

إن حياة العمل اليومى لاتسمح بالإعراب الصُّراح عن العواطف التى تنشأ فى نفس كل إنسان طبيعى — الغرور ، والغيرة ، والامتعاض ، والطموح الأنانى — وهى إحساسات طبيعية كالرقة والحب . ولا بد للفرد أن يملك زمام نفسه عند الغيظ ، لأنه إذا أرخى لشعوره العنان أمام رئيسه فقد يفقد عمله . ومن أجل هذا ينبغى أن يكون ثم مكان ما ، ينفِّس فيه عن قلبه ويرسل فيه نفسه على السجية . وهذا المكان هو ، على ما يبدو ، بيت الزوجية . فإذا كان هناك قدر معين من الشجار ، فإنه ينبغى أن يتخذ الزوجان من ذلك دليلا على أن زواجهما يؤدى إحدى وظائفه الرئيسية ، وتلك أنه يهيىء مكاناً يخرج منه البخار الحبيس ، فيعود الاتزان العاطفى . أما إذا كانت العلاقة بين الزوجين من الوهن بحيث يتطلب الاحتفاظ بها تحرّى ذلك السلوك المتكلف فى مكاتب الأعمال ، فإنها تكون إذن على شفا جُرُف هار .

ومع أن كثيراً من النزاع بين الزوجين طبيعى ومرغوب فيه ، إلا أنه يجب أن نميز بين النزاع المنتج المثمر والنزاع الهدّام . فأما النزاع المنتج فإنه يجعل رباط الزواج أقوى ، لأنه يعيد تعيين الأمر الذى أثار النزاع ، وهو نزاع موجه إلى مسألة ودائر عليها ، ومفضٍ إلى تفاهم جديد أتمّ ، وهو فى خير الحالات يقل تكرره وعنفه كلما تقدّمت الحياة الزوجية وتقررت الحلول الأساسية للمسائل .

ومن شأن النزاع المثمر أن يكشف للزوجين عن قوة علاقتهما ومتانتها فى الحقيقة . وهناك رجال ونساء يخدعهم توهمهم أن الحب لا بد أن يكون قد غاض بعد أن تـّطرد الحياة على نسق ممل . وهؤلاء يدهشهم أن يتبينوا قوة عواطف الحب التى تتبدّى

من جراء نزاع . وهكذا يساعد النزاع على توطيد الزواج بتذكير الزوجين حين يصطلحان بعمق ما بينهما من الحب .

أما النزاع الهدام فتصبح مزايا العلاقة الزوجية بعده أقل مما كانت من قبل ، لأن غرضه ليس الموضوع بل الشخص ، ولما كان محصوراً فى شخصية الطرف الآخر ، فإنه يحقره ويؤذيه ، ولذلك يؤدى النزاع الهدام إلى فتور القلوب وتنائيها ، وينقلب الحب بغضاً ، لأن الشدة والقسوة تزدادان فيه باطراد .

وعلى الزوج الذى يقف موقف المدافع حين يحدث النزاع ، تبعه خاصة . فإذا كان غضب المعتدى يرجع على ما يظهر إلى مرض أو تعب أو حَمْل أو إلى آلام الحيض ، فإن الموقف قد يدعو إلى الحلم ، وإلى التهدئة والعطف ، لا إلى المعارضة الشديدة . وقد يحتاج الشخص الذى لقى ما يؤلمه أو يؤذيه فى أثناء عمله ، إلى نفس العطف والفهم . وقد يخفف من وقع المهانة والخيبة التى آذته أن يظهر القرين اهتماماً منطوياً على الفهم والعذر ، ولكن على القرين أن يكون واثقاً من سَداد مسلكه ، فإنه ليس أبعث على تلهب الغيظ فى نفس من يتعمد إثارة شجار ، من أن يرى الآخر عاجزاً عن ردّ العدوان بمثله . والحاجة إلى ذلك تكون أشد عند الشخص الذى يعانى أزمة عاطفية .

فى رأيى أن حياة اثنين يعيشان معاً خمساً وعشرين سنة دون أن يسمع أحدهما من الآخر كلمة غضب ، توقع فى الروع أن هناك ضعفاً فى الروح لا يعجب به الإنسان إلا فى الحمَل الوديع . فإنه حينما تكون هناك روح ، لابد أن يكون هناك شرر . فلا تتوهم أن أول شجار بينك وبين زوجك سيكون نهاية كل شىء ، فإنه أولى بأن يكون البداية الحقيقية .
[أ . ب هربرت]

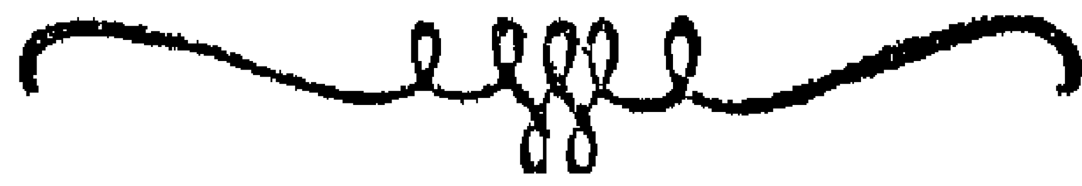
وللنزاع نهج ، وهو يجرى على نسق يمكن التكهن به . ففى المرحلة الأولى تكون فى الزوجة — إذا كانت هى المعتدية — شكاسة وسرعة بادرة وميل إلى النِّقار . أما إذا كان الزوج هو المعتدى فإن أعراض التوتر تتبدّى من الدمدمة الثائرة ، والتذمر من البيت القذر ، ومن شريحة اللحم التى بولغ فى إنضاجها ، أو مما يطالب به البدّال . فالمعتدى إذن متهيئ للشجار لبواعث سخط مكدسة ، ولا يلبث الطرف الآخر أن يتهيأ هو أيضاً للنزال .

والمرحلة الثانية هى المعركة الكبرى نفسها . وقوامها إلقاء الأوراق على المائدة ، ومقابلة

التهم بالتهم ، والجدل، والمصانعة ، والتنكيت. وهذه المرحلة قد تكون قصيرة لا تتجاوز دقائق ، أو قد تطول بغير عنف ساعات إلى أن يأتي الليل ، دون أن تحل المسألة التي دعت إلى ذلك . وقد يجيء الحل من طريق أسهل في الصباح التالي حين تبدو الأشياء أكثر نضرة وتورّداً .

وتبدأ المرحلة الثالثة حين يدرك المعتدي أن التوتر الداخلي قد خفت وطأته ، فيسعى للصلح وينشد السلام . وقد يكون المدافع قد اصبح يعاني توتراً فينفر من التقبيل والصلح ، فتطول المعركة ، ولكن كليهما في النهاية يصبح أهدأ نفساً وأكثر حباً .

واجتياز المراحل الثلاث بنجاح ، يتطلب نضجاً عاطفياً ، وقوة نفس. ولكن الشجار الصريح ، ولا سيما في المرحلة الثالثة ، يريح الأعصاب ويزيل التوتر ، ويشيع في النفس شعوراً جميلاً بأن الدنيا بخير، وأن الزواج نعمة.



أين المحتفى به ؟

أقيمت حفلة في فندق ستاتلر بوشنطن دعي إليها مئة من كبار القوم ، تكريماً لرجل يدعى تيتوس أوتس . وكان المدعوون منصرفين إلى احتساء كؤوس الشراب والتندّر ، وعيونهم تبحث عن المحتفى به حين وزعت أوراق طبع عليها ما يلي :

« يأسف المستر أوتس لأنه لا يستطيع أن يحضر الحفلة اليوم . وإذا أردتم أن تعلموا سبب ذلك فارجعوا إلى قاموس الأعلام تأليف وبستر تروا في الصفحة ١١١١ مايلي : « أوتس ، تيتوس ١٦٤٩ — ١٧١٥ ، محتال إنجليزي وملفّق الدسيسة البابوية» . ثم أورد كاتب الورقة أصل هذه الدسيسة، وكيف زعم ملفقها أن الكاثوليك ينوون أن يذبحوا البروستانت ويحرقوا لندن ويغتالوا الملك ، وكيف حكم على الرجل من أجلها بالسجن مدى الحياة إلخ ...

وقد كان صاحب الرأي في إقامة هذه الحفلة رجل صحفي يدعى جورج ديكسون ، أراد أن يقيم الدليل على أن سكان وشنطن يلبون الدعوة إلى أية حفلة تقام لتكريم أيّ الناس كان .

[هارولد هلفر]

إنريكو كاروزو أحب المغنين فى التاريخ إلى الناس

"جميل منهم أن يتذكروا"



چورچ كنت

مقال مستند إلى كتاب "إنريكو كاروزو" تأليف أرملته "دوروثى كاروزو"

ولدت أنة كاروزو واحداً وعشرين ولداً مات منهم ثمانية عشر ، أما التاسع عشر فقد عاش حتى صار أعظم مغن على تطاول العصور . وقد كان أول ظهوره فى أمريكا على مسرح أوبرا متروبوليتان فى سنة ١٩٠٣ ، وغنى آخر أغنية غناها على المسرح نفسه فى سنة ١٩٢٠ ، فلم تكد تنقضى ثمانية أشهر حتى ذهب إلى لقاء ربه ، فبكاه ملايين من الرجال والنساء فى بلاد كثيرة ، ولبس السوادَ عليه ألوف . فهو لم يكن مغنياً عظيما وحسب ، بل كان أيضاً رجلا عظيما وإنساناً أحبه الناس حباً جماً .

لم تكن الإذاعة ولا السينما الناطقة معروفة فى أيام كاروزو ، فلم يكن لك بدٌّ ، إذا شئت أن تسمعه ، من أن تشترى تذكرة وتشهد الحفلة ، فتراه حياً ماثلا أمام عينيك يغنى ، أو أن تدير ذراع الفونغراف فينطق صوته فى البوق من الأسطوانة الدائرة . وقد كان عدد الذين سمعوه يغنى قليلا إذا قيس بالملايين الذين يستمعون اليوم إلى الراديو ، ومع ذلك فقد ظفر من افتتان الناس وإعجابهم ، بما لم يسبق له مثيل فى تاريخ العظماء .

وقد كان أكثر غنائه أصواتاً من الأوبرات الكبيرة الفرنسية والإيطالية ، وكانت تعدّ يومئذ كما تعدّ اليوم من الفن الرفيع العالى ، ومع ذلك فقد بلغ كاروزو من قوة الصوت وانتشاره ، ومن القدرة على التعبير عن الشعور الذى يخالجه ، مبلغاً هزّ الناس وأشجاهم ، وكثيراً ما تركهم والدموع تهمى من عيونهم . أما هو فقد يبلغ منه التأثر أحياناً حتى تراه بعد انتهاء الحفلة جالساً فى حجرته ينتحب .

وقد كانت دار أوبرا متروبوليتان فى نيويورك مسرحه المعهود ، ولكن شهرته طبقت الخافقين وذاعت فى كل عاصمة عظيمة ، من بوينس إيرس إلى موسكو . وكانت الجماهير تلتف من حوله أينما ذهب ، وكان الناس يقفون ويهتفون له إذا ما دخل مطعما من المطاعم ، فلذلك دأب على أن يتناول طعامه فى بيته ، أو فى مطعم صغير من مطاعم

نيويورك التي تقدم « المكرونة » ، حيث يصرف بقية نهاره يلعب الورق مع صاحب المطعم . وكان يتلقى في كل بريد هدايا كثيرة : علباً من الحلواء ، أو الطعام ، أوجواهر ، أو صورته مطرزة على الحرير أو الصوف .

وقد أطلق اسمه على آلاف من السلع ، من « السيجار » إلى الصابون ، ولا تزال في أمريكا طائفة من المطاعم تعرف باسمه ، وكذلك صنف من المكرونة ، ومجموعة من ألوان الطعام المحفوظ . وأطلق أحدهم على جواد من جياد السباق اسم كاروزو ، فظل المغني يراهن عليه بعشرة ريالات في كل شوط يشترك فيه ، ولكنه لم يكسب قط .

وقد بلغ دخل كاروزو في العهد السابق لعهد الراديو مبلغاً لم يعدله دخل أحد من المغنين على الإطلاق . وكان يصيب دخله من الغناء على المسرح ومن تسجيل الغناء على أسطوانات ، وأبى أن يتقاضى من دار المتروبوليتان أكثر من ٢٥٠٠ ريال عن الحفلة الواحدة ، ولكنه تقاضى ١٠ آلاف ريال عن حفلة في كوبا ، و ١٥ ألف ريال عن حفلة في المكسيك ، ورفض مرة ٢٥٠ ألف ريال لقاء رحلة في جمهوريات أمريكا اللاتينية تستغرق شهرين ، وهذه غاية (رقم قياسي) ، ولم تزل غاية إلى يومنا هذا . وقد بلغ مجموع دخله في حياته عشرة ملايين ريال . ولم تزل أسطواناته تدرّ مالا وفيراً على ورثته منذ توفي في سنة ١٩٢١ . وقد أعدت شركة ڤيكتوريا في آخر سنة ١٩٤٣ ثمانية عشر ألف دفتر تحتوي على أسطوانات كاروزو ، وجعلت ثمن كلّ منها عشرة ريالات ، فبيعت جميعاً بين عشية وضحاها .

وبعض شهرته على الأقل يرجع إلى أنه كان رجلا عظيما ، فقد كان مفطوراً على بساطة الفلاح وسذاجته ، فيعرب عن شعوره بإشارات وإيماءات سَمْحة لا تكلف فيها ، هي التي حببته إلى الناس .

وقد حدث ذات ليلة في بروكلن أن علا الصياح خارج نافذة الحجرة التي يرتدي فيها ثياب المسرح ، ففتح النافذة فألفى جمهوراً عظيما فيه بضعة آلاف من الناس ، وكانوا ينعون سوء حظهم لأن جميع مقاعد المسرح قد بيعت ، وكانت الحفلة مهرجاناً عظيما أعدت فيها المقاصير للأسرة المالكة . ففكر كاروزو هنيهة ، ثم غنى الناس الواقفين في الشارع أهم أصوات الأوبرا التي كان يتأهب لغنائها على المسرح .

وجلس في أحد الأيام يوقع على شيكات كان يجود بها على أكثر من مئتي نفس من المحتاجين دأب على أن يعينهم ، فتمتمت زوجته قائلة : « لا يمكن أن يكون جميع هؤلاء الناس ممن يستحقون المعونة » فقال :

« حقاً يا دوروثى ، ولكن أتستطيعين أن تعرفى من منهم الذى لا يستحق ؟ »

وخرج ذات صباح يتمشى فى مدينة كليفلاند مع كاتم سره برونو زيراتو ، فإذا به يفاجىء كاتم السر بقوله : « ليس ما نفعله حقاً ولا عدلاً ، فنحن نأتى إلى هنا ونكسب مالاً ثم نمضى على وجهنا . فينبغى أن نخلف بعض المال فى المدينة » واتفق أن مرّا أمام حانوت عرضت فى واجهته آنية من الخزف الصينى ، فأسرع كاروزو ودخل الحانوت ، واشترى كل ما فيه ، ثم أرسل ما اشترى إلى نيويورك ليوزع على ذوى الحاجة من أصدقائه . وقد دأب بعد ذلك على أن ينفق فى كلّ مدينة بعض المال الذى يتقاضاه فيها على غنائه .

وقد كان كاروزو ، وهو فى أوج شهرته ، رجلا بادناً رَبْعة غليظ العنق ، قد أخذ الصلع يدب فى رأسه . وكان يبالغ فى النظافة إلى حد الهوس ، فكان يستحم مرتين كل يوم ، حتى جعل على حوض الحمام رفاً يضع عليه كتاب الألحان ليدرسها وهو يستحم . فيدَع باب الحمام مفتوحاً ، والعازف جالس إلى البيان فى الحجرة المجاورة ، فيصاحبه وهو يغنى . وكان يجيئه كل صباح من يحلق له ذقنه ويدلك بدنه ويطرّف أظافر يديه وقدميه ، فيتم ذلك كله على عزف نغم الدور الذى ينتظر أن يغنيه فى الحفلة التالية .

وكان يضيق ذرعاً بالذين لا يبالغون كما يبالغ فى النظافة والأناقة . وقد شكا مرة إحدى الممثلات التى ينبغى له أن يغازلها على المسرح ، فقال : « من نكد الدنيا أن تغنى مع مغنية لا تستحم ، أما أن تتاهب حباً لمغنية تفوح رائحة الثوم من فمها ، فأمر مستحيل » .

ولد إنريكو كاروزو فى مدينة نابولى بإيطاليا ، وكان والده رئيس عمال فى مطحنة ، فظل بضع سنين يتلقى بعض العلم فى مدرسة . وكان أبوه يريده على أن يصير طحاناً مثله ، وما كان أبوه ليظفر منه ببعض العمل إلا أن يضربه ضرباً مبرحاً ، ولكن كاروزو لم يكن يبغى سوى شىء واحد فى الحياة : أن يصير مغنياً ، فوجد عند أمه التشجيع الدائم على ما يريد .

كان أول صوت غناه أمام أستاذ موسيقار صوتاً غير موفق ، فقال له الأستاذ جوليلمو فرجينى الذى أذاعت صيته هذه الحادثة : « إنك لك صوتاً كزفيف الريح فى جنبات الغاب » . واستأذن كاروزو فى أن يختلف إلى بيت الأستاذ لكى يستمع إلى الدروس التى يلقيها . أما عن فقره فى ذلك العهد فقد قال لزوجته ما يلى :

« كان ثوبى الأسود قد استحال أخضر اللون ، فاشتريت زجاجة صغيرة فيها صبغ فصبغته قبل ذهابى إلى الفصل . واتخذت صدر قميصى من ورق قطعته لكى أبدو حسن الملبس ، وكان علىّ أن أمشى مسافة طويلة حتى أصل إلى المدرسة . والحذاء يكلف مالا ، فكنت أغنى فى الأفراح والمآتم لأكسب ما يفى بثمن الحذاء ، وكان نعل الحذاء من الورق المقوى ، فما كدت أبلغ منتصف الطريق إلى بيت الأستاذ حتى هطل المطر ، فلما بلغته وضعت الحذاء أمام النار حتى يجف ، فتقوس حين جف ، فعدت إلى بيتى حافى القدمين » .

وحين انتهى فصل الدراسة امتحن التلاميذ ، فتوسل كاروزو إلى الأستاذ أن يأذن له فى تأدية الامتحان . فسلم فرجينى بأن كاروزو قد أصاب شيئاً من التقدم فى الغناء ، ولكن توسل التلميذ لم يقنعه ، ومع ذلك ظفر لكاروزو بعمل فى حفلة أو حفلتين ، ثم بعمل فى الأوبرا ، على أن يتدرب على صوت المثالث الذى يغنيه أحد المغنين فى فرقة جوالة ، (المثالث غناء الرجل غناء شديداً عالياً) ، وأن يحل محله إذا عاق ذلك المغنى عائق عن الغناء .

ووصلت الفرقة ذات يوم إلى مكان يقطنه نفر من أصدقاء كاروزو ، وقدّر هو أنه لن يدعى ليحل محل المغنى الأول ، فانضم إلى أصحابه فأقاموا يغنون ، واحتسوا مقادير كبيرة من الخمر . وكان كاروزو ثملا حين جاء من يدعوه ليحل محل المغنى الذى أصابته وعكة ، فهرع إلى المسرح ، وأجادفما غناه ، ولكنه ترنح من السكر ، فارتاع مديرو المسرح ، وضجّ الجمهور بالضحك وجعلوا يصرخون : « أوبرياكو » أى السكير .

فطرده المدير ساعة انتهى من غنائه ، فعاد المغنى الشاب كسير القلب يتعثر فى ذيول الخيبة إلى بيته ، فقد أتيحت له فرصته الأولى فلم ينتهزها . ولكنه لم يكد يصل إلى البيت حتى جاءه الرسول حسيراً يلهث لينبئه بأن الجمهور ، قد ضج استياء من المغنى الآخر حتى أخرجه من المسرح ، وأنهم يدقون الأرض بأرجلهم وينادون يريدون « السكير » ، فعاد كاروزو فأحرز نصراً عظيماً .

ومنذ ذلك اليوم أخذ كاروزو يتقدم تقدماً مطرداً ، فصار خلال السنوات العشر التالية من أشهر مغنى المثالث فى الأوبرا الإيطالية . وغنى فى كثير من بلاد أوربا ، ثم دعى إلى أوبرا متروبوليتان فى نيويورك ، فغنى فى حفلته الأولى فيها أوبرا « ريجوليتو » .

يقول كاروزو إن صفات المغنى العظيم ، هى : صدر واسع ، وشِدْق رحيب ،

وذا كرة قوية ، وبعض الذكاء ، وجلد عظيم على التمرن ، وشعلة تتوهج فى القلب » . وقد كان كاروزو متصفاً بجميع هذه الصفات فى عقله وعاطفته وبدنه وأخلاقه .

فقد كان واسع الصدر ، وكان يستطيع أن يزيد سعته تسع بوصات !

كان قبل أن يذهب إلى المسرح ، يجرى على نظام ابتكره لنفسه ، فيتغرغر أولا بماء ملح فاتر ، ثم يستنشق قليلا من نشوق سويدى لتنظيف منخريه ، ثم يشرب ملء قدح من الوسكى ، فملء قدح من ماء الصودا ، ثم يأكل ربع تفاحة . وكان يدس فى جيوبه قارورتين من الماء الملح الفاتر ، يشربه إذا ما شعر وهو يغنى أن حلقه قد جفّ وانطبق ، وكان إذا حدث ذلك يستدبر النظارة ويشرب ماء إحدى القارورتين على عجل ، وهو ماض فى الغناء ، فلا يدرك أحد ما تمّ .

وكان النقد يثير غيظ كاروزو ، وقد حدث مرة أن قسا نقاد بوسطن فى نقد حفلة أقامها ، فأقسم ليتنعنّ عن الغناء فى تلك المدينة مرة أخرى — وقد فعل . ولكنه كان على الأكثر رجلا سمحاً مرحاً ، وكان يحب الدعابة والمزاح ، ولا تزال بعض دُعاباته مذكورة حتى يومنا هذا . فى إحدى حفلات الأوبرا « توسكا » انحنى المغنى أنطونيو سكوتى ، ليرفع فرشة من تحت لوحة المصور ، فوجدها مثبتة لا تتحرك ، فقد سمّرها كاروزو فى أرض المسرح .

ويروى دافيد إيون . فى كتابه : « أصغ إلى الكلام الساخر » ، أن كاروزو والمغنية جيرالدين فرار ، كانا ذات يوم يسجلان أغنية من أوبرا « مدام بترفلاى » ، وكان العمل طويلا مضنياً ، فهرع كارورو إلى حانة قريبة ليصيب قليلا من شراب يحرك نشاطه . فلما عاد وواصل غناءه مع جيرالدين ، دست المغنية فى نشيدها « لقد شربت قدحاً من الوسكى » فرد عليها كاروزو وهو يغنى : « كلا بل شربت قدحين » . فصارت الأسطوانة التى سجلت عليها هذه الأغنية ، من الطرائف التى يعتز بها الذين يحرصون على جمع التحف النادرة .

ولعل أرق ما يروى عن حياته العجيبة ، كان قصة زواجه . كان فى الخامسة والأربعين وقد بلغ أوج مجده حين التقى بدوروثى بارك بنجامين ، وكانت فتاة غِرّة شديدة الحياء فى العشرين من عمرها ، وقد خرجت لساعتها من مدرسة فى دير ، فطارحها الغرام وتزوجها ، دون أن يباليا باستنكار أسرتها المحافظة العريقة .

وقد عاشا معاً ثلاث سنوات كانت أشبه ما تكون بقصيدة أو حلم ، وإنك لترى نور

سعادتهما يشرق من صفحات الترجمة التى كتبتها له ونشرت فى السنة الماضية ، بل هى أشد إشراقاً من صفحات رسائله إليها . وقد كتبت هذه الرسائل بأسلوب إنجليزى عجيب ، لم تزده كثرة الأخطاء فى الهجاء والقواعد إلا طرافة وجمالاً » .

وقد عاش الزوجان عيشة هادئة مطمئنة فى شقة من فندق بنيويورك ، فما كان يطيب لكاروزو أن يكثر من الاختلاط بالناس ، لأن الجماهير كانت تزعجه ، فكانا يقضيان معظم الوقت فى شقتهما ، فيلبس هو نظارته الذهبية ويكبُّ على إلصاق الطوابع فى دفتره ، وتعمد هى إلى المطالعة . وكثيراً ما كان يحس بالجوع قرب منتصف الليل ، فيطلب رغيفاً وشرائح من اللحم ، فيشق الرغيف ويصنع شطيرة يأكلها .

وكان كاروزو ، إذا ما قبل دعوة إلى العشاء ، يبلغ صاحبة الدعوة أنه يحب أن يجلس إلى جنب زوجته ، فيقول للرسول : « قل لها إنى تزوجت امرأتى لأكون معها ، فإذا دعا داع لانفصالى عنها ، فإننى أوثر أن ألزم بيتى » .

وفى ديسمبر سنة ١٩٢٠ كان كاروزو يغنى أغنية فى الفصل الأول من أوبرا « إكسير الحب » ، فانفجر شريان فى حلقه ، فأصرّ على أن يمضى فى الفصل حتى نهايته . وقد روى أحد مخبرى نيويورك تيمس قصة ما حدث فقال :

« ألقى كاروزو منديله المضرج بدمه ، ثم جعل أفراد الفرقة يدنون منه واحداً بعد واحد ، فيدسون مناديلهم فى يده حتى اصطبغت جميعاً بدمه ، وظهرت على شفتيه حيناً بعد حين قطع من الدم » .

وكانت زوجته جالسة فى الصف الأول فجعلت تتوسل إليه سُدًى أن يترك المسرح.

وعاد إلى مسرح متروبوليتان فى مساء الخامس والعشرين من شهر ديسمبر ، ولكنه لم يقو على المضىّ فى غنائه ، فعملت له سبع جراحات فى خراجات كانت فى رئتيه، ولكنه لم يغنِّ أبداً بعد ذلك . وفى صيف السنة التالية أبحر إلى نابولى، وهناك أدركه أجله فى فندق صغير يطلّ على خليج نابولى ، وكان فى الثامنة والأربعين .

وقد كتبت دوروثى كاروزو فى كتابها : « جلست إلى الراديو أصغى إلى صوته المسجل وهو ينشد إحدى الأغانى إنشاداً رخيماً فى حفلة أقيمت لذكراه . ومثل هذا التقدير كان خليقاً أن يثلج صدره ، ولو علم به لقال : جميل منهم أن يتذكروا بعد هذا الزمن الطويل » .

أراد طلاب جامعة كاليفورنيا أن يعرفوا الحق سافراً صريحا

التعليم الجنسي في المدارس

دين جننجز

مختصرة من مجلة "كوليرز"

اجتمع في قاعة المحاضرات بجامعة كاليفورنيا ببركلي حشد فيه ٦٠٠ طالب وطالبة تتراوح أعمارهم بين ١٧ سنة و ٢٥، وكنت تسمع حفيف الورق وصرير الأقلام، كالعهد بأي فصل في مدرسة.

وتكلم الأستاذ فقال بصوت هادىء: « سئلت عن اللواط والسحاق أيمكن أن يعالجا ؟ وردي « نعم » و « لا » ، فإن ثمة نوعاً من الشواذ أسيء توجيه طبيعتهم الجنسية منذ الطفولة بحيث لا يجدي الطب وعلم النفس كثيراً في شفائهم. وثمة آخرون تردَّوْا في هذه العادات القبيحة اضطراراً ، وهؤلاء يمكن شفاؤهم إذا أرادوا. فإن كان منكم أحد يهمه هذا الموضوع فليقابلني بمكتبي لنتحدث في الأمر ملياً ». لم يكاتم أحد منهم ضحكا، ولا تحرج أحد أو خجل.

ومضى الأستاذ يقول: « بقي سؤال واحد. يريد أحدكم أن يعرف فرق ما بين الحب والفتنة. ولا أظنهما يختلفان، فإن الفتنة قد تكون صادقة خالصة كالحب. والمهم هو أن يكون في الحب الذي تحمله من الأسباب ما يزيده قوة على مر السنين ».

فلما انتهت ساعة الدرس وفترة الأسئلة، عاد الأستاذ نويل كيز إلى مكتبه ليستمع إلى الاستشارات الخاصة، وليعد محاضرة أخرى عن « الشباب والزواج اليوم ».

حضر هذه الدروس الصريحة العجيبة ١٠٫٠٠٠ شاب وشابة، منذ كان إنشاؤه المحفوف بالمخاوف، لست سنين مضت. وقد برهن الدكتور كيز على أن الشباب يريد معرفة الحقائق الخالصة عن الحياة والحب. وهو كما قال أحد الطلبة: « إننا نميل إلى هذه الدراسة لأنها صريحة لا مواربة فيها. فإن أسئلتنا تجد جوابها دون تهرُّب ».

ويفخر كيز بأنه تلقى مئات من الرسائل، وزاره كثير من طلبة تزوجوا بعد إتمام الدراسة، فلم يسمع قط أن زوجين أخفقا في زواجهما بعد أن حضرا هذه المحاضرات.

ولعل أعظم ما يعتز به الدكتور كيز من النتائج هو ما يبلغه عن أولئك الطلبة الذين ينقلون ما حصلوه من علم جديد إلى آبائهم. وقد زاره بمكتبه أحدهم وقال له: « لقد

حملت إلى والدتى أنباء دراستى ، وأطلعتها على مذكراتى ، فقالت لى إنها ودّت لو كانت عرفت شيئاً عن هذا من قبل » .

وكتب طالب آخر يقول : « لم يعلمنى أبواى شيئاً قط ، والحق أنهما لم يكونا على علم بشىء من ذلك حتى يعلمانى . وإن هذا التعليم كان خليقاً أن يحول دون افتراق أبوىّ ودون طلاق شقيقى » .

ومما يذكر أن تلاميذه قد أيدوا عن تجربة واختبار ، بأغلبية ٩٩ صوتاً لصوت واحد ، مبدأ التعليم الجنسى الصريح فى المدارس ، لمن يتجاوز السادسة عشرة .

أما مقرر الدراسة الراهن ، فقد أحاطت بنشأته أحداث شديدة . فقد تفاقم الشعور فى جامعة كاليفورنيا فى شتاء عام ١٩٣٨ — ١٩٣٩ بالحاجة إلى منهج فى موضوع الجنس والزواج ، وامتلأت أعمدة صحيفة الطلبة برسائل تنمّ على التخوّف من الزواج وضياع الثقة فيه . وذات يوم أعلن نادى طلبة الطب عن سلسلة محاضرات فى نظرية فرويد فى الجنس . وازدحمت المقاعد بمئات من غير المدعوين ، وغصت بهم أروقة النادى . وسرعان ما قامت قيامة الجمهور ، ورُفع احتجاج شديد وقع عليه ٨٠٠ سيدة من المتدينات الصالحات بمنطقة خليج سان فرنسسكو .

ولم تلبث السلطات الجامعية أن ألقت بهذه المسألة الشائكة إلى الطلبة أنفسهم ، فتولى اتحاد الجامعة استفتاء الطلبة فى المسائل الآتية : هل ينبغى للجامعة أن تهيىء منهجاً فى الجنس والزواج ؟ وهل ينبغى أن يكون للجنسين على السواء ومتاحاً لجميع الطلاب ؟ وقد أجاب نحو ٢٧٠٠ طالب على السؤالين بنعم ، وذلك بأغلبية ساحقة .

وألفت لجنة فى الجامعة فاختارت الدكتور كيز أستاذ علم النفس بالجامعة ، ليضع هذا المنهج . وكان خير اختيار ، فقد ظل الدكتور كيز سنين يدعو إلى هذه الفكرة ، وكان هو نفسه مثالا من أمثلة الزواج الهانىء السعيد .

ووضع الدكتور كيز والدكتور تشونسى ليك أحد أساتذة كلية الطب ، حلقة من المحاضرات فى كل أسبوع ، تعالج المسائل المتصلة بالجنس وبالزواج ، وعلاقات الأسر . وضمنوها بحث مسألة المغازلة ومسألة الجاذبية من الوجهة النفسية ، والزواج التجريبى ، وقمع الشهوات ، والمباضعة ، وشهر العسل ، والأبوة ، وسنن الزواج ، وتدبير مال الأسرة .

أراد الدكتور كيز فى محاضراته الأولى أن يكون جاداً ثقيلا فى كلامه حتى لا يشجع من يبتغون الشهوة أو الهياج الجنسى . وقد ضم الدكتور كيز فيما بعد إلى معونته جماعة من المتخصصين النابهين ، ليتولوا تدريس مختلف فروع المنهج .

ولم تُغفل فى هذا المنهج أية ناحيــة من نواحى الحياة الجنسية من سن المراهقــة إلى سن اليأس (انقطاع الحيض) . وقد ســاعدت الأفلام والمصورات والفانوس السـحرى على تجريد الأمور الجنسـية من الغموض والأسرار التى كان الطلبة يتهامسون بها فى جهل وخشية وهم فى غرف النوم .

وقد دعا الدكتور كيز فى مبدأ الأمر سامعيه إلى توجيه أسئلة إليه ، ولكنه لم يجد مجيباً . ثم عنّ له أن يدور على الحضـور بصندوق مثقوب يضعون فيه مايتحرجون من إبدائه جهاراً . فلم يلبث أن انهالت عليه الأسئلة ، فكان يقرأ كل سؤال ويجيب عليه من فوره . وإذا كان الموضوع من اللطف والدقة بحيث لا تمكن الإجابة عليه فى هذا الدرس الصريح ، ناقشه فى مكتبه مع السائل .

وإليك بعض أسـئلة أخذت اتفاقاً من بين آلاف الأسئلة التى جمعها الدكتور كيز :
هل تسبب عقاقير منع الحمـل السرطان ؟
أصحيح أن أكل البيض يهيـج الشهوة ؟
هل تسبب أشعة الرادار عقماً فى الرجال ؟
أى توفيق يُرجى فى زواج يعقد على عجلة ؟

قد تقولها أسـئلة سخيفة ، ولكنها على نقيض ذلك فيما يقول الدكتور كيز ، فهى صدى الجهل المطبق والمآسى المتوقعة ، وهى دليل على حاجتنا إلى التعليم الجنسى فى مدارسنا . وإنك لتتبين فى ثنايا كل سؤال منهـا شاباً أو شابة تبحث عن الحقيقة .

ولطلبة الدكتور كيز آراء ملؤها التفاؤل فى موضوع الزواج . وقد قرر عشرون فى المئـة من الطلبة أنهم كانوا يعيشون إلى أن بلغوا السادسة عشرة فى أسر هدّ الموتُ أو الطلاق كيانها . بيد أنه اتضح لهم حين أعربوا عن آمالهم كتابة ، أن ٩٥ فى المئة يريدون الزواج ، وأنهم جميعاً تقريباً — ٩٧٫٥ فى المئـة منهم — على ثقـة من أن سعادتهم فى الزواج ستدوم لهم ما عاشوا . وهم يرون أيضاً أنه ينبغى أن يكون لكل زوجين أربعة أولاد .

والدكتور كيز اليوم ، رجل من رجال التعليم المرهقين بالعمـل ، فإنه يقوم على الدراسات الجنسية ، ويستمع إلى الاستشارات الخاصة طول أيام الأسبوع ، ويجيب على الأسئلة من الكليات والمعاهد الأخرى التى يهمها أن تسير على غرار المنهج الذى وضعه . وقد ظل فى نصيحته لطلابه حكيماً سديداً ، ومن دأبه أن يقول لهم : « ليس ثمة شىء يجد المرء راحة فى إتيانه مع غير زوجه ، إلا وجد راحة فى إتيانه مع زوجه — ولعلها تكون راحة أتمّ وأعظم » .

العمال وأصحاب الأعمال يتعاونون على إنقاذ الصناعة البريطانية

ستانلي هاي

دخلت بريطانيا أريد أن أرى كيف يعدّ حزب العمال عُدّته لتكفين اقتصاد بريطانيا الحر في كفن اشتراكي، غير أني رأيت العمال يتعاونون هم ومديرو الأعمال على إحياء الصناعة والتجارة في بريطانيا. وقد أقبل العمال البريطانيون على بناء مستقبل الأمة إقبال الشريك الكامل الحقوق، الشاعر بتبعته في عمل مشترك.

ولذلك لا ترى جو الصناعة في بريطانيا ملبداً بالقتام والقنوط، بل هو منعش حافز للعزائم. فلست ترى رجال الصناعة ترتعد فرائصهم، ولا تراهم يتصاولون أو ينزحون إلى كندا، بل تراهم مقبلين على إصلاح الصناعة البريطانية إصلاحاً لم تعرف أرجَى منه نفعاً منذ مئة سنة مضت.

وهذه الحقائق أروع وأجل شأناً من العلم الاشتراكي الذي يخفق فوق حزب العمال، وهي عند البريطانيين أعظم نفعاً من القروض والاعتمادات وسياسة التفضيل الإمبراطوري. ولكي تستأنف الصناعة البريطانية نشاطها وتبلغ أقصاه، عقد الفريقان بملء حريتهما اتفاقات جديدة تحدد الأجور وساعات العمل، وتشمل مناجم الفحم، والزراعة وصناعة القطن، وأعمال البناء وغيرها من الصناعات الصغيرة. وقد عدّلت اتحادات العمال الأساليب التي لم تزل تعتز بها وتحافظ عليها. وقد وافق العمال على الاحتفاظ بقواعد السيطرة على العمل التي ولدتها الحرب، حتى يضمن أكبر قدر مستطاع من الإنتاج في زمن السلم. وقد أنشئت «لجان مشتركة للإنتاج» في أكثر من خمسة آلاف مصنع، فيتبادل فيها العمال والمديرون ما كسبوه بالتجربة من أساليب لتحسين الإنتاج.

نعم، إن ثمة فئة قليلة متطرفة يقودها رجل بليغ اللسان قليل الخطر، هو الأستاذ هارولد لاسكي، وهي تدعو إلى تطبيق المبادىء الاشتراكية جميعاً غير مبالية بالعواقب، ولكن اتحادات العمال البريطانيين التي يستمد حزب العمال كل قوته منها، ترى أن العواقب أعظم شأناً من الاشتراكية.

والعاقبة التى تسمو فى نظرها على كل اعتبار آخر ، سواء أكان مبادىء ماركس أو مبادىء الرأسمالية ، إنما هى رفع مستوى الحياة فى بريطانيا . وليس لتحقيق ذلك ، فى نظر اتحادات العمال ، سوى وسيلة واحدة ، هى أن تنفض عن أعطاف الصناعة البريطانية أسباب الضعف والتخلف ، وأن تسلك أقصر الطرق وأفضلها إلى تحقيق أعظم قدر من الإنتاج فى زمن السلم .

وليس ثمة من هو أصدق تعبيراً عن رأى العمال من هربرت موريسون زعيم الحزب فى مجلس النواب . فهو يقول : « إن الأمة تريد دخلا أعظم جداً من دخلها اليوم ، وتريد عملا لكل عامل ، ومقادير كبيرة من الصادرات ، وإنتاجاً لا يقعد به ضعف أو بطء ، وسنظفر بكل ذلك . وإذا لم يكن بدّ من أن تملى الأمة إرادتها على أصحاب الأعمال الكبيرة ، فسوف تمليه . وليس يهمنا إلا النتائج . وقد نستطيع أن ندافع عن حرية النشاط الاقتصادى ، ولكن لا يسع أحداً أن يدافع عن حرية التخاذل والجمود .

« ونحن لا نطالب بتحويل المرافق ملكا للأمة لأن ذلك هدف فى حد ذاته ، ولا لأنه شعار حزبى ، بل لكى ننتفع بمواردنا القومية أفضل انتفاع من أجل الخير العام . وإذا كان تحويل المرافق ملكا للأمة يحقق هذا الغرض ، فينبغى أن نحولها ، وإذا كان فى وسع النشاط الاقتصادى الحر أن يحققه ، فلنبق على النشاط الاقتصادى الحر » .

وقد قال أحد زعماء اتحاد العمال منذ عهد قريب : « قد يسرنا أن نغلب سادة الصناعة على أمرهم ، ولكن ذلك يؤذى الصناعة والإنتاج . ومواجهة الأمور العظيمة فى الفترة التى تلى الحرب ، تقتضى منا جميعاً أن نتضافر ، وعندى أن المشاركة الشريفة بين الفريقين ، هى خير وسيلة للتضافر » .

وقد حدثت إضرابات فى بريطانيا خلال الحرب ، وحدثت إضرابات بعد انتهائها ، وفى طليعتها إضراب عمال الموانىء الذى لم يسمح به اتحادهم ، ولكن التضافر الصناعى فى بريطانيا قد اجتاز مرحلة الكلام ، فهو يبشر اليوم بانتهاء الصراع الصناعى الذى يدور على الأجور وساعات العمل .

وقد كانت أحوال العمل فى بريطانيا خلال الحرب ، أشد إرهاقاً مما كانت عليه فى الحرب العالمية الأولى . فكانت ساعات العمل أطول ، وأحواله أسوأ ، فكانت مطالب اتحاد العمال أخطر شأناً . ومع ذلك ففى السنة الواحدة خلال الحرب العالمية الثانية ، لم يضيع عمال بريطانيا بإضرابهم

من ساعات العمل إلا خمس ما ضيعوه فى الحرب العالمية الأولى .

ويوم انتهت الحرب ، لم يرفع الغطاء عن مرجل يفور ، ولم يبلغ ما ضيع بالإضراب من ساعات العمل بين أول يناير وأول أكتوبر من سنة ١٩٤٥ إلا ثلث ماضيع منها بين أول يناير وأول أكتوبر سنة ١٩٤٤ .

وهذا لا يعنى أن العمال قد كفوا عن السعى إلى زيادة الأجور وتحسين أحوال العمل ، ولكنه يعنى أن العمال يرضون بنصيبهم من التبعة فى إحياء الصناعة التى يرجون أن يظفروا منها بتحقيق ما يصبون إليه .

إن لاتحاد الهندسة ٨٧٠ ألف عضو فى صناعات المعادن والفلزات ، وقد عنى هذا الاتحاد قبل نهاية الحرب ، بثلاث دراسات وافية ، كان همها أن تستطلع آراء العمال فيما ينبغى عمله « حتى تعود بريطانيا ثانية دولة صناعية من الطبقة الأولى » .

والقيام بهذه الدراسات وحسب ، عمل عظيم فى حد ذاته . وأعظم من ذلك ما كشفته من آراء العمال ، فقد وردت شكواهم من قلة الدخل فى طائفة كبيرة من الأجوبة ، ولكن هذه الشكوى اقترنت بها شكاو أخرى من ضعف التعاون بين الإدارة والعمل ، وسوء أساليب العمل ، وقلة آلات الصناعة ، ووضع بعض العمال فى غير مواضعهم ، وتعطل بعض الآلات . ولم تكن زيادة الأجور فى رأيهم هى الحافز الوحيد ولا الحافز الأكبر لتحريك همة العمال وتعزيز الإنتاج .

ويقول السر ستافورد كريبس ، وزير التجارة فى حكومة العمال : « لقد آذنت بالزوال تلك الأيام التى كان ينبغى فيها لزعماء اتحاد العمال ، أن يكون أحدهم مفاوضاً شديد المراس وكفى ، لا همّ له إلا مناضلة أصحاب الأعمال لرفع الأجور وتحسين أحوال العمل . أما اليوم فإنه ينبغى لاتحادات العمال أن تضطلع بنصيب عظيم من تبعات الإنتاج . وإذا لم يتحقق هذا التضافر الديمقراطى الصادق فسوف يشق على المصانع أن تنتج إنتاجاً نافعاً » .

وقد مهدت الحكومة لإحياء صناعة النسيج الهالكة المتخلفة فى لانكشير ، بتعيين لجنة مهمتها أن تضع خطة جديدة لأجور العمال ، وجعلت أعضاءها أربعة من أصحاب المصانع ، وأربعة من رجال اتحاد العمال ، ورئيساً من كبار رجال القانون .

وقد أجمع الأعضاء على القرارات التى اتخذوها ، فطلبوا أن يزداد الأجر الأساسى من ١٥ إلى ٢٠ فى المئة ، وأن تتساوى أجور الرجال والنساء إذا تساوى العمل ،

وأن يخفض عدد العمال من الصغار ، وأن تزداد أسباب تدريب العمال الحاذقين ، وأن تحذف الأعمال التي لا تفضي إلى ترقية العامل.

وقد كان هذا التقرير خليقاً أن يسخط زعماء العمال الذين يريدون أن يظفروا من أصحاب العمل بأجور أعلى ، وأصحاب العمل الذين يريدون أن تكون زيادة الأجور أقل . ولكن العمال وأصحاب العمل ورجال الحكومة عدُّوا هذا التقرير دستوراً للصناعة.

والنتيجة التي انتهى إليها هـذا الاتفاق الذي تمَّ على رضى ووفاق بين العمال وأصحاب العمل ، لا تقل شأناً ومغزى عن الاتفاق نفسه ، وذلك أنهم رأوا أن « من الأمور الجوهرية أن يرسخ الاعتقاد بأن رجال الإدارة من ناحية ، والعمال من ناحية أخرى ، لا يخدمون مصالح متناقضة ، بل همهم جميعاً واحد ، وهو أن يتعهدوا سلامة الصناعة وكفايتها » .

إن التضافر الصناعي في بريطانيا لم تلده الحرب تضافراً سوياً تاماً ، فقد استغرق نموه زمناً طويلا .

وقد كان الطلائع من زعماء اتحاد العمال رجالا من أولى العزم والأخلاق ، يحركهم يقين قوى بأن لهم رسالة يجب أن يؤدوها ، هي أن «يحسِّنوا حالة» العمال في بريطانيا . ولم يعتمدوا في تعزيز اتحاداتهم وتوسيع نطاقها على أوامر القانون ، أو تدخل الحكومة، بل أفرغوا دعوتهم في قالب إنساني أدبي ، وأقاموها على قاعدتين : حسن إدراك العمال ، وضمير الشعب البريطاني .

وليس في بريطانيا قانون يفرض على اتحادات العمال أن يرفعوا إلى الحكومة بياناً يذكر فيه دخلها وخرجها ، ولكنها جميعاً تكاد تفعل ذلك .

وكلمتا السر في العلاقات الصناعية البريطانية هما « الرضى » و « حسن النية » ففي جميع نواحي الصناعة البريطانية ترى « المساومة المشتركة » قاعـدة متبعة ، ولكن ليس في بريطانيا قانون يفرض على صاحب عمل أن يقبل مساومة عماله جملة واحدة . وليس ثمة قانون لإرغام صاحب العمل أو الاتحاد على تنفيذ اتفاق عقـد بينهما بالتراضي ، ولا يقوم تنفيذه إلا على رضى الفريقين وحسن نيتهما . وقد كان ذلك كافياً .

وقد قال بيفن الذي خرج من بين الدهماء وشق طريقه إلى منصب وزير خارجية بريطانيا : « إن تسوية الأجور تتم في ألوف الحالات بكلمة بين رجلين ، وقلما تقيد بالكتابة، وما هي إلا اتفاق بين رئيس العمال أو المدير وبين ممثل اتحاد العمال وقد يتم الاتفاق بالتلفون ، ومع ذلك ترى كل أحد يقبله على أنه كلمة شرف . وقليل من الدول استطاع

أن يفعل ذلك بمثل هذه الثقة المتبادلة » .

منذ عهد قريب أذاعت شركة الإذاعة البريطانية ، مناقشة موضوعها « أعمال للجميع » ، فاشترك فيها رجل من أرباب الصناعة وآخر من زعماء اتحاد العمال .

قال الأول : « إذا ظفرنا بأعمال لجميع العمال ، وجب على صاحب العمل أن يغير رأيه تغييراً كبيراً . وينبغى للتاجر أن يعد نفسه خادماً للمصلحة العامة ، لا خادماً لمصلحته الخاصة ، ثم قال : وينبغى للتاجر أيضاً أن يطلع الجمهور على دخيلة أمره ليظفر بثقته ، وأن يكون رحب الصدر صريحاً فى معالجة كل نقد يوجه إليه فى مسائل أجور العمال وأسعار السلع ، وأن يعزز التفاهم والتعاون بين الجماعة التى تدير المصنع وعماله . فالعمل كله ينبغى أن يكون شركة وثيقة العرى — فئة متضامنة » .

وقد قال أحد زعماء اتحاد العمال منذ عهد قريب : « إذا انطلقنا إلى غاية الجهد لكى نوسع نطاق العمل ، فإن فريق العمال يريد أن يزداد نصيبه من الإشراف على توفير أسباب الكفاية فى الإنتاج ، ولن ترى الاتحاد يقف حائلا دون أى تحسين تقتضيه خطة عامة غرضها توفير العمل للجميع ، بل ستراهم يطالبون بأساليب جديدة وآلات جديدة . وإذا اطلع العمال على كل ما يحدث ، وأخذ رأيهم فى الوسائل والأساليب ، رأيتهم يقبلون على الإنتاج بفكرهم وعزمهم جميعاً » .

وإطلاع العمال على كل ما يحدث ، واستشارتهم فى الوسائل والأساليب ، خطة مرعية فى كل عمل صحيح . وقد استفتت إحدى الصحف جماعة من كبار أرباب الصناعة ، فأسفر الاستفتاء عن موافقتهم على الاحتفاظ بما اقتضته الحرب من إنشاء « لجان مشتركة للإنتاج » فى مصانعهم .

وقد جازت مدينة كوفنترى الصناعية سنوات الحرب ، وهى تجوز اليوم مرحلة التحول إلى إنتاج السلام ، دون أن يحدث فيها نزاع صناعى يذكر . وقد عهد رجال الإدارة فى أحد مصانع السيارات فيها ، إلى لجنة الإنتاج المشتركة ، فعرضوا على العمال مشكلة هذا التحويل عرضاً صريحاً . وكان مما عرضته طلبات تلقتها الشركة لصنع سيارات جديدة قيمة ١٦٥ مليون ريال . وقد رأيت السيارات الأولى تخرج من خط التجميع ، وزرت المصنع الجديد الذى ينتظر أن يضاعف أقصى قدر من الإنتاج بلغه قبل نشوب الحرب .

وقال أحد أعضاء مجلس الإدارة : « لن نعود إلى استقلال المديرين بإدارة

المصنع ، فليس يسعنا أن نقبل ذلك » .

وقد تحدثت عن لجان الإنتاج المشتركة مع ممثل وزارة التجارة في مانشستر ، وبعض عماله أن يحضر اجتماعات هذه اللجان ، فقال: « قد تشهد عشرات من هذه الاجتماعات وتبقى في أحدها ساعة أو أكثر، ثم لا تدرى مَن مِن أعضائها الذى يمثل الإدارة ومن منهم الذى يمثل العمال » .

وقد زرت مصنعاً قرب مانشستر فرأيت رئيس العمال ومدير المصنع يتناوبان رئاسة اللجنة ، فأشار رئيس العمال إلى بعض الآلات وقال : « كان يقوم على كل آلة رجل واحد، ولو ظل النظام القديم قائماً ،لأصررنا نحن العمال على ملازمة هذا الأسلوب. ولكن عمالنا ابتكروا لأنفسهم طرقاً لتيسير عمل العامل، فترى أحدهم الآن قائماً على ثلاث آلات لا آلة واحدة كما كان فيما مضى » .

وقد شكا عمال هذا المصنع ثلاثة من المشرفين عليهم — وهم من أعضاء اتحاد العمال — وكانت حجتهم أنهم غير أكفاء ، وأنهم يعطلون الإنتاج ، فطردوا من عملهم .

وهذا مثل لما يحدث فالعمال البريطانيون مقتنعون أنه ينبغى للصناعة البريطانية أن تكفل أولا مقداراً أكبر من الأعمال ، حتى يظفر العمال بما يريدون من أجور أعلى من أجورهم ، وبيوت أفضل ، وبقدر أعظم من متع الحياة . وهم لا يترددون في الموافقة على أن زيادة عمل المصنع يقتضيهم أن يظلوا زمناً ما يبذلون أكثر مما ينالون .

والعمال لا يجدون اليوم غضاضة فى أن ينقل أحدهم من مكان إلى مكان ، أو من صناعة إلى صناعة ، إذا ما قضت بذلك ضرورات إنعاش الاقتصاد البريطانى ، أو الحاجة الملحة لزيادة الإنتاج . وقد اقترح مجلس مؤتمر اتحاد العمال ، لا مديرو المصانع، أن كل عامل يأبى أن يعمل فى إحدى الصناعات التى لا غنى عنها بالأجر المتفق عليه مع الاتحاد ، ينبغى أن يحرم من المكافأة التى ينالها العاطلون .

يقول كاتب فى مجلة اتحاد المهندسين : « من المعقول أن نتوقع أن ينزل العمال عن بعض شروطهم وأساليبهم المتبعة ، التى تضعف كفاية المصانع فى إنتاجها » .

ومنذ عهد قريب ، وفق صموئيل كورنولد أحد كبار رجال الصناعة البريطانية ، إلى وصف موجز للموقف فقال: « إن ما تتضافر عليه قوى العمال وأصحاب الأعمال فى بريطانيا اليوم ليس اشتراكية ، بل هو بحث عن طريق وسط ، وهو خليق أن يجدى أعظم جدوى » . فإذا تمّ ذلك كان فتحاً رائعاً لا يفوقه فتح آخر منذ بدأ عصر الآلة ، والدلائل كلها مبشرة بالنجاح .

حقنة واحدة من البروستجمين ! وما هى إلا عشر دقائق حتى تفتحت الأجفان المرتخية ، وبعد دقائق أخرى استطاع المرضى أن يرفعوا أذرعهم الكايلة فوق رءوسهم ، وعادوا فتنفسوا بيسر بعد أن كانوا مهددين بالاختناق، وأحسوا بفيض من القوة يتدفق فى أبدانهم . وقال أحد الأطباء الذين شهدوا التجربة : كنت ترى المريض كأنما نقل من نار إلى جنة .

ولم يكن فى الأمر سوى أن البروستجمين زاد مقدار الأسيتيل كولين القليل فى الجسم . والمصاب بالسكر مضطر أن يداوم الحقن بالأنسولين، وكذلك المرضى بالكلال الخبيث فى العضل ينبغى أن يداوموا على البروستجمين مدى الحياة ، ولكن أخذه أسهل لأنه يؤخذ أقراصاً بالفم .

وهذا المرض قد يميت فى بضعة أشهر ، ولكن الدكتور هنرى فيتس أحد أطباء بوسطن ، ومن القادة الذين يكافحون هذه العلة ، يقول إنه أعطى البروستجمين ١٢٥ مصاباً فلم يمت منهم أكثر من ٢٧ فى ثمانى سنوات .

وسرعان ما أثبت البروستجمين نفعه فى مجال آخر . فهذا الحيضُ تسبقه غزارة فى مقدار الدم الوارد إلى الرحم ، والأسيتيل كولين هو الذى يسيطر على تمدد الأوعية التى تجلب الدم إلى الرحم . وكثيراً ما يؤدى الهمّ وإجهاد العقل إلى تعويق هذا النظام فينقطع الطّمْث ، فيأخذ القلق مأخذه من عدد لا يحصى من النساء فتتساءل إحداهن : « أترانى حاملا ؟ »

وفى قدرة البروستجمين الآن أن يجيب عن هذا السؤال جواباً سريعاً دقيقاً ، فإذا حقنت به امرأة ثلاثة أيام متوالية أسفر الحقن عن نتيجتين : إثبات وجود الحمل إذا كان ثمة حمل ، وعلاج انقطاع الطمث إن لم يكن ثمة حمل . فإذا كانت المرأة صحيحة الجسم، وغير حامل، عاد إليها الحيض فى ثلاثة أيام بعد الحقنة الأخيرة .

ويؤدى إخفاق الأسيتيل كولين كذلك إلى اضطراب حركات العضلات فى ضحايا شلل الأطفال الوبائى ، الذين يصابون بآفات مشوهة مؤلمة يحدثها توتر العضلات . وكثيراً ما يمكن التغلب ببطء على توتر العضل باستعمال الرِّفادات الساخنة، وتحريك عضلات المصاب وتمرينها . أفيمكن أن يعجل البروستجمين شفاء مثل هذه الحالات ؟ نعم ، فقد وصف الطبيبين هرمان كابات ، وملاند كناب فى سنة ١٩٤٣ فى مجلة الجمعية الطبية الأمريكية ، أربعاً وعشرين

حالة من حالات شلل الأطفال الشديدة ، عولجت بالطرق الطبيعية المذكورة مضافاً إليها البروستجمين .

فمن ذلك امرأة فى الثلاثين أصيبت بشلل الأطفال ، فشلت أطرافها الأربعة وكثير من عضلاتها ، وبرغم مبادرتها إلى العلاج بالطرق الطبيعية ومبالغتها فيه ، ظلت مقعدة ثلاثة أشهر ونصف ، ثم استعمل البروستجمين فسهل عليها أن تقعد بعد ثلاثة أسابيع ، ثم استطاعت أن تمشى بلا معين .

وقد عجل البروستجمين شفاء ٢٢ مريضاً من ٤٢ أجريت عليهم هذه التجارب . وقد بلغ التوتر فى يد أحد المرضى وأصابعه مبلغاً عظيماً حتى أصبحت كالمخالب ، فلم تكد تنقضى ساعة واحدة على حقنة البروستجمين الأولى حتى بدأت تلين وتسترخى .

وقد ثبتت صحة الأمل المعقود على البروستجمين فى أكثر من ٤٠ حالة من حالات شلل الأطفال ، وصفها الدكتور جورج . بوبنز فقال : إن العقار قد يسر العلاج تيسيراً جعل علاج ثلاثة أرباع المصابين فى منازلهم أمراً ممكناً . وفى سنة ١٩٤٥ ذكرت طائفة من مكافحى شلل الأطفال فى مدينتى ميلووكى وسان فرنسسكو ، أن البروستجمين إذا صحبته الطرق الطبيعية للعلاج ، يبدأ فى إرخاء توتر العضل حتى فى الدور الحاد الأول من أدوار المرض .

ومن البديهى أن البروستجمين لا يستطيع أن يرد الخلايا العصبية الهالكة إلى الحياة . وضروب الأذى الناشئة فى النخاع الشوكى من شلل الأطفال ، تختلف اختلافاً بيّناً ، ولكن العقار يخفف فى المصابين جميعاً ذلك التوتر المؤلم الذى يقعدهم ، ويُرْجَى لمريض واحد على الأقل من كل أربعة مرضى أن يسترد قدرته على العمل النافع .

على أن المصابين بشلل الأطفال ، فئة قليلة وحسب من الذين يقعدهم توتر العضلات . إن العظام المصدوعة قد تلتئم ، وأذى المفاصل قد يبرأ ، والرثية قد تزول ، ولكن هذه العلل جميعاً قد تترك وراءها مئات الألوف من المقعدين قعاداً يكاد يكون دائماً ، منشؤه توتر العضلات الذى تجعله الطبيعة فى البدء جبيرة تقى من ألم الصدع ، ولكن كثيرا ما يصبح التوتر عادة فيدوم . ويصيب كثيرون من هؤلاء راحة كبيرة فى الحمامات والرياضة اللطيفة والأشعة ذات الأمواج القصيرة والحرارة ، ولكن ألوفاً غيرهم لا يصيبون من هذا العلاج نفعا ما . فأخذ الطبيبان كابات وجونز ٤٣٠ حالة من الحالات المستعصية وعالجاها بالبروستجمين وكان جميع مرضاهم تقريباً من الزَّمْنَى

وكان معظمهم عاجزاً عن العمل منذ سنين، ولم يُقبَل أحد منهم للتداوى فى هذه التجربة المشهودة إلا حيث أخفقت الطرق الطبيعية والجراحة وغيرها فى علاجه. وواجه البروستجمين يومئذ أشق امتحان لقيه، فساعة شرع الطبيبان يحقنان المرضى به، كفّا عن علاجهم بالوسائل الأخرى.

وكان أحد المرضى رجلا كسرت ساقه تحت الركبة، وظل ١٤ شهراً يعانى آلام التوتر فى كعبه حتى أعجزه الألم عن قيادة سيارته أو الصعود فى السلم. وبعد انقضاء ثلاثة أسابيع على حقنه بالبروستجمين، زال ألمه وعاد تام النشاط، ولم ينتكس. وقد عولج ٥١ من المصابين بكسر العظام، فتحسن ٣٩ منهم تحسنا ظاهراً.

وقد وجد كابات وجونز أن البروستجمين ليس دواء للرثية فى أدوارها الحادة، ولكن أثره فى توتر العضلات الذى يعقبها أثر عظيم. وثمة امرأة شفيت من رَثْية شبيهة بالروماتزم أصابتها منذ أعوام، ولكنها ظلت مقعدة مشوّهة الهيئة تعانى الآلام دائماً. فلما حقنت بالبروستجمين كل يوم مدة أسبوعين استطاعت أن تقف وتمشى للمرة الأولى منذ ست سنوات.

وقد عالج هذان الطبيبان ٤٢٠ مصابا فتحسنت حالة معظمهم تحسناً لا ريب فيه.

وبين الأحياء المحطمين الذين أنقذهم هذا العقار، أفراد كانوا ضحايا للفالج الناشىء من نزف المخ، وهو من أخطر أسباب الموت فى العالم، وكل شخص يموت بهذه العلة يقابله ستة أو عشرة يصابون بها فيعيشون عجزة أو أشباه عجزة زمنا طويلا.

وعندما تهلك خلايا المخ فى هذه النوائب، فلا أمل فى إحيائها. ومع ذلك فإن الطبيعة تحتال فتنشىء للأعصاب سبلا جديدة تدور حول المنطقة التى هلك نسيجها، حتى لقد يتم بعض الشفاء دون علاج. أفيمكن أن يساعد البروستجمين على تمهيد هذه السبل الجديدة بطريقة أسرع وأتم؟

كان بين من وفدوا على الطبيبين كابات وجونز من ضحايا الفالج رجل فلج أيمن جسمه منذ ١٧ عاماً، وكان يبدو أن لا أمل فى شفائه، وكانت ساقه اليمنى متقلصة تبعد عقبها عن الأرض خمسة سنتيمترات، وكان فَقَاره ملتوياً، وذراعه اليمنى مشلولة، فاستطاع خلال ٢٤ ساعة أن يضع سيجارة فى فمه بيده اليمنى. وبعد علاجه شهراً استطاع أن يقف منتصب القامة وعقباه كلتاهما تمس الأرض، وأصبح فقاره أشد استواء، وتدفقت قوى عضله، وتحسنت مشيته تحسناً جلياً.

وليست ثمة خاتمة أتعس من خاتمة أولئك

المصابين بالمرض المعروف باسم « الشلل المتوتر » الذى يصيب آلافا من الأطفال أثناء الطفولة أو ساعة الميلاد ، فيعجزون عن السيطرة على عضلاتهم . فهؤلاء بشر تمتد أمامهم فسحة الحيـاة ، إلا أن أملهم فى الشفاء ضعيف. ولـكن الدكتور هوارد شاوبل قد قام بتجربة تبشر بالخير فى مستشفى العظام بولاية كارولينا الشمالية ، فقد ظل ثمانية أشهر يتعهد عشرة أطفال مصابين إصابة شديدة بالشلل المتوتر فى الذراعين والساقين ، ولم تتحسن حالتهم إلا يسيراً برغم ما أجرى لهم من الجراحات ، وما دربوا عليه من رياضة العضلات . وكانوا جميعا يتناولون الطعام من يد معين .

ومع أنهم كانوا جميعا يستطيعون أن يغمغموا كلمات مبهمة ، فما كان أحد منهم يستطيع أن ينطق بكلام مفهوم ، ولم يكن ثلاثة منهم قد خطوا خطوة قط ، وكان سبعة لا يقوون على المشى إلا بمعونة قضبان ممدودة . وبعد أن تعاطوا البروستجمين بالفم شهرين ، ارتقى السبعة من المشى بمعونة القضبان إلى المشى متوكئين على عكاكيز . واستطاع الثلاثة الذين لم يمشوا البتة أن يفعلوا مستعينين بعجلات . وبعد ستة أشهر استغنى ستة عن العكاكيز ، وظل الأربعة الباقون يتوكأون عليها . وبعد ثمانية أشهر استطاع تسعة أن يتكلموا بطلاقة ، وحتى الطفل العاشر استطاع أن يتحدث حديثاً بسيطاً .

وقبل أن يبدأ العلاج بالبروستجمين كانت حركات الأطفال العنيفة المضطربة تستلزم أن يقوم على إطعامهم مساعد ، ولـكن بعد تعاطيه ثمانية أشهر (مع تمرين العضلات) ، استطاع تسعة من الأطفال أن يأكلوا ويشربوا دون معين ، أما الطفل العاشر فلم يكن يحتاج إلى من يعينه إلا حين يشرب . تلك هى اليد التى أسداها البروستجمين إلى أولئك الأطفال الذين كان الرجاء فى شفائهم من التوتر مقطوعا . وكان نجاحه باهراً أيضا فى علاج الذين عاشوا سنوات يعانون أذى أصاب المخ منذ ولدوا .

وقد أخذت رحمة البروستجمين تمتد من الذين أقعدتهم الإصابة ، إلى الذين لم يبتلوا بآثارها بلاء شديداً ، فقد يستطيع العقار أن يعين فى حالات التواء المفاصل الشديد ، وفى الرضوض ، وتصلب العنق ، ووجع الظهر الحاد المزمن ، وحيثما كان توتر العضلات عاملا مهماً من عوامل الألم . وكثيراً ما يكون كذلك .

ولما كان البروستجمين موفوراً وفى متناول الأطباء ، فيُرجى أن يأخذ بأيدى عدد لا يحصى من العجزة ، فينقذهم من هذا الشقاء الطويل ويردهم إلى الحياة النافعة .

طفلة كئيبة فى الثامنة ، شقت بدموعها
طريقها إلى قلوب ملايين من رواد السينما

مرجريت أوبريان — طفولة ونبوغ



لوسيل ف. بوش • مختصرة من مجلة "لايف"

هى اليوم فى الثامنة من عمرها ، وقد بدأت عملها فى السينما منذ كانت فى الرابعة ، فمثلت خلال تلك الفترة عشرة أفلام أو أكثر ، منها الأفلام المشهورة — رحلة لمرجريت ، الملاك المفقود ، قابلنى فى سانت لويس — التى أنزلتها بين الممثلات العشر الأول فى هوليوود ، اللواتى ظفرن بإقبال الناس على مشاهدتهن .

وتكسب مرجريت أوبريان خمسين ألف ريال فى السنة من التمثيل فى السينما ، ومثلها من حفلات الراديو التى تدعى إليها ، ومن تسجيل الأسطوانات والأشرطة وغيرها . وترى فى حجرتها تمثالا منحتها إياه الجمعية الغالية ، ووسامين نالتهما لنجاحها فى بيع سندات الحرب ، وخاتما من الماس أهداه إليها جيمى دورانتى ، وصورة الجنرال مارشال رئيس هيئة أركان الحرب الأمريكية سابقاً وقد وقع عليها باسمه . وهى مرشدة فى الكشافة ، وقد أنعمت عليها قبيلتان من الهنود الحمر بلقب أميرة ، وتتلقى كل يوم من رسائل المعجبين بها أكثر مما يتلقاه معظم الممثلين . وكل هذا يشهد بنجاحها ، ويدل على أنها أعظم الممثلين الصغار منذ عهد شيرلى تمبل ، ولا يزال الزمن متسعاً أمامها حتى تتفوق على شيرلى .

تختلف مرجريت أوبريان عن سائر الكواكب من الصغار فى شيئين عظيمين : فهى ليست فتاة جميلة ولا تحسن فناً خاصاً كالغناء أو الرقص ، ولكن لها مزية ، لا تقوم بمال ، فهى تجيد التمثيل وتحسن منه مالا يكادون يحسنونه . ومرجريت ممثلة تجيد أدوار الهزل وتجيد الحوار ، وقد برعت فى استغلال سذاجة الطفولة التى تؤثر فى قلوب الناس .

ومما تمتحن به عواطف الممثلات حتى الكبيرات منهن ، هى قدرتهن على ذرف الدموع عند الطلب أو الحاجة . وقد ظهرت مرجريت أول ما ظهرت فى مشهد من فلم « رحلة مرجريت » فظلت أربع دقائق ونصف تنتحب وتعول دون أى تكلف . وقد بهرت مرجريت كبار الممثلين ، فعبر

ليونل باريمور عن شعورهم أحسن تعبير إذ قال « إذا استثنيت شقيقتى إثيل باريمور، فإن مرجريت هى الأنثى الوحيـدة التى اضطرتنى إلى أن أكفكف دموعى بمنديلى منذ ثلاثين سنة » .

وأسلوبها فى سائر أعمالها كحفظ دورها مثلا ، أشد تحييراً للعقل من براعتها فى التمثيل، فمن النادر ان يزيد نسيانها ما تقوله فى فلم كامل على أربع مرات أو خمس ، على أن الممثلين الكبار كثيراً ما يفعلون ذلك فى مشهد واحـد وحسب . وقد ألقت فى الربيع الماضى ثلاثاً وثلاثين مقطوعة فى حفلة إذاعة ، دون أن ترجع مرة واحدة إلى نصّ مكتوب ، وقد اشترك معها فى تلك الحفـلة كبار قرأوا أدوارهم من أوراق محضرة ، فدهشـوا لذاكرتها العجيبة . ومرجريت تحفظ دورها بالاستماع إلى والدتها وهى تقرأه عليها مرات. وقد شعرت بالذلة يوماً حين ألفت نفسها عاجزة عن قراءة دور مكتوب ، فلما قيل لها إن القراءة ليست أمراً شاقاً ، توسلت إلى أمها أن يتاح لها الإكباب على دراسة القراءة فى زمن وجيز ، فدرست فى سبعة وستين يوماً ما يقضى فيه أترابها سنتين . ومرجريت اليوم تستطيع أن تقرأ أى كتاب يقع فى يدها .

تعيش مرجريت وأمها — وقد مات أبوها قبيـل ولادتها — فى منزل بسيط فى إحدى ضواحى هوليوود ، وتذهب إلى الإستوديو فى التاسعة من كل صباح ، وتقضى يومها فيه ، تمثـل أو تدرس أدوارها ، أو تحضر ثلاث ساعات فى المدرسـة التى أعدت للممثلين الصغار . أما الساعات الخمس الباقية من يومها ، فساعة منها للراحة ، وأربع ساعات تقضيها على الأكثر فى تعذيب نفسها ، وهو عمل تستمتع به استمتاعاً تاماً ، فلكى تستعد للمشاهد العاطفية ، تعمد إلى التفكير فى شىء يحزنها إما إشارة من المديرين وإما من تلقاء نفسها .

ويقضى قانون الولاية بتوفير نصف ما تكسبه ، فيثمر فى « سندات النصر » ، وتشرف أمها على تدبير الباقى فتنفقه على شئون المعيشة . وأما مرجريت نفسها فلا تنال شيئاً مما تكسبه ، إلا دريهمات قليلة تكسبها فى لعبة ورق ، أو ثلاثين قرشاً فى الأسبوع تأخذها أجراً من أمها على ترتيب أدراج خزانتها .

وأم مرجريت تدعى جلاديس، وهى من أسرة أوبراين ، وقد قضت بضع سنوات ترقص فى ملاهٍ طوافة أو فى سرك ، حيث لقيت لارى أوبراين ، فتزوجا سنة ١٩٣٤ . وبعد أن ولدت ابنتها مرجريت ، ظلت سنتين تطوف فى الولايات المتحدة وكندا

وكوبا . وكانت تصحبها شقيقتها ماريسا ، وهى راقصة مثلها . وكانت جلاديس تكثر من الاختلاف إلى دور السنما ، ومعها طفلتها فى أكثر الأحيان ، وكانت الطفلة قد قضت معظم حياتها فى مهد أعدّ لها فى درج خزانة فى حجرة الفندق .

وكذلك رأت مرجريت العالم العظيم أول ما رأته فى بهو فسيح وعلى ستارة كبيرة ، وشجعها ما رأته فى أمها وخالتها ، فعزمت أن تصير ممثلة سنما يوم صارت قادرة على شيء من التفكير . وأتقنت قبل أن تبلغ الثالثة عدة أدوار ، منها دور سكارليت أوهارا فى فلم « ذهب مع الريح » ، ودور «ليدى هاملتون» ، وكانت تمثلهما إذا دعاها إلى ذلك أى إنسان . وبلغت الرابعة فى سنة ١٩٤١ ، فقررت أن الأوان قد آن لتذهب إلى هوليوود ، فسلمت مسز أوبراين بما أرادته ابنتها .

ومنذ ذلك الحين أصبحت سيرة مرجريت أوبراين انتصاراً متصلا على منافسة قوية وعقبات شداد . وإنك لترى فى كشف حساب أحد المديرين ، النبذة التالية مدرجة تحت رأس « نفقات المكتب » : « مشاهدة صغار من ذوى المواهب ٥٠٠ ريال . محادثتهم ٥٠٠٠,٠٠ ريال » . وهذا يدلك على رأى معظم المخرجين فى هؤلاء الصغار .

ثم ترى المكاتب التى تسجل أسماء طلاب التمثيل فى هوليوود ، تدوّن كل سنة أسماء ٢٤٠٠ من الصغار ، وجميعهم تقريباً يفوقون مرجريت فيما يحسنونه من الغناء والرقص وركوب الخيل وغيرها .

من الطرق المتبعة فى هوليوود لفتح أبواب السنما للممثلين الصغار ، أن يصورهم مصور مشهور يدعى پول هس ، فذهبت بها أمها إليه . فلما شاهدت عدداً جماً من الصغار المتصفين بالجمال والبراعة ، فتّ ذلك فى عضدها ، وأرادت أن تعود أدراجها . أما مرجريت فأرادت أن تبقى ، فبقيت ساعة أخرى أو نحوها . ثم خرج هس إلى حجرة الانتظار وتلفت وقال مشيراً إلى مرجريت : « إنها ضالّتى . . . » .

فصورها هس ، ونشرت صورها على غلاف طائفة من المجلات ، وعهد إليها بدور صغير فى فلم « الأطفال على برودواى » . ولكنها لم تستهل حياتها ممثلة فى السنما إلا فى فلم « رحلة لمرجريت » ، فمثلت فيه دور البطلة ، وهى طفلة فقيرة فى لندن يتمتها الحرب. ولما كنت لا تكاد تجد فى هوليوود من الصغار إلا الغضّ البض الأنيق البشوش الوجه ، فقد ندر بينهم من يصلح لهذا الدور . أما مرجريت ، بوجهها النحيل المرهف الإحساس وضفائرها ودمامتها ، فكانت أوفق

ماتكون صغيرة لهذا الدور ، حتى ولو كانت لا تجيد التمثيل كما تجيده مرجريت . فلما صار مجال الاختيار محصوراً فى أربع فتيات من الصغيرات ، أدّت مرجريت جزءاً من الدور ، فصاح المخرج المدير هارى رابف : « أسكتوها ، فإنها تمزق أحشائى » فأسند الدور إليها ، ومنــذ ذلك الحين تقدمت تقدماً مطرداً .

ولو اتصف أى طفل بليد بالمزايا التى اجتمعت لمرجريت ، لحسب أنه صار شيئاً عظيماً . ومرجريت أبعد ما تكون عن البلادة ، وهى تدرك ذلك . ولما عاد كلارك جيبل من الحرب لقيها فى الإستوديو فسألها : « وأنت أيتها الصغيرة أتمثلين فى السنما ؟ » فقالت : « نعم ، أمثل » ثم التفتت إلى أمها وقالت : « يلوح لى أن هذا الرجل لا يعرف من أمور الدنيا شيئاً كثيراً » . وما تقوله مرجريت من هذا القبيل لا يدل على الغرور بل يشعر بعطفها على الكبار . ويوم لقيت جلوريا سـواسون قالت لها جلوريا : « لقد كنت من كبار نجوم السنما » ، فسألتها مرجريت : « حقاً ! ثم ماذا حدث ؟ »

ومرجريت تستغل قدرتها هــذه إلى أقصى حــد . فأحدث فلم مثلت فيه وهو « فى كرمتنا عنب غض » ، يبدأ بمشهد تظهر فيه مرجريت معذبة الضمير من أجل سنجاب قتلته غير متعمدة . وقد بسط لها المدير روى راولند أسرار المشهد ، وبين لها ما ينطوى عليه من فرص للتأثير فى شعور المشاهدين ، ثم سألها : « أثمة شىء تريدين أن تسألى عنه ؟ » فقالت : « نعم ، شىء واحــد ، أتريدها دموعاً ترقرق ههنا — ولمست أهداب جفونها — أم تريدها دموعاً تجرى على الخدّين ؟ » .



أوفوا على الغاية

● خاطبت إحدى سيدات مدينة هايوود مدير البوليس بالتلفون فقالت ، إن ابنها البالغ ثلاث سنوات من العمر ، يأبى أن ينام ، فليرسل إليها شرطياً لكى يخيفه !

● أرسلت صورة سيدة مشهورة إلى صحيفة للنشر ، وقد كتب على ظهر الصورة : نرجو أن تسوّدوا الشعر الأشقر فصاحبة الصورة هى الآن سمراء !

● دخل رجل مركز الشرطة وحدث الضابط مشيراً إلى امرأة تتبعه فقال : « أريد أن تحبسونى فترة ، فثرثرة زوجتى تنغص عيشى وتمنعنى من النوم » فأجيب إلى ما طلب !

تعهد جذوة الابتكار — ولا تتقيد كل التقيد بأقوال

تعهّد هذا الخاطر

س. ج. سوتس

دكتور في العلوم ، ومدير البحث العلمي في شركة جنرال إلكتريك

مختصرة من
"أمريكان مجازين"

في صدر كل امرئ منا خواطر تجول جمة ، ولكن أكثرنا لا يعرف كيف يتعهدها وينمّيها . وللأطفال نصيب مما للنوابغ ، وهو نصيب من قدرة العقل الرحب الذي لا يعوقه عائق . وكلما كبر أحدنا أخذت تتراكم على عقله غشاوة من الآراء الموروثة بالتقليد والمتابعة . والطفل في الأغلب الأعم يكشف ، وهو في السادسة من عمره ، عن مقدرة على الابتكار ، فلا تكاد تمضي عليه سنوات قلائل حتى يفقدها .

فأي شيء يطفيء جذوة هذا الابتكار ؟ ربما كان مردّ ذلك إلى أن أسلوبنا الراهن في التعليم هو الذي يفسد أصالة الفطرة . والتعليم في حقيقته هو استنباط القوى المكنونة في العقل ، غير أن مدارسنا تصنع للأطفال كل شيء إلا هذا المأرب المطلوب . فلا ترى الطفل يُعلَّم كيف يفكر بل يعلم كيف يردد كالببغاء أقوالا مأثورة عن ثقات أهل الرأي — وهي أقوال كثيراً ما يتضح فسادها وبطلانها . فإذا أراد الناس أن يكثر فيهم النوابغ — والعالم في حاجة إليهم ! — فعلى مدارسنا أن تقلل من اهتمامها بتمرين الذاكرة ، وأن تتولى تعليمنا قوة العارضة وإشراق البديهة — وهو شيء يمكن اكتسابه بالتعليم ، وقد ثبتت صحة هذا الرأي في المعامل بالتجربة .

وقد أعدت شركة « جنرال إلكتريك » ، قبل الحرب ، منهاجاً لتدريب طائفة مختارة من المتخرجين في الكليات وفي الهندسة ، وذلك لكي يتسنى لهم أن يعرفوا : هل يمكن أن يعلموا المخترع أن يخترع . وظل الطلاب العشرون الذين يدرسون على هذا المنهاج في كل سنة ، ينقلون من معمل إلى معمل ليحرك قوى عقولهم اتصالهم بأعظم العقول المبتكرة من رجالات الشركة . وخصصت ساعات معينة للاجتماع ، حيث يجد كل امرئ منهم ما يحرّضه على أن يبين عن خواطره ويجادل عنها ، وعلى أن يتفحص ما عند سواه من الأفكار النيرة . وأساس الدراسة في هذا المنهاج هي عرض مشروعات تتحدى أصالة فطرتهم — وذلك كمثل : « كيف تحتال على اختراع آلة كاتبة لرموز ألحان الموسيقى ؟ » .

ومن هؤلاء فتى لم يخترع قط شيئاً ، فما كاد يقضى سنتين فى هذه الدراسة حتى وفق إلى ١٣ فكرة تستحق التسجيل . ولم يسقط أحد تقريباً من ٢٠٠ طالب أتموا دراسة هذا المنهاج . ومن بينهم رجل يحق لنا أن نعزو إليه تحسيناً عظيما أدخل على مولد الكهرباء فى الطائرات ، وهذا ثانٍ قد حسّن أجهزة ضغط الهواء فى الطائرات تحسيناً عظيما ، وهذا ثالث لا يزال يكدّ دائباً على مشروع وكلته إليه وزارة الحربية فى الولايات المتحدة .

ويختار هؤلاء الرجال لأنفسهم موضوع أبحاثهم ، وميول أحدهم هى قائده إلى حيث تفضى به ، وهم يجدون فى ذلك ما يعجبهم ويأخذ بألبابهم . ومن أجل ذلك ، فيما أعتقد ، أتيح لهم قدرٌ وافرٌ من الآراء المثمرة المبتكرة .

كيف توجد المخترعات ؟ الأغلب أن يحيك فى صدر المخترع خاطرٌ يدفعه إلى مزاولة بحثه ، فيتلجلج فى نفسه شعور باطنٌ بأنّ حلّ تلك المشكلة خليقٌ أن يتمّ إذا سلك طريقاً معيناً ، أو فحص مجموعة معينة من الحقائق بين يديه .

ويقول الدكتور «ويليس وتنى» رئيس علماء شركة جنرال إلكتريك ، وهو أيضاً مخترع كهربائى عظيم : « قد يظن أحدهم أنه اهتدى إلى حل مشكلة ما بهدْىٍ من المنطق البحت ، غير أن الواقع هو أنه وصل إلى الحل بهدْى خاطر حاكَ فى صدره ، ثم التمس له البرهان المنطقى بعد ذلك . كان من عادتى أن أهمل خواطرى ولا أكترث لها ، غير أنى تعلمت من السلحفاة صاحبتى أنّ على أحدنا أن يخرج رأسه من مأمنها حتى يعرف مذهبه وغايته ، وإلا بقى خاملاً حيث هو » .

نعم إن المرء لا يجيئه الإلهام حتى يقدم بين يديه الكدّ والدؤوب . وفى مثل ذلك ما قال باستير : « لا ينال قوة العارضة وإشراق البديهة إلا من صبر واستعدّ زماناً طويلا لتلقى أشعتها » .

وإشراق البديهة قد يرسل أشعته والمرء أنأى ما يكون عن توقعها . هذا أحد الباحثين ينال جائزة على فكرة نجمت فى نفسه وهو يزيل الثلج عن درج داره . وهذا آخر قد أخبرنى أنه وقع على اكتشاف وهو منهمك فى حلاقة ذقنه . وأنا نفسى كثيراً ما تأتينى الخواطر نائماً فى فراشى ، أو راكباً فى طائرة ، أو مطلاًّ من نافذة قطار . وقد جعلت من عادتى أن أضع على منضدة قريبة من فراشى ، مفكرة أقيد فيها ما عسى أن يخطر لى من الخواطر فى دُجَى

الليل ، أما النهار فله فى جيبى مفكرة أخرى أجعلها قيداً للخواطر التى تعرض لى فى ساعاته. فاحرص على أن تكون أبداً يقظان لما يأتى الخواطر ، فإذا بصرت بأحدها يحوم على منافذ صدرك ، فافتح له أبوابها ورحب به وأكرمه . واحرص أبداً على أن تكون حاضر العقل واسعه ، ولا تعتمد على المنطق كل الاعتماد . وحاول أن تعرف أين كنز الفكر الدفينة وأين مخبؤه فى بعض مكامن عقلك النائية فإنه كنز لا ينفد .



تكاذيب

بعد أن توفى قزم مشهور جلست أرملته فى بهو الاستقبال تتلقى تعزية المعزين . فتوافدوا عليها طول النهار ، وكانوا يذهبون إلى الحجرة التى سُجّى فيها الميت ، ثم يعودون إليها يواسونها . وعند الأصيل التفتت الأرملة إلى أحد الزوّار وسألته : « هل أوصدت باب حجرته ؟ » ، فقال : « لا . لم تسألين ؟ » . فأجابت الأرملة : « من الخير أن توصده ، فقد جرّته القطة ونزلت به إلينا ثلاث مرات فى الصباح » .

[ألكسندر كلارك فى « فانيتى فير »]

روى أحد البحارة الذين أدركوا مارك توين أن الكاتب المشهور قصّ عليه يوماً القصة التالية . قال : « اتفق لى مرة أن شهدت حادثاً تجلى فيه حضور بديهتى ، وقد كان ذلك يوم شبت نار آكلة ، فأطل رجل من نافذة فى الدور الرابع وجعل يستغيث ، فاشرأبت إليه أعناق الجمهور ولكنهم عجزوا جميعاً عن مدّ يد المعونة إليه . فقد كانت السلالم قصيرة لا تصل إلى نافذته . ولم يكن فى الجماعة رجل — سواى — حاضر البديهة ، فبادرت إلى إغاثته ، وناديت أن أحضروا حبلا ، فلما جاءوا به قذفت بأحد طرفيه إليه وأمرته أن يعقده حول خصره ، ففعل ، فشددت الحبل فأنزلته إلى الأرض » .

[ألبرت بيجلو بين فى كتابه « ترجمة مارك توين »]

هذه هي طبائع البشر

نزل بلدتنا فلاح ظل سبعة أسابيع يعلن في صحيفتنا الأسبوعية عن جوادين كريمين يريد أن يبيعهما . ثم جاء في أحد الأيام إلى دار الصحيفة ليدفع أجر الإعلان. فلما استوفيتُ الأجر منه سألته : أبعتَ الجوادين ؟ فقال : كلا

فقلت : أتريد أن تجدد الإعلان عنهما؟

فقال : دع الإعلان يستمر، فقد أتيحت لي فرص كثيرة لأبيعهما ، ولكنني لا أنوى أن أفعل ، فأنا أحب الخيل ، وأحب الحديث عنها . وقد جئت هذه البلدة وأنا غريب عن أهلها . فنشرت الإعلان حتى يأتيني الذين يعنون بشئون الخيل ليروا الجوادين ، فننبسط في الحديث . وقد كان هذا الإعلان الصغير وسيلة هدتني إلى عشرات من محبي الخيل . فدعه يستمر .

[نلسون د . براون]

منذ عهد قريب كنت أنتظر سيارة الركاب على مقربة من مقبرة سان أنطونيو في ولاية تكساس . فرأيت شاويشاً شاباً على حلته شارة المشاة الذين خاضوا الحرب ، يضع مسدساً من خشب على حجر مدفن جديد ، وتبين دهشتي مما فعل فقال :

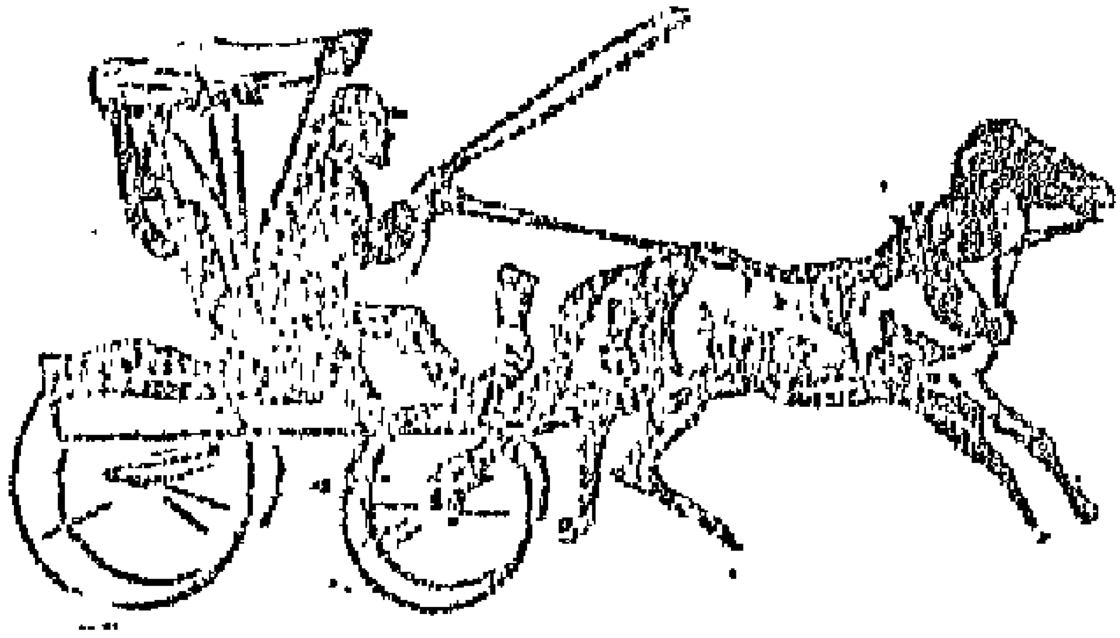
« هذا مدفن جدتي، وقد ماتت في الأسبوع الماضي ، أما أنا فلم أعد من أوربا إلا في الليلة الماضية ، وجدتي هذه أنقذت حياتي في فرنسا في الشتاء الماضي . ذلك بأننا لما كنا صغاراً ، كنا نلعب لعبة الطراد بين الرعاة والهنود الحمر ، وكنا نسلح ببنادق مصنوعة من خشب، وقد شدت إليها قُدَد من مطاط نقذف بها الحصى . فذات يوم رأت جدتي صبياً آخر يرميني بحصاته ويصيبني ، وكنت منهمكا في تسديد بندقيتي إليه .

« فنادتني وقالت : يابني ، كن دائماً سباقاً إلى إطلاق قذيفتك ، فإذا أخطأت المرمى اضطرب الصبي الآخر وأخطأ مرماه ، فتصيبه حين تطلق قذيفتك الثانية .

«وقد تذكرت إرشادها في الشتاء الماضي حين اشتد القتال في ساحة الآردين، وبغتني جندي ألماني فرفع ذراعه ليرميني . وكنت أحمل بندقية ، فلم أعن بتسديدها إليه ، بل أطلقتها أولا كيفما اتفق ، فأخطأته ، ولكنني أصبته في الطلقة الثانية وأرديته . فخطر لي أن أجيء بمسدس الخشب القديم أضعه على قبر جدتي وفاءً وشكراً » .

[الملازم هال بشام]

يوم الطبيب يوم مشهود



لويس فرنش
مختصرة من صحيفة "ميلووكي جورنال"

ظل الدكتور جورج ماكنون ثلاثين عاما يتعهد الفلاحين والقرويين والهنود من سكان الغابات الشمالية فى ولاية ويسكونسن ، فيقضى يومه ما بين حطاب يداوى جروحه ، وثلوج يشقها قاطعاً عشرين ميلا أو أكثر لكى يصل إلى امرأة هندية قد جاءها المخاض ، ثم ينطلق قاطعاً ثلاثين ميلا أخرى ليعالج صبياً مريضاً ويهدئ من رَوْع أمه — وهو فى ذلك كله على يقين من أنه لن ينال أجراً ، ولكنه لم يرفض قط دعوة ، ولا طالب أحداً بأجر .

وقد استقبل بيديه ٢٩٠٠ مولود — أما ما زاد فعلمه عند الله .

وفى مساء أحد أيام الأربعاء من شهر نوفمبر الماضى دعى من منزله لكى يولد امرأة فى حقل ناءٍ يملكه جورج نولار ، فما بزغت شمس يوم الخميس حتى كان قد ولّد امرأة أخرى بمستشفى الولادة فى تلك القرية .

ولم يكن الطبيب يعلم بما يعدّه له أهل القرية ، ففى صباح ذلك اليوم كان فى عيادته كدأبه ، وفيها اثنا عشر مريضاً ينتظرونه فى غرفة تفوح منها رائحة العقاقير . فأخذ يضمد إصبع أحدهم ، ثم عالج دمّلا فى مريض آخر ، وبعد أن أتم أشياء أخرى هرع إلى حلاق ليحلق ذقنه ، ثم هرول منصرفاً عنه . وقد نسى أن يدفع الأجر ، فرأى الحلاق أنه مما يجمل به أن يتغاضى عن ذلك لقاء ما أسدى الطبيب إلى الناس من معونة .

وما كاد يسير قليلا حتى جاء عمدة القرية ليو وايرز ومعه وكيله نيلسون ، فاستوقفا الطبيب وعلقا على صدره وساماً .

ثم أخذت سيارات مدرسة القرية تصل تباعاً وهى تقل التلاميذ والتلميذات ، وقد حمل كل منهم وعاء فيه طعامه ، فقد عطلت الدراسة فى ذلك اليوم — إنه يوم الدكتور ماكنون . كنت ترى الفتيات وقد لبسن قفازات بيضاً ومعاطف من صوف ، وعصائب ملونة على شعورهن . وأما الأولاد فكانوا فى أجمل ملابسهم . ونزل من السيارات عشرات بعد عشرات وعلى صدر كل منهم بطاقة تدل على أنه ولد على يد الدكتور ماكنون .

وكان الجو يومئـذ قارساً ، ومع ذلك طفق الأولاد يتواثبون مرحاً وهم يضعون الشارات على السيارات والعربات . وجاء الآباء والأمهات بأطفالهم مدثَّرين بما يردّ عنهم عادية البرد . وكان يخيل إليك يومئذ أن كل طفل لم يولد على يد الدكتور ماكون فهو من حثالة أهل الأرض .

ثم جاءت ساعة العرض، فأخذ الدكتور ماكنون يستعرضهم وهو واقف على منصة صغيرة . وكان معظم الأولاد العارفين فى طليعة الموكب ، ممن ولدوا على يديه .

وجاءت عربات مزينة يتبعها قطيع من الثيران وحصان عجوز يجرّ مركبة كان الطبيب يستعملها قديماً . وأروع ذلك كله مشهد الذين رأوا النور على يد الدكتور ، وعددهم خمسة نفس — من صغار يهرولون ليماشوا الموكب ، وشبان أشداء فى ثياب الجند عادوا لساعتهم من ساحات القتال ، وجعلوا جميعاً يحيونه . ثم جاء فى أثرهم الأزواج الذين ولد لهم أولاد على يده ، ثم عشرات من الأحداث قد زينوا دراجاتهم بالشارات .

هناك وقف الدكتور ماكنون ، ومرت بخاطره ذكرى سبع سنوات من الدراسة الشاقة فى جامعة كوينز بكندا ، وذكرى أشهر الصيف التى كان يقضيها فى إحدى مدارس الريف يعلم ليجمع نفقة الدراسة ، ثم فترة التدريب فى مستشفى ميلووكى ، وتلك الممرضة التى شغف بها فتزوجها . ومما قالته عن أيامها تلك : « لقد رغبت إليه أن يتناسى معيشة المدن وسأكون سعيدة معه أينما كان ، ولقد عشت سعيدة » .

تذكر مواضى أيامه ، وتذكر جواديه — جواد الصباح وجواد المساء والليل ، ثم تذكر كيف كان يشق طريقه فى الثلج ثلاثة أميال ليزور بيتاً فى غابة بعيدة ، ثم تذكر وباء الأنفلونزا فى سنة ١٩١٨ ، وكيف كان يجول بين المرضى نهاراً وليلا ، حتى إذا بلغ منه الجهد ، ربط حصانه فى حقل ونام فى العربة ، فهو يعلم أنه لا يكاد يبلغ داره حتى يستدعى إلى مريض آخر .

ثم تذكر أنه أنقذ مرة طفلا مصاباً بالتهاب الرئة فى قرية هندية تبعد عشرين ميلا ، فما فتىء الهنود بعد ذلك يستدعونه ليعود مرضاهم ، فلا يرفض دعوة وإن كان لم ينل قط منهم أجراً — إلا أنهم جاءوا يوماً وأهدوا إلى ولديه مُهْراً .

ظل الدكتور فى موقفه ذاك ، وقد أخذت الطائرات تحلق وتلقى إليه أوراقاً فى التحيات ، واستمر العرض ، ومسح الدكتور عينيه مرة أو مرتين — من برد أصابه فيما زعم .

ولما نزل عن المنصة لم يزد على أن قال :

« إنهم يذكروننى بما لقيت من ضنى وسهاد، ولكنى أراهم فأرضى عما لقيت » .

وقد تلقى أصدقاؤه ، وهو لا يدرى ، رسالة فيها ذكر مآثر الدكتور ، فقد كان ما كنون طبيباً زاهداً لا يطلب من الناس أجراً ، مع أنهم كانوا يعدونه كفؤاً لأعظم طبيب فى أعظم مدينة. وقد شوهد مرة يلقى فى النار رزمة من أوراق حساباته وهو يقول: « هذه خمسة آلاف ريال طعام النار » !

أما اليوم فقد حاول القوم أن يعربوا عن شعورهم ، فأرسل حطّاب من بلدة نائية رسالة فيها خمسة ريالات ، وقال إنه يتذكر كيف كان الدكتور يدعو إلى الطعام من لا مال عنده . وجاءت الهبات تترى من كل ولاية ، حتى تيسر للدكتور أن يشترى سيارة جديدة تحل محل مركبته القديمة ، وبقى له ١٣٠٠ ريال . وجمع تلاميذ المدرسة أيضاً ما تيسر لهم من مال قليل وأهدوا إليه ساعة ثمينة .

وتم الرأى على أن تقدم الهدايا بعد المأدبة التى تقام فى بهو القرية ، وبلغ عدد الجمع ١٠٠٠ نفس جلوس و ٢٠٠ وقوف وسار برنامج الحفلة كما ينبغى ، ووقف رئيس غرفة التجارة ليلقى خطبة الإهداء ، فما بلغ منتصفها حتى وصلت دعوة مستعجلة فلم يسع الطبيب إلا أن يلبيها .

ذلك أن سيدة قد جاءها المخاض فأسرع إليها ، واستقبل طفلها الثالث عشر ، فولدت فى الساعة العاشرة إلا الربع ، غير أن الدكتور لم يستطع أن يعود إلى القرية قبل الحادية عشرة ، فوجد القوم جلوساً ووقوفاً لا يزالون ينتظرونه ، فلما وصل واصلوا الحفلة وقدموا له هداياهم .

فهؤلاء الأطفال الذين ولدوا على يده تذكروا فضله لما كبروا ، فلا تظنن به اليوم فقراً ، بل هو من أغنى الأغنياء فى ولايته ..

·oOOo··oOOo·

سحر النار

يعتقد كثير من سكان الغابات النائية أن كل لون أو ظل يقع على الشجرة فى حياتها يرتد ثانية فى وهج النار حين تحترق تلك الشجرة . فأنعم النظر فى النار المستعرة ترى الشجر بألوانه ما بين وردى وبنفسجى ، وتتجلى لك زرقة السماء ، ولألاء شمس الظهيرة ، والسواد القاتم المحتدم فى السحب المطبقة ، وحمرة الشفق عند مغيب الشمس ، وضياء القمر الفضى ، وأشعة النجوم الصافية المتلألئة .

[لارى فوستر]

أذاعت شهرته موقعة حربية — بعد سنوات من الشدائد ناضل فيها أهل التحفظ من معاصرته.

الحضارة مدينة لهذا الرجل، جون إريكسون

أوين جونسون * مختصرة من "المجلة العامية الشهرية"

بم تقيس عمر المرء؟ أبالسنين التي تنقضي بين مهده ولحده، أم بما تحفل به تلك السنون من آيات الحياة؟ ومعظم الناس لا يكاد يبلغ الخمسين من عمره حتى ترى حياته ذاهبة في سياق الموت. ولكن ميخائيل أنجيلو، وليوناردو ده فنشي، وداروين وأضرابهم، استطاعوا أن يضاعفوا حياتهم الطويلة ضعفين أو ثلاثة أضعاف، بما فطروا عليه من قدرة على الابتكار والإبداع.



١٨٠٣ — ١٨٨٩

وجون إريكسون أحد هذه الزمرة، فقد ظل خلال السنوات الأربعين الأخيرة من عمره يعمل أربع عشرة ساعة في كل يوم من السنة، وكل همه العمل، وكل أيامه رضى وسعادة. وقد توفى فى السادسة والثمانين، لم يلحقه ضعف أو وهن.

وقد عاش أيامه كلها كأنه يسابق الزمن، يأسى على كل ساعة تصرفه عن عمله. ولم يجد فى وقته متسعاً لاستقبال كرام الضيوف الذين توسلوا عبثاً أن يحظوا بلقاء مخترع البارجة « مونيتور » والمحرك اللولبي، ولا وجد وقتاً لزوجته التي ظلت له صديقاً وبه معجبة، حتى نفضت يديها من هذا النضال المر، وعادت إلى إنجلترا مسقط رأسها.

وقال يومئذ كلمته المأثورة: « لقد غارت من آلة! »، بل كان يضن بربع ساعة يقابل فيها القلائل من أصدقائه المقربين.

وقد ألف أن يقول لزائره: « آن لك أن تنصرف ».

كانت حجرة الرسم هي قلعته الحصينة، ومنها كان خياله ينطلق ويحلق، ليرود

(*) أوين جونسون أديب اشتهر برواياته وأقاصيصه.

مستقبل العلم الحافل بالمجاهل . ما أقل ماتم حتى الآن ، وما أكثر ما ينبغى أن يتمّ ، وما أقصر الوقت! آه ، لو مدّ الله فى العمر خمسين سنة ، أو أكثر من خمسين ، أو عشرين ، أو حتى عشر سنوات ! بل كان يأبى أن يبرح صومعته حين تشتد حاجته إلى غفوة ، فكان يستلق على مائدة الرسم متوسِّداً كتاباً .

وقد أقام سنين كثيرة فى نيويورك ، فلم يرَ حديقتها العامة « سنترال بارك » . وقد احتال عليه أحد أصدقائه مرة ، فذهب به إلى جسر بروكلين ، وحاول آخر أن يستدرجه إلى زيارة شلالات نياجرا ، فقال متهكما : «ترى ماذا أصابها ؟» فكأنه لا يرى شيئاً يصرفه عن عمله ، إلا أن يكون نكبةً فادحة .

وقدمات بعد أن طبقت شهرته الآفاق ، فكرّمته الأمة التى استوطنها ، فأعادت جثمانه تحيط به آيات التكريم إلى الأمة التى أنجبته، وقد ظلت ربع قرن من الزمان تطالب بردّه لتستقبله استقبال بطل عظيم .

وُلِد إريكسون فى يوليو سنة ١٨٠٣ ، فى مستهل قرن رائع زادت فيه السرعة زيادة لم تبلغ ذروتها بعدُ . وكان الناس يومئذ يسيرون بسرعة ستة أميال فى الساعة، وكان « فلتون » قد شرع يجرب تجاربه الأولى فى الزورق البخارى ، ولكن الريح وَنزَواتها لم تزل تسيطر على السفر فى البحر، كما كانت منذ عهد الفينيقيين . فيوم توفى إريكسون سنة ١٨٨٩ كان البشر قد رادوا معظم سطح الأرض ، بفضل ما أسداه من جهود .

مضت على إريكسون أربعون سنة من الشدة والعناء ، ولم تتزعزع ثقته بنفسه ، ولا حرفه عن طريقه أو غايته إخفاق لقيه ، أو كفران الناس لأياديه ، أو سخرية أنداده من المخترعين . وأنت خليق أن تقف على سر أخلاقه فى قصة حداثته .

فقد أنعم الله عليه بثلاثة أسباب تحفز إلى العمل : الفقر وهو أعظمها ، واعتزال الجماهير التى تدفع الرجال فى عنانها إلى مسايرتها ، وما اضطر إليه من تعليم نفسه بنفسه . وقد ولد فى بلدة «لانجبانشيتلان» بالسويد ، وكان أهله قوماً كراماً يعيشون فى خصاصة وتقتير .

فلما بلغ السن التى يلهو فيها سائر الصغار باللعب ، كان هو مفتون القلب بالآلات . فما بلغ السابعة حتى لازم حجرة الرسم فى المكتب الذى يدير مشروع قناة جوتا ، حيث كان أبوه رئيساً لفريق من العمال . وكان لا يملك ما يشترى به أدوات الرسم ،

فصنع هذه الأدوات بيديه — بركاراً من عيدان الصنوبر وشوكه ، وقاماً من ملقط شعر ، وفرشاً من شعر استلّه من معطف فروٍ كان لأمه . ثم جعل يكبّ ساعات متوالية ، يضع رسوماً يراعى فيها نسبة العرض والطول .

فلما بلغ التاسعة ، عزم على أن يضع نموذجاً لمصنع ينشر فيه الخشب ، مع أنه لم يرَ مصنعاً قط ، ولم يجد ما يسترشد به إلا أوصافاً سمعها من أبيه . ومع ذلك فقد صنع المهندس الفتى تصميمه، وقدر لأجزائه الأبعاد تقديراً دقيقاً ، ولم يكن بين يديه سوى مثقب ومبراة ومبرد ، فصنع بها نموذجاً تاماً للمصنع ، ووضع فيه منشاراً اتخذه من زنبرك ساعة ، فكان مصنعاً مصغراً تام العدّة من جميع نواحيه . والأغلب أن المخترع العظيم لم يشعر ، حتى وهو فى ذروة شهرته ، بمثل النشوة التى وجدها يوم كان فى التاسعة ، ووضع مصنعه المصغر فى جدول فرآه يعمل عملا لا يعتوره نقصان .

وفى السنة التالية صنع نموذجاً أشد تعقيداً لمضخة ترفع الماء من منجم ، تديرها طاحونة يحركها الهواء . وفى هذه أيضاً لم يعتمد إلا على ما سمعه من أبيه .

ومضت سنوات ، ثم ، سئل إريكسون أن يصنع كشفاً بأهم مخترعاته الميكانيكية ، فجعل هذين النموذجين فى رأس ما اخترع ، ولم يخطئ فى تقدير خطرها . فقد علمه هذا الظفر الذى ناله فى حداثته ، أن يثق بنفسه كل الثقة .

وكذلك ذاع خبره وتناقله الناس ، فعنى فريق من كبار القوم بشأنه وتربيته . فلما بلغ الرابعة عشرة ، عين لإدارة آلات « الميزان » فى بناء قناة جوتا . حيث كان ستمئة جندى ، يعملون تحت إشراف صبىٍّ كان فى حاجة إلى الوقوف على كرسى لكى يستطيع أن يبلغ رأس « الميزان » .

وظل يومئذ دائباً يعلم نفسه بنفسه ، فلم يحضر مدرسة أو جامعة ، ولكنه كان يعبّ العلم عبّ الظامىء الصادى حيثما وجده . وقد تولى بعضهم تعليمهُ الجبر والكيمياء والهندسة واللغة الإنجليزية ، ولكنهُ كان يحمد الله ، فيما بعد ، على أنه لم يلتحق بالمدارس الفنية فى عصرهِ ، لما كان مأثوراً عنها من الغلوّ فى اتباع السنن المتوارثة ، فقد صحّ عزمه على أن يتجاهل ما عاش كل ما فعلهُ غيرهُ من الناس ، وأن يستقلّ فى تفكيرهِ عنهم .

وبعد أن تجلت آيات نبوغه فى صباه ، نزح إريكسون إلى إنجلترا ليقيم فيها . ولولا أنه مُنى بالإخفاق فى حادثين مشهورين ،

لما هجر إنجلترا إلى أمريكا . ففى سنة ١٨٢٩ كان إريكسون فى السادسة والعشرين . وقد مضى عليه فى إنجلترا ثلاث سنوات يخرج كل سنة أربعة مخترعات خطيرة أو خمسة ، ثم وقع فى أول المآزق الشديدة التى لقيها فى حياته .

لقد مضت ثلاثة أرباع قرن منذ جرب « وات » تجاربه فى البخار ، ولم يصنع إلا بضع قاطرات غير متقنة ، وقد استعملت هذه القاطرات لقطر مركبات شحن مسافات قصيرة بسرعة ثلاثة أميال فى الساعة أو أربعة . وكانت شركة ليفربول ومانشستر قد أعلنت أنها تمنح جائزة قدرها ٥٠٠ جنيه لمن يصنع قاطرة تبلغ سرعتها ١٠ أميال فى الساعة ، ولا يزيد وزنها على ١٠ أطنان ، وتستطيع أن تقطر ما زنته ٢٠ طناً مسافة ٧٠ ميلا . وعلم إريكسون بخبر هذه المباراة ولم يبق على نهاية موعدها سوى سبعة أسابيع ، ولكن أنّى له ولم يصنع قط قاطرة ؟ فإذا صنع واحدة اليوم ، لم يتسع له الزمن حتى يمتحنها . لم يثنه ذلك ، فأقدم على العمل من فوره .

كان الذين اشتركوا فى المباراة خمسة ، ولكن المباراة انتهت إلى منافسة بين قاطرة جورج ستيفنسون ، « روكيت » ، وقاطرة إريكسون ، « نوفلتى » . وكان إريكسون عظيم الثقة ، لأنه زوّد قاطرته بجهاز يتيح لها سرعة عظيمة ، وأقامها على لوالب ، فتستطيع أن تمضى على القضبان فلا تميد يمنة أو يسرة . وزادت سرعتها على ٣٠ ميلا — فكانت أسرع آلة صنعها الناس حتى يومئذ . فلما جربت أول تجربة سبقت القاطرةُ « نوفلتى » ، القاطرةَ « روكيت » كأنها السهم المارق . فأحس المهندس الشاب ساعةً بروعة ظفر كان خليقاً أن يجعله أعظم رجل فى عالم المخترعات الميكانيكية . فلما جربت مرة ثالثة ، انفجر المرجل لعيب فيه يسهل إصلاحهُ ، لو كان قد أتيح لإريكسون أن يمتحنه قبل المباراة .

ولكن حكم القضاة كان حاسماً ، فصار ستيفنسون ، لا إريكسون ، مخترع القاطرة . وقد أنعم إريكسون نظره فى خيبته هذه ، فانتهى إلى أنها خير . فلو طبقت شهرتهُ الخافقين ، وهو فى السادسة والعشرين ، لكان خليقاً أن يقنع بما تمّ . أما وقد مُنِى بالخيبة ، فقد اتجه وجهة جديدة .

نظر إريكسون فيما حولهُ ، فأدرك موطن الضعف فى السفن التى تسير بتحريك عجلات كبيرة قائمة على جنبها ، وهى عرضة للخطر إذا ما خاضت قتالا . نعم إنها تستطيع أن تشق طريقها فى مهبّ الريح ، وهو ما تعجز عنهُ السفينة ذات الشراع ، ولكن

إذا أردتها للنقل التجارى وجدتها ضخمة ثقيلة بطيئة .

فجعل يتدبر هذا الموضوع ، فتذكر كيف كان يعنى فى صباه بما يراه من طريقة ضرب الطير بجناحه والسمك بذيله ، فاتخذ حركتهما أساساً لتفكيره ، فصنع رويداً رويداً المحرك اللولبى وأتقنه . وقد اهتم غيره بمبدأ هذا المحرك ، ولكن إريكسون كان أول من أخرجه من حيز الفكر إلى مجال العمل .

وفى سنة ١٨٣٧ ، وهو فى الرابعة والثلاثين ، تأهب لكى يعرض محركه اللولبى ، وكان واثقاً كل الثقة أن سينجح ، فدعا قواد البحر إلى عرضه . وكان قد ركب محركين فى السفينة فرنسيس ب . أوجدن التى يبلغ طولها ٤٥ قدما ، وكان بحارة نهر التاميز ، حين رأوا هذه السفينة تمر بهم فى النهر مرًّا سريعاً ، قد ركبتهم الحيرة حتى أطلقوا عليها اسم «الشيطان الطائر» . أما قواد البحر فقد جاءوا تساورهم الريب ، فإن رجال قسم المهندسين قد أفْتَوا بأن « هذا الاختراع السخيف أقيم على مبادئ خطأ ، وفيه عيوب كثيرة » .

وقد قطرت السفينة أوجدن زورقاً دهاباً وجيئة فى النهر ، ولكنها لم تزحزح القواد عن رأيهم . فنزلوا منها شاكرين ، وألسنتهم تقول : تجربة لا بأس بها . ولم يدر بخلد أحد منهم أنه شهد حدثاً تاريخياً .

وقد تصنعوا الوقار والرزانة حين قالوا : « لو كانت القوة المحركة فى مؤخر السفينة لاستحال توجيهها » . لقد أشرف إريكسون مرة ثانية على الظفر بذيوع الصيت ، ولكن القدر تخطاه

فنزلت الفاقة بإريكسون ، وسجن فى سجن ذوى الديون فى « فليت ستريت » . فلما ضاق ذرعاً بما لقى ، هجر البلد الذى عجز عن تقديره مرتين ، وفى سنة ١٨٣٩ رحل إلى بلد يرحب بالجديد الطريف من الأفكار والآراء .

وقد وصل إريكسون إلى الولايات المتحدة ، تحرك قلبه آمال عظام . فقد أدرك الأمريكيون قيمة المحرك اللولبى ، وبين له فريق منهم عن الفرص العظيمة المتاحة له فى العالم الجديد . فظن يوم وصوله أن متاعبه قد انتهت ، ولكنها ظلت تلاحقه . ولم يلبث أن ظفر بشىء من الاستقلال فى شئون المال ، حين اخترع عربة مطافىء تسير بمحرك بخارى ، ومحركا آخر يسير بالهواء الساخن . ثم تجنس بالجنسية الأمريكية ، ولكنه لم يزل مشعوفاً بإتقان المحرك اللولبى للسفن الحربية ، فلم يلقَ إلا ما يثبط العزم ويخيب الأمل . فقد مضت خمس سنوات إلى أن رضى مجلس أمراء البحر بامتحان هذا

المحرك . وقد عقد الاتفاق معه على صنع « برنستون » وهى السفينة الحربية الأولى التى جهزت بمحرك لولبى ، فى أحوال نالت من كرامته ، فسخط وتألم . فقد انتقصت قيمة عمله ، ونازعته الحكومة على المال الذى يستحقه من أجل ما فعل ، ولم توفه له فى آخر الأمر . فلما جربت السفينة أول تجربة ، انفجر أحد مدافعها وقتل وزير الخارجية ووزير البحرية ونفراً آخر من كبار رجال الحكومة .

وقد ظلت الخيبة والبلايا وتثبيط الهمة تلاحق المخترع عشرين سنة أو نحوها . فلما حلت سنة ١٨٦٢ حاقت به المتاعب ممن ينازعه فخر اختراع المحرك اللولبى ، أو من الذين يقلدون أجهزته الميكانيكية أو يسرقونها جهرة . وقد اعترف قلائل بأنه عبقرية الهندسة فى عصره ، ولكن فريقاً كبيراً من العلماء حكموا عليه بأنه دجّال .

كان من المعروف فى أثناء الحرب الأهلية الأمريكية أن قوات الجنوب معنيّة بإنجاز دارعة تدعى « مريماك » ، وأما الدوائر البحرية التى ران عليها الجمود فى وشنطن فلم تفعل شيئاً لتواجه الخطر العظيم الذى يهدد سفنها الخشبية بالدمار . ومن حسن الحظ أن كان تصميم السفينة الحربية « مونيتور » قد تم منذ سنوات . ففى سنة ١٨٥٤ عرض إريكسون على نابليون الثالث نموذجاً تاماً من السفينة « مونيتور » ، وقد جعل هذا النموذج مثالا متقناً لما تصوره من سفينة حربية مدرعة بالحديد ، تحتوى فى جوفها الغائص تحت سطح الماء جميع أجزائها التى لا غنى عنها ، وجعل سطحها منبسطاً ، وأقام عليه برجاً تتركز فيه مدافعها ، والبرج يدور فتسدد المدافع إلى أية جهة تريد ، دون أن تغير وجهة السفينة — فكان ذلك انقلاباً خطيراً فى تصميم السفن الحربية .

كان إريكسون يحبُّ وطنهُ الجديد على الرغم من إساءة الحكومة إليه ، فكتب إلى لنكولن يعرض عليه خدمته ، وقال : « إنه لا يسعى إلى نفع خاص ولا يريد مكافأة ما » وقد أقام على رأيه هذا إلى النهاية .

وقد عرض النموذج أمام مجلس البحرية فى وشنطن ، فأعجب به لنكولن وأيده بنفوذه ، ولكن المعارضين لم يقتنعوا وظلت مقاومتهم شديدة . فرفض مقترحه فى أول الأمر ، ولكن إريكسون شهد بنفسه اجتماع المجلس ، وألقى بياناً بلغ من قوة الإقناع مبلغاً حمل المجلس على تغيير قراره . على أن رجال الأسطول أصروا على أن يضعوا مادة فى العقد تضمن ردّ المال كله

إلى الحكومة، إذا ثبت أن السفينة لا تصلح.

وقد تم صنع « المونيتور » فى مئة يوم، رغم تسويف الحكومة فى توفيـة أقساط المال الذى اتفق عليه، وبرغم النقد المتصل وتدخل السلطات البحرية . وقد نشبت المعركة مع مريماك التى عقد فيها لواء الظفر للسفينة مونيتور، قبل أن توفى الحكومة القسط الأخير .

أما إريكسون فقد أبى أن يتزحزح قيد أنملة، وقد صنع رسوم السـفينة بيديه، وردّ على كلّ نقدٍ بنفسهِ، ورفض كلّ تدخل، وسلم السفينة فى الموعد المضروب. وقد كان فى السفينة أربعون جهازاً جديداً ابتكرتها عبقريتـه المتوهجة، ووصلت « المونيتور» إلى مرفأ «هامتن رودز» فى الساعة الفاصلة، لتنجز المهمة التى ألقيت إليها.

وعلى الرغم من أن وشنطن كانت مترددة، وأصرت على أن تلتزم « المونيتور » خطة الدفاع، وأبت أن تسمح لهـا بمطاردة « المريماك » المصابة، وعلى الرغم من أن رجال البحر امتنعوا عن قذف كرة الحديد المصنوع التى قال إريكسون إنها خليقة بأن تخترق درع العدو، وعلى الرغم من أن خطة المعركة خالفت ما أشار به إريكسون، ديرت رحاها على مسافة بعيدة من السفينة الأخرى — على الرغم من ذلك كله، لم يكن ثمة شك فى أية السفينتين عقد لها لواء الظفر.

فالقذائف الأولى التى انطلقت من « المونيتور » أغرقت، فى الواقع، جميع أساطيل العالم المصنوعة من الخشب . وقد شهد قائد المريماك أمام محكمة حربية بأن المونيتور كانت تستطيع أن تغرق سفينته فى ربع ساعة، ثم قال : « إن إريكسون عبقرى عظيم » .

ولولا ظهور السفينة « مونيتور » لدمرت الدوارعُ الجنوبية أسطولَ الشمال، ولحطمت قيود الحصر البحرى، ولكانت الولايات الجنوبية خليقة بأن تنال اعتراف دول أوربا بها . وقد كان كل هـذا رهناً بحياة رجل فرد، وبما أصابه من إخفاق فى حادثين، لولاهما لما هجر أوربا إلى أمريكا.

وقد مات إريكسون فى ٨ مارس ١٨٨٩ بمدينة نيويورك، وفى السنة التالية طلبت حكومة السويد جثمانه، فأرسل إلى استوكهلم ودفن فى فيليبستاد . والبرج الدائر القائم فى كل بارجة اليوم هو نصب قائم لذكرى إريكسون . ولا يزال مبدأ المحرك اللولبى الذى اكتشفه، هو المبـدأ الذى يسيطر على الحركة فى البحر والجو . وقد خلدت المونيتور اسمه فى تاريخ أمريكا، ولكن المحرك اللولبى جعله فى طليعة الرواد العظام الذين تركوا أثراً عظيما فى تاريخ الحضارة .

الحرارة السائلة — مصدر مستقل القوة تنفع فى الطبخ والتدفئة والتبريد وغيرها من شئون المنزل .

جهاز جديد في البيوت

فردريك تيزداسيل

فى بيوت أوساط الناس حرارة الغاز تحمّر اللحم، وحرارة الفحم تسخن الماء وتدفىء الغرف ، والكهرباء تسيّر الثلاجات وتنجز أشياء أخرى كثيرة.

وإذا سألت المهندس زجر وقال : «إنها وسائل عتيقة لا تطابق مبادىء الاقتصاد».

ثم يبين لك أن المنزل الأمثل ، إذا كان فيه مصدر واحد للحرارة ، يدفىء الغرف ويطبخ الطعام ، ويحرك معدات المنزل جميعاً ، قلّ القدر المبدَّد من الحرارة ، الذى هو أيضاً مال مبدد . ثم هو يجعل إصلاح هذه المعدات يسيراً ، ويهون كثيراً من شئون المنازل .

ويقول المروّجون للحرارة السائلة ، وهى مادة كيميائية جديدة أخرجتها مصانع مؤسسة جون بيرس : إن هذه المادة تحقق ما تمنا المهندسون — مصدر واحد مستقل يولد الحرارة أو القوة المحركة لجميع معدات البيت .

والبيت لا ينتفع عادة بأكثر ، من ٥٥ فى المئة من حرارة الفحم الذى يلقى فى الموقد ، وهو تقدير ضاق به أوريون أوكس — أحد مهندسى شركة « أميركان راديتور » — فحمله على أن يصنع مادة سائلة تتحمل الحرارة العالية وتنقلها ، وتساعد على الاستفادة منها كاملة ، بحيث لا يكاد يذهب شىء منها سُدىً .

وأذكت فكرة أوكس خيال جون أوبراين ، مدير «مؤسسة بيرس» ، التى تسعى إلى تحسين أسباب المعيشة . فاشتركت هذه المؤسسة التى لا تعنى بالربح ، مع أوكس فى مباحثه ، فأسفرت جهودها عن تركيب مادة اهتدت إليها معامل « آرثر لتل » بمدينة كمبردج فى ولاية ماساشوستس . ولا يزال تركيب هذه المادة سراً ، وكل ما يعرف عنها أن عناصرها مأخوذة من النفط والرمل ، واسمها العلمى « سليكات تيترا كريسيل » .

ولا يخفى أن الماء يتحول بخاراً عند درجة ١٠٠ سنتجراد . على أن سليكات تيترا كريسيل لا تتبخر إلا عند درجة ٤٣٦ ، وهى تختلف عن البخار فى أنها تصلح لنقل

الحرارة العالية، فلا يخشى منها على الأنابيب من جراء الضغط العالى أو الانفجار، وهى تقلل ما يذهب من الحرارة سدًى إلى أدنى حـد . ويمكن أن توزع فى الأنابيب إلى أى جزء من أجهزة المنزل، ولكنها لا تضيع فى الفضاء كالبخار ، بل تعود إلى المرجل فتسخن وتستعمل ثانية .

وإذا كانت درجة الحرارة معتدلة، كانت هذه المادة كزيت المحركات مظهراً وأثراً ، ورائحتها تشبه رائحة الحمض الكربوليك — وهى مزية عظيمة، لأنه إذا رشح شىء منها انكشف أمره. ومما دل على أنها مأمونة العواقب ، أن قدراً منها صبّ على فحم متقد فلم تشتعل . أضف إلى هذا أنها غير سامة ولا تأكل المعادن . وإذا شاءت ربة البيت أن تولد من هذه المادة حرارة للطبخ أعلى كثيراً مما تولده مواقد الغاز أو الكهرباء، تم لها ذلك . وطبخ بعض الطعام بهذه الحرارة العالية ، يحفظ فيه قدراً أكبر من قيمته الغذائية ، ومن رائحته الطيبة .

وقد استعملتها مؤسسة « بيرس » بنيو جرسى منذ أشهر، لكى تخبز الفطائر وتسخن الماء وتصنع المثلجات وتقدمها لزوارها .

والجزء الأصيل فى الجهاز الذى يعرض على أعين الزوّار، هو موقد ومِرْجل، أما وقوده فهو فحم الأنتراسيت ، ولكن كل وقود يصلح له. وفى المرجل وأنابيب الجهاز نحو ستين جالوناً من سليكات تترا كريسل بدلا من الماء . وثمن الجالون من هذه المادة اليوم ريال ونصف ريال ، ولكن إذا ما صنعت منها مقادير وافرة للبيع ، هبط إلى نحو نصف ريال . وإذا استثنينا ما قد يذهب منه سدًى بالرشح، فإن الحاجة لا تدعو إلا إلى إضافة جالون واحد كل خمس سنين . وقد دلت التجارب الكثيرة على أن هذه المادة تصير أجود على طول الاستعمال .

وبعد أن تنتقل الحرارة السائلة من المرجل ، تسير فى أنبوب ملتف ، فلا تلبث أن تظفر بماء ساخن لا ينقطع، وبغير حاجة إلى خزان ، ثم ينعطف الماء فى الأنبوب إلى آلة للتبريد فيحرك جهازها .

والحرارة السائلة تسير إلى كل جزء فى مواقد الطبخ الحديثة، ويضبط سيرها صِمام كحنفية الماء ، يقطع الحرارة أو يطلقها حسبما تشاء . ويتم ضبطها بطريقة بسيطة كالطريقة المتبعة فى أفران الغاز والكهرباء .

وأحدث أجهزة الحرارة السائلة ، هو جهاز للإشعاع (راديتور)، طوله ١٣ بوصة وعرضه عشر بوصات ، وله مروحة تدفع الهواء الدافىء فى غرف البيت فيدفئها . وفى الوسع أن تصل أنبوباً تنساب فيه الحرارة

السائلة، بالأدوات الميكانيكية لغسل الصحون، وأجهزة غسل الملابس وعصرها وتجفيفها، وآلات تبريد الهواء وغيرها من المعدات التى توفر بعض التعب .

وسوف تقول : «كل هذا حسن ونافع، ولكن كم يكلفنا ؟ » . أما الجهاز نفسه فثمنه كثمن الأجهزة الشائعة اليوم ، وأما التوفير الكبير ففى ثمن الوقود . ويؤكد أوكس أنه سيكون نصف ثمن الوقود الذى يستعمل للطبخ والتدفئة وغيرهما من الشئون.

وهو يعترف بأن الحرارة السائلة لا تخلو من العيوب ، فهى لا تصلح للمكاوى الكهربائية والقِرَب الساخنة وأشباهها ، إذ لا بد من إحاطة أنبوب الحرارة السائلة بمادة عازلة حتى لا تتسرب منه ، وذلك يجعل استعمالها لتسخين المكواة والقربة أمراً شاقاً .

وعند المخترع خطط تجعل المنزل مستقلا عن شركات الضوء والغاز ، وتتيح للبيوت فى البرارى النائية وسائل الراحة ، إذا توفر الوقود . وهذه الخطط تقتضى إقامة تربين بخارى قوته ٧ ½ حصان ، قليل الضغط ، موصول بمولد كهربائى قوته ٥٠٠ وات ، والثمن نحو ألف ريال . والحرارة السائلة تولد بخاراً للتربين والمولد الكهربائى .

ويقول أوكس إن مثل هذا الجهاز ينتج تياراً يكفى لإنجاز شئون المنزل والحقل جميعاً . وهو واثق بأن جهازه يستطيع أن يمد المنازل بتيار كهربائى ، فلا يزيد ثمن « الكيلوات فى الساعة » على مليمين ونصف مليم .

ومن الواضح أن الحرارة السائلة تنفع فى المخابز والمغاسل والمطاعم ومصانع العجائن وغيرها ، حيث تمس الحاجة إلى مصدر دائم لحرارة رخيصة الثمن .

أعظم مطالب المرء فى الحياة ثلاثة : الطعام ، والجمال ، والصداقة . وسوف ينتهى البشر إلى مجتمع يتيح هذه الثلاثة لكل من يسدى إليه عملا صالحاً .
[إدوين ماركهام]

ليس الزواج هو الذى يبوء بالخيبة ، وما يبوء بالخيبة سوى الأزواج ، والزواج هو الذى يكشف عن سوءاتهم . [هارى إمرسون فزديك]

العزلة تشحذ المواهب ، ولا يشحذ الأخلاق إلا تيار الحياة . [جوته]



الأساس القانونى لمحاكمات نورمبرج

مرى كث . بيرنيز

مختصرة من مجلة « سرفاى جرافيك »

– ١ –

في البناء الجديد لوزارة الحربية الأمريكية فى وشنطن نبتت فكرة محاكمة مجرمى الحرب، التى اجتمع قضاتها فى مدينة نورمبرج العتيقة، موطن النازية .

ففى سبتمبر ١٩٤٤، أشار أحد أقسام هيئة أركان الحرب الأمريكية بوجوب محاكمة الزعماء الألمان، من مدنيين وعسكريين، ومحاكمة بعض الهيئات، مثل جنود الصدام والجستابو، أمام محكمة دولية بتهمة التآمر على الجرائم الشنيعة التى ارتكبتها، فيقدم للمحاكمة الأولى كل من يظن فيه أنه يحمل أكبر قسط من الوزر، فرداً كان أو ممثلا لجماعة متهمة . فإذا تبين أن إحدى هذه الجماعات قد اشتركت فى المؤامرة، قدم جميع أعضائها للمحاكمة، ليعاقب كل منهم على ما كان له من نصيب فى هذه الجرائم .

ولما بلغ هذا الرأى تمامه، كانت فيه مزيتان ظاهرتان، الأولى : تطبيق القاعدة القانونية الخاصة بالاتفاق الجنائى حتى تشمل المحاكمة ذلك العدد الكبير من المتهمين . والثانية : تقرير المبدأ القائل بأن حرب العدوان جريمة فى نظر القانون الدولى، يعاقب عليها من تثبت عليه تهمتها .

وقد وافق على الاقتراح وكيل وزارة الحرب ووزيرها ووزير الخارجية ومستشاره القانونى . وفى مايو الماضى أقره الرئيس ترومان . وعين القاضى روبرت جاكسون أحد قضاة المحكمة العليا، نائباً عاما ممثلا للولايات المتحدة . وفى ٨ أغسطس عقد فى لندن اتفاق بين أمريكا وبريطانيا وروسيا وفرنسا، على إنشاء محكمة عسكرية دولية لمحاكمة المتهمين، ثم انضمت إليها ١٤ أمة من الأمم المتحدة .

وقد وجهت إلى المتهمين أربع تهم، الأولى : التواطؤ على ارتكاب جرائم ضد السلم، بأن دبروا وأعدوا واقترحوا وشنوا حروب عدوان، كانت انتهاكا للمعاهدات الدولية والاتفاقات والضمانات . والثانية :

التواطؤ والاشتراك فى تنفيذ هذه الأعمال . أما الثالثة والرابعة فهما : انتهاك أصول الحرب ، واقتراف «جرائم ضد الإنسانية» .

٢

وقد تولى رجال وزارة الحربية والخارجية تمحيص جميع الشكوك والمسائل التى أثيرت حول هذا الاتهام فى الصحف أو غيرها ، قبل أن يتم إقرار المشروع .

ويستطيع كاتب هذا المقال* أن يشهد على ذلك ، لأنه هو الذى اقترح المشروع وتتبعه خطوة خطوة . وقد تساءل فريق من الناس عن الضرورة التى تقضى بالمحاكمة ، وعن الحكمة فى إجرائها ، واقترحوا أن توقع العقوبة بمرسوم . وقال آخرون بفساد الأسس التى قام عليها المشروع كله ، كالقول بأن حرب العدوان جريمة . ومن مزايا الديمقراطية أن الحكومة لم تقرّ هذا المشروع حتى اطمأنت كل الاطمئنان إلى أن العدالة ستكون مكفولة ، حتى فى محاكمة عدو كالألمان قسوة واستفزازاً .

أترانا نريد حقاً من هذه المحاكمات تحقيق العدالة ؟ سؤال ينبغى أن نتحرى الصدق فى الجواب عليه .

٣

هناك أصول قانونية لا يرقى إليها الشك ولا يعتورها غموض . وأولها أن الاعتداء والقتل جريمتان فى الحرب وفى السلم . وإنها لجريمة « أن تقتل أو تجرح عدواً قد استسلم بعد إلقائه السلاح ، أو استسلم لفقده وسائل الدفاع » كما تقرر اللوائح الملحقة بأحد اتفاقات لاهاى المعقودة سنة ١٩٠٧ ، ولكن لم يرد فى هذه الاتفاقات ولا فى ملحقاتها ذكر للفظ « الجريمة » أو « المجرمين » . وهذه نقطة هامة سأعود إليها ، وحسبى الآن أن أبين أنه ينبغى على كل قائد من قواد الجيوش المتقاتلة أن يوجه تهمة القتل إلى كل جندى يقتل أسير حرب ، وأن يحاكمه . وهذا عرف له سلطان القانون ، فهو قانون وإن لم تسمه اتفاقات لاهاى بهذا الاسم .

هذه هى القاعدة فى زمن الحرب ، فما هى القاعدة فى زمن الاحتلال ؟ إن اللوائح المذكورة تنص على ما يأتى :

* كان مرى بيرنيز إلى عهد قريب ضابطاً فى الجيش الأمريكى برتبة كولونيل ، ورئيس مكتب للمشروعات الخاصة فى هيئة أركان الحرب الأمريكية . ثم عين مستشاراً عسكرياً للقاضى جاكسون ، وصحبه إلى لندن للاشتراك فى التمهيد لمحاكمة نورمبرج . وقد تخرج من جامعة هارفرد سنة ١٩١٥ واشترك فى الحرب العالمية الأولى ثم صار محامياً فى نيويورك .

« من الواجب (على سلطة الاحتلال) أن تحـترم شرف الأسرة وحقوقها ، وحيـاة الأفراد ، والملكية الخاصة، والمعتقدات الدينية والعبـادات . ومصادرة الأملاك الخاصـة محظورة ، والنهب محرم كل التحريم » .

وهنا أيضاً لا نجـد في اتفاقات لاهاى ولا في لوائحها ما يصف هـذه الأعمـال المحرمة بأنها جريمة ، ومع ذلك فهى جرائم في حكم قانون العرف والتقاليد .

وتطبيق هـذا على الجندى الفرد شىء لا يختلف فيه أحد من الناس ، فمن الممكن نقل هذه القاعدة إلى محيط أوسع دون أن يثير تطبيقها أى خلاف ، فإن ما يصدق على الجندى الفرد يصدق أيضاً — باتفاق جميع الآراء — على قائد السرية أو قائد الكتيبة أو قائد الفرقة أو قائد الفيلق أو قائد الجيش. فهؤلاء القادة تجوز محاكمتهم عن هذه الأفعال إذا ارتكبوها بأنفسهم ، بل تجوز محاكمتهم عنها إذا أمروا بارتكابها، أو رضوا عنها. وقد أدين القائد الألمانى أنطون دوستلر وأعدم لأنه أمر بقتل رجال المظلات الأمريكيين.

وقد قام دوستلر بعمله تنفيذاً لأمر سرى عال أصدره هتلر يوجب قتل الفـدائيين عن آخرهم إذا وقعوا في الأسر ، دون اكتراث لما يرتدون من زى عسكرى ، ولا لما يتولون من مهمة حربية تخولهم التمتع بحصانة أسرى الحرب . وكبار قواد هتلر لم يكونوا يتصرفون من تلقاء أنفسهم حين أعملوا القتل بالجملة في الأقاليم المحتـلة ، وارتكبوا النهب والسلب وترحيل السكان ، وقد ثبت في محاكمة نورمبرج أن هتلر قد أمر رجاله أن يقتلوا البولنديين .

أفمن عدل القانون أن يحاكم بتهمة القتل ذلك الجندى الذى أطلق الرصاص وقائده الذى أمره بإطلاقه ، ثم يظل رئيس الدولة الذى أمرهما، بمنجاة من المحاكمة؟ حاشا للقانون أن يبلغ هذا المبلغ من العجز والقصور . فكتاب أصول الحرب البرية الذى وضعته حكومة الولايات المتحدة لا يتضمن أية تفرقة في هذا الصدد ، فقد نص على أن « يعاقب كل فرد أو هيئة انتهكت قوانين الحرب المقررة وأصولها العرفية ، ويعاقب أيضاً من أمر بذلك » .

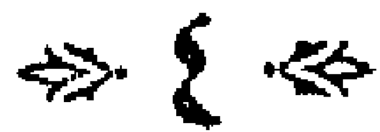
ويقرر القانون الألمانى العسكرى هذه القاعدة عينها فيقول : « إذا كان تنفيذ أمر عسكرى يقتضى استباحة قانون العقوبات ، فإن الضابط الكبير الذى أصدر ذلك الأمر يتحمل تبعة أمره » .

ولهذا كان القاضى جاكسون محقاً حين قال في تقريره التاريخى الصادر في ٧ يونية سـنة ١٩٤٥ والمقدم للرئيس ترومان : « إننا لن نرضى عن تناقض يجعل أقوى الناس سلطاناً هو أقلهم تبعة » .

فسواء أكانت حرب العدوان جريمة فى ذاتها أم لم تكن ، فمن العدل أن يقدم المتهمون إلى المحاكمة من أجل الجرائم التى دبروها ونفذوها ، منتهكين حرمة أصول الحرب . ولو نظرت لرأيت كثيراً جداً من جرائمهم يدخل فى حيز الفقرتين الثالثة والرابعة من قرار الاتهام . فمن ذلك : قتل المدنيين واستئصالهم واسترقاقهم ونفيهم ، وقتل أسرى الحرب وإساءة معاملتهم ، وقتل الرهائن ، وتخريب المدن والقرى . وهذه الأعمال كلها جرائم فى حكم القانون الدولى .

ومما يستحق التنويه أن تهمة ارتكاب جرائم ضد الإنسانية ، وهى الفقرة الرابعة من الاتهام ، تقيم على المتهمين دعوى ارتكاب أعمال تعد « انتهاكا لقانون العقوبات الألمانى » . فإذا صحت هذه الدعوى كانت أساساً متيناً آخر لمحاكمتهم ، لأن اتفاق التسليم المطلق الذى وقعته ألمانيا ، قد خوّل الدول المحتلة أن تمارس السلطة القضائية فى البلاد المحتلة ، ولما كانت المحاكم الألمانية مغلقة ولا تنعقد إلا لنظر القضايا التى تأذن بنظرها سلطة الاحتلال ، فمحاكم الحلفاء العسكرية مختصة كل الاختصاص بالمحاكمة عن الجرائم التى ارتكبت مخالفة للقوانين الألمانية ، كما أن لها الحق فى أن تحاكم الألمان الذين انتهكوا هذه القوانين ، فقتلوا أو جرحوا ألماناً آخرين فى أى وقت مضى .

وهذا أمر مهم ، لأن أعمال القتل والتعذيب التى ارتكبها جنود الصدام أو الجستابو تعد أعمالا يحرّمها القانون ، حتى فى ظلال الحكم النازى ذاته . وكل ما حدث هو أن مقترفى تلك الجرائم فى ألمانيا كانوا يمنحون شهادات إدارية تكفل حصانتهم من المحاكمة عن تلك الأعمال ، وهذه الحصانة لا تمنع قوات الاحتلال ومحاكمه من أن تطبق عليهم القانون ، لأنها حصانة لا يرضى عنها عقل ولا ضمير .



وقد سئلت : « ولكن أترى الألمان يحاكمون محاكمة فيها عدل وإنصاف ؟ ألست ترى القضاء ورجال النيابة قد اختيروا من الشعوب المنتصرة ومن المجنى عليهم ؟ ألا يشبه هذا أن تحاكم قاتلا أمام محلفين هم أهل القتيل ؟ ولمَ لم يقعد على منصة نورمبرج قضاة محايدون ؟ »

هذه أسئلة فى الصميم ، ولكنى أظن أن لها جواباً مقنعاً .

ففى أية محاكمة جنائية فى أى بلد متحضر ، قد يكون المحلفون « غير متحيزين » ، ولكن من المستحيل أن يكونوا « محايدين » . إنهم « غير محايدين » بمعنى أنهم يكرهون الجريمة ، وأنهم مصممون على إدانة الإجرام ،

وأنهم يستطيعون أن يعملوا بغير خوف من الانتقام . فهل نستطيع حقاً أن ننتظر من أى عضو من أعضاء الأسرة الدولية أن يكون « غير متحيز » حين ينظر فى جريمة دولية ارتكبتها دولة كبيرة ؟ أليست جميع البلدان المحبة للسلام — سواء أكانت محايدة فى عرف القانون أم لم تكن — هى أعضاء فى الأسرة الدولية التى وقع عليها الاعتداء ، أو هى قريبة الصلة بالدول التى وقع عليها الاعتداء ؟ فمثل هذه المحاكمة لن يوجد لها قضاة « غير متحيزين » بالمعنى الدقيق ، إلا فى قبائل الإسكيمو أو الهوتنتوت .

ولو ضم بعض المحايدين إلى أعضاء محكمة نورمبرج لما جاز لنا أن نتوقع من المحايدين المجاورين لألمانيا ، أن يحاكموها بغير أن يخامرهم خوف من أن تستفحل قوتها مرة أخرى فتوقع العقاب السياسى أو الاقتصادى على جيرانها الضعاف الذين اجترأوا على محاكمتها .



هل حوكم المتهمون فى نورمبرج عن جريمة حرب العدوان طبقاً لقاعدة أملتها الجيوش المنتصرة ، وجعلتها تنسحب على الماضى ؟ أم تراهم حوكموا طبقاً لقانون كان قائماً ومعترفا به ؟

إن بعض الحقائق المتعلقة بحرب العدوان لا يرتاب فى صحتها أحد . فأولا : أن الذين استولوا على زمام الحكومة الألمانية سنة ١٩٣٣ ، قد صمموا على أن يخضعوا القارة الأوربية على الأقل ، وأن يخضعوها بأية وسيلة كانت . وكانوا يعلمون أن برنامجهم يقتضيهم اللجوء إلى حرب العدوان فأعدّوا لها عدتها ، وهم اليوم لا ينكرون هذه التهمة وإنما يدفعونها بأن القانون لا يعاقب عليها .

ولا ريبة أيضاً فى أن هذه الحروب كانت حروب عدوان حقاً ، كما ثبت من وثائقهم التى عثر عليها . فإن هتلر قد أكد لشركائه بأسلوبه الحاسم المشرب بالرقة :

« أنا لا أخشى إلا شيئاً واحداً ، هو أن يأتينى تشمبرلن أو أى خنزير قذر آخر يقترح على أن أغير رأيى . فإن حدث هذا فسوف يطرد طرداً ، ولو اقتضى الأمر أن أركله بقدمى أمام المصورين جميعاً . إن غزو بولندة واستئصال شأفتها سيبدآن صباح يوم السبت ، ويجب أن تتقدم شراذم قليلة ترتدى الزى العسكرى البولندى فتهاجم سيلزيا العليا أو المنطقة المحمية ، وسواء على أصدق العالم هذه الحيلة أم لم يصدقها فالناس لا يؤمنون إلا بالنجاح » . وقد سجل فى المحضر الرسمى لهذا الاجتماع : « أن رجال هتلر قد أنصتوا لهذه الخطبة وهللوا لها ، وأن جورنج قد قفز إلى المائدة وأخذ يرقص » .

ولا نزاع أيضاً فى أن هتلر كان يعد العدة منذ ١٩٤٠ لمحاربة أمريكا ، وأنه كان يتآمر سنة ١٩٤١ هو واليابان فى هذا الشأن .

ومن المسلم به أن غزو بولندة والنرويج والدنمرك وبلجيكا وهولندة واليونان ويوغسلافيا وروسيا ، وأن الهجوم على الولايات المتحدة كانت كلها عدواناً ، وكان فى أكثرها ضرب من الغدر ، لأنها ارتكبت برغم معاهدات الصداقة والتحكيم وعدم الاعتداء ، وبرغم المواثيق التى أعطوها وكرروها قبيل ذلك ، بأن شيئاً من هذا العدوان لن يكون . وكفى بالغدر وحده أن يكون سبباً لعدّ هذه الحروب حروباً غير مشروعة بمقتضى القانون الدولى .

والحرب التى تبدأ بالغدر لا تعدّ فى حكم القانون الدولى حرباً بأية حال ، وإنما تعد ضرباً من السطو لا أكثر ولا أقل . وليس من شأن إعلان الحرب بعد ذلك أن يقلب العمل غير المشروع فيجعله عملا مشروعاً ، وكل من اشترك فى تدبير هذه الأعمال وما اتصل بها من جرائم ، ليس إلا مجرماً كسائر المجرمين .

فما الرأى إذن فى العدوان المتمثل فى الهجوم على تلك الأمم ؟ فى ٢٧ أغسطس ١٩٢٨ وقع فى باريس ميثاق تحريم الحرب ، « ميثاق كيلوج — بريان » ، وقد أمضاه ممثلو ستين أمة ، بينها جميع الدول الكبرى ومنها ألمانيا التى لم تلغ توقيعها عليها مطلقاً ، فظلت مقيدة بما تضمنه الميثاق من أن الدول الموقعة عليه « تصرح باسم شعوبها أنها تحرم اتخاذ الحرب وسيلة لفض المنازعات الدولية ، وتحرم اتخاذها أداة من أدوات السياسة القومية فى علاقات الدول » .

فإن صح لنا أن هناك إجماعا على شىء فى هذا الصدد ، فذلك هو أن ميثاق كيلوج — بريان قد جعل حرب العدوان حرباً غير مشروعة . وليس يخرج على هذا الإجماع أحد ، حتى أولئك الذين يذهبون إلى القول بأن المتهمين فى نورمبرج يحاكمون على أساس قانون جديد لاحق ، صدر بعد إقرار المحاكمة . وكل ما يقوله هؤلاء هو أن ذلك الاتفاق قد جعل حرب العدوان « غير مشروعة » ، ولكنه لم يجعلها « جريمة » .

وبهذا ينحصر البحث فى هذا الحيز الضيق ، فإن هؤلاء الذين ينفون عن حرب العدوان صبغة الجريمة برغم نقضها ميثاق كيلوج — بريان ، يرون أن هذا النقض من قبيل فسخ العقود ، لا من قبيل اقتراف الجرائم .

٦

إن ميثاق كيلوج — بريان لا يفهم على وجهه حتى ينعم المرء نظره فى الألفاظ التى تضمنها ، والموضوع الذى عالجه ، والأصول التى قام عليها .

أما ألفاظه : فمنها أن الدول المتعاهدة « تحرم اتخاذ الحرب وسيلة » ورجال

القانون يعلمون أن فعل «حرّم» يتضمن معنى الإجرام فيمن يخالف .

وأما الموضوع : فقد عبّر عنه القاضى جاكسون فى كلمة واحدة فقال : « لا نزاع فى أن أهل الفضل والرأى جميعاً لايجدون جريمة ينطوى فيهـا كل ما هو دونها من الجرائم كجريمة شنّ حرب لا مسوّغ لها » . ورجال السياسة ورجالُ القانون الدولى الذين يرشدونهم، يتحرون الدقة فى ألفاظهم . وقد استعملت الدول التى وقعت الميثاق فعلا يتضمن معنى الإجرام ، لأنها كانت تريد أن تندد بما يعده كل عاقل جريمة — فهى قتل منظم واسع النطاق وتشويه وتخريب.

وأما الأصول : فإن دول الميثاق حين قالت إنها « تحرم اتخاذ الحرب وسيلة » ، كان زعماؤها — ومنهم زعماء ألمانيا وإنجلترا وأمريكا — قد قيدوا أنفسهم جهرة برأى يعد حرب العدوان جريمة فى عرف القانون الدولى .

وقد كان هذا الرأى لباب بروتوكول جنيف الذى صدق عليه فى ٢ أكتوبر ١٩٢٤ ، ممثلو ٤٨ دولة فى دور الانعقاد الخامس للجمعية العمومية لعصبة الأمم . وقد انضمت ألمانيا إلى العصبة فى عام ١٩٢٧ ، وكانت واحدة من ٤٨ دولة أكد ممثلوها بالإجماع مرة أخرى فى الاجتماع الثامن : أن حرب العدوان « جريمة دولية » .

وفى السنة التالية أيدت القارتان الأمريكيتان هذا الإعلان، ففى مؤتمر الجامعة الأمريكية السادس فى هافانا ، أجمع ممثلو إحدى وعشرين جمهورية على أن « حرب العدوان جريمة دولية ضد الجنس البشرى » .

فمن الواضح أن ممثلى الأمم الستين حين وقعوا ميثاق كيلوج — بريان، كانوا يعلمون حق العلم أنهم قد قرروا من قبل علانية أن حرب العدوان جريمة .

ولكن الذين ينتقدون إجراء نورمبرج يجادلون قائلين : «حقاً إن ميثاق كيلوج — بريان قد جعل الحرب عملا غير مشروع ، وحقاً إن لكم أن تحاسبوا الدولة التى تشن حروبا غير مشروعة ، ولكم أن تعاقبوها فتحتلوها وتفرضوا عليها التعويضات ، وأن تبقوها تحت النير إلى أجل غير مسمى ، ولكن ليس لكم أن تمسوا بسوء رجل الدولة أو القائد اللذين قادا الدولة إلى الجريمة. لماذا ؟ لأن الميثاق قد حرم الحرب ولكنه لم يفرض عقوبات جنائية على الذين يشنونها» .

ولو سلمنا بصحة هذا الدليل لألغينا فى لحظة واحدة قوانين الحرب المقررة ، ولرجعنا القهقرى إلى عصور البربرية . إن اتفاق لاهاى الرابع لم يفرض جزاءً جنائياً على ذبح المدنيين أو القتل أو التشويه أو

الاغتصاب أو الظلم أو الاسترقاق ، لأن الاتفاق اكتفى بتعداد المحرمات ، ولكن حين يكون العمل المحرم مما تعارفت الشعوب المتحضرة على عدّه جريمة ، فإن هذا العمل يكون فى حكم قوانين الحرب جريمة ، ويعاقب مرتكبه طبقاً لها .

ولم يقرر اتفاق جنيف الخاص بأسرى الحرب عقوبات جنائية على قتل الأسرى أو تعذيبهم أو تجويعهم أو حرمانهم من العلاج ، ومع ذلك فإن خبراء القانون فى وزارة الحرب الألمانية ، لم ينكروا خلال الحرب أن هذه الأمور تعد جرائم . وقال القاضى جاكسون عند افتتاح المحاكمة :

« إن المتهمين كانوا يعرفون حق المعرفة ما تنطوى عليه هذه الأعمال من جريمة ، ولهذا أجهدوا أنفسهم فى إخفائها . وسيتبين أن المتهمين ، كيتل وجودل ، قد نبههما مستشارون قانونيون رسميون إلى أن الأمر بوسم الأسرى الروسيين بالنار ، وتكبيل الأسرى البريطانيين بالأغلال ، وإعدام أسرى الفدائيين ، كان انتهاكا ظاهراً للقانون الدولى » .

كلا . إن هذا دليل لن يتماسك . نعم ، إن ماحدث فى نورمبرج يعد انقلابا ، ولكن يجب أن نتبين نوع هذا الانقلاب . إنه ليس انقلابا فى القانون ، ولكنه انقلاب فى الوسائل التى تتبع لتنفيذ القانون . ولهذا قال القاضى جاكسون فى افتتاح المحاكمة :

« ليس مما يضيرنى أو يزعجنى أن لا أجد سوابق قضائية لهذا التحقيق الذى سنشرع فيه » .

إن أمم العالم قد ارتضت أن تعقد اتفاقات فيما بينها ، تقضى بعقاب القادة الذين يتآمرون على شن الحرب ، ولكن هذا القانون الدولى ظل معطلا .

وقد بُتَّ الرأى فى نورمبرج بأن هذا التعطيل لن يستمر منذ الآن . ولا يسعنا أن ننتظر أكثر مما انتظرنا بعد أن أطلق البشر طاقة الشمس من أغلالها ، ولسوف تحطمنا مكتشفاتنا إن لم نخضعها لسلطاننا .

فإن شئنا تحقيق هذا السلطان ، فلا بد من أن يكون للتبعة الأدبية التى يقررها القانون الدولى ما يشد أزرها من أسباب العدالة . ولكن التبعة الأدبية تتعلق بالفرد ذاته ، وكيان القانون الأهلى يقوم على أن الفرد هو وحده الذى تناله يد العدالة ، وإذن فسيظل القانون الدولى عاجزاً ضعيفاً إلى أن يتمكن من أن يخضع الأفراد لسلطانه . وإذا لم يتم هذا فالأجيال التى سوف تعيش تحت تهديد الطاقة الذرية ومكتشفاتها ، لن تظفر بالأمن والسلام .

فبهذا كانت محاكمة نورمبرج انقلابا فى تطبيق القانون ، يفتح باب الأمل للشجعان وللصالحين الأخيار من الناس فى كل مكان .

رفيق الصياد

ركس بتش

مؤلف "الذهب السائل" و "مغامرات ألاسكا" وغيرهما



كان بيتر دبلي فتى صياداً يعيش وحيداً في البراري النائية.

نعم كان وحيداً لولا صحبة كلبه الضخم، وهو حيوان فيه من دم الذئاب أكثر مما فيه من دم الكلاب.

وكان من دأب بيتر، إذا جاء الخريف، أن ينطلق خارجاً من الغابة هو ورفيقه الصامت الصابر ذو الفرو الرمادي يلتمسان زادهما للشتاء، ثم يغيبان عن الأنظار ثانية، فإذا جاء الربيع طلعا مرة أخرى بما يحملان من الفراء.

كان هذا الكلب رفيقاً صابراً حقاً، فقد قاسم مولاه كل شقاء لقيه وكل بلاء أصابه. ولم يكن هذا الكلب المتحدّر من صُلب الذئاب يعبأ شيئاً ما دام مولاه قريباً منه، فسواء عليه أناما معاً في العراء تحت نجوم السماء، أم استكنا معاً في مثواهما المريح. ولو رأيته لرأيت في عيونه الصفر وهجاً صافياً يتلألأ وجْدًا وهياماً، ولا يزال يسطع كأنه قنديل راهب في صومعته. ولا يزال كذلك ساكناً وديعاً، حتى إذا أظلّ مولاه خطر يتهدّده، خلع الذئب الذي في دمه ثوب الكلب، فتوحّش وانتفش وانتفخت أوداجه وكشر عن أنيابه، وتضرمت نار الفتك والضراوة في عينيه.

وبعض الكلاب لا تكاد تضمّ جوانحها على حُبٍ تكنه لأكثر من شخص واحد، إلا أن قلب هذا الكلب كان رحباً واسعاً كسعة إهابه — سعة أتاحت فيه لمرجريت مكاناً يوم تزوجها بيتر. فلما جاء الربيع ووضعت مرجريت ولدها بيتر الصغير، وصار لزاماً على الكلب الوفي أن يتعهد بحراسة ثلاثة أنفس بعد نفسين، أقبل على عمله راضياً، ونال نصيبه من السعادة التي مدّت ظلالها على البيت.

غير أن المقادير الجائرة تنمّرت لهذه السعادة الممدودة، فأبت على مرجريت أن تتماثل وتسترد عافيتها، وجاء الخريف فألقى شآبيب ثلوجه على ربوة حديثة العهد تحت ظلال الصنوبر، حيث ترى العين رجلا ساهماً محزوناً وكلباً ضخما رمادي الإهاب، وقفا صامتين خاشعين لرهبة الموت.

واستطاع بيتر أن يحتال على رفيقه حتى

أفهمه أنه لن يخرج معه بعد اليوم ، ولن يقاسمه مباهج الغاب أو روعته ، وأنه لا مندوحة لأحد الرفيقين من أن يلازم البيت ليتعهد الطفل ويرعاه ، على حين يخرج الآخر يطوف ليأتيهم بشيء يطعمونه .

فمن يومئذ صار من دأب الكلب أن يقف عند النافذة يشيع بيتر بنظراته حتى تضمره الغابة ، ثم يرسل زفرة من أعماق قلبه ويتخذ مكانه باسطاً ذراعيه إلى جوار فراش الصغير . فإذا استيقظ أو بكى لم يلبث حتى يجد فرواً ناعماً يستكن فى نعومته ، ولساناً دافئاً يمسحه ويسكن من روعه .

وذات يوم خرج بيتر وهبت ريح عاصف ، وإذا الغابة قد تلفعت فى لمح البصر بضباب أبيض ، فأخرج بوصلته واهتدى بها ميمما شطر البيت . كان مشيه وئيداً ، فأطبق الليل وهو لا يزال يسير . فقال بيتر لنفسه : لا بأس ، فما أشك أن صديقى الكلب سيتعهد الصغير ويكفل له مضجعاً دافئاً .

فلما بزغ الفجر سكنت العاصفة ، ومالبث بيتر أن أفضى إلى الأرض الفضاء وهو يترنح ثم أخذ يصفر ، وكان عهده بالكلب إذا سمع صفيره أن يسرع إلى النافذة فيأتى بحركات غريبة ترحيباً بمقدمه ، ولكنه لم يجد فى هذه المرة للكلب حساً ولا حركة .

انقبض صدره ، وجعل يصيح وهو يعدو نحو البيت وألقى بنفسه على الباب فإذا هو مردود لا مغلق كما ظن .

رأى المهد خالياً ، وعلى الملاءة دم أحمر ، وعلى الأرض بقع من الدم . ثم زحف الكلب من تحت الفراش وقد وقف الأب المفجوع ذاهلا قد شله هول ما رأى . وها هو يرى الكلب أحمر الفم أيضاً وفروة عنقه مضرجة بالدم . لم يرفع الكلب بصره إليه ، ولم يحاول أن يدنو منه ، بل جثم حيث هو ناكس الرأس صامتاً خاشع الطرف .

وفى مثل ومضة البرق أدرك بيتر ما كان . العرق دساس ، وابن الذئب هو الذئب . لقد أضرم الجوع فيه ضراوة أسلافه الأول . وصرخ الرجل ورفع فأسه وهوى بها بكل قوته ، حتى غيب نصلها فى ذلك الرأس الضخم — رأس الكلب .

فما هو إلا أن سمع بكاء طفل ، فجثا الأب المسكين على ركبتيه ومد يداً ترتعش ، وأخرج الطفل من تحت الفراش . رأى ثياب الصغير ممزقة وعليها بقع من دم ، ولكنه كان سليما لم يمسسه سوء . وخرج الأب ، وهو كالمغشى عليه وطاف بالبيت فوقع بصره على جثة دب ضامر أضر به الجوع ، ملقاة فى ركن مظلم وقد مزق نحره ، ولا تزال بين أنيابه قطعة مضرجة بالدم من فروة الكلب — فروة رفيقه وصديقه .

اختصرنا كتاب إمرى ريفز «قضية السلام» فى عددى يناير وفبراير ١٩٤٦ من المختار. ومنذ نشر هذا الكتاب فى يونيو ١٩٤٥، تعاظمت العناية به، فذكره أحسن ذكر، العالم أينشتين فى مقاله عن القنبلة الذرية، ونشر فريق من كبار المفكرين وأقطاب الدين والسياسة والقضاء والصناعة والعمال، كتاباً مفتوحاً فى الصحف يحض الناس على مطالعة الكتاب.

وخلال ذلك سارت أحداث العالم سيراً سريعاً. فطلب محررو «ريدرز دايجست» إلى المستر ريفز أن يكتب لمجلتهم موجزاً مما خطر له وتفكر فيه منذ نشر الكتاب، وأن يعقب فيه على الأقوال التى أسفرت عنها مناقشة آرائه فى طول البلاد وعرضها، فكتب المقال التالى، وعنى فيه على وجه خاص بأخطر المسائل، وهى: ماذا ينبغى أن يفعله الناس لتحقيق الأصول التى بنيت عليها آراؤه.

الحكومة العالمية هى الخطوة الأولى

إمرى ريفز ٥ مؤلف كتاب "قضية السلام"

الناس من أقنعه منطق التاريخ أو مغزى الأحداث المتعاقبة، بأن قيام حكومة عالمية ضرورة لازمة، حتى هؤلاء النفر ربما هز أحدهم رأسه وقال:

«نعم، إن الحكومة العالمية هى الغاية، ولكننا لا نستطيع أن نظفر بها على الفور، فينبغى أن نمضى إليها خطوة خطوة».

هذا الرأى يغفل الضرورة الملحة التى أسفر عنها استعمال التفجر الذرى فى الحرب. فليس ثمة خطوة أولى إلى قيام الحكومة العالمية، بل الحكومة العالمية هى الخطوة الأولى — الخطوة التى ينبغى أن نخطوها قبل أن تتاح لنا أية فرصة لمواجهة مشكلاتنا الأخرى من اقتصادية واجتماعية. وستظل هذه المشكلات قائمة، ولكن الاعتماد على القانون، دون المعاهدات فى صلات الأمم، أمر لا غنى عنه، إذا ما أردنا أن يكون لنا نظام يمكننا من علاج هذه المشكلات.

وإننا لنسمع من كل حدب صوتاً آتياً يقترح أن «نلغى» القنبلة الذرية، أو أن «نحرمها» أو أن «نسيطر عليها» أو «أن نحتفظ بها سراً مكتوماً». وقد أسفر البحث المشهود، بين رجال العلم والسياسة والصناعة والإذاعة والصحافة، عن اتفاق على الحقائق التالية:

أن طائفة من الأمم ستصنع القنبلة الذرية

قبل أن تنقضى سنوات قليلة ، وأنه لا يحتمل أن تكشف وسيلة يعتمد عليها تصلح لدفع خطرها ، وأن السيطرة الدولية على البحث الذرّى أو صنع القنابل الذرية ، لا تجدى جدواها للسبب الآتى : لا تتمُّ السيطرة الدولية إلا إذا منحت الأمم بعضها بعضاً حق التجسس الصناعى والحربى ، (وهذا بعيد) وما دام خطر الحرب قائماً بين الدول القومية ، فسوف تتوسل بعض الحكومات إلى منع الهيئات الدولية من تفتيش معامل أبحاثها ومصانعها ، أو الإشراف عليها .

وليس ثمة سوى ضرب واحد من الأمان يوقّينا دمار القنبلة الذرية ، هو الأمن الذى تتيحه لنا سيادة القانون العام . وكل ضرب آخر من الأمن وهمٌ من الأوهام .

وليست القنبلة الذرية ولا أى سلاح تتفتق عنه عبقرية الإنسان ، شيئاً خطيراً فى حد ذاته . والأسلحة إنما تصير خطرة متى وقعت فى أيدى دول ذات سيادة غير الدولة التى تنتمى أنت إليها . فمن الواضح ان رأس الخطر ليس القنبلة الذرية ، بل الدولة القومية .

وإن فى خمسة آلاف سنة مضت لدليلا على أن الحروب تنشب كلما تلاقت جماعات من الناس فى منزلة واحدة من السيادة . ولم يستتب السلام بين طائفة من البشر ، إلا حين وجد قانون واحد ينظم علاقة بعضهم ببعض .

ففى يوم الناس هذا نرى أن جماعات الناس التى تتلاقى ويحتكُّ بعضها ببعض احتكاكا دائماً ، إنما هى الدول القومية .

وإذن فقد وضحت معالم المشكلة : كيف نستطيع أن نمنع الحرب بين الدول القومية ؟

والرأى الغالب هو أنه ينبغى أن ننشىء « هيئة دولية ما » لكى تمنع الحروب . وقد جرّب الناس منذ قرون ضروباً مختلفة من الهيئات الدولية ، ومع ذلك لم نزل نصرُّ على أننا نستطيع أن نقيم نظاماً دولياً صالحاً على « دستور الحقوق » دون « دستور الواجبات » . ودستور سان فرنسسكو لم يبين سبب الكارثة العالمية ، ولا وضح معالم الطريق إلى الحرية الصادقة ، بل يغرى البشر مرة أخرى بأن يسيروا وراء سراب السلام بين الدول ذات السيادة ، عن طريق عقد المعاهدات .

السلام عن طريق القانون
لا عن طريق هيئة الأمم المتحدة

لن تجد فى مجتمع لا يخضع لسلطة القانون رجلا فرداً يأتمن قاضياً أو محكمة أو هيئة من المحكمين ، حتى ولو كانوا من خيار الناس ومن أحناهم على الناس . وأعضاء المجتمع البشرى لا يرضون أن يخضعوا إلا لشىء واحد : هو القانون . وليس

للقـانون وجود بين الدول ، ولا قامت له قائمة فيما مضى ، وقد أبعد عن عصبة الأمم ثم عن هيئة الأمم المتحدة جميعاً .

أما أن نقيم صرح « السلام » على إجماع عدد من الحكومات القومية ذات السيادة — هى الآن الدول الخمس الكبرى — فضرب من الاستغراق فى الوهم . والتاريخ يقيم الدليل القاطع ، على أن الخطر الحقيقى على السلام إنما يأتى من قبل إحدى الدول الحربية الكبرى . ومن الواضح أن أية دولة كبيرة لن تقترع ضد مصالحها فى أى مجلس دولى . وإذن فمن المحال أن تظفر بإجماع الدول الخمس فى مجلس الأمن إذا نجمت أزمة دولية كبيرة . ومتى نشب نزاع خطير من هذا القبيل ، لم يبق أمام الدول القومية الأخرى إلا أحد طريقين : فإما أن تغمض عيونها فتدع حوادث منشوريا والحبشة والنمسا وأسبانيا وتشيكوسلوفاكيا ، تتكرر مرة أخرى، وإما أن تخوض غمار الحرب .

فأمّ المشكلات الدولية ، وهى مشكلة تنظيم علاقات بين الدول الكبيرة ليس فيها خطر دائم يهدّد نشوب حروب كبيرة ، لا يمكن أن تحَلّ ما دامت الدول القومية تتمتع بسلطان السيادة المطلقة. وإذا لم تندمج مجالسها ذات السيادة فى مجالس عالمية تعرب عن سيادة الشعوب جميعاً ، فالنزاع بين الوحدات القومية أمر لا مفر منه .

وفى جميع الخطط التى وضعت لتنظيم العالم ، ترى أن الحكومات القومية لم يزل فى يدها السلطان كله ، ولها الرأى كله ، ولها حق التنفيذ بأسره ، ومنها وحدها التشريع كله . ولن تستطيع هيئة تضمّ هذه الدول ذات السيادة على أساس من المساواة أو المفاضلة ، أن تمنع نشوب حرب أخرى .

ولا فرق بين أن يجتمع وزراء خارجية أمريكا وروسيا وبريطانيا حول مائدة فى مجلس الأمن ، أو خارجه فى مؤتمر لوزراء الخارجية . فإنك تراهم فى الحالين ممثلين أقسموا يمين الولاء لثلاث دول قومية ذات سيادة ، والقرارات فى الحالين ، مرجعها إلى وشنطن وموسكو ولندن . ولا يسع هؤلاء الوزراء إلا أن ينتهوا إلى عقد اتفاقات أو معاهدات ، وليس لهم سلطة سنّ قانون يطبق على جميع الناس فى دولهم القومية.

فليكن همنا نصب الهدف
لا خوف المشقات

فطر النـاس على أن يحجموا عن قبول مبدأ جديد لم تتح لهم فرصة امتحانه ، كمبدأ الحكومة العالمية المتحدة. ونحن نعمل الفكر فى المشاق التى تحول دونه ، لا فى الهدف الذى نرمى إليه فيستدرجنا ذلك إلى جدال

فى التفصيل لا جدوى منه ، ويحول دون تدبر الأصل، ويكف بصرنا عن أن التفاصيل ينبغى أن يدبر أمرها بعد أن تقتنع الشعوب وتتفق على الهدف الأعظم .

فثمة من يجيئنا بإحصاءات السكان يخيفنا بها ، ويصرفنا عن المراد ، فيقول : كيف تستطيع أمة صغيرة أو أمة وسط أن تسمح للصينيين أو الهنود بأن يسيطروا على مجلس التشريع العالمى ؟

والحقيقة هى أن أحداً من الصينيين أو الهنود لم يطلب أن يمثلوا وفقاً لتعداد الشعبين . وسيكون التمثيل فى كل حكومة عالمية وفقاً لما تحمله الأمم من التبعة ، وتبعاً لقوتها وقدرتها الصناعية ومستوى التعليم فيها . وثمة وسائل مجربة تصلح لحل هذه المسألة الفنية .

ولكن الناس يريدون أن يعلموا كيف نأمن أمماً أخرى ، على تعيين الميادين التى يرسل إليها أبناؤهم ليقاتلوا ؟

وهذا السؤال خارج عن صميم الموضوع ، ففى جيل واحد دفع بأبناء الناس مرتين إلى القتال ، بناء على قرار اتخذته ألمانيا واليابان . وليس يسع أحداً أن يقول إن أمريكا وبريطانيا وفرنسا كانت حرة فى أن تقرر أيذهب أبناؤها إلى القتال أم لا يذهبون . والحقيقة أن الأمم اليوم إنما هى كالدمى لا حول لها ولا قوة ، تساق إلى ما تفعله سوقاً بما تفعله أمم أخرى . فعملنا هو أن ننظم العالم وندع السلطان فيه للقانون، حتى ينعم الناس بالسلم والأمن . وإنشاء قوة دولية من الشرطة أمر لازم ولا ريب ، لأن تنفيذ القانون هو الذى يجعل للقانون سلطاناً غالباً . أما أن ننشىء قوة دولية من الشرطة، بغير أن ننشىء قبلها جمعية تشريعية عالمية ، فذلك رأى فاسد .

ألا تقضى الحكومة العالمية على كيان الأمم ؟

إن الأمر على نقيض ذلك ، ولا يقضى على الأمم فى عصرنا هذا إلا قيام الدول القومية. وليس ثمة وسيلة لصون الأمم وثقافاتها الخاصة ، إلا قيام نظام دولى دعامته القانون. فهذا النظام ليس مما يهدد الفروق القومية والثقافية بين الأمم ، بل صار الشرط الأول لصون هذه الفروق ونمائها .

ولولا الاتحاد لأباد الأسكتلنديون الإنجليز أو أباد الإنجليز الأسكتلنديين، كما أباد الرومان قرطجنة ، وكما أباد غزاة الهون روما. وإنك ترى اليوم أن الأسكتلنديين فى نطاق المملكة المتحدة ، أشد تمسكا بنزعتهم الأسكتلندية وتقاليدهم ، والإنجليز كذلك أشد تمسكا بنزعتهم وتقاليدهم، مما كانوا جميعاً قبل الاتحاد.

وأبعث الاعـتراضات على الغيظ هو اعتراض بعض الأقطاب الذين يؤكدون « أن الأمم لم تتهيأ بعد لاتحاد عالمى » .

ترى كيف علموا ذلك ؟ أدعوا إلى اتحاد عالمى ؟ أيؤمنون به ؟ أحاولوا أن يشرحوا للناس أسباب الحرب ووسائل السلام ؟ وهل أبى الناس هذا الحل بعد أن تبينوا الحقيقة ، ثم قرّروا أنهم يؤثرون الحرب بين الدول القومية على السلام القائم على القانون ؟ وإلى أن يتمّ كل هذا وتظهر النتيجة ، يحق لنا أن نرتاب فيما يدعيه هؤلاء الأقطاب .

أنشترك روسيا ؟

إن رغبة الدولة القومية فى أن تأمن على نفسها وعلى كيانها ، هو أكبر باعث على التوسع الاستعمارى . ولم يكن فى روما أحد يريد إمبراطورية أو حرباً ، وإنما كانوا يحبون كل الحب أن يصونوا ما ألفوا من أساليب الحياة ، ولـكن القبائل على حدودهم لم تدعهم وشأنهم ، فدفعتهم رغبتهم فى تأمين ملكهم أن يوسعوا آفاق دولتهم حتى فتحوا كل العالم المعروف فى زمنهم .

وهذه القوة نفسها هى القـوة المحركة فى سياسة السوفيت وسياسة أمريكا اليوم ، فكلتا الدولتين مقتنعة بتفوق حضارتهـا ، ولـكل منهما بلاد فسيحة فلا تحتاج إلى أن تتوسع ، وكلتاهما ترغب رغبة صادقة فى أن تترك وشأنها ، وأن تعيش فى سلام ، وأن تمضى فى الحياة التى ارتضتها وآثرتها .

ولـكن كرة الأرض قد أخذت تتقلص ، وصارت الفلوات الواسعة والمحيطات لا تعد حدوداً مأمونة ، فترى كلتا الدولتين تشعر أنه لا بد لهما من إنشاء دولة مسلحة كبيرة ، ولا بد لها من قهر أعدائها وغزوهم لـكى تظفر بالأمن المنشود . وكذلك نرى الأمريكيين يضمون جزائر تبعد ألوف الأميال عن أمريكا لضمان السلامة ، ونرى الروس يوسعون حدودهم لأغراض الدفاع أيضاً .

ومن العبث أن تتهم إحـدى الدولتين بالنزوع إلى الاستعمار ، فكلتاهما موقنـة أن ما تفعله إنما هو لضمان سلامتها ، كيقينها أن القوة المسلحة المتفوقة فى يد أية أمة أخرى إنما هى خطر على السلام ، فإذا صارت فى يدها هى كانت ضماناً للسلام .

ويقول بعض الساسة إنه من الإجرام أن يذكر أحد من الناس إمكان نشوب حرب بين الفئة الروسـية والفئة الإنجليزية الأمريكية ، أما أنا فأعتقد أنه من الإجرام أن نغفل عن ذكر ذلك . فينبغى أن تتبين شعوب الأرض خبر القوى التى تدفعهم إلى تصادم متوقع . وليس لذلك صلة ما بالشيوعية أو الرأسمالية ، أو الفردية أو الاشتراكية ،

وما هو إلا تصادم لا مفرّ منه بين سيادات متلاصقة ولكنها غير مندمجة .

فإلى أى حدّ نستطيع أن نرجو قيام حكومة عالمية قبل أن تنشب الحرب المقبلة ؟ إنه رجاء ضعيف . ولنفرض أننا بسطنا المشكلة بسطاً وافياً للشعوب الديمقراطية ، أفمن المحتمل أن ترضى روسيا السوفيتية عن الاقتراح ، وأن تشترك معنا فى هيئة حكومية عامة ؟ أعتقد أن الجواب هو : لا . أفهو ممكن ؟ ربما . ولكن إذا لم يتمّ هذا كانت العاقبة حرباً تدمر جميع حريات الفرد وتقيم الحكم الجامع — إما حكمنا وإما حكم روسيا — وهذا أمر لا يدع مجالا للتردد فى عمل ما ينبغى أن يعمل .

ماذا نستطيع أن نفعل اليوم ؟

كيف يكون السعى إلى إقامة السلام على أساس القانون ؟

ليس ثمة ما هو أعقم من الاهتمام بوضع خطط مفصلة لدستور الحكومة العالمية ، فإذا فعلنا عاقنا ذلك عن التقدم . ولو انصرف الاهتمام ، يوم كانت الديمقراطية فى مهدها ، إلى كتابة دستور ديمقراطى مفصل يمثل جوهر الديمقراطية ، ثم عرض على الناس لكى يوافقوا عليه، لما قامت دولة ديمقراطية ما فى أى ناحية من هذه الأرض .

إن التاريخ لا يسير على هذا النمط . وقد كان مؤسسو الديمقراطية أحكم وأرشد ، فقد وضعوا أولا طائفة قليلة من المبادىء ، فأثرت فى نفوس الناس واستفزت حماستهم ، فلم يلبثوا أن أيدوا هذه المبادىء وحرضوا ممثليهم على أن يحولوا هذه المبادىء أمراً واقعاً ، وأن ينشئوا الأداة اللازمة لنظام يكون شريعة دائمة . أما الدساتير فقد تمت المناقشة فيها بعد قبول المبادىء العامة وتفويض الممثلين ، لا قبل ذلك . وكذلك نرى اليوم أن النظم الديمقراطية تختلف فى تفاصيلها اختلافاً كبيراً ، ولكنها متحدرة جميعاً من مبادىء متماثلة .

والديمقراطية فى الولايات المتحدة تختلف عن الديمقراطية البريطانية . والديمقراطية الفرنسية تختلف عن الديمقراطية الهولندية . وللديمقراطية السويسرية منشآت تتباين تبايناً عظيما عن منشآت الديمقراطية السويدية، وعلى الرغم من اختلافها فى التفاصيل، تراها جميعاً نظماً تصلح للحكم الديمقراطى، يتمثل فيها المبدأ الاجتماعى الديمقراطى الأصيل : مبدأ سيادة الشعب كما كان مفهوماً منذ قرن ونصف قرن .

أما فيما يخص إنشاء نظام ديمقراطى عالمى دعامته القانون ، فإننا لم ندرك بعد المرحلة التى ترسم فيها الفكرة ، ولا صغنا المبادىء

العامة . فأمامنا خمس مراحل فى الطريق المفضى بالناس من الفرض الذى نتمناه إلى التحقيق ، وهى :

١ — تصوير الفكرة وإعلان المبادىء .

٢ — نشر المذهب كما نشر المذهب الديمقراطى وغيره من المذاهب التى ذاعت بين الناس .

٣ — انتخاب ممثلين وتفويضهم أن يضعوا المبادىء الجديدة موضع التنفيذ .

٤ — يتعين على هؤلاء أن يتناقشوا فى البرامج ، ويتجادلوا فى التفاصيل ، وأن يقروا ما ينبغى لتنظيم حكومة عالمية تمنع الحروب بين الدول القومية .

٥ — فإذا ما تم هذا العمل الدستورى وجدنا حلولا كثيرة صالحة ، على تفاوتها وتباينها .

وهذا هو نمط التاريخ فى سيره ، وعلى هذا النحو تم وضع الدساتير الديمقراطية فى القرن الثامن عشر .

ولا ينبغى أن يفتّ ذلك فى عضد الناس ، ففى عهد الناس هذا ، نجد الصحف والأفلام والإذاعات فى متناول جميع سكان الأرض المتحضرين . وإذن فعشر سنوات ينبغى أن تكون كافية لنجاح الجماعة التى تدعو إلى مبادىء السلام والقانون العام .

والحركة التى لا بد منها لإنشاء حكومة عالمية ، ينبغى أن تستمد قوتها من جميع بلاد الناس . فليس لنا غنى عن أن نجد فى أكثر من بلد واحد ، قوماً يتوقون إلى النهوض بهذا العمل . وثمة دليل على وجودهم ، ففى ٢٣ نوفمبر ١٩٤٥ ألقى إرنست بيفن وزير خارجية بريطانيا خطبة تاريخية ، أعرب فيها عما يساوره من قلق عن « خيبة أمل الناس مرة أخرى » فيما أنجزه مؤتمر سان فرنسسكو فقال :

« أرى قوة لا تقهر تدفعنا فى هذا الطريق ، فنحن فى حاجة إلى دراسة جديدة من أجل إنشاء جمعية عالمية تنتخب أعضاءها جميعاً شعوبُ الأرض ، وتكون حكومات الأمم المتحدة مسئولة أمامها . فتسن القوانين العالمية التى تقبلها شعوب العالم ، وتشعر فى دخائل نفوسها أنها مقيّدة بتنفيذها . وأنا مستعد أن أجلس مع أى امرىء من الناس ، من أى حزب ، ومن أية أمة ، لنحاول أن نضع دستوراً لجمعية عالمية لها غرض محدود — هو صون السلام » .

وليس ثمة طريق مختصرة إلى هذا الغرض فينبغى أن يدرك الناس دقائق المشكلة ، وأن يقرروا : أيريدون السلم أم الحرب ، وأن يفرضوا إرادتهم على ممثليهم .

ولو هبط على أرضنا سكان سيّار آخر وهدّدونا بالفتح ، لاتحدت أمم عالمنا هذا

الصغير ، ولننسينا وجوه النزاع الدولى السخيف ، ولقبلنا بملء إرادتنا سلطان قانون واحد لكى نذب عن كياننا . أفيدور فى خلد أحد أن يكون الدمار الذى يحيق بنا فى حرب عالمية ذرّية ، أيسر من ذلك خطراً على الحضارة والبشر جميعاً !

وليس أمامنا سوى زمن قصير حتى نتخذ ما يلزم لمنع الحرب التالية ، فينبغى لكل من يؤمن بسلطان القانون فى صلات الدول بعضها ببعض ، أن يقنع عشرة غيره بما يؤمن ، وأن يحثهم على أن يقنع كل منهم عشرة آخرين — دون إبطاء . فعلماء نواة الذرّة قد بينوا لنا أن الطاقة الذرية تنطلق بما أطلقوا عليه وصف «التفاعل المتسلسل» فهذه ذرة واحدة تنشطر ، فتنقذف منها دقائق تشطر ذرات أخرى،وهكذا دواليك. وقوة الرأى تتفجر وتنتشر على النمط نفسه .

فينبغى أن نقنع أكبر عدد ممكن من الصحف بأن تأخذ بمبدأ الاتحاد العالمى فى السياسة التى تصدر عنها فى مقالاتها الافتتاحية . وينبغى أن يذاع هذا المبدأ فى الراديو والسنما إذاعة لا تنقطع ، وأن يناقش الموضوع فى جماعات تعقد للبحث ، وفى الاجتماعات العامة وعلى ظهور المنابر ، وينبغى أن تدوى فى بيوت الله أصداء هذا المذهب العالمى،والحاجة الملحة إلى قانون عالمى عام ، وأن تدرّس تفاصيل هذا الرأى العالمى فى شئون السياسة والاجتماع فى المدارس جميعاً . ويجب أن لا ينتخب أحد لمنصب عام إلا إذا قطع عهداً على نفسه بأن يبذل غاية جهده لمنع الحرب المقبلة ، بإنشاء سلام قائم على القانون وحكومة عالمية .

وينبغى أن يرتفع على الفور فى كل بلد ، صوت مدوّ يعبر عما يجول فى نفوس الناس من رغبة ملحة لا تقاوم. ومتى أعرب الناس فى بلدين أو أكثر إعراباً واضحاً عن إرادتهم ، وجب أن يبدأ العمل من أجل الوحدة فى أقرب فرصة مستطاعة . وحسبنا أن يتم الاتحاد بين بلدين وحسب ، فليس ثمة حجة أدنى إلى إقناع الناس من الحجة القاهرة — حجة الواقع . وليس ثمة ريب فى أنه إذا ما بدأ عمل التوحيد الدولى، فلن يلبث أن يبلغ من شدة الإغراء مبلغاً يدفع الأمم دفعاً مطرداً إلى الانضواء تحت لوائه ، حتى يجىء يوم يضطر الأمم ، أمة بعد أمة ، إلى حكومة عالمية متحدة .

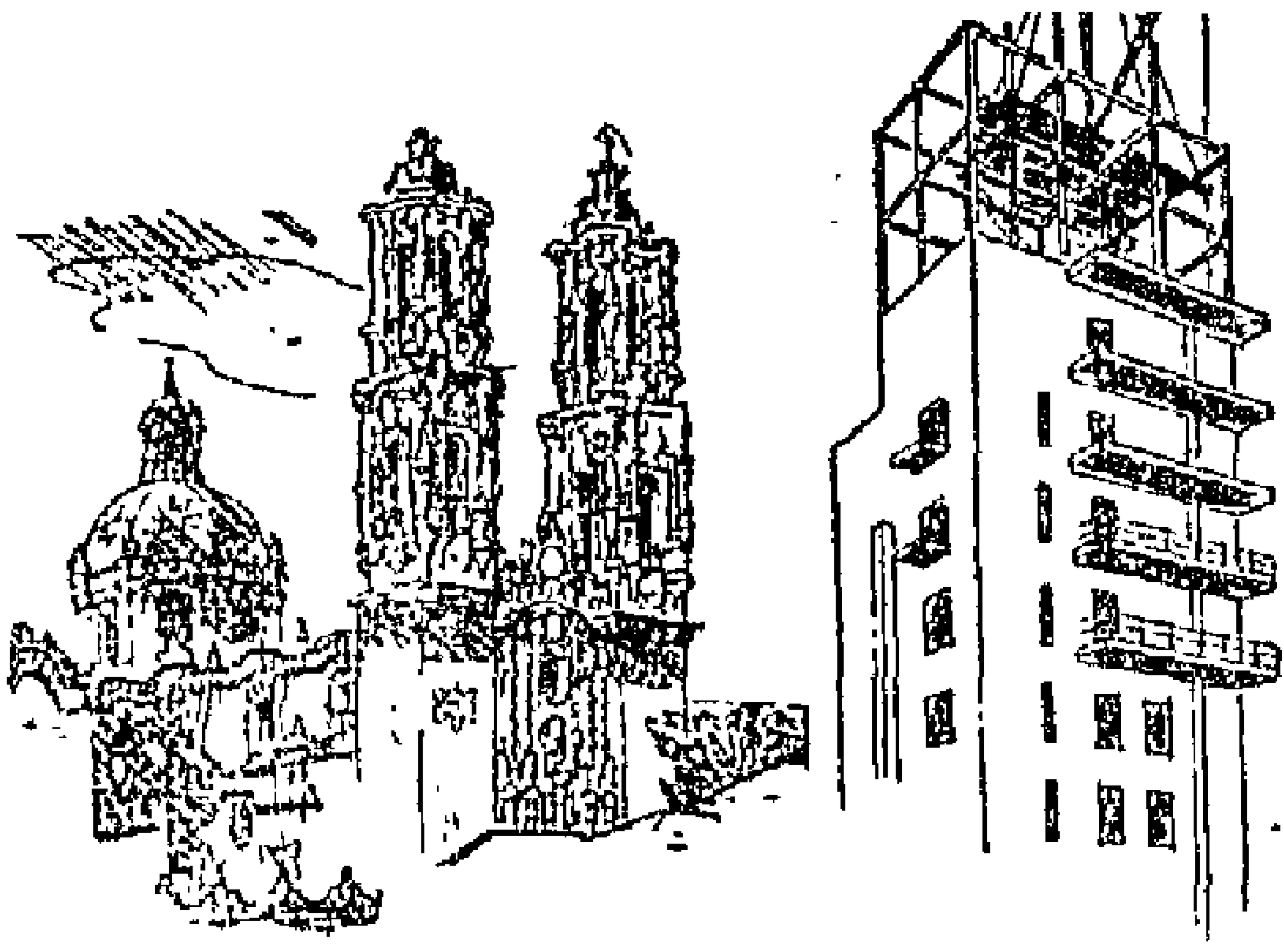


نهضة صناعية تغير معالم بلاد قديمة

حياة جديدة في المكسيك القديمة

ميشيل سكالي

مختصرة من مجلة "زي پان أمريكان"



إذا دخل السائح اليوم عاصمة المكسيك وهو يتوقع أن يرى المدينة القديمة الفاتنة الهادئة كما تصورها له إعلانات السياحة ، كان خليقاً أن يجد في رحلته مفاجآت شتى . فهو لا يزال يرى مواضع تتمثل فيها سكينة الحياة في القرن الثامن عشر ، من كنيسة تُضاء بالقناديل ، وميدان وارف الظلال ، وأبهاء ذات أعمدة عليها سقوف معقودة ، غير أنه تحيط بها جميعاً مدينة صاخبة مزدحمة بالسيارات ، تكثر في جنباتها هياكل من صلب لمبان أوشكت أن تتم ، ويرى عمالا يشقون طرقاً جديدة في أحياء متلاحقة . هذه أقدم مدينة في أمريكا الشمالية قفزت فجأة إلى مصاف مدنها الكبرى وقد كان تعدادها في سنة ١٩٣٠ مليون نسمة وهو اليوم يبلغ مليونين على الأرجح .

ويرى السائح بعض المكسيكيين يشترى قميصاً بسبعة ريالات أو قبعة بعشرين ريالا أو يدفع ٥٠ ريالا ثمناً لحلة غير نفيسة ، ويجد إخواناً لهم يسكنون أكواخاً رثة ، عجزاً عن كراء مأوى نظيف وإن حقر . وسيقرأ أيضاً عن إضراب المستأجرين ، وعن نفاق السوق السوداء ، وعن كثرة الجرائم التافهة . ثم يسمع أيضاً عن قلة الأيدى العاملة ، وعن نهضة صحية عظيمة ، وعن مشروع لتوزيع المياه العذبة أوشك أن يتم وبلغت تكاليفه ملايين الريالات ، وعن رواج المسرح وأندية الليل وحلبات السباق .

وتفسير هذه الظاهرة المحيرة يسير ، فالمكسيك التى تكتسحها اليوم ثورة صناعية تأخرت عن حينها أمداً طويلا ، قد أتيح لأهلها ما لم يتح لكثير من الأمم ، وذلك أنهم يتداولون اليوم بينهم عملة كثيرة رخيصة السعر . وهذه الظاهرة تتجلى في بعض مدنها الكبيرة ، ولكن عاصمة البلاد هى مركز هذه الظاهرة ومجلاها ، فقد احتشد فيها ٧٠ في المئة من صناعات جديدة عددها ٤٠٠ صناعة :

والأثر المباشر لهذا الانقلاب هو التضخم الذى يجلب الربح الوافر لقليل من الناس ، ويحمل البؤس إلى أكثرهم ، غير أن المكسيك إذ عالجت مشاكلها بالأسلوب الذى

آثرته ، فستكون العاقبة أن ينشأ فيها شعب قوى، يمهد الطريق لسائر أمريكا اللاتينية .

إن نهضة المكسيك اليوم نهضة عنيفة ، لأنها كبحت طويلا ثم أطلقت من أغلالها إطلاقا مفاجئاً . وكانت النهضة الصناعية قد بدأت أو كادت يوم حالت دونها ثورة ١٩١٠ فأخرتها عشر سنوات ، ثم جاءت الأزمة العالمية فى ١٩٣٠ فعوّقت مسيرها ، ولم تستأنف نهضتها الحقيقية إلا بعد ١٩٣٥ .

ومن التناقض البين أن يكون الرئيس لازارو كارديناس ، أكثر زعماء المكسيك خصوما وأنصاراً ، هو الذى دفع المدن والمصانع فى سبيل النهضة ، وأن يكون هو أيضاً الذى وضع العقبات التى تعوق فى هذه الأيام تقدمها فى طريقها الممهد .

زعزع كارديناس أسس الاقتصاد القومى بأن نزع الملكيات الواسعة جملة واحدة من أيدى أصحابها ، لينشىء مزارع مشتركة للفلاحين . ولم تزل ثروة المكسيك مستمدة أبداً من ثرى تربتها ، ولم يزل من دأب الملاك أن يحتكروا كل مورد آخر يدرّ المال ، إلا أنهم بعد أن انتزعت منهم أرضهم جهدوا حتى استنقذوا ما استطاعوا من أموالهم ، واستثمروها فى بناء العمارات فى المدن ، وفى التجارة والصناعة . وهذا هو سر الظاهرة التى جعلت تتفشى فى عاصمة المكسيك.

وقد جعل كارديناس السكك الحديدية وآبار الزيت وسائر الصناعات ملكا للأمة ، فأنشأ من أجل ذلك طبقة عظيمة من الموظفين ليتولوا إدارتها . فصار فى العاصمة آلاف من الموظفين تشتد حاجتهم إلى المساكن والغذاء والمدارس والملابس وغيرها .

وأعقب ذلك أمراً لم يكن منتظراً ، فقد ظفر عمال المدن الذين تعضدهم الحكومة، بقدر عظيم من زيادة فى الأجور وتحسن فى أحوال العمل . غير أن المشروع الضخم الذى أريد به بذل المعونة للفلاح مُنى بالخيبة ، فبدأ الفلاح التعس ينزح إلى المدن، فكثرت الأيدى العاملة واشتدت البطالة .

ولكن من نعمة الله على المكسيك أنها لا تكاد تكبو حتى تقف على قدميها ، فقد حملت إليها الحرب الإسبانية واضطهاد هتلر جمهرة كبيرة من اللاجئين ، وكان كثير منهم مزوداً بالمال والمهارة الفنية ، فأنشأوا أعمالا جديدة استنفدت فيض العمال العاطلين. وما وافت سنة ١٩٣٩ حتى صار السياح الأمريكيون ينفقون فيها ٥٣ مليون ريال كل سنة ، فدفعوها إلى التوسع فى إنشاء الفنادق وتمهيد الطرق ، فانتشرت وازدهرت صناعة الفضة وسائر الصناعات اليدوية الأخرى .

ثم شبت الحرب العالمية الثانية فاضطرت

المكسيك إلى أن تصنع أشياء كثيرة كانت تستوردها فيما مضى ، ولجأت حكومة الرئيس أفيلا كاما كو فى مستهل عام ١٩٤١ إلى إعفاء أصحاب المصانع الجديدة من دفع الضرائب ورسوم الاستيراد خمس سنوات ، وذلك بغية إنعاش الصناعة .

وقد كان لهذا الاتجاه أثر عظيم فى رخاء المكسيك ، فغمرتها رؤوس الأموال التى كانت تفرّ من أمريكا تخلصاً من الضرائب ، وعادت أيضاً إلى السوق تلك الأموال التى اختفت فى حكم كارديناس ، وظهرت ملايين الأموال فى ميادين الاستثمار من جراء إقبال أمريكا على شراء مواد الحرب .

وبدأت المصانع تنتشر أبنيتها فى المراعى المحيطة بالعاصمة ، وأمدّت الحكومة مثل هذه المؤسسات بالمال الوفير ، فأنفقت ١٠ ملايين ريال فى بناء مصنع للصلب ، ومبالغ أخرى على إنشاء مصنع لتكرير الزيت ومشروعات لتوليد الكهرباء . وقد بلغت الأموال الخاصة المستثمرة فى الصناعات ٣٢ مليون ريال فى ١٩٤٤ ، فصارت فى ١٩٤٥ إلى ما يقرب من ٦٠ مليون ريال . وقد أقدمت المكسيك فى سبتمبر الماضى على أعظم مغامرة صناعية ، إذ تضافرت شركة وستنجهاوس للكهرباء وأصحاب المصارف فى أمريكا والمكسيك ، على تأسيس شركة رأس مالها ١٥ مليون ريال لإنشاء مصنع كبير ، فاشترت ١٦٠ فداناً على مقربة من مدينة المكسيك . ومن المنتظر أن يخرج المصنع الجديد ، قبل نهاية ١٩٤٦ ، مصنوعات من الراديو والثلاجات الكهربائية والمكاوى وآلات غسل الملابس وضروب مختلفة من سائر الأدوات . ونسبة المساهمين فى هذه الشركة هى ٥١ فى المئة من أهل المكسيك ، و ٤٩ فى المئة من أهل أمريكا .

وهذه الصناعات الكبيرة التى تدل على ثقة الأجانب فى مستقبل المكسيك ، ليست أكبر دلالة على نهضتها من ذلك النمو العجيب فى الصناعات المحلية . فقد كان جل إنتاج صناعة السينما لا يعدو فلمين اثنين غير متقنين فى سنة ١٩٣١ ، ولكنها أنتجت فى ١٩٤٤ ثلاثة وثمانين فلماً ، وبلغ دخل البلاد من هذه الصناعة ٧٦ مليون ريال ، وهى اليوم ثالث مصدر من مصادر الدخل القومى . وبلغت صناعة الأوانى الفضية والمنسوجات حداً لم يكن يحلم به أحد منذ عشر سنوات وحسب .

ولكن نهضة الصناعة والعمران لم تستنفد الأموال الجديدة التى تتدفق على المكسيك ، وذلك لصعوبة الحصول على بعض المواد والآلات . ولا يزال السياح الأمريكيون ينفقون كل أسبوع فى المكسيك مليونى

ريال ، وقد أرسل عمال الحرب من أهل المكسيك المقيمون فى أمريكا ، إلى بلادهم ٥٥ مليون ريال . وقد تضخمت حسابات البنوك المحلية من جراء إقبال أمريكا على شراء مواد الحرب، وفى مصارف المكسيك اليوم ودائع معطلة تبلغ ٣٥٠ مليون ريال .

وقد أصبح تضخم النقد أمراً محتوماً من جراء تكدس الأموال وقلة ما يشترى، بالرغم من الجهود التى تبذلها الحكومة فى دفع التضخم ، وقد صارت قيمة العقارات عشرة أضعاف ما كانت عليـــه فى ١٩٣٥ ، كما ارتفعت أسعار أسباب الترف ارتفاعاً هائلا. وإذا تجاوزنا ذلك الترف الذى ترفل فيه طبقة المحدثين من أهل اليسار والمضاربين وتجار السوق السوداء ، رأينا معيشة سائر الأهلين قد زادت بؤساً على بؤس ، فالمرتبـات والأجور لم تزد بما يناسب تكاليف الحياة التى زادت ٤٠٠ فى المئـة فى بحر عشرة أعوام . ففى العاصمة مثلا ترى سعر غذاء الجمهور ، كالحبوب واللحم الرخيص ، قد ارتفع حتى صار يزيد ضعفين ونصف ضعف عما كان عليه فى ١٩٤٠ .

فالمكسيك اليوم فى فزع مقيم بيّن . دع عنك أمر الأسعار ، وانظر إلى طعام لو التمسته لم تجده . فهذه المزارع لا تسد حاجة المدن . حتى صار لزاما عليهم أن يستوردوا الذرة وهى رأس غذائهم ، كما يستوردون القمح والسكر واللحم وسائر ما يحتاجون إليه.

ويرد النقاد هذه الحالة إلى الهزة الزراعية العنيفة التى أحدثها كارديناس . وقليل منهم من يخالفه فيما رمى إليه — أن تكون الأرض للفلاح ، غير أن رجال الحكومة والفلاحين لم يكونوا منذ ست سنوات على استعداد لتقبل هذا الانقلاب ، يوم أنزل كارديناس ٥ ملايين فلاح فى المزارع المشتركة . فلم تستطع الحكومة يومئذ أن تزود المزارع بالمال أو تعزز المشروع بالمعاونين المختصين أو رجال الإدارة الأمناء، ولم يدرك الفلاح الأمىّ المغبون مرامى هذا المشروع المعقد ، فقل ما يبذله من معونة على تحقيق أغراضه . وقد نجحت بعض المزارع التى أديرت إدارة حسنة ، غير أن العاقبة كانت فوضى ضربت أطنابها فيها .

ومما زاد الطين بلة سياسة كارديناس التى أحالت السكك الحديدية ملكا للأمة. فقد نشب النزاع من جرائها بين الساسة وزعماء العمال . فاختل نظام القطارات . ولكن مساعدة أمريكا للمكسيك سدت شيئاً من هذا النقص، غير أن المعدات اللازمة للنهضة الصناعية لا تزال عزيزة المنال .

ولكن هنـاك بعض الأسباب التى تحى

الأمل فى المستقبل ، فقد ظفرت البلاد لأول مرة فى تاريخها بالمال الذى يحقق لها آمالها فى النهوض والتجديد. والحكومة اليوم ترحب بالأموال الأجنبية التى تستثمر فيما ينفع البلاد، وقد وعدت أن تحرص على انتهاج هـذه السياسة فى المستقبل . وقد بدأت الحكومة منـذ عام ١٩٤٠ تضع أساساً ثابتاً لزراعة حديثة تكفل تعزيز الصناعة ، فقد زادعدد الفلاحين الذين صاروا ملاكا مستقلين بعد أن كانوا عالة على الحكومة ، وتحسنت المعدات وأساليب التدريب الزراعى ، وبدأ تنفيذ مشروعات للرى يرجى أن تضاعف مساحة الأرض التى تصلح للزراعة .

وهنـاك مشروع آخر يجب أن يساير تطور الصناعة وهو مشروع توليد الكهرباء. ففى المكسيك مناجم فحم قليلة ، أما البترول فكثير، ولكن جبال المكسيك تجعل توزيعه بالأنابيب أمراً غير يسير . وإذن فلا بد للصناعة من أن تعتمد على الكهرباء المولدة من مساقط المياه لكى تظفر بالقوة المحركة . ومن أهم ما أعان عاصمة المكسيك على أن تصير مدينة صناعية ، هو إنشاء ثلاثة مصانع لتوليد الكهرباء ، فزادت القوة الكهربائية المتاحة ٥٠ فى المئة . وهذا الذى تم قليل من كثير يُرجى أن يتم . فالآن وقد أصبحت الأدوات قريبة المنال ، تراهم أعـدوا مشروعا لتوليد الكهرباء من ستة أنهر .

والمكسيك تعلم حق العلم أن نهضتها فى المستقبل تتوقف على زيادة الطرق الممهدة والسكك الحديدية، وقد شرعوا فى مد خط حديدى يصل ولاية يوكاتان الغنيـة بسائر البلاد، وسيمتد خط آخر من الشمال الغربى إلى المحيط الهادى . وقـد مهدت منذ عهد قريب طرق أخرى يبلغ طولها ٦٠٠ ميل .

وقد خففت وطأة القوانين الشديدة التى كانت تحول دون الانتفاع بالخبراء الأجانب ، بغية الإسراع فى تحويل المكسيك إلى دولة صناعية ، فترى اليوم خبراء من الأجانب يتولون توجيه كثير من المصانع الجديدة ، ويقومون أيضاً بتدريب شبان البـلاد على مثل هذه الأعمـال . وقد أرسلت طائفة كبيرة من رؤساء العمال إلى مصانع الولايات المتحدة لينالوا حظاً كاملا من التدريب ، وأخذت المكسيك تخرج مهندسيها وعلماءها وخـبراءها الفنيين . وكثر الإقبال على الدراسات العلمية والهنـدسية فى الجامعة الأهلية ، وقد أنشىء أخيراً فى العاصمة معهد لدراسة الهندسة وفنونها المختلفة .

وهذه النهضة الصناعية العظيمة خليقة أن تجعل هذه البلاد القديمة بلاداً جديدة تكفل الرخاء لأهلها ، وتبادل جيرانها المنافع ، وتعمل على استتباب السلام بينها وبينهم .

يدير تلاميذ هذه المدرسة شركة تأمين خاصة بهم ، ومصرفاً ومتجراً ، ويدفعون ضرائب ، ويرى رجال التربيـة فى ذلك مايدهشهم .

الصغار يحبون هذه التربية

لورنس ن . جالتون

مختصرة من مجـلة "سـترداى إيفننج بوست"

منذ عهد قريب زادت حوادث الدراجات فى بلدة وينتكا فى ولاية إلينوى، فلما لم يعن أحد من كبارها بالأمر ، هبت جماعة من الصغار فى مدرسة سكوكى فتولت الأمر بنفسها ، فأجرت بحثاً دقيقـاً تبينت منه أن ٧٥ فى المئة من الدراجات التى يركبها التلاميذ إلى المدرسة، ليست مزودة بالمعدات التى تكفل سلامة ركابها، وأن معظم الركاب قليلو المبالاة، ويجهلون قانون مجلس البلدة، وأن البلدة ليس فيها قانون واحد ينظم أمر استعمال الدراجات ، وأن القوانين العـامة الخاصة بالمركبات والسيارات عزيزة المنال، وأن عبارتها إن وجدت مما يشق فهمه على الصغار .

وعرض الصغار ماتبينوه على كبار البلدة، فقال لهم رئيس لجنة الأمن العام فى مجلسها: « سيروا على بركة الله ، وضعوا لنا نص قانون جديد » .

فزاروا أقسام الشرطة فى المدن والقرى المجاورة، ودرسوا مخاطر المرور التى يتعرض لها الناس، وعقدوا اجتماعات لأخذ الرأى، ثم وضعوا نص القانون، وقدموه إلى مجلس القرية، فوافق عليه وأصدره . وترى الصغار اليوم ساهرين على تنفيذه ، ولا يحدث فى بلدة وينتكا من مصادمات الدراجات سوى عدد قليل .

وهذا الذى حدث فى أمر الدراجات ، هو مثل واحد وحسب ، حمل أهل وينتكا ورجال التربية فى البلاد كلها على الدهشة والاهتمام . وتجـد وراءه ، تطوراً رائعاً فى التربية ، يعرف باسم مشروع مدرسـة سكوكى .

ليست هذه المدرسة مدرسة وحسب ، بل هى مجتمع مصـغر ، فتلاميذها الذين تتفاوت أعمارهم بين ١١ سنة و ١٤ سنة ، لا يحضرون فصولا للدرس بالمعنى المألوف ، بل تراهم منهمكين فى شئون التجـارة والإدارة.. والمشروعات التى يشرفون عليها كالمصانع وتربية الماشية ، ومخزن التعاون وشركة التأمين والمصرف ، إنما هى مثال لما تراه فى كل جماعة فى العالم .

وقد بدأ كل ذلك منـذ ست سنوات ،

فى اجتماع عقده ٥٥ من رؤساء الطلاب ، فروى لهم يومئذ رئيس لجنة المطعم ، كيف وقعت الصحون من أيدى فاتين وقت النداء وتكسرت فأعولتا واضطرتا أن توفيا ثمنها. ومثل هذا يحدث كل يوم ،فإذا صوت يرتفع من أحد الحاضرين : « نريد تأميناً » . فأنشئت لجنة لتنظر فى الأمر ، وعين أحد المدرسين مشرفاً عليها ، وجعل والد أحد التلاميذ مستشاراً لها. فقد كان وكيلا لشركة تأمين ، وما هى إلا أسابيع من التدبير والتنظيم ، حتى أنشئت « شركة تأمين تعاونى » .

وقد حددت الأقساط على أساس ما كان معروفاً فى المدرسة من عدد الصحون التى تتكسر ، وفرض على كل مشترك أن يوفى ٢٠ فى المئة من ثمن ما يكسره منها ، وتتولى الشركة تسديد الباقى . ثم تقدمت الشركة بخطة لمنع الحوادث التى تقع فيها الصحون وتنكسر ، فإذا معدل ما يكسر منها قد نقص نقصاً كبيراً ، فخفض قسط التأمين إلى النصف . وترى اليوم نصف التلاميذ مشتركين فيها ، والشركة نفسها تسدد كل ثمن الصحون التى تكسر ، وتوزع على أعضائها شيئاً من الربح أيضاً .

وقد تفرع على هذا العمل النافع أعمال أخرى نافعة ، ففى فصول الدراسات الاجتماعية ، كان الطلبة لا يعبأون شيئاً بأصول التأمين وتنظيمه ، فإذا هم يطالبون بالتعمق فى دراستها ، وإذا معرفتهم بقواعد اللغة كلاماً وكتابة قد تحسنت تحسناً كبيراً . ذلك بأن كتابة دستور لشركة تأمين يقتضى دقة وإحكاماً فى اختيار الألفاظ ووضعها فى مواضعها .

وتبين مجلس المدرسة ومدير التعليم فى المنطقة مغزى ما حدث وخطره ، فتركوا الصغار وشأنهم ، فظلت مقاليد الأمور فى أيديهم حتى فى المعضلات .

فقد أنشئت شركة غرضها أن تصنع الحبر وتبيعه للتلاميذ ، فاعترضتها صعاب يشق تذليلها على الصغار الأغرار ، وقد كان خليقاً بالمدرسين أن يتدخلوا ليعينوهم ، ولكنهم لم يفعلوا .

ويقول الفتى جون كاولى : « انتخبت أميناً للصندوق ، ولم يعن أحد بأن يبين لى ما ننفقه من المال على شراء المواد ، ولا ما يدخل الصندوق من بيع الحبر ، فظلت دفاتر حسابنا مضطربة ، ولم أظفر بضبطها وموازنتها إلا بشق النفس » .

وقد لقى صغار آخرون متاعب فى استنباط صيغة لتركيب الحبر ، أو ابتكار أساليب نافعة لإنتاجه ، ولكنك ترى هذه الشركة اليوم تصنع نوع الحبر الذى انفردت بصنعه ، وتصنع أيضاً غراء ، ومادة مطرية للوجه ،

وعطراً وأشياء أخرى . وكل ما تصنعه يقبل عليه الطلاب وآباؤهم والمدرسون وعملاء المخزن التعاونى ، أعظم إقبال .

ومن أعمال سكوكى ، شركة للمواشى يديرها الصغار ويعاونهم فى إدارتها أحد المدرسين ، تربى الفراخ والأرانب والأرانب الهندية وتبيعها ، وتصنع الأقفاص وتبيعها أو تؤجرها ، وتعد العلف الصالح للحيوانات الأليفة وتبيعه ، وتدرس أساليب علف المواشى وتربيتها والعناية بها وتذبيحها ، ولها فرعان فى مدرستين أوليتين .

ثم هناك مكتب حكومى يديره مجلس طلبة المدرسة ، يحض الناس على دراسة النبات والحيوان ، وتربية النحل وتحضير العسل ، ومكتب آخر لاستنبات الشجر ، وغرضه أن يزود المدرسة والأهلين بالفسائل التى يحتاجون إليها .

وطلاب مدرسة سكوكى ومدرسوهم يريدون أن يظلوا على صلة بتطور الأعمال ، فيزورون ٣٠٠ محلة فى منطقة شيكاغو ، يذهبون إليها فى سيارة كبيرة للمدرسة ، وقد ركب فيها مكبر للصوت ، فيتخذون داخلها حجرة للمناقشة فيما يهمهم فى ذهابهم وإيابهم .

وهؤلاء الصغار مواطنون فى عالم لم يمنعه صغره من أن يكون عالماً حقيقياً . وقد فرضوا على سكانه ضرائب كما تفرضها هيئات الحكومة . فقد لاحظوا أن هناك من يعبث بالدراجات المرابطة فى فناء المدرسة ، فتم الاتفاق على تعيين حارس من التلاميذ وأن يدفع له أجر . فاقترحت لجنة الدراجات أن تفرض ضريبة قيمتها قرشان على كل من يستعمل دراجة ، فوافق مجلس الطلبة .

وتودع هيئات الطلبة جميعاً ما لها فى مصرف المدرسة ، وتستعمل الشيكات فى جميع صفقاتها . وقد أنشىء فى المدرسة اتحاد لعقد القروض ، ومنذ عهد قريب كتب رئيسه ، وهو طالب فى الحادية عشرة مقالا عنه فى مجلة تصدر فى ولاية مينسوتا . فقال : إن الطالب يعطى سنداً لقاء كل أربعة قروش يودعها فى الاتحاد ، وله أن يقترض نصف ريال بغير ضامن ، وثلاثة أرباع ريال إذا ضمنه ضامن . ولا يطالب أحد برهن ، فأخلاق الطالب هى الرهن . وقد عقد ٥٧١ قرضاً فى السنة الماضية فسددت جميعاً ، وبلغت فوائدها أحد عشر ريالا ونصف ريال . وبلغت الضرائب التى دفعها الاتحاد إلى مجلس الطلبة ثلاثة ريالات وثلاثة أرباع ريال . وقد اعترض رئيس الاتحاد فى مقاله على الفائدة ومقدارها .

ويغلب أن ينظر فى المسألة هذه السنة . ففى كل سنة يعاد فحص الدستور ، وقد يفسر

تفسيراً جديداً أو يعدل أحياناً .

ويرى توماس إليوت الأستاذ فى جامعة نورث وسترن : « أن دستور سكوكى يجمع بين المثل الاجتماعية العالية ، وقواعد العمل النافع . فالطلبة يتعلمون أن يعدوا أنفسهم للنهوض بالتبعة فى مدينتهم أو ولايتهم ، وقانونهم يحتوى مختصرات من كل قانون محلى ينبغى أن يعرفه كل إنسان ويطيعه . وقد تعلمت أنا نفسى شيئاً كثيراً منه » .

وما يتم فى سكوكى اليوم ، لا يتم كله بغير مشقة ، فبعض المتحفظين من الآباء اعترضوا قائلين : « إن مدرسة سكوكى اليوم ليست تلك المدرسة العظيمة التى عهدناها » . ولكن مفتش المعارف فى المنطقة يقول: « إن نفع المدرسة آت من أن ماتؤديه أوسع نطاقاً من المقرر الدراسى المعهود فى المدارس . والصغار يحبون هذا الضرب من التربية » . وتقول أحد الصغار : « إن الفصل فى مدرسة سكوكى ليس سجناً والمدرس ليس بعبعاً ، بل الفصل عندنا مسلاة محببة » .



سر العافية فى الزواج

ذهب شيخ فى الخامسة والسبعين إلى طبيبه وطلب منه أن يفحصه فحصاً عاماً دقيقاً ، ففعل ثم التفت إليه وهو يبتسم وقال : إن صحته على ما يرام . ثم سأله : أسرت على نظام خاص فى المعيشة يفسر ماتتمتع به فى هذه السن من صحة وعافية .

فقال الشيخ : لما تزوجت منذ خمسين سنة اتفقت أنا وزوجتى على أن تلتزم الصمت إذا احتملنى الغضب فجعلت ألومها وأعنفها . واتفقنا أيضاً على أن أغادر البيت حين تصير هى كذلك . وقد مرت خمسون سنة تمتعت فى خلالها بقسط وافر من العيش خارج البيت ، وهذا ، ولا ريب ، سر ما أتمتع به من صحة وعافية .

[مستر باتريك هنرى أدامز]

وهت عزماتك عند المشيب ... وما كان من حقها أن تهى
وأنكرت نفسك لما كبرت ... فلا هى أنت ولا أنت هى
إذا ذكرت شهوات النفوس ... فما تشتهى غير أن تشتهى

قوم لا غالب لهم

مختصر كتاب يصدر قريباً

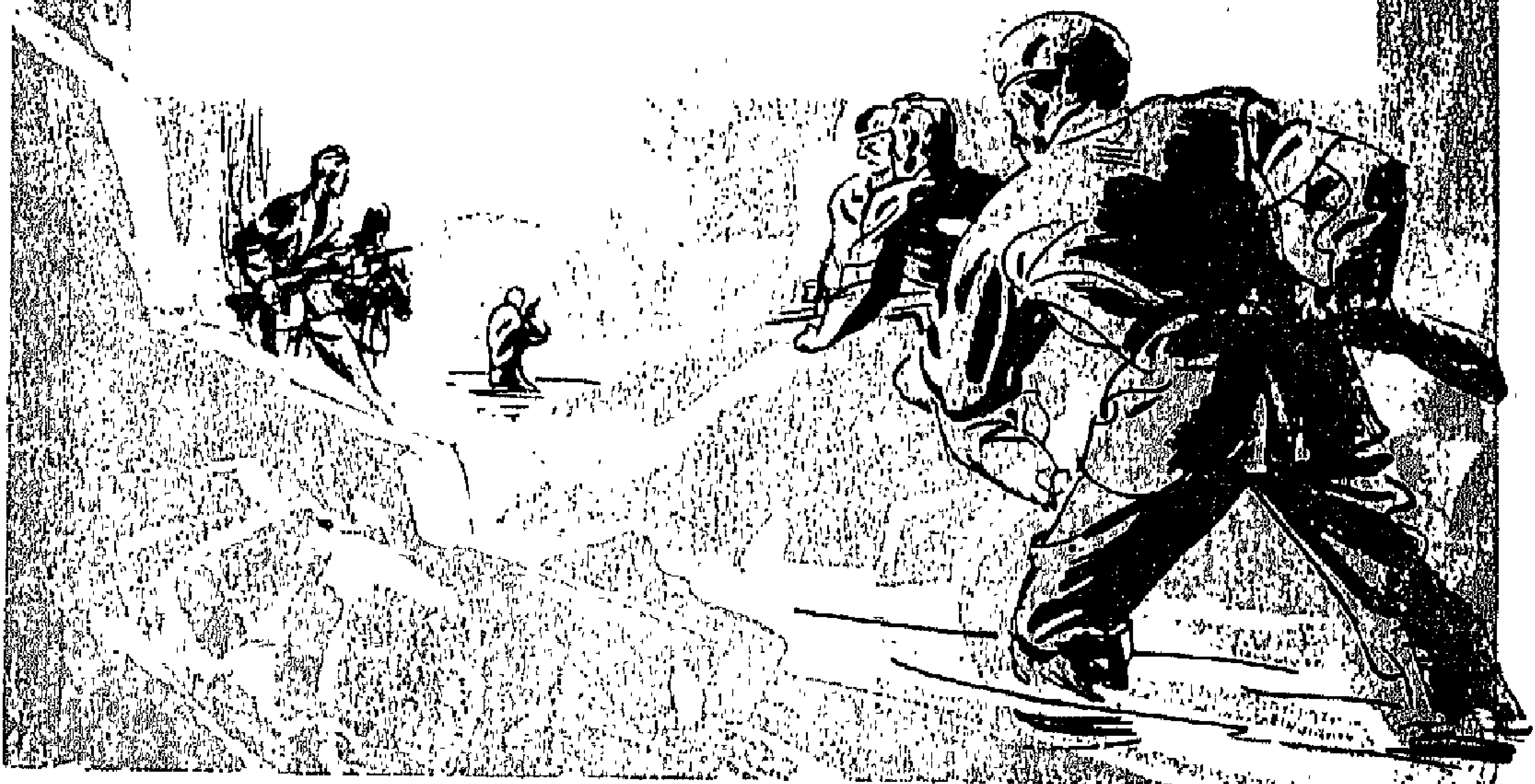
اللواء ت . بور - كوموروفسكي

القائد العام للقوات البولندية المسلحة
التي قامت بالثورة في وارسو في أغسطس - سبتمبر ١٩٤٤

إن القتال الذي خاضه الجيش البولندي الداخلي من أجل وارسو يوم كانت القوات الأمريكية تتدفق مجتازة فرنسا في سنة ١٩٤٤ ، كان من أهول معارك الحرب . وإليك أول وصف لتفاصيل هذا الصراع الذي لا رجاء فيه برغم ما تجلى فيه من بطولة وروعة ، يكتبه قائد الجيش نفسه .

وقد عبأ الجيش البولندي الداخلي وسلح ٣٠٠٠٠٠ من الجنود العاملين بين سمع الألمان وبصرهم . ولما بدأ الجيش الأحمر الظافر يطوي بولندة ، ألقى الجيش البولندي الداخلي بهذه القوات ضد الألمانيين، لتقوم بالأعمال المدبرة من قبل ، والتي كان يرمز لها بلفظ « العاصفة » . وكان حجر الزاوية في هذه الأعمال هو الاستيلاء على وارسو . ففي أول أغسطس بدأ جنود الجيش الداخلي في وارسو ثورتهم ، وكانوا ٤٠٠٠٠ ، وقد دامت هذه الثورة ٦٣ يوماً فهلك ٢٥٠٠٠٠ من المدنيين والجنود في قتال مر دار فيها من بيت إلى بيت .

وهذه هي قصة مأساة الأيام الثلاثة والستين ، كما يرويها القائد العام للجيش الداخلي — الجنرال بور .



قوم لا غالب لهم

العاصفة تثور

« أيها البولنديون، لقد دنا يوم التحرير! إلى السلاح أيها البولنديون! اجعلوا من كل بيت حصناً فى القتال مع الغزاة! ليس هناك وقت يضيع! »

وقد أذاع السوفيت حوالى آخر يوليه سنة ١٩٤٤ هذا النداء إلى القتال، وعليه توقيع مولوتوف، وتوقيع أوزبكا — موراوسكى الذى عينته موسكو رئيساً للجنة التحرير الوطنية. ولا شك أن هذا النداء كان مؤدّاه أن هجوم الجيش الأحمر على وارسو قريب، وإلا لما كان ثمة فائدة من إثارة الشعب إلى عمل إذا لم يتلق تأييداً، فإنه يؤدى إلى مذبحة دون أن يستفيد الروس شيئاً.

فى ٣٠ يوليه التقى أحد رجال مخابراتنا فى رادوسك على مسافة عشرة أميال من وارسو بدبابات سوفيتية كان من الواضح أنها دورية قوية. فحادث الضباط الروسيين فألفاهم يتوقعون أن يصلوا إلى وارسو فى أى وقت. ومن ضفافى براجا — ضاحية وارسو على شاطئ فستولا الشرقى — بعثت مراكز استخباراتنا سلسلة من الأنباء عن التقائها بالروس على أطراف المدينة.

وفى إحدى الضواحى ترك الجنود الألمان معسكراتهم وهم فى فزع.

وفى ٣١ يوليه أعلن بلاغ سوفيتى أن الروس أسروا قائد الفرقة الألمانية ٧٣، التى كانت تتولى الدفاع عن براجا. وعلمنا فى نفس ذلك اليوم من الراديو أن ميكولايجك رئيس وزارتنا بلندن، قد غادرها إلى موسكو. وكانت الحكومة السوفيتية قد قطعت العلاقات السياسية مع الحكومة البولندية فى إبريل ١٩٤٣. فلم نستطع منذ ذلك الوقت أن نصل ما انقطع من هذه العلاقات، أو أن ننسق أعمالنا العسكرية مع حركات الجيش الأحمر. فالآن يستطيع ولا شك رئيس الوزارة فى موسكو، أن يوجد لنا التنسيق العسكرى بين الجيش الأحمر وجيشنا الداخلى، وفى الوقت نفسه تساعده أعمالنا العسكرية فى وارسو على إعادة العلاقات السياسية بين الحكومتين.

وفى عصر ذلك اليوم علمنا أن الجيش الأحمر يطوّق لوارسو من الشمال، وفى الشمال الشرقى كان يقاتل الجيش الألمانى الثانى الذى يتلقى المدد عن طريق وارسو، وفى براجا لم يكن يقاوم سوى الفرقة الألمانية ٧٣. وكانت فرقه جورنج فى طريقها

لنجدتها ، ولكن الجانب الرئيسى من هذه الفرقة كان عليه أن يمر بوارسو . فدعوت على الفور مندوب الحكومة يانكوفسكى نائب رئيس الوزارة ، وبسطت له الموقف فى إيجاز .

وكان عمل الجيش الداخلى عندئذ خليقاً أن يحول هزيمة الألمان كارثة تامة ، لأنه يمنعهم من نجدة الفرقة ٧٣ ، ويقطع خطوط مواصلاتهم مع جنودهم على الجبهة كلها أمام وارسو ، ويكفل نجاحاً سهلا لحركة التطويق الروسية التى بدأت فى الشرق والشمال الشرقى والشمال .

وكان كل هذا يوحى بأن نشرع الآن فى العمل ، ولكن بينما كانت الدعاية السوفيتية تدل بلا أدنى شك على أن موسكو تريد القيام بعمل حربى داخل وارسو على الفور ، لم يتسن لنا أن ننسق حركتنا مع خطة القيادة الروسية، ولم يتصل بنا شىء عن مهمة ميكولايتشك ونتيجتها فى موسكو .

وإذا فرضنا أن هجومنا الأول سينجح فى انتزاع السيطرة على المدينة من أيدى الألمان ، فإنه لم يكن عندنا من السلاح والطعام ما يلزم للاحتفاظ بها أكثر من أربعة أيام أو خمسة ، أو سبعة على أكثر تقدير . ولا شك أن حلفاءنا سيرسلون إلينا المؤن والذخائر بالطائرات ، ولكنا لم نكن نستطيع أن نتكهن بمقاديرها . وكان نجاحنا على قدر ما استطعنا أن نتبين، رهناً بأن نجتنب الضرب قبل الأوان ، إذ يجب أن يدخل الجيش الأحمر وارسو فى خلال أسبوع بعد أن نضرب الضربة الأولى .

وقد أصغى إلىّ يانكوفسكى ، ثم ألقى أسئلة على عدة رجال من أركان الحرب . وبعد أن أتم تصوير الموقف ، التفت إلىّ وقال : « حسن جداً ، إذن ابدأ بالعمل » .

فالتفت إلى الكولونل مونتر قائد الجيش الداخلى فى وارسو وقلت: « غداً فى الخامسة تماماً ، يبدأ الهجوم فى وارسو » .

وفى اليوم التالى وأنا فى طريقى إلى اجتماع سرى لهيئة أركان الحرب ، اجتزت شوارع غاصة بآلاف من الشبان والفتيات يسرعون إلى المراكز المعينة لهم ، وكان كل واحد تقريباً يحمل حقيبة ، كبيرة أو صغيرة ، أو لفافة ضخمة. وكانت جيوب المعاطف منتفخة بما فيها من القنابل اليدوية ، ولا تكاد تحجب عن عينى بندقية أو مدفعاً من مدافع تومى . ومع أنى كنت أعرف أنه لا يمكن أن يفطن إلى هذه الأشياء إلا من يعلم السر ، إلا أنى لم أستطع أن أمنع ما ساورنى من قلق لامسوّغ له . وكنت أمر بدوريات الألمان ، وأرى السيارات المصفحة تقطع الشوارع بلا انقطاع

وكانت مراكز الجيش الداخلي قد اختيرت بعناية ، وكان أكثرها مساكن على زوايا الطرق ، لتسيطر على المهم من مفارقها ، ومحطات السكة الحديدية ، والثكنات الألمانية ومراكز التموين ، والمنشئات العامة ، أي على جميع النقط التي يجب الاستيلاء عليها في أول هجوم .

وكان التدبير أن يقرع الجندي جرس الشقة ، ثم يسلم للسكان أمراً بالاستيلاء ، موقعاً من الضابط المختص . وقد أبدى الأهالي اهتماماً ، ولكنهم لم يبدوا أدنى اعتراض . وكانوا في كل حال متلهفين على المعاونة بكل وسيلة ، وكان الجنود يتخذون مراكزهم عند النوافذ، وفي الغرف العليا وفوق السطوح . ووضع في الفناء حارس لايسمح لأحد بالخروج، حتى لاتفضي قلة التحرز إلى كشف الاستعدادات للعدو.

ووضع الجنود أشرطة الجيش وهي بيضاء وحمراء ، وتلك كانت أول علامة علنية لجيش بولندي على أرض بولندية مذ بدأ الاحتلال. وقد لبثوا خمسة أعوام ينتظرون هذه اللحظة ، فالآن عليهم أن ينتظروا انقضاء اللحظات القليلة الأخيرة . ففي الساعة الخامسة يكفّون عن أن يكونوا رجال حركة سرية للمقاومة ،ويعودون مرة أخرى جنوداً في جيش نظامي يقاتل جهرة .


اللواء بور
قائد الجيش
الداخلي البولندي

وفي الخامسة تماماً فتحت آلاف النوافذ ، وصب الرصاص من كل ناحية على مراكز الألمان والجنود السائرة في الطرق واختفى المدنيون من الشوارع وتدفق الجيش الداخلي خارجاً من مراكزه ليقوم بالهجوم. وما هي إلا ١٥ دقيقة حتى كانت المدينة التي يسكنها مليون نسمة ساحةً للقتال ، ووقفت كل حركة ، ولم يعد لوارسو وجود باعتبارها مركزاً حيوياً للمواصلات مع الجبهة الألمانية. فقد بدأت المعركة من أجل وارسو.

على أنه حدث في ضاحية فولا، حيث كانت هيئة أركان حربنا في مصنع كاملر ، أن بدأ القتال عفواً قبل موعده بثلاثة أرباع ساعة . وكانت هذه الضاحية التي تكثر فيها المصانع والمساكن والدكاكين الصغيرة ، من أهم مراكز أعمالنا ، لأنها تسيطر على الطريق الغربي وعلى الطرق الحديدية من وارسو وإليها.

وكنت قد وصلت إلى فولا قبل الرابعة بقليل ، ولم أرَ شيئاً غير عادي وأنا أشق طريقي إلى مصنع كاملر ، وكانت سيارات

النقل الألمانية تسير على الطرق المبلطة ، والنساء يستبضعن من الدكاكين ، وكانت مراكز المراقبة الألمانية والمدافع الرشاشة والأسلاك الشائكة كثيرة ، والدوريات لا تنقطع ، كما هو الحال فى كل مكان فى المدينة.

وأدخلنى فى المصنع حارس مسلح ، فأبلغنى الضابط كاملر ، صاحب المصنع ، أن ٣٣ من سرية الحرس موجودون الآن فى المبنى ، وأن ٩٥ آخرين سيصلون ، وكان هؤلاء جميعاً عمالا فى المصنع ، فصاروا اليوم جنوداً ، وكان سلاحنا ١٥ بندقية و٤٠ قنبلة يدوية ، وست قنابل يدوية قوية الانفجار ، وهى من إنتاج مصانعنا السرية .

وما كدت أصعد إلى الطبقة الثانية حيث أركان حربى ، حتى سمعت انطلاق بنادق ، وتلتها طلقات مدفع رشاش من مركز مراقبة قريب . فأسرعت هابطاً ، وأخبرنى كاملر أن الألمان كانوا قد نقلوا من المصنع حمولة من الثياب الألمانية ، ثم عادت السيارة لحمولة أخرى ، فوجدت الحارس ، فلما رأى الحارس الألمانى الجالس إلى جانب السائق بولندياً مسلحاً ، أطلق النار عليه ، ولكن الحارس البولندى كان أسرع منه .

ولكن أمرنا انكشف ، فلم يبق إلا أن نقيم المتاريس فى المصنع وندافع عن أنفسنا ما استطعنا حتى يبدأ القتال العام .

وقد تنبه البوليس الألمان على أصوات النيران ، فهاجمنا بالمدافع الرشاشة والبنادق والقنابل اليدوية ، وسلطوا على جانبى المصنع ناراً حامية ، وراح مدفع رشاش يطلق النار على نوافذنا من مسافة ١٥ ياردة من بناء مواجه ، فأسكته أحد جنودنا بقنبلة يدوية ، بل لقد حاول الألمان أن يصلوا إلينا عن طريق السطح ، فصددنا هذا الهجوم بمشقة .

وفى الخامسة أبلغنى كاملر أن قوة ألمانية كبيرة تطبق علينا من وراء خرائب حى اليهود. ولما كان عدونا قويًّا وسلاحنا يسيراً ، فقد كان صدّ هذا الهجوم فوق طاقتنا ، ولكن أصوات النيران فى المدينة مالبثت أن صاخت سمعنا ، فعلمنا أن المعركة بدأت فى وارسو كلها ، وقد كف الألمان عن محاولة الاستيلاء على مصنعنا ، وعسى أن يكون قد أقلقهم صوت القتال العام .

وحوالى الثامنة سمعت صيحات سرور عالية من فوق السطح ، وهبط جندى وسألنى بصوت شديد التأثر أن أصعد إلى رأس المدخنة ، وهناك حيانى المراقب بصيحة :

« الراية يا سيدى ! الراية البولندية ! » . وأشار إلى قلب المدينة .

هذا علم أبيض وأحمر يخفق مرة أخرى بعد خمس سنوات فوق مدينتنا .

وخطر لى أن الروس الزاحفين سيرون ولا بد ذلك الوهج والدخان الصاعد من الأبنية المحترقة فى المدينة ، بل لعلهم يرون أيضاً هذا العلم الخفاق . وقد كنا نسمع بوضوح طلقات مدفعياتهم المتواصلة، تجاوبها أصوات المدفعية الألمانية الثقيلة على هـذا الجانب من نهر الفستولا . فهبطت لأكتب رسالتين إلى لندن . وكانت الأولى : « بدأنا القتال من أجل وارسو فى الخامسة من صباح أول أغسطس . دبروا فوراً أسلحة وذخائر لإلقائها إلينا فى الميادين الآتية (وسردتها) »

وكان نص الثانية : « لما كان القتال من أجل وارسو قد بدأ ، فإنا نرجو أن يقدم لنا السوفيت معونتهم بالهجوم على الفور من الخارج » .

ثم كتبت أول رسالة إلى جنود الجيش الداخلى الذى يقاتل جهرة فى العاصمة وهذا نصها :

« يا جنود وارسو :

« اليـوم أصدرت الأمر الذى طال انتظاره بالقتال جهرة ضد عدو بولندة القديم — الألمان الغزاة . فبعـد خمسة أعوام تقريباً ، من قتال مُرّ مستمر تحت الأرض ، تقفون اليوم علانيـة ، وسلاحكم فى يدكم لتستردوا الحرية لبلادكم .

بور — قائد الجيش البولندى الداخلى »

وفى اليوم التـالى بدأت التقارير ترد ، ويستفاد منها أننا على العموم قد أخذنا الألمان على غرة ، وربحنا بأعمالنا المنسقة ربع ساعة ، فأكسبنا هذا مزية الهجوم . وصارت المسألة هى : هل تستطيع وحداتنا أن تحتفظ بهذه المزية فى معارك هذا اليوم الثانى؟

وقد وجدنا بعـد معاركنا الأولى مع الدبابات الألمـانية أنها ليست من البأس بحيث كنا نظن ، وقد كان القلق الشديد يساورنا من قبلها ، إذ ليس عندنا سلاح ضد الدبابات . وكان للألمان فصائل كبيرة من دبابات النمر متأهبة للقتال . وكان من الجلى أنهم يعتقدون أنهم قادرون على سحق أى ثورة عامة فى ساعات قليلة . وقد تحركت هذه الفصائل بعد ١٥ دقيقة من ابتداء الهجوم .

وفى الساعة ١٥ : ٥ تماماً شاهد الضابط الموكل بميدان يونيا لوبلايسكا ١٨ دبابة من دبابات النمر الضخمة تتقدم إلى قلب المعركة ومدافعها الرشاشة تطلق نارها . غير أن رجاله أطاعوا الأوامر الصادرة إليهم فى غير جزع ، وانتظروا وراء الأبواب أو غيرها إلى آخر لحظة ممكنة ، ثم حطموا سيور الدبابات بالقنابل اليدوية أما المدنيون فكانوا يقذفونها بزجاجات البترول الملتهب ، فما هى إلا دقائق حتى صارت هذه الدبابات عاجزة عن العمل .

وقد دلت التقارير الأولى على أنه فى خلال ٢٠ دقيقة أدرك أهل المدينة كلهم أن الجيش الداخلى قد برز للقتال . فخرج الناس فى كل مكان يقدمون معونتهم ، وكانت قوة الهجوم فى فاتحته أعظم من أن يقاس بها هجوم جيش منظم ، فقد امتاز باندفاع ثورة عامة عنيفة تعمل فى الوقت نفسه على نظام عسكرى . وكان من الجلى أن النجاح الذى أحرزناه فى الساعات الأولى يعود أكثر فضله إلى هجوم المدنيين العارم على العدو ، غير أن هذا الاندفاع كانت له مساوئه أيضاً .

ففى أثناء المعارك كان قوادنا لا يكادون يميزون بين الجنود والمدنيين ، فلم تكن لجنودنا ثياب عسكرية ، ولم تكن ثم وسيلة تمنع المدنيين من وضع الشارة البيضاء والحمراء على أذرعهم ، ولهذا كانوا يستولون كالجنود على أسلحة الألمان ، فيتعذر الاقتصاد فى الذخيرة ، لأن المدنيين يبددون فى ضرب ألمانى واحد سيلا من الرصاص والقنابل . وقد دل كل تقرير ورد على الإسراف العظيم فى الذخيرة .

وكان معظم التقارير الأولى من قطاع المدينة الأوسط ، فقد احتل جنودنا مبنى البريد ومصنع الغاز ومبانى المياه ومحطة السكة الحديدية . واستمر القتال فى مصنع الكهرباء .

وكانت هذه المعركة على أعظم جانب من خطر الشأن ، لأن مصنع الكهرباء كان مصدر النور والقوة فى وارسو ، وعليه يتوقف اتصالنا اللاسلكى بالعالم ، كما يتوقف عليه العمل فى مصانعنا الصغيرة للذخائر . وكنا قد ألفنا وحدة من العمال والفنيين والمهندسين البولنديين المستخدمين فى هذا المصنع ، وكلفناهم الاستيلاء عليه .

وكان المصنع يبدو منذ شهور كأنه موقع دفاعى فى ميدان . وقد أحاطه الألمان بمراكز مراقبة ، وأقاموا متاريس من الأسلاك الشائكة حوله وفيه أيضاً . وفى المدة الأخيرة حسنوا وسائل الدفاع عنه وضاعفوا حاميته ، وسلحوها تسليحاً تاماً . فكنا نعرف أن المصنع سيكون بندقة عسيرة الكسر .

على أنه ما وافى ظهر ذلك اليوم الأول حتى كان رجالنا قد استولوا على مصنع الكهرباء كله ، بعد قتال دام ١٩ ساعة . ففى الخامسة تماماً أعطوا إشارة القتال . وقد قاتل الألمان الذين هوجموا بعنف لا يكاد يصدق ، وقسمت وحدتنا مهماتها : فعمل بعض رجالها على استمرار العمل فى المصنع ، وظل الباقون يحاربون . ولم يستسلم ألمانى واحد ، فكان لا بد من قتل كل ألمانى أو جرحه أو نزع سلاحه .

وقد ظلت السماء تمطر مدراراً طول

ذلك اليوم . وفى الصباح تمّ احتلالنا لمنطقة فولا . وفى تلك الليلة وردت الأنباء الأولى بنجاح هنا وهناك ، ثم تلتها تقارير باحتلالنا مناطق برمتها . فلما كان صباح ٣ من أغسطس بدأ الموقف ينجلى .

لقد أدركنا أهدافنا بعد أربعين ساعة من القتال ، فاستولينا على ثلثى وارسو . أما فى المدينة ذاتها فما كان فى أيدى الألمان سوى أوكار للمقاومة ، وكان جيشنا قابضاً على زمام الهجوم .

وبينما كنت أقوم بجولة تفتيش فى منطقة فولا ، وجدت الجنود والمدنيين جميعاً فى حالة نفسية حسنة ، وكانوا يمرحون تحت المطر ، فقد استطاعوا أخيراً بعد خمسة أعوام أن يستنشقوا نسيم الحرية . وقد اختلطت أصوات الرصاص بأصوات الغناء ، وأقام المدنيون من تلقاء أنفسهم متاريس حول ميدان كيرسيليجو ، وجعلوا يقذفون من نوافذهم بالمناضد والخزانات والأرائك وغيرها ، وكسروا حجارة الأرض وكوموها ، وخفقت الأعلام من كل نافذة .

ووجدت فى مقر قيادتى تقارير كثيرة عن أعمال الألمان . فعند جسر بونياتوسكى هاجم الألمان متاريسنا وأكرهوا المدنيين على السير أمامهم . وكانت دباباتهم قد فقدت ثقتها بدروعها ، فراحت تستتر نفسها بجموع من المدنيين ، فكانوا يربطون النساء إلى الدبابات . لقد كانت حرباً جامعة على الطريقة الألمانية ، من طراز وارسو ١٩٤٤

وكنا لا نزال نسمع صوت المدافع من الجانب الروسى من الفستولا ، وقد صارت على مسافة أميال منا . ولم يكن يخامرنا شك فى أن الجيش الأحمر سيدخل وارسو فى الأيام القليلة المقبلة ، قبل أن تنفد مؤننا وذخائرنا .

ولم تكن الطائرات الروسية قد ظهرت فوق وارسو منذ ليلة أول أغسطس ، ولكنا قلنا إن المطر عاقها على الأرجح ، فقد كفت الطائرات الألمانية أيضاً عن التحليق . غير أن الصمت التام الذى التزمه الراديو السوفيتى فى موضوع وارسو كان تعليله أصعب ، فقد كان القتال دائراً فى وارسو تحت أعين الروس ، ولا بد أن الحرائق فى العاصمة والأعلام البولندية فوقها ، كانت ظاهرية لطلائعهم ، وكانت محطة الإذاعة البريطانية والمحطات المحايدة تذيع الأنباء أيضاً ، ولكن كلمة واحدة لم تسمع من موسكو .

وبعد منتصف ليلة ٢ أغسطس رقدت بضع ساعات أستريح ، فنمت نوما عميقا ، ثم استيقظت منزعجاً ، ولم يكن حولى ما يسوغ هذا الإحساس ، فلم أستطع تعليله ، ولم تكن تقلقنى ضجات القتال المتواصلة ، فقد

اعتدتها وألفت أصوات المدافع . وإذا بى أتبين فجأة علة جزعى . ذلك أن المدافع كفت عن الضرب ، فأرهفت سمعى بضع دقائق ، وكانت المعركة لا تزال حامية فى وارسو ، ولكنى لم أسمع أى صوت من المدافع الألمانية أو الروسية على الناحية الأخرى من النهر ، وقد استمر هذا الصمت إلى الفجر ، فصار أهم من أى صوت .

والآن بدأ كل امرئ تقلقه مدة القتال ، فما أذيع شىء عن محادثات رئيس الوزارة البولندية مع مولوتوف وستالين . فجعلنا ننتظر أنباء من موسكو بصبر نافد وقلق شديد .

وقد فطن الألمان إلى قلقنا وحاولوا استغلاله . ففى ليلة ٣ أغسطس ألقت الطائرات الألمانية نشرات على المدينة موقعة باسم « بور — قائد الجيش الداخلى » . وهكذا استخدموا اسمى فى إبلاغ أبناء بولندة المخلصين أن محادثات ميكولايجك فى موسكو قد أخفقت ، وأن الروس اتخذوا حياله موقف تهديد ، وأنى من أجل هذا أدعوهم أن يكفوا عن القتال وأن يعودوا إلى بيوتهم .

ولم يكن لهذه ولا لغيرها مما تلاها من مساعى الدعاية الألمانية أى أثر ، فقد كان تزوير الألمان سخيفاً ومن السهل فضحه . مثال ذلك أنه بعد بضعة أيام أعلنت نشرة أخرى باسمى أن هيئة أركان حربى والقيادة الألمانية ، تبحثان اقتراحاً بعمل مشترك ضد روسيا — وهى سخافة تسلينا بها جميعاً .

وفى الساعة الثانية بعد ظهر اليوم الثالث من أغسطس حلقت ٤٢ طائرة ألمانية وألقت قنابل متفجرة وقنابل محرقة على ضاحية فولا وعلى قلب المدينة ، فكانت هذه أول غارة جوية ألمانية على وارسو منذ سنة ١٩٣٩ . وفى الساعة الرابعة تكررت الغارة .

وكان كل رأس يدور فيه سؤال واحد : أين الطائرات السوفيتية ؟ فإن للروس مطارات على مسافة عشرين دقيقة بالطائرة . وكانت طائراتهم منذ ٢٤ يوليه تغير على وارسو كل ليلة تقريباً ، ولكنه لم تظهر طائرة واحدة مذ بدأنا نقاتل .

وفى اليوم الثالث من أيام القتال ، ٤ أغسطس ، اضطررت أن أتخذ قراراً كان غاية فى الصعوبة عن إنفاق الذخيرة .

وكانت المبادأة لا تزال فى أيدينا ، وكنا نوسع قبضتنا على المدينة ساعة بعد ساعة ، ولكن ما استولينا عليه من المؤن والذخائر لم يكن يعادل ما استهلكنا من الذخيرة . وكان كل تقرير يرد يؤكد هذه الحقيقة .

وكانت مصانعنا تعمل ليلا ونهاراً ، بل كان العمال يوسعونها بما يبتكرون من المواد والأجهزة ، غير أن إنتاجها كان يسيراً جداً ، فإذا استمر القتال بحدته فإن ذخائرنا تنفد

فى أربعة أيام أو خمسة ، ولم أكن واثقاً أن الجيش الاحمر فى خلال هذه المدة سيدخل وارسو ، أو أن القوات الجوية ستجلب لنا معونة كافية . فكانت الحكمة تقضى بأن نضيق نطاق القتال ونقتصد فى الذخيرة .

فوقعت على كرهٍ أمراً يوجب على كل قائد أن يحتم الاقتصاد فى الذخيرة ، وأن لا هجومَ إلا فى حالات الضرورة ، وكررت بإلحاح ما سبق أن طالبتُ به لنـدن ، من إرسال ذخائر وأسلحة ضد الدبابات .

وكان السـلاح الجوى البريطانى يمون الجيش الداخلى منـذ ثلاث سنوات ، من قواعد فى أول الأمر فى المملكة المتحدة ، ثم من إيطاليا الجنوبية ، فكانت الطائرات تغادر هذه القواعد كلما سمح الجو بذلك ، وتلقى المؤن والذخائر فى بولندة فى مواضع يعينها أركان حربنا وتحرسها وحدات من جيشنا .

وقد سار هذا العمل فى يسر وَفْق نظام محكم ، وكانت محطة الإذاعة بلنـدن تعلن بانتظام خبر هـذه الرحلات فى برنامجها البولندى بأن تعزف ألحاناً خاصة ، فلحن معناه «لا رحلة الليلة» ، ولحن آخر معناه « الأسلحة ستلقى الليلة » ، وعلى أثر ذلك تعزف الإذاعة اللحن الذى يعين الموضع ، وكان لكل موضع لحنه الخاص . وكان رجال منا يديرون أنوار الإشارة ، ويجمعون ما يلقى ، ويرسلونه إلى حيث ينبغى إرساله .

واليوم ، ٤ أغسطس ، سمعنا من الراديو لحن « الأسلحة ستلقى الليلة » وذكر اللحن التالى موضعاً بعيداً فى الريف لا فى وارسو ، فأورثنا هـذا قلقاً أليماً ، وأغرانا بتكهن لا خير فيه . على أنه بعـد منتصف الليل بقليل ظهرت طائرتان وألقتا ١٢ ربطة ، ليس لها غنـــاء ، إذا قيست إلى حاجات ٤٠٠٠٠ من المقاتلين ، ولكن وصولها كان له أثر منعش فى كل نفس .

ومن حسن الحـظ أن الطعام لم يكن ينقصنا ، فقد كنا ملأنا مخازن كبيرة سرية تكفى جنودنا عشرة أيام ، ثم استولينا بعـد ذلك على مستودعات ألمانية كبيرة . غير أن الحاجة إلى الذخائر لم تبرح بالناقط ، فكانت تورثنا قلقاً ملحاً ، وتتطلب جهداً متواصلا .

وقد أفضى الأمر بالاقتصاد فى الذخيرة إلى تخفيف الاندفاع فى هجومنا ، فبذل الألمان أول جهـد لانتزاع المبادأة منا ، وكان من الجلى أنهم سيحاولون شق طريق إلى النهر وسط مراكزنا ليفتحوا طريقاً للمرور فى المدينة .

وكنا لم نستول بعد على الجسور ، ولكن شاطىء النهر كان فى أيدينا ، وكذلك كل طريق إلى الجسور ، وكانت المدينة نفسها فى أيدينا ما عدا نقط قوية منعزلة .

وقد لغمنا مفارق الطرق المهمة ، فأحبط

هذا العمل الجهود الأولى لانتزاع الهجوم منا . غير أنه كان ينقصنا العدد الكافي من الألغام ، فرسم الجنود علامات على الشارع ورفعوا لوحات على عصى كتب عليها بالبولندية : «حاذر ! ألغام !» فكانت هذه العلامات ترد الدبابات ، فتتقهقر دائماً وتذهب تلتمس طريقاً آخر .

وأحرز غلام في الثانية عشرة قصب السبق إذ رأى دبابة ضخمة من طراز النمر تزحف على متراس ، وكل مدافعها الرشاشة تطلق نيرانها . فتمهل وظهره إلى الحائط ، حتى لاحت اللحظة المناسبة وقذفها بزجاجة من البترول من مسافة ثلاث ياردات ، فاندلعت النار فيها وقفز منها رجالها واستسلموا ، فأطلقت الجماهير الهاتفة على الغلام اسم «النمر» وحملته على الأكتاف ، ولكنه لم يكن يريد تصفيقاً ، فقد كان له رأى في نوع الجزاء ، ذلك إنه يريد خوذة جندى . وكانت أزمة لأنه لم يكن عندنا خوذات ، ومن حسن الحظ أن بعضهم كانت عنده خوذة قديمة من الحرب الماضية ، فقدمت إليه فارتداها . ودمر فيها بعد دبابتين أخريين ، وأخيراً صار جاويشاً !

على أن مركزنا في فولا أخذ يزداد حرجاً ، فإن الطائرات الألمانية كانت تغير عليه منذ الصباح الباكر ، وفي هذه المرة أقبلت بغير حراسة من المقاتلات ، وألقت قنابلها من ارتفاع منخفض لا يتجاوز أحياناً مئة قدم . فغطى الدخان الكثيف الحى كله ، وخرج الناس أفواجاً من الأبنية المحترقة يحملون كل ما يستطيعون حمله من متاعهم ، وتفرقت جموعهم تنشد السلامة .

ولم يكن ثم ذكر لوارسو في أى إذاعة روسية ، ولا صوت قتال يأتى من وراء نهر الفستولا ، ولا طائرات روسية في السماء . وكان اختفاء الطائرات أعسر فهماً فإن بضع مقاتلات روسية كان يسعها أن تحصد القاذفات الألمانية التي لا يحرسها شيء .

وفي ٥ أغسطس حدث ما بدا كأنه أول ابتداء للاتصال بالجيش الأحمر ، فقد وجد جنودنا رجلا أجنبياً قبل يومين في القطاع الأوسط ، واستجوبه رجال الاستخبارات فقال إنه الكبتن كالوجين ، وأنه ضابط روسى تحت قيادة المارشال روكوسوفسكي ، ولم يكن معه أوراق سوى بطاقة شخصية تدل على أنه ضابط روسى متصل بجماعة زارني ، وهى وحدة من العصابات السوفيتية تعمل في مؤخرة الخطوط الألمانية .

وقد قال إنه هو وزميل له هبطا بالمظلات في جنوب شرق وارسو في ١٥ يوليه ، وكانت مهمتهما أن يتصلا بقائد الثورة في وارسو . وقد بلغا وارسو في أول أغسطس

فافترقا وفقد كل منهما الآخر أثناء حركات الجيش الداخلى . ولما كان جهاز الإرسال اللاسلكى والشفرة مع زميله ، فإنه لم يجد وسيلة للاتصال برؤسائه ، واستأذننا فى استعمال جهازنا اللاسلكى ليتصل بديوان المارشال روكوسوفسكى ، وقال بلهجة التأكيد إن للجيوش الروسية التفوق الساحق فى العدد ، وأنها ستكون فى وارسو بعد أيام قليلة ، وطلب أن نطلعه على الحالة فى وارسو ، واقترح أن يسمح له الكولونل مونتر بتوجيه رسالة إلى ستالين مباشرة .

ومع أنه لم يكن يخالجنى شك فى أن رئيس الوزارة ميكولايجك يطلع ستالين اطلاعا وافياً على سير القتال فى وارسو ، إلا أنه لم تغب عنى قيمة التأييد من ضابط سوفيتى يشاهد الحالة بنفسه ، فأمرت مونتر أن يقدم له كل المعلومات عن مراكز الألمان ومراكزنا ، وأن يبعث برسائله .

وقد طلبت رسالة كالوجين إلى ستالين أن ترسل الأسلحة من لندن وتلقى فى مواضع معينة ، وأن تضرب الطائرات بالمدافع الرشاشة نقط احتشاد الألمان فى وارسو ، وأن تضرب بالقنابل مطارات معينة ، وأضافت إلى ذلك : « أن أهل وارسو البواسل يعتقدون أنكم سترسلون إليهم أقوى معونة فى الساعات القليلة التالية . وأرجو أن تسهلوا اتصالى بالمارشال روكوسوفسكى » ووقعها هكذا : « كبتن كونستنتين كالوجين من جماعة زارنى . وارسو » وبعث الكولونل مونتر أيضاً برسالة كالوجين إلى لندن طالباً أن يحولوها إلى المارشال روكوسوفسكى فى جبهة الميدان . ولم يرد رد من السوفيت .

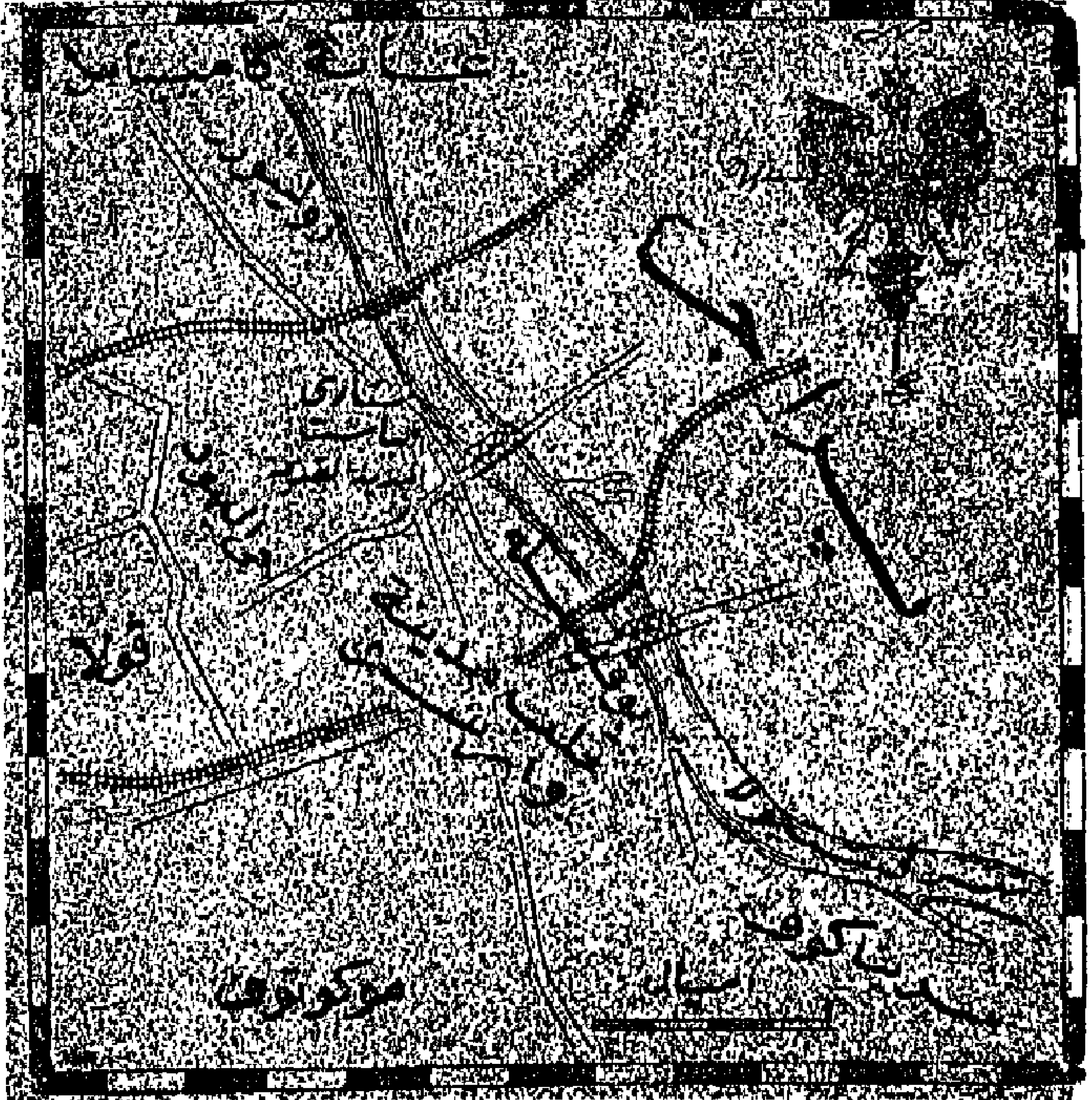
وازداد الموقف فى فولا سوءاً ، فقد أخذ الألمان يقاتلون مستيئسين ليعيدوا فتح الباب الغربى من طريقهم وسط وارسو .

وكان الدفاع عن فولا عسيراً جداً لأنها محوطة بأرض مكشوفة . وفى ٦ أغسطس صار مقر القيادة فى الخط الأمامى ، وأصبح من الصعب القيام بعملنا . ولم تحجم قط الفتيات اللواتى كن يحملن الرسائل ، ولكن الاتصال بالكولونل مونتر أخذ يزداد صعوبة .

وكانت الضرورة تقضى بإنقاذ أجهزتنا اللاسلكية وهى أداتنا الوحيدة للاتصال بالعالم ، ووسيلتنا المفردة للاتصال بالقيادة الروسية ، ولهذا أصدرت الأمر بأن ننتقل إلى ستارى مياستو — المدينة القديمة .

ولما غادرنا مصنع كاملر إلى ستارى مياستو ، سرت للمرة الأولى فى حى اليهود ، وكنا لم نر خرائبها من قبل إلا من نوافذ المصنع .

وكانت المدينة القديمة حياً كله منازل عالية عتيقة ضيقة بنيت فى القرون الوسطى ، والكنائس والمنازل متلاصقة ، والطبقات



العليـا تشرف على الشوارع الضيقة . وكان هذا الحى لم يمسسه سـوء من الحرائق أو القنابل، فظل كما كان منذ قرون .

وصرنا الآن ندافع عن المدينة القديمة فى مواضع حصينة : مثل مطبعة الخزانة على الفستولا ، ومن دار البـلدية إلى الجنوب فى اتجاه قلب المدينة ، ومن بنك بولندة وغيره على الجناحين ، وانتقل ديواننا الجديد إلى ميدان كراسنسكى، فى جناح من مدرسة كان الألمان قد اتخذوها مستشفى .

وكان أول ضابط تقدم إلىّ فى ستارى مياستـو هو الكولونل فاشنوسكى ، وهو ضابط على أعظم حظ من الكفاءة ، قلده الكولونل مونتر قيادة هذا القطاع ، وكان رأيه أن الموقف غاية فى الخطورة ، فإن اللاجئين المدنيين يفـدون زرافات ، والوحدات المسحوبة من قطاعات أخرى تكر راجعة إلى المدينـة القديمة ، والنظام يحتفظ به، والطعام يقدم، والمعونة الطبية تبذل ، ولكن الحاجة إلى الذخيرة شديدة جداً .

فكررت مطالبتى لندن بإلحاح أن ترسل لنا الذخائر والسلاح ، وأن تنجدنا بالدفاع الجوى . وكانت محطة الإذاعة البريطانيـة تعزف كل ليلة اللحن الذى معناه « لا أعمال الليـلة » . أما موسكو فما ورد منها ردّ .

وفى ٨ أغسطس فقدنا ضاحية فولا !

الحذاء المتلهب

٩ أغسطس، تغيرت الآن صبغة القتال: فقد نجح الألمان ، الذين قاموا بهجمات فى غاية العنف ، وبمعونة موجات متتابعة من الطائرات المنقضـة ، وبالمدافع والدبابات ، وبإحراق المبـانى ، فى شق طريق لهم بين ستارى مياستو والمدينة الوسطى ، ونسف سكة إلى نهر الفستولا عند جسر كيربدز . فقطعت هذه السكة كل اتصال للمدينة القديمة بالمدينة الوسطى .

ولما أصبحنا معزولين على هـذا النحو بعث الكولونل مونتر إلىّ برسالة عن طريق لندن ، يطلب أن نفتح مداخل المجارى فى ستارى مياستو . وفى اليوم التـالى خرج من مدخل المجارى فى ميـدان كراسنسكى شخص علـيه طوائف شتى من الأقذار ، وكان فتاةً تحمل التقارير من الكولونل مونتر . وهكذا صارت المجارى هى وسيلة الاتصال بين القطاعات فى أحياء المدينة كلها.

١١ أغسطس : كان الضغط المتزايد من الأسلحة الألمانية الثقيلة قد أكره المدافعين عن ستارى مياستو أن يتخلوا عن المتاريس فى عدة مواضع ، ولـكنا ظللنـا محتفظين بنقط الدفاع الرئيسية وكان مصنع الكهرباء لا يزال يعمـل ، وجهازنا اللاسلكى غير معطل ، وكانت موسكو لا تزال صامتة ، ولـكن محطة الإذاعة البريطانيـة فى ذلك اليـوم أذاعت اللحن الذى معناه « الليـلة نعمل » وأتبعت هذا بعزف لحن « الحزام الأحمر » ومعناه « فوق وارسو » .

وأقبلت الطائرات عند منتصف الليل ، فسرعان ما اجتاحت الأنوار الكشافة الألمانية السماء وانفتحت أفواه المـدافع الألمانية المضادة للطائرات ، ولـكن هذه لم تنحرف عن طريقها ، فبادرت ١٥ امرأة من العاملات فى المليشيا إلى إضاءة مصباح الزوايا ، ورسمت بالأنوار صليباً هائلا ، فهبطت الطائرات ـ وقد عددنا منها سبعاً ـ إلى قريب من الأرض وألقت حمولتهـا ، فأرسلت المدينة كلها صيحة ترحيب بهـا . وكان الناس يهتفون ، ويصيحون ، ويدعون ويضحكون ابتهاجاً . ولـكنهم وقفوا ينظرون بغير حراك ، وقد اضطرمت النار فى إحدى الطائرات وسقطت محترقة فيما وراء الفستولا.

ودارت المعركة فى المدينة كلها الآن بعنف جديد ، لأن بعض ما ألقته الطائرات سقط بين المراكز البولندية ومراكز العـدو . وسقطت ربطة فوق كنيسة على مسافة مئتى ياردة من بنك الاقتصاد القومى ، وهو حصن ألمانى ، فصعد أربعـة رجال بواسل إلى القُبّة ، فقتلوا جميعاً . فصعد غيرهم من من الداخل وشقوا السقف فسقطت الربطة فى أيديهم .

وفى ليلتى ١٢ و ١٣ أغسطس ألقت الطائرات تموينات أخرى .

وقد استطعنا أن نظفر بثمانين فى المئة مما ألقى إلينا ، فقوّت هذه المعونة قلوب الجنود والشعب على الســواء ، فبلغت الثقة حداً رائعاً . وكانت هذه الأمداد تكفى لا لتمكيننا من الدفاع فحسب ، بل لاستئناف الهجوم مرة أخرى .

وفى خلال هذين اليومين قامت وحداتنا

بهجمات ناجحة وقضت على عدد من الجيوب الألمانيــة المنعزلة ، ولكننا لم نستعد زمام الهجوم ، وجاءنا قلم الاستخبارات بأن قوات ألمانية جديدة تصل ، وكان من الجلى أن فتور الهجوم الروسى ، لسوء الحظ قد مكن قوات ألمانية من العمل ضدنا .

وفى ١٤ أغسطس خرجت موسكو عن صمتها ، فأذاع الراديو السوفيتى الرسمى ، ومحطة الإذاعة البريطانية معاً البيان التالى :

« نشرت حديثاً فى عدة صحف فى الخارج أخبار من مصادر بولندية عن الثورة التى بدأت فى وارسو فى أول أغسطس بأمر من المهاجرين البولنديين فى لندن . وقد زعمت الصحف البولندية وراديو الحكومة اللاجئة إلى لندن أن ثوار وارسو كانوا على اتصال بالقيادة السوفيتية العليا ، وأن هذه القيادة لم تبذل لهم أية معونة . فهذا الزعم إما أن يكون ناشئاً عن سوء تفاهم ، وإما أن يكون قذفا فى حق القيادة السوفيتية العليا .

ولدى وكالة تاس من المعلومات ما يدل على أن الدوائر البولندية فى لنــدن ، وهى المسئولة عن الثورة فى وارسو ، لم تبذل أى محاولة لتنسيق هــذه الحركة مع القيادة السوفيتية العليا ، فى هذه الظروف لا يكون المسئول عن نتائج الحوادث فى وارسو سوى دوائر المهاجرين البولنديين فى لندن » .

وقد كان وقع هذا الإعلان فى وارسو هو الذهول ، فأثار أعمق مخاوف الشعب وسخطه وشكوكه ، فما نسوا ذلك النداء الحار من موسكو : « يا أهل وارسو ، إلى السلاح ! هاجموا الألمان ! ليس ثم وقت يضيع ! » وما زالوا يذكرون اتهام رؤساء الجيش الداخلى بأنهم يعملون سراً على بقاء قواتهم جامدة فى وارسو .

وقد وافق ذلك ورود الأخبــار بأن ميكولايجك قد عاد إلى لندن من موسكو . ولم يذكر شىء عن محادثاته مع مولوتوف وستالين ، ومن الجلى أنهــا لم تنض إلى اتفاق بين الحكومتين .

وقد أدركنا أنه فى الوقت الحاضر لا يجوز لنا أن ننتظر أى مدد سوفيتى من الجو ، أو أية حماية جوية أو أية معونة أخرى ، وأنه ليس لنا الآن إلا أن نعول على قوتنا ، وعلينا أن نحتفظ بوارسو بدون مساعدة من الروس إلى أن يستأنفوا زحفهم على ألمانيا . وكنا نعلم أن الروس لا يستطيعون أن يستأنفوا الزحف دون أن يتناولوا وارسو . فالمسألة هى : متى يتحركون ؟

ولما كان الهجوم الروسى قد بلغ عنفوانه على قوات العدو المتفككة المهافتة ، فقد بدا لنا أن قوة الاندفاع وحدها ستبلغ الروس وارسو قريباً ، فعلينا أن نثبت حتى يأتوا .

وأقبل زعماء الأحزاب السياسية إلى مقر قيادتنا بمشروعات لزيادة عملهم ، واقترح اثنان من حزب الفلاحين أن أصدر الأمر إلى كل وحدات الجيش الداخلى السرى فى بولندة بأن تزحف لنجدة العاصمة .

وكنت أعرف أن وحداتنا الريفية السيئة التسلح لا تستطيع أن تغير الموقف تغيراً يذكر ، غير أن عملا فى مؤخرة العدو يحول نظره ، قد يكسبنا فسحة من الوقت ، وكان الوقت هو العامل الجوهرى . ورأيت أيضاً أن وحدات تأتى من الريف قد تجلب مقادير من السلاح يتيسر تهريبها إلى المدينة ، فقبلت اقتراح حزب الفلاحين ، وطلبت من لندن أن تذيع رسالة تأمر كل الوحدات الميسورة الحسنة التسلح بأن تقصد على الفور وبأسرع الوسائل الممكنة إلى وارسو .

وفى الوقت نفسه ، وبواسطة لنـــدن ، أصدرت الأمر إلى جميع الفلاحين القريبين من وارسو بأن يعدّوا تقـديم الطعام إلى المدينـة أول واجب عليهم . وكان حزب الفلاحين ينظم هذا التموين .

وقد استجاب ضباط الجيش الداخلى فى بولنده كلهـا لأمرى بأن يزحفوا لنجدة العاصمة ، غير أن عقبات شتى اعترضتهم .

وترددت أنباء من لوبلين ولفوف والمناطق الأخرى الواقعة تحت سـيطرة الروس ، وكانت الأنباء كلها مجمعة على أن وحدات الجيش الداخلى التى أعربت عن رغبتها فى الزحف إلى وارسو ، قد نزع سلاحها .

ولم يتيسر لى ، إلا بعد أن وصلت إلى لندن فى مايو ١٩٤٥ ، بعد هزيمة ألمانيا ، أن أرى برقيـة من لوبلين مؤرخة فى ٢٤ أكتوبر ١٩٤٤ ، تروى أمراً صادراً من قائد كتيبة المشاة السوفيتيـة السادسة عشرة ، وهذا الأمر يروى أمراً عاماً كنت أصـــدرته إلى وحدات الجيش الداخلى عن طريق محطـة الإذاعة البريطانية فى ١٤ أغسطس ١٩٤٤ ، وقد طلب الأمر السوفيتى من ضباط الجيش الأحمر أن يمنعوا سير وحدات الجيش الداخلى إلى وارسو ، ويقول إن كل وحداته التى لا تزال تعمل فى المنطقة يجب أن ينزع سلاحها فوراً ، وأن توجه إلى المراكز العسكرية لترحيلها . وقد وصف الجيش الداخلى بأنه « الجيش الوطنى البولندى الذى تؤيده حكومة المهاجرين البولنديين » .

وقد فهم الألمان من بلاغ وكالة تاس ما فهمنـاه : أى أن الجيش الداخلى يقف وحده الآن أمام قوات متفوقة عليه تفوقاً ساحقاً ، ولهـذا توقعنا أن يقوم الألمان بهجوم قوى على سـتارى مياستو ، وهو قطاع ضعيف جداً .

وفى اليوم السابع عشر من القتال بدأ الألمان يضربون وارسو بالمدافع الثقيلة التى استخدموها من قبل فى حصارهم لسباستوبول، وكان انفجارها يدمر عمارات برمتها . وقد توخى الألمان دقة عظيمة فى استخدام المدافع وسددوا نيرانها إلى قيادات المناطق ومراكز اللاسلكى ، كما سددوها إلى ما كان لهم من مخازن مؤن ومستودعات للذخيرة .

وبعد أن استمر هذا الضرب طول الصباح انقطع إلى حين، وتقدم رسل الألمان فى مواقعنا فى سكسونى بارك رافعين علماً أبيض، فقابلهم ضابط بولندى خارج خطوطنا فسلموه رسالة بتوقيع قائد القوات الألمانية فى وارسو . يطلب منا الاستسلام ويعرض على جنود الجيش الداخلى حقوق المحاربين فى الأسر ، ويهدد إذا رفض هذا الاقتراح، بسحق المدينة وأهلها .

ولم تحدث هذه الرسالة أدنى تردد فى نفوس أركان حربنا .

وكان ينبغى، بمقتضى أصول الحرب كلها، لقوة حربية فى مثل موقفنا ، أن تستسلم ، ولكنا رأينا أن الاستسلام للألمان مؤدّاه ذبح الجنود والمدنيين على السواء . ولهذا وعلى الرغم من امتناع معونة السوفيت، لم يكن أحد يشك فى أن سبيلنا الوحيدة هى أن نواصل القتال حتى يستأنف الجيش الأحمر زحفه . وقد أمرت الكولونل مونتر بأن لا يرد على رسالة القائد الألمانى .

وقد استطعنا أن نوجه إلى العدو رداً صريحاً بطريقة أخرى . فقد قام الكولونل مونتر بسلسلة من الهجمات على مواقع قوية للعدو ، مبتدئاً بدار التلفون فى القطاع الأوسط. وكان هذا البناء الضخم، وهو من أعلى المبانى فى المدينة ، لا يزال وكراً لمقاومة العدو ، وكان جنودنا قد أحدقوا به، ولكن الحامية ثبتت وجعلت تقذف الشوارع بنار متصلة من النوافذ العالية .

فجددنا هجومنا على هذا الحصن بمعونة شيخ جاوز الستين كان قبل ذلك قد تطوع فرُدَّ . وكان الشيخ عنيداً ، فركب رأسه ومضى على طريقه ، وكان قبل ذلك عاملا فنياً فى دار التلفون ، ويعرف البناء حقّ معرفته، وكان إلى جوار المبنى بعض الخرائب، فقضى الليل وحده يحفر سرداباً تحت الخرائب . وبعد أكثر من أسبوعين من العمل الشاق ، كان قد حفر ممراً طوله نحو مئة ياردة ، وبلغ بدروم مبنى التلفون ، ثم أفضى بسر هذا الممر المؤدى إلى حصن العدو إلى قائد المنطقة . فرأى الكولونل مونتر ، اعتماداً على هذا الخبر ، أن يسخو بالذخيرة للهجوم .

وفى الليلة التالية ، وفى الساعة الثانية ،

بدأ الهجوم فى هذا السرداب، فدارت معركة عنيفة داخل المبنى حيث أقام الألمان المتاريس فى كل طبقة وكل ممر، واستخدم جنودنا الألغام، فنسفوا الجدران وشقوا ممرات. واستمرت المعركة فى سحب من الدخان الكثيف، وأبدى الألمان مقاومة عظيمة، وقاتلوا من أجل كل غرفة وكل طبقة.

وبعد عشر ساعات من القتال أبيد الألمان، وجرح الشيخ الذى حفر السرداب فى خلال القتال، فكوفىء بسدس وعشر طاقات.

وفى الأيام القليلة التالية زاد الهجوم فى قلب المدينة شدة، وفاز بمثل هذا التوفيق، فقضينا على مراكز ألمانية منعزلة، وغنمنا ذخائر لا تقدر بثمن، غير أن هذا لم يكن يكفى للانتصار على قوات العدو الرئيسية. فشرع الألمان فى ١٩ أغسطس، فى هجوم مركز على ستارى مياستو.

وقد عثرنا بعد بضعة أيام على أمر مع ضابط ألمانى قتيل، فيه بيان دقيق لقوة العدو المستخدمة فى هذا الهجوم فى منطقة لم يكن لنا فيها سوى خمسة آلاف رجل مسلحين كيفما اتفق. وقد جاءت الضربة الكبرى من عشر كتائب من المشاة الألمان تؤيدها بطاريتان من المهندسين، ووحدة من دبابات النمر، و ٢٠ مدفع ميدان، و ٥٠ مدفعاً ضخماً وبطاريتان من مدافع عيار ٧٥ مم، وبطارية من عيار ٣٨٠ مم، (من نفس النوع الذى كان الألمان يضربون به دوفر من شاطىء المانش) وسرية للألغام، وقطار مصفح وفضلا. عن ذلك كانت الطائرات المنقضة تقذف المنطقة بانتظام كل ساعة فى البداية، ثم كل ربع ساعة.

وكان تركيز الضرب على هذا النحو، موجهاً إلى منطقة لا تتجاوز مساحتها كيلومتراً مربعاً. وكان اللاجئون قد زادوا عدد السكان فى هذه المنطقة المحصورة إلى ٢٠٠،٠٠٠، ولم تكن فى المنازل القديمة التى يرجع عهدها إلى القرون الوسطى، وقاية من هذا الضرب من مدافع الحصار الثقيلة، فتقوضت كأنها مصنوعة من ورق، ودفن آلاف تحت أنقاضها، وكانت كلما شبت النار فيها تحترق كأنها من حطب.

وفى الساعات الأولى من هذا الهجوم أقبل على مقر القيادة أربعة من الجنود يحملون جثة الملازم كامار، وكان من أوثق رفقائى صلة بى، فأردته شظية أصابت رأسه، وكانت زوجته وبنته ترتديان البزة العسكرية، فتركتا مراكزهما لتشيعا الجنازة، ولم يكن عندنا نعش فسدت ألواح الخشب مسده، وحملنا الجثة عليها ودليناها فى القبر، ولم نطلق ناراً لأننا لا نستطيع أن نستغنى

عن طلقة واحدة . ثم عادت زوجته وابنته إلى الفور إلى واجباتهما .

وكان فى كل أنحاء وارسو عدد لا يحصى من الجنود ، رجالا ونساء ، يرتادون المجارى محاولين أن يصلوا مراكزنا المنعزلة بعضها ببعض ، وكانت شبكة المجارى التى بنيت منذ ستين عاما ، تيهاً معقداً تحت الأرض ، ومجهولا شديداً الخطر ، يمتد أميالاً . وكانت المسالك فيها متفاوتة السعة ، وأصغر ما يمكن المرور منه ارتفاعه ثلاث أقدام وعرضه قدمان ، وكانت قطع الزجاج وأشباهها كثيرة فى الأوحال الراسبة فى أرضه المقعرة ، فمن المستحيل الزحف على اليدين والركبتين ، فإن أيسر جرح يحدث تسمما قاتلا ، فكان على سالكها أن يستعمل عصوين قصيرتين يعتمد عليهما ويثب كالضفدعة وثبات قصيرة ، فالسير غاية فى البطء والإجهاد ، وأحد هذه المسالك بين ستارى مياستو ووارسو الوسطى كان يستغرق اجتيازه تسع ساعات ، وإن كان طوله لا يزيد على ميل .

وكان سلوك ممر ضيق كهذا فى ظلام دامس وأقذار ترتفع إلى الخصر ، كثيراً مايورث المرء فزعاً شديداً . وقد رأيت رجالا من أجرأ الناس لا يترددون فى الهجوم على الدبابات بزجاجة من البترول ، يتهالكون ويتهافتون بعد أن يقطعوا بضع مئات من الياردات ليس إلا من هذه المسالك الضيقة الوخمة .

وكانت هناك مسالك قليلة واسعة يستطيع المرء أن يقف فيها معتدل القامة تقريباً ، ولكن استخدامها كان ينطوى على خطر آخر ، لأنها مجعولة ليجتمع فيها ما ينزل فى المجارى من أحياء برمتها ، فالماء فيها عال والتيار قوى ، ولا سبيل إلى سلوكها إلا بالتعلق بحبل ، وقد يحدث فى أية لحظة أن يتدفق الماء فجأة من أى مسلك من المسالك الرافدة ، فيمتلئ المكان ويجرف التيار من فيه . وقد ضاعت أرواح كثيرة على هذا النحو فى هذه المسالك .

وكانت لندن هى مركز حركة المرور لنظام مواصلاتنا بالمجارى ، وكان يبدو من السخافة المطبقة أن نبعث برسالة عن طريق لندن لنتصل بمن هم على مسافة بضع مئات من الياردات ، ولكنه كان ينقصنا الأسلاك للتلفون ، وكانت أجهزتنا اللاسلكية على الموجة القصيرة أضعف من أن تصلح لاتصال بعضنا ببعض ، ولكن فى الوقت نفسه تستطيع بسهولة أن تتبادل الرسائل مع محطات لاسلكية قوية . وهكذا كانت مئات من الرسائل ترسل من كل الجهات إلى لندن لتعاد منها مرة أخرى .

وحدث مرة أن دورية دخلت فى المجارى

فى زونيبورز لترتادها وتهتدى إلى مسلك يؤدى مباشرة إلى قلب المدينة ، استطاعت أن تصل إلى هدفها بعد أن قضت ١٩ ساعة فى البحث ، وإذا بها تجد أن الفتحة مقفلة ، ولم تكن ثمّ وسيلة لفتحها من الداخل ، فبذل أحد رجالها مجهوداً ضخما وارتدّ إلى زوليبورز ، وبعث برسالة إلى لندن يطلب فيها تكاليف القطاع الأوسط أن يفتح مدخل المجارى . ففتح ، وأخرج الرجال منه .

وصار من المستحيل الآن تقريباً الاستمرار فى استخدام الراديو ، ففى ٢٥ أغسطس قال ضابط الإشارة إن ثلاثة من أجهزتنا اللاسلكية الأربعة دفنت تحت الأنقاض وتحطمت ، وأن الرابع عمله متقطع وقد يكف عن العمل فى أية لحظة .

وكان هذا يهددنا بخطر وبيل ، فإن الراديو لم يكن الوسيلة الوحيدة للقيام بواجباتى كقائد للجيش الداخلى فى بولندة كلها فحسب ، وإنما كان المناط الوحيد للأمل فى الاتصال بالسوفيت حين يستأنفون الزحف . فلم تبق لى حيلة إلا أن أنقل هيئة أركان حربى إلى قلب المدينة حيث كانت محطات الراديو تعمل ، ولم تكن مستهدفة لمثل هذا الخطر المستمر ، وقد اخترت موعداً لهذا الانتقال ليلة ٢٧ أغسطس .

وفى الساعة الحادية عشرة خرجنا ، وكان مدخل المجارى فى ميدان كراسنسكى على مسافة ٢٠٠ ياردة من المراكز الألمانية ، وقد غطته قنابلهم اليدوية ومدافعهم الرشاشة ، وكان علينا أن نقطع ٢٠٠ ياردة على ضوء الحرائق المشتعلة فى المبانى ، فوقفت جماعتنا واحداً وراء الآخر مستندين إلى حائط ، وجعلوا ينطلقون فرادى ، وبعد فترات متفاوتة إلى أكياس الرمل التى تحمى المدخل .

ولما هبطت إلى الجدار المبنى بالأسمنت المفضى إلى المسلك ، أدارت رأسى الرائحة الكريهة ، وأسال دموعى الهواء الفاسد ، فتدلّيت فألفيت الماء القذر يصل إلى فخذى ، وكان الأمر يتطلب جهداً بالغاً للتغلب على الاشمئزاز ، وكان التيار من القوة بحيث كان يتعذر الاحتفاظ بالتوازن ، فأمسكت بالحبل الذى فى يد المرشد ، وقبضت عليه بكل قوتى وتقدمت خطوات لأفسح لمن يلينى .

وقد قضينا ساعة فى حشد الجماعة كلها فى المجارى ، وكانوا نحو أربعين ، ثم وقفنا ننتظر فى ظلام دامس . ولما كنا سنمر تحت فتحات واقعة كلها تقريباً فى المراكز الألمانية ، فقد حظرنا استعمال الضوء ، وحرصنا على الصمت التام . وكان التنفس صعباً من جراء الرائحة ، وكان على كل من يدور رأسه ويعجز عن مواصلة السير أن يجذب الحبل ثلاثاً ، وحينئذ يأمر المرشد

بالوقوف . وكان المقرر أن نستريح قليلا بعد كل ساعة .

وكان علينا أن نقطع ميلا ، فإذا سارت الأمور على ما يرام رجونا أن لا تستغرق الرحلة أكثر من خمس ساعات .

وسار الطابور يتقدمه جنديان مع كل منهما مدفع تومى، وسرعان ما اشتد التيار ، واضطررنا أن نقعى قليلا فى هذا الموضع ، لأن المجازة لم يكن ارتفاعها يزيد على خمس أقدام، وإذا بصرخة فظيعة تفاجئنى من خلفى ، ذلك أن الفتاة باسيا التى اتخذتها للمراسلة تزحلقت وردّها التيار إلى الوراء .

واستطاع يانكوسكى أن يمسكها قبل أن تفلت ، وأن يجذبها ويقفها على قدميها مرة أخرى، وكانت الأصداء التى تجاوبت مروّعة، وكانت ناطقة بمزيج من الحزن والفزع واليأس يجاوز طاقة البشر .

وكنا من حين إلى حين نضطر أن نمر تحت سيل من الماء ينحدر علينا من مواضع فى سقف المجارى دمرتها القنابل ، وقد كاد هذا الماء يغرقنا ، وكان المجرى ربما أضاءه نور ينفذ إليه من ثغرة، وكانت هذه أخطر المواضع ، لأنا كنا فيها على مسمع من الألمان ، وقد يقذفوننا فى أية لحظة بالقنابل .

وبعد زمن قلّ ماء المجرى ، ولكن السير لم يكن من أجل ذلك أسهل، لأنه كان أحفل بالأقذار، والتنفّس أصعب من جراء النتن. وكنا لا نتنفّس إلا تحت الثغرات الخطرة .

وأخيراً لمحت على بعد ضوءاً خافتاً من مصباح إشارة أزرق ، وكان لا يزال علينا أن نقطع مئتى ياردة، خيل إلينا أنها لا تنتهى، وكانت ظهورنا وعضلات سيقاننا قد أصابها التوصيم ، وكان الضوء الأزرق يبدو لنا كأنه ينأى عنا إذ نتقدم، ولكننا بلغناه أخيراً، ووجدت يدى حبلاً مدلىًّ من المدخل فوقنا نخرجنا به من الفتحة الضيقة .

وكان للنظرة الأولى التى ألقيتها على قلب المدينة وقع قوى غريب ، فأحسست أنى فى عالم آخر ، فقد رأيت بيوتاً قائمة وبعض زجاجها سليم ، ولم تكن الأرصفة مكسرة أو عليها أنقاض ،وكان من الجلى أن الناس لا يزالون يجدون الماء ، فخيل إلىّ أن وارسو ما انفكت تحيي حياة السلام .

ومضينا والأقذار تقطر منا إلى مقر الكولونل مونتر، حيث أعدت لى ولرئيس أركان حربى غرفة واحدة . وسرعان ما أعطوا كلا منا دلوًا من الماء لنغتسل ، فكانت أعظم النعم ، فسرّنى أن أنضو ثيابى التى كان يفوح منها النتن ، ورقدت نظيفاً لأستريح قليلا

وبعد ساعات أقبل مونتر ليصف الموقف فى المدينة، فقال إن أزمة الطعام تزداد حدة

بسرعة ، وإن معظم المخابز قد دمر ، وأن الخبز لن يوجد بعد الثامن من سبتمبر ، وقد عجزت الأمهات عن تغـذية أطفالهن لما أصابهن من الرجات العصبية ، ولأن اللبن معدوم ، وقد كثرت الوفيات بين الأطفال كثرة مروعة ، والتيفوس وغـيره من الأوبئة يهدد الناس ، والدسنطاريا متفشية .

وكان لما أذاعه السوفيت من رفضهم أن يأذنوا للقوة الجوية في استخدام مطاراتهم وقع عميق في نفوس النـاس ، ولم تكن الأنباء من وراء الفستولا مشجعة ، لأنهـا لا تنبيء بأكثر من الهدوء التام .

وكان أول ما يعنيني أن أنقذ المدافعين عن ستاري مياستو ، وهم ١٥٠٠ ، وكانوا لا يزالون ثابتين في ذلك الموقع الأمامي المقضي عليه . وكانت خطتنا الأولى أن نقوم بهجوم موحد محـكم التنسيق نفتح به ثغرة في خط العدو ، وقد حددنا لذلك ليلة ٣٠ أغسطس .

وكانت مهمة الكولونل فاشنوسكي في ستاري مياستو غاية في الصعوبة ، فقد كان عليه أن يسحب جنوده دون أن يفطن العدو ، وأن ينقلهم إلى مراكز جديدة للهجوم .

ولـكن المدنيين أصابهم الفزع حين رأوا الجنود ينسحبون ، وأرادوا لجزعهم أن يبقوا على مقربة من الجنود ، فانطلقوا يخرجون من السراديب ، فلفتت صيحاتهم نظر العدو فشرع يطلق النار على المتاريس المهجورة ، وما استطاع فاشنوسكي أن يخلص وحداته ويردهـا إلى مراكزها في الوقت المناسب لصد هجمات الألمان ، إلا بعـد عناء شديد . وذلك فيما عدا إحدى الوحدات ، فإنها لم تتلق الأوامر الجديدة في الوقت المناسب ، فهاجمت الأسفين الألماني في الوقت المعين وحدها وبدون معونة ، غير أنها ما لبثت أن ردتها نيران العدو الشديدة وألجأتها إلى الاحتماء بالمجاري ، ولم يكن معها مرشد فضلت ، وخرجت من ثغرة في موقع ألماني . ومن حسن الحظ أن الليلة كانت مظلمة ، وأن قائدها كان شاباً ذكياً سريع الخاطر ، وكان جنوده يرتدون بقايا ثياب عسكرية ألمانية استولوا عليها .

فأفشى الأمر في جنوده همساً أن ينزعوا ما على أذرعهم من الشارات البيض والحمر ، وصف رجاله وجعل على رأسهم أربعة كانوا يحسنون الألمـانية ، ثم أصدر أوامره باللغة الألمانية بصوت مسموع ، ومضى بهم بسرعة إلى المراكز البولندية على مسافة مئتي ياردة .

وما كاد يفعل حتى وقفته دورية ألمانية ، وحذره رئيسها ، وأمره أن يسير في سكينة حتى لا يجتذب إليه نيران البولنديين ، فسأله عن الطريق الذي يسـلكه ليتجنب الألغام ، فدل عليه ، فقاد كتيبته سالمة

لى الاستحكامات البولندية. فحياه البولنديون نيران البنادق ، فقتل واحد وجرح اثنان .

على أن محاولة تخليص المدافعين عن ستارى مياستو أخفقت ، ولم تبق سوى سبيل واحدة للتراجع وهى المجارى . وكان هذا من أصعب القرارات التى اضطررت إلى اتخاذها فى وارسو ، فإنه لكى تنفذ هذه الخطة يجب أن تخلو الاستحكامات من حماتها ، ومتى نزلوا إلى المجارى فإنهم لا يستطيعون أن يكروا راجعين ، هذا إلى أنهم وهم فيها سيفقدون كل وسيلة للدفاع ، وأخلق بوجود مثل هذا العدد الكبير فى المجارى فى وقت واحد ، أن يلفت نظر الألمان إليهم ، ويكفى أن يقذفوهم ببضع قنابل غازات ، أو أن يحدث فزع ، فلا يخرج منهم أحد حياً .

على أنى لم أجد بديلا من هذا ، فأصدرت الأمر وأنا أشعر بثقل التبعة . وكان من حسن الحظ أن الألمان بعثوا برسل يقترحون هدنة إلى منتصف الليل ، ليدفنوا موتاهم ، فقبل الاقتراح الألمانى وصدر الأمر بالاستعداد للانسحاب بطريق المجارى .

وقد جاءوا يحملون معهم جرحاهم ، ومن المستحيل أن يتصور المرء كيف فعلوا ذلك ، ولكنهم فعلوه ، وسار الصف فى المجارى ببطء ، ولكن بغير توقف أو راحة ، لأنه كان لابد من التقدم ليتسنى للواقفين عند مدخل المجارى أن ينزلوا . وظلت المجارى وقتاً طويلا غاصة بالجنود ومعهم ٥٠٠ من المدنيين ، و ١٠٠ من الأسرى الألمان .

لارتز

جعلت مقرى الجديد فى بناء استخلصناه من الألمان ، على مسافة ٣٠٠ ياردة من مركز ألمانى ، فقد علمتنى التجربة أن آمن مكان أقربه إلى خط القتال ، فإن الألمان لايجرؤون أن يضربوا بالمدافع أو بالطائرات موقعاً هذا مبلغ قربه من مراكزهم .

وكان مجلس الاتحاد القومى يعقد جلسات فى مكان قريب ، وكنت أشهد اجتماعاته كل يوم . وقد بحث المجلس وسط أصوات الانفجار ، اقتراحاً من لندن بضم لفيف من الشيوعيين إلى الحكومة ، وهو تساهل من أجل روسيا كان رئيس الوزارة ميكولايتشك يرجو أن يؤدى إلى تفاهم معها. غير أن المسألة كان من العسير جداً تقرير شىء فيها .

فما كان ثم أدنى شك فى الموقف العام تجاه الشيوعيين ، فإن الحزب الشيوعى فى بولندة ما كان يعد هيئة تمثل عقائد سياسية ، وإنما كان يعد أداة لدولة أجنبية ، ولهذا كان خليقاً أن يسخط الناس جداً أن يضم شيوعيون إلى الحكومة البولندية .

غير أن المجلس لم يبحث فى هل يضم أو لا يضم شيوعيين إلى الحكومة ، فقد

كان أعضاؤه جميعاً يدركون ضرورة الاتفاق مع روسيا ، وأن الاتفاق يتطلب التساهل من بولندة ، وإنما كان موضوع البحث الوحيد هو هل نقدم لروسيا هذا التساهل الآن ، أو أن نطلب من روسيا كما نصح الاشتراكيون أن تستأنف العلاقات السياسية قبل أن نقدم تساهلا جديداً .

وكان رأى بعض الأعضاء أن التساهل مع روسيا خليق أن يدفعها إلى تقديم مطالب جديدة ، وقالوا إن شروط الروس لاستئناف العلاقات كان فى البداية أن تقبل بولندة خط كيرزون كحد نهائى بين بولندة وروسيا ، وكان مؤدّى هذا النزول عن نصف أرضنا تقريباً .

وكانت الحكومة قد خاطرت بضياع ثقة الأمة بها وتأييدها لها ، وقبلت أن تبحث فى هذا التقسيم ، ولكن الحكومة الروسية قدمت حينئذ طلباً جديداً : فقد أعربت عن استعدادها للمباحثات ، ولكن مع حكومة بولندية « صديقة » لروسيا ، واتهمت الحكومة البولندية الحالية والجيش الداخلى بأنهما « جامدان » ، وأنهما يتعاونان مع الألمان .

ولما صرح ميكولايجك بأنه مستعد لإقصاء أى شخص غير صديق لروسيا ، واجهه الروس فجأة بأمر واقع ، إذ أقاموا فى موسكو « لجنة التحرير القومية » الشيوعية التى انتقلت فيما بعد إلى لوبلين والتى اتخذوا منها حكومة لبولندة . والآن تطلب روسيا إدخال ممثلين لهذه اللجنة فى الحكومة البولندية تمهيداً لتجديد العلاقات السياسية .

وأخيراً اتخذ مجلس الاتحاد القومى قراره الخطير بالإجماع : أن يؤيد رئيس الوزارة فى إجابة هذا الطلب الأخير ، فإن التعجيل بإجابة مطالب روسيا قد ينقذ معظم العاصمة وأرواح المدافعين عنها .

ولكن الحوادث لم تحقق هذا الأمل . فقد قوبل ما عرضه رئيس الوزارة بمطالب جديدة ، مؤداها أن يعيد تأليف وزارته ، وأن يعين فيها واحداً من كل حزب من الأحزاب البولندية الكبرى ، وأن تكون الوزارات الأربع عشرة الباقية لأعضاء لجنة لوبلين المؤلفة من دمى فى أيدى السوفيت .

٥ سبتمبر : لم أكف قط عن طلب ذخائر وأسلحة من طريق الجو ، ولكنى أصبحت لا أعتقد أنها ستجىء . وكانت المدافع والغارات قد دمرت مصانعنا . ولم يبق بعد ٣ سبتمبر عندنا خبز ، وكان كل ما بقى من الذخائر ١٢ طلقة لكل جندى ، غير أن القنابل اليدوية المصنوعة من المفرقعات التى استولينا عليها كانت أكثر قليلا .

وفى ٤ سبتمبر دمر مصنع الكهرباء تدميراً تاماً ، فانقطع اتصالنا اللاسلكى بالعالم

وتعطلت مصانع الذخيرة. وقد وجدنا بعض الآلات التى تدار بالبترول واستخدمناها فى إدارة المحركات ، وبعد أيام أوجدنا تياراً كافياً لإدارة أجهزة اللاسلكى ، وواصلت المصانع إنتاج قليل من القنابل اليدوية .

وبلغت محنة الشعب أقصى حدود الطاقة فقد كانوا يعيشون منذ خمسة أسابيع ويموتون فى سراديب رطبة ، وأصبحوا هزلى ، متهضمى الوجوه ، محمرى العيون ، وكادت أعصابهم تتحطم من الظمأ والجوع والمتاعب والضوضاء المتزايدة والخطر الدائم .

وكانت حالة الجنود النفسية لا تزال حسنة ، وكنت بهم فخوراً ، بل أعظم فخراً مما كنت فى أيام الانتصار والحماسة ، فقد ثبتوا على الرغم من الجوع والظمأ والجراح وقلة النوم ، وكنت أرى آيات التعب على وجه كل جندى ، ولكنى كنت أتبين أيضاً عزماً لا يهى ، وكانت ندرة الذخيرة ونفاد الطعام ، والهبوط فى الحالة المعنوية بين الأهالى ، كان هذا هو الذى لم يسمح لى بأى وهم فيما يتعلق باقتراب النهاية المحتومة .

ولكن خاطراً واحداً كان يجدد عزمى كل يوم على المضى فى القتال ، ذلك أن استئناف الهجوم السوفيتى على جبهة وارسو قد يحدث فى أية ساعة ، إذ لا مفر من زحف السوفيت . وقد يبدأ غداً .

٥ سبتمبر : فى الصباح الباكر قام الألمان بهجوم مركز بالمدفعية والطائرات على بويسله ، وهو مركزنا بين قلب وارسو ونهر الفستولا . فكان من الجلى أنهم ينوون أن يخترقوا خطوطنا إلى النهر .

واستمر الضرب يومين ، وفى فجر ٧ سبتمبر جمع الألمان البولنديات اللواتى أخذن من ستارى مياستو وساقوهن إلى بويسله ، فلم يطلق جنودنا النار حين رأوهن مدفوعات نحوهم ، ثم أفاقوا وحاولوا أن يرموا الألمان المختبئين وراءهن ، ولكن الفرصة أفلتت ، فقد ارتمى النسوة على المتاريس وهجم الألمان من فوقهن ، واقتحموا .

ولما جاء الليل نجح جنودنا فى وقف الألمان ، وقد فقدنا بويسله ، ولكن بقى فى أيدينا قلب المدينة ، ووقف زحف العدو .

وفى ١٠ سبتمبر سمعت الأصوات التى ظللت أنتظرها ٤١ يوماً ، فقد تأدى إلينا من وراء الفستولا رعد المدفعية الروسية القوية ، وفى الوقت نفسه ظهرت الطائرات الروسية فوق المدينة ، فحلت بشائر الأمل فى الوجوه محل الوجوم .

وجاءت اللحظة التى قد ترى فيها قيادة الجيش الأحمر من الملائم الاتصال بنا للتعاون الحربى فيما بيننا ، وقد بعثت برسالة بهذا المعنى إلى المارشال روكوسوفسكى عن

طريق لندن ، وأمرت الكولونل مونتر أن يعد فصائل لعبور الفستولا متى وصل الروس إلى الضفة الأخرى للاتصال بالقيادة الروسية.

على أنى كنت أشعر بقلق شديد ،فقد كان الألمان يشددون وطأتهم بالدبابات والمشاة على مراكزنا الباقية على الشاطىء الغربى . وكنت أعرف أن جنودنا المنهوكين تناهى بهم سوء الحال من جراء الجوع والظمأ وقلة الذخائر . وكان طلب الذخيرة يجىء منهم جميعاً ، فكان لا يخفى على أن مقاومتنا قد تنهار ساعة تصبح غايتنا قريبة المنال . وكان ينبغى أن نحتفظ بمدافعنا مهما كان الثمن إلى أن يستولى الروس على براجا .

وبعثت برسالة استغاثة أخرى إلى لندن ، وألححت فى طلب الأسلحة والذخائر وقلت: « ليس عندنا خبز منذ ١٢ يوماً » فجاء الرد بأن الروس وافقوا على السماح للأمريكيين بأن يستخدموا المطارات الروسية ، وأن نحو مئة قلعة طائرة ستقوم بعمل واسع النطاق فى خلال أيام قليلة ، فرجوت أن لا تجىء هذه المعونة بعد الأوان

وكان كل شىء يدل على أن الهجوم الروسى يتقدم تقدماً حسناً ، ففى مساء ٢٢ سبتمبر احتلّ الروس الطرف الجنوبى من براجا ، وبدأت المدفعية الروسية تضرب مواقع الألمان فى وارسو على جانبنا من النهر .

وفى ١٣ سبتمبر حوّمت طائرات روسية وألقت إلينا أوراقاً جاء فيها أنها ستلقى مؤونة على سبيل التجربة ، وطلبت أن نعين المواضع بأنوار على هيئة نجوم . فلما كان الغسق كان رجال الإشارة منا فى مراكزهم ، فتلقينا أول مدد من الروس : غرارات من المواد المحفوظة الأمريكيـة ورصاص . ولما كان معظمها قد ألقى بغير مظلات ، فقد تحطمت عند اصطدامها بالأرض .

وفى نفس الليـلة ألقت طائرة ألمانية غرارات من البسكويت بين المواد التى ألقاها الروس ، فحدثت عدة حالات تسمم وبيلة بالزرنيخ قبل أن تفطن وحدات التموين عندنا إلى أن البسكويت مسموم . ومن الجلى أن الألمان أرادوا أن يعتقد الناس أن الروس ألقوا طعاماً مسموماً .

وظلت الطائرات الروسية بعد ذلك تلقى كل ليلة مؤناً . وفى ١٥ سبتمبر تلقينا من الروس مدفعين رشاشين ثقيلين ، و ١٥ مدفعاً من مدافع توبى ، و ١١ أداة لقذف القنابل اليدوية ، و ٥٠٠ قنبلة يدوية وعدداً من الغرارات ملآى بالشعير ، ولكن الأسلحة ألقيت بغير مظلات فتحطمت ، حتى طلقات الرصاص التوت ، على أن الرصاص كان روسياً لا يصلح لبنادقنا .

وكانت أساليب السوفيت الجوية تختلف

اختلافاً كبيراً عن أساليب حلفائنا الغربيين، فإن الطائرات البريطانيــة كان لا يستغرق عمل إحداها أكثر من ١٢ دقيقة ، أما عمل الطائرات الروسية فكان يستمر طول الليل، وكانت تتولاه طائرات صغيرة . وكان إبقاء مواقعنا مضاءة طول الليل يعرضنا لنار العــدو ، ولهذا كانت الخسارة بين نساء وحدة الإشارات عظيمة جداً .

ومع أن هذه العيوب قللت من قيمة المدد الروسى ، إلا أن ورود المدد دلّ على تعاون الروس ، فكان لهــذا أثره البالغ فى الحالة النفسية ، فقويت قلوب الجنود والمدنيين لإيقانهم أن الروس سيجيئون فى أية ساعة .

وفى ١٤ سبتمبر كان الروس قد احتلوا معظم براجا ، وكان الألمان ينسفون فى مشارفها الشمالية المصنع والثكنات .

وفى الساعة الثامنة مساء التقطت أجهزتنا نداء مذاعاً من موسكو بواسطة لجنــة لوبلين : « إلى وارسو المجاهدة : دنت ساعة التحرير ... والنجدة آتية . واصلوا القتال! ومهما تكن بواعث الذين بدأوا الثورة قبل الأوان وبغير الاتفاق مع القيادة العليا للجيش الأحمر ، فإنا معكم بكل قلوبنا ، فواصلوا القتال ! »

وانتهت معركة براجا التى دامت ثلاثة أيام فى ١٥ سبتمبر ، حين احتل الروس الشاطىء الشرقى لنهر الفستولا ، وكان هناك جفاف، وكان ماء النهر منخفضاً ، حتى أنه فى بعض المواضع ما كان عرضه يتجاوز ٢٥٠ ياردة ، فصار لا يفصل الجيش الأحمر عنا سوى النهر الذى ضاق وضحل ، ولكننا بقينا على غير اتصال به.

وكان مونتر قد أرسل ثلاث دوريات منفصلة تنفيــذاً لتعليماتى ، عبرت النهر لتتصل بمقر القيادة السوفيتية ، فأما الأولى فعجزت عن الوصول وعادت ، وفى يومى ١٤ و ١٥ عبرت الدوريتان الأخريان النهر ومعهما تقارير وافية عن مراكزنا ، وعن مواقع العدو ، ومواضع المدفعية وغير ذلك.

وفى الساعة الأولى من صباح ١٦ سبتمبر هبط ضابطان روسيان بالمظلة فسقط أحدهما على حاجز حديدى فمات ، وقال الضابط الآخر للكولونل مونتر إنهما جاءا من قبل المارشال روكوسوفسكى ليتصلا بنا ، وإن تعليماته لا تسمح له بإعطاء بيانات ، وإن عليه أن يصف الحالة لقائده ، ولكنه الآن فقد كل وسيلة تعين على ذلك ، لأن زميله كان عامل اللاسلكى ، وقد أصيب الجهاز بتلف جسيم .

وقد أصلحنا له جهازه ، وأعرناه إحدى العاملات فى سلاح الإشارة ، فأرسلت له تقاريره بشفرته هو ، فنحن لا نعلم محتوياتها.

وكان كل امرىء فى وارسو يستيقظ كل صباح متوقعاً أن يكون يومه هذا

هو يوم تحرير المدينة . وكنت فى أثناء ذلك أعوِّل على المعونة الأمريكية الكبيرة التى وعدت بها لندن للحصول على المواد الطبية والذخائر والطعام لتخفيف الأزمة فى موقفنا.

وفى نهاية البرنامج البولندى الذى أذاعته لندن فى الساعة ٩ من مساء ١٧ سبتمبر عزفت الموسيقى لحناً معناه أن الطائرات ستقوم برحلة إلينا الليلة ، وتلقينا أيضاً رسالة من لندن تقول إن الطائرات ستصل إلى وارسو بين ١١ صباحاً والظهر يوم ١٨ سبتمبر .

وكان اليوم شامساً دافئاً والسماء صافية ، وكان أهل وارسو لايدرون أن الطائرات الأمريكية مقبلة ، فلما سمعت صيحة الفرح من المدينة علمت أن الطائرات قد ظهرت .

وغصت السماء كلها بطائرات مقبلة من الغرب على ارتفاع عظيم ، وكانت تسير فى نظام تام ، وخلفها خط طويل من نقط بيض هى المظلات التى تحمل المؤن ، فصارت وارسو تهذى من فرط الحماسة ، وتدفقت الجماهير من السراديب، وامتلأت الأفنية ، وتغطت الجدران والأنقاض بالهاتفين .

ولكنى أحسست بأنى مشفٍ على اليأس ، لأن معظم الأكياس سقطت بعيداً من خطوطنا فى مواضع كانت فى أيدينا قبل أسبوع فقط ، فكفت الجماهير الحاشدة عن الهتاف ، وارتد الناس واجمين إلى السراديب.

وكنا لم نتلق بعد شيئاً من الدوريتين اللتين عبرتا النهر فى ١٤ و ١٥ سبتمبر ، فأرسلت دورية أخرى لتتصل بالتلفون مع القيادة الروسية ، وكانت أسلاك التلفون ممتدة تحت النهر إلى براجا . وقلت فى رسالتى إن عمال التلفون عندى سيلازمون أجهزتهم بعد الساعة الثامنة مساء ١٨ سبتمبر .

وأردت أن أثبت للسوفيت حسن نيتى نحوهم ، فقررت أن أخطو خطوة أخرى . وكانت محطات الراديو السوفيتية والمحطات التى يسيطرون عليها لا تزال تتهمنى بأنى مجرم حرب ، وتعلن أنى سأحاكم على القيام بثورة وارسو ، ولكنى على الرغم من أن الجيش الأحمر كان ينتظر أن يدخل وارسو فى أى يوم ، قررت أن أعلن اسمى وأسماء كل القواد الذين يحاربون فى وارسو كدليل على أنى لا أنوى أن أقوم بأى نشاط سرى ضد الروس أو أن أخفى أى شىء عنهم.

ولم تسفر كل هذه الجهود التى بذلتها للاتصال بالقيادة الروسية إلا عن الصمت ، ولم نتلق إشارة على أسلاك تلفون براجا ، أو جواباً عن نداءاتنا المتواصلة بالراديو .

ونقصت المؤن الروسية التى كانت ترد بالجو بسرعة ، بعد مجىء الطائرات الأمريكية يوم ١٨ سبتمبر ، وصار الإعراب علناً فى مقر القيادة عن الشك فى أن الروس

ينوون حقاً أن يعبروا نهر الفستولا ويستولوا على وارسو ، ولكنى لم أوافق على ذلك لأنه يناقض لمصلحة الروس القريبة والبعيدة جميعا .

وفى الساعة ١٢ والدقيقة ١٥ من يوم ٢٩ سبتمبر رد الراديو السوفيتى على نداءاتنا للمرة الأولى ، وطلب بيانات معينة عن مواقع المدفعية الألمانية ، فأرسلها مونتر على الفور واقترح التعاون بيننا فى الأعمال الحربية .

وصرنا نتبادل الرسائل مراراً كل يوم ، وكانت رسائل الروس قاصرة على المسائل الفنية ، مثل إلقاء المؤن وضرب المدفعية ، أما اقتراحاتنا الخاصة بالتعاون فأهملت جميعاً .

فلما سحق الألمان موقعاً لنا ، لا يبعد إلا ٢٥٠ ياردة عن مواقع الروس ، دون أن يهبّ هؤلاء إلى عوننا ، قضى على كل أمل لنا فى معونة حقيقية من الروس . والواقع أن كلّ معونة روسية انقطعت فى ذلك اليوم.

وما زلت إلى اليوم عاجزاً عن فهم الحكمة من تشجيعنا فى البداية وإهمالنا فى النهاية . ولعل هناك أسباباً لم تظهر بعد .

وسكنت حركة الجبهة الروسية وصار السكون لا يقطعه إلا الطلقات المدفعية من حين إلى حين ، وأصبحت مسألة الأقوات مدعاة إلى اليأس . وكان لنا فى قلب المدينة مخزن فيه قمح وشعير نجا بأعجوبة من النار ، فأتيح لكل فرد أن يأخذ حفنة من الحبوب كل يوم ، فلما كان ٢٠ سبتمبر نفد هذا المخزون.

وكانت الخيول كلها قد ذبحت وأكلت قبل ذلك بزمن طويل ، واصطيدت الكلاب والقطط والحمام ، ولم يبق منها إلا القليل .

وفى السراديب ارتقى الناس إلى ذروة التعاون فصاروا يتقاسمون آخر الحبوب ، ولكنهم أيضاً انحطوا إلى الحضيض ، فصاروا يطلبون الذهب والجواهر ثمناً للقمة . وكان الأطفال الذين نجوا من الموت يومئذ هم الندرة القليلة .

وقل الماء أيضاً قلة عظيمة ، لأن قاذفى القنابل اليدوية من الألمان كانوا يجدون أهدافاً حسنة فى الرجال والنساء عند الآبار القليلة حيث بقى بعض الماء القذر ، وكان الأطباء يجرون الجراحات بغير بنج ، ولم تكن هناك ضمادات فاستخدموا الورق لوقف النزف ، وفترت نفوس الناس فهم لا يعبأون حتى بصرخات المدفونين تحت الأنقاض ، وضعفوا وزايلتهم القوة اللازمة لرفع الأحجار .

وفى يوم ٢٧ سبتمبر استولى الألمان على ضاحية موكوتوف فعقدت اجتماعاً عاماً لأركان الحرب ، وسردت جهودى الكثيرة لإيجاد التعاون مع الروس ، فخلصنا إلى أن القائد الروسى لا ينوى عبور النهر فى المستقبل القريب ، وأن موقفنا ميئوس منه . فقررنا أن نبعث برسالة أخيرة إلى المارشال

روكوسوفسكى وعلى رده يتوقف استمرارنا فى القتال أو استسلامنا للألمان .

وبعثت بالرسالة فى الليلة نفسها ، وأيد العامل الروسى فى مقر القيادة الروسية أنه تلقاها . وقد وصفت فيها موقفنا الميئوس منه، وقلت إنه لاسبيل إلى احتمال الجوع والصبر على ضغط الألمان أكثر من ٧٢ ساعة ، فإذا لم تصلنا نجدة أو وعد بنجدة فى هذه الفترة فسأكون مضطراً إلى وقف القتال. وعلقنا أملنا بهذه الرسالة ، وانتظرنا الرد .

وفى ٢٨ سبتمبر ركز الألمان نار مدفعيتهم وقذائف طائراتهم المنقضة على زوليبورز ، وظللنا ننتظر رد الروس طول ذلك النهار وتلك الليلة ، فلم يرد شىء ما .

وفى ٢٩ سبتمبر بعثت برسل إلى القائد الألمانى، فوضع شروط التسليم وضمن حقوق المحاربين فى الأسر لجنودنا ، على أنى تلكأت فى اتخاذ القرار النهائى آملا أن يجىء الردُّ الروسى .

وفى اليوم التالى اقتنعت على كره منى بأن روكوسوفسكى لن يرسل رداً . وكان موقف المدافعين عن زوليبورز ميئوساً منه، ولما كنت عاجزاً عن نجدتهم فقد أمرتهم بالكف عن القتال . وقد وصل إليهم هــذا الأمر فى السادسة مساء . وفى الثامنة كانت وثيقة الاستسلام قد أعدت ووقعت. وللمرة الثانية فى هذه الحرب سلمت وارسو لقوة أعظم من قوتها ، وفى بداية الحرب ونهايتها، قاتلت عاصمة بولندة وحدها .

وفى بكرة ٣ أكتوبر ساد المدينة مثل سكون الموت بعد ٦٣ يوماً من قتال مستمر ، وخرج النـاس فى الفجر جياعا شاحبى الوجوه من سراديبهم، وحمل النساء والأطفال والشيوخ على ظهورهم بقايا أشيائهم، وراحوا يمشون ببطء إلى غاية مجهولة، وكل ما كنا نعرفه أن الألمان كانوا يوجهونهم إلى معتقل فى بروزكوف .

وبعد توقيع الوثيقة بعث الجنرال الألمانى يدعونى لبحث تفاصيل إضافية للتسليم ، فوافقت على مقابلته ظهر يوم ٤ أكتوبر .

وكان الجنرال صورة حية للرجل البروسى وكان ممتلئاً ثقة بنفسه واحتقاراً لغيره ، ولكنه يستر هذا بالأدب المتكلف . وتكلم بصوت عال ووضوح شديد ، وبدأ بالثناء على شجاعة المدافعين عن وارسو والإعجاب بهم ، وأعرب عن عطفه على مصيرنا ، وقال إنه يدرك المرارة التى يشعر بها البولنديون جميعاً نحو الروس . وقال إنه واثق أن البولنديين لايخامرهم الآن شك فى سوء نيات روسيا ، وأن ألمانيا وبولندة تواجهان الآن عدواً مشتركاً، هو الشيوعيون المتوحشون، فينبغى أن تسير الأمتان كتفاً إلى كتف .

وكان ردى موجزاً ، فبينت له أن استسلام وحداتنا فى وارسو لا يغير موقف بولندة حيال ألمانيا التى تحاربها منذ أول سبتمبر ١٩٣٩ . ومهما يكن شعورنا نحو روسيا ، فإن عبارة « العدو المشترك » لا محل لها ، فإن عدو بولندة هو ألمانيا .

فلم يقنط، ووافق على أن الألمان ارتكبوا أغلاطاً فاحشة فى معاملة البولنديين ، على أنه يعتقد أن الوقت يتسع لإصلاحها وللتفاهم والعمل معاً ، إزاء المصلحة مشتركة ، وهى مقاومة السوفيت .

فطلبت فى ردى عليه أن يحصر الكلام فيما جئت له ، أى فى شروط إجلاء المدنيين . فاقترح أن أنزل فى فيلا أعدها لى ، وقال إن الراحة والفراغ خليقان أن يمكنانى من الإشراف معه على إجلاء المدنيين عن المدينة .

فلما رفضت هذا تقدم باقتراح أخير : أن تسرى الهدنة التى وقعتها عن وارسو على جميع وحداتنا التى تعمل فى ذلك الجزء من بولندة الذى تحتله ألمانيا ، لمنع إهراق الدماء عبثا . فرفضت مرة أخرى وقلت : إننا أدينا كل واجباتنا كأمة محالفة خمس سنوات ، فلسنا مستعدين للتخلى عنها فى ليلة النصر .

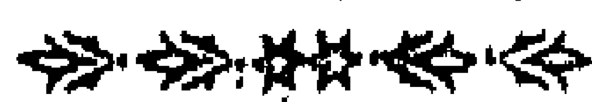
فقال : « ولكن ياجنرال ، أراك متأثراً بهزيمة أو هزيمتين أصابتا ألمانيا . إن انتصار ألمانيا محقق لا شك فيه ، وستذكر كلماتى هذه فيما بعد ، وسيكون النصر الأخير لنا فى هذه الحرب » . ويظهر أنه كان مقتنعاً بأن عند ألمانيا عدة أسلحة سرية تصنع الآن ، وأنها ستغير مجرى الأمور تغييراً جوهرياً .

فقلت إن رأيى مختلف جداً ، وانتهى حديثنا .

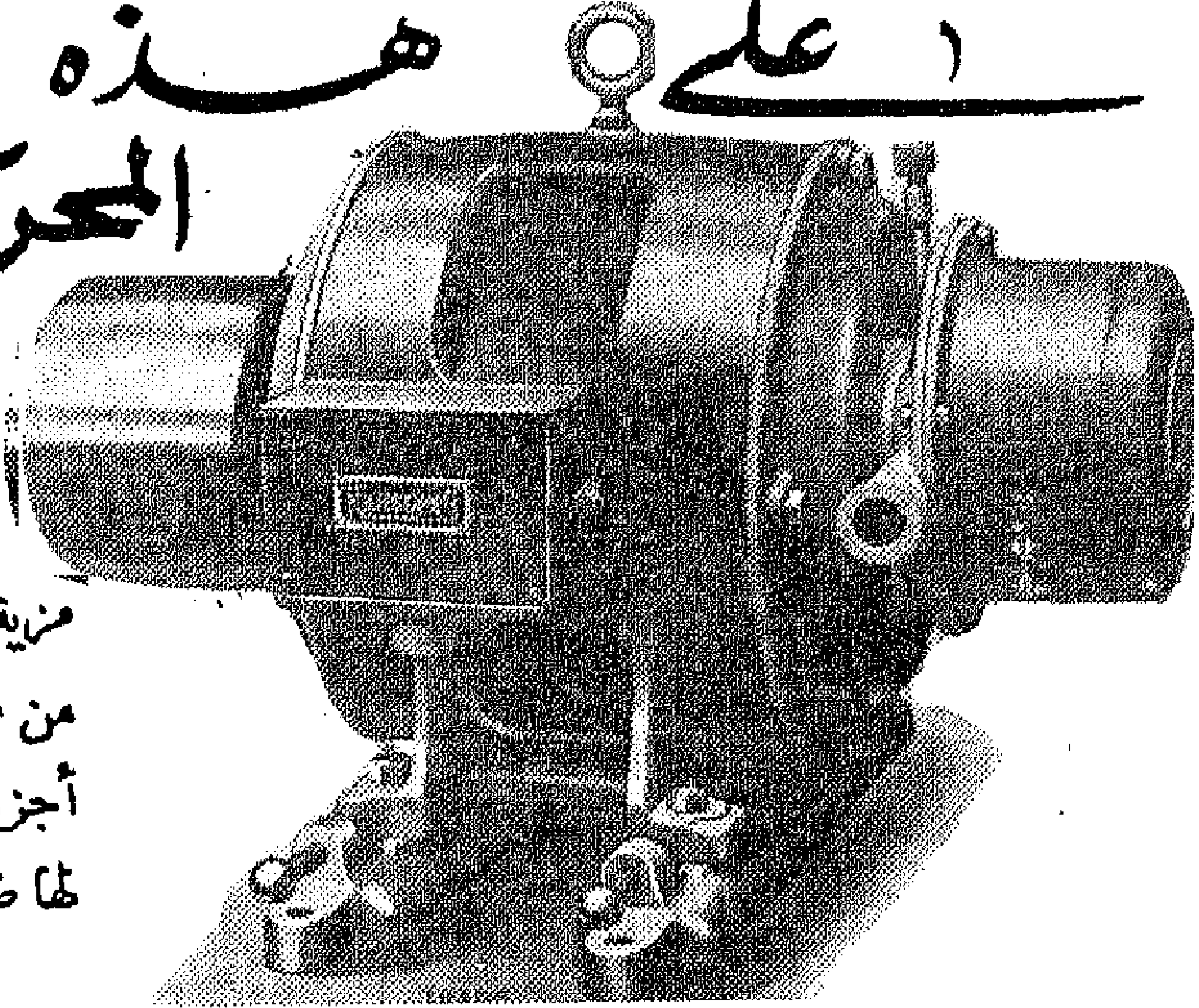
كانت الساعات الأخيرة أقساها علينا جميعاً ، فما كان من الهين أن نغادر آخر رقعة من المدينة التى عشنا فيها ٦٣ يوماً ، رجالا ونساء أحراراً ، والتى رقد تحت أنقاضها كثيرون من زملائنا .

وأذاع جهازنا اللاسلكى رسالته للمرة الأخيرة، فقال المذيع بصوت متهدج: « لقد لبثنا شهرين أحراراً ، واليوم نعود مرة أخرى إلى الأسر، ولكن الحق أن الألمان لا يستطيعون أن يستولوا على وارسو مرة أخرى . فإن وارسو لم تعد موجودة » .

واقتربت الساعة المعينة ، فشرعت أغنى النشيد الوطنى البولندى ، فرفع الجنود والمدنيون أصواتهم بالغناء معى ، فأنشدناه إلى آخره . ثم سرنا واحداً وراء الآخر وسط الخرائب نحو مواقع الحرس الألمانى .



الاعتماد على هذه المحركات



مزية ظاهرة فيها ، لأنها :
من طراز محمى .
أجزاؤها الدوّارة ملفوفة .
لها طارة وقضبان للتحرك عليها .

موتورات « رانسومس » الكهربائية ، يمكن الاعتماد عليها لأنها — ككل منتجات شركة « رانسومس » — آلات من الطراز الأول . فملفاتها ملفوفة آلياً ، وأجزاء الإنتاج والأجزاء الدوّارة فيها ، متوازنة توازناً ديناميكياً ، والملفات تم عزلها بطريقة التفريغ من الهواء .

ومن يشتريها ، يثق بأنه اشترى آلة تعطيه نتائج مرضية ، فى أشق الظروف وأصعبها .

وتقدم الشركة موتورات ذات التيار المتغير (من نوع المحركات التأثيرية) مختلفة القوى حتى قوة ٥٠ حصاناً ، وماكينات ذات التيار المستمر ، حتى قوة ٦٠ حصاناً تقريباً . وتقدم الشركة أيضاً مجموعة من الموتورات الصغيرة من الصنف الأول تتفاوت قوتها من حصان واحد إلى خمسة أحصنة .

موتورات ومولدات
Ransomes

تطلب النشرات المحتوية على وصف هـذه الآلات وصورها ، والنشرات المحتوية على تفاصيل العربات الكهربائية حمولة ١ ، ٢ طن » من...

RANSOMES, SIMS & JEFFERIES, LTD. IPSWICH, ENGLAND.

أو

الوكلاء الوحيدين بالقطر المصرى ، **أنجال قلاده أنطون** ، بمصر واسكندرية

هذا الإطار على عجلة سيّارتك ...
دليل على صدق نظرك وحسن اختيارك

"چنرال تير"

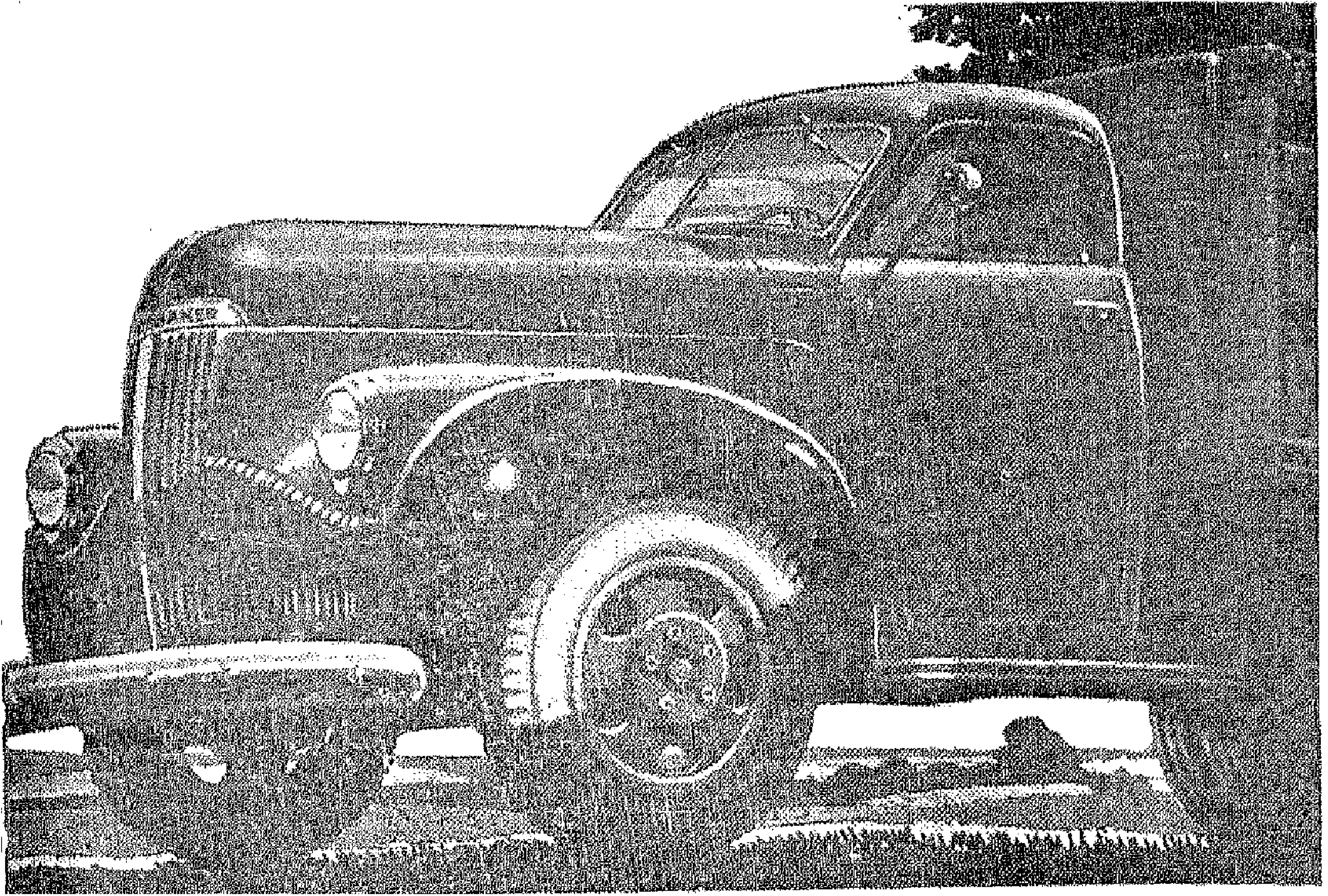
شركة چنرال تير أند رابر اكسپورت



يقطع مسافة طويلة ليكسب الأصدقاء

© The General Tire & Rubber Co.

AKRON, OHIO



مركبات النقل الضخمة "ستوديبيكر"
تتفوق فى العمل النافع الطويل المدى

العالم بأسره قد علم منذ سنين طويلة أن ليس فى مضمار النقل ما يعادل امتياز « ستوديبيكر » .

إن علامة « ستوديبيكر » أكثر من رمز للتفوق . إنها تدلك على مركبة النقل التى تستطيع الاعتماد عليها ، مركبة النقل التى تقطع المسافات ميلا بعد ميل ، وسنة بعد سنة ، تؤدى أقصى خدمة بأقل نفقه .

وإن الظروف الحاضرة لا تساعد مؤسسة « ستوديبيكر » على تحديد مواعيد ثابتة لتسليم الطلبات التى تنهال عليها يوما بعد يوم من جميع أنحاء العالم . بيد أن القائمة التى تشمل أسماء المنتظرين زاخرة بأسماء شهيرة — هى فى الواقع أكبر مفخرة حصل عليها مصنع لمركبات النقل .

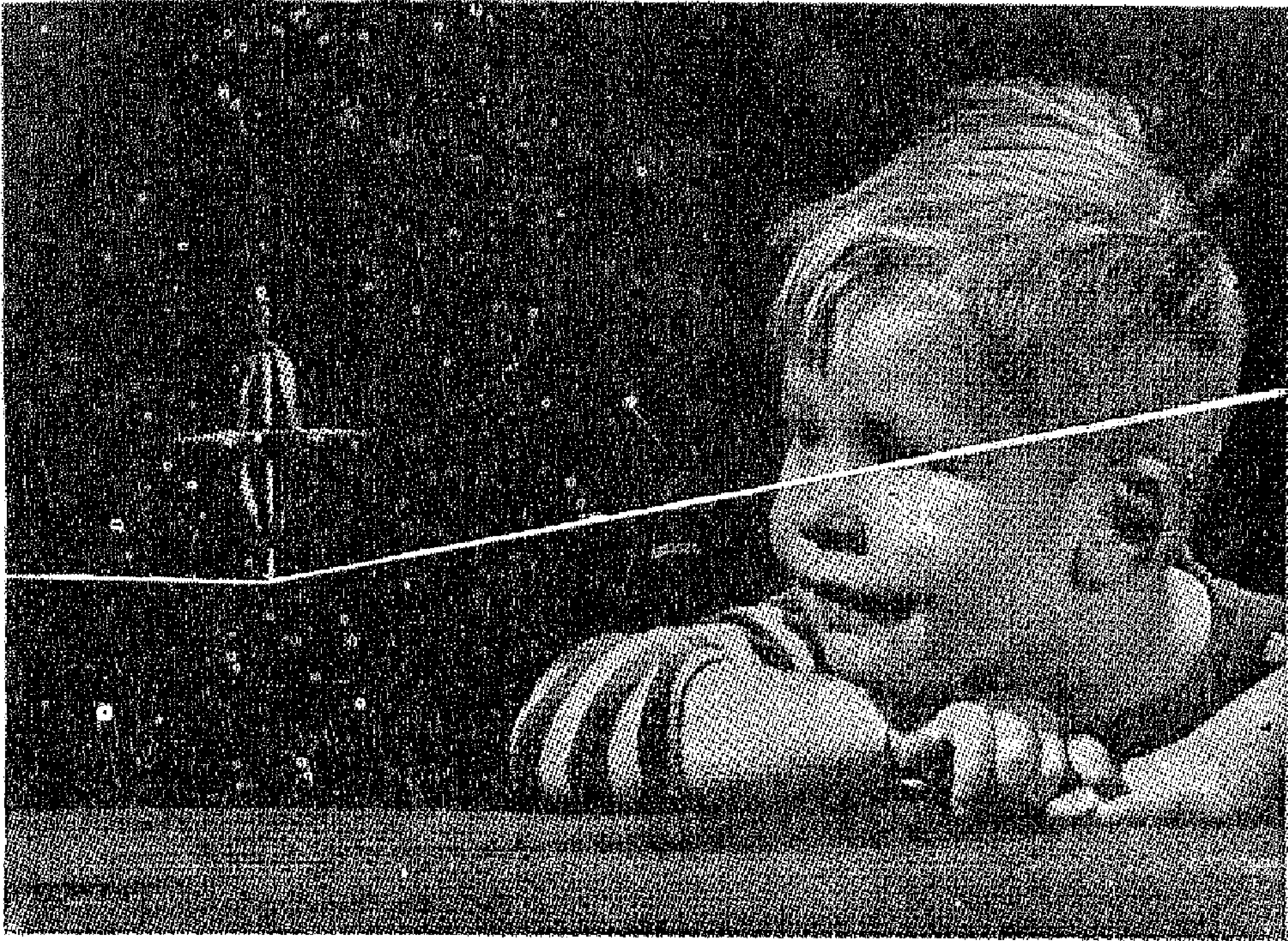
وهذه الأسماء ، بما تمثل من مصالح تجارية عظيمة ، لهى أبلغ دليل على شهرة « ستوديبيكر » . وإزاء ذلك يبذل « ستوديبيكر » كل وسع لتعجيل الإنتاج وتسليم الطلبات بأسرع وقت . ولا شك أن عملاء « ستوديبيكر » الكرام فى جميع أرجاء العالم ، الذين مضى عليهم وقت طويل فى الانتظار سيجدون أن سيارات « ستوديبيكر » ومركبات النقل « ستوديبيكر » هى حقاً خير جزاء لانتظارهم .

The Studebaker Export Corporation
South Bend, Indiana, U. S. A. Cables: Studebaker

Studebaker

مشهور فى جميع أرجاء العالم كرمز الامتياز فى السيارات ومركبات النقل

أعين ترى عوالم جديدة

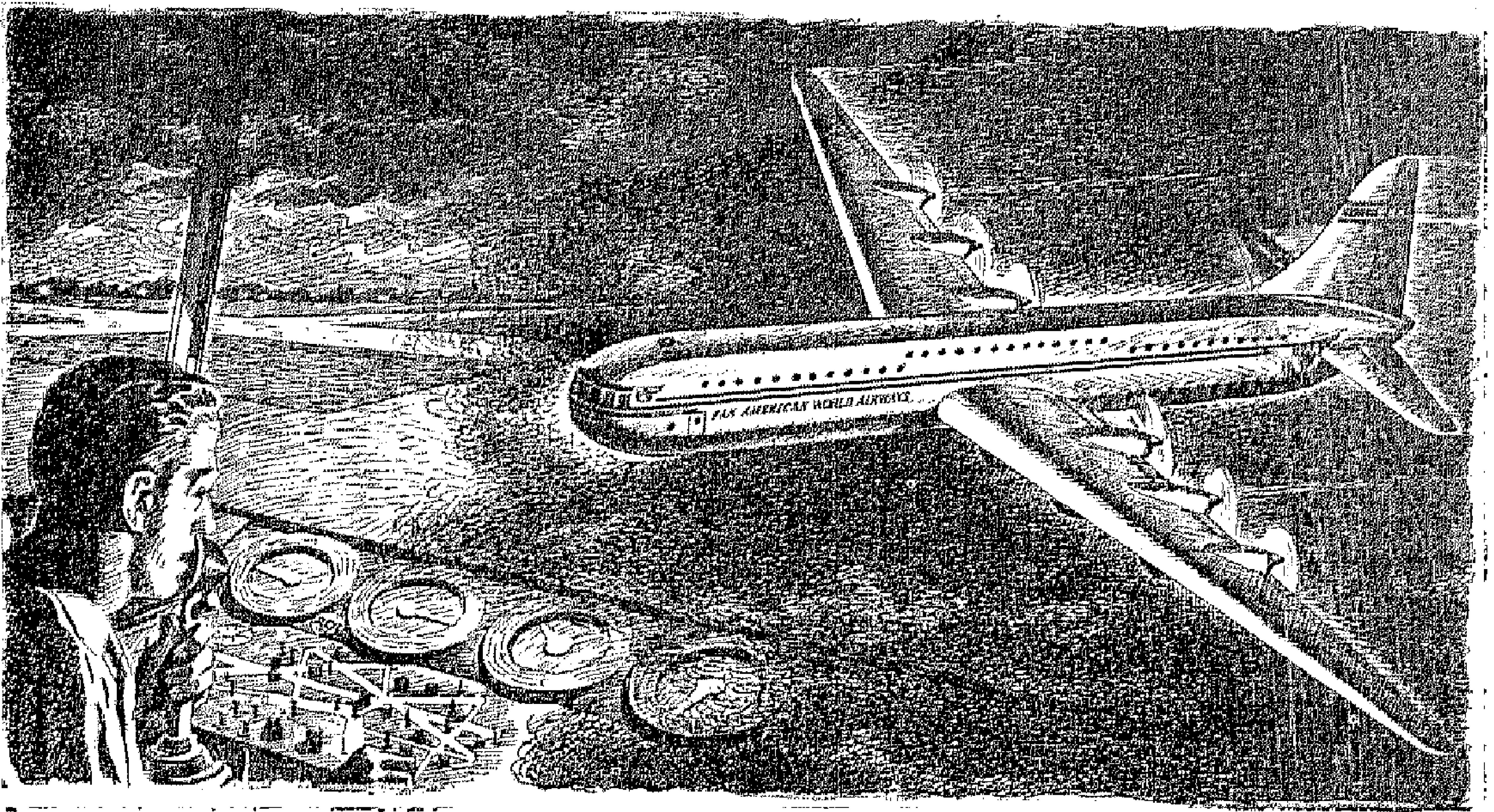


الخيال ... القدرة على ابتكار فكرة والقدرة على تنفيذها عملياً . هذه أشياء تهم « أوتو ـ ليت » . إن اسم « أوتو ـ ليت » على شمعة احتراق ، أو بطارية أو جهاز قيام أو توليد ، أو أية قطعة أخرى من القطع الكهربائية للسيارات ، هو الاسم الذى احتشد وراءه مهندسون مهرة تمكنوا بفضل الأبحاث التى لا تنقطع من أن يهيئوا للسيارات أعلى درجات الكفاية.

ولهذا يعدّ صانعو السيارات وأصحاب السيارات على حد سواء ، اسم « أوتو ـ ليت » رمزاً للزعامة والضمان فى جميع الأجهزة الكهربائية للسيارات .

THE ELECTRIC AUTO-LITE COMPANY
(Export Division) Chrysler Bldg, New York 17, N.Y., U.S.A.

AUTO-LITE أجهزة للقيام والاضاءة والاشعال



الطيران والراديو يتحدان لمجابهة احتمالات المستقبل

الطيران واللاسلكى اتحدا اليوم ليهيئا للأمم صداقة أوثق وتفاهماً أكبر ... وزيادة فى التعامل والتجارة من شأنها أن ترفع مستوى العيش والتعليم لجميع الناس .

وفى عهد الطيران غداً سيتسنى للشعوب أن تسافر جواً بأمان وراحة على متن طائرات جبارة. وستكون السماء طريقاً حراً لتوزيع منتجات العالم على جميع شعوب الأرض . وإن تقدم الطيران الفنى والصناعى فى خلال السنين الأخيرة من شأنه أن يسفر عن إنتاج طائرات أضخم وأسرع للمستقبل .

واللاسلكى يساير نهضة الطيران المدهشة فتراه يشترك مع الهيئات التى تدير المطارات ، وخطوط الطيران ، عاملا على تهيئة شتى الوسائل التى لا غنى عنها فى المخاطبات والملاحة ... بالراديو .

RCA تساعد الأمم على أن تتبوأ المكانة الجديرة بها فى عهد الطيران المقبل

RCA تصمم وتنتج جميع معدات الراديو الخاصة بالمطارات على الأرض وبالطائرات فى الجو واللازمة لبرامج الملاحة الجوية محلية كانت أم وطنية أم دولية وفضلا عن ذلك فإن RCA تقدم خدمات فئة من مهندسيها المتخصصين فى الطيران للاستشارات الخاصة براديو الطيران . وهذه الخدمات تشمل جميع أطوار راديو الطيران : من تزويد طائرة واحدة بما يلزمها من معدات الراديو إلى إنشاء مجموعة التصميمات اللاسلكية لمطار بأكمله .



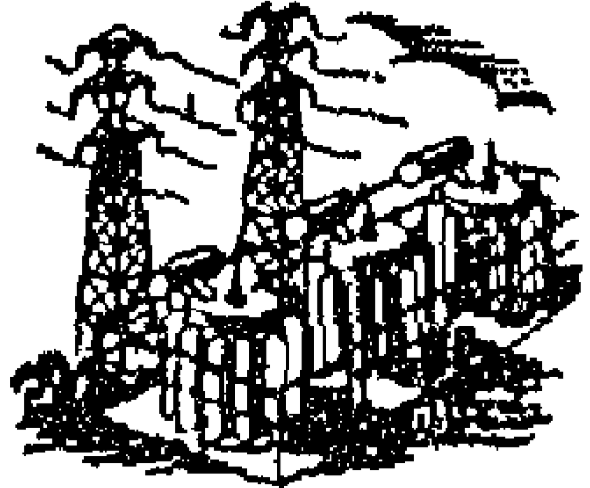
RCA INTERNATIONAL DIVISION

RADIO CORPORATION of AMERICA

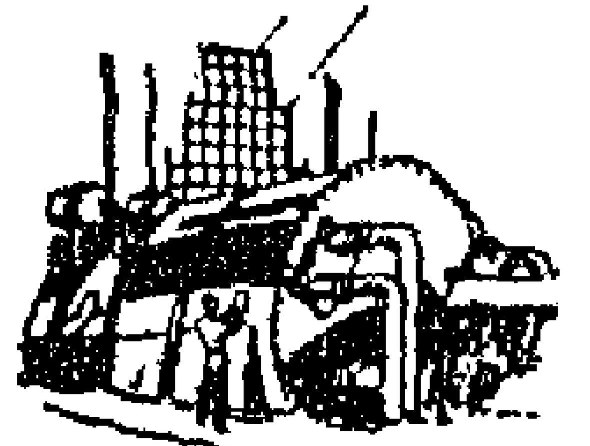
745 FIFTH AVE., NEW YORK, N.Y., U.S.A.

أكثر من ١٦٠٠ من

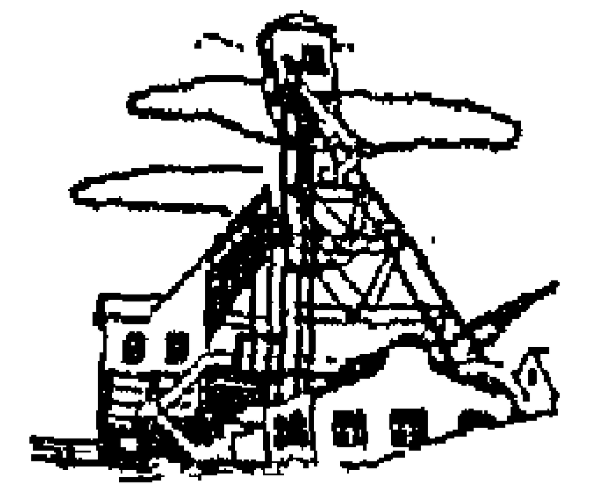
المنتجات للصناعة



معدات كهربائية



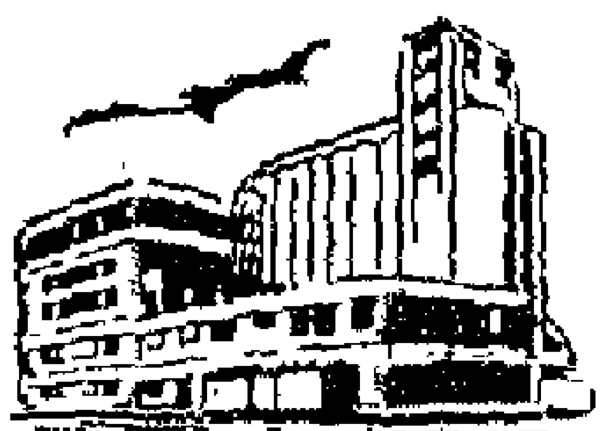
توربينات مائية وبخارية



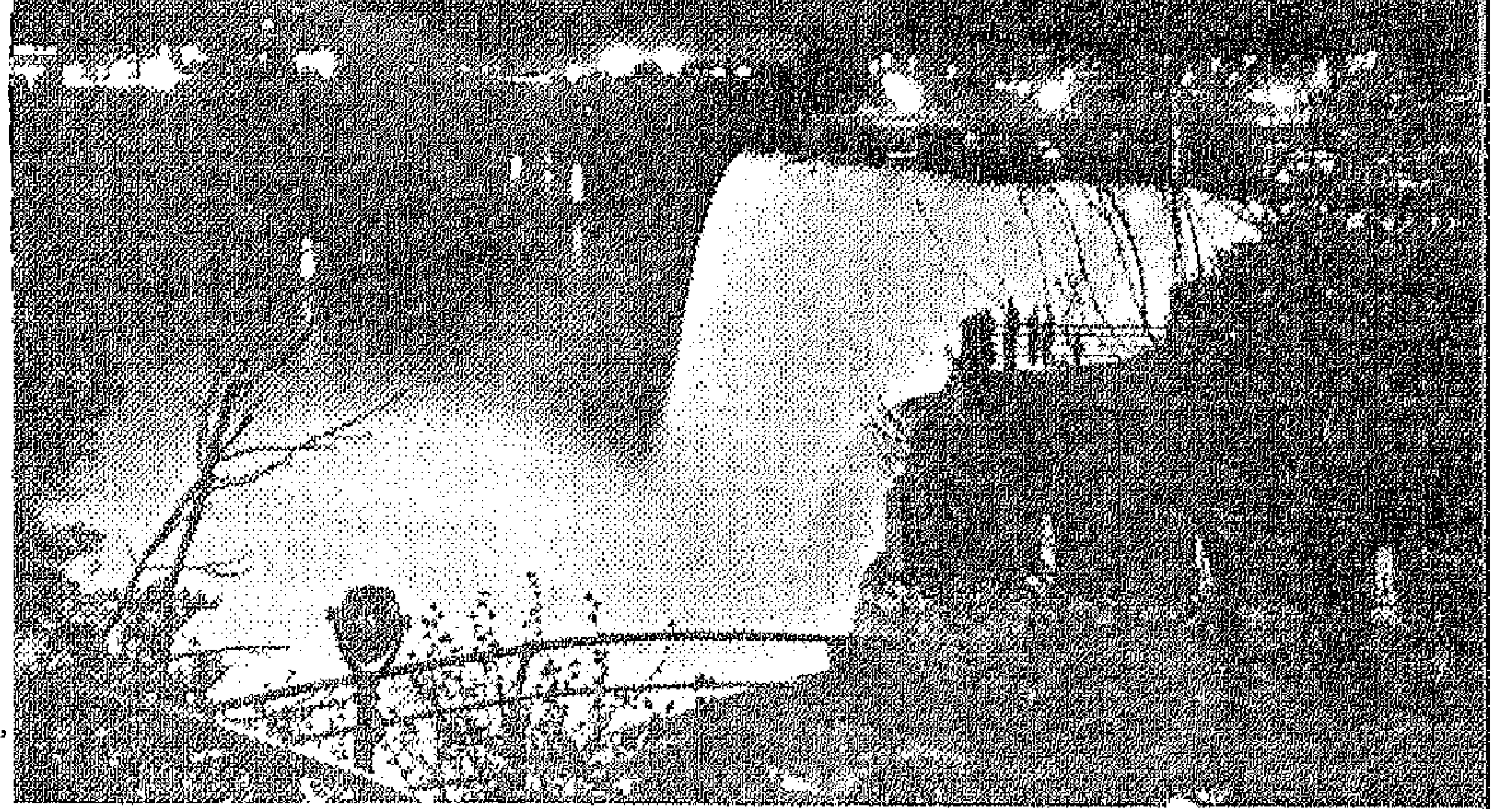
آلات للأسمنت والتعدين



مضخات



آلات لطحن الدقيق



إن الماء أغزر موارد الطبيعة في العالم . وإذا أحسن ضبطه واستغلاله كان ذا شأن عظيم في إنتاج ملايين من وحدات القوة في شكل تيار كهربائي زهيد الثمن ... ويتيح إضاءة المدن ، وتسيير المصانع ، وإنتاج آلاف من المنتجات المختلفة التي تتيح للناس حياة أرغد !

وإن مؤسسة أليس شالمرز لا تقتصر اليوم على صنع التربينات المائية الهائلة التي تملك زمام القوى المائية ، بل تصنع أيضاً المولدات التي تحولها إلى كهرباء ... كما تصنع المحولات والمحركات التي تنقل القوة الكهربائية إلى الآلات ، وإلى وسائل النقل ، وإلى البيوت .

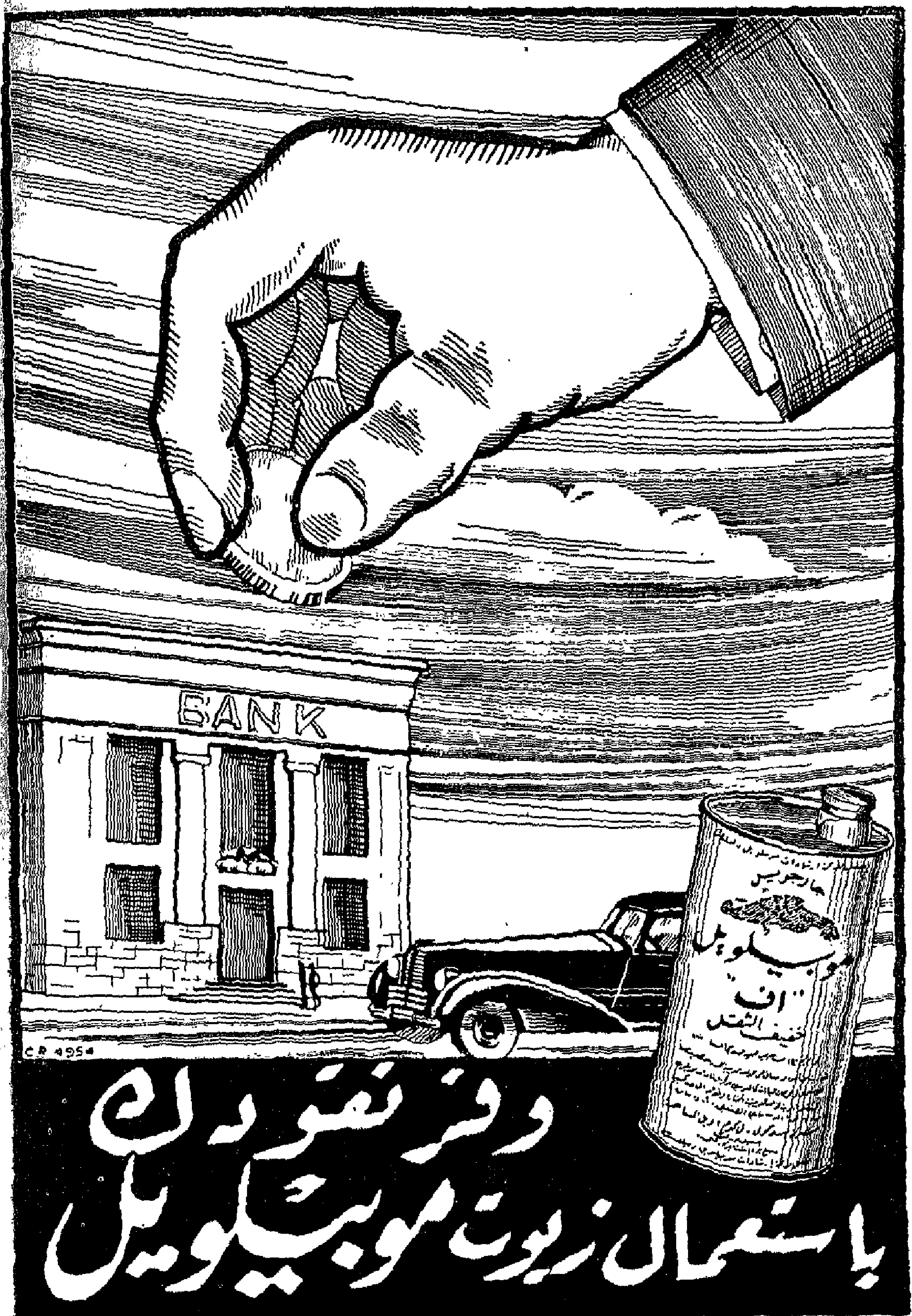
ونحن في الواقع ننتج المعدات لكل صناعة أساسية . مثل آلات التحطيم والمطاحن لمصانع الأسمنت — والآلات الرافعة للمناجم — والمضخات للري ومراقبة الماء — أكبر مجموعة من معدات الصناعة الرئيسية في العالم ! فاحرص على أن تستخدم هذه الآلات تظفر بمنتجات أجود نوعا وأقل سعراً !

ALLIS (AC) CHALMERS

MILWAUKEE 1, WISCONSIN U.S.A.

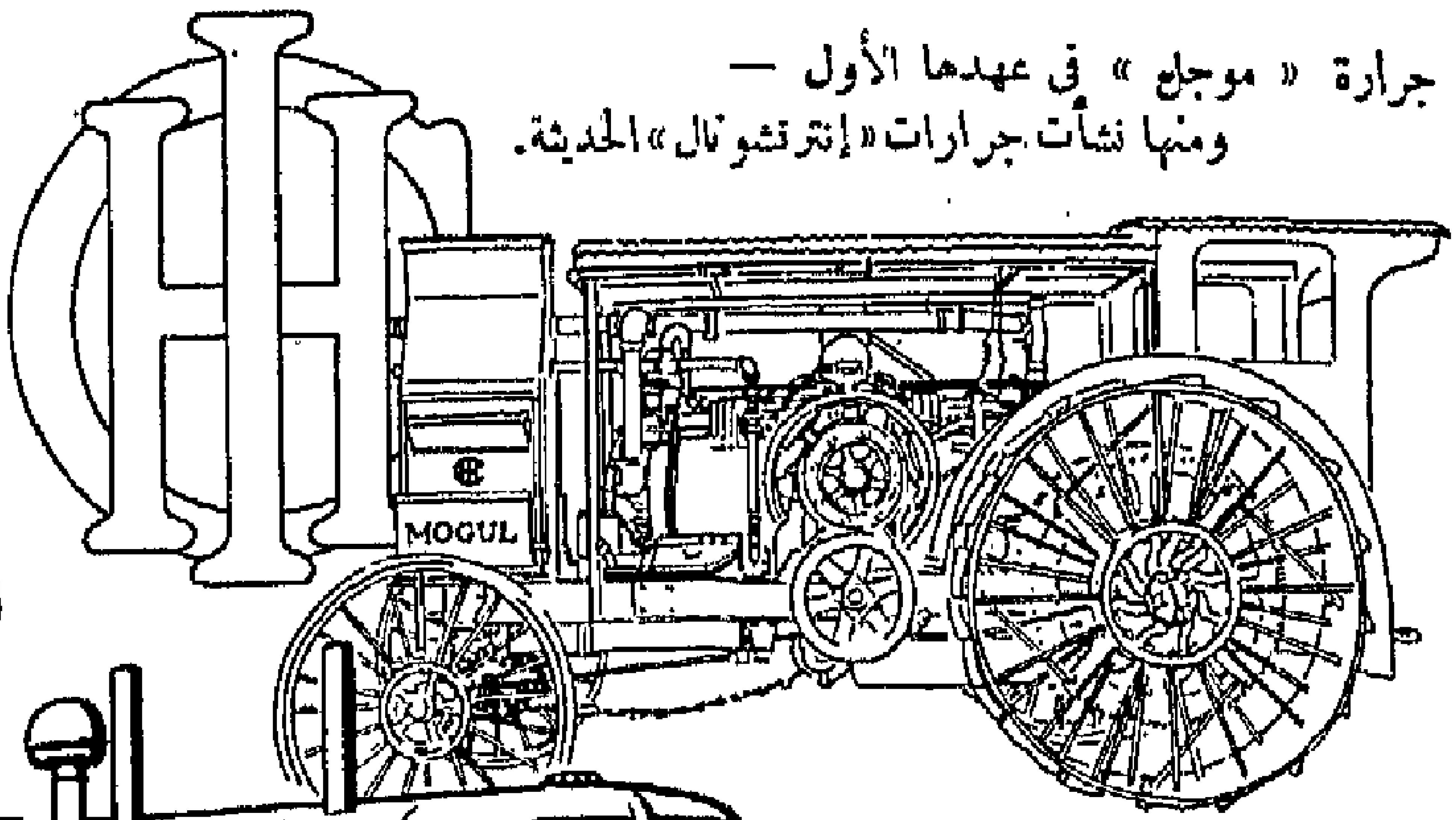
الوكلاء في الشرقين الأدنى والأوسط

القطر المصري والسودان : الشركة الأمريكية الشرقية للتجارة والملاحة ش . م . م ، ٤١ شارع صفية زغلول بالإسكندرية . ٢١ شارع سليمان باشا بالقاهرة — العراق وشرق الأردن : الشركة الأمريكية العراقية للملاحة لمتد ٩/٢٨٢ شارع المستنصر ببغداد — ١٠/١٢٤ شارع الملك فيصل بالبصرة — المملكة العربية السعودية : أمريكان إيسترن كوربوريشن ، جده — إيران وأفغانستان : أمريكان إيسترن لمتد ، عمارة مبصر ناصية شارعي شهريزا وروزفلت ، طهران . وهناك مراسلون لشركة « أليس تشالمرز » في مختلف البلاد القريبة والبعيدة .

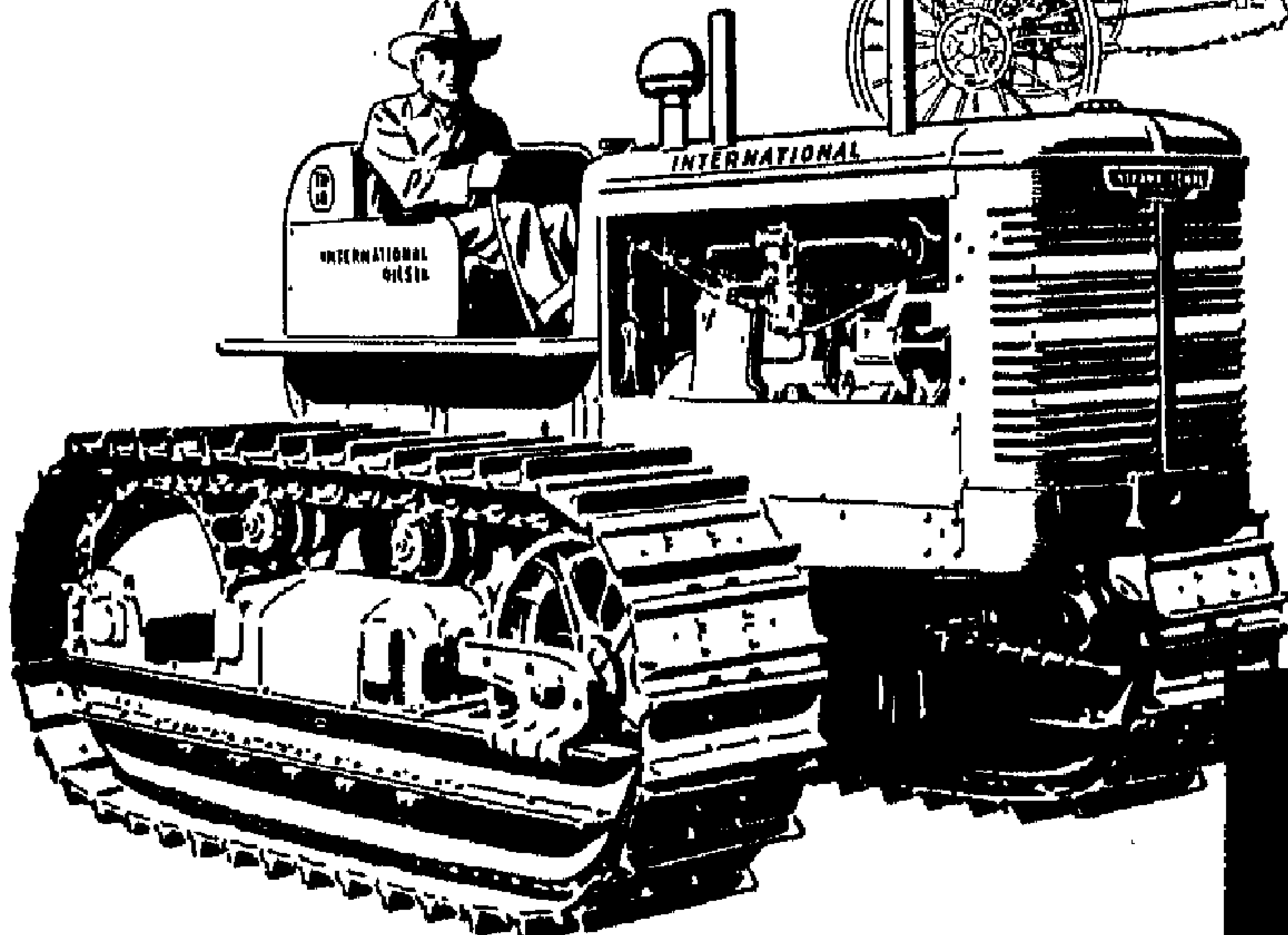


BANK
جارجويل
"اف"
خفيف الثقل
CR 4954
وفر نقودك
باستعمال زيوت موبيلويل

هذه المؤسسة ما فتئت تخدم الصناعة والزراعة منذ ١١٠ أعوام، وقد بدأت بإنتاج آلة « ماك كورميك » الحاصدة وما لبثت منتجاتها أن تزايدت وتنوعت حتى أصبحت اليوم تؤلف مجموعات كاملة من الجرارات وآلات المزارع وآلات القوى الصناعية . وثمة الآن رمز جديد لجميع هذه المنتجات . . . وهو رمز للخبرة والخدمة .



جرارة « موجل » في عهدها الأول — ومنها نشأت جرارات «إنترنشونال» الحديثة.





هذا الرمز الجديد دليل إلى منتجات إنترنشونال هارفستر إنه رمز الخبرة والخدمة

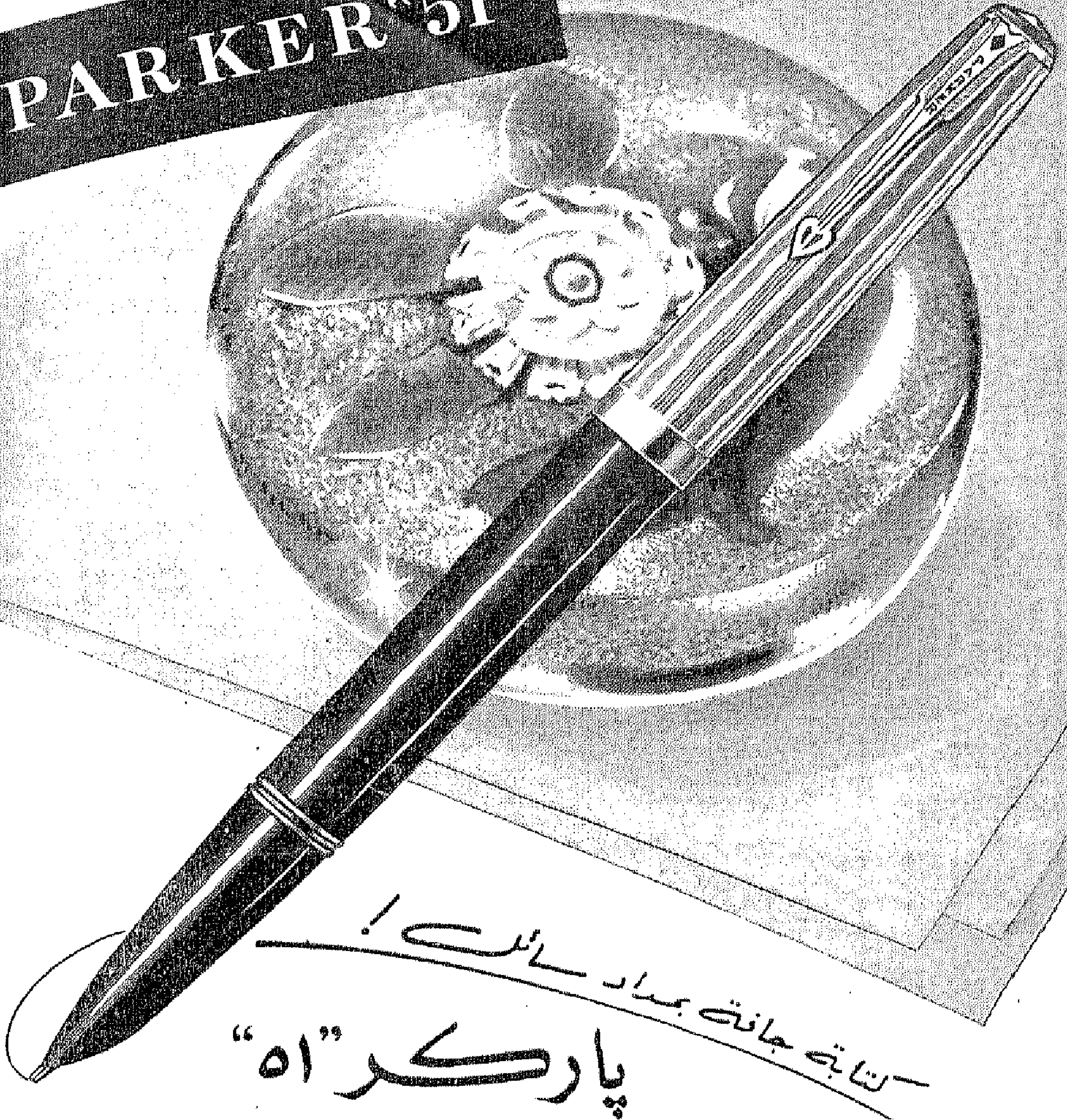
مرت سنون عديدة منذ أن اتخذ رمز «IHC» دليلا على كل آلة تنتجها شركة «إنترنشونال هارفستر». ومنذ ذلك الوقت اتسع إنتاج شركة « إنترنشونال هارفستر» وأصبح يشمل مجموعات كاملة من جرارات «إنترنشونال» وآلات القوى الصناعية «إنترنشونال» وجرارات « ماك كورميك ديرنج » ومعدات المزارع « انترنشونال.....» وهذه الآلات تخدم الصناعة والزراعة في جميع نواحيها .

وإن ما تمتاز به منتجات « إنترنشونال هارفستر» من متانة البناء، وكمال الأداء، والاقتصاد، تبرهن عليه الخدمات الفائقة التي تؤديها لمستعملها في جميع أنحاء العالم . فابحث إذن عن هذا الرمز الجديد حينما تحتاج إلى مثل الآلات التي تنتجها مؤسسة «إنترنشونال هارفستر» إن هذا الرمز عنوان الشهرة المرموقة والتقدير العظيم في العالم أجمع ... كما أنه عنوان على الخدمة الفائقة للصناعة والزراعة .

INTERNATIONAL HARVESTER EXPORT COMPANY
Harvester Building — Chicago 1, U. S. A.

سيارات النقل إنترنشونال - آلات القوى الصناعية إنترنشونال
جرارات ماك كورميك ديرنج ومعدات الزراعة إنترنشونال

INTERNATIONAL HARVESTER



أنى للأقــلام الأخرى أن تقارن بقلم باركر
« ٥١ » ؟ . . . تصميم سباق ! وسن مغلفة ، ندية على
الدوام ، يبــدأ الـكتابة فى التو والحال ! وانســياب ناعم
على الورق كأن به أجنحة . . . وهو القــلم الوحيـد الذى
يستطيع بفضل تصميمه الخاص استعمال حبر باركر « ٥١ »
الحــبر الذى يجف وأنت تـكتب به !

THE PARKER PEN COMPANY Janesville, Wisconsin, U.S.A.

غذاء أفضل لعالم أفضل



الآلات
في خدمة الانسان

عهد جديد أخذ يشرق على الإنسانية ... عهد ارتقاء يسيطر فيه الإنسان على القوى الآلية فتتيح له هذه السيطرة أن يكون عاملا أقدر وأنفع وأسعد . ويتمثل هذا التعاون بين الإنسان والآلة ، فيما تقدمه شركة « سويفت » المؤسسة العالمية ، من أطعمة فاخرة ، مغذية ، بأقل سعر ممكن فهذه الأطعمة الممتازة التي ذاع بها صيت « سويفت » هي نتيجة الأساليب المبتكرة لتوفير الوقت والطاقة تحت رقابة الإنسان .

Swift

شركة "سويفت" الدولية

مصانع في الأرجنتين واستراليا والبرازيل ، ونيوزيلندا وأوروجواي توزع

منتجات ممتازة منذ أكثر من ٣٥ عاماً

INTERNATIONAL SWIFT COMPANY

Av. Corrientes 389, Buenos Aires, Rep. Argentina



حلقك محتقن ؟

عليك بمطهر

ليسترين

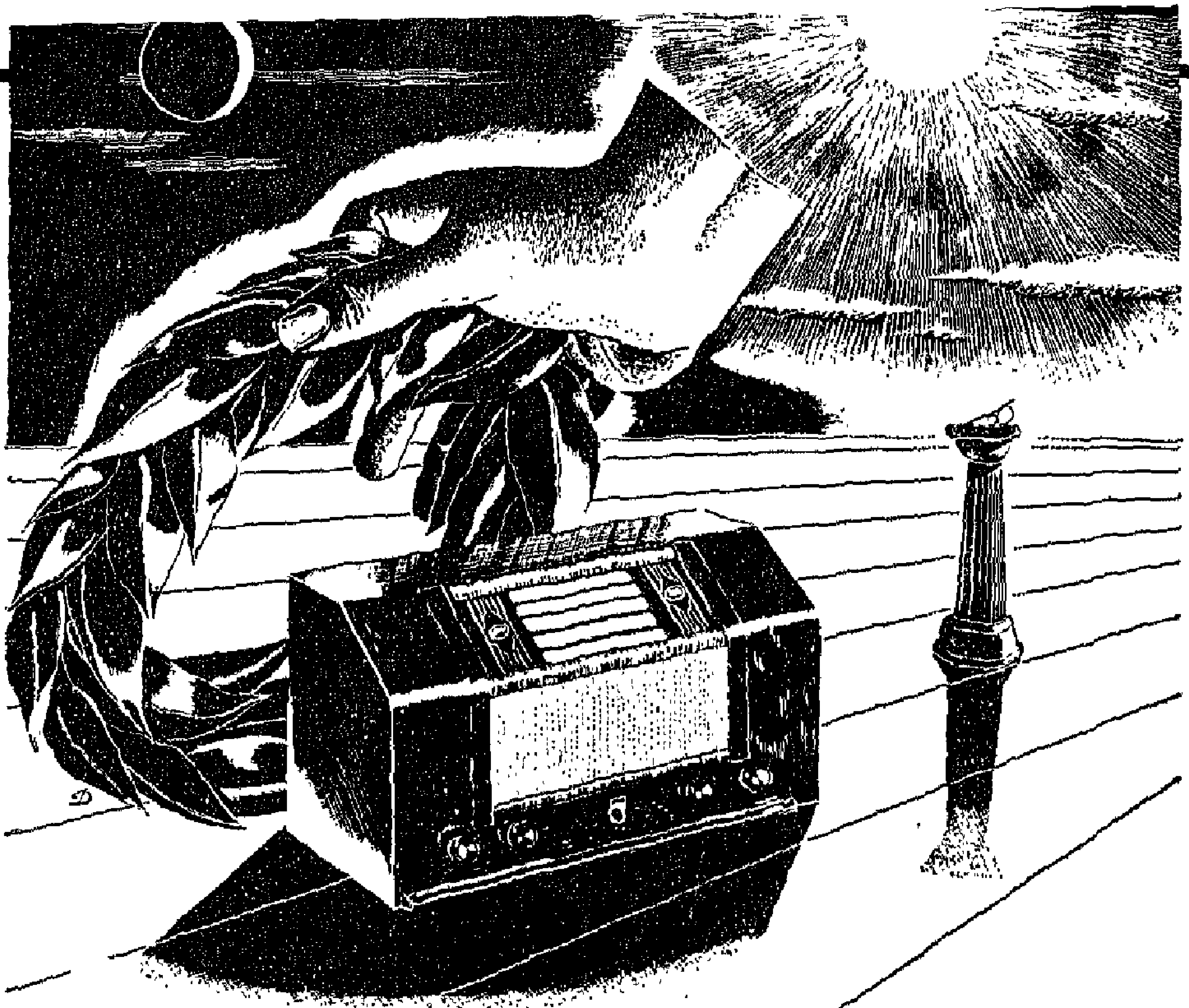
في الحال !

إن « وجع الزور » قد يكون نذيراً بالبرد — فاستمع إلى النذير ! الغرغرة بمطهر Listerine عند أول علامة من علامات التهاب الحلق ، توقف الالتهاب وتمنعه من الانتشار. مطهر Listerine يصل إلى أبعد نقطة على سطح حلقك ويقضي على ملايين الجراثيم — وهو مأمون للغاية ولا ضرر منه على الإطلاق . فاحرص إذن حالما تشعر ببوادر البرد على الغرغرة بمطهر Listerine ، فإن ذلك قد يوفر عليك كثيراً من المتاعب وكثيراً من المال .



LISTERINE *Antiseptic*

مطهر الأسنان **ليسترين**



الزمن قد أثبت أن راديو فيليپس هو أحسن ما يعتمد عليه

حين تصبح أجهزة الراديو الجديدة متاحة فمن الخير، أن تذكر هذه الحقائق. إن أجهزة راديو «فيليپس» مصممة ومصنوعة خصيصاً لتلائم البلاد التي تستخدم فيها. فضلا عن أنها تضم خبرة نيف وخمسين عاما من الأبحاث والتحسين في مضمار الكهرباء.

وهذا هو سرّ ظفر هذه الأجهزة في أعظم تجربة: تجربة الزمن — خلال سني الحرب يوم تعذّر الحصول على أجهزة جديدة.

وستأتيك قريباً أجهزة راديو «فيليپس» الجديدة متصفة بمزاياها القديمة، والتحسينات الرائعة التي اكتشفها «فيليپس» في مختلف أرجاء العالم في إنتاجه الحربي العظيم.

تذكر إذن أن وعود «فيليپس» قد تحققت. وكن على صلة دائمة بأقرب وكيل «فيليپس» إليك للظفر بأحسن ما في عالم الراديو.

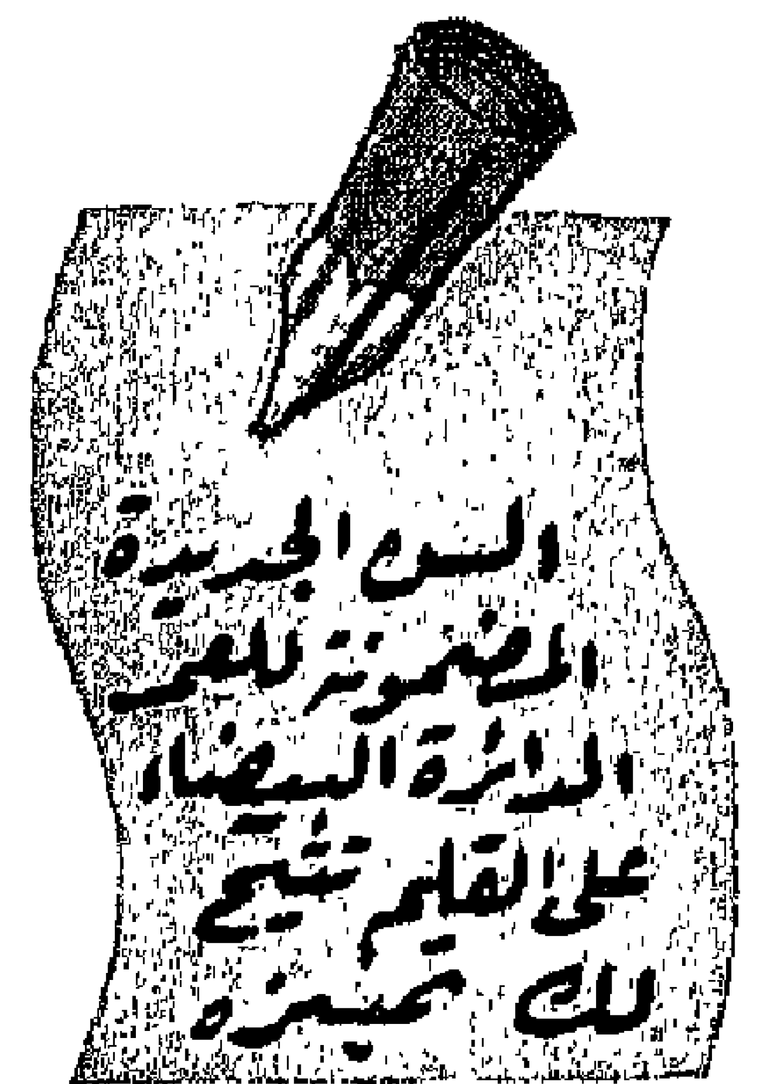
قريبا تأتي .... أحسن أجهزة

راديو PHILIPS فيليبس

هدايا منقطعة النظير

لأن نوعها منقطع النظير

وفى مضمار الكتابة تنطبق هذه الحقيقة على أقلام « شيفرز » ! مقارنة بسيطة تطلعك على السر ... فليس ثمة أى قلم آخر يستخدم مثل هذا المقدار من الذهب (عيار ١٤ قيراط) فى الموضع الصحيح — فى السن الاسطوانى العريض المضمون للعمر . وليس هناك قلم آخر يجعلك تشعر وأنت تكتب بأنه حقاً قلمك الذى كنت تبحث عنه — وأنه قلمك الذى ألفته منذ زمن بعيد ، حتى ولو كنت تكتب به لأول مرة ! إنه هدية ممتازة — لنفسك ولغيرك — والبرهان فى التجربة . جرب قلم « شيفرز » ! جرب أقلام « شيفرز » جميعاً ! فستشترى « شيفرز » — وستهدى « شيفرز » — ولن ترضى عنه بديلا !



أقلام الحبر الجديدة "تريومف"

أقلام الرصاص الجديدة "فاينلاين"

أقلام شيفرز



إن منتجات شركة « وليامز » المشهورة فى جميع أرجاء العـــالم ، مصنوعة بمهارة خاصة تنتجها خبرة مئة عام فى صناعة أرق مستحضرات الزينة للرجال . وسيكون فى وسعك أن تنعم بأفخر مستحضرات الحلاقة حالمـا تعود العلاقات التجارية إلى سابق عهدها . وحينئذ ستجد منتجات « وليامز » فى أشهر محلات الشرق الأوسط.

ويمكنك أن تثق من حصولك على أفضل حلاقة وأكثرها راحة حين تستعمل :

كريم وليامز الفاخر للحلاقة : يحتوى على مادة « لانولين » الملطفة التى تتيح لك حلاقة ناعمــة دون أن يتهيج الجلد .

أكوا ڤلڤا : أشهر لوسيون فى العالم للاستعمال بعـــد الحلاقة . مبرد ، منعش ، نقى ، ذكى الرائحة .

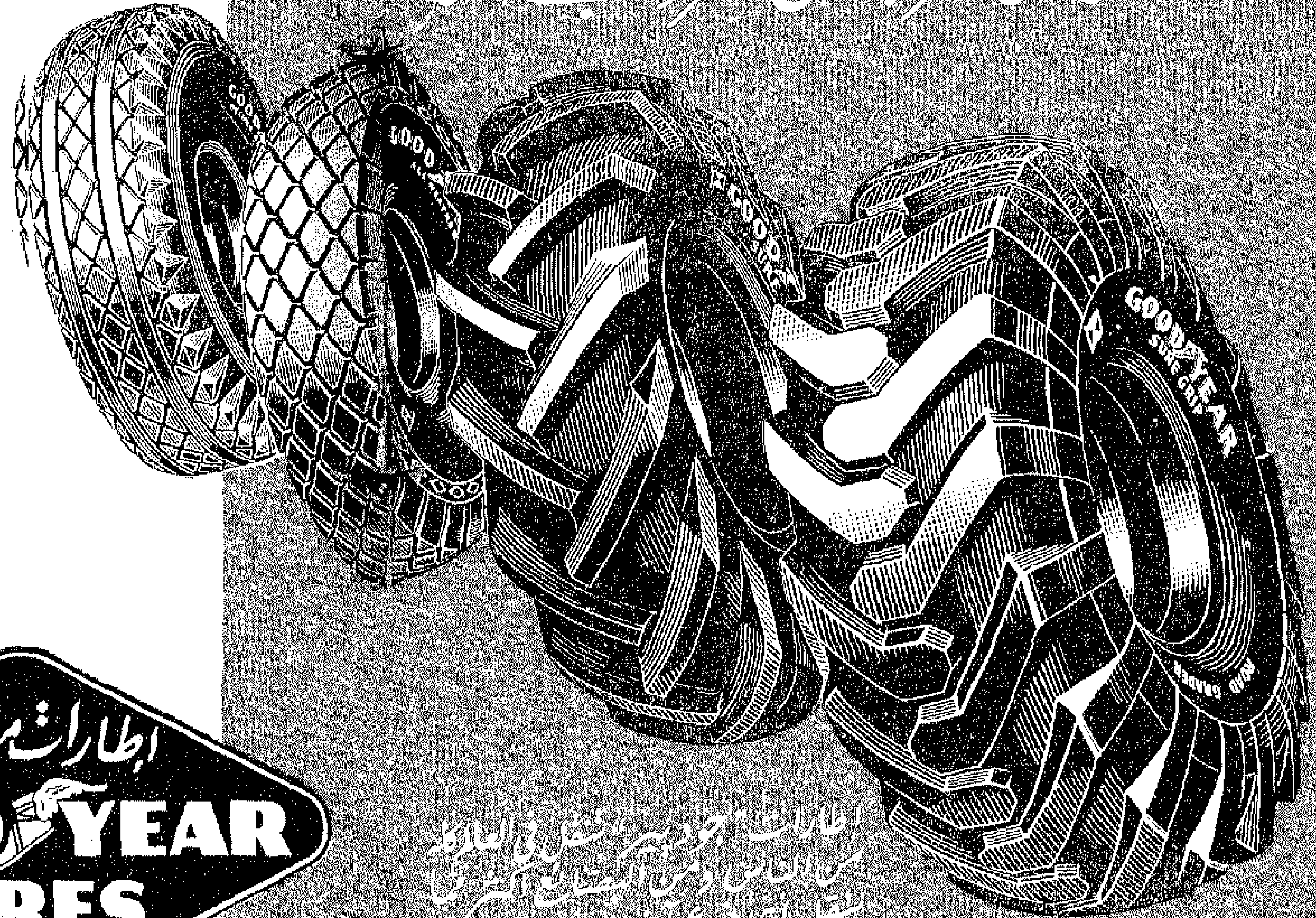
كريم جليدر وكريم إسكواير للحلاقة بدون فرشاة : خاليان من المواد الشحمية أو اللزجة ، مصنوعان خصيصاً بحيث يتيحان للذين يحلقون كل يوم ، حلاقة ناعمة دون أن يلتهب الجلد .

قلم صابون وليامز للحلاقة : مشهور برغوته السخية ، الندية ، اقتصادى للغاية يخدمك ستة أشهر يعطيك خلالها أنعم الحلاقات وأكثرها راحة

The J. B. Williams Co., GLASTONBURY, CONN., U.S.A.

شركة ج . ب . وليامز ، جلاستونبرى ، كونيكتيكت ، الولايات المتحدة

منتجو مستحضرات الحلاقة الفاخرة منذ أكثر من ١٠٠ سنة



تقطع أميالا أكثر ... وتهيء أقصى حد من الأمان ، وتتيح أعظم قسط من الاقتصاد ، ولذلك ظفرت إطارات «جوديير» بتفضيل منقطع النظير من جميع راكبي السيارات فى جميع أنحاء العالم .

وقد بلغ من استمرار هذة الإطارات العظيمة على هـذا الأداء الممتاز حتى لتجد العبارة التالية تنطبق عليها حقاً وصدقاً منذ ثلاثين عاما .

إطارات « جوديير » تنقل فى العالم كله من الناس ومن البضائع أكثر مما ينقل أى نوع آخر من الإطارات

ولا يمكن أن نجد فى تاريخ النقل ما يشهد لإطار ما بتفوق الأداء ، مثل هـذه الشهرة منقطعة النظير التى ظفر بها « جوديير » .

على أنك تستطيع أن تثق أن خبرة « جوديير » الواسعة ـ تلك الخبرة التى اكتسبها فى أيام السلم ودعمتها تجارب الحرب ـ ستحمل فى المستقبل إلى جميع شعوب العالم إطارات أعظم إتقاناً وتفوقاً من كل ما سبقها .



مسألة موت أوحياة

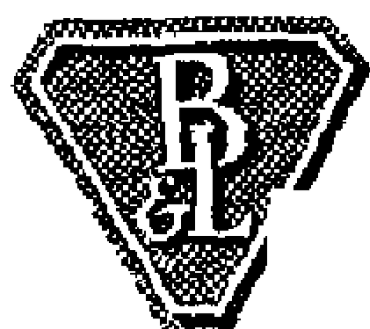
قد لا يخطر على بالك أن فحص العينين مسألة موت أو حياة . بيد أن ما تؤديه من أعمال يومية — فى بيتك ، وفى عملك ، وفى لهوك — يتطلب بصراً سليما صحيحاً لكى تظفر بالسلامة والأمن .

وقد اثبت العلم الحديث أن المصابين بضعف فى بصرهم يجهلون غالباً علتهم . والسبيل الوحيد للاستيثاق من ذلك هو استشارة إخصائى فى العيون . فإذا لزم أن تصحح بصرك بنظارة ظفرت بالوجاهة والصحة فى نظارة « بوش ولومب » الجديدة الدقيقة . فصن مستقبلك — وحافظ على دقة نظرك .

بوش ولومب

BAUSCH & LOMB

OPTICAL — COMPANY



روشستر
الولايات المتحدة الامريكية

تأسست سنة
١٨٥٣

شركة بوش ولومب : تصنع زجاجا للابصار ومجموعة كاملة من أدوات الإبصار للاستعمال فى الحرب والتربيــة والبحث العلمي والصناعة ولتصحيح بصر العيون وحفظه

GILLETTE BLADE

MADE IN ENGLAND

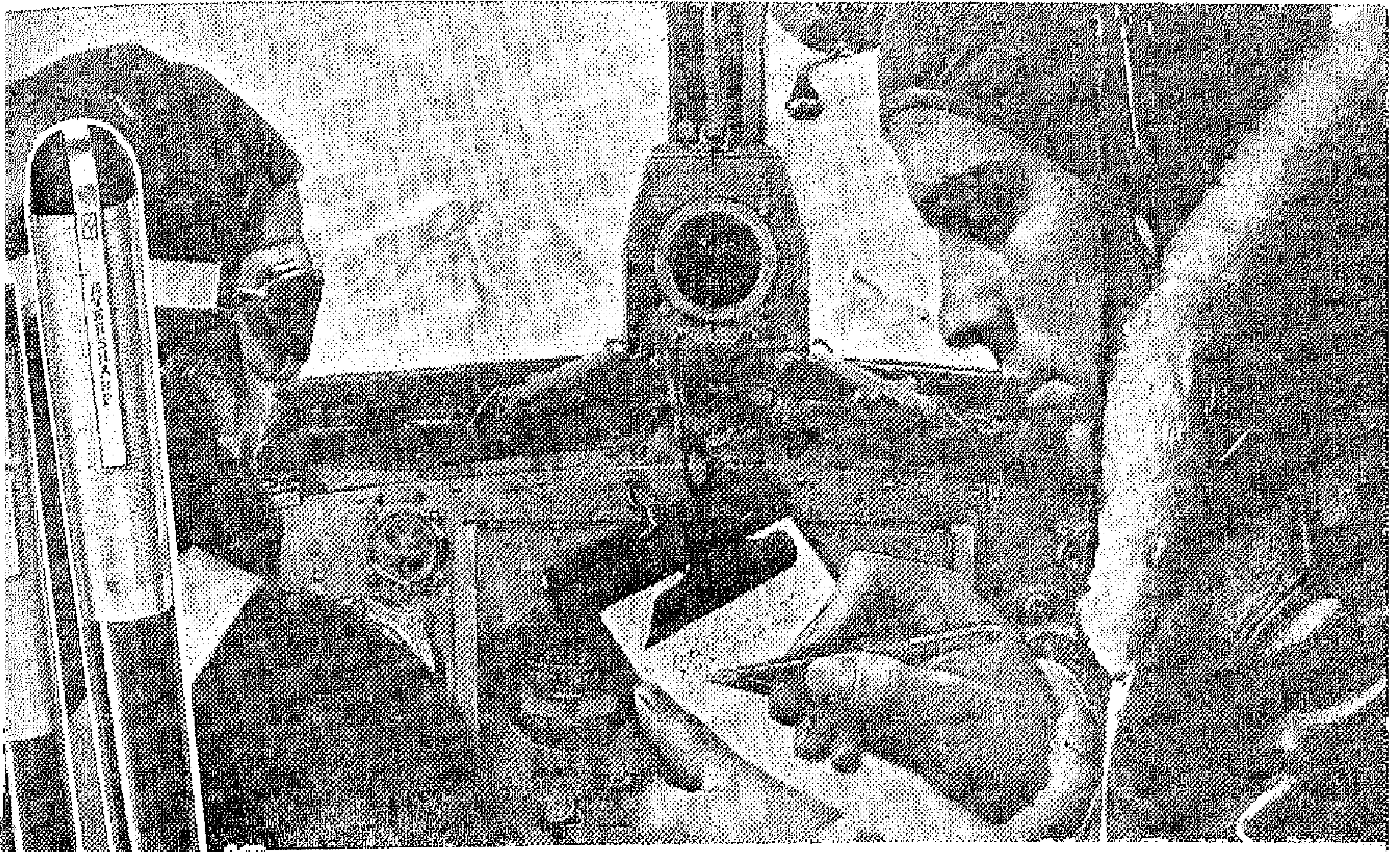
شفرات جيليت

الشفرة الجيدة هى التى تعطى حلاقة سريعة ناعمة . وهذه المميزات تتحقق فى شفرات جيليت . لذلك يفضلها ملايين الرجال فى انحاء العالم . وحيث ان انتاجها لا يزال محدوداً فاعتن بها .

١٢ شفرة جيليت "استندرد" بـ ١١



حيث تنضح الأقلام العادية
ترى إيفرشارب هذا مستمراً فى كتابته !



إن الخزان السحرى يمنع رشح الحبر وتسربه فى الطائرة المحلقة فى الجو — وعلى الأرض أيضاً بالطبع !

فى الطبقات العالية تنضح الأقلام العادية وينتثر حبرها حتى ليخيل للمرء أنها « انفجرت » . أما قلم «إيفرشارپ» المزود بخزان سحرى لمنع تسرب الحبر ورشحه ، فيستمر فى الكتابة على أحسن وجه . وكما يكتب « إيفر شارپ » فى الطائرة كذلك يكتب على اليابسة . . . بطلاقة ويسر . . . حتى آخر نقطة من الحبر . . . كما أنه يكتب عدداً أكبر من الكلمات بين تعبئة وتعبئة !

أما ريشته السحرية الجديدة فقد بلغت من النعومة حداً يجعلك تعجز عن سماع صريرها وهى تكتب .

وهناك قرينه قلم الرصاص «إيفرشارپ» ، وزن الريشة ، فيمتاز بزره السحرى ذى الطلقات . ويكفى ضغط بسيط على زره ليظهر الرصاص تماماً على طريقة المدفع الرشاش !

EVERSHARP, INC., CHICAGO, U.S.A.

وعلاوة على كل ذلك فإن خدمة القلمين مضمونة ، لا عدداً معيناً من السنين ، ولا مدى الحياة وحسب بل هو ضمان للأبد !

غطاء ذهبى - قصبة من الجواهر على مختلف الألوان الممتازة

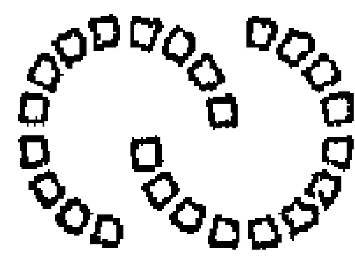
قدم إيفرشارب . . . تكون قدمت أبدع هدية

الألفاظ المطبوعة ، فإن كان مُهوِّماً ، كان كلٌّ متاعه حلماً يزين لهُ أنهُ يضمها بين ذراعيهِ ، وهي تفرُّ منهُ كالغزال الشارد .

والحضارة الحديثة ، كما رأيت مجالبها في شتى أمم الأرض ، ترهقُ من يريد أن يجنى من القراءة أعظم نفع . فالناس يلقون نظرات عابرة على عنوانات الصحف ، ويرون على الشاشة أشباحاً تتوالى توالياً سريعاً . وما يذاع من الأنباء والموسيقى يدخل من أذن ويخرج من الأخرى . فحين يقبلون على القراءة ، ينـدر أن يكون منهم من يندمج مع المؤلف أو الكاتب في رحلة الفكر والخيال .

ففي هذا السيل المتدفق من الحبر الذى تسكبه أقلام الكتاب ، يحتاج الناس إلى حذف مالا خطر لهُ وما لا جدوى فيـهِ من كلّ ما يكتب وينشر ، حتى يحصر الذهن في الموضوعات التي تنفع الناس .

وقد تبينت أن مجلة ريدرز دايجست — وما تنشرهُ من طبعات في شتى أقطار الأرض — إنما هي مدرسة تعلم القارىء أن يفكر ويتأمل وهو يقرأ فهي تهيب بقرائها أن يحطموا أغلالَ عادة بغيضة هي « قراءة التهويم » ، فإذا فعـلوا كان جزاؤهم أن يدركوا كلتا الحسنيين : نشوةً تسمو بالعقل ، وخيراً ينفع في الحياة .



استيقظ واستمتع بالقراءة

بوب ديفس
المؤلف المشهور والرحالة العالمي

لم يشهد عصر من عصور التاريخ الغابرة ما يشهدهُ هذا العصر من تدفق الكتب والمجلات والصحف والرسائل ، من مطابع العالم . وقد أخذ مدُّ الأميّة الطاغي ينحسر رويداً رويداً وعدد القادرين على القراءة يزداد ازدياداً مطرّداً حثيثاً ، ومع ذلك ، يلوح لى أن معظم الذين يكبون على القراءة ، لا يحسنون القراءة . فهم قلما يذكرون ما يقرأون ، ويندر بينهم من يفكر ويتأمل فيما يقرأ ، فلا يجنون من القراءة نفعاً دائماً .

والقراءة ، فى نظر فريق كبير من الناس هى الإكباب على تصفح كتاب ، دون الاستمتاع بذخيرته من فكر أو جمال . وليس ثمة ريب فى أن التصفح وحسب ، دون التأمل والروّية والمتعة ، هو أشبه مايكون بالذهاب فى نزهةٍ فى صحراء أو جبل أو روض ، دون أن تستمتع بمجالى جمالها . فالذين يقرأون ولا همَّ لهم إلا أن يقتلوا الوقت ، لا يجنون شيئاً نافعاً من صفحات تتوالى على أعينهم ، وهم فى حالة أدنى إلى التهويم منها إلى اليقظة ، فبئس ما يفعلون . فلا بدَّ ، لكل من يريد أن يحسن القراءة النافعة من أن يستيقظ لكى يستمتع وينتفع ، ولا بدَّ لهُ من أن تكون حواسهُ جميعاً متنبهة ، لكى يلتقط الصورة العابرة التى تمثلها

[التتمة على الصفحة السابقة]

المختار

من ريدرز دايجست

في كل مقالة لذة دائمة

مايو ١٩٤٦

بعض ما تقرأ فى مختار يونيه القادم

• **ابتكر لنفسك عملا :** إرشاد نافع يوجهه أحد كبار رجال الأعمال إلى الشاب الذى يطلب عملا ويجد الأبواب موصدة فى وجهه . مقال يكمل سلسلة « كن سيد عملك » .

• **هذه هى المجاعة :** تهدد أمم العالم اليوم مجاعة سوداء . ففى أوربا ١٤٠ مليوناً لا يجدون الكفاية للتبلغ ، وفى الصين ٨٤ مليوناً ، وفى جنوب آسيا الشرقية ١٣٠ مليوناً ، والهند فى خطر من المجاعة . وبعده مقالة تحرك النفوس عن مجاعة البنغال ١٩٤٣ — ١٩٤٤

• **آية التجسس الألمانى :** الآن نستطيع أن نروى كيف فضح أغمض سر من أسرار التجسس الألمانى فى الحرب : سر النقط ، النقط الكثيرة الدقيقة ! والراوية هو أعظم ثقة أمريكى فى الموضوع مدير قسم المباحث فى الحكومة الأمريكية .

• **فيم العجلة ؟ :** آفة المدينة الحديثة هو السرعة والتعجل ، فهل تعرف كيف تستمتع بالمعانى الخالدة فى هذه الحياة ، سواء أكنت تقيم فى المدينة أم فى الريف ؟

• **ما الذى تعرفه عن عينك ؟** • **كيف ربينا ابننا فى البيت ؟**

كتابان مختصران
• **١ — كيف تصلح هيئة الأمم المتحدة ؟**
• **٢ — تزوجت حليف المغامرات**

READER'S DIGEST

(Reg. U.S. Pat. Off. Marca Registrata)

AL MUKHTAR min Reader's Digest — Vol. 6, No. 33, MAY 1946

تصدر شهرياً فى بليزانتفيل ، نيويورك ، بالولايات المتحدة الأمريكية — وتصدر طبعات انجليزية ، وأسبانية ، وبرتغالية ، وسويدية ، وعربيـة — وتصدر دار الطباعة الأمريكية للعميان بلويزفيل كنتكى طبعتين للعميان إحداهما طبعة « برايل » وأخرى على « أقراص مسجلة » .

قسم التحرير : رؤساء التحرير — ده ويت ولاس ، ليلى أتشيسون ولاس

سكرتير التحرير : كنيث و . باين ، مدير التحرير : الفريد س . داشيل

قسم الإدارة : المدير العام — ا . ل . كول ، المدير المساعد — فرد د . طمسون

الطبعة العربية : — التحرير والإدارة : ١٦ — شارع شامپليون بالقاهرة . تليفون : ٥٧٨٩٣

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف

مصر والسودان — ثمن النسخة ٣ قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً صاغاً

فلسطين وشرق الأردن ٣٥ ملاً — العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً

الاشتراك السنوى ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً

الطبعات الدولية — المدير العام : باركلى أتشيسون

السنة الثالثة
المختار
من
ريدرز دايجست
كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الإيجاز باقية الأثر
المجلد ٦
العدد ٣٣
مايو ١٩٤٦

إن شئون الأمم لا يمكن أن تسوى بصب أشتاتها في قالب واحد مستو ، أو إدماجها فى دول أكبر منها .

عالم واحد — أمم شتى

ربيكا وست • مختصرة من مجلة "ستاندين"

كثير من الناس فى هذه الأيام **يعتقد** أن كل المتاعب الدولية يمكن أن تخف إذا أدمجت الدول الصغيرة فى العالم فى دول كبيرة . ويكاد منطقهم يكون منطقاً لا يدفع ، فإن الدول هى التى تثير الحروب ، فكلما قلت الدول قلت الحروب .

غير أن شر الجرائم الفكرية هى المبالغة فى التبسيط والقول بأن الصعب سهل ، فليس من الميسور استئصال شأفة الأمم الصغيرة وجعلها أجزاء من دول كبرى ، لأنها فى الواقع دول صغيرة ، أو جماعات صغيرة من الناس تعيش فى رقعة صغيرة أقامت فيها لنفسها مدنية صغيرة ، وتولت أمورها ولا تزال تشعر بأنها قادرة على المضى فى توليها . وقد أكسبها تاريخها وخصائصها شخصية قائمة بذاتها ، بحيث لا تشعر بمشاركة أى جماعة أخرى مشاركة تجعلها ترضى وتسعد إذا ارتبطت معها فى الحياة ، فإذا تسربت فى أمة أخرى كبيرة فإنها خليقة أن تشعر بالظلم ، فيعوق هذا سير الدولة الكبيرة ، أو تفقد شخصيتها ، وفى كلتا الحالتين لا تعود كما كانت أيام كانت تحيي حياتها الخاصة .

وهل كان ثمة دولة أجمل وأظرف من الدانمرك ؟ لقد كانت كوبنهاجن بقصرها الذى يرجع إلى القرن الثامن عشر ، وبناها الرائعة الجمال ، أقرب عاصمة فى أوربة إلى الكمال . وكان لها ملك يحب الأطفال ، ويمشى فى الطريق وعليه شملة حمراء ،

ووراءه جمهور من الصبيان الصغار والبنات الصغيرات ، ولكن الدانمركيين لم تكن كل مزيتهم أنهم أشبه بشعوب الأساطير ، فإن فى المدينة أحواضاً تشق أحياءها وتتخللها إلى مدى بعيد، فصارت القلوع ترى فى أواخر الشوارع التجارية ، واختلط البحارة السمر الوجوه بالجماهير ، فأكسبوها سحنة ركاب البحر . وفيما يلى المدينة كانت تبـدأ تلك المزارع المنظمة البديعـة التى أعانت على اكتشافات زراعيـة كثيرة ، وتيسرت فيها حياة رضية للفلاحين .

وقد أقام أهل الدانمرك ، بفضـل سفنها ومزارعها ، حياة اقتصادية قومية حسنة ، مستعينين بعقولهم وكدهم ، وبذوقهم الذى يتبدّى فى دكاكينهم الصغيرة التى تبلغ مرتبة الكمال فى كوبنهاجن، حيث تعرض الفضيات وأوانى الصينى ، والثياب البسيطة المونقـة عرضاً يتجلى فيه حسن الذوق .

وليس فى الدانمرك غنى واسـع الثراء ولا فقير مدقع ، ومعظم الناس عنـدهم الكفاية ، والحياة مدبرة على مقتضى مواردهم المعتدلة . وليس مما يكلف نفقة كبيرة أن تذهب إلى الريف ، أو أن تركب فى زورق أو تأكل فى مطعم ، أو ترقص فى ملهى . وزيارة هذه البلاد الجميلة أشبه بأن تشرب من كوب قد يكون فيه حيناً عصير التفاح وحيناً شراب الشمبانيا .

ولكن الدانمركيين كثيراً ما يبدون للغرباء مستغرقين فى أنفسهم منطـوين عليها ، مولعين بالمراسيم وآداب المجاملة . وهذا هو الأثر الذى يقع فى النفس عادة من رجل وامرأة يحاولان أن يقيما بيتهما ، وأن يجعلا منه جنة لأسرتهما ، وإن لم يكن لهما مال كثير .

والدانمركيون يقومون بمهمة عسيرة ، وهم مضطرون أن يوجهوا عقولهم إليها ، ولا معدى لهم عن أن يضبطوا أمرهم بالجرى على أسـاوب مقرر ونهج مألوف . وهكذا تدبر الدانمرك أمورها كدولة مستقلة صغيرة، بحكمة ورصانة ، ولكنها إذا أدمجت فى دولة كبيرة ، فإن أهلها خليقون أن تضيق بهم صدور من يرتبطون بهم ويعايشونهم ، وهم أيضاً خلقاء أن تضيق صدورهم ، وأن تنقلب رصانتهم شكاسة ، فتضيع مزيتهم الفذة التى هى منحة لكل الدول الأخرى .

وإلى الشمال تقع فنلندة، وهى بلاد صغيرة أهلهـا من ذوى الأجسام المربوعة المدمجـة الخلق ، وهم أهل للإعجاب لما قاموا به من الأشياء التى قد يظن البعض أنها مما لا يقوى عليـه إلا أهل الرشاقة والهيف . وتمتـد

بلادهم إلى المنطقة القطبية ، وهى سلسلة مملة من البحيرات والغابات ، والضوء الأبيض الشمالى يُعْشِى العين عن النظر ، والمدن كابية الألوان ، والأزهار قليلة ، وكل ما تجود به الطبيعة عليهم من إشراقها ، ليس إلا بضعة أغصان خضر فى الربيع ، وبضع أوراق قرمزية فى الخريف .

ولكن الزائر يجد أن الفنلنديين قد اكتسبوا بصراً أحدّ من بصرنا الكليل الذى نستخدمه فى مناطق ألوانها أزهى ومعارفها أبهر . ومتى تعلمنا أن نستعمل عيوننا كما يستعملونها ، فإنا حريون أن نرى جمالا جديداً مبسوطاً أمامنا . وأخلق بأسلوب العمارة الفنلندى أن يكون بدعاً وشذوذاً فى بلاد أخرى ، ولكنه الأسلوب الصالح للبلاد وشعبها ، فإن فيه خفة وتنوعاً حيث كان يمكن أن يكون كئيباً مضجراً . ذلك أن الفنلنديين لا ينشدون الجمال وحده فى البناء ، بل طول العمر وحسن المأوى ، وبيوتهم المقسمة إلى شقق ، ومستشفياتهم ومدارسهم ، كانت بمثابة تجارب جريئة فى سبيل قواعد جديدة للانتفاع . وهم نظيفون ، وإذا كان هناك ما يغالون فيه ويشتطون فهو النظافة .

ومع فقرهم استطاعوا أن يأتوا بما لم يأته معظم الأثرياء . وهم يقرأون بنهم ، ويعكفون على تحصيل الثقافة الحديثة . وفى هلسنكى أكبر مكتبة لبيع الكتب فى العالم . وأشد الفلاحين عزلة يعرف أن الكتب نافعة ، وهو يضيف إلى الأدب بما ينظمه من الأغانى الشعبية .

وكان الفنلنديون إذا مدح بلادهم مادح يقولون : « إننا نستطيع أن نحسن تدبير أمورنا إذا تركنا وشأننا » ، ولكنهم يعلمون أن هذا خلاف ما كتب عليهم . وقد ثقل على نفوسهم ما يعلمون من أنهم لا محالة متورطون فى الصراع المقبل بين ألمانيا وروسيا ، فلم يروا سبيلا تؤدى إلى احتفاظهم باستقلالهم الكريم ، وكان هذا هو مبعث سعادتهم الوحيد ، فقد قاتلوا فى سبيل الاستقلال دولة السويد عدة قرون ، ثم الروس عدة قرون ، ووجد السويديون والروسيون جميعاً أن الفلنديين قوم غير خفاف على القلوب ، وأنهم جماعة شكسة فى إمبراطوريتهم ، ذلك أن حلاوة نفوس الفنلنديين وظرفهم رهن بأن تكون فنلندة بلداً صغيراً مستقلا .

وعلى الطرف الآخر من النقيض للدانمرك وفنلندة ، من الوجهتين النفسانية والجغرافية توجد الدول البلقانية . فهنا يكدّ الناس كداً شديداً ليعيشوا ، لأن معظمهم

فلاحون يعملون في أرض غير صالحة ، وفي جو عنيف ، ولكن مواهبهم تنزع بهم إلى التأمل أكثر مما تنزع بهم إلى العمل وهذا ينأى بهم عن حسن الترتيب وضبط المواعيد . ويبدو أهل المدن كأنهم شاردون لا يستطيعون أن يوجهوا عقولهم زمناً طويلا إلى شيء ولو كان بناء البيوت مثلا . ولهذا لم تنتشر بينهم المدنية دائماً بسرعة وسهولة ، وهو ما يضيق به صدور الأجانب .

ولكن أهل هذه البلاد — في يوغسلافيا وبلغاريا وفي اليونان — يرون في الحياة رأياً يحيل هذا العجز الآلى أمراً تافها . فإن الناس يريدون أن يلتهموا كل ما تهبهم الحياة ، وهم يقدرون مناظر بلادهم الرائعة ، بما فيها من بحور زرق دافئة حول الجزر اليونانية وساحل دلماشيا ، ومن النوار البنفسجي القرمزى على أغصان الأشجار ، والأوراق الخضر الذهبية على أشجار الحور التي تشرف على أنهارهم ، والقمم الثلجية التي تستعلى على سلسلة جبالهم التي أرستها الطبيعة وأحسنت نحتها . وهم ينشدون الأغاني التي تدور على جمال هذه الطبيعة ، ونساؤهم يشرن إلى هذا في التطارين الكثيرة المعقدة التي يصنعنها على ثيابهن وقمصان أزواجهن ، وإذا خرج الناس يتنزهون فإنهم يرقصون ويغنون كأنما خلت الدنيا من الأشجان ، وإذا حزنوا هبطوا إلى الحضيض الأوهد من الجزع .

وهم يهتمون بالغريب لأنه مثلهم متورط في هذه المغامرة العجيبة ـ مغامرة الحياة ـ ويصغون إلى تجاربه ، ويقصون عليه تجاربهم وهم يشربون النبيذ ويأكلون السجق المطيّب بالأفاويه . ويبدون في إصغائهم وفي حديثهم ، عطفاً عميقاً مصدره حب حقيقي للعالم ، وألمعية مصدرها الإيمان بأن الحذق والعلم هما أداتان للإعراب عن هذا الحب .

ولكن هذه الثروة التي تتميز بها الشخصية رهن بحرية هذه البلاد ، وبتمتعها بلا معوّق بالحق في إدارة أمورها الخاصة بنفسها . وقد كان بعض الشعوب البلقانية ، إلى أن قامت الحرب العالمية الأولى ، داخلة في إمبراطورية النمسا والمجر ، وكان بعضها الآخر قد انتزع

ولدت سيسيلي إزابيل فيرفيلد في إيرلندة وتعلمت في أسكتلندة ، وعاشت أكثر عمرها في إنجلترا ، واستعارت لنفسها اسم «ريبكاويست» وصارت ناقدة أدبية وكاتبة سياسية تزود المجلات الإنجليزية والأمريكية بمقالاتها ، وأخرجت سلسلة من الروايات النفيسة والفصول التي تمتاز بالفكاهة وبقوة الملاحظة ودقة النقد . ولها كتاب ضخم مشهور عنوانه : «الحمل الأسود والصقر الأشهب» وهو يوميات عن رحلة لها في يوغوسلافيا مع زوجها ، وقد وصف بأنه « تحليل قوى للأزمة الشديدة التي يعانيها الإنسان المعاصر » .

استقلاله من تركيا . وقد وصفهم الذين زاروا بلادهم أيام كان يحكمهم الأجانب ، بأنهم أهل فاقة وخصاصة ولا يثيرون اهتماماً ، وذلك لأنهم كانوا فى همّ مخامر من الرغبة فى الفوز بحريتهم فلا يستطيعون أن ينموا شخصيتهم كأمة . ولو أنهم الآن سلبوا هذه الحرية لارتدوا أقواماً ليس فيهم ما يروق ويعجب .

والحقيقة أن العالم لا يمكن أن يكون وحدة بسيطة كالفرد ، ولا معدى عن أن يكون وحدة متعددة الجوانب كالأسرة . والأسرة التى تروق وتكون لها قيمة، تكون مؤلفة من أطفال يؤذن لهم فى أن يكونوا على السجية فى نطاق من النظام . وهذه هى الصورة التى ينبغى أن تكون قبالة عيوننا حين نتدبر العلاقات الدولية ، وإلا صارت الأرض وعاء ملؤه تراب فارقته الأرواح .



ازرع تحصد

ذات ليلة فى أواخر القرن الماضى ، ذهب شاب وعروسه إلى مطعم صغير خامل الذكر فى باريس ليتعشيا . فلما آن أوان توفية ثمن العشاء ، صعق الرجل حين تبيّن أن محفظة نقوده قد سرقت منه ، واشتدّ عليه الألم لما أبى النّدل أن يصدّقه ، وساقهما إلى مدير المطعم . فرأى المدير فى الشاب شيئاً ترك فى نفسه أثراً عظيما ، فلما علم أنهما قد ضيّعا أيضاً تذكرة عودتهما إلى فينا ، عرض عليهما أن يقرضهما مالا يكفيهما للسفر .

فقال الشاب : « لن تندم على سخائك وكرمك . وأنا أعدك بأن أذيع اسمك وصيت مطعمك فى أرجاء الأرض . وجلّ ما أطمح إليه ، أن أؤلف رواية موسيقية (أوبريت) وسوف أجعل مطعمك مسرحاً لأحد مشاهدها » . فتبسم المدير ، وكان كلّ ما يطمع فيه أن يستردّ ماله وحسب .

ولكن الشاب — فرانز لهار — برّ بما وعد . فقد ألّف بعد سنوات رواية « الأرملة المرحة » وضمّنها تلك الأغنية المشهورة عن « قهوة مكسيم » . وكذلك ظفرت « كافيه مكسيم » فى باريس بذيوع الصيت بين ملاهى الليل فى جميع أرجاء الأرض ، لأن صاحبها الرقيق ، أوجين كورنوش ، عطف على مؤلف موسيقى مفلس .

[مجلة « اسمع »]

ذخائر الحكمة

مختارات من باب يتولى تحريره ج. دونالد أدامز في قسم الكتب من صحيفة «نيويورك تيمس»

نفر من الناس لا يستطيعون أن يتخذوا لأنفسهم أصدقاء. فمن هم؟ إنهم هم الذين لا يستطيعون أن يكونوا هم أنفسهم للناس أصدقاء. وليس الذى يجعلك تنقم صحبتهم أنهم يفتقرون إلى سعة الصدر أو رقة الحاشية أو حسن العشرة أو كرم الطباع، بل الأمر على النقيض، فربما كان فيهم كثير من الخصال تستميل القلوب إليهم، بيد أن فيهم خصلة تمحق تلك الخصال — وذلك أنهم لا يحفلون بك أقل حفل، ولا يعبأون برأيك فيهم خيراً كان أو شرًّا، وإذا لقيتهم لم يستقبلوك ببشاشة، وإذا فارقتهم أحسست كأنهم أبداً فى غنى عن رفقتك. وليس ذلك منهم فظاظة طبع ولا قلة احتفال ولا شرود ذهن، وإنما هى أفكارهم يعكفون عليها وحدهم ويستغرقون فيها، وما أنت إلا بعض هذه الخواطر التى يحصرون فيها أفكارهم تلك.

[وليم هازلت] « مقالات مختارة »

« إن طبيعة البشر ليست من الشرّ والمادية بحيث تنزلها الأحاديث الدائرة على الألسنة، فإن جداول الماء الجارية على وجه الأرض قليلة إذا هى قيست بتلك التى تنسرب متدفقة فى باطنها، وكذلك ما نراه بأعيننا من الخير والمثل العليا قليل إذا هو قيس بما هو مكنونٌ فى صدور الناس رجالا ونساء من أشياء لا يفصحون بها أو قليلا ما يفصحون بها. والجنس البشرىّ لا يترقب شيئاً ولا يتوق إليه كما يتوق إلى ذلك الشىء الذى يستطيع أن يطلق له مكنونات الصدور من أغلالها، ويخرج له الجداول الساربة فى باطن الأرض ويجعلها ماء يجرى على ظهرها.

[ألبرت شوايتزر] « من تجاربى وأفكارى »

« ظللت ساعة أفكر فى تلك الجزائر الجديدة التى تظهر للملاح فجأة فى عرض البحر الساجى، وذكرت ما يظهر فى حياة بعض الناس من أمثال هذه الجزائر الطارئة، إذ تظهر فى عُرض حياتهم الساجية فجأة تجارب يمتحنون بها، ويخيل إليهم أنهم ليسوا منها فى شىء. وأكثر من نعرف من الناس يمتلىء قلبه خوفاً من هذه الجزائر، فلا تكاد

تلوح له من بُعدٍ حتى يسرع صارفاً وجهه إلى جهة أخرى لكى يتفاداها . وما من رجل مهذب إلا وتراه يخشى أن يمتحن بتجارب يخالها ليست من حقيقة نفسه فى شىء ، كما يتصور هو حقيقة نفسه . بيد أن هذا الضرب من التجارب هو وحده التجارب الحية التى يمكن أن تفضى بهم إلى غاية تستحق أن تقصد . والتجارب الجديدة الغريبة التى لا يتوقعها المرء ، والتى تأتى فى أوانها ، هى فى بعض الأحيان شىء جوهرىٌّ لا بدّ لحياة المرء منه ، كما لا بدّ للأرض الهامدة من محراث يحرثها .

[كاترين بتلر هاثاواى] « القفال الصغير »

« الإنسان حيوانٌ منهومٌ بالبراعة — منهومٌ بالبراعة فى بدنه ، منهوم بالبراعة فى عقله ، ولا يشبع البتة حتى تطفأ نَهْمته إلى البراعة . والسعادة التى تطمح إليها نفس الإنسان يستحيل أن تتحقق حتى تستيقظ قدرته على الإبداع ، أى حتى تشبع نَهْمته إلى البراعة . وما من شىء مهما كثر من لذائذ العيش التى يجدها عتيدة حاضرة بين يديه ، ولا من مباهج الحياة التى تأتيه من خارج فتبعث فى نفسه المرح — بقادر البتة على أن يكون له بديلا من ذلك الجوع المستعر المُركب فى أصل طبيعته ، والذى يجعله مخلوقاً منهوماً بالبراعة .

[ل . ب . جاكس] « التعليم عن طريق التسلية »

إنما مثل من خَبَرَ الدنيا كمثل قوم سَفْرٍ نبا بهم منزل جديب فأمّوا منزلا خصيباً وجَناباً مريعاً ، فاحتملوا وعثاء الطريق وفراق الصديق وخشونة السفر وجشوبة المطعم ، ليأتوا سعة دارهم ومنزل قرارهم ، فليس يجدون لشىء من ذلك ألماً ، ولا يرون النفقة فيه مغرماً ، ولا شىء أحبّ إليهم مما قرّبهم من منزلهم وأدناهم من محلهم . ومثل من اغترّ بها كمثل قوم كانوا بمنزل خصيب فنبا بهم إلى منزل جديب ؛ فليس شىء أكره إليهم ولا أفظع عندهم من مفارقة ما كانوا فيه إلى ما يهجمون عليه ويصيرون إليه .

واعلم يابنىّ أن من كانت مطيّته الليل والنهار فإنه يُسار به وإن كان واقفاً ، ويقطع المسافة وإن كان مقيما وادعاً . [على بن أبى طالب فى « نهج البلاغة »]

لا تزال الطبيعة أقوى مصدر يرسل الانفجارات المدمرة الطاغية

يوم تفجرت جزيرة كراكتوا

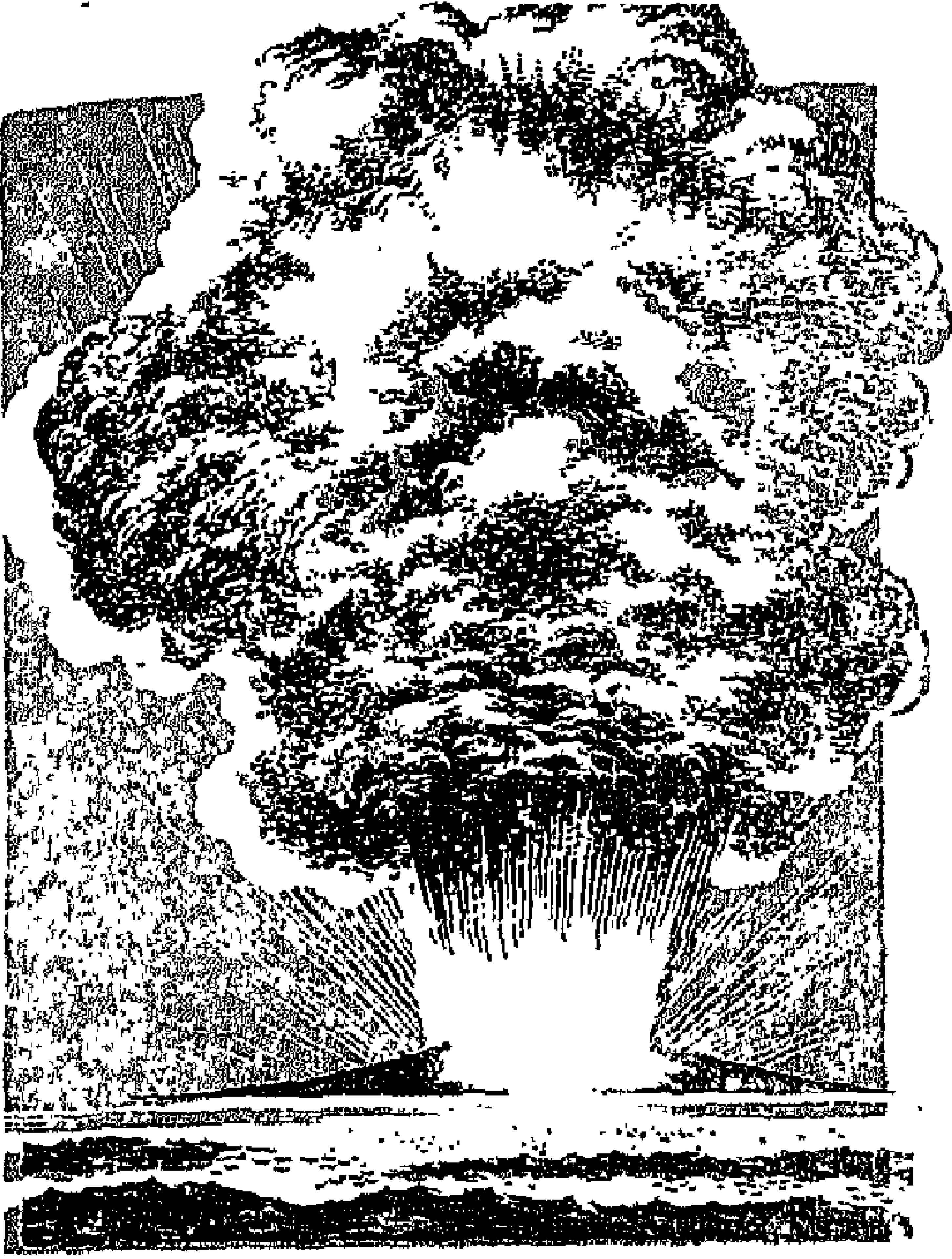
إرنست بهرندت

مختصرة عن "نيتشر مجازين"

امتلأت القلوب رعباً من قوة الانفجارات التي دمرت مدينتي هيروشيما ونجازاكي ، ولكن التاريخ يذكر انفجاراً يفوقها أضعافاً مضاعفة . فالقنبلتان الذريتان دكتا مدينتين ، ولكن الناس الذين كانوا على بضع عشرات من الأميال عنهما لم يشعروا بما حدث .

فلما انفجرت جزيرة كراكتوا – إحدى جزائر الهند الشرقية – في ٢٧ أغسطس سنة ١٨٨٣ عرف العالم قاطبة ما حدث . فدمدمة الانفجار سمعت على بعد ٣٠٠٠ ميل، وولد التفجر في ماء البحر أمواجاً عظيمة وصلت إلى سواحل أربع قارات ، وسجلت آثارها على بعد ٨٠٠٠ ميل. وأحدث موجة من الهواء دارت حول الأرض مراراً ، لا مرة واحدة وحسب . أما ما كان جبلا ارتفاعه نصف ميل ، فقد تحول غوراً عظيما عمقه ألف قدم وقطره أميال كثيرة .

ورسبت الأنقاض الحامية المتطايرة فغطت بقعة من الأرض أكبر من مساحة فرنسا



بطبقة يبلغ عمقها مئة قدم في بعض المواقع ، وانقذف الغبار في الجو إلى ارتفاع ثلاثين ميلا ، فظل نحو سنة يملأ أطباق الجوّ العالية فوق الأرض كلها تقريباً . ولم يكن ثمة مدن كبيرة على مئة ميل من موقع الانفجار، ومع ذلك بلغ عدد الذين أهلكهم ٣٦٫٠٠٠ من الناس .

وهذا الانفجار الذي كان أعظم انفجار في التاريخ ، لم يكن له من سبب خفي سوى تلك القوة المعروفة التي تحرك غطاء قدر موضوعة على النار ، غير أن النار المتأججة تحت هذه القدر كانت لابة فائرة في فجوة طولها ميل ، فحولت ميلا مكعباً من ماء المحيط بخاراً جاوزت حرارته كل حد ، ثم طار الغطاء ، وتفجّرت القدر أيضاً .

كانت كراكتوا جزيرة بركانية مساحتها ١٨ ميلا مربعاً في مضيق سندة في جزائر الهند الشرقية بين جاوة وسومطرة .

وفي أوائل ربيع ١٨٨٣ بدرت بوادر تنذر بما أوشك أن يكون ، فتدافع الدخان والبخار من شقوق حدثت في صخور الجزيرة منذ عهد قريب ، وشق سيل من الحمم طريقاً عريضاً في دغل كثيف ، ولكن الذعر لم يساور الهولنديين في جاوة أو سومطرة ، فقد ألفوا نفث كراكتوا ودمدمتها من قبل ، بل أبى الهولنديون في جاوة أن يعبأوا بقول الكابتن فرزينار الهولندي ، يوم وصل بتافيا في أغسطس وقال إن بركانين جديدين قد ظهرا في تلك الجزيرة . ففي أندونيسيا عشرات من البراكين ، وعلى كل حال فإن جزيرة كراكتوا تبعد عنهم مئة ميل تقريباً .

وقال فرزينار : « بلغت حرارة الأرض مبلغاً أحرق نعل حذائي » ، فقالوا : إذا صح ما روى فما على الأهالي القلائل المقيمين فيها إلا أن يعتصموا بزوارقهم ، ويلبثوا فيها حتى تبرد الأرض .

وقد كان فرزينار آخر رجل أبيض وطىء أرض الجزيرة قبل أن تنفجر . ويومئذ كانت الملاحة في مضيق سندة قد صارت شاقة ، فارتد كثير من الملاحين على أعقابهم حين رأوا سطح المضيق تغطيه طبقة من الحمم الخامد يبلغ ارتفاعها قدماً . ولكن ربان سفينة شحن أمريكية ، أوصد منافذ سفينته ومخر بها عباب البحر الذي يفح فحيح الأفعى . وكان البترول وسق السفينة .

ولم يحاول أحد بعده أن يعبر المضيق ، وكانت دمدمة كراكتوا قد تحولت إلى زمجرة لا تنقطع سمعها الناس على ساحل جاوة الشرقي . وطفق الناس في مدينة بوتينزورج التي تبعد ٦١ ميلا عن كراكتوا ، يبحثون عن ملجأ ينفرون إليه مما حسبوه بارقة تتجمع لتنقض من جو السماء .

وقد كتب فيربيك فيما سجله من وصف للكارثة فقال : « في أصيل ٢٦ أغسطس قطع الدمدمة الخفية هزيم انفجارات مروعة ، ثم اشتد الهزيم وازداد توالي الانفجار . فاستولى الهلع على الناس ثم خيم الظلام ، ولكن الناس خافوا أن يناموا . وما كاد الفجر يسفر حتى غلب الهزيم على كل صوت آخر . وقبيل الساعة السابعة ، حدث انفجار عظيم على حين فجأة فزلزلت الدور وتصدعت الجدران . وتفتحت الأبواب كأن يداً خفية قد دفعتها . فهرع كل الناس إلى الشوارع ، ثم حدث انفجار آخر يصم الآذان ، وأعقبه سكون شامل ، كأن البركان قد زال من الوجود »

وحقيقة الأمر أن البركان قد زال من الوجود ، فالغازات المتمددة فى جوفه دفعت اللابة الحاميـة الفائرة ، فوجدت لنفسها منافذ فى فوهتى بركانين ، هما البركانان اللذان رآهما فرزينار ، فكان أثرهما كأثر « صِمام الأمن » ، إلا أن الضغط بلغ مبلغاً لا يُرَدُّ ، وصارت القوة الهائلة الحبيسة تدفع طبقة من الصخور فوقها تبلغ ثخانتهـا مئات الأقدام ، فتدافعت الصخور وتمايدت ، وفى مساء ٢٦ أغسطس انشقت كما ينشق مرجل فى جوفه سائل حامٍ مضغوط .

فاندفق سـيل من اللابة يزمجر زمجرة تصمُّ الآذان ، تدفعـهُ قوة جامحة هى قوة الطبيعة فى ثورتها . وما هى إلا ثوان حتى اندفع ماء البحر إلى الشقّ ، فما كاد يلامس اللابة الحامية حتى تحوّل بخاراً شديد الحرارة ، فانقذفت فى الفضاء جلاميـد ضخمة من الحجر الأعبـل والسَّبَج فى سحابة من الغبـار والدخان . وعاد ماء البحر فتدفق ليمـلأ الفراغ ويصارع اللابة المحتشدة ، فتحول بخاراً جامياً متمدداً متفجراً جارفاً أمامه كلَّ سدّ من الصخر يعترضهُ .

ولا يعرف أحد كم مرةً صدّت هذه الحمم الحامية المنصهرة مياه المحيط ، ولا كم أعادت المياه كرتها ، على أن الغلبـة كانت للمـاء فى آخر الأمر . وفى ٢٧ أغسطس بلغت مياه المحيط المركز البركانى فى الجزيرة ، وإذا الانفجارات المروعة الأولى ليست إلا توطئة لطيفة للكارثة الأخيرة ، حين انشق قلب جزيرة كراكتوا عن أربعة عشر ميلا مكعبة من جلاميد الصـخور قد طارت شَعاعاً فى الفضاء .

وحجب وجه الشمس سـحاب أسود كالأبنوس ، يشقُّ سواده وميض البرق ، وتراءت سهام النـار المتقاذفة من الجزيرة لبحارة سفينة بريطانية ، هى تشارلز بال ، كانت على أميـال كثيرة من الجزيرة ، فانخلعت قلوبهم ساعة رأوا الجزيرة تنقذف فى الفضاء فوق الأفق ، « كأنهـا شـجرة من الصـنوبر يلتمع بين أفنانهـا شرر الصواعق » ، وغطى وجه البحر المزبد عدد لا يحصى من السمك وقد انقلبت على ظهورها ميتة .

ولم يسمعوا الدوىّ إلا بعد زمن طويل ، فكان أعلى دوى سمعتـه أذن إنسان . وقد كتب وكيل شركة لويد فى بتافيا التى تبعد مئة ميل عن كراكتوا فقال : « كانت أصداء الدوى المتجاوبة تصِمُّ الآذان ، فصكت كل أذن فى جاوة وسومطرة ، وألقت الرعب فى قلوب صيادى الرءوس فى بورنيو ، وبلغت سكان سهول فكتوريا بأستراليا الواقعـة على ١٧٠٠ ميل إلى الشرق ، فحسبوها

قصف المدافع ، وقطعت أمواج الصوت ٢٩٦٨ ميلا إلى الغرب ، حتى بلغت مدينة رودريجز فى جزيرة مدغشقر .

وصحب الصوتَ المدوّى أمواج متوالية من الهواء دارت حول كرة الأرض . وبعد أن انقضى يوم ونصف يوم على الانفجار لفحت الموجة الأولى مدينة لندن من الغرب ، ثم تلتها موجة أخرى فاجتاحت المدينة من الشرق . وظلت هذه الأمواج تدور حول الأرض ، فاكتسحت لندن وبرلين وبطرسبرج ، بنسبة أربع موجات من الغرب وثلاث موجات من الشرق . وظلت على ذلك أكثر من عشرة أيام حتى تبددت قوتها فى الفضاء .

وكان أثر الانفجار فى البحر أعظم كثيراً منه فى الهواء . ففى مدينة أنجر على ساحل جاوة الغربى ، رأى ربان متقاعد جزيرة جديدة تظهر فجأة أمام عينيه فى وسط المضيق ، وما هى إلا لحظة حتى كان يعدو فى طلب النجاة . فلم تكن تلك « الجزيرة » سوى عمود هائل من الماء ارتفاعه خمسون قدماً يعبر نحوه المضيق بسرعة لا تصدق ، فحطم الأرصفة ، وطغى على مدينة أنجر ، وعدا على الجبال ، وسحق كل شىء اعترض طريقه ، وأصاب البحار جذل قذفه الماء العرم فغيبه فى الماء ، فلما استرد وعيه ، ألفى نفسه على قمة شجرة تبعد نصف ميل عن مكانه على الساحل ، وقد عُرِّى من كل ملابسه ، ولكن لم يمسسه سوء .

كان هذا الربان أحد القلائل الذين رأوا الموجة ، ثم عاش ليصف للناس هولها ، وكانت مدينة أنجر قد زالت . وقد بلغ ارتفاع الموجة مئة قدم ، فطغت على عشرات من القرى وأهلكت ألوفاً من الناس . أما على ساحل سومطرة ، فقد صدمت الموجة البارجة « بيرون » فقطعت أمراس مرساها واحتملتها مسافة ميلين فوق الجزيرة ، ثم تركتها مطروحة فى دغل يعلو ٣٠ قدماً عن سطح البحر .

واندفعت الموجة فعبرت المحيط الهندى من شرقه إلى غربه ، فلما بلغت مدينة الكاب على ٥٠٠ ،١ ميل ، كان ارتفاعها لا يزال قدماً أو أكثر . ثم دارت حول رأس الرجاء الصالح واتجهت شمالا إلى المحيط الأطلسى على محاذاة ساحل إفريقية الغربى . ثم تلاشت آخر الأمر فى بحر المانش .

وغمر الرماد ساحات واسعة فى أندونيسيا ، وغطى الأدغال وأحال حقول الأرز قفاراً خاوية ، وملأ الفضاء حتى ظل الناس فى بتافيا زمناً فى حاجة إلى إضاءة المصابيح فى النهار .

إلا أنَّ ما غمر البرَّ والبحر لم يكن

سوى قليل مما نفثهُ البركان ، فقد صار معظم الصخر الجلمود الذى كان فيما مضى جزيرة كراكتوا ، طحيناً كالدقيق انقــذف فى الهــواء إلى ارتفاع ١٫٥٠٠٫٠٠٠ قدم . وظلت سحبٌ من الغبــار البركانى أشهراً منتشرة فى أجواز السماء ، واحتملتها تيارات الرياح فوق المحيطات والقارات . وظلت أشعة الشمس تنفذ إلى سطح الكرة من خلال حجاب نُسجت خيوطه فى أعماق مضيق سندة ، وظل قرص الشمس الغاربة يبدو فى باريس ونيويورك والقاهرة ولندن ، أزرق أو أخضر أو رصاصيًّا أو نحاسيًّا ضارباً إلى الحمرة . أما فى الليــل فكان ضوء القمر والنجوم مشوباً بالخضرة .

وقد ظلت هــذه الظاهرة حتى ربيع سنة ١٨٨٤ ثم حالت الألوان ، وزال الغشاء الذى كان مردّه إلى انفجار كراكتوا ، وبدا للناس أن الفصل الأخــير فى تاريخه قد تم ، وأن بركان كراكتوا قد خمد . ولم يبق من الجزيرة سوى بضعة أميــال مربعة من الصخر مدفونة تحت جبل من الرماد . أما النباتات والحشرات والطيور وذوات الثدى ، فقــد هلكت فى سحابة من نار .

ثم حــدثت معجزة — معجزة عودة الروح والحياة . فبعد انقضاء أربعة أشهر على الانفجار ، رأى نباتى عنكبوتاً لا تكاد ترى بالعين المجردة تنسج بيتها فى فضاء لا ترجو أن تصطاد فيه شيئاً . ويغلب أن الريح احتملتها فألقتها هناك .

وبعد سنوات نبتت الحشائش والشجيرات وظهر الدود والنمل والحيّات والطيور . وقدْ وصلت على أجنحة الهــواء بذور ألقتها الطيور فى طيرانها فوق ذلك القفر اليباب ، وخنافس وفراشات طارت إليها من جاوة وسومطرة . ووصل عن طريق المــاء بيض ديدان وزواحف قذفت إلى الشاطىء من الأنقاض الطافية على سطح البحر ، وقواقع وعقارب ركبت إليها متن البحر على جذوع سابحة ، وأفاع وتماسيح سبحت إليها عابرة المضيق ، ومعها طفيليات لصقت بأبدانها .

وقد وصلت النباتات والحيــوانات إلى الجزيرة اتفاقاً ، ولكن ترسيخها أقدامها لم يكن اتفاقاً . فقد تم فى أشهر من ظهور الحيوان والنبات ، ما تم مثله فى ألوف من عصور التاريخ ، إذ لم يكن بدٌّ من أن توجد بعض الأحياء أولا ، حتى يستطيع من يليها أن يعيش .

وقد نمت بعض الأحيــاء وتكاثرت زمناً ما لأنه لم يوجد لهــا أعداء ولا منافسون . وقد اجتــاحت كراكتوا

سنة ١٩١٠ جموع حاشدة من النمل . فما انقضت عشر سنوات أخر ، حتى كاد النمل ينقرض لكثرة الطيور والزواحف . وما كادت سنة ١٩١٩ تحلّ ، حتى كانت بعض الأشجار قد تأصلت جذورها وصارت فى سنة ١٩٢٤ غابة عظيمة . وبعد بضع سنوات كادت النباتات المتسلقة تقضى على الشجر ، وتحوّل الغابة إلى دغل كثيف يعجّ فيه الفراش والأفاعى وجماهير لا تحصى من الطيور والخفافيش .

وكذلك صارت جزيرة كراكتوا جنة فى نظر علماء التاريخ الطبيعى ، فجعلها الهولنديون أرضاً محرّمة، ومنعوا كل إنسان إلا العلماء أن يطأها . ووضعوا كشفاً دقيقاً بأنواع الأحياء فيها ، وجعلوا يحصون كل قادم طارىء من الأحياء ، ويراقبون كيف تأتلف مع غيرها وكيف تحترب . بل كشفوا أيضاً ضروباً كثيرة من الحيوان — من الطير والفراش الذى يتميز بصفات خاصة عن كل طير وفراش معروف . فجزيرة كراكتوا ، لم تكن تجتذب إليها الأحياء من الأرض التى حولها وحسب، بل كانت بقعة تتولد فيها ضروب جديدة من الأحياء أيضاً .

ثم تبين العلماء فى أحد الأيام لوناً جديداً من الحياة ، يضطرب فى ثرى الجزيرة ، فالبركان القديم لم يخمد ، فإن تحت صخورها فجوة تملؤها لابة تبحث لطاقتها عن منفذ وهذا هو قعر البحر يجيش ويميد مرة أخرى ، وهذه كومة كالمخروط تتكون تحت سطح البحر . وفى ٢٦ يناير ١٩٢٨ برز رأسها جزيرة مسطحة بشعة عرضها بضع مئات من الأقدام ، وما هى إلا أيام حتى جرفتها الأمواج .

ومرّت سنة ، وإذا فوهة تقذف بخاراً ورماداً ، وانتشرت أبخرة الكبريت فوق المحيط ، وتغطى سطح البحر بالسمك الميت مرة أخرى .

ولا تزال الفوهة الجديدة حيث هى ، وهى جزء من كأس البركان القديم ، وقد رسب الطين على رأسها، وفى وسطها ما يشبه الأنبوب — كصمام الأمن يخفف من الضغط الهائل الذى تولده اللابة فى الفجوة الغائرة . ويطلق الأهلون على البركان الجديد اسم « أناك كراكتوا » أى « ابن كراكتوا » ، وليس ثمة اسم أدعى منه إلى التطير والتشؤم .



لم يذهبَ من مالك ما وعظك [حكمة عربية]

نوادر مستطرفة

مختصرة من كتاب "مضحكة" تأليف بنيت سيرف

دخل شاب من الأغنياء العابثين دكان حلاق فى نيويورك ليقص شعره ويطرّف أظافره ، وكانت الفتاة التى تولت تطريف الأظافر بارعة الجمال ، فدعاها إلى العشاء ثم يذهبان إلى أحد المسارح . فقالت : أظن أنه لا يحسن بى أن أقبل ، فأنا متزوجة.

فقال : اسألى زوجك فلا أحسبه يرفض .

فقالت : لم لا تسأله أنت ؟ فهو الذى يحلق لك ذقنك !

ظل رجلان من المزارعين عشرين سنة يلتقيان كل يوم فى مكتب البريد ، وكان كلاهما صموتاً ، فلم يجر بينهما حديث قط أو سلام . وجاء يوم فرأى أحدهما الآخر يمضى متجهاً شمالا على غير عادته طول تلك السنين ، فلم يملك أن سأله : « إلى أين أيها الشيخ » . فالتفت إليه الآخر وقال : « إنه ليس من شأنك . ووالله لولم تكن صديقاً قديماً لما بحت لك بكل هذه الأسرار » .

رشح أحد أعضاء مجلس النواب الأمريكى فى دائرته لكى يعاد انتخابه فخذله الناخبون فنشر بياناً فى صحيفة المدينة التى يسكنها جاء فيه : « أحبُّ أن أوجه الشكر إلى جميع الذين أعطونى أصواتهم ، أما زوجتى فتحبُّ أن توجه الشكر إلى جميع الذين أعطوا منافسى أصواتهم » .

فى فلم من الأفلام المخيفة التى يمثل فيها بوريس كارلوف ، ترى عالماً فرَّ من بلده ولجأ إلى أمريكا ، حيث صرف همه إلى صنع مصل يحيى الجماد . فلما صنعه أخذ قليلا منه ووضعه خلسة على تمثال قائد حربى منصوب فى حديقة عامة ، وإذا رعشة الحياة تسرى فى التمثال . وبعد قليل سمعت صلصلة الحديد من مفاصله ، وإذا القائد يتحرك ثم ينزل إلى الأرض . فطار العالم فرحاً وقال للقائد : لقد أحييتك ، فقل الآن يا جنرال ما أول شيء تنوى أن تصنعه ؟

فقال القائد بصوت أجش ، ويده على المسدس المدلى من جيبه : « سؤال سهل ، سأثأر لنفسى بأن أطلق النار على ملايين من هذا الحمام الملعون الذى جعل رأسى هدفاً لأقذاره » .

من صميم الحياة

الزوجتان

دوروثى كانفيلد فيشر

لم يكن العم « باى » عمًّا لأحد منا ، وكل ما فى الأمر أنه كان زوجاً لواحدة من لِدات أمهاتنا ومن ذوات قرابتنا الأباعد . وإنى لأذكر الآن أننى لم أسمع قط اسمه الكامل لا فى حداثتى ولا بعد أن تجاوزت سن الحداثة ، ولكنى أذكر « العمة بولينا » التى كانت زوجته الأولى . كانت امرأة معتزلة مديدة القامة وسيمة الطلعة ، وكانت معلمة فى مدرسة قريبة من دار جدتى يوم عرفها العم « باى » وخطب ودّها وتزوجها .

وكان العم « باى » عاملا فى أحد مصانع الخشب ، وكان يعيش عيشة راضية خليقة أن لا ينغصها عليه منغص ، فيما علمت ، لو لم تزرهم إحدى صواحب زوجته بعد زواجهما بأعوام قلائل .

ويوم جاءت كان عندهما طفلان : صبى صغير وطفلة ، وكان الصبى فى مثل سنى . وقد زادنى معرفة بالأسرة فيما بعد أنْ كنت فى أيام إجازة الصيف رفيقة لهما ألهو معهما ، وجاءت الفتاة الشابة صديقة « العمة بولينا » ونزلت على هذه الأسرة المطمئنة الآمنة .

ولم تكن فى الحقيقة صديقة العمة بل ممن تعطف عليهم وتؤثرهم برعايتها ، فقد عرفتها يوم كانت فتاة معدمة تعمل فى بيت بعض المزارعين لقاء اللقمة والمأوى ، فأحبتها وجعلت تعلمها بعض الدروس لتعوضها ما فاتها من التعليم . ولما خرجت الفتاة من البيت الذى كانت تعمل فيه ، جعلت تسعى حتى وجدت لها عملا آخر ، ثم عملا بعده . وكان يومئذ أنْ آوتها « العمة بولينا » بعض الوقت فى فترة من فترات خلوها من العمل .

ولست أدعى أنى أعلم حق العلم جلية هذا الشطر الأول من القصة ، وغاية ما عرفناه نحن الصغار يومئذ أن العم « باى » غاب عن البلدة فى وقت ما إبان الشتاء ، وأن العمة بولينا رحلت فى الربيع التالى بولديها إلى ولاية أخرى لتعلم فى مدرسة من مدارسها .

والذى لاحظناه ونحن صغار ، ولن ينساه أحد منا ، هو ما كان يبدو على العمة بولينا قبل رحيلها ، فقد كانت أجفانها متورمة من أثر الدموع المذروفة التى لم يرها أحد قط . وكانت تسعى فى شؤون معاشها كالعادة شامخة الرأس ، ولكنها كانت لا تكاد تتكلم حتى تسكت لتزدرد ريقها وتتنفس الصعداء وتستجمع قواها ، ثم يخرج الكلام وهو من فرط التجمل والتصبر ظاهر السكينة والرصانة .

وكنا نحس فى ذلك الحين بما أصبحنا نعلمه اليوم بالتجربة — أن فى صوتها الرزين الهادىء ما يكاد ينطق بأن من العواطف التى تختلج فى النفس ما هو أعظم حرمة من أن تجعله عرضة لعيون الناس .

ولم نلبث أن علمنا أن العم « باى » قد تزوج امرأة أخرى ، وأنها كانت تلك الفتاة الوسيمة ذات العينين الدعجاوين التى نزلت عليهما ضيفاً فى العام الماضى . ولم يعد الزوجان إلى البلدة ليزوراها ، ولكن العمة بولينا كانت تزور البلدة بين الحين والحين ومعها ولداها يتوثبان نشاطاً ومرحاً . ولم يجر على لسانها قط ذكر العم « باى » ، وما تتحدث إلا عن دروسها فى المدرسة وعن مستقبل ولديها ، وعن الكتب التى تقرؤها ، وعن المدينة العظيمة التى تعيش فيها (أو هكذا كانت تبدو لها ولنا جميعاً) حتى كدنا ننسى قصتها الأولى . وكل من كان كمثلها فى السيطرة على نفسه ، فقلما يظفرون من الناس بالإشفاق والعطف ، وهم أنفسهم يستنكفون من إشفاق الناس وعطفهم ، غير أن الذى يظفرون به شىء آخر — هو ما كنا نجده لها فى قلوبنا يومئذ ، وإلى يومنا هذا .

وقد اتصل بأهل بلدتنا بعد حين أن العم باى وزوجته الثانية يعيشان فى بلدة قريبة ، وأنه التحق بعمل حسن فى أحد المصانع يتقاضى منه أجراً غير قليل . ثم نُمِى إليهم بعد ذلك أنهما رزقا أولاداً : فتاة وغلامين ، ولكن قلما كان آباؤنا يذكرون اسم العم « باى » ، حتى توفيت زوجته الثانية .

ولقد كثر ذكره بعدئذ من أجل أولاده ، فقد أخذت تتسرب إلينا أخبار موجعة عن كفاح العم « باى » لتوفير أسباب العناية بصغاره ، ولم يكن الرجل بالخليع الفاجر ، وإن كان قد تعدّى مرة ما يعدّه هو نفسه حدود الأخلاق الفاضلة ، فحاول أن يجد لبيته مدبرة محنكة تبلغ من الكبر ما يجعلها فوق الريبة . ولكن أجره الذى كان وافراً حين كانت زوجته هى التى تدبر أمر بيته ، لم يكن ليفى بمعاش الأسرة وبأجر امرأة ترعى له صغاره الثلاثة .

فلما ضاق بأمره ، كتب إلى أهل بلدتنا يسأل عن أسرة ترضى أن تتعهّد له بتربية صغاره ، فلما جاء كتابه استنكره الناس ولهجوا بما كان من خطيئته الأولى . ومَن تلك التى تحب أن تقوم على تربيـة أولاد غيرها ؟ وقد كان أحد الغلامين فى الثانية من عمره والآخر فى الخامسة ، وكانت الفتاة فى السابعة — والصغار فى هذه الأعمار يتطلبون عناية دائبة متصلة ، والأجر المعروض لا يفى بالنفقة ، فضلا عن النصب والقلق وعنت المضايقة . ثم إن البلدة كلها تعرف العمة بولينا وتحبها أعمق الحبّ .

على أن الحوادث فرضت حكمها ، فقد كسرت ساق العم « باى » وهو فى المصنع ونقل إلى المستشفى ، ولم يبق فى استطاعة أحد يحترم نفسه من الأقرباء أو المعارف أن يتخلى عن هؤلاء الصغار ويدع لهم تدبير أمرهم ، فسرعان ماسافر بعضهم وعاد بالصبية واضطلع على مضض بالعبء إلى حين .

وكان الصغار الثلاثة عاطلين مما يحبب الناس فيهم ، فقد كانت « لوسى ماريان » شاحبة الوجه حييّة سريعة الغضب . وكان الولد الأكبر ، وهو فى الخامسة من عمره ، فاحش اللسان . وكان أصغرهم وهو فى الثانية من عمره عنيـداً غير مهذب وفى لسانه حُبْسة ، وكنا نحن الصغار نكره هؤلاء الطارئين ، وأبينا أن نقبل أن ندعوهم إلى اللعب معنا .

ثم قدمت العمة بولينا فى بعض زيارتها للبلدة إبّان الصيف ومعها ولداها ، وكانت الفتاة فى الحادية عشرة والغلام فى الثامنة ، وكلاهما ضاحك السن بشوش الوجه موفور العافية ودود المحيا ، وكانوا صغاراً يأنس بهم كل طفل يلقاهم .

ولقد كنت فى الغرفة يوم رأت العمة بولينا أول ما رأت أولاد العم باى ، وكانت وقتئـذ تتحدث إلى عمـة أبى ، وكانت فى أيديهما إبر الشغل ، فكفّتا حين قدم الأولاد الثلاثة إلى الباب فى طلب حاجـة من الحاجات .

ووقفت الفتاة مطرقة وغمغمت بكلمات خافتة ، وكانت عمة أبى ثقيلة السمع يؤذيها ما تجد من هـذه العاهة ، فقالت محتدة : « بالله عليك يالوسى ماريان ارفعى صوتك ! إنى لا أطيق الأولاد الذين يغمغمون » . وحاولت لوسى ماريان أن تعيد سـؤالها ولـكنّ صوتها ارتجف ، فانكمشت ووقفت صامتة ومن ورائها أخـواها الصغيران الدميمان النحيلان يلوذان بثوبها .

وبادرت العمة بولينا تسأل وهى غير محتفلة : « من هؤلاء الصبية ؟ » فلما لم تسمع جواباً علمت من فورها من يكونون .

وتدحرجت من حجرها كبّة الخيط، فتركتها ولم تلق إليها بالا ، وحدجت عمة أبى بنظرة حادة وسألتها : « ولكن ــ أين أمهم ؟ » ، وكان صوتها أشدّ خفوتاً من صوت لوسى ماريان الصغيرة . ولا ريب فى أن عمة أبى الثقيلة السمع لم تسمع صوتها ، ولكنها أدركت السؤال ، فقالت : « لقد ماتت منذ عام ونصف عام » .

وإنى لأتمثل الساعة تلك النظرة العجيبة التى ألقتها العمة بولينا إلى الصغار الثلاثة الواقفين عند باب الغرفة ضعافاً مهازيل ، ثم وضعت ما كانت تحيكه على ذراع مقعدها ونهضت من مكانها وأقبلت عليهم ، وجثت على ركبتها كى يحاذى وجهها وجه الفتاة الصغيرة . وكنت أسمع نبرة صوتها ولكنى لم أتبين ما قالته ، على أننى سمعت بعض أجوبة لوسى ماريان :

« أنا التى تحملهم إلى الفراش كل ليلة . ليس هناك غيرى » .

« حينما يعود إلى البيت يفتح علبة طماطم فنضع الطماطم على الخبز ونأكل » .

« نعم ، قليل ، إذا لم ينسنا بائع اللبن » .

« أحياناً قلائل ، فهما لا يحبان الاستحمام ولست بالكبيرة حتى أستطيع حملهم عليه » .

وإنى لا أستطيع الساعة أن أغمض عينى وأتمثل المرأة المديدة القامة جاثية هناك ، وذراعها تطوق الفتاة الصغيرة وقد سُرّى عنها وأسندت رأسها إلى كتف العمة بولينا .

ولما نهضت العمة بولينا وعادت إلى مقعدها وأخذت خيطها ، كانت تبدو كدأبها ساكنة الجنان .

ولقد قصت على لوسى ماريان بعد سنوات ما جرى بعقب ذلك .

ثم إن غادر أبوهم المستشفى وهو لا يزال يـظلع حتى ردّوا الصبية إليه ، ولقد عاد إلى العمل مع اضطراره إلى اتخاذ عكاز للمشى . إذ كان مثقلا بالديون وفى أمس الحاجة إلى كل درهم يستطيع أن يكسبه . وكان الأب يرجع بالليل ظالعاً إلى بيته القذر الغاص بالآنية غير المغسولة، فيفتح علبة أو علبتين من علب الطعام ويفرغ ما بها فى طبق ، ويشارك أولاده هذا العشاء البارد . وأخيراً بلغ منه الجهد والوهن من جراء كدحه طول اليوم فى عمله وهو لما يزل فى أيام النقاهة .

وفى صباح يوم من الأيام أقبلت العمة بولينا على البيت وأطلت من بابه المفتوح على المطبخ ، وكان الأولاد وقوفاً حول المائدة يتخطفون الطعام من فوقها

وقالت فى سكينة وهدوء : «هيه يا أولاد، آن أن يتعهد شئونكم أحد من الناس . فلننظر الآن ماذا نصنع » .

خلعت قبعتها ولبست مِئْزراً ، وأخذت ترفع الأطباق من فوق مائدة المطبخ . وظل الأولاد طوال اليوم يدورون فى أثرها فاغرين أفواههم من التعجب ، وهى تكنس وتدعك البلاط ، وتحرق الكناسة فى فناء الدار . وكانت وهى تطبخ لهم الطعام وتغسل الشبابيك وما إلى ذلك، تقص عليهم الحكايات والأحاديث .

وكانت تقول للأولاد فى الفترة بين حكاية وحكاية : « هل تستطيع أن تحمل هذا إلى حيث تحرق النفايات ؟ »

« وما قولك فى تخصيص هذه الخزانة لثياب الولدين ؟ » و « أنت يا لوسى ! إنك لفتاة كبيرة الآن . أفلا تستطيعين أن تضعى الأطباق فى مكانها ؟ ولكن فلننظف الرف أولا » .

حتى إذا أزف وقت العشاء كان الأولاد جميعاً قد استحموا ولبسوا ثيابهم النظيفة ، ولم تلق عنتاً ، إذ كانت تقص عليهم من حكاياتها المشوقة وتغنى لهم أغانى الأطفال . وجلس الأولاد على المائدة وعليها مفرش أبيض ، وعلى صدر كل منهم فوطة نظيفة ، وأخذت تأتيهم بالفطائر ، فكلما أنضجت العمة بولينا واحدة منها التهموها .

وأبصرت لوسى أباها مقبلا ثم وقف عند الباب ينظر ، وكانت العمة بولينا مستقبلة الموقد وظهرها إلى الباب تصب شيئاً من العجينة اللينة فى المقلاة . وكانت غلاية الشاى المجاورة قريبة منها،فمنعها صوت غليان الماء أن تسمع وقع الخطوات الوئيدة المضطربة . ثم التفتت ورأته .

ولقد كان من عادة لوسى أن تقص علينا ما حدث ساعتئذ قائلة : « كانت ذراعه مرفوعة ليغطى بها عينيه ، وكان مسنداً جبينه إلى الثلاجة ، ولا يرى منه إلا ظهره ، وكانت كتفاه ترتفعان وتنخفضان كمن ينتحب » .

وكنا نبتدرها فى كل مرة بالسؤال : « وماذا صنعت العمة بولينا ؟ » ، ونحن نعلم حق العلم ماذا صنعت .

فتجيبنا لوسى : « آه ، لقد قالت ببشاشة غير متكلفة : لقد حضر العشاء ، يا باى ، اجلس فكل ، فقد أكل الصغار . وهذا طعامك قد احتفظت به ساخناً فى الفرن : سجق وبطاطس مهروسة . وسيكون الشاى مهيئاً بعد لحظة » .

وهكذا تزوجا ثانية وقاما على تربية الأولاد جميعاً . ولزمت العمة بولينا البيت ، إذ كان الصغيران فى حاجة إلى من يتعهدها، وكانت تزيد دخل الأسرة بما تناله من القيام على بعض الدروس الخاصة . ثم لم تلبث

أن ولدت للعم « باى » مولوداً آخر : فتاة . ولقد روت لنا لوسى أنها لم تسمع جدالا محتدماً بين الزوجين إلا يوم أرادا تسمية هذه المولودة . فالعم « باى » يريد أن يسميها بولينا ، وأمها لا تريد ذلك محتجة بأنها ما أحبت قط هذا الاسم الجافى الذى تقادم العهد عليه . وكان يلذّ للوسى أن تمضى فى الحكاية فتقول : « ولكن أبى كان يصيح فى وجهها : إنه أجمل اسم فى الدنيا . وسيكون اسمها بولينا ولو قامت فى وجهى جهنم أو اعترضنى الطوفان » . وقد سميت كذلك .

ولم يكد الولد الصغير « كليم » وبولينا الصغيرة يدخلان المدرسة مع الآخرين ، حتى عادت العمة بولينا إلى التدريس ثانية .

ولقد كان دخلها ودخل العم باى يكفى نفقة أسرة كبيرة مؤلفة من ثمانية ، وأتاح لهم اتخاذ فتاة تقوم بخدمتهم ، وجعل فى طاقتهما أن يدخرا من المال لتربية الأولاد وتعليمهم .

وكانت العمة بولينا إذا جاءت تزور بلدتنا هى وأولادها فى إجازة الصيف ، لا يجرى على لسانها ذكر شىء من هذا كله ، وبذلك قطعت ألسن المتسائلين . ولم يكن أحد من أهل البلدة يشير إلى الأمر أى إشارة ، والواقع أنه لم ينقض إلا قليل حتى نسى هذا الأمر .

ولما شب الأولاد وكبروا كان معظم الناس يظنونهم جميعاً أولادها .

ولقد كانوا كذلك ، فنشأوا جميعاً نشأة صالحة ، وحُقّ لهم ذلك .



دخل شيخ من أهل الجبال عيادة طبيب ووراءه شاب طويل نحيل ، وقال « أرجوك يا دكتور أن تداوى صهرى ، فقد أطلقت عليه النار أمس فأصيب فى ساقه وهو يعرج عرجاً قليلا » .

فقال الطبيب : « تبًّا لك كيف تطلق النار على صهرك ؟ »

فقال الشيخ : « لم يكن صهرى حين أطلقت النار عليه » .

[مجلة « وول ستريت »]

OO··OOOO··OO

أتذكر البحار الذى سئل ما فعل بمرتبه فقال : أنفقت بعضه فى الخمر ، وبعضه على النساء ، وأما البقية فقد أنفقتها إسرافاً وإتلافاً ؟ !



كيف تستمتع بضعف الذاكرة

أوديل شبرد

مختصرة من "مسرات النسيان"

لا ترى قانون التوازن أدق عملا ولا أكثر خيراً مما تراه فيما يتعلق بالتذكر والنسيان ، فإنه إذا كان الإنسان لا يستطيع أن يتذكر أسماء معارفه الظرفاء فإنه ينسى أيضاً أسماء الثقلاء بنفس السهولة، وإذا كان لا يستطيع أن يستعيد مجرى التاريخ الإنساني المعقد، فإنه كذلك لا يحتفظ بالتفاصيل الكريهة لقضية الطلاق التي طرحت أمس . وهكذا لا تزال أفكاره تتجنب ما يعكر صفوها ، كالجدول المتحدر من جبل . ومن أجل هذا يلقى عامة الحاضر أهم وأقوى تحريكا للنفس ، لأن العام الماضي قد غمض وإن كان كالحاضر إذا اعتبرنا الأمور الجوهرية . فالذي يستمتع بما نسميه ضعف الذاكرة ، يجد أن نفسه تتجدد دائماً ، ولا تزال تكتسي ألواناً من نضرة الصباح .

إن النسيان عمل من أعمال الذهن كالتذكر تماماً ، وليس في مقدورنا أن نتذكر شيئاً إلا إذا نسينا أشياء ، حتى ليمكن أن يقال إن الذاكرة هي أداة للنسيان .

ونحن نفكر بفضل ما نسينا كما نفكر بفضل ما تذكرنا . ويبدو عظماء الكتاب دائماً كأنما لا يعرفون إلا القدر الكافي لأغراضهم الحاضرة، ولا يحملون حقائب تجاوز مقدار الحاجة . ويظهر أن الأرجح أن كل الموسيقى والشعر الخالص مستنبطان من أغوار النسيان . فإن المادة العادية اليومية ترسب وتظل « منسية » زمناً ، ثم تطفو متألقة كحبة الرمل حين تخرج لؤلؤة من الصدفة .

ونحن نفضل بالغريزة من كان سريع النسيان . وهذا عين السداد ، فإن الذين لا يحسنون أن ينسوا لا يزالون « يجرون بعض الحقائق غير الملائمة » كما يقول هولمز، وبذلك يفسدون طيب الحديث . فإذا كنت تتوقع أن يفضوا إليك برأى، فإنهم يجيئونك بفقرة من جريدة . وما أشبه الرجل القوى الذاكرة بمن يضع كل ما عنده من بضاعة عقلية في النافذة الأمامية ، فليس عنده شيء مذخور في أي مكان آخر .

أما النساء ، فإنه لا يزال أبداً جديداً

يدهش حتى نفسه ، والحقائق عنده أقل ، ولكن الآراء عنده أكثر منها عند الذكور . وإنه لممتع أن نراه يغوص فيستخرج فكرة بعد فكرة من أعماق نفسه وبه دهشة صريحة من أن يكون عنده كل هذه الأشياء. وهؤلاء الناس ذوو الأبعاد الأربعة الذين لا تستنفد أبداً ذخائرهم من الفكر ، هم خير المتحدثين وخير الأصدقاء، لأن أذهانهم ليست كلها فى الساحة الأمامية ، وفى وسع الإنسان أن يذهب يرتادها إلى مالا نهاية . ولا يشك أن الجنة نفسها تصبح مملة بعد بضعة آلاف من السنين لمن يتذكر كل شيء ، ولكنها عند النسّاء ينبغى أن تكون فرصة لما لا آخر له من إعادة النظر فى الكتب القديمة ، والتعرف بالأصدقاء القدماء ، فهى مكان شائق حقاً . وليس ثم سبب فيما يتعلق به ، يمنع أن تستمر إلى الأبد .

لقد كان دائماً فى الدنيا — ولا يزال — كثير مما ينبغى أن يشيح عنه الرجل الحكيم — على الأقل فترة من الوقت — مظالم وتعاسات وحماقات لا يستطيع أن يعالج أمرها بإصلاح ، وهى تحزه وتؤلمه كلما كرّ به الذهن إليها . وهذا الإعراض يعد فى زماننا ضعفاً وجبناً ، ولكن القوة يكون أيضاً مظهرها الرصانة والاتزان كما يكون مظهرها العمل المجهد ، وليس الذى ينضو عنه سلاحه ودرعه من حين إلى حين أقل شجاعة من الذى ينام فى عدته .

والواقع أن الواجب والمتعة يدعوان كل إنسان أن يقرر استقلاله العقلى بأن يبنى لعقله حصناً يستطيع أن يكون آمناً فيه ، وخير معاذ من هذا النوع هو ماضى الإنسان بعد أن تتولى كيمياء الذاكرة تخير مادته وترتيبها وصقلها .

وإنى لأكتب هذه السطور وقد تمثلت لذهنى صورة لفندق بجانب نهر الأدور فى سكس حيث جلست إلى المائدة أفطر قبل بضع سنوات ، وأنظر إلى النهر الجارى فرأيت فى هذه الصورة النهر يلتمع ماؤه الفضى المخضر وقد صافحته شمس الصباح . على أن الواقع أن الماء الذى رأيته فى الحقيقة لم يكن فضياً مخضراً وإنما كان أسمر ، ولكن الذاكرة والنسيان عملا معاً فى ابتهاج ، فأفاضا عليه ألواناً أزهى وأبعث على الرضى ،

وهذا النوع من التذكر العاطفى هو خير أنواع النسيان ، فإنه يطرح الطين الذى يحمله التيار ، ويحل محله الخضرة والتماع الفضة بفضل الخيال . ومن أكبر أسرار السعادة هذه الرجعة المتكررة إلى اللحظات السعيدة فى ماضى الإنسان ، وصقلها وتهذيبها .

ولنفرض أن الذى ينسى، بعد أن اشتكى

من ضعف ذاكرته للمرة الألف ، عومل على أنه كذلك ، وأن جانباً صغيراً مما نسى جيء به فجأة إلى ذهنه الواعى ، فأخلق حينئذ أن يحدث خفق سريع بالأجنحة من ماضيه كله ، وأن يبرز من الظلمة ألف وجه إلى النور الوهاج الفظيع ، وأن تتجمع همسات هائلة من الأصوات تخرج من السكون وتعظم وتضخم حتى تصير كبرج بابل تحت قبة جمجمته ، ولن يجد فى هذا البحر من الوجوه تلك التى كانت عزيزة عليه ، وتغرق الأصوات التى أحبها فى هذه الثرثرة الجافية ، وتختفى الكتب القليلة الجيدة التى قرأها تحت آلاف من الكتب الرديئة ، وشر من ذلك أنه خليق أن يبحث عبثاً بين التوافه والمساعى الخائبة والهزائم الضعيفة فى ماضيه ، عن تلك النفس المثالية التى سمح له ضعف ذاكرته بأن يحلم بها .

وخليق به فى ألم هذه اللحظة أن يتلهف على الخشخاش أو نبات مُرْقِد غيره ، أو على أيسر قطرة من نهر النسيان ، حتى إذا زايله ما كان يحسه من العذاب ، كان حرياً فيما أرى أن يحبّ النسيان ويؤثره .



طرائف الجناة

● اعترف رجل من شيكاغو فى المحكمة بأنه سرق ٧٥ شيكا قيمتها ٦٠٠ ريال من صناديق البريد ، ولكنه أقسم أنه كان يرسل خمسة ريالات من كل شيك إلى واعظ السجن لكى ينفقها فى « تحسين أحوال السجن » .

● قبض منذ عهد قريب على رجل فى الخامسة والثمانين كان لصًّا يحطم خزانات النقود ويسطو على الدور ، فلما سئل تبين أنه أقلع وارعوى ، ولكنه كان يرتزق من تأجير أدواته للصوص أفتى منه .

● عاد كاتب اشتهر برواياته البوليسية إلى شقته فى نيويورك بعد إجازة قضاها على شاطىء البحر ، فوجد أن جماعة من اللصوص قد دخلتها وانتهبتها ، ورأى على مكتبه بطاقة مطبوعة على آلته الكاتبة ، هذا نصها : « هذا لغز ، فهل لك أن تحله فى وقت فراغك يا صاح ؟ »

فحص العلم أسرار الشخصية الإنسانية ، فمهد الطريق للانتفاع بعقول عبقرية ولكنها مهملة .

العبقرية : سرها وتنميتها

بروس بليفن

مختصرة من مجلة "نيوريببلك"

ما السبب فى اختلاف حظوظ الناس من الذكاء اختلافاً بيناً ؟ وما السر فى أن من الناس الجرىء الماضى ومنهم الحىّ الهيّاب ، ومنهم من يبدو أنه خلق تحدوه الرغبة فى قيادة الناس تحت إمرته ، ومنهم من خلق ليكون تابعاً مطيعاً ، ومنهم المتغطرس المغرور ومنهم الخاشع المتواضع ؟ وبعد ، فلم يكون فى الناس من حين إلى حين أفذاذ موهوبون مثل ميخائيل أنجلو وشكسبير وأينشتين ؟

إن العلم لا يعرف حتى اليوم جواب هذه الأسئلة ، ولكنه أصبح الآن أدنى إلى سر هذه الأحجية الغامضة ، فقد وقفت معامل الأبحاث على دلائل قيّمة تتصل بهذا الموضوع .

إن معظم ما بلغه البشر فى تاريخهم من رقى وتقدم ، إنما تم على يد نفر ذوى مقدرة فذة يستحقون بها اسم العباقرة . والعبقرية الحقيقية وليدة شيئين متلازمين : وراثة صالحة مواتية ، وبيئة صالحة مواتية ، وبخاصة فى فجر الحياة . ويرى العلماء أن الذكاء موروث فى الغالب ، ولو أنهم لم يصلوا بعد إلى الجزم بهذا الرأى . فإذا غيرته البيئة ، فمردّ ذلك فى معظم الأحوال إلى أن الفرد لا يدع نفسه تستفيد تمام الفائدة من محيط أحاط به ، أو من أحوال مرت عليه . وأما الشخصية فهى تقريباً وليدة عوامل البيئة ، ولاسيما فى زمن الطفولة وفى مَيْعة الصبا . وقد تكون ثمة عوامل وراثية غير الذكاء وحده ، ولكن العلم يرى أن لا خطر لها ولا شأن إذا هى قورنت بما يكون من تقليد الصغار للكبار ، أو بالنظام ، أو بما يعتلج فى قلب الصغير من حب لبعض الناس أو نفور من آخرين .

وإعلاء شأن البيئة وتعظيم خطرها ، إنما هو اتجاه حديث اتجه إليه العلم . فقد كان كثير من العلماء منذ وقت غير طويل يميلون إلى أن ينظروا إلى الإنسان كأنه آلة مركبة وحسب ، فهو عندهم مخلوق تصرّفه غُدَده كما تكون . وقد قال طبيب نفسانى : « لقد كنا نسمع شيئا كثيراً عن أن الغدد تسيطر على الشخصية ، ونستطيع

اليوم أن نقول إن الشخصية هي التي تسيطر على الغدد ، ويكون كلا القولين سواء في الصحة ، فإن كلا منهما يؤثر في الآخر تأثيراً خفياً عميقاً » . وهذا العلم الجديد يجعل البيئة الأولى تبدو على أعظم جانب من خطر الشأن ، ويجعل من الضروري أن يقدر المجتمعُ الأفرادَ ذوي المواهب الفذة وهم في حِجْر حياتهم .

ومن عادة الناس أن يصفوا الشخص الحاد الذكاء بأنه عبقري ، دون نظر إلى ما أتاه من أعمال . وحتى العلماء يقولون ذلك أحياناً وهم غافلون ، وإن كانوا يؤثرون دائماً أن يصفوه بأنه « شخص موهوب » . وإذا تجوزنا واستعملنا التعبير العام قصد التيسير ، فكل شخص يزيد ذكاؤه بمقدار ٤٠ في المئة على ذكاء عامة الناس يعدّ عبقرياً . ويكاد العبقري يولد دائماً من أبوين على حظ عظيم من الذكاء ، ويكون أولاده عادة ذوي ذكاء ممتاز ، بيد أن العبقرية لا تلد العبقرية ضربة لازم .

وفي الولايات المتحدة اليوم ، طبقاً لهذا التعريف ، ما يزيد على مليون شخص يعدّون عباقرة ، منهم ٢٧٠٠ شخص تقريباً في أعلى مراتب الذكاء . ولا تزال مواهب آلاف منهم خافية لا يقدّرها أحد ، ولا يزال ما يدخل في طاقتهم الإتيان به ، مضيعاً كله أو بعضه . ويظل بعضهم طوال حياته حتى الممات مجهولا خامل الذكر في المجتمع ، ولا ينال من ثناء الناس عليه إلا قولهم : « خسارة أن يكون هذا جامع فضلات ! » ، أو « إنها تحفظ ما يزيد على ثلثمائة طريقة لطهي الطعام عن ظهر قلب دون أن ترجع إلى الكتاب ! » . ولعل صحة هذا تبدو واضحة جلية من تجربة حديثة أجريت في حي الزنوج في شيكاغو حيث جمعوا ٨٠٠٠ طفل كيفما اتفق ، واختبروا ذكاءهم ، فظهر أن أكثر من مئة منهم قد بلغوا مرتبة عالية من الذكاء ، وأن ٢٩ من هؤلاء الزنوج على جانب من الذكاء يؤهلهم لأن يكونوا عباقرة .

والآن كيف يستطيع العلماء أن يقدروا عدد العباقرة ؟ وما هو المقياس الذي يقيسون به القوة الذهنية العالية ؟ يقول العلماء لتقريب المسألة ووضع تعريف عام : إن الذكاء الخارق للعادة يقتضي حظاً كبيراً من قوة الذاكرة ، ومواهب عظيمة لتنسيق الأفكار ، وقوة في المنطق ، ومقدرة على استدعاء هذه جميعها عند الحاجة . وقد أخذ المتخصصون منذ سنين يضعون أسئلة إذا ألقيت على عدد كبير من الناس تبيّن من جوابها مقدار ذكاءِ كل منهم . وهي أسئلة بسيطة وأحجيات سهلة ، واختبارات للذاكرة ،

كالقدرة على تكرار سبعة أرقام أو ثمانية تقرأ كيفما اتفق . وقد وجد العلماء بعد مئات الآلاف من الاختبارات أن في مكنتهم أن يقرروا مستوى عادياً للذكاء وضعوا له ١٠٠ درجة . فإذا كانت ثمة شخص يقل ١٠ في المئة عن المستوى العادى ، قيل إن « نسبة ذكائه » ٩٠ ، وإذا كان ثمة شخص يزيد ٢٠ في المئة على المستوى العادى قيل أن « نسبة ذكائه » ١٢٠ وهكذا .

وكان الناس في أول الأمر يغالون فيما يدّعونه لاختبارات الذكاء هذه ، ولاسيما عامة الناس إذا كانوا لا يحسنون فهم أسرارها . ولا يزال لزاماً علينا حتى اليوم أن لا نعد هذه النتائج قضية مسلمة ، على أنه لا شك في أن هذه الاختبارات تقيس الذكاء ، وأن نتائجها مرتبطة في الغالب ارتباطاً وثيقاً بالنجاح .

ولعل أعظم ما يبهر من الأبحاث في السنين الأخيرة هو محاولة دراسة مستوى ذكاء عظماء الرجال بتقدير « نسبة ذكائهم » أيام طفولتهم ، وربطها بالحقائق المعروفة عن كل منهم .

وقد جمعت الدكتورة كاترين كوكس بجامعة ستانفورد (وهى الآن الدكتورة كاترين مايلز بجامعة ييل) أسماء ٣٠٠ رجل من عظماء الرجال ممن ولدوا منذ عام ١٤٥٠ ، وجمعت كل ما يمكن جمعه من المعلومات عن حياتهم حتى السادسة والعشرين . وقام متخصصون متدربون على اختبار الذكاء بفحص كل هذه المعلومات ، ولكنهم حرصوا حرص العلماء ، فأبوا أن يقولوا إن النتائج التى وصلوا إليها تدل دلالة صادقة على مستوى ذكاء هؤلاء العظماء حين بلغوا مبلغ الرجال ، وكل ما يقولونه إن ذكاءهم لا يقل عن المستوى الذى تدل عليه هذه الأرقام .

وإنا نورد لك فيما يلى أسماء بعض أعاظم الرجال ممن خلدهم التاريخ ونسبة ذكائهم كما تبينت من دراسة الدكتورة ما يلز :

٢٠٠ : (هؤلاء يعدون أعظم العقول في العصور الحديثة) : جالتون ، وجوته ، وجون ستيوارت مل .

١٩٠ — ١٩٥ : جروتيوس ، وليبنتز .

١٨٠ — ١٨٥ : بيكون ، وملتون ، ونيوتن ، وبت ، وڤولتير .

١٧٠ — ١٧٥ : تشاترتون ، وكولردج ولوثر ، وروبرت بيل ، وألكسندر پوب .

١٦٠ — ١٦٥ : جون كوينسى أدمز ، وبيرك ، ولونجفلو ، وتنيسون .

١٥٠ — ١٥٥ : صمويل جونسون ، ومندلسون ، وموزار ، وجورج ساند ، وسكوت ، ووردسورث .

١٤٠ — ١٤٥ : جون أدمز ،

وإمرسون، ولنكولن، ونابليون، ونلسون، وثكرى، ووشنطن.

وتقترن العبقرية فى الغالب بتبكير نضج العقل، بيد أن ذلك ليس قاعدة مطردة. فقد درس جون ستيوارت مل الاقتصادى، اللغة اليونانية وهو فى الثالثة من عمره، ودرس أفلاطون وهو فى السابعة، ودرس اللاتينية والهندسة والجبر وهو فى الثامنة، ودبج كتاباً حسن الوضع فى تاريخ روما وهو فى السادسة أو يزيد قليلا. وكتب جوته كتاب آلام فرتر الخالد وهو فى الخامسة والعشرين. وألف ملتون ما يعد أجمل شعر غنائى فى اللغة الإنجليزية وهو فى الحادية والعشرين. وطلع شلنج بفلسفته على العالم وهو فى العشرين. ورسم رافائيل صورة العذراء وهو فى الحادية والعشرين، وبلغ بيل رياسة الوزارة فى إرلندة وهو فى الرابعة والعشرين.

وثمة بحث هام آخر فى عبقرية العصر الحاضر قام به الدكتور لويس ترمان وأعوانه بجامعة ستانفورد.

فقد شرع الدكتور ترمان منذ تسع عشرة سنة مضت ينقب عن الذكاء بين أطفال المدارس فى الجهات الواقعة على ساحل المحيط الهادى. فألفى بين آلاف الأطفال الذين اختبر ذكاءهم نحو ١٥٠٠ طفل بلغت نسبة ذكائهم ١٥٠ أو أكثر، وظل يتتبع حالات معظم أولئك العباقرة من حين إلى حين. وقد وجد أن هؤلاء الأطفال الموهوبين فى مجموعهم يصيبون من النجح فى حياتهم أكثر مما يصيبه زملاؤهم العاديون، وأنهم يتزوجون صغاراً، ويقل الطلاق بينهم، ويتمتعون بصحة جيدة، وأن دخلهم إذا أشرفوا على الثلاثين لايقل فى المتوسط عن ٣٠٠٠ ريال فى السنة، وهو أكبر من دخل زملائهم العاديين بكثير. ولعلك تزداد عجباً إذا علمت أن هؤلاء الشبان دخلوا غمار الأعمال فى وقت الكساد التجارى الذى عم أمريكا. ومنهم عدد كبير يكسب ١٢,٠٠٠ ريال أو أكثر فى السنة، على أن أكبرهم سناً لم يزل فى الثلاثين وما بعدها. وقد برز منهم مؤلفون ألفوا عشرين كتاباً، ودبجوا مئات المقالات فى المجلات، وسجلوا باسمهم ثمانين اختراعا من الاختراعات العظيمة.

ولما كبر هؤلاء الأطفال الموهوبون اختاروا لأنفسهم من الأعمال ما كنا نتوقعه لهم. فكان من الرجال المحامون والأطباء والمهندسون ورجال الدين والمتخصصون فى الأبحاث، ومنهم ممثلو السينما وعازفو موسيقى الرقص ومنهم فنان يرسم لوالت ديزنى وآخر يتفرغ لتربية الثعالب. وكان من النساء

مدرسات وطبيبات وممرضات وموظفات فى المكاتب وأمينات للمكتبات وفنانات ومهندسات وممثلات وموسيقيات وراقصات. والعبقريات من الإناث أقل من العباقرة الذكور ميلاً إلى الاستمرار فى مزاولة ما اخترن . فقد تزوج منهن نحو نصفهن ، وسرن على النهج المألوف فى المجتمع المثقف المهذب. وترى الإناث منهم والذكور يتزوجون أشخاصاً أقل منهم فى الذكاء بنحو ٢٥ درجة.

ولعل أعجب ما فى دراسة الدكتور ترمان أن ٢٥ فى المئة من مجموعة عباقرته ، قد أصابوا من النجاح فى الحياة أكثر مما أصابه الباقون ، و٥٠ فى المئة منهم أصابوا نجاحاً مقبولا، أما الخمسة والعشرون فى المئة الباقية فقد ذهبت ريحهم وباءوا بالخيبة والخسران. وقد تبين أن أفراد الربع الأول من هذه المجموعة يكسبون ضعفين وثلث ضعف ما يكسبه أفراد الربع الأخير ، وأنهم قد تزوجوا صغاراً ، وأن زوجاتهم أذكى، وأن نسبة الطلاق بينهم ثلث ما هى بين زملائهم الخائبين ــ وتلك هى عناصر الحياة الناجحة. وتجد فى الربع الأخير رجالا يشغلون مناصب قليلة الشأن ، فمنهم رجل البوليس والنجار وعامل محطة البنزين وملاحظ المحلات التجارية إلخ . فهذا موضع العجب فيما ترى من فرق بين أفراد مجموعتين من عباقرة الأطفال بدأوا الحياة جنباً إلى جنب ،ودلت الاختبارات على أنهم جميعاً فى مستوى واحد من الذكاء .

وقد وجد الدكتور ترمان ومعاونوه أن خير تفسير لهذه الظاهرة هو بيئة المنزل وأثرها الذى تطبع به شخصية الطفل . فقد وجدوا فى المجموعة الأولى أن نحو ٥٧ فى المئة من الآباء كانوا من أصحاب الحرف الذين يكسبون من المال قدراً يكفل لأولادهم بيئة مستقرة وادعة . أما أفراد المجموعة الأخيرة فقد وجد الباحثون أنهم يأتون فى الغالب من بيئات ينتابها الفقر والشقاء وعدم الاستقرار . وكان أكثر آبائهم من الأجانب مولداً ، فهم فى صراع لا ينقطع مع حضارة غريبة عنهم ، فمن أجل ذلك فتّت البيئة فى عضد أبنائهم العباقرة .

وقد وجدت الدكتورة مايلز فى الحقائق التى جمعتها عن العباقرة الثلثمئة الذين اختبرتهم ، أن ثمة صفات عامة مشتركة بينهم جميعاً تقريباً . فكلهم من « أصل كريم »، وآباؤهم على جانب كبير من الذكاء ، وقد عاش معظمهم فى جو من الاستقرار والمحبة وحسن التفاهم فى فجر الحياة . وتقول الدكتورة مايلز إن العبقرية فى العالم كله تقريباً تتصف بالعطف والأمانة والشعور

بالواجب والثبات على المبدأ ، وبنشاط الجسم والعقل ، وبالتواضع وقلة الميل إلى اللهو ، وبهدوء الطبع . والعبقرية ترتفع بصاحبها إلى ما فوق عامة البشر لاختصاصه بهذه الصفات ، كما ترتقى به إلى ما فوق مستواهم فى الذكاء .

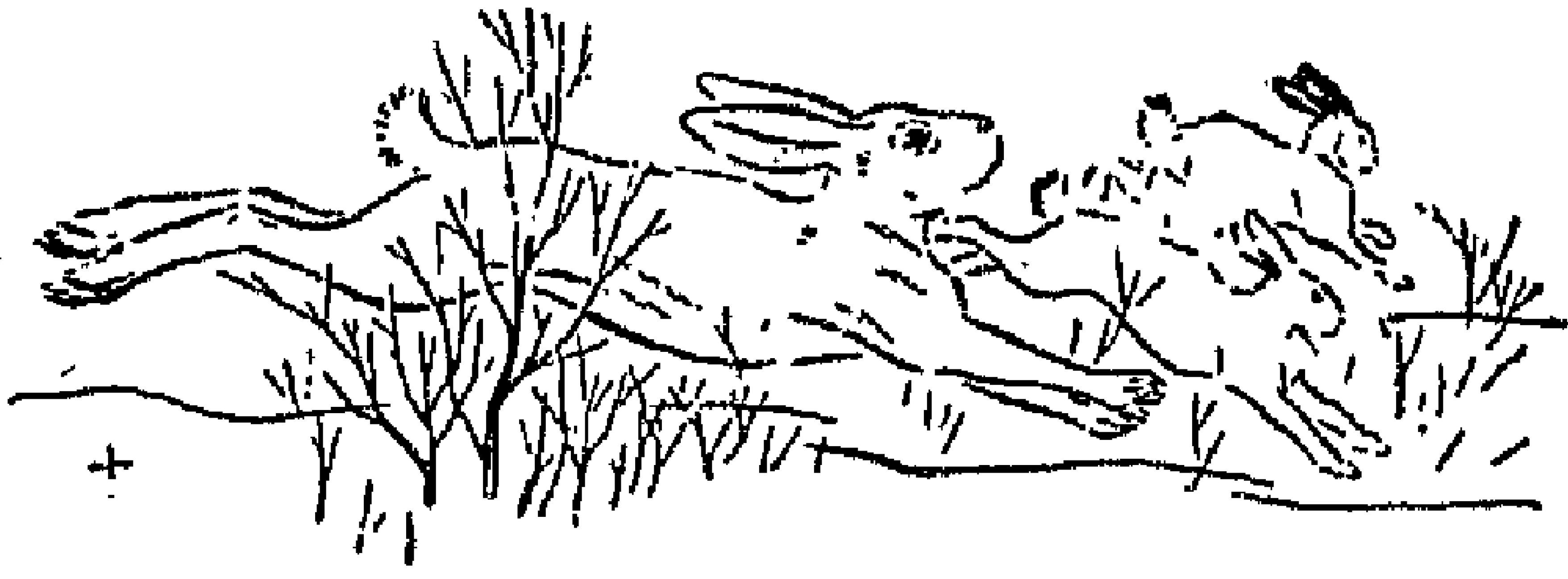
وأخيراً ، ما الذى تكشفت عنه أبحاث الدكتور ترمان والدكتورة مايلز مما يفيد المجتمع ؟ تظهر هذه الأبحاث أن الذكاء الممتاز فى الغالب هبة يحملها صاحبها منذ يولد ، إلا أننا نستطيع بالتعليم الصحيح أن نجعل ممن أوتى عناصر العبقرية الكامنة عبقرياً حقيقياً ينتفع البشر بمواهبه . ولعل أهم العوامل فى تحقيق ذلك أمران ، الأول : الحافز المشجع ، أو الحياة فى مجتمع يريد القدرة البالغة ويقدرها حق قدرها . والثانى الشعور بالثقة والاطمئنان منذ فجر الحياة . وقد ثبت علمياً الآن أن العبقرية لاتستلزم الغرابة والخروج على المألوف كما يظن أكثرنا ، وأن الشىء الذى يسمونه «المزاج الفنى» ما هو إلا خصلة من خصال طفل أفسده التدليل ، نقلها إلى عالم الرجولة شخص موهوب مرهف الأعصاب ، وقد تبين له أن فى طاقته أن يعيش بها بين الناس سالماً من أذاهم ، ولعله كان خليقاً أن يكون أقرب إلى العبقرية الخالصة بغير هذه الحماقات والنزوات التى يأتيها أو يتخلق بها .

والدرس واضح وله خطره ، فإننا ولاشك فى حاجة إلى هذه العقول النادرة التى لاتكون إلا بنسبة واحد فى كل مئة ألف . ويجدر بنا أن نلتمس خير الوسائل للعثور على هؤلاء الأفذاذ ، وأن نعنى بهم العناية الكافية . وقد نقضت الأبحاث العلمية ذلك الرأى الذى يزعم أن المقدرة الفذة تنمو وتزدهر فى جو القلق والخوف والشقاء . وإذا خُيّل إلينا أنها تنمو فى مثل هذا الجو ، فإن مردّ ذلك إلى أن الشخص الموهوب يتغلب على ما يلاقى من عقبات .

وليس معنى هذا أن ليس ثمة حاجة إلى قدر معقول من الفقر والنظام الشديد ، فإن حياة الكثيرين من عظماء الرجال توحى بأن ذلك عنصر لابد منه . ولكن ليس من المحتوم أن يكون الفقر مقروناً بالقلق وعدم الاستقرار .

وإن ما يصدق على العباقرة يصدق على سائر الناس أيضاً ، فإن ذكاء الرجل العادى وشخصيته يأتيان بخير النتائج فى ظلال الأحوال الحسنة المواتية . وقد يبدو هذا بديهياً ، بيد أن الآباء والمعلمين لا يدركونه إدراكا تاما . ولقد زودنا العلم اليوم بسبب عاجل لتعبئة عقولنا للعمل على توفير أعظم قدر من الدربة والخبرة النافعة والطمأنينة لأفراد الجيل الناشىء الجديد .

مخلوق يمثل صورته للناس شتاء الغابات المتجمدة فى الشمال ، وتمثل طبائعه قدرة الحياة على مطابقة مقتضى الحال .



الأرنب القطبى

ألن ديفور

مختصرة من
"ذى أميريكان ميركيورى"

أراد أحد علماء الحيوان أن يختار لك مخلوقاً لا تكاد تذكره حتى يمثل لعينيك شتاء المناطق الشمالية من الأرض ، حيث يطبق الصمت على براريها وغاباتها ، وحيث يسمع للثلج وهو يتشقق نقيض خافت ، وحيث ترى أغصان الشجر مثقلة بحملها من الثلج الأبيض ، وحيث يرى المرء نَفَسه حين يتصاعد من فيه كأنه بخار منعقد ، وحيث يمشى فى خف مبطن يسمع له على الثلج الناعم صريرٌ خفيٌّ — فأقرب ما يختاره لذلك هو الأرنب القطبيّ .

هو حيوان ضئيل الجسم أبيض الشعر طويل الأذنين يقطن تلك الغابات فى أقاصى الشمال المتجمد ، وهو مرح أنيس يملأ جنبات الغاب القاتم الهامد فى زمن الشتاء حركةً ونشاطاً ، فيثب من فوق آكام الثلج بسرعة كسرعة الثلج المندوف الذى تتقاذفه الرياح الهوج . ولولا أن قوائمه تكتسى فى الشتاء خفًّا كالخف المبطن الذى يلبسه الناس ، لغاصت قوائمه فى ذلك الثلج الناعم اللين ، ولما استطاع أن يتحرك فى جو تعجز فيه عن الحركة جميع الوحوش والطيور ، إلا طائرٌ واحدٌ يسمى الصَّعْو .

وقد سمى هنود الغابات الأمريكية الشمالية هذا الأرنب باسم « وباسو » . ويسميه أهل أمريكا الآن « الأرنب المتاوّن » ، وذلك لأنه يغير لون شعره فيكون فى الشتاء أبيض كالثلج ، وفى الصيف أغبر قاتماً . وحياة هذا الأرنب كلها دلالة صارخة على شيئين : سلطان الحياة وغلبتها ، وسلطان الموت وغلبته . ففى سنوات « الهَيْج » تتكاثر هذه الأرانب تكاثراً هائلا ، فربما مضيت تذبح منها فى كل يوم ٥٠٠ أرنب فلا تكاد بعدئذ ترى فى جماعاتها نقصاً ملحوظاً . ولكن إذا جاءت سنوات «القحط» فشا بينها وباء فتاك من الطاعون ،

فربما نفضت ببصرك مناطق كاملة ، فلا تكاد تبصر فيها أرنباً يتحرك . وسنوات الهيج والقحط تأتى على نظام ثابت .

وفى أواسط الشتاء القارس ، وفى ذلك الفضاء الأشهب ، لا تكاد ترى شيئاً يتحرك سوى هذا المخلوق الصغير الأبيض اللون ، الذى كان منذ عهد قريب أغبر اللون . وليس من العجيب أن تجد الهنود الحمر الذين يقطنون غابات الشمال الأمريكى قد نسجوا بعض أساطيرهم عن بطل يتميز بالمراوغة والتلون ، ورمزوا له برمز يشبه صورة هذا الأرنب .

ويقضى هذا الأرنب حياته القصيرة الخاطفة فى رقعة ضيقة من الأرض . فمنذ تولد صغاره غُبْر الألوان كل ثلاثة أو أربعة منها فى بطن ، ومهدها فى جذع شجرة ، أو فى حجر مبطن بأوراق الشجر — إلى أن تنطفئ جذوة حياته ، تراه قلما يبعد متجولا خارج الرقعة التى ولد فيها . وهو لا يحتاج فى تجواله فى حيزه هذا إلى شىء من سعة الحيلة أو لطف التدبير ، فهو يفلت من قبضة أعدائه بفضل ما وهب من سرعة عظيمة فى العدو . والذى يحفظ عليه حياته وتكاثره ثلاثة أشياء : تغير لونه شتاء وصيفاً ، وأكله كل طعام ، وكثرة نسله . وهو وإن كان حيواناً مرحاً ترى الرقة فى عينيه ، إلا أن ذكوره إذا جاء وقت سفادها تنقلب شكسة لا تنقطع فيما بينها عن العراك العنيف فيحاول كل منهم أن يبقر بطن صاحبه .

وهو لا يخاف أن يموت جوعاً إذا كثر الثلج وتراكم ، فإنه لا يقتصر فى قوته على البرسيم أو العشب أو ورق الشجر وحسب ، بل يستطيع أن يقتات بأى شىء تقريباً ، فهو يأكل لحاء شجر الحور والصفصاف . فإذا اشتدت به الحاجة أكل لحاء شجر الأرز والصنوبر على لذعة طعمها — ولا يزال يأكل منها أكلا لمًّا حتى يصير لحمه مشبعاً بالصمغ فلا يستطيع إنسان أن يأكل منه . وقد تبين الصيادون أن بعض هذه الأرانب تأتى الفخاخ المنصوبة للحيوانات آكلة اللحوم فتختطف منها اللحم المتجمد وتأكله .

وتغيُّر فرو هذا الأرنب يعدّ من أعجب نعم الله عليه . فهو فى الصيف أغبر اللون ، فإذا انبطح على الأرض غاب عن الأبصار . وهو فى الشتاء أبيض اللون فإذا انبطح فى الثلج ضلت عنه الأبصار أيضاً . وقد كان الرأى زمناً طويلا أن لون شعره هو الذى يتغير فيما بين الخريف والشتاء كما يشيب شعر البشر على مر السنين . غير أن تغير لون هذا الأرنب يرجع فى الحقيقة إلى سقوط شعر الفرو ونبات شعر غيره . والأسلوب

الذى يتم به هذا التغير فى اللون من أعجب الأشياء . فلو أنت نتفت خصلة من شعره فى زمن الخريف ، نبت مكانها شعر جديد أبيض كالثلج سابق لأوان التغير المتوقع الآتى فى زمن الشتاء . وعلى نقيض ذلك يكون شأنه إذا أنت نتفت خصلة منه فى زمن الربيع إذ ينبت مكانها شعرٌ أغبر قاتم سابق للتغير المتوقع الآتى فى زمن الصيف .

وقدم هذا الأرنب ضعف قدم الأرنب الأهلى . وأما أصابعها فمفرطحة متباعدة وليست مُدْمجَة مجتمعة ، فإذا دنا الشتاء نبت على أقدامه فروٌ أبيض كثيف ، ويظل يزداد ازدياداً ، حتى إذا ما سقط الثلج تكون قد صارت خفافاً عريضة لينة خفيفة المواطىء ، فتمكنه من أن يثب فوق آكام الثلج دون أن يغوص فيها . فتراه يثب وثباً واسعاً خفيفاً رشيقاً لا يكاد يترك على الثلوج أثراً ، حيث ترى أرشق حيوان الشمال لا يكاد يمشى حتى تغوص فى الثلج قوائمه . وإذا اضطر رأيته يسبح فى الماء سبحاً قوياً كأنه يستعين على ذلك بالمجاديف .

ومع ذلك فهو مخلوق تتصرف الطبيعة فى أمره كما تشاء ، فهى تقيه كل الوقاية ، وتضاعف نسله كل المضاعفة ، وتفتك به كل الفتك . فترى كل مفترس وضار يطارده ليناله : من الصقر إلى البُوم إلى الوَشَق إلى الثعلب إلى الكلب إلى النمس إلى الإنسان . أما الطفيليات فتغزوه منها حشودٌ هائلة تعلق بظاهر بدنه أو تثوى فى جوفه ، فتفتك به ويقل تعداده . وكل ما فى الغاب من ذى ظفر أو ناب عدوٌّ لهذا الأرنب ، فإذا راغ منها جميعاً وبدأ يضاعف عدده ويتكاثر حتى يبلغ زمن « الهيج » ، استقبله بعد ذلك الوباء الفتاك .

ومن عجائب الطبيعة أن ترى بين هذا الأرنب وبين الصَّعْو صلةً وثيقةً ، فكلاهما رمز للشتاء فى الشمال المتجمد ، غير أن الأرنب من ذوات الأربع وذوات الفرو ، والصَّعو من الطيور ذوات الريش وذوات الأجنحة . فحين يريد الصعو أن يبتنى لنفسه عشاً فى جذع شجرة يؤثر أن يجعل مهادَ عشه شيئاً ليناً ناعماً دافئاً ، فتراه يتخذ مهاد صغاره من فرو هذا الأرنب ، فكأن الطبيعة تأبى إلا أن تقيم الدليل على قرب الأواصر التى تربط بين هذه الخلائق التى اقتحمت تلك المناطق الباردة القاسية .



احرص على الموت توهب لك الحيــــاة [أبو بكر الصديق]

تستعين بريطانيا على النهوض باقتصادها برجال العلم والصناعة وزعماء النقابات والحكومة . وأساليبهم فى العمل خليقة بأن تحتذى فتنفع سائر الأمم .

الحاجة تفتق الحيلة

ستانلى هاى

رأيت فى حديقة فكتوريا بلندن ، نادياً يعنى أعضاؤه بتربية الأنعام من أجل لحمها ، ويدبر أموره رجل يدعى « كف » كان من رجال الشرطة . وكلاهما رمز للروح البريطانية بعد الحرب .

قال كف : « الحاجة تفتق الحيلة . وقد علمتنا الحاجة ، كيف نصنع طوباً بغير تبن » .

وزملاء كف جماعة تتألف من ضابطين من ضباط الشرطة ، وعامل فى مصنع جعة ، وبناء وطباخ وسائق سيارة ، وحمال طوب وثلاثة كتبة . فهذه الجماعة تزاول فى قلب لندن وفى أوقات الفراغ ، تربية الأنعام زمن السلم ، كما زاولوها زمن الحرب ، حتى يسدوا بعض العجز فى طعامهم وطعام أمتهم .

وقد بدأوا سنة ١٩٤١ وهم لا يملكون أرضاً ولا مالاً ولا معرفة بتربية الأنعام ، فأقطعهم المجلس المحلى فداناً فى حديقة فكتوريا ، ودفع كل منهم خمسة قروش لشراء الأنعام الخمسة الأولى ، أما بقية الثمن فأخذوها من جزار رهنت عنده الأنعام .

ثم استعانوا بنشرات وزارة الزراعة وبمشورة طبيب بيطرى ، على معرفة طرائق تربيتها . فصنعوا حظائر من خشب استنقذوه من أنقاض المبانى التى هدمتها القنابل ، وكانوا فى مبدأ الأمر يجمعون فضلات الطعام والعلف لتغذية الأنعام ، ويضعونها فى عربة يد ، أما اليوم فلهم عربة يجرها جواد .

قال كف : « وقد أنتجنا فى السنة الماضية ٦٤٩٥ رطلا من اللحم ، فاشترت الحكومة منها ٤٤٩٥ رطلا وتركت لنا ألفين . وقد خص كل عضو من أعضاء النادى ٥٢ شلناً ونصيبه من اللحم . وقد ختمنا السنة ولنا فى المصرف مئة جنيه » .

وفى بريطانيا اليوم خمسة آلاف من هذه الأندية ، منها نحو مئتين فى لندن . وما يتجلى فيها من ثقة بالمستقبل ، وبراعة وعزم على الانتفاع بما لديهم أو بما يمكن أن يجدوه ، هو صورة لما يضطرب فى نفس الأمة البريطانية من روح المبادرة والنضال التى امتازت بها فى سنة ١٩٤٦ .

والثورة البريطانية الحقيقية ليست ثورة سياسية أو اشتراكية ، وإنما هي إقدام ولدته الحاجة ودوافع النشاط والبراعة والاعتماد على النفس والتعاون. وقد ألفت هذه الثورة بين جهود طبقات الشعب المختلفة تأليفاً واسع النطاق ، وكتب صحفي كبير : « أصبح الآن لكل فرد خطره ، كما كان له خطره في زمن الحرب » . والباعث على ذلك هو المنفعة، إلا أنها منفعة تتخطى فائدة فرد بعينه أو جماعة بعينها، إلى منفعة الأمة كلها وتقدمها.

وهـذه هي روح البريطانيين التطلعين إلى أمام . ولم يئن الاوان بعد لنتبين عواقب ذلك ، ولكن إذا تم لأهل اليقظة والعزم والتقدم، أن يحيوا بجهودهم اقتصادهم السقيم، كانوا خليقين أن يقيموا للعالم — ولأهل النظريات الاشتراكية منهم — دليلا جديداً على ما في الاقتصاد الحر من قوة كافية متفوقة. وقد يجدون وسائل ودوافع جديدة تدفع هذا النظام دفعاً مطرداً ، حتى يصير صالحاً يسد حاجات الأمة . وكل اقتصاد حر ، فبعض مصيره معلق على مصير هذه الجهود .

قال السر ستافورد كريبس وزير التجارة : « لقد هدمنا اقتصادنا في زمن السلم اختياراً وعمداً لننهض بنصيبنا الكامل من مجهود الحرب . فينبغي لنا اليوم أن نعتمد على أنفسنا في بناء مستقبلنا » .

وترى صحيفة التيمس أن بقاء بريطانيا رهن « بقدرة الشعب البريطاني على أن يستعين بذكائه على العيش، وأن يزيد ما ينتجه من موارد ليس فيها الآن مجال للزيادة » .

وقال السر ريموند ستريث رئيس مجلس القطن : « إن مستقبلنا الاقتصادي رهن بالبراعة الفائقة في الانتفاع التام بكل عامل ، وبكل متر مربع من الأرض ، وبكل طن من الخامات ، وبكل جنيه من المال . ولن نستطيع أن ننافس غيرنا حتى يصير كل منا رامياً سديد الرماية » .

والبريطانيون ينقبون اليوم في جزيرتهم عن الموارد التي لم تستغل ، أو التي قل استغلالها، باحثين عن كل وسيلة في أرضهم تعينهم على النهوض . وقد بدأوا ينفـذون مشروعات تضاعف القوة الكهربائيـة المولدة من مساقط المياه ، وقد دل البحث الحديث على أن القوة المائية تكفي لتوليد ٤٠ في المئة من الكهرباء اللازمة للأمة ، فيوفر ذلك ٦٫٥٠٠٫٠٠٠ طن من الفحم في السنة .

ولقـد ضيع البريطانيون بين الحربين العالميتين ثلاثة ملايين فدان من الأرض الزراعية الجيدة، لأنهم لم يتبصروا في اختيار مواقع المصانع والمباني العامة . فلكي تتلافى الأمة ذلك ، أنشئت لجنة يديرها كبير علماء الجغرافية ، فأتمت منذ عهـد قريب مسح

البلاد ، وصنعت خرائط صنفت فيها أرض بريطانيا إلى عشر طبقات وفقاً لجودة تربتها . فإذا ما أراد أحد الآن أن يشيد بناء ، وجب أن يستأذن وزارة الزراعة . وقد تبينت هذه الوزارة أن سواد الناس يرضون ما تقترحه ، ويشيدون البناء الجديد حيث تكون الأرض أقل ما تكون صلاحاً للزراعة . ثم إن مشروعات الصرف الجديدة فى ١٥٠ ألف مزرعة ، صيرت ٤٫٠٠٠٫٠٠٠ فدان صالحة للزراعة .

تجد فى أسكتلندة مجلساً للصناعة يمثل غرف التجارة والمصارف ونقابات العمال والحكومة ، وعلى رأسه مدير مصرف كبير هو السير ستيفن بلزلاند . وقد عهد المجلس منذ زمن قريب ، إلى جماعة من العلماء بأن يستكشفوا ما فى أسكتلندة من موارد طبيعية لم تكشف من قبل ، وقد وجدوا فيها وجدوه جيراً ورملا يصلح لصناعة الزجاج ، وكانت أسكتلندة تستوردهما . وثمة صناعة أخرى مرتقبة ، تقوم على ما كشف حديثاً من رواسب الإردواز الجيد .

وقد كشف علماء أسكتلندة أيضاً منافع جديدة لحشائش البحر فى الكيمياء الصناعية ، وهذا خليق أن يزيد الدخل القليل الذى يصيبه صغار المزارعين فى شمال البلاد . وهم يبحثون الآن فى نباتات البلاد عسى أن يفضى بحثهم إلى إقامة صناعة العطور فيها .

وقد شمل التجديد القومى دقيق الشوفان الذى يعد أهم مصادر التغذية فى البلاد ، وكان استهلاكه قد هبط هبوطاً شديداً ، فعاد زراعه وطحانوه بوزير أسكتلندة ليعينهم بهبة من المال . فقال لهم إن تمهيد الأسواق لبيع الشوفان خير من كل هبة ، وإذا أعطوه مئة جنيه ، فلعله يستطيع أن ينشط الأسواق . فأعطوه المئة بعد تلكؤ .

ثم أكب الوزير على دراسة مناهج التدبير المنزلى فى مدارس البلاد ، فوجد الأطعمة الفرنسية فيها أكثر من الأطعمة الأسكتلندية . فقال لموظفى المدارس : « سوف نعنى منذ الآن بتعليم البنات الأسكتلنديات أن يجدن طبخ المحاصيل الأسكتلندية ، حتى يؤثرها الجميع على كل طعام آخر » .

وهيأ مباراة عامة ، وجعل المئة جنيه جوائز توزع على الفائزات اللواتى يبتكرن خير طريقة لطبخ دقيق الشوفان ، ووعد أصحاب الفنادق والمطاعم بأن يعينوا الفائزات فى أعمال ملائمة . فدخل المباراة أكثر من ٢٠ ألف فتاة ، وتولت الملكة إليزابت — وهى أسكتلندية — توزيع الجوائز . وبعد سنتين من الترويج للشوفان على هذا النوال ، صار ما يطحن من دقيقه أربعة أضعاف ما كان .

وقد أقيمت مباراة أخرى لكشف أساليب جديدة لطبخ البطاطس أو سمك الرنجة طبخاً يجعلها أجود وأشهى . فقد أضرّت منافسة الروس بتجارة الرنجة ، ولكن الانتفاع بالمعدات والأساليب الحديثة كالتبريد السريع أخذ ينعشها .

ولكى تنتفع البلاد بكل رجل وبكل مال ومورد مهما قل، ترى رجال العلم والصناعة والحكومة يحشدون علمهم وتجربتهم حشداً يفوق ما تم لأية أمة أخرى فى زمن السلم . وترى كل عالم متحفزاً ليمد يد المعونة إلى الصناعة ، مهما كان علمه نظرياً مجرداً. وقد قال أحد العلماء : « تستطيع الصناعة أحياناً أن تحول الآراء المجردة حقائق نافعة » .

وقد أخبرنى السر لورنس براج ، مدير معهد كافندش فى كمبردج ، أنه ينفق نصف وقته على الأقل فى إبداء رأيه فى مسائل الصناعة . وقال : « لقد بلغ عدد علماء الطبيعة الذين طلبهم أصحاب الصناعات أربعة أضعاف مايتاح منهم الآن، والمرتبات المعروضة عليهم ضعف ما كانت عليه قبل الحرب . وإذا ظفرت شركة بعالم من الطبقة الأولى ليتولى قسم الأبحاث فيها ، عينته فى الغالب عضواً فى مجلس إدارتها أيضاً » .

والحكومة تعفى من الضرائب كل ما يُنفق فى الأبحاث الصناعية . وإذا ما أنفقت شركة مالا على تشييد مبنى للبحث وتزويد بالمعدات، حقّ لها أن توزعه على ست سنوات. وتعدّه نفقة معفاة من الضرائب .

وفى مدينة مانشستر معهد للأبحاث أنشأته جمعية بحث القطن هو معهد شيرلى ، وهو يضم نحو ٤٠٠ عالم وفنى ، يتولون البحث فى نواحى صناعة القطن جميعاً ، من القطن الخام إلى آلات النسج . ومنهم عشرون خبيراً يطوفون دائماً فى أرجاء البلاد لكى يذيعوا النتائج التى وصل إليها علماء المعهد ، ولكى يطلعوا المعهد أسبوعاً بعد أسبوع على ما يحتاج إليه رجال الصناعة .

وتتحمل صناعة القطن ثلثى نفقات المعهد وتتحمل الحكومة الثلث الباقى . ويتألف مجلس الإدارة من ثمانية وثلاثين من رجال الصناعة ونقابات العمال ، معهم إثنان يمثلان للحكومة .

وقد وضعت الخطط لزيادة العلماء والفنيين القادرين على البحث . ففى إنجلترا وويلز ثمانية مجالس إقليمية استشارية ، تتألف من خبراء يعنون بتوسيع نطاق التعليم الصناعى ورفعه إلى مستوى التعليم فى الجامعات . وترى رجال الصناعة مستعدين أن يكفلوا للنجباء من موظفيهم نفقة التحاقهم بالجامعة لدراسة العلوم والصناعات . أما الصغار الذين

انقطعوا عن الدراسة للعمل فى المصانع ، فسوف يتاح لهم أن يعودوا إلى مدارسهم دون انقطاع . وأما مدرسو العلوم الصناعية فينتظر منهم أن ينضموا إلى المصانع فى الحين بعد الحين لكى يسايروا تقدم الأساليب الصناعية . وسوف يختار فريق منهم فى فترات منتظمة لدراسة الأساليب الصناعية فى سائر الأقطار .

ومنذ عهد قريب نظمت إحدى شركات السكة الحديدية مبادلة مؤداها أن يتولى بعض رجال الشركة كل سنة بحوثاً علمية أصلية فى معامل الجامعات ، وأن ينفق رجال الأبحاث فى الجامعات من ستة أشهر إلى سنة فى معامل الشركة لبحث المشكلات الفنية التى تعترضها فى عملها .

والحكومة تتوسل اليوم بقانون التعليم الذى صدر سنة ١٩٤٥ لتكثير أصحاب المهارة الصناعية فى الأمة ، وقد شرعت تزيد الكليات الصناعية للأحداث زيادة سريعة . ويدرب الآن المهندسون الذين اختصوا بتصميم الآلات والمبانى حتى يلبوا مطالب الصناعات الجديدة . وقد أخذت برأى الفلاحين ونقابات العمال ، فجعلت تنشىء مراكز فى المناطق الزراعية لتدريب الأحداث من عمال الزراعة ، وزيادة مهارتهم بمزاولة العمل .

ورجال الصناعة البريطانية يستعينون بالعلماء ورجال الحكومة على فحص الصناعة البريطانية فى جميع نواحيها ، حتى يتبينوا مواضع تخلفها وعلته ، وكيف يصلح أمرها ويزيد إنتاجها ، فقد قضت الحرب على ما ألفه الإنجليز من شعور الرضى والاطمئنان الذى ولّده تفوق بريطانيا الصناعى وسيادتها فى أسواق العالم . وقد قال ناطق بلسان الغرفة التجارية : « ينبغى لنا أن نمتحن كل أسلوب من أساليب الصناعة ، وكل مادة من موادها ، وأن نفحص فحصاً دقيقاً ما ألفناه دهراً طويلا فى أعمالنا » .

ويتزعم هذا الفحص والبحث عن طرق الإصلاح ، السر إدورد أبلتون ، كبير علماء الطبيعة فى بريطانيا ، وأحد رواد «رادار» ، فهو الآن رئيس مصلحة للبحث العلمى الصناعى تنفق عليه الحكومة من مالها .

وأصحاب الأعمال الكبيرة والصغيرة يرجعون إلى هذه المصلحة لطلب الإرشاد . فهذا رجل يصنع أدوات للدراجات ، وقد عزم أن يحفظ مصنعه بعد الحرب فى مستواه قبلها ، فخصص أربعة آلاف جنيه للبحث ، فذهب إلى السر إدوارد وسأله كيف ينفقها ، فأعانه على الظفر برجل يحسن تصميم الأدوات ، وزوّده بمعلومات عن سير الأبحاث وتقدمها .

ويوم زرت المصلحة كان مديرو شركة للسكر مجتمعين فيها، وقالوا إنهم يريدون أن ينفقوا خمسين ألف جنيه على الأبحاث فى العام . فلكي يحسن السر إدوارد إرشادهم .دعا عالمين من كبار علماء كيمياء السكر ، وكان أحدهما أستاذاً فى جامعة، والآخر ملحقاً بشركة سكر أخرى . وبعد اجتماعات دامت يومين خرج مديرو الشركة بمشروع ميزانية . وبكشف فيه أسماء باحثين من المقتدرين ، وظفروا أيضاً بخبر البحث العلمى الدائر فى كيمياء السكر،وبرأى سديد عن أنفع بحث ينفقون عليه مالهم . ولم يكلفهم كل ذلك سوى نفقة انتقال العالمين وإقامتهما يومين فى لندن .

وفى أواخر السنة الماضية نظم السر ستافورد كريبس ، وزير التجارة الهمام المبتكر ، جماعات العمل ، وهى تعبر عن رأى البريطانيين فى أن الصناعات البريطانية مهما بلغ تفوقها فيما مضى ، عادت غير صالحة لمجاراة الزمن . وغرض كل جماعة أن تبحث بحثاً دقيقاً صناعة بعينها ، حتى تتبين الوسائل التى تمكنها من أن تخوض غمار المنافسة فى أسواق العالم ، وتزود المستهلك الإنجليزى بأجود السلع ، وبأقل ثمن يوافق نجاح الصناعة وحسن حالها .

و « جماعة العمل » مؤلفة من أربعة أعضاء يعينهم أصحاب الصناعة، وأربعة تعينهم نقابات العمال ، وأربعة يمثلون الأهلين ، ورئيس محايد تعينه وزارة التجارة . وتجد بين الذى تم تعيينهم فريقاً من أكبر رجال الصناعة وزعماء العمال ، وتجد أيضاً طائفة من أقدر رجال العلم والاقتصاد وإدارة الأعمال. وهم جميعاً لا ينالون أجراً على عملهم.

وقد عينت الجماعات الخمس الأولى لتفحص صناعات القطن والجوارب والأثاث ، وأوانى الخزف . ويوم كنت فى مانشستر كانت « جماعة العمل » التى عينت لفحص صناعة القطن جادة فى عملها ، مع أنها لم تشكل إلا منذ ثلاثة أيام. ورئيسها هو السر جورج شوستر ، مدير عشر أو أكثر من الشركات الكبيرة،ومن أقدر رجال الأعمال فى إنجلترا . وقد لقيته فقال لى : « إن مجالس الإدارة التى أرأسها تعلم ان لا رخاء لأحد منا إن لم يكن الرخاء عامًّا شاملا » .

وكذلك ترى أن البريطانيين فى تضامنهم هذا التضامن العجيب ، على استرداد قوة الأمة وسلامة كيانها ، يرمون إلى استرداد قوة كل فرد فيها وسلامة كيانه . وقد يسفر عملهم هذا عن دليل جديد ناهض على أن الاقتصاد الحر خير من أى ضرب آخر من ضروب الاقتصاد ، وأنه يكفل للأمم ما تبغى من النهوض والارتقاء .

هذه طبائع البشر

دنا القطار من مدينة أ، جدن في ولاية يوتاه ، أقبل الحمّال على الركب في العربة التي كنت فيها وقال بلهجة الجدّ : « سيداتي وسادتي ، إلى الشمال سلسلة من الجبال ، وفيها قمة يغطيها الثلج ، وتدعى بوة العشاق » .

فاشرأبت أعناقهم ليتملوا من المشهد ، ومضى الحمّال فقال: « ومنذ سنة تقريباً ترك القطار عروسان لكي يصعّدا في هذه الجبال وهبت عاصفة ثلجية شديدة فضلاً ، وظلاً ثلاثة أيام يهيمان على وجههما ، وقد برح بهما البرد والجوع ، فعزما أخيراً أن يقفزا من الجبل إلى الهوة تخلصاً من العذاب والحياة . وكان في عناقهما الأخير ، وإذا العروس تصيح : ما هذا في جيبك ياحبيبي؟ فتلمس جيبه وقال : إنه كيس من الفول السوداني اشتريته بقرشين ونحن في القطار. قال الحمّال : « وأنقذهما الفول من الجوع وأخيراً شقا طريقهما إلى أقرب قرية .

« فإليكم سيداتي وسادتي . فولا سودانياً مملحاً إن شئتم ، أو فولا مسكراً .

« الكيس بقرشين » .

وقد غلبت ضجة الركب على تهليله ، ولكنه باع الفول !

[غوردن هنز]

قضيت منذ عهد قريب ، إجازة في نيويورك ، فرأيت ذات يوم سيارة نقل مثقلة بأوان زجاجية تخرج مدبرة من فناء المصنع إلى الشارع ، فمرت سيارة نقل كبيرة وصدمتها فتحطم الزجاج ، فسخط السائق وكاد يتفجر سخطه دمعاً مسكوباً . واحتشد جمهور كبير من الناس ، ثم تقدم منه شيخ فاضل وقال بلهجة العطف : « أحسب أنك مضطر أن توفي ثمن الزجاج المحطم من جيبك الخاص » .

فقال السائق كسير القلب : « أحسب ذلك » .

فقال الشيخ : « خذ هذا الريال وهات قبعتك أديرها على الناس لعل بعض الخيرين يجود بما يعينك » .

فتقدم أكثر من مئة منهم وألقوا في القبعة بعض ما تيسر لهم من المال . ثم استردّ السائق قبعته ، وأخذ المال ودسه في جيبه ، وأخذ الجمع يتفرق ، فالتفت السائق فرأى الشيخ الخير منصرفاً فقال : « والله إنه لرجل ماهر ذكيّ . إنه رئيسي »

[جيمس هودجز]

دخل شاويش شديد الأسر وثيق التركيب من مشاة البحرية فناء مدرسته القديمة

في بوسطن، ومشى إلى مكتب الناظر وكانت أوسمة الحرب تزين صـدره شـاهدة له بالشجاعة والإقدام . فحياه الناظر أحسن تحية ، وتحدث مع تلميذه السابق عن بعض تجاربه في معارك جزيرتي أيوجيما وأوكيناوا ثم سأله : « أثمة شيء أستطيع أن أسديه إليك؟ » فقال الشاويش : « نعم ، أنوى أن ألتحق بالجامعة ، فهل تتفضل بإعطائى نسخة من درجاتى فى المدرسة ؟ »

فقال الناظر : « طبعاً ، طبعاً ، إذهب إلى الحجرة ٢٠٠ واسأل المس جونز ، فهى تحفظ سجلات الطلاب جميعاً » .

فتردد الفتى هنيهـة ، وقال متلعثماً : « ألا تستطيع أن ترسل إليها من يأتينى بها ، فأنا ما زلت شديد الخوف منها » .

[تشارلز شارب]

لى صديق من رجال الزيت، فاتح صاحب مزرعة كبيرة فى تكساس عسى أن يؤجره أرضه ليحفر فيها آباراً لاستخراج الزيت ، وكان صاحب المزرعة مشهوراً بتربية أغنام كريمة حمراء الصوف ، لاتزال تراها تتهادى فى مراعيه الفاخرة ، وكانت أغنامه أثيرة عنده ، فرفض كل عرض عُرض عليـه .

وقال له صاحبى : « تصور ما تستطيع أن تصنعه بهذا المال الكثير الذى أعرضه عليك — تستعمل الكهرباء فى إضاءة منزلك وفى تدبير أموره ، وتبنى جدرانك بالإسمنت ، وتشـترى المعدات الميكانيكية والكهربائية التى توفر على زوجتك شيئاً كثيراً من عناء العمل . ألا يستهويك كل هذا ؟ » . فقال المزارع : « لا »

لكن رفضهُ لم يفتّ فى عضد صاحبى ، فأعاد الكرة عليه . فقال : « تصوّر غابة من أبراج آبار الزيت فى هـذه الأرض يتدفق منها الذهب الأسود السائل ليل نهار ، وتصور هـذه الأبراج مضاءة فى الليـل فيراها الرائح والغادى من مسافة أميال كثيرة . أتستطيع أن تتخيل منظراً أجمل وأروع من هذا المنظر ؟ »

فقال المزارع : « نعم أستطيع » ، ثم أشار بذراعه إلى المراعى الفسيحة وقال : « منظر هـذه الأغنام الحمر ترتع فى هذا البساط الأخضر » .

[ميلدريد ثابر كلارك]

•○○<<<•<<<•<<<○○•

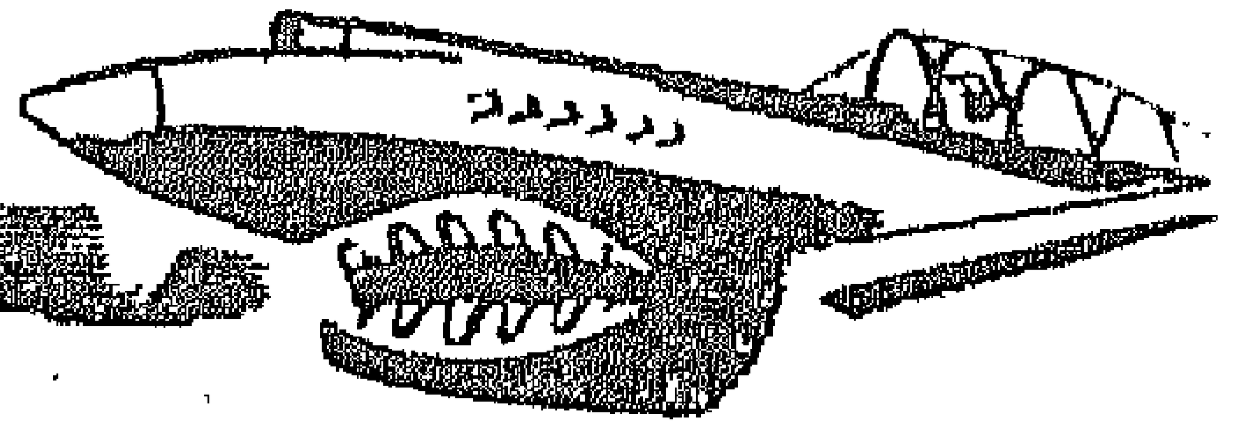
قال القاضى لمتنازعين : لماذا لا تفصلان فى خلافكما خارج المحكمة ؟ فقالا : ذلك ما كنا نفعله حين تدخّل فيما بيننا البوليس .

كانوا من أبرع طيارى الحرب ، فصاروا اليوم من أنفع طيارى السلام .

عادوا يشقّون أجواز الفضاء

دون إدى

مختصرة من " ذى أمريكان مجازين "



في يوم قائظ من أيام الصيف الماضى جلس روبرت پرسكوت وعروسه ، فى شقتهما الضيقة المكتومة فى وشنطن . وقد كان روبرت من أبطال الطيران الحربى فى الصين وطيران النقل فوق جبال هملايا ، وكثيراً ما ورد ذكره فى الصحف ، وهو شاب مديد القامة دمث الأخلاق يخفى وراء لينه عزماً كالحديد ، فجلس هو وعروسه يتحدثان فيما عسى أن يعملا فى المستقبل .

فقال روبرت : « خطر لى أنه يحسن بنا أن ننشىء خطاً للنقل الجوى . فلمَ لا ندعو بعض الذين طرت معهم فى آسيا إلى المساهمة ؟ وأنا أعرف أربعة من رجال الصناعة فى كاليفورنيا ، خليقين أن يشتركوا معنا . فماذا يمنع أن ننشىء خطاً جوياً لنقل البضائع من طرف القارة إلى طرفها الآخر كأن الطائرات سفن تروح وتغدو حيث تدعوها ضرورة العمل ؟ وأنا أظن أن العمل قمين بالتوفيق .

فأرسلا برقيات إلى من يعرفان عنواناتهم من زملاء روبرت السابقين فى الصين والهند ، فكانت الاستجابة فوق ما توقعا سرعة وحماسة . فأرسل أحدهم بالتلغراف سبعة آلاف ريال ، وطلب أن يعرف : « متى نبدأ العمل ؟ » وتلقيا من رجال الصناعة الأربعة فى كاليفورنيا برقية فيها : « اجمع كل المال الذى تستطيع أن تجمعه ، ونحن نشترك بمثله ريالا بريال » . فما أشرف الأسبوع على نهايته حتى كان پرسكوت وزوجته قد جمعا تسعين ألفاً من الريالات .

فأوصى پرسكوت من فوره على ١٤ طائرة من طائرات الشحن ذوات المحركين ، ودفع المبلغ الذى جمعه قسطاً أول من ثمنها ، واتفق على أن يوفى الباقى ، وهو ٣٢٠ ألف ريال ، أقساطاً شهراً بعد شهر . وكانت هذه الطائرات مصنوعة من الصلب الذى لا يصدأ ، وكانت رؤوسها ضخمة تزيد من قدرتها على حمل ما تحمل ، وكانت ذيولها مرتفعة ، تستطيع أن تدلى منها معابر تعبر عليها سيارات النقل إلى جوفها الرحب الذى يتسع لبضائع تبلغ زنتها عشرة آلاف رطل. وكان پرسكوت قد قاد هذه الطائرات ،

فتبين أنهـا تستوى فى الجو غير مضطربة ولا مترجرجة ماضيةً إلى طيتها .

وانتخب برسكوت رئيساً للشركة، فاتخذ مقره فى المطار الأهلى فى لونج بيتش بكاليفورنيا على ساحل أمريكا الغربى ، ولكن الطائرات التى اشتراها كانت جميعاً فى ولاية جورجيا قرب الساحل الشرقى ، ففتش فى جيبه فلم يجد من المال إلا ما يكفيه ليطير بواحدة منها من الشرق إلى الغرب .

ثم قضى أسبوعين يذرع مدينة لوس أنجيليس يبحث عن حمولة ينقلها بطائراته ، فذهب بحثه أدراج الرياح . وكان مكتب الشركة لا يضم سواه هو وزوجته وآلة كاتبة مستعارة . وكان اليأس قد أخذ يدب فى نفسهما ساعة دقّ التلفون : هذا تاجر الفاكهة الكبير رالف ميرز يسأل : « أتستطيع أن تنقل غداً ملء طائرتين من العنب الغض ، إلى الساحل الشرقى ؟ »

كانت يد روبرت ترتجف ، ولكن صوته ظل هادئاً متزناً حين رد : « لا بد لى من أن أراجع جداول الطيران » . وقلب أمام سماعة التلفون أوراقاً كثيرة كان معظمها أوراق حسابات لم تسدد ، ثم قال : « آسف ليس عندنا سوى طائرة واحدة متاحة فى غد . فهى لك إن شئت » .

هى فرصة قد سنحت بعد طول الانتظار ا فنقل أربعة أطنان من العنب إلى جورجيا فتلقاها بدّال فى نفسه نفحة من الشعر ، فأعلن عنها : « عنب جاء بطائرة خاصة ونَدَى كاليفورنيا لا يزال يتلألأ عليه » . وجعل سعر الرطل ١١ قرشاً ، حيث يباع عنب جورجيا بثلاثة قروش ونصف . ثم أبرق ملحاً فى طلب قدر آخر منه .

وسمع روبرت أن الأسر النازحة من نيويورك إلى الغرب تلقى مشقة عظيمة فى نقل أشيائها نقلاً سريعاً ، فتحدث بالتلفون مع مكتب يتولى شحن الأثاث . فما أصبح الصباح حتى كان روبرت فى طائرته ييمم شطر الغرب ، وكان فى جوفها أثاث خمس أسر ، بينها عربات للأطفال ومواقد للأفران ، وقفص فيه كنار غِرِّيد .

فلما بلغ كاليفورنيا وجد مصدر العنب يرعد ويبرق ويصيح : « إننى فى حاجة إلى طائرات ! فكل بدّال فى أمريكا يلحف فى طلب عنبى الغضّ » . فقال برسكوت : « خذ جميع الطائرات التى تستغنى عنها » .

وعمد ليلاً إلى التلفون فخاطب زملاءه فى شتى أرجاء البلاد . فهذا هدمان ، فتى غضٌّ الأهاب كان قد أسقط خمس طائرات يابانية فى أول معركة جوية خاض غمارها ، وهذا كرنيليوس الذى اشتهر بأنه أصلب

الطيارين عوداً فى ميدان الصين ، وهذا روسبرت رجل هادىء عاد حيًّا بعد انقضاء ٤٦ يوماً على سقوط طائرته فى مجاهل جبال هملايا ، وهذا كنج رئيس قسم الإشارة وكان لا يبرح مكانه فى المطار إلا بعد أن تبدأ القنابل اليابانية فى الانهمار عليه . وعثر أيضاً على ويكفيلد وقد عاد لساعته من الهند وإيران ، وعلى ويرتا رئيس قسم التسليح فى وحدتهم القديمة . فطلب إليهم جميعاً أن يسرعوا إلى جورجيا ليجيئوا بالطائرات إلى كاليفورنيا ، وما فتئوا منذ تلك الليلة يعملون عملا لا ينقطع .

ومعظم ما ينقلونه من البضائع المألوفة : بطيخ ، وكريز ، ومحار البحر ، ورياش البيوت ، ولكنهم يصادفون فى الحين بعد الحين طلباً عجيباً . فقد دقّ التلفون مرة فى بيت برسكوت فى الثانية صباحاً ، فإذا المتكلم موظف فى شركة زيت فقال : « لقد تعطلت إحدى سفننا فى ميناء جالفستون فى خليج المكسيك ، وينبغى أن نرسل إليها تربيناً جديداً على أن يصل قبل ظهر غد ، أفتستطيعون أن تنقلوه ؟ » فقال برسكوت وهو بين النائم واليقظان : « نحاول » . فلم تكد تنقضى ساعة حتى قامت الطائرة وسلمت التربين فى الموعد المضروب .

وفى ليلة أخرى تحدث بالتلفون تاجر من تجار الدواجن ، وكانت طائرته قد تعطلت عند مفترق طرق فى أواسط أمريكا ، فقال : « عندى ٨٠٠٠ من الفراخ وقد ولدت أمس وستموت غداً إن لم تصل إلى مربى الدواجن فى لوس أنجيليس . أتستطيع أن تنقلها ؟ » فنقلها .

وتمكن أحد تجار الأزهار فى لوس أنجيليس من أن يظفر بأول شحنة شحنت بعد الحرب من بصل السوسن والخزامى ، فنقلتها سفينة من هولندة إلى نيويورك ، ولكنه عجز عن نقلها على وجه السرعة من نيويورك إلى كاليفورنيا ، فحدث برسكوت بالتلفون وقال : « لأحد منافسىّ شحنة مثلها ستصل نيويورك على السفينة التالية ، وأريد أن أسبقه » . فنقلت طائرات برسكوت أربعة أطنان من هذا البصل ، من شرق أمريكا إلى غربها .

ومنذ أسابيع طلب مخزن للعقاقير أن تتولى هذه الطائرات نقل ١٥٠٠ رطل من البنسلين من نيويورك إلى كاليفورنيا .

وليس فى وسع هذه الجماعة من الطيارين أن تنهض بكل ما يطلب منها ، فقد رغب إليها أحد المهووسين من محبى الحيوان أن تنقل له من بوسطن إلى سان فرنسسكو جاموستين قد أحسن تدريبهما ، فقال وهو يحاول إقناع برسكوت : « إنهما من

الحيوانات الأنيسة ، وفى وسعها أن تقبلك متى طاب لها » ، ولكن فكرة قبلة من جاموستين فى طائرة محلقة على ميلين من سطح الأرض ، لم تغره بالموافقة .

وقد أعدت هذه الطائرات لتكون ناقلة للبضائع ، ولكنها مجهزة بكراسى تطوى وتنشر تصلح للركاب. وقد نقلت مرة جماعة من غرب أمريكا إلى شرقها لحضور مأتم ، ولكن أكبر جماعة نقلتها ، كانت على أثر وصول الطراد أستوريا إلى مرفأ سان بدرو فى كاليفورنيا فى أكتوبر الماضى ، بعد أن قضى سنة كاملة فى المحيط الهادى .

وقد تحدث أحد البحارة بالتلفون مع برسكوت وقال : « إنه ظفر هو وبعض زملائه بإجازة شهر ، وإنهم يريدون أن يستأجروا طائرة خاصة لتنقلهم إلى بيوتهم على ساحل أمريكا الشرقى . وانتشر خبر هذا الطلب فى الطراد كالنار فى الهشيم ، فما أقبل المساء حتى كانت جماعات أخرى من البحارة قد استأجرت أربع طائرات أخرى، فنقلت الطائرات الخمس ١٢٤ بحاراً أضرَّ بهم النَّوى إلى نيويورك ، ثم أعادتهم منها بعد شهر إلى مرسى الطرَّاد .

نعم ، لم يكن طريقهم مفروشاً بالورد والريحان ، فقد حدث لهم مثلا أن عجزوا عن توفية ٢٠,٠٠٠ ريال وهى قسطهم الثانى من ثمن الطائرات ، فاضطروا أن يبيعوا ستاً منها بمبلغ ٢٥٩ ألف ريال ، فدفعوه كله من أصل الثمن . وفى آخر الشهر الثانى دفعوا ما بقى عليهم من ثمنها ، فصارت جميع الطائرات الباقية ملكا حراً لهم . وقد تم لهم ذلك برغم ما نزل بهم يوم شبت النار فى إحدى طائراتهم على الأرض فى ديترويت واحترقت . ويقول برسكوت : « كان ذلك أسود الأيام التى مرت بنا » ، ولكن شركة التأمين غطت هذه الخسارة .

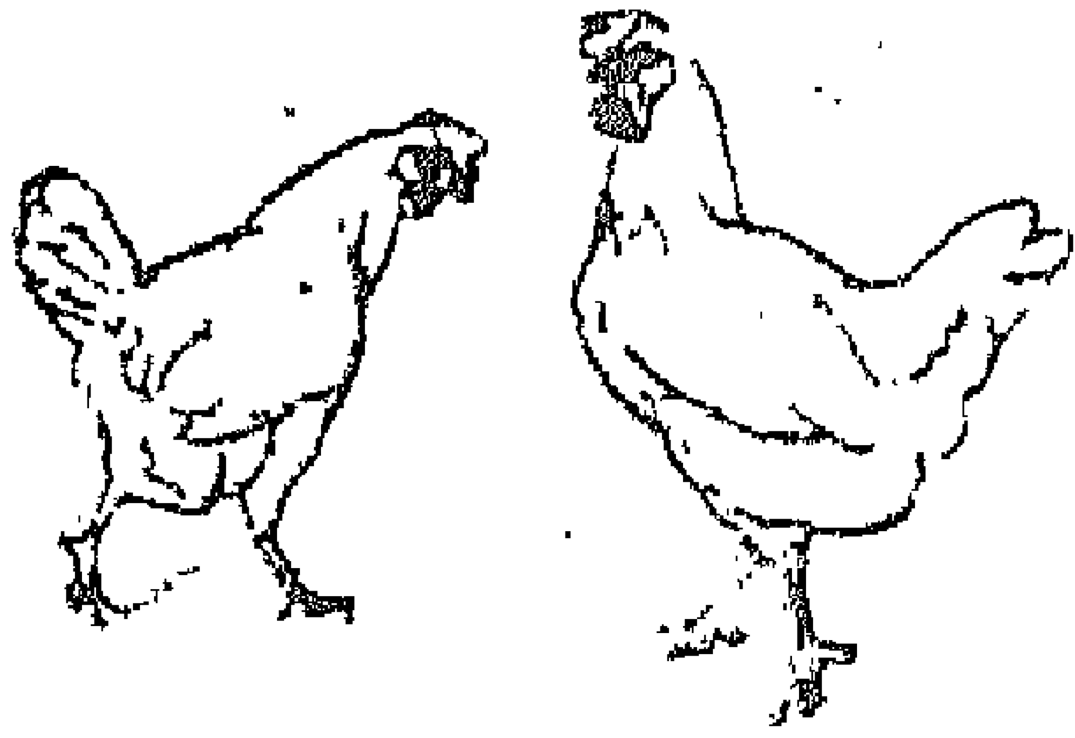
وقد أصابت شركة برسكوت وصحبه — ناشونال سكاى واى — نجاحاً باهراً . فطائراتها تعبر الولايات المتحدة من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب كل يوم ، وتقف حيث تجد ما تنقله ، وتنقل البضائع بأجر لا يزيد على خمسة قروش عن الطن مسافة ميل . وليس لها برنامج محدد ، ولا طرق معينة ، بل تذهب كالسفن الجوابة حيث يقتضيها شحنها أن تذهب .

وأجل شأناً من كل ذلك أن برسكوت وصحبه يتولون لحسابهم أعمالا حذقوها وأحبوها . ولست تراهم مديرى الشركة وموظفيها وحسب ، بل هم أيضاً الذين يتولون أعمال القيادة والملاحة والإشارة والإصلاح الميكانيكى فيها . وهم يصيبون فى كل ذلك متعة عظيمة .

كان هنرى ولاس رائداً فى توليد الذرة الهجينة . وهذا ابنه هنرى براون ولاس، يجرى على مبادئه فى تطبيق مبادىء الوراثة ، فيولد دجاجاً جديداً عجيباً .

أمير الدواجن

دجاج "هاى-لاين"



پول دى كروف

مختصرة من مجـلة "كنترى چنتلمان"

كان فناء دار ريفية فى قلب أمريكا ، مهـداً لانقلاب عظيم فى إنتاج الطعام بالسيطرة على أسباب الوراثة سيطرة عملية. فهناك شقّ هنرى أ. ولاس الطريق المؤدى إلى توليد بذور الذرة الهجينة * ، التى تفوق الذرة التى ولّدت منها فى مقدار المحصول وجودته . وهناك أيضاً تجد ابنـه هنرى براون ولاس ، قد أذكت حماسـته روح التجربة الزراعيـة التى أسفرت اليوم عن فراخ هجينة ممتازة — وهى دواجن بلغ تفوّقها فى وضع البيض وفى خواصّ أخرى، مبلغاً حمل المزارعين على أن يبتاعوا منهـا نصف مليون أو أكثر فى السنة المـاضية .

وفى سنة ١٩٢٧ يوم أنشأ هنرى ولاس شركة الذرة الهجينة ، ولد مشروع السيطرة على الوراثة فى الفراخ ، فى فناء دار ولاس الريفيـة بغير تقدير أو تدبير . كان ولاس قد حاول أن يوجّـه عناية ابنـه ، وهو فى الثـانية عشرة من عمره ، إلى الذرة الهجينـة فأخفق . ثم أهدت مسز ولاس إلى أولادها اثنى عشر فرخاً من الدجاج ، فقررت هذه الهدية مصير ابنها هنرى براون. فقـد اشتعلت حماسته اشتعالا . وفى السنة التالية صنع الأب لابنه بيتاً لتربية الدجاج فى فناء الدار ، وأعطاه مئة فرخ من صنف « هوايت روك » ليجرّب بها تجاربه .

بدأ هنرى براون ، يتدرب على التجربة العلمية بما عاناه من بوادر الإخفاق فى تربية الدواجن . فقد نزل المرض بكثير من فراخه لقلة تجربته فى تغذيتها وتدبير أمرها . فحاول أن يعالجها بما وهبه أبوه من أدوات طبية ، فصار خبـيراً فى مراقبة بيوتها ، (وكانت أمه تحلّ محـلّه حين يذهب إلى المدرسة) ، وسـجل فى دفاتره تسجيـلا دقيقاً وجوه الفرق الخفيـة فى قدرة دجاجة على وضع

* انقلاب فى زراعة الذرة « المختـار » نوفمبر سنة ١٩٤٥ ص ٢٧

البيض . فكان فى عمله أدنى إلى العالم الكبير منه إلى الصبيّ الغرّ .

وشد الأب أزر ابنه ، فأضاف إلى سربه بعضاً من دجاج « أوسترالوربس » الأسود ، وستة من الديكة العريقة ثمن كلٍّ منها ٣٠ ريالا .

وقد لاح يومئذ أن ما تعلمه هنرى براون كان شيئاً لا جدوى منه ، فمهما يكن الدم الذى يدخله فى عروق الدجاج حُرًّا كريماً ، فلا يلبث الدم العادىّ أن يغلبَ عليه ويسوده . وكانت قدرة الدجاج على وضع البيض ونشاطها العام يتفاوتان تفاوتاً كبيراً ، فاستعان بأبيه فبين له علة ذلك . ذلك أن الدجاج كالذرة لا يلد أبناء طبق الأصل إلا إذا ظفرتَ بسلالات نقية ، بأن تُزاوج بين الأقارب الأدنين ، ثم بتزويج ذكر وأنثى من سلالتين نقيتين .

فلما ذهب هنرى ولاس إلى وشنطن سنة ١٩٣٣ ليتولى وزارة الزراعة ، ذهب ابنه لطلب العلم فى الجامعة ، وغلب الظن يومئذ أن نجاح التجربة فى توليد الذرة الهجينة لن يتكرر فى توليد الفراخ الهجينة ، فقد جرب ذلك فريق من أشهر الذين يربون الفراخ فأخفقوا . وقد بدأوا مرة بعد مرة يحدوهم أمل عظيم ، فزاوجوا بين الذكر وأخته ، ولكن الأجيال التالية أخذت تضعف ضعفاً مطرداً ، وازداد معدّل ما يموت من الفراخ ، وأصبح البيض أضعف من أن ينفلق عن فراخه . وما لبثت السلالات التى تولدت من مزاوجة الأقارب الأدنين حتى تلاشت .

وفى أثناء عطلة الصيف اشتغل هنرى براون مع فريق من الذين اشتهروا بتربية الدجاج، فتعلم منهم كيف تحسّن الفراخ التى تربى بالطريقة المعهودة، فهم يختارون الإناث اختياراً دقيقاً لما تتصف به من نشاط وقوة ، أو تبكير فى البلوغ ، أو سرعة فى وضع بيض جيّد التفريخ . وقد استوقف اهتمامه تلك الإناث المتفوّقة التى تضع الواحدة منها ٣٠٠ بيضة أو أكثر فى السنة ، وأسراب خاصة بلغ ما تضعه الأنثى منها ٢٠٠ بيضة على المعدّل فى السنة . ولكنه عرف أيضاً أنه حين تنقل فراخ هذا الدجاج المتفوّق من بيوت الحضانة إلى مزارع الفلاحين ، يهبط عدد ما تضعه من البيض . ولذلك كان معدل وضع البيض فى أمريكا معدلا منخفضاً .

ولكن آل ولاس ثابروا . وعلى أن الريب كان يساور مربى الدجاج المرسين ، عمد ولاس الكبير فى سنة ١٩٣٥ إلى إنفاق ما تربحه شركة الذرة الهجينة على تربية الدجاج على مبدأ مزاوجة الأدنين . واشترك

فى هـذه التجربة صديقه العـالم بالوراثة ، « ريموند بيكر » .

وما كاد هنرى براون يتخرج من الجامعة سنة ١٩٣٨ حتى انضم إلى هـذا المشروع الخيالى ، وما لبث حتى اصطدم بالعقبات . وكان تفاؤل الشاب قد حمله على أن يملى مذكرة ذكر فيها خطة باهرة غرضها أن تحدث انقلاباً فى تربية الدواجن ، فقال: إن عليـك أن تبـدأ بخير ما تظفر به من دجاج « ليجهورن » الأبيض ، ودجاج « رود أيلند » الأحمر الشائع ، وليكن من السلالات التى تضع بيضاً كثيراً ، ثم زاوج بين الأخ وأخته من كل سلالة فى أربعة أجيـال متوالية . وينبغى أن تنق السلالة تنقيـة لا هوادة فيها ، وتنبـذ الضعيف من الفراخ ، والذى يتأخر بلوغه من الدجاج وما كان منها قليل البيض ، أو كان زغبه مبكراً فى السقوط . ثم تزاوج مايتبقى لديك من ديكة « ليجهورن » ودجاجه ، وتحتفظ من نسلها بما كان أعظمها قوة ونشاطاً . وتجرى على هـذه الوتيرة فى مزاوجة ديكة « رود أيلنـد » الأحمر ودجاجه . ثم تزاوج ما تصطفيه من الصنفين فتظفر بفراخ متفوقة كل التفوق .

وقد تم ما توقعه ، على شدة ما لقى من المتاعب . فمزاوجة الأدنين فى الذرة لعب وعبث إذا قيست بهـذا المشروع . ففى وسعك أن تخزن بذور الذرة التى تسفر عنها المزاوجة ، وأن تنسى أمرها حتى يحين زمن البذر . أما هذه الفراخ ، فيالله منها ! فمنـذ تولد ، تجد فى رعاية ألوفها المؤلفة عناء متصلا .

انظر إليها تتواثب فى أقفاصها ، أو تعدو فى الأرض الخلاء أو فى بيوت التربية ، فإنه ينبغى لك أن تجمعها ، وأن تمتحن دمها ، وأن تصنفها أصنافاً ، وأن تطعمها ، وأن تسقيها ، وأن توقيها الخطر وعوادى الجو والمرض ، ثم ينبغى لك أن تراقب جميع خواصها العجيبة المحيرة التى تجعل للدجاج قيمة مالية ، وأن تمتحن هذه الخواص — وكل هذا ينبغى أن يسجل تسجيلا دقيقاً منتظما . أتستطيع أن تتصور مشقة حفظ هذه السجلات ؟

ولو كان سلوك هذه الدواجن الجديدة كسلوك الأصـناف الشائعة ، لـكان الأمر على جانب من اليسر ، ولـكن مزاوجة الأدنين أخرجت أغرب أسرار الوراثة . فهذه طيور قوية الجسم نشيطة ، ولـكنها فتاكة — فهى تفتك بكل فرخ ضعيف يدنو منها . وهـذه طيور غريبة تغرد إذا أزعجتها ، وتلك طيور أخرى تأبى أن تخرج من بيوتهـا فى طلب الطعام أو

الماء ، فهى خليقة أن تموت جوعاً .

ثم طغا المرض ، فتوالت الانفلونزا والفاش وجدرى الدجاج ، فقضت على نصف ما استولده هنرى براون من الدجاج الكريم العزيز .

ولكن عالم الوراثة ريموند بيكر بيّن للفتى ولاس أن هذه الجائحة نعمة فى ثوب نقمة ، فما قتله المرض من الطيور العاجزة بطبيعتها عن مقاومته ، ترك له الطيور القوية الشديدة الأسر . ومن ثمة أبى هنرى براون أن يداوى فراخه المريضة ، وتركها معرضة لجميع الأحوال والأمراض التى يحتمل أن يتعرض لها نسلها فى مزارع الفلاحين .

وبعد أن تطهرت هذه السلالات فى نار مزاوجة الأدنين ، ظفر ولاس بطير فذ فى التاريخ ، فأطلق عليه اسم « هاى لاين » . وهو دجاج وثيق التركيب ثقيل الوزن ، أبيض اللون لولا ريشات سود ، ومسحة من لون وردى على العنق فى الحين بعد الحين .

وقبل أن يعرض هنرى براون هذا الدجاج الفذ للبيع ، امتحنه أشد امتحان ، فقد ظل اثنان وتسعون سرباً منه أربع سنوات ، فى أربع وتسعين مزرعة مختلفة . وكان ينبغى لهذه الأسراب أن تنافس الدواجن الشائعة التى ولدت وتربت فى هذه المزارع فألفت أحوال المعيشة فيها . وظل ثمانية أشهر يقيد فى سجلات دقيقة ما يبيضه الفريقان .

فأسفر ذلك عن نتيجة تذهل العقل ، فقد كان معدل البيض الذى باضته مئة من « هاى لاى » ٥٤ بيضة فى اليوم ، يقابلها معدل ٣٥ر٤ باضتها مئة من الأصناف الشائعة .

وقد ثبت أنها صلبة العود شديدة المقاومة لاختلاف أحوال الجو ، لا تعبأ شيئاً بالحرارة أو البرد ، وتمضى على وتيرة واحدة من وضع البيض . وقد بكرت إلى وضع البيض فزاد ما وضعته فى أكتوبر ٧٠ فى المئة عما وضعته دجاجات الأصناف الشائعة ، وكان البيض كبيراً من حجم واحد ، يبلغ وزن اثنتى عشرة بيضة منها خمساً وعشرين أوقية .

وفى سنة ١٩٤٤ — ١٩٤٥ أقام قسم الزراعة فى ولاية إلينوى مباراة بين الدجاج البيوض فى سنة كاملة ، فكان ما تم لدجاج « هاى لاين » صفحة جديدة فى تاريخ تربية الدواجن . فقد أخذت ثلاث حظائر من سرب يربى فى مزرعة كسائر المزارع فدخل دجاجها المباراة ، فتفوق على ٤٧ حظيرة من الدجاج الشائع . وقد كان السبق لدجاج هاى لاين منذ أول المباراة ، واحتفظ بقصبه طوال السنة ، وزاد معدل ما وضعه من البيض ٣ر٥٧ فى المئة على معدل ما وضعه دجاج الحظائر الأخرى .

وأجريت مباراة فى سنة ١٩٤٤ بين دجاج هاى لاين ودجاج ليجهورن الأبيض فكان معدل ما وضعه دجاج هاى لاين ٢٠٠ بيضة ، مقابل ١٤٣ بيضة وضعها دجاج ليجهورن ، وكذلك يزيد ربح المربِّى من دجاجة هاى لاين ٤٠ قرشاً ، على ما يربحه من دجاجة ليجهورن فى السنة .

وقد تحول هنرى براون ولاس الآن من عالم يجرى تجاربه فى فناء دار ريفية ، إلى مدير عمل يطرد نمواً وسعة . فقد أنتج فى سنة ١٩٤٥ خمسمئة وخمسين ألف دجاجة « هاى لاين » ، وسوف يبلغ ما ينتجه منها فى سنة ١٩٤٧ أربعة ملايين ، وكل ما ينتجه يباع قبل إنتاجه . وهو يعتقد أنه لن تنقضى عشر سنوات حتى يصير الذين يربون الدجاج البيوض لبيع بيضه يعتمدون على دجاج « هاى لاين » على الأكثر .

وهؤلاء المربون يشترون كل سنة فراخ «هاى لاين» ، لأنهم إذا ادخروها لتوليد دجاج منها ، هبطت مقدرتها العالية على وضع البيض . فالقدرة على وضع البيض تامة فى الجيل الأول من هذه الفراخ . وليس فى هذا ما ينتقص قيمة دجاج «هاى لاين» . فمربو الدجاج الهجين ومربو الذرة الهجينة ، يسرهم أن يعودوا كل سنة إلى المصدر الذى يزودهم بما يحتاجون إليه .

وسبب ذلك اقتصادى بحت ، فالفلاح الذى يشترى مئة فرخ صغير من الإناث ، خليق أن ينال خلال السنة ١٨٠٠٠ بيضة أو أكثر .

وقد تتبع الأب سيرا بنه فى تربية الدواجن ، وهو يعتقد أن الأسلوب الجديد المتبع فى السيطرة على الوراثة ، خليق أن ينتشر حتى يعم تربية المواشى ، فيزداد المقدار المتاح من بروتين الحيوان زيادة عظيمة .

وقد بلغت قصة الأب وابنه غايتها اليوم ، فالأب يشترى من ابنه فراخاً لتجارب جديدة يعنى بها فى مزرعة له ولشقيقته قرب مدينة نيويورك . ومن يدرى ، فقد تسفر هذه التجارب عن طريقة لتوليد دواجن تستعصى على أشد الأمراض فتكاً . وعلى عظيم ما تم لهنرى ولاس وابنه من السيطرة على وراثة الذرة والدواجن ، فإنهما يعلمان حق العلم أن ما تم قليل من كثير .



لجدتى فلسفتها فى الحياة ، فهى تقول : « إنه ليسرنى أن أكون فى مأزق حرج ، إذ يسرنى أن أرى كيف أخرج منه » . [مسز ب . أ . ستيفنز]

ألوف من العمال والموظفين فى مكاتب أمريكا ومصانعها يجدون ألغام الموسيقى تجدى عليهم راحة الأعصاب وتجويد ما يعملون .

أجربت أن تعمل على أنغام الموسيقى ؟

مختصرة من مجلة "ووريز"

دورون كـ . أنتريم



أسدت الموسيقى يداً عظيمة إلى زيادة إنتاج الحرب فى المصانع ، لما كان لها من أثر فى تخفيف وطأة التعب عن العمال وتعزيز نشاطهم وهممهم . فلذلك تراها اليوم فى المصارف وشركات التأمين ودور النشر وغيرها من مكاتب الأعمال ، فيجد الذين يكدون أذهانهم أنها تلين من توتر أعصابهم ، وتبعث الطلاقة والبشر فى نفوسهم .

وتجد بين المنشآت التى تعتمد على الموسيقى لهذا الغرض ، مصرف « ناشونال ستى » وشركة بل للتلفون فى مدينة نيويورك ، وهذه إحدى مكتباتها العامة ترسل فى حجرة البحث وحجرة المطالعة أنغام الموسيقى الخافتة من أسطوانة . وهذه إحدى الجامعات تجد فيها حجرة للطلاب يذاكرون فيها دروسهم على أنغام الموسيقى .

فقد ظلت شركة التأمين « برودنشال » ثلاثة أشهر تمتحن أثر الموسيقى فى كفاية كتبتها الذين يتولون تنظيم المحفوظات ، فتبين أن معدل سرعتهم فى العمل وإجادتهم إياه ودقتهم فيه ، قد زادت ١٩ فى المئة .

وتساءل مديرو شركة الطباق الأمريكية : ترى أتضعف الموسيقى انتباه الكاتبات بالآلة الكاتبة ؟ وكان فى حجرة أربعمئة فتاة منهن ، فوجدت الأمر على نقيض ذلك إذ صار العمل يستغرق وقتاً أقل ، وصار ما يحل بالكاتبات من التعب فى المساء يهبط هبوطاً مذكوراً . وقد جرب مدير أحد البنوك مثل هذه التجربة فى موظفيه الذين يشتغلون بالآلات الحاسبة ، فأسفرت تجربته هذه عن مثل نتائج التجارب الأولى .

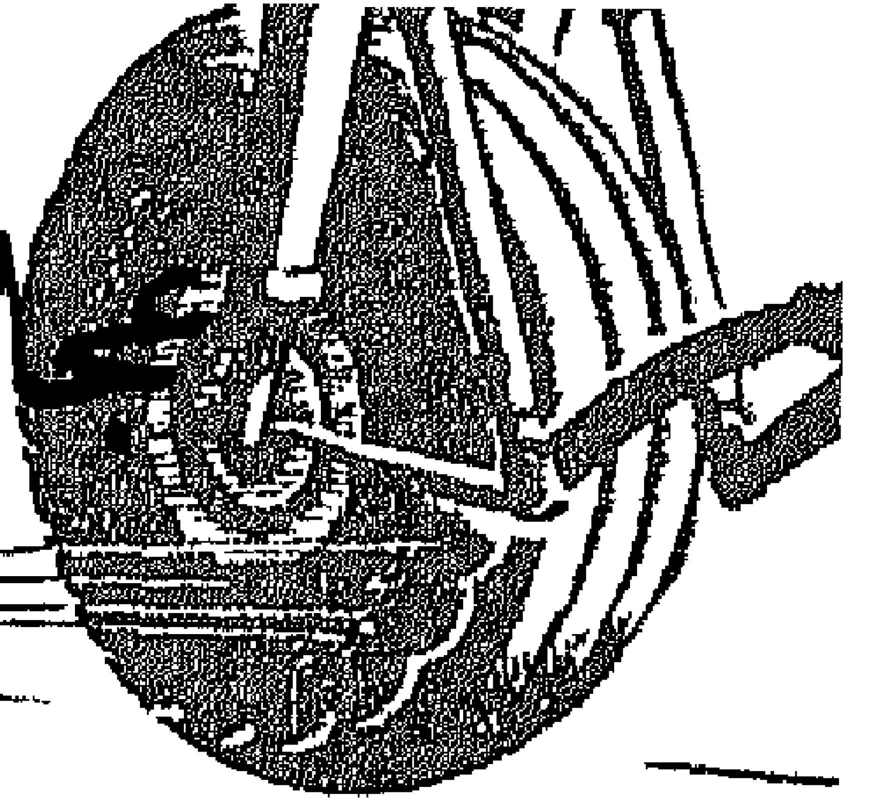
وقد وزعت شركة موزاك ، التى تتولى إرسال الموسيقى إلى مئات من مكاتب الأعمال ، أسئلة على العمال والموظفين فى تلك المكاتب ، فجاءتها ردود تدل على أن ١٫٦ فى المئة وحسب من الذين ردوا قالوا إن الموسيقى تؤخرهم عن إنجاز عملهم . يقابل ذلك أن ٦٠ فى المئة قرروا أن الموسيقى تخفف من تعبهم ، وقرر ٨٣ فى المئة أنهم يجدون عملهم أبهج وأمتع .

ويقول ر. ل. كاردينل مهندس الصوت: «ينبغي أن تكون الموسيقى فى المكاتب ألطف وأرق منها فى المصانع ، ونحن ننفى من الموسيقى المذاعة كل العوامل التى تحمل الذهن على الشرود ، كتغير سرعة الإيقاع ، ورنين الصنوج النحاسية ، والغناء . ويغلب الانتفاع بتخوت الآلات الوترية والمزمار ، وأن تلتئم الأنغام مع طبيعة العمل وزخرف البناء ، كما تلتئم الألوان فى فراش حجرة أنيقة الأثاث . فالموسيقى لا ينبغى أن تشغل انتباه العامل أكثر مما تشغله الإضاءة المحكمة. والأنغام التى تؤثر فى عقله الباطن ، تنشىء شعوراً بالرضا والغبطة وتزيل الإحساس بالعناء والإجهاد » . والقاعدة المتبعة أن ترسل الموسيقى فى فترات قصيرة، يبلغ مجموعها ساعتين أو ساعتين ونصف فى اليوم . أما إرسالها إرسالا مستمراً ، أو جعلها من ضرب واحد ، فعمل لا خير فيه .

وقد وجد رجال البحث أن النغم المنشط يشحذ الحواس . وقد ثبت فى عيادات دارتموث وغيرها من الكليات ، أن الموسيقى تزيد المرء فى القراءة سرعة وفهماً . وظهر من تجربة جربت فى جامعة دى بو أن موسيقى الفالس زادت سرعة الطلبة ودقتهم فى حل مسائل الحساب . ويجد بعض الممثلين أن استذكار أدوارهم أيسر عليهم إذا درسوها فى حجرة يتردد فيها نغم رقيق .

أما أن يكون فى وسع المرء أن يحصر ذهنه فى موضوع ما وهو يسمع أنغاماً مرسلة ، فأمر مرهون بطبيعة المرء نفسه . والذين تأصلت فيهم موهبة الموسيقى يؤكدون أن ذلك مستحيل عليهم — فالأنغام التى يحبونها تشغل بالهم كل الشغل ، وأما غيرها فيزعجهم . فامتحن نفسك ، واقرأ صفحة من كتاب على نغم فالس من تأليف ستراوس مثلا ، ثم اقرأ صفحة أخرى بغير نغم . فإذا زادك النغم سرعة ومتعة فى القراءة ، فعليك بالموسيقى حين تعمل ، ولكن لا تنس أن تجعل الصوت خافتاً رقيقاً .

ويقول الدكتور بريس مير رئيس مهندسى شركة موزاك : «لا نزال فى مستهل الانتفاع بالموسيقى فى أعمالنا العقلية . ومن الناس من يزعم أنه لا يطيق أن يحصر ذهنه فى موضوع ما ، إلا إذا ساد الصمت المطلق كل ما حوله ، فلو وضعت هؤلاء فى مكان يكاد يكون مفرغاً من الهواء حيث ينخفض الصوت إلى أقل درجة مستطاعة ، لكانوا خليقين أن تتمزق أعصابهم ثورة واهتياجاً . فنحن قد تعودنا الصوت وألفناه ، ولكن حاجتنا اليوم إنما هى إلى ما يلطّف كل ما يجهد الأعصاب . والموسيقى هى الحل » .



عجلات تدور فى رأسه

مختصرة من كتاب بقلم
م . م . موسلمان

كل من ركب طائرة مدين بشيء من راحته وأمنه للمخترع ا . ج . موسلمان الذى اخترع عجلة البالون المنبعجة ، والتى كان من المستحيل أن توجد الطائرة الحديثة بدونها . وبعد أن كاد عنقه تدق وهو يركب الدراجة فى الجبال ، اخترع الفرملة التى استعملت إلى الآن فى خمسة ملايين دراجة ، وقد أثرى على الأيام بفضل هذين الاختراعين وغيرهما .

وقد كان غيره من المخترعين أشهر وأغنى ولم يفز منهم أحد بمثل ما فاز به من المتعة ، فإن تجاربه وبعضها بارع والبعض مضحك ، جعلت أصدقاءه وأهله فى حالة يختلط فيها الاهتياج بالضحك ، وهنا يصف أكبر بنيه كيف تكون الحياة مع عبقرى يرسل نفسه على السجية ، و « فى رأسه عجلات تدور » .

كنت وأنا فتى مراهق دائم الأسف لأن والدنا لم يحقق آماله : فقد كان ينبغى أن يكون بهلواناً ، ولقد كان خليقاً أن يكون بارعاً ، وكانت ثياب اللعب الحريرية المحبوكة والجلاجل خليقة أن تناسبه.

وقد بدأ هذا التمنى حين أخذت جدتى الصبية إلى ملعب صغير . وقد قضى أبونا بعد ذلك أسابيع حتى استطاع أن يقف على يديه ، ويدور عليهما ، وينقلب بظهره ، ثم كان صباح فسأل وهو يفطر ، وفى عينيه نظرة من يتفكر : « كيف يتعلم يا أمى هؤلاء البهلوانات أن يتقلبوا فى الهواء ؟ » .

فقالت جدتى : « لا أدرى ، ولكن إذا اجترأت أن تحاول أى عمل من هذه الأعمال الخرقاء فسأسلخ جلدك . فلست أريد أن أراك مُلْقىً على فراشك مكسَّر العظام وفى وقت الدِّراس أيضاً ! » .

وكان جديراً بها أن تكون أعلم بفتاها ، فإنك لا تنهاه عن شيء إلا أغريته به . فخرج إلى ما وراء البيدر وعض على نواجذه ، ووثب فى الهواء ، وانطرح على ظهره ، وكادت تنقطع أنفاسه . وظل اليوم كله يفكر فى طريقة يتعلم بها التقلب ظهرياً وهو آمن . وأخيراً حل المسألة « باختراع » بسيط .

وكان حبل الغسيل الذى تتخذه جدتى يمتد بين بيت الخلاء وشجرة تفاح قديمة ، فأرخى والدى الحبل حتى صار خيطه يتدلى إلى الخصر ، وربط نفسه به وعالج الانقلاب ظهرياً ، وسره أنه نجح .

وبعد أن دأب على التدرّب عدة

أسابيع، أيقن أنه قادر على الأمر بغير حاجة إلى حزام السلامة ، ولكن أمضَّه أن أعصابه خانته ، فقد اعتاد هذا الحزام وأصبح عبداً له . وقد روى لى هذه القصة فيما بعد عدة مرات ، وكان فى كل مرة يشرح لى المغزى : « إن بعض الناس يسير فى الحياة وهو لابس حزام نجاة ، فلا يستطيعون أن يشدوا أعصابهم للمغامرة ، ويظلون فى عمل واحد طول حياتهم : يلبسون أحذية المطاط فى اليوم المطير ، ولا يقبلون سوى زوجاتهم ، ويعطون أصواتهم لحزب واحد بعينه كل مرة ، ثم يتبينون أن كل شىء قد انتهى ، وأنه لم تبق إلا الجنازة ، وما نعموا بشىء فى الحياة » .

وصمم ذات يوم أن يتدرب مرة أخرى فقط على الانقلاب ، ثم يحاول ذلك بغير معونة الحزام وليكن ما يكون . فربط نفسه بقوة واندفع ينقلب وهو مطمئن واثق ، غير أنه لم يدر إلا نصف دورة لسبب ما ، وقد حمل الحبل ثقل جسمه وأنقذ عنقه ، ولكن بيت الخلاء العتيق لم يتحمل هذه الوطأة ، فتقوّض بناؤه . وفى اللحظة نفسها ندّت عن جدتى صرخة ، وظلت لحظة جامدة بين الأنقاض ، ثم تطاير الشرر من عينيها وأقبلت عليه . ولم يستطع فى هذه المرة أن ينجو من غضبها ، فقد كان فى وثاق من الحبل .

وكانت جدتى أرملة وقد ترك لها زوجها ضيعة تديرها ، وأربعة أولاد صغار تربيهم ، وكلهم به لَوْثة ، على ما كان يتهامس الجيران ، ولكن أبى كان شرهم .

وكان أبى وهو صبى مشغوفاً بالأشياء التى تدور وتدور ، وقد أوحت إليه أول اختراع له ، عجلة ضخمة من دراجة قديمة عالية أخذها من كوم نفايات ، فجعل لها محوراً طويلا وعمودين ، وركب على جانبيها مقعدين صنعهما بيديه .

وكانت هذه المركبة لا تصلح إلا إذا كان فى المقعدين اثنان من وزن متقارب ، وينبغى أن يثبا إلى المقعدين فى وقت واحد ليتسنى الاحتفاظ بتوازنها ، ويمسك أحد السائقين بالعنان الأيسر ، والآخر بالعنان الأيمن .

واختار هو وأخوه صباح يوم الأحد لتجربة هذه المركبة البديعة ، وكانا فى آنق ثيابهما ، فجاءا بالبغل « بيل » وجعلاه بين العمودين ، ثم وثبا إلى المقعدين ، وحثا البغل على السير فى الطريق ، والتوارى عن عين جدتى بأسرع ما يمكن .

ولعلها كانت أغرب مركبة شوهدت فى شوارع كنساس ، ومن العجيب أن كلا

شيء سار على ما يرام مسافة نصف ميل ، حتى صارا إلى مفرق ، فجذب والدى العنان عنة ، وجذبه أخوه يسرة .

فأدار البغل رأسه ليرى ما هو جار ، وأقنعته نظرة واحدة أنه إنما يجر مركبة الشيطان نفسه ، فنفخ وانطلق بأقصى سرعة .

وألقى كل غلام ما بيده من اللجام ، وشد بيديه على مقعده ، فصار البغل بعد ذلك سيد نفسه وصاحب الرأى فيما يفعل ، فاجتاز حقل القمح ثم انثنى جنوباً ووثب من فوق حاجز من الأسلاك الشائكة وراءه حقل بطيخ . وعند هذا الحاجز وقع عمى عن مقعده ، وتعلق بحمالته .

وبسقوط عمى مالت المركبة إلى اليمين كالزورق فى ريح قوية ، فراح والدى يدور فى دوائر وهو متشبث بالحياة العزيزة ، ويتدحرج فوق البطيخ الأخضر . وفى مكان ما فى الرقعة المنبسطة وراء الحقل ، انحل رباط المقعد وانطرح والدى فى ألفاف من الكروم . أما البغل فاختفى فى الاتجاه المفضى إلى المحيط الهادى .

وكانت جدتى فى ثيابها وقبعتها السوداء جالسة فى الشرفة على كرسى هزار ، وهى مقطبة حين أقبل الغلامان ، فألقت نظرة واحدة على ثيابهما الأنيقة المهلهلة ، ومدت يدها إلى عصاها وكانت من خشب الجوز .

والمخترعون يفيدون الغنى أحياناً ، ولكن الأغلب أنهم يفتقرون ويفلسون ، وقد ظل والدى سنوات عديدة ، يرقص بين الطرفين ، غير أنه فى النهاية أفلح حتى لتعجب كل امرىء مما نال .

ويبدو أن أنجح اختراعاته كان مستمداً من تلك العجلة الضخمة التى ألهمته أن يصنع مركبته ، فقد كانت كلها أشياء تدور وتدور ، واستحدثت العجلة المنفوخة التى اخترعها مبدأ جديداً فى صناعة العجلات ، فإن العجلة السمينة الخفيفة الضغط هى التى تمكن الطائرات من أن تهبط إلى الأرض الوعرة أو الموحلة ، وأن ترتفع عنها ، وتخفض تقلقلها حين تنزل على الأرض ، وتحول دون الارتطام بسبب عدم صلاح العجلات . ومن سوء الحظ أنه باع اختراعه قبل أن يستطيع أحد أن يتكهن بالإنتاج الهائل للطائرات فى الحرب العالمية الثانية .

وكان الاختراع الذى أفاده أعظم ربح مالى هو فرملة الدراجات . وما أكثر ما قال لى والدى : « خطرت لى فكرة الفرملة فى عام ١٨٩٨ بينما كنت أسير بسرعة تسعين ميلا فى الساعة ، منحدراً على جوانب الجبال بدراجة »

وكانت القصة كما يلى : كانت له دكان دراجات ، ففتح بابها ذات صباح فوجد النافذة مفتوحة ، ثم لاحظ أن مفخرته ومبعث سروره قد اختفت ، وكانت دراجة حمراء بيضاء من طراز بيرلس ، وثمنها ١٢٥ ريالا .

وظهر من السؤال فى مركز الشرطة أن رجلا غريباً تسلل خارجاً من الفندق دون أن يؤدى ما عليه ، شوهد فى الليلة السابقة راكباً دراجة بيرلس ومتجهاً إلى هتشنسون . فخف أبى إلى البنك وسحب عشرين ريالا لنفقاته ، ثم امتطى دراجته « أرييل » وهى دراجة سباق .

وكان سريعاً فى سيره بالدراجة فى تلك الأيام — وكان من هواة السباق — ولكنه وجد أن خصمه سريع أيضاً ، فإنه لما وصل إلى « جريت بند » فى نحو الساعة التاسعة فى تلك الليلة ، كان الآخر قد وصل ورحل . وكان أبى مضطراً أن يقف عند كل مفرق ليسأل ، وظل الأثر باقياً .

وبعد بضعة أيام وصل والدى إلى كولورادو سبرنجز . فقال له شرطى هناك : « شاهدت هذا الصباح رجلا على دراجة ماضياً فى اتجاه كريبل كريك » .

فمضى أبى إلى كريبل كريك ، وكان المرتقى فى الأميال العشرة الأخيرة من الوعورة بحيث اضطر أن يترجل ويدفع الدراجة ، حتى إذا بلغ المكان لم يجد أحداً رأى سارق الدراجة .

وأدركه التعب وانهزم ، وهو على مسافة ٦٠٠ ميل من بيته . ولم يكن يغريه سوى أنه يستطيع أن يسير على الساحل إلى كولورادو سبرنجز .

وقبل أن يقطع نصف ميل خارج المدينة ألفى سرعته تزداد باطراد حتى صار ككلب صيد على ذيله جماعة نحل . وكان راكب الدراجة فى تلك الأيام إذا أراد أن يخفض من سرعتها ، يدخل مقدم حذائه تحت غطاء العجلة الأمامية ويضغط . فجرب أبى هذه الطريقة ، غير أن الاحتكاك جعل حذاءه أحرّ من النار ، فأخرج رجله من تحت الإطار ، وغادت الجاذبية تفعل فعلها وهى حرة . وآن أن يفكر فى وسيلة أخرى ، ولكن الشىء الوحيد الذى خطر له هو أن ينطرح عن الدراجة ، ففعل ووقع فى الوحل ، وذهب يتدحرج حتى اصطدم بجذع على مسافة خمسين قدماً على جانب الجبل .

واستعاد أنفاسه فجلس وشرع يفكر ، وما لبث أن اخترع أول فرملة ، فقطع عدة أغصان من شجر الصنوبر وربطها بحبل شد طرفه الآخر إلى مقعد الدراجة ، فكان

هـذا كافياً لضبط الأمر ، وذهب ينحدر ووراءه سحابة من الغبار لا يثيرها أقل من ثلاثين رأساً من الغنم . وقطع ستة أميال وهو فخور باختراعه ، ثم اعترضه شرطي ووقفه .

ذلك أن اختراعــه أدى إلى ارتكاب مخالفة للقانون ، وكان أصحاب مركبات النقل قد اهتدوا إلى مثل هذه الوسيلة قبله بسنوات ، وكان عيب هذه الوسيلة أنها تخرب الطرق الصالحة ، فسنت الولاية قانوناً يحظر ذلك . فاضطر أن يبرق إلى أهله طالباً مبلغاً من المال ليدفع الغرامة .

وكان بعد ذلك يقول : « وهـذا أحد الأسباب التي جعلتني أفكر في جعل الفرملة جزءاً من الدراجة » .

وقد مضى زمن طويل قبل أن تنضج الفكرة ، ولم يقدم طلباً لتسجيل اختراعه إلا بعـد ثلاثة عشر عاماً . ومنـذ ١٩٠٨ جهزت ٥٫٠٠٠٫٠٠٠ دراجة بهذه الأداة الكابحة ، حتى أن جدتي لم يسعها إلا أن تعترف بأن « إحدى اختراعاته السخيفة تبين أنها نافعة » .

وبعد أن جئت إلى هذه الدنيا بقليل ، ألهمت والدي اختراعاً من أغرب اختراعاته ، فقد أبت أمي أن تكون مسئولة عني بين منتصف الليل والساعة السادسة صباحاً ، وقالت لأبي : « إني أقضي ثماني عشرة ساعة في العناية بابنك كل يوم ، فعليك أن تعنى به في الساعات الست الأخرى » .

ولكن أبي كان يحب أن يخلو نومه مما يزعج ، فأدى جلوســه وهو ينتفض من البرد ، ويهز مهدي وهو في شبه غيبوبة ، إلى تحريك ذهنه المبدع .

وبعـد بضعة أيام أقبل على البيت ومعه أحدث اختراعاته ــ هزاز المهد الكهربائي ــ وهو محرك كهربائي صغير يحرك جهازاً للهز موصولاً بمهدي . وأكد لأمي أن هذا الهزاز سيقضي قضاء مبرماً على الهز باليد . وقرأ في الإعلانات التي أعدها « يمكن تسييره : على حسب طبيعة أي طفل ومزاجه بضبط يسير ، ومتى تم الضبط فإنه يهز المهد بدقة محكمة في جميع الأوقات » .

وفي تلك الليلة ندّت عني صرخة عظيمة ، فقام أبي ووصل الجهاز بالتيار الكهربائي ، وبدأ الهزاز يعمل ، وما هي إلا ثلاث دقائق حتى كنت غارقاً في النوم .

وفي اليوم التـالي ذهب أبي إلى مكتب ڤيك ميردوك ، في جريدة إيجل ، فأصغى إليه باهتمام زائد ، فإنه يؤخذ من آخر إحصاء أن الولايات المتحدة ينبغي أن تنجب في العام ٢٫٥٠٠٫٠٠٠ طفل .

فقال ڤيك « إن هذا عظيم ! فما : قولك فى تأليف شركة فوراً لصنع هذا الهزاز ؟ »

وقال أبى بلهجة الحماسة : « إذا بعنا الهزاز بعشرة دولارات، لأهل طفل واحد من كل عشرة أطفال ، فإن جملة الدخل تكون ٢٫٥٠٠٫٠٠٠ ريال » .

وفى اليوم التالى نشرت جريدة الإنجيل هذا العنوان : « اختراع لهز العالم » وصار هذا الهزاز بعد أيام حديث المدينة كلها . ودعا مدير البنك أبى إلى مكتبه ليحادثه ، حتى المحافظ وقف فى الشارع ليهنئه .

وبعد بضع ليال وقعت الواقعة . ذلك أنى أطلقت أول صرخاتى، فأدار أبى المحرك ، وبدأ المهد يهتز ، وانقطعت صرخاتى ، فتنهد مغتبطاً وراح يحلم بالملايين التى ستتدفق إليه .

وفى هذه اللحظة سمع صوت تحطم ، تلته صرخاتى العظيمة ، وذلك أن السير خرج عن عجلاته ، فانطرح المهد وأنا فيه على الأرض ، وكادت عنقى تدق .

وفى اليوم التالى حمل والدى الهزاز الكهربائى إلى الدكان . فبقى هناك .

وكان له زميل اسمه سيد ، غادر المدينة ليشتغل بالتمثيل ، وعاد سيد فى الصيف بعد طواف مع فرقته . فأراه والدى أحدث ما ابتدعه عقله وأوصاه بالكتمان وقال : « أطبق فمك يافتى . فإنى لم أطلع حتى زوجتى على هذا ، والناس هنا كما تعلم لا يخلون من تكاف ، ولكناك طوّفت وفى وسعك أن تدرك الاحتمالات التى ينطوى عليها اختراع كهذا » .

فحدق سيد فى النموذج التجريبى الذى صنعه أبى وهو دَهِش ومفتون وسأل : « هل هذا — أعنى هذه — هى ما أتصوّر ؟ » .

فقال والدى بلهجة الزهو : « نعم وسأسميها (النهود الكاعبة) . أتظن أن الإقبال عليها فى نيويورك يكون عظيما ؟ » .

فقال سيد بلهجة التأكيد « كالفطير السخن . كيف تستخدم هذه الأشياء ؟ » .

« تنفخها بمنفاخ دراجة ، فتعطيك كل حجم، من الثدى الناهد إلى الثدى الممتلىء » .

فهز سيد رأسه آسفاً وقال : « إنك خائن لجنسك فلن يكون رجل آمناً بعد اليوم . وما عليك إلا أن تتصور مبلغ خيبة الأمل التى يعانيها المخدوع بعد الزواج ، حين يتبين أن قوام عروسه الرشيق من صنعة منفاخ دراجة . قم بنا إلى الحانة ، وانس هذا » .

وبعد زجاجتين من البيرة وافق أبى وهو آسف .

ومعظم أفكار أبي ثمرة ملاحظات بسيطة . وقد تعرض له الفكرة لأنه يحتاج إلى مثل هذه الأداة لنفسه . فمن ذلك أنه لما وجد أن المفتاح الشائع غير صالح لأعمال الإصلاح في الدراجات ، صنع مفتاحاً له عدة فتحات تقبض على كل مسمار في الدراجة ، وباع الواحد بربع ريال ، فبيع منه عدد كبير . وقد ربح كثير من اختراعاته، ولكن بعضها لم تفده شيئاً، مثل آلة لقشر البصل لا تدمع عين مستعملها ، وحوض حمام لا تزلق فيه القدم .

وكان بعض هذه الاختراعات يدور في رأسه أسابيع قبل أن يبدأ العمل فيها ، أو يهملها لأنها غير صالحة .

وقد تغديت معه ذات يوم بعد أن قام لندبرج برحلته الجوية إلى باريس ، وكان من الجلي أن شيئاً يدور في رأسه .

وقال فجأة : « إن الشكل الذي ينبغي أن تكون عليه عجلة الطائرة هو شكل الكرة إلا أنها منبعجة قليلا بحيث تبدو كأنها كعكة كبيرة » .

قلت : « إذن فلماذا لا يصنعونها على هذا الشكل ؟ » .

فقال : « يقولون إنه غير ممكن » .

وظل بقية الوقت يحدق في الفضاء .

وكان معتزماً أن يلعب الجولف عصر ذلك اليوم ، ولكنه بدلا من ذلك عاد إلى البيت مباشرة، فسألته أمي وقد خشيت أن يكون مريضاً : « ماذا جرى ؟ »

« لا شيء . هل عندك قطعة قديمة من القماش ؟ »

« ماذا تحاول أن تصنع ؟ »

« عجلة » .

وصعد إلى فوق ، وخاطت أمي غرارة دقيق قديمة على حسب ما أمرها ، وكانت النتيجة كمًّا طويلا له كفّة واسعة عند الطرفين . وخرق خرقاً في كل كفة ، وأدخل في الخرقين حبلا فصار الكم أشبه بغرارة طباق (دخان) كبيرة ، والحبل في كلا طرفيها لا في طرف واحد .

ثم شرع يصنع أنبوبة داخلية لهذا الغلاف ، فقطع عدة قطع على شكل الوتد من عجلات قديمة وألصق بعضها ببعض بالمطاط . وظل في هذا العمل الممل إلى نحو الساعة العاشرة ليلا ، وكانت الأنبوبة بعد تمامها قبيحة الشكل ، ولها صمام دراجة ناتىء من الجنب .

وحشا الكم بهذه الأنبوبة وأخرج الصمام من الثقب ، ثم لف العجلة على عجلة دراجة قديمة وربط الحبلين ، فصارت ثابتة تحت الغطاء ، فصار منظرها مضحكا .

وفي هذه اللحظة أقبلت أمي على السلم وقالت : « جاء وقت النوم » .

فقال أبى : « لقد انتهيت ، وأظننى وفقت » .

فسألته : « وفقت إلى أى شىء ؟ »

« فى صنع أول عجلة بالون حقيقية » .

فسألته : « وهل يحتاج البالون إلى عجلات ؟ »

فشرح لها مراده ، ثم ناولها منفاخ دراجة وصله بالصمام وقال لها : « انفخى وسترين » .

فنفخت ، واتخذت العجلة شيئاً فشيئاً هيئة الكعكة الكبيرة ، وشاع السرور فى وجه أبى .

وفى هذه اللحظة انفجرت العجلة فى وجهه ، فألقت أمى المنفاخ ونظرت إلى الحطام نظرة تقول : « كان هذا ما أتوقع » ولكنه لم يضطرب .

وقال : « لا شك أنها انفجرت ، ولكنها لن تنفجر حين أصنعها من النسيج الخاص بها ، وأكسوها بالمطاط ، وأقسيه » .

وكان والدى مهتاج النفس فقد ، ابتكر طريقة لصنع العجلات عجزت عنها معامل الأبحاث الكبيرة الخاصة بذلك .

وقضى أسابيع يصنع نموذجاً للاختبار ، وكان قطره ٢٠ بوصة ومقطعه عشر بوصات . ودل الاختبار على أن عجلتين تستطيعان حمل طائرة ثقلها ٣٠٠٠ رطل ، بضغط هواء لا يتجاوز عشرة أرطال . وكانت العجلات المستعملة يومئذ قطرها ٣٠ بوصة ومقطعها خمس بوصات ، وكانت تحتاج إلى ضغط هواء مقداره ٥٠ رطلا .

وصار والدى كالطفل فاز بلعبة جديدة فكان يقول : « أليست تحفة ؟ ألا إنها تستحق أن تعلق فى معهد الفنون » .

وبعد أن كتب طلب التسجيل ، ذهب إلى شركة « جوديير تاير آندربر » ، ولم يكن يعرف أحداً ، ولكنه طلب أن يقابل مدير قسم الأبحاث . وبعد دقائق كان لفيف من المهندسين يفحصون العجلة بإعجاب جلى . وفى نفس الأسبوع وقع والدى ترخيصاً وعقداً بوصفه مهندس أبحاث موكلاً بالإشراف على صنع عجلاته .

ولما عاد أبى إلى البيت وقال لأمى : « إن العجلة السخيفة التى صنعت من القماش قد ظهر أنها تساوى مالا كثيراً » ، اغتبطت ولكن الشك ظل يساورها .

وسألته : « كيف يستطيع هؤلاء الناس أن يكونوا على يقين من أن هذه العجلة ستصلح للطائرة ؟ »

فقال : « ألا تظنين أنها صالحة ؟ »

فقالت وهى تفكر : « أرجو ذلك ، ولكنى قلقة بسبب انفجار تلك العجلة الأولى » .

ثياب الإمبراطور الجديدة

مختصرة من كتاب
"حكايات خرافية" من تأليف هانس كريستيان أندرسن

حكاية للمؤلف الذى قال مرة : « تخطر لى خواطر تصلح للكبار ، ولكنى أرويها كأنى ألقيها إلى صغار ، دون أن أنسى أن الآباء والأمهات ينصتون إليها » .

كان يعيش فى سالف العصور إمبراطور جعل جلّ همّه أن يبدو أنيقاً غاية الأناقة فى الحلل الجديدة ، حتى أنه أنفق فيها كل ماله ، وكان له رداء لكل ساعة من ساعات النهار . وكما يقول الناس : « الملك فى مجلس العرش » كانوا يقولون عنه « الإمبراطور فى خزانة ثيابه » .

ووفد على المدينة ذات يوم رجلان محتالان ، وادّعيا أنهما من النساجين ، وزعما أن فى وسعهما أن ينسجا أجمل ثوب يتصوره خيال إنسان ، وليس جماله الخارق فى وشيه وطرازه وحسب ، بل إن الثياب التى تصنع منه لها مزية عجيبة ، إذ يعجز عن رؤيتها كل من لا يصلح لمنصب يتولاه ، وكل أحمق ليس لحماقته دواء . فناجى الإمبراطور نفسه قائلا : « مثل هذه الثياب غنيمة لا تقدّر ، فإذا لبستها استطعت أن أتبيّن كل من لا يصلح لمنصبه من رجال مملكتى ، وأن أميز الذكى من الأحمق . إذن فليصنع لى هذا النسيج بلا إمهال » .

وأغدق من ماله على المحتالين حتى يتيسر لهما أن يبدآ العمل من فورهما ، فوضعا منوالين وأخذا يوهمان أنهما ينسجان ، ولكن لم يكن على المنوالين شيء . وقد طلبا أنخر الحرير وأغلى الذهب ، ولكنهما استأثرا به لأنفسهما ، وطفقا يصلان الليل بالنهار دائبين يعملان على المنوالين الفارغين .

وقال الإمبراطور يوماً لنفسه : « وددت لو أعرف مقدار ما تمّ من النسيج » ولكنه اضطرب حين تذكر أن مَنْ لا يصلح لمنصبه يعجز عن رؤيته . إنه لا يخشى شيئاً يضيره ولا ريب ، ولكنه آثر أن يبعث رسولا من عنده ليرى إلى أين انتهى العمل . ولم يكن فى المدينة أحد يجهل مزية هذا النسيج ، وكلهم يتحرقون شوقاً إلى أن يعرفوا أيّ جيرانهم من لا يصلح للعمل ، وأيهم الأحمق . وحدّث الإمبراطور نفسه « سأبعث بوزيرى الشيخ الأمين فإنه خير من غيره ، فهو رجل راجح العقل » .

ومضى الوزير الأمين إلى حيث جلس

المحتالان يعملان على المنوالين الفارغين . وحملق الوزير وهو يقول لنفسه : « ربّاه! لستُ أرى شيئاً ! » ولكنه لم يجهر بما حدث به نفسه ، والتمس منه الرجلان أن يدنو منهما قليلا ، وسألاه هل رضى عن النسيج وألوانه ، وأشارا إلى النولين الفارغين. وظل الوزير يفتح عينيه ويغلقهما وهو لا يرى شيئاً ، إذ لم يكن هناك شيء يُرى . فناجى نفسه قائلا : « اللهم عونك ! هل بلغت حماقتي هذا المبلغ ؟ ينبغي أن لا يعلم هذا إنسان . أم ترانى لا أصلح لمنصبي ؟ كلا ! لن أقول إنني لم أرَ النسيج» ثم سأله أحدهما : «أما تقول شيئاً عما ترى؟» فأجابه الوزير الشيخ وهو يتفرس فيما أمامه : « إنه جميل ساحر . ما أبدع نسجه وما أبهى وشيه ! نعم . سأنبيء الإمبراطور بأنني راض عنه كل الرضى » . فشرع المحتالان يعددان له ألوان وشيه ، ويبينان له دقائق نسجه ، وأخذ الوزير ينصت إليهما ويصغى ، حتى يستطيع أن يعيد على الإمبراطور ما سمعه . وقد فعل .

فلم يلبث المحتالان أن طلبا زيادة من المال والحرير والذهب ، زعما أنهما فى حاجة إليها لإتمام النسيج . ووضعا كل ما أخذاه فى جيوبهما ولم يضعا خيطاً واحداً على المنوالين، ولكنهما ظلا يعملان على المنوالين الفارغين . فما لبث الإمبراطور أن أوفد إليهما أحد رجال الدولة الأمناء ليرى أين بلغا ، وهل أوشك النسيج على التمام. فكان شأنه كشأن من سبقه ، فقد أخذ ينظر ثم ينظر إلى المنوالين الفارغين وهو لا يرى شيئاً . وسأله المحتالان : «أليس ثوباً جميلا؟» ونشرا ذلك الثوب الجميل الذى لا وجود له . وناجى الرجل نفسه قائلا : « لست بأحمق ! إذن لم يبق إلا أننى لا أصلح لمنصبى ، لاجرم أن أكتم هذا السر حتى لا ينكشف » . وأخذ يثنى على ثوب لا تراه عيناه ، ويقرظ ألوانه الفاتنة وخيوطه الجميلة . ودخل على الإمبراطور وقال : « إنه لثوب فتان » .

وسرعان ما انتشر فى المدينة خبر هذا الثوب الفاخر ، وأحب الإمبراطور أن يراه وهو فى منواله ، فذهب ومعه وزيراه السالفان وجمع غفير من خاصته . وقال له الوزيران : « إنه لثوب فاخر ! أما ترى يا مولاى روعة نسجه ووشيه ؟ » وأشارا إلى المنوالين الفارغين ، إذ ظنا أن جميع من حولهما قد رأوا الثوب رأى العين . وقال الإمبراطور لنفسه : « ما هذا ؟ إننى لا أرى شيئاً البتة . أأنا أحمق ؟ أم تُرانى لا أصلح لعرش الإمبراطورية ؟ ما أجل هذا الخطب الفادح ! » ثم رفع صوته وقال:

« نعم ! إنه جميل جداً ! وقد حاز منا أعظم الرضى » . وأخـذ يهز رأسه ويحدق فى المنوالين الفارغين ، إذ كان لا يستطيع أن يقول إنه لم ير شيئاً . وأخذت الحاشية تدقق النظر ولم تر شيئاً . ولكنهم فعلوا كما فعل الإمبراطور وقالوا : « نعم ! إنه جميل جداً » وأشاروا عليه بأن يرتدى هـذه الثياب الجديدة فى الموكب الحافل الذى سيخرج فيه بعـد أيام . وتألقت وجوه الحاضرين بشراً ، وأنعم على كلٍّ من المحتالين بلقب « نسّاج البلاط الإمبراطورى » .

فلما جاءت ليلة الموكب ، سهر المحتالان لينجزا ثياب الإمبراطور الجديدة ، ورآهما الناس منهمكين فى العمل ، يوهمان النـاس أنهما ينزعان الثوب من المنوالين ، وأخذا يقصان الهواء بمقص كبير ، ثم شرعا يحوكانه بإبر ليس فيها خيوط ، وأخيراً قالا : « لقد تمت ثياب الإمبراطور » .

وأقبـل الإمبراطور ومعه نبلاء حرسه ، ورفع المحتالان أيديهما كأنهما يحملان شيئاً وقالا : « أنظر ! هـذه هى السراويل ، وهذه هى السترة ، وهذا هو المعطف . إنها رقيقة كنسيج بيت العنكبوت . وقد يخيل للابسها أن ليس عليه شىء ، وهذا هو سر جمالها » . وقال النبلاء جميعاً : « نعم » ولكنهم لم يروا شيئاً ، فليس هناك من شىء يرونه . وتقـدم المحتالان إلى الإمبراطور وقالا : « تفضل يا مولانا فاخلع رداءك لنلبسك هذه الثياب الجديدة أمام هذه المرآة الكبيرة » . فخلع الإمبراطور رداءه وأخذ المحتالان يوهمان الناس أنهما يلبسانه الثيـاب الجديدة — والإمبراطور أمام المرآة لا ينفك يدور ويدور ، وقال له الحـاضرون جميعـاً : « ما أبدع انطباقهـا على قدك ! ما أجمـل صنعتها وما أبهى ألوانها ! إنها ثياب فاخرة » .

وقال رئيس التشريفات : « إن الأتباع ينتظرون ومعهم المظلة التى تظلل جلالتكم فى الموكب » فأجابهم الإمبراطور : « لقد فرغت . أترون الثوب يلائمنى ؟ » ثم استدار ونظر فى المرآة مرة أخرى كأنه يتملى من حسن زينته . وانحنى بعض رجال الحاشية وقد تظاهروا بأنهم يرفعون ذيل المعطف ، وخشى كل منهم أن تفلت منه حركة تدل الآخرين على أنه لا يرى شيئاً . وهكذا سار الإمبراطور فى الموكب الحافل تحت المظلة الفخمة ، ولم يبق أحد من النـاس على جوانب الطريق إلا هتف : « لقد فاقت ثياب الإمبراطور الجديدة كل وصف ، وليس لها مثيـل . ما أفخم ذيل المعطف . وما أبدع انطباقها على قدّ الإمبراطور ! » وقد تحرز كل منهم أن تبدر منه بادرة تدل

على أنه لم ير شيئاً ، لئلا يكون ذلك دليلا على أنه غير صالح لمنصبه أو أنه من كبار الحمق . ولم يلبس الإمبراطور قط ثياباً خلبت ألباب الناس كثيابه الجديدة هذه .

وأخيراً صاح صبي صغير : « ما تقولون ! إنه عريان ليس عليه شيء ! » وقال أبوه : « اسمعوا ما يقول هذا الصبي الطاهر البرئ ! »

وتهامس الناس وردّدوا بينهم كلام الصبي .

وما لبث الناس جميعاً أن صاحوا : « إنه عريان ليس عليه شيء ! » فانتبه الإمبراطور إذ رأى أنهم على حق ، ولكنه حدث نفسه وقال : « ليمش الموكب إلى نهايته » وزادت قبضة رجال الحاشية على أطراف المعطف بشدة ، وساروا يحملون ذيله الطويل الذى لم تره عين قط .

·oOOo··oOOo·

مبارزة عجيبة

فى أحد الأيام وجّه الطبيب العالم الألمانى المشهور الأستاذ رودلف فيركاو ، نقداً لاذعاً إلى البرنس بسمارك المستشار الألمانى ، فدعاه بسمارك إلى المبارزة . فلما جاء شاهداه إلى العالم قال : « لما كان المستشار قد دعانى إلى المبارزة . فلى الحقّ فى أن أختار السلاح » . وأمسك بيده قطعتى سجق متماثلتين تماماً وقال : « إليكما سلاحى ! » .

فنظرا دهشين ، فقال : « إن أحدهما ممتلىء بجراثيم مرض قتال ، والآخر سليم من الجراثيم . فليشرفنى سمو البرنس بأن يختار أيهما يريد ، فيأكلها . وأنا آكل الأخرى » .

فلم يلبث بسمارك أن قرر وهو يضحك أن لا يبارز العالم بسلاحه .

[مجلة « كل إنسان »]

سوء فهم وصدق

لم يكد ينقضي على مارى زمن قصير فى الجامعة حتى أرسلت إلى أمها طلباً مستعجلا بأن تبعث إليها على جناح السرعة بقدر آخر من الملابس التحتية لأنها استنفدت ما كان عندها . فتلقت فى البريد التالى رزمة كبيرة ، وكلمة من أمها جاء فيها : « استعملى هذا تظفرى بكل ما تحتاجين إليه » ، وكانت الرزمة تحتوى على قطع من الصابون .

الشخصيات التي لا تنسى :

زوجة عبقري

أوستن استرونج
مؤلف "ثلاثة من عقلاء المجانين" و "السماء السابعة" وغيرهما



أستطيع أن أراها الآن — امرأة صغيرة الجسم في ثوب أزرق جالسة حافية القدمين على سطح حجرة في سفينة تجارية تمخر البحر في جنوب المحيط الهادى ، وعلى رأسها قبعة « بناما » مائلة تحجب محيا يبهر الأنفاس جماله ، وفي كل من يديها مسدس كبير محلى بالفضة تضرب بهما كلاب البحر بإحكام يصيب المقتل ، ثم يأخذها البحارة ويجرونها فوق الحاجز .

وقد كتب إلىّ حديثاً ، الروائى بوث تاركنجتون يقول : « دخلت معها ذات مرة ردهة فندق كليبول في إنديانا بوليس ، فأقبل علىّ صاحب محل السجاير وهو مشدوه بعد أن أدخلتها في المصعد ، وقال لى : « سامحنى يا مستر تاركنجتون . ولكن سبحان الله ، من تكون هذه؟» ومن الجلى أن هذا تأثير شخصيتها » ، والحقيقة أنها كانت ذات شخصية ، غير أنه قلّ من كان يعرفها لأنها كانت تجتنب الظهور .

وكانت بينة الأنوثة بالغة الرقة ، حريصة على الانزواء ، ولكنها على هذا كانت توقع في الروع ان لها قوة خفية لا يستخف بها . ولما حملها زوجها الأسكتلندى إلى أدنبرة ليعرفها بوالديه أول مرة ، أنبأها أن أباه — وهو مهندس شهير ، يضع تصميم المنارات — رجل متزمّت متشدد في الدين ، يحكم بيته بيد من حديد . وكانت تعلم أن عليها أن تواجه موقفاً صعباً ، لأن أباه لم يكن راضياً عن زواجه بامرأة لا يقتصر أمرها على أنها أمريكية ، بل هى مطلقة أيضاً . فلما صارا وجهاً إلى وجه ، استحوذ جمالها على الأسكتلندى الصارم ، وأدهشه أن لها شخصية قوية كشخصيته .

وعلى العشاء في ذلك المساء ، غضب الرجل لأن اللحم كان مبالغاً في نضجه ، وانتهر الخادمات بصوت عال وهن يرجفن في فوطهن المكوية . فنهضت كنّته (زوجة ابنه) عن كرسيها ووجهها ممتقع ، وعيناها تقذفان بالشرر ، فقد كان لا يثيرها شيء كالظلم ، وقالت له بصوت كالماء الجارى

تحت الثلج الهادئ : « إنك شيخ أفسده التدليل ، وإنك لتقسو على هؤلاء المسكينات اللواتى لا يستطعن أن يجبنك . وأنا أنذرك إذا رفعت صوتك مرة أخرى بانتهار هؤلاء النساء الوفيات ، أنى سأرحل عن هذا البيت فى الحال ولا أضع فيه قدمى ما عشت » .

فبهت الشيخ ونظر إليها معجباً ، وقال وهو يضحك : « اقعدى يا ابنتى . ألا وإنك كالجمرة المستعرة تحت الرماد » ، ومن ذلك الوقت ساد السلام ، وصار الرجل يتبعها كأنه أسد مروّض مخلص .

وكان دمها غنياً بسَوْرة الشجاعة الموروثة من أجدادها الأشداء — تسعة أجيال من الرواد الأمريكيين من ناحيتى الآباء والأمهات . وكان أبوها يعقوب ينتمى إلى أسرة هولندية تحمل اسماً كريماً هو فان دى جريفت . فاستقر به المقام فى مدينة إنديانا بوليس ، وكانت يومئذ على طرف العمران ، وبنى بيته بيديه ، واتسع رزقه مع اتساع المدينة ، وصار تاجر خشب ثرياً ، وسمى بنته فرنسيز ماتيلدا .

وبعد أن أخفق زواجها الأول ، أحبت شاباً كاتباً غير معروف كان مصاباً بالتدرن الرئوى ، ثم تزوجته . وكانت تعرف بغريزتها أنه عبقرى ، وأنها خليقة أن تهدى إلى العالم اسماً خالداً إذا هى استطاعت أن تبقيه حياً ، فصارت حياتها عدة سنين ، معركة طويلة دارت بينها وبين السل حاصد الأرواح ، فاقتضاها ذلك أن تطوّف فى العالم باحثة عن جوّ يرد على زوجها العافية .

وقد خاضت معارك كثيرة خسرتها فى بلاد شتى ، حتى أشير عليها بأن تحمله على البحر الملح وتبقيه هناك . فتشجعت من فرط يأسها وأخذته إلى البحر وتحملت سنوات من النفى من المدينة ، وتبعة القيام على تمريضه بعيداً من كل عناية طبية وهما يجوبان البحار فى كل أنواع السفن فى المحيط الهادئ المتراحب الذى لم يكن قد رسمت له خرائط . واجتازا الأرخبيل الخطر ، وجزر مارشال وماركيزة وجلبرت ، وقاوما العواصف والمستوحشين وتحطم السفن .

وهى امرأة مرهفة الحس ، ولكنها اضطرت مرة أن تعيش فى سفينة تجارية صغيرة مع خمسة عشر رجلا ، محتملة قسوة الحرمان من أن يكون لها مكان خاص ، فقد كانت تنام فى حجرة ينزّ فيها الماء ، ومعها غيرها من الآدميين المبتلّين ، وتكافح الصراصير الكبيرة التى كانت تصر على أكل حاجبيها ، إذ تغتنم فرصة للرقاد فى الفترات بين العواصف التى كانت تنذر بأن تقلب السفينة الصغيرة .

وكانت تنام على الأرض بجانب مخدع

زوجها، لتكون مستعدة فى لحظة أن تقدم له الدواء من زجاجة صغيرة تضعها بين ثدييها . وكثيراً ما كان الطباخ الصينى يدوسها إذ يتطوّح فى الحجرة المرتجة ليقدم الصحون والمواعين المضطربة . وهطلت الأمطار الغزيرة التى لا تقلع ساعة ونزّ السقف عليهما ، فرفعت فوق زوجها النائم مظلة ، وما أكثر ما أوقظت لتسعف بحاراً جريحاً ، فتقص الشعر المتلبد عن رأسه الدامى ، أو تلف ضمادة بليلة على يد محطمة .

ولم يزايلها الأمل على الرغم من كل هذه المتعبات ، فقد كانت ترى أن المريض يعود فى بطء إلى حد من الصحة . وقد رآها بعضهم قاعدة على السطح الأمامى لسفينة شراعية ذات صباح جميل ، ترقب زوجها وقد وقف حافياً على طرف المركب وهو يضحك من قلبه، إذ يحاول أن يطعن الأسماك المتواثبة على وجه الماء . فبعد سنوات من السهر الموحش فى غرف مظلمة ، تراه الآن واقفاً على قدميه ، وقد أصبح رجلا يعمل ، فتحير الدمع فى عينيها . ألا لقد جاهدت فانتصرت !

ورأيتها على خير حال كأنها فى الفردوس، حين كان من حسن حظى أن أقاسمهما السنوات الأخيرة من حياتهما معاً . فقد عادا أخيراً من البحر ، وانتهى بهما تطوافهما الموحش إلى جزيرة يوبولو الجميلة فى أرخبيل ساموا ، حيث كان الجو العليل يقوى الأمل فى شفاء زوجها . وهناك عاشا بين أهل ساموا الكرام الذين كان يسميهم « خير ما خلق الله ، وأعذب ما صنع » .

وابتنيا بيتاً كبيراً فى رحبة فى غابة طبيعية تحيط بها أشجار ضخمة وحولها السرخس والأركيد ، وقد تعطر الهواء بنفحات الليمون البرى، والأزهار الجميلة الأنُف التى تخرج فى الأدغال ، وهنا سكنا فى سفح جبل معشوشب تغرّد فيه الطيور ، وتتأدى إلينا منه أنغام خمسة جداول جبلية تنحدر متسابقة إلى المحيط الهادى الذى كنا نراه على مسافة ثلاثة أميال تحتنا ، من فوق رءوس أشجار بعضها دون بعض ، فنرى إذ نرى ذلك كله زرقة لا نهاية لها ممتدة تحت السماء .

وجرى دم الرواد باسرع مما كان يجرى فى عروق فرنسيز ، لما اشتريا ٤٠٠ فدان من أرض الغابات البكر الطيبة الهواء ، على ارتفاع ستمئة قدم من بلدة أبيا الحارة على الشاطىء ، وكان زوجها مشغولا بما يكتب ، فكانت هى التى تولت الأمر كله: من تصميم البيت الجديد إلى الإشراف على البناء ، فقد كانت مهندسة بالفطرة .

وكانت هذه أسعد أربع سنوات من حياتهما معاً ، وكان مما يشرح الصدر ،

والبيت يبنى ، أن يراها المرء تصدر الاوامر إلى العمال ، وترتقي السلالم العالية ، وتقف على شعف الجدران المترنحة — امرأة دقيقة الجسم في ثوب أزرق دائماً ، وعلى رأسها قبعة بناما ماثلة دائماً . وكان وجودها بمجرده يبعث النشاط في عمالها المخلصين من أهل ساموا ، ويحملهم على مضاعفة الجهد .

وكان منظر هؤلاء الشبان المرحين جميلا ، فإنهم عمالقة نحاف ونصفهم عار ، ولهم قدود أبطال الإغريق في فتوتهم ، وحول أعناقهم عقود من الزهر ، وعلى رءوسهم الحليقة مسحوق أبيض من الجير . ويرفع رئيس منهم صوته فجأة بأغنية يرتجلها لها فيتبعه الآخرون ، ويعملون بالمناشير والمطارق على توقيع الأنغام :

« فلنبن هذا القصر لمولاتنا السامية . أليست جميلة كالغمامة السابحة الصغيرة التي تدنو في سيرها فوق أفق البحر في الفجر ؟ واعلموا يا من بهم كسل أن لها عينين في رأسها الجميل ، وأنها خلقت لتطاع » . وكانت لا تفهم المدائح التي ينشدونها ويتغنون بها لها ، لأنها لم تحذق قط لغتهم . وكانوا يعرفون هذا ، ويعدونه فكاهة عظيمة ، فتتجاوب الغابة بأصداء ضحكاتهم .

وكانا يعيشان أثناء العمل في البناء ، في كوخ صغير أقيم بسرعة ، عيشة غريبين وحيدين . وقد كتبت إلى صديقة لها تقول : « بين ثيابي تتدلى سيور اللجام ، وعلى حقيبتي ، وهي من خشب الكافور وتقوم عندي مقام منضدة الزينة ، وبين المشط وفرشاة الأسنان ، مجموعة من آلات النجارة وأدواتها . وعلى الجدران حربة منحوتة ، ومسدس ، وسموط من أسنان السمك ، والحيوان ، والإنسان ، وعقود من الأصداف ، ويبدو سريري الصغير كأنما وضع في مكانه خطأ » .

وصنعت خزاناً صغيراً حول نبع على جانبنا من الجبل ، ومدت منه الأنابيب على انحداره مسافة ربع ميل إلى البيت ، فأعفتنا من الاعتماد على ماء المطر الذي كنا نتلقاه في المواعين من السقف المصنوع من الصاج المضلع . ومع أن أهل ساموا كانوا يقومون بالعمل لها ، إلا أنها كانت تخيرهم نشاطاً وكداً . وأذكر أنها ذات مرة ضحكت إذ طلبت إليّ أن أدلك لها أصابعها وأبسطها ، فقد جمدت من الأسمنت الذي كانت تقيم به الجدار الحاجز للخزان .

وكانت فرنسيز امرأة كثيرة النقائض ، من ذلك أنه كان بها حياء غريب حين تلقى الأغراب ، ومع ذلك كانت تواجه الأخطار المروّعة في شجاعة ورباطة جأش . وكانت تعوذ بك كأنما لا حول لها ، ولكنها

أوتيت موهبـــة القيادة . وكانت من ذلك الضرب الذى يتطلع إليه المرء فى الشدائد ، وتكون صارمة عنيفة إذا تطلب الأمر ذلك ، ولكنها تتمثل دائماً بالحكمة القائلة : « من عرف كل شىء ، غفر كل شىء » . وكانت فارسة معلمة ، ورامية من الطراز الأول ، ومؤلفة ممتازة ، وبحارة ، وبستانية عالمة ، وطاهية ليس لها ند ، وممرضة نادرة المثال . وكان الوفاء مزيتها الوضّاءة ، فكانت لا تتخلى عمن تحب فى السراء والضراء ، فلا عجب إذا كان ربان محنّك فى سنه وتجربته قد قال عنها : « إنها لسيد (جنتلمان) عظيم ! »

وكانت فيها فكاهة رائعة ، وكانت تحب المزاح حباً جماً ، وقلما كانت تقهقه ، ولكنها كانت تشترك فى المرح العام بضحكة فيها خفوت وهمهمة ، وإذا صح أن أخلاق المرء تعرف من أخلاق أصدقائه ، فإنهـا تكون لغزاً أشد تعقيـداً من اللغز الصينى : فمن صيادى سمك ، ودوقات ، إلى ابن الشاعر شيللى ، وصاحب محل حلاقة ، والملك الطيب كلا كادا ملك هواى ، والكابتن سلوكام الذى طاف حول الأرض وحده فى سفينة صغيرة وخرج عن نهجه اثنين وسبعين يوماً ليزورها فى ساموا ، ومن الروائى هنرى جيمس إلى المثال أوغسطس رودان ، وجون سارجنت الذى رسم لها صورتها ، و ج. م. بارى الكاتب المسرحى الخجول ، الذى قلما كان يقول شيئاً لأحد ، وما أكثر ما كان يقوله لها ويحدثها به ، والملك تمبينوكا ملك أباماما الفتاك الذى أوسع المشاغبين من رعاياه قتلا ليحفظ النظام فى دولته ، والذى بكى بأربع لما انصرفت من زيارته . وقد لمحها مرة صحفى من سان فرنسسكو فى جمهور ولم يكن يعرفها من قبل ، فقال : « إنى أستطيع أن أعرفها فى ومضات البرق ، وإنها المرأة الوحيدة التى أستطيع أن أتخيل أن يكون رجل مستعداً أن يموت فى سبيلها » .

ويطيب لى أن أتذكر عشاء شكر ، لما تم أخيراً بناء فايليما — كما كانا يسميان بيتهما — وكان الأثاث الجميل والأوانى الفضية قد جىء بها من أسكتلندة ، وما زلت أرى غرفة الجلوس الرحيبة — ٦٠ قدماً فى ٣٠ قدماً — وجدرانها المكسوة بالخشب الأحمر المصقول وقد زينت بصور من ريشة سارجنت ، وهوجارث . ولم نكن ندرى أن هـذا سيكون آخر احتفال نشترك فيه جميعاً . وكان يبدو لى أن هذا هو الأوج ، واللحظة التى تتوج حياة هـذه المرأة الباسلة الحافلة بالتضحية والمغامرة والحب .

وكانت ترتدى ثوباً من المخمل الأسود محلى بالدنتلة النفيسة ، ولمعان حلها ينافس بريق السعادة الذى فى عينيها ، فكان منظرها

وضاء مشرقاً وهى جالسة إلى طرف المائدة التى تسطع عليها أنوار الشمعدانات الفضية والبلورية ، وتزدان بالأزاهير . وقد حقق الله حلمها ، فقد كانت ترى زوجها وقد علته سمرة الصحة وبدا طويلا ممشوقاً فى ثياب السهرة التى تتخذ فى المناطق الاستوائية — وهى سترة بيضاء ، وصدرية حمراء ، وسروال أسود — فهى خليط زاهٍ معجب.

وأشرقت وجوه الحافين بالمائدة بنور الشموع ، وكانوا ضباطاً بحريين فى ثياب بيض ، والمأمورون ، والقناصل وزوجاتهم. وكان الخدم من أهل ساموا يرتدون مآزر إلى الخصور من صوف ذى ترابيع ، وأزهار الخبيزة وراء آذانهم ، وعقود الزهر حول أعناقهم ، وقد دهنوا أبدانهم السمراء بزيت الجوز وعطر الصندل ، فقاموا على خدمتنا فى وقار وسكينة .

فالحق أن هذا كان عشاء شكر لها . فقد أصبح روجها فى أوج شهرته ، وقد نجح وسار ذكره إلى أبعد مما كان يحلمان به. وفى خمسة عشر عاماً من زواجهما أخرج مؤلف « جزيرة الكنز » و « الدكتور جيكل والمستر هايد » أكثر من ثلاثين كتاباً . وأهدى إليها آخر رواياته وأقر لها فى الإهداء بالفضل فى نجاحه : « خذى لك هذه الكتابة فإنها حقك ، إذ من غيرك الذى صقل السيف ، ونفخ فى الفحم الهامد ورفع الدرع ، وزهد فى الثناء وسخا بالرأى والنصيحة . . . من سواك ؟ »

وبعد بضعة أيام فلج زوجها الذى كان بادى الصحة كأنما ضربه الفالج فجأة فى ساعة صفو مجيدة ، ولم يمت بالمرض الذى كافحته زوجته بل بالفالج. وقد شد نعشه إلى فروع طويلة وحمله أهل ساموا المحزونون إلى قمة الجبل الذى كان يحبه ، وهناك دفن .

وبعد ذلك ببضع ليال ، اتفق أنى جئت إلى الشرفة ، فارتددت حين لمحتُ فرنسيز دى جريف ستيفنسون — جدتى ، وكانت واقفة فى ضوء القمر وعينها إلى الجبل الذى تغطيه الغابة والذى يرقد فيه زوجها ، كما أراد أن يدفن: « تحت السماء الواسعة الحالية بالنجوم ، وقد عاشا معاً أربعة عشر عاماً » .

وكان من الصواب أن يدفن روبرت لويس ستيفنسون فى قمة جبل ، وأن تلحق به زوجته هناك بعد نحو عشرين عاماً ، وعلى القبر المشترك تحيته الخالدة لها محفورة على البرونز :

« أنعم الله علىّ بعلمة وزميلة رقيقة الفؤاد ، وزوجة ، ورفيقة وفية فى رحلة الحياة كلها ، قلبها جميع ، وروحها حرّ » .

ـــــــــــ

طلع علينا سحر العلم بحل لمشكلة نقص موارد البترول نقصاً مطرداً — صنع وقود للمحركات مستخرج من الغاز الطبيعي

بنزين جديد مركب بالكيمياء

ج . د . راتكليف
مختصرة من مجلة "كوليرز"

لم يفتأ المنذرون يقولون منذ سنوات إن نفاد البترول أمر وشيك، ولكن العلم طلع علينا بكشف جديد يضيء ذلك الطريق المظلم. فسوف يصنع البنزين المركب بالكيمياء من الغاز الطبيعي، وسيكون من رخص الثمن بحيث ينافس البنزين المستقطر من البترول .

أما الرجل الذي فكر في إنشاء المصنع لتركيب هذا البنزين ، فهو ب . س . كيث المهندس الكيميائي، وهو في منتصف العقد الخامس من عمره . وقد كان كيث يبني قبل الحرب مصنعاً لتقطير الزيت في ألمانيا ، فزار طائفة من مصانعها التي تصنع البنزين بالتركيب الكيميائي على طريقة « فيشر تروبش » . وأساسها أن يعالج غاز الطبخ المستخرج من الفحم بطريقة تحوله إلى بنزين . وهذا البنزين غالٍ جداً يبلغ ثمن الجالون منه خمسة قروش وهو في المصنع، وهو رديء لا تزيد قوة الأوكتين فيه على ٤٠ درجة ، فمحركات السيارات الحديثة لا يمكن أن تسير بمثل هذا الوقود، فإذا ما أريد استعماله للدبابات وغيرها، لم يكن بد من أن يعالج معالجة كبيرة النفقة . ولكن كيث عاد مقتنعاً بأنه إذا صرف المهندسون براعتهم الفنية في تحقيق ما كشف الألمان مبدأه العلمي الأصيل ، كان الناس خليقين أن يظفروا بمورد جديد رخيص للبنزين .

فنظم كيث شركته وعهد إلى عشرة أو نحوهم من أبرع المهندسين الكيميائيين بدراسة الموضوع . فقد أثبت الألمان أنك تستطيع أن تصنع البنزين من غازات الفحم وهو يحترق كأول أوكسيد الكربون والإيدروجين ، أفلا يكون الغاز الطبيعي مصدراً أرخص لتركيب البنزين ؟

يتركب الغاز الطبيعي من أربعة غازات : ميثين، وإيثين، وبروبين ، وبوتين. وأكثر الأربعة هو غاز الميثين الذي يبلغ ٩٠ في المئة من الغاز الطبيعي كله . فإذا ما احترق غاز الميثين في حجرة يملؤها الأكسجين النقي ، أسفر احتراقه عن أول أكسيد الكربون ، والإيدروجين ، وهذان الغازان هما المادتان الأصليتان اللتان يتركب منهما البنزين . غير أن وجود مقادير كبيرة رخيصة من الأكسجين ، أمر لازم لنجاح هذا العمل نجاحاً مالياً . والأكسجين المجهز للبيع يكلف ثلاثة ريالات لكل ألف قدم مكعبة .

وكانت ثمة عقبة أخرى: إن أسلوب تحويل

أول أوكسيد الكربون والإيدروجين إلى بنزين وماء، يولد مقادير عظيمة من الحرارة فكيف تتخلص منها ؟

وقد وجد كيث حل المشكلتين جميعاً : ذلك بأن تتخلل أنابيبُ الماء الحجرةَ التي يتم فيها التفاعل ، ويمتص ماء الأنابيب الحرارة فيتحول بخاراً يولد طاقة محركة . وهذه الحرارة تحرك آلات الضغط وغيرها من المعدات اللازمة لمصنع يستخرج الأكسجين من الهواء . فتم له أن يستعمل طاقة محركة لا ثمن لها ، فيولد بها أكسجيناً رخيصاً ، فلا يزيد ثمن ألف قدم مكعبة منه على ١٢ مليما أو نحوها بدلا من ٣ ريالات .

وأراد أن يمتحن أسلوبه ليرى هل يصلح عملا كما صلح علماً ونظراً . فأنشأ مصنعاً للتجربة ، فكان له ما أراد . فقد دخل الأكسجين والغاز الطبيعي من أحد طرفيه وتقطر البنزين من الطرف الآخر بمقدار عشرة جالونات فى اليوم . وقد تولدت مواد أخرى عدا البنزين : كحول ، وزيت الديزل ، وأسيتون ، وهو المادة المذيبة التى تصنع منها أفلام التصوير .

وما كاد يقيم الدليل على نجاح الأسلوب حتى عمد مهندسوه إلى بناء مصنع آخر للتجربة أكبر وأوسع ، فبلغ إنتاجه عشرة براميل فى اليوم. وحسبوا نفقات الإنتاج ، فثبت لهم أن البنزين الصناعى يستطيع أن ينافس البنزين المستقطر من البترول. فبدأ العمل فى تصميم مصنع يكلف ١٥ مليون ريال ، وستشترك فى الإنفاق عليه خمس أو ست من شركات الزيت . وسوف ينتج هذا المصنع ٥٠٠٠ برميل من البنزين الصناعى و ١٠٠٠٠ برميل من زيت الديزل كل يوم . ومقدار الأوكتين فى البنزين سيزيد قليلا على ٨٠ درجة وسوف ينتج المصنع ٢٠٠ ألف رطل من ضروب الكحول الخام ، فتستعمل مواد مذيبة فى صناعة أصناف الطلاء والميناء وأفلام التصوير وعشرات من الأعمال الصناعية الأخرى .

أيفضى الاعتماد على الغاز الطبيعى فى صنع البنزين ، إلى نفاد الغاز الطبيعى على وجه السرعة ؟ ليس ذلك أمراً محتوماً ، فإن ما يكشف منه أكثر مما يستنفد . ويرى كيث أن الفحم يظل مصدراً لتركيب البنزين زمناً طويلا قبل أن ينفد الغاز الطبيعى . وفى الوسع أن يولد البنزين من الفحم اليوم ، فيكلف الجالون الواحد قرشين ونصف قرش . ولا بد من أن يهبط ثمنه على قدر ما ترتقى أساليب صناعته .

وتستطيع أن تصنع البنزين من أى شىء فيه كربون . ويقول كيث : « نستطيع أن نصنع البنزين من الدريس وكيزان الذرة ومن النِّيلَوفر أيضاً إذا لم نعبأ بالنفقات » .

نستطيع الآن أن نروى كيف أبطلت الرقابة جهود الجواسيس فى زمن الحرب .

الحرب الخفية بين الرقباء والجواسيس

ماري لامار نايت
مختصرة من " ذي وشنطن بوست "

كنت من الرقباء أثناء الحرب — أي واحدة من ١٥٠٠٠ نفس ظلوا زهاء أربعة أعوام يتحسسون أخبار الناس ، ويفتحون البريد ويسترقون السمع إلى محادثات التلفون ، ويتفحصون الأفلام والمطبوعات وبرامج الإذاعة .

كنا فى بادىء الأمر نشعر بخزى كخزى الآثم ، فقد كنا نتولى عملا بغيضاً إلى أكثرنا ، إذ كنا نقحم أنفسنا فى شئون الناس ، غير أننا سرعان ما أدركنا ضرورة الرقابة ، وقد تجلى لنا ذلك حتى قبل أن تخمد النيران المشتعلة فى أنقاض برل هاربر. فلم يكد عمل الرقابة يبدأ فى هونولولو حتى عثرنا فى أوائل الرسائل التى فضضناها على وصف دقيق لنتائج الغارة ، وكانت الرسالة مرسلة إلى اليابان بطريق ملتوية .

إن الرقابة سلاح ذو حدين، فهى لا تحول دون وصول المعلومات إلى العدو وحسب ، ولكنها أيضاً تمدنا بمعلومات عن العدو عظيمة الخطر . فهذا أحد الرقباء مثلا يأخذ فقرة من رسالة تجارية وفقرة من رسالة أخرى وهكذا ، حتى جمع معلومات دقيقة عن طريق تسلكها سفن اليابان التجارية ، فأعانت الأسطول الأمريكى على أن يترصد لها ويغرق منها سبع سفن .

وقد علمنا من محادثة تلفونية استرقنا إليها السمع، أين يخفى تجار السوق السوداء مقادير من الكينا كانت البلاد فى أمس الحاجة إليها، كما كشفت برقية ضبطتها الرقابة جاسوساً ألمانياً فى هافانا يتظاهر بأنه تاجر ملابس ، وكان يتلقى المال بطريقة غامضة من عدة مصارف ، فقبض عليه وحوكم ، ثم أدين ، وقتل رمياً بالرصاص .

كانت ماري لامار نايت مراسلة فى باريس والصين ، ثم ألفت كتابها الرائع « كنت وحدى » عن الحوادث التى شاهدتها فى تلك البلاد ، ثم عادت إلى الولايات المتحدة وعينت فى منصب كبير بمكتب الرقابة ، وقد عهد إليها اليوم بكتابة التاريخ الرسمى لذلك المكتب .

وقد قبض على ١٨٩ جاسوساً على حدود الولايات المتحدة ، وأدانتهم المحاكم ، وكان للرقابة شأن عظيم فى معظم هذه القضايا .

وأغلب الرقباء خبراء فى بعض الشئون ، فقد كنا فى حاجة إلى من يفكون الرموز ، ومن يجيدون الترجمة ، وإلى خبراء فى الصناعة والقانون والشئون المالية ، بل كنا فى حاجة إلى خبراء فى طوابع البريد . فقد وجدنا مثلا فى رسالة مرسلة من أحد هواة جمع الطوابع إلى هاو آخر ، صحيفة من الطوابع مرتبة بدهاء ترتيباً رمزياً ، يدل على أن البارجة « أيوا » ستبحر من ميناء معين فى تاريخ محدد إلى غاية معلومة . وكان بيننا أستاذ فى الجامعة ، يعرف تسع لغات منها السنسكريتية ، ويستطيع أن يميز من سائر اللغات ٩٥ لغة أخرى . ومن بين اللغات التى عثرنا عليها رطانة أهل جزر هايتى التى تجمع أشتاتاً من الإنجليزية والإسبانية والفرنسية وغيرها ، ولغة الهندستان مكتوبة بحروف العميان ، ولغة مختلطة من اليابانية والرومانية والبرتغالية (فقد ذهب رهبان من البرتغال إلى اليابان فى القرن السابع عشر وكتبوا اليابانية بالحروف الرومانية، وهى اللغة التى تستعملها جماعات من اليابانيين اليوم فى البرازيل) ولغة أهل جزيرة كوراساو ، وهى خليط من الهولندية والبرتغالية والإنجليزية، انتقلت إليهم من البحارة . وكان لدينا بعض علماء اللغة ممن يستطيعون أن يقرأوا الكتابة المختزلة فى ٣٠٠ لغة .

وكانت تعرض علينا كل يوم مليون رسالة من البريد الصادر والوارد ، وكان من المحتوم أن لا يلبث البريد الجوى عندنا أكثر من ٢٤ ساعة، أما بريد السفن فلا يبقى أكثر من ٤٨ ساعة . وأما الرسائل التى يتبادلها رؤساء حكومة الولايات المتحدة ، والحكومات المتحالفة فكانت لا تفتح ، ولكن كان علينا أن نفحص ظروفها أدق فحص، لأن جواسيس الأعداء كانوا يزيفون ظروف وزارة الخارجية والبيت الأبيض ، وكانت جميع الرسائل تراجع على قائمة المراقَبين وهى تشمل أسماء المعروفين بأنهم من الأعداء ، وأسماء من نشتبه فى أمرهم ، وكان فى هذه القائمة ما بين ٧٥ ألف إلى ١٠٠ ألف اسم ، فكنا نتبع فى فحص رسائلهم نهجاً خاصاً .

أما الرسائل الأخرى فكانت تطرح على مائدة المراجعة ، وكان كل رقيب يستعين بمجلد ضخم سجلت فيه الموضوعات التى تريد هيئات الحكومة أن تظفر عنها بمعلومات . فوزارة المالية تريد معلومات عن الصفقات المالية ، ووزارة التجارة عن الأعمال

التجارية ، ووزارة العمل عن شؤون العمال وأحوال العمل . وكان لدى الرقباء قائمـة أخرى للسلع تتضمن أسماء أصناف شتى كالبلاتين وأحذية المطر والكراكات وصوف الماشية ومعدن الأورانيوم .

وكان فى الرسائل المضبوطة ما يعين لنا موضع مخازن المطاط والصفيح. وقد تمكن الأسطول ، بإرشاد أحد الرقباء ، أن يتعقب سفينة محملة بالزنك وهى فى طريقها إلى الأرجنتين ، فردّها وهى فى عرض المحيط . وكشفت إحدى الرسائل خطة ألمانية لبيع مليون زجاجة من الشمبانيا فى إسبانيا ، فتضيف بذلك ألمانيا إلى رصيدها فى الخارج مبلغ ٦ ملايين ريال .

وكتبت أم ألمانية إلى ابنها فى أمريكا تنبئه أنه سيتمكن حين يعود إلى وطنه من أن ينتقل راكباً إلى عمله ، فكشف ذلك عن إنشاء سكة حديدية جديدة ، سرعان ما دمرتها الطائرات . وكذلك كان مصير مصنع خفىّ كبير للأسلحة فى منطقة درسدن اهتدى إليه على خريطة ضبطتها الرقابة .

وكنا نقوم على الحدود بمراقبة الأوراق التى تنقل بالطائرات وقطارات الركاب . وقد ضبطنا سيدة كانت تخفى فى سلة أزهار رسالة تحدد تاريخ رحيل سفينة عظيمة الخطر من سفننا . وضبطنا رسالة بالحبر الخفى من جاسوس ألمانى يشكو شدة الرقابة على المسافرين، وكيف شلت نشاطه حتى عجز عن تخطى الحدود .

وكانت ريبتنا تزداد حدّة كلما عثرنا على حيلة جديدة ، كمحاولة تهريب الماس فى قطع الشكولاتة . وقد عثرنا على علب من اللحم مزدوجة القعر ، فيها تقرير سنوى عن أعمال شركة فاربن الألمانية الكيميائية الضخمة ، فى الشق الغربى من كرة الأرض ، وقد كانت فروعها مباءة للجاسوسية النازية أيضاً .

وكان أكثر ما يشغل بالنا تلك الرسائل المكتوبة بالرموز وبالحبر الخفى ، فكنا نمعن النظر فى كل رسالة بحثاً عن استعمال الأرقام أو الرموز استعمالا غير مألوف ، أو عن عبارات نابيـة فى مكانها ، أو عن أوراق يظهر أنها جففت بالنار أو كشط بعض كلامها . وقد وجدنا أن بعض الكشط الذى لا لون له يدل على أن حبراً خفياً قد هزّ ألياف الورق من مكانها ؛ وكنا نرسل إلى « قسم التحليل الفنى » كل رسالة تحوم حولها مثل هذه الشبهات أو غيرها ، وكل رسالة مرسلة إلى الأشخاص المذكورين فى قائمة المراقبين وكل رسالة واردة إليهم .

و « قسم التحليل الفنى » هو الاسم الغامض

الذى تعمدنا إطلاقه على المعمل الذى يفك الرموز والأرقام ويكشف الحبر الخفى ، وهو مغفل فى حى ناء من وشنطن العاصمة ليس له نوافذ ولا يدخله سوى عدد يسير من رجال ونساء ، وهناك تمسح كل رسالة بإسفنجة مشبعة بمواد كيمياثية تظهر الحبر الخفى ، ثم تفحص بالأشعة فوق البنفسجية .

ولما أوشكت الحرب أن تنتهى ، عثرنا على حيلة ألمانية تمكن الألمان من أن يطبعوا الرموز بالآلة الكاتبة على صفحة كاملة ثم يصغروها بالتصوير ، فلا تزيد مساحتها على نقطة صغيرة ، ثم تدس فى حافة الظرف أو فى جوف حرف مكتوب بالآلة الكاتبة كحرف «ح» مثلا وارد فى رسالة تبدو بريئة من كل شبهة . وقد تعلمت معاملنا كيف تفحص هذه الرسائل الميكروسكوبية وتظهرها مكبرة .

وقد فحصنا آلافاً من أساليب استعمال الرموز والأرقام ، فاصطفينا منها ٤٦٠٠ مجموعة خليقة بأن تهتم بأمرها أقلام المخابرات أيضاً . وكانت الرموز «مفتوحة» و«مغلقة» ، فالمفتوحة تبعث فى رسالة تبدو بريئة من الشبهة لتخفى خبراً شديد الخطر : «ستصل والدتى إلى بلباو فى السابع من الشهر» ، عبارة تبدو بريئة ، ولكن ربما كان المقصود بالأم فيها قافلة من السفن ، وبمدينة بلباو جبل طارق . أما الرموز المغلقة فتضع الأحرف والأرقام والرموز موضع الألفاظ ، وهى أقل خطراً من الرموز المفتوحة ، لأنها تدل بذاتها على أنها رسائل خفية .

أما مراقبة المخاطبات التلفونية الدولية فينبغى أن يكون رقباؤها من أشد الناس يقظة ، فالرقيب يضع على أذنيه سماعتين ويمسك بإحدى يديه قلماً ، ويضع الأخرى على لوحة التلفونات ليتمكن من أن يقطع المحادثة فوراً . وكان الرقيب يلقى عنتاً شديداً أثناء محادثة كبار المسئولين ، ولا سيما فى أيام الأزمات . فقد حدث بعد مؤتمر طهران أن ذكر ياور أحد القواد الأمريكيين أسماء ركاب إحدى طائرات النقل وذكر رتبهم ، وكان بينهم نفر من أكبر الرجال المسئولين فكان كمن يدعو العدو إلى الترصد لهذه الطائرة .

وكان لنا إثنا عشر مكتباً يتولى أمر البرقيات ، فكل برقية يراد إرسالها من الولايات المتحدة تحول إلى أقرب مكتب من هذه المكاتب . فإذا فهمنا معناها فهماً واضحاً وثبت لنا أن لا ضرر فيها ، سمحنا بإرسالها ، وإذا ساورنا الشك فحصناها مرة بعد أخرى . ولم نكن نسمح للجندى أن يرسل إلى حبيبته برقية يقول فيها : «هذه أربعة ريالات لشراء الزنبق» ،

بل نعدلها فتصير : « هـذه أربع ريالات لشراء أزهار » . فقد تكون أسماء الأزهار رموزاً مقصودة . وقد استبدل أحد الرقباء عبارة : «مات أبي » بعبارة « توفي أبي » فجاء الرد من المُرسِل يستفسر : « أمات أم توفي » ، ففضح السر بسؤاله .

ومجمل القول هو أن الرقابة قد ضبطت ما يقرب من ٤٠٠٠ رسالة خطيرة من رسائل الجواســـيس . وقد دهش الذين كانوا يستهينون بمراقبة رسائل الجواسيس ، حين ضبطت رسالة لا يدل ظاهرها على خطر ما ، وكانت واردة من أوربا إلى سـيدة مقيمة في فندق نيويورك ، فظهر بعـد فحصها أن في ذيلها رسالة طويلة مكتوبة بالحبر الخفي كان مطلعها : « اكتبي أو اذهبي إلى تريزة ، فهي تأخذ مالا من مستر ميلر .. » .

وكانت السـيدة التي تلقت الرسالة هي جريس بوكانن دينين ، وكانت قد مرّت منذ ثلاثة أشهر على مركز مراقبة المسافرين في جزيرة برمودة قادمة إلى نيويورك . وعلى أنها لم تطأ أرض أمريكا قبل ذلك ، فقـد كانت تحمل معها عناوين شتى لأشخاص في أمريكا . فأدرج اسمها فوراً في قائمـة لمراقبين ، وقد قرر أحد المراجعين أنه قد عرفها من قبل في لندن ، ولم تكن يهودية لاجئة كما زعمت ، بل كانت مسيحية هنغارية .

ولم يُقبض عليها يومئذ ، بل مضينا نفحص بريدها . وقد أتاحت لنا وهي لاتدري أن نعرف خمسة من شركائها ، فأدينوا جميعاً وصدرت عليهم أحكام قاسية .

وهذه جاسوسة أخرى كانت لها خطة محكمة في الاتصال بالعدو ، ولكنها أفسدتها بغبائها . فقد أنشأت مؤسسة لتجارة واسعة لبيع العرائس في جميع أنحاء العالم ، وقد أتاحت لها مكاتباتها الخاصة في عملها وسيلة محكمة لدسّ أنباء كانت ترسلها إلى اليابان عن مواقع سفن الحلفاء وقوّتها ، إذ كانت تقف على ذلك فيما يقتضيه عملها من رحلة إلى شاطىء المحيط الهـادي . ولقد كتبت مرة : « لقـد تركت عرائسي الإنجليزية الثلاث في مستشفى العروس ، وسيتم إصلاحها بعـد بضعة أشهر » ومعنى ذلك ثلاث سفن بريطانيـة ترمَّم ، وكانت تعني بقولهـا : « العروسان التوأمان الملتصقان » سـفينة تتولى حمل الطائرات والحراسة معاً .

وقد كانت هذه العبارات خليقة أن تمر دون أن يشتبه فيها ، لو لم توقع على بعض رسائلها بأسماء تجار آخرين ، ثم أرسلتها إلى عنوان في الأرجنتين أخذته من اليابانيين ، ولكنها نقلته خطأً ، فأعيدت الرسائل إلى الأسماء التي زيفتها ، فأخبر أصحابها قلم المخابرات فأخبرنا بذلك . فجعلنا نتقصّى كل الرسائل

الموقعة باسم فلفالى ديكنسون ، أو أى اسم آخر ما دام موضوعها الدمى والعرائس .

وقد استخلصنا من سيل هـذه الرسائل دليلا كافياً للقبض عليها ، وانتهى بها الأمر إلى الاعتراف بما فعلت ، فحكم عليها بغرامة قدرها ١٠٫٠٠٠ ريال ، وبالسجن عشر سنوات .

وقد ضبطت رسالة مرسلة إلى شخص يدعى هيرزل بسويسرا ، وكان اسمه مدرجاً فى قائمة المراقَبين ، وفيها إشارة إلى « إغلاق الدار » . وبعد بحث شاق وجد قلم المخابرات أن الدار فى حىّ بمدينة نيويورك حيث كان « فرد ليمتز »* يستضيف رجال الأسطول . وكان « فرد » هذا يعمل فى مطعم للبحارة ، فتسنى له بهاتين الوسيلتين أن يجمع معلومات عن إبحار السفن ، فقبض عليه ثم اعترف بجرمه .

على أن الألمان كانوا لا يزالون يجهلون أننا نفحص الرسائل المرسلة إلى هيرزل ؛ فضبطنا رسالة أخرى موقعة باسم ر . و . جرسون . وكانت رسالة لا تدعو إلى ريبة ولكنها كانت تخفى رسالة مكتوبة بحبر خفى جديد عما تنتجه الولايات المتحدة من المواد المتفجرة . فهذه إذن رسائل خطيرة الشأن ،

وقد دلت رسائل جرسون فيما بعد على أنه خائف مذعور ، فقد كتب فى إحدى رسائله : « قد ألوذ بالفرار » ، وتوسل إلى رؤسائه أن يكفوا عن الكتابة ، وأن حبره الجيد أوشك أن ينفد ، وأنه ولا شك سيكتب فى المرة التالية ببوله ويوقع باسم « بيل » . وقد فعل ، وضمن رسالته بعض معلومات عسكرية ، فقبض عليه قلم المخابرات ، فلما فوجئ بالأدلة اعترف بأنه جاسوس ألمانى اسمه كونت فون راوتر ، وأنه متجنس بالجنسية الأمريكية .

وقد اكتشفنا من الرسائل المراقبة آثار ثلاثة جواسيس تمتد أعمالهم إلى قواعدنا الجديدة فى ألاسكا : أحدهم امرأة يابانية تنوى الذهاب إلى ألاسكا متنكرة فى زى هندية ، والثانى جاسوس مهمته أن ينشئ محطة للإذاعة فى جوف الغابات ، والثالث يطلب من رؤسائه حبراً خفياً .

وقد لبثنا ٢٩ شهراً نعمل على إخفاء سر المفاجأة التى انقضت على هيروشيما ، فكان المراجعون يبعثون بتقاريرهم إلينا عن كل ما يذكر عن معدن الأورانيوم ، وقد طلب الرقيب العام فى أول أبريل ١٩٤٣ ، من جميع الصحف والمجلات ومذيعى الراديو أن لا يذكروا شيئاً عن تحطيم الذرة أو عن الأورانيوم أو عن أى شىء يمت إليهما بصلة ،

---

* انظر « مطاردة جاسوس » : مختار ديسمبر ١٩٤٥ ص ٥٤

وكان علينا أن نراقب أخبار الصحف والمقالات الفكاهية والنقد المسرحي أيضاً ، وقد عرضت علينا قصة خيالية عن غزو اليابان بالذرة فمنعنا نشرها في أوانه .

وكان أعظم نجاح توّجنا به عملنا بفضل معاونة محطات الإذاعة والصحف ، هو أننا منعنا عن اليابانيين كل خبر عن أثر قنابلهم الطائرة ، وكان ذلك السلاح منطاداً من الورق يحمل في جوفه قنبلة ويطلق في الهواء حين تهبّ الرياح متجهة إلى الغابات الأمريكية في الشمال الغربي . وكان اليابانيون يرجون من استعماله أن يشعلوا النيران الآكلة في الغابات، ويدخلوا الرعب في قلوب الشعب ويحطموا عزيمته . وقد عثر طلاب خرجوا يتنزهون على قنبلة قتلت سيدة وخمسة أطفال ، وجمع حرس الغابات ٣٣٤ قنبلة مثلها ، فبلغ من دقة كتمان هذه الأخبار أن ظن اليابانيون أن قنابلهم لا تبلغ غايتها فأهملوا مشروعهم ، بعد أن أطلقوا ٠٠٠ر١٠ منطاد، مثقلة بهذه القنابل.

وقد نجحت الرقابة بجميع فروعها نجاحاً يدعو إلى الدهشة، فقد ضبطنا مليون رسالة وبرقية ذات شأن خطير ، ووقفنا على شيء كثير من أخلاق الناس وغرائب طباعهم



يعرف ما يريد

سأل مدير الموظفين في شركة كبيرة ، رجلا كان ملازماً في الجيش عمّا له من تجربة سابقة في أعمال التجارة ، فقال : « لا تجربة لي ، فلم أكد أتخرج من الجامعة حتى نشبت الحرب وجنّدت »

فقال المدير : « وأي عمل تستطيع أن تنهض به ؟ » .

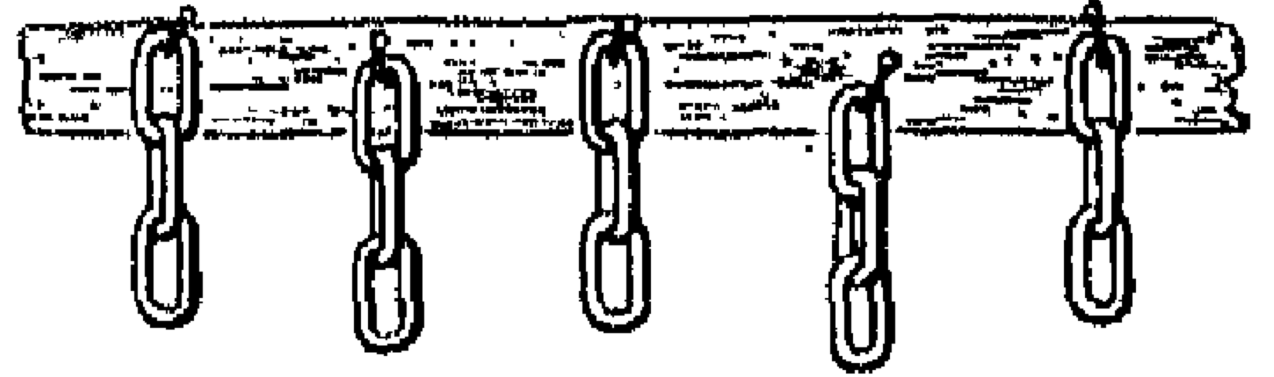
فقال الضابط : « أي عمل إذاري — قل وكيلا لرئيس الشركة » .

ففكر المدير في الأمر ، وقال : « أحسب أن ذلك يجرّدنا من وظائفنا ، فنحن الآن إثنا عشر وكيلا للرئيس» .

فقال الضابط مشيراً بيده كمن لا يبالي : « إن ذلك لا يهولني ، فلست ممن يعبأ بالخرافات ! »

امتحن زوّار دارك

١ — لغز السلسلة



أن تكسر إحدى هذه الحلقات ، يكلفك قرشاً واحداً ، وأن تلحمها بعد كسرها يكلفك قرشين . فما هو أقل مبلغ تتكلفه لكى تجعل هذه القطع الخمس سلسلة واحدة متصلة الحلقات ؟

اثنا عشر قرشاً ! أعد نظرك فيما قلت — فالمبلغ الصحيح أقل من ذلك .

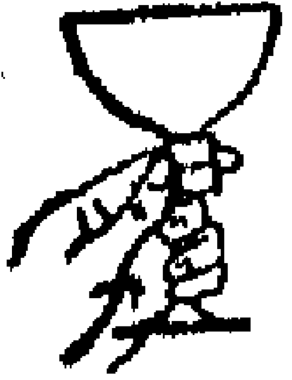
حكمة اللغز : الحل البين ليس دائماً أقل الحلول نفقة .

٢ — لغز الأكواب



ضع ثلاثة أكواب فى صف على أن يكون الكوب الوسط مقلوباً كما ترى فى الصورة . ثم احمل فى كل يد كوباً واقلب الكوبين . وكرر هذه الحركة ثلاث مرات ، بشرط أن لا تقلب نفس الكوبين مرتين متتابعتين ، حتى تصير الأكواب الثلاثة كلها مقلوبة — هل تستطيع ؟

٣ — لغز الكأس وقطع السكر



اقبض على جذع كأس بثلاث أصابع ، بالخنصر والبنصر والوسطى ، ثم أمسك بين السبابة والإبهام قطعتين من السكر إحداها فوق الأخرى ، ثم حاول أن تضع القطعتين فى جوف الكأس دون أن تستعمل يدك الأخرى . (يسهل أن تقذف فى الهواء القطعة الأولى من السكر وأن تلتقطها بالكأس ، ولكن إذا حاولت أن تقذف الثانية ، طارت الأولى من الكأس) . فكيف تفعل ؟

٤ — لغز الكأس والقرش



ضع بطاقة زيارة على رأس كأس ، وضع على البطاقة قرشاً ثم انفخ البطاقة بحيث يسقط القرش فى جوف الكأس . أتستطيع أن تفعل ذلك ؟

٥ — لغز الفوطة

أمسك بيديك فوطة مائدة من زاويتين متقابلتين واعقدها دون أن تفلت إحدى الزاويتين من يديك . جرّب .

[الإجابات الصحيحة صفحة ١٢٩]

سياسي كبير يقيم الحجة على أن تمهيد الطريق لنجاح هيئة الأمم المتحدة خير من إلغائها كما يريد بعض أصحاب المثل العليا .

الطريق الوحيد إلى انشاء حكومة عالمية

سمنر ويلز
وكيل وزارة الخارجية الأمريكية سابقاً

مختصرة من مجلة " أتلانتيك الشهرية "

أوصى إطلاق الطاقة الذرية وحصر أسرارصناعتها بين ثلاث حكومات دون غيرها ، فيما يقولون ، إلى نشر سحابة كثيفة من سموم الريبة والخوف والهلع فوق أرجاء العالم ، فقوى إيمان أنصار العزلة بأن الخطة الوحيدة التي يجدر بهم اتباعها هي التفوق في السلاح والتوسع الاستعماري ، واندفع أصحاب المثل العليا يقولون إن جميع الأعمال النافعة التي يمثلها اتفاق إحدى وخمسين دولة على إنشاء هيئة الأمم المتحدة ، ينبغي أن تلغى في الحال ، فهم مقتنعون بأن العالم ينبغي أن يبادر إلى انتهاج طريق جديدة . وأصحاب المثل العليا يؤثرون دائماً أن يتجنبوا مشقة السير في طريق وعر ، ويسلكوا طريقاً جديدة تبلغ بهم غايتهم .

وقد بسط لنا أينشتين في عدد نوفمبر من مجلة « أتلانتيك الشهرية » * ما يقترحه من علاج حاسم ناجع لهذه المشكلة . ويؤسفني أن أراني مضطراً إلى معارضة بعض مقترحاته ، ولكن ينبغي أن أفعل ، لأنني أعتقد أن كثيراً من الناس الذين يعرفون لأينشتين منزلته في علم الطبيعة ، سيسارعون إلى الاقتناع بأنه حجة في عالم السياسة الدولية أيضاً .

واقتبس من مقاله الفقرة التالية ففيها ، خلاصة مقترحاته :

> « إن سر القنبلة الذرية ينبغي أن يوكل إلى حكومة عالمية ـ تؤسسها الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وبريطانيا العظمى ، وهي الدول الثلاث الوحيدة التي لها قوة عسكرية كبيرة .
>
> ولما كانت الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى تملكان سر القنبلة الذرية دون روسيا ، فإن عليهما أن تدعوا روسيا إلى أن تعد المشروع الأول لدستور الحكومة العالمية المقترحة .
>
> وبعد أن تقرر الدول الكبرى دستوراً ، تدعى الأمم الصغيرة إلى الانضمام إلى الحكومة العالمية ـ ولكن الدول الثلاث هي التي يجب أن تنظم الحكومة العالمية ، سواء أنضمت إليها الأمم الصغيرة أم لم تنضم » .

* القنبلة الذرية : مختار فبراير ١٩٤٦ ص ١

فالعلاج إذن هين سهل فيما يرى أينشتين، ولكنى أعتقد أن بلوغ هذا الهدف لن يتأتى لنا أبداً فى الوقت الحاضر. فرأيه قائم على فرض أن حكومة السوفيت توافق على تأسيس حكومة عالمية تهيمن على المسائل العسكرية كافة على شريطة أن تعدّ حكومة السوفيت تصميم دستور تلك الحكومة.

ترى كيف تكون نصوص دستور تتولى وضعه حكومة السوفيت ؟ وإنى لأظن أن حكومة السوفيت تقبل الانضمام إلى حكومة عالمية إذا قرر دستورها إنشاء اتحاد عالمى لجمهوريات اشتراكية تكون موسكو عاصمته، ولكنى لا أتصور أن يقبل الاتحاد السوفيتى أن ينضم إلى حكومة عالمية على غير هذا الأساس.

فما من حكومة عالمية كالتى اقترحها أينشتين، تستطيع مباشرة عملها إلا بشرط أن يكون لها الإشراف المطلق على سلاح كل دولة منضمة إليها، وبشرط أن ترضى كل أمة أن يكون كل شبر من أرضها ومن معاملها ومصانعها مباحاً، لتكون كلها خاضعة لرقابة دولية مستمرة، وعلى شريطة أن تقبل كل دولة منضمة أن تخضع أيضاً للرقابة كل أعمال الحكومة — بما فى ذلك سياستها الخارجية والداخلية والمالية.

ومثل هذا الطلب يهدم النظام السوفيتى الراهن من أساسه. ولا شك أن الاتحاد السوفيتى لن يقبل الانضمام إلى أية حكومة عالمية إلا إذا ألفت على وضع يجعل إضعاف سيطرته على سياسة روسيا الخارجية والداخلية أمراً مستحيلا. ومن الوهم أيضاً أن نفترض أن الشعب البريطانى يقبل الانضمام إلى اتحاد عالمى يكون فيه القضاء المبرم على حرية الفرد، وهى من مبادئه العزيزة عليه.

وأكبر وهن فى منطق أينشتين هو فى قوله: « وليس من الضرورى عند إقامة حكومة عالمية تنفرد بالسلطة العسكرية أن يحدث تغيير فى الكيان الداخلى للدول الكبرى الثلاث ». وإذا أرادت هذه الدول تحقيق ما يقترحه فالرأى عندى أنه يستحيل عليها كل الاستحالة أن تنجح « فى ابتكار الوسائل التى تجعل النظم الثلاثة المختلفة تلتئم فى سبيل التعاون ».

ويقرر الأستاذ أن الحكومة العالمية التى يقترحها يجب أن يكون لها « سلطة التدخل فى البلاد التى تضطهد الأقلية فيها الأكثرية، وبذلك تخلق هذا النوع من الاضطراب الذى يفضى إلى الحرب » ويعترف بأن الأقليــة هى التى تتولى الحكم فى الاتحاد السوفيتى، ولكنه يؤكد أنه لو كان روسى المولد لاستطاع أن يوفق بين شخصيته والأحوال المحيطة به ».

فمعنى نظريته — إذا لم أكن أخطأت فى فهمها — أن حكم الأقلية يعتبر ظلماً فى كل أمة غير الاتحاد السوفيتى . فمعنى ذلك أن الحكومة العالميــة التى يقترحها تخوّل حق التدخل فى شؤون كل دولة من أجل أن تقيم فيها حكومة على الشكل الذى ترضاه الدول الكبرى المسيطرة على الحكومة العالمية — اللهم إلا روسيا .

وهذه القضية تثير اليوم أكبر مشكلة تواجهها الشعوب المحبة للحرية . فهل تقبل شعوب الديمقراطيات الغربية نظاماً عالمياً — مهما كانت صورته — يوكل فيه أمرهم إلى دولة أجنبية مسيطرة ، تعين لهم كيف ينبغى أن تكون حكومتهم ، وإلى أى حد تقيد حرياتهم الفردية ، وإلى أى حــد يتاح للأكثرية أو الأقلية المعارضة أن تبين عن رأيها ؟ فهذا التدخل الذى يقترحه أينشتين يخضع أمم العــالم لسيطرة الدول الثلاث الكبرى ، بحيث تضبح بقية الشعوب فى حكم الرقيق المستعبد . وهيهات أن يقوم عالم حر على مثل هــذا الأساس ! فنحن لم نحارب إلا من أجل الحيــلولة دون إقامة مثل هذا العالم .

ولو كانت سلطة ردّ العدوان على حرية الفرد موكولة فى هيئة الأمم المتحــدة إلى الجمعية العمومية وحدها (والأغلبية العظمى فيها للدول الصغيرة) ولم توكل إلى مجلس الأمن الذى تسيطر عليه الدول الكبرى ، لأمكن تفادى الخطر المفضى إلى أن يكون هــذا التدخل وقفاً على الدول الكبرى الثلاث وحدها دون غيرها ، تصرّفه فى مصالحها هى .

وكل من كان له نصيب فى إقرار ميثاق الأمم المتحدة ، يرى أن تأسيس هيئة الأمم المتحدة هو من قبيل المعجزة فى العصر الحاضر . ألا ترى كيف يجتمع خمسون شعباً فتتصادم ضغائنهم ومطامعهم وأنانيتهم بل كثيراً ما تصادمت شكوكهم وريبهم ؟ ولكن الأمر انتهى إلى التوفيق بين الآراء المتضاربة ، وتم أخيراً إنشاء الهيئة الدولية .

وستقوى هذه الهيئة على العمل مهما حدث من تطور فى ميدان العلم — إذا عقدت شعوب العــالم عزمها على صيانتها من الإخفاق .

ما من حكومة رضيت عن الميثاق كل الرضى ، وقل من الناس من رضى عنه ، ولكن الأكثرية تؤمل أعظم الأمل أن يتم تحسين الميثاق على التدريج ، بحيث تصبح هيئة الأمم المتحدة أقرب شىء إلى حكومة عالميــــة متحدة ، وتتحقق هيمنتها على الديمقراطية الغربية ، إذا ما أمكنت المحافظة على السلم فى السنوات الخمس القادمة ،

وهى فترة الانتقال بعد الحرب الأخيرة .

وأنا أؤمن إيماناً قوياً بأن الهدف الذى يجب أن ترمى إليه الأمم هو ان تصل فى النهاية بمعونة هيئة الأمم المتحدة إلى إقامة حكومة اتحادية عالمية تقوم على القانون ، وتتجلى فيها المبادئ الحقة للديمقراطية الدولية . وإذا التمسنا أسلم الطرق وأسرعها إلى الهدف ، فلن نجده فى مقترحات أينشتين بل فى نصائح هاتش عضو الشيوخ الأمريكى فهو يقول : « إن بين أيدينا هيئة منظمة ، فيجب أن نستعين بها ، وندخل عليها ما نستطيعه من تحسين كلما خطونا نحو غايتنا ألا وهى خضوع العالم كله لحكم القانون لا لحكم القوة » .

ويقول أينشتين : « وأنا أدرك أن هناك قوماً يوافقون على أن الحكومة العالمية هى الهدف الأخير ، ولكنهم يؤثرون الوصول إليها تدريجاً ، ولكن آفة الخطو الوئيد هو أن الأمم التى تملك القنبلة تظل فى أثناء ذلك محتفظة بسريتها ، دون أن تقنع من لا يملكونها بما سوغ كتمان السر . وهذا وحده يخلق المخاوف والشكوك ، وتكون العاقبة أن تسوء العلاقات بين الدول المتنافسة إلى حد خطر . فبينما يظن الذين لا يخطون إلا خطواً وئيداً أنهم يدنون من السلام العالمى ، يكون الواقع أنهم يساعدون على إثارة الحرب التالية » .

وما غفل عنه أينشتين هو استحالة القيام بأى عمل سوى الخطو الوئيد حتى تنتهى المخاوف والريب القائمة اليوم . وكيف تنتهى دون أن تتعاون الدول كلها ، ولا سيما الدول الكبرى ، وهى تعمل معاً فى هيئة الأمم المتحدة ، وبذلك يتجلى لها رويداً رويداً وبالبينة والبرهان ، أن ليس هناك ما يدعو إلى مخاوفها وريبتها .

لقد فسدت العلاقات الدولية منذ كان يوم النصر ، وأهم سبب هو افتقار العالم إلى هيئة منظمة تستطيع شعوبه وحكوماته أن تستعين بها حتى تعمل كلها معاً . ولو أنشئت هيئة الأمم المتحدة قبل يوم النصر ، وباشرت عملها من يومئذ ، لتجنبنا هذا الفساد ولا ريب . وليس للإنسانية اليوم من أمل إلا فى هيئة الأمم المتحدة ، وفى رضى الحكومات ومقدرتها على المبادرة إلى تهيئتها للعمل . وقد أثبتت سنوات الحرب أن الحكومات حين لا تجد مفراً من أن تعمل معاً وإلا هلكت ، تستطيع أن تتفق فيما بينها وتتعاون .

وتستطيع هيئة الأمم المتحدة أن تضع الأسس التى تكفل تعمير العالم وتقدم الإنسانية وتوطيد السلم بين الأمم ، إذا أحسنت

الأمم المشتركة فيهـا تطبيق مبادئها . وإذا تخلينا عنها دون أن نجربها فكأنما نرفض عمداً أن نستعين بالأداة الوحيدة القائمة بين أيدينا اليوم ، والتي نستطيع بواسطتها بلوغ تلك الأهداف . ومع ذلك فهاهو أينشتين يشير علينا بأن نطرح ميثاق هيئة الأمم المتحدة جانباً ، على جـلالة قدره ، وينصح حكومات العالم ان تحاول الظفر برضى ٥١ أمة حتى تقيم نوعاً من حكومة عالميـة لا يداخلنا أقل شك فى أن شعوب الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى والاتحاد السوفيتى لن تتفق عليها .

فلو تخلت شعوب الأرض اليوم عن هيئة الأمم المتحدة ، لما جنت إلا الفوضى الشاملة بغير أمل ، وهيهات أن ينبثق من حمأة الفوضى أمل جديد .



يا عابر الطريق

« قصيدة طبعت على لوحات وعلقت على أشجار الغابات فى البرتغال »

يامن يمرّ بى وتحدثه نفسه بأن يمدّ يده إلىّ ، أصغ إلىّ قبل أن تمسّنى بأذى :

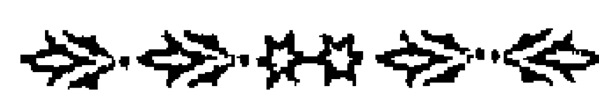
أنا نار موقدك فى ليالى الشتاء الباردة ، والظلّ الذى يحنو عليك ويردّ عنك شمس الصيف ، وثمارى هى شرابك المنعش الذى يطفىء أوامك وأنت ماض فى طريقك .

أنا العارضة التى تمسك جدران دارك ، واللوح الذى تصنع منه مائدتك ، والسرير الذى تنام عليه ، والخشب الذى تبنى به زورقك .

أنا نصاب محراثك ، وباب بيتك ، وخشب مهدك ، وأعواد نعشك .

أنا ظلال الرقة ، وزهرة الجمال .

فيامن يمرّ بى ! استمع إلى دعائى ، ولا تمسنى بأذى . [رودسايد بوليتن]



كان بين تلاميذى فى فصل الكيمياء ، فتى يميل به طبعه إلى الاستئثار بالحديث فى كل مناقشة ، فعزمت على أن أنبه والديه إلى هـذه الخصلة البغيضة . فكتبت فى ذيل البيان المدرسى عن درجاته : « طالب ذكى مجتهد ، ولكنه ثرثار » . وبعد أيام أعيـد إلى فوجدت فى أسفله كلمة كتبها أبوه ، وهى : « صبراً حتى تلقى أمه » . [هارولد مورر]

إذا تعبت ـ فكُل

ألبرت إدورد ويجام
مؤلف كتاب "سمات الرجل المثقف" و "ثمار شجرة الأسرة" وغيرهما
مختصرة من مجلة "ريفيو أوف ريفيوز"

أينتابك الشعور بالتعب فى الحين بعد الحين ؟ أترى نفسك مهتاجاً سريع التأثر فى ساعة الضحى وساعة الأصيل ؟ أم ترى نفسك عندئذ عرضة للخطأ فما تعمل ؟

إن كنت كذلك ، فسيدهشك أن تعلم أنك قد لا تكون « متعباً » ، وأن الراحة لن « تنعشك » ، وأن الجوع وحده هو سر تعبك ، وأن ما تحتاج إليه إنما هو الطعام لا الراحة .

لقد تجلى سداد هذه الأقوال من الأبحاث التى قام بها عالمان ممتازان من علماء وظائف الأعضاء ، هما الدكتور هوارد هاجارد والدكتور ليون جرينبرج من أساتذة جامعة ييل . فقد طفقا يدرسان « كلال العمال » وعلاقته بأصول التغذية ، ولم يكن بحثهما مصروفا إلى « ماذا » ينبغى للمرء أن يأكل ، أو « كم » ينبغى له أن يأكل ، بل « متى » ينبغى أن يأكل .

أسفر بحثهما عن أنك إذا كنت صحيحاً معافى لا يعتلج فى نفسك اضطراب أو هم من الهموم ، وأنك مع ذلك عرضة لنوبات من الشعور بالكلال تختلف عليك ، فخير علاج هو أن تأكل خمس أكلات فى اليوم على الأقل أو ست أكلات .

ولعلك كنت خليقاً أن تدرك هذه الحقيقة وحدك ، لو لم تستبد بك ثلاث عقائد تكاد تكون شائعة بين الناس جميعاً الأولى : أن لا تأكل إلا حين تجوع ، والثانية : أن من عمل معدتك وشهيتك أن تشعراك بأنك قد جعت . والثالثة : أنه ينبغى لك أن تريح معدتك فى الحين بعد الحين . ويلوح أن هذين الباحثين قد طعنا هذه العقائد الثلاث طعنة قاتلة .

قاس هذان العالمان ما فى العضلات من قوة وكفاية ، وما يصيبها من زيادة ونقصان فى كل ساعة من ساعات النهار ، فى جماعة عدتها ٢١٣ شخصاً تتراوح أعمارهم بين ٤ سنوات وأربعين سنة . فوجدا أن مستوى الكفاية فى اليوم كله ، يكون أقل ما يكون قبل ساعة الفطور . ووجدا أن كفاية العضلات تزداد ازدياداً سريعاً بعد أن تصيب من طعام منوّع فيه زلال وبروتين ودهن ، وتظل تفعل ذلك ساعة

بعد الطعام . ثم تظل تهبط شيئاً فشيئاً فى الساعات الخمس التاليـة حتى تبلغ مستواها الذى كانت فيه قبل الفطور .

وهـذه النتائج تدل دلالة قوية على أن كفاية العضلات ترتبط أوثق ارتباط بمقدار الزمن الذى ينقضى بعـد آخر وجبة من الطعام . وكانت الخطوة الثانية أن يفحصا عن عادات تلك الجماعة فى أكلها ، ثم يقارناها بما يختلف على كفاية العضل من الزيادة والنقصان .

وكانت هذه الجماعة مؤلفة من خمسة أطفال صغار ، و ٥٨ تلميذاً ، و ٢٠ طالباً فى الجامعة ، وخمسة من الخدم ، وعشرة من كتاب الاختزال ، وأربعة من الكتبة ، و ٨ معلمين ، و ٨٨ من عمال المصانع يتولون أعمالا سهلة ، و ١٥ يتولون أعمالا شاقة . وكان منهم ٢٣ يأكلون أكلتين فى اليوم عادة ، و١٣٥ يأكلون ثلاث أكلات ، و ٣٨ يأكلون أربعا ، و ١٧ يأكلون خمس أكلات .

وظلوا فى أيام فحصهم يعيشون على مألوف عاداتهم ، اللهم إلا دقائق قلائل من كل يوم تقاس لهم فيها نسبة التنفس (وهى مقياس كفاية العضلات) ، وذلك بأن يركب كل منهم دراجة مثبتة فى الأرض ويحرك ساقيه كراكب الدراجة .

ولما قورنت كفاية العضلات بعاداتهم فى الطعام ، اتضح أن كفاية من يأكلون أكلتين فى اليوم ولا يفطرون تظل ضئيلة حتى يكون الغـداء ، فترتفع على عجل ، ثم تعود فتنخفض شيئاً فشيئاً حتى تحين ساعة الانصراف عن العمل . أما أصحاب الأكلتين الذين كانوا يفطرون ولا يتغدّون ، فقـد كانوا يبدأون عملهم بنشاط ، ثم تنحدر هـذه الكفاية بالتدريج حتى تصل إلى مستواها المنخفض قبيل الإفطار ، وتظل كذلك طوال ما بعـد الظهر . أما الذين كانوا يأكلون ثلاث أكلات ، وهم١٣٥ ، فكانت كفايتهم تزداد ازدياداً سريعاً بعد الإفطار وبعد الغداء ، ثم تنخفض بالتدريج فى كلتا الحالتين . وأما الذين كانوا يأكلون أربع أكلات ، وعددهم ٣٨ ، فكان بعضهم يأكل الأكلة الرابعة فى ساعة الضحى ، وبعضهم يأكلها فى ساعة الأصيل ، فكانت كفاية العضلات فى كلتـا الطائفتين تزداد ازدياداً سريعاً عقب هذه الأكلة ، ثم تعود فتسير سيرها المألوف . ومن العجيب أن نتائج أكلة العصر كانت أفضل بعض الشىء من نتائج أكلة الضحى . أما أصحاب الأكلات الخمس ، وعددهم ١٧ ، فكانت نتائج اختبارهم مدهشة ، لارتفـاع مستوى كفايتهم على طول النهار .

ثم خطت التجربة خطوة أخرى نقلتها من المعمل إلى المصنع ، واختير للفحص عمال يشتغلون فى خياطة أحذية التنس ، وكان إنتاجهم يقل فيما بين الضحى والظهر دون استثناء ، فكانت قلة إنتاجهم ترد إلى ما يصيب العامل من كلال . وبدا من سجلات الإنتاج لأول وهلة أن أصحاب الأكلتين كانوا ينتجون الأحذية بمعدل ١٧٢ حذاء فى الساعة ، وأصحاب الأكلات الثلاث بمعدل ١٨٣ ، وأصحاب الخمس بمعدل ١٩١ . وكان إنتاج أصحاب الأكلتين ، وكانوا جميعاً لا يفطرون ، ضئيلا طول الصباح . فهم يبدأون بإنتاج ١٧٤ حذاء فى الساعة ثم ينحدرون إلى ١٥٦ ، فإذا تغدوا ارتفع معدل إنتاجهم بسرعة إلى ١٩٥ ، ثم يعود فيهبط إلى ١٧٢ فى آخر ساعات العمل .

واستطرد الباحثان إلى تجربة جديدة ، فقسموا أربعين عاملا قسمين متساويين ، واستمر بحثهم عشرة أسابيع . فأما القسم الأول فكانوا يأكلون ثلاث وجبات فى اليوم ، وكان معدل إنتاجهم ١٨٣ حذاء فى الساعة . وأما القسم الثانى فكانوا يعطون أكلتين أخريين ، فيها كوب من اللبن وست أوقيات من الكعك فى الضحى والعصر ، فزاد معدل إنتاجهم الذى لم يكن يتجاوز ١٧٠ فى الساعة إلى ١٩٣ بعد الأكلتين الأخريين

وفضلا عن ذلك ، فقد ذكر عمال القسم الثانى أنهم حين كانوا يأكلون خمس وجبات فى اليوم ، كانوا يشعرون أنهم أحسن حالا وأشد حماسة فى العمل ، وأهدأ أعصاباً فى ساعات الضحى والأصيل . ودلت سجلاتهم أيضاً على أن أخطاءهم صارت أقل .

وكذلك أقام الباحثان حجة قوية على أن برنامج طعامنا يمكن تحسينه تحسيناً كبيراً بحيث يصبح أبعث على البهجة والنشاط . لقد كان نظام الوجبات الثلاث فى اليوم عادة فرضها نظام العمل فى المصانع ، فلما طال إلف الناس لها أنزلوها منزلة الصواب ، ولكن هذا فرض باطل .

وإذا أكلت خمس أكلات ، أو ستًّا إذا سهرت ، فلا يقتضيك ذلك أن تزيد مقدار الطعام الذى تأكله الآن فى يومك كله ، فقد يقل المقدار وقد يزيد ، ولكن الواجب أن يكون شعارنا تعديل نظام أكلاتنا الحاضر .

وثمة مشكلة أخرى فى نظام الأكل كما يصفها الدكتور هاجارد ، وهى عودة الأطفال من المدارس جياعاً وإعطاؤهم قطعة من البسكوت أو الخبز والمربى يتبلغون بها حتى يأتى وقت العشاء ، فإذا حان وقته

لم يشتهوا الطعام ، ثم يأوون إلى الفراش فتنبو بهم مضاجعهم . وخير لهم فى رأيه أن يأكلوا عقب عودتهم من المدرسة أكلة متوسطة المقدار وافية العناصر، تتبعها أخرى قبيل النوم من ألوان الطعام الوافية الملائمة .

ويقترح الدكتور هاجارد أن يتبلغ الإنسان بين كل أكلتين بشىء من الطعام، وخير ذلك كوب من اللبن وموزة ، يستبدل بهما أحياناً شىء من الفاكهة أو الخضر . وأخذ اللبن مع الطعام يجعل فائدته أطول مدة ، ويجعل هبوط الكفاية أبطأ سيراً .

ومن رأى الدكتور هاجارد أن إنشاء المقاصف فى المصانع والمتاجر لإمداد عمالها بأكلات فى ساعات الضحى والأصيل، كفيل بحل هذه المشكلة ، وخليق أن يزيد كفاية العمال ونشاطهم ومرح نفوسهم . وخلاصة هذا البحث هى ما يلى :

لا تجعل معدتك هى الدليل الذى يدلك على أنك قد جعت ، فإنها قد تفعل وقد لا تفعل .

لا تجتنب الطعام لكى تهىء لمعدتك « بعض الراحة » ، فإن المعدة وهى فارغة أنشط عملا مما تكون وفيها بعض الطعام .

العلاج المعترف به الآن لما يصيب المعدة من أسقام ، هو إكثار الوجبات الخفيفة من الطعام

فإذا أحسست بشىء من التعب ، أو بخثور فى النفس ، أو بإعياء يصدّ نفسك عن الطعام ، فالتمس عندئذ شيئاً تأكله. ولكن عليك أن لا تجعل هذا الشىء زيادة تزيدها على طعام يومك ، بل أخرج مثل مقداره من مجموع طعام يومك .



ذهبت سيدة أنيقة إلى مخزن ولتر فلوريل الذى يصنع القبعات لكواكب السما وسيدات الطبقة الراقية ، وقالت إنها تريد فى الحال قبعة ترتديها فى حفلة دعيت إليها . فأخذ ولتر مترين من شريط ولفهما على شعرها وقال : « إليك القبعة يا سيدتى » . فنظرت فى المرآة فأعجبت بما رأت وصاحت : « إنها مدهشة » .

فقال ولتر : « خمسة وعشرون ريالا » .

فقالت مبهورة : « ولكن هذا ثمن باهظ لمترين من الشريط ! »

فحل ولتر الشريط عن رأسها ، ووضعه بين يديها وقال : « أما الشريط يا سيدتى فإنى أقدمه إليك بلا ثمن » .

مجاهد فى سبيل الله

جون ا. أوبريان
رئيس قسم الفلسفة فى جامعة نوتردام

أراد أن يجاهد فى سبيل الله ، فعليه أن يصرف وجهه عن متاع الحياة الدنيا وينفق عمره فى بذل الخير وصنع المعروف لبنى جنسه . . وهكذا ظل ألبرت شوايتزر أربعين سنة مجاهداً يبذل للناس من ذات نفسه ويده .

وقد بدأ ذلك يوم وقف شوايتزر فى رحبة السوق بمدينة كولمار فى الألزاس العليا شاخصَ البصر إلى تمثال زنجىٍّ عارٍ فى هيئة الذليل الضارع ، وكان هذا التمثال منحوتاً على قاعدة نصُبٍ أقيم لأمير البحر بروات ، يمثل سطوة الاستعمار الألمانى فى إفريقية . فدار فى خلد شوايتزر أن هذا النصب رمز يدل على ظلم الإنسان لأخيه الإنسان .

وأخذ شوايتزر يفكر : « أحق ما سمعت من أننا نسخر هؤلاء الزنوج ، ثم نضنّ عليهم بالأطباء والعقاقير ؟ » .

فلما انقلب راجعاً إلى بيته فى استراسبورج ظل هذا الشبح الأسود ينغص عليه سكينة قلبه طول الطريق .

بيد أنه أخذ يسائل نفسه : « ولكن لمَ يعذبنى ضميرى ، وما أنا غير أستاذ فى جامعة ؟ » . وكان فى وسعه أن يقول لنفسه أيضاً إنه نال فى الثلاثين من عمره شهرة واسعة فى ثلاثة ميادين ، فقد كان عالماً مشهوراً من علماء الدين ، وكان عازفاً على الأرغن نال حظوة عند جمهور كبير من الإنجليز والأوروبيين ، وكتب ترجمة فذة لحياة باخ الموسيقى .

ثم شاء الله أن يطلع شوايتزر على مقال عن الكونغو فى إحدى المجلات جاء فيه : « بينا نرى رجالنا يقفون بين هؤلاء الوثنيين ليهدوهم إلى عبادة الله ، إذا هم يسقطون تحت أعينهم صرعى المرض ثم يتخطفهم الموت . وليس لرجالنا حول ولا قوة فى دفع ذلك عنهم » .

وقد سجل شوايتزر فيما بعد ما أحسّ به يومئذ فقال : « لقد حُمِّلنا وزراً ثقيلا بما فعله البيض من جميع الأمم فى أولئك الزنوج . فإذا أسدينا إليهم خيراً ، فليس

ذلك إحساناً منـا ولا صدقة ، وإنما هو تكفير عما اقترفنا » .

وآلى هذا العالم الموسيقى على نفسه أن يقضى ما بقى من عمره بين زنوج الأدغال مكفراً عن هذا الإثم . وعارضه أصدقاؤه قائلين : إذا كان زنوج إفريقية فى حاجة إلى عون ، فليحاول شوايتزر أن يجمع المال لهم ، وليس عليه أن يتولى علاجهم بنفسه .

فرد عليهم شوايتزر مردداً قول جوته : « إنما هو العمل لا الكلام » .

فكان أول ما عمـل أن التحق بكلية الطب ، وبعد نحو خمس سنوات يوم أوشك أن يتخرج طبيباً وجراحاً ، ألفى نفسه فى مأزق ضنك قد يحول بينه وبين ما أراد . فقد وقع الرجل ذو الهدف العظيم فى شراك الحب ، فتهلل أصـدقاؤه فرحاً واطمأنوا إلى أن الزواج سيقضى على مشروعه العقيم .

ولكن هيلين برسلاو ، وهى ابنة أحد المؤرخين فى جامعة استراسبورج ، كانت تعرف خططه من أول يوم ، فقد تقدم إليها يخطبها وقال لها بصراحة :

« إنى أدرس اليوم لأصبح طبيباً يداوى الزنوج ، فهل تقضين معى بقيـة عمرك فى الأدغال ؟ »

فأجابته : « سأكون ممرضة مدربة ، أفتتركنى وتذهب وحدك إلى الأدغال ؟ »

وكان كلاهما يعلم أن إجازة الطب لا تكفى فى أدغال المناطق الحارة ، إن لم تظاهرها الأدوية والضمادات وآلات الجراحة . فأخذ شوايتزر يحاضر ويكتب ويجهـد نفسه فى جمع المال لهذه البعثة .

وفى إبريل سنة ١٩١٣ أبحر هو وعروسه إلى رأس لوبيز فى إفريقيـة الاستوائية الفرنسية ، حيث لاقيا « يوسف » أول صديق لهما من أهل إفريقية ، وكان قد اشتغل يوماً ما طباخاً عند أسرة من البيض . وقام يوسف مقام الدليل للطبيب وعروسـه فى رحلة بالزوارق استغرقت ثلاثة أيام فى نهر أوجودى إلى دار ببلدة لامبرينيه . فهذا هو قلب المنطقة الوبيئة التى قرأ عنهـا ، حيث يزداد معدل الوفيات عاماً بعد عام . كانت دنيا تزخر بالبلايين من ذباب « تسى تسى » وبالنمل والأرَض والبعوض المثقل بجراثيم الأمراض .

فلما ألقى شوايتزر عصا تسياره فى بلدة لامبرينيه ، نظر إلى زوجتـه نظرة جزع وإشفاق . فقد وُعد أن يكون لهما دار ، ومستشفى ذو غرفتين من الصاج المضلع ، فلم يجدا داراً ولا كوخاً يستقرّان فيه . فأين يختزنان آلات الجراحة الدقيقة التى يسرع إليها الصدأ فى المناطق الحارة ، وأين يضعان الأدوية التى تردّ العافية إلى مرضاهم

نصبا خيمتهما على عجل ، وطليا آلات الجراحة بالشحم ليصوناها من الصدأ ، ودفنا قوارير الأدوية فى الأرض على مقربة من مياه الينابيع الباردة ليقياها من التلف . وكان هذا النشاط العجيب يثير ريب الزنوج على الدوام . وأخذ أولئك الزنوج العراة الذين يشبهون أخاهم الذى يُرَى فى نصب كولمار يتجمعون حول نيران المخيم ، وأخذت تفد من قلب الأحراج البعيدة وفود الأقزام ، ثم جاءت وفود قبائل « فان وزندة » الذين كانوا يبردون أسنانهم بالمبارد لتصبح حادة كالنصال ليقووا بها على أكل لحم البشر .

وأكد لهم يوسف أن هذا الحشد نذير سوء ، فقد كان سحرة القبائل يبذرون بذور الشك ، والبغضاء لهؤلاء الدخلاء ، ولكن شوايتزر الذى كان يرقبهم من بعيد ، رأى كثيراً من الزنوج قد نهكت أبدانهم عدة أمراض كالملاريا ومرض النوم ومئات سواها من علل المناطق الحارة .

ونادى الطبيب يوسف: «هيا إلى العمل. إيتنى ببعض المرضى » .

كان اليأس قد بلغ من شوايتزر مبلغاً ، فعمد إلى بيت مهجور من بيوت الدجاج واتخذه مستشفى ، وجعل مائدة الجراحة سريراً قديماً من أسرة المخيم ، وطلى السرير القذر والجدران بطلاء من الجير .

وأخذ الزنوج يتجمعون حوله وقد ادّهنوا بالزيت ، وبدت على أبدانهم الوشوم براقة الألوان . وكان الرجال مدججين بالحراب والسكاكين ذات النصال العريضة ، وانتضى بعضهم قسيًّا من الأبنوس سقيت سهامها بالسم ، وأمام هذا الجمهور المتوعّد لاقى شوايتزر مرضاه الأول — أولئك البواسل الذين تطوعوا لامتحان سحر الرجل الأبيض .

وكان رجل منهم يشكو ألماً فى خاصرته اليمنى فرضى أن يستلق على السرير ، واسدل ستر حول غرفة الجراحة . وبينما كان الطبيب يستأصل له الزائدة الدودية كانت مئات من العيون البراقة ترمقه من فجوات واسعة فى السقف .

هب أن المريض مات ، ترى ماذا يصنع رجال القبائل ؟

انتهت الجراحة ولله الحمد ، وأنّ المريض وفتح عينيه .

ورأى الزنوج هذه الجراحة فعدوها معجزة خارقة . أو لم يروا بأعينهم هذا الساحر الأبيض يقتل واحداً منهم ، ويبقر بطنه ثم يردّه إلى الحياة ؟ فأقبلوا يعينونه على بناء المستشفى ، وسرعان ما أقيمت ثلاث غرف على سفح الأكمة لتكون بمنجاة من

طغيان الفيضــان ، وكانت إحــداها للفحص ، والثانية عنبراً للمرضى ، والثالثة للجراحات .

ولما ذاعت شهرة الساحر الأبيض فى الأدغال ، أخذ الزنوج يفدون عليه من كل فج عميق يريدون أن يقتـلوا ثم يردوا إلى الحياة . وكان شوايتزر يقوم بجراحات الدمامل والفتـــوق والأورام والقرح الشرقية التى تصيب الأقدام العارية (قرح تنشأ من عدوى تنقلها ذبابة الرمل) . وكان علاج هذه القروح يستغرق أسابيع وشهوراً أحياناً ، والمرضى خـلال ذلك ينزلون فيقيمون عنـد أبواب المستشفى . وكانت تغذيتهم مشكلة . لقد كان بعض أقارب المرضى يهدون إليه من الدجاج والبيض أو الموز شكراً واعترافاً بالجميل . أما بعضهم الآخر فكان يتوقع أن يهدى إليهم الطبيب شيئاً من الهدايا. وكثيراً ما كان يرى الزنوج - إذا استساغوا مذاق دواء - يسرقون قارورته ويعبُّون كل ما فيها عبًّا .

وأراد شوايتزر أن يكفل الطعام لأهله ولمرضاه فأزال الشجر من بقعـة فى الغابة واتخذها حديقة زرعها فاكهة ونخلا ، وأخذ يقـايض على الأقمشة والخرز بالموز وغـيره . وكان الاكتفاء بما تنتجه الأرض وحده شيئاً محالا ، إذ لا بد له من أن يستورد الأرز واللحم والزبد والبطاطس من أوربا ، وإن كان ذلك يكلفه نفقات فادحة .

وعلى الرغم من هذه الصعاب المتعددة أخذت قلوب رجال القبائل تميل بمودّتها إلى هذا الطبيب الخيّر . ولم يمت فى السنة الأولى مريض واحد ، ونجت ألوف من تباريح الآلام ، وأخـذ شوايتزر يتوغل مسافراً على قدميه فى جوف الأدغال ليأسو بطبه مرضى القبائل النائية .

فإن يكن عجيبـاً أن لا تقصم ظهر شوايتزر تلك الجهود المضنية ، فمردّه إلى شىء أعجب منه إذا رأيته فى جوف الأدغال. إنه بيانٌ (بيانو) مبطن بالزنك وقاية له من جو المناطق الحارة، أهدته إليه جماعة باخ الموسيقية فى باريس . فكان إذا جنّ الليل وانتهى عمل الطبيب ، عمد الموسـيقى الخبير بألحان باخ إلى أصابع العاج ، وإذا أنامله تعزف ألحـاناً قوية فخمة ، حتى إذا ما استغرق فى نشوة الأنغام أحس بيد زوجته



على كتفه تلفت نظره إلى النافذة المفتوحة ، حيث تبدو أشباح تزحف على الأرض ميممة شطر عنبر المرضى ، فيزمجر الطبيب غضباً . هؤلاء أكلة لحوم البشر من قبيلة زندة . تبّا لهم ، إنهم يحاولون أن يختطفوا مريضاً عاجزاً لا حول له ، ويفروا به ليتخذوه وليمة فى غدهم .

ويأخذ الطبيب بندقيته ويطلق رصاصة فى الهواء يفزع قصفها أكلة البشر ، فيفرون هاربين .

وفى أغسطس سنة ١٩١٤ وقف بباب الدكتور شوايتزر رهط من الضباط الفرنسيين فأخذوه أسيراً .

قالوا له : « لقد نشبت الحرب فى أوروبة وأنتم ألمان » قال : « كلا . نحن من الألزاس . ونحن إنما نعمل هنا لنرفع عن الناس آثار بغى الألمان » .

ولكن الانقياد الأعمى للأوامر فعل ما أراد ، وأعيد شوايتزر وزوجته إلى أوروبة فسيقوا إلى المعتقل . فلما وضعت الحرب أوزارها كان المرض قد برّح بهما ونصحهما الأطباء بأن لا يعودا إلى إفريقية أبداً .

وبعد أن استجمّا ثلاث سنوات أحس شوايتزر أنه من القوة بحيث يستطيع التجوال فى أوروبة والجزر البريطانية عازفاً على الأرغن ، أو محاضراً ليجمع من المال ما يعينه على العودة إلى جهاده فى الأدغال .

وكان يسافر فى الدرجة الثالثة ، ويقيم فى فنادق رخيصة ، ويدّخر كل درهم يستطيع ادخاره . فلما كانت سنة ١٩٢٤ كان معه من المال ما يكفيه ، ولكن هيلين كانت لا تزال من السقم بحيث لا تستطيع أن تسافر معه ، فاتفقا على أن تتبعه عندما تجد من نفسها القدرة على ذلك .

وفى هذه السنوات كان القيظ والأرَضَ قد التهما كل ما بناه شوايتزر فى لامبريفيه ، وكان عليه أن يبدأ من جديد . فاضطر أن يكون طبيباً فى الصباح وبنّاء فى المساء ، كما اضطر أن يروض نفسه على الوحدة وعلى هذا القيظ الخانق الذى يخطف البصر ، ولكن الزنوج الشاكرين عادوا فاجتمعوا يساعدونه على إعادة البناء كما كان .

وما أسرع ما استطاع شوايتزر أن يكتب لمؤيديه فى أوروبة أن عدد الوفيات فى الأدغال قد أخذ يقلّ ، ولم يمض إلا قليل حتى استطاع أن يخبرهم بأن الجذام قد خفت وطأته ، فلم يبق من مرضاه سوى خمسين ألفاً ، أى مريض واحد بين كل ستين من السكان ! وكانت صرخته الدائمة : « أرسلوا الدواء ، أرسلوا الطعام » .

وفى النهاية ، وبعد سنوات طويلة ، لحقت

هيلين بزوجها ، وبسمت لهما الآمال فأصبح لديهما مستشفى به ٣٠٠ سرير ومستوصف وغرفة جراحة حديثة ، ومعمل ، وعنبر للمرضى ، وملجأ للأطفال .

وكان آخر ما دخل على مستشفاه من التحسين ، الكهرباء (التى وصل الطبيب أسلاكها بيده) وعنابر جديدة للمجانين . لقد كان أولئك المجانين المنكودون يغرقون فى النهر بأمر السحرة ، فبدأ شوايتزر يعالجهم مستعيناً بمبادىء الطب النفسانى ، فأصاب بعضهم الشفاء بهذا العلاج .

ثم عادت الحرب فنشبت مرة ثانية فى أوروبة، فنشأت مشكلة معقدة ، فاستشار الدكتور شوايتزر زوجته فكان جوابها حاضراً كعادتها :

« ينبغى أن لا نفر ، فإن الزنوج المرضى المساكين يعتمدون علينا ، فبقاؤنا واجب » .

ولكن لم يزعجهما أحد فى هذه المرة .

وتدل الرسائل الواردة منهما اليوم على مقدار ما أصابهما من جهد وتعب. فالأوربى إذا أراد أن يحتمل هذه النار الموقدة فى المناطق الاستوائية ، كان لا بد له من أن يعود إلى وطنه مرة كل سنتين ، ومع ذلك فإن شوايتزر لم يفارق مستشفاه منذ سنة ١٩٣٩ . وقد كتب فى ديسمبر من السنة الماضية يقول : إنه محال أن يترك مكانه الآن فأمامه عمل كثير يعمله ، قال : « كان ينبغى أن أكون فى الثلاثين من عمرى لا فى السبعين ، ولكن لا يزال فى بدنى بحمد الله شىء من قوة » .

ويحاول أصدقاء شوايتزر أن يغروه بالرحيل عن إفريقية حيناً من الزمن ليستجم قليلا ، ولكنه يتردد . وفى السنوات الست الماضية وجد من فسحة الوقت ما أعانه على تأليف مجلدين ضخمين فى الفلسفة وفى نيته أن يتم الثالث .

ترى ما فلسفة هذا الرجل ؟ إنه على الرغم من غزارة علمه يؤمن بأبسط الأشياء .

وقد كتب يقول : « إن للشخصية البشرية حرمة ينبغى أن ترعى ، مهما يكن الجنس أو اللون أو المنزلة فى الحياة . فإذا أهملنا هذا المثل الأعلى تقوضت حياة الإنسان المفكر ، وذهبت ريح الثقافة ، وتمزقت الإنسانية شر ممزق » .



إذا أحسست يوماً أن كبر السن يغل يدك عن فعل شىء ما ، فافعله لساعتك . [مرجريت ديلاند]

لواذع هوليـــوود

فى أثناء حملة لبيع سندات الحرب وقف الممثل لون شانى نجل لون شانى الشهير فى حفل كبير ، وأخرج من جيبه رزمة من الورق وقال : « فى يدى خطبة طويلة أرادتنى وزارة المالية على أن أقرأها لكم . أفتريدون أن تسمعوها ؟ »

فصاح الجمهور : لا .

فقال لون شانى : « إذن — خير لكم أن تشتروا كل ما تستطيعون من السندات . فإن لم تفعلوا عدت إليكم وتلوتها عليكم » .

قال كاس ديلى : « أعلم أن الزواج أخذ وإعطاء ، أى مبادلة بين الزوجين ، ولكننى لم أعثر بعد على أحد يقبل أن يأخذ منى ما عندى » .

يقول فرد ألن المذيع الهزلى : « إن أصحاب شركة هيرشى للشوكولاتة يبذلون غاية جهدهم حتى أظل ممثلا سينمائياً ، وذلك لأننى حين أمثل فى فلم ، يزداد عدد الذين يبرحون دار العرض ، وينتظرون فى البهو حتى ينتهى ، فيزداد ما يشترونه من الشوكولاته خلال ذلك » .

سئل المخرج هارى رابف عن فلم جديد فقال معرّضاً : « إنه لفلم عظيم ، إذا كنت ممن يحبون الأفلام السخيفة » .

دخل المخرج بل توماس أحد ملاهى الليل فوجده غاصاً بالناس ، فحاول أن يدس ورقة بعشرين ريالا فى يد رئيس النُّدُل حتى يجد له مائدة يجلس إليها .

فقال رئيس الندل بلهجة الوقار : « احتفظ بها يا سيدى ، فإن أخذتها منك تعقدت مشكلاتى حيال مصلحة الضرائب » .

روى آرثر مرى خبر مناقشة حادة دارت بين نجمين متزوجين من نجوم السنما . قال : « لقد قال الزوج لزوجته بعد تفكر : إنى تدبرت الأمر فرأيت أن أوافقك على رأيك » . فردّت عليه زوجته : « ذلك لا يجدى عليك لأننى غيرت رأيي ! »

مشت الممثلة هيلين ووكر إلى خشبة المسرح فى قميص رقيق يكاد يشف عما تحته لكى تمثل مشهداً من مشاهد فلم « كلونى براون » مع شارل بواييه . ودور بواييه فى هذا المشهد دور رجل يرعاها ، لا دور رجل يهيم بها حباً ، فلما رآها فى ذلك القميص قال : « لقد بدأت أرتاب فى حقيقة الشعور الذى يفرضه علىّ دورى فى هذا الفلم » .

حول الرياضة البدنية

ترى ماذا يكون لو جمعت طائفة من الأصدقاء وطرحت عليهم موضوعاً للبحث ، ثم سجلت آراءهم التي تأتى على البديهة ؟ وقد دعت « ريدرز دايجست » خمسة من المشهورين لكى يتسامروا فى موضوع الرياضة البدنية ، فجلسوا يتجاذبون أطراف الحديث ، وإليك مختصر ما قالوه منقولا عن شريط مسجل .

وهذه أسماء الذين اشتركوا فى هذه التجربة الطريفة :

كورنيليا أوتيس سكنر : ممثلة ومؤلفة .

جين تنى : بطل الملاكمة العالمى السابق فى الوزن الثقيل .

ستيوارت كلويت : روائى ومؤرخ .

آندرو سولتر : عالم سيكولوجى مشهور .

هنرى مورتون روبنسن : محرر جوال فى ريدرز دايجست .

روبنسن : أصدقائى فيما أرى طائفتان : أما الأولى فقوم يستعينون بذكائهم ومواهبهم على الرزق ، وأما الثانية فقوم يمارسون الألعاب الرياضية . ورأيى فى الرياضة يمكن تلخيصه فى كلمة فيلسوف صينى قالها لإنجليزيين رآهما يلعبان التنس فى يوم قائظ : « إنى أعلم أنكما لستما من كبار الموسرين ، ولكن أصدقانى القول ، أليس فى وسعكما أن تستأجرا غلامين يتوليان عنكما هذا العمل الثقيل ؟ » .

كلويت : هؤلاء الشرقيون يعرفون قيمة النشاط معرفة صادقة ، فإذا أنت بددته فى لعب التنس عجزت عن الاستمتاع به وأنت تكتب . أما أنا فكلما اشتد تعبي جادت كتابتى . ففى الأسبوعين الماضيين كتبت شيئاً كثيراً ، ولكن الرياضة الوحيدة التى مارستها كانت هى صب القهوة لنفسى بيد ترتعش .

سكنر : وأما أنا فرأيى فى الرياضة العنيفة شبيه برأى أوسكار وايلد . فقد سئل :

« أمغرم أنت بالرياضة فى الخلاء ؟ » فقال : « نعم ، أحب لعب النرد فى مقهى على قارعة الطريق » .

سولتر : لو سمعه مارك توين لكان خليقاً أن يعجب به . فقد كان توين يزعم ، كما تعلمون ، أن رياضته الوحيدة هى تشييع جنازة أصدقائه الذين يمارسون الرياضة بانتظام .

تنى : كان مما يحمل بمارك توين أن يتريث حتى يشيع جنازة برنارد شو . فقد أشرف شو اليوم على التسعين ، ولكنه لم ين يوماً ما عن الرياضة طول حياته . وكثيراً ما مشينا معاً عشرة أميال أو اثنى عشر ميلا ، وما فتىء حتى اليوم قوياً لا يدركه التعب فى آخر الشوط .

سكنر : ولكن الشمس تلفح جلدى فيبدو كأنه سَرْج قديم . وما عرفت امرأة قط تمارس الرياضة إلا ورأيت وجهها أعجفَ كالحاً . وأراهنكم على أن مارى أنطوانيت أو غيرها من فواتن التاريخ ، كانت تأبى أن تتريض — إلا فى خِدْرها طبعاً .

سولتر : أما وقد ذكرتم ضوء الشمس ، أفلا تعلمون أن المادة الحمراء فى الدم ، والمادة الخضراء فى الزهر ، متشابهتان فى تركيبهما الكيميائى ؟ .

روبنسن : إذن فأنت تنصحنى بأن أعرض بدنى الأبيض الغضّ كالزهر لضوء الشمس ؟

سولتر : نعم ، وإن شئت فانظر إلى هذا الزنبق يغمره ضوء الشمس ، فماذا ضرّه ؟

تنى : على رِسْلكم ، فقد جرتم على الرياضة ، فدعونا نطلق عليها اسماً آخر ، ولنسمها « العافية » . ولنقارن بين جسم معافىً وآخر معتلٍّ . من ذا الذى ينكر مزية الجسم المعافى ؟ إن دورة دمه أصحّ ، وعمل قلبه ورئتيه أحسن ، وقدرته على مقاومة المرض أعظم ، وعضلاته أقوى .

روبنسن : من أغرب الأمور عن العضلات أنها لا تكاد تذكر حتى يذكر الناس عضلة الساعد . وإنى أتحدى من شاء أن يذكر أسماء ثلاث عضلات سوى عضلة الساعد .

سولتر : (مسرعاً) عضلة العضد ، رمانة الكتف ، العضلة المربعة المنحرفة بين العنق والذراع وجانب الظهر . ولا تنسوا القلب فإنه أهم عضلة فى الجسم .

سكنر : وأيضاً الحجاب الحاجز — فهو عضلة خطيرة الشأن ، ولها أثر عظيم فى حياة الممثلين والخطباء .

روبنسن : ليتك تزيدنى علماً يا جين بما أشرت إليه من حالة الجسم المعافى ، ولا تقصر كلامك على أثرها فى بطل ملاكمة من أبطال الوزن الثقيل ، بل اجعله على أثرها فى رجل من أوساط الناس .

تنى : دعنى أفرغه فى العبارة التاليـــة : تجدى الرياضة جدواها إذا كانت من النوع الموافق وبالقدر المطـلوب . فإذا قلت عن القدر المطلوب ، عجزت عن إمداد الجسم بذخيرة من القوة اللازمة للنهوض بالعمل نهوضاً وافيـاً ، ولمقاومة الكلال . وإذا زادت عن القدر المطلوب ، أحدثت توتراً فى الأعصاب ، وألماً وخمولا فى العضلات. فالرياضة المتزنة هى سبيل المرء إلى العافية ، والقلب لا يؤدى عمله على خير وجه ، ولا يسرع إلى الاستجمام من تعب ، إلا إذا كان الجسد معافىً . وأنت تعلم أن القلب يدفع ٤٣٥٠ لتراً من الدم كلّ يوم تقريباً . وقد أصاب المستر سـولتر كبد الحقيقـة حين قال : إن القلب أهم عضلة فى الجسم ، إنه يمثل الحركة الدائمة التى لا تنقطع .

سكنر : لعلك تعنى العاطفة المشبوبة .

روبنسن : يوم كتبت يا جين مقالتك المشهورة عن الرياضـة لريدرز دايجست ، تلقينا رسائل من أطباء ومدربين رياضيين يقولون فيهـا إن الرئتين تمدّان الجسم فى أثناء عمـله كل يوم بكل ما يلزمه من الأكسجين لتنقية الدم ، فلا حاجة بنا إلى زيادة مانستنشقه من الأكسجين وإلى رفع معدل هذه التنقية .

تنى : إذا صح ذلك وتيسر لنا ما يلزمنا من الأكسجين ، فلم ينبغى لنا أن ننتجع الريف أو شاطىء البحر ؟ ولم لا نقيم فى المـدن حيث تكثر أبخرة أول أكسـيد الكربون ؟

روبنسن : إن كلويت لا يفارق المدينة أبداً ، فالأكسجين يؤذيه !

تنى : ولكنه يبدو سقيما .

سولتر : لقد أصاب تنى — أعنى أصاب فيما قاله عن عادة التنفس العميق ، لا فيما قاله عن سقم كاويت ، فالتنفس العميق يزيد حتما مقـدار الأكسجين فى الدم . والمشكلة الجوهرية فى الرياضة هى أن معظم النـاس الذين يقبلون عليها ، يحاولون أن يقوّموا فى أبدانهم ما لا سبيل إلى تقويمه . فتركيب بدنهم لا يمكنهم من أن يجنوا من الرياضة ما يريدون . فتحريك اهتمامهم بالرياضـة يفضى بهم إلى شعورهم بالضعف والنقص . وأرى أن مبالغة المدارس فى عنايتها بالرياضة تثير هذا الشعور فى كثير من الأطفال .

سكنر : أما وقد كنت لاعبة فى فريق كرة السلة ، فإنى أعرف هذا حق المعرفة .

روبنسن : تدل سجلاتنا العسكرية على أن المجندين الأمريكيين ، لم يكونوا على حظ عظيم من العافية وسلامة البدن .

تنى : لقد رُدّ ثلثهم لأسباب طبية — ضعف القلب ، أو ضعف البدن ، أو ضعف العقل .

كلويت : وما قولكم فى الحركة النازية التى عنوانها : « القوة عن طريق البهجة » فقد كانت مثلا طيباً على صحة أمة وقوتها .

سولتر : ولكنهم خسروا الحرب ، أليس كذلك ؟

سكنر : حين ذكرت برنارد شو ، يا تنى تذكرت والدى أوتيس سكنر ، فقد توفى فى الخامسة والثمانين ، ولكن بنيته كانت بنية رجل فى الستين ، ولم يمارس فى حياته رياضة ما على نحو منظم ، ولكنه كان يمشى مسافات طويلة ، إلا أنه كان صخّاباً شديد الحماسة ، فأتاح ذلك تمريناً عظيما لحجابه الحاجز ، وأظنه كان مثالا كاملا للقوة المركبة فى الجسم .

روبنسن : لعل غدّته النخامية كانت قوية ، فهى رأس الغدد التى تسيطر على ضروب النشاط فى البدن . فإذا كنتِ ممن أنعم الله عليهم بغدة نخامية قوية ، بلغتِ الخامسة والثمانين وأنتِ موفورة القوة والعافية . أما إذا كانت غدتك ضعيفة ، هلكتِ فى الستين .

كلويت : وهى تلعب الجولف !

روبنسن : أتوافقين يا مس سكنر ، الكاتبة دوروثى باركر حيث تقول : إن الألعاب الرياضية تستنفد خير دم القلب ؟

سكنر : يشقّ علىّ أن أجيب دون أن أصور لكم خلق تصويراً غير صادق . ولست أدرى كيف أعرب عما أريد ، فقد قال أحدهم إن اللاتينيين عشاق ضعاف القلوب ، وأظن — وكلامى نظرىّ محض — أن أكثر الرياضيين كذلك . ويسرنى أن يبين لى مستر تنى أنى مخطئة (ضحك) .

تنى : إذا كان لى أن أجيب عن اتهام مس سكنر للرياضيين ، فكل ما أقوله هو أنها لم تسمع — على ما يلوح لى — باسم « هارى جريب » ، فقد كان ملاكما عظيما وعاشقاً عظيما أيضاً . فثلاث من الغوانى كن ينتظرنه دائماً عقب كل حفلة .

كلويت : لو لم يفرط الناس فى الأكل لما اشتدت حاجتهم إلى الرياضة .

روبنسن : قال لى طبيب ذات مرة ، إن خير رياضة للنجاة من البدانة ، هى أن تضع يديك على حافة المائدة وتدفع كرسيك إلى الوراء، وتقوم عن طعامك قبل أن تشبع .

سكنر : ليس ذلك رياضة ، إنمـا هو خلق متين .

روبنسن : ما رأيك يا جين فيما أسـند إلى هتشنز رئيس جامعة شيكاغو من قوله : « حين أحس بميـل إلى الرياضة ، أستلقى على الفراش حتى يذهب عنى ذلك الإحساس » .

تنى : إن هتشنز يعبر عن رأى ٢٥ إلى ٥٠ فى المئة من الكبار الذين يمنعهم الكسل عن الرياضة .

سكنر : كثيرون ينزعون إلى الرياضة ، لأنهم يظنون أنها تنفعهم ، وطلب النفع هو أضعف البواعث على عمل ما . وأنا لا أصاب بعسر الهضم إلا حين آكل ما يسـمونه « الأطعمة الصحية » من أجل أنها تنفعنى . وأنا أمشى لأنى أحب المشى لا لأنه يفيدنى ، وإن كنت أتمنى فى سرى أن يفضى المشى إلى تخفيف لحم أردافى .

روبنسن : هذا غرض محمود فى ذاته .

سكنر : شكراً يا مستر روبنسن .

كلويت : ترى هل أثبت أحد من الناس أن هناك صلة بين الرياضة وطول العمر ؟

سولتر : لقد حاول ذلك عشاق الرياضة والمدمنون عليها ، ولكن الناقد المسرحى نيثن ينكر عليهم مزاعمهم ويقول : « انظر إلى الحيوان ، فأكثره لا يمارس رياضة ما ، وأما النوع الذى يمارسها فأقصر الحيوان عمراً . فهذه السلحفاة ، أبلد حيوان على سطح الأرض ، وهى أطول الحيوان عمراً — تعمر من ٢٠٠ سنة إلى ٣٠٠ سنة ، والفيل الكسول يعمر من ١٥٠ سنة إلى ٢٠٠ ، أما الإوَزّ العراقىّ الذى يتهادى تهـادى المترفين فيعمّـر إلى المئة ، وأما الكلب الذى لا ينى عن الرياضة فيموت فى الخامسة عشرة ، والأرنب البرية تموت فى الثامنة .

تنى : ولكن ذلك لا ينطبق على الناس ، فقـد أسفر بحث خمس آلاف من الذين اشتهروا بالرياضة أيام طلب العلم فى الجامعات أنهم كانوا أطول أعماراً وأصح أبداناً من زملائهم الذين لم يمارسوا لعبـة رياضية ما ، وأما الذين تفوقوا فى أكثر من لعبة واحدة فكانوا أصحهم بدناً وأطولهم عمراً ، فلنقلع عن المغالطة . وكلنـا يعلم أن الخصر الرقيق أدل على الصـحة من الكرش الكبيرة ، وكلنا يعلم أن القد المشوق السـوىّ خير

من الأكتاف المقوّسة والظهر المنحنى، وأنه خير للمرء أن يجيد هضم طعامه من أن يستعين على الهضم بحبوب ، وأن النوم ملء الجفون خير من الأرق ، وهى جميعاً غايات تفضى إليها الرياضة المتزنة .

روبنسن : وهل لك يا تنى أن تقول لنا أية رياضة تؤثرها على جميع ضروب الرياضة؟

تنى : المشى مسافات طويلة . وإنى أنصح بأن يكون المشى فى أرض غير مستوية . صعّدوا فى الآكام واهبطوا فى الأودية ، وامشو فوق الصخور واعبروا الوهاد ، لأن ذلك يمرّن العضلات التى لا تنتفعون بها حين تمشون فى الأديم المنبسط .

كلويت : وكيف تجنى من الرياضة أكبر نفع فى أقصر زمن ؟

تنى : العب تنس، أو اعمد إلى السباحة .

الجميع (فى صوت واحد مرح) : نعم السباحة .

روبنسن : يلوح لى أن سولتر يتحرق شوقاً إلى الفراغ من المناقشة .

سولتر : وخلاصة القول هو ما أثبته ريموند برل الأستاذ فى جامعة جونز هبكنز، من أن لطول عمرك وسلامة بدنك ، أوثق صلة بعمر أسلافك وصحتهم .

تنى : ثم إياكم والتدخين !

روبنسن : الأمر أكبر من هذا . فكل ضروب الرياضة والغذاء وصحة الأسلاف لا تجدى عليك ذلك الاتزان النفسى المقترن بالبشاشة ، فهو خير درع توقيك عوادى الأمراض والأسقام .



مهمة فادحة !

كتب الأستاذ ولتر بتكين ذيلا لكتاب « أثر السلم والحرب » فجاءت فيه العبارة التالية : « بينما كان مؤلفو هذا الكتاب يصححون تجاربه فى مارس ١٩٤٥ عين الجنرال ديجول لجنة مؤلفة من ثمانية أعضاء ليضيفوا اثنى عشر مليون طفل إلى سكان فرنسا فى السنوات العشر التالية » .

انتفع بتجاربي

لا تتردد

ستيفان زفايج

كان بين الطلاب في جامعتنا بفينا شاب وسيم في السادسة عشرة ، ذكي مجتهد طموح دمث الأخلاق ، فكان أرجى الطلاب جميعاً لمستقبل باهر . فأطلقنا عليه اسم «مترنيخ» السياسي النمسوي العظيم ، لاقتناعنا بأن أمام هذا الفتى حياة حافلة بالجد . وما كان يسوءنا منه سوى أناقته ، فقد كان يدخل الجامعة دائماً في حلة حسنة الكي وربطة متقنة العقدة . وإذا كان الجو ماطراً جاء به سوّاق أبيه في سيارة فخمة . ومع ذلك كان فتى رضى الخلق لا كبر فيه ولا غطرسة ، فأحببناه جميعاً .

وذات صباح ظل مقعده في الفصل خالياً ، فلما آن وقت الغداء عرفنا السر . ففي الليلة السابقة ألقي القبض على والده ، فقد كان مدير عمل مالي كبير قام على الاحتيال ، فانفضح أمره وخسر ألوف من الناس ما ثمروه فيه من مال قليل ادّخروه . ونشرت الصحف أخبار الفضيحة بحروف ضخمة ، وصور المجرم وصور أسرته أيضاً .

فأدركنا لمَ امتنع صديقنا المسكين عن الحضور إلى الجامعة ، فقد منعه الخزى .

وظلت الصحف أسبوعين كاملين تنشر تفصيل احتيال أبيه ، وظلّ مقعد مترنيخ خالياً .

وفي صباح يوم من الأسبوع الثالث تسلل مترنيخ إلى الحجرة واتخذ مقعده وفتح كتابه ، وظل ساعتين مُشيحاً بوجهه عن بقية أصحابه .

فلما دق جرس الاستراحة القصيرة ، خرجنا كدأبنا إلى الرواق ، ومضى مترنيخ إلى آخره ووقف وحده وقد ولى الطلاب ظهره ، وجعل ينظر من النافذة كأن في الشارع شيئاً يستأثر بعنايته . وقد فهمنا أن الفتى المسكين إنما فعل ذلك ليجتنب وقوع عينيه في عيوننا ، وأنه يحس وهو واقف هناك بوحشة عظيمة .

وما كدنا ندرك الألم الذي يقطع نياط قلبه من جراء عزلة فرضها على نفسه ، حتى خمدت سوْرة ثرثرتنا وضحكنا . فمن الواضح أنه كان ينتظر يداً تمدُّ إليه بالصداقة والود . ولكننا ترددنا لأننا لم نعرف كيف نفعل ذلك دون أن نذلّ عزة نفسه . ولم يجرؤ أحدنا على أن يخطو الخطوة الأولى .

وبعد دقائق كانت كأنها دهر طويل ، دعانا الجرس إلى العودة إلى الفصل ، وإذا « مترنيخ » ينقلب عائداً إلى مكانه دون أن يرمقنا بنظرة . كان الدم قد ذهب من شفتيه المزمومتين حين جلس في مقعده

وفتح كتابه وهو يرتجف . وقد ترك الفصل فجأة بعد فترة الصباح ، فلم يره أحد منا ، ولا أتيح لأحدٍ أن يحدثه .

وشعرنا بقبح ما ارتكبنا ، فجعلنا نتدبر كيف نستطيع أن نصلح ما فسد ، ولكن الفرصة كانت قد سنحت لنا فلم نغتنمها . ففى الصباح التالى كان مقعده خالياً ، فسألنا عنه فى داره فعلمنا أنه حين عاد من المدرسة أمس، قال فجأة لأمه إنه قد عزم أن لا يمضى فى دراسته . وقد غادر فينا من فوره ليعمل فى مستوصف فى بلدة صغيرة . ولم نره بعد ذلك .

ولو استطاع أن يتم دراسته لكان خليقاً أن يتفوق علينا جميعاً فى ميدان الحياة . وليس ثمة ريب فى أن ترددنا فى مواساته ومجاملته ، كان له أثر عظيم فى انهيار حياته . ولو قلنا كلمة واحدة ، أو لو كنا مددنا إليه سبباً من المودة ، لكان ذلك خليقاً أن يقوى عزمه على احتمال ما أصابه .

لم يكن يعوزنا الإدراك أو الاهتمام أو حسن النية يوم تخلينا عنه فى الساعة الحرجة ، بل كانت تعوزنا الشجاعة . وإذا أعوزتك الشجاعة سُلبت القدرة على أن تقول الكلمة المجدية حين تكون الحاجة إليها أعظم ما تكون . وأنا أدرك أنه يشق على المرء أن يدنو من امرىء تتقطع نفسه حسرات من خيبة أصابته ، أو خزى أذلّ نفسه ، ولكننى تعلمت من هذه التجربة الأولى أنه لا ينبغى للمرء أن يتردد فى أن يطيع الهاتف الأول الذى يهتف به ، لأن الكلمة أو العمل الذى يدل على العطف إنما ينفع أصدق نفع فى ساعة العُسْرة والضيق .

وما فتئت منذ ذلك اليوم أذكر « مترنيخ » كلما لقيت امرءاً يستبد به شعور الخزى أو اليأس ، فأتمثله واقفاً أمام النافذة يتوق إلى إشارة من أصحابه تنطق بالود ، ولكنه ينتظر بغير جدوى ، فيعيننى ذلك على أن أغلب التردد الذى يخامرنى ، فأتقدم بما فى طاقتى من عطف ومواساة قبل أن تفلت الفرصة وتفوت .



● من سمات الرجل المهذب قدرته على أن يتعظ بتجارب غيره لا بتجاربه هو وحده .
[ستيفان زفايج]

جريمة كادت تكون تامة الإحكام ، لولا ...

شيء لم يكن في الحسبان

صموئيل هوبكنز أدمز

مختصرة من مجلة "ليبرتي"

وضع باسيل أمامه نص الخطة مكتوباً بخطه الدقيق المحكم . وقد تعود في أثناء دراسته العلمية أن يرسم الرسوم لكي يكون على بينة ويتجنب الخطأ . وكان على ثقة بأن رجال الشرطة سيواجهون الأمور التالية في غد :

حقائق ثابتة : في الساعة ٩ من صباح الأحد وُجد الأستاذ أدريان جول ، العالم الكيميائي ميتاً في معمله الخاص الملحق ببيته في تنلي بولاية نيوجرسي . سبب الموت ، الاختناق بالكلوروفورم . زمن الهجوم عليه ، الساعة ٦ر٤٩ كما تدل ساعته التي انكسرت حين وقع . عبثت يد بخزانة أوراقه ، ولكن لم يفقد شيء منها . أما سيارته المحفوظة في حظيرتها تحت المعمل فقد اختفت . وقد كان جول يعمل في معمله طوال الليل أيام السبت ، وكان يحظر على أيّ كان أن يقطع عليه عمله . وقد وجد الجثة خادمه الذي ذهب يدعوه إلى الفطور .

عواقب محتملة : قد توجد السيارة المفقودة فارغة فيما بعد في قعر نهر الهدسون قرب مصنع مهجور في ضاحية ينكرز ، ويكون الماء الجاري قد أزال كل أثر يدل على مرتكب الجريمة .

ولعلّ باسيل حدَّث نفسهُ فقال : قد يكون من دواعي المتعة الذهنية في المستقبل أن تقارن الخطة خطوة خطوة ، بما تم فعلا . وقد يكون احتمال إخفاقها واحداً في مليون ، ولكنه كفيل بأن يتغلب عليه ، فقد كان باسيل موقناً بأنه رجل قادر لا مثيل له في كل مليون من الناس

ومع ذلك فقد طرده جول الشيخ بعد سنوات قضاها في خدمته . ترى ماذا يفعل لو وجدت بعض صيغ جول الكيميائية في أوراقه ؟ ليس في وسع رجال الشرطة والنيابة أن يقيموا الدليل على تهمة توجه إليه .

ففي هذه الأوراق التي «استعارها» من العالم الشيخ كنز مدفون ، وهي تحتوى على كل ما يريد — تقريباً . أما الحلقة المفقودة فلا يمكن أن تكون إلا في معمل الشيخ الخاص . ومتى ظفر بالصيغة الكاملة

وبأساوب العمل ، استطاع أن يبيعهما لأية شركة من شركات المطاط بمال وفير . وقد عقد باسيل عزمه على أن يظفر بهذا المال .

الساعة الخامسة من مساء السبت . لقد حان الوقت ليخطو خطوته الأولى .

ذهب إلى عيادة الطبيب دورمان التى تحت شقته ، ووصف له كيف أخذه الدوار وضيق النفس فجأة ، فشخص الطبيب حالته بعسر هضم سببه توتر الأعصاب ، ووصف له دواء .

فشكر الطبيب وقال : « خشيت أن تكون العلة فى قلبى » (وقال فى ذات نفسه : « التدبير رائع ») ثم اتخذ مقعداً فى مقدمة سيارة عامة ، فحين بلغ طرف جسر المدسون من ناحية نيوجرسى ، رأى العمال يمدون حبال المصابيح الملونة .

وسمع باسيل سائق السيارة يقول « الليلة » فرد عليه بائع التذاكر : « الليلة طبعاً » .

وخرج باسيل من السيارة فى نيويورك ، وركب قطاراً إلى باسايك . وكانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل حين وصل إلى مقر جول سائراً على قدميه . كان المعمل مضاء ، وكان باب حظيرة السيارة مفتوحاً . هذا من محاسن الاتفاق ، فليس عليه بعد ارتكاب الجريمة إلا أن يدفع السيارة دفعاً هيناً فلا يحدث صوتاً ، ثم ينحدر بها ولا يدير محركها إلا بعد أن يبعد عن كل أذن يخشى أن تسمعه .

فصعد السلم وقرع الباب وقال :

« أنا باسيل يا أستاذ » .

ففتح الشيخ الباب وقال : « ماجاء بك ؟ »

فقال باسيل : « أنا الآن بلا عمل ، أفلا تتيح لى فرصة أخرى ؟ »

فصاح به جول : « أفى مثل هذه الساعة ؟ أصبحت بخير » .

وولى الشيخ راجعاً إلى عمله ، فهوت الضربة عليه .

لبس باسيل قفازيه ، وغمس قطعة من القماش وعصب بها أنف الرجل المطروح وفمه . ثم أخذ يبحث متلهفاً عن صيغة التركيب حتى وجدها واستنسخها . ثم أخرج ساعة الشيخ الميت وضبطها على الساعة ٦ر٤٩ ثم حطم زجاجتها .

ثم أجال بصره فى المكان ، ثم أوصد بابه على الجريمة الغامضة التى أحكم تدبيرها .

ودرجت السيارة حين دفعها ، ثم عاج بها فى الطريق العام . كان قد قدر فى نفسه أن يبلغ بها الجسر ، فإذا عبره اتجه شمالا إلى نيويورك حتى يبلغ مصنعاً مهجوراً ، ثم يدع السيارة تنزلق حتى تغيب فى جوفه

النهر ، ثم يمم شطر بيته ، فإذا كانت الساعة السابعة استدعى الطبيب بالتلفون :

« قلبي يا دكتور . لقد ساءت الحالة . أرجوك أن تحضر من فورك » .

ثم قال لنفسه : الساعة السابعة . أنا فى بيتى وقد مضى على الجريمة ١١ دقيقة ، وبينى وبينها ٢٦ ميلا ، كما سيرى رجال الشرطة عند المعاينة . دليل نفى رائع !

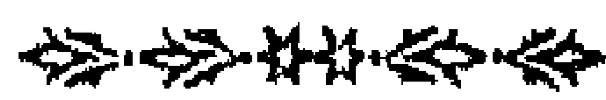
وتلألأت أمامه أنوار الجسر الساطعة ، ورأى أضواء مختلفة الألوان ترسل أشعتها على طائفة من الناس احتشدت عن مدخل الجسر ، تبين منهم حارس الجسر ، وجندياً وجماعة من أهل البلاد . فخفف من سرعته ومد يده ليدفع رسم العبور ، وإذا يد تأخذ يده وتهزها مسلمة ، وعلا الهتاف والتصفيق ، وسطعت بارقة من الصوء لتصويره كادت تعشى عينيه ، ثم أخرى ، ثم ثالثة .

« ما اسمك ؟ وما عنوانك ؟ » هكذا سأله رجل على ثغره ابتسامة ، كان هو الموظف الذى سجل رقم السيارة . « ما معنى هذا كله ؟ وماذا عكن أن يكون معناه ؟ » أو هذا الصوت الأجش الذى سمعه يسأل ، هو صوته هو ؟

وجاءته أصوات مهنئة من كل ناحية فيها جواب ما سأل عنه ، فزادت ذهنه المكدود اضطراباً . وجعل يردد : المليون؟ ما المليون ؟ وما شأنى أنا بهذا المليون ؟ فبين له الموظف جلية الأمر ، فتذكرة العبور التى أخذها هى التذكرة المليون ، وغداً يحتفل بتقديم الهدية إليه ، وهى ساعة من الذهب .

غداً ستظهر صورته فى جميع الصحف ، صورة القاتل فى سيارة القتيل ، والسيارة المليون ، واحتمال إخفاقه واحداً فى المليون !

وقد وجدت سيارة الأستاذ جول غارقة فى جوف نهر هدسون كما دبّر باسيل . ولم يدخل على الخطة سوى تعديل طفيف : هو أن باسيل نفسه كان فى جوفها .



سرعة خاطر

كتب ويلسون مزنر مرة رواية مسرحية ، وظفر فى إخراجها بمعونة من غنية عجوز ، وفى أثناء التجربة سألها دون أن يتروّى ، عن عمرها ، فجاءه الرد بارداً كالنصل اللامع : « ولماذا تريد أن تعلم ؟ » . فأدرك ويلسون على الفور هول ما فعل ، وأنجده خاطره السريع فقال : « يا سيدتى العزيزة ، إنما أردت أن أعرف العمر الذى تكون فيه المرأة فى أوج فتنتها » .

الحيوان أخو البشر...



إن لطائر البطريق أسلوباً فى الغزل لا يحيد عنه. فإذا أراد أن يتودّد إلى حبيبته ، اختار حصاة وتقدم إليها بزهو وحنان ووضعها تحت قدميها . فإذا التقطتها فقد رضيت به زوجاً لها ، فإذا لم تعبأ به تركت الحصاة ولم تمسها . وعندئذ يعود هو فيلتقطها وينصرف ويمضى بها إلى أخرى . وقد حدث ذات يوم فى المنطقة المتجمدة الجنوبية أن جاء بطريق عجوز إلى الدكتور روبرت مرفى أحد علماء متحف التاريخ الطبيعى فى أمريكا ، وألقى تحت أقدامه غطاء علبة من الصفيح ، فرفعها الدكتور وانحنى بخشوع للبطريق ، ثم افترقا على عهد من الصداقة والودّ .

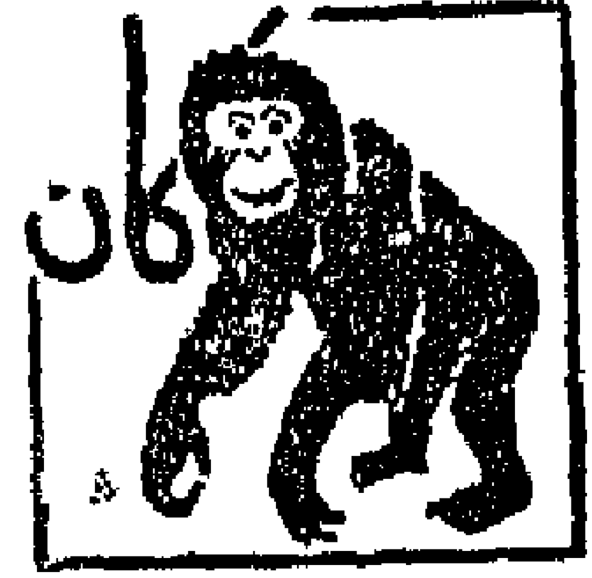
[روى تشابمان آندروز فى كتابه « هذا السيار العجيب »]



تبعت ذات صباح كلب صيد كان عندى فى مسيره فى مستنقع على ساحل البحر ، فرأيته يمرُق منطلقاً فى أثر راكون عجوز ، فدخل الراكون بركة صغيرة ، وسبح الكلب وراءه يطارده . فما كاد الراكون يبلغ منتصف البركة حتى اعترضتهُ خشبة يغمرها الماء ، فوقف عليها لحظة ، ثم تلفت تلفُّت الحذِر ، واستقبل الكلب بوجهه رابط الجأش . فلما دنا منه مطاردهُ ، مدّ الراكون يديه الدقيقتين السوداوين ، ووضعهما برفق على رأس الكلب ، ثم أغرق رأسه تحت الماء ، وظل ممسكا به وهو على هذه الحال .

فارتفعت قوائم الكلب الخلفية وذيله فوق الماء ، وجعل يتضرّب حتى تملص منه ونجا ، وعاد إلى الشاطىء زائغ البصر مبهور الأنفاس يكاد يختنق .

[أرشيبولد رتلدج فى كتابه « حياة الحيوان فى الجنوب »]



فى حديقة الحيوان بمدينة سانت لويس بَعَام صغير (شمبانزى) قد بدأت تسقط رواضعه (أسنان اللبن)، فتخلخل أحدها وآلمه ألماً شديداً وخاف البَعَام الصغير أن يختلعه. فأحاط به أترابه وهم يتوجعون لبلواه كما يتوجع الأطفال الصغار، وحاولت طائفة منهم أن تخلع له سنه، ولكنها عجزت عن أن تقبض عليها. وأخيراً جاء أحد مراقبى الحديقة بكلاّبة وقدمها لأحدهم. فلم يلبث بعد قليل من التجربة حتى عرف كيف يستعملها. وسواء أصدقت أم لم تصدق، فقد نجح الصغير فى خلع السن بها. فأقبلت جماعة البعام كلها على السن تفحصها، وكانت هذه السن فيما ترى جماعة البعام، هى التى جرّت على أخيهم آلامه، فصاحوا بها غضاباً وأخذوا يعضونها ويدوسونها بأقدامهم. ولقى المراقب عنتاً شديداً حتى استخلصها من بين أيديهم.

[حديقة الحيوان فى سانت لويس]



إحدى دور الصنعة بالهند أنثى فيل كانت تجرّ جذعاً عظيما من الخشب، وإلى جوارها صغيرها يماشيها. وكان الجذع مشدوداً إلى خطافين معلقين بسلسلتين مربوطتين فى طوق على عنق أنثى الفيل. فلما بلغت منحدراً جعلت تصعد فيه جامعة كل قواها لتجر الجذع، وإذا صغيرها يفك أحد الخطافين، فانكبت أمه على وجهها، ففرّ مذعوراً إلى غابة قريبة بأسرع ما يستطيع. فلما استجمعت الأم شتات نفسها انطلقت وراءه شائلة بخرطومها فلحقته. ولم يلبث رجال دار الصنعة أن سمعوا عويل الصغير وقد أهوت عليه الأم بخرطومها تضربه مرة بعد مرة، وأخيراً عاد وهو يمشى وراءها ذليلا منكسراً ممسكا ذيلها بخرطومه. [صمويل دربيه فى « ذى أمريكان مجازين »]

مغامرات مسلية
لمعلن أمريكي في الصين

أربعمئة مليون زبون

كارل كرو

ذهب كارل كرو إلى الصين منذ ربع قرن مراسلا للصحافة المتحدة ، وبقي هناك ليدير وكالة إعلانات خاصة به . وقد شاهد الطبيعة البشرية الشرقية فى صور كثيرة ممتعة ، من الفتيات الحديثات العهد بالظهور فى المجتمع إلى كناسى الشوارع ، بل لقد عرف ما يمنع الصينيين أدبُهم أن يقولوه عن خصائص الأخلاق الغربية .

وهذا الكتاب « أربعمئة مليون زبون » درس ممتع للطبيعة البشرية ، قالت عنه التيمس اللندنية : « كتاب فذ ، لأن كثيرا مما فيه حصيف عملي ، وكثيراً منه فكاهة رائقة . والقارىء الذى يبغى الاستنارة والمتعة ، يخسر إذا أهمله » .

آنسة الصين تكشف ساقها

لما قضى تطور الأزياء النسوية بعد الحرب ، برفع كفة الثياب ، برزت نساء المستعمرة الأوربية فى شنجهاى فى مجاول لا تتجاوز الركبة . وأتيح للفتيات الصينيات أول فرصة لرؤية هؤلاء النسوة الأجنبيات وكيف يبدون من الركبة فنازلا ، وشاهدن سيقان الفرنسيات الحسنة ، وسيقان الإنجليزيات والأمريكيات ، وهى على العموم أقل فتنة ، وسيقان الألمانيات والإسكندناويات الغليظة ، وسيقان اليابانيات الدميمة الفظيعة ، وأدركن فجأة أن سيقانهن الجميلة جداً قد طال إهمالها .

وكانت شركتى التى أنشأتها فى شنجهاى للإعلان ، تحث فى ذلك الوقت على اقتناء نوع إنجليزى جيد من الدبلان ، فخطر لنا أن الفتيات الصينيات قد يقصرن ثيابهن فيقل ما يشترين من الدبلان تبعاً لذلك . ولم يسرنا هذا الخاطر ، غير أنه حدث لحسن حظنا أن مبتكرى الأزياء فى شنجهاى اهتدوا إلى حل وسط ، فاحتفظوا بالمجاول الطويلة المحبوكة المألوفة ، ولكنهم شقوا الجانب الأيسر إلى ما فوق الركبة ، فصارت الخطوة بعد الخطوة تبدى حسن الساق ، وقد أقام الآباء والأزواج الغيورون القيامة على هذا الزىّ الفاضح ، ولكن الفتيات بلغ من رضاهن عنه أنهن فى الموسم التالى شققن المجاول من الجانبين ، وظل هذا هو الطراز المألوف منذ ذلك الحين .

وبادرنا لمصلحة زبوننا الإنجليزى إلى نشر أول كتاب للأزياء رأته الصين ، وأظهرنا مبلغ فتنة هذا الطراز الذى ابتدعته شنجهاى للثياب المتخذة من الدبلان ، ونجح الكتاب أيما نجاح ، وطبعنا منه عدة طبعات سنوية ، لا لمدن الصين وحدها بل للجاليات الصينية أيضاً فى جاوة وسيام . وحرصنا دائماً على تصوير المجول المشقوق ، وإنى لفخور بأننا بهذه الوسيلة أدينا واجبنا فى إظهار أجمل ساق فى العالم .

وكانت شركتى أيضاً أول شركة أعلنت عن أحمر الشفاه والقشور (دهان يصفو به الوجه) فى الصحف الصينية قبل نحو خمسة عشر عاماً . وسرعان ما تبينا أن المتزوجات لا الفتيات خير زبائن الأدهان . وقد تبينت الزوجات الصينيات منذ عدة قرون أنهن إذا تزين وتجملن ، فإن أزواجهن لا يأبون أن يجيئوا بالخدم لأعمال الطهى والتنظيف . وكانت نتيجة ذلك أن صارت كل امرأة ،

غنية أو فقيرة ، لها أدوات زينتها ، حتى العامل الذى يجر « الركشا » ترى لزوجته العنوان شيئاً من القشور والأحمر . وتنفق الصينيات على الأدهان وما إليها من دخل الأسرة أكثر مما تنفقه أى جماعة أخرى. ومما يزيد فى غرابة هذا الأمر ، هذا الفقر المدقع الذى تتمرغ فى حمأته الجماهير ، وهذا الجهاد الدائم فى سبيل العيش بأضأل الموارد .

كل شىء له فائدة

وفى كل مدينة فى الصين ، يجد المرء أصغر دكان للتجزئة على وجه الأرض ، وأقلها بضاعة . والبضاعة تعرض عادة على حصير مربع من أعواد الخيزران ، ويخيل إليك أنها أقل ما يمكن تصوره نفعاً ، فمن مسامير ملتوية إلى نزال صدىء ، ومن أزرار غير صالحة ، إلى أطباق مكسورة . فكأنها « دكان لعب » للأطفال ، سوى أن اللاعبين هنا شيوخ هرمون .

وفى كل صباح جميل يدلف هؤلاء التجار العتيقون إلى أركانهم المألوفة ، ويجلسون فى الشمس طول النهار يرقبون الجماهير ، ويثرثرون مع منافسيهم من التجار . ويتفق مرة بعد فترة طويلة أن يبيعوا شيئاً ، فقد يجد بعضهم أن به حاجة إلى إحدى هذه النفايات المعروضة ! فيتاح للشيخ التاجر أن يتحرك ويصنع شيئاً ، كما ترى فى بلاد أخرى من العالم شيوخاً يلعبون الجولف ، أو يذهبون إلى مكاتب لم تعد بها حاجة إليهم .

أما فى الدكاكين المنتظمة ، فإن الغلمان الذين يعملون فيها مساعدين قلما يتناولون أجوراً ثابتة ، ولكن هذا ليس معناه أنهم يعملون بغير أجر ، فإن العادات المقررة تقضى بأن كل ما يدخل فى الدكان غير البضاعة نفسها ، يعد رزقاً للمساعدين . وهذا يشمل الصناديق والبراميل والأقفاص ، وغيرها من مواد التعبئة ونماذج البضائع ، وكل ما هو مجعول للإعلان . وصناديق التعبئة هى أنفس الذخائر ، فتنزع المسامير بعناية ، وترتب الأجزاء وتباع وبها كان . كل هذا مستورداً ، فإن له ثمناً طيباً ، ويرى الصينى الذى يعيش فى الداخل أن من السخافة أن يكسر صندوق تعبئة ليوقد به ناراً ، كما أن الذين يعيشون فى أرض يكثر فيها الخشب يكون من السخافة أن يكسروا قطع الأثاث . وقد وجد كثيرون من رجال الصناعة الذين حاولوا أن يقتصدوا فى صناديق التعبئة ، أن هذه التجربة غالية ، فإنه إذا كان فى الدكان نوعان من السردين أحدهما فى علبة قيمتها ٧ قروش ، والآخر فى علبة قيمتها ٣ قروش ، فإنه لا خلاف على

أى النوعين يفوز بمجهود العمال جميعاً فى الدكان لبيعه .

والصينيون بفضل حصافتهم المستفادة من الحاجة إلى استنقاذ كل مليم ، لا يستطيعون أن يفهموا كيف يستغنى الإنسان عن أى شىء ولو كان نموذجاً للإعلان . وأتذكر حادثة محزنة ، خلاصتها أن أحد عملائنا ، وهو يصنع القشور والعطور الرخيصة ، استخدم فى شنجهاى الأساليب التى استخدمها لترويج بضاعته فى أمريكا . وكانت الطريقة أن يدعو كل قراء الإعلان إلى الحضور بالبطاقة المنزوعة من الإعلان ، فيعطى كل واحد نماذج صغيرة من القشور والعطر والصابون ومعجون الأسنان . وقد أصر على الرغم من نصحى له ، على الإعلان عن هذه الهدية ، غير أنى تعمدت أن أنشر الإعلان فى أقل الصحف المحلية انتشاراً . ومع ذلك ، وقبل أن يفتح عميلنا دكانه فى صباح اليوم التالى ، احتشد جمهور كبير ، وبعد ساعة سدّ الشارع ، ولم يستطع العمال أن يوزعوا النماذج بسرعة كافية ، فساد الهرج ، وقذف بعضهم زجاج نافذة بحجر ، ودعى الشرطة لإخلاء الشارع ، وأخيراً قدم مدير المحل إلى المحكمة فقضت عليه بغرامة لأنه عطل المرور .

ومن المستحيل أن يتصور المرء شيئاً ليست له فى الصين قيمة تجارية ، وأسخف ورقة حساب يمكن أن ينتفع بها على نحو لم يكن يخطر على البال ، واللف أكثر ما تستعمل له ، وقد تلصق بغيرها فتصبح فَرْشَةً للحذاء . وهنالك قصة قديمة فحواها أن هذا هو السبب فى سعة انتشار المطبوعات التى توزعها الجمعيات الدينيـة ! فإذا كانت النشرة مطبوعة على وجه واحد ، فإنها تكون صالحة للكتابة عليها ، أو يتخذ منها ظرف حسن . والعلامات المعدنية نفيسة جداً ، ولا سيما تلك المطلية بالميناء التى يستعملها المعلنون البريطانيون فى سيارات الركاب بلندن ، ويفرضون من أجل ذلك أنها صالحة للاستعمال فى أية ناحية أخرى من العالم . وهذه تصنع منها مواقد صغيرة جيدة ، وما زال دكان فى سوشو يبيع منذ سنين ، مواقد من هذا النوع مصنوعة من لوحات إعلانات الوسكى الأسكتلندى .

ومعظم الأجانب يرمون السيجارة وقد بقى منها نصف بوصة ، ولكن الصين لا تسمح بهذا التبذير ، فترى عيون الشيوخ على الفضلات المطروحة على الرصيف ، وفى أيديهم عصى فى طرفها سن يلتقطون به الأعقاب النفيسة ويضعونها فى علبة ، فإذا جاءت أيام المطر ، وتعطلت أعمال الاستنقاذ

هذه ، قطع الشيوخ الأطراف المحروقة من السجاير ، وأخرجوا الطباق (الدخان) من الورق الملفوف عليه ، وصنعوا بأيديهم لفافات لها سوق رائجة . وتعد هذه — إذا اعتبرنا الدخل الصافى — أربح تجارة للسجاير فى العالم ، ومن مزاياها أنها تنظف الشوارع لنا أيضاً .

وكل بيت أجنبى يزود خادمه بعدد وفير من المطروحات . وقلما تكون الثياب القديمة أقدم من أن تصلح للبيع ، فإذا كانت كذلك فإن الثوب تفتق شقاته التى يتألف منها ويعاد لفقه ليتخذ منه أى شىء ، من قميص إلى معطف . وقلوع كثير من السفن التى تعمل على نهر يانجتسى مصنوعة من غرارات الدقيق . ولبعض العلب قيمتها فى ذاتها ، وبعضها يذاب لحامه ، ويتخذ من جوانبه ألواح مستطيلة نافعة يمكن استعمالها لتسقيف البيت . وحتى قطع الزجاج المكسور لها قيمة ، فإن النجارين يستخدمون هذه القطع فى صقل الخشب .

وخادم بيتنا يفحص سلة المهملات كل يوم باحثاً عن صفحات قديمة رميتها فيه ، فإذا كنت قد كتبت على وجه واحد منها ، فإن الورق يباع للطلبة . والأرجح أن أعقاب أقلام الرصاص تلقى رواجاً فى هذه السوق نفسها . وتباع أوراق اللعب الملوثة للعمال الذين يجرون « الركشا » فيشطرونها شطرين ، لتكون لهم من كل رزمة رزمتان ، يتسع لها جيب السترة الصينية . ولعلك لاحظت أن كل ورقة من أوراق اللعب يمكن أن تقطع نصفين دون أن تفقد شيئاً من فائدتها .

وفى أثناء الهجوم اليابانى على شنجهاى سنة ١٩٣٣ ، صدر الأمر إلى العمال الذين يكنسون شوارع هنج كو التى كانت تضرب بالمدافع بأن يتركوا الأماكن المهددة ويؤدوا واجباتهم فى مكان آمن ، ولكنهم ثبتوا فى مراكزهم القديمة ، وكلما سكتت المدافع اليابانية فترة ، خرجوا زرافات ومعهم المقشات والسلات لجمع الغلافات النحاسية الفارغة وغيرها مما تخلفه الحرب الحديثة ، وبعد انتهاء القتال ببضع ساعات خرجت جماعات إلى منطقة الحرب تبغى الحصول على شىء من هذه التحف ، فلم تجد ولا قلامة ظفر ، فكانت الحرب فى شنجهاى من هذه الوجهة أنظف حرب دارت على الأرجح .

وميناء شنجهاى من أشد الموانى ازدحاماً وحركة ، ولكنه أيضاً من أنظفها ، فلا تجد على سطح الماء شيئاً مما يطفو أو يطرحه البحر فى الموانىء الأخرى ، ولا ترى أقفاص فاكهة محطمة ، أو برتقالات عفنة أو غير ذلك من النفايات . فإن كل هذه النفائس

تلقطها من الميناء الزوارق التي تعمل فيه ، ونواتى كل زورق هم صاحبه وامرأته والأطفال الصغار الذين لا يستطاع الانتفاع بهم على البر . وتتجه همة الأسرة كلها إلى إنقاذ المطروحات فى البحر ، وهم يتقنون عملهم إلى حد جعل ميناء شنجهاى يخلو من طيور البحر التى تسمن على شواطىء أسكتلندة ولكنها تموت جوعاً هنا .

ولا تكاد سفينة تجارية أو حربية تلقى مراسيها فى شنجهاى حتى تجد زورقاً أو أكثر متربصاً فى مكان صالح متهيئاً لالتقاط كل ما تطرحه السفينة . ومن المعتاد فى الأسطولين البريطانى والأمريكى أن يؤجل تنظيف المخازن يوماً أو يومين قبل الوصول إلى شنجهاى ، فيؤدى هذا إلى بقاء مقدار مدهش من الزجاجات الفارغة والعلب والطعام الفاسد ، ويحتفظ البحارة بثيابهم القديمة ليضيفوها إلى هذه الهبات ، وبذلك يدخرون ثروات لهذه الطيور الآدمية فى شنجهاى .

ويرقب بحارة السفن الحربية السباق إلى سفنهم باهتمام شديد ، ويكافئون الفائز بأنفس الذخائر ، بإعطائه خير الفضلات التى يستغنى عنها ، ولكنهم لا يسمحون له بالاستئثار بكل شىء ، فبعد أن يطرح ملقى الفضلات فى البحر مقداراً عادلا كافياً منها ، يؤمر بأن يذهب ليتيح لسواه فرصة . وتظل السفينة من ساعة وصولها إلى ساعة خروجها محاطة بهذه الزوارق الصغيرة ، فلا يفوتها شىء . والزجاجات والعلب تباع بسرعة ، وفضلات الطعام تلقى للخنازير والدجاج لتسمن ، فكل شىء فى الصين له قيمة ، ويمكن تحويله إلى نقد .

كرامة " ما ، الوجه "

وأنا أكتب هذا ، وخادم البيت يصقل النوافذ ، وهناك عدد من النوافذ يستطيع أن يشتغل بتنظيفها ، ولكنه اختار نافذة فى ركن الشرفة الطويلة لأراه كلما رفعت رأسى . فإذا خرجت أتمشى فإنه يترك النوافذ ، لا ليتسكع ، فإنه يجب أن يظل مشغولا من الصباح إلى وقت النوم وأحياناً إلى ساعة متأخرة من الليل ، بل ليلتمس لنفسه عملا آخر كسطح بلاط المطبخ ، حتى إذا عدت شرع ينظف النوافذ مرة أخرى ، أو ينفض التراب عن أساس الشرفة الذى نظف تنظيفاً جيداً فى هذا الصباح . وإذا استحال عليه أن يجد عملا أراه وهو يقوم به ، فإنه يقطع أجذال الحطب بصوت عالٍ .

وهو ليس بخادم جديد تحت الاختبار ، فقد طال مقامه معنا ، حتى ليتعذر علينا أن نستغنى عنه ، وهو يدرك هذا كما ندركه ،

ولكن أجداده تعلموا أن أجر العامل يؤدّى بارتياح أعظم إذا قام به العامل فى حيث يراه صاحب العمل .

وكل من يدخل مكتبى يستطيع ، متى فتح الباب ، أن يعرف هل نحن مشغولون بإرسال إعلانات بالبريد أو لا ، فإذا كنا نفعل ذلك ، فإن النشرات تكون مكدسة ومعروضة فى حجرة الاستقبال . وإذا كنا قد تلقينا حديثاً صندوق ألواح الإعلان من لندن أو نيويورك ، فإن الصندوق يفتح بعض الفتح ، وبعض محتوياته تبدو بغير عناية ، وتكشف عن اسم الشركة التى نعاملها وعن منزلتها . وإذا جاء زبون مهم لزيارتى فى موعد متفق عليه ، فإنه يحدث دائماً تقريباً أن يكون الخدم خارجين فى صخب شديد ، وهم يتطرّحون تحت أحمال من البريد المرسل فى اللحظة التى يصل فيها الزائر .

وقد حاولت زمناً طويلا أن أحمل العمال على استخدام مصعد البضاعة لمثل هذا العمل ، ولكنى لما ابتعت بعض الأثاث للمكتب ، مصنوعاً من خشب جديد أسود ، جىء به من المدخل الرئيسى للبناء ، وصعد به العمال أربع طبقات ، وجعلوا يقفون عند كل عتبة ويتلاغطون ، ولم يكن ينقصنا إلا المزامير والطبل ليكون الإعلان أتم . وقد أتيحت فرصة كافية للمستأجرين فى طبقات البناء الاربع للإعجاب بالأثاث ، والتكهن بثمنه ، وهذه الضوضاء والعلانية ، تكسبان العامل الصينى ثقة بنفسه وبالشركة التى يعمل لها .

وعلى ذكر هذا أقول إن « ماء الوجه » يحدث الترقيات وينظم الأجور والمرتبات ، وهى أمور معقدة فى أى مكتب . فإن ترقية موظف دون اتباع نظام الترقية يسبب « سواد وجه » لجميع من تخطتهم هذه الترقية ، فيشعرون بالظلم شعوراً قوياً . وتكفى ترقية واحدة من هذا القبيل للقضاء على انتظام العمل فى المكتب ، وكثيراً ما يحدث أن يرفض موظف ترقيته لأنه يعرف المنازعات التى ستثور حوله .

واتقاء « سواد الوجه » يخلق مواقف عجيبة حتى فى الشئون القومية . فلنفرض مثلا أن قائداً طموحاً قام بثورة على الحكومة المركزية ، ولكن الثورة قمعت ، ففى كلّ بلد آخر يسجن القائد الثائر ، وقد يعدم ، ولكن الصين لا يحدث فيها هذا ، لأن مثل هذا الإجراء الصارم خليق أن « يسوّد وجه » القائد ، حتى ليأبى ألد أعدائه أن يوافق على هذا . ومن أجل ذلك يمنح رتبة عالية ، ويعين لعمل ناء لا يخشى أذاه فيه ، كأن يكلف أن يقوم بدرس غواصات سويسرا ، أو زرع البطاطس

فى حديقة هيدبارك (*) . وهذا يحقق غرضاً سياسياً نافعاً جداً ، لأنه لا يخلق عداوات بين أنصار القائد المهزوم ، ويسهل الفوز بولائهم .

صرف الشياطين

لما انتقلنا إلى مكاتبنا الحالية منذ بضع سنوات، كان عمالنا معنيين جداً بأن يتبينوا تأثير الأرواح وهل يكون حسناً أوسيئاً — وبعبارة أخرى هل يكون البناء بناء سعد أو نحس — وقد عرف الصينيون منذ قرون أن نهجاً ما يفضى أحياناً إلى النجاح ، ولكنه فى أوقات أخرى ، وإن تماثلت الظروف ، يفضى إلى الإخفاق . ودرس الفلاسفة الموضوع، وانتهوا إلى أن مؤثرات السعد أو النحس يمكن الإنباء بها سلفاً وتقديرها .

وقد تبين أن مكاتبنا الجديدة مجدودة . وليس هذا من المفاخرة أو التخمين ، وإنما هو سرد صريح للواقع ، فقد قام بتقدير العوامل الحسنة وتقصيها خير من استطاع رجالنا الصينيون أن يستعينوا به من أصحاب المواهب ، وهو ضارب رمل أو مهندس يحسن حساب المؤثرات النفسانيـة ، وقد لقيته مصادفة ، لأن المفروض أنه يقوم بعمله فى غيابى ، ولكن مهنته كانت من الغرابة بحيث بذلت جهدى لمعرفته، وكان أشبه بعلم، وهو رجل كهل ، محتشم المظهر والملبس ، وقد قضى ساعات عديدة فى الطواف بالمكاتب ومعه المسطرة والبوصلة ، ولما انتهى كان رأيه حسناً ، وغير مواضع بعض المكاتب، وعنى عناية كبيرة بمكتبى ، وكان الوضع الصحيح ، فيما أرى ، يقضى بأن يكون وجهى إلى نافذة ، وهو وضع غير ملائم لرجل ضعيف النظر ، فوجب أن نلتمس حلا وسطاً ، فصار خط المكتب يمتد من الشرق إلى الغرب ، وكان هذا الوضع يجعل المكتب مائلا إلى الحائط ، ولكن المؤثرات الروحية كانت مكفولة بهذا الوضع .

وليس مكتبى بالوحيد الذى تسيطر عليه هـذه المؤثرات ، وإن كنت واحداً من القلائل الذين يعترفون بذلك ، وأكثر الأجانب يسخرون من هذا. ولما كان الصينى لا يسيغ الزراية ، فإن مساعدى الأجنبى وزملاءه من الصينيين لا يذكرون له شيئاً عن هذا الأمر ، بل يكتفون بأن يرتبوا المكتب ترتيباً يهيء للمؤثرات الحسنة كل

(*) أدهش الجنرال يانج فوشنج العالم باختطاف القائد الأعلى المارشال شيانج كاى شيك ، وقد جاء الجنرال يانج حديثاً إلى الولايات المتحدة مبعوثاً من حكومتـه لدرس « الأحوال العسكرية والاقتصادية » واعتمدت الخزانة الصينية لنفقات رحلته ٣٠٠,٠٠٠ ريال !

نجاح ممكن . وقد أخبرنى جار إنجليزى أنه ظل ١٥ عاما فى مكتب قليل النور سيء التهوية ، لأن مساعديه الصينيين رأوا أنه حسن الحظ .

وقد حدث ذات يوم أن زارنا رئيس قرية قريبة من شنجهاى لأمر خطير ، ذلك أننا كنا قبل عام قد أقمنا لوحا كبيراً فيه إعلان عن سجاير على مقربة من القرية ، فحاق سوء الطالع بالقرية ، وقلتْ المحاصيل ، وزادت الأمراض على المعهود ، ومات البعض . وقلق شيوخ القرية فدعوا ضارب رمل حاذقاً ، فوجد أن لوح إعلاننا هو مثابة الأرواح الشريرة ، وجاء شيخ القرية يسألنا أن نرفعها .

فاقترحت أن نطلق عدداً كبيراً من الصواريخ حول اللوح فتذعر الأرواح الشريرة وتهرب ، فراقته الفكرة ، واستشار ضارب الرمل فوافق على أن ما يساوى عشرة ريالات من الصواريخ يكفى لذلك . وكانت هذه أول تجربة لى فى طرد الشياطين ، فاعتزمت أن لا أدع عندى شيئاً من الجهد فى هذا الأمر . وفى وسعك أن تشترى عدداً مدهشاً من الصواريخ بعشرين ريالا ، وقد خرجت القرى جميعاً لتنظر إلى سخائى وتتعجب ، وكانت الضوضاء مهولة ، ولا بد أن تكون قد ملأت قلوب الشياطين رعباً ففرت إلى بلاد أخرى ، ومهما يكن من ذالك فإنها لم تعد قط ، فقد ازدهرت القرية ولم تتلق بعد ذلك شكوى .

ولما عدت إلى وطنى منذ بضعة أعوام لم يسعنى إلا أن ألاحظ أنه قل أن توجد فى أمريكا بيوت — من البيت الأبيض فنازلا — مبنية بحيث تصرف الأرواح الشريرة ، وتتلقى خير المؤثرات الروحانية . فما يكفى أقلُّ من معبد صينى لعلاج الأرواح الشريرة حول مكتب الرئيس . وإذا اعتبرنا وجهة النظر الصينية ، فإن الشياطين الطليقة التى يسعها أن تدخل فى أى بيت تقريباً بأمريكا ، هى أخطر من العصابات ، بل يمكن أن يكون فيها تعليل منطقى للأزمة المالية . وتعد هندسة أعلى ناطحات السحاب فى نيويورك مزعجة بصفة خاصة . وما من صينى عاقل يقبل أن يشغل مكتباً فى الطبقات العليا من هذا البناء .

انصت !

انصت فإن الكلاب تنبح !

كلما زارنى فى شنجهاى أمريكى مزهوٌ بنفسه ، أخذته إلى قرية صينية ابتغاء التهذيب والتقويم اللذين قد يفيده إياهما نباح الكلاب ، فإن كلاب القرية تمد الصوت بنباح فظيع ،

فيسأل الزائر وقد ضجر عن السبب ، فأقول : « لأننا أجانب » .

وقد يقول : « طبعاً ! فإن الكلاب ترى ثيابنا » ، وبذلك يثبت أنه لا يدرى شيئاً عن الكلاب .

فأجيبه : « كلا ! فإن الصينى إذا ارتدى الثياب الأوربية لا تنبحه الكلاب . وإنما السبب أنها لا تحب رائحتنا ، وتظن أننا ثعالب ، أو كأن أحدنا معه فى جيبه جلد حيوان لم يدبغ فهو عَفِنٌ خبيث الرائحة » . وأبين له أنه على الرغم من حبى الطبيعى للكلاب ، فإن كلاب الصين تنفر من رائحتى وما زالت تنبحنى منذ ٢٥ عاماً . وكثيراً ما خرجت بعد أن اغتسلت وحلقت ، ورائحة الصابون تفوح منى ، وقد أصبحت كأنظف ما يمكن أن يكون الرجل ، ومع ذلك لا تمضى دقائق حتى يكون كل كلب تهب عليه الريح من ناحيتى ، قد سجل احتجاجه على وتأذّيه من رائحتى .

ويبدو لى أن أحد التعليلات لذلك أننا نحن الأجانب ، قد صارت لنا ريح خاصة مزعجة لطول ما اعتدنا أكل اللحم ، أما الصينيون فلا ريح لهم ، أو لعل ريحهم أخفى لأنهم يأكلون الأرز والشعير والكرنب والسمك .

ومثل هذه الزيارة يكون من أثرها دائماً أن تهبط بتقدير زائرى لنفسه إلى الحد المعقول .

ويندر أن يقول لك الصينيون شيئاً عنك يخرج عن حد المجاملة ، ولكن بعضهم اعترف لى بأن لنا ريحاً ليست غير معهودة فحسب ، بل تأتى بالغثيان . ويعلل الصينيون جميعاً ، بلا تردد ، حرص الإنجليزى على الاستحمام كل يوم بأنه بطبيعته حيوان قذر فيه حاجة إلى كثرة الاغتسال . وأنا أقول الحق حين أقول إنى لما زرت بلادى آخر مرة ، وجدت فى أنفى ريح مواطنى من أبناء الشمال حين يحتشد منهم جمع كبير . ولما دخلت النفق فى نيويورك ، سطعتنى من أبدان الناس تلك الريح القوية التى تقول الإعلانات أنها تقضى على الحب ، وتقف عقبة كؤوداً فى سبيل رجل الأعمال . وكنت بعد السنين الكثيرة التى قضيتها فى الصين ، قد نسيت أن الآدميين هــذه ريحهم ، وكذلك كان الحال فى لنــدن ، وفى باريس ، وبرلين ، وموسكو — لا ، لم تكن الحالة كذلك فى موسكو ، فإن خبث ريح البدن هناك يبلغ غاية الكمال ، ولعل هذا دليل على صحة العزم على تحقيق المثل الأعلى ، والتصميم على التفوق .

وعلى كثرة ما كنت أخفف من غلواء الزائر الأبيض ، وألطف من كبريائه الغالية بأن أعرضــه لنباح الكلاب الصينية ،

كنت دائماً أنأى به عن الجواميس الهندية، والجاموس الهندى فى العادة وديع ، ومن المناظر المألوفة فى الصين أن ترى صبياً فى السادسة من العمر ممتطياً ظهره ، ولكنه على تقبله واحتماله للصبى الصينى ، يخفى تحت مظهره الدميم الهادىء ، مقتاً وحشياً لعدو قديم .

ومن سوء الحظ أن لنا نحن الأجانب على ما يظهر ريحاً كريه هؤلاء الأعداء القدامى ، ولعل ذلك العدو كان قرداً قديماً ذا ريح قوية يعيش كما كان أسلاف الجاموس فى إفريقية . وما من واحد من أبناء الشمال يكون آمناً دواماً فى جوار هذا الجاموس . على أن من حسن حظ الرجل الأبيض أن الجاموس مهذب ، فهو يتحدى عدوه لامرة واحدة بل مرتين ، والتحدى الأول يكون حين يشم الهواء ، وينظر إلى ناحيتك ويبدى امتعاضه القوى بنخره ، والتحدى الثانى حين يرفع ذيله السخيف فى الهواء ، ويضرب الأرض برجله ، والضربة الأولى إنذار لك بوجوب الابتعاد بأسرع ما يمكن.

وإذ كنت قد ذهبت إلى هذا المدى فى بيان ما لأبناء الشمال من مَشَمّ ، فيحسن أن أكون أشد اجتراء وأقل مبالاة ، فأقول إنه لا فرق بين الجنسين ، فإن الكلاب تنبح السيدة الناعمة الرقراقة بقوة وحماسة كما تنبح الرجل البدين المتصبب عرقاً . وكثيراً ما رافقت سيدات فاتنات وتمشيت معهن فى الريف الصينى ، وكنت أظن أنهن قد يخدعن الكلاب ، ولكنهن لم يخدعنها ، فقد كانت ريحنا واحدة فى أنوفها. ولم اختبر قط وقع المرأة فى نفس الجاموس ، غير أنى واثق أن النتيجة كانت خليقة أن تكون غير مختلفة .

زعانف كلاب البحر والبيض القديم

طعام الصينى يذكر الأمريكى العادى بزعانف كلاب البحر وبحساء عش الطير والبيض القديم ، وليس بشىء من هذا من شأنه أن يسيل لعاب الأنجلو ساكسون .

وقد أكلت كل ذلك وسآكله مرات أخرى، لا لأنى أستطيبه بل لأنى أتقى أن أسىء إلى مضيفى ، وقد يكون حساء زعانف كلاب البحر جيداً ، إلا إذا كان شديد الزّهمة . ولم أستطع قط أن أتبين أى طعم خاص لحساء عش الطير ، ولكنى أتقزز قليلا من البيض القديم . وعلى ذكر البيض أقول إنه يخلّل فيصلب ويحفظ ، ويصبح أشبه بنوع غريب من الجبن ، وليس البيض بقديم بالمعنى الصحيح ، فإن التخليل

يتم فى نحو شهر ، وهو لا يزداد نفاسة بالقدم . وقد صنعت شطائر ذات مرة بقطع من هـذا البيض ، وأضفت إليه قليلا من الخردل ، وأطعمته صديقاً رقيق المزاج ، فاستطابه إلى أن سقط الشطر الأعلى وعرف ما تحته ، وليس الطعم بمنفر ولكنه غريب. وبعـد أن يتعلم المرء حب الجبن العتيق والحلزون والوسكى الأسكتلندى ، لا يصعب عليه أن يألف هذا البيض . والمهم أن هذه المواد الثلاث ليست شائعة فى الصين ، وإنما هى طرائف مثـل البطارخ (الكافيار) والسلحفاة النهرية .

ومن الألوان الصينية التى أكلها كثير من الأجانب «الشبارق» ، ويسميه بعضهم « الطعام القومى للصين » : وحقيقة الأمر أن هذا اللون كما نعرفه ليس طعاماً صينياً قومياً ، وما من صينى يأكله، واللون الوحيد من هـذا النوع الذى يعرفه الصينى هو نوع رخيص من الشبارق أو اللحم المفروم الذى يتخذه فقراء كانتون .

وقد روى لى الدكتور وو - تنج - فانج السياسى الصينى المشهور ، الظروف الخاصة الذى جعلت هذا اللون محبوباً فى الخارج . فقال إن العثور على الذهب فى كاليفورنيا اجتذب آلافا من العمال الصينيين إلى سان فرانسسكو ، وسرعان ما صارت الجالية الصينية فى المدينة من الكثرة بحيث تكفى لفتح مطعمين على مثال ما فى كانتون . وذات مساء رأى جماعة من المعدنين أن يطلعوا على ما يأكله هؤلاء الصفر ذوو الشـعور المضفورة ، ولما دخلوا المطعم كان الزبائن قد انتهوا من الأكل ، وكان صاحب الفندق يهم بإغلاقه ، غير أن المعدنين طلبوا طعاماً ، فما كان من صاحب المطعم إلا أن جاء بكل ما خلفه زبائنه الصينيون ، وخلطه ووضع عليه قليلا من التوابل الصينية وقدمه إليهم ، ولم يدركوا معنى قوله لهم إنهم يأكلون شبارق الفقراء .

على أنهم استطابوه ، حتى لقـد رجعوا إليه يطلبون أن يطعمهم منه ، وهكذا راج « شبارق الفقراء » ، وقد جنى الصينيون منه من الثروات أكثر مما جنى غيرهم من البحث عن الذهب . وما زال الصينيون منذ أجيال يضحكون ، لأن كل طبق من هذا الشبارق هو نكتة وضحك على ذقن الأجنبى. وتوجد مطاعم للشبارق فى المدن الكبيرة فى العالم كله — ما خلا الصين .

وعاء الأرز المقدس

من أعظم تقاليد الصينيين فى تجارتهم أنه لا ينبغى لك أن تقطع معاش رجل آخر ، أو أن « تكسر وعاء أرزه » .

ومن المقبول أن تغلبه فى صفقة تجارية ، ولكن مما يعدونه عملا بغيضاً غير إنسانى أن تنسحقه ، أو أن تصرّ على أن يوفى لك بعقد إذا كان لا يستطيع ذلك إلا إذا أفقر نفسه ، والذى يحرم إنساناً مثله الحق فى الحياة ليس خيراً من وحش .

وعلى ذكر ذلك أقول إن زبوناً لنا مرت به تجربة عجيبة فى أيام الكساد ، فقد اضطر أن يخفض نفقاته ، فلما استشار أقدم معاونيه نصحوا له بفصل واحد من خيرة الكتبة فى المحل ، وأبوا كل الإباء ما اقترح من فصل موظف غبى ، فلما تقصّى الأمر تبين أنهم لم يتحرجوا من فصل موظف حاذق لأنه لن يجد مشقة فى الحصول على عمل آخر ، أما الموظف الغبى فكانوا يعرفون أن من العسير عليه أن يجد لنفسه عملا .

وكنت فى وقت ما أساعد فى إصدار جريدة يومية فى شنجهاى ، واحتجت أن أعالج إضراباً قام به عمال الطباعة ، وقد تربص أحد المضربين ذات يوم لواحد ممن يوزعون الجريدة وأتلف كل ما يحمل من أعدادها ، فشكوت المعتدى فقبض عليه ، وأدهشنى أن القاضى الصينى نظر إلى الموضوع نظرة جدّ وحكم عليه بالحبس تسعة شهور . وفى اليوم التالى أقبلت على أسرته كلها وقالت إن على أن أحرص على ملء وعاء أرزهم دائما ، ما دمت قد أرسلت عائلهم إلى السجن . وكنت كأنى الشخص الوحيد الذى لم ينظر إلى الأمر من هذه الناحية ، فأذعنت وصارت الأسرة كلها فى عنقى . وظل الحال على هذا المنوال عدة شهور ، وفى أثناء ذلك انتهى الإضراب ، فوكلت محامياً عن المضرب المسجون ليخلى سبيله ويعود إلى العمل .

صفافو الحروف الأميون

تدل أرقام الأمية على أن جانباً كبيراً من الصينيين لا يقرأون ، ومن هنا يظن كثيرون من الأجانب أن الصينيين شعب غبى . وهذا خطأ فى خطأ ، فإن الصينى الذى لا يعرف القراءة هو الذى لم تتح له فرصة للتعلم ، يضاف إلى ذلك أن الأبجدية الصينية الهائلة أصعب جداً من أبجديتنا .

ومن الغريب مع ذلك أن معظم الصحف الإنجليزية فى الصين يطبعها صينيون لا يستطيعون فى معظم الأحوال أن يفهموا الإنجليزية . وما زال صفاف الحروف الصينى أعجوبة فى نظرى ، فهو لا يفهم شيئاً على الإطلاق من الأصل ، ومع ذلك يدق بسرعة حروف « اللينوتيب » ويخرج مسودات بديعة فى نظافتها ، ومطابقة تمام المطابقة للأصل بما فيه من أغلاط فى الهجاء . ثم

أنه فضلا عن ذلك يعنف حروف الكلمات بالفرنسية والألمانية والروسية ، وهذا مالا يجرؤ إلا القليلون من صفافى الحروف الأوربيين على محاولته .

ولا شك أن هذا الجهل باللغة التى يستعملها يؤدى أحياناً إلى أغلاط مضحكة . من ذلك ، على سبيل المثال ، قصة الصحفى الإنجليزى فى شنجهاى ، وكانت صحيفته تنشر دليلا سنوياً للمدينة ، ولم يكن له دخل أو عمل فى هذا الدليل ، ولكن صفحات المسودات المصححة كانت دائماً تعرض عليه لإقرارها. فاتفق فى أحد السنين ، وهو يدير عينه فى المسودات، أن رأى اسم رجل يعقته وكان قد مات قبل بضعة شهور ، فأراد أن يؤنب الذى يتولى ترتيب الدليل . فأحاط اسم المتوفى بإطار من الحبر أسود وكتب تصحيحاً سريعاً على الهامش .

وبعد بضعة أيام صدر الدليل ، وحول اسم الرجل الميت إطار أسود ، وعلى الهامش هذه العبارة «هذا الحمار السخيف قدمات» .

طرق شتى مظلمة

يشهد كثيرون من المراقبين المطلعين ، بعبارات فى غاية القوة ، بأن الصينيين قوم أمناء أشراف مستقيمون فى معاملتهم . وقد قال أقدم التجار الأجانب إن « كلمة الصينى ملزمة له كالعقد » ، ولكن كثيرين آخرين يستطيعون أن يرووا لك قصصاً محزنة عن طرق مظلمة خادعة ، وهم يعارضون الشهادة السابقة بقولهم إن عقد الصينى لا يساوى شيئاً على أى حال . ومن السهل تعليل هذا التناقض بين الرأيين ، ذلك أن فى الصين ، كما فى كل بلد آخر ، أناساً خربى الذمة ، وآخرين أشرافاً .

ويمثل تجار الحرير فى الصين ، وهم فى الوقت نفسه نساجون ، أقدم تجارة وصناعة فى البلاد ، بل فى العالم ، لأنهم كانوا ينسجون ويبيعون الحرير قبل ميلاد المسيح بألف عام أو أكثر ، وقد ظل نشاطهم هذا متصلا بغير انقطاع ، وكان مستوى صناعتهم عالياً دائماً . وما كاد اليابانيون يصنعون الحرير للإصدار مدة عشرة أعوام ، حتى تعلموا من الأجانب كيف يكسبون إنتاجهم هذا قيمة مصطنعة ، وكانت النتيجة أنه لا يوجد الآن شىء اسمه حرير يابانى حر ، أما الصينيون فإنهم لم يحاولوا قط أن ينتفعوا بمثل هذه الأساليب الماكرة ، وكل تاجر حرير صينى يسره أن يثبت لك أن إنتاجه حر غير مخلوط ، بأن يقص قطعة ويحرقها فى صحن ، ذلك أن الحرير الحرّ يحترق ولا يخلف أثراً من رماد ، فإذا كان هناك أى خلط ، فإن الأثر

المتخلف يكشف عنه . ولما كان الحرير الصيني حراً ، فإنه يباع بوزنه لا بطوله ، وليس ثم مساومة في المتاجر الحسنة .

وصناعة الفضة أيضاً قديمة ، وكل قطعة مصنوعة من الفضة عليها العلامة التجارية للدكان الذي صنعها . وهذا في الصين واجب وجوبه على العملة المسكوكة ، لأنه بمثابة ضمان غير معلق على شرط باسترداد الثمن، وهذا أقوى ضمان يستطيع صانع أن يثبته على إنتاجه. ومهما يبلغ من قدم القطعة الفضية ، أو سوء حالها ، فإن صائغ الفضة يشتريها دائماً بتخفيض يسير من ثمنها الأصلي. وبيوت الصينيين غاصة بالأواني والصناديق الفضية ، لا لأنها زينة فحسب ، بل لأنهم يستطيعون في أي وقت أن يحولوا هذه الزينة إلى نقد .

غير أن المستوى في كثير من الأعمال الحديثة لا يبلغ هذه المرتبة . وقد اتفق لي مرة أن نشرت إعلاناً في مجلة صينية شهرية جميلة الطبع ، لها من القراء ٣٠٫٠٠٠ قارئة بحسب الإحصاء ، وكانت صفحاتها الضخمة ملآى بالإعلانات . وكان إعلاننا الذي يملأ صفحة كاملة ، يعرض أن يقدم إلى كل سيدة من الثلاثين ألفاً ، نموذجاً من قشور لصفاء الوجه في مقابل طابع بريد بقرش واحد . وظهر الإعلان ثلاثة شهور متتالية،

ومع ذلك لم تبد سيدة واحدة أي رغبة في هبتنا السخية . فشرعنا نستقصي ، فتبينا أنه فيما عدا النسخ التي ترسل إلى أصحاب الإعلانات ، لا يقرأ المجلة أحد ! ولم يكن هذا كل شيء ، فقد كانت المادة التي تنشر في المجلة لا تتغير أبداً ، فهي هي بذاتها ، شهراً بعد شهر ، وقد كانت كذلك من قبل على قدر ما وسعنا أن نتتبع الأمر ، والتغيير الوحيد لا يتناول إلا الإعلانات وتاريخ الشهر على الغلاف . وكان ناشرو المجلة لا يطلبون الإعلانات إلا من الأجانب ، وقد اعتقدوا بحق أنه لما كان الأجانب لا يقرأون اللغة الصينية ، فإن المادة التي تنشر في المجلة ليس لها قيمة . ولا تزال المجلة تصدر ، وهي في رغد ، وتناتي أحياناً رسائل من عملائنا فيما وراء البحار يقولون فيها إن منافسيهم ينشرون إعلاناتهم لهؤلاء الثلاثين ألفاً من السيدات ، ويلمحون إلى أننا أغفلنا هذه الأداة النفيسة !

ولكن رجل الأعمال الصيني تصبح أساليبه أحلك ما تكون حين يكون الأمر متعلقاً بتجارة الصادرات ، كما يتضح من المثال التالي : يعد الفول الصيني الكبير أدنى أنواع هذه الفصيلة ، وهو ينبت في الأرض الرديئة ، ويؤتي محصولاً وافراً ، ولكنه ، وإن كان مغذياً ، من الرداءة بحيث

لا يأكله آدمى إلا إذا اضطر إلى ذلك فى مجاعة. وهذا الفول يصدر، ولكنه لايشحن إلا إلى البلاد التى يستخرج فيها الفحم، ويستهلكه أولئك المساكين الذين يوصفون بأنهم «بغال المناجم»، والذين يضطرهم عملهم إلى قضاء حياتهم فى سراديب المناجم، ويظهر أنه يحتوى على فيتامين يعوض ما ينقصهم من نور الشمس.

ولما كان هذا الفول على الأرجح أرخص طعام يعرفه عالم التجارة، فإنه لا يبدو أن فى الإمكان استفادة أى ربح من الغش فيه، ولكن صديقاً لى من المصدرين وجد الأمر على خلاف ذلك، فإنه بعد أن ظل يصدر الفول سنوات عديدة، تلقى شكاوى بأن مقداراً من الفول شحن حديثاً ظهر أنه مخلوط بالطين، ووجدت فى جميع الأكياس قطع صغيرة من الصينى.

فبادر إلى فحص الفول المعد للاصدار فحصاً دقيقا، فبدا له فى أول الأمر أن كان كل شىء على ما يرام. ثم لاحظ أن بعض حبات الفول مقسومة إلى قسمين، فارتاب، فإن حبة الفول السليمة لا تنكسر. وأدى الفحص إلى أمر غريب — ذلك أنه توجد بين كل عشرين حبة سليمة، على وجه التقريب، واحدة ليست إلا طينة مطبوخة ومصنوعة على هيئة الفول، ولا تختلف فى شكلها أو لونها أو وزنها عن الفول، فهى مثال بارع للحبة، وقد أمكن معرفة هذا التدليس لأن بعض الفول الصادر ابتل على ما يظهر.

وخطر له أن آلافا من «بغال المناجم» المساكين كانوا يأكلون هذا الطين باسم الفول، فتلهب غضبه وشرع فى تقصى الأمر، فما لبث أن اهتدى إلى مصنع لهذا الفول الطينى بجوار هانكو، وكان العمال يأخذون الطين من شاطىء نهر يانجتسى، ويفرغونه فى قوالب على هيئة الفول، وكان التجار يشترون هذا البديل الطينى لأنه أرخص، ويخلطونه بالفول الحقيقى المعد للإصدار. ومن حسن الحظ أن ما اهتدى إليه صديقى قضى على هذا الغش، ولم يعد «بغال المناجم» يأكلون هذا الطين منذ عدة سنوات على ما نعلم.

سنابك الخيل من هامبورج

وتجارة سنابك الخيل من هامبورج تكشف أيضا عن إحدى الخصائص الصينية الممتعة فى التجارة، وهى التمسك بما يعد نوعا ممتازاً من السلع. ففى تلك الأيام التى كانت السفن تجىء نصف فارغة وتخرج موقرة بالشاى وغيره من حاصلات الصين،

كانت أى بضاعة مما يصلح لتثقيل السفن ، تلقى ترحيبا وتشحن بأجور ضئيلة . فكان من السلع الغريبة التى تجلب إلى الصين فى ذلك الزمن ، شحنة من السنابك القديمة من هامبورج — وهى سنابك بليت جداً ورقت حتى صار من المستحيل دق مسامير جديدة فيها ، وكانت تباع للحدادين الصينيين الذين وجدوا أنها إذا شطرت شطرين صارت مادة بديعة لصنع المواسى الصينية ، وهى عبارة عن مدية مطبوعة عريضة النصل . وكان الإقبال عظيما ومطرداً على هذه المواسى ، فسرعان ما صارت سنابك هامبورج سلعة أساسية فى تجارة الصين .

وفى مدن أخرى كثيرة ترى تجار النفايات والمخلفات ، وعندهم سنابك قديمة يريدون التخلص منها ، فسرعان ما راحوا يشحنونها إلى الصين من نيويورك وليفربول وباريس وغيرها ، ولكن الحدادين الصينيين كان إجماعهم تاما على رفض هذه السنابك ، وذهبوا إلى أن ضخامة الخيل الألمانية وثقل وزنها ، ووقع الحوافر يوما بعد يوم على أرض هامبورج المرصوفة ، أكسبت السنابك حجما وفرْ نْداً يجعلانها صالحة لصناعة المواسى . ووجد تجار النفايات أن عليهم أن يشحنوا بضاعتهم من هامبورج ، وكانت النتيجة أن صارت السنابك تجىء إلى هامبورج من أقطار الأرض لشحنها ، وبهذا أصبحت مقبولة .

وقد تغير رأى الصينيين فى السنابك فى العقدين الأخيرين ، ويستعمل الحلاقون الصينيون الآن مواسى شفيلد المصنوعة فى اليابان ، ويستعمل الحدادون السنابك فى صنع المدى وأمشاط القنب والسكاكين الكبيرة . وكانت سنابك هامبورج صالحة بفضل حجمها للمواسى ، ولكنها أصغر من أن تصلح لهذه الأغراض الجديدة . ثم ظهر أن خيل الجر فى ليفربول أكبر سنابك من خيل هامبورج فصارت ليفربول الآن مركزاً لتجارة السنابك القديمة فى العالم . ويقول العملاء أن شوارع هامبورج لم تعد مرصوفة بالحجارة ، ولهذا فقدت السنابك مزيتها .

هذا البيض الصينى

وليس الصينيون بالوحيدين الذين يغالطون أنفسهم فى حقيقة المزايا ويتمسكون بالأوهام السخيفة ، فالبيض رخيص جداً فى الصين . وفى سنة ١٩١٩ كانت التجارة عظيمة جداً فى البيض المحفوظ والمثلوج ، وكان يصدر إلى إنجلترا وأمريكا ، ثم ظهرت فى البلدين دعاية قوية مرة ضد البيض الصينى الذى قيل إنه يحتوى على جراثيم خطرة

لاعداد لها ، فضلا عن غيرها مما هو أبرز وأبين . وكتب زارع فى إنجلترا إلى صحيفة بلدته ، أنه لما أراد التفريخ ، وضع تحت الدجاجة ، على سبيل الاختبار بيضة صينية بين البيض ، فخرج منها ثعبان ، ونقلت القصة عدة صحف إنجليزية ، وأبت ربات البيوت أن يقبلن البيض الصينى ، غير أن المخابز ظلت تشتريه .

ولم تذهب الدعاية ضد البيض الصينى فى أمريكا إلى حد تفريخ ثعبان موهوم ، ولكن النتيجة كانت واحدة ، فقد وضعت قوانين لتحديد استهلاك الطعام ، فكادت تموت تجارة البيض فى كل البلاد ، وسوّى تجار البيض الأمريكيون فى الصين حسابهم مع الفنادق ، فى شنجهاى ، وعادوا إلى بلادهم وقد تحمل بعضهم غرامات فادحة لإلغائهم العقود . أما تجار البيض البريطانيون ، فحرصوا على سمعتهم القديمة ، فلجُّوا ، وظلوا يشحنون البيض إلى إنجلترا ، حيث كانت السوق محدودة جداً ، وكان كل امرىء يتعجب لسخافتهم فى المضى فى تجارة خاسرة وكيف لم يفلسوا ؟ وأخيراً انحلّ اللغز ، ذلك أن البيض الصينى يشحن إلى إنجلترا ، ثم يعبأ ويعاد شحنه إلى أمريكا التى تتقبله بقبول حسن على اعتبار أنه بيض إنجليزى ، ولا تزال أمريكا تستورد قدراً عظيما من البيض « الإنجليزى » الذى لعله من أصل صينى .

الجوار العالمى

ولعلك لاحظت أن آخر فرشة أسنان لم تكن جيدة كالسابقة من نوعها ، ولعلك أيضاً قرأت أن الحكومة الصينية قد أرسلت حديثا جنودها ليستأصلوا شأفة العصابات والشيوعيين من سيشوين ، ذلك الإقليم الغنى الغاص بالسكان على تخوم التبت المجهولة ، ولعله لم يخطر لك قط أن بين الأمرين علاقة ما .

كانت كل فرشة أسنان تصنع من شعر الخنزير ، ومعظم هذا الشعر يجىء من الصين . وخير أصناف الشعر الذى تصنع منه الفرشة الممتازة التى تستعملها ، تؤخذ من جاود الخنازير البيض فى سيشوين . وقل بين الخنازير البيض فى أرجاء العالم الأخرى ما يستعمل شعره لهذا الغرض ، لأن الذين يربون الخنازير لا يتوخون الاقتصاد كالصينيين ، فلا يعنون بتنظيف الشعر وترتيب أصنافه .

وهكذا ظلّ تزويد العالم بفرشة أسنان جيدة يتوقف على صحة الخنزير ورفاهيته فى سيشوين ، ففكر فى فرشتك ، وفى صغر العالم ، وكيف أن هذا يجعلك جاراً لأربعمئة مليون جارٍ فى الصين .

فن الأكل في الصين

لن يوتانج*

مختصرة من كتاب "سيلادى وأسنو"

كان ثم شيء نأخذه نحن الصينيين إذا مأخذ الجد، فليس هو بالدين أو لعلم، وإنما هو الطعام. ونحن نجاهر بأنّ لأكل إحدى المسرات القليلة في الحياة لإنسانية. وفي أوربا يمثل الفرنسيون والإنجليز اختلاف الرأي في مسألة الطعام، فالفرنسيون يأكلون بحماسة، والإنجليز يأكلون على استحياء. أما الروح القومية الصينية فتميل ميلا بيناً إلى الناحية الفرنسية فيما يتعلق بطعامها.

وأول ما يشترط لنتعلم كيف نأكل هو أن نتحدث عن الأكل ونتبادل فيه الرأي. وليس من الميسور الوصول بفن الطبخ إلى مرتبة عالية إلا في جماعة — كالفرنسيين والصينيين — يعنى فيها المثقفون والمهذبون بالسؤال عن صحة طباخهم بدلا من الكلام عن الجو. وما من طعام يكون متعة حقيقية إلا إذا تطلع المرء إليه بلهفة، وتناوله بالكلام ثم أكله، ثم وصف لذته. ولا ينبغي لأولى العلم أن يشفقوا من أن يكتبوا الفصول في فن الطعام كما يفعل أولو العلم من الصينيين، فإنا قبل أن نعدّ طعاماً ممتازاً نبقى زمناً نتفكر فيه ونديره في أذهاننا ونتطلع إليه، ونستمتع من ذلك بلذة خفية يطيب لنا أن يشاطرنا إياها بعض إخواننا، ونثبت في الدعوات التي نوجهها بعض نقط عنه كأن نقول: «جلب ابن أخي أخيراً خلا جيداً من تشنكيانج، وبطة مملحة من بط نانكنج جاء بها من لاويوتشى». وقبل أن يقبل الخريف بزمن طويل ويطلع قمره، يشرع الرجل من أهل العلم — مثل لى ليونج الذى يقر بذلك — في إعداد العدة وادخار المال لشراء السرطان النهرى، ويتخير مكاناً تاريخياً يبسط فيه المائدة له مع إخوانه على ضوء القمر، في منتصف الخريف، أو في بستان حال بالأقحوان، ويخابر بعض أصدقائه ليجيئوا بشيء من النبيذ من مخزن الحاكم توان فانج، ويروح يفكر في ذلك كما يفكر الإنجليز في الجواد

---

* فيلسوف صيني معاصر ومن مؤلفاته: «فن الحياة»، ورواية «ساعة في بكين» و «حكمة كونفوشيوس»، و «حكمة الصين والهند» و «ورقة في عاصفة» و «بين الدموع والضحك».

الذى ينتظر له الفوز فى السباق .

ونحن الصينيين لا نخجل من أكلنا . وقد تغنى الشاعر وردزورث « بالحياة البسيطة والتفكير العالى » ، ولكن فاته أن يفطن إلى أن الطعام الجيد ، وخاصة مع أفنان الخيزران الغضة وعش الغراب ، تعد من المباهج الحقيقية فى حياة ريفية بسيطة . وقد تغنى الشعراء الصينيون جهرة « بالسمك المفروم وحساء الخضر » . وكثير من الأمريكيين يتنهدون فى غربتهم حسرة على اللحم والبطاطس ، ولكنهم لا يعترفون لك بأن هذا يجعلهم يحنون إلى وطنهم ، ولا يذكرون ذلك فى أشعارهم .

وكل من يفتح صفحات رواية صينية ، لا يلبث أن تلفت نظره الأوصاف المفصلة المتكررة للطعام الذى أفطر عليه تايو ، أو العشاء الذى تناوله بايو عند منتصف الليل . والصينيون يتلقون الطعام بمثل ما يتلقون به ملامسة النساء والنساء والحياة على العموم . وما من شاعر أو كاتب إنجليزى عظيم إلا وهو يأنف أن يكتب كتاباً عن الطبخ ، لأنه يعد ذلك خارجاً عن نطاق الأدب ، وأمراً لا يليق إلا بجهود العمة سوزان . ولكن الشاعر الروائى العظيم لى ليونج لم ير أن مما يغض من كرامته أن يكتب عن طبخ الفطريات وكل أنواع الأطعمة المصنوعة من الخضر وغيرها .

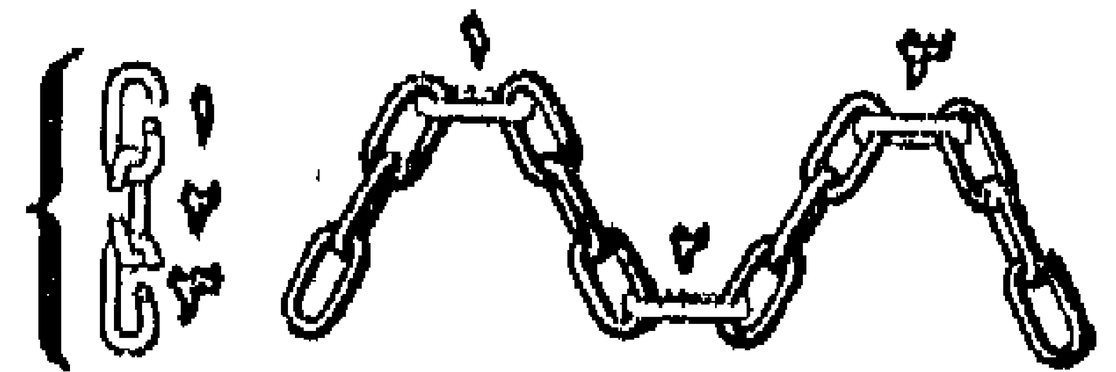
وهناك شاعر كبير آخر هو يوان ماى وضع كتاباً كاملا عن الطبخ ، وكتب أيضاً مقالا ليس أبدع منه عن طباخه .

وثم مبدآن يتميز بهما الطبخ الصينى من الطبخ الأوربى : الأول أننا نطعم الطعام من أجل نوعه ، أى ما نجده من مضغه الهش أو المرن تحت أضراسنا ، ومن أجل نكهته ومذاقه ولونه أيضاً . ويرجع كثير من الفضل فى الإقبال على أفنان الخيزران الخضر إلى مقاومتها الممتعة ، التى تجدها تحت أسناننا ، غير أن أهم من ذلك أن هذا النبات يكسب اللحم نكهة إذا طبخ معه ، كما يكتسب هو من اللحم نكهة . وهذا هو المبدأ الثانى ، أى مزج النكهات ، وذلك هو قوام فن الطبخ فى الصين . فما من أحد مثلا يعرف ما طعم الكرنب حتى يذوقه مطبوخاً مع الدجاج ، وحتى يستفيد الكرنب من الدجاج نكهته ، والدجاج من الكرنب نكهته . وبهذا المزج يستطاع تأليف أى عدد من الأطعمة . والصينى حين يرى على مائدة عشاء أجنبية الخضر مثل الإسباناخ أو الجزر تطبخ على حدة ثم توضع على نفس الطبق مع اللحم أو الإوَزّ المحمر ، فإنه لا يسعه إلا أن يتبسم تبسم المستخف بهؤلاء المتوحشين .

إن الصينيين من أردأ الدعاة ، ولكن عندهم ذخيرة نفيسة من الوصفات الشهيرة العجيبة لتعليم الغرب ، متى استعد الغرب وتطامن للتعلم . ولا يحتمل أن يحدث هذا قريباً ، لأننا لا نملك نسافات ومدافع ، وحتى لو كان لنا منها شيء ، لما عنينا بأن نمضى بها إلى نهر التيمس أو نهر المسيسبي ونطلق النار منها على الإنجليز والأمريكيين ونرسلهم إلى السماء على كره منهم . غير أن هذا لا يمنع أن أية أمة لا تعرف كيف تأكل وتستمتع بالعيش كما نفعل ، تعد فى نظرنا همجاً وغير متحضرة . ذلك أن فن المعيشة فى الصين غريزة ثانية ودين . ولم تنفصل القيم الروحية من القيم المادية عندنا ، بل هى أعون — كما هو الحال فى عنايتنا بالطعام — على وفاء الاستمتاع بالحياة على قدر نصيبنا منها.



أجوبة الألغاز المنشورة فى صفحة ٧٩



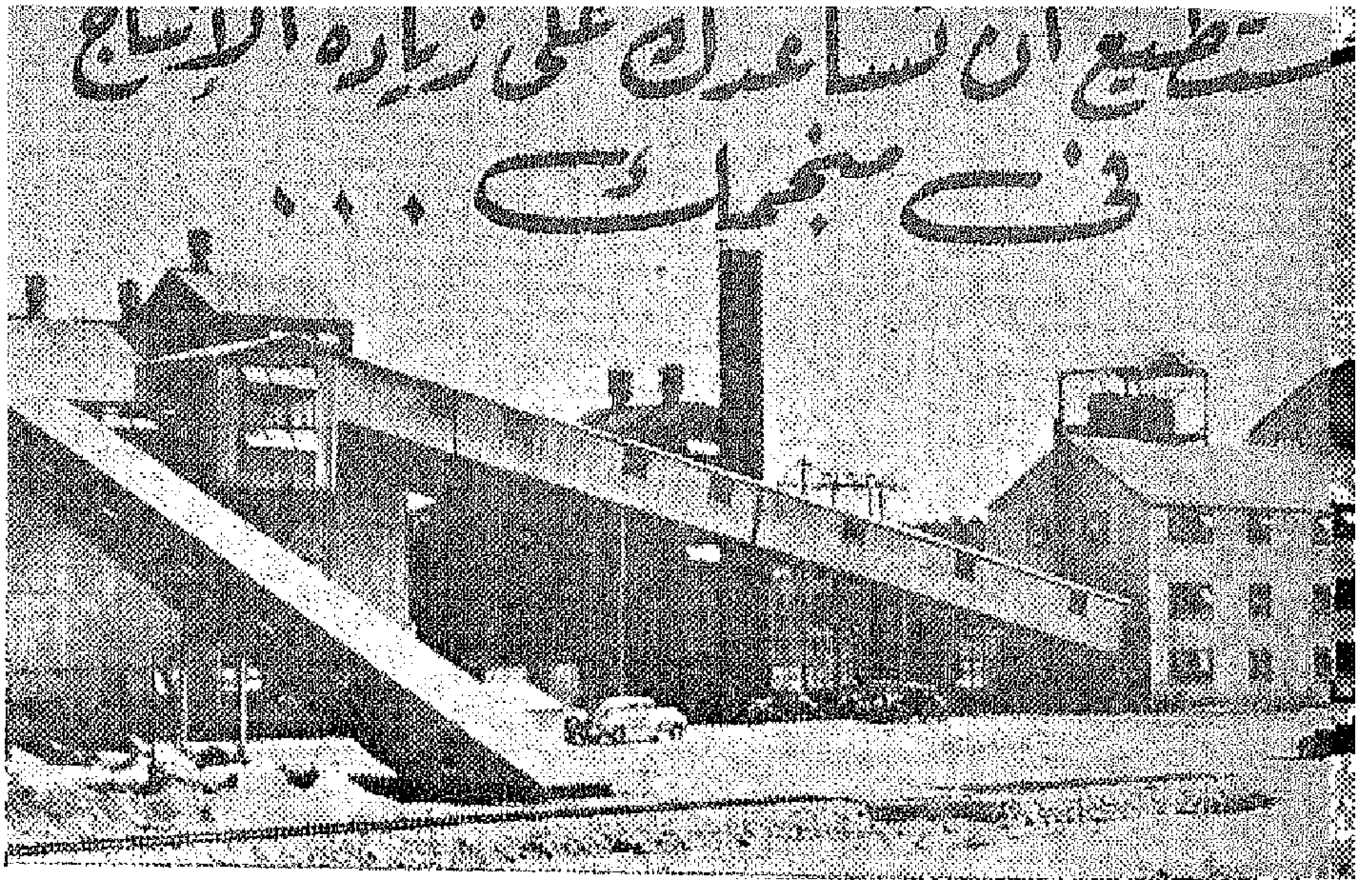
١ — الجواب الصحيح هو تسعة قروش . خذ إحدى القطع المؤلفة من ثلاث حلقات ، واكسر كل حلقة منها (فذلك يكلفك ثلاثة قروش) ، ثم استعمل كل حلقة منها لتصل بين قطعتين (يكلفك لحام كل منها قرشين ولحام الثلاث ستة قروش ، فالمجموع تسعة قروش) .

٢ — اقلب الثانى والثالث .
ثم الأول والثالث .
ثم الثانى والثالث .

٣ — بدلا من أن تقذف قطعة السكر الثانية فى الهواء ، أفلتها ثم التقطها ، بأن تسرع فتتلقاها فى الكأس حين تهوى .

٤ — لا تنفخ القرش بل انفخ فى الكأس فيرتفع الحرف الخارجى للبطاقة ، فتنحرف فيتزحلق القرش منها إلى جوف الكأس .

٥ — اجمع ذراعيك على صدرك كما ترى فى الصورة ، قبل أن تمسك بزاويتى الفوطة المتقابلتين ، فحين تبسط ذراعيك ترى الفوطة قد انعقدت .

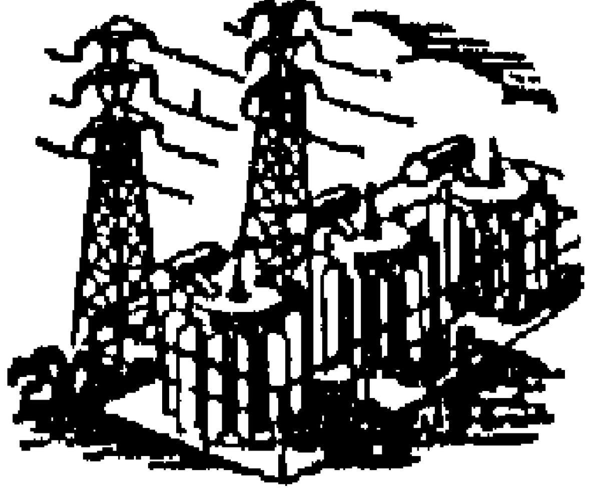


جير لمواد البناء ! معادن للآلات ومعدات المنازل ! كيميائيات للأدوية والمركبات المصنوعة ! هذه كلها معناها تجارة أفضل . . . وبيوت أفضل . . . وصحة أفضل . . . وعيش أفضل لكل فرد !

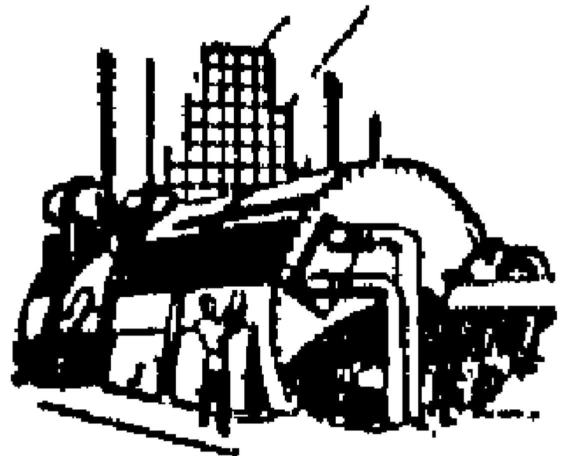
إن مؤسسة « أليس شالمرز » تنتج اليوم أكبر مجموعة من معدات المناجم في العالم لتهيء للصناعات المنجمية إنتاج مواد أجود صنفاً ، وأوفر مقداراً ، وأقل كلفة . إننا نصنع آلات تحطيم الصخور والمطاحن لأي نوع من خامات المعادن . . . كما نصنع مجموعات واسعة من المناخل ، والمضخات والمحركات وسيور V . . . والآلات الرافعة والنقالات لإنجاز أعمال المناجم على وجه السرعة !

آلات — للمناجم ، والأغذية ، والمنسوجات ، والقوة الكهربائية ! . . إن مؤسسة « إليس شالمرز » تخدم كل صناعة أساسية — بإنتاجها أكبر مجموعة من معدات الصناعات الرئيسية في العالم — لتهيء للشعوب إنتاجاً أوفر وحياة أرغد ! ..

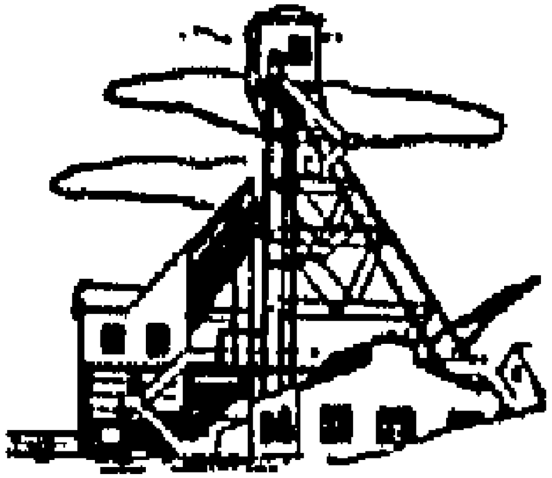
أكثر من ١٦٠٠ من المنتجات للصناعة



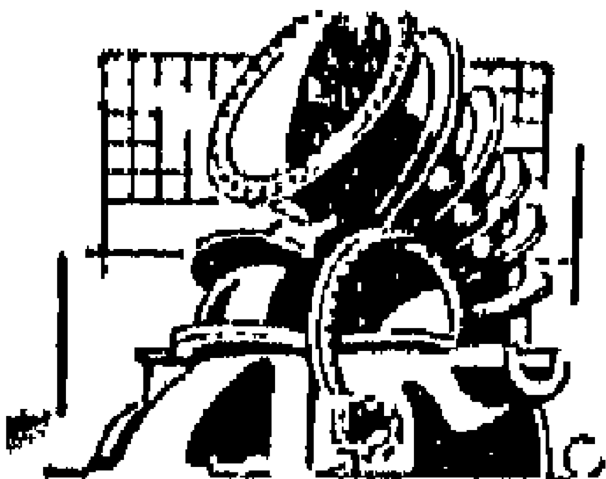
معدات كهربائية



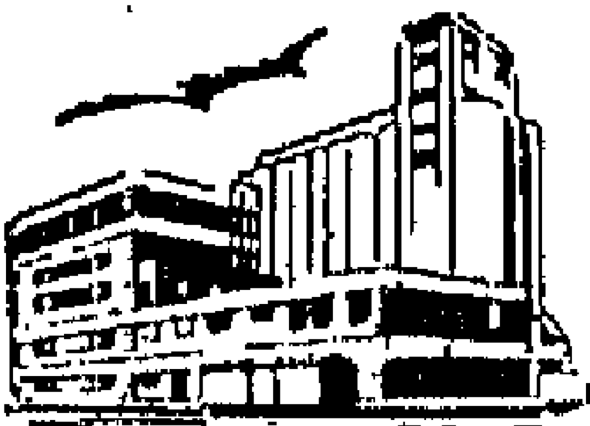
توربينات مائية وبخارية



آلات للاسمنت والتعدين



مضخات



آلات لطحن الدقيق

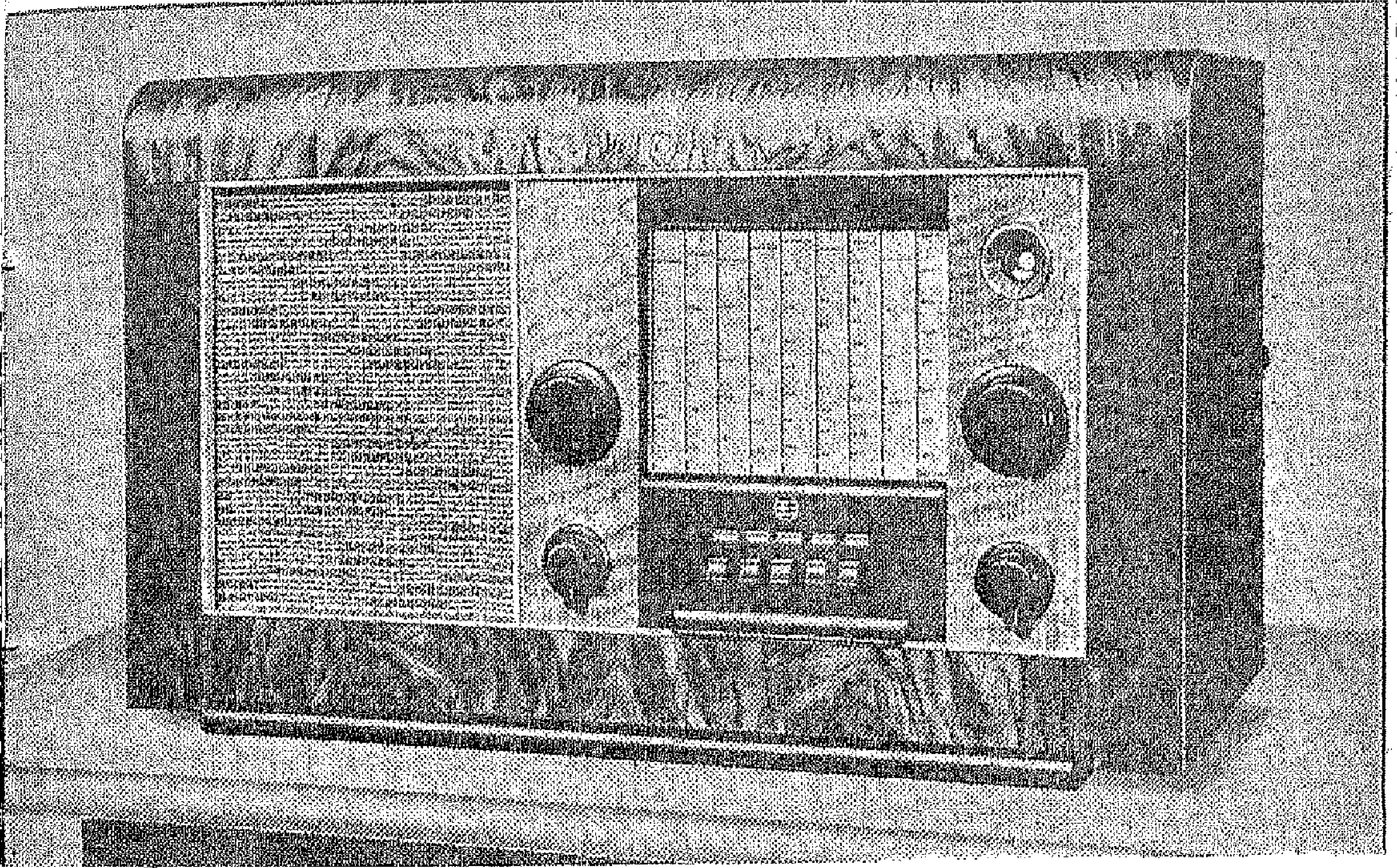
ALLIS (A-C) CHALMERS

MILWAUKEE 1, WISCONSIN U.S.A.

الوكلاء في الشرقين الأدنى والأوسط

القطر المصري والسودان : الشركة الأمريكية الشرقية للتجارة والملاحة ش . م . م ، ٤١ شارع صفية زغلول بالإسكندرية . ٢١ شارع سليمان باشا بالقاهرة — العراق وشرق الأردن : الشركة الأمريكية العراقية للملاحة ليمتد ٩/٢٨٢ شارع المستنصر ببغداد — ١٠/١٢٤ شارع الملك فيصل بالبصرة — المملكة العربية السعودية : أمريكان إيسترن كوربوريشن ، جده — إيران وأفغانستان : أمريكان إيسترن ليمتد ، عمارة مبصر ناصية شارعي شهريزا وروزفلت ، طهران . وهناك مراسلون لشركة « أليس تشالمرز » في مختلف البلاد القريبة والبعيدة .





مثال الجهاز المستقبل من راديو إكو موديل A 24

راديو إكو ولمبانه

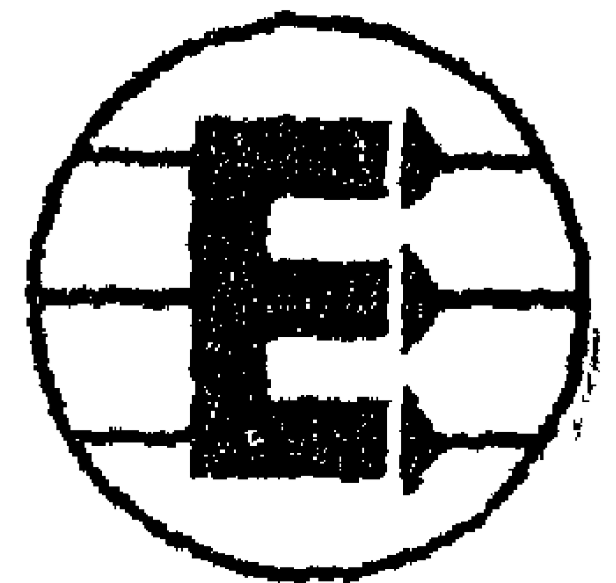
بدأت تصل الآن

بدأت السفن تفرغ الرسائل الأولى من أجهزة راديو « إكو » الجديدة — الأجهزة المستقبلة ، المصنوعة فى بريطانيا ، والمشهورة فى جميع أرجاء العالم .

وقد صُنع راديو « إكو » ، خاصة ، لالتقاط البرامج العالمية المذاعة من جميع أقطار الأرض .

وإن خبرة «إكو» ، خلال الحرب فى شئون الراديو والرادار ، قد أسفرت عن أجهزة استقبال ، تفوق كل ما سبقها فى صدق الاعتماد عليها ، وحسن أدائها .

فحين تشترى الراديو الجديد الذى تريده ، أحرص على أن يكون من طراز «إكو» .

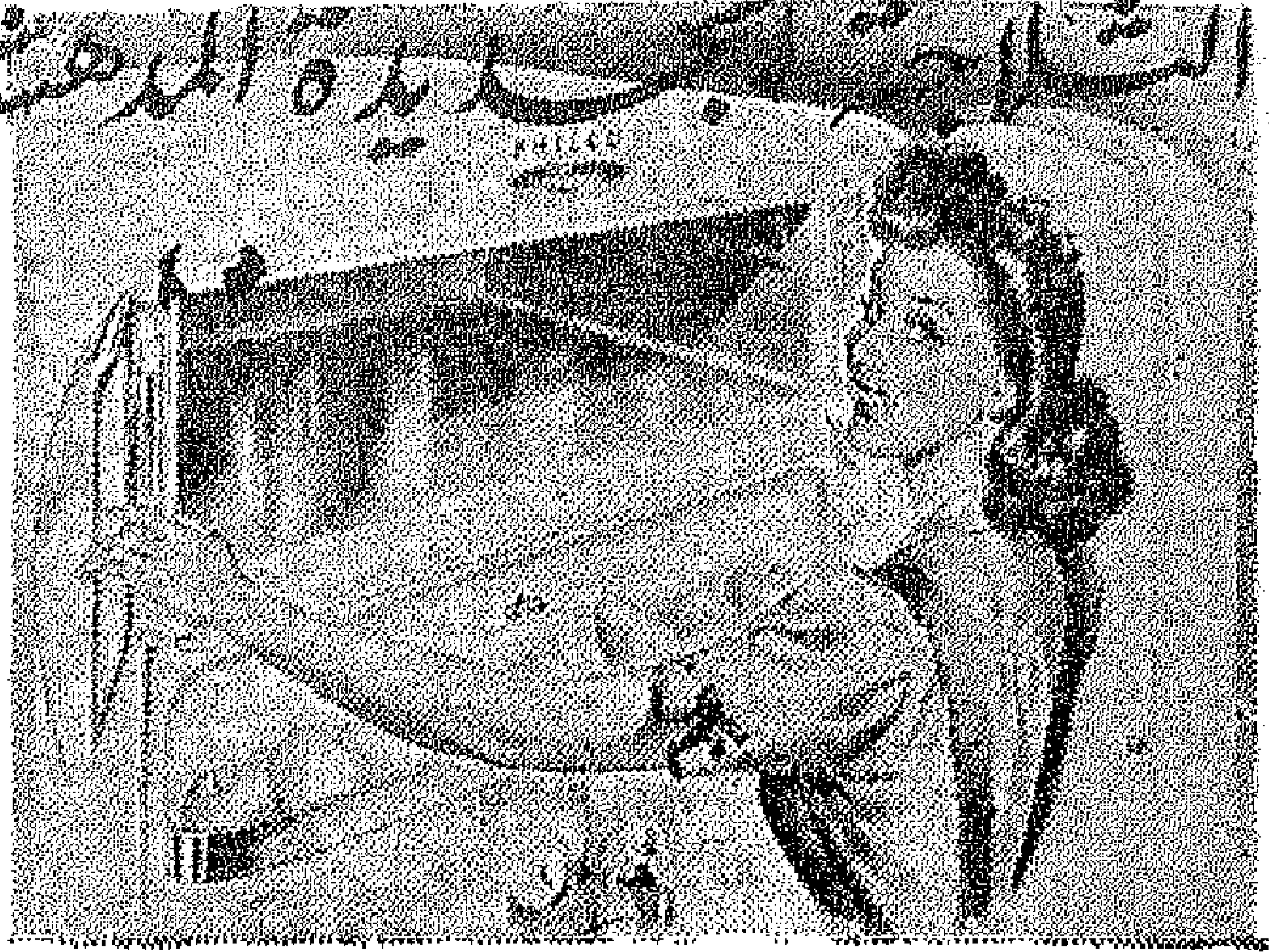


هـذا رمز المنتجات المتازة التى تصنعها شركة إ. ك. كول ليمتد..

E. K. COLE LTD., EKCO WORKS, SOUTHEND - ON - SEA

أنظر ، هاهى ذى !

الثلاجة الجديدة المدهشة صنع فيلكو



نعم ، ثلاجة جديدة مدهشة صنعها «فيلكو» ، وهى تنتظرك الآن عند وكيل «فيلكو» . إنها الثلاجة العصرية للحياة العصرية . تضم جميع مزايا التصميم السباق الذى يحمل إليك أقصى ما تترقبه فى الثلاجات من خدمة ، وامتياز ، وقيمة . اثنا عشر طرازاً . . . تختار منها الحجم الذى يلائم حاجتك ، بالسعر الذى يلائم ميزانيتك .

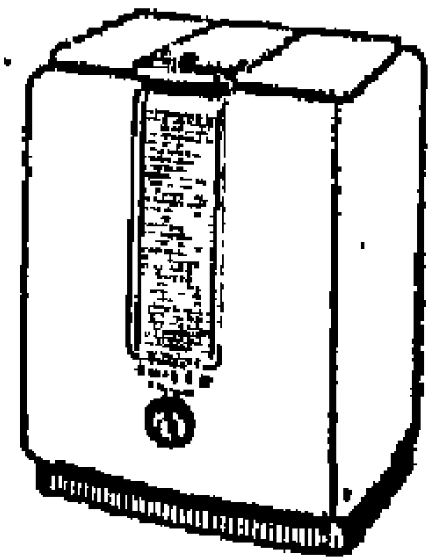
كل ثلاجة فيلكو تحتوى مخزن تبريد

جميع ثلاجات «فيلكو» الجديدة ، من أرخصها إلى أغلاها ، تحتوى على مخزن خاص للتبريد . . . هو حجرة واسعة معدة لتبريد اللحوم وخزن الأغذية المبردة مدة طويلة

مزودة أتم تزويد بجميع المعدات

إنها الثلاجة التى تضم جميع المزايا

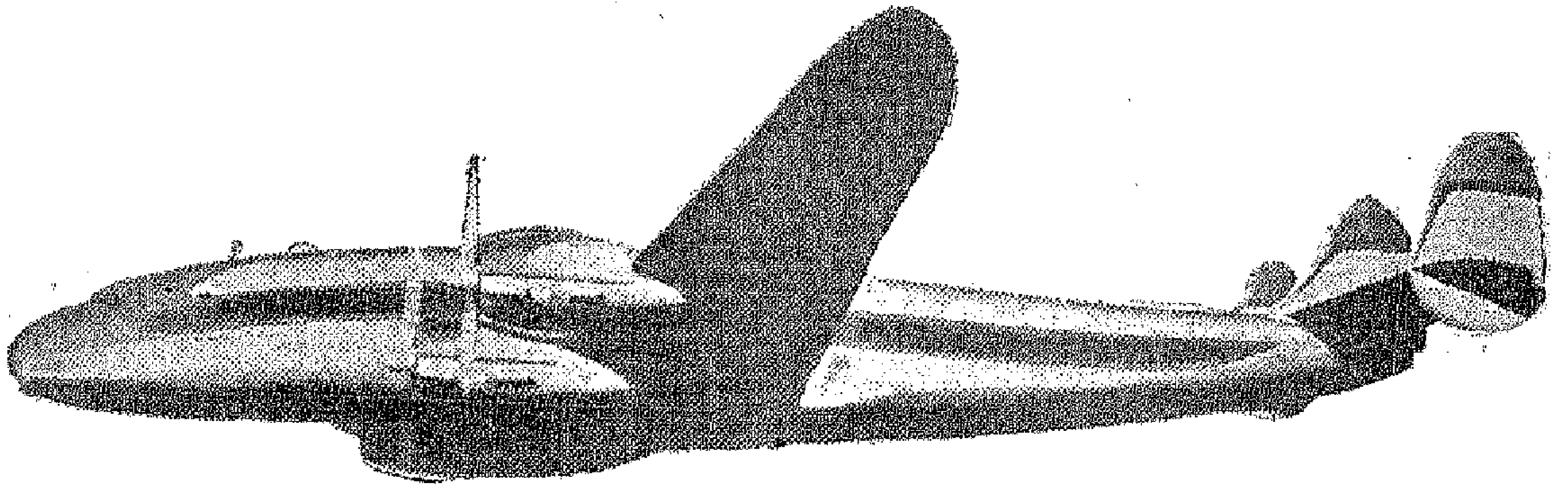
آلة التبريد الجديدة المدهشة « فيلكو »



نماذج تصلح لكل بيت — ابتداء من سعة ٢ ½ قدم مكعبة

فيلكو المشهورة بالجودة فى جميع أرجاء العالم

PHILCO INTERNATIONAL CORP. 230 Park Ave., New-York, U.S.A.



مستوى عالمى جديد

قام البرهان على ما نذهب إليه. وستنشئ، طائرات «لوكهيد كونستليشن» مستوى عالمياً جديداً فى النقل الجوى تحمله إلى كل بلد فى كل قارة. وإنك لتراها تعمل عملا منتظماً فى هذه الخطوط الجوية الكبرى.

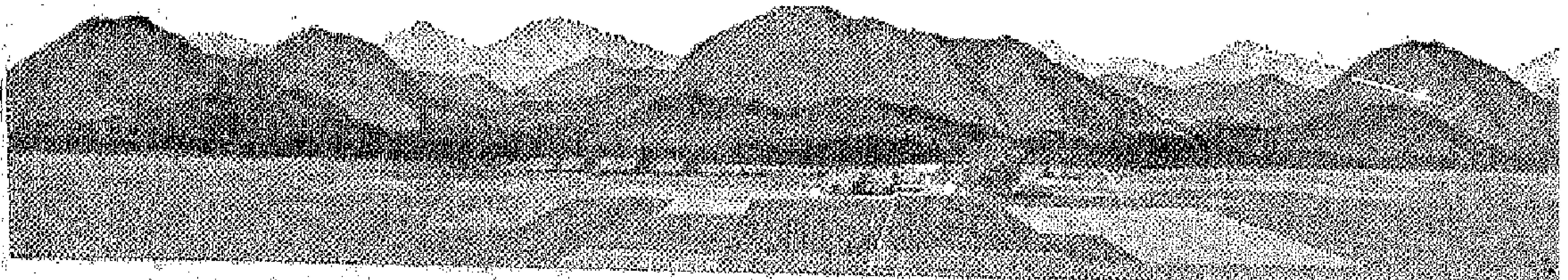
أميريكان إكسپورت
إيسترن
الحكومة الفرنسية
ك. ل. م. رويال دتش
ك. ن. ا. ل. م. رويال نذرلند إنديز
پان أميريكان
پاناجرا
ت. و. ا.

طائرة نموذجية لخطوط الطيران

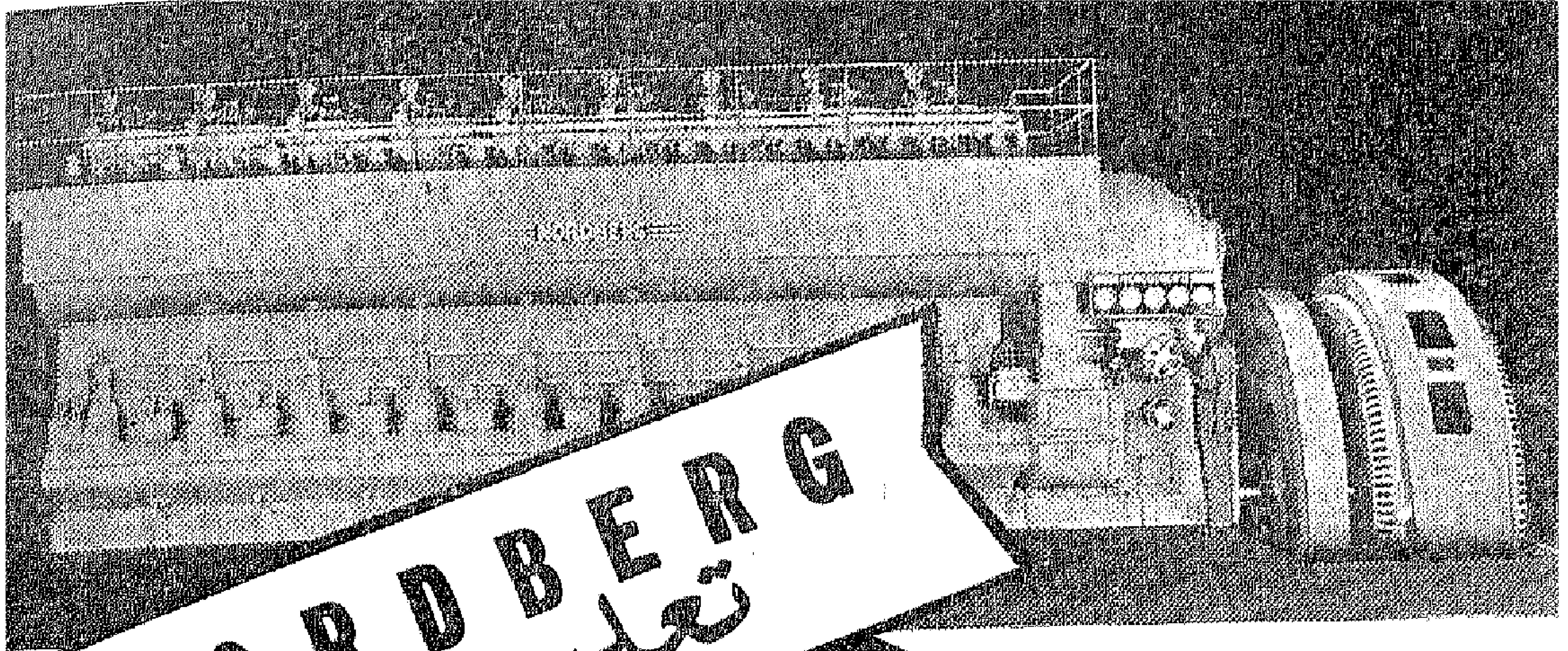
لوكهيد كونستليشن

Lockheed Constellation

لوكهيد دائما فى الطليعة — سباقة فى عالم الطيران







تعلن مؤسسة « نوردبرج » أن الاتفاقات قد أبرمت :

لتمثيلها فى الشرقين الأدنى والأوسط ، وأنها ستمد ممثليها بمجموعتها الكاملة من محركات ديزل البحرية ، والثابتة ، فى طرازيها المألوفين (دورتين و ٤ دورات) وفى أحجام منوعة تولد مقادير متفاوتة من الطاقة تصل إلى ٨٥٠٠ حصان . وسوف تمدهم أيضاً بمجموعة معدات « نوردبرج » الكبيرة لصيانة منشئات السكك الحديدية . ووكلاؤنا هم شركة أميريكان إيسترن كوربوريشن بنيويورك التى لها مكاتب وفروع فى الأقطار الآتية :

فى القطر المصرى والسودان ، الحبشة ، شرق الأردن فلسطين ، تركيا ، قبرص ، سوريا ولبنان

الشركة الأمريكية الشرقية للتجارة والملاحة
٤١ شارع صفية زغلول بالإسكندرية
٢١ شارع سليمان باشا بالقاهرة .

فى المملكة العربية ، **أمريكان إيسترن كوربوريشن** بجدة
فى إيران ، **أمريكان إيسترن ليمتد**، ش روزفلت بطهران

فى العراق
الشركة الأمريكية العراقية للملاحة ليمتد
٢٨٢/٩ شارع المستنصر ببغداد ، شارع الملك فيصل بالبصرة

NORDBERG MFG. Co. Milwaukee, Wisconsin, U. S. A.

"نوردبرج" ماكينات ديزل

كيف تجد الذهب ... فى طرف قوس قزح

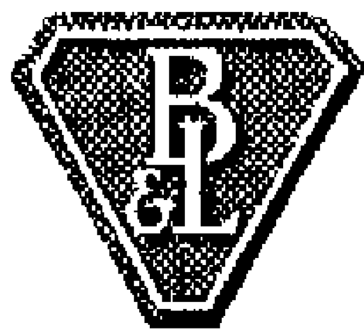
هـذه هى الآلة التى أثبتت صدق الأسطورة القديمة عن وجود الذهب فى نهاية قوس قزح . إنها آلة المطياف المصور (سبكتروجراف) الحديثة التى تصنعها شركة « بوش ولومب » . فهى تسبر غور الأسرار الكونية مستعينة بنفس مبادىء الضوء التى تسبب ظهور قوس قزح .

فإذا ما أخذت من معدن أو مركب كيميائى مقداراً أصغر من رأس الدبوس وصهرته فى حرارة القوس الكهربائية ظهر على لوحة السبكتروجراف طيف يشبه قوس . قزح تتبدى فيه الخطوط الدالة على العناصر بغير غموض أو إبهام . ويستطيع مستعمل السبكتروجراف ، أن يتعرف بوساطة لوحة فوتوغرافية على العناصر التى يتكون منها النموذج ، حتى ولو بلغت من الضآلة ١ إلى ١٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ . وأغلب أبحاث اليوم فى المعادن ، والأغذية ، والمركبات الكيميائية تعتمد على هذه الآلة البصرية المحكمة

بوش ولومب

BAUSCH & LOMB

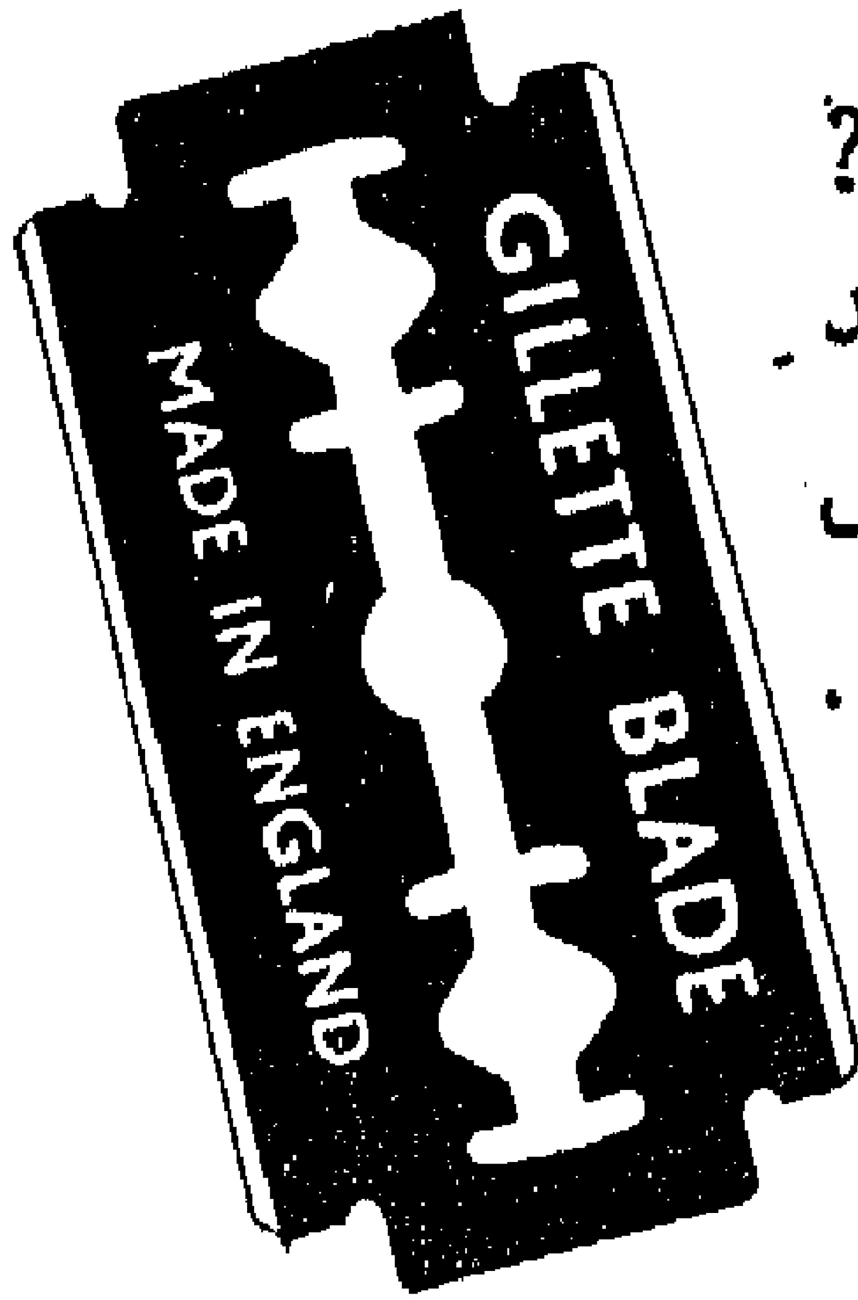
OPTICAL COMPANY



روشستر
الولايات المتحدة الأمريكية

تأسست سنة
١٨٥٣


BETHLEHEM STEEL
السطوح الفولاذية المتينة
إن صفائح الصلب التى تنتجها شركة « بثاهم ستيل » لتسقيف البيوت قوية ، متينة ، سهلة التركيب . وتتيح وقاية عظيمة ضد عوادى الزمن وتقلبات الجو . صفائح « بثاهم ستيل » للتسقيف مصنوعة من صلب مختار مغطى بطبقة محكمة من الزنك الممتاز المقاوم للصدأ
فإذا أردت الحصول على أفضل صفائح التسقيف أو أى صنف آخر من منتجات الصلب . عليك بشركة « بثاهم ستيل » التى تعد من أعظم الشركات لإنتاج الصلب فى العالم .
ولشركة « بثاهم ستيل » منتجات أخرى من الصلب منها الهياكل الهندسية للبناء ، والألواح ، والقضبان الحديدية ، والروافد ، والأسلاك ، والحبال المعدنية ، وأنواع الصلب المخلوط ، وألواح القصدير .
Bethlehem Steel Export Corporation
25 Broadway, New York, U.S.A.
الوكلاء فى القطر المصرى : شركة الدلتا التجارية ش . م . م
فى العراق : ستانلى شعشوعة — فى فلسطين : رافائيل ملتز
— فى سوريا ولبنان مشيل صحناوى وولده



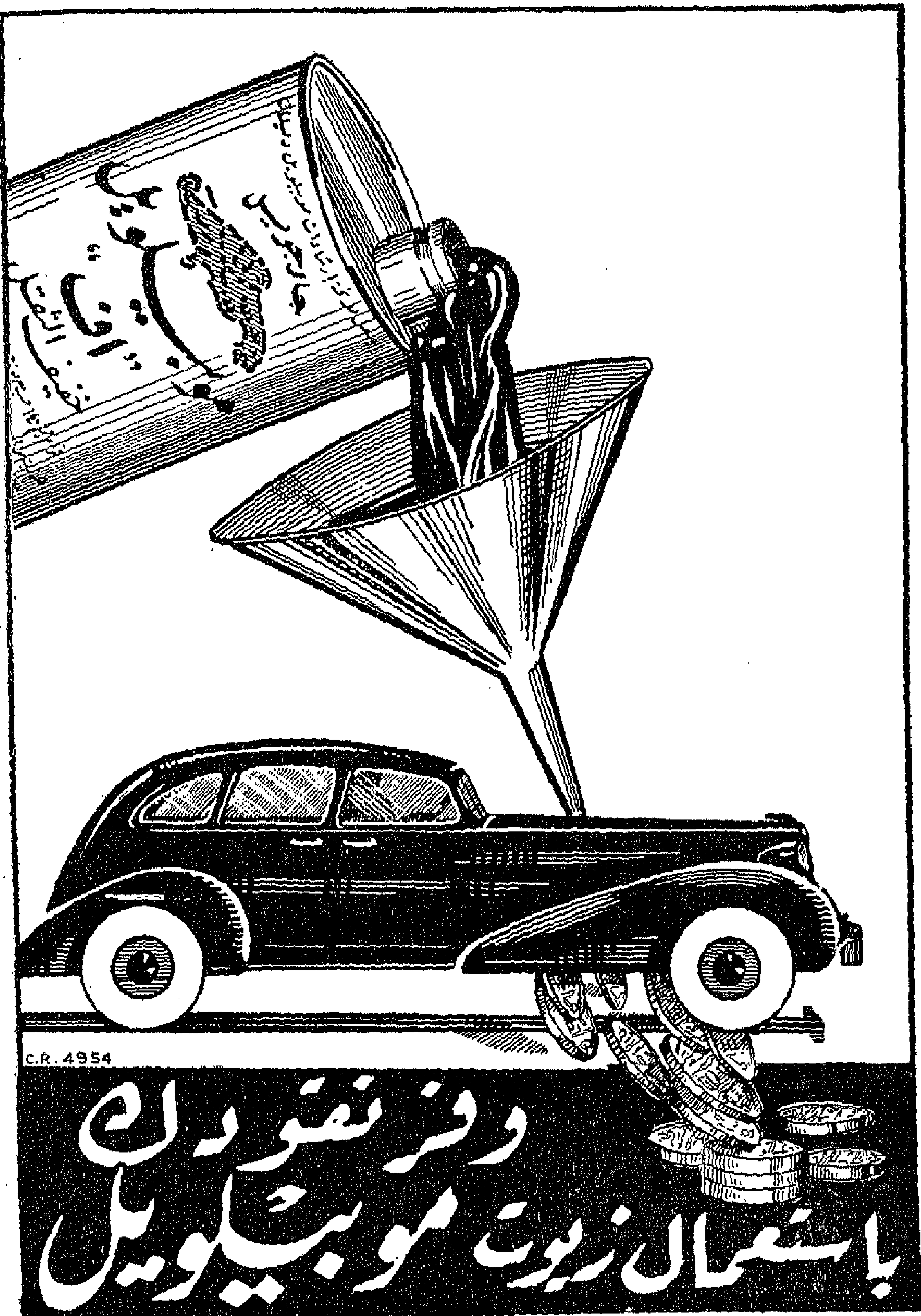
لماذا يفضل ملايين الرجال شفرات جيليت ؟
لأنها تعطى اسرع وأنعم حلاقة في العالم . وقد تجد صعوبة في الحصول عليها ، لان انتاجها لا يزال محدوداً ، فابحث عنها لأنها جديرة بذلك .

شفرات جيليت



١٢ شفرة جيليت "استنرد" بـ ١١

١


C.R. 4954
وفر نقودك
باستعمال زيوت موبيلويل

« ومع ذلك أقول لك يا أختى العزيزة النائية ، إننى أقرأ مجلة ريدرز دايجست كل شهر . فهى فيما أرى لا تقتصر على موافاتى بما ينبغى أن أقرأه مفرغاً فى قالب مختصر ميسَّر ، بل تدلُّنى أيضاً على مَظانِّه . وعندى أنه لا غنى لى عن تسعة أعشار ما تحتويه . وقد ألقى فى الحين بعد الحين مقالة عن تربية الدواجن أو الهندسة فأتخطاها ، ولكننى أطالعها فى الأغلب الأعمّ من الغلاف إلى الغلاف ، ثم ألفى نفسى وبعض ما حصَّلته منها من معنى أو تعبير ، يدور على لسانى فى حديثى مع الناس .

« وقد تكون المقالة مقالة عن روسيا أو الصين أو المكسيك ، أو قد تكون فقرة مختصرة فيها نكتة بارعة ، أو عبارة موجزة تنطوى على حكمة نادرة ، فإذا معانيها تعلق بذهنى وتدور فى نفسى .

« وكل هذا من عناصر ذلك الشىء العزيز الغامض المبهم الذى نسميه «الثقافة» وإنه لشىء عجيب . وهو الذى يتيح للمرأة أن تشترك فى الحديث اشتراكا بارعاً مجدياً ، فتظفر بالتقدير والإعجاب .

« والثقافة هى أول مراحل الحديث . ولست أقصد بالحديث الثرثرة بالغيبة والتوافه ، بل أعنى أن يبدى أحدهم رأياً فى موضوع ، فيتناوله آخر ويضيف إليه معنى من المعانى التى تحضره ، ويتخذه ثالث مطية لموضوع آخر له صلة به . وهكذا تنقضى السهرة ، وكأن الحديث كأس ملؤها خمر — هى خمر القرائح . ومجلة ريدرز دايجست تخلق هذا الضرب من الحديث النافع المسكر » .

وحين أكتب مثل ذلك ، إلى هؤلاء النسوة ، أحسُّ بأنى واثقة من حسن ما فعلت . فقد أدركتُ بنفسى قيمة هذه المجلة التى تصلنى اثنتى عشرة مرة كل سنة ، فأجد من اليسير على أن أحملها ، ومن اليسير أن أطالعها ، ومن اليسير أن أتذكر ما فيها . وهى تعيننى على أن أتتبع ما يزخر به العالم فى الاجتماع والسياسة والأدب ، ومع ذلك تدع لى فسحة من الوقت أقرأ فيها شكسبير ، أو أتصفح الكتب . وأول ما يتبينه القارىء الجديد — أو القارئة الجديدة — هو أن هذه مجلة لا غنى عنها .

إلى أختي : القارئة العربية

كاثلين نوريس
الكاتبة الروائية المشهورة ، مؤلفة " تفاحة حواء "
و " جدران من الذهب " و " الأم " و ٦٤ رواية أخرى

للمكان الذى تقطنه المرأة شأن عظيم فى حياتها فإذا نقل زوجها إلى منصب فى مكان بعيد ، كمنجم فى أقاصى كندا ، أو مزرعة نائية فى جبال كاليفورنيا ، أو بلدة صغيرة فى السهول المترامية ، ألحّ عليها الجزع من أنها ستنقطع صلتها بتيار الحياة ، وأنها ستقضى حياتها يوماً بعد يوم لا تدرى ما تزخر به الدنيا فى ميادين السياسة والأدب والعلم والفن ، وأن جلدها سيتغضّن ، وأن بريق شعرها سينطفىء ، وأنها إذا لقيت أترابها من النساء المستمتعات بالحياة أنكرنها .

وفى كل سنة تكتب إلى مئات من هؤلاء النسوة يسألننى ما ينبغى لهنّ أن يفعلنَ ، فهنّ يردن أن يرافقن أزواجهنّ ، وأن يتغلبنّ على مشاق الحياة الجديدة ، وأن يتحن لأسرهن خير ما يمكن من بيت رضىّ وعيشة هانئة ، ولا يحجمن عن التضحية واحتمال شظف العيش ، ولكنهنّ يأبينَ أن يكنّ لقى مهملاً فى بيداء الحياة .

فأكتب إليهن مشيرة عليهن بأن ينصرفن إلى العمل دون التحسر ، وأن يعنين بقدودهن وبشرتهن وشعرهن ، وأن يتخذن من جارة قريبة ، رفيقة فى دراسة لغة جديدة — وأن يداومنَ على المطالعة .

وكثيراً ما أقول لهنّ على ذكر المطالعة : « أسمعت بمجلة ريدرز دايجست ؟ أنا أكبر منك سناً ، وعندى مكتبة فيها عشرة آلاف كتاب ، ودارى زاخرة بجميع مجلات العالم ، وإذا التمست شيئاً أقرؤه ، ولم أجده فى المكتبة أو فى هذه المجلات ، تيسر لى الظفر به من أهون سبيل .

[التتمة على الصفحة السابقة]

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

المختار

من ريدرز دايجست

في كل مقالة لذة دائمة

يونيو ١٩٤٦

اقرأ في مختار يوليو ١٩٤٦

سكينة النفس : لقد أنعم الله على كثير من الناس ، بالذكاء ، والمال ، والشهرة ، ولكنه لم يهب سكينة النفس إلا لقليل ممن هيأهم لإدراكها . وهذا مختصر كتاب من أنفع الكتب التي نشرت في هذا العام ، وأمتعها .

حياة « إيفان الخيف » وحبه : انسان صغير ، لا تكاد تحسبه إلا مخلوقاً من البشر في جميع الأحوال ، في مأكله ومشربه ، وحبه وزواجه ، وفي حزنه على زوجته التي فاضت روحها حين جاءها المخاض .

كيف نفهم الروس : خلاصة أحاديث لجماعة من الخبراء ، تهيؤهم تجربتهم ومنزلتهم لإبداء الرأي في أعقد مشكلة في العصر الحديث ، هي فهم الروس .

أنا وحدي : أعظم مغامرة في تاريخ الارتياد على مر العصور . رجل يقيم وحده مختاراً وهو في ظلمات القطب الجنوبي ، ليقوم بأبحاث علمية متعددة نافعة ممتعة ، يصف في هذا الكتاب التجارب العجيبة التي مرت به إلى أن جاء يوم إنقاذه .

علموا أولادكم الحياة : سلسلة جديدة .

READER'S DIGEST

(Reg. U.S. Pat. Off. Marca Registrata)

AL MUKHTAR min Reader's Digest — Vol. 6, No. 34, JUNE 1946

تصدر شهرياً في بليزانتفيل ، نيويورك ، بالولايات المتحدة ... وتصدر طبعات إنجليزية ، وأسبانية ، وبرتغالية ، وسويدية ، وفنلاندية ، وعربية — وتصدر دار الطباعة الأمريكية للعميان بلويزفيل كنتكي طبعتين للعميان إحداهما طبعة « برايل » وأخرى على « أقراص مسجلة » .

قسم التحرير : رؤساء التحرير — ده ويت ولاس ، ليلى أتشيسون ولاس

سكرتير التحرير : كنيث و . باين ، مدير التحرير : ألفرد س . داشيل

قسم الإدارة : المدير العام — ا . ل . كول ، المدير المساعد — فرد د . طمسون

الطبعة العربية : — التحرير والإدارة : ١٤ — شارع القاصد بالقاهرة . تليفون : ٤٢٢٦٤

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف

مصر والسودان — ثمن النسخة ٣ قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوي ٣٠ قرشاً صاغاً

فلسطين وشرق الأردن ٣٥ ملاً — العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً

الاشتراك السنوي ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً

الطبعات الدولية — المدير العام : باركلي أتشيسون

السنة الثالثة — المختار من ريدرز دايجست — المجلد ٦ العدد ٣٤
كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الايجاز باقية الأثر
يونيه ١٩٤٦

سر النقط الصغيرة التي اخترعها أستاذ من أساتذة الجاسوسية الألمانية ، وزعم أن سرها لن يفضح .

آية التجسس الألماني

ج . إدجار هوفر
رئيس قسم المباحث في الحكومة الأمريكية

في صباح يوم من أوائل شهر يناير ١٩٤٠ وقف مسافر أمام حاجز سفينة وهي تدخل ميناء نيويورك ، وكان مرشد الميناء وسائر الموظفين قد صعدوا لساعتهم إلى متن السفينة ، فدنا أحدهم من المسافر الواقف أمام الحاجز دون أن يراه أحد وقال :

« سيكون اسمك ت . س . جنكنز . اذهب من فورك بعد النزول إلى فندق بلفوار ، وانتظر في حجرتك » .

وفي المساء سمع جنكنز ، بعد أن انتظر ساعات ، صرير مفتاح في قفل ، وفتح الباب في الجناح المجاور له فتحاً رفيقاً ، ودخله رجلان من رجال مكتب المباحث فصافحهما جنكنز — وكان هو نفسه من أعوان قسم المباحث — وجعل من فوره يلقي عليهما بياناً خطيراً قال :

« كنت طالباً في مدرسة الجاسوسية النازية ، في معهد كلوبستوك بمدينة همبورج ، وقد تخرج الفوج الذي كنت منه منذ أسبوعين . وقد ألقى علينا الدكتور هوجو سيبولد ، مدير المدرسة ، خطبة وداع قال فيها :

« إن أعظم مشكلات الجواسيس الألمان في أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية هي كيف يظلون متصلين بنا . وقد لقينا من الأمريكيين الأمرّين ، على أنه لن يمضي زمن طويل حتى نصير قادرين على تبادل الرسائل في طول الأرض وعرضها دون أن نعبأ

بأحد . وليس فى وسعى أن أبين لكم سرّ الطريقة اليوم ، ولكن تنبهّوا إلى النقط — نقط كثيرة ... وكثيرة » .

ثم قال جنكنز : « وقد أرسلتُ إلى أمريكا ومعى الأوامر الصادرة إلىّ ، وهذا هو كل ما أمرتُ به » .

ويوم وصل جنكنز كان رجالنا قد هتكوا الستر عن كلّ وسيلة جديدة توسّل بها الألمان واليابانيون لتبادل الرسائل السرّية . وهذا يفسّر لِمَ جُنِّبنا الكوارث فى مصانعنا . فقد عرفنا رُسُلهم ، وتتبعنا العناوين التى ترسل إليها رسائلهم ، وفككنا رموزهم الخفية ، وحللنا ضروب الحبر السرى التى استعملوها ، وكشفنا مخابىء أجهزتهم اللاسلكية المذيعة ، واستعملنا بعضها أحياناً لأغراضنا وهم لايعلمون .

وقد سرقنا مرة علبة عيدان الثقاب من جيب جاسوس ، وكان أربعة من هذه العيدان تشبه كلّ الشبه سائر العيدان ، ولكنها كانت فى الحقيقة أقلاماً صغيرة تكتب كتابة خفية ، ثم تظهر الكتابة بعد معالجتها بمحلول مصنوع من عقار نادر . وقد كشفنا هذا الجهاز الذى يكاد يشبه مايلفّقه خيال الروائيين ، كما فضحنا سرّ رسائل تسجل على أفلام دقيقة ، وتلف على بكر تحت الخيط ثم تخاط فى كعوب المجلات . وكان من هذه الأفلام فلم مدسوس فى جوف خزان الحبر فى قلم ، فلم يكن لنا بدٌّ من كسر القلم والخزان لاستخراج الفلم .

ويوم نزل ساحل أمريكا ثمانية من الرجال المدربين على تخريب المصانع وغيرها ، كان معهم مناديل كتبت عليها القيادة الألمانية العليا بحبر خفىّ أسماء شيعة النازيين فى الولايات المتحدة . وقد استخرجنا من كعب حذاء مصنوع من المطاط صورة فوتغرافية لتصميم جهاز نجاةٍ صُنع للغواصات الأمريكية .

فقد كشفنا جميع هذه الوسائل وغيرها ، ولكن تلك « النقط ، النقط ، النقط » ما خبرها ؟ وكانت خطوتنا الأولى أن دعونا عالماً طبيعياً شاباً من علماء معاملنا ، وكان قد قام ببحث محكم فى التصوير الضوئى الدقيق بالألوان ، فعهد إليه أن يتولى تجارب قائمة على آراءٍ رآها رجال مكتبنا فى أسرار الزعم الذى ادّعاه سيبولد . وفى أثناء ذلك كان كل رجل من رجالنا يبحث باهتمام عظيم عن دليل ما يفضى به إلى سرّ هذه النقط التى لم يكشف أمرها بعد .

وفى يوم من أيام أغسطس ١٩٤١ لقينا مسافراً شاباً ساعة وصوله من البلقان ، وكنا نعلم أنه من الشباب العابث وابن غنى كبير ، وكان هناك ما يحملنا على الظن بأنه

جاسوس ألمانى ، ففحصنا أمتعته فحصاً دقيقاً من فرشة الأسنان والأحذية ، إلى ملابسه وأوراقه . وأمسك أحد رجال معاملنا بظرف أمام المصباح بحيث يقع الضوء على سطحه منحرفاً ، فإذا هو يرى شيئاً دقيقاً يلمع أمامه . فهذه نقطة عكست الضوء . نقطة — علامة ترقيم مكتوبة فى مقدمة الظرف ، دقيقة سوداء صغيرة لا تزيد مساحتها على أثر من وَنيم ذبابة .

فترفق صاحبنا بألطف الرّفق لما أراد أن يمسّها ، فأخذ إبرة ودسّها تحت حافة هذه الدائرة السوداء وزحزحها قليلا . لقد كانت نُكيْتة من مادة غريبة أقحمت على ألياف الورق ، حيث ظهرت كأنها نقطة من نقط الكلام المطبوع ، ثم كبرت بالمجهر مئتى ضعف ، فتبين لنا أنها صورة فلم صوّرت عليه رسالة كاملة مكتوبة بالآلة الكاتبة . وقد كانت رسالة جاسوس يبعث نصها القشعريرة فى البدن وهذه هى :

« هناك ما يبعث على الظن أن البحث العلمى للانتفاع بطاقة نواة الذرة يسير قُدماً فى اتجاه معين فى الولايات المتحدة ، وبعضه قائم على استعمال اليورانيوم ، فينبغى أن توافونا بكل نبأ عن هذه التجارب ولاسيما :

١ — ما الطريقة التى تستعمل فى الولايات المتحدة لنقل اليورانيوم الثقيل ؟

٢ — أين تجرى تجارب اليورانيوم ، فى الجامعات وفى معامل الشركات الصناعية وسواها ؟

٣ — ما الخامات الأخرى التى تستعمل فى هذه التجارب ؟ لا تعتمدوا فى الإجابة إلا على أوثق الخبراء .

الآن ظفرنا بما نريد ! فقد عثر قسم التجسس الألمانى على طريقة لتصغير رسالة كاملة بالتصوير الضوئى حتى تصير نقطة دقيقة.

كان صنع هذه النقطة الدقيقة بارعاً كل البراعة ، نافعاً كل النفع ، فقد كانت تماماً كالنقطة التى تطبع بالآلة الكاتبة أو بالمطبعة فى آخر الجملة . ولقد كان فى جيب هذا الجاسوس البلقانى ، مثلا ، أربع ورقات من ورق البرقيات تحتوى على أوامر للجواسيس مفرغة فى نقط كالنقط التى فى آخر الكلام . وكان عددها إحدى عشرة نقطة دقيقة فى الأوراق الأربع . ووجدنا قطعة دقيقة من الفلم ملصقة تحت أحد طوابع البريد ، وكان فيها صور ٢٥ صفحة كاملة مطبوعة بالآلة الكاتبة .

فعلمنا يومئذ أن الشاب البلقانى العابث قد تلقى أمراً بأن لا يقتصر فى عمله على

إلى اليسار : الرسالة مكبرة
تحت : السهم يدل على
النقطة الأصلية .

1) Hier vorliegende Sonderauftraege:
a) Es soll in USA ein Kartuschenpulver hergestellt werden, das praktisch Rauchlos und Muendungsfeuerschwach ist.- Naehere Einzelheiten erwuenscht. Farbe des Muendungsfeuers.- Farbe des Rauches. Wenn moeglich Zusammensetzung des Pulvers.
b) Beobachtung des Kleinschiffbaues. Destroyers, Torpedo- Motor- boats, corvettes, submarines)
c) Produktion von Geschuetzen (Kanonen) aller Art. (Konstruktion?)
d) Produktion von Schnellfeuerkanonen fuer Flugzeuge und Tanks, sowie anti-tank und anti-air guns- (Konstruktion?)
e) Deckadressen in Rio: R. W. Brinkmann, Rio, Caixa postal 100.-- Tarntext in englisch, ueber

Recado Telefonico

ASSUMTO:

O Empregado

استقصاء مشروع القنبلة الذرّية وحسب ، بل أن ينبىء رؤساءه كل شهر عما نصنعه من الطائرات وما يرسل منها إلى بريطانيا وكندا واستراليا ، وعدد من يدرب من الطيارين الأمريكيين . فلما سئل تجاهل وتظاهر باللطف والمودة ، ولكنه يوم أدرك أننا قد اطلعنا على سرّ النقط ، باح بكل ما عنده .

كان قد درس على الأستاذ زاب المشهور الذى اخترع طريقة صنع النقط الدقيقة فى المدرسة الفنية بمدينة درسدن ، فقد كانت رسائل الجواسيس تطبع أولاً على أوراق مربعة ثم تصوّر بآلة تصوير دقيقة كل الدقة ، فتصغّر الورقة الواحدة إلى حجم طابع بريد ، ثم تصور مرة أخرى بوساطة مجهر مقلوب ، فتصبح نقطة لا تكاد ترى ، وتظهر على لوح زجاج يغشاه غشاء كثيف من مستحلب سرى . وبعد أن تظهر الصورة السابقة تدهن بمحلول الكولوديون ، حتى يمكن رفع الغشاء عن لوح الزجاج ، ثم يعمد العامل إلى جهاز غريب أشبه ما يكون بالحقنة التى يحقن بها تحت الجلد ، فيقطّ طرف الإبرة ، ثم يسنّ الطرف المقطوط ، ثم يضع هذا الطرف المسنون على الغشاء ويضغط فتقصّ النقطة منه ، ثم يرفعها .

ثم يختار من الرسالة مكاناً توضع فيه النقطة ، فيحك سطح الورق حكاً خفيفاً بإبرة ، ثم تدس النقطة فى الورق بالجهاز الذى يشبه الحقنة ، ثم تستعمل إبرة أخرى دقيقة لإرجاع ألياف الورق المحكوكة إلى مكانها ، وأخيراً يمسح هذا المكان بقليل من الكولوديون لكى تتماسك ألياف الورق .

وقد تمكن زاب بعد ذلك من تبسيط

طريقته وتيسيرها ، فقد صنع خزانة لا تزيد على حجم حقيبة محام تتم فيها معظم هذه الأعمال بطريقة آلية . ثم صنعت هذه الآلات صنعاً واسع النطاق ، وأرسلت إلى الجواسيس الألمان فى أمريكا الجنوبية .

وكان المستحلب السرى يرسل إليهم فى مواعيد محددة ، وكان الجواسيس الألمان فى أمريكا الجنوبية يحملون مجهراً عجيباً يسهل طيه ، فيمكنهم من قراءة هذه الرسائل .

ولست أظن أننا سنكشف اللثام يوماً ما عن الطريقة التى مكنتنا من أن نتبين ونضبط مئات من الرسائل التى كتبت فى أمريكا الجنوبية على طريقة النقط الدقيقة ، ولكن فحص هذه النقط الدقيقة فحصاً مستمراً مكننا من أن نطلع كل يوم على أعمال جماعات شتى من الجواسيس ، وقد كان نشاطهم لا يفتر . فتراهم يجمعون الحقائق عن حركة السفن فى قناة بناما، وعن ضعف باب أحد خزاناتها، وعن مبلغ ما دمر من الزيت المخزون يوم أغار اليابانيون على برل هاربر . وكانت الرسائل تتوالى عليهم من برلين تحثهم على زيادة ما يرسلونه إليها . وقد وجدنا فى ملابس جاسوس ورقة عادية من أوراق فندق عليها رسالة تلفونية، وكانت بريئة لا تثير شبهة، ولكن الكلام المطبوع على تلك الورقة كان يحتوى على نقطتين ، فلما كبرتا تبينا أن فيهما عدة رسائل ، بينها الرسالة التالية :

« أوامر خاصة :

« نمى إلينا أن بارودا لطلقات البنادق يصنع الآن فى الولايات المتحدة ، وأنه يكاد يكون بلا دخان ، وأن ناره الخارجة عن فتحة القناة ضعيفة . فوافونا بالتفاصيل : لون النار عند فتحة القناة ، لون الدخان ، وبتركيب البارود إن استطعتم » .


ج . إدجار هوفر

وقد كان اليابانيون يستعملون هذه النقط فى رسائلهم . ففى ١٢ فبراير ١٩٤٢ أرسلت رسالة من طوكيو إلى ملحق بحرى يابانى فى جنوب أمريكا ، وكانت مكتوبة بطريقة النقط الدقيقة ، وكانت النقطة مدسوسة فى ظرف رسالة مرسلة إلى عنوان فى البرازيل ، وكان رقمها ٩٠ فى سلسلة من الرسائل خصصناها برقابتنا . وإليك نص الرسالة :

« إذا كان الاتصال مع « ك » مستحيلا فأرسل « ا » أو من ينوب عنه إلى الأرجنتين ، لينشىء اتصالا مع الملحق البحرى هناك » .

وقد كان « ك » جاسوساً بحرياً يابانياً مشهوراً

وكان بعض الجواسيس يلفقون رسائلهم عسى أن يخدعوا بها رؤساءهم فيظنوا أنهم على صلة بأوثق المصادر المطلعة ، وكانوا كثيراً ما ينقلون أنباء عن الصحف والمجلات. وقد أرسلوا بين ٣٠ يناير ١٩٤٢ و ٥ فبراير ١٩٤٣ ستّ عشرة رسالة نقلت أنباؤها من مجلة « تايم » واثنتين وسبعين رسالة نقلت أنباؤها من مجلة « نيوز ويك » ولكن الألمان في البرتغال كانوا يشترون المجلات الأمريكية من البحارة المحايدين . وقد دفع أحدهم ٢١ ريالا ثمناً لنسخة واحدة فيها أنباء حربية ، فانفضح سر الجواسيس الذين ينقلون أنباءهم عن الصحف ، فجاءهم الأمر من ألمانيا : « لسنا نطلب أنباء منشورة » .

وقد ألقي القبض على جواسيس كثيرين ، وخرّبت أوكار جماعات منهم لأننا نفذنا إلى سرّ النقطة الدقيقة . وفي أحد الأيام عرض في رسالة ذكر امرأة مقيمة في مدريد ، ففحصنا مجلدات فهارسنا التامة المتقنة ، فأسفر عن أنها أرسلت منذ سنوات حوالة مالية برقية إلى رجل في أمريكا ، ووجدنا أن هذا الشاب يقضي وقته متسكعاً في وشنطن ، وأنه كان شديد الكلف بفتاة أمريكية ، وكانت هذه الفتاة قد التحقت بمجندات الجيش ونقلت إلى ساحل أمريكا على المحيط الهادي . فأمرت بأن تعود إلى وشنطن ، ولم يكد ينقضي ربع ساعة على وصولها ، حتى كانت في قسم المباحث .

سُئلت : أتعرف هذا الرجل معرفة وثيقة ؟ فقالت إنه كان متدلهاً في حبها ، ولكنه كان كثير الهم شديد التكتم ، فنفرت منه فقطعت مراسلته . فعرضنا الأمر عليها عرضاً واضحاً صريحاً ، فقد كنا في حاجة إلى طريق ننفذ منها إلى دخيلة فكره . فهل ترضى باعتبار أنها جندي في الجيش الأمريكي ، أن تحاول أن تستطلع أمره لتعلم هل هو من الأعداء ؟

ودُبّر الأمر حتى تلقاه اتفاقاً في الشارع ، فانطلت الحيلة عليه ، وفرح فرحاً عظيما أنْ رآها ثانية ، وظلت خلال الشهر التالي تمثل دور « دليلة وشمشون » تمثيلا باهراً. واليوم ترى هذا الجاسوس رهين السجن ، لأنه ثرثر لها عن تجسسه معتقداً في غروره أنها ، لشدة هيامها به ، ترضى أن تصبح شريكة له .

وعلى هذا يسير العمل : إنتظر حتى تتاح لك فرصة أو يؤاتيك التوفيق ، ولابد لخصمك من أن يرتكب خطأ يوماً ما . والخطأ في هذه الحادثة الأخيرة، إنما كان ذكر

السيدة التى تسكن مدريد فى الرسالة الخفية.
وأهم تقنية نفذنا إلى سرها عن طريق معرفتنا أسلوب النقط الدقيقة كانت فى بلد فى أمريكا الجنوبية ، حيث وجدنا رسائل كثيرة من ضروب مختلفة من النـاس ، وكانت كل واحدة منها مملوءة نقطاً دقيقة مرسلة إلى برلين . وكانت رسائل غرام ، ورسائل عمل ، ورسـائل إلى الأهل ، وكانت تبدو بريئة من الشبهة ، ولـكن النقط الدقيقة المدسوسة فيها كانت ذات صلة بنسف سفن المحور المعتقلة فى موانىء أمريكا الجنوبية، أو تحوى تفاصيل عن إنتاج الحرب. وكانت الرسائل مختلفة الخط ، أو مطبوعة على آلات كاتبة شتى ، ولـكن النقط الدقيقة التى كانت مدسوسة فيها ، صنعت جميعاً بآلات واحدة ، وكانت التوقيعات كلها بخط واحد لايتغير . لقد أعدتها إذن هيئة واحدة . ثم جاء اليوم الذى ألقى فيه القبض على رجال حلقة محكمة من جواسيس النازى فى مدن أمريكا الجنوبية ، وقد تولت سلطات الجمهوريات الأمريكية ذلك العمل ، يعينها رجال مكتبنا .

وكل ما تقدم ليس سوى أمثلة قليلة على ما أبطلناه من تدبير الألمـان واليابانيين ، لأننا ظفرنا بنبأ أهدانا إلى سر النقط الدقيقة. ويرجع الفضل فيه إلى جاسوس من رجالنا اندس بين طائفة الجواسيس الألمان الذين خرجهم سيبولد أحسن تخريج .

OO·OO·✡✡·OO·OO

من آيات أوسكار وايلد

● قال لرجال الجمـــارك وهو داخل إلى أمريكا :
« ليس لدى ما أطلعكم عليه ، سوى عبقريتى ! » .

● إنما خلقت المرأة ليحبها الرجل ، لا ليدرك كنهها .

أسلوب الوقاية

للكاتب المسرحى فيرنك مولنار أسـلوبان فى التخلص من الزوّار الذين لا يرغب فى رؤيتهم ، فتقول سكرتيرته لبعضهم : « يؤسفنى أن المستر مولنار ليس هنا » . ولـكنها تقول للبعض الآخر الذى ينقم عليه مولنار أشد النقمة « يؤسفنى أنه ليس هنا » ، ثم تضيف : « فقد انصرف منذ دقائق فإذا أسرعتم أدركتموه فى الشارع » .

إذا أقبل طالب العمل بفكرة جديدة ، فقد ميز نفسه عن معظم طلابه ، ومهد لها النجاح .

إبتكر لنفسك عملاً

مختصرة من
"مجلة "فورسيتة"

جيمس د. وولف

إذا لم يكن لدى صاحب العمل مكان معين لطالب العمل ، فالغالب أن أن يصرفه بقوله : « آسف فإننا لسنا الآن فى حاجة إلى أحد » .

فإذا وقع هذا لك فلا تنسَ أن صاحب العمل قد يكون مخطئاً ، فإن ثمة عملا فى أغلب الأحيان ينتظر امرءًا واسع الخيال يأتى ويخلقه لنفسه .

وقد تعلمت هذا الدرس فى صباى ، إذ كنت تواقاً أن أكسب شيئاً من المال ، فسألت أصحاب محال المرطبات المثلوجة الثلاثة فى بلدى ، عملا كائناً ما كان ، ولكن لم يكن ثمة عمل ، غير أنى وجدت بعد أسبوع أن أحد هذه المحال استخدم ولداً جديداً . فاستجمعت شجاعتى وسألت صاحب المحل عن سبب ذلك .

فقال لى : «أجل ، وسأخبرك يا بنى . فلم يكن يدور بخلدى أن لدى عملا عندما سألتنى . غير أن «فريد» أتانى بفكرة جديدة . كان عنده دراجة فعرض علىّ فكرة حمل المرطبات إلى الزبائن ، وأنه على استعداد أن يوزعها بدراجته . وهذه فكرة جديدة فى هذا البلد ، وسيكون لها شأن » .

وكانت لدىّ دراجة أنا أيضاً ، ولكن كان لدى «فريد» شىء آخر لم يكن عندى — هو الفكرة .

كان هذا شأن أحد أصدقائى وهو رئيس تحرير قسم الألعاب الرياضية بإحدى صحف بنسلفانيا اليومية الكبرى ، فقد هيأ لنفسه بتفكيره أول عمل تولاه . كان يتوق أن يصبح صحفياً ، ولكن الصحيفة الوحيدة فى بلده الصغير لم تقبله ، فأخذ يدرس تلك الصحيفة وينقب عن مواضع الضعف فيها . واستقر قراره أخيراً على أنه ينقصها باب للألعاب الرياضية ، وأنها لا تتضمن من أنباء المزارع والزراع إلا النزر اليسير .

وعاد الشاب بعد سبعة أيام إلى صاحب الصحيفة يحمل إليه فكرتين وبعض مقالات مكتوبة تأييداً لقوله ونموذجاً لما يقترح . وكان الأسبوع حافلا بالمباريات الرياضية : مباريتان لكرة القدم ، ومباراة لقذف الأقراص ، وسباق للخيل يوم سوق البلد .

وناول رئيس التحرير مقالا مشوقاً عن هذه المباريات كمثال لما يكتب في باب الألعاب الرياضية . ثم عرض عليه باباً آخر بعنوان « حوادث المزارع » ضمنه مجموعة من الأخبار استقاها من المزارعين فاستخدمه صاحب الصحيفة لساعته .

واستطاع شاب عاد أخيراً من الحرب أن يهيء لنفسه عملا بدأ به حياته . كان ميكانيكياً ماهراً عرض خدماته على صاحب مصنع إصلاح السيارات فلم يكن ثمة عمل ، بيد أنه لم يفقد الأمل فقد اختمرت في رأسه فكرة : عرض على صاحب المصنع أن يعاون في العمل دون أجر ، وقال الرجل أن لا مانع .

وكان للمصنع سيارة واحدة للإصلاح ، فكان المحل لا يجيب طلبات كثيرين من أصحاب السيارات التي تعطلت في الطرق . فأتى الشاب بموتوسيكل قديم له صندوق على جانبيه ، فملأه بالأدوات اللازمة لأعمال الإصلاح المستعجلة . فسر صاحب المصنع وأعطى هذا العامل المجاهد عملا يدر عليه ربحاً وفيراً .

فكرة بسيطة ؟ قد تكون كذلك ، ولكن تدبر هذه الحقيقة : فقد ظللت ثلاثين عاماً أو تزيد مديراً لشركة إعلانات قابلت خلالها ما لا يقل عن ٥٠٠٠ شخص يبحثون عن عمل ، فلم يكن بينهم أكثر من خمسين تقدموا بأي فكرة تتصل بالمسائل التي كنا نتحدث بشأنها .

وعليك عند ما تنقب عن فكرة أن ترقب بعين ناقدة تلك الأعمال التي لا يحسن الناس القيام بها . فإن قلة اهتمام الآخرين بأعمالهم قد تفتح لك آفاق النجاح . خذ مثلا قصة ذلك الرجل الذي بدأ حياته بائعاً للصحف في باترسون بنيوجرسى ، فقد لاحظ أن الأولاد الذين يوزعون إعلانات المحال التجارية يلقون بها في الشوارع في غير احتفال ، حتى أن جلها يضيع على الناس .

وسائل الغلام نفسه : « لعل التوزيع يكون أجدى لو سلم كل إعلان لربة المنزل يداً بيد على الباب » ، وراح بهذه الفكرة إلى رجل أوشك أن يفتح متجراً جديداً فظفر بعمل ، هو توزيع إعلاناته .

وقضى الغلام أربعة أيام يوزع إعلانات كان غيره من الأولاد يوزعها في يوم واحد . وفي صباح يوم الافتتاح تكاثر المشترون على المتجر حتى غص بهم ، وكاد يضطر لتغليق الأبواب . واستخدم الغلام. وبعد أربعة أشهر ، كان الغلام في سن السادسة عشرة ، فعرضوا عليه أن يدير متجراً آخر من سلسلة المتاجر التي يملكها صاحب العمل . وهذا الغلام بائع الصحف

هو اليوم ت . ج . جراسى مدير متاجر «جريت إيسترن» المشهورة ، ويبلغ عددها ٦٣ متجراً .

واجعل من عادتك أيضاً أن ترقب كل فكرة غريبة يستخدمها الآخرون بنجاح . ألق بالك أيضاً إلى الإعلانات المنشورة فى صحفك المحلية ، فقد تجد فيها مناحى جديدة لتحسين العمل فى المتاجر .

وستجد أيضاً كثيراً من إعلانات الأعمال الناشئة ، وقد تجد فى مواهبك ما يلائم أحد هذه الأعمال .

وثمة ينبوع فيّاض للفكر الجديدة فى المجلات الصناعية ، ومهمتها أن تنشر الفكر الجديدة وتطوراتها . وتزخر هذه المجلات بالطرق المثلى لعمل كل شىء . وأصحاب العمل والمديرون لا يكادون يفرغون للبحث عن الفكر المستحدثة فى هذه المجلات الصناعية . وإن طالب العمل الذى يتجلّى فيه من النشاط والإقدام ما يستطيع بهما أن يستخرج هذه الفكر ويضعها موضع التنفيذ ، لن يلبث حتى يجد أذناً تصغى إليه .

وإن سرعة تطور المخترعات الجديدة : كالرؤية عن بعد ، والأجهزة الكهيربية ، وتكييف الهواء ، والطيران المدنى ، وتجميد الطعام وما إليها — كل ذلك ميدان واسع لأصحاب الخيال والهمة والابتكار . فإن طالب العمل اليوم يجد حواليه مشاكل جديدة تنتظر من يحلُّها ، ومشاكل قديمة تنتظر من يحلُّها حلا خيراً من حلها القديم . وإن حاجات عالم ما بعد الحرب التى لا تنفك تتغير ، تنادى طالب العمل ، فعليه أن يصيخ إلى ندائها ويعى ما تقول .



حكمة أستاذ

يوم أتممت دراستى العالية فى الجامعة ، عرض علىّ منصب تدريس فقبلته ، فذهبت إلى أستاذى الحكيم وليم ترنت لأودعه فقال : « لا أستطيع أن أزوّدك بآراء العلماء فى أساليب التدريس ، ولكننى أستطيع أن أطلعك على شىء عرفته بالتجربة . فقد يتفق لك وأنت تحاضر أن ترى أحد الطلبة يهزّ رأسه هزّاً عنيفاً ليدل على أنه غير راض عما تقول . وقد تغريك حركة رأسه بتعنيفه أو بمحاولة إقناعه ، فخير لك أن لا تفعل ، فربما كان هو الطالب الوحيد فى الفصل الذى ينصت إلى ما تقول » .

[جون إرسكين]

هكذا تكون المجاعة

جون فردريك ميهل*

مختصرة من مجلة "آسيا والأميركان"

عادت المجاعة تجتاح العالم ، ففى أوروبة ١٤٠٫٠٠٠٫٠٠٠ من الناس ليس لديهم ما يكفى لغذائهم، وفى الصين ٤٨٫٠٠٠٫٠٠٠، وفى جنوب شرق آسية ١٣٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ، والهند تهددها المجاعة . ونحن ننشر هذا المقال المؤثر لمشاهدات جندى فى المجاعة الكبرى التى اجتاحت بلاد البنغال ، فى ١٩٤٣ — ١٩٤٤ إنذاراً بما يتهدد العالم من بلاء فى سنة ١٩٤٦

كاد الظلام يرخى سدوله حين هبطت طائرتنا مطار كلكتا ولما تمض ثلاث ساعات على قيامنا من جبهة برما ، فتنفست الصعداء إذ « خلصنا » أخيراً ، فقد كرهت نفسى شعاب الغاب الرطبة ، وعافت أكل لحم العلب المنتن .

فلما نزلنا كلكتا فى تلك الليلة لم نكد نصدق أعيننا ، فقد كان ثمة صابون وماء ساخن للاستحمام، وكانت ثمة مطاعم وفنادق يقدم كل منها لروّاده مجموعة مختارة من اللحوم والفطائر والمثلجات .

بيد أن كلكتا كانت كذلك بلداً يخيم عليه الجوع والموت ، فلم يك ثمة أرز أو ذرة لسكان أحيائها الوطنية الممتدة الأطراف ، أو لطائفة الشحاذين والمنبوذين الذين يذرعون الشوارع والطرقات : لم يكن لهؤلاء جميعاً إلا الأفاريز الجرْد حيث يستجدون المارة فضلة من طعام، ويدلكون بطونهم المنتفخة وهم يزحفون وراء أهل اليسار من الخاصة والأوربيين . هناك على قارعة الطريق كانوا يسقطون جثثاً هامدة حتى تأتى سيارات النقل فتحملهم إلى أفنية حرق الموتى .

لن يعرف أحد أبداً كم من الناس ماتوا فى مجاعة البنغال ، فقد غلا الأرز ورخصت الحياة فى طول الولاية وعرضها ، ولم يك ثمة إحصاء دقيق لعدد من أحرقوا ، وقد ترك كثير من الجثث تبلى حيث وقعت .

وقد تضلّعت كلاب كلكتا شبعاً فى وليمة الموتى، وجاست خلال الشوارع تنهش لحوم البشر وتحمل عظامهم بين أنيابها ، وكانت تهاجم الموتى الذين يسقطون ساعة يكفّون عن المقاومة . ولقد رأيت غير مرة كلباً

* كان فى السلاح الطبى التابع للجيش البريطانى ، وهو اليوم طالب حقوق فى جامعة مشيجن .

يصارع امرأة تملكها الفزع ليستولى على جثة زوجها .

وقد غطى الظلام فى تلك الليلة الأولى على أبشع مظاهر البؤس الجاثم ، ولكننى كنت أسمع مع وقع خطواتى حركات خفيفة مستمرة حولى ، منها يد تمتـد إلى ساقى لتمسك بها ، وصوت خافت يُسرّ : « ياسيدى ! يا سـيدى ! » . وكنت ترى عند مدخل أحـد المطاعم الكبيرة جثتين عاريتين لاتزالان تلتمعان فى الضوء بما تفصّـد منهما من عرق . وأقبل ضابط شاب وبرفقته سيدة فاعتذر إليها ، وأسرع إلى الجثتين فزحزحهما من النور إلى الظلام ، ثم دخل المطعم وهو يتحدث إليها كأن لم يحدث شىء .

وزحف نحوى من الظلام رجل يشق طريقه جاهداً وقد مالت عمامته فوق وجه أرهقته غبرة الموت . كان رأسـه قد تدلى ومد إلىّ ذراعه ، وكان يتحرك فى بطء ومجهود أليم ، فغمرنى وإياه قوس النور ، على أنى أحسست أن ثمة آخرين كانوا يرقبون ، فوقفت لحظة وقد تملكنى الخوف والحيرة حتى اقترب منى وكاد يمسنى ، فوليت فى الظلام عائداً أدراجى إلى الفندق الذى نزلت فيه ، وقد استحال خوفى إلى غثيان غصّ به حلقى ، فحين وصلت إلى حجرتى ولما أكد ، انتابنى قىء مرير .

وعلمت فى الصباح التالى أنى لن أستطيع مغادرة كلكتا قبل مضى أسبوع ، واقترح ضابط شاب اسمه كروفورد أن أعاونه فى عمله بضعة أيام ، وكان يعمل مع حكومة البنغال فى إخلاء الشوارع من الجثث ، ولكنه نصحنى أن أقضى اليوم الأول أتفرج على المدينة وقال : « ستحتاج إلى أحشاء لا تضطرب إذا أنت أزمعت العمل معى » .

وزرت نادى التجديف بكلكتا وكنت أحمل إليه كتاب تعريف ، وكان معظم أعضائه من الرجال يمرحون فى البحيرة ، فدلفت إلى حجرة الجلوس حيث جلس النساء يتجاذبن أطراف الحديث . فلما سنحت الفرصـة أدرت دفة الحديث إلى المجاعة ، فانفجرت فىّ إحـداهن قائلة : « اسمع أيها الشاب ! إن هـذه المجاعة قد سببت لنا متاعب جمـة لا قبل لنا بها ، فطالما تناوشتنا الأيدى فى الشوارع ، وطالما أثقلوا علينا بثرثرتهم ونحن فى بيوتنا شبه محاصرات ، وقد سرقت صفائح فضـلات منزلى مرتين خـلال أسـبوع واحد ، وتكشف للنادى يوم الاثنين الماضى أن نصف ما يقتنيه من البط تقريباً قد سرق من البحيرة . ويبدو لى أنك غريب ونحن لذلك نصفح عنك ، بيد ان هذا موضوع ثقيل ولن تجد بيننا جميعاً من يرتاح إليه » .

وفى صباح اليوم التالى ركبت عربة إلى أفنية إحراق الجثث لأقابل كروفورد ، فلما اقتربت شممت رائحـة الأهوال التى تجرى فى داخل . وكان العمال يكدسون الجثث على أكوام من الخشب ثم يصبون عليها البترول ويشعلون فيها النار بالمشاعل .

وظهر كروفورد وقال : « إن الوقت قد حان للعمل » . وجاء من المدينة راكب يسعى يحمل إلينا أنباء الأحياء التى غصت بالموتى . والتى ينبغى أن يبادر إلى إخلائها من الجثث ، ومجموعة من الشكاوى من كبار الأهالى ممن لم تخل أفنية دورهم والطرقات المؤدية إليها من الجثث . حتى لقد أصبحت الأرض المملوكة الخالية من الموتى هى آية تدل على أصحاب السلطان فى كلكتا . وكان بين هذه الشكاوى شكوى من جماعة تنـذر برفع قضية إذا لم ترفع الجثث عن أرضها ، على أن الشكوى التى أثارت اهتمامى جاء فيها : « لقد عشت فى كلكتا أثناء مجاعات عديدة ، كانت الجثث ترفع فيها بسرعة مشكورة ، بيد أن قلة كفاية الحكومة الحاضرة تضعف ثقتى بالوسائل والنظم القائمة . »

ومررنا بعجلة لإعانة الجائعين من ضحايا المجاعة ، فرأينا المشرفين عليها يوزعون غرارة من الأرز ــ غرارة واحدة على آلاف من الناس . فكنت ترى الأحياء فى مقدمة الحشد يتبلغون بما يقيم أودهم ، وترى الموتى يحصى عددهم فى فناء فى مؤخر الدار .

وفى هذا المساء عندما قدمنى كروفورد إلى رئيسه سألته عن محلات إعانة المجاعة ، وكم نفس استطاعت هذه المحلات إنقاذها ؟ فجاء جوابه صريحاً قاطعاً : « إنك لن تستطيع أن تقف شر المجاعة ببضعة أكياس من الأرز كما تعلم . ولكن هذه المحلات تخدم غرضين ، فإن فرصة الحصول على حفنة من الأرز تجتذب من الجائعين من هو أقرب إلى التضعضع والسقوط ، وحتى إذا نحن لم نستطع أن نطعمهم جميعاً ، فإن هـذه المحلات تجعل من السهل جمع جثثهم » .

إن العقل الإنسانى يستطيع أن يتعوّد كل ما يمر به ، بيـد أننى لم أدرك مدى الجهد الذى يقتضيه هذا التعود يوم ألفيتنى آكل قطعة من الحلوى وأنظر فى غير ما اهتمام إلى امرأة تجود بروحها .

إن العقـل لا يتحمل أكثر من قسط معين من التأثر ، فإذا أقحمت عليه منه مزيداً لم يعد يتأثر . وإذا أنا استطعت أن أعبر عما رأيت من فظاعة يقصر الوصف عنها ، استطعت كذلك أن أعبر معها عن نظرتى القاسية وعدم اهتمامى الذى كان وليد الضرورة والأحوال المحيطة بى .

ويمكن أن ترى بوضوح علامات المجاعة المزمنة فى جميع أنحاء البنغال ، فإن نصف عدد السكان تقريباً قد أصابهم المرض والعاهات ، ولـكن لعل ما أصاب السادة الأغنياء الذين امتلأت بطونهم هو شر هذه العلامات : نظرة وحشية ، وغلظة فى الأكباد . إن ما تجرّه المجاعة وما تجره الحرب،أعظم من الأنفس التى تهلك فيهما ، فإن فساداً خفيا يسرى فى دم جميع من ابتلوا بالعيش فى ظلّهما .

لنذكر أن الملايين من الناس فى العالم الحديث الذين يجدون من الغذاء فوق ما يريدون ، لا يفصل بينهم وبين الملايين التى تتضور جوعاً ، إلا كالذى يفصل بين رواد الفنـدق الـكبير فى كلـكتا وبين المتضورين جوعاً فى شوارعها .



كمه يقظاً

ذهبت جماعة من الشبان المتدربين على المخاطبات اللاسلكية إلى مكتب شركة تسيِّر بواخر كثيرة فى بحار الأرض ، وكلهم ينوى أن يطلب عملا على إحدى هذه السفن . وشغلوا بالحديث ، فلم ينتبهوا لرسالة بشفرة مورس يذيعها مكبر الصوت فى حجرة الانتظار ، ولا لرجل دخل المـكتب وجلس قليلا ، ثم إذا به يقفز ويمضى إلى مكتب المدير ، ثم ما لبث حتى عاد ضاحكا مغتبطاً .

فقال له أحد الشبان : « بربك قل لنا كيف سبقتنا ، فقد تقدمناك إلى هذا المـكتب ؟ »

فقال : « لو أصغيتم إلى الرسالة التى أذاعها مكبر الصوت لظفر أحدكم حتما بالعمل الذى جاء من أجله » .

فسألوه دهشين : « أية رسالة ؟ »

فقال الرجل الغريب : « رسالة بالشفرة أذاعها مكبر الصوت هذا . فقد قالت : إن الرجل الذى تشـتدُّ حاجتى إليه هو الرجل الذى يكون دائم اليقظة . فأول رجل يتلقى هذه الرسالة ويجيئنى إلى مكتبى الخاص ، أعينه فى الحال عامل الاتصال اللاسلـكى فى إحدى سفنى » . [والتر . س . ميلو]

زوجان شابان من خريجي الجامعات ، لم يستنكفا أن يشتغلا خادمين في بيت — فظفرا بما لم يدر في خيالهما .

حللنا مشكلة السكن

مارجرى إلن ولف

مختصرة من صحيفة "مينا بوليس سنداى تايمز"

رمانا بعض أصدقائنا بالجنون ، وأثنى بعضهم على شجاعتنا العظيمة . أما نحن فلا نرى أننا عدونا أيسر قواعد الفطنة فيما فعلنا ، وقد ظفرنا بمسكن يطيب لنا فيه العيش ، وننال فضلا عن ذلك أجراً حسناً .

كان فرانك خريج جامعة عاد من ميدان المحيط الهادى برتبة ملازم ، وأما أنا فخريجة جامعة أيضاً ، وسكرتيرة مدربة ذات تجربة ، ومع ذلك فقد رضينا أن نشتغل خادمين في منزل .

تبدأ قصتنا يوم تزوجنا في سنة ١٩٤٢ ، وكان فرانك قد عين ضابطاً في الأسطول ، فلم نقض معاً سوى ستة أشهر قبل خروجه للخدمة وراء البحار . ولم يكن لنا بيت خاص بنا ، فقضينا ثلاثة أشهر في حجرة صغيرة رثة ، وكنا نأكل في المطاعم ، وقضينا الأشهر الثلاثة التالية في شقة عتيقة فيها فرن غاز صغير ، وملحق بها حمّام مشاع بيننا وبين غيرنا . فلما سافر فرانك شغلت منصب سكرتيرة ، وأجرت غرفة في بيت سيدة غريبة عنّا لا نعرفها .

ثم عاد فرانك بعد اثنين وعشرين شهراً وعلى صدره وسام حربى ، وهو يتحرق شوقاً إلى « أن يعيش مرة أخرى كما يعيش الناس من بنى آدم » . وكان شديد الرغبة أيضاً في دراسة التجارة الخارجية ، لأننا عزمنا على أن نتجر مع أمريكا الجنوبية . وقد رأينا فيما رأينا أن أفضل مناهج هذه الدراسة ، هو المنهج المتبع في معهد عال في العاصمة « وشنطن » ، وكان من حسن حظنا أن وجدنا مسكناً إلى حين في فندق من الدرجة الثانية . كان مؤلفاً من مخدع ومطبخ صغير يعج بالصراصير والفئران ، وكان أجره باهظاً .

فشرعنا مرة أخرى نكب كارهين على قراءة إعلانات « شقق للتأجير » ، فلم نجد شقة خالية في أحد المبانى التي شيدت لكى تؤجر شققها بمبلغ يسير . فاضطررنا أن نلجأ إلى إعلانات « غرفة مفروشة » على شدة كرهنا الأكل في المطاعم . وكان الأجر ٥٠ ريالا أو ٦٠ ريالا في الشهر لأية غرفة لها حمام خاص بها . فلم نكد نرى واحدة

منها حتى اشمأزت نفوسنا — وكانت غرفة سطح فى علية الدار فوق الدور الثالث . فوهنت عزيمة فرانك ورأى أن ينصرف عن دراسته . ثم ساد الصمت بضع دقائق ، وإذا هو يصيح : « مهلا ، مهلا ، إن مدينة كبيرة كمدينة وشنطن ينبغى أن يكون فيها بيوت كثيرة فيها غرفة خالية يطيب العيش فيها ، وما علينا إلا أن نبتكر طريقة تهدينا إليها .

فقلت : « ما زلت على رأيى من أنى لا أحجم عن مسح الأرض لنظلّ معاً ، فلم لا نعمل خادمين فى بيتٍ ، فأكون أنا الطاهيـة وتكون أنت الخادم ؟ » وما كنت إلا مازحة حين قلت ما قلت ، ولكن شدَّ ما دهشت حين رأيت فرانك يأخذ رأيى مأخذ جدّ ، فقال : « فلنلق نظرة على الصحيفة لنرى هل من عمل نستطيع أن نظفر به » .

فلما تبيّنا أن أعمـدة الصحيفة زاخرة بإعلانات طلب الخدم لأعمال المنزل ، وأنها خالية من إعلانات أناس يعرضـون أن يكونوا خدماً فى المنازل ، خطر لفرانك خاطر باهر . قال : « إذ نحن أجبنا الذين يطلبون خدماً ، وجب أن نلبى حاجتهم . فلننشر نحن إعلاننا ، وعندئذ ينبغى لمن يردُّ علينا أن يلبى حاجتنا » .

ولم يكن لنا بدٌّ من أن نقدِّر ما يدخل فى طاقتنا قبل أن نكتب الإعلان ، فقد كنت فتاة ذات دراية بتدبير المنزل ، لأن والدتى ظلت سنين طريحة الفراش ، فوقعت على كاهلى وعلى كاهل شقيقتى مهمة تدبير منزل كبير . وكنت أهوى فن الطبخ ، وقد علمتنى أمى وحماتى شيئاً كثيراً من أصوله ، ثم كنت ذات خـبرة فى إدارة المكاتب .

وكان فرانك يعرف كل شىء عن آداب تقديم الطعام والقيام على خدمة البيت . فقد كان لأسرته خدم مدربون أحسن تدريب ، ثم اشـتغل ذات صـيف نُدُلا فى نادٍ فى الريف .

وكذلك وضعنا نص الإعلان كما يلى :

« زوجان من خريجى الجامعات ، الزوجة طاهيـة وسكرتيرة ، وتتولى تدبير المنزل . الزوج ، محارب قديم ، طالب علم ، يعمل نُدُلا فى المساء وطول عطلة الأسبوع . الشروط حجرة للسكن وحمـام خاص ، وإجازة يوم فى الأسبوع » .

ويوم صـدر إعلاننا فى صحيفة وشنطن بوست ، بدأ تلفوننا يدق فى الساعة السابعة والنصف صباحاً . فدونت بالاختزال تفاصيل كل حديث ، ثم صنّفناها فجعلناها ثلاثة أبواب : المستحيل ، والمشكوك فيه ، والممكن . وقد

كان عدد العروض التى جعلناها فى باب « الممكن » كافياً ، فرددنا على أصحاب العروض فى البابين الأولين ، بأنه لا يسعنا أن نقبل ما عرض علينا . وقد رفضنا ما عُرض علينا من سكن وعمل وأجر قدره ١٦٠ ريالا فى الشهر ، لأن المنزل كان فى عزبة فى الريف ، فكانت بعيدة عن مدرسة فرانك . وعرضت علىّ سيدة تدير نُزُلاً للوجهاء مئة ريال فى الشهر لأقوم بعمل الطبيخ (على أن لا يزيد ما أطبخه على مايلزم لطعام ١٤ أو ١٥ من نزال دارها !) وأن أتولى أعمال تنظيف المنزل .

وأخيراً وقع اختيارنا على مستر ومسز ج . لأسباب كثيرة . الزوج محام والزوجة مؤلفة تستطيع أن تنتفع بمهارتى فى الاختزال والطبع بالآلة الكاتبة . ولم نجد غيرهما بين الذين حدثناهم من نظر إلينا نظرته إلى أناس من البشر وقد ترفقا فى سؤالنا عمّا نعتزمه فى الحياة ، ولماذا ؟ ثم تبيّنا أنهما يحبان ما نحبّ من الطعام الغريب ، والكتب والناس والكلاب . ثم سرّنا ما ألفيناهُ فيهما من توخى الدقة فى كل شىء ، وذلك يقتضينا جهداً فى العمل ، ولكننا آثرنا أن نكدح من أجل سيّدين يقدران الإتقان والنظافة فى مرافق البيت حق قدرها . كان البيت مثل ألوف من البيوت المتوسطة فى الضواحى ، ولكن حسن الذوق كان يتجلى فى أثاثه ، وكان فى الطابق الأسفل غرفة مريحة للخدم ، غير أن الرجل وزوجته سألانا : ألا نؤثر أن نشغل غرفة الضيوف ؟ فقلنا : نعم ولا ريب .

ويوم نقلنا متاعنا إلى هذا البيت ، كان الجزع والرهبة يستبدّان بى . أما فرانك فكان يرجو غير متفائل أن تنجح التجربة . وقد كدت أصطدم بمسز . ج . فى الساعة الأولى ، وكانت كلٌّ منا مسرعة تحمل فى يدها دفتر الاختزال . فقد خطر لكل منا نفس الخاطر الباهر : أن تملى هى علىّ تفاصيل لا تحصى ينبغى أن تبين لمديرة طارئة على البيت — أين تجمع القمامة ، ومتى تقدم وجبات الطعام ، وأين توضع الصحون . فإذا بنا نبدأ علاقتنا معاً على خير وجه ، لأنها بداية غير مألوفة بين ربة البيت وخادمتها .

وقد اعترانى الاضطراب وأنا أطبخ الوجبة الأولى من الطعام ، ولكن مستر ج جاء بعد العشاء إلى المطبخ وأكد لى أن الأكل كان ممتازاً وقد ظللت زمناً ما أنفض الغبار عن كل شىء مرتين ، وذلك يستغرق وقتاً طويلا ، حتى خيل إلىّ أنى لن أفرغ . وكنت أحس بدبيب الكلال والإعياء فى مساء كل يوم ، ولكننى جلست

ذات يوم مع مسز ج ووضعنا جدولا للعمل ، وكنا قد أرجأنا وضعه حتى يعرف فرانك نظام دراسته وساعاتها . فلما عرف ذلك صار فى وسعنا أن نعرف أيضاً متى يستطيع أن يعاوننى فيما يشق من أعمال التنظيف ، وإذا العمل قد صار نسقاً مطرداً على ما يرام . ولو لم أضع وقتاً كثيراً فى محادثة مسز ج فى موضوعات كثيرة تهمنى وتهمها ، لكنت أنجز العمل فى أيسر الوقت .

وأنا أستمتع بالعمل استمتاعاً يفوق ما كنت أتصور . فهو أقل تعباً وأوفر حرية من العمل فى مكتب ، ونفقات المعيشة أيسر ، فلست أحتاج إلى ملابس تكلفنى مئات الريالات كل سنة . وفى البيت من العمل ما يشغلنى ما طاب لى الشغل ، ولكنه يدع لى ساعتين أو ثلاث ساعات كل يوم للراحة أو المطالعة أو النزهة . ولو كنت ربة بيتى لما كان عملى أقل من ذلك .

نعم ليس كلُّ شىء على ما يرام تماماً ، فمستر ج ، يتأخر أحياناً فى عودته من مكتبه ، فيتأخر العشاء وتقصر فسحة السهرة ، ولسنا أحراراً فى نهاية الأسبوع ، وفرانك لا يجد فسحة من الوقت لنفسه بين ساعات الدراسة الطويلة وساعات العمل فى البيت ، فالذى يضحى به هو أعظم مما أضحى به أنا . ولو كنت ربة بيتى لظللت مشغولة طول يومى .

ومستر ج وزوجته يضحيان ببعض الشىء أيضاً لكى نبقى معهما ، فليس عندهما الآن حجرة خاصة للضيوف ، وصار بعض حياتهما معروضاً على عيون غريبة عنهما ، وأجرنا ليس بالأجر اليسير .

ولكننا نظن جميعاً أن هذا التدبير جدير بكل هذه التضحيات ، فالزوجان راضيان عن طريقتنا فى تدبير أمر منزلهما ، ويستطيعان أن يوجها كل عنايتهما إلى عملهما الخاص . أما فرانك فماض فى دراسته ويعيش عيشة راضية ، وله أن يتطلع إلى مبلغ مدّخر من المال يوم يفرغ من الدراسة بعد سنتين . وأما أنا فلا أستطيع أن أتصور حالا أحسن من حالى الآن ، ومشكلة السكن هى ما هى . ولولا ما تمّ لى ، لوجب علىّ أن أعمل فى مكتب بعض الوقت ، وأنفق البعض الآخر فى تدبير أمر شقة رثة . أو أن أعمل طول الوقت حتى أستطيع توفية الأجر ، ثم ألفى نفسى فى المساء منهوكة لا أقوى على طبخ العشاء .

وأهمّ من ذلك أن هذا عمل أتولاه أنا وفرانك ، وهذه نعمة عظيمة بعد طول الفراق الذى باعد بيننا .

ماذا تعرف عن عينيك ؟

جوزيف سماكسون دكتور في الفلسفة

مختصرة من
"ذي أمريكان مجازين"

كل امرىء يولد سليم البصر ، ومع ذلك فإن ملايين من الناس يصابون بآفات خطيرة فى البصر كان يمكن اتقاء أكثرها . وتبدأ رعاية العيون فى البيت ، فانظر ماذا تعرف عن عينيك بعد مطالعة هذه الآراء :

١ — القراءة على الضوء الخابى تكاد تكون أسوأ عادة فى القراءة :

باطل . فإن بريق الضوء الساطع يحدث من كلال البصر أكثر مما يحدثه الضوء الخابى ، وينعكس هذا البريق من الجدران اللامعة ومن الورق المصقول ، أو يقع على العين رأساً من السراج .

٢ — إذا كانت قوة إبصارك ٦ على ٦ ، دل هذا على أن عينيك سليمتان .

باطل . فإنك إذا رأيت على بعد ستة أمتار ما يظن الأطباء أنك لا بد أن تراه ، فإن بصرك يكون ٦ على ٦ أو طبيعياً كما يقولون ، ولكن هذا لا يدل على سلامة عينيك ، فإنك قد تكون فى هذه الحالة « طويل النظر » ، فتحاول عضلات التشكل فى العين أن تشكل عدستها على صورة تجعل الرؤية طبيعية ، ولكن هذا التشكل يرهق العين .

٣ — حول الأطفال يبرأ من تلقاء نفسه ، وتصبح أعينهم طبيعية على مدى الزمن .

باطل . وهو وهم من أوهام الآباء يغريهم بالإهمال ، فحول الأطفال يجب أن يعالج ساعة اكتشافه ، وهو يعالج بالجراحة أو استعمال النظارات الملائمة ، أو بتمرين عضلات العين الضعيفة برياضات العيون .

٤ — يستطيع طبيب العيون أن يتبين ما قد يكون بأسنانك من علل إذا هو فحص عينيك .

حق . فإن العيون تؤذيها الجراثيم التى تتولد فى أمكنة محصورة بين الأسنان ، وحتى العمى يمكن أن ينشأ من الأسنان التى توغلت فيها الجراثيم .

٥ — يجوز أن تصاب بضعف مؤقت فى عينيك دون وجود عيب دائم فيها .

حق . فقد تحس ضعفاً فى البصر ، وقد تتعب عيناك بسهولة وتشعر بالإعياء ، ويكون ذلك لعلة عامة فى البدن ، أو لكلال شامل فيه ، أو لتوتر فى الأعصاب . وقد ينشأ هذا الضعف أيضاً من سوء التغذية .

٦ — عمى الألوان يصيب الرجال أكثر مما يصيب النساء .

حق . فإن النوع الشائع من عمى الألوان

ينتقل بالوراثة . ويصاب به نحو رجل واحد من كل ٢٥ رجلا ، وامرأة واحدة من كل ٢٥٠ امرأة .

٧ — خير وسيلة للتخلص من القـذى فى العين ، هو التمخط العنيف :

باطل . وإن كانت نظرية التمخط نفسها صحيحة ، لأنه يهيج الدموع ، فيسيل القذى معها . وخير ما تفعل فى هـذه الحالة أن تطبق عينيك وتبقى على ذلك عشر ثوانٍ ، فتدمع العين عادة ويسيل القذى مع الدمع .

٨ — ربع طـاقة البدن تسـتنفد فى الإبصار

حق . كما يقول الدكتور تشارلس شيرد من مؤسـسة مايو . وهـذا يفسر كيف تؤثر حالة عينيك فى صحة الجسم عامة .



سعة الحيلة

سمع رجل فى بوسطن عن منصب خال فى شيكاغو والمسافة بينهما ... فأرسل برقية إلى مدير العمل قال فيها : « أنا فى طريقى لأشغل المنصب . ادفعوا أجرة هذه البرقية ، واخصموها من مرتبى فى الأسبوع الأول » . فعُيِّن .

كان ويلرد جونسون وكيلا لشركة تأمين ، فخطر له أن عمل فريق من الناس يقتضيهم أن يسهروا حتى الصباح ، فبدأ ذات ليلة عمله بعد انتصاف الليل ، وزار عشرة من الرجال من الذين يعملون ليلا من الفنادق إلى المكاتب فى محطات سكك الحديد ، فوجد أن كلاً منهم يودّ أن يحدثه عن التأمين على حياته ، وقد كانوا يشعرون بوطأة الوحدة على نفوسهم ، فسرّهم أن يجدوا من يزورهم ويجاذبهم أطراف الحديث ، ويحتفى بشئونهم . وقد أمّن معظمهم على حياته . ثم دأب على مثل ذلك ونجح . [مجلة « لايف »]



ما من أحد يستطيع أن يشعرك بأنك أقلّ منه منزلة إلاّ إذا أنت رضيت ذلك لنفسك . [إليانور روزفلت]

لفافة من البذور أهديت إلى جار صينى وما أثمرتها من عجائب

صفقة فى جزيرة تاهيتى

جيمس نورمان هول

مختصرة من " ذى أتلانتيك منثلى "

منذ بضع سنوات ، حين كنت مقيما فى بابيتى عاصمة تاهيتى ، ألفيت نفسى قد بلغت من الإعسار مبلغاً اضطرنى إلى اتخاذ كوخ ذى غرفة واحدة فى فدانين من الأرض ، على مسافة ٣٥ ميلا من المدينة ، وقد استطعت أن أستأجرها بثلاثة ريالات فى الشهر ، وكانت الأرض خصبة مريئة فاستقر عزمى على أن أجعل منها حديقة خضر .

ولكن التجربة رفعت عن عينى الغشاوة ، فإن ملايين من النمل الأحمر الصغير حملت معظم البذور ، وأكلت الحشرات القليل الذى نبت . وبعد ثلاثة شهور كان كل ما خرجت به بعد الكد كوزين من الذرة أكلت الفيران جهما ، وثلاث حبات من الطماطم ، وحبة من القرع . فإذا أضفت أجر العمل بحساب عشرين سنتاً فى الساعة إلى ما أنفقت على الآلات والبذور التى استوردتها من أمريكا ، فإن هذه البقول تكون قد كلفتنى كل واحدة منها ١٥ ريالا ونصف ريال . ومع ذلك قررت أن أجرب مرة أخرى ، وحصلت من الولايات المتحدة على مقدار صغير من بذور جديدة .

ولكن لما سويت الأرض وطهرتها من الأعشاب تمهيداً لزرعها ، ورأيت كتائب النمل المتربص والسرطان البرى ، يئست وقلت لنفسى : « خير لى أن أعود إلى الكتابة » . وفى عصر ذلك اليوم شرعت أنظف الآلة الكاتبة ، فمر بى صينى اسمه هوب سنج كان يعيش قريباً منى ، وهو فى مركبته العتيقة . وكنت أعرف أن له حديقة يزرع فيها البطاطة ، والبطيخ ، والقمح . فناديته وأعطيته بذورى ، وبينت له ما فى كل لفافة منها — الخس ، والفول ، والقرع ، والطماطم ، والقمح . فزام وسأل : « بكم ؟ »

كان جيمس نورمان هول قبل أن يكتب هذه القصة فى عام ١٩٢٥ ، كاتباً غير مشهور ، وكان قد دلف إلى الكهولة وهو يعيش فى جزيرة نائية فى المحيط الهادى ، حيث كان يكتب قصصاً كثيرة ولا يبيع منها إلا القليل . ثم بدأ الحظ يتغير ، فقبل الناشرون ثلاثة كتب ألفها ، واشترك مع شارلزد نورهوف فى أربعة من الكتب بلغت غاية الرواج وهى : « التمرد على الباخرة بونتى » و « رجال ضد البحر » و « جزيرة بيتكيرن » و « العاصفة » .

فقلت: «لا شيء . هي هدية لك» فأمسك بالمقعد ليحتفظ باتزانه ، والتمعت عيناه السوداوان ، ولكنه لم يبد غير ذلك من مظاهر التأثر .

ونسيت هوب سنج ، لساعتي ، فقد استغرقني أمري وهو : كيف أعيش برأس مالي وهو ١٢٨ فرنك — أي نحو خمسة ريالات — إلى أن أستطيع أن أكتب وأبيع مقالة أو قصة ؟ فإنه حتى لو قبل ما أكتب وأبعث به إلى أمريكا على الفور، فلا أمل في تلقي حوالة قبل ثلاثة شهور .

وكان أجر البيت مدفوعاً لثلاثة شهور سلفاً ، ولكن ما القول في الطعام ؟ إنه من المستحيل أن يعيش المرء ثلاثة شهور بـ ١٢٨ فرنكا ، فقررت أن لا أحاول ذلك ، وابتعت طباقاً محلياً بخمسة وعشرين فرنكا (فإنه لا غنى بي عن التدخين إذا كنت سأكتب شيئاً)، واشتريت بمعظم الباقي بطاطة ولحم بقر محفوظاً . وبعد أن ينفد هذا الطعام — سأفكر في ذلك في أوانه .

وبعد ثلاثة أيام كنت أحاول عبثاً أن أكتب مقالا عن تجاربي الحديثة في البحار الجنوبية ، وإذا بنقرة على الباب تبعثني من اكتئابي العميق . وكان القادم هوب سنج ، فحمل إليّ من مركبته ، ثلاث بطيخات وزجاجة نبيذ ، وسلة بيض ، ودجاجة .

وقال : « هدية صغيرة لك » ، وانطلق بمركبته مسرعاً .

فكانت هديته الكريمة إنقاذاً لحياتي . ذلك أن اللحم المحفوظ والبطاطة طعام مغذّ ، ولكني كنت قد أصبحت لا أطيق النظر إليها ، فاعتزمت أن أطبخ الدجاجة لعشائي ، ولكني عدلت عن ذلك بعد التفكير، وربطتها إلى وتد في الفناء ، ووجدت جوزاً أكلت الفئران بعضه ، فأطعمتها إياه . وبعد أن تعشيت بست بيضات صنعت منها عجة، عدت إلى الكتابة في حبور ، وما انقضت بضع ساعات حتى كنت قد أتممت المقال .

وكانت الباخرة الشهرية الذاهبة من نيوزيلند إلى الولايات المتحدة ستصل إلى بابيتي في بكرة الصباح التالي، فعزمت أن أضع المقال في بريد الباخرة بيدي . وآثرت الاقتصاد فمشيت إلى المدينة ، وقوّيت نفسي بعجة أخرى من ست بيضات ، وقدح من النبيذ ، وانطلقت .

وكان القمر وضيئاً ، وكنت وأنا أقطع الطرق المتعرجة أرى الرشاش الفضي من مساقط الماء كأنه العقود، على المهاوي الشاهقة والأمواج العظيمة تتكسر على الصخور المرجانية فتكون كأنها نار بيضاء . وكنت أسمع من مساكن الأهالي نتفاً من أغان فرنسية وتاهيتية مصحوبة بالعزف على القيثار

والأرغن . ولما كاد الليل ينتصف ألفيتنى أفكر مرة أخرى فى الطعام ، ومررت بكوخ مسقوف بأعواد القصب ، فقدم لى شيخ من الأهالى بعض الطعام الذى كان هو وزوجته يشويانه على نار من الحطب ، وكان لذيذاً . وأدهشنى أن يقول لى الشيخ أنه مصنوع من السرطان البرى ، تلك الآفة التى عصفت بحديقتى ، ومن نوع من البندق يكثر فى أرضى . ولم أكن أدرى أنها صالحة للأكل ، وأرانى كيف أصيد السرطان بعود وحبل فيه شص مطعم بأوراق الخبيزى .

وبلغت بابيتى عند الفجر حين دخلت الباخرة الميناء ، ووضعت مقالى الثمين فى صندوق البريد وأنا أدعو الله فى سرى ، ثم أفطرت مقتصداً ، ورحت بعد ذلك أتمشى على الساحل البهيج الألوان ، وإذا بصينى سمين قصير أصلع يقبل مسرعاً

وسألنى : « أتعرف هوب سنج ؟ »

فقلت : « نعم . هو يعيش قريباً منى » .

« إن هوب سنج زوج أختى ، وقد بعث إلىّ برسالة ، وقال إنك أعطيته بذوراً ليزرعها فى حديقته . اسمى لى فات . ودكانى هناك » وأشار إلى مكانه فى الشارع

« متى تعود إلى بيتك ؟ »

« سأعود هذا الصباح بسيارة الركاب » .

« مع السلامة » وانصرف . وبينا كنت أنتظر السيارة قعدت على دكة هناك يجلس عليها فى العادة يوم تجىء الباخرة ، ناس من جميع أرجاء العالم ينتظرون البريد وفيه المال — الذى لا يكاد يصل أبداً . وحدثت نفسى : « إنى بعد ثلاثة شهور سأكون قاعداً هنا أناجى نفسى بمثل هذا الأمل البعيد » لا بأس . سيكون معى بعد أن أؤدى أجر السيارة تسعة فرنكات ، ولن أموت جوعاً ، وعندى السرطان البرى والبندق ، وفى خلال ذلك سأواصل الكتابة مجتهداً .

ولما نزلت من السيارة عند بيتى ناولنى السائق صندوقاً ، فقلت له : « لقد أخطأت ليس هذا لى » فقال إن صينياً أدى إليه أجر نقله إلى بيتى . فرفعت الغطاء فوجدت بطاقة عليها بالقلم الرصاص : « إلى المستر هول من لى فات » وفى الصندوق رطلان من الشكولاتة وبعض البندق ، وزجاجة شمبانيا ومنديلان من الحرير ومنامتان من الحرير .

فوضعت الشمبانيا فى الحوض لتبرد ، ثم ذهبت لأتعهد دجاجتى ، وكانت قد تخلصت من الحبل ، فوجدتها بعد البحث تحت درجات السلم الخلفى ، حيث وضعت بيضة ورقدت عليها ، وكانت هذه البيضة غير مخصبة فأخرجتها من تحتها ، وصنعت لها عشاً فاخراً ووضعت تحتها البيضات الخمس الباقية من هدية هوب سنج ، فاستقرت الدجاجة

عليها وحضنتها وهى تقوق راضـــية .

وصلح بدنى على طعام السرطان البرى والبندق ، وكنت قد نحفت من جراء الهم ، ومن طعام اللحم المحفوظ والبطاطة ، ولكنى زدت فى ستة أسابيع ١٤ رطلا ، وفى أثناء ذلك فرخت دجاجتى خمسة فراريج . وكنت قد استغرقنى صـــيد السرطان ، وتعهـــد الدجاج ، والكتابة ، فنسيت الشـــمبانيا . إلا أننى ذات يوم زارنى صاحب الأرض ومعه كثيرون من بنيه ، فتساقينا الشـــمبانيا ، وأعطيت الأطفـــال الشكولاتة التى أهداها إلى،لى فات . وفى صباح اليوم التالى وجدت على شرفتى عنقوداً من الموز، وغرارة ملأى بالبرتقـــال والمانجة . ولم يقطع عنى صاحب الأرض وزوجته بعد ذلك هداياهما من الفاكهة والسمك ، وغمرتنى الألطاف ، وتذكرت شاكراً أنى مدين بهذا كله لهوب سنج .

وكانت حديقتـــه مزدهرة تبشر بمحصول وافر بفضل عنايته وصـــبره . وكان هوب سنج خبازاً فوق أنه بستانى ، فكان يضع لى على بابى ، أربع مرات فى الأســـبوع رغيفاً محمّـراً ، أو فطيرة أناناس ، وما من شىء أفعله أو أقوله ، يقطع عنى شكره لهديتى الصغيرة من البذور .

وكادت الباخرة الثالثة، مذ أرسلت مقالتى بالبريد ، تصـــل قبل أن أفطن إلى ذلك . فذهبت إلى المدينـــة مرة أخرى وانتظرت على دكة رجال البحر توزيع البريد ، وأخيراً تشجعت وقصـــدت إلى شـــباك التوزيع ، فأخبرتنى الفتـــاة أولا أنه لا شىء لى هناك ، ولكنها سألتنى عن اسمى مرة أخرى وأنا أهم بالانصراف ، ثم قالت : « نعم ، لك رسالة واحدة . وعليك أن تؤدى عليها ٥٠ سنتيما » .

فلم يبق معى بعد أداء هذا الرسم سوى ٢٥ سنتيما وهى أصـــغر قطعة من النقود فى هذه المنطقة الأقيانوسية الفرنسية ، ولكن الرسالة أنبأتنى أن مقالى مقبول ، وكان فيها حوالة بخمسمائة ريال !

وكانت هذه ثروة فى نظرى . وهى كافية لنفقاتى جميعاً سنين عديدة . ثم إنها تمكننى من مبارحة تاهيتى . وكنت أدرك أنى إذا لم أرحل الآن ، فقد لا يبقى معى من المال مرة أخرى ما يكفى للسفر بالباخرة، فذهبت أسير فى الطريق والتردد يعذبنى ، وأخيراً اســـتقر عزمى على الرحيل حين دقت ساعة المدينة الثانية .

وجاء هوب ســـنج ولى فات ، يوم رحيلى لتوديعى ، وكانت هدية الوداع التى قدمها هوب سنج إلىّ : سلة من الطماطم الكبير، واثنى عشر كوزاً من ذرة بانتام الذهبى — هى أولى ثمرات البذور التى أعطيته إياها!.

وابتسم الصينيان وهما يودعانى والباخرة تتراجع خارجة من الميناء .

وطلبت من خادم الباخرة أن يهىء الذرة لفطورى ، وكان جليسى الوحيد على المائدة رجلا طويلا نحيفاً متدلى الشاربين مصفر الوجه ، وقد جلس إلى المائدة دون أن يحيينى ولو بهز الرأس ، وبدا لى من نظرته الجافية إلى قائمة الطعام أنه ممن يصعب أن يرضيهم طعام ما . فلما وضعت الذرة والبخار يصعد منها ، ألقى عليها نظرة دهشة ، ونحى ما بقى من طعامه ، وأقبل على الذرة ، وبعد أن التهم الكوز الثالث ، مد يده ليتناول رابعاً وقال للخادم : «من أين تجىء هذه الذرة؟ إنها ليست مذكورة فى القائمة!»

« هى هدية من السيد الجالس أمامك » .

فألقى علىّ ، نظرة سريعة ، كأنما لم يشعر بوجودى إلا فى هذه اللحظة ، وقال بجفوة : «اعتبر نفسك مشكوراً ياسيدى» وانصرفت عن المائدة وهو ما زال يأكل الذرة . وبعد نصف ساعة كنت واقفاً على السطح أنظر إلى جبال تاهيتى التى تختفى شيئاً فشيئاً وراء الأفق ، فرأيته يقبل .

وقال : « أيها الفتى ، لقد كان هذا طعاماً لذيذاً . أكلت ستة كيزان ، فإنى مصاب بسوء الهضم ، والذرة الحلوة من الأشياء القليلة التى أستطيع أن آكلها دون أن تعقبنى ألماً . والآن حدثنى عن هذه الجزيرة ، فإنى لم أنزل إليها ، فإن من العبث أن يحاول المرء رؤية جزيرة فى ست ساعات » .

فحدثته عن جمال الجزيرة وحياة أهلها ، ثم أمسكت وفى ظنى أنه ملّ .

فقال : «كلا . إن من الجلى أنك قضيت وقتاً ممتعاً ، وأحسنت الانتفاع بأذنيك وعينيك ، ألم تحاول قط أن تكتب شيئاً ؟ »

فبينت له أن الكتابة مهنتى ، فطلب أن يطلع على شىء مما كتبت ، فأريته ستة فصول قصيرة ، فقعد على الكرسى ، وتركته ساعة أو نحوها ، فلما عدت قال : «هذه الفصول الأربعة لا بأس بها . ماذا تبغى ثمناً لها ؟ لقد نسيت أن أخبرك أنى مدير لطائفة من الصحف فى أمريكا » .

فهممت أن أسأل هل مئة ريال ثمناً للفصول الأربعة تكون أكثر مما تستحق ، ولكنه قال : « سأعطيك ١٥٠ ريالا لكل فصل منها ، فهل هذا يرضيك ؟ » فاعترفت بأنه يرضينى جداً .

وفى تلك الليلة كررت الطرف فيما تدفق باطراد من حسن الحظ مذ قدمت هديتى اليسيرة إلى هوب سنج ، فخطر لى أنه ما من بذرة زرعت فعادت بمثل هذا الجزاء الوفير . وكان الفضل فى هذا كله لبذور ثمنها ريال!

أربع سجائر

آرثر جوردن

مختصرة من مجلة "ذس ويك"

من اليسير على نفسى أن أروى
ليس هذه القصة ، فقد مرّت عدّة شهور ، وما أكاد أذكرها حتى يعتريني الخزى لما كان لى من يدٍ فيها . بيد أنها تدلّنا على أن فرنسا برغم ما أصابها من ذلّ وهوان ، وما حاق بسياستها من خلل واضطراب ، لا تزال أمة عزيزة النفس .

وضعت الحرب أوزارها فى أوربة ، فذهبنا ثلاثتنا يومئذ لنقضى أسبوعاً فى فندق مخصص لراحة الطيارين على شاطىء الريفيرا . وكان المكان ممتازاً ، وكنا ندفع ثلاثة ريالات كلّ يوم عن طعامنا وعن جناح فاخر يطلّ على البحر . وكان الطعام طيباً ، والسنما مجاناً ، والجو عليل النسمات ، وقيود النظام العسكرى لا تكاد تحسّ .

وقد نعمنا بالراحة . ولم لا ؟ ألم نخرج من الحرب مظفّرين؟ ولم يقلل من استمتاعنا أن الشعب الفرنسى لا يجد كفايته من القوت ، وأن الصبيان فى الطرقات يقتتلون على أعقاب السجائر الأمريكية . كنا ندعو الفتيات إلى نادى الجيش ، ونلقى اللبان إلى الأطفال ، فكانت أيامنا كلها بهجة وحبوراً .

وذات مساء جلسنا قبل العشاء فى شرفة الفندق ننظر إلى الناس وهم يمرون أمامنا ، ورأينا تحت المائدة أربع سجائر أمريكية وقعت من أحد الجند ، فاقترح أحدنا عابثاً أن نضعها على الرصيف وننظر ماذا يكون .

كان ذلك ضرباً من العبث الأمريكى ، مردّه إلى قلة المبالاة لا القسوة ، فالسجائر الجيدة كانت ترفاً فى أعين الفرنسيين ، وكان لها ثمن عالٍ فى السوق . وتوقعنا أن نتسلى بمنظر ذوى الأسمال البالية يتهافتون عليها .

وأقبلت فتاة لم تكن على جانب عظيم من الجمال ، إلا أن أناقتها كانت أناقة فرنسية يشق وصفها على الواصف . ولمحت السجائر ووقفت حيالنا ، وظلت دقيقة لا تكاد تتحرك ، ثم داست إحداها بقدمها متعمدة ، وفعلت مثل ذلك بالثلاث الباقية فى أناة وتؤدة .

فلما صارت السجائر كلها مِزَقاً التفتت ثم نظرت إلينا نظرة حديدة متعالية . فصرفنا أبصارنا عنها ننظر إلى أحذيتنا تارة وإلى الأفق تارة أخرى ، وأخيراً مضت إلى طيتها شامخة الرأس .

فنظر بعضنا إلى بعض . هذا جزاء ما جنيناه . ثم دخلنا نتعشى وفى تلك الليلة لم نجد للنبيذ مذاقاً ولا طعماً .

وكفى بنشر هذه القصة أن يكون اعتذاراً للفتاة عمّا قدمنا إليها من إساءة ، وإعراباً عمّا تكنه صدورنا من إعجاب وإجلال .

أساليب جديدة لعلاج علل قديمة

لويس ماتوكس ميلر

الأحماض الأمينية وقروح المعدة

أثبت العلم أن العناصر الجوهرية البانية للجسم في المواد الزلالية هي الأحماض الأمينية، وأن جهاز الهضم يحلل المواد الزلاليـة ويستخلص منها هـذه « المادة البانية » ويوزعها على أشد أعضاء الجسم حاجة إليها . أما اليوم فقـد أصبحت المعامل في مصانع الأدوية تحلل المواد الزلالية وتستخرج منها الأحماض الأمينية ، فتوضع في طعام المرضى الذين تقتضي حالتهم المبادرة إلى تقوية أنسجة أجسامهم .

كان الدكتور كوتوى ، البحاثة الصيني في كلية الطب بجامعة نيويورك ، يبحث آثار الإكثار من الأحماض الأمينية في طعام الناقهين من جراحات المعدة ، فخطرت له فكرة طريفة : لمَ لا تعطى هذه الأحماض قبل إجراء الجراحة ؟

اختار الدكتور كوتوى ومساعدوه لهذه التجربة أربعة من المصابين بقروح المعدة ، لم ينجح علاجهم بالطرق المتبعة في مداواة هـذه القروح ، فضعفوا حتى صار لابد من علاجهم بالجراحة . فطفقوا يزودونهم في طعامهم بما لا غنى عنه من الأحماض الأمينية تحت إشراف مستمر ، فتحسنت حالهم تحسناً رائعاً . ثم أعادوا التجربة على ٢٦ مريضاً آخرين ، فاقتنع الأطباء بأنهم عثروا على باب جديد يفضي إلى علاج المشكلة التي طال عليها الأمد ، مشكلة قروح المعدة .

فلما كثّروا مقادير الأحماض الأمينية في طعام المرضى ، خفت آلامهم في ٢٤ إلى ٤٨ ساعة ، وزالت جميع أعراض الضيق التي تصحب هذه القروح ، وازداد وزنهم ، واشتدت قوتهم ونشاطهم شـدة ظاهرة ، بل لقد تبين من الفحص بالأشعة أن القروح اختفت في بعض الحالات اختفاء تاماً ، أو استحالت في سائر المرضى إلى ندوب جروح قد اندملت .

وعلل الدكتور كوتوى وزملاؤه ما حدث بسببين : الأول أن الأحماض الأمينية قد قللت حموضة المعدة ، والثاني أن المرضى استطاعوا أن يقتاتوا دون إرهاق للمعدة الضعيفة ، بأكثر من ثلاثة أضعاف نصيب الشخص في طعامه من المواد الزلالية — بيد أنها كانت محللة لا تحتاج إلى جهد الهضم . وهـذا القوت الغني بعناصر القوة ، والذي تخلو منه الأطعمة

الرقيقة التى تعطى عادة للمصابين بهذه القروح ، قد يسّر للجسم المادة البانية التى ينمو عليها النسيج الجديد .

فمنذ ذلك الحين عولج بهذا العلاج كثير من المرضى فى مستشفيات مختلفة ، فأسفر عن نفعه فى أكثر الحالات ، وجربه بعض المرضى من تلقاء أنفسهم أو بإرشاد الطبيب. على أن الأطباء يذكرون المصابين بقروح المعدة ، أنه لا يزال ضرباً من العلاج ولم يصبح بعد دواء شافياً ، وأنه لا يقى المريض من النكسة إذا هو عاد إلى ما ألفه من عاداته القديمة فى شرب الخمر أو التدخين أو الأكل أو الهمّ أو إرهاق النفس — مما كان سبباً أحدث هذه القروح .

سيطرة على تخثر الدم

التخثر هو خاصة الدم الطبيعية التى تمنعه أن يسيل . فهو الذى يحقنه إذا نزف ، وهو الذى يعجّل اندمال الجروح ، ولكنه قد يكون أحياناً بليغ الأذى ، فربما تخثر الدم فى أوعيته من الجراحات أو الإصابات أو المرض ، فيسدّ مجرى الدم ، وهى الحالة المعروفة باسم السُّدَد . ويحدث أكثر هذا التخثر فى أوردة الساقين ، وكثيراً ما يحدث عقب النفاس ، فيؤدى إلى ورم مؤلم حائل اللون يعرف بالخثور الالتهابى الوريدى (ترومبو فيليبيتس) ، فإذا انفصل علَق من هذا الدم الخاثر (يسمى سدادات) فقد تسرى فى أوعيــة الدم حتى تحتجزها الأوعية الصغيرة فى القلب أو الرئتين ، فتؤدى إلى الموت .

وقد أراد الأطباء أن يقهروا هذه العلة الخبيثة ، فالتمسوا عقاراً يستطيعون أن يسيطروا به على أسلوب تخثر الدم . وقد حسبوا حيناً أنهم عثروا على هـذا العقار فى الهيبارين المأخوذ من نسيج رئة الحيوان، غير أن الهيبارين كان باهظ التكاليف، عسير الاستعمال ، عصىّ القياد . ثم وجدوا أن الحيوانات تصاب بنزف خطير يهلكها عقب اقتياتها البرسيم الفاسـد ، فاستطاع الكيميائيون أن يستخلصوا المادة المؤذية من الدريس وسموها « ديكومارين » ، ثم عرفوا فى النهاية تركيبها الكيميائى فصنعوها وأطلقوا عليها اسم « الديكومارول » ، فإذا هى سلاح جديد لكفاح تخثر الدم .

و « الديكومارول » مسحوق لا طعم له ولا رائحة يمكن تعاطيه بالفم ، أو يجعل سائلا يحقن فى الجسم . وقبل أن يصفه الطبيب يفحص دم المريض ليعرف معدل تخثره ، ويجعل الجرعـة منه على مقدار ما يقتضيه هـذا المعدل . وقد درس أطباء معهد مايو الطبى أحوال طائفتين من المرضى

الذين أجريت لهم جراحات . أما الطائفة الأولى فلم تتعاط ما يقي دمها من التخثر ، وأعطيت الثانية الديكومارول . وقد حدثت السدادات ، وانسدّ الشريان الممتد من القلب إلى الرئتين (الشريان الرئوى) في أكثر من ٤٣ في المئة من مرضى الطائفة الأولى التي لم تتعاط شيئاً ، وكان معدل الوفيات من هذا الانسداد ١٨٫٣ في المئة . أما الطائفة الثانية التي أعطيت الديكومارول فلم يحدث فيها التخثر والانسداد التاليان للجراحة إلا في ١٫١ في المئة من جميع الحالات ، وهبط معدل الوفيات من الانسداد الشرياني الرئوى إلى ٠٫٦ في المئة .

وقد ظل أطباء مستشفى لينوكس هيل بنيويورك عشرة أشهر وهم يتتبعون حالات النفاس والجراحة ، فوجدوا ٣٣ مريضاً أصيبوا بالتخثر الالتهابي الوريدى وتسعة منهم بانسداد الشريان الرئوى ، فاستعمل الديكومارول بدقة في علاجهم ، فأسفر عن نتائج باهرة . وكان تقرير الأطباء عن هذه الحالات أن التخثر الالتهابي الوريدى تلاشى حثيثاً ، وأن انسداد الشريان الرئوى لم يقض على أحد .

واليوم لا ينتظر الجراحون حتى تظهر هذه المضاعفات فيعالجوها بالديكومارول ، بل يبدأون باستعماله كلما وجدوا أن سن المريض أو تاريخ مرضه ، أو حالة بدنه ، أو طبيعة الجراحة التي ستجرى له ، يدل على احتمال حدوث التخثر . وكذلك كادت خاصة تخثر الدم تخضع لسيطرة الانسان .

قصة مرض النملة

النَّمْلة (الهربيس زوستر) هي الاسم الطبي لعلة معينة شديدة حادة الألم يظهر فيها على مجرى أعصاب الحس من الجلد طفح أحمر ، يكون أكثر ما يكون حول البدن (هو من الجسم ما عدا الرأس والأطراف) ، وفي العنق والأطراف أحياناً . وسرعان ما يستحيل الطفح إلى بثور صغار ونفطٍ حكّاك مؤذٍ . وكثيراً ما يقاسي المريض تباريح البراق العصبي (النيورالجيا) حتى بعد زوال الطفح بزمن طويل .

والنَّمْلة ليست مرضاً من أمراض الجلد وحسب . فالطفح ليس إلا آية ظاهرة لعلة باطنة ، فإن نوعاً من الفيروسات يشبه ڤيروس الحُماق (الجدرى الكاذب) يغزو بعض مجامع الأعصاب ، فيحدث التهاباً حادّاً في أعصاب الحس التي تتصل بها . وقد ظهر أن الأطفال الذين يختلطون بالبالغين المصابين بالنملة قد يصابون بالحماق أيضاً .

وقد كانت النملة تعالج بضروب شتى من العلاج ، فكان نفط الجلد يعالج بالذّرور والغسول والمراهم ، وكان الأطباء يحاولون تخفيف الآلام بالحرارة أو بالأشعة أو بسم الأفعى ، أو بخلاصة الغدة النخامية أو بالفيتامينات ، ولكن لم يكن أحدها علاجاً ناجعاً .

على أن الطبيبين توماس فيندلى ورينولد بابتزر من كلية الطب بجامعة تولين قد أعلنا فى مجلة الجمعية الطبية الأمريكية أنهما قد وفقا إلى علاج النملة ، « بالطريقة الوحيدة الخليقة بإراحة المريض فوراً راحة كاملة » . ويتلخص هذا العلاج فى شل منبع الألم فى مجامع الأعصاب أو خصل ألياف الأعصاب ، وذلك بحقنها بهيدروكلورور البروكين . ويصف الطبيبان حالة تعد مثالا : وهى امرأة كابدت النملة عشرة أيام دون أن تصيب شيئاً من الراحة ، فحقنت بمحلول هيدروكلورور البروكين « فانحسم الألم دون حاجة إلى علاج آخر » كما قالا .

وقد ثبت أن هذا العلاج ناجع فى الأدوار المبكرة من المرض ، ولكن الأطباء لم يصيبوا توفيقاً فى إراحة الزّمْنى من آلامهم ، كما أن علة الوجه والرأس لا ينجح فيها هذا العلاج لسبب له صلة بالأعصاب المختلفة المصادر فى الرأس والوجه .

الخلاص من صداع الشقيقة

إن الذين يصابون بالصداع المألوف فيكثرون من الأسبيرين ، لا يدركون كنه الصداع الذى يستحق أن يوصف بالعنف والشدة ، والذى لا يعرفه ، كما يقول الأطباء ، إلا من يكابدون الشقيقة (صداع نصف الرأس) التى يكون أكثر المصابين بها من النساء . إن هذا الصداع المبرح يتردد على المريض حيناً بعد حين ، وقد يمكث ساعات أو أياماً ، ويصحبه دوار وغثيان وكلال فى البصر . والذين يصابون به يخشون عودته بذعر كذعر المقضى عليه بالموت .

ظلت الشقيقة زمناً طويلا لغزاً من ألغاز الطب ، وعزيت إلى الوراثة ، والاستهداف ، وإصابات الرأس ، وبعض الأمراض . ولكن الأطباء لم يجدوا لها علاجاً سوى المسكنات ومركبات الأفيون التى كثيراً ما تذهب سدى أو تؤدى إلى فرج يسير .

ولبث الأطباء زمناً يعلقون رجاءهم على عقار يدعى طرطيرات الإرجوتامين ، يحسم الصداع المبرّح على الفور فى قرابة تسعين فى المئة من المرضى الذين يعالجون به ، ولكن ضرره كان أكبر من نفعه فى بعض الأحيان ، فقد كانت سرعة النبض تقل ، وكان ضغط الدم يرتفع ، وتكابد

المريضة تشنجاً فى العضلات واضطراباً فى الحيض، بل كان اضطراب دورة الدم يؤدى أحياناً إلى انسداد الشرايين وإلى الأكلة (الغرغرينا).

على أن الكيميائيين قد وفقوا فى السنوات القلائل الماضية إلى اشتقاق عقار آخر من العقار القديم، أوفى منه بالغرض، يدعى داى هيدرو إرجوتامين، ويسمى اختصاراً (د. ه. ٤٥١)، يبدو أن له كل مزايا طرطيرات الإرجوتامين دون أن يكون له فى أكثر المرضى أثر من أضراره.

وقد جرب الدكتور بايارد ت. هورتون ومعاونوه فى معهد مايو الطبي هذا العقار فى طائفة كبيرة من مرضى الشقيقة، كانوا يعالجون بطرطيرات الإرجوتامين منذ حين. وكانت العواقب تتراوح بين الجيد والباهر فى ٩٢ فى المئة من المرضى المعالجين بالعقار الجديد، يقابلهم ٧٧ فى المئة من المرضى المعالجين بالعقار القديم.

وتجلى الفرق فى حالة امرأة كابدت الشقيقة على أتم صورها ٣٠ عاماً، وكانت تعالج بطرطيرات الإرجوتامين كل يوم طوال خمس سنوات. وكانت تظل عقب حقنها بهذا العقار عاجزة عن المشى المنتظم بضع ساعات، لحدوث آلام فى ساقيها كآلام التشنج، وانقطع طمثها أو كاد، فلما استبدل هذا العقار الجديد بالعقار القديم زالت آلام الساقين، وفى الشهر التالى حاضت حيضاً طبيعياً لأول مرة منذ سنتين، واختفت آلام الشقيقة.

ولا يزال العقار الجديد تحت الاختبار، وهو الآن ليس فى متناول عامة الناس، ولكن إذا صدقت الآمال الحاضرة، فقد يكون هذا العقار رحمة سيقت فى حبة إلى مرضى الشقيقة، وعُلالة يتعللون بها حتى يوفق الاطباء إلى السبب الحقيقى الذى يحدث هذا الصداع المبرح الغامض، وحتى يجدوا له علاجاً حاسماً.



منتهى التخلص

بلغ العروسان المحطة ليستقلا منها القطار فى رحلة شهر العسل، ووقف الزوج أمام شباك التذاكر، وطلب دون أن يعى تذكرة واحدة. فلما ربتت عروسه على كتفه وقالت: «ولكنك يا توم لم تشتر سوى تذكرة واحدة» أجاب دون أقل تردد

«ويحى! لقد نسيت نفسى!»

قصة حب شجية من الصحف اليومية

في أى وقت من الليل

جاك فوستر

مختصرة من جريدة "ردكى مونتن نيوز"

كان الليل قد كاد ينتصف حين وضع جين لوال ، محرّر الأخبار بجريدة « ذى روكى مونتن نيوز » سماعة التلفون وقال لويلى ثورنتون: « حادث فظيع. تحطم سيارة. السائق مات. عجل به للطبعة الأخيرة ».

وتناول ثورنتون ، وهو محرر باب الوفيات ، السماعة وأجاب المتكلم : « آلو ، ويلى ثورنتون . قل . نعم ، والتر هنتون . حسن . كتبته . مهندس ، نعم ، اصطدم بسور المدرسة . كان يسير بسرعة ٧٠ ميلا فى الساعة . يا إلهى ! مات فى الساعة ١١ والدقيقة ٣١ . أهذا كل شىء ؟ شكراً » .

وقصد ويلى إلى ما يسمونه مجازاً « معرض الجثث » وأخرج ظرفاً معفراً عليه هذا الاسم « والتر هنتون — مهندس بناء » . وقلب القصاصات ، ودون النقط المهمة : خريج جامعة ييل ، درس هندسة البناء بباريس ، شيد عدداً من خير مبانى المدينة . يعد زعيما بين الشباب . متزوج .

وتلكأ ويلى وهو يقرأ القصاصة التى فيها قصة زواجه ، وكانت قد كتبت بعد أن عاد الزوجان من رحلتهما فى شهر العسل ، وكان اسم الزوجة قبل الزواج « كيتى تيرنر » وهى جميلة ، وكانت نموذجاً لمصور .

وقد كتب عنها محرر القسم الاجتماعى فى الجريدة يقول : « كانت المسز هنتون تبدو أجمل من صورها ، وقد أسرت إلىّ أنهما أقاما ببلدة صغيرة اسمها سانت برونو فى جزيرة كرستوف ، واتخذا شقة فوق تل يشرف على واد فيه نخل ، وكانت الحمائم تلقط الحب من أيديهما . وتقول المسز هنتون أنه كان شهر عسل بديعاً » .

ورد ثورنتون القصاصة إلى مكانها من الظرف ، وخطر له أن هذه قصة يخفق لها القلب ، ولكنها لا تصلح لنعى . وقلب قصاصات أخرى فيها أشياء عن حياتهما الاجتماعية ، ومآدب العشاء التى كانا يقيمانها ونجاح والتر المطرد . ثم عثر على خبر طلاقهما بعد ذلك بعامين ، وقد اتهمته زوجته بالقسوة والإهمال ، وقالت إن العمل وواجبات الحياة الاجتماعية استغرقت ليله ، حتى لم يبق ثم وقت يفرده لها .

وكتب ثورنتون النعى المألوف المبتذل ، ورمى إلى لوال بما كتب فوق المكتب .

وأدار لوال عينه فى الرقعة وسأل : « فى أى وقت مات ؟ » .

فقلب ويلى مذكراته وقال : « مات فى الساعة ١١ والدقيقة ٣١ » .

ومضى لوال يسأل : « ولماذا كان

هنتون يسير بهذه السرعة ؟ إلى أين كان يقصد ؟ انك لم تستقص نصف الخبر يا ثورنتون . وماذا عندك عن زوجته ؟ »

« مطلقة » .

« زوجته السابقة ، إذن اطلبها بالتلفون واسألها عن الحادثة وماعسى أن تقول فيها . وقد تبكى . وعسى أن تقول شيئاً شجياً ، وهذا خليق أن يكسب القصة طعماً » .

وطلب محرر الوفيات كيتى تيرنر وهو كاره ، وبعد دقائق أجابه صوت يغالب النعاس : « كلا يا سيدى ! الآنسة تيرنر غير موجودة . مريضة ، وفى المستشفى . مستشفى سانت جوزيف » .

وكان ويللى يعرف طبيباً فى المستشفى فطلبه . فقال الطبيب : « نعم ، أعرف المرأة التى تعنيها . كاترين تيرنر ، ولكنها ليست هنا الآن ، فقد ماتت » .

« أهذا صحيح يا بيل ! يا إلهى ! »

فمضى بيل يقول : « نعم . انفجرت الزائدة الدودية ، والتهب غشاء الأمعاء . ولما أشفت على الموت راحت تنادى زوجها السابق . . تعرفه . . والتر هنتون . وكانت تضرب الفراش بيديها وتصيح ، وتصيح وتصيح . فخاطبته بالتلفون ، فقال إنه سيحضر على الفور . ولكنه لم يحضر قط » .

فقال ويللى : « أنا أذكر لك السبب ، اصطدم بسور فمات » .

فقال بيل : « ما أعجب هذا ! ولكن لعله كان خيراً له أن لا يراها . وقد ألفت هذه الأمور ، ولكن هذه المرأة هزتنى حالتها حين أظلها الموت . فقد كانت تلهج بمكان اسمه سانت برونو ، وتنوح على شقة ووادٍ فيه نخيل ، وتذكر أزهاراً مرشوقة فى شعرها ، وحمائم تلقط الحب من يدها .

« وتالله ما كان أفظع هذا يا ثورنتون . وقبل أن تلفظ النفس الأخير ، بدت كأنها تبتسم وقالت : « إيه يا حبيبى ، أخيراً عدنا إلى سانت برونو . . مرة أخرى . ضع يدى فى يدك يا حبيبى ، ودعنى أتكىء عليك ، هكذا . . أنت ، أنت ، وأنا ، أنا ، مرة أخرى . . وفى شهر عسل جديد » . هذا ما قالته . ما أفظع هذا يا ثورنتون ! »

وكان لوال منحنياً على مكتب ثورنتون محاولا أن يقرأ ما يدونه ، وغطى ثورنتون السماعة براحته وأنبأه بما سمع من بيل .

فقال لوال : « هذا ما نبغى . هذا شىء عظيم ! والآن أسأله فى أى وقت ماتت . »

وتلقى ثورنتون الرد من التلفون ، وخط الأرقام ببقية قلم فى يده ، وألقى لوال نظرة عليها ، فصاح بمحرر الأخبار : « أخل ثلاثة أعمدة على الصفحة الأولى : امرأة فاتنة . زوج سابق شهير . قصة إنسانية شجية » . ذلك أنها ماتت فى الساعة ١١ والدقيقة ٣١ .

هذا شاب من الجيل الثالث من آل فورد ، قد عزم أن يرد شركته إلى الذروة ، أو يخسر كل مايملك .



هنرى فورد الصغير
يقدم على مغامرة عظيمة

مختصرة من مجلة "تايم"

فى ساعة متأخرة من ليلة فى شهر يناير الماضى ، جلس رتشرد لنرد مدير قسم عمال فورد فى اتحاد عمال السيارات وأخذ سماعة التلفون بيده . وكان رتشرد رقيق الصوت هادىء الطبع ، وطلب جون س . بوجاس ، المدير الرقيق الصوت الهادىء الطبع ، الذى يتولى عن شركة فورد علاقتها بالعمال .

قال لنرد : « اسمع ياجون . فلنسو هذا الأمر فى الحال » .

فقال بوجاس : « لابأس »

وقد كان « هذا الأمر » هو المساومة بين اتحاد عمال السيارات وشركة فورد . فلم تنقض ساعتان فى صباح اليوم التالى حتى كان لنرد وبوجاس قد سويا خلافاً ظلا تسعة أسابيع يتناقشان فيه مناقشة شديدة ، وكلاهما حريص كل الحرص ، ولكن بلا غضب . وقد وافقت الشركة على أن تزيد أجر العمال أربعة قروش ونصف قرش فى الساعة ، ووافق الاتحاد على أن يعطى شركة فورد الضمان الذى طلبته وهو : أن يكف العمال عن الإضراب . فكانت قيمة هذا الاتفاق فى نظر شركة فورد لاتقدر بمال ، لأن الشركة بُليت بسبعمئة وثلاثة وسبعين إضراباً فى أربع سنوات ونصف سنة .

كانت شركة فورد تدفع لعمالها أعلى الأجور فى صناعة السيارات (٣٠ قرشاً فى الساعة) ، ولكن رئيس الشركة الجديد ، هنرى فورد حفيد هنرى فورد الكبير مؤسس الشركة ، اتفق مع العمال على أن يزيد أجورهم زيادة عظيمة يبلغ مجموعها فى السنة ٣٩ مليون ريال . وقد كانت شركته تخسر ٣٠٠ ريال فى كل سيارة تصنعها ، كما دلت على ذلك دفاترها . فلماذا قبلت هذا الاتفاق ؟

فى سنة ١٩١٤ أقدم فورد الكبير على مغامرة عظيمة يوم جعل أجر العامل خمسة ريالات فى اليوم ، فكان يومئذ أعلى

أجر فى صناعة السيارات . ولكن عبقريته الصناعية مكنته برغم ذلك من أن يبلغ الذروة بين صانعى السيارات . أما اليوم فأنت ترى هنرى فورد الحفيد قد أقدم على مغامرة أخرى عظيمة ، فقد عقد العزم على أن يرد الشركة إلى الذروة ، أو يخسر كل ما يملك .

لقد ظلت شركة فورد تتدهور منذ سنوات ، ففى سنة ١٩٣٠ كان نصيبها من سوق السيارات فى أمريكا أربعين فى المئة ، فهبط فى سنة ١٩٤١ إلى ١٨٫٨ فى المئة ، وقلت أرباحها بقلة نصيبها من السوق .

ثم جاءت سنوات الحرب فحسمت أسباب التدهور وزادت أرباحها ، ولكنها واجهت خطراً جديداً ، ذلك أن الإضراب قد أضعف قدرة الشركة وكفايتها . وقد كان فى وسع الشركة أن تظل بمنجاة عن الخطر ، ما دامت الحكومة توفى ثمن ما تصنعه للحرب . ولكن إذا جاء السلام فيومئذ يكفى تنكر العمال وإضرابهم للقضاء عليها . ثم لم يكد ينتهى شهران على يوم الظفر فى أوروبة حتى طالب اتحاد عمال السيارات زيادة الأجور ٣٠ فى المئة . وقد حل هنرى فورد الشاب هذه المشكلة بأن توخى الصبر والحلم فى المساومة ، وبأن أطلع الاتحاد على حالة الشركة الحرجة . وإذا كان فورد الصغير قد حل أيضاً مشكلة زيادة الإنتاج ، فإن ما يقتضيه صنع سيارة فورد خليق بأن يقل .

وكانت خطوته الأولى أن عمد إلى مكاتب الإدارة العامة فأجلى عنها قدماء المديرين فقل ما يدفع من مرتبات فى هذه المكاتب نحو مليون من الريالات . وضم إليه طائفة من الشباب اليقظ ليدربهم ويعدهم حتى تصير الصفوة الجديدة التى تشرف على الإنتاج . ورقى من الشباب العمال من توسم فيهم خيراً ، وطوف فى البلاد فى أيام فراغه ينفخ حياة جديدة فى موزعى سياراته الذين يبلغ عددهم ٦٢٠٠ موزع .

وقد طاب هو نفساً بما سمعه منهم حين بلغ مجموع ما طلبوه مليون سيارة . ويبلغ عدد السيارات التى تصنعها الشركة الآن كل يوم ٣٨٠٠ سيارة من سيارات فورد وميركيورى ولنكولن إلى سيارات النقل ، تضاف إليها ٣٠٠ جرارة . وهو يرجو أن يزيد ذلك قريباً إلى ٥٤٠٠ فى اليوم . ويومئذ لا تخسر الشركة شيئاً فى كل سيارة تصنعها . وسيكون لها فى السنة المقبلة مصانع لتجميع السيارات ومستودعات فى طول البلاد وعرضها ، فترتفع قدرتها على صناعة السيارات إلى ثمانية آلاف فى اليوم .

ولن ينقضى زمن طويل حتى تروع منافسى فورد رائعة أخرى ، ففى ناحية من مصنع « روج » الضخم ، تولت أيدى العمال

صنع نماذج سيارات فورد لسنة ١٩٤٧ ، ولن يحل شهر أكتوبر حتى تبدأ هـذه السيارات الجديدة تدرج خارجة من خطوط التجميع . وقد اختلفت الروايات التي تروى في مدينة دترويت عن أوصاف السيارة الجديدة ، فمنهم من يقول إنها سيارة فورد العتيقة دخل عليهـا بعض التحسين والتجميل ، وآخرون يقولون إنها سيارة جديدة كل الجدّة ، وإن لهـا محركا في مؤخرتها . وأيًّا ما كانت أوصافها ، فإن هنرى فورد الصـغير يرجو أن يبيعها بأقل مما تباع به أية سيارة أخرى .

جميع هذه الخطوات الجريئة السريعة حملت صناع السيارات على أن ينظروا إلى هنرى فورد الصـغير نظرة ملؤها العجب والدهشة . وهنرى فتى في الثامنة والعشرين مديد القـامة (طوله ٦ أقـدام) وثيق التركيب (وزنه ١٩٠ رطلا) ، فهو قليل الشبه بجده النحيف الحديد البصر ، ولم يبد فيما مضى من حياته أثر ما من آثار عبقريته ولـكن كبار صناع السيارات أخذوا اليوم يُغيرون رأيهم فيه .

وقد تعلم هنرى الصغير أصـول صناعة السيارات في زمن أقصر كثيراً مما قدر له . ورأيه في أن العمال ينبغى أن يحملوا نصيبهم من التبعة مع رجال الإدارة ، ليس بالرأى الجديد ، فرجال صناعة السيارات ما فتئوا يحاولون منـذ سنين أن يلقوا على كواهل اتحادات العمال بعض التبعة . ولـكن الجديد في الأمر أن فورد الصغير استطاع أن يحقق ذلك ، وكان في تحقيقه شـديد الدهاء . فقد جعل العمال أداة من أدوات المنافسة ، ويوم جاءه أحد صـناع السيارات ليغريه بالانضمام إلى جماعة من أصحاب المصانع تكون يداً واحدة ضد رفع الأجور قال له : « دبر أنت أمورك ، ودعنى أنا وشأنى » .

وقليل من أهل دترويت من يعرفه معرفة دقيقة ، وقد قضى معظم حياته تابعاً لجده أو لأبيه إدزل فورد . وقد ظل في صغره معزولا هو وأخوته عن سـائر أسرتهم ، فقد كان الرعب يملأ قلب أسرة فورد من مختطفي الأطفال ، وقلما سمح للصحف أن تُصورهم أو تنشر صورهم . وقلما خرجوا من بيتهم دون أن يتبعهم حارس متنكر .

ويوم ذهب هنرى إلى المدرسة لم تبدر منه بادرة تدل على اهتمامه بالدرس والمطالعة . وكان حارسه هو مدرب السباحة في المدرسة ، ولـكن رفاقه تبينوا فيه العقل وحسن التقدير ، فلما نشرت صـورته في كتاب المدرسـة السنوى ، كان مكتوباً تحتها : « فيك خير كثير لو أحسنت الانتفاع به »

وفي سنة ١٩٣٦ دخل جامعة ييل ليدرس

الهندسة ، فلم تكد تنقضى سنة حتى تركها لأنها مملة ، فتحوّل إلى دراسة علم الاجتماع. وبعض السبب فى تحوله أن آل فورد جميعاً من هواة علم الاجتماع ، ولأن أستاذ العلم كان يحسن تبسيطه لعامة الناس .

وظلّ فى الجامعة أربعة أعوام دون أن يظفر بالدرجات الكافية التى تؤهله للتخرّج . فترك الجامعة فى سنة ١٩٤٠ . وفى صيفها تزوّج آن مكدونل ابنة سمسار غنى فى نيويورك . واعتنق مذهب الكاثوليك قبل زواجه بيوم واحد ، ثم سكنا فى بيت أهداهُ أبوه إليهما .

وقد بدأ هنرى الصغير يدرس مملكة فورد الصناعية دراسة متمهّل ، فدرس أصولها أولا ، فاشتغل بامتحان المحرّكات وتشحيم السيارات وسواها من الأعمال القذرة ، ولم يكن ثمة ما يدعوه إلى العجلة ، فوالده إدزل فورد فى السابعة والأربعين قوىّ سريع الخطى ، وهو خليق أن يظل رئيساً للشركة سنين . وفى إبريل ١٩٤١ التحق هنرى الصغير بالأسطول وعين ضابطاً ، وعاد إلى مصنع «روج» ليدرّس الرياضيات فى المدرسة البحرية التى أنشئت فيه .

غير أنه لم يلبث حتى ألقى على كاهله بين عشية وضحاها عبء عظيم . فقد توفى أبوه بعد مرض لم يطل به ، وألفى الزمن لا يتسع لأن يترقى فى دراسة الصناعة من الأساس إلى القمة ، بل عليه أن يبدأ بالقمة حتى يبلغ الأساس . وقد تولى هنرى الجدّ تعليم حفيده ، ولكن اليد الحديدية التى قبض بها هنرى الكبير على أعنة مصانعه فيما مضى قد صارت ضعيفة خائرة ، وقد اضطر فى سبتمبر الماضى أن يتخلى عن الرياسة ، فتقدم هنرى الصغير لساعته ، وأخذ زمامها فى يده .

وقد جرى الحفيد على سنة جده فى الحزم والصرامة ، وإذا عشرات من كبار رجال الشركة قد أزالتهم مكنسة الرئيس الجديد . وقد أزال أيضاً بقايا سياسة الشركة حيال العمال ، وهى السياسة التى آذت اسمها وقللت بيع السيارات . وقد رأى أنه ما دام المديرون القدماء يديرون الشركة ، فسوف يظل اتحاد العمال يذكر تلك الأيام التى طغت فيها الإدارة على العمال ، ويأبى أن يصدق أن الشركة تنوى حقاً أن تتعاون مع الاتحاد .

وأدرك هنرى الصغير بفطنته أن فى صناعة السيارات أشياء كثيرة يجهلها ، فأنشأ لجنة تهيىء له الجواب عن كل سؤال ، وقد عيّن فيها خبراء فى كل باب : من شئون العمال إلى الإنتاج والتوزيع والإعلان وسواها .

إن المطمح الذى استأثر بلب هنرى الصغير هو أن يرد شركة فورد إلى المقام الأول بين شركات السيارات ، فلذلك تراه ماضياً فيه

طريقه لا يلوى على شىء . وله فى مبنى الإدارة مكتب صغير بسيط الأثاث كسائر مكاتب المديرين . وهو يستيقظ فى الساعة السادسة صباحاً ، ويذهب إلى المصنع الذى يبعد اثنى عشر ميلا فى سيارة جديدة ، ويعود مساء فى سيارة جديدة أخرى . وهو إنما يستقلهما لكى يمتحنهما أشد امتحان . فتراه يرفع زجاج النوافذ ويخفضه ، ويتنزّى على المقاعد ، ويختبر جميع الأجهزة حتى يظل الرجال المشرفون على الإنتاج متيقظين لكل نقص ، متأهبين لكل إصلاح .

وفى أحد الأيام صَفَق أحد أبواب السيارة فسمع للباب رنيناً كأنه مصنوع من صفيح ، فغضب واستدعى رجال الإنتاج وصاح فيهم : « ألا تعلمون أن الذين يبيعون سيارات شيفروليه يأخذون زبائنهم إلى معرض سيارات فورد ، ثم يفتحون الأبواب ويصفقونها ، ويقولون لهم أسمعتم رنين الصفيح ؟ ثم يبيعونهم سيارة شيفروليه » . ثم سار برجاله أمام صف طويل من السيارات الجديدة على خط التجميع ، وجعل يفتح الأبواب ويصفقها ، فإذا سمع رنين صفيح فى أحدها وضع عليه علامة لكى يصلح .

وقد صبرت مملكة فورد فى السنتين الماضيتين على صدمتين كبيرتين نزلتا بها — وفاة إدزل فورد ، واعتزال هنرى الكبير عمله . وثمة ما يدعو إلى الاعتقاد بأنها قد دبرت أمرها حتى تتغلب على الصدمة المالية التى تنزل بها يوم يموت مؤسسها الكبير .

وسيبقى زمام الشركة فى يد أسرة فورد ، فلذلك ترى الأسرة تضع الخطط لكى ينضم شقيقا هنرى الصغير إليه . فهذا بنسون فورد وهو فى السادسة والعشرين ، وقد سرح من الجيش ، والغالب أنه سيتولى الإشراف على شئون العمل والصلة بالعمال . وهو حلو المعشر كثير الكلام ، وقد كان اهتمامه بالتعليم الجامعى أقل من اهتمام أخيه ، فلم يقض فى جامعة برنستون سوى سنة واحدة . وأما الشقيق الأصغر — بيلى — ففى العشرين من عمره ، وقد درب لكى يلتحق بالأسطول . وهو يفوق شقيقيه فى اهتمامه بالمسائل الميكانيكية ، وسيدخل جامعة ييل أولا ثم ينضم إليهما .

ويوم يتخرج بيلى من الجامعة ، يكون هنرى الصغير قد فاز فى المغامرة التى أقدم عليها ، أو خسر كل شىء . ولكن هنرى واثق بأنه سيفوز ، وبأن علاقة الشركة بالعمال التى ظلت ترهق الشركة زمناً طويلا قد سويت تسوية حاسمة . والأساس الذى أقام عليه ثقته هو أنه منذ أن وضعت حرب اليابان أوزارها ، لم يقف العمل قط فى مصانع فورد لإضراب وقع فيها .

هذه طبائع البشر

ذهبت مع زوجتى لزيارة جارة مضى على زوجها ثلاث سنوات وهو فى ميدان الحرب، ولم تلبث حتى تركتنا ومضت إلى المطبخ لكى تعدّ الشاى، وإذا بنا نرى شابًّا فى بزة عسكرية يقف أمام المدخل ويحدّق فى البيت تحديقاً طويلا ، ثم يصعد السلالم ويفتح الباب ويدخل . ووضع متاعهُ على الأرض ، وأصغى إلى الأصوات الصادرة من المطبخ .

فصفر لحناً خافتاً قديماً مألوفاً وعبر الردهة ، وإذا بحركة المطبخ قد همدت ، ورآها مقبلة نحوه . ثم وقفا وبينهما بضع أقدام وقد مدّ كل منهما ذراعيه وتلامست الأنامل . لم ينطق أحدهما بكلمة ، ولكنهما قالا بأعينهما كلّ ما يستطيع الشباب أن يقوله بالعيون . ثم تنحنح ، ودسّ يدهُ متمهلا فى جيبه وأخرج منه علبة سجاير ، وقال هادئاً : « هـذه علبة السجاير التى خرجت فى طلبها لك »

فشعّ نور سعادتها من عينيين مغرورقتين بدمع صاف كالبلور ، ولكنها حين تكلمت كان صوتها كصوته هدوءاً فقالت : « شكراً يا حبيبى . لقد طال غيابك فى طلبها » .

ثم ضمهما العناق . فقمنا وخرجنا نتسلل.

[ثيو مدلنز]

للنساء منطق يحيرنى ، ولزوجتى منطقها النسوى ، فقد عادت منذ أيام من طواف طافته بالمخازن وهى تتغنى بالثناء على فستان كان غاية مُناها ، رأته معروضاً فى واجهة أحد المخازن . وبعد أسبوع من الجدال فى أمره سامت لها بما تريد ، فمضت فرحة لتشترى « منية قلبها » . ثم لم تلبث أن عادت فارغة اليدين فسألتها عن ذلك فقالت : «وجدت الفستان لم يزل معروضاً فى الواجهة فقلت لنفسى : إذا لم تكن ثمة امرأة أخرى تريده ، فأنا أيضاً لا أريده » .

[دونلد مويتكر]

وقفت سيارة الركاب بنا فى مدينة صغيرة فدخلتها شابة حسناء ، وجعلت تشق طريقها فى الحشد المزدحم جلوساً ووقوفاً قاصدة مؤخرة السيارة ، فقدم لها أحد الرجال مقعده ، وقال : « لا يسعنى أن أجلس وأنا أرى سيدة واقفة» . وإذا صوت سيدة يرتفع من مقدمة السيارة فيقول : « دعونى أنظر كيف يكون الرجل صاحب المروءة » .

فردّ الرجل : «خيرٌ لك أن ترى أولا كيف تكون المرأة ذات الجمال » .

[س . د . برجناير]

كان أبلد من لقيته فى حياتى رجلاً كان فى شبابه محامياً فى بلدة صغيرة ، وكانت سيرته تبشر بالنجاح ، ولكنه لم يزل منذ ثلاثين سنة يرتزق مما يفتح الله به عليه من عمل طارىء . وكان أعظم همه أن يجلس على باب دكان فى البلدة ، فى زمن الصيف ، ويتخذ مجلسه قرب الموقد فى زمن الشتاء يجاذب المارة والزبائن أطراف الحديث . فسألته ذات يوم لمَ نفض يديه من حياة المحاماة. فقال : « يا أخى ، كنت كلما ازددت على العمل إكباباً ، ازداد العمل كثرة . فلو كنت مضيت أعمل على هـذا النحو ، لكان ما لم أنجزه أكثر من الذى أنجزت ، فمن أجل ذلك لم يسعنى إلا أن أنفض يدىّ منها قبل أن أتورّط » . [جفرى توماس]

فى مساء يوم زواجنا تعطلت بنا سيارتنا فى مكان ناءٍ عن العمران فى ولاية مشيجن ، فسرنا مسافة طويلة على أقدامنا حتى رأينا بيتاً يشعُّ منه ضوء ، فمضينا إليه وقرعنا الباب ، ففتحه شيخ وامرأته العجـوز الشمطاء .

فقلت : « لقد تعطلت سيارتنا ، فخطر لنا أن نلجأ إليكم عسى أن تسمحوا لنا أن نبيت عندكم الليلة » .

فنظر الرجل إلى زوجته نظرة مرتاب وتمتم : « نحبُّ يا صاحبى أن نجيب طلبكم ولكن . . . » وقبل أن يأتى على آخر كلامه ، رفعت زوجتى يدها لتسوى شعرها فوقعت بضع حبات من الأرز إلى الأرض ، فعلمت العجوز أننا فرغنا لساعتنا من عقد القران .

وإذا عيناها تلتمعان ، فقاطعت زوجها وقالت : « طبعاً يا أولادى ، هـذه الدار داركم . هيَّا استريحا قليلا حتى أرتب لكما حجرة الضيوف » .

وبعد دقائق سارت بنا إلى حجرة وجدنا فيها سريراً مريحاً ومائدة عليها شاى وكعك وبعد أن تمنَّت لنا ليلة سعيدة خرجت وأوصدت الباب .

فلما أسفر الفجر خرجنا نتسلل ، وإذا زوجتى تلمس ذراعى وتقول همسـاً : « انظر » . فنظرت فرأيت فى ضوء الفجر الأغبر تلك السيدة العجوز جالسة على المقعد فى الردهة متدثرة بشالها الأحمر ، وكان زوجها يغط نائماً على الكرسى نومـة لا تريح .

فعدت إلى حجرة الضـيوف وأضفت عشرة ريالات إلى الخمسـة التى كنت قد تركتها على المائدة . [لافاييت إستتش]



فى مخادع الناس سر التاريخ

ستيفان زفايج

مختصرة من كتاب «مارى أنطوانيت»

أحداث التاريخ التى نجمت وراء الحجب المسدلة على مخادع الملوك ، هى أكثر عدداً وأخطر شأناً مما يظن الناس . بيد أنك قلما تجد حدثاً تتجلى فيه الصلة الوثيقة بين أسرار الحياة الخاصة وبين آثارها فى تاريخ العالم السياسى ، جلاء أبين ولا أوضح منه فى حياة اختلطت فيها المآسى المبكية بالمهازل المضحكة — هى حياة لويس السادس عشر وزوجته مارى أنطوانيت .

لما تزوجت مارى أنطوانيت النمسوية الصغيرة الفاتنة وارث عرش فرنسا ، خرجت من فينا إلى باريس فى مركبة فخمة مكسوة بالحرير ، فى حاشية عظيمة ، وكانت الحفاوات والاستقبالات التى لا آخر لها تضطرها إلى الريث فى الطريق ، ثم جرى الاحتفال بالزواج بين أعظم مجالى الأبهة فى كنيسة فرساى ، وتلت ذلك مأدبة عشاء ملكية فخمة ، ورافق الملك لويس الخامس عشر العروسين الصغيرين اللذين كانا عمرهما معاً لا يكاد يتجاوز الثلاثين ، إلى مخدعهما .

وقد ظل هذا الزواج — إذا اعتبرنا الغاية الجوهرية منه — سبع سنوات فظيعة سخيفة لا يحقق هذه الغاية ، فلا حفلة البلاط ولا المراسم العليا للزواج استطاعت أن تتغلب على قصور ولى العهد . وقد ظن فى البداية أن الغرارة وحدها هى التى جعلت هذا الفتى الذى كان فى السادسة عشرة من عمره ، زوجاً مخفقاً ، فلما انقضى عامان ولم ينجبا طفلاً شاع القلق ، فقد كان هذا الزواج رمزاً للمحالفة الودية بين أسرتى هابسبرج وبوربون المتنافستين المحتربتين ، وكان سلام أوربة رهناً بثمرته .

وسرعان ما أورث لويس شعوره بقصوره الجنسى كل مظاهر العقدة النفسية وشعور الضعف . ولما كان قد عجز عن القيام بدور الرجل فى مخدعه ، فإنه لما تولى الملك لم يستطع أن يقوم بدور الملك أمام الناس ، فكان لا يستطيع أن يتحدث إليهم ، أو أن يمضى مشيئته . وكان إذا تنبهت إرادته ، وقلما كان يحدث ذلك ، يشتط ويسرف فيصبح جافياً فظاً ، وكان يجد فى ركوب الخيل ساعات طويلة ، والخروج لصيد الخنازير البرية ، وإجهاد جواد بعد آخر ، وفى الضرب بالمطرقة فى المكان الذى اتخذه للحدادة ، عوضاً تتخذه دليلا على قوة بدنه ،

فيتسنى له أن ينسى ما به من نقص وبيل . ولكن شعوره بالخجل من زوجته الصغيرة أفضى به إلى كارثة ، ذلك أنه لما عدم القدرة الطبيعية ، ومظهرها العقلي وهو الإرادة ، لم يستطع أن يكبحها عن حماقاتها ، فكان وزراء الدولة ورجال البلاط يخامرهم اليأس إذ يرون السلطة الملكية تنتقل إلى يديها النزقتين . وأخيراً ، وبعد سبع سنين ، خف جوزيف إمبراطور النمسا إلى باريس ليشجع صهره على احتمال جراحة يسيرة ، وكان طبيب البلاط قد أشار بذلك قبل خمس سنوات للتغلب على هذه العلة العضوية التافهة التي كان يعانيها الملك لويس ، وكانت ماري أنطوانيت قد بذلت أقصى ما في وسعها لإجراء هذه الجراحة ، غير أن لويس كان أشد تردداً من أن يستقر له عزم على مثل هذا النهج الحاسم — والآن تم ما كانت الحاجة تدعو إليه ، ولكن بعد فوات الأوان ! فقد تم في هذه السنوات السبع تشويه شخصيتي الملك والملكة ، وأوجدت علاقاتهما النفسية عوامل وقوات وطيدة في حياتهما الزوجية ظل عملها مستمراً بعد ذلك ، وحتى بعد أن رزقا عدة أطفال ، ظل ملك فرنسا عبداً لماري أنطوانيت .

كانت أنطوانيت أنثى كاملة بالفطرة : فكانت رقيقة القلب ، بينة الأنوثة ، خلقت لتكون أماً لأولاد كثيرين . ولما كانت تهتاج لما بها في أعمق أعماق نفسها ، ولا يشفى لها غليل قط ، فقد سفلت الروح السامية في هذه الطفلة المدللة ، وتحولت إلى شغف بالمتعة في صور فائرة فاضحة . وكما أن الملك وجد ملاذاً في متاعب الصيد ، كذلك وجدت الملكة متنفساً لعواطفها في صداقة حارة مع النساء ، وفي مغازلة ذوي الوسامة من الشبان ، وفي السهر إلى الخامسة صباحاً في حفلات التنكر . وكانت تعتريها لحظات من الكآبة الحادة تريها أن هذه الخفة غير مستساغة . فلما تيسر أخيراً أن تصبح زوجة وأماً ، تحولت ماري أنطوانيت إلى مخلوق آخر ، وصارت رزينة قوية الإرادة وجريئة ، غير أن هذا التحول جاء بعد الأوان !

ومثل هذه المأساة ، يكون في العادة أمراً خاصاً ، ولكن الزوج والزوجة هنا كانا ملكا وملكة ، فكفاية الملك أو قصوره ، وعقم الملكة أو خصبها ، مسألة تعني الدولة ، لأن وراثة العرش رهن بها ، ومصير الدولة مرتبط بما يكون من أمرها . وقد كانت جميع سيدات البلاط ، والفرسان والضباط والخدم حتى الغسالات ، لا يكفون عن اللغط بهذا . ولم يكن قصور

الملك معروفاً في فرساي وحدها ، بل في شوارع باريس أيضاً ، وفي فرنسا بأجمعها . ولما كان عجز ملك من أسرة بوربون أمراً له قيمة سياسية بارزة فقد اهتمت به بلاطات الدول الأجنبية ، وامتلأت بحديثه التقارير التي كان يرسلها مبعوثو بروسيا وسكسونيا ، وسردينيا ، وإسبانيا ، وكان الملوك والأمراء في أوربة قاطبة يتضاحكون من زميلهم الغرير المخفق .

وكان الزوج والزوجة أيضاً عرضة سخرية لا رحمة فيها . فكان أهل الفكاهة من رجال البلاط لا يزال بعضهم يسأل بعضاً عن هذه الملكة الصغيرة الجميلة كيف تُرى سترفّهُ عن نفسها . وشاعت الشكوك لا يكبحها كابح وإن كانت لا أساس لها ، فإذا ركبت الملكة مع فارس وسيم فإنه لا بد أن يكون عشيقها ، وإذا تمشت في الحديقة صباحاً مع سيدات القصر ورجاله ، فلا بد أن تكون قد حدثت عربدة لا يتصورها العقل . وأذاع المشنّعون قصائد عن معاشق الملكة ، وسرعان ما طبعت وقرأها الشعب .

ولم يكن عن مصادفة أن وقفت الأمة بسرعة على قصور الملك ، وأحاطته بالأكاذيب الخبيثة عن الملك ، فإن القضاء على السلطة الملكية لم يبدأ بالهجوم على سجن الباستيل ، وإنما بدأ في قصر فرساي ، ففيه كان يعيش أقرب أهل لويس إليه ، وكانت لهم مصلحة خاصّة قوية في إحباط آمال ماري أنطوانيت. وكان إخوة لويس الثلاثة أعظم ما يكونون اغتباطاً بإخفاقه ، لأن ذلك يتيح لهم فرصة حسنة لم تكن متوقعة لاعتلاء العرش . وكان أكبرهم — الكونت دي بروفانس — يشق عليه دائماً أن يكون له المحل الثاني ، وكان ثانيهما مثل لويس بغير عقب ، فكان ثالثهم — كونت أرتوا — وله أبناء يخلفونه على العرش ، أحلقهم بأن يكون أعظمهم ربحاً .

وكان سوء حظ ماري أنطوانيت مبعث ابتهاج لكونت بروفانس وكونت أرتوا على الخصوص ، فإنه كلما تراخى الزمن على هذا الحظ السيء ، كانت آمالهما أقرب إلى النجاح ، فمن السهل أن نتصور حنقهما حين رُدّت إلى الملك القدرة . ومذ صار لويس السادس عشر أباً ، صار أقرباؤه من أخطر أعدائه ، وراحوا ينشدون بالدسائس ما استحال تحقيقه في الطريق القويم . وهكذا وجدت الثورة الفرنسية أعواناً متحمسين لها في البلاط ساعدت أيدي الأمراء على فتح الأبواب للثورة ، وزوّدوا رجالها بطائفة من خير أسلحتها .

ولما بدأت الدعوة إلى الثورة ، لم يجد الصحفيون من الأحرار المتطرفين عناء

فى البحث عن حجج تمكنهم من تصوير مارى أنطوانيت فى صورة زانية مستهترة سادرة ، فلما كانت المحاكمة اكتفى المدعى العام بأن يقتبس واحدة أو اثنتين من هذه الفِرْيات ليضع عنق الملكة تحت حد المقصلة . وإنها لمن أعجب خدع التاريخ أن تترتب على التوافه فى ظاهرها نتائج يصعب تقدير قيمتها وخطرها : ففى حياة مارى انطوانيت كانت التجارب المضحكة الهينة الشأن فى العهد الأول من زواجها ، حاسمة فى نتائجها ، لا لأنها كونت شخصيتها وعينت مصيرها ، بل لأنها صاغت مصير العالم أيضاً .

لمحات من حياة العظماء

فى أحد متاحف فينا « بيانُو » كان يعزف عليه بيتهوفن العظيم . وذات يوم دخلت فتاة أمريكية وفتحته وعزفت عليه لحناً وهى لاهية . ثم التفتت إلى حارس المتحف وقالت : « ألم يأتكم أحد من كبار العازفين للاستمتاع بمشاهدة هذا البيان » . فقال لها : « إن بادرفسكى العازف البولندى العظيم زار هـذه البقعة الطاهرة منذ عهد قريب » . فقالت : « ولابدّ أنه عزف على البيان لحناً رائعاً » فقال الحارس: « كلا يا سيدتى ، إن بادرفسكى لم ير نفسه جديراً بأن يمسّه بيده » . [هنرى فنك فى كتابه « مضحكات موسيقية »]

كان المخترع العظيم إديسون يتجوّل فى أرض معامله ، فرأى فى مساء فى الخريف طائراً صغيراً قد أصابه ما أعجزه عن ملاحقة سربه القاطع إلى البلاد الجنوبية الدافئة . فأخذه واعتنى به ، وبعـد أيام تحسنت حاله وبدا قادراً على الطيران . ولـكن منقذه رأى أنه قد يعجز عن أن يحتمل جهد الطيران مسافة طويلة ، فوضعه فى قفص وزوّده بكل ما فيه راحته من طعام وشراب ، وأرسل القفص إلى شركة نقل وطلب إليها أن تنقله على جناح السرعة إلى بلد فى جنوب أمريكا ، فإذا ما بلغها أطلقوا سراحه . [فرلسيز جيهل]

كان تشارلز ديكنز ، أينما ذهب ، يرتب أثاث حجرته ، وهو حامل بوصلة فى يده ، لكى يجعل رأس سريره متجهاً إلى الشمال ، فقد كان يؤمن بأن سريان تيار الأرض المغناطيسى فى جسمه من الرأس إلى القدم ينفعه أعظم نفع .

من التربية ما لا يجده الطفل
إلا عند أبويه، وعلى أيديهما ..

كيف ربّيت ولدي في البيت

بقلم والده
مختصرة من مجلة " ذي روتيريان "

منذ عشرين سنة خلت أنشىء ولدي تنشئة تجعله يحيا حياة نافعة أساسها الثقة بالنفس . وكنت أعتقد أن الوالدين يرجئون شيئاً كثيراً من التبعات التي تتطلبها تربية أبنائهم ويكلونها إلى المدرسة ، وكان ينبغي أن تبدأ هذه التربية في البيت قبل سن المدرسة بزمن طويل ، وأن يستمر البيت حريصاً على تعهدها طول سنوات المدرسة .

ويبلغ ولدي جون اليوم الثالثة والعشرين من عمره ، هو مولع بالألعاب الرياضية وبمصاحبة الفتيات ، وله شغف بالقراءة ، ويحسن أيضاً معاشرة الناس . وقد أتم دراسته في الجامعة في العام المنصرم ، ويبشرني ما أراه بنجاحه في العمل الذي ارتضاه من أعمال الهندسة في شركة في ولايات نيو إنجلند .

كان الركن الذي يقوم عليه مذهبي في تثقيفه هو أن أساس التربية جميعاً هو الاعتماد على النفس ، وأن قوام الاعتماد على النفس هو قدرة المرء على العمل بيديه . وقد أخذت على نفسي عند ما بلغ جون الثالثة من عمره ، أن أدرب يديه على العمل ، فكنت أنبطح على الأرض وأساعده في بناء بيت من قطع الخشب . كنت أدع له هو الرأي فيما يبنيه ، وكنت أنا أسدده وآبى عليه إلا أن تكون الجدران مستقيمة والزوايا قائمة والسقوف متينة ، فلقد أردت أن أعود أنامله على العمل الدقيق .

ولما بلغ جون الرابعة من عمره علمته استعمال الآلات ، وكنت أرى أن استعمال الآلات تدريب لليد والفكر جميعاً ، فهي تعلم حصر الجهد وإعمال الفكر ومعرفة السبب والمسبب ، وتنمي في الولد الأناة والجلد وإتقان العمل باليد .

كنت إذا احتاج قفل الباب إلى تزييت أدعو جون ليعينني ، وكان عمله في بادىء الأمر لا يعدو أن يناولني الآلات ، ولكن سرعان ما كنت أسأله عما يشير علي به لخلع قفل الباب عن موضعه ، وكنت أعمل بما يشير به حتى يرى أن ما أشار به لم ينفع ،

فيعود يفكر فى المسألة ويحاول محاولة أخرى، وأخيراً يتهلل محيّاه، فقد وقع على رأى صالح.

وقد جريت على نفس الطريقة فى تطهير بالوعة حوض الغسيل ، أو إصلاح آلة الخياطة ، أو ترميم دمية من الدمى ، وكنت أسأله ماهى الآلات التى ينبغى لنا أن نستعملها وكيف نبدأ ؟ ولما اشتد ساعد جون وقويت يداه ، جعلت أشجعه على أن يتولى الأمر بنفسه . فلما بلغ الخامسة كان جون يقوم بجميع الإصلاحات البسيطة فى البيت ، فكنت مثلا أقول : « إن سدادة حوض الغسيل قد انفصلت عن السلسلة يا جون » فما هو إلا أن يهرع إليها بآلاته ويعود بعد قليل ليقول : « لقد تم إصلاحها » .

كان بعض أصحابى يسخرون بفكرة تعليم الصغير أن يعمل بيديه ، على حين أن المفروض أنه سيكسب معاشه فى عمل يقتضيه إعمال الفكر ، بيد أننى أصررت على رأيى . وقد ظفر جون بعمله الراهن لأنه عرف كيف يفيد فى تعليمه الجامعى فائدة تنفعه فى الحياة ، على حين ترى بعض زملائه ممن يبذّونه زكانةً وعقلا ، قد لقوا عنتاً كبيراً فى البحث عن عمل . فلقد أتاح له تدريبُ يديه تدريبَ فكره منذ الصغر .

ولما كبر الولد وأخذ يسأل : « كيف تدور هذه الآلة ؟ » كنت أرد على أسئلته قائلا : « كيف تظن أنها تدور ؟ » وكثيراً ما كنت أبعث السرور فى نفسه بقولى : « فككها وانظر بنفسك » وقد فكك وأنا أرقبه آلات مما يستعمل فى المطبخ ، ومدفأة كهربائية ، وآلة قطع الحشائش وغيرها . وكنت أنا أيضاً أتعلم بذلك كيف تدور هذه الآلات ، لأنى لست ميكانيكياً .

والآن ما من شيء فى البيت أو فى السيارة لا يستطيع جون أن يصلحه ، لأنه يفكر فى طريقة دورانه ، ويرقب عمل الأجزاء التى يفككها ، ويستنتج علاقة بعضها ببعض على أن أهم ذلك كله أن تدريبه جعل نظرته إلى العالم نظرة الباحث المنقب الذى يريد الوقوف على سر كل شيء .

وأخذ جون يستعمل آلة كتابتى ولما يكد يتعلم الكلام ، وظل عدة أسابيع يكتب سطوراً لا معنى لها . ووجدت يوماً ورقة كُتب عليها كلمة « ساخن » . فقد فكر جون فى بحثه عن كلمة حقيقية يكتبها فى الكلمات المكتوبة على حنفيات الحمام ، وكذلك قام بأول عمل أدبى ، ثم ساعدته الكتابة على الآلة الكاتبة أن يتعلم الهجاء .

وكنت أنا ووالدته نحرص دائماً على أن لا يرضى بأى إيضاح أو تفسير لا يجيب إجابة وافية على ذلك السؤال البسيط : « لماذا ؟ » فكنا نسأله أولا رأيه فى المسألة

فإذا عجز أو عجزنا نحن عن إجابة مرضية، رجعنا إلى الكتب أو إلى المراجع الفنية. ولقد اصطحبته مرة إلى مصنع لإصلاح السيارات ليوضح له ميكانيكى هناك سرّ شيء فى السيارة لا يحيط علمى بتفسيره.

ولقد جهدت منذ نعومة أظفار جون أن أوجد فى ذهنه «صورة» من كل نظرية أو قاعدة. سألنى مرة لماذا لا تغرق البواخر المصنوعة من الصلب، فإن قطع الصلب كما يرى تغرق إذا وضعت فى الماء. فجهدت أن أفسر له الأمر ولكنه لم يدركه، وحدث بعد ذلك بأيام أن كان جون يلهو بتعويم مراكب صغيرة فى الحمام، فأتيت بثقّالة ورق وآنية طهى زجاجية، وأريته أن ثقّالة الورق تغوص إذ هى وضعت فى الماء، أما الآنية الزجاجية وهى أثقل فإنها تعوم. وفجأة أدرك جون القاعدة. ولقد سمعته بعد ذلك يشرح لشخص كبير نظرية الأجسام الطافية، ولم يكن يفهمها من قبل.

ولما جاء جون من المدرسة يوماً وقد حضر أول درس فى الجغرافيا، أخذت أعلمه كيف ينمى إحساسه بالعالم. فاشترينا له كرة أرضية مصورة لغرفته خاصة، واقتفينا أثر رحلات خرستوف كولومب عليها، كما أشرنا إلى البلاد التى ورد ذكرها فى القصص التى كان يقرأها. وسرعان ما أخذ جون من تلقاء نفسه يدعو إخوانه إلى غرفته ليقوم معهم برحلات حول العالم. وكان زَهْوُه وتحدثه بمعلوماته الجديدة يوسعان آفاق عقله وآفاق عقول أترابه أيضاً.

وقد خطر لى أن النظر إلى العالم نظرة عامة ينبغى أن يضاف إليه النظرة الفاحصة الدقيقة، فإن المقارنة تنمى خيال الأولاد. لذلك اشتريت مجهراً مستعملا، فلما جمع جون بعض الحشرات وأوراق الأشجار والزهور وقطعاً مختلفة من الصخور، تكشّف أمامنا عالم جديد تحت المجهر.

وقد تقول: «ولكن ألا يقتضى ذلك وقتاً طويلا وصبراً عظيما؟» أما الوقت فلا، وأما الأناة والصبر فنعم. فإن الوالدين جميعاً سواء أكان لهم ولد واحد أم أربعة، يبذلون من وقتهم أكثر مما يتصورون، فى الإجابة على أسئلة صغارهم ومراقبتهم وتسليتهم. ولقد جهدنا أن نستخدم هذا الوقت استخداماً نافعاً، فحولنا مجرى الأسئلة التى كان يسألها إلى ألعاب ومغامرات حفزته إلى البحث والتنقيب، إما وحده وإما مع أصحابه ولداته. وإن حماسة الطفولة وتوقدها تمكنه من تنفيذ كل مشروع، ولا يعوزه ثمة إلا شيء طفيف من اهتمام الوالدين بين الفينة والفينة، كما يظل الطوق يجرى بلمسة خفيفة تدفعه

على أن تعليم جون كانت له فائدة أخرى، فقد أغنى عقولنا بعلم وافر، فكنا إذا رجعنا إلى المراجع للبحث عن إجابة لأسئلته، تكشفت أمامنا ميادين جديدة ممتعة . كذلك ألفينا أن صبرنا وأناتنا فى تربيته كانت قرضاً حسناً ، وجاءتنا بخير العواقب ، فإنك إذا زرعت فى طبيعة ولدك عادات كريمة منذ نعومة أظفاره ، كفيت نفسك مؤونة ما تبذل من جهد فى سبيل إصلاح أخطائه فيما بعد ، إذ أن الضرر كل الضرر فى فراغ الولد من عمل يعمله ويصرف إليه اهتمامه .

كان جون غلاماً كسائر الغلمان يقضى وقته مثلهم فى اللعب واللهو ، ولكننا جهدنا فى أن نجعل زمن طفولته مفضياً به إلى حياة مقبلة ، وذلك بتحويل ميوله الطبيعية إلى أشياء يفيد منها تدريباً وتتيح له فى الوقت نفسه متعة وتسلية . ولم يخامره قط أنه كان يتعلم ويتثقف .

ولعل من خير ما فعلناه أننا كنا نعامل جون كما نعامل الكبير البالغ . إن مخايل الزهو التى كانت تبدو عليه حين يعرض كرته الأرضية المصورة أو مجهره على لداته، جعلتنا ندرك أن للطفل عزّة وكرامة يذلها الآباء إذا هم أعطوا أبناءهم لعبة تافهة لا قيمة لها أو معنى . ولقد قررنا من يومئذ أن لا نعطى جون إلا أشياء الرجال ، كلما استطعنا إلى ذلك سبيلا . طلب إلينا مرة صندوقاً صغيراً للآلات ، فاشترينا له مجموعة كاملة منها . ولقد وجدت أن ذلك علم جون احترام الآلات ، وأنه كان نفقة آتت ثمارها وشيكا .

وفى السنة التالية تعاونت أنا ووالدته على جمع ما يكفى لنشترى له مطبعة يدوية وبعض الحروف . انظر كيف برقت عيناه وتهللت أساريره لهذه الهدية ! وأدركت من فورى أنها فضلا عن فائدتها العملية ، تمكن جون من أن يكسب شيئاً من المال . فاقترحت أن نشتغل بالطباعة ونقوم بأعمال صغيرة لأهل الناحية ، ولما كان ذلك يقتضى شراء أدوات أخرى فقد استثمرت بعض مالى فيها ، وأصبحنا أنا وهو شريكين، وكنت أعمل معه فى المساء وبعد ظهر أيام السبت .

ولكى أعلم جون الفرق بين رأس المال المستثمر ورأس المال العامل ، أسسنا شركة وأصدرنا أسهماً لرأس المال، ورسمت صورة بسيطة للأسهم طبعها جون . وأخذ كل منا نصف الأسهم .

كانت الأرباح توزع بالتساوى ، بيد أنى أصررت على أن يحجز شىء من الأرباح لإضافته إلى رأس المال الثابت لشراء حروف وآلات أخرى، إذا حضرت الحاجة إلى ذلك،

ولكننا إذا احتجنا إلى مال لتمويل طلب لورق أو بطاقات مثلا فإن ذلك «هو رأس المال العامل» . وقمت بعمل الصرّاف ، وأقرضت رأس المال العامل هذا للشركة ، وطلبت منها سنداً بهذا القرض . ولقد أردت أن لا يهاب جون اقتراض المال ، وأن يتعلم كيف يحترم اسمه إذا وقع به على سند .

ودرجنا على أن نسافر فى البلاد معاً كلما أطقنا ذلك ، ليقف جون على علاقة تلك البقاع بما كان يدرسه فى التاريخ الأمريكى . وكذلك كنت أكل إليه المحافظة على مفاتيح الغرفة التى ننزل بها ، وأتركه يتولى حزم أمتعته بنفسه ، وإعطاء أجور الحمالين ، وشراء تذاكر القطارات ، ومراجعة عدد حقائب السفر إلى غير ذلك .

فلما فارقنا جون إلى الجامعة عدت إلى ما اقتصدناه وجربت تلك التجربة الخطرة ، إذ أعطيته ما يحتاج إليه طول السنة من المال دفعة واحدة وقلت له : « لن تأخذ أكثر من ذلك مهما كان من شىء ، وإذا اقتصدت منه شيئاً فهو لك . ولا تنس أن تبعث إلى كل شهر ببيان عن نفقاتك » .

فما اضطررت قط أن أرسل إليه مالا ، ولا ريالا واحداً فوق هذا المبلغ ، وإن كان قد قضى معظم سنته الأولى فى ضيق من جراء شرائه جهاز راديو ، بيد أنه فى نهاية السنوات الأربع كان قد اقتصد ١٣٣ ريالا . وكان هذا جزءاً هاماً من تعليمه الجامعى ، فلقد نما فيه الشعور بقيمة المال نمواً لا مثيل له إلا فى قليل ممن أعرف من أصحابى .

إن معظم الآراء التى جربتها فى تربية جون تدل على ذلك الضرب من التعلم الذى ينبغى أن يتلقاه الولد عن أبويه ولن يتاح له البتة تلقيه عن غيرها . وقد يحتاج الأطفال الآخرون إلى غير ذلك من الأساليب ، غير أن المسألة كلها هى أن ندرك أن الطفل لا يزال يجمع معلوماته من يوم يبدأ يحرك شفتيه بالكلام ويحبو على الأرض ، وعلينا أن نفيد ما نستطيع من لهوه ولعبه وأسئلته وميوله الطبيعية . وأنت إذا حملت ما يخطر لولدك من أفكار على محمل الجدّ ، رأيته طوع يديك فيما تريد من تقويمه وتثقيفه .



بين أديب وأديبة

أرسلت مؤلفة أصول كتاب ألفته إلى الكاتب أمبروز بيرس ، وطلبت إليه ، أن يفرغ نقده للكتاب فى عبارة واحدة ، وأن يجتنب كل تعليق آخر ، فكتب إليها : « إن الشقة بين دفتى الكتاب بعيدة جداً » .

طريق مخوف

ليزد رس
مختصرة من مجلة "ستر داى رفيو الأدبية"

كان إيفان رجلا ضئيل الجسم جبان القلب حتى سماه أهل قريته « نعامة » لشدة جبنه ، وحتى كانوا يلقبونه « إيفان المخيف » تهكما به . وكان دأبه إذا دخل الليل أن يعرّج على الحانة الواقعة عند حدود مقبرة القرية . ولم يعبر إيفان أرض المقبرة قط فى طريقه إلى كوخه المنعزل الواقع عند حدودها من الجهة الأخرى ، وهو لو سلك هذا الطريق لكان أخصر الطريقين ، ولكنه لم يسلكه البتة ــ ولا فى رائعة النهار .



وذات ليلة من ليالى الشتاء ، إذ كانت الريح صرصراً وللثلج المتساقط وقْعٌ على جدار الحانة ، أخذ روّادها يتهكمون بإيفان كعادتهم فيقولون : « لقد ألقى الرعبَ فى قلب أمه وهو جنين فى رحمها عصفورٌ صافر » ، « إيفان المخيف ــ إيفان النعامة » .

وكان ضعفه فى ردّ عدوانهم يزيد سخريتهم به شدّة ، واشتدّ سفههم عليه ساعة تحدّاه أحد الضباط تحدياً منكراً فقال : « إنما أنت نعامة يا إيفان ، فأنت تسلك أطول الطريقين دائراً حول المقبرة فى مثل هذا الزمهرير ــ مخافة أن تجتازها » .

فجعل إيفان يتمتم : « لست أخاف أن أعبر المقبرة أيها الضابط . فما هى إلا بقعة من الأرض كسائر بقاع الأرض » .

فصاح الضابط : « أنا أتحدّاك أن تجتاز أرض المقبرة الليلة ، فإن فعلت فلك عندى خمسة دنانير ــ خمسة دنانير من ذهب » .

وعسى أن يكون الذى كان منه آتياً من سورة الخمر فى رأسه أو إغراء الذهب فى قلبه ، فما يدرى أحد لمَ قال إيفان وهو يمصمص شفتيه : « أجل أيها الضابط . سوف أجتاز أرض المقبرة » .

وتردّد فى جنبات الحانة صدى تكذيبهم له ، فغمز لهم الضابط غمزة بعينه ، وحل سيفه من نطاقه وقال لإيفان : « إليك ! فإذا بلغت وسط المقبرة فاغرز السيف أمام أضخم قبر هناك . فإذا أصبح الصباح قصدنا المكان ، فإذا رأينا السيف مغروزاً فى الأرض فلك خمسة دنانير من ذهب » .

فأخذ إيفان السيف وشرب الرجال تحيةَ « إيفان المخيف » وتعالت ضحكاتهم .

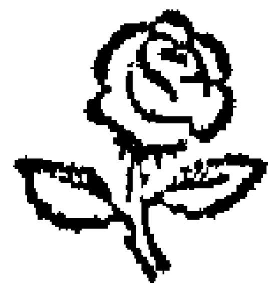
فلما خرج إيفان وأوصد الباب أحاطت به زمجرة الرياح ، وكان البرد قارساً ، فزرّ عليه معطفه الطويل وسار في الطريق إلى المقبرة . وترامت إليه أصواتهم، وكان الضابط أعلاهم صوتاً وهو يقول له : « خمسة دنانير يا إيفان — إذا بقيت حيًّا » .

ودفع إيفان باب المقبرة فانفتح ، وأسرع الخطو وهو يقول لنفسه : « إنها أرض ، ما هي إلا أرض . . كسائر بقاع الأرض » . ولكن الليل كان ظلمات بعضها فوق بعض ، فجعل يناجي نفسه : « خمسة دنانير من ذهب . . » . ولكن الريح كانت عاتية ، ووجد مس السيف في يده كأنه قطعة ثلج ، وجعل جسده يرتجف تحت معطفه السميك الطويل ، فانطلق يعدو تصطك ركبتاه .

ولاح لعينه القبر الضخم ، ولعله بدا عندئذ يَغُول ، فضاع عويله في دويّ الرياح، فجثا على ركبتيه مقروراً مذعوراً ، وركز السيف في الأرض الصلبة ، ومال عليه بكل قوته حتى غاص السيف إلى مقبضه . قضي الأمر . المقبرة . . التحدّي . . خمسة دنانير من ذهب .

وأراد إيفان أن ينهض قائماً ، بيد أنه لم يستطع حراكا ، وكأن يداً عاتية قاهرة تخلد به إلى الأرض . فجعل إيفان يتحلحل في قبضتها يمنة ويسرة يريد أن يتملّص . واستبد به الهلع فجعل يلهث ، وهاله الرعب فارتعدت فرائصه ، وصرخ من الفزع ، ثم غرغرت في صدره حشرجة المبهور .

فلما جاء الصبح وجدوا إيفان ملقى على الأرض أمام القبر الضخم في وسط المقبرة ، قد ضَرَّبه الجليد فمات . كانت ملامح وجهه أبعد ما تكون عن ملامح من قتله البرد ، بل كانت ملامح إنسان مات رعباً . ورأوا سيف الضابط مركوزاً في الأرض حيث غرزه إيفان ـ وإذا النصل قد أصاب ذيله معطفه الطويل ونفذ فيه .



خير معيار لخلق الرجـل ، هو الأشياء التي يفعلها في خلوته ، إذا وثق أنْ لنْ يطّلع على سِرّه أحد .

[ماكولى]

تنتفع صناعات كثيرة « بنار كهربائية » خفية تتغلغل فى المواد فتسرع الإنتاج وتجود المصنوعات

مختصرة من مجلة "بوبيولار سيينس" الشهرية

حرارة الإشعاع تزيد الإنتاج وتنفع فى الطب

ج . د . راتكليف

أعظم تقدم أدركه الإنسان فى الانتفاع بالحرارة منذ استخدم النار فى التسخين ، هو التسخين بأمواج الإشعاع .

ففى ثوان معدودات تبث هذه الأمواج السحرية حرارة فى الصلب حتى يصير أبيض متوهجاً . فإذا جُعل سيرها بطيئاً نفعت فى تقسية المطاط ، فيتم صنع عجلة خليقة أن يكون عمرها كعمر السيارة نفسها . ولهذه الأمواج نفع فى كل صناعة يحتاجون فيها إلى استعمال الحرارة .

وقد قال س . ج . برنسايد رئيس القسم الصناعى الكهربى فى شركة وستنجهاوس : « إن حرارة الراديو من أعظم ما ظهر فى عالم الصناعة ، وسوف تزيد الإنتاج سرعة ، وتخفض النفقة ، وتجعل البيئة التى يعمل فيها العمال أنظف وأبهج ، وتمهد لصنع أشياء كثيرة كنا لا نقدم على صنعها من قبل » .

دلت التجارب الكهربائية الأولى على أنك إذا ما وضعت قضيباً من الحديد داخل لفة من السلك يجرى فيها تيار متقطع ، سخن الحديد . فالتيار الكهربائى فى السلك يحدث تياراً فى القضيب ، ولكن مقاومة القضيب لسير التيار فيه تولد الحرارة .

وقد عثر فريق من الباحثين بعد ذلك على ضرب آخر من حرارة الإشعاع ، فقد وجدوا أن المواد التى لا توصل الكهرباء (مثل الزجاج والمطاط والخشب) تسخن حين تضعها بين لوحين يجرى فيهما تيار متقطع ، فالتيار فى اندفاعه وارتداده يشد جزيئات المادة فى اتجاه معين أولا ، ثم فى اتجاه آخر فينشأ عن ذلك احتكاك بين الجزيئات — فتتولد الحرارة .

فهذه الطريقة الجديدة هى طريقة الحرارة المتغلغلة . وأهم مظاهرها أنها تولد الحرارة فى باطن المادة ، بدلا من أن تقحم الحرارة عليها من الخارج كما يتم فى جميع أساليب التسخين الأخرى .

وقد ظل نفع هذين الاكتشافين مهملاً

زمناً طويلا ، ولكن شركة « جنرال إيلكتريك » كانت تبحث فى سنة ١٩٢١ عن وسيلة تمكنها من أن تخرج الغازات المحصورة فى الأسلاك الفلزية التى تتخذها للأنابيب المفرغة (كالمصابيح الكهربائية) قبل أن تسدّ تلك الأنابيب وتختم . وكانت الحرارة تكسر الزجاج إذا ما أطلقت على الأنبوب من الخارج لكى تسخن أسلاكه فتطلق الغازات التى فيها . فلم يجد رجالها حلاً إلا أن يستحدثوا الحرارة بأمواج الإشعاع ، فيسخن سلك الأنبوب دون زجاجه .

وبعد ثمانى سنوات لاحظ الرجال فى محطة إذاعة تذيع أمواجاً قصيرة ، أن أبدانهم تصاب بسورة من الحمّى حين يكون عملهم قرب الأنابيب المفرغة الكبيرة . فرأى الدكتور ويليس هوتنى رئيس قسم الأبحاث فى شركة جنرال إيلكتريك ، أن سبب الحمى هو أن أمواج الإشعاع القصيرة تخترق أبدانهم . فأفضى ذلك إلى صنع آلات تولد فى البدن حرارة أو حمّى ، وهى تستعمل الآن فى معظم المستشفيات الكبيرة .

وبعد أن تم الانتفاع بحرارة الإشعاع على الصورتين السابقتين ، ظل أمرها مهملا حتى نشبت الحرب ، فتقدم الانتفاع بها تقدماً حثيثاً . وكان أبهر منافعها أنها وفرت القصدير لمصانع الحرب حين قلّ ما لديها منه .

فقد جرت العادة أن تحضر ألواح الصفيح التى تصنع منها علب الأطعمة المحفوظة وسواها ، بأن تتخذ ألواح رقيقة من الصلب ثم تغمس فى قصدير مصهور . فوجد رجال البحث أنك تستطيع أن توفر ثلثى القصدير إذا طليت به ألواح الصلب بالترسيب الكهربائى . ولكن قامت دون ذلك عقبة ، فالقصدير لا يطلى الصلب بطبقة متساوية الثخانة ، وإذا فحصتها بالمجهر تبينت فيها شقوقاً لا قصدير فيها . فالعلب التى تصنع من هذه الألواح لا تلبث حتى يتولد الصدأ فى شقوقها .

فجاء حل المشكلة عن طريق حرارة الإشعاع ، فقد صنعت لفة كبيرة من السلك سعتها ١٢ قدماً . ووضعت على خط التجميع ، وعلى هذا الخط تنقل ألواح الصلب التى طليت بالقصدير طلاء كهربائياً بسرعة ألف قدم فى الدقيقة ، فإذا ما مرّ اللوح خلال لفة السلك وله تيارها حرارة تكفى لصهر القصدير ، فينبسط عندئذ على الصلب طبقة متساوية الثخانة فى أجزائها جميعاً . فأدرك رجال الصناعة غرضين : تقليل ما يستعمل من القصدير ، وتعجيل ما يصنع من ألواح الصفيح .

وتستعمل حرارة الإشعاع أيضاً فى تجميد غِراء اللدائن (العجائن الكيميائية) التى تمسك ألواح الخشب الرقيقة حين يلصق بعضها ببعض فى صناعة الخشب المصفّح

(خشب أبلكاش) . وقد كانت العادة المتبعة أن يجفف هذا الخشب فى أفران ، أو بأن يوضع بين ألواح يسخنها البخار . وهذه الحرارة تستغرق ساعات أو أياماً قبل أن تنفذ إلى جوف الخشب المصفح. وكثيراً ما يجمد غراء اللدائن فى الطبقات الظاهرة قبل أن تنفذ الحرارة إلى جوف الخشب ، فلذلك ظلت ثخانة الخشب المصفح محدودة لا تزيد على بوصة أو نحوها .

أما الحرارة المتغلغلة فتتخلل من فورها إلى قلب لوح الخشب المصفح ، وبفضلها صارت سرعة إنتاج القضبان المصنوعة من هذا الخشب لأجل الطائرات سبعة أضعاف ما كان . وكان صنع الزوارق من الخشب المصفح لإنقاذ الطيارين الذين يسقطون فى البحر يستغرق ستة أشهر ، فصارت تصنع فى ٢٦ يوماً : وقد أفضى الانتفاع بحرارة الإشعاع إلى اختصار الزمن اللازم لصنع القاذفة البريطانية المشهورة المصنوعة من الخشب المصفح -- قاذفة موسكيتو . وفى وسع رجال الصناعة أن يصنعوا الخشب المصفح منذ الآن فى أى شكل يريدونه ، وبأى ثخانة يبتغونها ، ويمكن أن يتخذ عوارض فى بناء البيوت ، وأن تصنع منه ضروب الأثاث والزوارق التى كان صنعها منه مستحيلا إلى زمن قريب .

وتجفيف اللدائن المفرغة فى قوالب شتى الأشكال ، مشكلة كمشكلة تجفيف الخشب المصفح . فالحرارة التى تولدها آلات الضغط البخارى لا تخترق قوالب اللدائن إلا اختراقاً بطيئاً ، فلا تجف مادة القالب كلها جفافاً سوياً . وحرارة الإشعاع قد عجلت الإنتاج وجودت المنتجات. ففى صنع أجهزة التلفون زاد الإنتاج ٥٦ فى المئة ، ونقصت النفقات ٤٠ فى المئة . وقد كانت الأشياء التى تصنع من اللدائن أشياء صغيرة أو تافهة ، مثل قوابس النور ، ومنافض التدخين ، وأكر الأبواب ، والأزرار . وما ذلك إلا لأنه يشق على حرارة البخار أن تنفذ إلى جوف الأشياء الكبيرة التى قد تصنع من اللدائن ، أما اليوم فإن حرارة الإشعاع قد مهدت السبيل لصنع أشياء كبيرة مثل الأبواب والنوافذ وألواح الحيطان .

وأصحاب صناعات الفلزات يجدون فى حرارة الإشعاع منافع عظيمة . فعند شركة « بد » فى دترويت آلة تسخن قضيباً من الصلب ثخانته بوصة وثلاثة أثمان البوصة ، فتبلغ حرارته درجة ١٤٨٦ سنتجراد فى ثمانى ثوان . وفى شركة بد آلة أخرى ، لا يزيد حجمها على حجم جهاز راديو كبير ، تستطيع أن تسخن ما زنته خمسة أطنان من ألواح الصلب الصغيرة ، تدخلها الألواح

باردة من طرف ، وتخرج من الطرف الآخر حامية متوهجة صالحة للسبك . والآلة لا تشغل من مساحة أرض المصنع إلا ثلث ما تشغله الأفران المألوفة. والمصنع كله يكون جوّه فى الصيف أبرد وأطيب .

ومن مزايا هذا الضرب من الحرارة فى صناعة الصلب أنك تستطيع أن تحصر التسخين فى أى جزء من الصلب تريده ، فإذا ما أطفىء هذا الجزء بالماء ، كان الصلب فيه من أقسى ضروب الصلب . وهذه الطريقة تستعمل اليوم فى تقسية رؤوس المسامير وجوف الأسطوانات المستعملة فى محركات الجرارات ، وأسنان التروس . وهى خليقة أن تجعل أدوات المنزل المصنوعة من الصلب ، مثل ماكينات الخياطة وحاصدات العشب وسواها ، أطول عمراً .

وكان لشركة « فايرستون تاير آند رابر » محطة إذاعة بالموجة القصيرة ، وظلت مادة المطاط التى تعزل الأسلاك وأجزاء الآلات تتحطم بتأثير التيار الشديد الذبذبة ، فخطر للمهندس الباحث ج . ب . بوزمورث خاطر باهر . لماذا لا يستعمل حرارة الإشعاع لتقسية المطاط ؟ فوجد أن هذه الحرارة تقسّى مطاط عجلات السيارات والطائرات فى خمس الزمن الذى تستغرقه تقسيتها فى قوالب حرارة البخار . ويظفر فضلا عن ذلك بتقسية سوية لجميع أجزاء العجلة ، فتصير أطول عمراً . وقد شرعت شركة فايرستون تستعمل معدات كهيربية فى تجفيف مايصنع من المطاط لمقاعد السيارات والقطارات .

وللحرارة الإشعاع منافع كثيرة فى تحضير العقاقير والأطعمة ، فهى تجفف مسحوق البنسلين فى عشر دقائق ، وكانت الطريقة القديمة تستغرق أربعاً وعشرين ساعة . وتستعمل فى الفنادق أيضاً لإذابة الجمد عن رزم الأطعمة المجمدة .

وقد صنعت شركة جنرال إيلكتريك جهازاً جديداً ، هو آلة لبيع الطعام ، تضع قرشاً فى ثقبها فتسخن لك من فورها شطيرة من اللحم أو الجبن أو غيرها . ومن الغريب أن الحرارة تسخن اللحم أو الجبن دون الخبز أو الورق الذى يلف به الطعام ، لأن محتويات الشطيرة أشد مقاومة لسير التيار الكهربائى من الورق أو الخبز .

وقد كان كل أسلوب جديد فى الانتفاع بالنار مرحلة من مراحل التقدم البشرى ، كاتخاذها فى التدفئة ، ثم فى طبخ الطعام ، ثم فى توليد الطاقة المحركة . وقد احتلت حرارة الإشعاع مكانها من مراحل هذا التقدم ، باعتبارها من المخترعات الهندسية الأصيلة فى عصرنا هذا .

تقرير عن تجربة اجتماعية خطيرة ، تتعاون فيها الحكومة مع مجالس الأقاليم والأهالى ، فيها عبرة لقراء البلاد العربية .

أسلوب نافع في توجيه الاقتصاد القومي

ستانلي هاي

على مسافة مئتين وخمسين ميلا إلى الشمال من لندن تقع مدينة صناعية غير كبيرة هى مدينة مدلزبرة . وهى تسترعى اهتمام الناس اليوم ، إذ يتجلى فيها ثقة أهلها بمستقبلها وبمستقبل بريطانيا ، وبنتيجة التعاون الحر بينها وبين الحكومة فى إنفاذ خطة بارعة مجدية فى تحقيق ذلك المستقبل . وهذه الخطة تعد نموذجاً لما تبذله الأمة البريطانية من جهد لكى تبعث الاقتصاد وتعزز الحرية من طريق الانتفاع بموارد الحكومة، لتحفز الناس فى البنادر والقرى ، وتنبه فيهم دوافع الإقدام والهمة والمبادرة إلى العمل .

ومنذ سنتين عمد المجلس البلدى فى مدينة مدلزبرة إلى الاتفاق مع جماعة من مهندسى المعمار ومخططى المدائن وعلماء الاجتماع والجغرافية ، ليتولوا بحثاً عسى أن يكشف لأهل المدينة عن مواطن تقصيرهم .

وتضافر أهل المدينة : غرفة التجارة ، ورجال الصناعة ، وربات البيوت، والمعلمون، والأطباء ، ونقابات العمال ، وأصحاب الحوانيت ، وتجار السوق ، أى أن المدينة فحصت عن مواطن الضعف فى نفسها بنفسها فحصاً لا هوادة فيه. وأعدت رسائل وصوراً ورسوماً ونماذج، عرضت فى مكان عام، فتبين فيها أهل المدينة الحقائق التى تعافها النفوس .

وقد وجد أهلها أن ٤٦ ألفاً من سكانها ، وعددهم ١٤٠ ألفاً ، يعيشون فى رقعة ضيقة يبلغ ازدحامهم فيها خمسة أضعاف ازدحام السكان فى الأحياء الغاصة بالفقراء . وتسعون فى المئة من البيوت ليس فيها حمامات، وألفان منها لا يصل إليها الماء بالأنابيب . وفساد الهواء فيها أعظم من فساده فى الأحياء الوجيهة بخمسة أضعاف إلى تسعة أضعاف . وعلى أن ثلث سكان المدينة يقطنون هذا الحى ، فإنك لا تجد فيه إلا ٣ فى المئة من ملاعب المدينة . ثم إن مدارسها الأولية العشر ، بنيت جميعاً قبل سنة ١٨٨٠ ، وهى مظلمة الغرف سيئة التهوية وليس فيها ملاعب .

ففى هذا الحى الوبىء يبلغ معدل وفيات الأطفال ضعفى ما يبلغه فى سائر أحيائها ولا يدخل المدارس الثانوية غير طفل واحد من ٣٥١ طفلا من أطفال مدارسه الأولية . ومعدل حوادث المرور فيه أعلى معدل فى المدينة كلها . فرأى أهل مدلزبرة أنه ينبغى أن يقضى قضاء مبرماً على هذه المفاسد، حرصاً على مستقبل المدينة ومستقبل بريطانيا نفسها .

وعلى أساس هذا الفحص الدقيق وضع « مشروع مدلزبرة » وهو ينص على دك المدينة وبنائها بناء جديداً على ثلاث مراحل تستغرق ثلاثين سنة . وزمام تنفيذ المشروع فى أيدى أهل المدينة أنفسهم . ولكن أربعاً من الوزارات تعاون السكان ، هى وزارات المعارف والصحة والنقل وتخطيط المدائن والقرى، فقد آزرتهم بمواردها ، لأن الأمة البريطانية ترى شطراً من مصيرها مرتبطاً بمصيره .

ورجال هذه الوزارات سيعاونون أهل المدينة بتجربتهم وخبرتهم على إنجاز مهمتهم وفقاً للقواعد العامة التى وضعتها الحكومة ، وستعينهم الحكومة بقروض طويلة الأجل ، ولكن المجلس البلدى له حق إنفاق المال حسبما يرى . وإذن فسلطان الحكومة ومشورتها ومالها ، تؤازر ما يبديه أصحاب المصالح الخاصة من أهل المدينة ومجلسها البلدى، من همة إقدام ورغبة فى الإصلاح .

وقد بدأ هذا التضافر يؤتى ثماره .

وأكبر شركة صناعية فى مدلزبرة هى شركة دورمان لونج ، وهى من أكبر شركات العالم التى تصنع أصناف الصلب المبانى . ففى المعرض الذى نظم من أجل مدلزبرة ، قال لورد جرينوود ، رئيس مجلس إدارة هذه الشركة : «أما وقد ظفرنا بتأييد الحكومة، فإن شركتى مستعدة أن تنفق الملايين على هذا المشروع » . وقد بدأت الشركة تشيد فى مدلزبرة مصنعاً يكلف ثمانية ملايين جنيه، يخصص لصنع قضبان من الصلب تصلح للاستعمال فى جميع أرجاء العالم . وعلى أن مخترع هذه الطريقة كان إنجليزياً فلست تجد مصنعاً من هذا القبيل فى بريطانيا ، وليس فى العالم كله سوى سبعة مصانع على مثاله ، خمسة فى أمريكا واثنان فى أوربا . ومجمل القول أن جميع الشركات الصناعية الكبيرة ستنفق ٣١ مليون جنيه على توسيع نطاق الأعمال الصناعية الحرة فى منطقة مدلزبرة .

والذى يجرى فى مدينة مدلزبرة ، يجرى مثله فى جميع أرجاء بريطانيا تقريباً . ثمد أخذت ثقة القوم بمستقبلهم تتجلى فى أعظم برنامج للمشروعات تولى وضعه شعب حر الإرادة . فثمة مشروع لمدينة لندن الكبرى

يستغرق ٥٠ سنة . وقد نشر كتاب وصف فيه هذا المشروع وجعل ثمنه ريالين ونصف ريال، فكان أروج الكتب فى لندن . وثمة مشروعات لمدن كثيرة مثل مانشستر وكوفنترى وبليموث وهل وسوثمبتن وغيرها ، يستغرق تنفيذها من عشر سنوات إلى ستين سنة . وفى أسكتلندة مشروع غرضه أن تبنى المناطق المزدحمة بناء جديداً .

وللحكومة نصيب كبير فى جميع هذه المشروعات ، ولكن تنفيذها يكاد يكون فى أيدى رجال الصناعة والعمال والمجالس البلدية . وغرضها الأول شبيه بغرض المشروع الذى وضع لمدينة مانشستر . فقد جاء فيه . « أن نمكن جميع سكان المدينة من التمتع بصحة البدن والعقل . وأن نيسر لهم عملا دائماً يدرّ عليهم ربحاً » . ومهمّة الحكومة فيها جميعاً ، هى إسداء النصح وشحذ الهمم ، فضلا عن تمويل أعمال الإصلاح بالقروض .

وقد قال « جفرى كراوذر محرر مجلة الإيكونوميست » ذات المكانة : « نعم إن اقتصادنا اقتصاد موجّه ، ولكننا نعتقد أن نشاط الحكومة فى ميدان الاقتصاد ، ينبغى أن يكون حافزاً للهمم لا كابحاً لها ، وإن التوجيه الاقتصادى القومى يستطيع أن يوسّع نطاق الحرية بدلا من أن يحدّه » .

أما لتلتون النائب المحافظ ووزير الإنتاج فى وزارة الحرب فقد قال : « لو سئلت أيهما أجدى : زيادة توجيه الحكومة أم زيادة الأعمال الحرّة ؟ لقلت : إنه ينبغى أن يزيد كلٌّ منهما زيادة كبيرة . وجوهر الديمقراطية هو التوازن بين ما للحكومة من قوة منظمة ، وما للفرد الحرّ من همّة دافعة » .

وكذلك ترى وزارة المعارف تسنُّ سياسة التعليم العامة ، وتضع القواعد ، وتمنح الإعانات المالية لتشييد المدارس ، ولكنها لا تبنى دوراً للمدارس ، ولا تعين مدرسين ، ولا تقرّر مناهج للدراسة . وقانون التعليم الصادر سنة ١٩٤٥ ينصُّ على أن « كلّ مجلس بلدى مسئول عن إعداد عدة كاملة لجميع مراحل التعليم فى منطقته » .

ووزارة الصحة أيضاً تقرر القواعد العامّة لبناء المساكن ، فتهب للمناطق التى دمّرتها القنابل مالاً ، وتعقد لغيرها قروضاً طويلة الأجل لبناء المساكن الجديدة . ولكى تيسر الحكومة تشييد المنازل على وجه أسرع وأفضل ، ترى أن تمدّ القائمين على صناعة البناء بنتائج البحث العلمى ، وتشجع المصانع على توحيد منتجاتها . فمنذ عهد قريب أقنعت الحكومة أصحاب المصانع التى تصنع إطارات المعدن للنوافذ بأن يقللوا أصنافها من ٦٨٠ صنفاً شائعة فى السوق إلى ستين صنفاً . ووزارة الصحة لا تبنى بيوتا ، وكلُّ

جماعة تتولى بنفسها أعمال البناء فى منطقتها عن طريق الهيئة المشرفة على شئون البناء .

ثم إن وزارة تخطيط المدن والقرى ، وهى الوزارة الأولى من نوعها فى العالم ، تعقد القروض ، وتتولى الأبحاث ، وتعدّ المعارض، وتشارك المجالس البلدية فى المحافظة على المستوى الذى وضعته الوزارة لهذا الأمر، ولكنها لا تتولى وضع تخطيط لمدينة أو لقرية. وقانون تخطيط المدائن والقرى الذى سنّ سنة ١٩٤٤ كان غرضه « تخويل المجالس البلدية سلطة جديدة نافذة لتحسين المدن والقرى وتجديدها » . ومشروع لندن الكبرى ، يضمّ ٢٣ لجنسة مثلت فيها ١٤٣ وحدة من وحدات المجالس البلدية .

كانت بريطانيا تنتج يوم نشبت الحرب ثلثَ طعامها وحسب . أما اليوم فتراها تنتج ثلثيه . وفى سنة ١٩٣٩ كانت مساحة الأرض الزراعية أقل من مساحتها فى سنة ١٩٤٤ بنحو ثلاثة ملايين فدان . فلما جاءت الحرب ، انضمّ ألوف من عمال المزارع الحاذقين إلى القوات المسلحة ، ومع ذلك زاد ما تنتجه بريطانيا من الطعام ٧٠ فى المئة .

وقد خوّلت حكومة البلاد سلطاناً قاهراً حتى تيسر إنجاز هذه المهمة العظيمة، ولكنها نزلت عن هذا السلطان للمزارعين أنفسهم . والجماعات التى تولت إنفاذ مشروع زيادة الإنتاج الزراعى، وهى اللجان الزراعية التى أنشئت فى زمن الحرب فى المناطق المختلفة، وكان من أعضائها المزارعون الذين يباشرون أعمال الزراعة بأنفسهم ، وكانوا يختارون على أساس مالهم من تجربة ومكانة .

وقد كان جُلّ اعتمادهم على المشاورة كما يفعل الجيران من الزرّاع ، وعلى الاتفاق فيما بينهم بملء اختيارهم ، فحرثوا اثنى عشر مليون فدان من أرض المراعى وزرعوها ، ومضوا من مزرعة إلى مزرعة يحثون الناس على زيادة الإنتاج .

وقد صنفوا المزارع فى كل منطقة ثلاث درجات : أ ، ب ، ج . وكان رجال المزارع من درجة « ا » لا يحتاجون إلا إلى قليل من التعهد ، وأما رجال المزارع من درجة «ب» فكان جيرانهم من أعضاء اللجان وخبراء المنطقة يسدون إليهم المعونة، وأما رجال المزارع من درجة «حـ» فقد وُكلوا إلى زملائهم من الزراع ليشرفوا عليهم إشرافاً دقيقاً ، وكانوا ينالون عند الحاجة ما يريدون من المعدّات والأسمدة والتقاوى، أو العمال . وكانت مزارعهم تفتش مرة كل شهر على الأقلّ .

فإذا عجز أهل مزارعه «ب» فى آخر السنة عن أن يرقوا بمزارعهم إلى درجة

« ا » كانوا خليقين أن يردّوا إلى درجة « ب » فتوضع مزارعهم تحت الإشراف الدقيق . وإذا عجز أهل مزارع « حـ » عن أن يرقوا بمزارعهم إلى درجة « ب » ، حُقّ للجنة أن تكف يدهم عن توليها ، وتتولى هي إدارتها . ولكن قلما مست الحاجة إلى إجراء من هذا القبيل .

وقد قال لويس سلكين وزير تخطيط المدائن والقرى : « لن يبقى فى بلادنا بعد اليوم فدان واحد لا يشمله التنظيم والتوجيه » ، ولكن تنفيذ المشروع اليوم هو فى أيدى المزارعين أنفسهم ، كما كان الشأن فى زمن الحرب . وقد جعلت اللجان الزراعية لجاناً دائمة ، وعقد المزارعون وعمال المزارع عزمهم على المضى فى المشروع إلى نهايته . ثم إن الاتحاد القومى للمزارعين . وهو أقوى هيئة للمزارعين فى بريطانيا ، اشترك مع الاتحاد القومى لعمال الزراعة ، وهو أقوى هيئة لعمال الزراعة ، فألفا لجنة استشارية مشتركة لإنفاذ ما عقدوا عليه عزمهم من تحقيق أغراض المشروع .

والمركز الرئيسى العام لوضع المشروعات الصناعية فى بريطانيا ، هو حجرة المشروعات فى وزارة التجارة فى لندن ، ويتولى رئاسته السرفيليت وارتر ، وهو أحد الشباب من رجال الأعمال فى إنجلترا الذين بلغوا ذروة التوفيق . وقد وضع نصب عينيه أن يجعل ما عند الحكومة من معلومات ومعرفة فنية ميسراً لرجال الصناعة على أسرع وجه وأنفعه ، ولا سيما ما كان منها ذا صلة بمواقع الصناعات الجديدة أو بتغيير المواقع القديمة منها وتوسيع نطاقها . وله معاونون من الخبراء يجمعون كل حقيقة ذات شأن عن الصناعة من كل منطقة فى إنجلترا وويلز ، ومن كل مصلحة فى الوزارات المختلفة . وتضع خرائط ورسوماً بيانية تبين حالة العوامل الاقتصادية ، مثل اليد العاملة ، والنقل ، والكهرباء ، والغاز ، والماء ، ومساحة المصانع .

والقانون لا يخوّل وارتر ومعاونيه أن يفرضوا رأيهم فرضاً على رجال الصناعة الذين يلجأون إليهم لطلب المشورة ، ولكنك ترى أربعمئة شركة قد لجأت إلى مكتب وارتر فى الستة الأشهر الأولى بعد إنشائه ، فأخذت جميعها برأيه . وقد أسدى هذا المكتب معونته أيضاً إلى مئات من الصناعات البريطانية الصغيرة والمتوسطة ، فشغلت نحو مئتى مصنع من مصانع الحرب التى بنتها الحكومة ، وسيبلغ عدد عمالها ما بين ٣٠٠ ألف إلى ٤٠٠ ألف عامل .

وفى بريطانيا أربع مناطق كانت تعدّ إلى عهد قريب مناطق « هامدة » ، لأنها

تعتمد أكثر ما تعتمد على تعدين الفحم وبعض الصناعات الكبيرة ، وقلما أصابت شيئاً من الرخاء ، وصارت البطالة فيها مزمنة — تبلغ أحياناً ٦٠ فى المئة ، فكانت مشكلتها مشكلة قومية . وقد حلت المشكلة بتنويع الصناعات فيها . وتكثير الصناعات الصغيرة ، بدلا من الاعتماد على بضع صناعات كبيرة وحسب . ثم إن الحكومة سنت فى عهد المحافظين قانون توزيع الصناعات ، وهو ينص على أن كل من أراد أن ينشىء مصنعاً جديداً أو يوسع مصنعاً قديماً ، فينبغى أن يستأذن وزارة التجارة . ووزارة التجارة عندها ما يمكنها من أن تغرى صاحب الطلب بإنشاء مصنعه الجديد أو نقل مصنعه القديم إلى إحدى المناطق « الهامدة » ، ويسعها أن تعرض عليه بواسطة « الهيئة التجارية » المحلية مصنعاً مبنياً ، وتساعده على أن يظفر بما يحتاج إليه من القوة المحركة والعمال .

و « الهيئات التجارية » جماعات أنشئت برأس مال أخذ من الحكومة ، ويديرها تجار على أساس الربح والخسارة كأية تجارة . وقد قال مدير إحدى هذه الهيئات : « ينبغى لكل منها أن تسد نفقاتها » . والهيئة تبنى مصانع ، وتمد إليها المياه والكهرباء ، وتؤجر المصانع لرجال الصناعة ، وتدير أمر الجماعة التى تتكون فى المنطقة الصناعية الجديدة .

وقد زرت إحدى هذه الهيئات فى جنوب ويلز ، فوجدت سبعين من صغار رجال الصناعة ، يستخدمون ٣٠٠٠٠ من العمال ، وجميعهم يعملون فى مصانع على أحدث طراز . والرجاء معقود على زيادتهم إلى ١٢ ألفاً أو ١٤ ألفاً ، وأن يصير عدد العمال فى جنوب ويلز ١٣٠ ألفاً . وقد كانت هذه المنطقة من قبل « منطقة هامدة » ، فصارت بفضل هذا الجهد المشترك منطقة آخذة بأسباب التقدم والرخاء .

ويقول السر كلايف بيليو رئيس اتحاد الصناعات البريطانية : « إن ما تواجهه الصناعة يتطلب منها تعاوناً دائماً . والحقيقة الخالصة التى لا مفر من معرفتها : هى أن للحكومة مهمتها ، ولأصحاب العمل الاقتصادى الحر مهمتهم أيضاً ، وكل مهمة منهما تتمم الأخرى ، ولن نتمكن من الظفر بتعمير بلادنا إلا إذا تحالف الفريقان تحالفاً صادقاً » .

وكذلك نرى أن الانتفاع بموارد الحكومة لحفز همم الأفراد ، هو وسيلة البريطانيين إلى جعل برنامجهم الإنشائى العظيم ، أداة رخاء وحرية . ولسنا نعلم هل يصيبون النجاح أو لا ، ولكن تجربتهم حرية بأن نهتم بها ونراقبها عن كثب .

•○○○•○○○•

فِيمَ العجلة؟

كونستانس فوستر

مختصرة من
"ريدرز دايجست"

اشترينا ستمئة فدان وكان ذلك أول عهدنا باقتناء المزارع ، فأردنا في بادئ الأمر أن نحمل معنا إليها ما في حياة المدينة من عجلة وسرعة واندفاع ، ولكن المستأجر « بن » كفكف من غلوائنا يوم سألناه : « هل فرغت من حرث حقل الذرة ؟ » فمال ببصره إلى الشمس الغاربة وقال بهدوء : « لا، فالأرض ستظل باقية في مكانها غداً » .

جعلتني هذه اللمحة من حكمته الساذجة أفكر في قيم الحياة الباقية — تلك الأشياء التي ستظل باقية في مكانها غداً . إن أكثرنا يغلو في طلب لذائذ الحياة الفانية غلواً شديداً حتى ما يكاد وقته يتسع للاستمتاع بلذائذها الخالدة . فإن أحدنا يدخل مخزن التجارة عجلان ليُقضى له حاجته ، أو نتزاحم بالمناكب على المقاعد في السيارات، أو نتنافس على التشبه بجيراننا في حياتهم . ونعيش العمر كله وحقائق الحياة الخالدة ملقاة تحت أقدامنا فنمر بها غافلين لا نلتفت إليها ولا نعرف لها قدراً .

إن هدأة الليل ، وتوقد النجوم وتضاحك الأطفال ، وابتسامة الصديق — هذه كلها أشياء سرمدية خالدة. وكذلك يكون حب الرجل امرأته، وحب الأب ولده، وحب الأخ أخته . وقد يشتعل الرأس شيباً ، ولكن آصرة الرحم وعاطفة القربى تجعلنا نرى من نحب جميلا لا يبلى جماله . وهذا هو الحصن المنيع الذي يرد عنا سهام الزمن الفاتكة .

وأكثر ما نحن فيه من العجلة مردود إلى رأي فاسد شاع بيننا في معنى الزمن . وقد ألفنا منذ نشأتنا أن نسمع هذه الكلمة: « الزمن يمضي » ، والحق أنه لا يمضي ، بل الزمن باق ونحن الذين نمضي فيه ونعبره، وما هذه الساعات إلا مخترعات ابتكرها الإنسان بحمقه ليقسم الزمن أقساماً صغيرة ، والزمن بدونها باق في مكانه ، وسيظل كما كان هو الأمس ، واليوم ، والغد .

وإذا عشنا في القرية كنا أقرب إلى بيئة الفطرة الأولى ، ولا نلبث إلا قليلا حتى ندرك أن وقتنا لا يتسع للعجلة . فإذا ولجنا مسلكا من مسالك الغاب مسرعين فلعلنا نتخطى أكمام ذلك الزهر الأبيض الباقي على الزمن والذي إذا وضع بين الملابس ظل شذاه العطر يفوح منه . وإذا أبينا إلا العجلة ، كان من السهل أن نغفل عن تلك الشجرة الطويلة الجرداء الميتة في قلب الغابة ،

والتي صارت للطيور سكناً اتخذت فيه أوكارها.

وفي المخزن العام حيث تشترى حاجاتك كلها ، من الجبن إلى الأحذية ، ترى الناس قد وقفوا يتجاذبون أطراف الحديث تزجية للوقت حتى ينقضى النهار ، فيسأل بعضهم بعضاً عن سعاله كيف أصبح ؟ وعن دجاجه هل باض ؟ فلديك دائماً فسحة من وقت للتودد والمجاملة .

وهذه هي القيم الخالدة السرمدية .

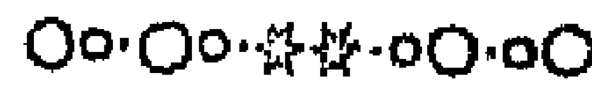
وعسى أن تكون هذه كلها تجربة لحياة الخلود في الآخرة ، ولا بقاء في الحياة الدنيا لسوى ثلاثة : الإيمان والأمل والحب ، وأعظمها الحب . البقاء ! يالها من كلمة محببة في عالم الأحداث المتقلبة والوجوه المتغيرة .

أجل يا « بن » ، ففي وسعك الآن أن تنام هادئاً ، فإذا أصبح الصباح فالأرض باقية في مكانها ، ساكنة كما كانت ، تنتظرك حتى تأتي فتتم ما بدأت من حرثها .



ثلاثة أيام هي الدهر كله   وما هُنَّ غير الأمس واليوم والغد

[المعري]



الحقيقة المؤلمة

● وقف لويد جورج ذات مساء يخطب في جمع حاشد حانق عليه من المطالبات بحق الانتخاب ، وإذا سيدة متجهمة الوجه قد وقفت وقاطعته قائلة : « لو كنت زوجي لدسست لك السمّ » فردّ عليها لويد جورج الشهير بحضور البديهة وقوّة العارضة فقال : « سيدتي ، لو كنت أنا زوجك لشربت ذلك السمّ » .

● وجّهت ليدى راندلف دعوة لبرنارد شو ليحضر مأدبة غداء في دارها فردّ عليها ببرقية : « طبعاً أرفض ، وماذا جنت يداى حتى أستحق مثل هذا الهجوم على عادتي التي ألفتها ؟ » فأرسلت إليه ليدى راندلف برقية جاء فيها : « لست أعلم شيئاً عن عاداتك ، وعساها تكون أقلّ قبحاً من سلوكك » .

● أخذ الشاعر السير لويس موريس يشكو مرة إلى أوسكار وايلد ، ما يلقاه من قلة مبالاة النقّاد بقصائده ، فقال : « إنها لدسيسة مدبرة لإهمالها . فيم تشير عليّ أن أفعل يا أوسكار ؟ » فقال وايلد من فوره : « اشترك فيها » .

من صميم الحياة

وفاء كامل

فردريك لوميس

دوى التلفون بعد منتصف الليل بساعتين دقاً مزعجاً وقالت الممرضة : « إن مسز أوبرى ميليكين التى تتولى علاجها فى غرفة الولادة ، وهى موشكة أن تضع » .

فأجبتها : « مهلا ! لا أعرف هذا الاسم ، ولعلها فى رعاية طبيب آخر » ووضعت السماعة . ولكن ما هو إلا دقيقتان حتى دق التلفون ووجدت الممرضة تقول لى : « لقد حضرت الساعة وهى فى المخاض ، وقد أرسلها إليك طبيب من لوس أنجيليس ولذلك قبلناها دون تردد . إنها تطلبك وهى فى حاجة إليك الساعة . تعال ، أرجوك » .

أسرعت إليها ، فألفيت على مائدة الولادة امرأة من أجمل من رأت عيناى . كان شعرها الأصهب القانىء على الوسادة ، كأنه أشعة شمس غاربة .

احترف فردريك لوميس التوليد والطب لأمراض النساء فى كاليفورنيا منذ سنين . وقد تقاعد الآن وألف كتاب « عيادة الطبيب » ، اقرأ « لمن الحكم » مختار أكتوبر ١٩٤٤ص٦٤، وكتاب « الأصرة التى تجمعنا » اقرأ « عملية على غير استعداد » مختار فبراير ١٩٤٤ ص ٢٩

بادرت فغيرت ملابسى وغسلت يدى ، فقد كان من الجلى أن الوضع قد دنا . وفى أقل من ساعة تقبلت بيدى مولودة جميلة رغم ندرة الجمال فى المواليد ، شعرها كشعر أمها أصهب قانىء .

وسألت مسز ميليكين فى الصباح عن التفاصيل التى تسجل فى شهادة الميلاد ، فذكرتها دون تردد وقالت : « لقد ساءنى أن لم يكن بد من دعوتك فى منتصف الليل . لقد أرسلنى إليك الدكتور وينستون من لوس أنجيليس ، فقدمت إليك فى سيارتى أقودها ، ولعل ذلك هو الذى عجل بالمخاض . أهى بخير ؟ وما لون شعرها ؟ »

فطمأنتها . وبعد يوم أو يومين أرسلت كالعادة تقريراً عن الحالة للدكتور وينستون ذكرت فيه اسم الوالدة وعنوانها فى لوس أنجيليس ، كما ذكرته لى ، وأضفت إلى التقرير كلمة شكر على أن آثرنى بمثل هذه الوالدة الفاتنة .

وقد أذن لها أن تبقى فى المستشفى أسبوعاً واحداً وحسب ، لازدحام المستشفيات فى زمن الحرب ، فلم أكد أعرف من خبرها شيئاً ، على أنها كانت بشوشة الوجه على الدوام ، وكان يشع من عينيها وهى تنظر إلى ابنتها غبطة تفوق ما ألف الطبيب أن يراه ، وما يجب أن يراه من غبطة الأمهات وهن ينظرن إلى أولادهن . لم يكن يزورها أحد ،

وكان حديثها يكشف عن ذكاء ، وكان على منضدتها بضعة كتب نفيسة ، وكانت تسليتها المحببة أن ترسم خطوطاً تمثل الممرضات وابنتها المولودة ، وكانت هذه الرسوم تدل على قدر غير قليل من موهبة الرسم .

ولاحظت أنها كانت تتحاشى بمهارة أية إشارة إلى نفسها ، واستنتجت أنها قد تكون إحدى ممثلات هوليوود اللائى يتولى الدكتور وينستون رعاية كثير منهن ، وأن مجيئها إلىّ إنما هو فرار من العلانية . وقد وقع لى شيء من هذا فى الماضى ، فاحترمت رغبتها الواضحة فى كتمان أمرها .

وسألتنى عن أجرى ودفعته نقداً ، ودفعت أجر المستشفى ، وتركت مبلغاً من المال لكفالة ابنتها ريثما ترسل فى طلبها بعد « ثلاثة أسابيع أو أربعة » ، تكون — كما قالت — « قد هيأت لها مكاناً صالحاً » .

وبعد رحيلها بيومين تلقيت كتاباً من الدكتور وينستون جاء فيه : « إننى لا أستحق منك شكراً ، لأننى لا أعرف صاحبة هذا الاسم البتة هذا وليس فى لوس أنجيليس شارع بالاسم الذى ذكرته فى عنوانها ، وليس لها اسم فى دليل التليفون » . وعندئذ بدأت الحيرة تأخذنى .

كنت أرى الطفلة كل يوم ، وبعد ثلاثة أسابيع ، وفى ساعة لم أكن فيها فى المستشفى جاءت ممرضة تطلبها ومعها تفويض مكتوب من الأم بأخذها . وعندئذ انتهت التبعة التى كنت أحملها ، وتوقعت أن أنسى القصة بحذافيرها ، ولكن الألغاز تستهوى كل إنسان حتى الطبيب المشغول ، وكثيراً ما وجدت نفسى تحوّم حائرة حول هذا الموضوع .

وبعد ستة أشهر كنت أقضى عملا فى إحدى مدن التعدين الصغيرة ، وانتهى عملى ، وجلست فى شرفة الفندق أصغى لثرثرة صاحبه عن المارة انتظاراً لموعد القطار . وكنا نستقبل الطريق بوجوهنا ونرسل البصر إلى شمس الأصيل الغاربة .

ورأيت سيارة فخمة تقف بالباب بغتة ، فأخذتنى الدهشة واستويت جالساً حين خرجت منها تلك السيدة الغامضة التى استقبلت مولودها منذ بضعة أشهر ، وكان جمالها لا يزال فاتناً كأول عهدى بها حين رأيتها فى المستشفى . فلما بلغت الرصيف وقع بصرها علىّ ، فترددت أتمضى قدماً أم تعود ، وارتفعت يدها إلى حلقها كأنما تحاول أن تكتم صيحة فزع ، ثم أشاحت بوجهها على عجل وسارت فى طريقها قدماً .

قال صاحب الفندق : « جميلة . أليس كذلك ؟ إنها إحدى توأمين من أسرة بردجر ، تقيمان فى هذا البلد منذ ولدتا .

لا بد أنها ظنت نفسها تعرفك كما بدا من نظرتها إليك . ويبدو أنها أحست بشيء من الضيق حين خاب ظنها . إن أختها تشبهها شبهاً تامًّا، وهي جميلة مثلها لولا ندبة جرح على خدّها ، هي الوسيلة الوحيدة للتمييز بين الأختين . وهذه التي رأيتها اسمها نانسي ، وأما الأخرى فاسمها لويلا ، وهي متزوجة ، ولكن نانسي لم تتزوج ولا أدري لماذا ، فثروتها وجمالها خليقان أن يتيحا لها كثيراً من فرص الزواج » .

قلت: « نعم . إنها رائعة ، فحدثني عنها» .

قال : « إنه لغز . لقد كان لأختها ابنة تبلغ من العمر سنتين ، وكانت حسناء كأمها ذات شعر أصهب قانىء يحيط وجهها بهالة كأشعة شمس الأصيل ، وكانت نانسي تعيش مع أختها ، وتشارك في أعمال البر . وذات يوم كانت نانسي تخرج سيارتها من حظيرتها راجعة بها القهقرى ، وجاءت الطفلة تدرج في طريق السيارة . ولم يكن الخطأ خطأ نانسي ، فما كان أحد يستطيع أن يرى هذه الطفلة اللاهية خلف السيارة . ولكن نانسي استبدّ بها الحزن ، واستسلمت للبكاء حتى انهدّت قواها . وزاد الطين بلة أنها كانت تعلم أن أختها قد صارت عاقراً لا تلد .

« وفي النهاية ، وبعد نحو أربعة أشهر ، سافرت نانسي إلى نيويورك لتدرس الفنون أو هكذا قيل ، بيد أن الناس جميعاً ظنوا أنها تريد أن تنسى . وغابت نحو سنة ثم عادت منذ أشهر ، بعد عودة لويلا وزوجها من رحلة ومعهما طفلة صهباء الشعر من أجمل ما تقع عليه عين . كانا قد تبنّياها ، وكانت صورة ناطقة من الطفلة الفقيدة حتى لكأنها هي . وما سمعت أغرب من هذا قط » .

قلت : « يكاد هذا يكون معجزة ، ولا بد أنها أعانتهم على النسيان » .

قال : « نعم . لقد عادت لويلا كأحسن ما كانت ، وبرأت نانسي مما ألم بها . لقد كانت يوم عادت نحيفة نحيلة . وها أنت قد رأيتها . وما أظنني رأيت أجمل منها . إنها لا تكاد تفارق الطفلة حتى ليظن المرء أنها من لحمها ودمها » .

وانبهرت أنفاسي لحظة وأنا أتخيل فتاة جميلة صهباء الشعر في المستشفى حانية على طفلة صهباء الشعر .

وسألني صاحبي : « أتريد أن ترى نانسي وهي عائدة . أكبر الظن أنها سترحب بلقاء ضيف غريب ، فأنت تعلم أن مثل هذه البلدة قلما يحدث فيها ما يحرك النفوس » .

قلت : « كلا وشكراً . لقد كانت رحلتي متعبة وأحسب أنه خير لي أن أعود إلى غرفتي فأستريح قليلا قبل أن أركب القطار . إنني في أمس الحاجة إلى الراحة الآن ! »

الراكبون — حيوان هادىء الطبع ورود لطيف المعشر ، ولكن الكلاب تخشى بأسه .

فيلسوف الغاب



أرشيبولد رتلدج

مختصرة من صحيفة "بلتيمور صنداى صن"

لقد درست طبائع كل ما أعرف من حيوان البرّ والغاب ، فإذا الراكون أقربها نسباً إلى طبائع الفلاسفة . فهو شديد الأناة نافذ الذكاء ثاقب الرأى ، يتقبل ما ينزل به من صروف الحياة بهدوء ورصانة تذكرنا بسكينة قدماء الفلاسفة .

خرجت فى يوم شامس فعثرت على راكون يغط فى نومه على غصن دان من شجرة "سرو" ، فلما رفعته من مضجعه لم يتمرد علىّ أيسرّ التمرد ، بل لعله لم يعبأ بما فعلت مادام يستطيع أن يقضى حاجته من النوم ، إذ رأيته قد تجمّع للنوم على ذراعى كأنه طفل غلبه النعاس .

والراكون يتقبل صروف الحياة وحظوظها بقبول حسن ، ومن أجل ذلك كان من السهل أن يروّض ويستأنس ويصير أليفاً محبباً . وقد ربيت كثيراً من صغاره منذ نشأتها الأولى ، فكانت تنام فى حجرى أو تدخل أيديها السود الصغيرة فى جيوبى بحثاً عن الفول السودانى .

وبينا تجد أكثر الحيوان فى حالته الطبيعية يتأنق فى طعامه ، ترى الراكون يغالى فى الحرص على أن يكون نظيفاً كل النظافة ، ويلجّ فى غسل طعامه كالحاجة الموسوس . وقد عثرت مرة على خمسة من صغار الراكون فى فرع شجرة أجوف ألقته الرياح على الأرض ، فاتخذت لها بيتاً وحظيرة . ومرّ اليوم بعد اليوم وهى تأبى أن تمس أى طعام آتيها به ، وما هو إلا أن ترمقنى بنظرة هادئة ، وعلى محياها الرقيق لمحة من عتاب وشكوى . وكنت على وشك أن أردها إلى وطنها الذى ألفته فى الغاب حين خطر ببالى أنى لم أقدم لها شيئاً من الماء ، فما كدت أفعل حتى رأيت كل واحد منها يصطفى لنفسه قطعة من الطعام ، ثم دلف إلى وعاء الماء ، ثم غسل الطعام وأكله . ومن البين أنها آثرت الموت جوعاً على أن تعصى ما تأمرها بها طبيعتها .

وأتيتها يوماً ببعض الرقائق (البسكويت) فلما غمستها فى الماء ذابت وهى تراها بأعينها

ولا تدرى كيف كان ذلك . فاجتمعوا حول الوعاء وأخذوا يتداولون الرأى ، فانتهوا فيما يظهر إلى أن الرقائق ينبغى أن لا تغسل .

والراكون كثير فى نواح متعددة من أمريكا الشمالية ، ولكنه أكثر فى الجنوب ، ويوجد عادة حيث تكثر الجداول والبحيرات والمستنقعات . وهو قريب النسب من فصيلة الدب ، وشكله كشكل دب صغير . وهذه القرابة بينة الوشائج أيضاً فى عاداتهما فى الطعام ، فكلاهما حيوان لمّام (يأكل كل طعام) ، والدببة مولعة بالسكر والعسل خاصة ، وكذلك الراكون . وقد كان عندى راكون وضعت فى عنقه طوقاً وسلسلة ، فإذا وضعت أمامه قطعة من السكر لا تنالها يده ، دار دورة ومدّ إحدى قوائمه الخلفية وجر قطعة السكر إليه .

والراكون البرى يأكل كل أنواع السمك والدجاج ، وكل ما يظفر من صغار الحيوان ، ويأكل جوز البلوط وسائر أنواع الجوز . وحين تكون الذرة غضة « بلبنها » ترى طوائف من الراكون تغزو حقل الذرة وتنزل به خسارة فادحة . فهو يجذب سوق الذرة حتى تميل ، ويقطع منها أكوازها بمهارة تضارع مهارة القرد ، مستعيناً فى ذلك بيدين دقيقتين مفرطحتين فى كل منهما خمسة مخالب حادة . وهو شديد الولع بسرطان البحر وبيلح البحر وبالمحار ، وله أحياناً حذق بفتح صدف المحار ، ويغطس أحياناً فى الماء يرجو أن يجد هناك صَدَفة مفتوحة ، فربما أفضت به هذه الشهوة إلى نكبة تحيق به .

فقد رأيت ذات صباح فى ساعة الجزر شبحاً أسود على الشاطىء الذى انحسر عنه الماء حيث يكثر المحار ، فتبينته فإذا هو راكون كبير قد انطبقت على يده اليمنى صدفتا محارة ضخمة ، ومن البين أنه بقى حيث هو حتى جاء المد فغرق فى الماء . وربما عمد الراكون إلى يده المغلولة فقرضها ، وبخاصة إذا كان ما انطبق عليها فخاً من حديد . وقد رأيت فى الغاب كثيراً من بنات الراكون ليس لها سوى ثلاث قوائم ، وهى تنتفع بها خير انتفاع حتى فى تسلق الأشجار .

وطول الراكون فى الغاب ١٦ بوصة ، وزنته من ١٢ رطلا إلى ١٥ رطلا ، وإن كان بعضها أكبر من ذلك . وفروه عادة كثيف ناعم أدكن اللون ، وذيله مخطط بدوائر فيها البيضاء والشهباء . وقليل من بنات الراكون أبيض ناصع ، وبعضها أسود فاحم ، وأندر ألوانه ما كان ذهبياً خالصاً .

ولما كان الراكون متراكم اللحم مُدْمَج الخلق ، فهو فى طلب ما يبتغى أشد اعتماداً

على سعة حيلته منه على السرعة ورشاقة الحركة.

إن في وسعه أن يتسلق شجرة البلوط ابتغاء جوزها ، وكثيراً ما يفعل ، ولكنه يكفي نفسه مؤونة التعب إذا وجد السناجيب (جمع سنجاب) قد أخذت تهز له الأغصان وتساقط عليه ثمرها .

وهو في القتال رابط الجأش مرهوب اللقاء ، فإذا جاءت ساعة عسرة بين الموت والحياة ، اختار لنفسه ميدان النزال بحكمة وحزم وأناة . والكلب والراكون عدوان لدودان ، فإذا لم يعرف الكلب ما فطر عليه قرنه من دهاء وبأس شديد ، فهو حري بأن يلقى من بأسه عنتاً شديداً ، وإن كان أعظم من الراكون جثة وأكبر وزناً .

والراكون إذا دنا منه كلب احتال حتى يتقهقر إلى أن يجتاز ضحضاح الماء القريب الغور ، فإذا وجد جذعاً غمره الماء أو خشبة طافية يستطيع أن يستوى عليها فعل ، حتى لا يجد الكلب المهاجم مندوحة من أن يخوض إليه ماء بعيد الغور شيئاً ما . وقد رأيت أنا راكوناً لاقاه كلب أضخم منه ثلاثة أضعاف ، فأنزل به نكالا غليظاً ، وذلك بأن أغرق رأسه تحت الماء، ولم يزل به على ذلك حتى أوشك الكلب أن يموت غرقاً .

وإذا لم يجد الراكون ماء يعتصم به ، عمد إلى قطعة من الخشب ضخمة مرتفعة ، وذلك لكي لا يجد الكلب بدًّا من أن يمشي عليها إليه إذا أراد أن ينازله ، وذلك شيء يكلف المهاجم شططا . فالكلب ولا ريب سيجعل همه أن يسير عليها ثابت الخطى لا يميل يمنة أو يسرة ، فما هو إلا أن يبلغ الكلب مكاناً بعينه وهو يترجح هكذا ويتمايل ، حتى يهب الراكون الرابض بالمرصاد هبة واحدة وهو يزمجر في وجهه ويعضه ويخمشه بأظفاره ، وقلما يكون من شأن الكلب إلا أن يهوى إلى الأرض أو يقفز تاركاً له الخشبة .

ومن دأب الراكون في قتاله أن يشب على قوائمه حتى يرتفع ارتفاعاً غير مألوف ، ويقوس ظهره ، وينفش شعره حتى يصير كالأشواك النابتة ، ويهر هريراً كريهاً ، فإذا هاجم انقض انقضاضاً سريعاً محكما يذهب بصواب عدوه . ويستطيع راكون ثقيل الجثة أن يقتل الكلب في الصراع المتكافىء . ولما كان الراكون مخلوقاً وديعاً يؤثر السلامة ، فهو لا يقاتل إلا مكرهاً على القتال ، فإذا أتيحت له فرصة كافية تقهقر واجتنب القتال اجتنابا كريما ، حتى لو رآه متطفل من بني البشر لحسبه ضرباً من الاعتذار .

والناس لا يصطادون الراكون إلا للرياضة ، وقلما يصطادونه من أجل لحمه . ومع ذلك

فهو طعام طيب اللحم ، وقد كان زنوج أمريكا الذين يسكنون الغابات يعتمدون على لحم الراكون فى زمن الشتاء ، قبل أن يسن قانون تحريم الصيد بفخاخ الحديد .

ولا أظن أن فى الحيوان اللبون (ذوات الثدى) ما يشبه الراكون فى إلفه للحياة على الأرض ، وفى الماء ، وعلى الأشجار ، ويجدها كلها سواءً عنده . وهو يتخذ جُحْره فى شجرة جوفاء ، وربما ارتفع به عن الأرض ٥٠ قدماً . وهو ينام النهار كله ، وإذا جاء الشتاء استكنّ فى جحره لا يغادره ، ولكن إذا وجد الشمس مشرقة صافية فربما خرج ونام بين أفنان شجرة ليتشمّس بضع ساعات.

إن خير مقياس لذكاء حيوان البر هو قدرته على النجاة من الخطوب والأخطار التى تحيط به وهو فى الغاب ، فإذا اعتبرنا الراكون بذلك المقياس فهو من أعظمها ذكاء. ومع أنه يأنف حياته فى الأسر حين يؤسر ، إلا أن ذكريات أيام حرّيته الأولى لا تزال تخامر قلبه . وقد وجدت أن جماعة الراكون التى ألّفتها وروّضتها ، لا تكاد تلقى بالاً إلى الضجيج المألوف الذى يأتيها من الفناء الذى يحيط ببيوتها ، وإن كان ضجيجاً صاخباً ، ولكنها لا تكاد تسمع نبأة خفية آتية من الغابات أو المستنقعات النائية ، حتى تسكن أوصالها، وتشرئبّ أعناقها ، وتصغى بقلوب نفذت فيها تلك النغمات العتيقة المحببة، التى ردّتها بالحنين إلى أوطانها الأولى .



أوصى فلاله بـ . . .

أوصى أحد العزاب فى بوسطن ، بكلّ ثروته للفتيات الثلاث اللواتى رفضن أن يتزوّجنه وقال : « لأنى مدين لهنّ بما متّعت به من الطمأنينة والسعادة » .
[تشارلز برجس]

أوصى الشاعر هاينريخ هاينى بكل ما يملك لزوجته على أن تبادر إلى الزواج بعد وفاته : « لأن ذلك يحمل رجلا واحداً على الأقل على أن يأسف لوفاتى »
[مجلة « كوزموبوليتان »]

أوصى فرنسىّ بجانب كبير من ماله لجماعة من أخوانه ، ولم يشترط سوى شرط واحد : « أن يحملوا جثمانه إلى القبر ، وأن يقفوا فى طريقهم لشرب كأس من النبيذ فى الحانة الصغيرة التى طالما اجتمعوا فيها فى المساء للعب الورق » .

لوائح هوليـــوود

أقيمت فى هوليود سهرة حافلة احتفاء بعيد ميلاد شارلى شابلين . فسلّى شارلى المدعوين بما أثر عنه من براعة فى تقليد حركات المشهورين من رجال ونساء وصغار ، وقلد أيضاً سواق سيارته وخادمه ، وأخيراً انطلق يغنى قطعة من أوبرا إيطالية ـ فأجاد .

فصاحت به ابنتى : « ولكننى لم أكن أدرى أنك تجيد الغناء هذه الإجادة ! »

فقال : « إننى لا أحسن الغناء البتة ، وإنما كنت أقلد كاروزو ! »

[كونراد بركوفيتشى]

ذهب جاك هالى إلى القرية التى ولد فيها أحد كبار الممثلين فى هوليود . فسأل : « أيعود صاحبنا إلى زيارة مسقط رأسه ؟ » فردّ عليه أحد السكان : لقد عاد خمس مرات منذ ظفر بالشهرة .

فسأل هالى : « أجاءت زوجته معه ؟ »

فقال القروى : « نعم ، ووالله لن أرى فى حياتى خمس نساء أجمل منهن » .

[إرسكين جونسون]

يروى هارولد أدمسن أن طبيباً فى هوليود تلقى يوماً طلباً مستعجلا من أحد منتجى الأفلام لأن ابنه بلع قلم الحبر . فقال الطبيب : « سأحضر فوراً ، ولكن ماذا أنت صانع حتى أحضر ؟ » فقال المخرج : « استعمل القلم الرصاص ! »

وصف الممثل الهزلى فل سيلفرز مدينة هوليود بقوله : « هى المكان الذى ينفق فيه الناس أكثر مما يطيقون ، ليحتفوا بقوم لا يضمرون لهم أيسر حب » .

دعيت الكاتبة إدنا فربر لمشاهدة فلم صنع من أحد كتبها فقالت : « إنه لفلم جيد . ولكن القصة ليست قصتى . ترى أتقبلون أن تردّوا إلىّ قصتى ؟ »

فوافق مدير الشركة على طلبها ولكنهم اشترطوا عليها أن تقدمهم على غيرهم إذا أرادت أن تبيعها من أجل فلم يصنع منها .

[ولتر ونشل]

كان جاك فلبين من أشد المعجبين بالممثل إدموند لو ولكنه لم يتعرف به ، ورآه ذات يوم فى مطعم فجعل يحدق فيه ويطيل التحديق ، فحيّاه الممثل بإحناء رأسه ، وقال : « مرحباً » . فقال فلبين : « أليس هذا عجيباً ؟ إنه يظن أنه يعرف من أنا لكثرة ما شاهدت من أفلامه ! »

أيدل تشدد السوفيت على الضعف الاقتصادى لا على القوة ؟

وروسيا أيضاً تعانى الشدائد

بيتر ف. دراكر*

مختصرة من مجلة "هاربرز"

ساعة ألقى اليابانيون سلاحهم، أذاعت حكومة السوفيت أنها توشك أن تبدأ تنفيذ مشروعها الرابع من مشروعات السنوات الخمس. ولا يزال الغرض من هذا المشروع أن تحول روسيا دولة صناعية تحويلا أسرع من ذى قبل، وجعلت رأس عنايتها إنشاء المصانع التى تصنع معدات الصناعة. أما المستهلك الروسى فينبغى له أن ينتظر حتى يظفر بما يحتاج إليه من بضائع الاستهلاك على قلة ما بين يديه منها، وعلى انخفاض مستوى معيشته.

وهمّ الحكومة الأول منصرف، على ما يلوح، إلى زيادة ما يصنع من الصلب حتى يصير ٣٥ مليون طن أو ٤٠ مليوناً (١) سنة ١٩٥٠ — أى مضاعفة معدّل الزيادة الذى كان قبل الحرب. ويلى ذلك إنشاء أسطول قوى وبناء قواعد بحرية قوية، ولا سيما فى الشرق الأقصى. وتجد بين الأغراض الكبيرة الأخرى إعداد أسطول تجارى كبير، ومدّ شبكة واسعة من خطوط السكة الحديدية، وشقّ طرق وترع، وزيادة ما يصنع من سيارات النقل والجرّارات زيادة عظيمة — أى أن روسيا لن تكتفى فى السنوات الخمس المقبلة بإصلاح ما أفسدته الحرب، بل ستضاعف جهدها حتى تبلغ القدرةَ الصناعية التى كانت خليقة أن تظفر بها، لو لم تنشب الحرب وتعترض توسعها الاقتصادى.

ثم إن الآراء الرسمية التى نشرت تقضى بأنه لا بد لروسيا من أن تصير قادرة على صنع معدات الصناعة وتوريدها إلى البلاد الداخلة فى منطقة نفوذ الروس فى أوربة وآسية. ولا يزال كل بحث سياسى روسى

* باحث اقتصادى، ومؤلف كتاب «نهاية الإنسان الاقتصادى» و«مستقبل الإنسان الصناعى»

(١) فى خطبة انتخابية ألقاها ستالين يوم ٩ فبراير زاد المقدار إلى ٦٠ مليون طن وقال: «إن الدولة ربما احتاجت إلى ثلاثة مشروعات جديدة من مشروعات السنوات الخمس».

يدور على أن الخطر يحيق بروسيا السوفيتية إذا كانت الدول التى تجاورها — وإن كانت حكومات بعضها صديقة لروسيا — تعتمد على غير روسيا للظفر بمعداتها الصناعية. وأصحاب هذا الرأى يقولون إن استئثار ألمانيا بتصدير المعدات الصناعية الثقيلة ، أفضى إلى قبضها على زمام السيطرة على شرق أوربة . وإذا أريد للتعاون السياسى بين روسيا وجاراتها أن يقوم على أساس سليم ، فينبغى أن يؤازره تعاون اقتصادى تنزل فيه روسيا منزلة ألمانيا فيما مضى ، وأن تصير روسيا فى سنة ١٩٥٠ مصدراً لمعدات الصناعة تزود بها جميع البلاد القائمة على حدودها من بحر البلطيق إلى مضيق كوريا .

وكيفما نظرت إلى هذه الخطة وجدتها أعظم ما طمحت إليه دولة بعد الحرب ، وهى تنطوى على ما يهدينا إلى فهم ما ترمى إليه سياسة روسيا فى المستقبل .

وقد تكبد الشعب الروسى مشاق عظيمة أثناء تحويل روسيا إلى دولة صناعية فى الفترة التى سبقت الحرب ، وكان أقطابه يسوّغون ذلك بما يمنّونه به من رخاء اقتصادى عظيم متى تمت للأمة أسباب المنعة التى تمكنها من الصبر على الحرب . أما اليوم فيلوح أن الأقطاب سيطلبون من الشعب الروسى أن يتكبد مشاق جديدة ، لكى تظفر الدولة بالقوة الاقتصادية التى تتطلبها مكانتها بين الدول الكبرى .

والاتحاد السوفيتى لم يزل منذ سنة ١٩٢٨ يوم بدأ المشروع الأول للسنوات الخمس ، يعيش فى ظل اقتصاد صارم ، كالاقتصاد الذى تقتضيه ضرورات الحرب .

وأبلغ دليل على صرامة هذا النظام ، أن الجنود الروس ، وهم الفئة المنعّمة من الشعب الروسى ، عدّوا ما وجدوه فى أوربة الشرقية من فاقة وخصاصة ، رغداً وترفاً . ففى بوخارست ، أول مدينة أوربية دخلوها أذهلهم ما وجدوه فى حياة رومانيا من « ترف وبذخ » . أما فينا التى لم تزل تعانى ضنك البطالة منذ سنة ١٩١٨ ، فقد بدا العامل فيها للجنود الروس ميسورَ الحال ، وكثيراً ما سطوا على بيوت العمال . والروسى الذى عاش قرابة عشرين سنة محروماً بضائع الاستهلاك ، عدّ اقتناء حلة سوى ثياب العمل أو اقتناء راديو أو ساعة — « ترفاً » عظيما .

وقد كان عمال الصناعة فى روسيا أكبر ـة من السكان بلغت سن الجندية ، فكان منهم معظم المقاتلين ، وأصيبوا بخسارة فادحة فى القتال . ثم إن الألمان شددوا وطأتهم على عمال الصناعة والزراعة ، حين رحلوا أفواجاً من الروس لتسخيرهم فى ألمانيا .

ويقدر الروس أنه لم يبق عندهم سوى ١٢ مليوناً من العمال ليتولوا اليوم أعمال الصناعة والنقل والمرافق العامة ، وقد كان عددهم قبل الحرب عشرين مليوناً .

وروسيا تحتاج اليوم إلى عشرين مليوناً من العمال لكي تعوض الخسارة التي منيت بها في الحرب ، وتكفل التوسع الصناعي الجديد . فمن أين تجيء بهؤلاء ؟ فليس في المزارع عمال يفيضون عن حاجتها ، لأن تحطيم المعدات الميكانيكية في هذه المزارع ، ولا سيما الجرارات ، يقتضي أن يكون إنتاج الطعام رهناً بالعمل اليدوي . ولذلك أرسل أسرى الحرب من الروس إلى المزارع ، حتى الذين كانوا قبل الحرب من عمال الصناعة .

وقد قضت الحرب تقريباً على صناعات سلع الاستهلاك ، والعودة بهذه الصناعات إلى ما كانت عليه قبل الحرب ، ليست مشكلة كبيرة ، وروسيا خليقة أن تصير في صيف ١٩٤٧ قادرة على تموين شعبها بأوفى حاجته من هذه السلع .

ولكن المسألة الكبرى هي هذه : أيرضى الشعب الروسي بأدنى ما ينبغي له لإقامة أوده ؟ أيقبل أن يؤجل ظفره بالرغد الذي مُنِّي به إلى أجل غير مسمى ، لكي يصبح الاتحاد السوفيتي هو « الدولة العليا » ؟

وهناك دلائل كثيرة على أن الروس يأبون أن يستمروا صابرين على شظف العيش ، بل إن حالتهم النفسية والبدنية لا تمكنهم من الصبر عليه ، فقد قضوا ثلاثين سنة في ضيق وشدة . وقد كانت السنوات الخمس الماضية كابوساً استنفد منهم كل ذرة من قوة البدن والعصب لكي يردوه على أعقابه . وأغلب الرأي أنهم لا يرضون أن يستمر حرمانهم زمناً آخر . وها هم اليوم يجدون لأول مرة منذ ربع قرن ، هيئة منظمة تعبر عن مطالبهم ، هي جيش مظفر . وقد كبر في نفس هذا الجيش ما رآه من ارتفاع مستوى المعيشة خارج روسيا ، ولا سيما بين الجنود الأمريكيين والبريطانيين .

وتدل أعمال حكومة السوفيت في العهد الأخير ، على اشتداد الإلحاح بزيادة سلع الاستهلاك زيادة سريعة . ففي البيان الرسمي عن تسريح الجيش ، قُطع عهد للضباط والجنود بأن يتاح لهم الملبس الكافي والمأوى الحسن حين يسرحون . وقد عمدت الصحف الروسية ، حتى قبل تسليم ألمانيا ، إلى إبراز مطالبة الشعب بسلع الاستهلاك — ومثل هذه الحملة تكون في العادة توطئة لما تفعله الحكومة . وأبلغ دليل على ذلك هو المرسوم الذي أصدره مجلس السوفيت الأعلى في سبتمبر الماضي ، وهو يحظر تصدير سلع

الاستهلاك من الولاية التى تنتجها . وواضح أن هـذا القانون لا يحل المشكلة ، بل يضاعف سوء الحال فى روسيا الأوربية حيث خربت المصانع ، ولكنه يدل على أن العمال لن ينزلوا بعد اليوم عن الأشياء التى يصنعونها*.

وعلى أن الدلائل ليست قاطعة ، فإنها تشير إلى أن روسيا لا تستطيع أن تنفـذ مشروع السنوات الخمس الجديدة معتمدة على مواردها وحسب ، إذ تعوزها الأيدى العاملة اللازمة لإنتاج ما عزمت أن تنتجه من معدات الصناعة والأسلحة ، وأيضاً ما يطلبه الشعب من سلع الاستهلاك .

وليس ثمة سوى حل واحد لمشكلة سلع الاستهلاك التى تعانيها روسيا ، وهو أخذ قرض كبير من أمريكا . وقد تحدثت روسيا فى شأن قرض كبير ربما بلغ ستة آلاف مليون من الريالات .

ولكن ليس من الثابت أن روسيا تعتزم أن تواصل السعى لعقد القرض ، لأن عقد قرض أجنبى يبلغ هذا المبلغ الضخم ، انحراف عظيم عن مبادىء سياسة روسيا الاقتصادية والخارجية . ومن القواعد الراسخة فى تفكير الشيوعيين — ولستالين نصيب كبير فى ترسيخها — أن القروض الأجنبية تفضى إلى تدخل الأجانب وسيطرتهم على شئون البلاد . حقاً أن قرضاً كهذا سيكون اتفاقاً سياسياً فى المقام الأول ، ومن المرجح أن تطلب حكومة الولايات المتحدة مزايا سياسية لقاء موافقتها عليه ، ولا سيما ما كان ذا صلة بعلاقة روسيا بالدول الواقعة فى منطقة نفوذها ، وإذن فاقتراض ستة آلاف مليون ريال يعدّ اعترافاً بالضعف والحاجة ، وذلك يدلّ على حرج حالتها الاقتصادية .

ولو أن روسيا عقدت القرض الأمريكى لكى تشترى به سلع الإستهلاك من أمريكا ، لظلت مشكلة اليد العاملة فى روسيا مشكلة عسيرة ، توقعها فى مشكلة أخرى دقيقة : فإما أن تسخر العمال الأجانب ، وإما أن تأذن لعمال البلقان الأحرار أن ينزحوا إليها .

وأغلب الظن أنها تنتفع الآن فى تعمير بلادها بخمسة ملايين من أسرى الألمان والنازيين الذين اعتقلوا فى شرق ألمانيا ، وبعدد وافر من الفاشيين المتهمين بمقاومة الروس فى المناطق التى ضمتها من بولندة

* أدرك ستالين حقيقة الحال فوعد فى خطبة ٩ فبراير بأنه : سيلغى نظام التموين بالبطاقات فى المستقبل القريب ، وستوجه عناية خاصة الى زيادة إنتاج السلع التى تستهلكها الجماهير ، والى رفع مستوى المعيشة بين العمال بخفض ثمن جميع السلع خفضاً منظماً .

ودول البلطيق، ولكن الدلائل تدل على أنها لا تزال تحتاج إلى عدد آخر من هؤلاء العمال.

إن محاكمة قواد الجيش البولندى الداخلى التى تمت فى ربيع السنة الماضية، لم يقصد بها تشديد الوطأة على حكومة بولندة فى إنجلترا وحسب، بل إن البيانات الروسية التى أذيعت يومئذ دلت على أن الحكم على هؤلاء الزعماء بأنهم خصوم لروسيا ومن أنصار الفاشية، يجعل كل محارب من رجال الحركة السرية فى بولندة عرضة للسجن أو للسخرة.

غير أن الانتفاع بهذه الجماهير الكبيرة من العمال المسخرين، ينفث السخط فى صدور شعوب أوربة جيلا بعد جيل، ويفضى إلى إنشاء الكتلة المعادية التى يخشاها الاتحاد السوفيتى. ومع ذلك، فلعل روسيا لن تجد مناصاً من اتباع هذه الخطة. ولمَ ذلك؟ لأن الإذن بنزوح العمال من البلقان إليها، حرىٌّ أن يورثها مشكلات أعظم.

يبدو لأول وهلة أن نزوح عمال البلقان إليها هو أوفق الحلول، لأنه إذا عجز سكان البلقان عن المهاجرة وجب أن يحولوا بلادهم إلى الصناعة، وروسيا عاجزة اليوم عن تجهيزهم بما يحتاجون إليه من معدات الصناعة، وهى تأبى أن تسمح للدول الغربية أن تفعل ذلك، على ما جاء فى الصحف الروسية. فإذا منع أهل البلقان عن التحول إلى الصناعة أو عن المهاجرة، ظلوا فى قلق واضطراب، ولكن سلامة روسيا تقتضيها أن تمنع مِرْجَل البلقان أن يغلى ويفور. فلماذا لا تفعل ذلك بقبول المهاجرين من البلقان إلى بلادها؟

إن الصعوبة فى ذلك هو أنه ينبغى أن يمنح المهاجرون حقوقاً سياسية واقتصادية لم تزل محرّمة على الروس، ولن تجد فلاحاً بلقانياً يقبل على المهاجرة بملء اختياره ما لم تضمن له حرية العبادة، ويقطع له عهد بأن يكون بيته ملكا له، وينبغى أن يؤذن للمهاجرين فى أن يرسلوا بعض المال إلى أهليهم فى وطنهم الأول، وأن يزوروا بلادهم فى الحين بعد الحين — أى أن يحافظوا على صلتهم بها. وأعظم شأناً من هذا كله، أن الدكتاتوريات فى البلقان لم تكن كاملة السيطرة ولا ثابتة، فظل الفلاحون يتمتعون بقسط من حرية المناقشة يفوق كثيراً ما عهد منها فى روسيا، وبنصيب وافر من الاشتغال بالسياسة الحزبية والدعوة إلى مرشحى الانتخاب، برغم ما كان يشوب ذلك من العنف والفساد.

وقد تمنحهم روسيا حرية العبادة وحق امتلاك منازلهم، ولكن أيسعها أن تمنح المهاجرين هذه الحقوق دون الروسيين

أنفسهم ؟ وهل يرضى النظام السوفيتى ، أو هل يستطيع أن ينحرف هذا الانحراف عن قواعد الحكم الجامع ؟ إن بعض الدعاية الصادرة عن موسكو فى العهد الأخير ، والنازعة إلى تعزيز جامعة الصقالبة، تدل على أن الروس يفكرون فى تشجيع أهل البلقان على المهاجرة ، ولكنهم لن يلجأوا إليها إلا على اعتبار أنها آخر سهم فى الكنانة — فهم يؤثرون كل وسيلة أخرى عليها ، حتى وإن كانت عقد قرض أجنبى . وأقل مايرضونه أساساً للمهاجرة ، هو سيطرة روسيا سيطرة تامة على بلاد البلقان التى ينزح عنها المهاجرون .

فعلى الاتحاد السوفيتى أن يختار بين أمرين : أن يحتفظ بنظام الاكتفاء المطلق فى دولة جامعة، وإنْ عرّض توسعه الصناعىّ للخطر ؟ أو أن يحقق أغراضه الصناعية ، وإن أفضى ذلك إلى اعتماده اعتماداً كبيراً على سائر بلاد العالم — أى العالم الرأسمالى ؟ ولا يجترىء على التكهن بما يختاره سوى أحمق ، فقراره مرتبط بتيارات السياسة والاقتصاد فى الاتحاد نفسه ، وأيضاً بما تراه روسيا من احتمال استتباب الأمن فى السنوات المقبلة .

وأعظم مصالح روسيا فى الفترة المقبلة هى حفظ سلام العالم . والسنوات القليلة الآتية ، ستكون حرجة — بقدر ما كانت السنوات التى أعقبت الحرب الماضية سنوات حرجة ، أو كما كانت فترة المشروع الأول للسنوات الخمس. فبرنامج روسيا الاقتصادى يستغرق كل جهدها ومواردها ، والتجاؤها إلى سياسة العدوان فى عالم مؤلف من دول ضخمة قوية ، يقتضيها جهداً فوق طاقتها الاقتصادية . وقد لا نعدو الحق كثيراً إذا قلنا إن علة تشدد روسيا فى المفاوضات الدولية الأخيرة ، ولا سيما ما كان منها يمسُّ منطقة نفوذها ، هى شعورها بضعفها الاقتصادى ، لا شعورها بالقوة .

ومشروع السنوات الخمس الجديد ، يدل على أن سياسة روسيا الاقتصادية متجهة إلى الاكتفاء فيما يخصها هى والدول الداخلة فى منطقة نفوذها . وقد تُقبل روسيا فى السنوات القليلة التالية على شراء مقادير كبيرة من السلع من خارج بلادها ، فإذا فعلت كان غرضها البعيد أن تستقلّ بنفسها عن الموارد الأجنبية .

والدلائل تدل على أنها ستجمع بين اهتمامها بسلام العالم ، وإصرارها على أن تسلك الطريق الذى تختاره ، غير معتمدة على أحد ، مكتفية بنفسها ، مخضعة جاراتها لمشيئتها ما وسعها ذلك .

تحوّل غريب

في حياة الشاعر وردزورث

ماكس إيستمان



في سنة ١٨٠٧ اختفى وردزورث الشاعر الثائر . وهذه صورة وردزورث الآخر الذي حل في إهابه منقولة عن رسم صنع في عهده .

عاش في إنجلترا بين عامي ١٧٧٠ و ١٨٠٧ شاعر ثائر متلهب النفس لا يعرف عنه التاريخ إلا قليلا ، وكان اسمه « وردزورث » وكان هذا الثائر النحيف القوي المقوس الظهر الساهم العينين يخرج في ثياب غير مهندمة ، ويبسط لسانه في كل ما هو جليل عند الناس ، من الملك فنازلا ، ولا يعفي من لسانه رجال الدين ولا الأشراف ولا القانون الجنائي ولا الجيش . وكان أبي ، في بساطة وهدوء ، أن يلتمس عملا ، وكان رصيده في البنك قليلا ، ولكنه رأى أنه بهذا القليل يستطيع أن يحيا حياته .

وكان يحب الهواء الطلق ويحب المناظر الطبيعية حبًّا لم يكنه قلب شاعر آخر من قبله . وفي رحلته تلك إلى سويسرا ، مرّ في طريقه إليها على مسافة أميال قليلة من كتدرائية ريمز ، فلم يعن بأن يلقي عليها نظرة ، فقد كان همه الجبال التي أرساها

يحسن الانزلاق على الجليد ، ويصبر على المشي الشديد الطويل ، ولكنه كان طالباً ضعيفاً لا ينشط للدرس إلا في فترات متقطعة . وقد خيب أمل أسرته ، وهم من أهل العلم والفهم ، بأن قضى شهرين في رحلة على قدميه في سويسرا ، على حين كان المفروض أن يعكف على الدرس للحصول على درجة الشرف من جامعة كمبردج . ولما نال الإجازة

الله جل جلاله ، فلم ير أن يسير يوماً واحداً ليشاهد أشهر ما صنعت يد الإنسان . وكان يحب الناس الذين يلتقي بهم على طرق الريف وهم قوم على الفطرة يعيشون على اتصال وثيق بالأرض . وكان حبه للطبيعة وحبه لهؤلاء الناس هما منبع ثورته ، فقد كانت نقمته على التكلف والأناقة المزيفة ، كنقمته على الظلم ، وكان ينفر من « الملوك » لأن

«جلالتهم» لم تكن حقيقة طبيعية ، ولا يحب الأشراف والأغنياء المزهوّين ، وكان لا يذهب إلى الكنيسة إذ كان يرى أن نزهة فى الغابات تفيده عاطفة أسمى — وخاصة إذا رافقته أخته دوروثى الوضيئة الحسن

وكان يخرج إلى الريف خروج الصائد السعيد ، ويؤوب إلى البيت وفى رأسه قصيدة ، كما يعود غيره من الناس بالأرانب فى حقائبهم . وكان فى مناجاته للطبيعة سمو أدبى ، وسعى للارتفاع بروح الإنسان إلى الجمال الساكن الصافى على البحيرات والجبال ، وكان فى كل بيت نظمه لهيب من الديمقراطية الثائرة .

وفى هذا الصدر الأول من حياته ، أيام كان يسير على غير هدى ، ذهب إلى باريس وكان فى الحادية والعشرين ، وكانت الثورة الفرنسية فى أيام مجدها ، وهناك عشق الحرية وعشق فتاة فرنسية فرزق منها طفلا . ولكنه لسبب غير معروف لم يستطع أن يبقى معها أو يتزوجها ، وقد ظلت هذه الحادثة مطوية عن الجمهور أكثر من مئة عام حتى غاص عليها أستاذ فى جامعة ، فاهتدى وهو ينقب فى المتحف البريطانى فى سنة ١٩١٥ على خبر حب وردزورث المستهتر ، ووقع أيضاً على ما خفى أكثره على النقاد ، وهو أن وردزورث كان جمهورياً عنيفاً ، مستعداً للموت والخيانة دفاعاً عن حقوق الإنسان ، وكان يعتقد أن الطبيعة نفسها تناصر الحرية ، فلما حدث فى عام ١٨٠٢ أن قبض نابليون على الثائر الزنجى توسان لوفرتير وجاء به من هايتى إلى فرنسا ليموت وهو مقيد ذليل ، صوّر الشاعر إيمانه هذا فى قصيدة من أنبل القصائد :

« توسان ، يا أتعس رجل بين الناس !
« سواء أكان الفلاح يصفر ويدندن
« على مسمع منك وهو يحرث الأرض بفدانه ،
« أم كنت راقداً فى قبو سحيق لا يتأدى إليه
« صوت ، فأين ومتى أيها الشيخ التعس
« تجد الصبر حتى تقهر الموت ؟ ولكن
« جبينك طلقاً وأنت عان موثق ، وعش
« وتعزّ . وإن كنت قد هويت ولن تنهض
« مرة أخرى ، فقد خلفت وراءك قوى
« سوف تعمل فى سبيلك : الهواء ،
« والأرض ، والسموات ، وما من نسمة
« من الريح ستنساك ، وإن لك لأحلافاً
« عظاما : وإن أصدقاءك لهى المباهج والآلام ،
« والحب وعقل الإنسان الذى لا يقهر » .

والسبب الأكبر فى أن دعوة وردزورث الثائر قد ذهبت سدى ، هو أنه هو نفسه اختفى حوالى سنة ١٨٠٧ ومن سنة ١٨٠٨ إلى ١٨٥٠ حل فى إهابه شاعر آخر هو وليم وردزورث الذى لعله كان أعند وأجفى

رجعى خط على الورق بيتاً من شعر . فقد كان وليم محافظاً متزمتاً ومتعصباً ، وعدوًّا للشعب ، مصانعاً لذوى السلطان ، ولا يكاد يكون فى اللغة لفظ فيه من القوة والعنف ما يكفى لوصف ما صار إليه . فلم يكن عدوًّا للثورة فحسب ، بل كان خصما للإصلاح السياسى والاجتماعى أيضاً بحجة أنه قد يؤدى إلى الثورة . وإنه ليقف وحده بين المتشددين إذ كان قد جاهر بمقاومته لكل محاولة لتغيير الأحوال أو تحسينها من أى وجه .

وليس فى تاريخ الأدب حادث يشبه هذا فى انقلاب الشخصية .

فقد كان الشاعر الأول نصيراً للفكر الحر والبحث الحر فى كل موضوع ، أما الشاعر الثانى فيفضل الخرافة على العقل ، ويأبى أن تدخل المجلات فى بيته .

وكان الشاعر الأول قد نظم قصيدة هجاء يسخر فيها من وجه الملك ، أما الشاعر الثانى فزحف على ركبتيه إلى الملك بقصيدة موضوعها « صَبر الملك » .

وكتب الأول مقدمة عن الشعر تعد من المعالم فى تيسير الأدب ، أما الثانى فقال : « إنى لشديد الأسف والندم لأنى كتبتها » .

ورزق الأول طفلا غير شرعى من أول فتاة أحبها ، أما الثـانى فظل اثنى عشر عاماً يأبى على ابنته أن تتزوج الرجل الذى تحبه .

ونظم الأول أبياتاً تفتت الأكباد فى قسوة القانون الجنائى ، أما الثانى فنظم ١٤ قصيدة فى تأييد الإعدام فى القانون .

وما من أحد يعرف السر فى هذا التغيير التام الذى اعترى شخصيته . وقد تكون الرعاية التى فاز بها من ذوى المنازل الملحوظة هى التى أخمدت روح وردزورث الشاعر الأول ، أو لعل السبب راجع إلى الحملة الفظيعة التى قام بها النقاد عليه لأنه يكتب وينظم كأن عامة الناس لهم قيمة . أو قد تكون العلة أنه تزوج فى الثانية والثلاثين ، وأن حجرة الجلوس ما لبثت أن ازدحمت بخمسة أبناء . ويعزو بعضهم هذا التحول إلى طائفة من النساء — أربع منهن — أحطن به فى بيته ونسين ذواتهن فى سبيله ، وكن يقوين فى نفسه الغرور ، ويشجعنه على أن يفرض رأيه كأنه القانون .

فقد كتبت أخته فى مذاكراتها : «أتعب وليم نفسه بالعمل اليوم قليلا » .

وقد ظل هذا الشاعر أكثر من نصف قرن لا يشكو ألماً ، وكان وهو فى الستين هو نفس « الفتى البارع فى الانزلاق على الجليد » ، ولكنه كان ينفر نفوراً شديداً من أن يتناول قلماً ويكتب به ، وكان يودّ أن تثب الألفاظ من رأسه إلى الورق ،

وكان يألم لأنها لا تفعل ذلك ، وكان يحتاج إلى زيادة مطردة فى التدليل من أجل هذا.

ومهما يكن السبب فى هـذا التحول ، فإن النتيجة هى أن وردزورث قضى على نفسه ومحاها ، من حيث هى نفس فيلسوف أخلاقى أو سياسى .

وفى هذا ما يحزن ، فإنه هو نفسه كان يذهب إلى أن « كلّ شاعر عظيم معلم » ويطلب أن « يعد معلماً أو لا يعد شيئاً » . على أن هناك أيضاً درساً لمن يبغى أن يفهم الشعر ، فليس بصحيح أن كل شاعر عظيم معلم ، وإنما الصحيح أن كل شاعر عظيم باعث يقظة ، وقد تكون آراؤه السياسية أو لاتكون ذات شأن فى عظمته، فإنه مهما تكن آراء وردزورث السياسية أو مظاهر شذوذه الشخصى ، فإنه يظل شاعراً عظيما .

إن أول مهمة للشاعر هى أن يجعلنا ندرك قيم الحياة ، لا أن يلقى علينا محاضرة فيها ، وقد نصغى إلى محاضرته ، ولكننا نحبه لأنه فتح لنا عيوننا وأفرغ علينا نوراً ، ونهض بنا من بين الموتى أو اشباه الموتى ، وجعلنا نرى ونحس الدنيا ونشعر بأن نفوسنا تختلج فى طواياها ، ولأننا نرى الدنيا مصبوغة بالألوان التى أفاضتها روحه عليها ، وإذا كانت روحه سامية مجيـدة كالشمس ، لا كابية مضطربة كالشعلة الخابية ، فقد يسمى هذا تعليما . لأنها تعلمنا عن طريق القدوة حقيقة قد لا نتعلمها البتة من طريق آخر . وقد تحققت رغبة وردزورث من هذه الناحية على نحو باهر ، فقد كان يحمل معه غبطة نفسه وهو ذاهب يتمشى فى الريف ثم يرتد بها فى أغانيه . وإنك لتحس هذا حتى فى أصفى أغانيه :

« جبْت الدنيا وحيـداً كأنى غمامة
« تسبح عالية فوق الأودية والتلال، وإذا بى
« أرى فجأة حشداً من الأزاهير الذهبية
« بجانب البحيرة وتحت الأشجار ، تضطرب
« وترقص مستجيبة للنسيم وما لها آخر ،
« كالنجوم الوضاءة المتلامحة فى المجرة ،
« وصفوفها ممتدة إلى غير نهاية على حافة
« الخليج — عشرة آلاف منها أخذتها عينى
« بنظرة وهى تهز هاماتها فى رقصها المرح .
« وكانت الأمواج قريباً منها ترقص ،
« ولكنها بذّت الأمواج المتمعة جـذلاً
« ومراحاً . وما من شاعر يسعه إلا أن
« يكون مبتهجاً مع مثل هذه الرفقة الجذلة.
« ولقد أرسلت بصرى ، ثم أرسلته ولكنى
« لم أدر أى ثروة ساقها إلىّ هذا المنظر .
« فكثيراً ما يتفق، وأنا راقد على أريكتى
« أتفكر أو لا أتفكر ، أن تومض لتلك العين
« الباطنة التى هى نعمة الوحدة ، وحينئذ
« تفعم الغبطة قلبى ، فيرقص مع الأزاهير».

طاغية يجمع بين النقائض — أليف حلو العشر ولكنه جشع مستبد لا يرحم .

طاغيـــة في جزائر الهند الغربية

چورچ كنت

مختصرة من مجلة "ذي إنتر أميركان"

سانتو دومنجو هو الاسم الشائع الذى تعرف به الجمهورية الدومنيكية بين الناس ، وهى فى جزيرة هسبانيولا بين جزيرتى كوبا وبورتوريكو ، وتبلغ مساحتها نصف مساحة البرتغال ، وعدد سكانها مليونا نسمة معظمهم من السودوا الخِلاسيّين ، وسوادهم أميّون . وفى هذه البقعة مهّد خريستوف كولمب أول موطن للجنس الأبيض فى الشق الغربى من الأرض ، وفيها أيضاً دفن جثمانه واستقرّ .

والجمهورية الدومنيكية خليقة بأن يقصدها الناس ، لا ليروا مناظرها الجميلة فحسب ، بل ليشهدوا كيف يصنع الطاغيـة الذى يجمع فى قبضة يده العاتيـة أزمّـة الحكم ومقاليد السلطان .

ففى هذه الجمهورية ، كما يسمونها ، تصرف الشئون كما تصرف فى عمل خاص يتولاه رئيس مطلق اليد فى إدارته . فمهما توخّيت من الرفق واللين فى معارضة هذا الطاغية ، فجزاؤك منه أن تغيب حيث لا تراك عين ناظرة . فإذا سايرته وتجمّلت فى عينيه ظفرت بمال جزيل من عطائه ، فهو رجل سخى كريم .



وهذا الطاغية هو الرئيس القائد الأعلى الدكتور رفائيل ليونيداس تريبلو إى موليناً ، وهو رجل خِلاسىّ استهل حياته أجيراً رقيق الحال يعمل فى مزرعة ، أما اليوم فيبلغ دخله من عمله الهيّن ٥ ملايين ريال فى السنة ، وهو يملك ثروة تقدر بنحو ٢٥ مليون ريال أودعها فى المصارف أو اشترى بها عقارات فى بورتوريكو والولايات المتحدة .

وقد ذكر اسمه أول مرة قبيل الحرب بعد وقوع حادثة على الحدود الدومينيكية تعرف بمذبحة هايتى . وهايتى هى أصغر جانب وأقله خصباً من جزيرة هسبانيولا . وقد يزيد عدد سكانها على سكان الجمهورية الدومينيكية بنحو مليون نسمة . وقد ظل سكان هايتى عدة سنوات يتسللون من الحدود المجدبة ليعملوا فى مزارع السكر فى سانتو دومنجو ، أو ليسرقوا الماشية ، أو ليضعوا أيديهم على قطع متطرفة من الأرض الفضاء .

وأهل سانتو دومنجو يكرهون ذلك من فعلهم ، وحق لهم . وقد لمح الطاغية تريبلو فى وليمة عشاء أمام ضباط الجيش أنه قد يكون من المستحسن قتل اللاجئين من أهل هايتى ، فقتل فى بعض النواحى عدد من الرجال والنساء والأطفال ، ما بين ستة آلاف وعشرة آلاف نسمة ، رمياً بالرصاص أو طعناً بالخناجر .

واليد التى تدير أمور جمهورية سانتو دومنجو معروفة لا يمارى فيها أحد ، فأنت ترى فى الطريق الأعظم من العاصمة لافتة مكتوبة بأشعة نيون — وهى الوحيدة فى المدينة وهى : «مع تريبلو إلى النهاية» ، وعلى مقربة منها تجد لافتة أخرى مكتوبة عليها : « مع الله وتريبلو » ، وتجد مكتوباً على رخصة كل سيارة هذه العبارة : « يعيش تريبلو » . وكان منقوشاً فوق سُبُل الماء على طول الطريق العام هذه العبارة : « الله وتريبلو يرزقانكما هذا الماء » ، غير أنك اليوم تقرأ فى مكانها : « تريبلو وحده يرزقكم هذا الماء » .

وتجد على النصب المنحوت من الصخر بجوار الفندق الذى تنزله أحرفاً من الشبه هى : « بنى فى عهد تريبلو » ، وتجد مثل ذلك على كل مدرسة وبناء عام . وتجد فوق المكتب حيث تقيد اسمك فى الفندق ، صورة كبيرة ملونة للقائد الأعلى فى ملابسه الرسمية، وعلى صدره خليط من الأوسمة وهو يصوّب إليك نظرات فيها لمحة من التقوى والورع ! وتلقى هذه الصورة على جميع الجدران فى كل مكتب حكومى ، ولا يخلو بيت منها أيضاً .

أما الصحف التى تكتب ما تؤمر به فتعيد نشر اسم القائد مرات لا تحصى ، وفى كل مرة تذكر ألقابه التى منها : « المحسن إلى وطنه » ، « باعث الاستقلال المالى » ، « منقذ الشعب » ، « منشىء الحزب الدومنيكى ورئيسه الأعلى» ، «حامى الفنون والآداب » .

والمدينة التى هى عاصمة البلاد الآن ، كانت تعرف منذ سنة ١٤٩٦ باسم «سانتو دومنجو»

فأطلق عليها الطاغية اسم «مدينة تريلو» ، وكذلك استبدل باسم ثلاث مقاطعات قديمة الأسماء الآتية : تريلو ، المحسن ، المنقذ . وترى الآن ما يقرب من مئة بلدة تحمل اسم تريلو ، أو ألقابه ، أو أسماء أفراد أسرته . وقد صار لقب أمه جوليا مولينا «أم الشعب» بقانون أصدره مجلس الأمة .

وتريلو غير مسئول عن كل هذا الملق الوضيع ، فمعظمه من عمل الحزب الدومنيكى وهو الحزب الوحيد فى الدولة ، وهو أشبه بحزب النازى السابق فى ألمانيا . وقد دعا تريلو أخيراً إلى إنشاء أحزاب للمعارضة مصانعة للديمقراطيـة ، ولكى يسبغ على انتخابات سـنة ١٩٤٧ مسحةَ التنافس بين الأحزاب ، ولكن لم يجرؤ أحد قط على تلبية هذه الدعوة حتى الآن .

وينشر الحزب الدعاية لرئيسه ، فيمدّ السفّاحين بالمال ، ويحشد الجماهير المدربة على الهتاف : يعيش يعيش . وأغلب هذه الدعاية صياح وضجيج . ومن أساليبها طريقة قديمة هى طريقة البر والإحسان ، وهى عنـدهم تقديم اللبن للناس مجاناً . فالرئيس يملك قطيعاً عظيما من الماشية الكريمة التى تدرّ اللبن ، فيشترى الحزب اللبن من الرئيس ، ثم يوزعه مجاناً على الأطفـال والمرضعات على أنه هبـة من « المحسن » — وهكذا يربح « المحسن» ، وينشر الحزب دعايته ، ويظفر الأطفال بحاجتهم من اللبن ، فيملأ السرور قلوب الناس جميعاً .

وجانب من المال الذى ينفقه الحزب يجمع من موظفى الحكومة الذى يفرض عليهم أن يساهموا بقسط يخصم من مرتباتهم ، ويُجتَبَى الباقى من الضرائب التى تفرض على رجال الأعمال الأجانب الذين يعلمون أن الإباء عقباه خرابهم .

وقد يسبق إليك الظن أن هذا الطاغية رجل أحمق ضعيف العقل ، كلا ، بل هو رجل قوى البأس ، أليف ، حلو المعشر ، محبوب ، جميل الهيئـة ، قوى العضلات ، موثق الخلق ، أسمر اللون ، له عينان عسليتان ، وديع النظرات ، وهو أنيق فى زيه ، قريب الشبه بجورنج فى ولعه بالأوسمة ، والوشى المذهَّب ، وقد اتفق له أن نال أول وسام أجنبى من موسولينى .

تزوج ثلاث مرات ، وأحبُّ أولاده إليه فى السابعة عشرة من عمره ، واسمه رامفيس ، ولما بلغ ولده هذا الخامسة عينه أبوه قائمقام فى الجيش ، وأجرى عليه مرتب قائمقام ، وهو ٤٥٠ ريالا فى الشهر — ثم رقى أخيراً إلى رتبة جنرال .

وقد ولد هذا الطاغية منذ ٥٠ سنة على مقربة من مدينة سان كريستوبال . وكان أبوه يسرق الماشية ويبيعها ، فسيق مرة مكبلا بالأغلال فى الشارع الرئيسى فى العاصمة ، فلما توفى أمر ابنه بأن تسير جنازته فى الطريق نفسه ، ثم دفنه فى الكاتدرائية القديمة على بعد بضع أقدام من جثة خرستوف كولمب . وكان هذا الطاغية صبيا شرس الأخلاق ، حتى قيل إنه سجن بتهمة التزوير . ولما ترعرع صار حارساً على مزرعة لقصب السكر . ولما احتل الجزيرة مشاة بحرية الولايات المتحدة ، من سنة ١٩١٦ إلى سنة ١٩٢٤ ، أعانهم بجهوده وعماله ، ثم ترقى فصار يوزباشياً فى الشرطة ، وتميز بقدرته فى القضاء على الوطنيين الدومنيكيين الذين شنوا حرب العصابات على مشاة البحرية .

ثم صار جباراً فى عمله لا يرحم ، واكتسب خبرة فى إنشاء الطرق وأنابيب المياه والمرافق الصحية والمدارس .

وبعد أن تم انتخاب هوراسيو فاسكيز رئيساً للجمهورية فى انتخاب حر سنة ١٩٢٤ ، رقى تريلو إلى رتبة جنرال ، وحول الشرطة إلى جيش كامل العدة حسن التنظيم لا يخضع إلا لأوامره . فلما ثارت العصابات سنة ١٩٣٠ على فاسكيز ، ظل الجيش مرابطاً فى ثكناته ، وبعد ذلك بقليل أصبح تريلو رئيساً للجمهورية .

وقد وضع لانتخابه رئيساً خطة محكمة ، إذ أطلق جماعة من الطغام يعتدون على خصومه ويرهبونهم إلى أن كفوا عن الدعاية لأنفسهم وعن عقد اجتماعاتهم . واحتشد أعوانه فى سيارات مسلحة بالمدافع فى بلاد الريف وقتلوا ما يقرب من مئة شخص ، فانتخب بالإجماع لانسحاب المعارضة . ودخل تريلو الجمهورية وهو فى الثامنة والثلاثين من عمره ، وبعد ذلك ببضعة أسابيع دمرت زوبعة ٨٠ فى المئة من دور العاصمة وقتلت ٥٫٠٠٠ شخص ، فأتاحت له هذه الكارثة أن يظهر مقدرته على التنظيم والزعامة ، فبلغ الغاية ، وأعاد النظام فى الحال ، ثم تمكن من إعادة بناء العاصمة كما تراها اليوم مدينة نظيفة حديثة التنسيق .

ولما قبض تريلو على مقاليد الحكم كان دخل الجزيرة يبلغ ٧ ملايين ريال ، وكان على البلاد دين يبلغ ٢٠ مليون ريال ، تدفع عنه فائدة قدرها مليون ريال فى السنة ويستهلك منه نحو ١٫٧٥٠٫٠٠٠ ريال . فأراد أن يعالج هذا الأمر ، فخصم ١٥ فى المئة من مرتبات الموظفين ، وأغلق مئات من المدارس ، واقتصد أموالا أخرى من النفقات العامة .

وقد اتبع الرئيس المحسن فى شئون السياسة أساليب قاسية للقضاء على خصومه، فيقال إنه أزهق أرواح عدد من الناس ما بين ثلاثة آلاف وخمسة آلاف، ويؤيد هذا الشهود الذين يوثق بهم، وتؤيده التقارير التى وردت إلى جمعية السياسة الخارجية فى الولايات المتحدة. وقد قلت نسبة الاعتقالات وحوادث إزهاق الأرواح، ولكنها لا تزال ترتكب « فى هدوء »، كما قال أحد أعضاء السلك السياسى الأجنبى فى العاصمة.

وقد قابلت المعارضة هذه الأعمال بإلقاء القنابل ومحاولات الاغتيال، وحدث فى شهر يوليو الماضى أن حمل طلبة الجامعة على الطاغية، فاعتقل كل شاب اشترك فى هذا الاحتجاج وألقى فى غياهب السجن، وأعدم اثنان من الطلبة.

وقد أسدى تريبلو لمالية بلاده أيادى جليلة، ونجح أيضاً فى تنظيم التعليم، وخفض نسبة الأمية بنحو ١٠ فى المئة، وفتح مئات من المدارس الجديدة، وخرّج عدداً كبيراً من المدرسين، وزاد عدد الطلبة الذين يواظبون على الدراسة حتى صار ٢٠٠٫٠٠٠ طالب.

وقد فرض تريبلو على كل مدرسة أن تكون فيها حديقة يزرعها الطلبة بأنفسهم، وهذه الحدائق تجمع أنواع المحاصيل الرئيسية التى تزرع فى الجزيرة وتتاجر فيها البلاد. ومن الأساليب الجديدة التى أحدثها « المحسن » نظام المدرّس الطوّاف، وهو مدرّس يمر على الأطفال الذين يعجزون عن الالتحاق بالمدرسة ليعلمهم.

وقد جرى الحديث بينى وبين أمريكى مشهور يكره هذا الطاغية لأسباب كثيرة، فقال لى: « لقد شهدت البلاد فى السنوات الخمس عشرة الماضية نهضة لم تشهدها منذ ٤٠٠ سنة خلت ». وهذا أسلوب من أساليب رجال الحكم المطلق، فقد تمكن موسولينى أن يجعل القطارات تسير فى مواعيد منتظمة، وأنشأ هتلر طرقاً عظيمة للنقل، وهذا تريبلو قد أنشأ الطرق أيضاً، وأقام شبكة طويلة من ترع الرى، وحوّل أكثر من ١٠٠٫٠٠٠ فدان من أرض بور إلى أرض صالحة للزراعة، وأعدّ الموانئ التى كانت لا تصلح إلا لسفن الصيد، لكى ترسو فيها البواخر التى تمخر المحيطات.

وتدل الإحصاءات على أن النتيجة كانت باهرة، فهذا الأرز مثلا: كانت الجمهورية تستورد منه ما تبلغ قيمته ١٫٥٠٠٫٠٠٠ ريال، فهى اليوم تسد حاجتها منه بفضل نظام الرى، حتى استطاعت فى العام الماضى

أن تصدر ما قيمته ٦٠٠٠٠٠٠ ريال . وهو يحاول الآن أن ينوّع محاصيل الجزيرة حتى لا تظل بلاده معتمدة على محصول واحد هو السكر . ولكنك قد تسأل : « ما الذى عاد من ذلك على عامة الناس ؟ » . والجواب أن نصيبهم منه قليل . فقد كان رطل الأرز يباع بقرش ونصف قرش ، وهو هناك طعام الناس يخلطونه باللوبيا . أما اليوم فيباع الرطل منه بنحو أربعة قروش . فالفقير لا يستطيع أن يشتريه . وسعر السكر أغلى منه فى الخارج وكذلك البن .

ويرجع السبب فى ذلك إلى سلسلة من المحاولات الباغية لتحويل جميع أنواع المحاصيل والصناعات الرائجة إلى ملك خاص حتى يحتكرها الرئيس وأسرته .

فحق استخراج الملح مثلا وحق بيعه ليس إلا لتريلو وحده ، وقد ارتفع سعر رطل الملح من ربع قرش إلى قرش واحد ، والطباق أيضاً من السلع التى يحتكرها تريلو ، وكذلك الكرنب . وقد رأيت أثر ذلك فى الريف حيث رأيت فلاحين قد اشتريا سيجارة واحدة واقتسماها بينهما .

أما زوجته فتحتكر غسل الملابس وكيها فى أنحاء الجمهورية ، وهى التى تبيع للحكومة الأوانى المعدنية والفولاذ والحديد اللازم للبناء . وأما شقيقه فيحتكر تجارة الجير والأخشاب . وكذلك شأن أكثر الأشياء والسلع .

وهـــذه الاحتكارات تستأثر بخير الأعمال وأجداها فى الجمهورية الدومنيكية ، ما عـدا السكر لأنه فى أيدى الشركات الأمريكية ، وهى تدر على الطاغيـة دخلا صافياً يبلغ ٥٠٠٠٠٠٠ ريال فى السنة .

ومع هذا الدخل العظيم ، فهو شديد صارم فى مراقبة جباية مال الدولة وفى وجوه إنفاقه . وليس فى بلاده رشوة ، وذلك لأن الموظفين أنفسهم يمارسون الاحتكار ، ويربحون أكثر مما تطمح إليه أوهامهم . ومن عادة الطاغية أن يمنح كلاً منهم فى نهاية السنة بيتاً أو عقاراً مكافأة له . وهم جميعاً من أهل الرأى والعقل ، فكان يظن بهم أن يستنكروا هذا الحكم المطلق المستبدّ ، ولكن ما يتمتعون به من الرفاهية والثراء العظيم يجعلهم راضين بالحكم الذين يعيشون فى ظلاله ناعمين .

ولا يصيب الشعب المسكين شيئاً من هذا الترف ، وقد جعلهم سوء التغذية فرائس السل الفتاك . وسبب انتشار هـذا المرض هو الحالة الاقتصادية ، ولن يصلح الحال ما دام نظام الاحتكار قائماً .

وقد أصبحت ترع الرى مباءة للبعوض ، فتفشّت فيهم الملاريا ، ولا يزال مرض

الأنكلستوما يهدّ قوى الناس ، ويصاب به ٣٠٠,٠٠٠ شخص في السنة ، وهو مرض يمكن توقيه بإلزام الناس أن يلبسوا الأحذية، ولقد قضى على المرض في كوستاريكا مثلاً بمنح الأحذية للأطفال . والأمراض السرية متفشية بينهم أيضاً، والحكومة لا تلقي بالاً إلى مكافحتها ، فإن أخا الطاغية هو الذي يحتكر بيوت الدعارة .

والأمل في تغيير نظام الحكم في الجمهورية الدومنيكية معقود على مساعى المنفيين من أهل تلك البلاد ، وهم نفر من الرجال الأذكياء يعملون بهمة لتحرير بلادهم ويقيمون الآن في فنزويلا ، وكوبا ، وكولومبيا ، والمكسيك والولايات المتحدة . وفي الجمهورية « مقاومة خفية» ، ولكن عين الطاغية التي لا تنام، وضيق رقعة البلاد ، تجعل هـذه المقاومة قليلة الخطر .

والناس في بلاد أمريكا اللاتينية يمقتون هذا الطاغية ، فليس للبرازيل وفنزويلا وشيلي ممثلون هناك ، ومردّ هـذا البغض إلى ما يرونه من عدوانه وطغيانه .

وقد فتح الطاغية بلاده لدخول اللاجئين الذين فروا من أوربا ، وهو يتقاضى عن كل رأس نحو ٥٠٠ ريال .

وقد عبر أحد الكتاب الذين زاروا تلك الجمهورية أخيراً عن خلاصة القول في تريلو بقوله : « لا يزال مجال العمل واسعاً في الجزيرة قبل أن تظفر بمدارس صالحة للتعليم ، ومستشفيات تتسع للمرضى ، وغير ذلك من أسباب التقدم الاجتماعي . ولا يزال الفقر شائعاً ، وإن كان الناس هناك لا يموتون جوعاً . وكلما نشر الطاغية التعليم في بلاده ، اشتد السخط عليه . ولن يصبر الناس على مدى الأيام وهم قانعون بما ينعم به الطاغية عليهم من طرق معبّدة ومنشآت عامة فخمة ، وخبز وملاهٍ يتسلون فيها » .



قصص صحفية

من أبعث القصص الصحفية على أسى الصحفي ، قصة مراسل أمريكي سافر إلى روسيا ، بعيد نشوب الثورة الروسية وقيام النظام السوفيتي فيها . فذهب قبل سفره إلى رئيسه وقال : « قد يموت لنين وأنا في موسكو . ويغلب أن يمنع الرقباء نشر الخبر في أول الأمر . فأرسل إليك برقية أقول فيها « إنني في حاجة إلى المال، ابعث إلي بمئة ريال » . فوافق المحرر على ذلك .

وبعد أشهر مات لنين وأبرق المراسل يطلب المال ، فجاءه رد من رئيسه يبرق ويرعد ويعنفه على إسرافه . فقـد نسي المحرر ما اتفقا عليه . ولم تمض أسابيع حتى تسرب نبأ موت لنين من روسيا . فضيعت تلك الصحيفة فرصة نادرة ، هي أن تسبق صحف العالم إلى نشر نبأ خطير .

[مجلة « ذس ويك »]

اتجاه جديد قد يسفر عن
عواقب خطيرة الشأن .

الثورة الفرنسية الجديدة

أندريه فيسون

ظلت فرنسا خلال القرن التاسع عشر وما مضى فى القرن العشرين آخذة بمبادىء الثورة الفرنسية فى معاداة الدين وأهل الدين ، وانتشر هذا الرأى فى أوربة وكثير من بقاع العالم الأخرى وجر فى أثره الإلحاد والمادية . وقد قام فى فرنسا حزب جديد له رأى فى بعث النزعة الدينية بعثاً جديداً ، فآثرنا نشر هذا المقال لكى يعرف قراء الشرق العربى الاتجاهات الجديدة فى مسألة الدين والدولة ، وما عسى أن يكون لها من أثر فى سائر بقاع الأرض .

فى فرنسا اليوم بوادر ثورة جديدة ، فثورة سنة ١٧٨٩ قد أسفرت عن الديمقراطية فى فرنسا وغيرها من البلاد الأوربية ، ولكنها أيضاً حطمت السدود ، فتدفق سيل المادية التى نجم منها عدوا الديمقراطية: الشيوعية والفاشية. أما الثورة الجديدة فترمى إلى إنقاذ الديمقراطية بإحياء الشعور الدينى ، ليقوم سدًّا منيعاً فى وجه المادية ، فأثرها العميق لن يقتصر على مستقبل فرنسا ، بل سيشمل مستقبل العالم الغربى قاطبة .

ومن الغريب أن أحزاب الميمنة ، لا أحزاب الميسرة ، كانت مبعث السعى إلى هذه اليقظة الدينية . وطليعته جماعة الحركة الجمهورية الشعبية ، وهى حزبٌ سياسىٌّ جديد قد أصبح اليوم من أكبر الأحزاب فى فرنسا ، وأقطابه يصفونه بأنه حركة ديمقراطية تستوحى المبادىء الدينية المسيحية. وسياسة الحزب تجعله وسطاً بين الحزب الراديكالى الاشتراكى المعتدل الذى كان أقوى الأحزاب الفرنسية ، وأحزاب الاشتراكيين والشيوعيين من متطرفى اليسار . أما أحزاب الميمنة فأعضاؤها قلة لا تذكر .

وحزب الحركة الجمهورية الشعبية لا ينوى أن يجعل الكنيسة فى فرنسا قوة سياسية ، فهو لا يختلف فى هذا عن سائر أحزاب الميسرة ، ولكنه يصرُّ على أنه لا بدَّ من نفخ روح دينى جديد فى حياة فرنسا السياسية والاجتماعية ، فهو يختلف

عن سائر جماعات الميسرة فى أنه ليس عدوًّا للكنيسة من حيث هى كنيسة .

والعداء السياسى للكنيسة تناقض عجيب فى بلد كفرنسا سواد شعبها من الكاثوليك، وسكان فرنسا ٤٠ مليوناً ، منهم ٣٦ مليوناً كاثوليك المولد ، ولكن ١٢ مليوناً منهم وحسب كاثوليك العقيدة . وإذا سمعت حدهم يقول: « أنا ملحد، ولكننى كاثوليكى لبعاً » فاعلم أن ذلك ليس هزلاً ، فهى كلمة جارية على ألسنة الناس فى فرنسا . ثم ن فرنسا ظلت خلال عهد الجمهورية الثالثة لتى دامت ٦٥ عاماً (١٨٧٥ — ١٩٤٠) تتجه اتجاهاً مطرداً إلى اليسار ، على حين كانت الكنيسة وثيقة الصلة بأحزاب الميمنة، فكان الفرنسيون لا يسلكون فى سلك الجمهوريين الأخيار ، إلا الذين انصرفوا عن الكنيسة .

وقد بلغ أحرار الفرنسيين فى ذلك مبلغ المهزلة ، فكانوا إذا أرادوا أن يَصِمُوا مرشحاً من أحزاب الميسرة بما يشينه ، لا ينشرون صورة ساخرة تظهره جالساً وعلى ركبته حسناء شقراء ، بل ينشرون صورة زوجته وأولاده وهم يصلون فى الكنيسة . وقد اضطر جان جوريس الزعيم الاشتراكى ، أن يقف فى حزبه مرة ليدفع عن نفسه تهمة ذهاب زوجته إلى الكنيسة . أما إدوار هريو الزعيم العظيم لحزب الراديكاليين الاشتراكيين ، فقد انتقده حزبه مرة انتقاداً لاذعاً ، لأنه زار فى بعض البلاد مدارس الفرنسيين ومستشفياتهم التى كانت تديرها الجماعات الدينية منذ أجيال .

وقد نشبت المعركة ضد الكنيسة فى كل قرية فرنسية ، فمعلم المدرسة فى القرية الذى يتقاضى أجره من الدولة ، ويغلب أن يكون من الأحرار أعداء رجال الدين ، عدوّ لكاهن القرية ، وهما يمثلان فريقين متناقضين فى الرأى ، جعلا فرنسا فئتين متنابذتين .

وقد كان هذا الانقسام أثراً من آثار ثورة سنة ١٧٨٩ ، فقد كانت فرنسا فى العصور المتوسطة أمة شديدة التدين . وعلى أن ملوكها لم يتمسكوا بقواعد الدين فى حياتهم ، فقد كانوا يفاخرون بما فى ألقابهم من إشارة إليه . وقد بلغ من اهتمامهم بمسائل الدين ، أن خاضوا أربع حروب دينية دامية فى القرن السادس عشر .

وقد غُلب فريق البروتستانت، فأرادت الكنيسة الكاثوليكية الغالبة أن تفرض سيطرتها على كل ناحية من نواحى الحياة ، ولكنها لم تتمكن من التغلب على نقد الفلاسفة الفرنسيين المطرد . وقد عمدت طائفة من

أبلغ الكتاب، من رابليه إلى ڤولتير، إلى كل ما فى وسعها من أساليب التهكم والسخرية للتشهير برجال الدين الفرنسيين، فهيأوا النفوس والأذهان للثورة.

كان هدف الثورة قيام ديمقراطية وطنية يؤلفها رجال أحرار حطموا قيود «الهيئات المميزة» سواء أكانت «الملكية» أو «الكنيسة»، على أن الديمقراطية الوطنية خسرت تدينها خلال محاربتها الكنيسة، فانحطت إلى دولة مادية، تنكر على الدين منزلته فى المجتمع البشرى.

وفى سنة ١٨٣٠ أرسل ألكسيس ده توكفيل، الذى توفر على دراسة الديمقراطية الأمريكية، تحذيراً إلى الديمقراطيين الفرنسيين من أعداء الدين جاء فيه: «المادية أكبر خطر على جماعة الديمقراطية» وألح عليهم بوجوب التقريب بين قواعد الدين والديمقراطية فى أوربة، وخص بالذكر ما للدين من نفع فى الديمقراطية الأمريكية فى زمنه.

وقد قطع الفرنسيون مئة عام قبل أن يستجيبوا لنداء ده توكفيل البليغ. وفى أكتوبر ١٩٤٥ صوّت أربعة ملايين ونصف مليون من الفرنسيين والفرنسيات لحزب يدعو لجمهورية جديدة، ولكنه شديد الاستنكار للنزعة المادية المتبعة فى الديمقراطية الفرنسية، وتجرأ فنقش على أعلامه عبارة «الدين والديمقراطية».

وقد أذهل زعماء الحزب ما أصابوه من نجاح، فالحزب جديد فى ميدان السياسة الفرنسية، وليس له هيئة قائمة دقيقة التنظيم ولا صحافة سياسية تؤيده، ومع ذلك ظفر بربع الأصوات، فضارع الاشتراكيين والشيوعيين، وخلف سائر الأحزاب وراءه.

أما أسباب قوة الحزب فكثيرة، فقد أبيح الانتخاب للنساء الفرنسيات أول ما أبيح فى سنة ١٩٤٥، وقد خصصن حزب الحركة الجمهورية الشعبية باهتمامهن، لما وجدنه من عنايته بأمر الدين، وعزز ذلك منزلة دېجول. وعلى أن الحزب ليس «حزب دېجول»، إلا أنه أقرب فى مبادئه إلى الزعيم الفرنسى منه إلى أى حزب آخر. ثم إن بعض أتباع الميمنة صوّتوا لهذا الحزب، لأنهم آثروه على الاشتراكيين والشيوعيين، ولكن أعظم عناصر القوة فى الحزب مستمد من برنامجه السياسى والاجتماعى والأخلاق الحافز إلى التقدم والمطبوع بطابع الصدق والإخلاص.

فقد اشترك فى حركة المقاومة الخفية

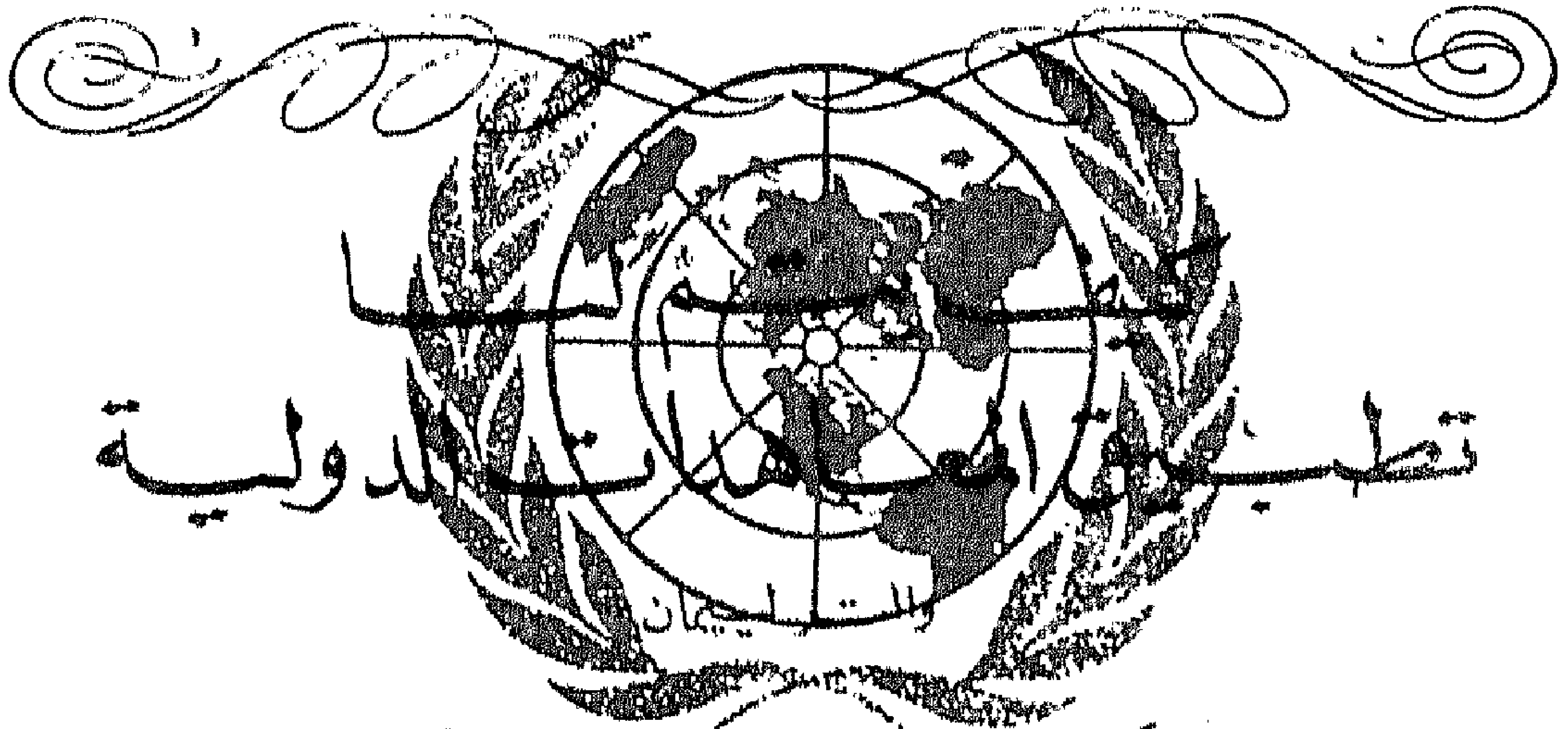
رجال ليسوا من أتباع ماركس ، وخاطروا بحياتهم وتعرضوا للعذاب والنكال فى مقاومة النازيين ، وهم يريدون اليوم أن يكافح حزب الحركة الجمهورية الشعبية ذلك الانحلال الأخلاقى الذى نزل بالأمة فى عهد الجمهورية الثالثة . وهم يريدون أن يتعاونوا مع الاشتراكيين والشيوعيين لتحقيق الإصلاح الاجتماعى ، ولكنهم ينوون أن يذهبوا إلى أبعد من ذلك،أن يقيموا الدليل للشعب الفرنسى وللأوربيين والأمريكيين اللاتينيين الذين يقاومون الدين،على أن الدين والديمقراطية شيئان غير متنافيين ، بل إن الدين لا غنى عنه لنموها ، وأن « الكنيسة » ليست حليفة الطبقات المميزة ، ولا عدوّ الذين يكافحون فى سبيل توطيد العدل الاجتماعى ، وهذه مهمة شاقة فى فرنسا حيث كان شعار الميسرة « حرية لجميع الناس — ولكن حذار من الكاهن » . وعلى نجاح هذا الحزب فى مهمته ، يتوقف مستقبل الحضارة الأوربية كلها .

وأنت تجد فى جماعة رجال الدين ، كما تجد فى أية جماعة أخرى فى فرنسا ومنها جماعة الشيوعيين ، من عاون الألمان زمن الاحتلال ، ولكن كثيرين منهم أيدوا حركة المقاومة أو اشتركوا فيها . وقد تنكر جورج بيدو ، محرّر الشئون الخارجية فى صحيفة « الفجر » الكاثوليكية باسم « مسيو إكس » فى عهد الاحتلال ، وعين رئيساً لمجلس المقاومة ، ثم صار بعد تحرير فرنسا رئيس حزب الحركة الجمهورية الشعبية ووزير خارجية فرنسا .

إن وطنية هؤلاء الزعماء مكنت حزب الحركة الجمهورية الشعبية من أن يبسط برنامجه الذى يجمع بين العدل الاجتماعى والتدين — وهو تدين لا يشوبه النزوع إلى إضفاء سلطة سياسية على هيئة الكنيسة. وقد كتب فرنسوا مورياك الكاتب الفرنسى الكاثوليكى: « البابا معصوم حين يقطع برأى فى مسائل الإيمان لا فى مسائل السياسة : ونحن خصوم للمسيحية السياسية » .

إن الزعماء الروحيين فى حزب الحركة الجمهورية الشعبية يتمنون أن ينفوا السياسة عن الدين ، حتى تنعم فرنسا بدين صاف لا تشوبه شوائب العالم . فإذا حققوا ذلك ، كان ذلك بدء عهد جديد ، يشمل فرنسا وجميع بلاد أوربة والشقّ الغربى من الأرض، التى لم تزل شعوبها تهتدى بهدى الأفكار التى نشرتها الثورة الفرنسية .





مختصرة من كتاب سينشر قريبا بعنوان "إما عالم واحد وإما فناء العالم"

الكاتب معلق سياسى أمريكى معروف بسعة الاطلاع ودقة البحث وهو يرى أن (عالم المدينة الفاضلة) الذى تمثله هيئة الأمم المتحدة ، ليس وليد خطة موضوعة وتدبير مقصود لهذا الغرض ، بل جاء نتيجة لما حدث أخيراً من تطورات وثورات فى العلاقات الإنسانية .

قليل من الناس فى بلاد الأرض من يؤمن اليوم بأن الحرب أو أحد أسلحتها الخطرة ، شىء يمكن تنظيمه أو تحريمه بالمعاهدات المألوفة بين الدول ذات السيادة . فقد عقد كثير من أمثال هذه المعاهدات وصدق عليها فيما بين ١٩١٩ و ١٩٣٩ ، ومع ذلك فهى لم تمنع أو تقلل فظائع الحرب العالمية الثانية وأهوالها ، إذ لم تحترمها الدول المعتدية ، وأخفقت الدول النازلة على أحكامها فى تنفيذها . فلا يمكن الوثوق اليوم بمثل هذه المعاهدات ، ولن يثق بها أحد .

ومن البين أيضاً أنه لا غنى لنا عن عقد أمثال هذه المعاهدات الدولية أيًّا كانت صورتها — إن أردنا أن نبدأ معالجة مشاكلنا ، إذ لا يمكن إقرار مشروع عالمى إلا بمعاهدة تصدق عليها الدول ذات السيادة فى الوقت الحاضر . فواجب علينا إذن أن نبحث عن الأسباب التى أفضت إلى نقض

المعاهدات القديمة ، فإذا صــدق تشخيصنا للداء ، اهتدينا إلى الدواء .

وقد علمنا على مرّ الزمن أن كل الاتفاقات الدولية تقريبـاً وأغلب نصوص القانون الدولى ، لا تنفذ إلا بالقـدر الذى تشاؤه وتستطيعه دول ذات سيادة حين تفرضه كرهاً على دول أخرى ذات سيادة . ولم يرد فى هـذه الاتفاقات والنصوص ذكر لطريقة تنفيذها ، فلم يبق إلا أنه رهن بمشيئة الدول النازلة على أحكامها ، وفى استطاعتها فى نهاية الأمر أن تشن الحرب على الدول التى تنكث عهدها . ويصـدق هـذا القول أيضاً على جميع الوسائل الاهم إلا القتال : كقطع العلاقات الدبلوماسـية وحجز السفن والحصر البحرى ، وهى من قبيـل الجزاء الذى لا يجدى إلا باعتبـاره إنذاراً ودلالة على ما يتبعه من عقوبات قاسـية . وهذا ما تبينه العالم فى اعتـداء اليابان على منشوريا ، وإيطاليا على الحبشة ، وألمانيا على النمسا ، وفى موقف أسـبانيا والأرجنتين أثناء الحرب ، فإن العقوبات التى فرضت عليها بادىء ذى بدء لم تمنعهـا من المضى فى خطتها ، ذلك لأن الدول النازلة على أحكام المعاهـدات والقانون الدولى ، لم تكن متأهبة ولا راضية بتطبيق العقوبة الأخيرة وهى الحرب .

فتنفيذ الاتفاقات الدوليـة بين الدول ذات السيادة هو ما نسميه « نظام الأمن المشترك » ، ولـكن لن نجد أمة تعتمد اليوم أو غداً على اتفاقات دولية من هذا القبيل . فلمـاذا ؟ ذلك لأن الدواء شر من الداء ، إذ يجب على الأمم المحبة للسلم أن ترضى بشن حرب شاملة ، تسخر لهـا كافة مواردها وقواها لتمنع بها حرباً شاملة مثلها . فهذا دواء فيه من الجفاء والعداوة ومن باهظ النفقات ، ومن شناعة العواقب ما يَزْوِى عنه وجوه من نؤمل فيهم أن يتولوا عبء تنفيذه — وهم الشعوب المحبة للسلم .

ويجب أن نفهم هذه الحقيقة أوضح فهم ، إذ يتوقف عليها نتائج ذات خطر . فقـد كثر القول بأن التهـديد باستعمال القوة المشتركة حقيق بأن يمنع قيام أية دولة بالخطوة الأخـيرة المؤدية إلى الحرب . فهـذا كلام لا يصدق إلا إذا كان المفهوم من التهديد أنه جِدٌّ ولا يقصد به مجرد التخويف أو الخديعة . فالواجب إذن أن لا يجول أقل شـك فى أذهان زعماء الأمم التى تنكث المعاهدات ، أن الدول الأخرى على تمام الأهبة والرضى بأن تشن عليها حرباً شاملة .

ومن بسط هذه الشروط نعلم أن توفرها فى زمن السلم أمر بعيـد الاحتمال ، فإن

الدول التى ستحمل عبء صيانة الأمن المشترك، ترى ساعة يكون الاعتداء أو الغزو فى أول مراحله ، أن عواقبه لن تضيرها ، وأنها قليلة الشأن فى حدّ ذاتها . ولنذكر مثلا غزو منشوريا سنة ١٩٣١ ، والحبشة سنة ١٩٣٥ ، والحرب الأهلية فى أسبانيا ، واحتلال منطقة الرين سنة ١٩٣٦ . ففى هذه المراحل الأولى من الاعتداء ينبغى أن تكون أساليب السلامة المشتركة أنفذ ما تكون إذا أريد منع الحرب ، ولكنها فى الواقع تكون عندئذ أضعف ما تكون ، ذلك لأنه لا يمكن الاعتماد على الدول المحبة للسلم فى أن تقوم فوراً بشن حرب شاملة من جراء نزاع تراه قليل الخطر . وهذا ما تدركه الدول المعتدية حق الإدراك ، ولذلك فهى تسقط من حسابها هذا التهديد المشترك وتعتبره خدعة مشتركة .

فالتهديد بالحرب الشاملة المشتركة ليس من وسائل تنفيذ الاتفاقات الدولية ، بل هو تدبير يمليه القنوط إذا بلغ حدّه ، ولا يلجأ إليه إلا بعد ضياع الأمل فى جدوى الاعتماد على الاتفاقات ، وحينئذ يكون سلم العالم قد تحطم إلى غير رجعة ، وتصبح الأمم المحبة للسلم مضطرة إلى الاتحاد معاً لشن حرب يتوقف عليها بقاؤها أو فناؤها .

فإذا رأت الدول العظمى أن العواقب أهون من أن تضيرها ضيراً ، أعرضت عن العمل المشترك لصون الأمن . من أجل ذلك لن يتأتى أن يصبح هذا العمل المشترك من الوسائل المعتادة المستمرة التى تكفل تنفيذ المعاهدات ، كالاستعانة به مثلا فى رقابة المعامل والمصانع التى تشتغل بتحطيم الذرة . وشبيه بهذا أن نقول إن القوانين لن تكون نافذة فى مدينة ما إذا كان لا مفرّ للشرطة حين يريدون القبض على المجرمين مثلا ، من أن ينشب بينهم عراك قد ينجم عنه هدم المحكمة والسجن ، والمساكن التى يسكنونها أيضاً .

فالعمل المشترك لصون الأمن ، والذى يرمى إلى تحقيق السلم تحت ظل القانون يتطلب من جماعات كبيرة من أناس أبرياء أن يأخذوا أهبتهم لإبادة جماعات كبيرة أخرى من أناس أبرياء . وهذا أساس هيهات أن تستقر عليه دعائم نظام دولى ، ولن يستجيب له رجال هذبتهم المدنية ، كما يندر أن يستجيب له رجال أشربوا حب الديمقراطية واحترام الفرد ، ويرون أن المعنى الأول للعدل هو التفرقة بين المذنبين والأبرياء .

فإذا أدركنا لماذا كان العمل المشترك لصيانة الأمن وسيلة معيبة فى تنفيذ القانون والاتفاقات ، اهتدينا من فورنا إلى المبدأ

السياسى الذى لا غنى لنا عن الاستعانة به لحل مشاكلنا . هذا المبدأ هو أن نجعل الأفراد ، لا الدول ذات السيادة ، هدف الاتفاقات ، أو بلفظ آخر : سن قوانين تسرى على الأفراد كافة . وهذا مبدأ غير جديد حتى فى الشئون الدولية فى عصرنا الحاضر الذى بلغت فيه السيادة القومية ذروتها من السلطان . فهناك تبعات كثيرة تقع على عاتق الأفراد بمقتضى القانون الدولى العام ، أو بمقتضى المعاهدات . مثال ذلك : معاهدة محاربة تجارة الرقيق فى إفريقية سنة ١٨٦٢ ، والاتفاق الدولى لمحاربة الاتجار فى النساء والأطفال سنة ١٩٢١ ، والاتفاق الدولى لمحاربة المطبوعات الفاحشة ومنع تداولها سنة ١٩٢٣ ، والاتفاق الدولى لمحاربة العملة الزائفة سنة ١٩٢٩

والواقع أنه لم يستنبط فى علم السياسة مبدأ ثبتت صحته بالتجربة كالمبدأ القائل بأن النظام لا يستتب بقانون يفرض على الدول فحسب ، إذ لا يتأتى تنفيذ القانون إلا إذا كان سارياً أيضاً على الأفراد .

وإذا أردنا أن نبحث أثر تطبيق هذا المبدأ على مشاكل العالم فى أيامنا هذه ، فيجب أن لا تبلبل أفكارنا معانى كلمة « الحكومة » ، فقد يكون المقصود بها إنشاء هيئة تنفيذية عالمية أو هيئة تشريعية عالمية ، أو نظام قضائى عالمى ، أو جيش عالمى . وقد يكون من المرغوب فيه تطبيق بعض هذه النظم أو كلها أو الإعراض عنها جميعاً ، ولكن هذا بحث ينبغى أن لا نشغل به أنفسنا الآن ، إذ أن مبدأ سريان القوانين الدولية على الأفراد يمكن إنفاذه فوراً دون أن يكون ثمة حاجة للتعهد بإنشاء شىء من نظم الحكومة العالمية السابق ذكرها .

وفى تطبيق هذا المبدأ خير علاج للمشاكل التى بحثها وزراء خارجية روسيا وبريطانيا والولايات المتحدة فى موسكو سنة ١٩٤٥ ، وتم الاتفاق بينهم على إحالتها إلى لجنة الإشراف على الطاقة الذرية التى طلبوا من الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة أن تؤلفها . ومهمة اللجنة « أن تعمل على تبادل المعلومات العلمية النافعة فى أغراض السلم » ومن مهمتها أيضاً « أن تشرف على الطاقة الذرية بقدر يضمن حصر استعمالها فى أغراض السلم » وكذلك « أن تستبعد من العتاد الحربى فى الدول كل سلاح يقوم على الطاقة الذرية ، وكل سلاح يكون شديد الفتك بالجماهير الغفيرة من الخلق » .

ومن الواضح أن هذه القواعد تنظم عمل عدد جم من الأفراد فى جميع البلدان . فالعلماء ورجال الصناعة والإدارة والموظفون

والمراقبون والقضاة والمشرعون وقادة الجيوش ورجال السياسة وحكام الدول ، يجب عليهم أن يراعوا فى عملهم هذه القواعد، بل يجب عليهم أن يتولوا بأنفسهم تنفيذها .

فإذا وثق الناس من طاعة هذا العدد الغفير من الأفراد للقانون ، فإن هذه القواعد تصبح قانوناً مصوناً مهيباً فى كل بلدان العالم . وإذا اعتمدنا على هذا القانون أمكننا أن نعرف بوضوح ومنذ بداية الأمر ، مقدار نجاح الضمانات التى سنتخذها، ولنا أن نشترط أن تصديق إحدى الدول على معاهدة ما ، لا يعتبر فى نظرنا نافذاً إلا حين تستعين بتشريعها الداخلى لإقرار أحكام المعاهدة ، وتصبح من قوانينها الأهلية .

وليس هذا كل ما فى الأمر ، فما دامت المعاهدة تتطلب أن يكون تنظيم الطاقة الذرية خاضعاً لقانون واحد يسرى فى جميع البلدان ، فللأمم المتحدة أن تعترف بحق كل فرد فى الاستقلال بظل هذا القانون ، فيطبق عليه إذا حوكم فى أية أمة من أعضاء هيئة الأمم المتحدة . وعندئذ لا يستطيع من يتعدى حدود القانون أن يطلب حماية حكومته ، إذ يصير خارجاً على القانون يمكن أن تقبض عليه أية دولة من دول هيئة الأمم وتنزل به عقاب ما اقترف .

فإذا رأى أحد من العلماء أو الموظفين أو أصحاب المصانع أو مديريها ، ممن يريد أن يطيع القانون، أن حكومة تسعى إلى إكراهه على معصية ، جاز له أن يلتمس حماية الأمم المتحدة . فلو ألقى فى معسكر الاعتقال كان للأمم المتحدة أن تستفسر عن الأسباب ، فولاء الفرد لأمته يسقط عنه إذا أفضى به إلى تعدى حدود القانون العالمى . فلن يكون الرجل خائناً لوطنه ، بل العكس هو الصحيح ، إذا ما دل على تآمر موظفى دولته على انتهاك حرمة قانون نافذ فى العالم كله وفى بلده . نعم ، إنه يدل عليهم وهو مرتاح الضمير كارتياحه حين يدل على أناس يتآمرون على الخيانة العظمى فى حق وطنه ، فليس هو ، بل هم الذين ينطبق عليهم وصف الخونة والمجرمين والخارجين على القانون .

ويقصد فى الاتفاقات المقترحة بشأن الطاقة الذرية أن يكون استعمال هذه الطاقة وتحسين أساليب نفعها قاصراً على أغراض السلم ، ولذلك فلن يسمح بكتمان أمرها فى جميع مراحلها : من التجارب العلمية البحتة واستخراج المعادن من المناجم إلى صنع السلاح ذاته، وذلك حتى لا يتسنى لحكومة ما أو لعصبة من المتآمرين أن يستخدموها لأغراض تنافى هذه الاتفاقات المقترحة .

ومن حسن الحظ أن الكتمان التام

مطلب عسير المنال ، فما يكون للدولة من سر ، وخاصة فيما يتعلق بصنع السلاح ، إلا انتهى أمره إلى أن يعامه الكثيرون ، ويكفي في إفشائه فرد واحد ، وكل ما يفعله هو أن يجهر بأن هناك أعمالا تجرى فى الخفاء وتدعو إلى التفتيش عنها .

ولا حاجة بنا إلى أن نفرض أن الدول النازلة على أحكام المعاهـدة ستعتمد كل الاعتماد على طائفة من المراقبين تميزهم بعلامة معروفة ويعملون باسم الأمم المتحدة ، إذ يجب أن تستعين هذه الدول أيضاً بممثليها الدبلوماسيين والقنصليين وموظفي مخابراتها السرية ، كما تستعين كذلك ببعوث غفيرة من الصحفيين ورجال الأعمال والسياح والدعاة والطلبة .

والتوفيق إلى ضمانات صالحة أسهل منالا فى ميدان الطاقة الذرية ، إذ لا مفر من أن يكون بين الأفراد المطلعين على أسرارها أقطاب علم الطبيعة فى كل دولة ، وهم رجال أفذاذ ، قليل عددهم ، يعرف بعضهم بعضاً وإن تباعدت أوطانهم . فمن البعيد أن يتاح لدولة ما أن تكتم تمام الكتمان تجنيد طائفة صغيرة من العلماء وتدريبهم ليعملوا فى الخفاء على تزويد جيوشها بسلاح الطاقة الذرية . فالحقائق العلمية ، وخاصة فى مبحث الطاقة الذرية ، هى ، كما يقال ، تركة مشاعة بين العلماء ، ولا مندوحة لهم من أن يتبادلوا كل النتائج التى تصل إليها أبحاثهم ، وفرض على المبتدىء منهم أن يقف موقف التلميذ والمريد من الأساتذة القدماء ، كل فى علمه الذى تخصص له .

فهناك إذن أسباب كثيرة تدفعنا إلى الظن بأن العلماء ، وهم أسرة عالمية واحدة ، سيصبحون من أوائل المؤيدين للاتفاقات الدولية ، إذ أن كل تقدم فى أبحاث الطاقة الذرية لن يأتى إلا على يدهم ، فهم فى مقام قادة المعركة المشرفين على سيرها . وسينتخب طائفة المراقبين بطبيعة الحال من بين هؤلاء العلماء وتلاميذهم .

وستصبح اتفاقاتنا قانوناً ثابتاً قادراً على البقاء ، لا لأن أغراضها سلمية فحسب ، بل لأنها ستتيح للعلماء والمدربين على فنون الصناعة أن يجمعوا بين خدمة مصالحهم ومثلهم العليا فى وقت واحد . فالقانون السمح الذى يكفل للأفراد حريتهم أسهل تطبيقاً من القوانين المقيـدة لهم . ومثل هذه الاتفاقات تستعين بحرية الفرد فى الحد من استبداد الدولة بسلطانها .

ومن المستطاع الظفر بكل ما قدمنا ، إذا جعلنا المعاهدات التى ننوى التصديق عليها مستندة على المبدأ الأساسى القاضى بفرض الحقوق والواجبات لا على الدول

وحدها بل على الأفراد أيضاً .

ومع ذلك فالنتائج التى وصلنا إليها ، وإن كانت ظاهرة الحجة ، لا قيمة لها من الوجهة العملية إذا اقتصرت على كونها مجرد برهان نظرى يثبت أن من الخسير تنظيم سلاح الطاقة الذرية على طريقة معينة ، إذ يلزمنا فى تلك الحالة أن نستنبط خطة أخرى لتحديد التسلح ، وقد علمتنا التجارب أن تحديد السلاح — إذا طبق بعض التطبيق لا كله — لا يمنع نشوب الحرب . فيجب فى النهاية أن نعنى ، لا بالحرب التى تستخدم فيها الطاقة الذرية ، بل بالحرب عامة وأيّا كان سلاحها ، إذ نحن نعلم حق العلم أن كل نظام يوضع لضبط التسلح سيتحطم ويصبح هباءً منثوراً إذا نشبت حرب عالمية أخرى .

ولذلك يجب علينا أن نتدبر مدى تأثر الأمم المتحدة — ذلك المجتمع العالمى — بمبدأ تنظيم الطاقة الذرية . ولكن لابدّ من اجتناب التناقض والتعارض فيما نقول ونفعل . فمن التناقض أن نفرد قانوناً عالمياً ليس هناك غيره ، للإشراف على الطاقة الذرية ، ونرضى فى الوقت ذاته بأنظمة متضاربة للمحافظة على السلم .

ومع ذلك فليس هناك من تناقض أو تضارب ، إذ أن هيئة الأمم المتحدة قد رفضت فى الواقع أن تأخذ بنظام الأمن المشترك ، وكل ماقررته إلى اليوم من وسائل لتنفيذ الاتفاقات ، إنما يصدر عن إقامة النظام العالمى على أساس من القوانين التى تطبق على الأفراد كافة .

وهذا هو ميثاق الأمم المتحدة ينص على أن من أغراضها « اتخاذ تدابير مشتركة للقضاء على كل ما يخلّ بالسلم » ، ولكن يبطل أثر هذا النص ذلك المبدأ القاضى بضرورة إجماع الدول الخمس الكبرى على كل قرار يصدر عنها ، وهو ما نسميه « حق الاعتراض » وعلى ذلك فلا يمكن — فى حدود القانون — تطبيق نظام الأمن المشترك على دولة كبرى بغير رضاها . ومعنى هذا بعبارة أخرى ، أن نظام الأمن المشترك لا يمكن تطبيقه أبداً ، إذ لا يعقل أن تجيز دولة كبرى لبقية العالم أن يشن عليها هى نفسها حرباً شاملة . هذا وقاعدة الإجماع تحمى باقى الدول من مواجهتها بوسائل إكراه مشتركة — اللهم إلا إذا كان الأمر متعلقاً بدولة بلغت من الضآلة والعزلة وهوان القدر مبلغاً يبعد بها عن أن تكون حليفة أو صديقة لإحدى الدول الكبرى .

وهناك أناس كثيرون من رأيهم إلغاء حق الاعتراض وتوطيد نظام الأمن المشترك ، ولكن عليهم أن يعودوا فيتدبروا رأيهم .

ففي سنة ١٩١٩ رفضت الولايات المتحدة ميثاق عصبة الأمم لأنها لا تريد أن يكون لها نصيب في تعهد يقضي عليها بشن الحرب . وكذلك لم يقبل أعضاء العصبة أن يفوا بتعهداتهم فيحاربوا اليابان سنة ١٩٣١ أو إيطاليا سنة ١٩٣٦ . ومن المسلم به قطعاً أن روسيا في سنة ١٩٤٥ ما كانت لتقبل التصديق على ميثاق الأمم المتحدة ، لو هو أجاز نظام الأمن المشترك ، ولحذت الولايات المتحدة حذوها في أغلب الظن .

فإذا كانت الدول الكبرى قد رفضت في الواقع أن تأخذ بنظام الأمن المشترك ، فلا يعني هذا أنها أصبحت من دعاة الفوضى في العلاقات الدولية . بل لعلها لم ترفض هذا النظام لأنها انحرفت عن الصواب ، بل لأن الوسيلة ذاتها معيبة . وهي في الحق وسيلة جافية ، باهظة النفقات ، لا عدل فيها ، مما يجعل تعميمها بين الدول أمراً ممتنعاً .

والواقع هو أن الأمم المتحدة ، وإن كانت قد رفضت الأخذ بنظام الأمن المشترك ، إلا أنها ارتبطت إلى حد كبير بالوسيلة الأخرى : أعني اعتبار الأفراد مسئولين عن تعدّي حدود المعاهدات والقانون الدولي.

وقد تجلى هذا الارتباط على أتمه اليوم باشتراك الأمم المتحدة في محاكمة مجرمي الحرب وتوقيع العقاب عليهم ، إذ لم تثر هذه المحاكمة اعتراضاً مّا ، بل أثبتت الدول قولا وفعلا أنها ترتبط بالمبدأ الذي نادى به القاضي جاكسون في افتتاح محاكمة نورمبرج إذ قال : « دعوني أبين لكم بجلاء أن هذا القانون الذي نطبقه أول ما نطبقه على الألمان المعتدين ، واجب التطبيق أيضاً على كل أمة يقع منها اعتداء ، ولو كانت أمة يجلس ممثلها اليوم معنا على منصة القضاة » .

فالأمم المتحدة إذن قد اعتنقت الرأي القائل « إن الجرائم لا يقترفها سوى الأفراد » وإن « الجزاء الذي يوقع على الأفراد هو الجزاء الوحيد الذي يمكن تنفيذه في نطاق السلم تنفيذاً مجدياً » . ولم يكن ارتباط الدول بمبدأ محاكمة نورمبرج خبطة عشواء ، بل إن له جذوراً ممتدة في تاريخ عصرنا الحاضر . حقاً إنه ككل قانون عام في أول عهده ، يستند أول ما يستند على التجربة إثر التجربة ، ويفتقر إلى نصوص مكتوبة ، إلا أنه عهد واجب الاتباع ، لا يقل في ذلك عن ميثاق هيئة الأمم ذاته . وأهم ما تضمنه هذا العهد هو إقرار الأمم المتحدة لمبدأ التبعة التي يحملها الأفراد طبقاً لأحكام القانون الدولي العام . وقد قيدت هذه الأمم نفسها إلى المبدأ العام الذي يجعل كل

معتد ، لا المعتدون الألمان وحدهم، يحاسبون طبقاً لهذا القانون نفسه .

وإذا التفتنا اليوم إلى الماضى واستعرضنا تاريخ الحرب العالمية الثانيــة ، أدركنا أنها تمخضت عن ثورة فى العلاقات الإنسانية ، إذ هى قد دفعت البشر إلى تخطى حــدود الدائرة المرسومة لهــذا العصر الذى كنا نسميه إلى عهد قريب « العصر الحاضر » ، حين كان الناس يعيشون جماعات مقسمة ، رغم تشابه الجنس، فى بقاع دول ذات سيادة مطلقة أو فى أرض مستعمراتها . وهكذا تهيأت العوامل المؤدية إلى إنشــاء الدولة العالميــة . ولم يتم ذلك بفضل الاقتراحات والدعايات وحـــدها ، كلا ، فهى ككل الأحداث التاريخية الهامة، ليست فى الأصل وليدة تدبير مقصود — بل هى وليــدة سلسلة من القرارات كان لا مفرّ من اتخاذها حين تدعو الحاجة إليها ومن تجربة نتائجها مرّة بعد مرّة .

وليست هيئة الأمم المتحدة صورة أخرى لعصبة أمم مغلولة اليد من جراء حق الاعتراض الممنوح للدول التى هى أعضاؤها ، بل هى بحكم اشتراك أغلب أمم الأرض فيها، بمثابة جمعية تأسيسية لوضع دستور الدولة العالمية . وقد صرفت جهودها فعلا لتوطيد نظام عالمى تسرى قوانينــه التى لا تسن إلا لحفظ السلم ، على كافة الأفراد . فقــد تبين للبشر أن هــذه هى الوسيلة الوحيدة التى تمكن من معاقبة مجرمى الحرب ، بل هى الوسيلة الوحيدة لتقرير ضمانات ناجعة تحمى الناس شرّ إســاءة استعمال الأسلحة الذرية الفتاك، كما أنها هى الوسيلة الوحيدة التى يرجو بها الناس أن تصبح الاتفاقات الدولية واجبة التنفيذ . ونستخلص من كل هذا نتيجة جليلة الخطر، وهى أن سلطان الدولة العالمية مستكنّ اليوم فى هيئة الأمم المتحدة .

وليس هناك ما يدعونا إلى أن نفرض أن كل الأمم وشعوبها سينعقد إجماعها وتتّقد حماستها فتطالب بإنشاء الدولة العالمية، بل لابدّ من أن نعمل على إقناع بعض الدول بمبدأ الدولة العالمية ، إن أردنا أن تقتنع به أيضاً دول كثيرة غيرها. ونحن نتوقع — إذا لم يجدّ ما ليس فى الحسبان — أن تظل أمور العالم زمناً طويلا تسيّرها خصومات الدول الكبرى ذات السيادة ، وما تؤلفــه من كتل متنافسة ، أو توازن دولى واهى الدعائم . ولكن من الجائز، بل من الممكن، بل من الواجب ، أن يطرأ على أحوال العالم الحــاضرة حادث جديد ، ولن يكون هذا الحادث إلا عزم الشعب الأمريكى على أن يجعل إنشاء الدولة

العالمية أهم غرض فى سياسته الخارجية .

وإذا أصبح هذا المبدأ هو الحافز الأول فى سياسته الخارجية ، كان لإقراره أثر عظيم على الإنسانية . ولا شك أن الولايات المتحدة فى هذه الساعة من تاريخها ، لو رفعت لواء الدولة العالمية لسارعت إليه واحتشدت تحت ظلاله دول كثيرة على الفور ، ولسارع إليه أيضاً أناس كثيرون فى دول أخرى .

ولم تسنح لشعب قط فرصة مثل هـــذه الفرصة المتاحة اليوم لشعب الولايات المتحدة ، إذ هو يستطيع استخدام تفوّقه الحربى فى تحقيق المثل الأعلى للبشرية كلها ، والعمل على نشره وبسطه فى الأمم جميعاً . نعم لا تزال أمامنـــا مشاكل توزيع الأرض والموارد ، وستواجهنا مشاكل أخرى معقدة حين نشرع فى تصفية بقايا الحرب ، وفى عقد الصلح .

ولن ينتهى الصراع بين من هذّبتهم المدنية وبين من طبعوا على الغلظة والعناد والخبث ، تلك الطبائع التى نجدها فى كثير من الناس حولنا كما نجدها فى أنفسنا . ولكن ما أعظم التطور الذى يطرأ على السياسة الدولية ، لو هى فرضت وتوقعت أن تعمد الولايات المتحدة — من حيث هى دولة كبرى تنضم إليها بقية الدول — إلى التعهد بإنشاء نظام عالمى يستند على قانون يسرى على البشر كافة . وقد تكون الخطوات الأولى قصيرة وشاقة ، ولكن مجرد البدء فى تنفيذ هذا المشروع سينجم عنه اتجاه جديد فى السياسة الدولية وفى خططها وفى أعمالها ، كما سينجم عنه أن يجد الناس لحياتهم هدفاً تهوى إليه أفئدتهم .



رحمة موسيقى

كتب الموسيقى أرتورو توسكانينى ، أن سيدة كتبت إليـه مرة أنها ولدت منذ أيام طفلا ميتاً ، وأنهـا استسلمت للحزن واليأس حتى ملت الحياة ، ثم عمـد زوجها إلى الراديو ذات مساء وأداره ، فسمعت حفلة توسكانينى الموســيقية ، فرد إليها الرغبــة فى الحياة ، لأن فى العالم مثل هذه الألحان الرائعة . ولم توقع كتابها باسمها لانها — كما قالت — « لم تشأ أن تحملنى مشقة الرد عليها ، وإنما أرادت أن تطلعنى على ما كان » .

قال : « وظلت معانى الرسالة تتردد فى نفسى ، وأحسست أنه لابد لى من أعرب لها عن شكرى فذهبت سكرتيرتى إلى كل مستشفى ولادة فى نيويورك ، ولم يكن بين أيدينا دليل يهدينـا سوى تاريخ الرسالة . وبعــد ساعات كثيرة من البحث والسؤال بالتليفون وجدناها ، فأرسلت إليها فى ذلك اليوم صورتى وكتبت فى ذيلهـا : « من أرتورو توسكانينى ، البوليس السرى ! » .

تزوجت حليف المغامرات

ملخص كتاب بقلم

أوزا جونسون

« تزوجت حليف المغامرات » — هو ترجمة صادقة لمارتن جولسون المصور الشهير الذي تخصص فى تصوير الوحوش فى مسارحها ، وفى تصوير البشر المتوحشين ، وقد كتبتها أرملته ، وفيها تروى كيف طوف فى الأرض شابان — بنت عامل ومصور متجول — مزودان بالطموح والجرأة والأمل ، واستطاعا أخيراً أن يفعلا شيئاً أبقى لهما من الشهرة والنجاح.

فى يوم ضاحٍ من أيام إبريل سنة ١٩١٠ — وكنت فى السادسة عشرة — كنت إحدى تلميذات مدرسة كانساس الثانوية اللواتى شهدن حفلة بعد الظهر فى مسرح فى شانوت . وكان بعضهم قد جاء من إندبندنس ليلقى محاضرة على « رحلة فى البحار الجنوبية مع جاك لندن » . ولكننا ذهبنا إلى الحفلة لأن إحدى زميلاتنا فى المدرسة ستغنى أغنية يصحبها عرض صور ملونة .

وبعد أن فرغت « جيل » من أغنيتها قدم مدير المسرح « ذلك الشاب السائح الجرىء المستر مارتن جونسن ، من أهالى إندبندنس » ، فتقدم على المسرح شاب طويل نحيف ، وجعل يطرف ، ويمر إصبعه حول بنيقته ثم شرع يتكلم ، وسرعان ما تكلم على المتوحشين الذين يأكلون لحوم البشر ، وعرض علينا شريطاً من الصور المتحركة ظهر فيه أناس بلغ من فظاعتهم أنى لم أستطع أن أنظر إليهم . فألقيت إلى الصف همسة بأنى مللت وانصرفنا جميعاً .

ولكن بعد سنتين خرجت مع هذا الشاب السائح نفسه فى رحلة إلى البحار

الجنوبية لتصوير المستوحشين آكلي البشر.

كانت الخطبة سريعة. وكنت قد تعرفت بمارتن جونسون بفضل « جيل » فزارني في بيتي في شانوت عصر يومين من أيام الأحد، وأخيراً اتفق أن مرضت جيل فرجا مني أن أغني في إحدى داري السينما الصغيرتين اللتين يديرها في بلدة إندبندنس.

وكنت قد بت مع أسرته، فلما رافقني إلى القطار في اليوم التالي اقترح أن نتزوج — على الفور — فوافقت، وتم الزواج في تلك الليلة بمدينة إندبندنس، ولما كنت دون سن الرشد في ولاية كانساس، فقد كررنا عقد الزواج في ولاية ميسوري بعد خمسة أيام حتى لا يستطيع أبي أن ينقض الزواج.

ولما اجترأنا على العودة ومواجهة أسرتي كان اللقاء صعباً، وكان أبي يعمل على خط سانتافي الحديدي، وهو أصغر جسما من مارتن، ولكن يديه كانتا مقبوضتين، وبدا وجهه شديد البياض في أول الأمر، ثم شديد الاحمرار.



وقال بصوت كالرعد: « أيها الفتى، ما تمنيت قط أن أضرب أحداً ضرباً مبرحاً كما أتمنى اليوم، فاهم ؟ »

« نعم — ولست ألومك يا مستر ليق. إن المسألة الوحيدة هي — »

« المسألة الوحيدة هي هذه يا مستر مارتن جونسون: لقد نلتها فعليك أن تعنى بها وترعاها ».

وقضيت الشهور الستة التالية وأنا زوجة سعيدة قريرة العين، ثم اقترحت يوماً أن نشتري منزلا لنا فأبى مارتن وقال إنه لا يريد أن يلقي مراسيه في مكان واحد، وأنه سيطوف حول العالم.

وكان مارتن بطبيعته شغوفاً بالتنقل لا يستقر في مكان، ففي حداثته اشتغل في ولاية كنساس مصوراً جواباً، وقبل أن يبلغ العشرين من عمره رحل إلى ليفربول على سفينة للماشية وبدأ برأس مال قدره أربعة ريالات وربع ريال. وقضى عدة شهور في بلدان أوربية شتى، وكان يكسب رزقه بما يتيسر له من عمل، وفي سنة ١٩٠٨

انضم إلى جماعة جاك لنـدن على باخرته الشهيرة « سنارك » ، وقام معه برحلة جديدة وشاهد السكان الأصليين فى هـذه الرحلة التى استغرقت عاماً ونصف عام فى البحار الجنوبية . فمن له أن يصنع لهم شريطاً مصوراً وافياً ، وأقنعنى فقررنا أن نرحل من فورنا ، وإن كان أبى قد سأله : أهذه هى الطريقة التى يرعانى بها ، فيحملنى معه إلى بلاد وثنية كلها مستوحشون من أكلة لحوم البشر ؟

وأردنا أن ندبر مالا لرحلتنا ، فبعنا الهدايا التى تلقيناها عنـد زواجنا كما بعنا الأثاث ، واستعنا بالشرائط والصور التى رسمها مارتن فى رحلة السفينة سنارك ، وطفنا بالولايات المتحـدة وكندا لإلقاء المحاضرات . وكنا كثيراً ما يقتصر دخلنا من ذلك على ما يكفى لأجر الانتقال ، ولكن مارتن حصل على عقد مع جماعة للتمثيل المنزلى واشترك مع « ويل روجرز » فاستطعنا أن نجمع ٤٠٠٠ ريال وهى القدر اللازم لرحلة إلى البحار الجنوبية .

وكان جهازنا لهذه الرحلة الأولى ضئيلا ، وهو آلة تصوير سينمائى تدار باليد ، وآلتا تصوير ثابت ، وبندقية ومسدسان وبضعة آلاف من الأقدام من شريط التصوير ، وكان هذا كل ما وسعنا أن نتجهز به .

وكانت الشهور التالية القليلة مخيبة للأمل وباعثـة على الهم والقلق ، فأبحرنا فى سفن مختلفـة من جزيرة إلى أخرى من جزر سليمان ، ووجدنا كثيرين من الزنوج الهمج قيل إن بعضهم من آكلى لحوم البشر ، وكنت لا أكاد أصدق أن مارتن سيهتدى إلى من هم شر منظراً من هؤلاء فى أى مكان ، ولكنه قال إن هؤلاء جميعاً قد رُوِّضوا ، وأصر على البحث عن همج لم تنـل منهم المدنية ولم تمسسهم .

وأخـيراً قرر أن يذهب إلى جزيرة ماليكولا ، وهى الجزيرة الثانية فى جزر هبريديز الجديدة ، وكانت « غير مخفورة » ، فإذا كان يوجد فى أى مكان رجل فى حالة استيحاش ، فهو يوجد فيها . وركبنا سفينة صغيرة ، وما كاد الركاب يعرفون غايتنا حتى هبت علينا عاصفة من التحذير .

وقال الربان لمارتن : « أصغ إلىّ أيها الفتى ، إنى لا أريد أن أفزع السيدة الصغيرة ولكن أهالى ماليكولا فيهم غدر وخيانة ، ومن الحقائق المعروفة أنهم لا يزالون يأكلون لحم البشر » . فتبسم مارتن ، وغمرته سعادة لم يشعر بها فيما مضى .

وقال رجل عليـه سيما الأوغاد ، من مورِّدى الزنوج : « إنى لا أرضى أن أذهب إلى هذه الجزيرة ولو أعطيت ألف جنيـه إلا إذا كانت ورائى سفينة مدفعية ، فإن فيها نحو ٤٠٫٠٠٠ من الهمج ، وقبيلة « الأرقام

الكبيرة » وهى أقوى القبائل ، لها شيخ مخيف حقاً » .

وأبى الربان أن يرسو بسفينته على شاطىء ماليكولا ، وقال المورّد إن ڤاو جزيرة أصغر وأنها هى بغيتنا ، « وفيها بعثة فرنسية ، ويطوف بها دائماً زورق بريطانى ، غير أن هناك نحو ٤٠٠ من الهمج ، وقد سمعت أنهم لا يزالون يأكلون لحوم البشر » .

ونزلنا فى جزيرة ڤاو ، ونحن نعلم أن فى وسعنا أن نمضى منها بسهولة إلى ماليكولا . ورحب بنا الأب برين ترحيباً صادقاً وإن كان لا يخلو من حيرة ، وحدثنا هذا الرجل الطيب الذى ظل يعمل وحده بين المستوحشين فى هذه الجزيرة نحو ثلاثين عاماً ، عن الفظائع التى لا تزال ترتكب حتى فى جزيرة ڤاو . أما جزيرة ماليكولا ... وألقى إلى مارتن نظرة عتب . وشر من ذلك أنى رأيت أن مارتن نفسه بدأ يخاف علىّ ، علىّ أنا دائماً !

وجاء المساء بأصوات الطبول التى يقرعها الأهالى فى الأدغال ، وأشار الأب برين من نافذة كوخه ، فرأينا على حافة الأرض المكشوفة رجالا يحدقون فينا ، وكانت وجوههم السود من كثرة التشقق وفرط القبح ، بحيث يصعب على الإنسان أن يصدق أنهم رجال .

فسألت هامسة : « ما هذا الذى فى أنوفهم ؟ »

فقال الأب برين : « عظام . عظام بشرية » .

فردّنى مارتن عن النافذة ، وقال : « لست أستطيع يا حبيبتى أن أخاطر باستصحابك إلى جزيرة ماليكولا ، وستكونين هنا فى أمان مع الأب برين » .

فاستشطت غضباً ، وزايلنى الخوف وقلت : « إذا ذهبتَ فسأذهب معك يا مارتن جونسون ! هذا ما جئت من أجله » .

ووضع القسيس الطيب تحت تصرفنا زورقاً طوله ٢٨ قدماً ، وخمسة من فتيان ڤاو من الذين يمكن الاعتماد عليهم . وفى الصباح التالى ، وضعنا آلات التصوير والسلع التى أعددناها للتبادل التجارى فى الزورق ، ورفعنا قلوعه الصغيرة وقصدنا إلى جزيرة ماليكولا .

ورسونا فى خليج تانيمارو على شاطىء مهجور رمله الأصفر يزيغ البصر ، وهو يحاذى الغابة الكثيفة ، وشرع الغلمان يخرجون السلع من الزورق ، وتولى مارتن بنفسه إخراج آلة التصوير السينمائى النفيسة .

وبرز فجأة من الغابة أحد المستوحشين وكان أسود كالفحم ، وعلى حال من القذارة لا يصدقها العقل ، وشعره متلبّد ولحيته كثة وفى أنفه عظمة ، وهو عريان فيما خلا

مئزراً من الألياف ، وتكلم بصوت أجش ، وأدهشنى أنه استعمل بضع كلمات إنجليزية : « أيها السيد ! إن بطنى تعشى كثيراً » وضغط معدته بيديه .

فنظرت إلى مارتن وأنا لا أكاد أصدق ، فقد جئنا إلى ماليكولا ونحن نتوقع أن نرى همجاً متوحشين سفاكين ، فإذا بنا نلقى زنجياً متأوهاً موجع البطن ! فكدنا نقع من الضحك ، وفتحت لفافة وأخرجت منها بعض أقراص من الكاسكارا . وأومأ إليه مارتن أن يأخذ بعضها عند الغروب والباقى عند طلوع الشمس ، فأصغى إليه الزنجى ثم بلع الأقراص كلها دفعة واحدة .

وفى أثناء ذلك خرج من الغابة كثيرون من الأهالى الأصليين ، وكلهم فظيع المنظر إلا أنهم على ما يظهر لا ضير منهم . وأعد مارتن آلة التصوير — وقد أهملوها بعد أن ألقوا عليها نظرة عارضة — وبدأ يضع الشريط . وكنت أرى أنه يقيسه بعناية .

وكان الأهالى يلغطون وهم ينصرفون . وقال لى مارتن ، وكان يفهم قليلا من لغة أهل هذه الجزيرة : « إنهم يقولون إن شيخهم هناك فى الغابة ، فإذا استطعنا أن نصوره فإن الرحلة تكون قد نجحت » .

فقلت وأنا أتكلف الهدوء : « سآخذ بعض السلع وأذهب إليه » وأخرجت شيئاً من الطباق والقماش ومضيت به إلى الغابة .

« انتظرى ياأوزا ! لاأستطيع أن أخاطر وأنت معى ! وسأعود غداً وحدى ! » فواصلتُ السير فصاح بى : « حسن إذن ، فانتظرينى » .

ومضينا معاً ، وخلفنا ثلاثة من غلماننا ودخلنا فى الغابة ، وجعلنا نتعثر فى الطريق المظلم الذى تزلُّ فيه القدم من الوحل والنباتات الزاحفة المبتلة . وكان الهواء فى هذه الأرض الغميقة ثقيلا رطباً فثقلت وطأته على صدورنا . ثم بدأنا نصعد ، وكان المرتقى حاداً ومكسواً بالعشب والقصب الجاف ، ولا بد أن نكون قد ارتقينا نحو ألف قدم . وكانت أنفاسى كالسكاكين فى صدرى ، وإذا بنا نصل فجأة إلى رقعة مكشوفة رأيت منها خط الساحل الأصفر وزورقنا ، وكان يبدو كأنه نقطة على حافة الماء .

وسمعنا وقع أقدام فاستدرنا ، فرأينا نحو عشرين من الأهالى وراءنا ومعهم البنادق ، ورأيت وجه مارتن يتصلب ، وقال لى بصوت خافت : « لا تدعيهم يرون انك خائفة . ألقى ما معك من السلع وارجعى على مهل ، وسأشغلهم أنا بآلة التصوير » .

فدرت لأفعل كما أشار ، ولكن الطريق كان قد سده نحو مئة من المتوحشين المسلحين ، وتأدى إلينا من ناحية ما فى الغابة

قرع الطبل الخفيض ، ووقف غلماننا الثلاثة مسمّرين من الفزع .

وظهر على حافة الغابة شخص بدا من فرط الفظاعة جليلا ، وكان كغيره ليس عليه سوى خرقة ، وفى أنفه عظمة ، وكان كل ما فيه يدل على القوة والبأس : قامته المديدة ، وكتفاه العريضتان ، وفكه ، وكانت عيناه تنطقان بالذكاء وقوة الإرادة والدهاء ، فأدركت أن هذا هو الرئيس .

وكان يحدق فينا وهو يقبل علينا متمهلا وأدهشنى أن أسمع صوت آلة التصوير وهى تدار ، فقد كان مارتن يصور الرئيس وهو مقبل .

فقال بصوت بطىء هادىء : « تذكرى يا حبيبتى ما قلت لك : لا تظهرى الخوف . اكشفى عن السلع » .

فتكلفت ما رجوت أن يكون ابتسامة ودّ ، وكان ناجابات الرئيس ، مقبلا علىّ ، فقلت : « أهلا بك يا مستر ناجابات » ومددت يدى ببعض الطباق ، فلم يكد يعنى بالنظر إليه . فقال مارتن : « جربى القماش . إذا فزنا برضى الرئيس ، فإن كل شىء يكون على ما يرام » .

ورأيت أربعة خواتيم على يدى ناجابات أحدها له طغراء واضحة ، فسرت رعدة فى ظهرى . أتراه ينزع الخواتم من أصابع ضحاياه قبل أن يطبخهم أو بعـــد ذلك ؟

وقلت بصوت عال : « هذه قطعة من قماش حسن جـــداً » . ونشرت القماش الأحمر اللمّاع . فمد ناجابات يده ، ولكنه لم يتناول القماش بل أمسك بذراعى ، فأحسست أن يده جلد جاف .

وجاءنى صوت مارتن الهادىء ، وأنا فى هذا الفزع ، يقول : « لا تخافى يا أوزا . فكل ما فى الأمر أنه مستغرب » .

والظاهر أن بياض بشرتى حير هـــذا الزنجى الضخم ، وقد حاول وهو يتمتم أن يمسح البياض بإصبعه ، فلما لم ينفع ذلك ، التقط عوداً من القصب الخشن وحك به جلدى ، وبدت عليه الدهشة لما احمرت البشرة . ونزع قبعتى عن رأسى ، وحيّره شعرى الأصفر ، ففرّقه وجعل يتأمل جلدة رأسى ، ثم شد الشعر بقوة ، وأدارنى وثنى رأسى ونظر إلى قفاى .

وكان زوجى يدير آلة التصوير فى أثناء ذلك بغير تفكير ، فتقـــدم ودخل بينى وبين ناجابات متكلفاً الابتسام ، وتناول يده وصافحه بحرارة . ويظهر أنّ المصافحة كانت شيئاً لا عهد به لهذا القيصر الأسود ، فنظر إليه شزراً .

وألقى مارتن إلى هذا المتوحش الملوكى مثل نظرته ، وقال لى عرضاً : « ارجعى من

الطريق مع الغلمان ، وسأتبعكم » .

على أن ناجابات لم يكن هذا ليصرفه عني ، فلما درت لأمضي ، أخذ يدي وهزها كما هز مارتن يده ، فتنفست الصعداء لما بدا لي أنه توديع مودّة ، حتى لقد ضحكت وهززت يده بحرارة ، ولكني لما حاولت أن أسحب يدي شد عليها ، وشرع على سبيل التجربة ، يقرصني ويدفع أصبعه في بدني . فرددتُ صرخة كادت تندّ عني ، ونظرت إلى مارتن وبي من الجزع ما بي . وكان وجهه ممتقعاً ، وقد ارتسمت عليه ابتسامة ثابتة .

ثم فك إساري فجأة . وأصدر ناجابات أمراً فارتد المتوحشون إلى الغابة ، وبدا لنا أننا فزنا . وأمر مارتن الغلمان أن يحملوا أشياءنا ، واندفعنا إلى الطريق ـ فأمسك بي من الخلف ، فكأنه عبث قط بفأر .

وصاح بي مارتن أن أتذكر مسدسي ، ولكني كنت فيما يشبه الإغماء ، وكان كل ما أعرفه على وجه غامض ، كأني في كابوس ، أني أجري القهقرى إلى الغابة . فصرخت مرة وأخرى وثالثة ، ثم أطلق سراحي فجأة ، وانقطع صوت الطبل ، ووقف الأهالي ينظرون إلى الخليج . فتبعت نظرة ناجابا فطنت إلى ما أسكتهم ، ذلك أن زورقاً مسلحاً بريطانيا كان يدخل الميناء .

وتخلص مارتن من آسريه وواجه ناجابات ، وصاح مهدداً : « سفينة حربية ! سفينة حربية ! » وكانت إشاراته تنبىء أن زورق الحراسة قد جاء من أجلنا . فعبس ناجابات وبه بعض الشك ، ثم انسحب ومعه رجاله إلى الغابة .

ومشينا إلى أن غبنا عن نظر ناجابات ، ثم انطلقنا نعدو منحدرين ، وكنا نعلم أنه لا مفر من القبض علينا ثانية إذا خرج الزورق من الخليج قبل أن نبلغ قاربنا ، وتعثرنا مراراً ، ونهضنا لنستأنف الجري .

وبلغنا فضاء مكشوفاً ، وأبصرنا زورق الحراسة يخرج على مهل ! وعادت الطبول تدق ، وتلك ولا شك إشارة بأن يعاد القبض علينا ، وكان لا يزال بيننا وبين الشاطىء غابة كثيفة ، فاندفعنا غير عابئين على الطريق الموحل الغادر ، وقد آتانا الفزع قوة ، وشدّ من مُتّننا ، إلى أن بلغنا الشاطىء .

وجررّنا غلماننا إلى قاربنا حين برز رجال ناجابات من الغابة . فتهافتُ في قاع الزورق ، ولما استطعت أن أرفع رأسي مرة أخرى كنا قد خرجنا بسلام إلى البحر .

وبلغنا ڤاو فسرنا أن نجد أننا جميعاً ـ وفي جملتنا الغلمان ـ قد تشبثنا بكل قطعة من أجهزتنا ، وبمعظم السلع التي كانت معنا ، وأن آلة التصوير والشريط لم يصبهما سوء .

وكانت الصور التى فاز بها مارتن هى التى تحتاج إليها ليتم شريطنا الذى يصور حياة هؤلاء الأهالى . وكان وجه ناجابات القطب يرسل الرعدة فى أبدان أبناء الحضارة ، حين عرض عليهم الشريط بعد ذلك بشهور . وبلغ من نجاح محاضراتنا وعرض هذه الصور فيها ، أن اعتزم مارتن أن يعود إلى ماليكولا ليحصل على تسجيل أوفى لهؤلاء المتوحشين.

ولكنا فى هذه المرة نزلنا فى ڤاو بأجهزة وافية موضوعة فى ٦٥ حقيبة وصندوقاً ، واستأجرنا ثلاثة زوارق بحارتها مسلحون لمرافقتنا إلى خليج تانمارو ، وقال مارتن : « عندنا فى هذه المرة بضع مفاجآت للشيخ ، أليس كذلك ؟ »

وأقبل نحو عشرين من رجال الشيخ على الشاطىء حين نزلنا ، وكان على رأسهم ناجابات . ومن الغريب أنه أصبح فى نظرى شخصية للتصوير السينمائى لا متوحشاً ، وأن الفزع منه ذهب عنى لسبب ما ، فاندفعت أنا ومارتن لمصافحته ، وبدت الحيرة على هذا الشيخ المتوحش ، ولكنه رأى أننا لا نمسك فى قلوبنا حقداً عليه ، فانبسطت أساريره ، وربّت على صدره ، وأشار إلى زوارقنا ، فأدركت أنه يريد أن يركب فيها ، فدعوته فركب هو واثنان من رجاله ، وكان عجيباً منه أن يفعل ذلك لأنه صار فى أيدينا .

ولما صاروا فى السفينة أطعمتهم خبزاً مقدّداً وسمكا محفوظاً ، فتقبلوا ذلك بغير احتفال . والواقع أنهم كانوا يتكلفون الفتور وعدم الاحتفال فى كل شىء . ولما انصرف ناجابات ، تلقى هدايانا من الطباق والقماش والسكاكين ، وقبعة عالية دون أن يلقى عليها نظرة .

وفى مساء اليوم التالى ، بعد أن اجتذبنا إلينا جمهوراً كبيراً من المتوحشين بأن نشرنا أمامهم بضاعتنا ، أريناهم الصور التى أخذناها لهم فى الرحلة السابقة . ولما خرج شعاع النور الساطع من آلة العرض فى الظلام ، همهم الأهالى وتراجعوا ، فتناولت ذراع ناجابات بقوة ، وجلست على الأرض أمام الشاشة ليفعل كما فعلت ، فتبعنا المتوحشون وهم يتلاغطون بشدة .

ولما ظهر وجه ناجابات على الشاشة ارتفعت ضجة عظيمة ، وصاحوا : « ناجابات — ناجابات ناجابات » وأشار مارتن طالباً الضوء للتصوير ، ولمحت ابتسامة الاغتباط على ثغره وهو يدير آلة التصوير ويصور ما امتزج على وجوه السود من الخوف والدهشة ، وكان كل متوحش ظهر فى الصورة جالساً مع النظارة ، وكانوا كلما ظهر منهم واحد على الشاشة يصيحون باسمه ويضحكون . ثم صارت ضجة الضحك همساً خفيضاً حين ظهر وجه

رجل مات قبل عام. وامتلأت قلوبهم رهبة، فإن «سحر» مارتن قد أخرج ميتاً من القبر!

وبعد هذا رأينا تغيراً واضحاً في موقف المتوحشين حيالنا، وذهب الإحساس بالغدر، وصاروا يحتشدون حولنا في سكون واحترام. على أنه كان من الجلي أنهم كانوا ينتظرون حدوث شيء آخر. ودل البحث على أنهم يطلبون الطباق ثمناً لمشاهدتهم الصورة

ودعانا ناجابات إلى زيارة قريته، فذهبنا ومعنا ثلاثة من الرجال البيض و ٢٦ من الأهالي الموثوق بهم، وكلهم مسلح، وقضينا أسبوعاً في « مملكته »، صور مارتن في خلاله كثيراً من مظاهر حياة القوم في قريتهم. وبعد ذلك قضينا عدة شهور نطوف بساحل ماليكولا، ونرتادها هي والجزر الصغيرة القريبة منها. وقد وقفنا على كثير من عادات المتوحشين، ورأينا بيتاً مقدساً فيه سلال ملأى بجماجم آدميين، مكومة كأنها ليمون هندي أسود، على حين كانت بعض الجماجم تتدلى من السقف. ورأينا فتاة دائمة الصراخ وقد أطار الألم لبها، لأن ساقها ثنيت على فخذها وربطت به وبينهما حجراً أبيض محمي، وكان زوجها قد أمهرها ٢٠ خنزيراً، وذلك أغلى مهر، ففرت منه مراراً! وشهدنا احتفالا حول نار عليها أعضاء من جسم إنسان تشوى!

وقد أورثتني هذه الشهور الثمانية التي قضيتها بين آكلي لحوم البشر، حنيناً إلى الوطن لا يغالب، وتلهفت على الأشياء المألوفة، وعلى رؤية قومي — وعلى الماء الحار والصابون. وكذلك كان مارتن.

غير أننا بعد أن لبثنا في الولايات المتحدة بضعة شهور، وصار نجاح شريطنا الثاني «آكلو اللحوم في البحار الجنوبية» مضموناً، خرجنا إلى بورنيو لنصور المتوحشين صيادي الرءوس فيها. وقد استنفدنا ٥٠٫٠٠٠ قدم من الشريط في هذه الرحلة، وقرر مارتن أن يعرضها على أنها درس صادق لبورنيو، أهلها وحيوانها وكل ما فيها.

ولما عرض هذا الشريط في أمريكا، عينا أعضاء في نادي الرواد، وعرض المرحوم كارل إيكلي العالم الكبير والمثال ومدير متحف التاريخ الطبيعي، اقتراحاً صار موضوع عملنا سنوات فيما بعد.

قال إيكلي: « إن لك مهمة عظيمة القدر يا مارتن — مهمة أعظم حتى من مهمتي. »

فحدقت فيه أنا ومارتن غير فاهمين.

ومضى إيكلي في كلامه فقال: « لقد جعلت مهمتي أن أخلد حياة الحيوان المتوحش الذي يبيد وينقرض في البرونز، وأن أحصل على نماذج للمتحف. وأنت تفعل هذا

بتصوير شريط يراه ملايين فى العالم كله » .
ودارت أحاديث طويلة عديدة مع إيكلى ، أنتجت مشروعاً لتصوير شريط لحياة الحيوان المتوحش فى بيئته الطبيعية ، وقال إن إفريقية الشرقية البريطانية هى خير بقعة لذلك .

وهكذا بعد عدة شهور قضيناها فى جمع المعدات ، أبحرنا إلى ممباسا ، ذلك الثغر الحار فى إفريقة الشرقية البريطانية ، ومن هناك أرسلنا حقائبنا وصناديقنا وأقفاصنا الخمسة والثمانين بالسكة الحديدية إلى نيروبى التى اتخذناها مقراً لنا . وفى نيروبى قابلنا بلينى بيرسيفال الذى ظل عشرين سنة حارساً للصيد فى إفريقية الشرقية البريطانية ، فهو يعرف كل أصناف الحيوان وعاداتها ، والأرض التى تغشاها ، وكان كريما جاد علينا بعلمه ووقته ، وأخبرنا ببحيرة قصية ، من المحقق أن يكثر فيها الحيوان لبعدها .

فكاد مارتن يطير عقله من فرط التأثر وصاح : « هيا بنا ! لماذا نضيع الوقت فى أى شىء آخر ؟ » .

فتبسم بلينى وقال : « إذا كنت عاقلا فإنه يحسن بك أن تقوم برحلات تجريبية قبل أن تقدم على هذه ، فإنها تحتاج إلى استعداد دقيق . والبحيرة تقع فى منطقة مجهولة قرب الحدود الحبشية على مسافة ٥٠٠ ميل ، والطريق خطر ، ثم إنها ليست رحلة تشترك فيها امرأة » .

فكدت أنفجر وقلت : « ليست رحلة تشترك فيها امرأة ! عدنا إلى هذه الحكاية ! »

ولكننا قبلنا بقية رأيه ، وقمنا بعدة أسفار على سبيل التجربة قبل أن نشرع فى الرحلة الطويلة شمالا فى صحراء كايسوت إلى الأرض المجهولة على حدود الحبشة . وقد حملنا مؤننا على مركبات تجرها الثيران مسافة ٢٠٠ ميل إلى ميرو ، ثم انتقلت إلى ظهور مئة من الحمالين . وقد استأجرنا سبعين من هؤلاء الحمالين من الجبال القريبة من ميرو ، وكلهم أبطال مفتولو العضل على رءوسهم أكسيتهم المزدانة بريش النعام الفاخر ، وعلى وجوههم صبغة الحرب من لونين أحمر وأزرق . وقد دهشت واضطربت قليلا حين رأيتهم أول مرة حافين بنارنا .

وقضى ركبنا ليلة ونهاراً فى عبور نهر من الحمم الجافة . وكانت المقذوفات البركانية المتجمدة حادة كشظايا الزجاج المحطم ، فمزقت أحذيتنا المتينة ، وقطعت أقدام الحمالين الحفاة ، وكانت الشمس حامية تشوى الجلد ، والهواء جافاً لافحاً ، فاحترق جلدى ، وتأذت عيناى ، وأحسست بمثل قرع الطبل فى رأسى . وكان الزنوج قد تجاهلوا أوامر مارتن فأهملوا أن يملأوا مزاداتهم ، فجعلوا

يطرحون ما يحملون. فأصدر مارتن بكرهه أمراً أن يجلدوا بالسياط إذا تطلب الحال ذلك، فكاد كثيرون منهم يجثون من الظمأ ووجع الأقدام قبل أن تنتهى المحنة، ولكنهم جميعاً خرجوا أحياء.

وبعد أن اجتزنا هذه المنطقة استرحنا أسبوعاً عند نبع ماء حتى يتماثل البعض، ويرجع البعض الآخر ليجيء بالأحمال المطروحة. ثم مضينا إلى أرض وحيد القرن، وبدأنا نرى كثيراً من الوحوش الدميمة التى لا سبيل إلى التكهن بما عسى أن يكون منها، حتى لقد سئمت تصويرهم، ولكنا شاهدنا ذات يوم حيواناً جميلا فى وضع بديع، وكل ما حوله من المناظر وما عليه من الضوء، على ما يرام، فنصب مارتن آلة التصوير وتركها لى، فبدأت أديرها حين أشار.

وهمس: « استمرى فى التصوير مهما حدث ». ومضى غير مبال فاقترب من الوحش الذاهل، وفى هذه اللحظة خرج كركدن آخر من وراء صخرة كانت تستره وهجم الاثنان.

وكان مارتن طويل الساقين خفيف القدم، ولكنه كان يخيل إلىّ أن من المستحيل أن ينجو، فقد كانا فى إثره حين بدأ يعدو أمام آلة التصوير، ثم انعطف فجأة، وظل الوحشان المزمجران مندفعين فى طريقهما، فنجا، وكنت أرتجف وتصطك ركبتاى.

وقال مارتن مغتبطاً: « أظن أن هذه أبدع صورة لوحيد القرن وهو يهجم ».

وخيل إلىّ أنى ضيعت ثقته، فقد أهملت أن أدير الآلة. فقال: « فى المرة التالية، خذى الصورة ولا تهتمى بى ».

وعند حافة صحراء كايسوت وجدنا بوكولى، وهو زنجى هرم ضاو، ساقاه منسلقتان وفكه غير مستو، وقد برز لنا من لا شىء، وأعرب عن رغبته فى الانضمام إلى ركبنا. وكان له سمت غريب، وبه ثقة بأنا أحوج إليه منه إلينا، فألحقناه برحالنا، وصاروا يدعونه « أخا الفيلة الصغير »، والحق أنه كان فيما يتعلق بالفيلة حاذقاً بصيراً إلى مدى يتجاوز مجرد المعرفة.

وصار هذا الرجل الغريب الصغير الجسم ظلاً لمارتن، ولما سأله مارتن عن البحيرة المجهولة على الناحية الأخرى من الصحراء بدا كأنه لا يفهم، ولكنه كان خبيراً بالصحراء فجازها بنا بأقل ما يمكن من المشقة. وقد لبثنا أياماً نسير وراء هذا الدليل العتيق فى أرض شديدة الوعورة، وقضينا يوماً آخر نصعد فى مرتقى، وإذا بنا فجأة فوق هضبة عالية تطل على أجمل بحيرة رأيتها فى حياتى.

والبحيرة عرضها ربع ميل وطولها

ثلاثة أرباع الميل، وهى فى وسط بركان خامد ، ولها شاطىء من الحمم الجامدة يمتـد إلى الوراء نحو ١٠٠ قدم إلى حافة مرتفع كثير الشجر يبلغ علوه مئتى قدم . وعلى حافة الماء ألفاف من الكروم والدوالى المائية ، وأزهار إفريقية الكبيرة الزرق . وكان البط والكراكى وغيرها من الطيور تحوم وتنزل إلى الماء ، والحيوانات — وهى أكثر من أن تحصى — واقفة ساكنة ، والماء إلى ركبها ، وهى تشرب .

فقلت : «هى الفردوس يا مارتن ! » فهز رأسه موافقاً . وهكذا سميت بحيرة الفردوس .

وضربنا خيامنا على مرتفع مشرف على البحيرة ، وكانت أصوات الفيلة تجىء من كل ناحية وتمزق السكون ، وترجّنا ونحن جلوس تحت سقف الخيمة الرقيق ، بل لقد كنا نسمع تقصّف الشجر إذ تحطمها الأفيال لتصل إلى الأكمام الغضة فى القمة .

وفى صباح اليوم التالى ونحن نفطر ، وضع زوجى خطـة لتسجيل حياة الفيـلة تسجيلا تاماً . وقال فى حماسة : « إن هذا المكان هو وطنها . ولقد تركتنا ندخله » .

وأقمنا ثلاثة شهور على بحيرة الفردوس . كانت آثار أقدام الفيلة ، وهى ترجع على ما يظهر إلى عدة قرون ، تتقاطع فى الغابة العـذراء بمثل نظام الشوارع فى المدن ؛ وقد ارتدناها فوجدنا أنها تؤدى إلى البحيرة وإلى الأرض المعشـبة ، وإلى الصحراء والسهول وينابيع الماء ، وأن حركة الحيوان تعظم أو تفتر بحسب الفصـول ، ففى الجو المطير البارد تتجه الأفيال إلى الصـحراء والسهول ، وفى الجو الجـاف الحار ترتد إلى الغابة والبحيرة .

ولما جمعنا قافلتنا لنعود إلى نيروبى كان ما معنا من الأشرطة والمال قد نفد أو كاد ، وكان الإعياء قد حل بنا ، ولـكن مارتن فكر فى خطة سرّتنى وأذهلتنى . ذلك أنه اعتزم أن يرجع ويقضى أربعـة أعوام على بحيرة الفردوس بعد أن يعدّ مالا كافياً وأجهزة وافية ، فيها أحدث آلات التصوير ليصور حياة الوحوش كلها فى هذه المنطقة .

وعدنا إلى الولايات المتحدة ، وذهبنا لنقابل جورج إيستمان مدير شركة كوداك وفى مرجونا أن نفوز بمعونته . فاستمع إلينا خمس دقائق بسطنا فيها فكرتنا أسوأ بسط ، ثم ألفينا أنفسنا نشيَّع إلى الباب فى لطف . وقد لبثنا وقتاً طويلا بعد أن ركبنا القطار إلى نيويورك مكتئبين ، غير أنى وثبت إلى قدمى لما بلغنا ألبانى وقلت له : « تعال ! » ونزلت من القطار قبل أن يلحق بى مارتن .

فسأل متذمراً : « لماذا ننزل هنا ؟ إننا لا نعرف أحداً فى ألبانى » .

قلت : « سنعود إلى إيستمان . أقل ما فى الأمر ، أن لا يهمل الموضوع قبل أن يعرف ماذا يهمل » .

فقال مارتن : « سيعتقد أننا خبنا . وأراهن أنه لن يسمح لنا بمقابلته » .

ولكنه سمح . ولما صرنا مرة أخرى فى مكتبه زايل مارتن اضطرابه واستعاد سكينته ، وصار كما كنت أراه حين يهجم على آلة التصوير لتصوير أسد أو كركدن .

وقال زوجى : « إنى لا أحسن الكلام فيما له قيمة عندى ، وأحسبنى لم أبين أن ما أردته هو أن أحملك على الاهتمام بفكرة تصوير شريط متحرك لحياة الحيوان فى بحيرة الفردوس ، لا بمجرد مسألة مالية » .

فهز إيستمان رأسه قليلا . وأدليت بدلوى فقلت : « إننا نعرف أن لديك طرقاً عديدة لكسب المال وليست بك حاجة إلى اقتراحمنا » .

وبدا لى أن إيستمان يحاول أن لا يبتسم وقال : « هل لى أن أفهم أنكما لا تعدانني بربح ضخم على المال الذى أستثمره فى مشروعكما ؟ »

فهز مارتن رأسه وقال : « كل ما أعد به هو أن أرد إليك مالك بفائدة اسمية . إن تكاليف ركب كبير يقضى أربعة أعوام على هذه البحيرة ، ستكون عظيمة . ولا يمكن أن يفكر فى مساعدتى إلا رجل يقدر الفكرة ولا يعول بعينه على الربح » .

فنهض إيستمان ومضى إلى النافذة وهو يقول : « لا يسعنى إلا أن أقول إنى معجب بصراحتك يا مستر جونسون . وأنا أحب الرجل ذا الأحلام وذا الإقدام على محاولة تحقيقها » . ثم قال بغتة : « سأضع ١٠,٠٠٠ ريال فى مشروعك ، ولك أن تستخدم اسمى للحصول على مبالغ أخرى » .

واستطعنا بفضل معونة إيستمان السخية أن نحصل على مساعدات نفيسة أخرى .

وفى إبريل سنة ١٩٢٤ كنا نتملى مرة أخرى بجمال بحيرة الفردوس التى تخطف الأنفاس ، وكان معنا كل ما يمكن أن نحتاج إليه . فكان عندنا ست سيارات وأربع سيارات نقل ، وخمس مركبات ، و ٢٣٥ زنجيًّا — بل لقد كاد مقدار مؤننا يكون علة إخفاق . فقد تعطلت سياراتنا ومركباتنا مرات فى الطريق من نيروبى وطوله ٧٠٠ ميل ، واضطررنا ونحن نتصبب عرقاً ونتذمر أن نجاهد لنقطع كل شبر من الأرض .

وبعد ساعتين من وصولنا بدأت « الأمطار الكبرى » التى كنا نخافها . ولم يكن يخطر لى أن المطر يكون بهذه الغزارة ، ولم تستطع خيامنا أن تحمينا من هذا الطوفان ، وكان رجالنا لا مأوى لهم ، فهم تعساء ، وعلى الرغم من ذلك أسرعنا فى إقامة المبانى الدائمة وفى جملتها معمل وحجرة

مظلمة لمارتن . وقد بنيناها من كتل الخشب وقويناها من الخارج بخليط من الجلة والطين ، وغطينا سقفها بالحشائش الجافة .

ثم أقمنا على الأيام بيوتاً للضيوف ، وأكواخاً لرجالنا، وأحطنا مبانينا وحدائقنا وسياراتنا ومركباتنا ودجاجنا وحميرنا وأبقارنا وجمالنا بسياج ارتفاعه ١٣ قدماً .

وغرستُ حديقة وأخرجت محاصيل حسنة من الفول والحمص والذرة والبطاطس والبطيخ ، ولكني كنت أكثر استطابة للبقول البرية مثل الهليون البرى والسبانخ والتوت الأسود البرى ، وعين الغراب ، والفاكهة ، ونوع من العسل أسمر غاية فى الحلاوة . وهذه هى إفريقية المظلمة !

وفى أثناء مقامنا على بحيرة الفردوس كانت الفصول وحدها هى التى تعين لنا الوقت وتوجه عملنا . ففى موسم الأمطار حين يتوافر الماء فى الصحراء والسهول ، كنا نخرج لتصوير الغزلان والوعول والزرافة ، والحمار الوحشى والحلوف البرى . فإذا جف الجو ذهبنا إلى عيون الماء الكثيرة والغابات ، وصورنا شريطاً للبقر الوحشى ووحيد القرن والفيل .

وكان رائدنا الملتوى الفك الصغير الجسم بوكولى ، يعرف عن الأفيال أكثر مما يعرف أى زنجى فى إفريقية ، ولم تكن أساليبه مقنعة فى البداية ، لأنه كان يتمتم وهو يمشى وكأنه نصف نائم . ولكنا ما لبثنا أن وثقنا به ثقة عمياء ، ولقد رأيته يشم ريح الحيوان فلا يخطىء كأنه كلب صيد . وكان يعرف من الزاوية التى تكون عليها ورقة مفردة من أوراق النبات ، منذ كم داستها قدم الفيل الثقيلة الوطأة . ويظهر أن الورقة إذا ديست واستوت بالأرض ، تحتاج إلى نحو ثلاث ساعات لتعود فتقف معتدلة ، فللزوايا المختلفة بين الحالين دلالة دقيقة على الوقت .

وكان الغصن المثنى ينبىء هذا الرجل العجيب بمرور قطيع منذ وقت يصل إلى خمس دقائق ، ويدله على الاتجاه الذى سار فيه ، فإذا عجز عن الاهتداء إلى آثار الفيلة هز رأسه هزة فلسفية وقال إحدى ثلاث عبارات : « شاورى أكو » ، من عمل الإنسان، أو « شاورى مونجو » ، من عمل الله ، أو « شاورى مفووا » ، من عمل المطر .

ومتى رأى بوكولى لسبب من هذه الأسباب أن الأحجى بنا أن نعدل عن العمل فى يومنا ، فعلنا كما يرى .

وقد استطعنا لكثرة رؤيتنا للفيلة فى السنوات التى أقمناها على بحيرة الفردوس أن نعرف السر فى إجلال بوكولى لها . فإن هذا الحيوان الوقور المحافظ الذكى يعنى بشئونه ، ولا يدخل قط فى شئون الحيوانات

الأخرى، وقلما تقتتل الفيلة، وفيها بالغريزة ولاء للجماعة، وهي تعنى عناية كبيرة بصغارها.

وكنت أنا ومارتن نحب صغار الحيوان من كل نوع، ولكن صغار الفيلة كانت أقواها استيلاء على قلبينا. وقد رأينا فيلا صغيراً تقوده أمه إلى عين ماء للمرة الأولى على ما يظهر. وكان اليوم قائظاً جداً، والفيل الصغير يتلكأ خلفها ويغمغم ويتذمر فنفد صبر أمه، وأمسكت بأذنه ووضعته تحت قدمها ورشته بالماء، ثم نهض وهو لا يزال يغمغم وفمه الأحمر مفتوح فأحس بالانتعاش والسعادة، فتناول بخرطومه ذيل أمه كما يتناول الطفل يد أمه، ووقف راضياً مغتبطاً وهي تشرب.

واتفق ذات يوم ونحن في الغابة أن رأينا أربع أمهات يعقدن ما يشبه مدرسة لتعليم فن التصويت لدعوة الصغار، فكانت كل أم ترفع خرطومها وتطلق صوتاً قوياً، ثم يحاول الفيل الصغير أن يقلدها فلا يخرج إلا صوتاً هزيلا، فأغرانا بالضحك ما رأينا من خيبة أمل الأمهات وخجل الصغار، فقهقهنا، فانفضت المدرسة مذعورة.

وفي كل السنوات التي اتصلنا فيها بالفيلة لم نقتل سوى واحد، وذلك أننا كنا قد وجهنا آلة التصوير إلى قطيع متقارب في أرض فضاء والصغار تلعب حول الكبار.

وكنت عادة أثير الحيوان لتحدث حركة، ولكن في هذه المرة لم يكن ثم ملجأ نعدو إليه إذا وقع هجوم، وأصر مارتن على أن يقوم هو بمهمتي وأن أقوم أنا بمهمته وراء آلة التصوير، فمشى على مهل إلى القطيع، فرآه أكبر الفيلة، ففزع، ونشر أذنيه، ورفع خرطومه وهجم.

فذهب مارتن يعدو. وكنا كثيراً ما وقفنا مثل هذا الهجوم بأن نصيح ونلوح بأذرعنا، ولكن هذا الفيل أبى أن يعدل، فجعل مارتن يحاوره وينثني راجعاً، وينعطف، ولكن الفيل كان يتابعه في كل حركة ودورة، ويزداد اقتراباً منه، وأخذت بقية القطيع تجري وراء قائدها. وواصلت أنا التصوير تنفيذاً لاتفاقنا، ولكني واصلت الصياح والصراخ أيضاً. وكان جانب من عقلي يقول لي: إن هذه ستكون صورة بديعة، وجانب آخر يقول لي: إن مارتن سيداس حتما إذا أنا لم أقتل الفيل الزعيم. فأخذت بندقيتي من حاملها وأطلقتها. ولست أتذكر أني عنيت بالتسديد فاضطرب الفيل الكبير وارتمى على الأرض، وفزعت الأفيال الأخرى فدارت وراحت تعدو.

وأخيراً أغلقنا بيوتنا المحبوبة على بحيرة الفردوس وعدنا إلى الولايات المتحدة لنشر صورنا، ولكنا ما كدنا نفرغ حتى رجعنا

إلى إفريقية ننشد الأسود فى هـذه المرة .
الأسود ! لقد عشنا معها عاماً فى « عرين الأسد» وهى رقعة مساحتها ٥٠٠ ميل مربع فى منطقة تنْجنيقة. وكنا نعمل مع الأسود ، ونأكل وننام وزئيرها حولنا من كل ناحية . وجاء وقت كنا نخاف فيه هذه القطط السمر الكبيرة ، ولكنا أحببناها أخيراً .

والأسد حيوان لطيف جداً على الأكثر ، وهو يجوب ، وينام كثيراً ، ويغريه مزاجه باللعب كقطة البيت ، ويعنى بشئونه دون شئون غيره ، ويحب أسرته ، ويؤدى واجباته كحامٍ للأسرة وعائل لها ، وهو فى حداثته يمشى مع الذكور الصغار من أمثاله . ويقضى الوقت فى المرح ، إلى أن يكبر فيكوّن لنفسه أسرة ، وإذا هرم وعجز عن مسايرة أسرته وأصدقائه ، نفته الجماعة ، فيروح يصطاد وحده ، وعندئذ يصبح فى الغالب « وغداً » .

والأسد يقتل ليأكل ، وفيما عدا ذلك قلما يتعرض لحى من الأحياء إلا دفاعاً عن نفسه أو إذا فزع . فإذا هوجم وجرح فإنه لا يتقهقر أبداً ، بل يقاتل ما دام فى بدنه البديع دماء ، وهو يزن من ٤٠٠ إلى ٥٠٠ رطل ، غير أن هذا الحيوان الضخم يستطيع بوثبات قصيرة أن يدرك أى حيوان آخر فى السهول . وفى لطمة واحدة منه أو عضة ما يكفى للقتل .

وفى أحد الأيام قضينا العصر كله بين أربعة عشر أســداً ، وقد اعتمدنا على قلة مبالاة الأسود بالسيارات — حتى التى تكون مكشوفة ، وركابها قيد النظر — فصورناها وهى تتلاكم لاعبة عدة ساعات . فلما تعبت نامت ، وعادتها أن ترقد على ظهورها ، وأقدامها مرفوعة فى الهواء ، وشخيرها قوى . وليس فى الوسع أن يتصور المرء جماعة من الحيوان أحسن أخلاقاً وأجدر بالحب .

ولما أدرت المحرك أخيراً وبدأت أرجع القهقرى ، رأى أسد صغير أن يعترض طريقنا ، فتحمس وتبعنا ، وكان العمل الوحيد الذى تؤمن عاقبته هو أن نقف ، لأن الأسد كغيره من فصيلة القطط ، يغريه الفرار بالمطاردة . وصوب مارتن بندقيته إلى رأسه .

ونظر إلينا الأسد مستغرباً أن نقف ، غير راض عن إفسادنا عليه متعة المطاردة فتشمم عجلة ، وعضها عضة خفيفة ، وتقبض أنفه لطعمها ، ثم شرع يتناولها بفمه ويزمجر كأنه جرو يلعب بكرة من المطاط . واقتربت الأسود الأخرى ووقفت تنظر فى كسل .

وقلق زوجى وقال بحذر : « إن خرقاً بسبب العجلة الآن لا يكون شيئاً حسناً ، ثم إن الانفجار قد يطير بلبه » .

فأسرعت بالسيارة لأشغل الأسد ، وأخرج المحرك سحابة من الدخان المزعج ، واغتنمت فرصة اشتغال الأسد باستغراب رائحة الدخان فاجتزت السهل .

وقررنا أن نصور عادات الأسد ليلاً بعد تصوير عاداته فى النهار ، ليكون عندنا تاريخ مصور واف لهذا الحيوان . فأقمنا أربعة مصابيح قوية على عمد طولها ست أقدام ، ثم ثبتنا آلات تصوير أوتوماتيكية على قواعد أمام المصابيح ، وهذه الآلات يديرها سلك طويل .

وكان علينا بعد ذلك أن نقوم بمهمة ثقيلة هى قتل أحد الحمر الوحشية لنتخذ منه طعماً ، ثم نحمل الضحية إلى نقطة تبعد ١٥ قدماً عن آلات التصوير ونقعد فى السيارة على مسافة مأمونة والبندقية معدّة ، والسلك مهيأ .

وكانت الضباع أول ما يقبل على الحمار ، فإذا سددنا إليها حجراً ورميناها به بإحكام فإن هذا يكون كافياً أحياناً لتفريقها ، ولكنه كان لا يسعنا إلا أن نضربها بالنار حين تجيء منها جماعات .

وبينما كنا ننتظر ذات ليلة مظلمة باردة متراكبة السحاب ، سمعنا حركة وصوت تمزيق ، وشهقة ثم زمجرة . فأضاء مارتن المصباح الكهربائى ، وإذا أمامنا ملك أسود تشجنيقة كلها، فرفع رأسه الكبير على مهل، وحدق بازدراء فى النور، وكانت قطعة دامية من لحم الحمار تتدلى من فمه ، ولكن هذا المنظر على بشاعته لم ينل من جلاله .

وتهيأ زوجى لإضاءة الأنوار وإدارة آلات التصوير ، فألقى الأسد اللحم ، وزأر ثم عاد فعكف على طعامه . وانضم إليه أسود أخرى، فصاروا جماعة شائقة المنظر، وأخلق بصورها أن تكون بديعة .

وهمس مارتن : « هذا شيء عظيم » وضغط الزر ، فلم يحدث شيء ، فضغطه ثانية فلم نر أثراً لوميض ، فنزع الأسلاك من الزر وجمع أطرافها ، على غير جدوى .

فقال : « أحسب أنه لا يسعنا أن نفعل شيئاً آخر ، ولا بد أن أذهب وأصلح الخلل » . وغادر السيارة قبل أن يتسنى لى منعه ، وأمسكته من بنيقته وقلت وأنا أكاد أبكى : « هذا جنون » .

فكان كل ما قاله : « هاتى البندقية القصيرة » .

فطردت الأسود عن الفريسة بأن ألقيت على وجوهها أنوار سيارتنا ، وبالنفخ فى بوقها وبالصياح ، فارتدت مسافة عشرين ياردة ، واستطاع زوجى فى دقائق قليلة كنت أحس أنها الأبد ، أن يصلح الأسلاك ويعود إلى السيارة . وكنت خائرة متهافتة ، وشرع مارتن فى العمل فوراً ولكنى

كنت أرى أنه هو أيضاً يرجف قليلا .

وفرغ الأسد الملك من أكل فريسته ، فرأى أن يفحص عن آلات التصوير ، وعض إحداها على سبيل الاختبار .

فصاح به مارتن وقد خرج عن طوره كل الخروج : « اترك هذه الآلة » .

فنظر إلينا الأسد الجليل بغير احتفال ، ثم بدأ يعمل أسنانه فى المنصة التى وضعت عليها الآلة ، فانهار كل شىء

ووثب مارتن من السيارة مرة أخرى وجعل يرميه بالحجارة ، وأقبل أسد صغير وشد الأسلاك حتى فك كثيراً منها .

ولبثنا هكذا نقذف الحجارة ، ونصيح ونطلق النار فى الهواء ، ولكن هذين الأسدين لم ينصرفا إلا بعد أن قوضا كل شىء : الأسلاك جميعاً ، والمولد الكهربائى وآلة التصوير والعمود ، ثم ارتدَّا وهما يحركان ذيلهما زهواً . وهكذا حبط سعينا للتصوير على ضوء المصابيح .

ولعل أمثال هـــذه التجارب هى التى جعلتنا ننظر إلى هذه السباع الكبيرة كأنها قطط أليفــة وحملتنا على التهور قليلا . فكنا فى يوم حارّ نمشى ومعنا آلة التصوير وحملة البنادق ، فإذا بأسد نائم على مسافة ٣٠ ياردة منا ، فوثب إلى قدميه على الفور ، وردّ أذنيه إلى الوراء وهزّ ذيله ، وزمجر .

فقلت : « لست مطمئنة إليه يا مارتن » وأشرت طالبة بندقيتى فقال مارتن: «أوه ، إنه ثائر قليلا ، ولكن هـذا كل شىء » وأدار الآلة . ثم شرع الأسد وهو يغمغم ، يمشى إلينا ، وذيله يضرب جنبيه ، وعضلات كتفه القوية تختلج تحت جلدته الصفراء اللامعة ، وربض وحدق فينا بعينين تنطقان بالمقت المتلهب، ثم هجم . واستمرت يد مارتن تدير الآلة ، بغير تفكير .

ووثب نحونا — عُفْرتُه منفوشة ، وأنيابه بادية — فأطلقت النار وبى ذهول ، ودون أن أكون مدركة لما أصنع . وبدا الأسد كأنه معلق فى الهواء وسقط على ثلاث عشرة قدماً من قوائم الآلة .

وكانت مغامراتنا فى بعض الأحيان مثيرة للنفس ، وأحياناً كانت كدًّا مرهقاً ، وقاسينا فى أحيان أخرى ما لا يكاد يحتمل من المصاعب . على أن جملة ما خرجنا به هو الذى كان يعنينا ، وكان من أعظم دواعى الاغتباط أن نستطيع أن نعرض حياة هذا السبع النبيل على الملايين الذين كانوا يظنون أنه وحش غادر سفاك للدماء .

وقد قمت أنا ومارتن بعدة رحلات أخرى بعد أن أتممنا تسجيل حياة الأسود ، فذهبنا إلى الكونجو البلجيكية فى ١٩٢٩ ، وهى بلاد الأقزام والغورلّى ، ولبثنا هناك عدة شهور

وصورنا صوراً حسنة للأقزام وللغورلّى وعدنا ومعنا اثنان حيان من الغورلّى .

وفى سنة ١٩٣٢ تعلم كلانا الطيران ، فقطعنا بطيارتين جميلتين بريتين مائيتين ٦٠,٠٠٠ ميل فوق أدغال إفريقية دون أن يقع لنا حادث لحسن الحظ ، ولم ينقض لنا عجب قط من الحرية التى منحتنا إياها طائرتانا . وكانت الجبال والأدغال والسهول منظراً متراميا تحتنا ، وكنا نرى من الجو جموع الفيلة المهاجرة ، وأسراباً من البلشون الأبيض وزرافات لا عداد لها ، وحيوانات الصيد فى السهول ، ولا نلمحها حتى نكون قد صورناها ، وكنا نستطيع أن نهبط فى مواضع يتعذر الوصول إليها فى العادة ، ولم تطأها قدم رجل أبيض من قبل ، وأن نصل إلى أهالى قبائل غريبة نائية .

واستخدمنا إحدى الطائرتين فى رحلة أخرى إلى بورنيو ، وقضينا أربعة عشر شهراً فى هذه البلاد الحافلة بالأنهار والأدغال وصيادى الرءوس . ورحب النقاد بما صور مارتن فى هذه الرحلة وعدوه خير ما صنع ، فسرّ بهذا وسعد .

وقد كان هذا الرضى دأبه فى ما يلقيه من محاضرات وما يعرضه من صور حتى قلت له يوماً : « لكنك لا تصف لأحد مبلغ الكدّ الذى تجشمته فى الأدغال ، وكيف كنت تقف وكأنك تستحم بعرقك ساعات على أحواض التحميض ، ووراء آلات التصوير ، وآلات تسجيل الصوت المتآكلة ، أو كيف رأيت عمل شهور — ٢٠,٠٠٠ قدم من الشريط — يتلفه العفن »

ففكر زوجى فى هذا ثم ابتسم : « لقد كانت هذه مسلاة أيضاً ، حتى مشقة العمل كانت فيها متعة »

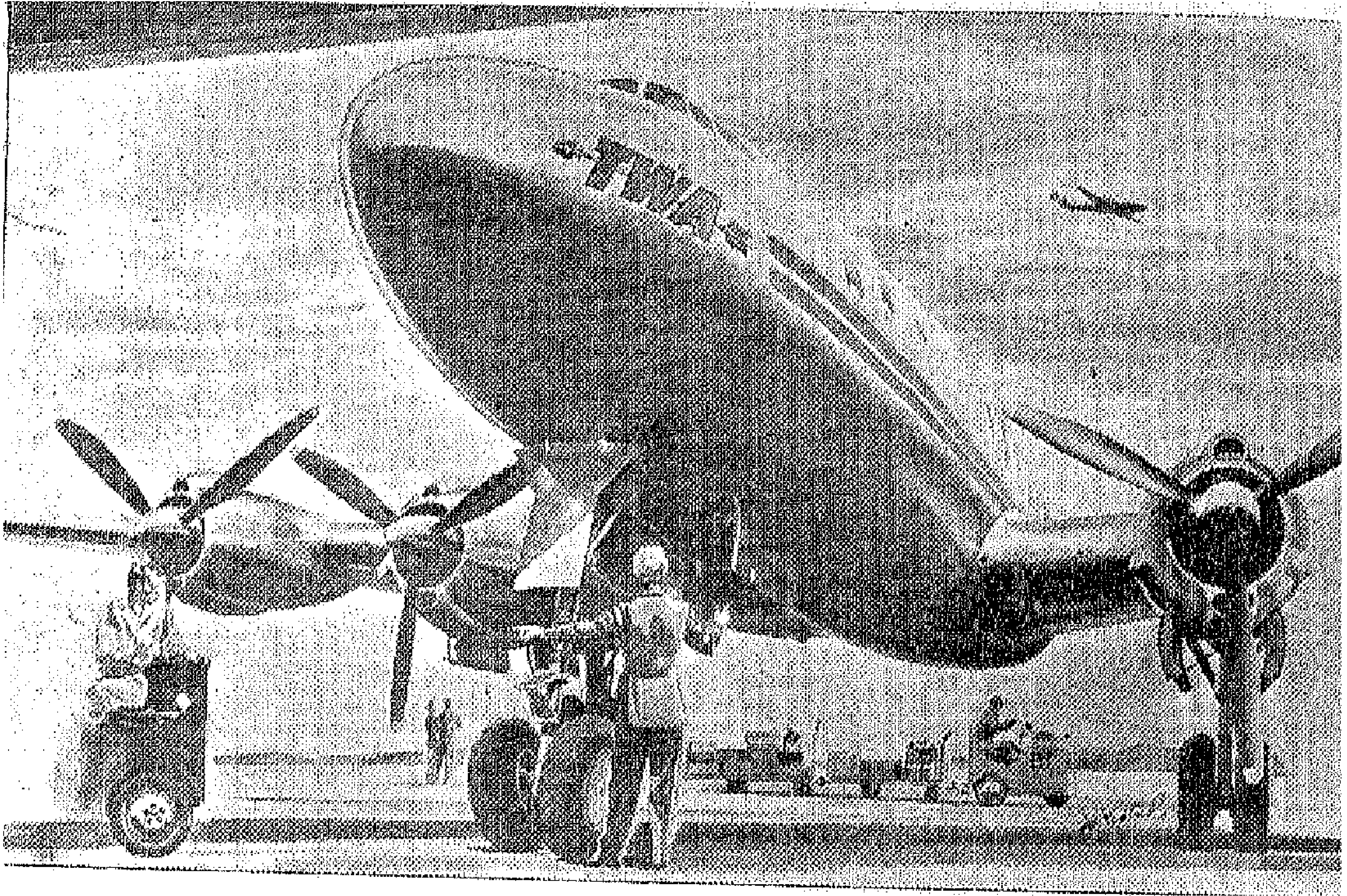
وفى صباح اليوم التالى كنا فى المطار لنركب الطائرة الذاهبة إلى كاليفورنيا ، فتحدثنا عن شراء منزل ، وهو أمل كان مارتن يخشى أن يكون قد فاتنى تحقيقه ، فزوى ما بين عينيه وهو يفكر ويقول : « ترى ماذا يصنع المرء فى هذا الامر — أمر الأطفال ؟ »

فقلت — وكنت أتكلم بسرعة وحماسة :

« لم أكن أدرى أنك فكرت فى هذا ، ولكنى اهتديت إلى ما ينبغى عمله . وأما عن البيت فإنا نستطيع أن نشترى بيتاً صغيراً فى الريف فيه سعة كافية لحيواناتنا الأليفة »

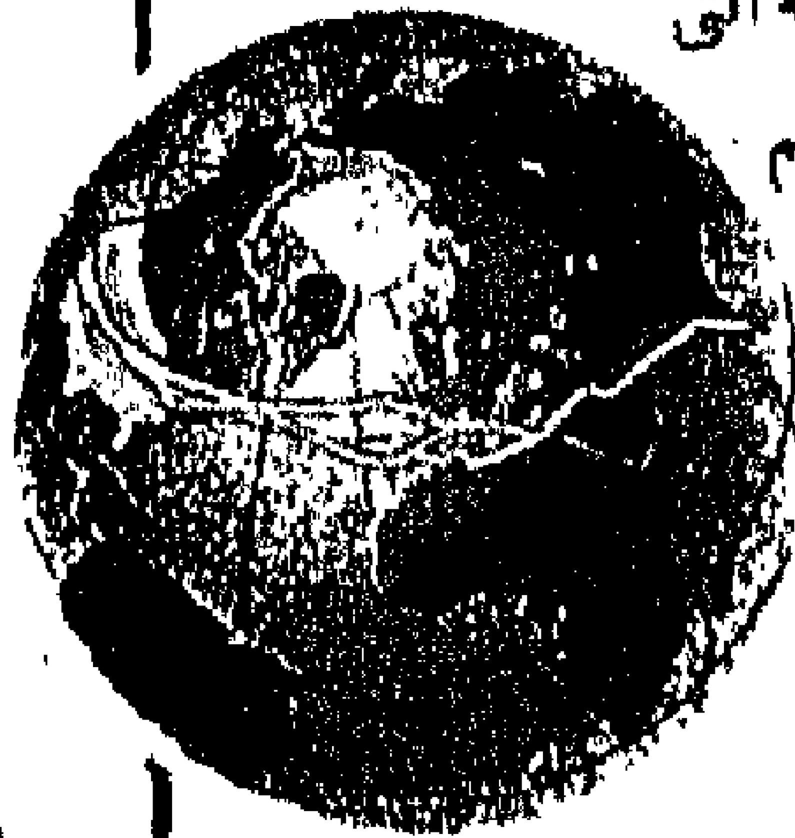
« نعم ويستطيع الأولاد أن يلاعبوها »

ودخلنا فى طائرة الركاب الكبيرة فقال وهو يبتسم : « هذه فكرة حسنة » . ودارت المحركات ، وسارت الطائرة على المدرج ، ونظر مارتن إلى ، وهو لا يزال يبتسم . ولن أنسى هذه الابتسامة ما حييت ، فقد سقطت الطائرة وتحطمت ، وقتل مارتن .



معروفة فى كل مكان

كل إنسان ملم بالطيران فى أية بقعة من بقاع العالم ، لا يحتاج إلى الاستدلال على الطائرة المبينة فى هذه الصورة . إنها طائرة لوكهيد ستارليشن المشهورة التى وضعت تصميمها مؤسسة «ت . و . ا » للقيام بالرحلات الجوية البعيدة على أيسر وجه وأعظمه راحة وأمناً . وإن الأرقام القياسية التى سجلتها هذه الطائرة والأصدقاء الذين كسبتهم فى كل بلد حلت فيه ، لأعظم دليل على ما أظهرت مؤسسة «ت . و . ا » من ثاقب نظر وصدق فراسة حين وضعت تصميمها للخدمة الجوية بين جميع أقطار الأرض .



ماهى "ت . و . ا" ؟

* «ت . و . ا » لها خبرة نيف و ٢٠ عاماً فى الطيران .

* «ت . و . ا » كانت أول شركة استخدمت طائرات النقل ذات المحركات الأربعة فى الأسفار التجارية .

* «ت . و . ا » سجلت ٢٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ ميل فى المواصلات الدولية تشمل أكثر من ٩ر٠٠٠ رحلة فوق المحيطات .

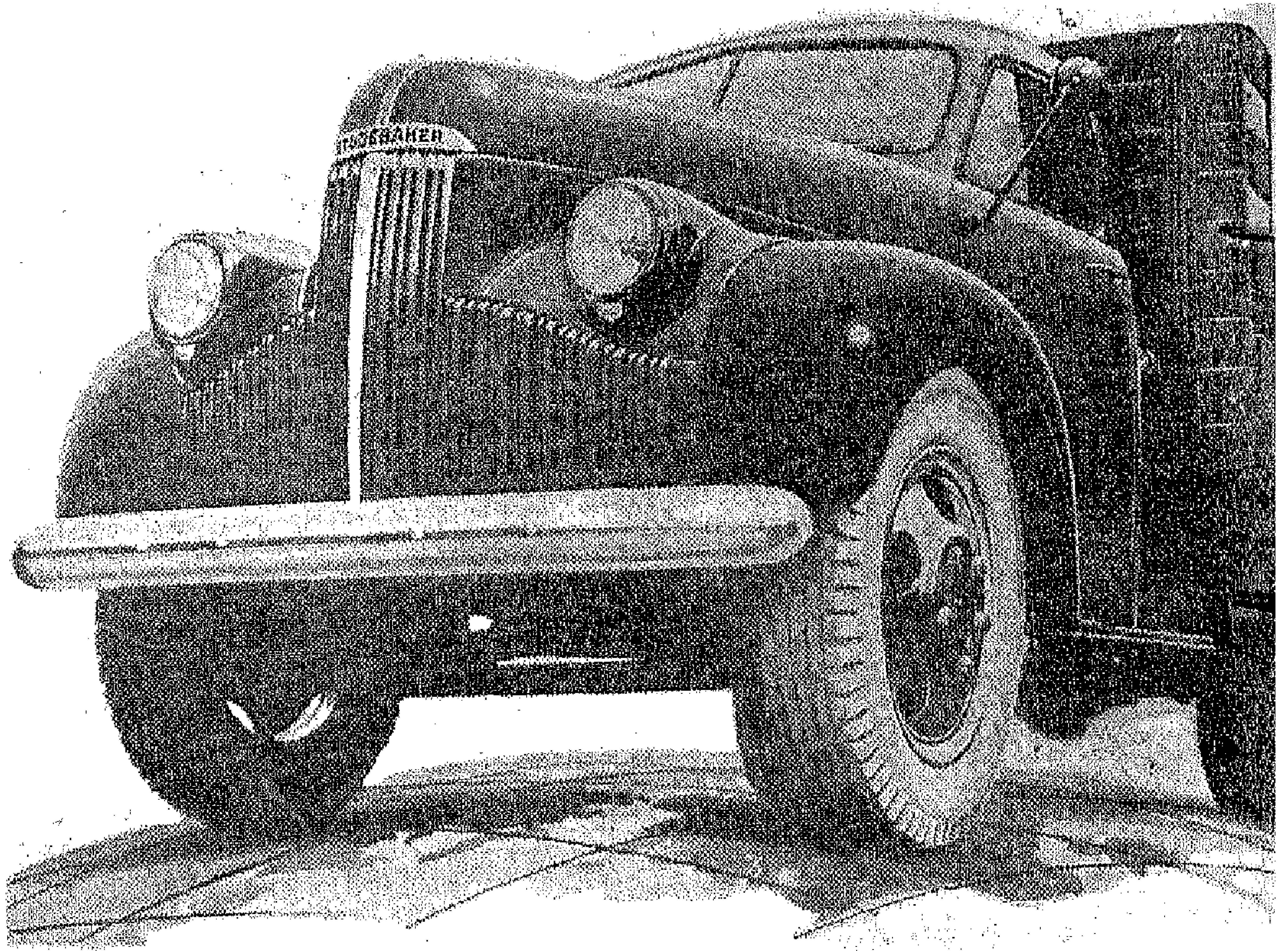
* «ت . و . ا » كانت أول من نظم رحلات منتظمة الجداول على مدار العام فوق شمال المحيط الأطلسى .

* «ت . و . ا » صممت طائرة لوكهيد كونستليشن ذات الشهرة العالمية ، التى سجلت فى طيران المدى البعيد أرقاماً قياسية للسرعة لم تسجلها طائرة تجارية أخرى .

TWA

الخطوط الجوية العالمية

مواصلات مباشرة بمصر مع ما بين : الولايات المتحدة . نيوفوندلاند . إرلندا . فرنسا . سويسرا . إيطاليا . اليونان . المملكة المصرية . فلسطين . شرق الأردن . العراق . المملكة العربية السعودية . اليمن . عمان . الهند . سيلان . البرتغال . إسبانيا . مراكش . تونس . ليبيا .



فى جميع أنحاء العالم ...
المؤسسات التجارية المشهورة تصطفى
مركبات النقل "ستودبيكر"

بين الأسماء المعظمة ألفه قوية . ولا شك فى أنك تكون واحداً من جماعة ممتازة حين تتمتع بمركبات النقل ، المتينة ، السلسة « ستودبيكر » .

وكثير من المؤسسات التجارية ذات الأسماء اللامعة فى آفاق العالم اصطفت من سنين سيارات النقل « ستودبيكر » لما تمتاز به من خدمة طويلة واقتصاد فى الأداء .

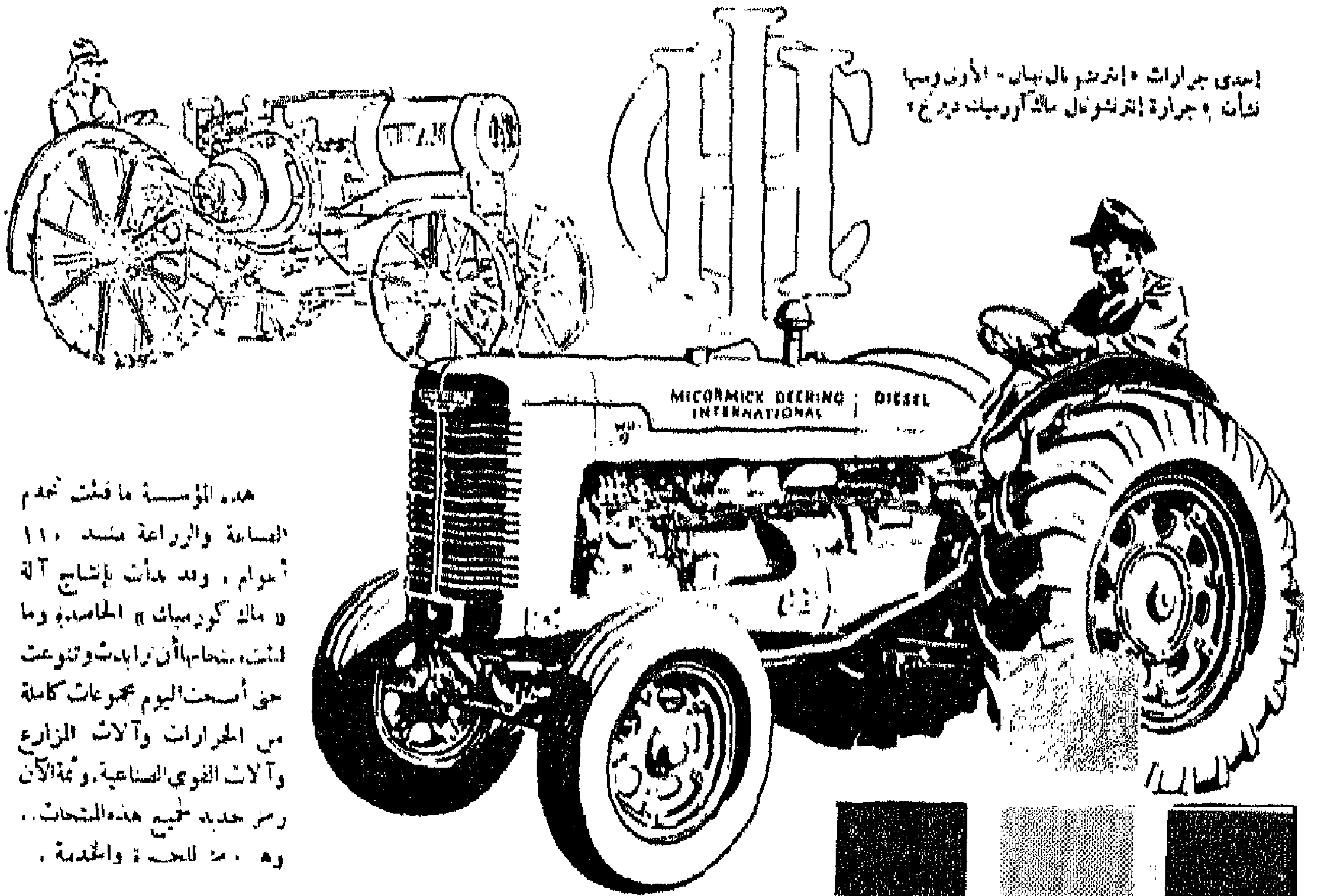
وفى خلال الحرب أصبحت مؤسسة «ستوديبيكر» من أعظم الشركات لصنع سيارات النقل فى العالم . أما الآن فإن مهارة «ستوديبيكر» المنقطعة النظير ، التى أنتجت ١٩٧٫٦٦١ سيارة نقل عسكرية قوية ضخمة لقوات الأمم المتحدة ، هذه المهارة توضع اليوم فى خدمة الجمهور إذ تنتج له أجود مركبات النقل التجارية وأعلاها نوعاً .

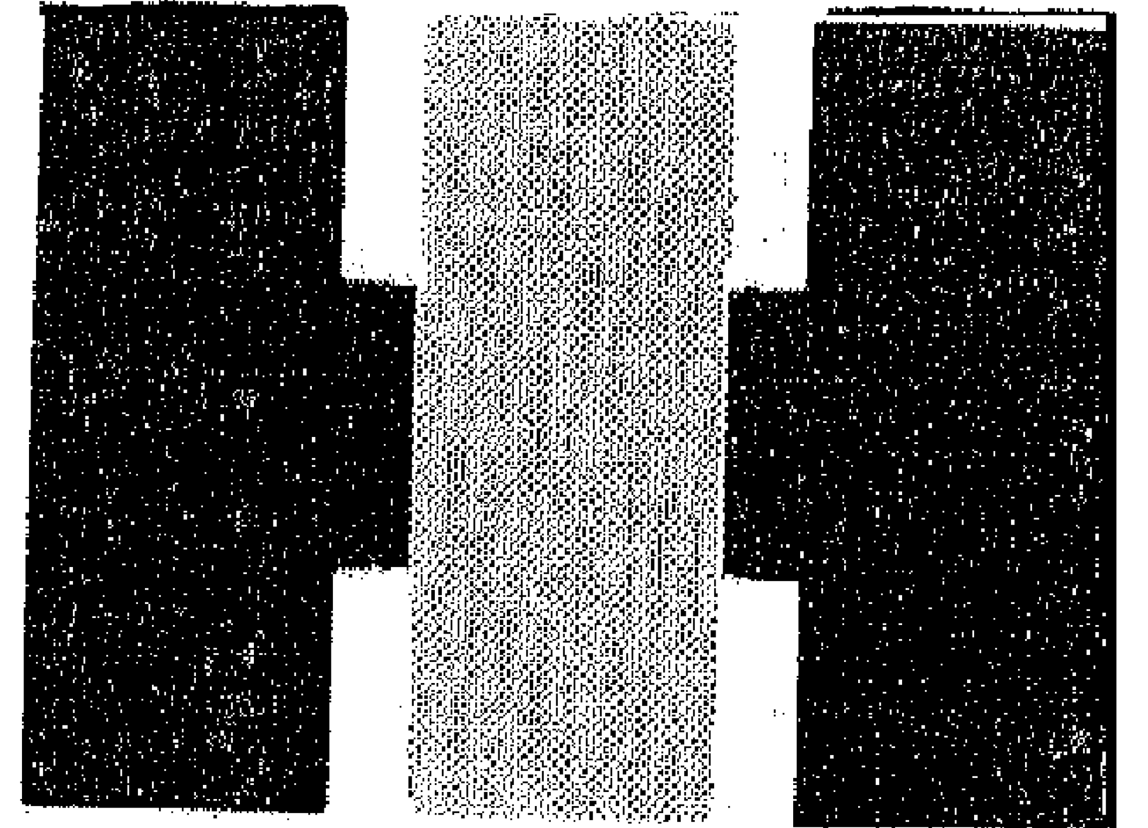
كما أن مؤسسة « ستود بيكر » على استعداد الآن لخوض غمار الأسواق بسيارتيها الجديدتين لعام ١٩٤٧ «شامپيون » و« كوماندر» — وهذه السيارات الجديدة فى تصميمها — الفريدة فى مظهرها — هى أول وأبدع « سيارات جديدة لعالم جديد » .

The Studebaker Export Corporation
South Bend, Indiana, U. S. A. Cables: Studebaker

Studebaker

مشهور فى جميع أرجاء العالم كرمز الامتياز فى السيارات ومركبات النقل





هذا الرمز الجديد دليل إلى منتجات إنترنشونال هارفستر إنه رمز الخبرة والخدمة



مرت سنون عديدة منذ أن اتخذ رمز « IHC » دليلا على كل آلة تنتجها شركة « إنترنشونال هارفستر » . ومنذ ذلك الوقت اتسع إنتاج شركة « إنترنشونال هارفستر » وأصبح يشمل مجموعات كاملة من كميونات « إنترنشونال » وآلات القوى الصناعية « إنترنشونال » وجرارات « ماك كورميك ديرنج » ومعدات المزارع « إنترنشونال .. » وهذه الآلات تخدم الصناعة والزراعة في جميع نواحيها

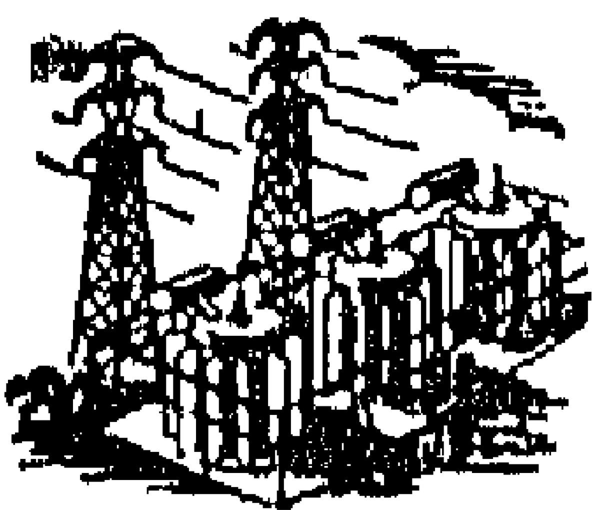
وإن ما تمتاز به منتجات « إنترنشونال هارفستر » من متانة البناء ، وكمال الأداء ، والاقتصاد ، تبرهن عليه الخدمات الفائقة التي تؤديها لمستعمليها في جميع أنحاء العالم . فابحث إذن عن هذا الرمز الجديد حينما تحتاج إلى مثل الآلات التي تنتجها مؤسسة « إنترنشونال هارفستر » . إن هذا الرمز عنوان الشهرة المرموقة والتقدير العظيم في العالم أجمع ... كما أنه عنوان على الخدمة الفائقة للصناعة والزراعة :

INTERNATIONAL HARVESTER EXPORT COMPANY
Harvester Building Chicago 1, U.S A

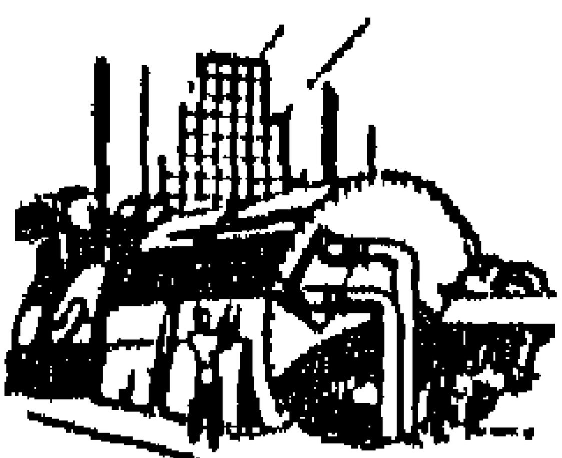
سيارات النقل إنترنشونال — آلات القوى الصناعية إنترنشونال
جرارات ماك كورميك ديرنج ومعدات الزراعة إنترنشونال

INTERNATIONAL HARVESTER

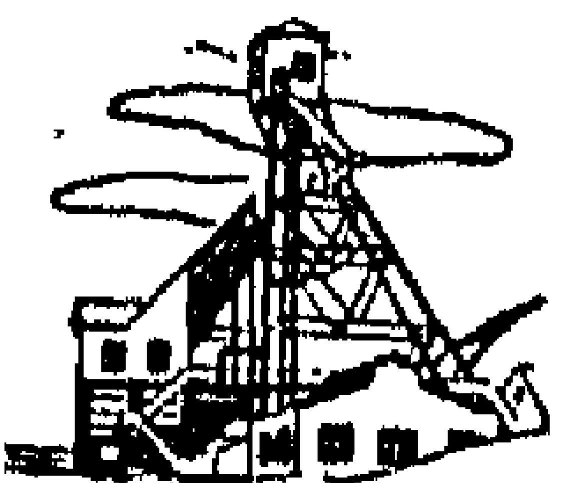
أكثر من ١٦٠٠ من المنتجات للصناعة



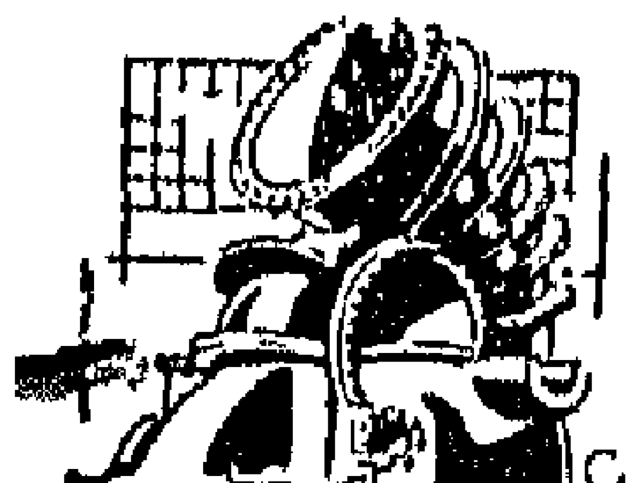
معدات كهربائية



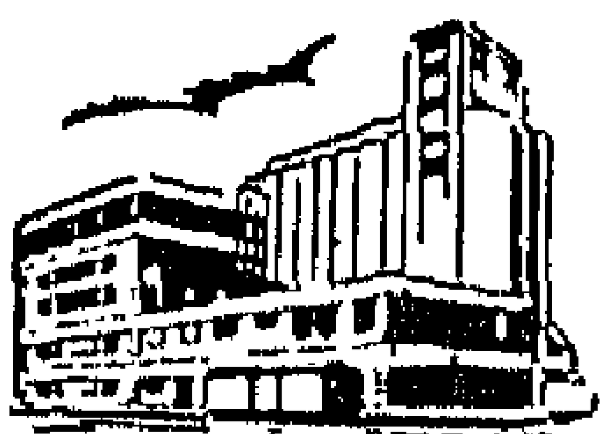
توربينات مائية وبخارية



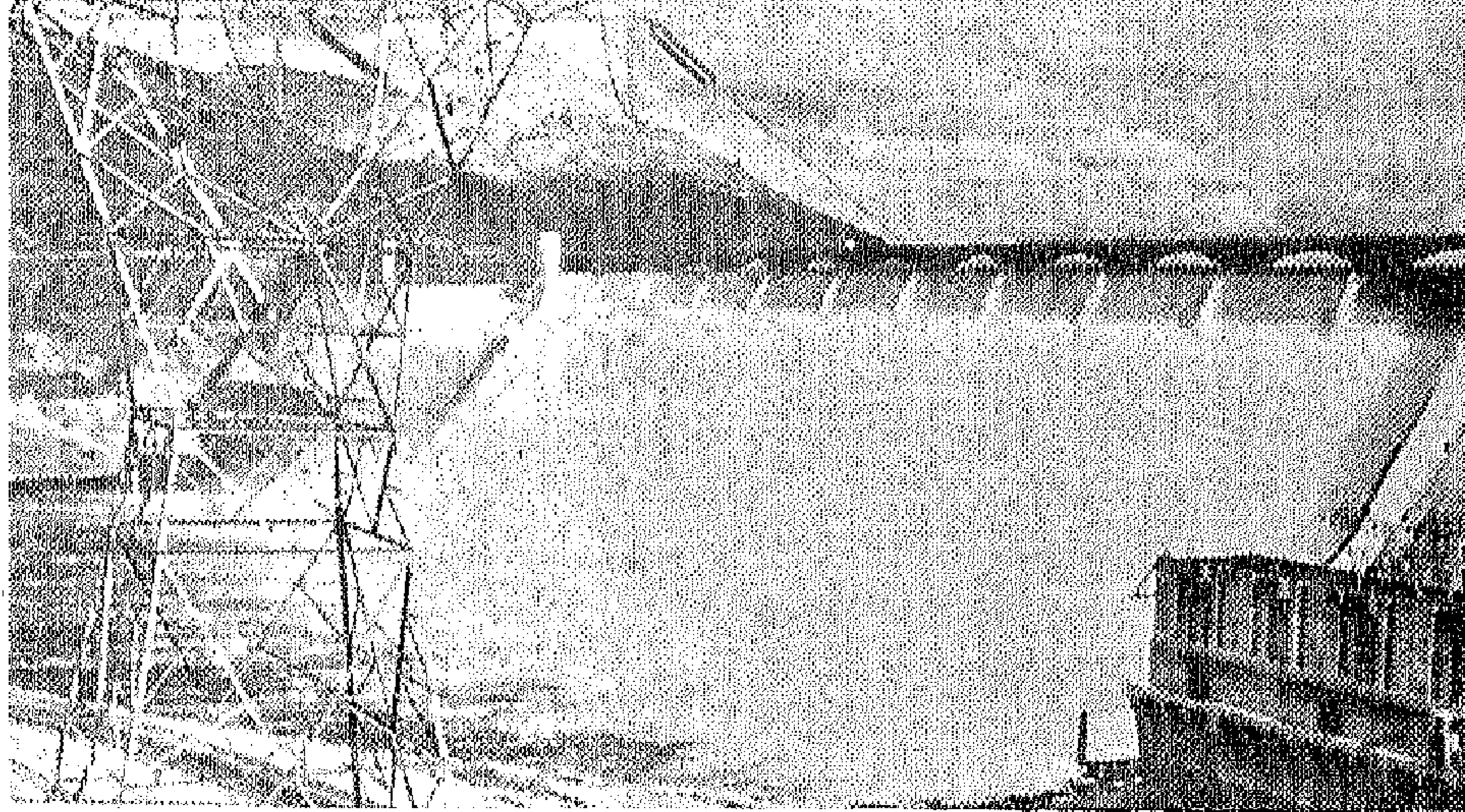
آلات للاسمنت والتعدين



مضخات



آلات لطحن الدقيق



يمتاز الكهرباء اليوم عن أي عامل منفرد آخر بأنها أساس لحياة أرغد . فهى القوة التى تسيِّر الآلات الحديثة وتضىء المدن العصرية . وهى القوة المحركة وراء آلاف من المنتجات وعليها تقوم الرفاهة ووسائل الراحة فى كثير من الشئون .

وإحدى المسائل التى شرعت مؤسسة « أليس شالمرز » فى بحثها منذ سنين ، هى كيفية توليد الكهرباء من أحسن الطرق وعلى أفضل وجه . لقد تعلمنا كيف تبنى تربينات مائية وبخارية ذات مقدرة فائقة ، تولد القوة الآلية لتسيير مولدات ضخمة . كما أننا نصنع هذه المولدات ذاتها — والمحولات وآلات الضبط وغيرها من الآلات اللازمة لضبط التيار الكهربائى وتوزيعه بطريقة اقتصادية على المراكز الحيوية .

على أن هذا الميدان هو واحد من ميادين عديدة نقوم بخدمتها . فمن ثمانية مصانع هائلة ، تنتج مؤسسة « أليس شالمرز » أكبر مجموعة من معدات الصناعات الرئيسية فى العالم . استشر أقرب وكلائنا إليك لمساعدتك على حل أية مشكلة فى الآلات الخاصة بصناعتك .

ALLIS (A-C) CHALMERS

MILWAUKEE 1, WISCONSIN U.S.A.

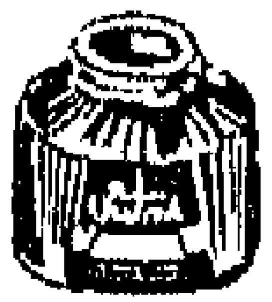
القطر المصرى والسودان : الشركة الأمريكية الشرقية للتجارة والملاحة ، ش . م . م ١٠٠، ٤ شارع عقبة زغلول ، اسكندرية ، و ٢١ شارع سليمان باشا ، القاهرة — العراق وشرق الأردن : الشركة الأمريكية العراقية للملاحة لمتد ٢٨٢ / ٩ شارع المستنصر ، بغداد ، وشارع الملك فيصل ، البصرة — الحبشة أميريكان إيسترن كوربوريشن ، أديس أبابا — المملكة العربية : أميريكان إيسترن كوربوريشن جدة — إيران وأفغانستان : أميريكان إيسترن ، ش . م . ١ . ، ٩٢٦ شارع شاه ، طهران . وبناء نادى البحرية الأمريكية سابقاً ، خورامشاهر — وهناك مراسلون لشركة « اليس شالمرز » فى مختلف البلاد القريبة والبعيدة .

حبر باركر كوينك
يمنع اضطرابات القلم
قبل
أن تبدأ





- يمنع تآكل المعدن وبلاء المطاط اللذين تسببهما المواد الزائدة الحموضة .
- يقف لزوجة المداد وتكاثفه فيتيح للقلم بدءاً سريعاً — وانسياباً سوياً .
- ينظف القلم أثناء الكتابة . . . ويحفظه دائماً فى حالة صالحة للعمل .
- يذيب الرواسب التى تخلفها الأحبار العادية ويطردها .



PARKER Quink

الحبر الوحيد الذى يحتوى
مادة « Solv-x » الواقية للأقلام !

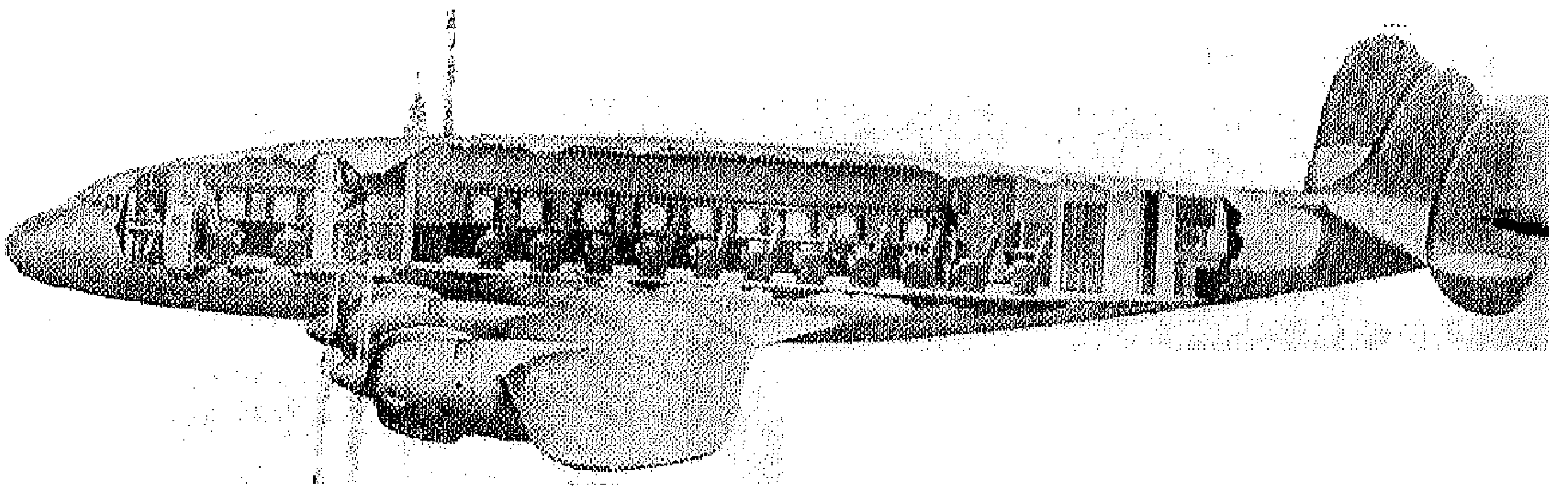
إن الخبراء يؤكدون أن ٦٥٪ من اضطرابات الأقلام سببها الأحبار العادية الزائدة الحموضة . غير أن حبر « باركر كوينك » الذى يحتوى عنصراً واقياً Solv-x يمنع أغلب اضطرابات الأقلام .

حبر « كوينك » اللامع ، الميسّر الانسياب هو وحده الذى يحتوى Solv-x ٧ ألوان ثابتة ، لونان قابلان للغسل .

تستطيع الآن أن تسافر طائراً فى طائرات

CONSTELLATION

فتوفر الساعات فى الطيران بين الشرق الأوسط وسائر بلاد العالم



حجرة ذات هواء عادى! إن طائرة «كونستليشن» هى وحدها التى تضم هذه الميزة! فى أثناء تحليق الطائرة فى الطبقات العليا، يظل «مستوى» الجو فى الحجرة طبيعياً لكى يتاح أكبر قسط من الراحة للركاب.

فرامل هوائية! إن المصاريع المسجلة التى ركبت فى أجنحة «لوكهيد» تهيء للطائرة أبطأ سرعة تستطيع أن تطير بها طائرات النقل الكبيرة عند هبوطها إلى الأرض.

قوة مضاعفة للأمان! إن طائرة «كونستليشن» يمكنها اليوم أن تطير بواسطة أى اثنين من محركاتها الأربعة. وفى هذا ما فيه من أمان خلال الرحلات!

مهندس طيران! بفضل ضم مهندس الطيران إلى رجال الطائرة نقلت أعباء مراقبة العدادات والأجهزة مقدار ٦٠٪ عن كاهل القائد والضابط الأول فأصبح فى إمكانهما تركيز كل جهدهما فى قيادة الطائرة قيادة محكمة سهلة.

خابر الوكيل المحلى للأسفار أو أحد هذه الخطوط الجوية الكبرى:

أميريكان أوفرسيز ارلاينز • پان أميريكان • ت . و . ا . • إيسترن إرلاينز • پاناجرا • الحكومة الفرنسية • ك . ل . م • ك . ن . ا . ل . م . • بريتيش أوفرسيز اروين

سرعة أكبر!

راحة أكبر!

أمان أكبر!

عندما تسافر طائراً . . . فى كوكبة

CONSTELLATION

Lockheed Aircraft Corporation, Burbank, California.

أوتو لايت

AUTO-LITE

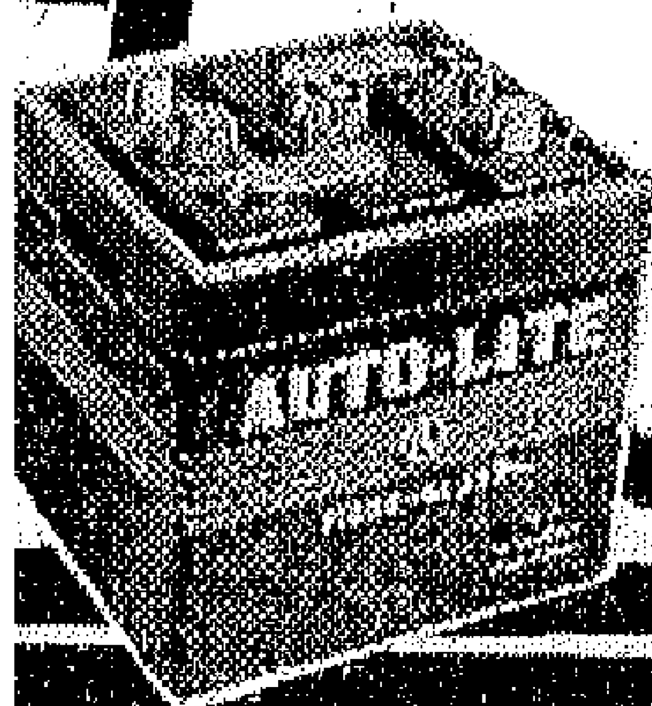
تخدم سيارتك

سواء أكنت فى حاجة إلى استبدال شمعة من شموع الاحتراق فى سيارتك وحسب أم إلى ترميم الجهاز الكهربائى بأكمله ، فإنك تستطيع أن تثق من حصولك على الخدمة المضمونة إذا اعتمدت على أوتوليت .

إن مؤسسة أوتوليت أكبر المصانع المستقلة فى العالم لإنتاج معدات السيارات الكهربائية — شموع احتراق ، بطاريات ، أجهزة القيام والتوليد ، أسلاك — فلا عجب أن تجد أن أوتوليت هو الإسم الذى تدعمه القدرة الفنية الصحيحة .

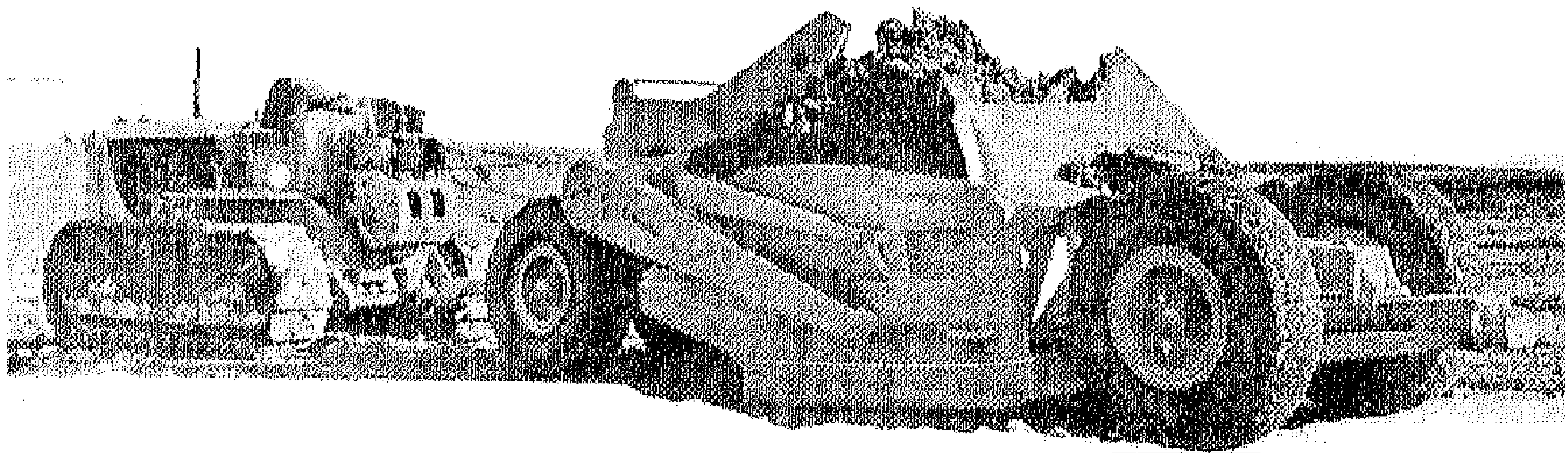
ابحث إذن عن إسم أوتوليت على جميع أجهزة القيام والإضاءة والإشعال.

THE ELECTRIC AUTO-LITE COMPANY
Export Division
Chrysler Building, New York 17. N.Y., U.S.A.



AUTO-LITE أجهزة للقيام والإضاءة والإشعال

تقدم لك اليوم
آلات كاملة
لنقل الأتربة



إن « كاتربيلر » تصنع اليوم المسالف (ممهدات الطرق) ومعدات الجرف الخاصة بها — لتهيئ للمقاولين وأصحاب الصناعات ومصالح الحكومة معدات مثالية كاملة لنقل التراب .

وتمتاز هذه المعدات بمزايا آلية فريدة تتيح لك المزيد من المقدرة والاقتصاد في العمل . ولا غرو فهي من تصميم وإنتاج نفس الشركة التي تنتج الجرارات التي تحركها ، ويبيعها ويشرف على خدمتها هيئة واحدة للتوزيع وهي أكفأ الهيئات وأوسعها إنتشاراً وأدناها إلى خدمة زبائنها العالم كله .

خابر وكيل « كاتربيلر » للحصول على جميع البيانات الخاصة بالوحدات الجديدة لنقل التراب .

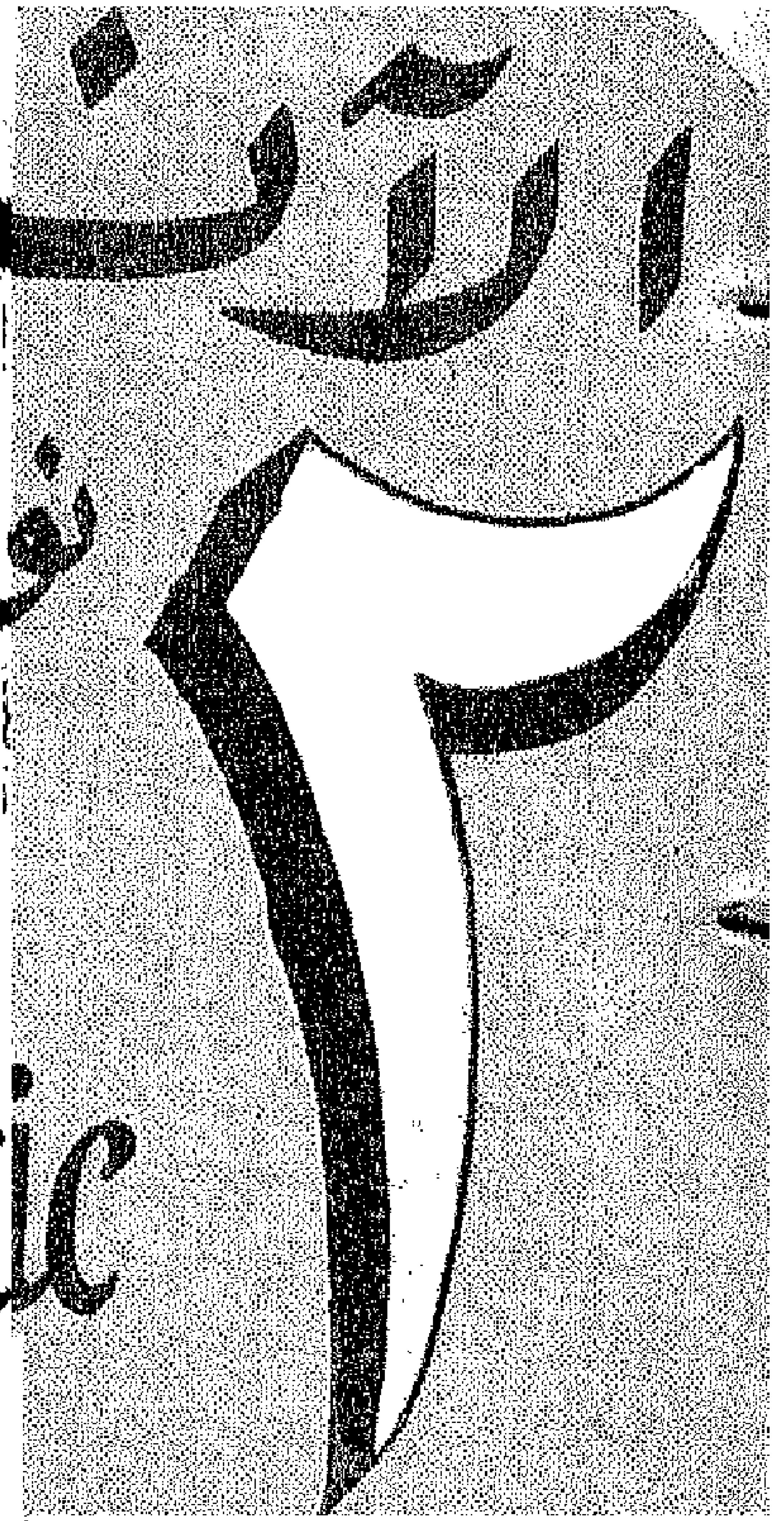
CATERPILLAR TRACTOR CO., PEORIA, ILLINOIS, U.S.A.

CATERPILLAR DIESEL

ماركة مسجلة

محركات • جرارات • ممهدات الطرق • معدات جرف التراب

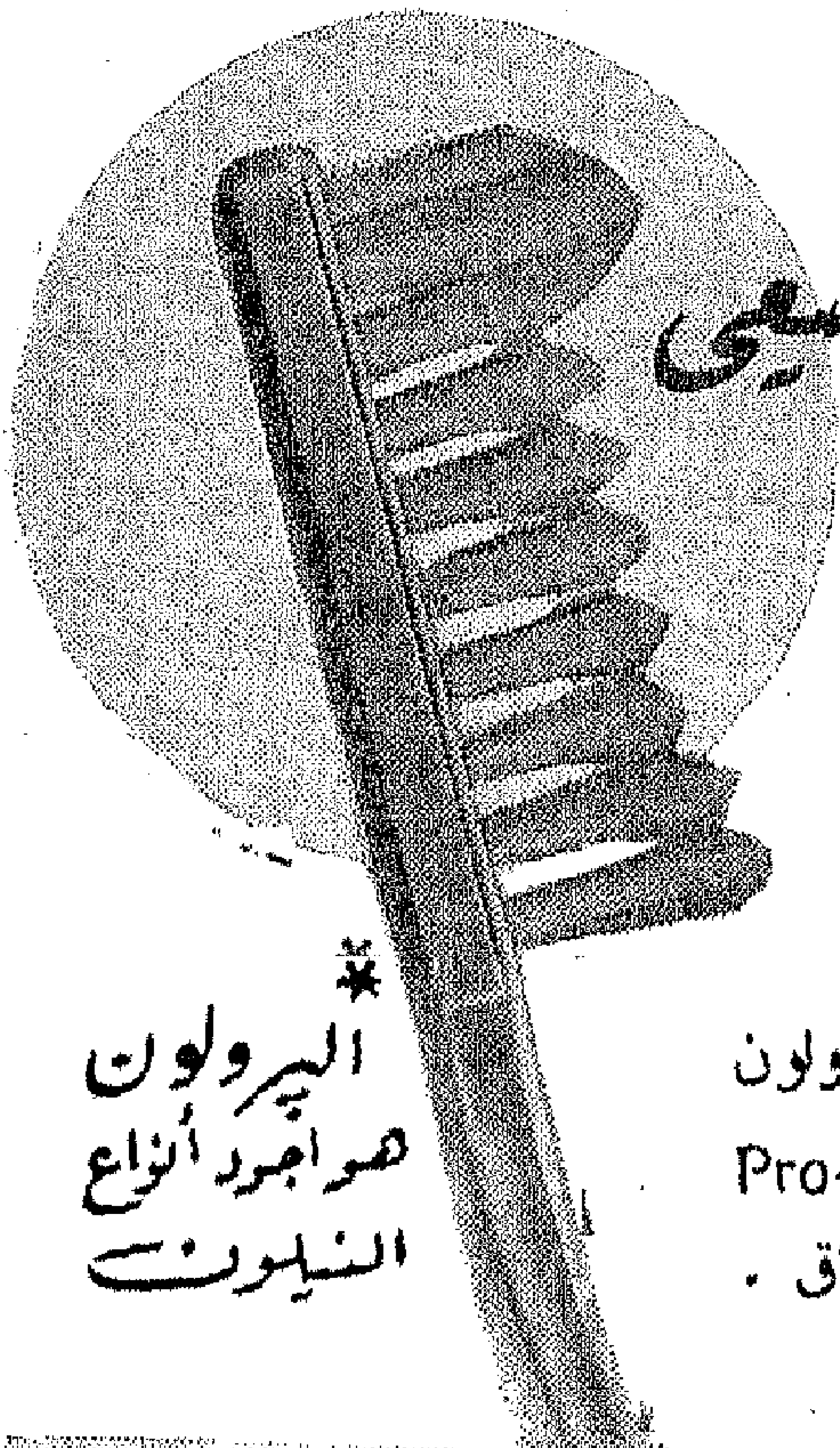
الآن



٣ أنواع من فرش الأسنان

پرو - فى - لاك - تيك

Pro-phy-lac-tic



فقد عادت الفرش ذات **الشعر الطبيعى**

وهناك أيضاً فرش

پرولون*

إذا شئت وفضلت

سواء كنت تفضل الشعر الطبيعى أو شعر پرولون فليس هناك إلا صنف Pro-phy-lac-tic واحد — هو أجود الأصناف على الإطلاق .

ويباع فقط فى العلبة الصفراء المشهورة .

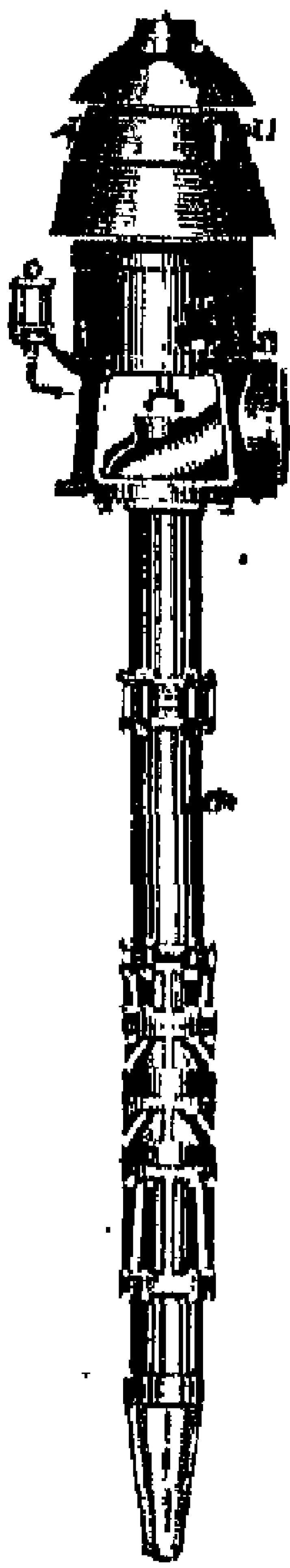
* البرولون هو أجود أنواع النيلون

مازالت تنظف الأسنان منذ ٥٨ عاماً

مصممة بحيث تحتاج

الى أقل

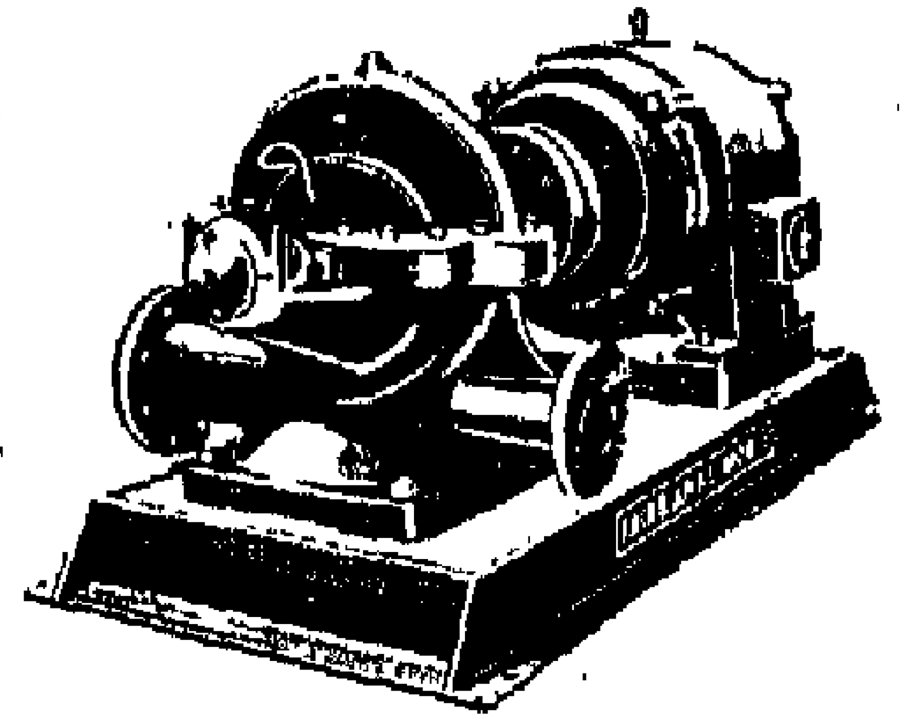
صيانة



ان الخبرة ١١٦ عاماً فى مضمار الصناعة قد أتاحت لمؤسسة « فيربانكس - مورس » أن تزود مضخاتها بثلاثة ضمانات هامة لكى تجنب مستعملى هذه المضخات التعرض لكثرة تغيير القطع أو تكاليف الصيانة المرهقة .

مضخات تربين فيربانكس - مورس للآبار العميقة مصنوعة على قوائم مفتوحة أو مغلقة وعلى نوعين : نوع يشحم بالزيت والآخر يشحم بالماء وذلك لتصلح لجميع المطالب التى يقتضيها العمل بالكهرباء أو الديزل أو الجازولين .

حين تصنع كل مضخة نضع نصب أعيننا الأحوال التى ستستخدم فيها . ثم تمر المضخة بسلسلة تجارب لاختبار صلاحيتها قبل تسليمها . وترفق معها تعليمات مفصلة وبيانات كاملة عن طريقة إدارتها واستعمالها .



مضخات فيربانكس — مورس المركزية متاحة فى جميع الأحجام والطاقات لجميع عمليات سحب الماء .

هذه العوامل مجتمعة لا تهيىء فقط أقل حد من نفقات الاستهلاك والصيانة بل تتيح أيضاً للمضخة أن تؤدى عملها سنوات طويلة بأقصى حد من القوة .

لكافة الاستعلامات خابر وكيل أو موزع « فيربانكس — مورس » .

شركة شمال شرق أفريقيا التجارية
القاهرة - الاسكندرية

ف . ا . كتانه دمشق
بيروت — طهران

ف . ا . كتانه وشركاه
ليمتد بغداد

جوزيف ج . روزجولد . تل أبيب
(مضخات التربين ذات التشحيم المائى)

م . برجر . تل أبيب
(جميع المنتجات ما عدا مضخات التربين ذات التشحيم المائى)

Fairbanks, Morse & Co., Inc.

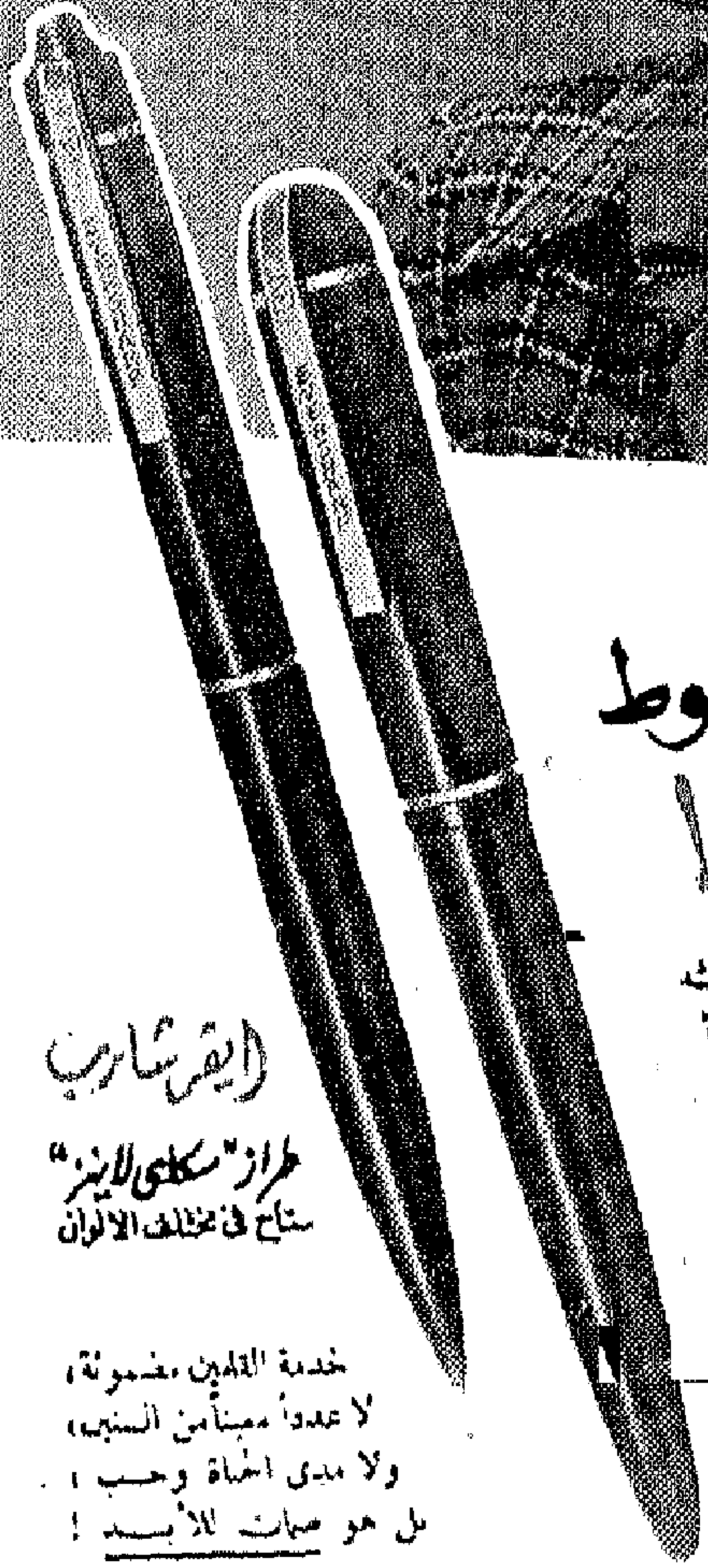
تأسس سنة ١٨٣٠

إسم جدير بأن تتذكره



محركات ديزل . محركات كهربائية . مولدات . مضخات .
أجهزة مائية . معدات المزارع . مطاحن هوائية . مقاييس .
معدات السكك الحديدية .

Export Division
80 Broad St. New York 4, U. S. A.



لماذا يفضل المسافرون على الخطوط الجوية العالمية قلم

خزانه السحرى المشهور يمنع تسرب الحبر ورشحه فى طبقات الجو العليا — وكذلك الحال على اليابسة بالطبع ! إن الخزان السحري يجعل الحبر ينساب انسياباً ناعماً على أي ارتفاع . . ومهما كانت حالة الطقس . وهذا يضع حداً لتلطخ الأصابع واتساخ القلم . . . كما أنه تكتب عدداً أكبر من الكلمات بين ملئة وتعبئة !

أما ريشته السحرية فتكتب بنعومة يصح معها أن تطلق على «ايفر شارب» لقب القلم الصامت .

وهناك قرينه قلم الرصاص « ايفر شارب » وزن الريشة وهو يمتاز بزره السحرى ذى الطلقات. ويكفي ضغط بسيط بإبهامك على زره ليظهر الرصاص تماماً على طريقة المدفع الرشاش !

قدم ايفرشارب تكون قد قدمت أبدع هدية !



إن منتجات شركة « وليامز » المشهورة فى جميع أرجاء العالم ، مصنوعة بمهارة خاصة تنتجها خبرة مئة عام فى صناعة أرق مستحضرات الزينة للرجال . وسيكون فى وسعك أن تنعم بأفخر مستحضرات الحلاقة

حالما تعود العلاقات التجارية إلى سابق عهدها . وحينئذ ستجد منتجات « وليامز » فى أشهر محلات الشرق الأوسط . ويمكنك أن تثق من حصولك على أفضل حلاقة وأكثرها راحة حين تستعمل :

كريم وليامز الفاخر للحلاقة : يحتوى على مادة « لانولين » الملطفة التى تتيح لك حلاقة ناعمة دون أن يتهيج الجلد .

أكوا فلفا : أشهر لوسيون فى العالم للاستعمال بعد الحلاقة . مبرد ، منعش ، نقى ، ذكى الرائحة .

كريم جليدر وكريم إسكواير للحلاقة بدون فرشاة : خاليان من المواد الشحمية أو اللزجة ، مصنوعان خصيصاً بحيث يتيحان للذين يحلقون كل يوم ، حلاقة ناعمة دون أن يلتهب الجلد .

قلم صابون وليامز للحلاقة : مشهور برغوته السخية ، الندية ، اقتصادى للغاية يخدمك ستة أشهر يعطيك خلالها أنعم الحلاقات وأكثرها راحة .

The J. B. Williams Co., GLASTONBURY, CONN., U. S. A.

شركة ج . ب . وليامز ، جلاستونبرى ، كونيكتيك ، الولايات المتحدة

منتجو مستحضرات الحلاقة الفاخرة منذ اكثر من ١٠٠ سنة


جارجويل
موبيلويل
"اف"
خفيف الثقل


زهيدة الثمن
كثيرة الوفر


C.R.4954

موبيلويل


سوكوني
فاكوم

يصل الورد غضًّا ناضرًا
لأنه ينقل
بالطائرة

هنالك فى طبقات الجو العليا ، بعيداً عن وسائل النقل المألوفة على الأرض ، تمد طرق التجارة الجديدة . وفى الطائرات الضخمة الحديثة التى ترتاد هذه الطرق ستنعم بالاستجمام الحقيقى فلم تعد ثمة حاجة إلى أن ترهق نشاطك فى رحلة طويلة متعبة . إن الطيران فيه السرعة ، وفيه النظافة ، وفيه الراحة . والرحلة التى كانت تدوم أياماً أصبحت تتم اليوم فى ساعات . ولا تنس أنك تصل مستريحاً منتعشاً ، أنيقاً حسن الهندام ، حين تسافر طائراً .

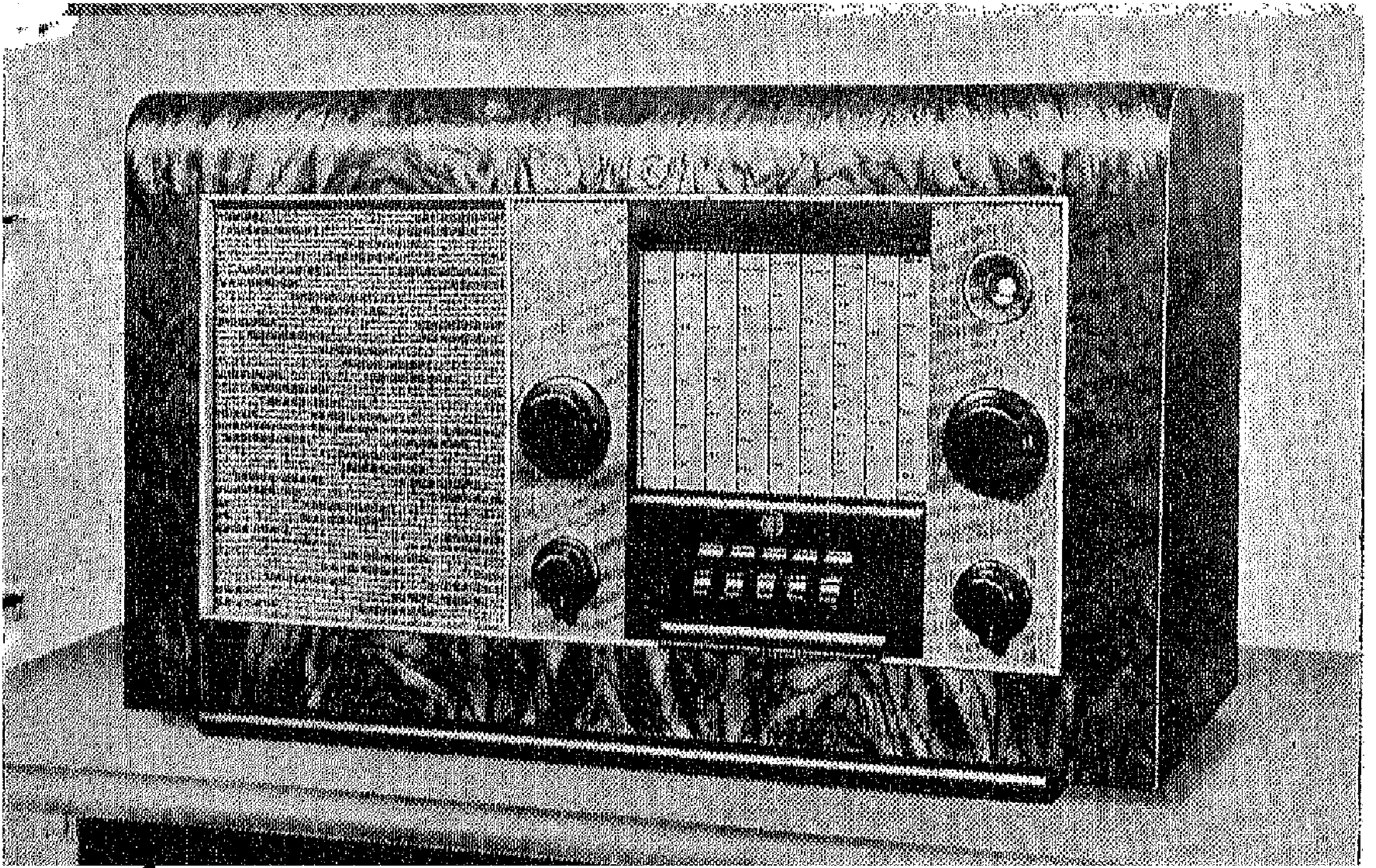
ترقب الطائرات الجبارة الحديثة التى تسيرها محركات سيكلون فقد باشرت خدمتها على خطوط العالم الجوية .

طائرات اليوم الجبارة
تحركها القوة التى برهنت
على جدارتها فى الحرب



إن أعظم خط جوى فى العالم كان ذلك السيل الذى لا ينقطع من القاذفات الداهمة والآسة تلقى قنابلها المدمرة على بلاد المحور . وهذا المجهود الرائع مضافاً إلى خبرة ٢٥ عاماً قد أقام الدليل على أن محركات سيكلون هى الجديرة بأن تهب السرعة والأمان لرحلات السلام .

Curtiss Wright
Export Sales Division
30 ROCKEFELLER PLAZA, NEW YORK 20, N. Y.



مثال الجهاز المستقبل من راديو إكو موديل 24

راديو إكــو ولمباته

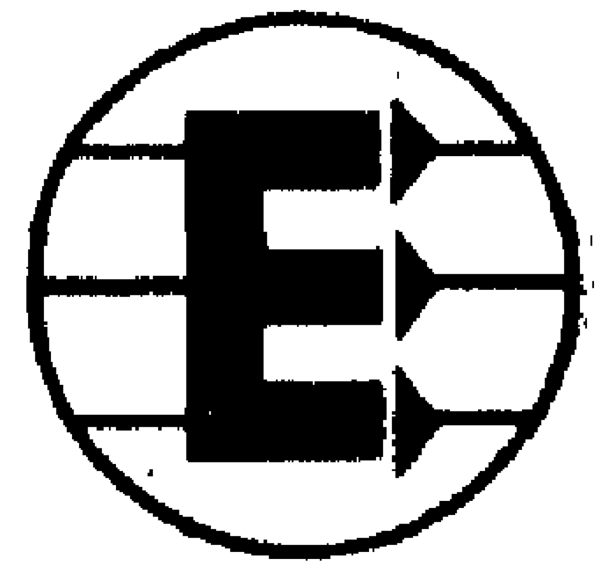
بدأت تصـــل الآن

بدأت السفن تفرغ الرسائل الأولى من أجهزة راديو « إكو » الجديدة — الأجهزة المستقبلة ، المصنوعة فى بريطانيا ، والمشهورة فى جميع أرجاء العالم .

وقد صُنِع راديو « إكو » ، خاصة ، لالتقاط البرامج العالمية المذاعة من جميع أقطار الأرض .

وإن خبرة «إكو» ، خلال الحرب فى شئون الراديو والرادار ، قد أسفرت عن أجهزة استقبال ، تفوق كل ما سبقها فى صدق الاعتماد عليها ، وحسن أدائها .

فحين تشترى الراديو الجديد الذى تريده ، أحرص على أن يكون من طراز «إكو» .



هـذا رمز المنتجات
الممتازة التى تصنعها
شركة إ.ك. كول ليمتد.

E. K. COLE, LTD., SOUTHEND-ON-SEA, ENGLAND

الكمال في كل صغيرة وكبيرة !

إطار
چنرال

شركة چنرال تير أند رابر أكسپورت
أكرون : أوهايو ، الولايات المتحدة
مصانع في الولايات المتحدة ، وكندا ، والمكسيك ،



يقطع مسافة طويلة ليكسب الأصدقاء

The General Tire & Rubber Co.
AKRON OHIO.

[illegible] كشفاً عظيماً في رحلاتنا التالية ، فقد وقعت في [illegible] مجلة [illegible] ريدرز دايجست . لم تكن مجلة كبيرة ، ولا [illegible] تطورها العين ، ولكن مطالعة عدد واحد منها كانت لإعلامنا [illegible] من نعم الله على الرائد المستكشف ، أو أي امرئ [illegible] نفسه [illegible] أن يطلع [illegible] العالم الزاخر بالأحداث .

في صيف ١٩٣٦ [illegible] مع زوجتي [illegible] في الصين — في بيبنغ . وحين تكون هناك ، يتراءى لك أنك بعيد عن كل شيء ، وأن سائر الدنيا لا يدخل في تقديرك واهتمامك ، حيث ترى السكينة السائدة على الهياكل القديمة ، وعلى غابات الأرز التي يغمرها الضوء ، تنزل على نفسك فلا يسعك إلا أن تتأمل وتحلم .

فلما عدنا إلى وطننا وجدت زوجتي ترتب على مائدة مكتبي مجموعة من أعداد ريدرز دايجست التي صدرت حديثاً وقالت :

« سوف نظفر فيها بما فاتنا من خبر الأحداث الخليقة بالاهتمام » .

وأنا أكتب هذه الكلمات في مزرعة قصدناها لنصيب قسطاً من الراحة والاستجمام بالفرار من ضوضاء الحياة . فالحيوان في الغاب ، والطير على الأرض وفي الشجر ، والسمك في بركة الماء ، أعظم شأناً في نظرنا الآن من الناس والسياسة والحفريات القديمة . وقد نتلقى صحيفة في الحين بعد الحين — إذا اتفق لنا أن نذهب إلى البلدة التي تبعد عن المزرعة سبعة أميال ، ولكننا لا نفعل ذلك إلا نادراً . وبين أيدينا كتب جيدة ما زلنا نريد مطالعتها منذ زمن طويل ، ثم هذه ريدرز دايجست بين أيدينا أيضاً ، فهي تطلعنا على كل خطير يحدث في كل ناحية من نواحي الحياة — وهذا حسبنا !

أعظم اكتشاف تمّ لي

روى تشابمان آندروز

مدير متحف التاريخ الطبيعي الأمريكي ، ورئيس بعوث عدة في آسية ، مؤلف "على آثار الإنسان القديم" و"عمل الرحالة"

حين كانت بعثة آسية الوسطى تشقّ طريقها في مجاهل القفار في صحراء غوبى بالصين ، كانت صلتنا بمصادر أنباء العالم مقطوعة ، فكأننا كنا قوماً يعيشون على سطح المريخ . لم نتلق رسائل ولا برقيات ولا صحفاً ، ومنعتنا حكومة الصين أن ننتفع بأجهزة الراديو ، فلم يكن بين أيدينا وسيلة تطلعنا على شيء مما يحدث في شتى أقطار الأرض . وقد نشبت حرب ، ومات رئيس الولايات المتحدة ، ودمر الزلزال مدينتين عظيمتين خلال رحلتنا هذه — فلم نعرف شيئاً عن هذه الأحداث أو غيرها .

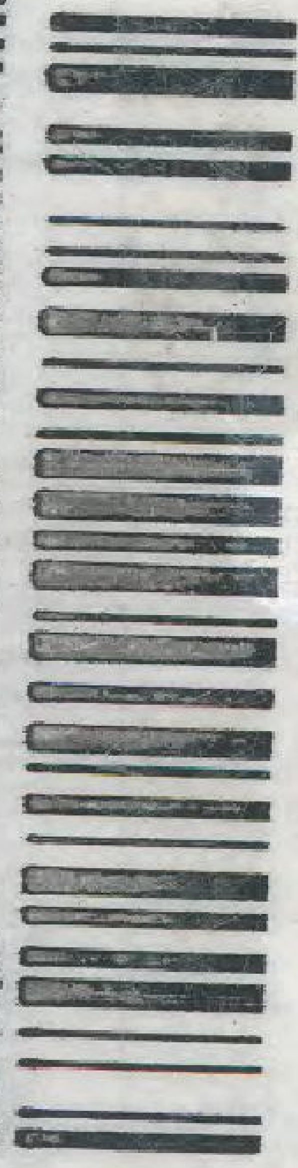
ويوم عدنا إلى مغاني الحضارة ، كان أول سؤال ابتدرنا به أصدقاءنا : قولوا لنا ما ذا حدث من أحداث ؟

ولكن الأنباء التي رووها لنا كانت أنباء الأسابيع القليلة القريبة وحسب ، أما الأنباء التي مضى عليها شهران أو ثلاثة أشهر فكانوا يهملون ذكرها ، ولو كانت أنباء أحداث تهزّ العالم ، فقد مضت إلى مكانها في جوف التاريخ فلم يأبهوا لها .

وأنا لا أستطيع أن أنقب في كوم من الصحف والمجلات التي مضى عليها أسابيع أو شهور ، ويندر بين الناس المعنيين بأعمالهم من يستطيع ذلك . فمضى عليّ زمن وأنا جاهل بما تمّ خلال غيبتي ، حتى تمكنت على الزمن أن ألمّ أشتات الأخبار عن أهم ما تمّ .

[التتمة على الصفحة السابقة]

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية


Bibliotheca Alexandrina
05336781
